موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة

(2)التغريب

الباب الثاني

التغريب

إعداد

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

الباب الثاني

التغريب

#مطايا التغريب

موسى بن ذاكر
@LIVEISLAM.COM25mossa

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين ولأخيرين نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين أما بعد: فإن المسلم في هذه الدار مبتلى بأنواع شتى من البلاء يبتلى أحينا بالسراء وأحيانا بالضراء كما قال – تعالى –{وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}[الأنبياء: 35] وقال – تعالى –{الم (1)أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} (3) [العنكبوت] هذه هي سنة الله – عز وجل – التي لا تتغير ولا تتبل على مر العصور. فالصراع بين الحق والباطل قائم إلى قيام الساعة حتى يميز الله الخبيث من الطيب قال – تعالى –{مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} [آل عمران: 179] إن هذه الفتن والابتلاءات تصقل شخصيات الرجال حتى يتبين الثابت من المتحول وصاحب المبادئ والقيم من الذي كالريشة في مهب الريح. وإن من البلايا التي ابتلي به المصلحون الغيورون على دينهم. بعض المنتسبين للعلم الشرعي و ما يسمون بالمفكرين الإسلاميين الذين سهلوا الطريق أمام التيار التغريبي حتى أصبحت أقوالهم يزج بها في مقالات بعض الكتاب للاستشهاد وإضفاء الصبغة الشرعية على مغالطاتهم. لا أظن أن وهؤلاء المشايخ يجهلون الواقع ولكن ضغط وسائل الإعلام وخوف بعضهم أن يرم بالتشدد والتطرف حدا به الأمر إلى التنازل عن ثوابت الكتاب والسنة حتى أصبحت مواقفهم في كثير من القضايا تشبه إلى حد كبير مواقف المستغربين بل إنك لا تستطيع أن تميز بعضها إلا بالأشخاص – وليس هذا تنقصا لمكانتهم مع تحفظنا على بعضهم – ولكن لبيان الحق فإن الله – سبحانه وتعالى – قال {وَإِذَ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ} [آل عمران: 187] وعودا على ما ذكرت آنفا وللتمثيل على ما أقول أقرأ ما قاله الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي فقد نادى بضرورة أن " يفسح للمرأة مكان لتشارك في قضايا الأمة السياسية والاجتماعية والثقافية ناخبة ومرشحة لكل ما تحسنه من الأعمال " وقال أيضا بضرورة اشتراك المرأة في التمثيل!!!

ومن مخالفات أصحاب هذا المنهج أنهم لا يرون بغض الكفار بل إنهم يرون أنهم إخوان لنا في الإنسانية فالإنسان أخ للإنسان على حد زعمهم وجعل شيخ العصرانية محمد عبده ثمانية أصول زعم أنها أصول الإسلام والغريب أنه ليس فيها ركن واحد من أركان الإسلام ولا أركان الإيمان المعروفة!! – فعلى أي أساس جعلها أصولا للإسلام؟!! وجعل الأصل السابع (مودة المخالفين في العقيدة) اهـ وللرد على هذا الأصل المكذوب أقر قول الله – تعالى –{لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا – رضي الله عنهم – وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المجادلة: 22]

ومن القضايا البارزة عند أصحاب هذا المنهج قضية الحجاب فيرى أصحاب هذه المدرس أن الحجاب خاص بنساء النبي – صلى الله عليه وسلم – كما يقول الترابي. ويقول الدكتور محمد عمارة " إن القضية (الحجاب) ترتبط بالتمدن والتحضر والاستتارة أكثر مما هي مرتبطة بالدين " انتهى كلامه. لك أن تقارن هذا مع ما يكتبه أصحاب التوجه العلماني!! مع أن الدكتور محمد عمارة يصنف على أنه (مفكر إسلامي!!) وهو معتزلي! ويقرر حسين أحمد بأنه " ليس في القرآن نص يحرم سفور المرأة ويعاقب عليه "!! مع إن الله – عز وجل – قال {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى}[الأحزاب: 33] وقال {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً}[الأحزاب: 59] ولا أدري هل الكاتب قرأ هذه الآيات أم إنها ليست موجدة في القرآن كما يزعم!!!

يرى الدكتور يوسف القرضاوي أن كلمة الاختلاط دخيلة على المجتمع فيقول " المهم أن نؤكد هنا أنه ليس كل اختلاط ممنوعا كما يتصور ذلك ويصوره دعاة التشدد والتضييق " ويقول " في الثمانينات حضرت عددا من المؤتمرات في أمريكا وأوربا فوجدت فصلا تاما بين الجنسين... وقد أنكرت هذا !!!..... وقلت إن الأصل في العبادات ودروس العلم هو الاشتراك " ا هـ وأقول هل الاشتراك في الدروس والعبادات يستلزم الاختلاط؟!! ولن أطيل الكلام للرد على ما قاله سماحته!! لكني أدع القارئ الكريم مع حديث عن المعصوم – صلى الله عليه وسلم – يرد هذه الفتوى!! عن أبي أسيد الأنصاري عن أبيه: أنه سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول وهو خارج من المسجد، فاختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للنساء: استأخرن؛ فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق؛ عليكن بحافات الطريق. فكانت المرأة تلتصق بالجدار؛ حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به" سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم 865 فالنبي – صلى الله عليه وسلم – أنكر الاختلاط مع أنه وقع من غير قصد من الصحابة – رضي الله عنهم – أجمعين وهم أبر قلوبا وأكثر ديانة وخشية لله؛ وفضيلة الدكتور ينكر عدم الاختلاط!! وما ذكرته مجر أمثلة لتبيين هذا الانحراف ولا يحتمل المقال التوسع وإلا هناك قضايا كثيرة كقضية التقريب بين الأديان والتقريب بين المذاهب وقضية الجهاد وأهل الذمة والرق والمساواة وحرية الرأي والتعبير.... إلخ وقد استغل دعاة التغريب مثل هذه الأقوال الغريبة أيما استغلال فأصبحوا يظهرونها ويحيلون عليها في مقالاتهم. ومما يحز في النفوس أن توجد مثل هذه الأقوال المخالفة لشرع الله والمتعسفة ممن يرفع شعار الإسلام

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة *** على النفس من وقع الحسام المهنّد

2007-05-27

المصدر: http://www.islamselect.com

============

#الحصاد المُر

محمود شنب

ظهرت بشائر الحصاد المر، وبدأت ثمار الترويض والتخويف بعد طول صبر غربي، وحسن تخطيط أمريكي، وبعد أن تمكن الخوارج وتحكم اللصوص وضاع الأمل في المثقفين والشيوخ.

نعيش الآن مرحلة القطف من غير قصف بقيادة العقيد معمر القذافي، والجني من غير ثنى بقيادة الرئيس مبارك، والتركيع من غير ترويع بقيادة ....، والانبطاح من غير إفصاح بقيادة أمراء ورؤساء وملوك....إلخ.

ذهبت سنوات الخيار والحصار، وحلت سنوات الاحتكار والاحتقار.

نمنا طويلاً، وفرطنا كثيراً، وتقاعسنا عن مواجهة الحكام، وعلاج العِلل حتى استفحل الداء، وانتشر الوباء، وسيطر المرض، وخار الجسد، وبات الغرب يجنى ثمار الشرق بتروي وتأني ودون خوف، ولا توجد خلافات بين أفراد العصابة الواحدة – أمريكا وأوربا – فالكل متفق بشأن الضحية، أما الخلافات فإنها شكلية، وتتم من أجل الوصول لأفضل مكاسب عند تقسيم الغنائم.

نمنا في الوقت الذي كان يجب أن نعمل فيه، وصحونا على صوت اللصوص وهم يقتسمون الأرض والثروة!!

كانت إسرائيل مشكلتنا الوحيدة.. كانت قليلة ونحن كثر.. صارت مشاكلنا على امتداد العالم كله فأصبحنا قِلة وهم كثر.. صرنا غنائم حرب غير معلنة، وسبايا معارك لا ندرى متى بدأت ولا متى وضعت أوزارها.

نحن كشعب لا نعرف ما الذي حدث على وجه التحديد.. لا نعرف أي شيء عن أي شيء، ولا نفعل شيء إلا الفرجة!!

كل ما نذكره أننا صحونا ذات يوم لنشاهد في ميدان الفردوس ما هو أقرب للخيال من الواقع، وأقرب للحلم من العلم.. شاهدنا الجميع يصفق لسقوط بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية.. شاهدنا وسائل الإعلام تنقل الخبر بفرحة.. شاهدنا وجوه الخونة واللصوص وقد غمرتها السعادة والنشوة...

نظر كل منا حوله وتحسس موضع قدمه وحجرة نومه.. وجدنا السقوط في كل مكان وفي كل شئ.. وجدنا السقوط في الشيوخ والعلماء، ووجدنا السقوط في البناء والأبناء، ووجدنا السقوط في الفكر والهدف، وشاهدنا السقوط في كل عواصمنا

العربيـة.. فـي القـاهرة والريـاض.. فـي طـرابلس والخرطـوم.. فـي عـدن وعُمـان.. فـي تـونس والأردن.. فـي قطـر والمغـرب... وجدنا السقوط مـن البحـر إلـى النهـر، ومـن الشـرق إلـى الغـرب... صـحونا لنجد أنفسـنا علـى نفس الحركـة التـي نمنـا عليهـا.. مقيـدون علـى كراسـي الفرجـة.. نشـاهد الأحـداث ولا نصـنعها.. نبكـى.. ولكـن نشـرب اللبن وننام!!

نتـألم.. ولكـن نـروح ونـأتي ونلعـب ونغنـى.. نعـيش حياتنـا التـي اعتـدناها، ونرشـى ضمائرنا بدموع ألفناها...

سأل كل منا الآخر: متى بدأت الحرب؟!!

بعضنا كذَّب الخبر وقال: أبداً الحرب لم تبدأ، وأقسم الآخر: أنها بدأت منذ فترة طويلة ولكن دون إعلان.. يقول الدكتور جمال حمدان: (هناك من يؤكد أن الحرب العالمية الثالثة بدأت دون إعلان ودون أن نشعر، وقد مارستها أمريكا علينا بالتدرج، وبطريقة حرب عالمية بالقطاعي).

إن أشد المعارك ضراوة هي تلك التي لا نعرف لها إعلان.. إنها معارك خفية تبدأ بـاحتلال المواقـع الفاعلـة فـي الدولـة حتـى لا يصـبح للحـاكم قيمـة ولا وزن ولا حتـى مساحة للمناورة وتصحيح الأخطاء.. معارك تبدأ بالتمكن من جسد الأمة عن طريق المثقفين والمشايخ والعلماء وحتى الأدباء والفنانين.. إنه التغلغل الخفي الذي يتمكن من كل ما يصيغ وعى الأمة ويحرك إدراكها، ولذلك لم يكن غريباً أن نجد في هذا الزمان شيخاً مثل شيخ الأزهر الحالي – الشيخ سيد طنطاوي – الذي رفض أن يُجير مسلمات فرنسا فـي أمر إلهي يستند إلـى نص قرآنـي، لكنـه خذلهن وهو يدعى إلـى الإسلام ويقرأ قوله تعالى: ((وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغـه مأمنـه ذلك بـأنهم قوم لا يعلمـون)) الآيـة 6 سـورة التوبـة... فمـا بالنـا والمستجيرات مسلمات قانتات راكعات ساجدات يُراد لهن الفتنـة ونـزع الحجـاب عـن رؤوسهن!!

ولم يكن غريباً أيضاً أن نجد في مصر وزير شاذ مثل فاروق حسنى، وممثل داعر مثـل عـادل إمـام الـذي يُسـخر كـل مواهبـه الفنيـة فـي النيـل مـن الإسـلام, وأذكـر أن الأستاذ عادل حسين – رحمه الله – قد كتب لـه منذ أمد بعيد ناصحاً وموضحاً ثم

دعا له قائلاً: أسأل الله أن يُعز بك الإسلام, وعلى الرغم من ذلك مازال الرجل في ضلال بعيد – في مجاورة أسامه أنور عكاشة الذي لا يخلو له مسلسل من غير طعن الإسلام –, ولا مجال لحصر الساقطين فالقائمة قد بلغت – مثلما أوضح لنا الدكتور محمد عباس في إحدى مقالاته القريبة – حوالي ثلاثة ملايين داخل مصر وحدها من عملاء أمريكا وأعداء الإسلام, ولن يكون آخرهم هذا المعتوه الكهل الذي يدعى محسن سعيد لطفي السيد – 78 عاماً – والذي تقدم منذ أيام إلى لجنة الأحزاب مطالباً موافقتها على تأسيس حزب علماني في البلاد باسم "مصر الأم" – مثلما نشرت جريدة المساء الأسبوعية في 2004/2/14 – مطالباً بنزع الصبغة الإسلامية والعربية عن مصر، ومطالباً بإلغاء نصوص الدستور المصري التي تنص على أن الشريعة الإسلامية هي مصدر التشريع الأساسي وأن مصر دولة إسلامية... المعتوه يطالب باعتبار الفتح الإسلامي لمصر احتلال يجب التخلص منه، ويطالب بترجمة القرآن الكريم إلى اللهجة العامية المصرية، وإخراج مصر من الدائرة العربية الإسلامية!!

استفسرت عن الخبر ووجدته صحيحاً.. اتصل بي أستاذ جامعي – صديق – وقال لى: (إن هذا الحزب سيجمع تحت أهدافه أغلب طوائف الشعب المصري وسيصبح بين يوم وليلة من أكبر الأحزاب المصرية).. تعجبت من قوله فهو رجل ملتزم وعلى خلق، وأعرفه جيداً... لم يمهلني طويلاً وأتى إلى وأكمل الحديث معي وقال: (إن هذا الحزب يمثل حزب المستقبل بعيون الغرب.. إنه الحزب الذي أسسته أمريكا في مصر على يد السادات وقد آن الأوان للإعلان عنه.. ستوفر له أمريكا والدول الأوربية كل أسباب التميز والنجاح.. سيمدونه بكل الإمكانيات والموارد حتى يتمكن من استثمار حالة الإحباط والبطالة التي تعيشها البلاد.. سيخلق فرص عمل جديدة لكل أتباعه، وسينضم إليه فريق الانتهازيين وصفوة المجتمع، وكثير من الوزراء والكتاب والمثقفين، وستكون له الغلبة في أي انتخابات قادمة, وبمجرد أن يضرب جذوره في البلاد سيقوم بتشكيل حكومة توافق على تعديل الدستور، وإزالة الفقرات التي تعوق حركته, وسوف يحمى علمانيته بالقوة مثلما تحميها تركيا بالقضاء والقوات المسلحة... يا سيدي إنه ليس فكرة.. إنه مشروع متكامل حان وقت تنفيذه)..

صرخت: ومن سيسمح لهم بذلك؟!!

قال: ومن سيمنعهم؟!!

قلت: الشعب.

قال في سخرية: أرجو أن تبلغ سلامي للشعب.

انصرف الدكتور وتركني في حيرة.. فعلاً.. ما الذي يمنعهم؟!!

لقد كتب الدكتور محمد عباس في ذلك منذ ما يقرب العام, ونشرت الجرائد ذلك، وتناقلته وكالات الأنباء وأذاعته قناة "الجزيرة" فهل تحرك أحد؟!!... أين الشعب وقد بلغت الروح الحلقوم؟!!

الحرب لم تضع أوزارها بعد.. مازال أمامهم الكثير.

نمنا طويلاً طويلاً.. وفرطنا كثيراً كثيراً حتى أصبح في كل بيت مريض وعاطل.. نمنا حتى صار في كل شارع عميل، وفي كل حارة دليل، وفي كل مدينة وكيل، وطابور طويل من العملاء ممن يخونون عن يأس وليس عن عمد.. وممن يخونون عن قهر وليس عن قناعة... الناس في مصر يخونون الأمانة طبقاً لمتطلبات الوظيفة.. وسأضرب على ذلك مثال لما يحدث في التربية والتعليم حيث يتم تدريس الجهل وليس العلم, وفي ذلك خيانة ولكن لا يستطيع المدرس منعها.. فهناك منهج دراسي ومقرر ومتابعة.. في التربية والتعليم أيضاً يقتلون الحياء عن عمد وبتعليمات واضحة, وفي ذلك خيانة ولكن من يستطيع منعها؟!!.. يستغلون براءة الأطفال، وفساد المناهج في بث بذور الشرك, وسأضرب على ذلك عدة أمثلة في مجال التعليم وحده:

* يتم تحويل كل معلم ينتمي للتيار الإسلامي إلى عمل إداري بعيداً عن التدريس، وينقل إلى خارج المحافظة، ويستدعى بين الحين والحين لمباحث أمن الدولة.

* محاربة الحجاب محاربة لا هوادة فيها, ومحاربة أصحاب اللحى والتبليغ عنهم, وآخر ما وصلني في ذلك نشرة وزعت على المديريات والإدارات التعليمية وجميع مدارس الجمهورية نصها كالآتي: (... رابعاً: على السادة مديرو المدارس إرسال خطاب سرى في مظروف مغلق ومختوم يُرسل مع مخصوص بداخله الاسم الرباعي لكل ملتحي أو منقبة واسم الزوج ووظيفته, وغير مسموح بالتأخير, وفي حالة عدم

وجود حالات من هذا القبيل في المدرسة يُكتب " لا يوجد " واعتبار هذا الأمر هام وعاجل جداً، ولا يتم التأخير عن يوم الأحد 2003/12/21م).

* نشرة من قطاع التعليم العام – الإدارة العامة للتربية السكانية – موزعة على كل المديريات التعليمية في 2003/9/20 مفادها: (برجاء طرح المسابقة الآتية على طلاب جميع مراحل التعليم (إبتدائي . إعدادي . ثانوي) والخاصة بعمل "بوستر" يعبر عن رؤية التلاميذ حول قضايا الشباب بعنوان (الصحة الإنجابية للمراهقين) على أن ترسل الأعمال في موعد أقصاه 31 أكتوبر 2003 إلى العنوان التالي: مكتب صندوق الأمم المتحدة . برج شيراتون 93 ش الجيزة بالدقي الدور الثالث, وسيتم التحكيم في مقر الصندوق بالقاهرة ثم ترسل الأعمال الفائزة إلى مقر صندوق الأمم المتحدة للسكان في نيويورك للدخول في المسابقة الدولية.. وتفضلوا بقبول وافر الاحترام – المدير العام أ: زينب محمد قطب).

* قصت لى تلميذة صغيرة في الصف الخامس الابتدائي قصة مدرسة الاقتصاد المنزلي معها وقالت: كانت تعلمنا إحدى طرق الطهي البسيطة, وكان الدرس طريقة عمل "المكرونة بالصلصة"، وطريقة عمل "الكفته"، وبعد الانتهاء من الدرس قامت المعلمة بتوزيع ما تم طهيه على التلميذات – تقول التلميذة عددنا كان كثيراً والأكل كان قليلاً.. كل مجموعة مكونة من ست تلميذات كانوا يلتفون حول طبق واحد من المكرونة، وقطعة واحدة من صباع الكفته, ولأن المدرسة في حي فقير فقد تعاركنا على الفوز بأكبر قدر من الوليمة, وأثناء تهافتنا على الأكل قالت لنا المعلمة: ما رأيكم يا بنات لو وزع كل طبق على ثلاثة.. قلنا جميعاً: ياليت يا أبله.. قالت: وماذا لو وزع على اثنين.. قلنا بفرحة أكبر: ياليت يا أبله.. قالت: وماذا لو كان لواحدة... سعدنا كثيراً وقلنا: يا سلام يا أبله يكون شئ جميل.. قالت: لابد أن تخبر كل واحدة منكن أمها بأن الأسرة الصغيرة تكون أسرة سعيدة، وأن الزيادة السكانية هي أساس كل بلاء، ولو كنت وحدك في الأسرة لأكلت أفضل مما تأكلين مع إخوتك!!.... توجهت إلى المعلمة وسألتها عن صحة هذه الواقعة – قالت لى باللهجة العامية: يتنيلوا بنيله.. دي لحمة مستوردة، وسمن صناعي.. قلت: هذا لا يهمني.. أنا أسأل

عن حكاية أسرة صغيرة وأسرة سعيدة؟!! قالت: لكل درس هدف، وهذا هو الهدف من الدرس.!!

هذه بعض النماذج السيئة التي تزخر بها مدارسنا.. يقوم بها أناس أجبرتهم وظائفهم على اقترافها.. يظهر ذلك بوضوح في محاربة الفضيلة وكل مظهر إسلامي يتمثل في الحجاب واللحى، وفي تشريد الأتقياء والملتزمون ممن تصح على أياديهم التربية ويثمر التعليم، فيُبعد هذا عن التعليم، ويحول إلى عمل إداري, وينقل هذا إلى محافظة أخرى دون ذنب أو جريرة.. وما بين مسابقات بعنوان "الصحة الإنجابية للمراهقين" لتلميذات الابتدائي والاعدادي والثانوي.. وبين استغلال الطعام في المدارس لتحديد نسل الأسرة.. كل هذا يحدث في قطاع واحد من قطاعات الدولة, فما بالنا بباقي مؤسسات الدولة!!

يقول "شكسبير" في مسرحية يوليوس قيصر: يا لها من سقطة أيها المواطنون شملتنا جميعاً أنا وأنتم بينما كانت الخيانة تترعرع فوق رؤوسنا.

ويصرخ "نهرو" قائلاً: أيها السادة أنتم تثيرون فزعي إلى درجة الموت.. إنكم لا ترون ما هو أبعد من موقع أقدامكم، تشغلون أنفسكم باللحظة التي مضت وليس باللحظة القادمة.. إن مستعمريكم السابقين رتبوا أنفسهم قبل أن يوافقوا على استقلالكم، وأقاموا أوضاعاً جديدة تستبدل أعلامهم القديمة بأعلامكم الجديدة.

وهذا ما يحدث بالفعل ويحدث في مجال التعليم على وجه الخصوص.. ما فشل فيه "زويمر" نجح فيه فتحى سرور وحسين كامل بهاء الدين.

في كتاب "الغارة على العالم الإسلامي" يقول الأستاذ محب الدين الخطيب: (في مؤتمر المبشرين الذي عقد بالقاهرة عام 1906 وقف الخطباء يقولون: (لقد فشلنا.. فتحنا المدارس والمستشفيات والملاجئ، وأعطينا الأموال، وقدمنا الخدمات, ثم لا يدخل النصرانية بعد ذلك غير طفل صغير خطفناه من أهله قبل أن يعرف عقيدته، أو رجل كبير جاء إلينا من أجل المال ولا نضمن عقيدته.. فوقف الأب "زويمر" وهو بالمناسبة مبشر بروستانتى كان له نشاط تبشيرى كبير في العالم الإسلامي, وقد أوصى قبل موته بأن يُدفن في مقابر اليهود.. قال "زويمر" وكان مقرر المؤتمر: لقد استمعت إلى إخواني الخطباء ولست موافقاً على ما يقولون, فليست مهمتنا تنصير

المسلمين, فهذا شرف ليسوا جديرين به, ولكن مهمتنا هي صرفهم عن التمسك بالإسلام وفي ذلك نجحنا نجاحاً باهراً بفضل مدارسنا التبشيرية والسياسة التعليمية التي وضعناها في البلاد الإسلامية)... كان ذلك عام 1906 وقال: لقد نجحنا نجاحاً كبيراً فأي تسمية تصلح لهذا العهد الذي نعيشه وكل شئ أصبح فيه مشوهاً وملوثاً وكما يريد الغرب وأكثر..

أمامي الآن ثلاثة أوراق إجابة لاختبار شهري أجرته إحدى المدارس في مادة الدراسات الاجتماعية الصف الرابع الإبتدائي ، السؤال يقول ضع خطاً تحت الإجابة الصحيحة من بين الأقواس:

أ . مصر جزء من العالم (العربى . الأوربى . الأمريكى)... تلميذة تدعى رانيا وضعت خطاً تحت (الأمريكي)، وأسماء وضعت خطاً تحت (الأوروبي)، بينما وضع أحمد خطاً تحت (العربي)، وخطاً تحت (الأمريكي)!!

هذا هو التشوه الحقيقي ونزع الانتماء، والدخول في مراحل سريعة من فقد الثقة وضياع الانتماء.. ولا أحد يتحرك!!

منذ فترة بسيطة أذاعت إحدى القنوات الفضائية المصرية برنامجاً أوضح فيه انتشار الأمية بين تلاميذ المرحلة الإعدادية, حيث وجد بينهم أميون لا يقرؤون ولا يكتبون, وتم مواجهة الوزير بذلك لكنه تهرب كعادته من الإجابة، وناور بعيداً بأسلوب رخيص وكلمات جوفاء، ولم يقل لنا: إن ذلك كان حصاد إلغاء الصف السادس أيام فتحي سرور، وإدخال تدريس اللغة الإنجليزية في الصف الرابع والخامس في عهده, وفي هذا العام زاد الطين بله بقراره تدريس اللغة الإنجليزية في الصف الأول الابتدائي.. نحن لا نعارض تدريس اللغة الإنجليزية، وإنما نعارض تدريسها في تلك المرحلة السِنية، ومزاحمة اللغة الأم بلغة أجنبية في سنوات التعليم الأولى, وليس هذا اجتهاد منا وإنما يحدث في كل الدول المتقدمة والتي تحافظ على هويتها ولغتها.. في فرنسا قانون يحظر تعليم أي لغة غير الفرنسية في جميع مدارس الدولة قبل سن الحادية عشر حتى يتمكن التلميذ من هضم واستيعاب اللغة الأم.

إننا نعيش الكارثة بكل أبعادها وتفاصيلها وتوابعها.. ولا أحد يتحرك!!

عندما جاء "كرومر" إلى مصر كأول معتمد بريطاني فيها قال: (إن مهمة الرجل الأبيض الذي وضعته العناية الإلهية في هذه البلاد - مصر - هو تثبيت دعائم الحضارة المسيحية إلى أقصى حد ممكن)، واختار للتعليم الذي هو وسيلة كل شئ شاب يدعى "دنلوب".. كان دنلوب هذا قسيساً على درجة عالية من الذكاء، وولاه كرومر منصب "مستشار وزارة المعارف المصرية"، وجعل في يده كل السلطات الفعلية لوزارة المعارف.. وضع دنلوب عينه على الأستاذ والتلميذ... يقول الأستاذ محمد قطب في كتاب واقعنا المعاصر: (كانت عيون المراقبة التي وضعها "دنلوب" تنتقل من المدرس العادي إلى المدرس الممتاز لترى أثره في تطبيق أهداف التغريب فيكافأ على ذلك بإرساله إلى إنجلترا ليزداد صقله، وليُصاغ من جديد صياغة أدق وأشمل، ليستفاد منه على نطاق أخطر فإذا ما عادوا يوضعون في مراكز التوجيه ليكون أثرهم في الإفساد أشمل وأوسع، حتى إذا صار أحدهم في نهاية المطاف وزيراً للمعارف حطم من مقدسات قومه ما لم يكن يجرؤ "دنلوب" على فعله) وهذا ما يحدث بالفعل, ونفس الأمر يكرره حسين كامل بهاء الدين وبصورة تكاد تتطابق.. إنه يتفاخر بإرسال آلاف المعلمين للتدريب في بريطانيا وأمريكا, ولا يستطيع أن ينكر أن ذلك محظور على كل من ينتمي لجماعة إسلامية أو معروف عنه التمسك بالفضائل!!

إنه جهد قديم لكنه متواصل ومستمر, وفي الثلث الأخير من القرن التاسع عشر قال القس "زويمر": (لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية المستقلة أو التي تخضع لنفوذ مسيحي.. لقد أعددنا بوسائلنا جميع العقول إلى قبول السير في الطريق الذي مهدنا له كل التمهيد - أعددنا نشئاً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجنا المسلم من الإسلام ولم ندخله المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي لا يهتم بعظائم الأمور وحب الراحة والكسل, وإذا تعلم تعلم الشهوات, وإذا جمع فللشهوات, وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شئ).

هذا ما فعله الغرب فينا، وهذا هديه الذي نسير عليه.. يقول ابن حزم في كتابه مداواة النفوس: (مُقرب أعدائه قاتل نفسه)، ويقول الدكتور محمد محمد حسين في كتاب

"الإسلام والحضارة الغربية": (لقد رأينا المراحل التي مر بها طبع التعليم بالطابع الغربي في العالم الإسلامي ومدى تأثيره على تفكير الزعماء المدنيين وقليل من الزعماء الدينيين)، ويقول الدكتور مصطفي محمود: للأسف حطموا القديم ولم يبنوا بديلاً... هل بنى أحد التعليم المصري بعد هدمه؟!! أبداً.. لقد أصبح التعليم في أي مدرسة مصرية أغلى من "هارفارد" بسبب الدروس الخصوصية التي جعلت التعليم هنا أغلى من جامعة "أوكسفورد").

أخذنا التعليم كثيراً في هذا المقال, لكنه كان أوضح مثال على ما آلت إليه أحوال البلاد, حيث انعكس أثره على سلبية المواطن، وعدم محاولته التغيير، حيث فسدت التربية، وانتشرت علل مدمرة لم تكن موجودة في الأساس مثل انتشار التدخين بين الطلبة والطالبات، وتناول المخدرات، والزواج العرفي.

يكتب الأستاذ عطية النعماني في "آفاق عربية": (وصلتني هذا الأسبوع رسالة حزينة من طلاب الحركة الإسلامية بجامعة الزقازيق يقولون فيها: تم ضبط ثلاث حالات مخلة بالآداب في دورات المياه داخل كلية الزراعة, وكان رد فعل الإدارة عمل محضر، وتزويج هذه الحالات داخل قسم الشرطة, وفي كلية التجارة قامت إحدى الأسر الطلابية بتغطية حوائط الكلية بإعلانات عن حفل ماجن بأحد النوادي بالشرقية، وكانت مفاجأة الحفل الذي حضره جمع كبير من طلاب الكلية هو تنظيم مسابقة لاختيار ملكة جمال الحفل، وأخرى لاختيار أجمل عيون، وثالثة لاختيار أجمل رقصة شرقي وغربي من بين طالبات الكلية, ورغم حالة الاستياء التي شهدتها الكلية احتجاجاً على هذا الحفل الماجن الذي لا يخرج عن القيم الإسلامية فحسب بل يخرج عن الأعراف في محافظة تشتهر بحفاظها على التقاليد والعادات, وفي الوقت الذي تتجاهل فيه إدارة الجامعة التصدي إلى الانحلال الأخلاقي نجد أحد أعضاء هيئة التدريس بكلية التربية النوعية بنفس الجامعة ينزعج من كتابة حديث شريف على السبورة ويطلب من أحد العمال محوه بقوله: "امسح الزفت ده").

ويكتب الأستاذ سعيد إسماعيل في "الأخبار": (زمان كانت العوالم والغوازي يرقصن في الأفراح والليالي الملاح وبطونهن عارية، ثم أجبرتهن شرطة الآداب على ستر أجسادهن فامتثلن.. الآن.. اللهم احفظنا واحفظ ذوينا من كل الذي يحدث الآن..

أفلتت الأمور وخرجت البطون العارية من شرائط الفيديو كليب إلى الشوارع.. الفتيات المصريات في عمر الزهور تتسكعن في شوارع المهندسين ومصر الجديدة ومدينة نصر حيث توجد الكافتريات، ومطاعم البيتزا والهامبورجر.. الشعر مبعثر، والسجاير بين الأصابع، والمحمول على الأذن، والضحكات تجلجل، والبنطلونات محزقة، والبطون عارية).

وتنشر الأهرام في 3 مارس 2000 تحت عنوان المؤبد للمدرس المتهم بهتك عرض 5 تلميذات: (أسدلت محكمة جنايات القاهرة أمس الستار على قضية مدرس الرياضات المتهم بهتك عرض تلميذاته في الدروس الخصوصية، حيث قضت بمعاقبته بالأشغال الشاقة المؤبدة، ودقت المحكمة في حيثيات الحكم ناقوس الخطر لما انحدرت إليه الأخلاق، وطالبت الجميع بوقفة صريحة، وشجاعة مع النفس قبل أن ننحدر إلى الأسوأ وتكون الكارثة، قبل النطق بالحكم تحدث رئيس المحكمة إلى المتهم قائلاً: (يا عصام حاولنا مساعدتك إلا انك اعترفت في تحقيقات النيابة بجريمتك)، وقالت المحكمة إنها بعد أن قضت بحكمها فإنه ثبت لها في النهاية كلمة وهى: أنه إذا كانت المحكمة قد عاشت ذلك الزمان الغابر الذي كان الجميع فيه يربطهم حب وإخاء تحت مظلة من القيم الروحية التي نادت بها شرائع السماء؛ فإنها تأسف لأنها أدركت هذا الزمان الذي رأت فيه الزوجة تقتل زوجها أمام الصغار، والذئاب البشرية يهتكون الأعراض في وضح النهار، فضلاً عن الحقد والحسد والأنانية وحب الذات والجري وراء الشهوات، وسرقة المال العام والخاص، وعدم اعتراف البعض بالخطوط الفاصلة بين الحلال والحرام, ولذا فإن المحكمة تطالب الجميع بوقفة صريحة وشجاعة مع النفس قبل أن تنحدر الأخلاق إلى الأسوأ فتكون الكارثة).

ألم أقل في البداية إنه موسم الحصاد المر، هذا ما زرعه دنلوب وزويمر, وهذا ما سار عليه فتحي سرور وحسين كامل بهاء الدين, وليت الأمر قد اقتصر على التعليم – فبعد التعليم الفاسد تتسلمك وزارة فاسدة تسمى وزارة الثقافة حيث تبيح الشذوذ، وتصدر المطبوعات التي تسب الله ورسوله على نفقة الدولة, وكذلك الأمر بالنسبة لوزارة الأوقاف التي أرسلت أخيراً المئات من الأئمة والدعاة لأخذ دورة تدريبية في

أمريكا عن الخطابة في المساجد, والأمر يبدو أكثر وضوحاً إذا لاحظنا الانحطاط الأخلاقي في الإعلام المصري.. إنها الكارثة التي ليس لها من دون الله كاشفة.

والمضحك أنه منذ أيام قلائل احتفلت مصر – مثل غيرها – بعيد يسمى "عيد الحب"... قلت في نفسى: ما أحوجنا لعيد يسمى "عيد الكُره" نتعلم فيه كيف نكره وننتقم ممن أفسدوا علينا كل شيء.. عيد نتعلم فيه كره الغاصب والمحتل والعميل والدخيل والمثقف الخسيس.. تعجبت أي حب يقصدون.. هل المقصود بهذا الحب حب من سرقونا وخذلونا ونقلونا من خير أمة أخرجت للناس لأضعف أمة يلعب بها الأنجاس؟!!

هل المقصود هو حب إسرائيل وحب أمريكا؟!!

قد يناسبهم في الغرب عيد مثل عيد الحب يتقاسموا فيه الغنائم، ويقارعوا فيه الكؤوس التي تشرب على شرف أمتنا، وروح عروبتنا، وضياع كرامتنا, ولكن كيف نقلدهم ونحن مازلنا نمد لهم اليد لتلقى المعونات، ومناولة الحذاء الذي يضربوننا به؟!!

كيف نقلدهم ودماء الفلسطينيين دين في أعناقنا، فلا هم يستحقون منا القطيعة، ولا اليهود يستحقون منا الشفقه!!

كيف نقلدهم والعراق يُشوى لحمه، ويُكسر عظمه، واحتلاله وضع مرارة في الفم لا تفارقنا أبداً؟!!

لقد بات العراق لكل مسلم كالدَّين . همٌّ بالليل، وذل بالنهار.

يا قوم..

كيف يعرف الحب من يريد الانتقام؟!!

وكيف يعرف الحب مَن مِن الكره لا ينام؟!!

بتصرف يسير : http://www.alarabnews.com/alshaab/2004-02-27/2004/shanab.htm

==============

#المنظمات الغربية هل هي طلائع استعمارية؟

(دارفور أنموذجاً)

د. محمد بن عبد الله السلومي

العمل الخيري الإسلامي ينطلق من مبادئ وقيم وأخلاقيات واضحة؛ فهو إغاثة وتربية وتعليم لا تحده حدود جغرافية أو سياسية؛ لأنه عقيدة ودين وعبادة لله بعيداً عن جوانب التسييس والاستغلال، وهو التزام بقوله – تعالى –: {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا} [الإنسان: 9].

بل إن قيم العطاء والمعونات الإسلامية تقدم للعدو الأسير وغالباً يكون غير مسلم دون منٍّ أو أذى: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} [الإنسان: 8]. وقد انكشفت حقيقة المعونات الغربية وشعارات حقوق الإنسان، وكان آخرها وضوحاً ما حدث على مستوى الحكومات والمنظمات تجاه القضية الفلسطينية حينما أُعلن بشكل مباشر أن أهداف المعونة مقايضات سياسية وتقديم تنازلات وإلا فسيكون التجويع والحصار ومنع المعونة والماعون.

لقد أدرك العالم ـ كل العالم ـ أن المعونة الغربية هي لتحقيق مزيد من انتهاك حقوق الإنسان حينما أوقف عن الشعب الفلسطيني المعونات الأمريكية والأوروبية مع الوعيد الشديد للآخرين بعدم تجاوز هذا الخط الأحمر، وأصبح الشعب الفلسطيني ضحية بريئة من ضحايا خيار الديمقراطية والحرية.

لقد كانت بعض أدوات الاستشراق قديماً تحقق أهداف المستعمر الأوروبي، ومن ذلك على سبيل المثال الشخصية البريطانية المسمى (لورانس العرب) الذي وصل إلى قلب العالم العربي وعمل من خلال بمعلوماته عن نقاط الضعف والقوة وبدراساته وآرائه على الإجهاز على الوحدة الإسلامية بين الأتراك والعرب. وقد جاب العالمَ طولاً وعرضاً مجموعاتٌ أخرى من علماء الآثار والتاريخ والرحالة المستكشفين، ومنهم (مالوان) عالم الآثار الذي حكم ليبيا فيما بعد ذلك، و(شكسبير) الذي قُتل في معركة السبلة، و (عبد الله فِلِبِّي) وغيرهم، وقد تحولت وسائل المستعمر ـ وفق المتغيرات الدولية ـ إلى وسائل جديدة مؤسسية تحقق الأهداف بقوة أكثر وفعالية أكبر وسرعة مضاعفة تحت غطاء مؤسسات العون الإنساني، أو مؤسسات نشر الديمقراطية، أو دعم حقوق المرأة أو التدريب أو التعليم، أو حقوق الإنسان، أو دعم حرية الأديان، أو حق المعونة لفئات دينية أو عرقية بحكم أنها تعاني من التهميش الفئوي أو الطائفي؛ والثورة البرتقالية عام 2005 في أوكرانيا نموذج يؤكد فعالية وآثار

وقـوة المؤسسـات الأمريكيـة التـي سـاهمت، أو قامـت بتأسـيس حـزب المعارضـة الأوكراني.

وبغض النظر عن الخطأ والصواب في قبول أو رفض المساعدات والتمويل الأجنبي وأهدافه مع الدول المحتاجة، أو الشراكات الأجنبية بين المنظمات الدولية مع الدول الإسلامية الغنية؛ فإن من الحقائق والمسلَّمات أنه يتم استخدام تلك الوسائل من أجل تحقيق أجندات ومشروعات قد تكون سلبية بحق المستفيدين، وقد تختلط فيها السلبيات بالإيجابيات ولكنها أجندات تحددها الجهات المانحة أو دول المبادرة، وكلها تعمل على الأقل لتحقيق هدف (جمع المعلومات) وذلك بعلم أو غير علم من المتلقي أو المستفيد، ومن أقواها أن تكون المنح في مجالات الأبحاث والدراسات أو المنح الطلابية، التي تقوم على جمع البيانات والمعلومات عن الأسرة أو عن المجتمعات أو حتى الدول، ويفسر أحد الباحثين الغربيين أسباب لجوء الدول الرأسمالية لسياسة التمويل الأجنبي وأنه متحقق في جمع المعلومات؛ حيث يقول: «إن الدول العظمى والمنظمات الدولية المانحة للمساعدات أصبحت تعتمد على المنظمات غير الربحية، نتيجة لما تملكه تلك المنظمات من معلومات وإحصائيات مهمة ودقيقة وحديثة عن الأوضاع في الدول التي تعمل فيها، والتي يصعب على الدول والمنظمات المانحة الحصول عليها بطرقها وقنواتها الرسمية والدبلوماسية المباشرة من الدول والمجتمعات المحتاجة والمتلقية للدعم والهبات والقروض للبرامج المختلفة نتيجة لعدم وجودها أصلاً، أو لصعوبة الحصول عليها لعدم تنظيمها بطريقة منظمة، أو لسريتها كما هو في كثير من دول العالم الثالث»(1). وفي هذا الصدد يقول «محمد حسنين هيكل»: أنا غير راضٍ أساساً عن التمويل الخارجي للأبحاث؛ فالمثل الإنجليزي يقول: (الرجل الذي يدفع للزمَّار هو الذي يقرر النغمة التي يعزفها الزمار)(2).

الحرص على جمع المعلومات عن المجتمعات الإسلامية والجمعيات الخيرية المانحة المستغنية عن الدعم المادي الأجنبي (المستقلة) يفسر لنا بعض الظواهر القديمة والجديدة من بعض الدول والحكومات الأجنبية، ومنها محاولات إشراك المؤسسات الإسلامية ببرامج التدريب التي تقيمها تلك الدول الأجنبية في بلدانها أو مواقع

المؤسسات الإسلامية، ومن ذلك على سبيل المثال حرص بعض السفارات البريطانية في دول الخليج للعمل على إيجاد برامج تدريبية مشتركة مع منسوبي مؤسسات العمل الخيري(3)، كما يفسر ظاهرة محاولة الدخول لعمق المؤسسات الإسلامية من خلال مبادرات وشراكات مثل المبادرة السويسرية (مونترو)(4) مع المؤسسات الخليجية؛ فالمعلومات عن اتجاهات المؤسسات الإسلامية ونقاط الضعف والقوة لها وللمجتمعات الإسلامية أساس مهم في صناعة القرارات، وهذا أقل تفسير لتلك المبادرات.

وفي إطار الشراكات والتدريب للمؤسسات الإسلامية فقد أقامت جامعة جلاسجو البريطانية دورة لمدة ثلاثة أشهر بعنوان (المنظمات والحكومات من خلال مؤسسات المجتمع المدني) في الربع الأول من هذا العام 2006 وشارك فيها متدربون من (32) دولة إسلامية، وفيها تحدث مدير خطة السياسات الخارجية البريطانية وقال: «نحن لا نعتقد بأن حكومات بعض الدول تمثل مصلحة شعوبها، ولا تحقق الدبلوماسية الرسمية كل مصالحنا في تلك الدول، وعليه سنعتمد على منظمات المجتمع المدني لتحقيق مصالحنا وأهدافنا، وقد رصدنا فقط لهذا الغرض 8 ملايين جنيه إسترليني؛ فوسائل الضغوط على الدول أخذت أشكالاً جديدة أهمها المنظمات غير الحكومية (غير الربحية)».

وقد تتجاوز المؤسسات الإسلامية دعاوى الإرهاب المالي أو الفكري أو كليهما بشكل أو بآخر، ولكن فخ العطف والحنان على المؤسسات الإسلامية خاصة المانحة والغنية المستغنية عن المعونات الدولية تحت مسميات الشراكة أو التدريب أو المبادرة أو التعاون كل ذلك يتطلب أخذ الحيطة والحذر من الدوافع والأهداف.

دارفور ولغة الأرقام:

وحسب الإحصائيات الرسمية من (مفوضية العون الإنساني السودانية للإغاثة) فقد بلغت المنظمات الدولية الأجنبية العاملة في السودان أعداداً مذهلة ومريبة خاصة في دارفور التي بلغ عددها 105 منظمات في ولايات دارفور الثلاث، وبعدد إجمالي للأجانب يزيد عن 575 موظفاً، وسيارات بلغت 705 سيارات مزودة جميعها بأجهزة اتصال قصيرة وبعيدة المدى متطورة، إضافة إلى أجهزة الاتصال المحمولة 873

جهازاً محمولاً، وهذا غير أجهزة الاتصال الأخرى المتطورةV-SAT الخاصة بوكالات الأمم المتحدة والتي يتم بها تصوير معسكرات اللاجئين والمتمردين بدقة بالغة، وهذه الأخيرة غير مسموح بها للمنظمات التطوعية الأخرى، كما أن لجميع سيارات المنظمات حق الحصانة على غرار حق سيارات الدبلوماسيين، وهذا العدد والحجم من الحضور لا يتناسب مع حجم أفراد مخيمات اللاجئين والمشردين في ولايات دارفور التي لا يتجاوز عدد أفرادها 400. 000 ألف نسمة، كما تتحرك المنظمات الدولية في جنوب السودان حتى بعد المصالحة الوطنية مع حكومة السودان. وإضافة إلى هذا كله فقد بدأت تحركات جديدة ومريبة في شرق السودان ليكون الشرق السوداني هو الأزمة التالية أو المصاحبة لأزمة دارفور (مما يؤكد استهداف البوابة الرئيسية لأفريقيا المسلمة) والحجة التي تسوِّق لها تلك المنظمات ومن ورائها دولها لهذا الوجود الكبير إعلامياً وسياسياً هي تهميش الجنوب والغرب ثم الشرق، وسوف يتلو ذلك دعاوى التهميش للشمال، ذلك الشعار الذي يسوِّغ التدخل الأجنبي السافر تحت مسمى (حق المعونات الإنسانية) و (حقوق الإنسان).

وعن نوعية وهوية تلك المنظمات فقد بلغت المنظمات الدولية الأمريكية العاملة في السودان 35 منظمة شكلت نسبة مئوية من حجم المؤسسات الدولية الأخرى تقدر بـ 19% من المؤسسات الدولية، كما بلغت المنظمات البريطانية 34 منظمة وتشكل 18% من مجموع المنظمات الدولية الموجودة في السودان، كما أن عدد المنظمات الهولندية 11 منظمة شكلت 6% من المنظمات الدولية، ويلي ذلك بالتساوي: المنظمات الألمانية والكندية والفرنسية 9 منظمات من كل دولة، وتشكل كل دولة 5%، ويلي ذلك المنظمات التالية بالتساوي سبع منظمات لكلٍ من إيطاليا وسويسرا والسويد، ليأتي بعد ذلك حسب حجم الوجود أربع منظمات نرويجية تشكل 2% من مجموع المنظمات الدولية، ثم الدانمركية والأيرلندية والنمساوية وهكذا؛ حيث بلغ مجموع المنظمات الأجنبية الغربية 144 منظمة بينما لم يتجاوز وجود المنظمات الإسلامية غير السودانية نسبة 12. 5% وهي المعنية بالدرجة الأولى بقضية دارفور الإسلامية، كما يشكل الوجود الأجنبي للعاملين الأجانب في تلك المنظمات الدولية حجماً كبيراً حسب الترتيب التالي:

الوجود البريطاني 496 موظفاً، ثم الأمريكي 391، ويليه الفرنسي 302، ثم الألماني 176، ويليه الهولندي 165، ليصل الإجمالي 1530 فرداً. وهذا غير وكالات الأمم المتحدة المتخصصة في السودان؛ فقد بلغ الوجود الأمريكي في تلك الوكالات 220 موظفاً أمريكياً ليشكل هذا الوجود 32. 5% من إجمالي الوجود الأجنبي، ويليه الوجود السويسري 202 موظف بنسبة تشكل 29. 6% من إجمالي الوجود الأجنبي، ثم البريطاني 118 موظفاً بنسبة تشكل 17. 3% من إجمالي الوجود الأجنبي، ثم الفرنسي 76 موظفاً بنسبة تشكل 11. 1% من إجمالي الوجود الأجنبي، ثم الألماني 65 موظفاً بنسبة تشكل 9. 5% من إجمالي الوجود الأجنبي، ليكون الإجمالي الأجنبي للعاملين فقط في وكالات الأمم المتحدة المتخصصة بالسودان 681 شخصاً(5).

لعل هذا الوجود الكبير عامل مساعد يكشف حقيقة بعض جوانب أهداف العطاء الخيري الغربي وبعض أهداف المؤسسات الغربية مما يؤكده الواقع المشهود، وتؤكده كذلك بعض المصادر من كتب الكتَّاب الغربيين أنفسهم مثل كتاب LORDS of POVERTY لغراهام هانكوك، وكتاب THE ROAD TO HELL وهي كتب جديرة بترجمتها إلى جميع اللغات العالمية لكشف الأخطاء والتجاوزات، ولتصحيح مسارات مؤسسات العون الإنساني العالمية، وما أجدر المؤسسات الخيرية ومراكز الأبحاث الاهتمام والعمل على ترجمة ونشر تلك الكتب وأمثالها إثراء لثقافة العمل الخيري، وخدمة للإنسانية، وتوضيحاً وتصحيحاً لمسيرة المؤسسات الخيرية العالمية المانحة والممنوحة، وكذلك للحكومات المعنية.

دار فور ورحمة الجحيم:

وقفات تكشف الكثير عن رحمة المؤسسات الإغاثية الدولية لدارفور:

الأولى: دارفور تاريخياً البلد المسلم 100% الذي سلم من الحكم المباشر للمستعمر الأجنبي، وكان سلاطين الولايات الإسلامية يكسون الكعبة المشرفة كغيرها من أقاليم العالم الإسلامي، ولا يعرف الإنجيل أو الكنائس إلا بعد (أزمة دارفور) 2003م.

الثانية: دارفور بولاياتها الثلاث تسبح على مخزون ضخم من المياه الجوفية، كما أنها تشكل حوالي 28% من الثروة الحيوانية للسودان حيث ملايين الإبل والأبقار

والأغنام، إضافة إلى الثروة الزراعية الكبيرة؛ فهي ليست إقليماً فقيراً، لكن يبدو أن مساحة السودان فيها زيادة عن اللازم، ولأهميتها وكونها بوابة أفريقيا المسلمة لا سيما مع محاولات تطبيق الشريعة الإسلامية، وقد سلمت قديماً من مثل تطبيقات (سايكس بيكو).

الثالثة: دارفور غنية بمخزون كبير من النفط والحديد واليورانيوم، وقد أعطي حق امتياز استخراج النفط للشركات الصينية بدلاً من الشركات الأمريكية المكتشفة والمنافسة ليدفع السودان ثمن حريته واختياره، وليكون هذا من الأسباب الرئيسية لمشكلات السودان المتتابعة.

الرابعة: قضية النزاع بين عشائر المزارعين غير العرب والقبائل الرحَّل العرب قديمة، وكانت تتم التسويات لأي نزاع من قِبَل شيوخ تلك العشائر والقبائل، واليوم أصبحت مشكلة عنصرية وعرقية بل وسياسية. الأزمة تتفاقم بحكم التدخل الأجنبي؛ فما إن يتحرك بعض المهاجرين أو النازحين محاولين الرجوع إلى بلدانهم حتى يكون التصعيد المفاجئ والقتل والسلب، وتُضَخَّم تلك الأحداث والأرقام إعلامياً مما يدل على تسييس القضية وتدويلها، ونقلها من نزاع قبلي عشائري على الماء والكلأ إلى قضية سياسية وغطاء للتدخل الأجنبي، والبداية مؤسسات العمليات الإغاثية ودموعها.

الخامسة: كثير من تلك المنظمات تمارس أدواراً مكشوفة؛ فقد تم ضبط الحكومة السودانية لبعض جوانب الفساد الأخلاقي ونشر المخدرات والإيدز، وتصوير أفلام دعارة مدفوعة الأجر لنشر ذلك للرأي العام العالمي ليعكس حسب الخطط ارتفاع معدلات الاغتصاب، وقد ثبت الافتعال قضائياً، كما ثبت على جنود الاتحاد الأفريقي اغتصاب القاصرات.

السادسة: تمارس بعض المنظمات الإغاثية التصريحات والضغوط السياسية والانحياز لقبائل المزارعين الزنوج ضد قبائل الرعاة العرب، وتصعيد الخلافات بين الأطراف المتنازعة، وكمثال فقط ما قامت به حكومة السودان من طرد لاثنين من مدراء (مؤسسة أوكسفام البريطانية) بسبب تدخلاتهم وتصريحاتهم السياسية.

السابعة: القضية لا تخرج عن إطار الصراع الدولي بين بعض الدول الكبرى، وهذا ما انكشف من خلال النزاع الأمريكي الفرنسي غير المعلن في تشاد وما يجاورها في دارفور وغيرها. وأحداث تشاد الأخيرة تكشف عن هذا الإطار، كما تكشف أن التدويل لبعض مناطق الصراع هدف جديد تعمل من أجله المؤسسات الإغاثية والوكالات الغربية خلافاً لأهدافها المعلنة.

الثامنة: معظم المخيمات تتكون من أعواد من الشجر والحطب تكسوها قطع متعددة ومتنوعة من قطع البلاستيك والأكياس وبعض قطع القماش، والحد الأدنى من الطعام والشراب هو الإغاثة المعمول بها، كما أن حجم المخيمات لا يتناسب مع حجم التدخل الدولي وكثرة المؤسسات العالمية الإغاثية من الدول الغنية.

إن مؤسسة إغاثية قوية واحدة تستطيع أن توجد مخيماً صحيحاً جيداً، والواقع يعكس حرص المؤسسات ومن ورائها الدول على استمرار الأزمة وعدم حلها، بل وتصعيدها سواء بقيت المؤسسات أم غادرت.

فالتلاعب بالفقر والفقراء والمتاجرة بقضيتهم وأراضيهم وأعراضهم وأديانهم واضحة تحت شعارات نصرة مناطق التهميش، وحقوق الإنسان.

الحقيقة التاسعة: أن تمدد وقوة المؤسسات الإغاثية الغربية ناتج عن انحسار دور ووجود المؤسسات والحكومات الإسلامية التي هي الأحق بتلك الساحات الإسلامية، كما أنه ناتج عن تساهل الحكومة السودانية أو قبولها للضغوط الأجنبية.

فهل دعاوى الإرهاب على المؤسسات الإسلامية وانحسارها عن الساحات جزء من مخطط كبير يستهدف أولاً زيادة مواقع الاحتياجات والصراعات؛ وذلك بزرع الحروب والأزمات، والواقع يؤكد تمدد طلائع الاستعمار في أفغانستان والعراق وباكستان وكشمير وأندونيسيا وأفريقيا كلها، كما يؤكد النوع الآخر من الاستهداف. لقد كشف تقرير للبيت الأبيض أن إدارة الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش (الإدارة السياسية وليس المؤسسات) قدمت مساعدات مالية بلغت أكثر من ملياري دولار كمنح للجمعيات الخيرية الدينية خلال العام الماضي فقط 2005م، وهذا الرقم لا يشمل كل المنح التي قدمتها الإدارة الأمريكية حسب الغارديان البريطانية(6).

وختاماً: إن المسؤولية كبيرة على مؤسسات وحكومات العالم العربي والإسلامي، وعلى الحكومات أن تدعم معنوياً وإدارياً مؤسسات الإغاثة الإسلامية بكل أنواع الدعم وتبادر دون تردد بالدعم المالي لئلا تكون العقوبة ويكون دفع الثمن. {وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} [محمد: 38] وما أصبح بالأمس واليوم مناطق جذب بشري فقد كان مواقع ومناطق طرد بشري، ويمكن أن يكون العكس وتدور الدوائر {وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} [آل عمران: 140] {وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ} [آل عمران: 26] {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: 165].

(*) باحث أكاديمي سعودي، له عناية واهتمام ودراسات علمية عن العمل الخيري الإسلامي، والمشرف العام على مركز القطاع الثالث للاستشارات والدراسات الاجتماعية. صدر له البحث الوثائقي (القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب) وكذلك كتاب (ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب) ضمن سلسلة كتاب البيان، وفي الطريق له أبحاث أخرى منها (تنمية مؤسسات القطاع الخيري) و (القطاع الخيري وتحديات العولمة).

(1) انظر: إدارة المنظمات غير الربحية/الأسس النظرية وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية، د. إبراهيم بن علي الملحم.

(2) عن جمع المعلومات من قبل المنظمات الغربية انظر: 765http://www.islammemo.cc/Taqrer/onenews.asp?IDNews=

(3) 3742http://www.islamdaily.org/AR/ Contents.aspx?AID=.

(4) 3737http://www.islamdaily.org/AR/Contents.aspx?AID= 2005/11/20.

(5) جميع هذه الإحصائيات تم الحصول عليها من (مفوضية العون الإنساني السودانية) بتاريخ 2006/4/2م

(6) الغارديان البريطانية في 2006/3/11.

المصدر: http://www.albayan-magazine.com

=============-

#المرأة السعودية . . واللجنة الأولمبية!!

نورة السعد

هل نحن في ورطة بسبب اللجنة الأولمبية؟

سؤال كان في بدء مقالة أحدهم في الاقتصادية في عددها رقم 4547 في يوم الجمعة 24/ صفر الحالي. والمقالة مفجعة في مقياس التشريع الرباني فيما يخص المرأة المسلمة بشكل عام ولن أقول (السعودية) فقط فهو يسفه بالتشريع الرباني الذي يُحرم اختلاط النساء بالرجال ويدعي أن عدم مشاركة المرأة السعودية في الألعاب الأولمبية يجيء من (باب الخصوصية)!!

ولأن اللجنة الأولمبية طالبت الدول التي لا تشترك المرأة في الألعاب الأولمبية ومنها السعودية أن تسارع بإشراك المرأة أولمبياً وإلا فإن اللجنة ستمنع هذه الدول من المشاركات الدولية في مختلف ألعابها!!

وحتى لا نخسر دخول (جنة الألعاب الأولمبية) فلا بد أن نخضع تشريعات ربنا لما يتوافق مع مطالب اللجنة الأولمبية!! وذلك من خلال مطالبة صاحب المقال بأنه يجب علينا كي (نخرج من هذا المأزق)!! أن نشجع المرأة على ممارسة رياضات لا تستدعي الملابس الرياضية المكشوفة وذلك كرياضة السلاح (الشيش) وركوب الخيل وارتداء السروال الطويل في ألعاب مثل كرة السلة وكرة اليد وكرة الطاولة وغيرها.. ويقول: (لعلنا بهذا نخرج من هذه الورطة ونفوت من هذا المأزق)!!

ثم يستعرض كيف أن الرياضة النسائية وجه من وجوه التقدم والتحضر!! والمرأة من (حقها) أن (تعبر عن نفسها رياضياً) سواء محلياً أو عالمياً أو أولمبياً.. وأن تدخل المنافسات مع مثيلاتها في مختلف الرياضات وأن تحصل على الكؤوس والميداليات وأن تصنف في قوائم الشرف الدولية والأولمبية!!

وذكر أن هناك (إنذاراً) وجه إلى كل الدول التي لا تمثل نسوياً في الدورات الأولمبية ومنها (السعودية)!!

.. هكذا نستهين بالتشريع وبما جاء في آية الحجاب التي تضع الشروط الربانية وليس الأولمبية لما يجب على النساء المسلمات أن يلتزمن به والتي يقول خالق الكون ورب العالمين ورب الجنة والنار والنور والرحمة وأيضاً العذاب والعقاب.. يقول

– جل وعلا –: "وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (31) سورة النور.

هذه آية الحجاب الشرعية التي تحدد معنى غض البصر معنوياً واجتماعياً وشرعياً ومعنى الحجاب والستر والابتعاد عن أي مواقع للاختلاط بالرجال الأجانب الذين ليسوا من المحارم الذين تحددهم الآية.

فهل من أجل حرماننا من الأولمبياد نكسر قواعدنا الشرعية ونحور شعارات (حرية المرأة في أن تعبر عن حقوقها رياضياً؟؟

هل الاختلاط بالرجال وممارسة أنواع الرياضة أمامهم بادعاء لبسهن سراويل طويلة!! هو التطبيق لهذه الآية الكريمة؟؟ أم أن الحجاب هنا سيناقض الحجاب الشرعي معنى وفضلاً عن الرجال الأجانب كما هو التشريع وليس كما هو الآن عندما أصبح الحجاب غطاءً للشعر فقط ولا مانع من مشاركة المرأة في العمل المختلط!! والآن المشاركة في النشاطات الرياضية حتى لا نُحرم من جنة وكؤوس الأولمبياد!!

هل بلغت ببعضهم الجرأة أن يطرح هذه القضايا التشريعية في الصحف والغاية هو الخروج من ورطة الأولمبياد؟؟

هل نستهين بشرع الله وسنة نبينا – صلى الله عليه وسلم – وما جاء فيهما من قضايا توضح حدود خروج النساء للشأن العام بل إن آية "وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ" (33) سورة الأحزاب هي توجيه رباني بتقييد هذا الخروج وهذه المشاركة لما تقتضيه الضرورة الاجتماعية الآن.. والمشاركة في الأولمبياد ليس ضرورة شرعية ولا اجتماعية وليس هناك أهداف سامية من هذه المشاركات وليست وسيلة تقدم فليست هي معامل ومختبرات وتقدم علمي وصحي ينفع الأمة.

وإذا كان هناك من يردد أن الصحابيات كن يخرجن في الحروب للتمريض مثلاً وهي التي تتردد دائماً كدليل على مشاركة النساء في الحياة العامة ومن يستوعب الوضع الحقيقي لتلك المشاركة أنها كانت تتوقف عند تهيئة هذه الأدوات ولم تلمس امرأة مسلمة رجلاً في تلك الحروب وكن من كبيرات السن والسبب الأخير كان لقلة أعداد الرجال الذين سيقومون بهذا الجانب.. هذا جزء مهم والأهم هو ما جاء من حوار النبي – صلى الله عليه وسلم – مع أم حميد التي قالت له: يا رسول الله إني أحب الصلاة معك. قال: « قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خيرٌ من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خيرٌ من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خيرٌ من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خيرٌ من صلاتك في مسجدي ».. ثم بنِى لها مسجداً في أقصى بيت من بيوتها فكانت تصلي فيه حتى ماتت. هذه الرواية تؤكد ضرورة تقييد المواقع التي تختلط فيها النساء بالرجال حتى ولو في (المسجد) بل إن قوله – صلى الله عليه وسلم –: « خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها » دلالة أخرى على (عدم اختلاط النساء بالرجال) حتى في أداء الصلاة.. ويؤكدها ما جاء في رواية حمزة بن أسيد الأنصاري عن أبيه – رضي الله عنهما – أنه سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال – صلى الله عليه وسلم –: «استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق». فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليعلق بالجدار من لصوقها.. حتى لا تختلط بالرجال وهي خارجة من المسجد!!

فهل المطالبة الآن بمشاركة المرأة السعودية في الأولمبياد هو (حق) أم هو خروج من الشرع وانتهاك لتشريع ومخالفات شرعية للآيات وللسنة النبوية؟!

وهل خروجنا عن دستورنا القرآن الكريم سيحقق لنا (التقدم والتحضر)؟! هل أوامر الله وسنة نبيه أهون عندكم من رأي رجال الأولمبياد؟!

ترى هل ورطة الأولمبياد هي الأهم الآن أم فتح أبواب جهنم على مصراعيها لمن يحرض ويمرر هذه المخالفات الشرعية؟!

.. إن مجتمعنا الإسلامي لن يحقق تقدمه ولا رفعته إلا باتباع أوامر الله – سبحانه وتعالى – واجتناب نواهيه.. فلا عزة بدون إسلامنا كما جاء في القرآن والسنة..ولا هوان إلا مع خروجنا منهما.

26 – 04 – 2006

المصدر: http://www.islamway.com

===============

#الأقليات الإسلامية . . واغتيال الهوية الثقافية

شذى شريف

يعاني المسلمون في مختلف أنحاء الأرض –حيثما وُجدت الحكومات المستعبدة المتطرفة في بلدان الغرب وآسيا وأمريكا– من اضطهاد وتفرقة عنصرية على المستوى الشعبي من المتطرفين وعلى المستوى الحكومي، هذا إلى جانب خطر أكبر يهدد هذه الجاليات على مستوى أنحاء العالم، وهو محو الهوية الإسلامية في ظل إعلام غربي يرسخ لمبادئ الانحلال وإعلام عربي وإسلامي ضعيف لا يصل إلى الطوائف المسلمة أينما كانت.

ويبلغ عدد المسلمين الذين يقطنون الدول غير العضو في منظمة المؤتمر الإسلامي نحو (450) مليون مسلم على مستوى قارات العالم الست، وهو ما يقدر بثلث عدد المسلمين، وعلى وجه التحديد يزيد عدد المسلمين في دول الغرب عن (25) مليون نسمة، يعيش منهم (16) مليون مسلم في أوربا . عدا ألبانيا والبوسنة حيث المسلمون أكثرية . و(8) ملايين مسلم في الأمريكيتين، وحوالي نصف مليون مسلم في استراليا.

محو الهوية!

تواجه الأقليات المسلمة السابق ذكرها محاولات . سواء بشكل مقصود أو عفوي . لمحو الهوية، أو ما يسميها البعض باغتيال الهوية، لما في هذا الأمر من نية مدبرة من قبل الغرب، وتشمل هذه التحديات المستويات الثقافية والاجتماعية والإعلامية والتربوية والتعليمية. ويكون الاغتيال الاجتماعي عن طريق بث العادات والتقاليد الغربية التي تتسم بقدر كبير من التسيّب، والذي يتنافى مع الدين الإسلامي ويتنافى

مع واقع الأسرة المسلمة وعلاقات أبنائها مع بعضهم، والعلاقات الاجتماعية داخل الأقلّيات، وعلاقاتها بالوسط الذي تعيش فيه.

بالإضافة إلى التفكك الأسري، الأمر الذي يؤدي إلى انحراف الأبناء دينياً وسلوكياً، وتمردهم على الأعراف الأسرية والاجتماعية الإسلامية، وقد يجد الأبناء في الصداقات مع أبناء غير المسلمين ملجأ للهروب من ضغوطات البيت.

أما الاغتيال الثقافي فيكون عن طريق اقتلاع التاريخ الإسلامي من الواقع وتحويله إلى مجرد ذكرى مشوّهة في عقولهم، وتستند حكومات الغرب في القيام بهذا الدور إلى إعلام قوي يمكنها من بثّ السم في عقول وحياة الجاليات المسلمة التي ترى من المجتمع ما يكفي لمسخ هويتها الثقافية وتحويلها إلى مجرد ثقافة ممسوخة أخذت من الغرب كل شيء وتحوّلت إلى صورة مماثلة.

وتعتمد ثقافة المسلم التربوية والتعليمية على المصادر الثقافية الإسلامية، وفي مقدمتها القرآن الكريم والسنة الشريفة، وبالطبع مفتاح هذه المصادر هو اللغة العربية، وهنا تكمن مشكلة خطيرة؛ إذ إن الأجيال القادمة بين هذه الأقليات تفتقد إلى عنصر هام جداً، وهو اللغة التي يمكنهم بها أن يتعرفوا على تعاليم الإسلام وأخلاقه عن طريق دراسة قرآنه وسنته، وهي اللغة العربية؛ إذ غالباً ما يتعلمون باللغة الأم للبلد الذي يعيشون فيه، مما يترتب على هذا جهلاً حقيقياً في فهم الإسلام، وتمتد الخطورة هنا إلى العقيدة نفسها وليس الهوية فقط.

حملة منظمة!

وتعمل سلطات البلدان الغربية بأساليب مدروسة ومخططة لمحو الثقافة؛ إذ تعمل دول أوروبا الشرقية على سبيل المثال على القضاء على الأسماء العربية ومنع استخدامها بقوة القانون; لأنها تعتقد أن الشخص الذي يحمل اسم أحمد أو علي يعني بقاء ارتباطه بالإسلام أي المحافظة على الحد الأدنى من الانتماء الثقافي للإسلام، فتعمد تلك السلطات إلى تغيير هذه الأسماء وتعريض من يخالف للعقوبة. في حين تفرض بعض الدول على الأقليات المسلمة وضع مقطع زيادة على أسمائهم العربية لتشويهها؛ فعلى سبيل المثال أحمد يتحول إلى أحمدوف وعلي إلى علييف.

بالإضافة إلى أن بعض تلك الدول تلجأ إلى طمس أي مظهر من مظاهر الإسلام؛ كحملتها المنظمة على الحجاب مثلاً، والتي شنتها فرنسا وغيرها من الدول الأوروبية تحت مزاعم الإرهاب، إلى جانب هولندا التي شرعت قانوناً لحظر النقاب ودفع المسلمين في اتجاه الأعراف، والتقاليد الاجتماعية السائدة في البلدان الغربية في سلوكيات غير شرعية لدى الأقلّيات المسلمة فيها محاكاة لتلك الأعراف، وفي مقدمتها موضوع الاختلاط والانفتاح بين الرجال والنساء في كل الأماكن والأزمان.

العالم الغربي بقيادة الولايات المتحدة ينتهج خطوات تسعى إلى إحداث الفرقة تمهيداً للتدخل العسكري..

ويدخل في السياق نفسه التبرج والسفور وتسويغ الكثير من المحرّمات الأخرى، كشرب وأكل أطعمة ولحوم غير حلال، وكذلك الجوانب الحقوقية المتمثلة في قضايا الزواج (الشرعي) والإرث وغيرها مما يرتبط بالقوانين المدنية وقوانين الأحوال الشخصية. فكثير من البلدان الغربية تفرض على المسلمين القوانين المدنية الوضعية التي يتعارض الكثير منها مع الشرع الإسلامي، ودون شك فإن الانتماء بالجنسية للبلد الغربي سيترتب عليه الالتزام بقوانين هذا البلد بمختلف ألوانها ومضامينها، الأمر الذي يوجد هذه الإشكالية، أي إشكالية الانتماء بالجنسية للبلد الغربي والانتماء بالعقيدة للإسلام وما يترتب على ذلك من خصوصيات.

مهمة إسلامية:

وفي ظل ما يواجهه المسلمون من تحديات فيما وراء البحار كان لزاماً على الدول الإسلامية أن تقوم بدور فعّال في بثّ الثقافة الإسلامية إلى هذه الأقلّيات عبر وسائل الإعلام، وعلى شكل كتب تعليمية أو عامة ومجلات وأشرطة سمعية وبصرية وغيرها، ولاسيما تلك المعدّة خصيصاً لمخاطبة الأقلّيات المسلمة في الغرب، إضافة إلى إنشاء مشاريع في دول الغرب نفسها تقوم بمهمة الإنتاج، أو الترجمة كحد أدنى، وصولاً إلى إنشاء إذاعات ومحطات تلفازية ووكالات أنباء خاصة لبث الأخبار الإسلامية بديلاً عن وكالات الأنباء ومصادر الأخبار ووسائل الإعلام التي تشرف عليها وتمولها الدول الغربية.

وكذلك الاهتمام بإعداد الكوادر الإعلامية من أبناء الأقلّيات لسد أي فراغ محتمل في هذا المجال، على أن تتم هذه النشاطات . بالنظر لخطورة رسالتها وتأثيرها –تحت إشراف أساتذة وعلماء كمرجعيات في الجانب الشرعي.

ومن المثير للدهشة أن الغرب يستهدف الإساءة إلى الإسلام بأكثر من وسيلة، ويطمح إلى محو الهوية العربية الإسلامية حتى يستبدل بها النموذج الغربي. يقول أحد الكتاب العرب: إن العالم الغربي بقيادة الولايات المتحدة ينتهج خطوات تسعى إلى إحداث الفرقة تمهيداً للتدخل العسكري؛ إذ تحوّلت "الحرب الثقافية إلى حرب عسكرية أفضت إلى احتلال أفغانستان والعراق والطموح إلى غزو دول أخرى كسوريا".

ومن هنا يتضح أن المسلمين يواجهون حملة منظمة يقودها الغرب وغير المسلمين تتطلب الحذر والانتباه، مما يضع على عاتقهم مواجهة هذه الحملة التي جاءت إلى ديارهم إلى جانب وضع آليات للحفاظ على هوية الأقليات.

1427/4/2

2006/04/30

المصدر : http://www.islamtoday.net

=============

#شباب الروشنة .. إلي أين يمضي ؟!

ماجدة أبو المجد

مظاهر عمياء للتقليد الأجوف لكل ما هو أجنبي ووافد، سواء من المغرب أو المشرق، وبين البنين وبنات، وفي جميع أجزاء الجسد، بدءًا بطريقة المشي، وانتهاءً باللبس والكلام، وذلك تحت أسماء ما أنزل الله تعالي بها من سلطان، في سلوك يحذر العلماء والخبراء من أنه جزء من غزو منظم لأفكارنا وعقولنا وأخلاقنا والتزامنا الديني.

والأمر هكذا، كانت البداية مع جولة بين الشباب والفتيات، هذه حصيلتها:

جذب انتباهي ولد – لم أعرف أنه ولد إلا عندما اقتربت منه– كان يرتدي ثوبًا ذا ألوان صاخبة ولم يكتف بذلك، بل كان يطيل شعره ويربطه برباط الشعر كما تفعل

البنات، ويصبغ خصلات الشعر كل خصلة بألوان عدة وعندما سألته: لماذا هذا؟ رد قائلا: إن رسول الله – عليه الصلاة والسلام – كان يطيل شعره، أما الخصلات فأنا أحب التفرد والتميز عن الآخرين!

وإذا كان بعض الأولاد يصبغون شعرهم للتميز فإن أغلب البنات يتجهن لوضع نقوش علي أيديهن وأكتافهن في صورة لوحات فنية تسمي التاتو ولا يقتصر نقشه علي الأجزاء الظاهرة من الجسد فقط بل يتعداها إلي أجزاء الجسم الداخلية كالبطن والفخذين وغيرهما.. وتختلف تلك النقوش في تجسيد إما الحيوانات المفترسة وإما الأليفة وإما الزهور بألوانها وأشكالها المختلفة وإما بأشكال ليس لها معني، وتكثر هذه النقوش خاصة في ليالي الزفاف.

صرعة البنات

في السياق نفسه فإن موضوع النقش قد انتشر بين الفتيات بصورة كبيرة فأصبحت كل مراكز تجميل النساء تضع أسعارًا خاصة لكل نقش، بداية من 80 جنيها للنقش البسيط ويرتفع السعر بزحمة النقش والمنطقة السكنية.

هذا ما قالته الحاجة نادية – مديرة أحد مراكز تجميل النساء بمدينة نصر.

وكانت موضة هذا العام لملابس البنات: «البدي» والبنطلون القصير أو ما يسمونه «تركوا» والجيب المرقعة والمشرشبة، أما موضة الأولاد فكانت البنطلون النازل.

وفي أحد الميادين العامة وجدت شابا في الثامنة عشرة من عمره يصبغ شعره بألوان غريبة، منها الأزرق الفاتح والقاتم، وعندما تكلمنا معه قال: أحب التقليد وأحب أن أكون «موديل» لأن البنات لا تعجب إلا بالولد الكول الذي يرتدي الغريب ويمسك بيده سلسلة فإنه يلفت أنظارهن وتتجاذب عليه البنات.

أما السيد عبد العزيز – مصفف بمحل كوافير رجالي– فقال: يأتي إلينا يوميا شباب يريدون قص شعرهم بطرق غريبة، بالإضافة إلي ترقيق حواجبهم وإزالة شعر الوجه بالفتلة حتي يصبح وجههم أكثر نضارة وأكثر جمالا!

وتنتقد أم محمود طريقة تفكير أولادها وتشبههم بالبنات في تصرفاتهم إذ يطلب منها الولد أن تصنع له ما يزيل به الشعر الزائد بحسده، كما أنه يرتدي ملابس غاية في الأنوثة ولكنها لا تدري كيف تتصرف.

وتقول عبير عبد النبي: ما المانع أن أرتدي ما يعجبني حتى لو اعترض أهلي عليها فلهم حياتهم الخاصة وأنا لي حياتي الخاصة؟! ولماذا يصرون علي أنني دائما مخطئة؟! وماذا في تلك الملابس التي أرتديها؟! ولمن تعرضها محلات الملابس إن لم نرتدها نحن الشباب والفتيات؟ وكانت عبير طبعا ترتدي بنطلونا قصيرا وبدي يجسد مفاتن جسدها!

ومن الغريب أيضا ما وجدنا عليه علياء، التي ترتدي بنطلونًا يجسد العورة بشكل مخجل وفوقه بلوزة قصيرة جدا، وتقول: لقد تعودت علي ذلك الملبس منذ الصغر ولم يقل لي أحد: إنه حرام!!

أما فاتن – وهي فاتن– فبرغم جمالها وبياض بشرتها ولون عينيها الخضراوين، إلا أنها تخلت عن حواجبها وزرعت حواجب أخري بقلم التحديد، وقالت: إن هذه هي الموضة فأستطيع بها ترقيق الحاجب أو تكثيفه كما تفعل نجمات هوليوود الغرب فلسنا أقل منهن جمالا.

ولقد شاهدت ولدًا يرتدي بنطلون «جينس» قد يُخلع منه فأغمضت عينيّ حتي لا آراه وهو يخلع.. لكن عندما سألت اكتشفت أن هذه هي الموضة فاتهمت نفسي بالتخلف.

ولا تري ديانا نجم –بكلية الآداب قسم لغات شرقية– عيبًا في أن يهتم الولد والبنت بمظهريهما، لكن العيب أن نجد نسبة عالية جدا من السفور يدفع إليها الفيديو كليب، وأن تكون تأشيرة دخول الوسط الفني والغنائي ارتداء المايوه وتلوين الأظافر والتشبه بنجوم الغرب.

شباب «روش»

وبلهجة غريب وطريقة حادة في الكلام قال أحمد عبد الفتاح –بكلية التجارة– علي ما تقوله أماني قائلا: ما المانع أن يكون الشباب لذيذًا «روش» يواكب عصره وأن يكون «ستايل»؟! فالشباب بطبعه متمرد لا يريد أن يحكمه أحد وإن لم يكن الشاب كذلك فأعتقد أنه يعاني مرضا نفسيا. واستنكر أن يعيب عليه الجيل السابق.. موضحا أن نفس الجيل كان متمردا بالنسبة لسابقه، وهذه سنة الكون» كل جيل قديم لا يعجبه الجيل الجديد وهكذا تسير الدنيا ونحن كذلك إذا أصبحنا آباء فسوف نعترض علي ما

يفعله أبناؤنا. ويضيف: إن لغة العصر هي التي أتاحت لنا استخدام تلك الألفاظ من «روشنة وهنج ونفض وكبر واستارت وروش طحن» وغيرها من الألفاظ المستخدمة. ويتفق معه محمد يحيي -بكلية الحقوق- مع الرأي السابق» فيؤكد ضرورة مسايرة موضة العصر حتي لا يكون الشباب متخلفا خاصة أنه وجد كل شيء مفتوحا ومتاحا.

وعندما وقفت أتحدث مع أحمد علي بادرني بالقول: انظري خلفك. فعندما نظرت خلفي وجدتني أشبه ما أكون في كباريه أو مرقص بملابس.. تلك البنت التي تكشف من جسدها ما لا يصح كشفه برغم دخولها إلي الحرم الجامعي، فقال: ماذا يفعل الشباب تجاه هذه المناظر القبيحة؟! فالشاب المحترم في الجامعة تُفرض عليه مناظر غير محترمة وإن لم يحافظ علي نفسه فسوف ينجرف مع التيار وسوف يرتدي ملابس أقبح مما تتخيلين ليغري بجسمه وعضلاته الجنس الآخر.

ويطالب كل من: هيام محمد ونورا سعيد ومحمد علي بضرورة تدريس مادة للقيم والأخلاق والمبادئ بالجامعات المختلفة، وبكل الكليات، بشرط أن تكون مادة امتحان تعوضهم عن التفكير السلبي الذي استحدثته ثقافة الروشنة وتقربهم إلي دينهم أكثر وإلي أعرافهم وتقاليدهم الجيدة.

ويري أحمد إبراهيم ومريم عبد المجيد أن منحني انحراف الشباب في طريقه إلي الانخفاض» بدليل وجود جماعات داخل الكليات المصرية تشترك في برامج صناع الحياة، بالإضافة إلي موجة الالتزام بين الشباب والفتيات بصورة طيبة رغم كل المثيرات حولهم. لكن مريم عابت علي الولد الذي يرتدي «بادي» وتحته تي شيرت ويتشبه بالبنات، برغم أن هذا الملبس لا يجوز للبنات خارج المنزل.

المرض وليس العرض

وفي تعليق للدكتور حاتم آدم -استشاري الصحة النفسية -يؤكد أن كل ما نذكره ويعانيه المراهقون هو عرض وليس مرضًا، فلماذا دائما نبتر الأشياء ولا نحاول البحث عن أساس المشكلة التي تكمن في الغزو الثقافي والفكري لعقول المراهقين واستغلاله في تحطيم الموروث الثقافي والقيمي والديني لدي الشباب مستقبل الغد؟! ويري أن المراهق في هذه الأزمة ليس طرفًا، بل مجني عليه من قِبل أجهزة الإعلام

المختلفة وافتقاره للقدوة داخل الأسرة والجامع والكنيسة والجامعة والمدرسة والنادي؟! فالدراما تعرض أعمالا كاملة لتعلمهم وسائل الانحراف المختلفة، وتعرض حل المشكلات في نهاية العمل علي استحياء» فتعلمه كيف يسرق، وكيف يغتصب، وكيف ينصب، وكيف يرتشي، وكيف يصبح ثريا في وقت قليل جدا، وكيف يتعاطي المخدرات؟ وكيف يتزوج عرفيا.. وكيف.. وكيف..

ويري د. حاتم أننا كمجتمع مسلم لم نكن نعاني مرحلة المراهقة وأزماتها» لأن الشباب المسلم يقضي وقته فيما يفيده ويفيد وطنه، لكن مع الغزو الثقافي فُرضت علينا عادات بالية، حاول مجموعة من الشباب تجريبها، فأصبحت موضة بينهم، خاصة في المدن الكبري كالإسكندرية والعاصمة. لكن مع ذلك لا يري أن كل شباب مصر يعاني ويعاني أهله معه مرحلة المراهقة، بدليل وجود نماذج في القري تفرغ كل طاقاتها في العمل وتتجه للزواج المبكر فلا تؤرقها مشكلات المراهقة التي يتحدثون عنها، ومن هذه النماذج نموذج قرية شكشوك بالفيوم» حيث الشباب يستيقظون قبل صلاة الفجر ويذهبون للبحر للصيد وتكسب الرزق، ثم يعودون مرة ثانية بعد صلاة الفجر، وطبعا يخرج للصيد كل أفراد الأسرة. وفي مدينة دمياط التي يعمل كل شبابها في أعمال النجارة لدرجة أن ورش النجارة موجودة داخل البيوت لذلك لا تجده يعاني المراهقة، وإن عاناها فلا يفجر كما يفجر ابن المدينة.

مراهق يقاوم المحتل

ويشير الدكتور حاتم آدم إلي أن نموذج المراهق الفلسطيني والعراقي وغيرهما في الأراضي المحتلة لا يعرفان لغة الروشنة -كما يقولون- لأنه لا يعرف إلا لغة واحدة، هي لغة الصمود والكفاح ومقاومة المعتدي والمحتل ولا يعرف نقش التاتو لأنه يعرف فقط الحزام الناسف والعمليات الاستشهادية، فالمجتمع إذن لديه القدرة الجبارة علي توجيه تفكير المراهق لأشياء نافعة أو العكس. لكن لا ينفي ذلك ضرورة تلبية احتياجات المراهق الضرورية والتعرف إلي سمات المرحلة من الناحية النفسية والانفعالية والجسدية والثقافية، حتي يمكن التعامل معه بصورة صحيحة. ومن تلك الحاجات حاجته إلي إثبات الذات» لذلك قد نجده يرتدي ملابس لافتة ليثبت ذاته من خلالها، بالإضافة إلي حاجته إلي إشباع الميول والرغبات الجنسية» حيث التشوق

للجنس الآخر لذلك نجده يتزوج عرفيا» لأنه لم يجد الطريق الصحيح بوجود زواج شرعي سهل.. لذا فعلي المجتمع تسهيل الزواج الشرعي، كما أن حاجته تكون ملحة إلي اعتناق فكر ديني وأخلاقي حتي في البلاد التي تنكر وجود الله، فإنهم يتحدثون عن الطبيعة، فضلا عن حاجته للاستقلال المادي» لذا لابد من تعلم مهنة والبحث عن مصدر للتكسب. ويري ضرورة النظر إلي الشطط والشطح بعين الشفقة والرحمة وألا ننظر إليهم بعين الغل والانتقام» حتي لا نتسبب في إحداث أزمة حقيقية داخل نفسية المراهق.. وهكذا تمر مرحلة المراهقة بصورة سوية.

2005/04/20

المصدر : http://www.al-eman.com

=============

#الجزائر : اتجاه لجعل السبت والأحد إجازة إسبوعية بدلاً من الخميس والجمعة

الحملة التغريبية تواصل نجاحاتها!

والحال أنه لو بدا الخبر مثيراً للكثير من الجدال، إلا أن الغرابة فيه تكمن في أن مطلب تغيير يومي إجازة الأسبوع كان مطلباً ضيق الأفق حملته حفنة من الأحزاب ذات البعد التغريبي الأكثر تطرفاً من غيرها.

فقد شنت حركة العروش الأمازيغية الرافضة للمصالحة الوطنية والرافضة للإسلام السياسي في البلاد، شنت حملة إعلامية وسياسية في الداخل والخارج لتسليط الضوء على أهم مطالبها المتمثلة في تغيير يومي إجازة الأسبوع وجعلها على الطريقة المسيحية تماماً، وهو المطلب الذي اعتبرته العديد من الأحزاب السياسية الأخرى مطلباً ثانوياً، لكن الواقع أثبت أن مطلب العروش لم يكن ثانوياً، وأن الوعود التي أطلقتها الحكومة الجزائرية في إطار الإصلاحات السياسية والاجتماعية بدأت فعلاً عبر جملة من القرارات أولها كان إلغاء مادة التربية الإسلامية من مرحلة البكالوريا في الجزائر، وصولاً إلى قرار سوف يتم تطبيقه مع بداية السنة الميلادية القادمة 2006 والذي قد يثير حالة من الصدمة والترويع في الأوساط الشعبية الجزائرية التي رفضت مثل هذا القرار قبل عشرة أعوام مضت..

اللوبي الفرنكفوني المهيمن

نظرياً، فإن القرار قابل للتطبيق وفق المتغيرات التي حدثت في الجزائر، ربما لأن المصادقة على قانون المصالحة الوطنية والوئام المدني، جعلت الإعلام الفرنكفوني يسوّق في الفترة الماضية فكرة "التضحيات المجانية" التي دفعها الشعب الجزائري في مواجهته للتطرف الذي أوقع أكثر من 150 ألف ضحية، وهي الفكرة التي وجدت العديد من المنساقين إليها في الوسط السياسي؛ ربما لأن أكثر من 41% من الجزائريين مسّهم العنف السياسي الذي استمر منذ عام 1992، وهي النسبة التي راهنت عليها الجمعيات السياسية ذات البعد الاجتماعي والتطلع الفرنكفوني بالخصوص والتي سبق لها أن ساومت وتاجرت بطرق كثيرة على ما اصطلح على تسميته رسميا ب"ضحايا الإرهاب".

ولعل العديد من الجمعيات التي تحمل نفس التسمية لم تخف الدعم المالي واللوجستي التي حصلت عليه من الدول الأوروبية، ومن فرنسا بالخصوص لدعم "ضحايا الإرهاب"، بيد أن الدعم غير المجاني ارتبط في الفترة الأخيرة بالمقابل له، أي بما يمكن للغرب أن يجنيه اليوم من مكاسب توقف الزحف العروبي والإسلامي في الجزائر .فحين انفجرت في منتصف التسعينات فضيحة الدم الملوث التي تاجر بها مدراء سابقون في الهلال الأحمر الجزائري، ببيعه الدم الجزائري إلى فرنسا مقابل دم فرنسي ملوث ومبالغ فرنسية كانت تذهب نسبة منها إلى دعم مشاريع أخرى لا علاقة لها بالجمعيات الخيرية، بل بمدارس فرنكفونية اشتهرت بتشجيعها للثقافة المسيحية بكل أبعادها العقائدية والدينية، بيد أن القضية سرعان ما وجدت من يكتمها في ظروف كانت فيها العمليات المسلحة تأكل الأخضر واليابس في البلاد.. فالتسويق "للحرب الدينية على الإنسان" في الجزائر غذتها العديد من التيارات اليسارية المتطرفة، والعلمانية الفرنكفونية التي وجدت في العنف المسلح الجزائري سبباً في العنف الآخر عبر ربط الإسلام بالإرهاب، وهي الشعارات التي تربعت على صدر كبريات الصحف الفرنكفونية الجزائرية طوال عشرية من الزمن في الجزائر، والحال أن التهليل لإعادة فتح المركز الثقافي الفرنسي المسيحي في الجزائر قبل فترة جاء في وقت وقفت فيه نفس الصحف ضد مشروع التعريب الذي طالبت من خلاله رئيس الدولة إلى النظر فيه، لأنه يناقض الجمهورية المتقدمة التي تسعى الجزائر إلى

تكوينها، وسيسمح بالزحف الإسلامي المتطرف إلى بلوغ أهداف كبيرة داخل المجتمع كما جاء في افتتاحية جريدة " لوسوار دالجيري" الصادرة بالفرنسية في الجزائر والمقربة من جبهة القوى الاشتراكية التي يتزعمها شرفيا حسين آيت أحمد.

حرب لغوية ودينية معلنة ومفتوحة!

تفجير قضية تورط الفاتيكان في عملية التنصير في الجزائر، كشفتها قبل سنتين جريدة "الشروق" الجزائرية، وقد عملت الصحف الفرنكفونية واليسارية نفسها مدافعاً عن الكنيسة الكاثوليكية وتبرئتها من الفضيحة التي دوت في الجزائر وقتها، بحيث تم العثور على أناجيل وعلى أشرطة تدعو إلى المسيحية تم تسريبها إلى ثانويات في منطقة القبائل وفي مناطق أخرى في الغرب الجزائري، بيد أن الواقع الآخر كان أبعد من ذلك بكثير حين ألقت مصالح الأمن الجزائرية القبض على منصرين كانوا يدعون إلى المسيحية مقابل مبالغ مالية تمنح لكل "وافد إلى الرب" على حد قولهم، مما جعل وزارة الشؤون الدينية تخرج عن صمتها لأول مرة وتصدر بياناً ترفض فيه كل محاولة تغريب وتمسيح للجزائريين، و "القوى التي تريد فرض خياراً تغريبياً على الشعب هي القوى الظلامية الخائنة التي باع آباؤها الوطن من قبل وتحاول أن تبيع الدين اليوم"، كما جاء في التصريح الرسمي الصادر عن وزارة الشؤون الدينية في الجزائر.. لكن تلك الحرب على العربية وعلى الإسلام وجدت من يدعمها إعلامياً في الغرب، عبر ربط مناهضتها بالمساس بالحريات الشخصية كما جاء في افتتاحية جريدة "لوفيجارو" الفرنسية قبل شهرين والتي اعتبرت أن الوقوف في وجه "التغريبيين" عملاً إرهابياً لا يمكن السكوت عنه! أحزاب جزائرية نفسها اعتبرت أن الوقوف في وجه الحريات الشخصية إرهاب فكري، وأيديولوجي، بيد أن الحريات الشخصية ارتبطت في الخطاب السياسي لهؤلاء بالحق في التدين بأي دين، بمعنى الحق في الارتداد عن الإسلام الذي مرة أخرى تربطه بالإرهاب، عبر عبارة قالها المغني القبائلي المغمور الذي تحول إلى سياسي مفاجئ المدعو "فرحات مهنى" قائلا "الإرهاب الذي قتل الجزائريين اسمه الإسلام"! فرحات مهنى هو ما يشبه اليوم الذراع الأيمن الراديكالي لحركة العروش الجزائرية التي يقودها ضمنياً "بن بريكة" كأبرز المتطرفين الرافضين للإسلام، ولكل ما له علاقة بالإسلام في الجزائر، وهو المطالب بفتح الكنائس في

منطقة القبائل التي تم إغلاقها بعد الاستقلال في الجزائر، كما طالب بدوره بجعل نهاية الأسبوع يومي السبت والأحد بدل الخميس والجمعة!

"السقوط إلى " القمة"! "

ما نشر في الفترة الأخيرة عن قرار جديد بتحويل يومي السبت والأحد نهاية الأسبوع الرسمية في الجزائر بدل الخميس والجمعة أسوة بدول الجوار (تونس والمغرب) لم يكن في الحقيقة إلا مشهداً آخر لوضع مزري يعيشه الجزائريون والذي يحاول من خلاله "التغريبيون" فرض حالة من الخضوع للأمر الواقع. ولعل لجوء الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة إلى إلقاء خطابه السياسي الموجه إلى الجزائريين باللغة الفرنسية فتح الباب واسعاً للمطالبة ضمنياً بإصلاحات جذرية تشمل العربية والإسلام والقانون المدني وبالخصوص قانون الأسرة الذي شكل في النهاية مربط الفرس لكل تلك الجدالات الأخيرة، في الوقت الذي يعيش فيه أكثر من 15 مليون جزائري تحت الخط الأحمر من الفقر الشديد قبالة دولة وصلت إيرادات بترولها السنة الماضية إلى 45 مليار دولار!

دراسة جريئة نشرها المعهد الوطني الاجتماعي الجزائري، جاء فيها أن ارتفاع نسبة الفقر في الجزائر ساعد على ارتفاع نسبة الجريمة، وساعد على ارتفاع نسبة العنف أيضاً، وساعد على جعل البلطجة في الجزائر ثقافة محورية بعينها سمحت ببروز العديد من القرارات والقوانين التي مرت مرور الكرام على الرغم من خطورتها الشديدة، بحيث أن الشارع الجزائري انشغل بالبحث عن خبزه اليومي على أن يلتفت إلى حروب تغريبية تمارسها التيارات الموالية لفكرة "التمسيح قدر المستطاع" والتي بدأت كمجرد شعار في السبعينات، رداً على شعار الإخوان المسلمين في الجزائر بعبارة: الإسلام قدر المستطاع، وكانت تلك الحركات المسيحية المتخفية خلف مسميات ديمقراطية أو يسارية أو علمانية تستهدف في المقام الأول المدارس ومراكز التأهيل ومراكز إعادة التربية لأجل نشر ثقافة "التسامح" التي تبلورت في شكل المسيح، وهي الثقافة التي عادت اليوم إلى السطح في ثياب الإصلاحات الشاملة التي تمارس لأجلها الولايات الأمريكية وفرنسا ضغوطات مشتركة لأجل الإسراع فيها في الجزائر وبشكل لا رجعة فيها كما ذكرت جريدة "لاتريبون" الصادرة بالفرنسية في

الجزائر. الحكومة الجزائرية التي بدت "غائبة" وغير مكترثة إزاء كل الحملات التغريبية المقصودة لم تتأخر في تواطئها أحيانا فيما يخص تلك الشاكلة من الإصلاحات التي تستهدف ثوابت الأمة، في الوقت الذي بقيت الإصلاحات الاجتماعية التي تمس المواطنين في حياتهم اليومية "محلك سر"، أمام التراجع الرهيب في القدرة الشرائية للمواطنين، وأمام تصاعد التلاعب التجاري والغش والرشوة والفساد الإداري والبيروقراطية. لا شيء حدث لإصلاح هذه الاختلالات الرهيبة في المجتمع والكل هرع إلى اتهام الإسلام بالإرهاب واتهام القوى الوطنية بدعم الإرهاب، واتهام العربية بتزكية التطرف واتهام صلاة الجمعة بمباركة التطرف!

تلك أكبر مظاهر الانهيار داخل الواقع الجزائري الراهن كما يراه أكثر من مراقب، بحيث إن المراهنة على الوطنيين لم يعد كافياً، في وقت صار فيه الشعب تحت وطأة التغريبيين الذين يتاجرون اليوم علانية بمستقبله باسم العولمة والحريات الشخصية والحق في الكفر لأجل "مستقبل أفضل"! وعلى رأي المثل الشعبي الجزائري " ما يبقى في الوادي غير أحجاره"!

المصدر : http://www.almujtamaa-mag.com

==============

#المسلمون في مواجهة الغزو الثقافي المعادي

عبد الرحمن حمادي

في شهر حزيران – يونيو 1998 خرجت مجلة " تايم " الأمريكية وعلى غلافها صورة لمئذنة مع يد تحمل رشاشاً ومع عنوان رئيس في أعلى الغلاف نصه: " هل يتوجب علينا الخوف من الإسلام؟ "؛ وفي العدد نفسه تنشر المجلة تقارير لمراسليها في العالم يتحدثون فيها عن انتشار الإسلام وتحوله إلى قوة عالمية يجب أن يحسب لها حساب؛ خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وإضافة جمهوريات إسلامية جديدة في وسط آسيا إلى القوة الإسلامية.

ثم تحذر المجلة في مقال استفزازي الغرب لأنه عاد يدق أبواب العالم بقوة؛ و" قد بدا بتوجيه اللكمات إلى أوروبا والعالم الحر.. " كما تقول المجلة مكرسة نفسها في هذا العدد للتحذير من الإسلام والمسلمين بصورة عدائية استفزازية؛ ومع ذلك فإن عدد

ال: تايم: لم يثر القارئ الغربي كثيراً لأن الإعلام الغربي بشكل عام منهمك في محاولة تفسير هذا الانتشار السريع للإسلام في العالم الحديث ويحذر من هذا الانتشار حتى أن صحيفة اللوموند الفرنسية مثلاً نشرت في شهر آذار – مارس 2000 تحليلاً لآلان روبييه قال فيه " إن الغرب منذ 1300 سنة يعيش هاجس مقاومة الإسلام؛ ولكن مع هذا الانتشار السريع للإسلام في الزمن الحالي ما الذي يملك الغرب فعله؛ إنه لم يعد يملك شيئاً؛ فالإسلام هذه المرة ينقض على الغرب وقريباً سوف تنتهي قيم الغرب الروحية والثقافية والمادية إن لم يجد الغرب وسائل لصد الإسلام ".

ما كتبه روبييه يتشابه مع كتبه بريان بيد هام في صحيفة هيرالد تريبيون في أواسط عام 1997 قائلاً: إن الحرب مع الشيوعية كانت ثانوية قياساً بالحروب مع الإسلام والمسلمين؛ فالحرب مع الشيوعية استغرقت سبعين عاماً فقط؛ بينما حروب الغرب مع الإسلام بدأت منذ 1300 سنة ولم تتوقف حتى الآن؛ وإذا استمر الإسلام في انتشاره بهذه السرعة في العالم فإن الغرب سيكون أخيراً هو الخاسر ".

بهذه اللهجة القلقة يتحدث الإعلام الغربي عن انتشار الإسلام؛ وهي لهجة ليست جديدة في هذا الإعلام؛ ولكن المتتبع لها يجد أن حدتها وشراستها كانت دائماً تتوازى مع قوة العالم الإسلامي أو ضعفه؛ ففي العقود الماضية من هذا القرن بدا الخطاب الغربي مطمئناً تجاه الإسلام إلى حد ما؛ فالبلاد الإسلامية كلها تقريباً كانت تحت السيطرة الغربية؛ وانعكس ذلك الاطمئنان في الاجتماع السنوي الثاني والعشرين للجمعية الأمريكية الكاثوليكية التاريخية الذي عقد عام 1941؛ ففيه ألقى مارشال بلدوين رئيس الجمعية خطاباً قال فيه " إن الغرب ما عاد ينظر إلى الإسلام باعتباره خطراً على الحضارة الغربية " ثم ذكّر بلدوين مستمعيه بأن" العالم المسيحي ظل يواجه خطر العالم الإسلامي لفترة تقرب من ألف سنة تمتد من تاريخ وفاة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – عام 632. المجتمع حتى تاريخ انهيار آخر هجوم عثماني أمام فيينا عام 1638. م" (1).

والآن؛ إذا قارنا ما بين كلمة بلدوين التي قالها عام 1941. المجتمع وهو مطمئن تجاه الإسلام؛ ومقالتي روبييه وبيد هام وهما في حالة قلق من انتشار الإسلام؛

سنجد أن القاسم المشترك بينها هو اعتبار الإسلام عدواً؛ وأنه بحالة حرب مع الغرب المسيحي منذ 1300 سنة؛ ويجب عدم نسيان الثأر من الإسلام لأنه ألحق الهزائم العسكرية الفادحة بالعالم الغربي عبر التاريخ؛ وهكذا فإن أعداء الإسلام يحرصون على إبقاء نظرة الغرب إلى الإسلام والمسلمين عدائية.

تفاعل أم غزو؟

في الصحوة الإسلامية المعاصرة تفاقمت نظرة العداء نحو الإسلام من قبل أعدائه؛ وبالتالي ازدادت جهودهم لتوسيع المفاهيم الخاطئة عن الإسلام في أذهان الغربيين من جهة؛ وتصعيد عمليات الغزو الثقافي للمسلمين من جهة أخرى؛ والمؤسف أن بعض المفكرين المسلمين يرفضون مصطلح الغزو الثقافي أو الفكري لأن (الغزو) مصطلح عسكري؛ ويطالبون بأن نتحدث عن (استيراد) فكري أو إيديولوجي بمعنى التفاعل مع الغرب؛ ولهذا فإن الحديث عن (الغزو الفكري) في رأيهم يعني الانغلاق على الهوية؛ وهو ما يجب أن يتحاشاه المسلمون

إن أمر هؤلاء عجيب فعلاً؛ فهم يرفضون أن نتحدث عن الغزو الثقافي الذي يستهدف المسلمين كي لا نُتهم بالانغلاق على الهوية؛ في حين أن ألمانيا مثلاً تتحدث عن ضرورة مقاومة الغزو الفرنسي للثقافة الألمانية؛ وفرنسا بدورها تثير بعنف مسألة الغزو الثقافي الأمريكي للفرنسيين؛ ووزير الثقافة الدانمركي وقف مؤخراً أمام البرلمان الدانمركي وتحدث عن أخطار الغزو الثقافي الأمريكي على الدانمركيين؛ بينما المسلمون برأي بعض مفكريهم يجب أن لا يتحدثوا عن الغزو الثقافي الذي يستهدفهم مع أنه أمر واقع وخطير؛ بل إننا نصل مع الدكتور فؤاد زكريا وعلي حرب إلى أنه يجب أن نتحدث عن (انفتاح ثقافي)(2) وهذا يعني أن نتحدث عن خلوّ وفاضنا من الثقافة وضرورة أن نستورد ثقافة الآخرين بلا قيود!!

يتناسى هؤلاء بأن الثقافة الموجهة إلينا لم توجه أصلاً إلاّ لغايات عدوانية؛ وما هي إلاّ جهد خبيث للحد من انتشار الإسلام؛ وأن ثقافة الغزو آتية إلينا من أعداء لم ينسوا ثاراتهم مع الإسلام؛ وما من مسلم عاقل يقبل بعد هذا بأن تغزو ثقافة الغرب بهذا الشكل عقولنا؛ وأن تنفذ إلى وجودنا من خلال السينما والتلفاز والأغنيات والأدب وكتب الموضة والمجلات؛ مع أننا يجب أن نعترف بأن العالم شهد تقدماً في العلوم

بينما ظللنا متخلفين وعلينا أن نلحق بالركب ونبلغ التقدم وأن نستفيد من علوم الآخرين ونكسبها ولكن دون أن نخضع إلى تأثيرهم أو نكون تابعين لهم وتحت سلطتهم الثقافية؛ ودون أن ننسى بأن لدينا من الإرث الثقافي والفكري والعلمي ما يستحق الاعتزاز؛ وهذا يعني أن ثمة فارقاً بين الغزو الثقافي والتفاعل الثقافي؛ فلكل أمة من الأمم تمايزها الثقافي؛ وهذا التمايز هو الذي يحمل قيم كل أمة وإبداعاتها وإبداعات أبنائها وأصالة هذا الإبداع؛ وما يحدث اليوم هو محاولات حثيثة من قبل أعداء الإسلام لإلغاء التمايز الثقافي للمسلمين وإحلال قيم ثقافات أخرى محل ثقافتهم.

هكذا يفعلون:

ولكي نوضح أن ما يحدث هو غزو وليس تبادلاً فكرياً نورد بعض أشكال وأساليب هذا الغزو حيث نجد أن أهم ما يلجأ إليه الغرب في حربه ضد المسلمين والإسلام هو عرضه الخبيث للفارق بين واقع المسلم وواقع المواطن الغربي من جميع النواحي؛ فهم يصورون الغربي على حالة من الرفاهية والنعيم التي يصعب على المسلم أن يصل اليها؛ ويصورون الغربي في حالة من الحرية والرخاء وحرية القول والعمل؛ بينما المسلم مكبوت مضطهد لا يستطيع أن يتصرف أو يتكلم بحرية!!

وبعد أن يرسخ أعداء الإسلام هذه المفاهيم في أذهان بعض المسلمين وكأنها أمر واقع لا سبيل إلى تغييره يمضون في بث الشعارات والمفاهيم المغرضة؛ ولنعترف بأن هذه المفاهيم المغلوطة قد تكونت لدى كثير من الأجيال المعاصرة واستطاعت أن تحدد للدين دوره بمعزل عن الحياة وفي زاوية ضيقة يلخصها شعار– فصل الدين عن الدولة –أو تلغي دوره من الحياة أساساً؛ فهو لا يرتبط بالواقع من خلال المعاني التي تصنع القوة والحركة والتقدم؛ بل ينظر إليه باعتباره سبب الضعف والجمود والتأخر كما تدل على ذلك شعارات كاذبة مثل " الدين أفيون الشعوب " و " الدين ضد العلم "..... !!

ويمكن أن نعدد أيضاً من أساليب الغزو الثقافي المحاولات التالية:

- توظيف السينما والتلفزة؛ فثمة مئات من الأفلام السينمائية الغربية التي تحاول تشويه صورة الإسلام والمسلمين؛ ويومياً تبث الأقنية الفضائية عشرات المسلسلات التلفزيونية التي تكرس فكرة تخلف المسلمين.
- توظيف الكثير من الكتاب والمؤلفين ليكتبوا ما يشوّه صورة الإسلام بأسلوب خبيث ذكي وليتسرب بذلك السم إلى عقول المسلمين.
- تشجيع الخلافات المذهبية بين المسلمين وتعميقها ثم إبرازها للمسلمين عبر الأقنية الإعلامية على أنها تمثل الإسلام... (3).

ما العمل؟

دعونا نعترف أن الخوف في مسألة الغزو الثقافي الذي يستهدف المسلمين والتصدي له موضوع خطير يحتاج إلى كثير من البحث ولا يمكن أن نفيه حقه عبر هذه العجالة؛ ولكن يجب أن ندرك بأن هذا الغزو الثقافي الذي يستهدف المسلمين قد وصل إلى أشد حالاته شراسة وأنه يزداد عداء وخبثاً مع ازدياد انتشار الإسلام في العالم؛ وهذا يعني أنه لاخيار أمام المسلمين إلا التصدي لهذا الغزو؛ ولا شك في أن سبل التصدي مرهقة وشاقة وتحتاج إلى بذل الكثير من الجهود التي نذكر بعضها:

- مسؤولية القادة والعلماء المسلمين عن شحذ الهمم الإسلامية وبث الفعالية الروحية للأمة الإسلامية.
- الاتجاه السليم إلى الأجيال المسلمة الجديدة وإيجاد حالة التصاق متين بينها وبين الإسلام وقيمه ومبادئه.
- نشر الوعي الثقافي الكفيل بتكوين المسلم المتمتع بالشخصية الإسلامية الحقيقية التي تملك تصوراً شاملاً عن الكون والإنسان.
- التعريف بالتاريخ الإسلامي المضيء وقدرة الثقافة الإسلامية على الوقوف في ساحة الحياة وقدرتها على قيادة الأمة نحو ما تصبو إليه.
- تأمين الوسائل الإعلامية الحديثة بتقنياتها المتطورة والقادرة على التصدي للوسائل الإعلامية المعادية.

إن سبل التصدي كثيرة وشائكة كما قلنا؛ ولكن كل السبل لا يمكن أن تكون فعالة ما لم يلتق المسلمون على صعيد واحد وعلى هدف واحد؛ والالتقاء يجب أن يكون مبنياً

على حب الخير والمصلحة لجميع المسلمين دون تمييز؛ ويجب ألا يغرب عن البال بأن الأعداء هم الذين زرعوا الشقاق والخلاف في صفوف المسلمين.

الهوامش:

1- عبد الرحمن حمادي - صورة المسلمين في السينما العالمية - مجلة البيان - العدد171- الكويت - 1997.

2- سليم علي جواد - نحن والآخر - مجلة الراية - العدد 203 - بيروت - 1988.

3- من المؤسف تلك المناظرات التي يتناظر فيها مذهبياً مسلمون غير مؤهلين وبشكل مستمر في صالة نيوجرسي سكوير بالولايات المتحدة الأمريكية وتبثها عدة أقنية فضائية وخاصة الشتائم التي يتبادلها الطرفان أثناء المناظرات؛ وتتناقلها بعض وسائل الإعلام الإسلامية.

المصدر : http://jmuslim.naseej.com

=============

#تقليد الغرب وأبعاده

سعد بن عبد الله الحميد

لقد كثرت وتنوعت صرخات الموضة عند الغرب في عصرنا الحديث، وأصبحت المرأة الغربية تعرض نفسها في دور الأزياء، تحت شعار صرخة الموضة الجديدة، وقابل هذا الشعار في بلاد المسلمين التقليد لمختلف الصرخات الجديدة، من هذا ما نجده عند المرأة في جميع البلدان الإسلامية، فلقد استغلت استغلالاً تجارياً ليتمتع الرجال بجسدها ومنظرها، وهذا كثير، ومن أمثلة ذلك استغلالها في الدعايات التجارية، كما يشاهد في التلفاز، وفي السلع التجارية كالصابون، وأنواع الشامبو، والألبسة، والعطورات وغير ذلك كثير من البلاءِ الذي داهمنا، ونجد أنَّها اتخذت سلعة في الطائرات كمضيفات، وفي المستشفيات, والمستوصفات، وغير ذلك، وتأخذ منك الدهشة مأخذها حينما تتساءل ما السر وراء جعل من يقوم بهذا العمل هذه المرأة التي انتقيت بسبب جمالها، وأضافت إليها أنواعاً من الزينة المصطنعة؟ كل ذلك

لأجل أن تناول الطبيب الأداة الفلانية، أو تأخذ درجة حرارة المريض ومقياس ضغطه، أفلا يستطيع الرجل أن يقوم بكل ذلك، وتبقى المرأة مصونةً مكرمة عن الابتذال للرجال بهذه الصفة التي تدعوك للوقوع في سخط الله، فتنظر إلى ما حرم الله عليك؟ أو ليسوا يدعوننا بلسان الحال للوقوع في الفاحشة؟ إننا أصبحنا كالفارس في وسط الميدان، وقد وجهت له السهام من جهات عدة، فإن ذهب يصد هذا فلا يؤمن عليه أن يصيبه ذاك، فإن حماه الله بحماه وإلاَّ فيا لضعفه، إننا نجد أن مجتمعنا الإسلامي المحافظ قد رمي بما ذكرنا، وما لم نذكر أكثر، فقد كثرت الأجواءِ الموبوءة التي يختلط فيها الرجال بالنساء، وكلنا يرى تلك الحدائق[1] التي يرتادها الرجل عديم الغيرة بنسائه، ليتبادل مع الآخرين النظرات، ولقد رأيت بنفسي ما يحزن قلب كل مؤمن، فما السر وراءَ انتشار الحدائق بهذه الكثرة المدهشة؟ وإن كان هناك عذرٌ نعتذر به، فلماذا لا يكون للنساءِ حدائق خاصة بهن؟ ولقد توفرت الأسواق والمجمعات التجارية التي يختلط فيها الرجال بالنساء، ويأتيها الرجل الفاسق عن أمر ربه لا لقصد الشراء، وإنما لقصد التصيد لفاسقة مثله، أو الظفر بالنظر على الأقل، مع أن واجبنا نحن المسلمين أن نعمل على كل ما من شأنه إبعاد المجتمع عن الوقوع في المعاصي والآثام. ولقد توفرت وسائل النقل بالأجرة، وكثر السائقون، وأصبح من الميسور للمرأة أن تذهب مع السائق إن وجد لأي مكان شاءت، وإذا لم يوجد السائق فسيارات الأجرة (الليموزين) موجودة في كل مكان، ويمكن استدعاؤه عن طريق الهاتف، وأصبح الكل يرى من المناظر المخزية ما يجعلهُ يتوقع نزول العقوبة عمَّا قريب، وليس أدلُ على هذا مما يُشاهد في هذه الأيام من قيامِ هؤلاءِ المستهترين بالأمن والقيم والأخلاق، في حال النشوة والسكر بالخمرة، والافتتان بها، من إيذاء الناس في طرقاتهم، واعتراض محارمهم، وقيام بعض الفتيات بالذهاب مع السائقين لمجاراة هؤلاء المجانين في هوسهم، فقد اعترض هؤلاء المفتونون سيارة أجرة (الليموزين) في نفق من الأنفاق، في ساعة متأخرة من الليل، وفيها نساء، فاستوقفوها، وأخذوا يطلبون من النساء النزول منها أمام جمهرة الناس وازدحامهم، فهم قد رفع عنهم القلم ما دام ذلك في نشوة النصر[2] لمعركة من أشرس المعارك، التي استطعنا بها افتتاح قلاع وحصون الأعداء، فياله من نصر؟!!

وليس اللوم على هؤلاء الشبان فقط، بل اللوم على الجميع، إذ يجب على كل منا أن يحرص على صون محارمهِ من الذهاب وحدهن مع هؤلاء السائقين، وأن يحرص على صونهنَّ أيضاً من الانسياق وراء هذه المتاهات والمزالق، بحجة تشجيع النادي أو الفريق الفلاني، ويجبُ على المسئولين أن يتقوا الله في شباب المسلمين، وأن يتقوا الله في بنات المسلمين، فإنهم والله سيسألون عنهم يوم القيامة، وإنَّ هذه الحوادث التي تحدث من مجانين الرياضة، لهي نذيرُ شؤمٍ وطالع خطرٍ يهدد بفقدان الأمن الذي ننعم به، وإنه سيؤدي حتماً إلى استفحال الداء، وتعسر الدواء، فإنَّهم اليوم يفعلون ما يفعلون بحجة الانتصار في الكرة، وسيأتي لهم يوم يستخفون فيه برجال الأمن كما استخفوهم في هذه اللحظات، ثم تكون النتيجة مروعة، فهل ما يحدث الآن أمر عفوي، وزلة من الزلات؟ أم هي مكيدة لإغراق شبابنا وشاباتنا في فتنة نارها تتأجج، ولا يعلم مداها إلاَّ فاطر الأرض والسماء،

يا أمة محمد..الله الله، عليكم بتقوى الله، والتمسك بكتاب ربكم، والاهتداء بسنة الهادي نبيكم– صلى الله عليه وسلم – فإنكم والله تساقون إلى بلاء، وتغادرون إلى محن، ابذلوا النصح لإخوانكم وأولياء أموركم، حذروهم من الشرور، فكل منكم على ثغر من ثغور الإسلام، فالله الله أن يؤتى الإسلام من قبله.

---

[1] والملاهي والمنتزهات.

[2] المزعومة، وأننا قد خفنا.

1426/3/7 هـ

16-04-2005

المصدر : http://www.islamlight.net

==============-

#لماذا أخفق مشروع النهضة التغريبي ؟

د. محمد مورو *

بعد عشرات السنين من اندلاع حركة التحرر الوطني في العالمين العربي والإسلامي ودول العالم الثالث عموماً، وبعد سلسلة من التجارب والمحاولات لتحقيق وبناء

النهضة، اكتشف الجميع قادة ومفكرين أن مشروع النهضة التغريبي . أي الذي استند إلى وسائل وأساليب وأفكار مستمدة من الشرق أو الغرب . قد وصل إلى طريق مسدود، وأنه لم يحقق أياً من أهدافه المرجوة.

وكان من الطبيعي أن يطرح السؤال نفسه، وهو: لماذا أخفق مشروع النهضة التغريبي ووصل إلى هذا المستوى من الانهيار وعدم الجدوى؟ وفي رأينا أن هذا المشروع النهضوي . الذي استند إلى أفكار الحضارة الغربية وأساليبها، والذي تجاهل خاصية الذات الحضارية لبلادنا . كان من الطبيعي والمؤكد أن يصل إلى طريق مسدود؛ لأنه افتقد المقومات البديهية لأية نهضة؛ ولأنه تجاهل العديد من الحقائق العلمية حول عملية النهضة.

* إخفاق منهج النهضة:

إذا افترضنا حسن النية في هؤلاء الذين قادوا محاولات النهضة في بلادنا وفي تاريخنا المعاصر فإننا نجدهم قد وقعوا في خطأ علمي فادح؛ حينما تعاملوا مع منهجية التغيير بمعزل عن السياق الحضاري لها؛ لأنه في الواقع لا منهج هناك مجرّداً من مقولاته ونماذجه؛ لأنه تشكل في أحشاء النماذج التي عالجها، واكتسى باللحم من خلال الموضوعات التي ولدها. والمنهج يقوم ويتشكل عبر عملية معقدة من خلال نمط مجتمعي محدد، مما يحدد له مبادئه ومقولاته ونماذجه؛ فالمنهج الأوروبي في النهضة تكوَّن عبر تاريخ النمط الحضاري الأوروبي، ومن ثَمَّ فإن هؤلاء الذين أخذوا منهج التغيير الأوروبي . حتى لو رفضوا نظرياً المقولات الفلسفية الحضارية الأوروبية . إنما هم في الحقيقة يخدعون أنفسهم؛ لأن هذا المنهج خرج من خلال منظومة حضارية شاملة منهجاً ونماذج ومقولات، ومن ثَمَّ فإن هذا المنهج اكتسى وأخذ هذا الطابع الحضاري المميز له. ولكل حضارة شخصيتها المتميزة، ويكاد يكون من المستحيل زرع حضارة في بيئة حضارة أخرى؛ لأن النتيجة ستكون مسخاً أو ربما أسوأ من المسخ، وحتى هؤلاء الداعون إلى ما يسمى بالتطعيم الحضاري يتناسون حقيقة علمية معروفة؛ وهي أن التطعيم في علم النبات . مثلاً . لا ينجح إلا بين النباتات المتقاربة عائلياً، وبديهي أن التطعيم والتلقيح بين الحضارة الإسلامية . القائمة على التوحيد والعدل والحرية ورجاء الآخرة . والحضارة الغربية .

القائمة على الوثنية والمنفعة غير الخلقية والقهر والنهب . أمر غير ممكن عملياً وموضوعياً.

إن الذين حاولوا بناء نهضة على أسس منهجية غربية لم يدركوا حقيقة موضوعية هامة؛ وهي أنهم لا يطبقون هذا المنهج في الفراغ، بل إن شعوباً عاشت تجربة حية من الإسلام لفترة طويلة جداً. إننا أمام حضارة إسلامية عريقة متميزة وثرية، حضارة تمتلك أصلاً نظرياً إلهياً، وتمتلك ثروة من التطبيقات الاجتماعية الهائلة، من خلال ما حدث طوال التاريخ الإسلامي من علاقات وحالات سياسية واقتصادية واجتماعية ارتبطت بالنص الإسلامي أو حادت عنه. وواجهت هذه الحضارة مشكلات في كافة الميادين، وترتب على تلك المشكلات فقه وثقافة وإجابات نظرية وتطبيقية في مختلف الفروع والمجالات الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية، فضلاً عن ميادين العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية.

وهكذا، فإن القفز على هذا الواقع بكل أوجه الصحة والخطأ، والإنجاز، والقصور فيه سبَّب فجوة هائلة في الوعي والسلوك على حدٍّ سواء، وأهدر كل الأساسات فوق التربة أو تحتها، بحيث كان علينا أن نسير منذ البداية وفقاً للمنهج الأوروبي، ناهيك عن أننا نسير في الطريق الخطأ، وهو الأمر الذي يستلزم مئات السنين زمنياً، هذا إذا أمكن إخلاء الواقع من الوجدان والتراث الإسلامي، وهو مستحيل قطعاً.

إن علم الاجتماع قد أكد على حقيقة بديهية لم يراعها دعاة النهضة التغريبية، وهي أن المنهج العلمي في أساسه أنماط اجتماعية معينة ينبغي أن يتم بمنهج هذه الأنماط ذاتها، وليس بمنهج مغاير، وإلا فإن الأخطاء ستكون بالجملة، أي أنه لا يمكن استقرار عملية النهضة والتنمية في مجتمعاتنا بمنهج مستمد من نمط الحضارة الأوروبية مثلاً، وعليه فإن شرط النهضة هنا هو أن تقرأ الواقع قراءة صحيحة؛ وشرط الصحة هنا أن تكون القراءة من خلال منهج نابع من هذا النمط الحضاري الذي نحن بصدده، وليس من خارجه.

* غياب البعد الثقافي:

محاولات النهضة الحديثة في بلادنا تواكبت مع عملية التحرر الوطني من الاستعمار، ولا شك أن الصراع مع الاستعمار صراع سياسي واقتصادي وعسكري،

فلا شك أن الغرب الاستعماري قد استعمل ضدنا أقسى الوسائل العسكرية وأبشعها لتحقيق عملية القهر والنهب، وكذلك لم يتورع عن استعمال كل الوسائل السياسية والاقتصادية في تحقيق أهدافه، ولذلك كان من الطبيعي أن تشنّ حركات التحرر الوطني الحرب ضد الاستعمار عسكرياً وسياسياً واقتصادياً.

ولكن البعد الثقافي لتلك المواجهة كان غائباً، وكان هذا هو السبب بالتحديد في إخفاق مشروع النهضة بعد رحيل الاستعمار، بل الوصول إلى طريق مسدود أهدر كل المكاسب التي تحققت في المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية للمواجهة، بل أقسى من ذلك وأمرّ أننا أصبحنا مهددين بعودة الاستعمار بجيوشه وأساطيله كالسابق وبآليات أكثر تعقيداً وأكثر كفاءة.

إن البعد الثقافي للمواجهة كان يعني ضرورة تصفية الرواسب الثقافية الاستعمارية حكومياً وشعبياً؛ لأن هذا البعد الثقافي مرتبط بتحطيم أو بناء المكونات العقيدية والفكرية والحضارية، والأنماط المعيشية والإنتاجية، وأشكال العلاقات الجماعية والفردية؛ وتحطيمها يعني هدم القلعة من الداخل ومسخ الشخصية وجعلها في حالة عدم القدرة على الصمود والمواجهة، فضلاً عن تحقيق مشروع النهضة، أما بناؤها بصورة صحيحة فيعني التماسك الفردي والجماعي، والقدرة على المواجهة، والقدرة على تحقيق الذات الحضارية ومن ثَم تحقيق مشروع النهضة.

* والتغريب أدَّى إلى الاستبداد:

ما حدث بسبب التغريب يمكن أن نشبهه بنوع من الانفصال الشبكي بين الشعوب والنخب الحاكمة، فأصبحت الشعوب بمعزل حقيقي عن عملية النهضة، ولم تستطع النخبة السياسية أو الفكرية بحكم محدوديتها أن تنجز عملية النهضة.

إن الشعوب كانت وما زالت تحمل الوجدان الإسلامي، كانت وما زالت معبأة بالتراث ومفعمة بالعقيدة، ولا يمكن القضاء على هذا الوجدان أو طريقة التفكير بسهولة؛ ولذا فإن فرض مشروع نهضوي غير قائم على وجدان الجماهير وعقيدتها وحسِّها الثقافي وتراثها التاريخي يجعل تلك الجماهير لا تفهم هذا المشروع ولا تتحمَّس له، أو ترفضه وتعاديه، أو يحدث لها نوع من ازدواج الشخصية أو انفصامها، وبذلك يعود إلى سلسلة من الأخطاء والخطايا تجعل مشروع النهضة في مهب الريح. وإذا كانت

النخبة المغتربة جادة في محاولة تحقيق نهضة على أساس تغريبي فإن رفض الجماهير لهذا المشروع النهضوي التغريبي أو عدم حماسها له يجعل تلك النخبة تحاول أن تجبر الجماهير على الانخراط والحماس في هذا المشروع. وبما أن التركيبة الثقافية والوجدانية للجماهير لا تستجيب للتحريض الإعلامي النخبوي بهذا الصدد؛ فإن النخبة الحاكمة تجد نفسها لاجئة في النهاية إلى قمع الجماهير والاستبداد بها وإجبارها . قهراً . على الانخراط في هذا المشروع؛ وبالطبع تبدأ المسألة من هذه الزاوية وتنتهي إلى أن يصبح الاستبداد والقهر سِمَةً أساسية للحكم التغريبي؛ بحيث يصبح للاستبداد لبنته الخاصة والذاتية حتى يصرف النظر عن مشروع النهضة التغريبي، أي أن التغريب يخلق الاستبداد خلقاً.

*في مسألة الحصول على التقنية:

من الأشياء التي يتشدق بها دعاة مشروع النهضة التغريبي، أنهم يستهدفون الحصول على العلوم الطبيعية أو التقنية من خلال مشروعهم التغريبي المرتبط بالمنهج التغريبي في النهضة، والمنفتح على الحضارة الأوروبية التي أنجزت تقدماً علمياً باهراً.

وينبغي هنا أن نضع الكثير من النقاط فوق الكثير من الحروف في هذه القضية الخطيرة.

ينبغي أن نعرف أن العلوم الطبيعية تنقسم إلى قسمين: قسم خاص بالحقائق العلمية والمكتشفات العلمية، وقسم خاص بتوجيه هذه العلوم في اتجاه معين، أي لإنتاج سلعة ضرورية أو كمالية مثلاً، للقضاء على مرض أو لنشر مرض، أي لإنتاج أدوات تسعد الإنسان وتساهم في راحته، أو لإنتاج أسلحة الدمار الشامل، لإصلاح البيئة والمحافظة عليها أو لتخريبها وتلويثها.

أي أن هناك شِقاً علمياً وشِقاً قيمياً. والشق العلمي تراثٌ إنساني يجب الاستفادة منه وليس تراثاً أوروبياً، ولكن الشق القيمي للمسألة . أي توجيه العلوم في اتجاه معين . تراثٌ حضاري أي خاص بتوجه وقيم كل حضارة. والحضارة الإسلامية مثلاً عندما كانت متقدمة علمياً كانت توجه هذه العلوم لإسعاد الإنسان وتلبية حاجات كل البشر، بل كانت تسعى سعياً لنشر العلوم ولا تحجبها عن الآخرين؛ لأن حبس العلم جريمة

في الشريعة الإسلامية الغراء. أما الحضارة الغربية فإنها عندما تقدمت علمياً استخدمت منجزات العلم في تحقيق أكبر قدر ممكن من النهب وقهر الشعوب الأخرى وظلمها، بل إنها أيضاً حجبت هذا العلم عن الشعوب الأخرى، بل أصدرت القوانين التي تجرم محاولة حصول الآخرين على تلك العلوم، مثل: قضية الدكتور المهندس عبد القادر حلمي مثلاً، بل وتغتال العلماء في البلاد الأخرى حتى لا تحدث نهضة علمية فيها، كاغتيال الدكتور يحيى المشد مثلاً.

إذاً فالعلم كحقائق ومعرفة تراثٌ إنساني ساهمت فيه كل الحضارات والمجتمعات، بل إن النهضة العلمية الأوروبية الحديثة استفادت من العلوم والمعارف الإسلامية في تحقيق تقدمها المعاصر، ومن ثَمَّ فإن الحصول على العلوم واكتسابها ليس قاصراً على المشروع النهضوي التغريبي، بل العكس هو الصحيح؛ فالحصول على العلم هدف أي مشروع نهضوي إسلامي، أما الشق القيمي في العلوم، أي الشق المرتبط بكيفية استخدام هذه العلوم، فهذا أمر مرفوض.

والعجب هنا، أن مشروع النهضة التغريبي لم ينجح حتى في الحصول على هذه العلوم لسبب بسيط هو أن الحضارة الغربية ترفض إعطاء العلوم للآخرين عن طيب خاطر، وما دام المشروع النهضوي التغريبي مشروعاً غير تصادمي مع الحضارة الغربية أي أنه متعاون ومهادن لها؛ فهو لن يحصل على هذه العلوم، بل الصحيح أن المشروع الإسلامي للنهضة هو القادر على الحصول عليها؛ لأنه سينتزعها انتزاعاً، ثم يستطيع أن يهضمها حضارياً، أي أن بإمكانه أن يوجهها التوجيه المتفق مع قيمه الحضارية وللمصلحة الإنسانية.

----

* رئيس تحرير مجلة المختار الإسلامي.

المصدر : http://www.albayan-magazine.com

============

#الخروج من تحت الأنقاض

د. عمر عبد الله

سنوات الغربة التي يمر بها (جمال) خلال غربته الثانية بدت أقل صعوبة وأيسر معاشاً مما توقع، فهو بالرغم من عيشه في هذه البلاد ثلاث سنوات من سنوات الطفولة إلا أنه تهيب من العيش في بيئة مختلفة، وحضارة مغايرة.
لكن الأمر كان أسهل وأيسر، ففي المدينة التي يدرس فيها جالية إسلامية نشطة، ونشاط دعوي مميز، أخذ من وقته، وعاش في شعوره حتى أصبح المجتمع الصغير عالمه ومحيطه، وأصبح إخوة العقيدة الذين لم يربطهم به سوى رابطة الإيمان أشقاء له لم تلدهم أمه، إن جعفر، وعبد الرحمن، وليث، وزاد الحق، ومراد... وغيرهم من إخوة الدرب قد أضاءوا سنوات الغربة بذكريات عزيزة، وأناروا الطريق الموحش بومضات جد ساطعة، كان اليوم هو آخر أيام الأسبوع الأول من الدراسة، وحينما كان جمال يهم بمغادرة الجامعة، وجد رسالة على صندوق بريده، كتب عليها (ج. برهان يود مقابلتك في مكتبه في قسم المحاسبة، غرفة رقم 121، في أي وقت بعد الظهر) حاول أن يتذكر إذا ما كان الاسم المذكور يعني له شيئاً خاصاً، لكن ذاكرته لم تسعفه، وحين كان في الوقت متسع فقد قرر أن يزور صاحب الرسالة في هذا الوقت، وحينما وصل إلى الغرفة المذكورة، طالعه السكرتير متسائلاً هل من خدمة أقدمها لك؟.
– أجاب جمال: اسمي جمال العلي، وجدت رسالة تطلب مقابلة السيد برهان بعد الظهيرة.
كانت لهجته الأمريكية التي اكتسبها خلال تواجده المبكر في هذه البلاد تجعل العديد من الأمريكان يظنون أنه أمريكي من أصل مكسيكي.
– نعم.. إن الدكتور برهان قد طلب مني أن أبلغه بحضورك.. بالرغم من مشاغله الكثيرة، يبدو أنك صديق مخلص له.
– لا أدري، فهذه المرة الأولى التي أقابله.
– على العموم، هو شخص لطيف، وهو منذ انتقاله لهذه الجامعة منذ أسابيع وهو يكسب العديد من الأصدقاء والمعجبين، إنه إنسان رائع.. لحظة من فضلك. دخل السكرتير الغرفة بينما بقي جمال يحاور نفسه ويحاول أن يتذكر مرة أخرى لعله يفلح في الاستذكار.. بدون جدوى.

- السيد برهان في انتظارك.
- شكراً.
دخل جمال الغرفة وما إن وقع نظره على السيد جمال حتى أدرك أنه يقابل وجهاً أليفاً، لكنه لم يستطع أن يتذكر ما تعنيه تلك الملامح بالنسبة له، واستقفته بلغة عربية صافية.
- أهلاً بالسيد العلي..
أنا جميل برهان، أعمل حالياً رئيسا لقسم المحاسبة في الجامعة، ربما أنك لا تعرفني، كان منظره يوحي برؤية إنسان أمريكي تماماً، لا يدل على كونه عربياً سوى اسمه، ولغته العربية المحكية بلهجة فلسطينية.
- حقيقة إن وجهك مألوف بالنسبة لي، لكني لا أستطيع أن أتذكر أين رأيتك، ومَن تكون!.
- حتى بالنسبة لي فأنا أجد صعوبة بالغة في التعرف عليك، بالرغم من معرفتي القديمة بك؟ - بي.. أين.. ومتى؟ ! ضحك جميل برهان حتى بدت أنيابه.
- منذ زمن طويل، وطويل جداً، لكن دعني أعطِكَ إشارة مساعدة، لقد عشت وقتاً طويلاً في أن (آربر)، وبالتحديد قبل خمسة عشر عاماً...
فهل تساعدك هذه الإشارة؟ - ربما، فقد عشنا في نفس المكان وأنا طفل، في نفس الفترة تقريباً.
- حسناً، أنت في الطريق الصحيح، وربما أنك لا تذكر صديقاً لوالدك كان يدرس معه في نفس القسم، يحمل نفس الاسم؟ - لا أذكر.
- كنت أتوقع ذلك، يسرني أن أقول لك إن أباك إبراهيم العلي كان من أعز أصدقائي، في تلك الفترة على الأقل، لقد كان رجلاً ودوداً وكريماً معي، بالرغم من عدم اتصالنا ببعض لفترة طويلة..
طويلة جداً.
- لكني لا أزال أذكرك، وأنت طفل صغير، حينما كان أبوك يدعوني في أيام ذلك الصيف في حديقة منزلكم لنتناول الحديث، ونتناسى الهموم.

– لا أذكر، فقد كان لأبي الكثير من الأصدقاء، وكنت في تلك الفترة أعيش فترة الطفولة باستغراق جميل.

– لقد دهشت حينما رأيتك فبالرغم من معالم الشبه بينك وبين أبيك: فإنك تبدو مختلفاً في المظهر على الأقل.

– ربما... أدرك جمال ما يعنيه الدكتور برهان، فلحيته المعفاة كانت علامة مميزة في محيط الجامعة.

– وماذا تدرس الآن في هذه الجامعة؟ – أحضّر الماجستير في الهندسة النووية.

– جميل.. رائع.. وهل أنت متأقلم في هذه الجامعة والمدينة؟.

– نعم.. فالأمور تجري بشكل جيد.

– جميل.. إنني أشعر بلذة في اجترار الماضي، أليس ممتعاً أن تستعرض تلك الأيام الحلوة مع شخص عاش ذات الظروف.

– نعم، خصوصاً إذا كان يحمل نفس الهموم والآلام.

التقط، د. برهان الحديث، ورد بلهجة استرجاعية مسترخية.

– نعم، كم كان جميلاً لو أن إبراهيم كان معنا، لقد كان – كما قلت ووصفت – صديقاً رائعاً تقاسمنا الهموم والآلام سوياً، كانت المرحلة التي نحياها مرحلة شباب وزخم، وقد التقينا في صيف عام 1966م، كنت وأبوك نعيش حالة من الفرح الكاذب والأمل الواهم، كانت أمريكا تغرق تدريجياً في وحل فيتنام، فنرى في ذلك هزيمة لروح التسلط التى كانت تمارسها هذه البلاد بوقاحة في تلك الأيام، وننام ونصحو على شعارات قرب زوال الظلم، وإلقاء (إسرائيل) في البحر، ولا تسأل اللاجئ الذي كان يضع رهانه على تلك الدول ولا الشباب المتأثر بالناصرية كإبراهيم، والذي رأى فيها حلم شبابه.

– صدقت كان أبي ناصرياً مثالياً، ألا يكفيك أن اسمي خير دليل على ذلك.

– نعم.. لازلت أتذكر حالة الإحباط والتعاسة التي أحاطتنا في صيف عام 1967م، حتى أننا كنا نتحاشى أن نذهب للجامعة حيث كان الصهاينة وأصدقاؤهم الكثيرون يشعروننا بأننا نعيش هزيمة أخرى، لقد كانت أياماً قاسية! لكن خبّرني ما هي أخبار والدك؟ – إنه بخير، وهو على وشك التقاعد، للتفرغ لأعماله.

- وهل لا يزال مثالياً؟ أعني ناصرياً مخلصاً؟ - كلا ولكن سأسألك نفس السؤال؟ - لقد أصبحت أمريكياً.. (يضحك)، أمريكياً مخلصاً، خلعت أشياء كثيرة لكي أصل إلى ما أنا فيه، تركت المثاليات، يممت شطر الجانب الأكاديمي، وها أنا ذا أحقق معظم أحلامي..

- وهل لديك أسرة؟ - نعم لديَّ ابنة تعمل متفرغة في العمل الخيري، إنها رئيسة نادي الليونز في المنطقة! - الليونز.. ؟ ! هل تعرف ما هي المنظمة، وما أهدافها؟ ! - كلا.. ، فابنتي تعرف ذلك، وهى عموماً (تربية أمريكان).. (ويضحك ضحكة مقتضبة)، لقد تزوجت أمها الأمريكية، واتفقنا أن أتفرغ للعمل وتتفرغ هي لإدارة الأسرة.

- وهل لازلت تحتفظ بهويتك؟ أعني لغتك، ودينك.

- لغتي جيدة، وديني لا يَسُر، منذ البداية.

- و لماذا؟ ! - كنت يسارياً في السابق، قبل أن أهاجر إلى هذه البلاد، كنت أعيش في مخيم لاجئين في دمشق، كان معسكر السلام وشعاراته الشيوعية يشكل تيار أغلب التعساء هناك.

- ثم؟ - كفرت بكل الشعارات الكاذبة، والزعامات المغشوشة، وآمنت بالحياة على الطريقة الأمريكية، الفردية، تستطيع أن تكون من تريد حينما تكون لا منتمياً، إنها عقلية الشركات الكبرى، حينما تدوس على المبادئ، سوى مبادئ الشركة وتتخلى عن أي تحالف، سوى ما يساعدك على النجاح! - وهل هذا مبدأ صالح في نظرك؟ - ما يصلح هو ما يعمل، وما يعمل - كما أرى - هو ما يصلح.

- قد يبدو هذا الكلام فلسفياً، لكن الواقع والفلسفة قد يشتبكان. لكن قل لي: هل أنت مثالي؟ - إذا كنت تقصد بالمثالية الالتزام بمنهج، فأنا كذلك.

- وما هو هذا المنهج؟. لقد أصبحت بعيداً عن الساحة العربية كما ترى.

- منهج قديم، جديد..

- ماذا تعني.. ؟ - أعني الإسلام.

- لقد كنت أظن أنك ستقول لي ذلك، منذ أن رأيت تلك اللحية الثائرة، إنها تشبه لحية كاسترو، أو الخميني.

– لعل كاسترو وغيفارا والخميني بل حتى ماركس، هم ما تقدمه الثقافة الأمريكية للتدليل على الخطر الخارجي، والربط بينهم حتى لو لم يكن هناك رابط.

– أوافقك في ذلك، لكن قل لي فلعل معلوماتي خاطئة: هل يعني ذلك أن (الأصولية) هي الموجة الآن؟ – وماذا تعني بالأصولية؟ – أعني الحَرْفية، الجامدة، والتعلق بالنص! –أعطني مثالاً.. لم أفهم! – مثلاً بِلِي غراهام، سويغارت.

– غيرهما.

– لا أتذكر.

– أنت رجل متعلم، هل تؤمن أن نطبق سياسات أمريكا وأوربا الغربية وآلياتهما على العالم الثالث؟.

– لا يمكن، أرضيتان مختلفتان، متباينتان...

– إذن هل تعرف أن هناك اختلافاً بين ما تطلقه من أمثلة وبين الواقع الذي تنعته بالأصولية.

– ربما، لكن الإسلام والمسيحية متقاربان، عذراً، هذا من بقايا الخمسينات، كلاهما أفيون الشعوب، أو في منطق أمريكا الثمانينات، الإسلام السياسي أو الإرهابي يحمل نفس بذور الأصولية التى تريد أن تحكم أمريكا.

– مرة أخرى.. أجد نفسي مضطراً لتذكيرك باختلاف البدايات وحتمية الخطأ النهائي.

– أعترف بأني قد تغيرت كثيراً.. وأعترف أن الحوار ممتع معك، تحمل نفس اللهجة القاطعة والمستيقنة التي كان أبوك يحملها، ولكن تبدو أكثر عقلانية حينما كان يبدو أكثر حماساً وعاطفية، هل نلتقي مرة أخرى؟.

أحس جمال أن الدكتور برهان مشغول وأن المقابلة قد انتهت، فوعده خيراً، وأحس بواجب نحو هذا الغريب، الذي (استنوق) حتى يصل إلى ما يريد، والذي قابل العديد من أمثاله الذين تأمركوا، وضاعوا وأضاعوا، أضاعوا جيلاً ثانياً كان يمكن أن يكون أداة خير فاعلة في هذه الأرض، وتذكَّر مجموعة من المراهقين من أبناء المسلمين الذين ولدوا لآباء كهؤلاء، بعضهم يحترف الدعارة، وبعضهم يحترف تجارة المخدرات، ومجموعة تقود نوادي الليونز، والروتاري، وأخرى – ويا لَحجم المأساة! ! – يعملون

منصرين في كنائس مثل (وليم علي)، ذلك المنصر الشاب الذي قابله منذ فترة وتلك مأساة أخرى...

المصدر : http://www.albayan-magazine.com

=============

#العقول الفارغة !!

مشاري بن عبد الله السعدون

لقد اهتم الإسلام بالعقل اهتماما واضحا، حيث جعله مناط التكليف، وموضع التكريم، الذي به تتحقق أهلية الإنسان لكي يصبح خليفة في الأرض، يسعى في إعمارها كما قال – تعالى– ((...هوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...)) ذلك أن العقل هو المحور والموجه لهذا البناء، وتلك الخلافة. فالحضارة تقوم على عقول نيرة وأفهام راسخة تنطلق من أرضيات صلبة.

ولقد خاطب القران الكريم العقل الواعي، ورسم له حدود السكون، وحدود الحركة، فأصبح العقل المسلم بعد هذا كله.... عقلاً مدركاً حكيماً رشيداً يميز الأمور، قبل أن يصدر حكماً تجاهها.

فضرب أمثلة عن الأمم البائدة وكيفية استخراج العظات والعبر من خلال سيرها.. قال – تعالى –: (({وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}يوسف109.

والعقل المسلم من أوثق العقول فهماً وإدراكاً نظير ما يستند عليه في فهمه، ومعرفته، واستقائه من المنهج الإلهي، فهو حرٌ لا يخضع لأي مؤثر خارجي سوى منهجه الذي ينطلق منه ويستند عليه.

ولكن مع التردي الحاصل لأمة الإسلام، وخاصة في هذه الأوقات، والتي أصبحت فيه أمتنا كلأً مباحاً لأمم الاستكبار والغطرسة، فأصبح العقل المسلم عقلا رتيباً خاملاً ينزع في تفكيره إلى الإمعية، والتبعية وبذلك تاه العقل المسلم بين ركامات الحضارة الغربية، وبهارجها، والتي يحسبها الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، وانطبقت عليه مقولة العلامة ابن خلدون في مقدمته: ((المهزوم دائما مغرم بتقليد

المنتصر نظرية التابع والمتبوع -))، وانعكس هذا الأمر جلياً على أمور الحياة بعمومها...، مما أخرج نتاجاً قبيح الطعم، والمظهر، والذي تولى كِبر هذا التوهان، وهذا الانحراف المشين للعقل المسلم.... هي وسائل الإعلام، بكل ارتباطاتها وما تصل إليه أذرعتها الناطقة والمؤثرة، والتي أخذت على عاتقها حرف العقول المسلمة عن مبتغاها إلى مبتغى، وأهواء القائمين عليها من أساطين الإعلام الغربي، وملاكه. فالإعلام بكل وسائله أصبح له دور رئيس، وكبير في التلاعب بالعقول، والتأثير على، الشعور، والمشاعر، وذلك من خلال اختلاق، واستعمال مختلف الحيل الكلامية، ورسم صور كاذبة، وتمرير تلفيقات مختلقة عن طريق ربطها بجزء بسيط من الحقيقة، لعلمهم أن هاتيك الحيل لا تنتشر، ولا يحفلُ بها المتلقي إلا من خلال خلطها ببعض الحق المجتزئ، ولعل إعلامنا العربي بجميع أنواعه سواءً الحكومي منه أو الفضائي خير مثال على ما يحدثه الإعلام من خللٍ كبير في التصورات، والأحكام بل تعدى ذلك كله في كثير من الأحيان إلى التأثير المباشر في منظومة القيم الإسلامية، والتي تحكم سير المرء المسلم في هذه الحياة، وهذا التأثير المباشر - يطلق عليه دارسي علم الاتصال الإعلامي بنظرية الحقنة (injection theory) والتي نجدها واضحة جلية من خلال سيل الرسائل الإعلامية الموجهة لتغيير بعض المفاهيم والقيم الإسلامية، والتي في مجملها تهدف إلى زعزعة استقرار العقلية المسلمة، لكي تؤمن بالتغيير السلبي المراد، ولعل في بعض القضايا المطروحة سواء على الشأن الداخلي أو الخارجي أكبر دليل على ذلك..... وخذوا على ذلك أمثلة توضح بجلاء مدى عمق العملية المنفذة، والمدارة بحرفية تامة لتغييب الرأي الحر، وسلب الإرادة الحرة التي لا تخضع إلا لميزان القيم السماوية.... فخيار المقاومة أصبح إرهابا !!... وتمسك المرأة المسلمة بعزتها وعفافها وحجابها .. أصبح تخلفاً !!.. والزج بها في غياهب كل مجهول مرة في نوعها ككائن حي (الجندر) ومرة في فكرها وأخرى في حقوقها السياسية - أصبح تقدماً. !!... ومع ذلك، وغير ذلك آمن، وصدق بهذه المقولات الدعية أصحاب العقول الفارغة..... والذين أصبحوا، وللأسف الشديد خطاً رافدا، وداعما لكل تغريب يراد للمجتمعات المسلمة، فهم غنيمة باردة للمستهدفين، وان كنت حقيقة لا أعجب من هذه الاستماتة، وهذا الاستبسال

البطولي من قبل الطابور الخامس طابور المستغربين – بالرغبة بضم أولئك الفئام من الناس، ولكن العجب الأكبر، والأكثر خطراً، والذي يحز في النفس حقيقة هو الانقياد الأعمى والبليد من قبل أصحاب العقول الفارغة ممن بلغ سن الرشد، ولا زالت روح المراهقة بكل ما تعنيه هذه الكلمة – تدب في دمه وأوصاله ألهذا الحد تعمل وسائل الإعلام عملها المشين في عقله، وفي مفاهيمه، وفي اعتقاده حتى تجعله يحسب كل صيحة عليه، أين الثبات أين الشخصية السوية التي تحلل بوعي، وتدرس بروية، وتراجع بدقة.. قبل أن تصدر حكما تجاه أي حدث يُثار .... ومن تأمل هذا الأمر حق التأمل وجد أننا أما عملية جدُ خطيرة يراد من خلالها إحداث تغييراً معرفيا لعقلية المسلم (cognitive change)، ولذلك نحن بحاجة ماسة لزرع الثقة بالنفس المسلمة، وتربيتها وتعليمها أكثر مما هي عليه، وإذكاء روح التحدي، وروح المقاومة، وروح المنافسة، والثبات على المواقف التي ترتكز على عقيدة صلبة، وراسخة. لأن التغيير الذي تُحدثه هذه الوسائل لم يأتي إلا من خلال الضعف الحاصل في تكوين الأفراد وضعف بنائهم الذاتي المتمثل في عدم تغلغل واستقرار مكونات ثقافتهم في شخوصهم، وهذا الأثر البالغ التي تحدثه هذه الوسائل نجد أنه يؤثر أكثر في المراهقين، ومحدودي الثقافة الأصيلة لمجتمعهم وقيمهم الإسلامية، مما جعلهم أكثر عرضة لمحتوى الرسائل الإعلامية الموجهه والمخالفة لمنظومة قيم المجتمع الإسلامي. فلذلك يجب على ذوي الرأي في المجتمع المسلم مراجعة الذات والأخذ على أيدي السفهاء من أبنائه، والنصح لهم لكي لا ينحدروا بأمتهم إلى أمور لا تحمد عقباها.

وقى الله أمتنا ومجتمعاتنا كل بلاء ومكروه.

المصدر : http://www.saaid.net

===========

#جناية الاستغراب على الأدب العربي

خميس بن عاشور

لكل أدب من الآداب خاصية وميزة يتميز بها عن غيره، ولا تكون شخصية الأدب واضحة ما لم يتحلَّ بهذه السمات الخاصة، ولا يعقل أن يتقمص أدب معين جميع

الخصائص الفنية للآداب المختلفة في جميع العصور، مثلما يريد المحسوبون على الأدب العربي، فهو عندهم تارة أدب شرقي؟ وطوراً أدب غربي، وفي أحسن الأحوال يجمع بين هذا أو ذاك بأسلوب مبتكر...

إن اللغة العربية لا يسعها أن تقحم في كل الميادين الفكرية المعاصرة إلا مكرهة، لأن الكاتب العربي المستغرب ليس بمقدوره الاستغناء عن أداته في التعبير» اللغة ، هذه اللغة التي ترتبط بمفاهيم عقدية ارتباطاً وثيقاً، وأول هذه المفاهيم تلك التي تضمنها القرآن الكريم، الكتاب الأول للعربية بلا منازع.

فبأي حق تظل الميادين التي تجد فيها العربية ذاتها مهجورة؟ ! وما ذنب هذه اللغة إذا ما انحط أهلها وتخلفوا عن ركب التقدم؟.

نستطيع أن نقول: إن التراث يدخل في صميم التركيب الذي يتكون منه الأدب العربي، ومع ذلك فلا نحتاج إلى من يذكرنا بضرورة المعاصرة؛ لأنه لا يخطر بلب العاقل أن العربي عندما ينشئ أدباً سيعمد إلى مقبرة فيلقي على سكانها من الأموات ما جادت به سليقته وما فاضت به مخيلته.

لقد دأب المستغربون على تشويه شخصياتنا التاريخية عن طريق إحياء أكاذيب القصاص وشعراء الشعوبية، حتى ترسخت بعض المفاهيم الهدامة التي تخدش نزاهة وكرامة أبطالنا التاريخيين الذين قادوا الحضارة الإنسانية...

ولم يبق للمستغربين إلا أن يدعونا صراحة لدخول جحر الضب، حتى تكتمل بذلك أمنيتهم الغالية.

وماذا أفاد » جورجي زيدان « في رواياته التاريخية التي هي انعكاسات لعقيدته وفكره المستغرب الذي يدعم به آراء المستشرقين.

إن الإسلامية أشمل وأعم من تلك المفاهيم الضيقة التي يعتنقها من لا تعنيهم هذه المسألة من المستغربين عامة، فالأدب العربي أدب إسلامي كذلك، وبالتالي فهو أدب عالمي تبعاً لعالمية الإسلام، وهو بذلك لا يحتمل بعض المحاولات الذليلة لجعله إقليمياً انعزالياً، كما يريده عبيد المدرسة الاستغرابية.

وهناك قضية أخرى وهي العالمية، فالعالمية فكرة نسبية تعتمد على مقاييس الذوق الغربي، فالأدب العالمي بالمفهوم السائد هو الأدب الذي ترضى عنه الأذواق

والمقاييس الغربية، فالعالمية هي ذلك الطوق الذي يجعله الأديب المستغرب في عنقه ليصل إلى هذا الهدف الكبير، وهو الحظوة بدخول جحر الضب.. !، ومما لا ريب فيه أن متعصبي نصارى العرب من هذه الحيثية ليسوا أمناء على العربية؛ لأنهم عاجزون عن الدخول في كل الميادين التي تميز الأدب العربي منذ القديم.

وربما يتساءل البعض عما قدمه نصارى العرب الأولون سواء في الجاهلية أو في الإسلام، والجواب هو أن مساهمة الأقدمين كانت لصالح اللغة العربية التي كانت قوية بقوة الثقافة الإسلامية آنذاك، أما اليوم فلا يمكن أن تكون هذه المساهمة كذلك بعدما أصبحت الغلبة للثقافة الغربية ذات العقيدة النصرانية في عمومها، ومادام الصراع الثقافي اليوم قائماً بين الغرب القوي المسيطر وبين غيره من الثقافات التي منها ما ذاب في بحار التغريب، ومنها ما يذوب ومنها ما هو باق يتحدى عوامل الإفناء كالعربية أمام هذا الصراع فإنه ليس للأديب اليوم من خيار إلا أن ينحاز إلى فئة من الفئتين، أما محاولة التوفيق فهي مسبقاً في كفة الغرب الراجحة.

ومن هنا كثرت القواقع والحفريات الممسوخة التي تحس ترجيع أصوات الرياح التي تخترقها بشكل وتخرج بأشكال مختلفة..

إن الأدب الذي يسمونه تراثياً رغم رداءة بعضه هو في الحقيقة أدب حي؛ لأنه وإن كان نبتة ضئيلة يمتلك جذوراً يستقي بها مادة الحياة.

وعلى العكس من ذلك فإن حياة الشجرة التي اجتثت من تربتها الأصلية إلى تربة أخرى غريبة عنها موقوفة على مدة بقاء الماء في عروقها وأوراقها، والأدب الذي ينتمي إلى المدرسة الاستغرابية هو أدب ميت، أو هو في طريقه إلى هذا المصير البئيس، وذلك لمجرد ما تنتهي مهمته المتمثلة في التبليغ؛ لأن المثقف الواعي لا يحبذ القراءة لصور منقولة، بل يلجأ إلى الأصل ليقرأ الأدب الغربي بلغة غربية.

فالحروف العربية المقحمة في هذا الأدب هي حروف شكلية، وتحف فنية جميلة مجردة عن الحياة لا مناص من توظيفها مؤقتاً، حتى يصل المارد الغربي فيجوس خلال الديار، وقد مهد لذلك وكلاء الغرب عندنا بالدعوة للعامية والإقليمية والتأليف على منوال هذا المنهج التفكيكي.

وقد يخرج هؤلاء بين الفينة والفينة، لإحداث بعض الزوابع الفكرية والثرثرات الأدبية سرعان ما تقوم مكبرات الصوت المستغربة بتفخيمها إلى درجة الثورات التجديدية؛ والمعارك والحروب الأدبية، تارة بمنح الوسام الفلاني للأديب الفلاني؛ لأن عبقريته أوصلته إلى سب عشيرته واللهو بآثارهم وآدابهم، وتارة بإيثار الكاتب الفلاني بالجائزة الفلانية؛ لأنه أحدث بدعة في مسار الأدب والفكر العربيين، حتى أضحت هذه المكرمات دليلاً كافياً على العمالة والردة الفكرية.

إن أفضل الجسور التي يمر عليها الغرب هم عبيد المدرسة الاستغرابية، ولاسيما نصارى العرب الذين يمثلون نسبة لا تعكس كونهم أقلية من ناحية العدد، ولكنهم من جانب آخر نصارى، كما هي عقيدة الغرب الدينية.

فهم إذاً لا يجدون من الحرج ما يجده العرب الآخرون عند الاحتكاك بالثقافة الغربية التي تحن إليهم ويحنون إليها، ولا يفعل مثل ذلك العرب المنتمون إلى الإسلام إلا وفي نفوسهم عقد كثيرة، فغياب هذه العقد عند نصارى العرب جعلهم القنطرة المفضلة للعبور والتلاقح ثم الذوبان البارد..

إن المستغربين لا يستطيعون قراءة التراث بغير عقولهم النابتة على أصول الغرب، ولذلك جاء أدبهم خالياً من الوجدان العربي، ميتاً موتاً معنوياً، وهذا ما يجعلنا نجزم بأن غير العربي المسلم لا يمكن أن يكون أميناً على العربية وآدابها..

إن كثرة الإنتاج النقدي لا تعكس التطور الحقيقي للإنتاج الأدبي الإبداعي، وخاصة بعدما أفل نجم الأسلوبيين من أمثال الرافعي والمنفلوطي ومحمد البشير الإبراهيمي، وقد تكون العلة هي أن الإبداع في الأدب العربي لا يتحقق في معزل عن التراث، فالإنتاج الأدبي اليوم تغلب عليه الانتماءات المختلفة التي تصب في مجملها في بحر الثقافة الأوربية، هذه الانتماءات التي يجمع أغلبها على التنكر للتراث والعبث به، كلما سنحت بذلك فرصة، وهذا ظناً بأن ذلك كفيل بتحقيق الإبداع الذي يرضى عنه الغرب، ولكن النتيجة كانت تراجع الإبداع الأدبي، وتقدم الإنتاج الفلسفي التأملي المشبع بأخلاط من العقائد والنحل، حتى وإن لبس هذا الانتاج أشكالاً أدبية مختلفة، وكذلك فإن سيطرة المدرسة الاستغرابية اليوم على الأدب والنقد رسخ هذا التوجه المنحرف الذي تستحسنه الثقافة الغربية؛ لأنه يضع لها وبدون مقابل أفضل

الموصلات التي تنقل مضامين هذه الثقافة إلى الشعوب المختلفة واضحة وضوح كل لغة لدى أصحابها؛ لأن هذه الشعوب تمثل المجال الحيوي لانتشارها الاستعماري في زيه القشيب، وعلى العكس من ذلك فإن الاتجاه نحو الإبداع باعتماد سبله السليمة يقوي الآداب الأهلية ويحميها من الانحلال في الآداب الغازية.

إن بعض الأساليب التي توظف الحرف العربي، إن لم تكن ترجمات رديئة لقراءات مستغربة كحال بعض » المسارات [1] الفكرية العميلة لوكالات الغرب فهي دون شك تثير التقزز والآلام؛ لأننا سنضطر إلى استرجاع معلوماتنا في التحليل النفسي لكي نعثر على الحلول والتوفيقات الملائمة لما يصادفنا من عقد لاشعورية هي نتيجة لعدم القدرة على نسيان ما في هذه اللغة نسياناً تاماً، مع الشعور بالضآلة والقزمية أمام محتويات الفكر والثقافة الغربية الباهرة، ولا ندري لماذا لا تثير الميادين البناءة بالنسبة لنا في الفكر الغربي كلف المستغربين وشغفهم، فهم لا يستوردون إلا ما يجعلنا نتمرغ في تربة الغرب، حتى لا نرفعها مرة أخرى، وقد يطرق بعضهم أحياناً أبواب الديار ولكنه يتخطى الأزمان، لكي يجد نفسه مستريحة إما مع الفراعنة بناة الأهرام، وإما مع الفينقيين أو الوندال.

وفي غياب من الحركة النقدية العربية الأمينة فقد تجرأ الكثيرون على اختراق حدود الأدب والفكر العربي، وصنع أجهزة الدعاية والإعلام الموجه من السخفاء والتافهين عمالقة.

----

(1) مجلة (المسار المغربي) تصدر في الجزائر وهي مثال نموذجي لذلك.

المصدر : http://www.albayanmagazine.com

==============

#صورة الإسلام في الخطاب الغربي (8)

تجريد الإسلام من خصوصياته

محمد عمارة

سعت الغزوة الاستعمارية الأوروبية الحديثة كي تؤبد احتلالها لعالم الإسلام، ونهبها لثرواته إلى تجريد الإسلام من شموله للدنيا مع الآخرة، ومن مرجعيته للدولة والسياسة

والاجتماع مع منظومة القيم والأخلاق الحاكمة لسلوك الأفراد...سعت إلى فك الارتباط بين شريعته الإلهية وحركة الواقع في المجتمعات الإسلامية التي استعمرتها هذه الغزوة، وذلك لتُلحق هذا الواقع بالقانون الوضعي الغربي العلماني، حتى لا يبقى للإسلام إلا ملكوت السماء والغيب والدار الآخرة كما هو حال النصرانية المهزومة أمام العلمانية الغربية وسعت هذه الغزوة الاستعمارية كذلك إلى فك الارتباط بين الإسلام والعربية لغة القرآن الكريم وذلك لتغريب اللسان، مع تغريب الفقه والقانون ... وكان خطاب الاستعمار الفرنسي في هذا الميدان نموذجياً، فلقد أعلن فلاسفته ومنظروه:

" أن الأسلحة الفرنسية هي التي فتحت البلاد العربية، وهذا يخوِّلنا اختيار التشريع الذي يجب تطبيقه في هذه البلاد!... ويجب فصل الدين الإسلامي عن القانون المدني... وحصر الإسلام في الاعتقاد وحده "والحيلولة دون اندماج العادات والأعراف في الشرع الإسلامي، ليتيسر دمجها في القانون الفرنسي بدلاً من القانون الإسلامي"!

"كذلك يجب الفصل بين الإسلام والاستعراب.. فالعربية هي رائد الإسلام، لأنها تُعلَّم من القرآن، وإذا سادت الفرنسية بدلاً من العربية، وأصبحت لغة التفاهم، فلن يهمنا كثيراً أن تضم الديانة الإسلامية الشعب كله، أو أن آيات من القرآن يتلوها رجال بلغة لا يفهمونها، كما يقيم الكاثوليك القداديس باللغات اللاتينية والإغريقية والعبرانية"!! .(1)

فالمطلوب في خطاب الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة تجريد الإسلام من خصوصياته ومقومات تميزه عن النموذج الحضاري الغربي، وذلك بتغريب الفقه والقانون بالعلمانية بعد تغريب الواقع، لعزل الشريعة عن الحياة... وتغريب اللسان في بلاد الإسلام، لعزل القرآن عن الحياة، وإلحاق المسلمين بالثقافة الغربية، ومنظومة قيمها.

والدارس لواقع بلاد المغرب العربي تونس والجزائر والمغرب حتى بعد ما يقرب من نصف قرن من الاستقلال السياسي يدرك حجم الكارثة التي أحدثها "التغريب

الفرنكفوني" في ميادين اللغة والثقافة والتعليم والإعلام، بل والقيم أيضاً، حتى هذه اللحظات.

فالنخبة الفرنكفونية المتغربة تسيطر على ميادين الفكر والثقافة والإعلام.

والصحافة الفرنكفونية الناطقة بالفرنسية تمثل الحجم الأكبر والأهم في الميدان الصحفي.

وطغيان الفرنسية في ميدان التربية والتعليم ظاهر للعيان.

وحركة النشر وسوق الكتاب تغالب فيه الفرنسية العربية فتغلبها.

وحتى النزعات العنصرية التي تريد إحلال البربرية الأمازيغية محل العربية، ما هي إلا ستار لإحلال الفرنسية ومن ثمَّ الفكر الفرنكفوني محل الهوية العربية والإسلامية.

بل لقد بلغت كارثة التبعية والتغريب والاستلاب الحضاري في تلك البقعة العزيزة على أرض الإسلام وأمته إلى الحد الذي زادت فيه معدلات التغريب والفرنكفونية في عهد "الاستقلال" عنه في عهد الاحتلال والمقاومة الوطنية لهذا الاحتلال!!.

ويكفي أن نعلم أن الفرنسية هي لغة التخاطب والتعامل، ليس فقط في إدارات الشركات والمؤسسات، وإنما أيضاً في مداولات ودوائر الحكم ومجالس الوزارات! الأمر الذي يجعل من أوليات تيار الإسلام والعروبة.. الجهاد لتحرير العقل العربي والمسلم من هذا الاحتلال!

الهوامش

(1) محمد السماك (الأقليات بين العروبة والإسلام) ص57 59، طبعة بيروت سنة 1990م.

المصدر : http://www.almujtamaamag.com

===========

#واجبنا أمام الأخطار المحدقة

د. عدنان علي رضا النحوي

يدرك كلُّ مسلم اليوم أنَّ الخطر على العالم الإسلاميّ شامل ممتدّة، ينذر بالمزيد من الأخطار مع كلِّ يوم.

ولا تقتصر الأخطار على سقوط بعض أراضي المسلمين تحت احتلال قاسٍ ، كما هو الحال في فلسطين والعراق وأفغانستان وغيرها، ولكنَّ الخطر الأكبر هو الغزو الفكري للعالم الإسلاميّ كلّه، الذي ابتدأ منذ عهد بعيد، غزواً مصاحباً للغزو العسكري أو ممهِّداً له، غزواً يدخل النفوس والقلوب ويُرْخي العزائم ويُمزِّق الأمة في عواصف من تيارات متصارعة، غزواً مهَّد كثيراً لمسلسل التنازلات في ميدان السياسة والقتال.

لقد ابتدأ الغزو بتقديم زُخرف الحضارة الغربية تحت شعار التقدّم والنموّ والتطوّر، ثمَّ أصبح غزواً شاملاً كلّ وسائل الغزو فكرياً وثقافياً وأدبياً، واجتماعياً واقتصادياً، وتنصيرياً وإعلامياً، وعسكرياً إجرامياً. ولقد كان ضحايا الفكر والثقافة والأدب وغير ذلك مثلَ ضحايا الحروب أو أكثر.

ولقد أثَّر هذا الغزو في عدد كبير من المسلمين الذين أصبحوا من دعاته وقوة له في قلب العالم الإسلامي، مما وفَّر على الغرب المعتدي بعض الجهود والجنود.

كان هؤلاء الذين فُتِنوا بزُخرف الغرب قلّةً لا يكاد يُسمع لهم صوت أو دويّ بادئ الأمر، كنتَ تسمع منهم الصيحة ثمَّ يختفون. وكان الصوت الأقوى دوياً هو صوت الإسلام والمسلمين، بمنابرهم وحشودهم وعلمائهم ودعاتهم.

ثمَّ أخذت الحالة تتغيَّر، وأخذ صوتُ الزُخرف الغربي يتعالى حتى أصبح دوياً عالياً ممتداً دون توقُّف، مع جرأة وتحدٍّ وإصرار، ومع ازدياد التابعين والموالين، ومع بروز حقيقة أخرى أخطر وأشدّ، ذلك أنهم يمضون على نهج مدروس وخطة مدروسة، ويمضون كذلك على تعاون وتكاتف وتنسيق مهما اختلفت مصالحهم ومطامعهم وولاءاتهم.

وكان يُقابل ذلك في الصفّ الإسلاميّ تمزّق يزداد مع الأيام، وضجيجٌ من الشعارات وردود الفعل والارتجال، في مخالفات جليّة للإسلام، لنصوص الكتاب والسنَّة، لحقائق الإيمان وجوهره، بدلاً من المنهج والتخطيط، وبدلاً من التفاؤل والالتئام،

وتعددت المناهج والمدارس وتفرَّقت المسالك والدروب، والأهداف والشعارات، على صور تحمل شيئاً كثيراً من العصبية الجاهليّة.

الجهل بالكتاب والسنة

وكذلك، فإن الجهل بالكتاب والسنّة كان طاغياً يَسْحق ملايين المسلمين الذين لم يبق لديهم من الإسلام إلا العاطفة الجارفة، دون أن يجدوا اليد الحانية التي تبني القلوب والعقول بالعلم الحقّ، والدراسة الواعية، والتدريب والرعاية، حتى أقامت كلّ فرقة لها ولاءات يُنابذ بعضها بعضاً على صور شتَّى من التنابذ.

لو وقف المسلمون وقفة إيمانية يُراجعون مسيرتهم وهم يتعرَّضون للغزو الفكري العلماني، لوجدوا أنهم أخطؤوا حين أسرعوا فتداعوْا إلى الاشتراكية، وإلى الديمقراطية وإلى الحداثة وإلى العلمانية، ونسبوا هذه المذاهب إلى الإسلام، في تقليد يَكْشف عن إفلاسٍ وهوانٍ!

لم يستطيعوا أن ينطلقوا إلى العالم بإسلامهم الحقّ، بالكتاب والسنّة واللغة العربية، كما انطلق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يستطيعوا أن يعرضوا الإسلام في ميدان التطبيق ليقدِّموا الحلول العملية الإيمانية من الكتاب والسنَّة لمشكلات البشريّة وأزماتها اليوم. بدلاً من ذلك قدَّموا أشكالاً متصارعة من فهم مضطرب للإسلام، وخلافات واسعة، ونظريات متضاربة، ثمَّ بدأوا يأخذون مناهج العلمانية والديمقراطيّة ويُلصقون بها كلمة الإسلام أو الإسلامية، كما ألصقوا الإسلام من قبل بالاشتراكية والحداثة.

فكيف نظهر عظمة الإسلام للعالم إذا كنَّا نحن لا نتمثّل حقيقة الإسلام ولم نلتق نحن عليه، وإذا كنَّا شُغِلنا بزخارف الحضارة الغربية ولم نستطع أن نبني صناعة قوية، وإعداداً قوياً، وصفّاً واحداً كالبنيان المرصوص؟!

من أين يأتي النصر، والتمزُّق قائم، والخطوات مضطربة والشعارات ضجيج دون نهج ولا خطّة؟! واجبنا أن نتوب إلى الله ونعود إليه صادقين، لتنطلق كلمة الحق في الأمة، كلمة الإسلام.

المصدر : http://www.almujtamaamag.com

===========

#خواطر مسلمة..في معركة السفور والحجاب (1- 3)

يلاحظ الدارسون لتحوُّلات القيم في المجتمع المصري المعاصر أن السفور كان حالة طارئة، بدأت على استحياء منذ ما يقرب من خمسين عاماً، وبلغت أوْجها منذ ثلاثين عاماً،

ثم بدأ صعودها البياني في التوقف، ثم الهبوط، ولا يزال آخذاً في الهبوط السريع منذ عشر سنوات، وأن المؤشرات كلها تؤكد أن السفور يكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة، وستعود- بالحتم- السيادة لقانون الله، وأمْره بالحجاب.

ويلاحظ الجميع – على سبيل المثال – أن السفور في الواقع لم يكن مسيطراً إلا على شريحة صغيرة من تعداد المرأة المصرية المسلمة والقبطية على السواء، فالمرأة الريفية والصعيدية والشعبية لم تتخلَّ أبداً عن الحجاب، وهذا أمر دليله وبرهانه في جولة يقوم بها ذو عينين مسافراً بين القرى والنجوع. إذن فالبحث يكون مع التساؤل: كيف تسرب السفور – تلك الحالة الطارئة – إلى معاقل الحجاب، وقلاع المرأة المسلمة؟!.

كيف تحولت قضية تحرير المرأة المسلمة إلى حملة سفور؟!

وكيف أخذت كلمة تحرير مدلول سفور، على الرغم من أن التحرير يأخذ – في الإسلام – مدلول الحجاب، فكانت المحجبة هي الحرة، والسافرة هي الأَمَة؟!، وهل كانت المعركة التي انتصر فيها السفور على الحجاب في بلاد الإسلام، هل كانت معركة شريفة حقاً، انتصر فيها السفور؛ لأنه التطور الحضاري المرتقب – كما زعموا ويزعمون – ولأنه الرغبة الفعلية للمرأة، واختيارها الحر من أجل خلاصها؟.

إن الثابت تاريخياً أن حركة السفور تطابقت زمنياً في الدول القوية الثلاث: مصر، تركيا، إيران، فلقد ألقت هدى شعراوي وسيزا نبراوي حجابيهما، وداستاهما بأقدامهما فور وصولهما من مؤتمر النساء الدولي، الذي عُقد بروما صيف عام 1923، وفي تركيا قام أتاتورك عام 1925 بإجبار تركيا بأكملها – وليس المرأة فقط – على هجر الإسلام كلية، حتى الحرف الذي تُكتب به اللغة التركية متشابهاً مع لغة القرآن، أما نزع حجاب المرأة التركية فقد تم بالإرهاب والإهانة في الطرقات، حين كانت الشرطة يقوم بنزع حجاب المرأة التركية بالقوة، وعندما نصَّب الإنجليز الكولونيل رضا خان

شاه إيران عام 1926 – مؤسساً للأسرة البهلوية – قام هو الآخر من فوره بأمر الشرطة بالتعرض لكل امرأة محجبة، ونزع حجابها غصباً، وحظر على الفتيات المعلمات وضع الحجاب، ودخول مدارسهن به، ومنع أياً من ضباط الجيش من الظهور في الأماكن العامة في الشوارع برفقة امرأة محجبة، مهما كانت صلتها وقرابتها به.

هذه الرياح العاصفة التي هبت هكذا في منتصف العشرينات؛ لتقلع المرأة المسلمة من اختيارها العقائدي الحر بالتزام الحجاب الشرعي – متدبرة هذه الآية الكريمة: ?وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً [الأحزاب: 36].

هذه الرياح العاصفة القامعة الإرهابية هل كانت صدفة في المنطقة؟، وهل كان تركيزها على حجاب المرأة المسلمة مسألة عفوية، قُصد بها الحجاب فعلاً، وخلاص المرأة أصلاً، أم كانت تستهدف – في ضميرها – ما هو أخطر وأبعد من الحجاب؟!

إن المتأمل في النصف الأخير من القرن التاسع عشر مع مطلع القرن العشرين – في إطار الوطن الإسلامي – لن يغيب عنه تميُّز هذه الفترة بالنشاط والحيوية، نشاط وحيوية المخاض، التحضير والإعداد وشحذ الهمم والطاقات لإرساء بدايات واعدة لنهضة وبعث شعوب المنطقة من سُباتها الطويل، وتمهيد الأرض لميلاد صحي للأجنة الشرعية المنبثقة من الإسلام، متجاوزة عصور الكبوات والتحريف، مادة حبلها السُّرّي؛ لتتغذى مباشرة من صدر الإسلام.

لكن هل كان من المقبول – لدى الطيور المفترسة المحوِّمة، القادمة من الغرب المغتصب للانقضاض والثأر من صلاح الدين – أن تترك للمخاض النبيل مداه، حتى يُولد طفل الرؤيا الجميلة؟!

الإجابة هي الواقع الذي حدث على مدار السنوات الطويلة الماضية، والواقع الذي يحدث الآن.

المصدر: http://muslema.com

=============

 # خواطر مسلمة .. في معركة السفور والحجاب .. (2من3)

كان الغرب قد تعلَّم - منذ الحروب الصليبية - أن الحرب الصريحة المعلنة بالجيوش لضرب الإسلام نتيجتها الهزيمة، فقد استجاشت في صدور المسلمين النار الخطرة، التي استعرَّ لهيبها ما يزيد على القرنين،

حتى تم اندحار المعتدين على يد القائد المسلم - الكردي - صلاح الدين، وجنده المسلمين على اختلاف أجناسهم، وكان على الحقد الغربي أن يتريث؛ ليغير أسلوبه للوصول إلى غرضه القديم، وهو اغتصاب كل الأرض التي انتشرت عليها العقيدة الإسلامية، وحصْر أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله في جزيرة العرب، بعد تمزيقها أشتاتاً في قبائل جاهلية مرتدة عن دين الله الحق، يضرب بعضها أعناق بعض.

وكان الغرب قد نجح - بالغدر ونقض العهد والإرهاب - في محو الإسلام نهائياً من أرض الله أسبانيا (أندلس المسلمين) عام 1609 م (أيام العصر الشيكسبيري بعد تأليف هاملت، وقبل وفاة شكسبير بسبع سنوات، أيام العصر الذهبي للحضارة والثقافة الغربية في (أوروبا) - ويشهد المستشرق نيكلسون على أسلوب إبادة المسلمين من أرض الله (أسبانيا)، فيقرر هذه الأسطر (الصفعة) على وجه الحضارة والرقي الأوروبي المزعوم، فيقول نيكلسون - في كتابه التاريخ الأدبي للعرب (ص441) - ما أترجمه حرفياً: في عام 1492م فُتحت آخر قلاع عرب الأندلس لفرديناند وإيزابيلا، وحلَّ الصليب محل الهلال على أبراج غرناطة، وأظهر المنتصرون تعصباً وحشياً، بلغ من بشاعته أنه انتهك تعهداتهم المغلظة، بأن يحترموا الدين وممتلكات المسلمين، وتناقض تعصبهم تناقضاً كاملاً مع التسامح والمعاملة التحرُّرية (الليبرالية)، التي تمتع بها المسيحيون تحت الحكم الإسلامي، وأمام الإجبار على الاختيار بين الردة أو الهجرة - فضَّل الكثير من المسلمين الهجرة، أما هؤلاء الذين بقوا فقد تعرضوا لاضطهاد بشع حتى جاء عام 1609، فتم بأمر من فيليب الثالث - طرد كل مَن كان من أصل عربي، وتم طردهم من الأرض الأسبانية طرداً جماعياً.

وهكذا بعد موقعة النصر - بالغدر والإرهاب - على مسلمي الأندلس الغافلين، استمرأت الشهية الغربية لحوم المسلمين، ووجدوا أن في الصيغة المؤلفة من الخديعة والتسلل مع الإرهاب والغزو - ما يمكِّنهم من الانتصار على صلاح الدين، ولو بعد

حين، ومن ثم حين ماج القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بمخاض بعث إسلامي – كانت حربة إبليس ذات الثلاث أسنان قد صُوِّبت ونشبت في لحم المنطقة مجهضة طفل الإسلام الشريف، طارحة – في المقابل – أطفالها: بهائية، صهيونية، ماسونية: توائم دميمة ثلاثة لمنطلق واحد واستراتيجية واحدة، وبتكتيك يختلف باختلاف الموقع والتكليف:

– فالبهائية: تطلب السلام بين القاتل والمقتول، ونزع السلاح من المظلومين والمجني عليهم، بينما تتسلل تفكك عُرى المسلمين مع شريعتهم عروة عروة، حتى الانسلات الكامل.

– والصهيونية: تمارس الاغتيال والإرهاب، واغتصاب الأرض شبراً شبراً، ثم وطناً وطناً.

– والماسونية: تلف حبائلها لتشد وتشل – إلى قيادتها وتوجيهاتها – عقول المثقفين والأدباء والشيوخ والعلماء والقادة الاجتماعيين والساسة، وتصنع على عينيها الأحزاب السياسية، التي تسرق البعث من الإسلام، والوحدة من المسلمين؛ ليصير البعث بعثاً من العصبية العرقية الجاهلية قبل الإسلام، وتكون الوحدة بين كل مَن تبرأ في سلوكه من الإسلام – بدعوى شعار براق آخر هو مسايرة العصر – وكل مَن انحاز للادينية (العلمانية)، وتبنَّى النقاط السبع الجوهرية في البهائية، وأهمها:

1- فصل الدين عن الدولة. 2- إباحة الربا. 3- نزع حجاب المرأة.

إن أحداً لا يماري في أن المرأة المسلمة في العالم – وفي مصر – كانت قبل وعند مطلع القرن العشرين، ترسف في أغلال تراكمات السنوات الطويلة من الإهمال والجهل والحرمان من حقوقها الشرعية، التي كفلها لها الإسلام في التعلم والدراسة واختيار الزوج.. الخ، وكانت في إطار الظلم العام، والتآمر الذي كان واقعاً على المواطن المسلم على مساحة الوطن الإسلامي – كانت تعاني ظلماً مضاعفاً، وتتهدد بتآمر أخطر، وكان بعض علماء الدين التقليديين قد ركنوا إلى قواقع، هربوا إليها، منسلخين من مسئوليتهم الإسلامية الجوهرية في ريادة الأمة، والاضطلاع بحمل متطلباتها السياسية والاجتماعية والثقافية، في الوقت الذي لم تأخذ قضية تحرير المرأة المسلمة شيئاً يُذكر من اهتمام الطليعيين من علماء الشريعة، فكان حظ المرأة

المسلمة من الالتفات – إسلامياً – لمحنة ظلمها الاجتماعي، الذي أعادها إلى عذابات موروثات من العقلية الجاهلية قبل الإسلام، التي يسودُّ وجهها كلما بُشّرت بالأنثى، فتلجأ إلى وأْدها، كان حظ المرأة المسلمة ترديداً مبتوراً للآية الكريمة: ?وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجنَ تَبَرُّج الجاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا? [الأحزاب: 33]، مع إغفال الآية الملحقة: ?وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خبيراً? [الأحزاب: 34]، مع ما تعطيه هذه الآية الكريمة من منهج قرآني مرسوم لمهمة المرأة المسلمة، التي أُمرت من قِبَل القرآن بالتزام بيتها – لا لكي تجلس، كما كان يحدث لقرون طويلة، في فراغ أو زحام من الجهل والتفاهة واللافاعلية– ولكن لتأدية عديد من المهمات لإعدادها كادراً إسلامياً، لها موقعها الأساسي في المجتمع الإسلامي منها:

أولاً: المهمات التعبُّدية:

رياضة لجسمها وروحها ?وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً?[الأحزاب: 33].

ثانياً: المهمات التعليمية:

بناءً لعقلها وثقافتها ووعيها، ومن ثم فاعليتها في جسم المجتمع الإسلامي: ?وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خبيراً?[الأحزاب: 34]، وعند كلمة الحكمة تنبجس – أمامنا – المئات من عيون المعرفة والخبرات، وأبواب توظيفها، وتتشكَّل أمامنا – تربوياً وعلمياً وثقافياً – تلك المرأة المسلمة، كما يرسمها القرآن الكريم، ويريدها الله والرسول – صلى الله عليه وسلم – ونرى بعين الرؤية الإسلامية: امرأة نظيفة، نشطة، جادة، لها زيها المتميز عن الجاهلية وعن الكتابية {ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً[الأحزاب: 59] تغض بصرها، لكنها لا تخضع بالقول، فهي قوية نابهة، تدربت إسلامياً؛ لتعرف الفرق بين التهذيب والضعف، الذي يثير الطمع، وهي متفقهة في دينها، تعرف كتابها، وتوجيهات رسولها – صلى الله عليه وسلم – وتتلقى من منابعهما الحكمة، التي تربي وعيها، كذلك لتتعرف على إمام زمانها، الذي عليها أن تبايعه، وتتبعه نصرة لله والرسول –

صلى الله عليه وسلم – وهي امرأة قارئة، كاتبة، متأملة، مفكرة، مستنبطة، مستوعبة، تعرف تفاصيل قوانين شريعتها وفقهها، كما تعرف أصول حكومتها، وتدرك كيف يكون الحاكم العادل، ومتى يصير – بالمفهوم الإسلامي – جائراً، فتُلزم، وتؤمر – مع مجتمعها المسلم – بتقويمه ونصحه، أو مجاهدته.

هي نصف متزامل مع الرجل المسلم في حشد بديع، يأتي به القرآن صفاً من ضياء وعبق المسك، كما ورد في الآية الكريمة: ?إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً?[الأحزاب: 35].

هذه الصورة الكريمة الناصعة للمرأة المسلمة – كما حدد معالمها القرآن الكريم – طُمست وتلاشت (إلا في حالات استثنائية نادرة) عبر القرون التي اتخذ فيها المسلمون ?هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجوراً?[الفرقان: 30]، فتحولت المرأة المسلمة إلى كائن جاهل خامل، متخلف الحس والإدراك، فاقد الوعي، منكمش في تواجد باهت على هامش المجتمع، وكان لا بد أن يؤدي هذا الطمس والجور – على قانون الله – إلى سرقة مطلب تحرير المرأة من منطلقاته وتصوراته الإسلامية، بعد أن تقاعس علماء المسلمين عن أن يكونوا أول مَن يقود الحملة لمحو أمية المرأة، والدفاع عن حقوقها الشرعية، وإعادتها إلى ملامح ومعالم صورتها، كما قررها القرآن؛ لتنبعث حرة عزيزة من أرضيتها العقائدية، وتراثها الثقافي والفكري.

وهكذا – وفي غياب المبادرة الإسلامية للتصويب – وقعت قضية تحرير المرأة المسلمة في أيدي غير الأمناء، ممن لا ينطلقون من أرضية أو تصوُّر إسلامي، وتقدم كل مَن هب ودب؛ ليدلي بدلوه في مسألة تحرير المرأة المسلمة: ما بين صديق جاهل، وعدو ماكر، استطاع في نهاية الأمر – بعدائه ومكره – أن يكتِّل الصديق الجاهل إلى معسكره المعادي للإسلام، ويستثمر جهله لضرب معاقل المسلمات، وهتك سترهن، كجزء من المخطط الأسود الشامل على كل الأصعدة لضرب الإسلام

والمسلمين، وإلغاء شريعتهم – لا سمح الله – حيلولة، ومنعاً لانبعاثهم الحتمي رحمة للعالمين، ولو كره الكافرون.

وفي مولد هذا الشعار البَرَّاق – تحرير المرأة – انفسخ المجال أمام الرواد العظام من تجار الشنطة الثقافية، القادمين من أوروبا ومن أمريكا أخيراً – ليصولوا ويجولوا، محمَّلين بأشكال وأنواع بضاعة الثقافة الغربية، بموروثاتها الجاهلية الوثنية الإغريقية، ومعها نماذج المرأة الأوروبية والأمريكية، التي كانت قد نالت حريتها حديثاً، متشكلة من رصيد فكري واجتماعي وديني خاص بها وحدها، لا تنتمي إليه، ولا يمكن أن تنتمي إليه المرأة المسلمة بحال.

وككل الباعة الجائلين، كانت أصوات تجار الشنطة الثقافية – هؤلاء – أعلى الأصوات، وأكثرها صخباً، وككل الباعة الجائلين – كذلك – كانوا يعرفون الكلمة التي تقال لتبهر وتجتذب، والبضاعة التي تُدس لتسلب، ونعجب الآن – ونحن ننظر إليهم على بُعد ما ينيف على النصف قرن – كم كان واضحاً كونهم مندوبي مبيعات شامخي الأنوف مع مواطنيهم، مهدوري الكرامة للرؤوس الأوروبية الغربية الداهية، من صهاينة وصليبيين وماسون، وكم كان واضحاً – على الرغم من الحذلقة – تشتُّتهم الفكري، وسطحيتهم – كنقال ببغاويين – بنداءاتهم الفجة، التي لا تخلو من وقاحة وسوقية، لهجر التأصيل من الذات لحساب التبعية الفكرية لغرب يمقتنا، ديناً وجنساً وتاريخاً، ويمارس معنا فوقية وغطرسة واحتقاراً، وهو يحضر الأنشوطة وراء الأنشوطة؛ لتلتف حول أعناقنا، جاذبة جباهنا عند أقدامه: جباهنا نحن المسلمين أصحاب العزة من الله: ?وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ? [المنافقون: 8].

المصدر : http://muslema.com

==============

#خواطر مسلمة .. في معركة السفور والحجاب (3 – 3)

كان مطلب تجار الشنطة الثقافية هؤلاء أن يجعلونا ننظر بإكبار لإنجازات أوروبا – بسبب ما وصلت إليه من قوة البخار والكهرباء – ونضعها أمامنا قدوة ومثلاً أعلى، نسعى للوصول إليه، ونتشكل بشكله، ومن ثم يصير كل شيء – ينتسب إلينا، أو ننتسب إليه، يتعلق بنا أو نتعلق به من أصولنا – يصير سلفياً، جامداً، مرفوضاً،

يجب التنصل منه، والاعتذار عنه، كأنه جذام أو عاهة، وكان المطلوب أن نعتقد معهم بأن أوروبا والغرب قلعة للحرية والديمقراطية والتمدن واحترام الإنسان، بينما يدوس النعل الأوروبي والغربي وجه الوطن الإسلامي، اغتصاباً وإرغاماً وسحقاً تاماً للإنسان وحريته وكرامته واستقلاله.

هؤلاء الباعة الجائلون الصم العمي الثرثارون – من تجار بضاعة الشنطة الثقافية – يكتب عنهم لويس عوض، مؤيداً بأنهم أبناء الثقافة الغربية والمفهومات الغربية والوثنية الفرعونية – القومية المصرية – ويضعهم بسبب ذلك موضع الاستحسان والافتخار، مما يثبت لنا أن عمليتنا الحسابية سليمة، حيث نضعهم نحن موضع الاستياء والإدانة (2).

ومع سرقة مطلب تحرير المرأة المسلمة ووقوعه في أيدي الجهلة والأعداء وتجار الشنطة الثقافية – كان الدأب منذ البداية لجعْل القضية قضية تحرير المرأة فقط، مع إسقاط التعيين المسلمة، ومن ثم ربطها بقضية تحرير المرأة في العالم، كأنما صارت هناك قومية خاصة اسمها القومية النسائية، تربط المرأة المسلمة بالمرأة المسيحية، بالمرأة اليهودية، بالمرأة عابدة البقر والأوثان، بالمشركة، بالملحدة.. الخ، كأن قضيتهن واحدة، ومطالبهن واحدة، وأهدافهن واحدة، ومعتقداتهن واحدة، وكان السعي – فعلاً – حثيثاً لتأخذ المرأة المسلمة ملامح المرأة الغربية، وكلما تطابقت صورتها مع الغربية زاد الإعجاب بها، وتقريظها بأنها لا تفترق عن الأجنبية!، حتى سقطت المرأة المسلمة فيما لم تسقط فيه حتى عابدة البقر، التي ظلت معتزة بزيها الخاص (الساري)، وتميُّزها بالنقطة الحمراء بين عينيها.

كذلك كان الدأب الأهم لفصل قضية تحرير المرأة المسلمة عن قضية تحرير الوطن المسلم، وفصل قضية الظلم الواقع عليها عن قضية الظلم الواقع على الرجل المسلم – تجزئة للقضية الواحدة من أجل أن تتفتت في مسارات متباينة متعارضة، بل ومتصارعة، إذ لم يقف الأمر عند الفصل، بل تعداه إلى أن جعلت المرأة المسلمة تقف خصماً أمام الرجل المسلم وأمام الوطن المسلم، تقف خصماً ضد شريعتها: تمتلئ رعباً وهلعاً كلما قيل لها: هناك مَن يطالب بتطبيق حكم شريعتك، وتتفرج أساريرها فرحة بانتصار انهزامي كلما خرجت من النظم العلمانية بقانون خائب

للأحوال الشخصية، مستلهم من قوانين الغرب المغتصب لبلادها، المهيمن على مقدرات أهلها، المستذل لناسها، المقيد لحرياتهم، والواقف عقبة في طريق تحررهم واستقلالهم، راجية – في بلاهة واستخذاء – العدل من أيدي الجناة، لاجئة إلى السجان والجلاد؛ لكسر قيدها، وعتق رقبتها!

وقد استمر – فعلاً – الالتواء بقضية تحرير المرأة المسلمة، فتحول من قضية للتحرير من عبودية الظلم والجهل، ومطلب للانبعاث من حقوقها الشرعية في التعلم والإنسانية – التي كفلها لها الإسلام – إلى حركة تنحرف إلى المطالبة بنزع الحجاب، وحملة للسفور، وتحقيق ذلك، مع كسر متواصل دؤوب لأصول وميزان الإسلام في البناء العقلي والنفسي والعصبي للمرأة المسلمة المعاصرة، حتى وقعت – في النهاية – فريسة بين جاهليتين: جاهلية قديمة تستمد موروثاتها المتخلفة من عقلية قبل الإسلام، تقوم بوأد البنات، وجاهلية جديدة غربية تستمد موروثاتها المتخلفة من عقلية مادية تجارية، ذهبت إلى طرفي نقيض باستغلال أنوثة الأنثى، واستثمارها في إعلانات تسويق السلع والجذب السياحي والتشويق الفني المحبِّذ لإباحة الأنثى، وشيوعها، وتقديمها كأحد أطباق المتعة للسيد الرجل!

وكانت النتيجة الطبيعية أن وجدنا – بعد مرور كل تلك السنوات على مطلب تعليم المرأة – غالبية النساء المسلمات ظللن أميات جاهلات مسلوبات، حتى من معرفتهن بعموميات الإسلام، التي كانت تلقَّن لهن، بينما تفشت بينهن – بسرعة البرق – نزعة العري والانسياق السوقي وراء قيم ومفاهيم المرأة الغربية، التي وُضعت لهن كمثل أعلى، يحبَّذ اتباعه وتقليده، فلم تتحرر المرأة المسلمة، بل وقعت – بشكل أسوأ – في الرق الجاهلي الجديد.

غير أن تحولات الوعي ودلالات الواقع تؤكد أنه قد آن الأوان لهذا المرض الطارئ – السفور وملحقاته الذي حطَّ على أدمغتنا، وأعمى عيوننا ما ينيف على الخمسين عاماً – أن ينقشع، وأن نبرأ منه ككل باطل مصيره أن نقذف بالحق عليه، فنزهقه ?إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ? [الإسراء: 81].

وطُوبى لمَن تنزع عنها غلالة الردة الرجعية، وتعود من اغترابها وغُربتها، تأتي اليوم وغداً بالحجاب، ومعها العلم والوعي والعمل والحرية بإذن الله، ووفق شريعته.

المصدر : http://muslema.com

=============

#في مواجهة التغريب قراءة في فكر عبد الله النديم وكتاباته

ناصر الصفدي

لئن دشنت مدافع نابليون أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، بداية حملة غربية تقودها (فرنسا)، في ذلك الوقت، على أمتنا العربية الإسلامية، بغية استئناف الأحلام الغربية بغزو العالم و«تحضيره» و«تنويره» وفق النمط الأوروبي، الذي يرى الإنسان الغربي محور الكون وقطبه الأوحد، أقول: لئن اعتبر كثير من المثقفين والباحثين حملة نابليون تلك مفتتح عهد استعماري جديد، فإن تلك الحملة، وكما يراها عدد من مثقفينا المبهورين بالحضارة الغربية والمولعين بإنجازاتها، كانت في نظرهم نقطة البدء لتعرف أمتنا على الحضارة الغربية، ودخولها تالياً في العصر الحديث وعلومه ومنجزاته عن طريق التلاقح الفرنسي وما نتج عنه من نشوء ما عاد يعرف في أدبياتنا بـ(اليقظة العربية) من قبل القوميين العرب، أو (النهضة الإسلامية الحديثة) من قبل الإسلاميين.

وعلى الرغم من تحفظنا إزاء اعتبار ذاك التاريخ مرحلة تاريخية تدشينية للنهوض واستنهاض الهمم، فمتى كان غزو أمة لأخرى لحظة تاريخية فارقة لصالح نهضتها وتقدمها، ما لم يشكل ذاك الغزو حالة مستفزة بالمعنى الإيجابي للكلمة؟، إلا أننا نتفق في النهاية على أن تدشين عصر اليقظة العربية أو النهضة الإسلامية الحديثة، مع انطلاق مدافع نابليون على مصر، كان بداية مرحلة جديدة من الغزو الغربي لأمتنا، ونوعاً مميزاً منه، امتاز بطغيان الجانب الثقافي والحضاري فيه على الجانب العسكري الذي طالما دحرته الأمة، وامتلكت تجاهه مناعة مكنتها من هزيمته ودحره ولو بعد حين.

ذلك الغزو الثقافي والحضاري الذي حرص الاستعمار الحديث على المضي قدماً فيه جنباً إلى جنب مع الغزو العسكري التقليدي، كان يستهدف هذه المرة استنبات نبت هجين، ينتسب إلى هذه الأمة بالاسم والمولد والجنسية، ويتبنى قيم الحضارة الغربية ومقولاتها ومبادئها في جوهره وحقيقته، سعياً منه لطمس ملامح هويتنا الحضارية

التي استعصت على سادته الغربيين من خلال العمل العسكري، في محاولة لعولمة الأرض وفق النموذج الغربي، وفي إطاره المعرفي والثقافي الذي لا يرى بديلاً عنه أو حتى مكافئاً له.

لقد تصدى أبناء هذه الأمة لمحاولات التغريب والإلحاق الثقافي القسري بالقطب الغربي الأوروبي بداية، والأمريكي تالياً، وكان في مقدمة أولئك (عبد الله النديم) الذي سوف تدور سطور هذه المقالة عنه وعن فكره ورؤاه الإستراتيجية في هذا الصدد، من خلال مطالعة واستقراء أهم نتاجه الفكري وكتاباته.

ينتمي(عبد الله النديم) أو (عبد الله بن مصباح بن إبراهيم الإدريسي الحسني 1845-1896م) فكرياً إلى تيار الجامعة الإسلامية الذي أسسه الشيخ جمال الدين الأفغاني، – رحمه الله تعالى –، وقد كان تلميذاً نجيباً له ولفكره وآرائه، ولد بالإسكندرية، وكان شاعراً وخطيباً وسياسياً مجاهداً، وذا قدم راسخة في ميادين العلوم الإسلامية وعلوم العربية الفصحى، وكاتباً بارزاً باللهجة العامية، شارك في الكتابة في صحافة تيار الإحياء والتجديد الذي تزعمه الأفغاني، فكتب في صحف (المحروسة) و(العصر الجديد). كما شارك في الثورة العرابية، وكان من أبرز خطبائها، وأصدر إبان الثورة صحيفة (التنكيت والتبكيت) و(الطائف) التي حلت محلها ومثلت لسان حال الثورة.

إثر هزيمة الثورة العرابية إزاء التدخل العسكري الإنكليزي في مصر، طاردت سلطات الاحتلال (النديم)، فاختفى لمدة عشر سنوات، وبعد القبض عليه، حبس أياماً ثم نفي إلى فلسطين حتى عفى عنه الخديوي (عباس حلمي الثاني)، فعاد إلى مصر وأصدر مجلة (الأستاذ). ثم نفاه الإنكليز بسبب مقالاته فيها إلى فلسطين ثانية، فذهب إلى الأستانة (استانبول) وصحب أستاذه الأفغاني حتى وافاه الأجل ودفن هناك، وله من المؤلفات الفكرية والأدبية ما ينوف على العشرين مؤلفاً.

لقد كان (النديم) مهجوساً بالسؤال الذي شغل بال مفكري عصره وأقض مضاجعهم عندما تعرفوا إلى الحضارة الغربية، والمتلخص بسر تخلفنا وتقهقرنا الحضاري إزاء تقدم أوروبا والغرب، ولعل كتاباته في هذا السياق من أقدم المحاولات النقدية الجادة للإجابة على هذا التساؤل المفتاحي، واعتبر(النديم) في هذا السياق أن جذور تراجعنا الحضاري ترجع إلى عوامل داخلية ذاتية منها: «حكم التغلب وسلطان الاستبداد،

وتجزئة السلطة وتشرذم الأقاليم في ديار الإسلام، وتراجع سلطان العلماء، وتأثير المؤسسات العلمية والتعليمية، وضيق السلاطين بالحرية الفكرية، وتضيقهم على أرباب الأفكار الحرة وأهل الاجتهاد والتجديد»[1].

ولم يهمل (النديم) دور التدخل الخارجي والغزوات الهمجية التي تعرضت لها حضارتنا وأمتنا على يد كل من المغول والصليبيين، فأوقفت سير تقدمنا وشغلت الأمة بمهمة الدفاع عن وجودها وكيانها إزاء الأخطار المحدقة بها.

ولم يكن(النديم) داعية لمطلق التقدم والنهوض فحسب، بل كان داعية وعلى استبصار مشهود منه وله، إلى تقدم يوقف تيار أوروبا ويضارعها قوة وعلماً، تبصراً منه بالأخطار الحقيقية الكامنة وراء الغزوة الفكرية والعسكرية التي كانت تشنها أوروبا على أمتنا في ذلك الوقت، ولا تزال.

وهو وإن كان يؤخذ على كتاباته تأثرها وانطباعها برؤيةِ أستاذه الأفغاني حول مستقبل الصراع بين أمتنا والحضارة الغربية وصياغته على أساس كونه صراعاً بين (الشرق) و(الغرب)؛ معتبراً بذلك «الدائرة الشرقية»، كما أستاذه الأفغاني، دائرة انتمائه الحضاري، لا الإسلام وحده، إلا أنه مع ذلك اعتبر الدولة العثمانية بوصفها كبرى دول الشرق وحامية حماه ضمن إطاره الحضاري و«جامعته الشرقية» على حد تعبيره، جامعة للأجناس والأعراق والقوميات الإسلامية وغيرها، والسياج الذي يتعلق به الشرقيون، على حد تعبيره، اتقاء للخطر الاستعماري الزاحف على ديار الإسلام والشرق عموماً، ومن هنا كان تأييد تيار الجامعة الإسلامية وزعيمه الأفغاني للدولة العثمانية، مع المناداة بضرورة إصلاحها من الداخل والسعي إلى تجديد طاقاتها واستعادة دورها الريادي والحضاري.

وإذ يعترف(النديم) بدور الغرب في إيقاظ الأمة بمعنى إيقاظ المقابل الحضاري لمقابله، ولعبه دور(المستفز الحضاري) للأمة، فإن ذلك لم يغيب عنه ضرورة صياغة مقومات الانتماء وثوابت النهوض التي لا يجوز التفريط فيها ولا التنازل عنها، والتي رآها في: حفظ المظهر والوجاهة، وحفظ الثروة من صناعة وتجارة، وحفظ الوطنية وحقوقها وواجبات أهلها، وحفظ الجنسية بعدم التقليد والاتباع لمحسنات الغير ومجاراته في أقواله وأفعاله، وحفظ اللغة التي هي أداة الحفاظ على الأخلاق

وتحسين العادات والمألوفات، وحفظ الدين الذي يمثل حفظه الجامعة الحافظة لكل مقومات الانتماء.

ويركز (النديم) بشكل واضح في معالجته لهذه العناصر على كل من (الدين) و(اللغة)، فالإسلام، «هو مرجع المجد وأصل الشرف»[2]، وهو «أقوى دعائم العمران، والسبب الوحيد في المدنية وتوسيع العمران أيام كان الناس عاملين بأحكامه»[3]. و«ليس هناك حبل متين تقاد به الأمم غير الدين»[4]. وهو بذلك يتصدى لمن ادعى رد سبب تخلف المسلمين وتأخرهم من قبل الأوروبيين إلى الإسلام، كاشفاً عن دوافع تعصبهم الديني إزاءه، ومن هنا جاء دعمه ووقوفه إلى جانب الدولة العثمانية لكونها تقف في مواجهة ذلك ولو ظاهرياً، «فلو كانت الدولة العثمانية مسيحية الدين، لبقيت بقاء الدهر بين تلك الدول الكبيرة والصغيرة، ولكن المغايرة الدينية، وسعي أوروبا في تلاشي الدين الإسلامي، أوجب هذا التحامل»[5].

ورأى (النديم) في «اللغة العربية» ثابتاً هاماً من ثوابت الهوية الحضارية التي لا يجوز المساس بها إطلاقاً، لأنها «لسان الدين» و«ترجمان الوطن»، وعنوان الحفاظ على الهوية الحضارية لأمتنا، وواجه النديم آنذاك التحديات التي هددت اللغة العربية من قبل المتغربين وأبواق الاستعمار وغيرهم، وقد تمثلت تلك التحديات في كل من اللغة التركية التي حاول حزب الاتحاد والترقي فرضها على البلاد العربية، واللغات الأوروبية التي زحفت على الأمة في ركاب الاستعمار ومدارس التنصير والتبشير، وتحدي اللهجة العامية التي سعى أجراء التعريب إلى استبدالها باللغة الفصحى؛ تمهيداً لإزاحة الإسلام والقرآن والتراث وطمس الهوية الحضارية المتميزة لأمتنا.

وعلى الرغم من حالة الصراع الفكري والسياسي التي كان يعيشها النديم في مواجهة الاستعمار الإنكليزي وأبواقه من المتغربين والعلمانيين، إلا أن ذلك لم يحل بينه وبين الاعتراف بالوجه الآخر للحضارة الغربية، وقيامها على مستوى متقدم من العلم والتطور المدني والحضاري، وهو لم يدع يوماً إلى رفض ذاك (الآخر) أو ما قد يأتي منه من معارف وتقنيات وعلوم، بل دعا إلى الأخذ بعد تفحصيه وسبر أغواره ومدى ملاءمته لحضارتنا وهويتنا ومبادئنا وقيمنا الأصيلة.

وكان (النديم) يخوض معركة المواجهة مع تيار التغريب ودعاته على قدم وساق، وبالتوازي مع مواجهته للخطر الاستعماري والغزو الثقافي المباشر، فخاض معاركه الفكرية والثقافية مع خريجي مدارس التبشير ممن عرفوا باسم (المسيحيين الشوام)، أصحاب مجلة (المقتطف) وجريدة (المقطم) من أمثال: (يعقوب صروف، وأمين شميل، وشبلي شميل، وشاهين مكاريوس)، وأضرابهم ممن وهبوا أنفسهم للمحتل وثقافته، ومارسوا التبشير بثقافته وحضارته والتشكيك بهوية الأمة وحضارتها وقيمها وحتى كتابها، وكان النديم يصنف جريدة (المقتطم) ضمن «الجرائد الإنكليزية التي تصدر في مصر»، وكتابها بالأجراء الخونة، عملاء الأجانب الذين خانوا أوطانهم وسلطانهم وأهلهم ودينهم، ممن تعلم في مدارس الغير وباع نفسه لها، بل إن نصب النديم نفسه لمواجهة دعاة هذا التيار وأفكاره كان سبباً مباشراً في إرجاف أولئك الأجراء لدى المحتل وحمله على نفيه خارج مصر، مازجاً بذلك النديم بين الجهاد الفكري والجهاد السياسي.

لقد مثل (عبد الله النديم) من خلال كتاباته ونتاجه الفكري والثقافي نموذجاً صادقاً عن رجالات أمتنا الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فحملوا لواء المنافحة عن هوية الأمة ورسالة حضارتها، والتأكيد على مضمونها الإنساني والشمولي للإنسانية جمعاء، في مواجهة كل من الغزو الثقافي الذي رافق الاستعمار العسكري المباشر في ذاك الوقت، وما أشبه اليوم بالأمس، وتيار التغريب الذي اصطنعه الاستعمار الغربي لنفسه وزرعه كالسرطان الخبيث في جنباتنا لينهش في يقيننا بصلاحية ديننا، ويطعن في حضارتنا وإنجازاتها الباهرة. وإذا كان النديم في ذلك العصر قد حاول الإجابة على أسئلة على عصره، وواجه التحديات المحدقة بأمته، فإن السؤال الذي يطرح نفسه وبقوة الآن مع تشابه المعطيات والظروف والأسئلة الكبرى المطروحة علينا الآن، وبعد حوالي القرنين من الزمن، ينحصر في التساؤل عن السر في تشابه الظروف والمعطيات والتحديات التي تواجهنا اليوم بتلك التي واجهت أمتنا وحضارتها مطلع يقظتها الإسلامية منذ قرون، وعن مدى مشروعية الإجابة عليها بالأساليب والإجابات التي قدمها جيل التيار الإسلامي في ذلك العصر، وبالتالي، فهل يعني تكرار الأسئلة والتحديات التي نواجهها خللاً ما في صياغة إجاباتنا عليها سالفاً، أو

استمراراً وتكراراً لها من قبل (الآخر) الذي يصر على طمس هويتنا واستقطابنا في فلكه ودائرته الحضارية؟. وهل تكفي العدة المعرفية التي تزود بها رواد مواجهة الغزو الثقافي وأبواقه من المتغربين لمواجهة السعار الغربي الموجه ضدنا؟ أسئلة كثيرة تنتظر منا مزيداً من التأمل والتحليل والتدبر.

ـــ

[1] – مجلة الأستاذ، العدد الخامس عشر، ص 348.

[2] – مجلة الأستاذ، العدد الثاني والعشرون، ص 519.

[3] – مجلة الأستاذ، العدد الخامس والعشرون، ص593، والخامس عشر، ص352.

[4] – مجلة الأستاذ، العدد السابع عشر، ص394.

[5] – مجلة الأستاذ، العدد الثاني والعشرون، ص513.

المصدر: http://al-shaab.org

=============

#خفافيش الظلام

عبد الرحمن بن عبد الله السحيم

الخفافيش يبهرها النور وتأنس بالظُّلْمَة، فـ " نور الحق أضوأ من الشمس، فَيَحِقّ لخفافيش البصائر أن تَعْشُو عنه " كما يقول ابن القيم. (ولا عَجَب أن تَرى من الكُتّاب أو من يُحْسَبُون من " المفكِّرين " من أعْمَاه نُورُ الحق فلا يَرى إلا في الظُّلْمَة لا عجب أن ترى من يُبصر في الظّلام، أو يُسمِّي بَلداً من بلاد الكُفر: بَلَد النور! وهو بَلَد النور – فِعلاً – بالنسبة له! لأن من حَمَل صِفَة " الخفّاشيّة " لن يَرى في النور، بل في الظُّلْمَة، والظّلام نور بالنسبة له! لا عَجَب أن ترى " مُثقّفاً " – زَعموا – يَرى القوّة الكامنة في الضعف البشري!

فَخَيط بيت العنكبوت أوهى من الواهي! ومع ذلك تَراه هي دِرعاً حصيناً!

ولا عَجب إن تَسَاقَط الذُّبَاب فيه! فأحاطته العنكبوت بخيوطها!

لا ريب أن الذُّباب سَيَرى القوة في تلك الخيوط الواهية!

في حين أن ضعف تلك الخيوط يبدو لكل عاقل بصير!

يُزيله الطفل بِلُعْبَتِه!

أو يُتْلِفُه بِرَمْيَةِ كُرَة!

أو تتقاذفه الرِّياح!

الخفافيش يَبهرها نور الشمس؛ فتختفي!

وتأنس بالظُّلمَة؛ فتفرَح وتطير!

يُنصَح الأرمد بِعدم البروز إلى الشمس..وما في الشمس مِن عيب ولا مَرض!

والمرض في عيني الأرمد!

فقل للعيون الرُّمْد للشمس أعينُ *** تراها بِحَقٍ في مَغِيبٍ ومَطلعِ

وسامِح عيونا أطفأ الله نورها *** بأبصارها لا تَسْتَفِيقُ ولا تَعِي

وقد يُنصح المريض بِعَدم شمّ الطِّيب. .وما في الطِّيب من عَيب!

وما على العنبر الفوّاح من حَرَجٍ *** أنْ مَاتَ مِن شَمِّه الزَّبَّال والجَعل!

يَرى أحد الكتّاب أن القوة والعَظمة في أمريكا.. فيُصرّح ويَصرُخ أن أمريكا قادِرة على " (ترويض) هذه الكوارث الطبيعية "!

وأنها تستطيع تحدِّي الكوارث – بِزعمه!

وهذه النَّظرة تُمثّل الكاتِب ومن على شاكلته – ممن أخلَصوا لأمريكا أكثر من الأمريكيين –!

وهي لا تُمثّل أسرة ينتمي لها

ولا اسْمَاً يَحمِله

وإنما تُمثّل الضبابية في فِكره!

والْخُفَّاشيّة في بَصَرِه!

يُغالِطون أنفسهم.. ويُغلِّطون غيرهم حينما يظنّون أن شمس الحقيقة تَخْفَى!

وَهَبْنِي قُلْتُ هذا الصبح ليل *** أيعمى العالمون عن الضياء؟!

إن مثل هذا الكاتب كمثل أقوام نَخَر النِّفاق قلوبهم فقالوا يوم الأحزاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف يَعِدُنا كنوز كسرى وقيصر ولا يستطيع أحدنا أن يتبرّز؟!

أو كأسلافهم الذين قالوا: (إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا).

قال ابن كثير: أما المنافق فَنَجَمَ نِفَاقُه، والذي في قلبه شُبْهَةٌ أو حَسِيكَةٌ لِضَعْفِ حَالِه فَتَنَفَّسَ بما يِجِدُه من الوسواس في نَفْسِه لِضَعْفِ إيمانه، وشِدّة ما هو فيه من ضِيق الحال. اهـ.

لقد حزِن الكاتب لِمُصاب أمريكا! وضاق صدره بإعصارِها!

وحُقّ له ذلك فهي أمّه الرؤوم! ولها ولاؤه!

في حين يقول الأستاذ عبد الله الناصر:

وليس عنف كاترينا في التدمير الرهيب المخيف الذي جعل كوكبنا كله يقف حائراً وضائعاً ومستصغراً أمامها.. فلا بنتاغون، ولا طائرات، ولا صواريخ، ولا قنابل ذرية ولا وسائل تجسس، وطابور خاص، ولا ذيول طويلة أو أخرى قصيرة.. بل لاشيء اسمه قوة عظمى قادرة على ردعها أو دفعها أو كفّ وكَبْت جماحها وعنفوانها.. أقول ليست نتائجها في ذلك فقط.. ولكن كاترينا كشفت هشاشة القوة العظمى على المستوى الاقتصادي، والمستوى الاحترازي الاتقائي، والتدخل السريع لإنقاذ مئات الآلاف من البشر الذين حاصرهم الموت، والذعر، والعذاب، لفترة طويلة، والطوفان يغرق شوارعهم، وبيوتهم، وأطفالهم، وكلابهم، والعاصفة تقتلع أشجارهم وأرواحهم، فيستصرخون ولكن لا صريخ لهم، ويستغيثون فلا مغيث لهم، ويستنجدون فلا منجد لهم، وهذا ما جعل عمدة نيوأورلينز يصرخ بأعلى صوته!: عار على أمريكا ما يحدث، عار على أمريكا ما يحدث.. !! لأنه رأى مواطنيه يعبث بهم الهلاك بلا منقذ أو معين. فبعضهم نام تحت الطوفان نومة أبدية، والبعض الآخر هام على وجهه، والناجون صاروا ينامون تحت الجسور، وفي الأنفاق، والكنائس، وملاعب الكرة، هرباً من إرهاب كاترينا! بل لقد كشفت كاترينا ما هو أعظم من ذلك وأخطر كشفت عن هشاشة عظام المجتمع الأمريكي، وقابليته للتحطم، والتهشم، والتكسر السريع.. فلقد تحول كثير من أبناء هذا المجتمع المنكوب إلى لصوص، وقطاع طرق، وإرهابيين، يغيرون مع غارة الإعصار، على البيوت، والمحال التجارية، والبنوك، والممتلكات العامة، يفتكون، وينهبون، ويقتلون، بل ويغتصبون النساء، والفتيات القاصرات تحت تهديد السلاح.. كل هذا يَحْدُث ببركات كاترينا، مما حدا بالحكومة الأمريكية إلى أن تستعين بالجيش، والعتاد الحربي بل وتستدعي بعضاً من جنودها في العراق،

لمواجهة هذا الإرهاب!! وهذا دليل مادي قطعي على أن المجتمع الأمريكي ليس مجتمعاً متماسكاً، ولا متجانس الوطنية، والانتماء. إذ أنه في الحوادث والكوارث والأزمات، يكون الناس أكثر تلاحماً وتكاتفاً، وتتحول المحن إلى وسيلة شد وتوثيق اجتماعي، وتصبح الوطنية أكثر جلاء ووضوحاً لأن المأساة واحدة، والهمّ مشترك والمكان واحد، وهذا وضع طبيعي وتلقائي ليس بين بني البشر بل نجده عند البهائم أيضاً فعندما يحدق بها الخطر تراها أكثر تماسكاً وتقارباً في مواجهة المصير الواحد. غير أن الحال في أمريكا كشفت عن التفكك الاجتماعي المرعب، كما كشفت عن حالة الفردية المسيطرة على هذا المجتمع. وعلى النفعية الأنانية والعزلة الفرداتية الذاتية، وأنه لولا قوة النظام وسلطته وحزم القانون، لأكل الناس بعضهم بعضاً.. بل لقد بلغ الأمر من السوء والتردي إلى ما هو أفظع من ذلك. فرأينا من رجال الأمن من ينهب أو يسطو، ويختلس بقوة السلاح!. ورأينا من يلجأ إلى الانتحار وقتل نفسه تعبيراً عن الغضب، والضياع، واليأس، وعدم تحمل الصدمة.. ! بل لقد كشفت «كاترينا» من أن تحت الرماد وميض نار عنصرية مقيتة فلقد شاهد الناس، واستمعوا إلى الآلاف وهم يصرخون: لو كنا بيضاً لما أهملنا هذا الإهمال الذي لا يليق بالكلاب.. هكذا إذاً تعلن كاترينا عن سوأة المجتمع المثالي الذي إليه ينتهي التاريخ وعن الحضارة التي يجب أن تصرع جميع الحضارات لأنها في نظر مروجيها الحضارة الإنسانية الكاملة للدولة الأقوى والأعظم.. بل لقد قالت «كاترينا» انه لا قوة أبدية مطلقة.. بل انه لا قوة فوق قوة الله،.. لقد وقف وزير الداخلية الأمريكي وقد ملأه الذعر وهو يقول: إن ما حدث هو أشبه بتدمير نووي.. أما التدمير الاقتصادي فقد كنست كاترينا ما تبقى في الخزانة الأمريكية المنهكة بحرب العراق الطائشة، إلى درجة جعلت الدولة الأقوى في العالم، والأغنى في العالم تتلقى الحسنات من دول صغيرة لا ترى على الخارطة إلا بالمجهر، بل ولم تستنكف من أن تقبل العون والمساعدة من دول ذات هوية مطبوعة بالفقر مثل سريلانكا.. والفرد الأمريكي الذي كان يقول في الشدة بكل صلف وشموخ: أمريكا.. يا أمريكا. ها هو يهرع بكل جوارحه ويقول: يا الله.. لقد تعالى صوت أجراس الكنائس في سماء أمريكا كلها طلباً للنجدة الإلهية وطلباً للمغفرة.. ! إذ أن هذه الكارثة ما هي إلا عقاب إلهي كما يقول

رجال الدين المسيحيون واليهود على حد سواء حيث يرون أن ما حل بـ " أورلينْز " كان نتيجة لمعصية وذنب عظيم.. إذ أنه في اليوم الذي ضربت العاصفة، ونزلت المصيبة وزلزلت الأرض كان يوماً مضروباً لمؤتمر ضخم يضم مائة وخمسين ألف شاذ " لوطي" من جميع أنحاء أمريكا، وأن هذا العقاب شبيه بما حلّ بقوم لوط حيث قلب الله بلدتهم عاليها بسافلها وأمطرها بحجارة من سجيل جزاء وفاقاً لتلك المعصية النكراء.

على كل حال أظن أن «كاترينا» سوف تغير مفاهيم كثيرة حول القوة والجبروت، والاستفراد بالعالم، وأن الذين يُسْرِفُون في تمجيد وتأليه العظمة، والغلبة الأمريكية عليهم أن يراجعوا أنفسهم، وأن يتأملوا جيداً بل يثقوا جيداً أنه في النهاية لا قوة إلا قوة الله، وأنه لا غالب إلا الله. اهـ.

أقول يا أستاذ:

لا زال هناك من " يُسْرِفُون في تمجيد وتأليه العَظَمَة والغَلَبة الأمريكية "! بل لم تَزِدهم هذه القوارع والكوارث والنُّذُر إلا غَياً مع غيّهم! وفسادَ ذوق مع فسادهم!

وصدق الله: (وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا).

بل لو جاءته الآيات الناطقات.. ولو تنَزّلَتِ الملائكة، ولو كلّمه الموتى، ولو حُشِرت أمامه جميع الآيات – لما زاده ذلك إلا عُتوّاً وغياً وضلالاً.. وما ذلك إلا لإيغالِهم في الجهل المركّب!

وصدق الله: (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ)..

فنَظرَة أحدِهم لا تَصِل إلى أرنبة أنْفِه فضلاً عن أن تتعدّاها!

والقوارِع والكوارث والنُّذُر إنما ينتفع بها العاقل دون غيره..

قال تعالى: (وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ).

فإن اعْتَزَى ذلك الكاتب بأمريكا! فالله مولانا ولا مولى لهم!

وإن اغْتَرّ بقوّتها وجبروتها، فالله أقوى، وهو جبار السماوات والأرض.

لهم العُزّى، ولنا العِزّة – بإذن الله – (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ).

لهم التغرّب ولنا أصولنا الثابتة في جزيرة العرب.. التي فيها مهبِط الوحي، وإليها مأرِزه.
لهم عواصم الظلام! ومأوى كلّ دجّال! ولنا مكة وطيبة التي لا يَدخلها الدجّال!
لهم كأس وغانية! ولنا الغِنى الحقيقي " غِنى النفس "!
1426/8/12 هـ
المصدر: http://www.saaid.net

= #قراءات في علم الاستغراب (1 - 2)

قراءة في كتاب (مقدمات الاستتباع)
د. بدران بن الحسن
لماذا علم الاستغراب؟
من المسائل الشائكة في عالم أفكارنا كيفية التعرف على الغرب ومعرفة أنساقه الفكرية وتجربته الحضارية وخصائصه التي تميزه عن غيره من الكيانات الحضارية. ولذلك تواجهنا مجموعة من الأسئلة التي تحتاج إلى إجابات علمية دقيقة تساهم في فهم الغرب وتوفير آليات منهجية للتعامل معه.
وهنا يُثار تساؤل عن كيفية ضبط العلاقة مع الغرب؛ إذ إن الإشعاع العالمي الشامل الذي تتمتع به ثقافة الغرب، هو الذي جعلنا في موقف ينبغي أن نحدد الصلة به، وخاصة أن ما يفيض علينا وعلى غيرنا من الأمم والشعوب من إنجازاته الحضارية ومن فوضاه الحالية جعل منه مشكلة عالمية، ينبغي أن نحللها وأن نتفهمها في صلاتها بالعالم كله وبالعالم الإسلامي بوجه خاص.
وهنا يأتي ما يمكن أن نسميه علم الاستغراب كما ذهب إلى ذلك الأستاذ حسن حنفي وغيره من المهتمين بالتأسيس لعلم يقوم على دراسة الغرب. وهذا لا يجعل العالم الإسلامي تابعًا في حلوله للغرب كما يعتقد كثير من التغريبيين أو غيرهم من دعاة الأصالة الإسلامية وإنما يتطلب منا أن نعرف التجارب الحضارية المختلفة لنتحقق من مدى نسبيتها ومدى قابليتها للنقل والاستفادة.
فإذا ما أدرك العالم الإسلامي أن الظاهرة الحضارية الغربية مسألة نسبية، فسيكون من السهل عليه أن يعرف أوجه النقص فيها، كما سيعرف عظمتها الحقيقية، وبهذا

تصبح الصلات مع العالم الغربي أكثر خصوبة، ويسمح ذلك للنخبة المسلمة أن تمتلك نموذجها الخاص، تنسج عليه فكرها ونشاطها. فالأمر يتعلق بكيفية تنظيم العلاقة، وعدم الوقوع في الاضطراب كلما تعلق الأمر بالغرب.

فالعالم الإسلامي منذ بداية الجهود التجديدية الحديثة يضطرب، كلما تعلق الأمر بالغرب، غير أنه لم يعد بذلك البريق الذي كان عليه منذ قرن تقريباً، ولم يعد له ما كان يتمتع به من تأثير ساحر، وجاذبية ظفر بها على عهد أتاتورك مثلاً، فالعالم الغربي صار حافلاً بالفوضى، ولم يعد المسلم الباحث عن تنظيم نفسه وإعادة بناء حضارته الإسلامية يجد في الغرب نموذجًا يحتذيه، بقدر ما يجد فيه نتائج تجربة هائلة ذات قيمة لا تقدر، على الرغم مما تحتوي من أخطاء.

فالغرب تجربة حضارية تُعدّ درسًا خطيرًا ومهماً لفهم مصائر الشعوب والحضارات، فهي تجربة مفيدة لإعادة دراسة حركة البناء الحضاري، وحركة التاريخ، ولبناء الفكر الإسلامي على أسسه الأصيلة، وتحقيق الوعي السنني، الذي ينسجم مع البعد الكوني لحركة التاريخ، ذلك البعد الذي يسبغ على حركة انتقال الحضارة قانونًا أزليًا أشار إليه القرآن في قوله تعالى: (وتلك الأيام نداولها بين الناس)[آل عمران: 140].

فالتأمل في هذه التجربة التي صادفت أعظم ما تصادفه عبقرية الإنسان من نجاح، وأخطر ما باءت به من إخفاق، وإدراك الأحداث من الوجهين كليهما، ضرورة ملحة للعالم الإسلامي في وقفته الحالية؛ إذ هو يحاول أن يفهم مشكلاته فهمًا واقعيًا، وأن يقوّم أسباب نهضته كما يقوّم أسباب فوضاه تقويمًا موضوعيًا.

وحتى تُنظّم هذه العلاقات، ويُستفاد من هذه التجربة البشرية، ويُدرك مغزى التاريخ، لا بد من فهم هذا الغرب في عمقه، وتحديد خصائصه، ومعرفة ما يتميز به من إيجابيات وسلبيات، حتى لا تكون معرفتنا به سطحية مبتسرة، وأفكارنا عنه عامة، وغير نابعة من اطلاع متأمل، وبالتالي يكون وعينا به مشوهًا أو جزئيًا.

ولقد أضاع المسلمون كثيراً من الوقت منبهرين بما حققه الغرب، دون أن يتأملوا ويدركوا سر حركة التاريخ في الغرب، فنرى كثيراً من الباحثين والمفكرين المسلمين بمختلف انتماءاتهم يجهلون حقيقة الحياة الغربية والحضارة الغربية بالرغم من أنهم يعرفونها نظرياً، كما أنهم ما زالوا يجهلون تاريخ حضارتها. وإنه بدون معرفة حركة

تاريخ هذه الحضارة والمنطق الداخلي الذي يحكمها، فإننا لم ندرك سر قوتها ولا مكامن ضعفها، ولم نعرف كيف تكوّنت، وكيف أنها في طريق التحلّل والزوال لِما اشتملت عليه من ألوان التناقض، وضروب التعارض مع القوانين الإنسانية.

وإذا كانت المائة سنة الأخيرة قد تميزت بتقريب المسافات، واتجاه البشرية نحو التوحّد، في مصيرها، وفي علاقاتها، فإن المثقف المسلم نفسه ملزم بأن ينظر إلى الأشياء من زاويتها الإنسانية الرحبة، ويرتقي إلى إطار الحضور العالمي، وعيًا وإنجازًا، حتى يدرك دوره الخاص ودور ثقافته في هذا الإطار العالمي؛ إذ لا يمكن أن نطرح مشاكلنا في زمن العولمة والكونية، دون أن نأخذ في الاعتبار كل المعطيات السياسية والجغرافية والإستراتيجية.

وتحديد الصلة بالغرب وبغيره من الكيانات الحضارية، يعطينا تحديدين مهمين في إنجاز مشروعنا التجديدي:

التحديد الأول: هو التحديد السلبي، وذلك من خلال إدراك نسبية الظواهر الغربية، ومعرفة أوجه النقص فيها وأوجه العظمة الحقيقية.

أما التحديد الثاني: فهو التحديد الإيجابي، من خلال تحديد ما يمكن أن نساهم به في ترشيد الحضارة الإنسانية وهدايتها.

وهذا في حد ذاته ينضج ثقافتنا ويعطيها توجهًا عالميًا، فمن المفيد قطعًا أن ننظر إلى حركة التاريخ والواقع من زاوية عالمية لنكتسب بذلك وعياً عالمياً، فإذا أدركنا مشكلاتنا في هذا المستوى، فإننا سندرك لا محالة حقيقة الدور الذي يُناط بنا في حضارة القرن الحادي والعشرين.

ما هو منظور علم الاستغراب؟

إن مسألة تحديد النسق أو المنظور الذي من خلاله نتناول القضايا ومناقشة المشكلات المختلفة من الأهمية بمكان. ذلك أن تحديد المنظور يمكّن الباحث أو الدارس من الإحاطة بالمسألة، وامتلاك القدرة على إدراك مختلف أبعادها، وكذلك إمكانية صياغة حلول متناسقة قائمة على منهج واضح.

وبعبارة أخرى فإن منظور رؤية الأشياء هو الذي يحدد المنهج المقتضي للاتباع وتناول تفاصيل المسائل. وفي هذا السياق فإن النظر إلى مسألة ما من منظور فقهي

–مثلاً يؤدي إلى اعتماد منهج يختلف بالضرورة عن المنهج الذي يعتمد على منظور كلامي أو ثقافي أو حضاري أو سياسي.

وتحديد المنظور الذي من خلاله نعالج المسائل يسهل مهمتين للدارس؛ من حيث الاتساق في صياغة المنهج المراد اتباعه لعلاج المسألة موضوع البحث، ومن حيث القدرة على نقد مدى علمية المنهج المتبع في حل قضية ما ومدى اتساقه مع نفسه واتساقه مع الحقيقة الخارجية.

ويمكن القول: إنه بتحديدنا للمنظور، وبالتالي تحديدنا للمنهج المنبني عليه يمكن معرفة مدى شمولية ودقة واستيعاب هذا المنظور أو ذاك لمختلف الأبعاد، ومدى قدرة المنهج المنبني عليه على علاج المشكلات المختلفة للقضية أو الظاهرة أو المسألة موضوع البحث والدراسة.

والكتاب الذي بين أيدينا يُعدّ حلقة مهمة في بناء منظور ومنهجية للتعامل مع الآخر الغربي، ذلك أنه يبحث في جذور الغرب الثقافية والمعرفية التي شكّلت ولا تزال تعامُلَه مع غيره، كما يظهر الكتاب الاستعدادات الثقافية التي مكنت الغرب من أن يبلور، بوساطتها صورة عن ذاته، ويشكل صورة مشوهة للآخر لتأكيد ذاته، والتمركز المستعلي على غيره. ويتناول مصادر خطاب السيطرة على البشر بعد السيطرة على الطبيعة، ثم الاستشراق، وأيديولوجية الهيمنة.

محتوى الكتاب

يقع الكتاب في (160) صفحة من القطع المتوسط، متضمناً تصديراً للدكتور طه جابر العلواني، ومقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

في التصدير أشار الدكتور العلواني إلى أن عنوان الكتاب "الاستتباع" يستدعي إلى الذاكرة مجموعة من المفاهيم والمصطلحات سادت في أوساط مثقفي الأمة منذ منتصف القرن الماضي، مثل: الاستعمار، والاستشراق، والاستغراب، والاستكبار،...النظام العالمي الجديد والإرهاب، والأصولية، والظلامية ونحوها.

والكتاب يستدعي هذه المفاهيم لأنه يعالج "حقلاً معرفياً" واسعاً يتصل بكل هذه المفاهيم. وهذا الكتاب يتناول الغرب بتحليل بنائه وأطره المنهجية، ومسلماته المعرفية

(الإبستمولوجية) وفلسفته ونظرياته وقواعده المعرفية، وينقّب عن كيفية تحول الغرب إلى المركزية في رؤيته لذاته وتهميشه للآخرين، بل واستتباعهم.

ويشير إلى الطريقة التي تناول بها العقل المسلم ظاهرة الاستشراق، وأنها كانت دون مستوى الإحاطة بالظاهرة، وانعدام الاهتمام بتحليل البنى المعرفية والأطر المنهجية للاستشراق بوصفه حقلاً معرفياً نشأ في إطار العلم الغربي وفلسفته ونظرياته وأسسه المعرفية، وكان موضوعه الآخر غير الغربي، مستمراً في الشرق المسلم، وأن هذا الحقل المعرفي قد أسس لنفسه علوماً لبناء شبكات في الشرق المسلم، وأن هذا الحقل المعرفي قد أسس لنفسه علوماً لبناء شبكات المفاهيم الجديدة والمنظومات المعرفية المؤطرة في فلسفته (التصدير، 10).

في المقدمة يشير المؤلف إلى عدة أفكار مهمة في سياق معالجته للموضوع، أهمها: التناول الاجتزائي للاستشراق: فيرى الباحث أن الكتابات حول الاستشراق ونتائجه منذ عقدين من الزمن ونيف، وقع معظمها ضحية منظورات اجتزائية لم تضع الاستشراق ضمن النسق المعرفي المؤسسي العام للحضارة الغربية، فهو ليس ظاهرة موازية للنسق المعرفي المؤسسي الغربي المهيمن ولا منقطعة عنه أو عرضية فيه، إنما على العكس استمدت جذورها من هذا النسق بكل مكوناته المعرفية والمذهبية، نسجت خيوطها في كنفه، وتشكّل جزءاً أساسياً في إنشاء نموذج (الدولةالأمة) في الغرب.

طرق الاستعمار في بسط الهيمنة: إذ لم يلجأ الاستعمار في فرض هيمنته ونمط إنتاجه وإملاء شروطه، بوصفها حقيقة وحيدة لازدهار الحضارة دائماً إلى سياسة النهب الخالص وسياسة المدفع السافرة، إنما اعتمد على أساليب أخرى أيضاً في مرحلة ما قبل الاستعمار المباشر، وذلك عن طريق الاتفاقيات التجارية والعسكرية والعلمية مع حكام دول الأطراف وتكوين أنصار وزبائن مفتونين بمبادئه وقيمه ومؤسساته في المجتمعات المحلية، والتسلل إلى الضمائر وتطويعها وتسخيرها لصالحه.

عقدة التفوق الغربي التي تحكم الغرب؛ إذ لكي يستأثر بزمام المبادرة في معالجة التاريخ العالمي يرفض الاعتراف بالقيم والرموز الخاصة بالثقافات المغايرة، أو بفكرة تاريخ متعدد، ويلجأ إلى تقطيع مجتمعات الأطراف إلى شرائح وكيانات قبلية

وطائفيـة، أو عرقيـة وإقليميـة، ويحـوّل تـواريخ الشـعوب إلـى أصـفار علـى هـامش الحضـارة، لا قيمـة لهـا إلا بقدر انـدماجها فـي دائـرة السوق المتمم لحاجـات إنتاجيـة المركز الأوروبي.

الجذور الأيديولوجية والمعرفية للغرب: فالجذور الأيديولوجية للغرب ونظريته المعرفية تأسست ابتداءً من عصر النهضة، ومشروع الغرب يتجه نحو تطوير قيم أخلاقية جديدة متحررة شيئا فشيئاً من الدين لصالح نظرية جديدة عن المعرفة، ممثلة في أولوية المعرفة الموضوعية المستمدة من مجالي التجريب والرياضيات.

ذهنية الصراع والسيطرة على الطبيعة والإنسان التي تحكم الغرب في تعامله مع الشرق، ضمن تراتبية تنطوي على إقامة فوارق جوهرية ثابتة بينه وبين سكان الشرق، وجعل نفسه وصياً وحيداً في تقرير مصائرهم تحت شعار تحرير الوثنيين والكفار "الوحوش" أو "الهمج" من "الظلامية" و"العبودية".

بمقتضى هذه الاستراتيجية راح الغرب يُساوي نفسه مع التاريخ، وله وحده الاستحواذ على مواقع النجاح، ولو على حساب ثقافات وتواريخ الشعوب الأخرى ومحوها.

نشأة (الأنثروبولوجيا) الغربية: فالغرب أنشأ هذا العلم لدراسة إنسان ما وراء البحار بمناهج جديدة تهدف إلى عزله عن كل الظروف الاجتماعية التاريخية، ونكران ما يمثله من قيم ثقافية مغايرة. وحسب منظور (الأنثروبولوجيا) الغربية لم يعد ثمة شيء عقلاني، بالمعنى الحرفي سوى النظرية (الأنثروبولوجيا) "الإنسانية" عن ثقافة الشعوب التي اصطلح على تسميتها "بالبدائية" أو "الوحشية"، ولم يعد هناك من ثقافة سوى ثقافتهم من وجهة نظرهم هذه.

وإذا تم الاعتراف بعظمة حضارات (الغير) فبمقدار استجابتها لمصالح وترميزات المركزية الغربية. (ص 19 – 21).

(إيديولوجيا) الفتح، والتسويغ لخطاب السيطرة: إن الخطاب المسيطر والمؤسس في القرن التاسع عشر، تحالف تحت قيادته الدولة المركزية الدستورية والعلم، والجيش والصناعة والكنيسة حاملة رسالة التبشير، لتوزيع المهام وتقاسم النفوذ ضمن إستراتيجية منظمة روّج لها رواد (أيديولوجيا) الفتح أمثال مونتسكيو وهيجيل وماركس وواينفوغل...

1426/7/30

2005/09/04

المصدر: http://www.islamtoday.net

============

#من سيكسب الجولة..؟

محمد سعد

جولة جديدة لكنها شديدة، من سلسلة جولات يقودها تيار التغريب، وهي الجولات التي يصارعون فيها شريعة الإسلام، بدعوى رفع الظلم الواقع على المرأة في المجتمعات الإسلامية.

جولاتهم السابقة كان فيها شيء من التروي والمواربة والمراعاة لردود الأفعال، أما الجولة الجديدة فقد بدأت سريعة مفاجئة، وجاءت صريحة واضحة، ولم تخرج من قلب العالم الإسلامي هذه المرة، بل خرجت من الغرب نفسه، حيث بدأت هذه الجولة من نيويورك في أمريكا.

خطوة جريئة حقاً، تثير كثيراً من الأسئلة، وتقتضي الوقوف حيالها بالفحص والدراسة.

دعونا أولاً نستعرض ما فعلته هذه المرأة باختصار:

أمينة ودود (أستاذة مادة الدراسات الإسلامية في جامعة فرجينيا كومونولث الأمريكية)، مهدت أولاً بنشر كتاب (القرآن والمرأة)، الذي وضعت فيها أفكارها التي تبنتها وتدعو إليها، وتتلخص في الدعوة إلى مساواة المرأة بالرجل في التكاليف الشرعية، فترى أن من حق المرأة أن تؤم المصلين رجالاً ونساء، وأن المرأة يمكنها أن تصلي في الصفوف الأولى مع الرجال، ولا مانع أن تكون في الصف مختلطة بهم، وأن من حق المرأة أن تؤذن للصلاة وتقيم لها في المساجد، وروجت لهذه الأفكار، ودعمتها منظمات أمريكية تدعو إلى حرية المرأة المسلمة، وتنظم لذلك النشاطات والمؤتمرات، ليكون مقدمة لخطوتها التالية التي دوى صداها في أرجاء العالم.

وفي يوم الجمعة 18 مارس/ آذار، كما أعلنت أمينة ودود من قبل، وتنفيذاً لما بثته من أفكار، اجتمعت هذه المرأة بمن يؤيدها أو فتن برأيها، لصلاة الجمعة في إحدى

الكنائس بسبب تهديدات وصلتها، ورفعت أذان الجمعة امرأة مكشوفة الشعر، وخطبت أمينة ودود الخطبتين، وأمت من وراءها من رجال ونساء مختلطين، وبرزت النساء في الصفوف الأولى، بعضهن متبرجات مكشوفات الشعر لابسات للبنطلون، وكان عدد من صلى وراءها 90 شخصاً تقريباً من الرجال والنساء.

وقد عبّر عن رؤيتهن واعتزازهن بما فعلنه ما قالته بعضهن من أنهن حققن انتصاراً تاريخياً، وإنهن مستعدات الآن لاكتساح باقي أمريكا بلدة بلدة ومدينة مدينة – كما ذكر مراسل قناة الجزيرة ذلك عنهن في تقريره –.

موقف المسلمين في العالم تجاه هذا الحدث كان واضحاً، ففي أمريكا نفسها كان أبرز موقف إسلامي رسمي هو البيان الذي أصدره مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا، واستنكر هذا العمل موضحاً بطلانه، وقد خصص للرد على سؤال ورد حول حكم إمامة المرأة لصلاة الجمعة وإلقائها لخطبتها.

وفي غير أمريكا اتفقت ردود الأفعال، سواء منها ما صدر عن بعض العلماء أو ما كان من بحوث مختصرة في حكم إمامة المرأة أو ما كان صادراً في وسائل الإعلام، على أن ما فعلته هذه المرأة باطل مخالف للأدلة الصحيحة وأقوال جمهور العلماء.

وقفات لا بد منها:

لا أريد هنا البحث في القضية من جانبها الفقهي، فقد نشرت كثير من البحوث والدراسات والفتاوى حولها، ولأن بطلان ما فعلته هذه المرأة ومن معها لا يخفى، وإنما أرى – مع هذا– من الأهمية بمكان طرق الجوانب الأخرى، فليست القضية مجرد مخالفة فقهية أو مجرد بدعة فعلها هؤلاء، ينتهي أثرها ببيان حكمها الفقهي فحسب، بل أرى الأمر أكبر من ذلك، فما حدث لا بد أن ننظر إليه في سياقه الكبير، فهو جزء من مخطط كبير، وجولة من جولات يتم سحب المسلمين للدخول فيها بطريقة ماكرة.

لو عقدنا مقارنة بين ما فعلته أمينة ودود وما حدث في نشأة حركة تحرير المرأة لتبين لنا الخطر، فقد نشأت حركة تحرير المرأة مجرد أفكار نشرت في بعض الكتب، وكذلك فعلت أمينة ودود بنشرها أولاً كتابها (القرآن والمرأة)، لكنها ركزت على قضية جديدة للجولة الجديدة وهي المساواة بالرجل في التكاليف الشرعية، أما الكتب التي

أسست لظهور حركة تحرير المرأة فكانت تركز على الحجاب، وهي كتاب (المرأة في الشرق) تأليف مرقص فهمي المحامي، نصراني، دعا فيه إلى القضاء على الحجاب وإباحة الاختلاط وتقييد الطلاق، ومنع الزواج بأكثر من واحدة، وإباحة الزواج بين النساء المسلمات والنصارى. وكتاب (تحرير المرأة) لقاسم أمين، نشره عام 1899م، زعم فيه – أرجو أن تنتبه هنا– أن حجاب المرأة السائد ليس من الإسلام، وقال: إن الدعوة إلى السفور ليست خروجاً على الدين –وهذه حجج أمينة ودود لكنها في إمامة المرأة للرجال وصلاتها في الصفوف الأولى وغير ذلك مما ذهبت إليه– ، كتاب (المرأة الجديدة) تأليف قاسم أمين أيضاً – نشره عام 1900م ضمنه أفكار الكتاب الأول، لكنه استدل فيه على أقواله وادعاءاته بآراء الغربيين. مجلة السفور التي صدرت في أثناء الحرب العالمية الأولى، من قبل أنصار سفور المرأة، وكانت تركز دعوتها على السفور والاختلاط.

ثم جاء وقت التنفيذ، وتم اختيار التوقيت بدقة، كما فعلت أمينة ودود التي رأت أن الأجواء العالمية مناسبة لتنفيذ مخططها، حيث افتقد المسلمون الهيبة، وتفرقت فيهم الكلمة، وكذلك خططت نور الهدى محمد سلطان التي اشتهرت باسم هدى شعراوي (نسبة لزوجها علي شعراوي كما يفعل الغرب) من قبل، فقادت النساء في ثورة سنة 1919م في مصر، وبدأت حركتهن السياسية بالمظاهرة التي قمن بها في صباح يوم 20 مارس سنة 1919م، وحانت ساعة التنفيذ حينما نزع سعد زغلول عن وجه هدى شعراوي الحجاب أمام الحاضرين عند استقباله في الإسكندرية بعد عودته من المنفى، واتبعتها النساء فنزعن الحجاب بعد ذلك.

إذن هي خطة مدروسة، استفادت منها أمينة ودود تحاكي فيها السافرة الأولى هدى سلطان (المعروفة باسم هدى شعراوي)، وتريد أن تكسب الجولة كما كسبتها.

إذن القضية منتقاة – كما سيأتي – والوقت مختار بدقة، والمكان مناسب لاستيعاب الحدث، كان المكان مناسباً لهدى شعراوي، فمصر وقتها كانت تحت الاحتلال الإنجليزي مما يعني وجود التضييق على العلماء وكبتهم، وفتح الباب لحركات التغريب، وكذلك كان المكان مناسباً لأمينة ودود، فهي في أمريكا أرض الانحلال والتمرد على كل شيء، والوقت مناسب تماماً، حيث اشتدت الحرب على الإسلام من

كل جانب، وتتزعم أمريكا حرب الإسلام، وتؤيد وتدعم تيارات التغريب، وتسعى لتغيير الشريعة وتحريفها بشتى الوسائل.

أما موضوع القضية وهو مساواة المرأة بالرجل في التكاليف الشرعية – وهذا من أشد ما في الحدث من جوانب خطيرة– ، فقد تم اختيار قضية خطيرة جداً، لها جوانب عديدة وكأنهم يريدون – كما يقال – ضرب عصفورين بحجر واحد، فلماذا تم اختيار هذه القضية؟

إذا سلطنا الضوء على الآثار المترتبة على هذه القضية؛ سيظهر لنا لماذا تم اختيارها، ولنعرض تلك الآثار فيما يأتي:

أولاً: في جانب الدليل الشرعي:

هذا العبث سيؤثر تأثيراً خطيراً في نفوس بعض الناس في مكانة الدليل الشرعي الذي يُبنى عليه الدين، ويجرئ أصحاب الأهواء على التلاعب به، فمهما جئت لهم بعدها مثلاً بدليل صحيح قوي الدلالة أجمعت عليه الأمة فلن يكون له صدى في قلوبهم، ولن يردعهم عن باطل وقعوا فيه، كما فعلت هذه المرأة، حيث:

– عبثت بالنصوص الشرعية، فأعملت منها ما ظنته يوافق هواها، وتركت وأبطلت العمل بما لا يخدم رأيها.

– أهدرت قيمة علوم الاستنباط وقواعده التي هي آلة استنباط الأحكام الشرعية، فما توصلت إليه لا علاقة له بأصول الفقه؛ مما يجرئ غيرها على تفسير النصوص بالهوى دون ضابط ولا قواعد.

– خلطت وأضاعت مراتب الاستدلال، وأهدرت قوة الدليل من حيث صحته، ومن حيث دلالته.

– استهترت بمكانة العلماء، وأقوالهم، حيث انفردت بأفكارها، وشذت بها عن عموم المسلمين، ولم تحسب لعلماء الأمة أو لمجامع العلم حساباً، ولم تعرض أفكارها على من هم أعلم منها.

ثانياً: في جانب تغريب المرأة:

فهذه الخطوة جاءت هذه المرة كبيرة وواسعة، ستختصر لو أصروا عليها خطوات وجولات كثيرة كانوا لا يحلمون بإنجازها؛ لأن العائق الأكبر أمامهم هو الدليل

الشرعي وهيبته في النفوس وهيبة العلماء ومجامع الفقه والعلم، فحين تأتي خطوة تحطم ذلك مرة واحدة وتزيحه من أمام مخططاتهم فسوف توفر الكثير من الوقت والعمل؛ لأن ما بعد ذلك أمره سهل؛ لأنها ستكون مجرد عادات وتقاليد، يكفي لتغييرها بعض البرامج والأغاني والفيديو كليب والأفلام والأقلام.

وما داموا قد حققوا مخططاتهم في العبادات، فتحقيقها في غيرها من جوانب الحياة سيكون سهلاً.

ثالثاً: في جانب تأصيل هذا التيار التغريبي وتوسيعه:

فهذه الخطوة لا شك ستؤدي إلى توليد دافع حركي كبير في نفوس أتباع هذا التيار في بلاد المسلمين، مما يعني وجود احتمال – بدعم أو بغير دعم – لتكرار ما حدث في أمريكا، ولا شك أن ذلك سيسبقه دراسة للمكان والزمان حتى تنجح المحاولة وتنتشر، بمعنى أن يتم اختيار الدول التي غلب فيها التوجه العلماني لضمان وجود الحماية والتأييد من الجهات المشابهة.

مناقشة سريعة:

ما علاقة العلم بارتداء المرأة للحجاب الإسلامي، وبعدها عن الاختلاط بالرجال؟! وما الذي يمنع أن تتعلم المرأة فتكون أستاذة أو دكتورة أو مفكرة أو أديبة وهي ترتدي الحجاب وتتمسك بأحكام الشريعة الإسلامية! كما هو واقع كثير من المسلمات الفاضلات في هذا العصر، وهل عدمت القرون الماضية في بلاد الإسلام وجود العالمات والأديبات والشاعرات والحافظات لكتاب الله _تعالى_ وهن يرتدين الحجاب ويلتزمن بأحكام دينهم! إنها – دعوى تحرير المرأة من الحجاب– إذن دعوى باطلة وخدعة لن يقع فيها المسلمون _بإذن الله تعالى_.

إن وجود ظلم للمرأة (ولا أعني ما يقصدونه زوراً وبهتاناً من ارتداء المرأة للحجاب وبعدها عن الاختلاط) في المجتمعات المسلمة ليس سببه شريعة الإسلام؛ لأن الإسلام دين الحق والعدل، ولا نحتاج إلى أن ندافع عنه بالقول: إنه أنصف المرأة؛ لأن من رضي بالإسلام ديناً لم يحتج عموماً إلى إثبات هذه البديهية الواضحة، وإن احتاج بعض الناس إلى التذكير بها وبيانها.

أما وجود ظلم للمرأة في مجتمعات المسلمين، فهو كما يقع بالمرأة قد يقع بغيرها، كما يحدث في غيرها من المجتمعات البشرية، وهذا من فعل البشر وتقصيرهم، ومن ثم فعلاج الظلم لا يكون بهدم الشريعة، وتحطيم قواعدها، وإهدار أقوال العلماء، وإعلان المعارك والحروب على المجتمع؛ لأن من يفعل ذلك فأحسن ما يوصف به أنه جاهل، وإلا فهو متغرب يسعى لتغريب المجتمع أو مجنون يعبث بهويته وقيمه ومجتمعه. وإنما يكون علاج المشكلات بالدراسة والبحث وتقديم الحلول المبنية على الشرع، كما يحدث في كل مشكلة أو أزمة يواجهها المجتمع.

علاج كل ظلم هو اتباع أحكام الإسلام والتمسك بها؛ لأنه هو العدل الذي لا عدل بعده، قال _تعالى_: "وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " (الأنعام: 115)، قال في التفسير الميسر: "وتمت كلمة ربك –وهي القرآن– صدقًا في الأخبار والأقوال، وعدلاً في الأحكام، فلا يستطيع أحد أن يبدِّل كلماته الكاملة، والله _تعالى_ هو السميع لما يقول عباده، العليم بظواهر أمورهم وبواطنها" . وقال _سبحانه_: "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ" النحل: 89. وقال _عز وجل_: "فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ " (الزخرف: 43).

ولماذا لا يدافع هؤلاء عن حق المرأة في ارتداء الحجاب، ولو من باب وصفه بالحرية الشخصية، وذلك حين تمنع المسلمات المحجبات من حقهن في التعليم والتوظيف كما في تركيا، أو يمنعن أو يضيق عليهن في الكليات والمؤسسات والتوظيف كما في بعض البلاد العربية وغيرها، ويمكنك أن تراجع أمثلة كثيرة من الظلم الواقع المستمر بحق المرأة الملتزمة الحجاب، ومن أشهر ذلك المرأة التي طردت من البرلمان التركي لارتدائها الحجاب، والمرأة التي فصلت من وظيفتها في شركة طيران عربية لتمسكها بتغطية شعرها، والمستبعدات من ممارسة التدريس؛ لأنهن يرتدين الحجاب، وتمارس عليهن الضغوط والتهديدات الأمنية وغير ذلك من الظلم. لماذا لا ينادون برفعه عن المرأة المسلمة التي تريد التمسك بدينها لو كانوا صادقين في دعوى رفع الظلم؟!

خطوات عملية في المواجهة:

تيار التغريب أخذ يشتد في حربه لتعاليم الإسلام وأحكامه، مستغلين ضعف الأمة، والأوقات الحرجة التي تمر بها، وهوانها أمام عدوها، وسهولة التواصل والتأثير في الناس عبر وسائل الإعلام المفتوحة لهم ليل نهار، لذا فمواجهته لا يجدي فيها الاكتفاء بإصدار البيانات، وإنما تحتاج المواجهة إلى دراسات وبحوث، ومؤتمرات، لاتخاذ الأساليب المناسبة لاستئصال هذا الورم الخبيث من الأمة؛ لأنهم يرونها معركة يخوضونها ويتخذون لها أسباب القوة، خذ مثلاً كتاباً صدر في مصر، وطبع في سلسلة كتاب الأسرة واسعة الانتشار عام 2004م، باسم (معركة المرأة المصرية للخروج من عصر الحريم)، وهو مجموعة مقالات جمعتها المؤلفة مما نشر عبر منذ بدء حركة تغريب المرأة المسلمة تدعو كلها إلى تغريب المرأة، تقول إحداهن في مقال بعنوان (المساواة)، نشر سنة 1946م: (المساواة حق للمرأة ...ولا يمكن الحصول على هذه الحقوق إلا بالقوة . إن الغاصب لا يفكر في رد الحقوق المغتصبة، فيجب أن نأخذها بالقوة...)، وهذا التيار يستند اليوم واقعياً إلى القوة، عبر استغلال الضغوط الخارجية التي تمارس على الدول الإسلامية لتغيير مناهج التعليم، وتعديل قوانين الأحوال الشخصية، وتعديل أحكام الختان والتبني والحضانة وحرية الانحلال... إلخ.

فأرى أن تكون هناك أمام الباطل وقفة حق قوية يسمع بها الداني والقاصي – كما سمع بباطل تلك المرأة وغيرها الداني والقاصي – على المستوى الرسمي وغير الرسمي للمؤسسات الدينية في العالم الإسلامي، مع إبراز موقف المسلمات العالمات المتخصصات في علوم الشريعة، يبين فيها موقف الأمة مما فعلته هذه المرأة من ضلال، ويحذر من فعلها، ويبين موقف الأمة من تيارات التغريب التي تهدف إلى مسخ المرأة المسلمة، ويكشف حقيقة أهدافها التي يغلفونها بأغلفة براقة، ليرتدع كل من تسول له نفسه العبث بالدين، ويعلم أن الأمة وإن ضعفت قوتها حيناً فهي قوية في دينها، معتزة بقيمها، مستمسكة بشريعة ربها.

1426/3/1

المصدر : http://www.almoslim.net

===========

#القسطية لا الديمقراطية

أ. د. جعفر شيخ إدريس

الديمقراطية هي الفتنة الجديدة التي ابتلي بها المسلمون، بل الناس عامة. وزاد من الافتتان بها أن الولايات المتحدة، ولا سيما في عهد رئيسها الحالي، جعلت نشرها من أكبر أهدافها التي تنفق في سبيلها الأموال الطائلة وتقيم الحروب الطاحنة، وجعلت الالتزام بها هو معيار تقدم الأمة واستحقاقها لصداقة الولايات المتحدة، أو هكذا

ومما جعل مناقشتها مع مؤيديها والدعاة إليها والراضين بها من المسلمين أمراً صعباً أنه لم يعد لها معنى واحد عند الداعين إليها. بل صارت تشير إلى معان عدة يختار كل واحد منهم ما شاء منها، ولا يدري أن صاحبه يشير بالكلمة إلى معنى غير المعنى الذي يقصده هو.

هذا الاختلاف في مفهوم الدمقراطية أمر يشكو منه كبار منظِّريها وفلاسفتها المعاصرين؛ فهذا أحدهم يقول ما ترجمته: هنالك ميل إلى وصف النظام بالديمقراطي فقط لأننا نوافق عليه. ولكننا عندما نفعل ذلك إنما نتحدث عن آرائنا لا عن النظام.

ويقول: المعتقد عموماً أن «الدمقراطية» عبارة صارت تستعمل استعمالاً واسعاً جعلها كلمة غامضة، بل كلمة لا معنى لها. إن كل شكل من أشكال التنظيمات في المجال السياسي (بل وغير السياسي) أصبح يوصف بالدمقراطية أو الدمقراطي(1).

سنحاول فيما يلي مناقشة صلة الدمقراطية بالإسلام بحسب المعاني المختلفة التي يقصدها أنصارها من المسلمين؛ لأن الإنسان إنما يسأل عن المعنى الذي قصده من عبارته، حتى لو كان استعماله للعبارة خطأ.

وقد أدرنا الحوار في مسائل الدمقراطية هذه بين مسلميْن يدعو أحدهما إلى نظام سياسي إسلامي خالص يسميه القِسْطِيَّة، وآخر من دعاة الدمقراطية.

يبدأ القِسْطي الحوار بقوله: دعونا نتفق أولاً على ما نعنيه بالقسطية، وما نعنيه بالدمقراطية. أما القسطية فهي كما يدل عليها لفظها الحكم بالقِسْط. والحكم بالقسط هو الحكم بما أنزل الله – تعالى –. وما أنزل الله يشمل الأحكام الجزئية التي تدل عليها الأدلة التفصيلية من كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم –، ويشمل المبادئ الأساسية التي يسميها الفقهاء بكليات الشريعة التي تقرر فيما تقرر أن كل

ما حقق القسط فهو من شرع الله، فتفتح الباب واسعاً للاستفادة من كل تجربة بشرية نافعة أياً كان مصدرها.

وإذا كانت القسطية هي الحكم بما أنزل الله؛ فإن الدمقراطية هي الحكم بما يراه الشعب. هذا هو معناها الذي يدل عليه لفظها، وهو المعنى المتفق عليه بين منظِّريها. حكم الشعب معناه أن الشعب صاحب السيادة العليا في المسائل التشريعية، وأنه لا سلطة فوق سلطته التشريعية، وعليه فإن كل ما حكم به فيجب أن يكون هو القانون الذي يخضع له كل مواطن من مواطني القطر الذي اختار الدمقراطية نظاماً سياسياً له.

لا يمكن لإنسان يدعي الإسلام ويعرف معناه أن يؤمن بالدمقراطية بهذا المعنى؛ لأنه إيمان يتناقض تناقضاً بيناً مع أصل من أصول الإيمان التي جاء بها دينه، والتي تؤكدها كثير من آيات الكتاب وأحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم –. من ذلك قوله – تعالى –: {وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: 49 – 50]. {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا} [النساء: 60 – 61]، {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا} [النساء: 105]، {إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} [يوسف: 40].

ماذا تعني أنت بالإسلام، وما ذا تعني بالدمقراطية؟

ـ الدمقراطي: أما الإسلام فأظننا متفقون على معناه، وأما الدمقراطية؛ فأنا لا أعني بها ما ذكرت. هل تتوقع من إنسان مسلم أن يقول إن من حق الناس أن يشرعوا تشريعات لم ياذن بها الله؟

. ماذا تعني بها إذن؟

. لقد عانت الشعوب العربية كثيراً من الحكم الفردي الدكتاتوري. فالذي أريده هو أن يستبدل بهذا الحكم حكم دمقراطي يكون من حق الشعب فيه أن يختار حكامه في انتخابات حرة نزيهة، وأن يحاسبهم، وأريده أن يكون حكماً يلتزم بما يسمى بحكم القانون فلا يفرق بين الناس في المعاملة، وأن يكون حكماً يستمتع الناس فيه بحقهم في الحرية، حرية التعبير، وحرية الحركة، وحرية تكوين الأحزاب والجماعات، وأن يكون حكماً يتميز بتداول السلطة، وأن يكون حكماً شفافاً لا تحاك الأمور فيه في الظلام بل تُعرض على الناس ليقولوا فيها رأيهم. فحكم الشعب في رأيي ليس المقصود به المقابلة بين ما يراه الشعب وما يحكم به الخالق – سبحانه –، وإنما المقصود به حكم الشعب في مقابلة حكم الفرد.

. الاستعمال الصحيح للكلمات هو أن يقصد بها المعنى المتفق عليه بين مستعمليها، ولا سيما المختصين منهم بالأمر. فاستعمالك لكلمة الدمقراطية بهذا المعنى المحدود هو استعمال غالط؛ لأنه إذا كانت الدمقراطية هي حكم الشعب، لزم عن ذلك منطقاً أن كل ما ليس بحكم للشعب فليس بحكم دمقراطي، سواء كان الحاكم به فرداً أو مجموعة من الأفراد، وحتى لو كان هو الخالق – سبحانه –.

لكنني تمشياً مع المبدأ الذي ذكرته ساناقشك في الدمقراطية بحسب فهمك الغالط هذا لها، فأقول لك: إن كل هذا الذي ذكرته هو من مبادئ الحكم التي اختارها الغربيون، فصارت الدمقراطية في نظرك ليست حكم الشعب، ومنهم شعب بلدك، وإنما هي حكم الشعب الأمريكي أو الإنجليزي.

لقد تداول مفكرو الشعب الأمريكي وممثلوه مثلاً الرأي في نوع الحكم الذي يرونه صالحاً لبلادهم، وتأثروا في اختيار ما اختاروه بكبار الفلاسفة والمفكرين الأوروبيين، كما تأثروا بتاريخهم وقيمهم الدينية وغير الدينية، ثم اتفقوا بأغلبيتهم على وضع دستور يضمن تلك المبادئ. أما أنت فلا تريد لأمتك أن تفكر كما فكروا، بل تريد لها أن تكون أمة مقلدة تأخذ ما توصل إليه أولئك الأصلاء وتطبقه على بلدك مهما كان الاختلاف بينكم وبينهم.

ـ أنا لا أقول بما قلتُ؛ لأن الغربيين قالوا به، وإنما أقول به لأن تلك المبادئ الدمقراطية التي ذكرتها مبادئ إنسانية تصلح لكل البشر في كل زمان ومكان.

ـ هذا أولاً ليس بصحيح؛ فقد كان معظم المفكرين الغربيين ضدها، ولم تلقَ هذا القبول والشعبية إلا بعد الحرب العالمية الثانية؛ فهل تقول: إن الناس لم يكتشفوا شيئاً هو من لوازم بشريتهم إلا قبل من مئة عام؟ ثم إن المبادئ التي ذكرتها ليست من لوازم الدمقراطية بمعنى حكم الشعب، وليست من المتفق عليه بين كل الشعوب التي اخذت بالنظام الدمقراطي.

. هل تتكرم بذكر أمثلة لما ترى أنه ليس من لوازم الدمقراطية؟

. قد تستغرب إذا قلت لك إن النظام الحزبي ليس من لوازم الدمقراطية، وأن بعض من يسميهم الأمريكان بالآباء الذين صاغوا دستورهم كانوا ضدها وكانوا يعدُّونها مما يُذْكي الخلاف بين الناس ومما يؤدي إلى الفساد. ولذلك لا تجد لها ذكراً في دستورهم. وقد يزيد استغرابك إذا قلت لك إنه حتى الانتخابات ليست من لوازم الدمقراطية. إن كل ما تتطلبه الدمقراطية هو أن يختار الناس من يحكمهم. أما أن يكون الاختيار بهذه الطريقة المعينة؛ فليس من لوازم الدمقراطية.

. كيف يكون الاختيار إذن؟

ـ لقد كان الأثينيون يختارون المسؤولين بالاقتراع. ويرى بعض المفكرين الماركسيين اليوم أن طريقة الاقتراع أقرب إلى فكرة الدمقراطية التي تساوي بين الناس وتفترض أن كل واحد منهم من حقه أن يكون حاكماً، وهم يرون أن الانتخابات لا تحقق هذه المساواة؛ لأنها تفتح الباب لتأثير المال وتأثير الإعلام والدعايات، ويستدلون على عدم المساواة هذه بالنسبة الكبيرة للرجال في مقابل النساء، وبالنسبة الكبيرة لمن له مال، أو لمن تخرَّج في الجامعات في مقابل طبقات العمال والمزارعين والعامة. ولو كنت ممن يؤمن بالدمقراطية لاتفقت معهم.

. ننتقل إلى موضوع آخر. ألا ترى في الدمقراطية ما يتوافق مع الإسلام؟

. بلى فيها الكثير مما يتوافق مع الإسلام.

ـ فلماذا إذن لا نقول إن الدمقراطية التي نريدها هي هذه المبادئ الدمقراطية التي تتوافق مع ديننا؟

. لأنني لا أريد أن أنسب إلى الدمقراطية فضلاً ليس لها. فإذا كان ديني هو السابق إلى تلك المبادئ الحسنة؛ فلماذا أنسبها إلى الدمقراطية؟

. تنسبها إليها فقط؛ لأنها تتوافق معها.
ـ إن في النصرانية واليهودية الكثير مما يتوافق مع الإسلام مما هو أهم من تلك المبادئ السياسية التي ذكرنها، فهل نقول إن الإسلام نصراني أو يهودي؟
ـ هل تعني أن علينا أن لا نستفيد من تجارب غيرنا، وأن نغلق الباب دون كل فكر حديث وتجربة حديثة؟
ـ أنا لم أقل هذا، بل قلت لك: إن مثل هذه الاستفادة هي من لوازم الحكم بالقسط. لكنَّ هنالك فرقاً بين أن ألتزم بديني، ثم أستفيد من تجارب الآخرين فأضع كل جزئية استفدتها في إطاري الإسلامي، وبين أن أستبدل بإطاري الإسلامي إطاراً آخر، ثم أضع فيه ما يناسبه مما هو في ديني. وهذا الأخير هو ما تدعونا إليه أنتم معاشر الداعين إلى الدمقراطية.
. نسيت أن أسألك: ما المبادئ الدمقراطية التي ترى أنها تتوافق مع الإسلام؟
. منها: مبدأ حق الأمة في اختيار حكامها؛ فيكفيك فيه هذه القصة التي أوردها الإمام البخاري في صحيحه والتي سنجتزئ كلمات منها لضيق المجال. قال عبد الرحمن بن عوف لابن عباس وهم في منى: «لو رأيت رجلاً أتى أميرَ المؤمنين اليوم، فقال: يا أمير المؤمنين! هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً؟...... فغضب عمر، ثم قال: إني إن شاء الله لقائم العشيةَ في الناس فمحذرهم من هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم(1)................ من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تَغِرَّة(2) أن يُقْتَلا»(3).
ومنها المبدأ المسمى بحكم القانون، فيكفيك فيه قول الله – تعالى –: {وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} [المائدة: 8]، وقوله – تعالى –: {فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} [الأنعام: 152].
وقول الرسول – صلى الله عليه وسلم –: «يا أيها الناس! إنما ضل مَنْ كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد. وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»(1).
ومنها مبدأ الإباحة الذي يسمى الآن بالحرية؛ فإن المبدأ الإسلامي يقول: إن الأصل في الأشياء الدنيوية هو الإباحة. فالإنسان يتحرك ويتكلم، ويأكل ويشرب، ويبيع

ويشتري حتى يقول له الدين: لا تفعل كذا أو كذا. وإذا كان الإسلام قد جعل الدعوة إلى الله – تعالى – أعظم مهمة يقوم بها بشر، وإذا كان قد جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الصفات المميزة للمسلم؛ فكيف لا يبيح له أن يعبر عن نفسه؟ لكنها حرية في إطار القِيَم والأحكام الإسلامية كما أن الحرية في البلاد الغربية الدمقراطية هي في إطار قيمهم وقوانينهم.

ومنها ما صار يسمى بالشفافية. هل رأيت دليلاً عليها أصدق من أننا ما نزال نعرف كل ما دار من كلام بين المسلمين في الشؤون العامة في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – وفي عهد خلفائه الراشدين، بل نعرف كثيراً مما دار حتى بعد تلك العهود؟ ألسنا نعرف ما دار في اجتماع المسلمين لاختيار خليفة للرسول – صلى الله عليه وسلم –؟ ألسنا نعرف ما دار بينهم في أمر قتال المرتدين؟ ألسنا نعرف كيفية اختيارهم للخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه؟

ـ إذا كان الأمر كذلك؛ فلماذا تخلَّف المسلمون في عصورنا هذه في هذه الأمور؟ ولماذا عمت بلادهم إلا قليلاً الحكومات الاستبدادية؟

ـ هذه قصة طويلة لعلنا نناقشها في مناسبة أخرى. أما الآن فيكفي أن أذكِّركم بأن الدين إنما هو هداية وتوجيه، وأوامر ونواه؛ فليس فيه هو نفسه ما يجبر الناس على تطبيق ما يؤمرون به. فإذا كان هنالك من خطأ فهو في الناس وليس في دين الله. ثم إذا كان الناس لم يلتزموا بهذه المبادئ وهم يعلمون أنها من دين الله؛ فهل تظن أنهم سيلتزمون بها لأنها أتتهم من الغرب؟ إنه لا بد من عمل لإصلاح الأمة لتتقبل هذه المبادئ وتضحي في سبيلها.

. نحن ندعو إلى الدمقراطية؛ لأن فيها من الآليات ما يحول دون هذا الانحراف؟

ـ كلاَّ، ليس فيها شيء مما تتوهم، بل إن مفكريها يعترفون بأن النظم لا تصلح إلا بصلاح الأمم. وما يقال عن الإسلام يقال أسوأ منه عن الدمقراطية؛ فليس فيها ما يجبر الناس على الالتزام بكل مقتضياتها، ولذلك فإن أسوأ دكتاتور عرفه الغرب إنما جاء بانتخابات حرة، أعني هتلر، كما أن كثيراً من الحكومات المنتخبة كانت حكومات فاسدة. بل إن أكبر القرارات والسياسات الظالمة كانت في عصرنا هذا نتيجة قرارات دمقراطية لا شك في دمقراطيتها. فاستعمار الغربيين لكثير من بلدان

العالم بما فيها البلدان الإسلامية كان نتيجة قرارات دمقراطية، وغزو أفغانستان ثم العراق وقتل الآلاف المؤلفة من الأبرياء وتخريب البلاد كان نتيجة قرارات دمقراطية لا يرتاب أحد في دمقراطيتها. فإذا كان ما حدث في العالم الإسلامي إنما يعزى إلى البشر لا إلى الدين؛ فإن كثيراً مما حدث في البلاد الغربية إنما كان شيئاً يأذن به المبدأ السياسي الذي يدينون به.

. كل هذا صحيح لا يماري فيه منصف. لكن أظنك تسلِّم معي بأنَّ هنالك شيئاً يُعزى إلى الدين نفسه.

. ما هو؟

. إن الإسلام يقر مبدأ اختيار الأمة لحاكمها، ولكنه لم يلزم المسلمين بطريقة معينة لاختيار الحاكم.

ـ وكذلك الأمر في الدمقراطية. إنها إنما تقول إن الحكم للشعب، وهذا يقتضي أن يكون الشعب هو الذي يختار حكامه. لكن ليس فيها ما يقول إن الحكام أو النواب يجب أن يُختاروا بالطريقة الفلانية. ولذلك فإنهم يختلفون في ما ينهجون من وسائل لاختيار حكامهم.

. لكنها كلها تقوم على مبدأ الانتخابات.

. نعم لكن هذه هي الطريقة التي رأى الغربيون أنها مناسبة لهم في عصرهم هذا وفي ظروفهم هذه، وليست الطريقة التي تلزمهم بها الدمقراطية. والمسلمون يستطيعون أن يختاروا لأنفسهم من الوسائل ما يحقق مبدأ اختيارهم لحكامهم ذاكرين أن الحاكم في الإسلام إنما يُختار ليحكم بما أنزل الله لا برأي من انتخبوه، ملتزمين في ذلك بمبدأ الشورى كما أشار إلى ذلك الإمام ابن حجر في كلمته التي نقلناها آنفاً. إن عدم تحديد الإسلام للطريقة التي يُختار بها الحاكم هي من محاسنه لا من نواقصه؛ لأن هذه الطرق تتأثر بالظروف والملابسات التي تتغير بتغير الزمان والمكان. ولذلك فإن الغربيين حتى مع اتفاقهم على مبدأ الانتخابات وجدوا أن للانتخابات صوراً شتى تختلف نتائج كل واحدة منها عن الأخرى، ولذلك اختلفوا في ما يتبنون منها. ولا داعي للدخول في تفاصيلها؛ فهي أمور معروفة.

ـــ

(*) رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة.

(1) Barry Holden، Understanding Liberal Democracy، Philip Allan، Londeon، 1988، p2.

(1) قال الإمام ابن حجر «والمراد أنهم يثبون على الأمر بغير عهد ولا مشاورة. وقد وقع ذلك بعد على وفق ما حذره عمر رضي الله عنه».

(2) تَغِرة: فسرها الإمام ابن حجر بقوله: أي حذراً من القتل... والمعنى: أن من فعل ذلك فقد غرَّر بنفسه وبصاحبه وعرَّضهما للقتل.

(3) كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت.

(1) رواه البخاري في كتاب الحدود من صحيحه من حديث عائشة – رضي الله عنها –.

{وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [المائدة: 42]

المصدر: http://www.albayan-magazine.com

=============

#حرية الفكر في شراك الاستبداد

علاء الدين الجنكو

ليس هناك عاقل يسمح لنفسه أن يتهم وزارة الصحة أو الداخلية أنها متخلفة ومتحجرة لمعاقبتها لمن يستورد بضاعة بغير المواصفات المطلوبة، كأن يكون تاريخ صلاحيتها منتهية، فما بالك إذا كانت فاسدة؟

نعم هذا إجراء سليم للحفاظ على صحة المواطنين وسلامتهم الجسمية وهذا أمر ضروري جداً، وكذلك حماية الضرورات الخمس مهمة جداً، تلك التي لا حياة للإنسان بدونها ألا وهي: الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، فهي التي تقف حياة الإنسان عليها، لذا جاء الإسلام بما يضمن الحفاظ عليها.

وليس المقام لبيان الأدلة التي جاء الإسلام بها، وإنما يهمنا هنا هو ضرورة الحفاظ على الدين والعقل، فكل منهما مرتبط بالآخر في موضوعنا، لاسيما وأن الدعوة إلى إعمال العقل وعدم الحجر عليه قد ظهرت من جديد؛ ليكون عنواناً لأمر خطير يتضمنه ألا وهو المروق من الدين بشعارات براقة، وكلمات حق يُرَادُ بها باطل.

فهل يا ترى أصحاب هذه الدعوة يتطلعون إلى حرية الفكر أم حرية الكفر؟

حرية التفكير في الإسلام:

حرية الفكر هي إعمال العقل في بحث المقدمات، وتمحيص واستخلاص النتائج بعد النظر والاستدلال، وفهم القواعد والنصوص، وهذا المفهوم للحرية الفكرية دعا إليه الإسلام، بل أجزم يقيناً بأنه ليس هناك من يدعو إليها كما يدعو الإسلام، حتى جعلها فريضة يجب على الإنسان أداؤها، ويأثم لتركها، فقد دعا الإسلام إلى النظر في الكون فقال تعالى: ((قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا))، وقال تعالى: ((قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ))، وقال تعالى: ((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)).

كما رفض الإسلام الظن وعدم التيقن في المعرفة، وحمل على الذين يتبعون الظن والأوهام حملة عشواء فقال تعالى: ((وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنْ الْحَقِّ شَيْئاً))، كما حمل على الذين يقلدون آباءهم ورؤساءهم التقليد الأعمى بل وجعلهم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً فقال – تعالى– مبيناً حال الكفار الذين يقولون: ((وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ))، وقال – تعالى– في حالهم أيضاً: ((إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ))، وقال – تعالى–: ((وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً)). ثم دعا الإسلام إلى الاستدلال وإثبات الحقائق بالبراهين فقال – تعالى–: ((قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ)).

الحرية المظلومة:

لكن حرية التفكير كثيراً ما تستخدم لخداع الأجيال وتدميرها، وصرفها عن أصولها، وإبعادها عن مسارها الصحيح، وتشكيك العوام من الناس في مواريثها.

نعم يريد أصحاب الحرية المزورة تشكيل أفكار مخصوصة؛ حتى تتبدد رسالة الأمة، وتتلاشى وتتفكك مع الأيام، ومن هنا كانت أحياء أفكار وشبهات ماتت من جديد بادعاء أنها تدخل في نطاق حرية التفكير، إن تباين الأفكار واختلافها ضرورة فكرية، ولن يخلو تاريخ الإنسانية منها في أي فترة من فتراتها، ولكن أن تصل الفوضى

الفكرية بادعاء الحرية الفكرية إلى حد النيل من العقائد والمقدسات فهذا أمر مرفوض غاية الرفض، ومن المؤسف جداً أن نرى بعض المفكرين المعاصرين من يدافع عن تلك السخافات حتى أصبحت حرية الفكر عندهم تصل إلى ذروتها وقمتها عندما ينال الكاتب من الدين والثوابت، وهو ما حصل بالفعل مع سخافات سلمان رشدي، وتسليمة نسرين، وغيرهم من صعاليك الأدب كما قيل عنهم، كما شد انتباهي الوقفة الصامدة من أولئك مع رواية حيدر حيدر التي لا أتعجب أن يُمْنَحَ جائزة نوبل للأدب يوماً من الأيام على أسخف وأسقط ما قرأت في حياتي، ولولا ضرورة قراءتي لها – حتى لا يدعى أحد أني أحكم عليها من غير قراءتها – لما ضيعت وقتي الثمين مع رواية نجَّسَت الورقة والقلم.

ومن هنا خرجوا!!

بعد أن وضعوا الحبال في عنق لينين في عقر داره، وخروا به أرضاً ليعلن الروس بذلك نهاية عهد من الحكم الشيوعي، وبداية عهد الثمار المجنية من ذلك الحكم، والتي جعلت من روسيا مسرحاً لأكبر العصابات والمافيات ومؤسسات غسيل الأموال في العالم، هذا ما حصل في مهد الشيوعية.

أما الشيوعيون والماركسيون في البلاد الإسلامية فقد باتوا كذيل الأفعى عندما تقطع رأسها، الأمر الذي أدى بهم أن يسلكوا إحدى الاتجاهات التالية:-

- طائفة بقيت صامدة وثابتة تحمل الأفكار الشيوعية.
- طائفة تخلت عن كل ما كانت تعتقده من أفكار، وجلست في بيتها تاركة كل شيء.
- طائفة تخلت عن كل مبادئ الشيوعية لتنقلب رأساً على عقب لتحمل الأفكار الرأسمالية المتعلقة بتبني مبادئ الديمقراطية بعد أن كانت تعتبرها وسيلة من وسائل البرجوازية للتسلط على العمال والفلاحين وصغار الكسبة.
- طائفة تخلت عن أفكارها، وتركتها على رفوف متاحف التاريخ ليتجهوا إلى عالم الدين والغيبيات، والخوض فيها، ووضع الدراسات حولها بعد أن حاربتها فترة من الزمن مدعية أنها أفيون الشعوب، وهذه الطائفة الأخيرة كانت ولا تزال الأخطر على تغيير عقائد الناس لأنهم دخلوا غمار الشريعة ليطعنوا في الدين من خلال النيل من

مصادره الرئيسية بادعاء إعادة النظر في النصوص، ومعاودة الاجتهاد فيها من جديد!!

وتكمن خطورة هذه الطائفة في عدم دراسة هؤلاء الناس للشريعة والإسلام الدراسة المتفحصة والموضوعية، بل أعادوا ومن جديد ما طرحه المستشرقون من دراسات تشكك في الإسلام وحضارته وتاريخه، بإشاعة الشبهات وفق مبدأ الانتقائية.

ثوابت لكل أمة:

يطلب مدعي حرية التفكير من غير قيود أن يسير المسلمون على نهج أساتذتهم الجدد من الليبراليين الأوروبيين الذين لا تقف أمام ما يطرحونه عوائق، وأتعجب مما يقولون!!

فمن قال لهم بأن ذلك صحيح؟! أنسي هؤلاء ما هو نصوص في قوانين الدول الأوربية كدوائر حمراء لا يجوز للكتَّاب تجاوزها، كمنع المساس بذات المسيح، والذات الملكية كما في القانون الإنكليزي، وعدم الخوض في مناقشة إثبات الهلوكوست (المحارق اليهودية أبان الحرب العالمية الثانية على يد هتلر) كما في معظم قوانين الدول الأوروبية، بادعاء أن ذلك جرح لمشاعر السامية!! وما محاكمة المفكّر الفرنسي روحية غارودي على كتابه: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، إلا خير دليل على ذلك.

بل زاد بعض العلمانيين عندما سمعوا بهذه الحقائق أن يتجاوزوا بحرياتهم ما وصل إليه أقرانهم في أوروبا وذلك برفع القيود عنها؛ حتى لا يناطحهم في مجال حرية التفكير أحد على هذه المعمورة!! فكما أن لأوروبا ثوابت لا يجوز المساس بها، فكذلك المسلمون عندهم ثوابت ومقدسات لا يجوز الاعتداء عليها، فإذا انضبطت الحرية في إيقاعها الإنساني وإطارها السليم، وانتشرت في أصولها الطبيعية؛ تحققت جدواها، وآتت ثمارها وأكلها.

ويُلاحَظ أن من يدعى حرية التفكير في عالمنا الإسلامي إنما يرغب بممارستها في جانب واحد ألا وهو مهاجمة شعائر الدين، والتطاول على القرآن، والمساس بمكانة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

إنها جرأة باسم الحرية الفكرية لا نراها إلا في الساحة الإسلامية، وبدعوى حرية التفكير تمتهن الثوابت الدينية، ويُلفَتُ للنظر احترام هؤلاء المفكرين والكتاب للأديان الأخرى – والإسلام يدعو إلى احترامها – التي لا تعير العقل اهتماماً!! حيث تجعل معبودها بقرة أو صنماً أو شيطاناً، أو حقيقة رياضية عجيبة مفادها: (1+1+1= 1).

هذا كفر وليس فكر:

كثير منهم أثاروا قضية الردة وعقوبتها في الإسلام على أنها عائق وحجرة عثرة لحرية التفكير، وهذا إدعاء باطل بدليل أن الإسلام لم يجبر أحداً على اعتناق الإسلام بل ترك لهم حرية الاختيار، يختارون ما يعتقدون صوابه قال – تعالى –: ((لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ)) فإذا ما اختاروا الإسلام بمحض إرادتهم وقناعتهم، ومن غير إجبار؛ ثم يرفعون دعوة الخروج منه فإنما هذا سخرية ولعب واستهتار بالدين لا يقبله عاقل، والاستهزاء بالدين والسخرية منهم كفر لا محالة يجب معاقبة فاعله، وليس هذا مانع لحرية الفكر بحال من الأحوال، فإدعاؤهم باطل.

كما أن إثارة إثبات النصوص، ورفض السنة النبوية بادعاء أن العقل لا يقبله نوع من الطعن في الدين، حيث يجردون ما يعلم من الدين بالضرورة، من حكمها الواجب، بادعاء أن القرآن لم يأت به، والسنة ليست كلها صحيحة، والصواب ما يراه عقلهم بأنه صحيح!! وهذا الادعاء أيضاً باطل؛ لأن السنة ونصوصها لها المختصون الذين درسوها ونقَّحوها، وبينوا صحيحها من سقيمها متناً وسنداً، فكيف يحق لمن لا يعرف أركان الإسلام – فضلاً عن تطبيقها – أن يضع مصادر تشريعه؟!

ماذا يريدون؟

الذي حصل وشاهدناه أن أكثر من يتجاوز الحدود المسموح له بتخطيها، والذي يتطاول المقدسات والثوابت بادعاء حرية التفكير؛ إنما هو رجل تافه أراد الشهرة، أو امرأة ساقطة رغبت في تلميع اسمها على صفحات الجرائد، ثم هل وجد هؤلاء مبدأ في العالم منحهم حرية التفكير كما منحهم الإسلام؟ الذي يبدو لي – والله أعلم – أن من أهم مقاصد هؤلاء من وراء هذه الدراسات هو إلغاء مسألة الردة بادعاء أنها تناقض حرية التفكير، كما يسعون إلى إلغاء مسألة التكفير في الفكر الإسلامي

باعتباره حجرة عثرة أمام الكثير من المسائل التي لا يجوز تخطي الخطوط الحمراء فيها، كما ويرغبون في معاودة النظر في النصوص واستدلالاتها على المسائل الشرعية؛ ليضعفوها أو يبطلوها بدعوى عدم وجودها أو ثبوتها.

لا يحق للمسلم إجبار غيره باعتناق الإسلام:

فكما مر ((لا إكراه في الدين)) ولكن وفي المقابل لا يحق للغير أن يطال ثوابت الإسلام، ويحاول إلغاء مصطلحاتها التي لا يؤمن بها من يعتقد بالإسلام أصلاً، فلماذا الحرج منها؟!!

بعد كل هذا يتضح لمن أمعن النظر أن هؤلاء لا يرغبون بحرية الفكر في إطار الإسلام الرحب؛ إنما يقصدون حرية الكفر من وراء الكواليس!

المصدر : http://www.islamselect.com/admin/fback.php

=============

#أثر القنوات الفضائية في تغريب المرأة (1- 2)

فهد بن عبد العزيز الشويرخ

لا يخفى أثر وسائل الإعلام على الأفراد والمجتمعات سلباً كان ذلك الأثر أم إيجاباً؛ لأن الإعلام نوعان:

إعلام يقوم ببيان الحق وتزيينه للناس بكل الطرق والأساليب والوسائل العلمية المشروعة، مع كشف وجوه الباطل وتقبيحه بالطرق المشروعة؛ فهذا إعلام إيجابي.

وإعلام يقوم على تزويد الناس بأكبر قدر من الأكاذيب والضلالات، وأساليب تهيج الغرائز، ويعتمد على الخداع والتزييف والإيهام، فهذا إعلام سلبي.

وهذا النوع الأخير من الإعلام هو ما يجري مع الأسف في وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية في العالم الإسلامي باستثناء بعض القنوات والمجلات الإسلامية(1) ولقد كان لهذا النوع من الإعلام دور كبير في تغريب المرأة، وازداد خطره بظهور القنوات الفضائية في عام 1409هـ حيث بدأ البث التلفزيوني المباشر(2) عبر الأقمار الصناعية، وكانت البداية للقنوات الفضائية الأجنبية، ثم تبعتها القنوات الفضائية العربية التي كان الغرب يتخوف من ظهورها فقد كتبت كبريات الصحف الغربية: "لا تطلقوا القمر الصناعي العربي...إنه مشروع خطير

يدعم ثقافتهم العربية والإسلامية... وانطلقت سلسلة من أقمار ال عرب سات ثم نايل سات وظهرت عشرات القنوات العربية... ولكن لم يتحقق شيء مما كان الغربيون متخوفين منه والسبب: أن القنوات الفضائية العربية صارت مرآة عاكسة للوجه الغربي القبيح.. تُغرّب ولا تقرب، تهدم ولا تبني"(3).

لقد أصبحت جُلُّ القنوات الفضائية العربية من أشد الوسائل فتكاً وتدميراً لثوابت الأمة العقدية، والأخلاقية، والاجتماعية، والفكرية، والسلوكية، من خلال ما تعرضه من عقائد باطلة، وأخلاق سيئة، وأفكار هدامة، وسلوكيات مدمرة، وهذا التدمير المتعمد تقوم به القنوات الفضائية العربية؛ اعتماداً على مقولة زائفة بأن ما تقوم به هو: "انفتاح حضاري، وثقافي، وإعلامي، ومواكبة للتطورات العالمية في مجال البرامج الإعلامية الإخباري منها، والثقافي، والترفيهي، والاجتماعي... بينما الحقيقة هي أن ما تقدمه يعد غزواً... لا يقل عن الغزو الأجنبي خطورة نظراً لإفساده للدين والفكر والأخلاق والسلوك"، (4) فالقنوات الفضائية تسير في نفس الطريق الذي تسير فيه القنوات الفضائية الغربية الهابطة إن لم يكن بعضها أشد سوءاً، وأكثر انحطاطاً، فهي تبث أكثر من 200 ألف ساعة سنوياً أغلبها فن، ورياضة، وأفلام، وأغان، فماذا كان تأثير ذلك على المرآة؟

الأثر مؤلم وخطير، لقد غربت تلك القنوات كثيراً من نسائنا، فصار من المناظر المألوفة: مشاهدة الفتاة وقد أصبحت غربية من قمة رأسها إلى أخمص قدميها، والمنهج الغربي يطغى على جميع تصرفاتها، وأسلوب حياتها، وتعاملها مع الآخرين.

لقد مارست هذه القنوات العربية اللسان، الغربية الهوى – ولا زالت تمارس – هوايتها في تمرير المشروع التغريبي على الأمة، فهي تزين للمرأة المسلمة النمط الغربي فكراً وسلوكاً؛ فالسفور حرية شخصية، والتبرج والعري جمال وأناقة، واللقاءات المحرمة علاقات شريفة، والخلوات الشيطانية حب بريء، وطريق للزواج الناجح، ورفض قوامة الزوج، وولاية الولي مطالبة بالحقوق المسلوبة، والخلاعة تطور وتحضر، وقرار المرأة في البيت تخلف ورجعية.

ولبيان الدور الخطير والمدمر الذي تقوم به القنوات الفضائية العربية لتغريب المرأة المسلمة جمعت ما تيسر لي من مظاهر تغريبها، وما خفي على أكثر مما عرضته.

ما هو التغريب؟

التغريب هو: "مجموعة الأفكار والمفاهيم والممارسات المتلقاة من الكفار والتي يقصد بها صرف الأمة عن دينها. واشتقاقها من الغرب لغالبية دورهم في هذا المجال، وإلا فالكفر ملة واحدة"، (5) فالمقصود من التغريب: تحويل سلوك المسلمين، وعاداتهم، وتقاليدهم، وقيمهم، وأعرافهم، وثقافتهم لتكون تابعة للغرب.

لماذا التركيز على تغريب المرأة المسلمة؟

لأن المرأة هي محضن الرجال، ومربية الأجيال، وهي حصن المجتمع الحصين الذي إذا تهاوى تهاوت معه الأسرة، ثم تهاوى معه المجتمع، فإذا استجابت المرأة المسلمة لدعوتهم فسيؤدي ذلك إلى إفسادها، وإفساد المجتمع بأقصر الطرق وأسرعها، وهذا ما يريده الأعداء ولا يفقهه المستغربون.

في استبانة وزعت على عدد من النساء سئلن فيها عن نسبة انتشار مظاهر التغريب بين نسائنا فكانت إجاباتهن كالتالي: 36% كثير جداً، 44% كثير، وفي سؤال آخر: في رأيك تبدو مظاهر التغريب أكثر وضوحاً بين نسائنا في المظهر أو الفكر أو في المظهر والفكر معاً؟ كانت إجاباتهن كالتالي: 65% في المظهر والفكر معاً، 35% في المظهر.

هل غرّبت القنوات الفضائية المرأة المسلمة؟

تقول د. نورة آل الشيخ عميدة كلية إعداد المعلمات: "ألمس تغيراً في فكر بعض الفتيات عن السابق، ولعل الانفتاح الذي نعيشه من خلال الفضائيات هو السبب"(6) وتقول د. هدى طافش الاستاذة بقسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية: "إن للفضائيات تأثيراً لا يستهان به على محاولة تغريب المرأة المسلمة، وجعلها تابعة مبهورة بكل ما ينتجه الغرب، سواء من ناحية الفكر، أو الثقافة، أو الملبس، أو المشرب، أو حتى التصرفات"(7).

مظاهر تغريب القنوات للمرأة:

تم رصد بعض المظاهر لتغريب القنوات الفضائية، واستلابها لعقول كثير من النساء سواء عن طريق برامج متخصصة موجهة أو عن طريق الأفلام والمسلسلات، ومن تلك المظاهر:

أولاً: استرجال المرأة:

وجد في عصرنا صنف من النساء خالفن فطرة الله التي فطر الناس عليها، وتخلقن بصفات لا تليق بالأنثى التي خلقها الله – تعالى –لتتميز بها عن طبيعة الرجال، يحسبن بزعمهن أنهن أصبحن كالرجال، فواجهن من العنت والضيق الشيء الكثير، وحصلت لهن المشكلات الجسدية والنفسية، ومضايقة الرجال، والتعدي عليهن، وأصبحن منبوذات حتى من بنات جنسهن... ولقد جاء الوعيد الشديد لمن خالفت فطرتها، وتخلت عن أنوثتها، وتشبهت بالرجال"(8) قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء"(9). وقال الرسول – صلى الله عليه وسلم –: "لعن الله المخنثين من الرجال و المترجلات من النساء"(10). وقال – صلى الله عليه وسلم –: "لعن الله الرجلة من النساء"(11)، ومن تلك الأحاديث يتبين حكم المترجلة التي تتشبه بالرجال بأنه حرام وكبيرة من كبائر الذنوب.

وترجل المرأة ظاهرة غريبة على مجتمعنا المحافظ فما الذي غير بعض النساء حتى أصبحت لا تكاد تفرق بينها وبين الرجل؟ إنها القنوات الفضائية التي تنقل لنا مظاهر حياة المرأة الكافرة المسترجلة المساوية للرجل في كل شيء، فتقوم بعض النساء بتقليدها ومحاكاتها، وقد سُئلت مجموعة من الطالبات الجامعيات عن أسباب هذه الظاهرة فأجاب 24% منهن أن السبب يرجع إلى القنوات الفضائية(12).

ومن مظاهر تشبه المسترجلة بالرجال ما يلي:

1- التشبه في اللباس:

بعد وجود القنوات الفضائية لبست بعض النساء ملابس تشبه ملابس الرجال تماماً والنبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: "لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل"(13)، ومن تلك الملابس: (البنطلون)، وفي إجابة للجنة الدائمة للإفتاء عن حكم لبس المرأة للبنطلون: "الغالب في البنطلون أنه ضيق يحدد أجزاء البدن التي يحيط بها ويسترها، كما أنه قد يكون في لبس المرأة للبنطلون تشبه من النساء بالرجال، وقد لعن النبي – صلى الله عليه وسلم – المتشبهات من النساء بالرجال "

2- رفع الصوت بالكلام، ومجادلة الرجال.

3- تقليد الرجال في المشية والحركات.

4- التشبه بالرجال في الهيئة والشكل: كقص الشعر مثل شعر الرجل.

ثانياً: كثرة ارتكاب المرأة للجرائم:

عندما توجد المرأة المسترجلة توجد المرأة التي تفعل ما يفعله الرجل تماماً، ومن ذلك: ارتكاب الجرائم، وهذا لا يعني أن المرأة كانت لا ترتكب الجرائم قبل وجود القنوات الفضائية، ولكن هذه القنوات زادت من نسبة ارتكابها للجريمة، يقول الدكتور سعود الضحيان أستاذ علم الاجتماع بجامعة الملك سعود: "إن جرائم النساء في المملكة في تزايد، وقد شهدت ارتفاعاً ملحوظاً خلال الخمس سنوات الماضية؛ وذلك نتيجة التطورات الاجتماعية، واختلاف أساليب التنشئة وانتشار الفضائيات"(14).

نعم لقد ساعدت الفضائيات على جراءة بعض النساء في ارتكاب الجريمة تقليداً للمرأة الغربية التي تشاهدها في فيلم أو مسلسل أو غيره، ومن أخطر تلك الجرائم التي تؤثر على المرأة وعائلتها ما يتعلق بشرفها وسمعتها. وقد لا يتصور البعض أن بعض النساء في بلادنا وقعن في جرائم تعاطي المخدرات، وشرب المسكرات، بسبب ما يشاهدنه في القنوات الفضائية من أفلام تزين لهن ذلك، وفي تحقيق أجرته صحيفة الرياض مع عدد من النساء المسجونات من المدمنات على شرب الخمور وتعاطي المخدرات كان من إجاباتهن الآتي:

"أعتقد أن الشرب شيء جميل والدليل أن كل الأفلام... فيها شرب".

"أشاهد الأفلام الأجنبية... وعندما أرى الأفلام وهم فيها يشربون أحس بأنهم الأشخاص الذين يعيشون حياة حقيقية".

"رأيت فتيات كثيرات يشربن في الأفلام الأجنبية فحاولت أن أجربه".

يقول الدكتور خليل القويفلي المشرف العام على مجمع الأمل الطبي بالرياض: "إن ظاهرة المخدرات في ازدياد على مستوى الشباب والشابات ما يؤرقنا هو تزايد أعداد المدمنات والمدمنين، فحالات الإدمان تكثر في المراهقات من سن 25 إلى 35 عاماً، وهناك حالات عديدة لطالبات ثانوية مدمنات... وترجع أسباب الإدمان إلى

عدة عوامل أكثرها أهمية: الفضائيات التي تعرض أفلاماً وبرامج يكون تناول المخدرات وشرب المسكرات شيئاً ملازماً لها"(15).

وارتكاب المرأة للجريمة له أضرار اجتماعية منها: تدنيس سمعتها العائلية، وتدمير حياتها الزوجية إن كانت متزوجة، وربما طلاقها من زوجها، وما يترتب على ذلك من أضرار وخاصة أن كان هناك أطفال من هذا الزواج.

ثالثاً: تدخين المرأة:

التدخين يسبب العديد من الأمراض الخطيرة من أهمها: مرض السرطان، فالدراسات أثبتت علاقة التدخين بعدد من أنواع السرطانات، منها: سرطان الرئة، والمخ، والدم، والغدد اللمفاوية، وهذه الأمراض تسبب الوفيات في الغالب؛ ولذا يعد التدخين من أهم أسباب الوفيات المتزايدة عالمياً، وتشير إحصائيات منظمة الصحة العالمية إلى أن التدخين يؤدي إلى وفاة خمسة ملايين من الناس سنوياً ويقدر أطباء المنظمة أن يزداد عدد ضحايا التدخين إلى عشرة ملايين شخص سنوياً بعد عشرين عاماً؛ ولهذا أفتى أهل العلم بحرمة التدخين، لأن فيه ضرراً على النفس وإهلاكاً لها، وقد قال الله – تعالى –: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة (195) {البقرة: 195}.

وإذا كان للتدخين أضرار عديدة فإن هذه الأضرار تزيد إذا كانت المرأة هي التي تدخن. تقول د– هناء الزامل: "التدخين أثناء الحمل والرضاعة يسبب كثيراً من المشاكل الصحية للجنين... وعلى الرغم من تعرض المرأة المدخنة إلى الإجهاض، وانفصال المشيمة، ونقص وزن الوليد؛ فإنها أيضاً تعرض طفلها إلى الإعاقة التي يسببها نقص الأكسجين الذي يحدث أثناء التدخين"(16)، وظاهرة تدخين النساء ظاهرة غريبة جداً على مجتمعنا المحافظ، وقد اختلفت الإحصائيات في أعداد النساء المدخنات في بلادنا ما بين مقل ومكثر في ذلك، ففي محاضرة للدكتور– محمد حسين آل محيا استشاري طب الأسرة بعنوان: التدخين وأضراره أقيمت ضمن الأسبوع الصحي الذي نظمته جامعة الملك خالد ذكر: أن في المملكة أكثر من (600) ألف مدخنة أغلبهن من المراهقات، (17) ويقول رئيس مجلس إدارة جمعية مكافحة التدخين الأستاذ– سليمان بن عبد الرحمن الصبي: "تبلغ نسبة المدخنات للسجائر والمعسل (10%) من نساء المجتمع السعودي... وللأسف هذه إحصائية مخيفة في

بلد محافظ على تقاليده كالسعودية، والمجتمع إذا استمر على انفتاحه غير المتوازن... فإن هذه الإحصائيات مهيأة للزيادة"، ورأس هذا الانفتاح القنوات الفضائية. كما أفادت دراسة نشرت في مجلة طبية أمريكية أجريت على مراهقين كان من نتائجها: أن نسبة ممارسة المراهقين لعادة التدخين بسبب مشاهدتهم للممثلين في الأفلام والمسلسلات وهم يمارسون تلك العادة ترتفع بنسبة ثلاثة أضعافها عنها بين أولئك الذين لا يقضون أوقاتاً طويلة في مشاهدة الأفلام(18)، وتشير الدكتورة نورة بنت عبد الله الرويس أستاذ مساعد قسم طب الأسرة والمجتمع بكلية الطب بجامعة الملك سعود إلى أن من مثالب القنوات الفضائية "ترسيخ المفاهيم الخاطئة وإظهارها بشكل إيجابي مثل: عادة التدخين"(19).

رابعاً: المرأة المتحررة:

يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن"(20)، ولهذا أوجب الشارع الحكيم على الرجال المؤمنين أن يكونوا رعاة لمن تحت أيديهم من الأهل من بنين وبنات وزوجات يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته... "(21)، ويقول – صلى الله عليه وسلم –: "إن الله – تعالى –سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيعه حتى يسأل الرجل عن أهل بيته"(22)، فالولي مسئول عن من تحت ولايته من بنات وأخوات وزوجات، وعليهن السمع والطاعة له بالمعروف، ما لم يأمرهن بمعصية لله؛ لكن القنوات الفضائية تقوم بإرسال رسائل مباشرة وغير مباشرة محتوى هذه الرسائل: أن تتمرد المرأة على ولاية وليها عليها أباً كان أم أخاً أم غير ذلك، وأن تحطم أي قيود، أو قيم، أو أعراف، أو عادات، أو تقاليد للمجتمع، وأشر من ذلك وأَمَرُّ أن ترفض الأحكام الشرعية، وإن قبلت المرأة منها شيئاً قبلت ما ترى أنه يمنحها حقوقاً، ولكنها ترفض ما ترى أنه واجبات ومسئوليات عليها، كل ذلك بدعوى حريتها الشخصية. فحريتها تجعلها تفعل ما تريد، وتقول ما تشاء، وتذهب إلى أي مكان، وتلبس ما تهوى من لباس، وتقيم علاقات مع أي جنس، وتسافر بدون محرم، وتتزوج بمن تحب براً كان أم فاجراً، وليس لأحد ولياً كان أم زوجاً أن يسألها عن ذلك، فضلاً عن

أن يوجهها أو يمنعها. وقد كان لذلك آثار ضارة عليها، فعلاقتها مع وليها اهتزت إن لم تكن انقطعت في كثير من الأسر.

خامساً: رفض قوامة الزوج:

قال الله – عز وجل –: الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على" بعض 34 {النساء: 34} هذه القوامة تتطلب أن يكون الرجل حامياً للمرأة، حافظاً لها من أي اعتداء أو خوف، موفراً لها حاجاتها؛ ولذا فإن المرأة تطلب هذه القوامة بفطرتها، و لا يخل بهذه القاعدة إلا من شذ من النساء، وقد قامت القنوات الفضائية عبر برامجها وأفلامها بدور كبير في إقناع المرأة برفض قوامة الزوج عليها فهي تصور "الزوج بأنه سجّان قاهر، والقوامة سيف مُصلت... حتى أوجد ذلك في نفوس النساء أنفة واشمئزازاً وبحثاً عن الانطلاق بلا قيود"(23).

بدأت بعض الزوجات برفض قوامة الزوج، وقد ترتب على هذا خدش كبير في علاقة الزوج بزوجته أدى إلى حدوث المشاكل بينهما والنزاع والشقاق، وربما الفراق والطلاق؛ "لأن المرأة بفطرتها تُحب أن تأوي إلى ركن تلجأ إليه... ولذلك فإن تنازل الرجل عن قوامته أمر يشقي المرأة ولا يسعدها، ويُسبب وهناً في بناء الأسرة، وتقويضاً في أركانه"(24).

سادساً: إقامة العلاقات المحرمة مع الجنس الآخر:

من قواعد الشرع المطهر أن الله – سبحانه – إذا حرم شيئاً حرم الأسباب والطرق والوسائل المفضية إليه؛ تحقيقاً لتحريمه، ومنعاً من الوصول إليه، أو القرب من حماه، ولو حرم الله أمراً وأبيحت الوسائل الموصلة إليه، لكان ذلك نقضاً للتحريم وحاش شريعة رب العالمين من ذلك.

وفاحشة الزنى من أعظم الفواحش وأقبحها، وأشدها خطراً وضرراً على ضروريات الدين؛ ولهذا صار تحريم الزنى من الدين بالضرورة(25) يقول الله – جل وعلا –: ولا تقربوا الزنى" إنه كان فاحشة وساء سبيلا 32 {الإسراء: 32} يقول العلامة السعدي – رحمه الله تعالى –: "والنهي عن قربان الزنى أبلغ من النهي عن مجرد فعله؛ لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه فإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه"(26).

وإقامة العلاقات بين الجنسين من أهم الأسباب للوقوع في فاحشة الزنى؛ ولذا حرمها الشارع الحكيم، ولكن القنوات الفضائية زينت للفتاة ضرورة إقامة تلك العلاقات مع الشاب قبل الزواج بدعوى أنه لا حياة زوجية سعيدة إلا بحب قبلها، وتبين د- خديجة علوي أستاذة علم الاجتماع "أن الصداقة بين الشاب والفتاة قبل الزواج... من ضمن الأفكار الفاسدة التي وردت إلى مجتمعنا بسبب الانفتاح اللا محدود على المجتمعات الغربية"(27)، ومن أعظم وسائل ذلك الانفتاح: القنوات الفضائية.

ما هي نهاية هذا الحب؟

1- وقوع الشباب من الجنسين فيما حرم الله – تعالى –و ارتكابهم للفواحش لإشباع الغريزة الفطرية الموجودة لديهم؛ لأن خلوتهم مع بعض ستجعل الشيطان ثالثهما كما قال النبي: "لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان"(28) ومن كان الشيطان معهما فسوف يزين لهما المعصية، ويهون عليهما ارتكاب الفاحشة.

2- رد الفتاة للكثير من الأزواج الأكفاء ممن يُرضى دينهم وخلقهم أثناء فترة الحب قبل الزواج؛ انتظاراً لتقدم المحب لخطبتها، والذي في الغالب لن يتقدم لها بل يضحك عليها، فتضيع على نفسها فرصاً كثيرة للزواج من أكفاء، وفي الوقت نفسه لم تمتثل لقول النبي – صلى الله عليه وسلم -: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ألا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"(29).

3- احتمال بقاء الفتاة عانساً، فبعض الفتيات تظل معلقة به تنتظره، ولا تصحو من غفلتها وتعرف أن هذا المحب لها لن يتقدم لها إلا بعد سنوات فاتها أثناءها قطار الزواج.

4- الأثر النفسي الذي يحدثه هذا الأمر عليها في مستقبل حياتها الزوجية.

5- أن ينتهي الحب قبل الزواج بزواج فاشل غير ناجح، ينتهي غالباً بالطلاق، فالدراسات والأبحاث التي أجريت في بلاد الكفار والمسلمين أثبتت أن معظم الذين تزوجوا بعد قصة حب لم ينجحوا في زواجهم، وأن أكثر حالات الطلاق إنما تقع في الزيجات التي تمت بعد علاقة حب(30).

الهوامش:

1- الإعلام في العالم الإسلامي، لسهيله زين الدين حماد ص: 12- 13بتصرف.
2- البث المباشر حقائق وأرقام للشيخ- ناصر بن سليمان العمر، ص: 17
3- مجلة الجندي المسلم العدد: 102.
4- مجلة كلية الملك خالد العسكرية عدد محرم 1425هـ.
5- فتياتنا بين التغريب والعفاف للشيخ د- ناصر العمر، ص 15.
6- مجلة أسرتنا العدد: 37.
7- مجلة أسرتنا العدد: 33.
8- مجلة الفرقان العدد: 301.
9- أخرجه أحمد والترمذي وصححه الألباني برقم: 5100 في صحيح الجامع.
10- أخرجه الترمذي وصححه الألباني برقم: 5103 في صحيح الجامع.
11- أخرجه أبو داود وصححه الألباني برقم: 5096 في صحيح الجامع.
12- مجلة فتيات العدد: 40.
13- أخرجه أبو داود وصححه الألباني برقم: 5095 في صحيح الجامع.
14- صحيفة الرياض العدد: 12613 في 2-11-1423هـ
15- صحيفة الرياض العدد 12556- 12557 في 4و5 -9-1423 هـ.
16- مجلة أسرتنا العدد: 14.
17- مجلة أسرتنا العدد: 37.
18- أنظر في ذلك مجلة أسرتنا العدد: 41 والعدد: 44.
19- مجلة أسرتنا العدد: 43.
20- أخرجه أبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: 5624.
21- أخرجه البخاري ومسلم.
22- أخرجه النسائي وابن ماجه وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم: 1774.
23- المرأة وكيد الأعداء للشيخ د- عبد الله وكيل الشيخ، ص: 24.
24- مقومات السعادة الزوجية للشيخ د- ناصر العمر، ص: 24.
25- حراسة الفضيلة للشيخ بكر أبو زيد ص: (112) من الطبعة الرابعة.
26- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة السعدي ص (457).

27- وهم الحب لمحمد بن عبد العزيز المسند، ص: 45.

28- أخرجه أحمد والترمذي.

29- أخرجه الترمذي.

30- المصدر السابق ص:44.

المصدر: http://jmuslim.naseej.com

===============

#أثر القنوات الفضائية في تغريب المرأة (2 - 2)

فهد بن عبد العزيز الشويرخ

تناول الكاتب - وفقه الله - تعالى - في حلقته الماضية من المقال لأثر وسائل الإعلام عموماً على الناس، ثم عرّج على تعريف التغريب، ولماذا استهدفت المرأة المسلمة به، وذكر بعض المظاهر لممارسة القنوات الفضائية أشكالاً من التغريب للمرأة المسلمة، ويكمل في هذه الحلقة المظاهر الأخرى من تغريب المرأة في القنوات الفضائية.

سابعاً: عدم قرار المرأة في بيتها:

يقول الله - عز وجل -: " وقرن في بيوتكن(33) " الأحزاب: 33} فقرار المرأة في البيت هو الأصل؛ لأن قرارها فيه خير لها كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وبيوتهن خير لهن"(1) خير لهن من ماذا؟ من الذهاب إلى أفضل البقاع عند الله - تعالى - وهي المساجد، فصلاتها في بيتها أفضل لها كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها"(2) ويقول - صلى الله عليه وسلم -: "خير صلاة النساء في قعر بيوتهن"(3)؛ لأن صلاة المرأة في بيتها أستر لها وأصون؛ ولأن النساء إذا خرجن حتى للمساجد فإن القليل منهن من يلتزم بالضوابط والأحكام والآداب التي قررها الشارع عند خروج المرأة من بيتها؛ ولهذا قالت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: "لو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى من النساء ما رأينا لمنعهن المساجد كما منعت بنو إسرائيل نساءها"(4).

إذن فقرار المرأة في البيت هو الأصل، والخروج منه هو الاستثناء؛ لضرورة أو حاجة؛ امتثالاً لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – لأم المؤمنين سودة – رضي الله عنها –: "إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن"(5) قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير قوله – تعالى –: وقرن في بيوتكن 33 الأحزاب: 33} أي: "الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة"(6).

والشارع الحكيم أمر المرأة بالقرار في بيتها لأن ذلك أفضل لها فهي إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان"(7) ومعنى استشرفها أي: زينها في أعين الرجال، وإذا زينها لهم افتتنوا بها، فهي فتنة كما قال – صلى الله عليه وسلم –: "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء"(8).

القنوات الفضائية صورت للمرأة بأن البيت سجن لها، وكبت لحريتها، يجب تحطيم قيوده، والخروج منه بصورة دائمة لحاجة ولغير حاجة؛ ولذا كثر خروج النساء من بيوتهن بعد ظهور القنوات الفضائية. وهجرت المرأة بيتها، وأصبحت خرّاجة، ولاّجة، تحضر المهرجانات، وتغشى المنتديات، وتشارك في الاحتفالات، وترتاد الأسواق بكثرة، وتذهب للمنتزهات، وتجلس على الشواطئ في أوضاع يندى لها الجبين، وتؤلم كل رشيد، وتوجع كل لبيب، وتحزن كل غيور، وتفرح كل عدو ظاهر وباطن، ويشخص لنا فضيلة الشيخ منصور بن ناصر الراجحي رئيس مركز هيئة الروضة ذلك الخروج فيقول: "لقد تعدى خروجها للمدرسة أو للسوق ولزيارة الأقارب إلى زيارات التسوق بلا حاجة...كما استجدت الدعوات المتبادلة بين الفتيات في المطاعم، واللقاءات في محلات القهوة "كوفي شوب" وفي الأندية النسائية سواء كانت أندية ما يسمى صحية أو غيرها من تجمعات نسائية تؤدي في غالبها رسالة فكرية محددة، وقد نتج عن خروجها غيابها عن رقابة الأسرة، وأدى إلى اختلاطها مع فتيات ذات مذاهب و أفكار شتى؛ لتكون لقمة سائغة لموجات التغريب في أخلاقها أو فكرها"(9)، وعن خطورة الذهاب إلى هذه الأماكن يقول فضيلة مدير عام الهيئة بمدينة الرياض الشيخ صلاح السعيد: "أما السلبيات فتكمن في نوعية بعض النساء اللاتي يأتين لهذه الأماكن، فقد يكون هناك من النساء السيئات من تستغل هذه

المجتمعات للشر والفساد... ونقف في بعض الأحيان على قضايا تتمثل في تعرف الفتاة على أخريات سيئات كن السبب في انحرافها"(10).

ثامناً: الاختلاط والخلوة بالرجال:

فقد زينت القنوات الفضائية للمرأة وسهلت لها أمر الاختلاط بالرجال، فأصبحت المرأة تختلط بالرجال في أماكن العمل، ووسائل المواصلات، والحدائق، والمنتزهات، والشواطئ، والمطاعم، والأسواق، والمستشفيات مع أن الاختلاط شره مستطير، المفاسد والأضرار التي تعاني منها المجتمعات التي طبقته وجربته خير دليل، وأصدق برهان على ذلك؛ تقول الصحفية الأمريكية هيليان ستانبري: "أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم... امنعوا الاختلاط فقد عانينا منه في أمريكا الكثير... إن ضحايا الاختلاط يملأون السجون.. إن الاختلاط في المجتمع الأمريكي والأوربي قد هدد الأسرة وزلزل القيم والأخلاق"، وتقول الكاتبة الإنجليزية الليدي كوك: "على قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنى" وبهذا نعلم الحكمة من تحريم الشارع الحكيم للاختلاط، يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم –: "إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال – صلى الله عليه وسلم –: الحمو الموت"(11)، كما أن هذه القنوات الفضائية تعرض خلوة المرأة بالرجل الأجنبي على أنه شيء عادي، ومن هنا تساهلت المرأة بشكل كبير وواضح في الخلوة بالرجل الأجنبي عنها خطيباً كان أم طبيباً أم سائقاً أم بائعاً... مع أن خلوة المرأة بالرجل الأجنبي عنها خطر كبير عليها ولذا حرم الشارع هذه الخلوة، يقول – صلى الله عليه وسلم –: "لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثها الشيطان"(12) ومن كان الشيطان ثالثهما فهو قائد لهما نحو المعصية، وارتكاب الفاحشة.

تاسعاً: قلة الحياء:

للحياء فضائل عديدة، وفوائد كثيرة، منها: أنه مانع للعبد بإذن الله من ارتكاب القبائح، وفعل المعايب يقول الشاعر:

ورب قبيحة ما حال بيني *** وبين ركوبها إلا الحياء

فكان هو الدواء لها ولكن *** إذا ذهب الحياء فلا دواء

والحياء من شعب الإيمان، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان"(13)، والحياء لا يأتي إلا بخير كما قال – صلى الله عليه وسلم –: "الحياء خير كله"(14)، ويقول – صلى الله عليه وسلم –: "الحياء لا يأتي إلا بخير"(15).

إذا كان الحياء في الرجال جميلاً فهو في النساء أجمل؛ لأنه لها أستر وأكمل، يقول الله – عز وجل –: " فجاءته إحداهما تمشي على استحياء 25 "القصص: 25} يقول العلامة السعدي – رحمه الله تعالى –: "وهذا يدل على كريم عنصرها، وخلقها الحسن؛ فإن الحياء من الأخلاق الحسنة، وخصوصاً في النساء"(16)،

ومن مظاهر تغريب القنوات الفضائية لنسائنا:

أنها نزعت الحياء منهن، وهونت من شأنه في نفوسهن، فالفضائيات تغتال حياء الطالبات، فوجد لدينا نتيجة لذلك مظاهر مخالفة لشرع الله – تعالى – من أهمها: ما اعترى علاقة المرأة بالرجال الأجانب عنها من تساهل وتهاون. فحديثها وكلامها مع الرجال الأجانب في لحن وإيماء وخضوع في القول، ولين في الكلام مع دعابة، ومزاح وهزل بشكل لم يكن معهوداً قبل وجود القنوات الفضائية، والله – سبحانه وتعالى – يقول: " يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا 32 "الأحزاب: 32} يأمر المولى – عز وجل – نساء النبي بعدم الخضوع بالقول وهن أطهر النساء، وإذا كان الأمر كذلك فإن من عداهن من النساء أحوج لهذا التوجيه والتحذير؛ لأن المرأة إذا كان في نبرتها ذلك الخضوع اللين أثارت شهوة الرجال، وحركت غرائزهم، وطمع مرضى القلوب فيها.

عاشراً: العاري في اللباس:

الفطرة السليمة تنفر الإنسان وخاصة المرأة من انكشاف سوأتها، وتحرص على سترها، واللائي يتساهلن في اللباس فيلبسن ما يثير الفتنة بهن، ويبرز مفاتنهن ولا يسترهن فهن يسلبن من أنفسهن في تعرية أجسادهن خصائص فطرتهن وفي نفس الوقت يسلمن أنفسهن للشيطان الذي يريد نزع لباسهن وإظهار عوراتهن" يقول الله –

عز وجل –: " يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما... 27 الأعراف: 27.

لقد تلاعب الشيطان ببعض المسلمين فأوقعهم فيما يخالف شرع الله – تعالى –، فزين لهم التعري باسم المدنية والحضارة، وكان للنساء النصيب الأكبر في ذلك، وواقع النساء في كثير من ديار المسلمين شاهد على ذلك، وخلال سنوات مضت ظلت النساء في بلاد الحرمين بعيدات عن ارتداء الألبسة العارية إلى وقت قريب حيث بدأت بعض النساء بلبس ألبسة عارية، بموديلات متنوعة، وأنواع مختلفة من ثياب شفافة وقصيرة وضيقة وذات فتحات علوية وسفلية. وخاصة في حفلات الأعراس ونحوها، وكان لانتشار هذه النوعية من الملابس أسباب عدة من أبرزها: القنوات الفضائية، ففي تحقيق لمجلة الدعوة عن العري في ملابس النساء ومن المسئول؟ ذكر أن "القنوات الفضائية أهم عامل تقريباً، فالبرامج التي تبث فيها كلها سموم ذات مفعول قوي"(17).

إن النساء اللاتي يلبسن تلك الملابس العارية لا يشعرن براحة نفسية ولا جسمية، فهن يتعبن أثناء لبسها، ولا يهنأ لهن بال لا في قيام ولا في قعود، كما أن لها أضراراً صحية يقول الدكتور وجيه زين الدين: "إن الملابس الضيقة لا تخلو من أضرار منها ما قد تسببه من حساسية الجلد والضغط على الأحشاء الداخلية"(18)، وهذا اللباس ليس بساتر للمرأة؛ بل هو مبرز لمفاتنها.... ومغر بها من رأها، وشاهدها حتى ولو كانت تلبس هذه الملابس بين النساء، يقول فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله تعالى –: " الذي أراه أنه لا يجوز للمرأة أن تلبس مثل هذا اللباس ولو أمام المرأة"(19) والتي تلبس هذه الملابس متوعدة بالعذاب فقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "صنفان من أهل النار لم أرهما وذكر منهما: ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا كذا"(20)، فالكاسيات العاريات هن اللاتي يسترن بعض أجسادهن، ويكشفن بعضه الآخر.

الحادي عشر: اللهث وراء الموضة:

قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "إن الله – تعالى – جميل يحب الجمال"(21) والجمال والزينة من نعم الله – تعالى –على عبده، والمرأة بطبيعتها مفطورة على حب الزينة قال الله – عز وجل –: " أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين 18 " الزخرف: 18}، والمرأة المتزوجة مشروع لها أن تتزين لزوجها بما أباح الله لها من وسائل زينة، يقول النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم –: "خير النساء التي تسره إذا نظر... "(22)، هذا هو الأصل فما هو واقع النساء اليوم من الزينة؟ واقع كثير من النساء زيادة الاهتمام والمبالغة في هذا الأمر حتى خرج عن الإطار الشرعي، وأصبح لديهن تقليد أعمى لكل ما هو وارد من الغرب، بل إن بعضهن فقن النساء الغربيات في ذلك، فضاعت هوية المرأة المسلمة، فأضحت لا هم لها إلا متابعة كل جديد في عالم عمليات التجميل؛ اعتقاداً منها أن الجمال الجسدي هو الجمال المطلوب والمنشود، مع أنه في الحقيقة جمال زائف مرهون بفترة عمرية، محدودة. ومن أسباب هذا اللهث خلف الموضات والتعليقات والمديلات سواء في الملابس أو الأصباغ أو قصات الشعر القنوات الفضائية بما يعرض فيها من برامج مخصصة لذلك، وبملاحقتها لكثير من الساقطات من مغنيات وممثلات وجعلن قدوات للفتيات المسلمات فيقلدنهن في قصات الشعر وموضات اللباس وغيره، وقد أفادت إحدى أخصائيات التغذية: "أن عمليات التجميل انتشرت وعمت بشكل ملحوظ وأشارت بأصابع الاتهام إلى القنوات الفضائية في هذا الانتشار المريع"(23).

لقد كثرت وانتشرت المراكز الطبية التي تهتم بعمليات التجميل للمرأة من: تصغير الأنف، وشد الصدر، وشفط الدهون من البطن، ونفخ الشفاه، ورفع الحواجب، وشد الوجه والرقبة، وعلاج القوام، تاتو (وضع مكياج دائم) وغير ذلك من تغيير خلق الله – عز وجل –، والعبث بأجساد المسلمات، واستنزاف الأموال الطائلة عليه.

إن لهذه العمليات أضراراً كثيرة من أهمها:

1– أن من تلجأ لعمليات التجميل بدون ضرورة لذلك كإزالة عيوب خلقية أو تلك الناتجة عن حادث معين، فهي تعبر عن نفس غير راضية بالقضاء والقدر فإن هذا الشكل الذي خلقت عليه المرأة هو قضاؤها وقدرها، وبالتالي فالواجب عليها الرضا بالقضاء والقدر؛ لأن ذلك ركن من أركان الإيمان.

2- صرف الأموال الكثيرة فيها حيث تكلف بعض العمليات عشرات الآلاف من الريالات، وهذا من الإسراف المنهي عنه، قال الله – تعالى -: وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين 31 – صلى الله عليه وسلم –الأعراف: 31}.

3- المخاطر الصحية لبعضها يقول د. صبري السعداوي مبارك عن أخطارها: "يترتب عليها أخطار عظيمة كحدوث السرطانات والأورام الخبيثة، والتشوهات عند البعض عاجلاً كان ذلك أم آجلاً".

4- في بعضها شيء من تغيير الخلقة الأصلية، وهذا من إغراء الشيطان، قال الله – عز وجل -: " ولآمرنهم فليغيرن خلق الله 119 " النساء: 119}.

5- اطلاع الطبيب الرجل على أجزاء من جسد المرأة حسب موضع العملية بدون ضرورة، فقسم التجميل يضم قسمي الجلدية والجراحة، ومن الملاحظ أنه في قسم الجراحة قلما توجد طبيبة فمعظمهم أطباء.

6- الإطلاع على العورة المغلظة للمرأة في عمليات إزالة الشعر من جميع أجزاء الجسد(24)، وهذا محرم لا يجوز.

الثاني عشر: إقامة الحفلات الغربية:

إلى وقت قريب جداً كان الاحتفال مقتصراً على عيدي الفطر والأضحى وحفلة الزواج، ولكن ظهر في مجتمعنا الاحتفال بالعديد من الحفلات التي لا تمت لديننا وعاداتنا وقيمنا بصلة، من أبرزها:

حفلات الديجة: التي تقام في البيوت، وأحياناً في الاستراحات، وروادها من الفتيات اللاتي تتراوح أعمارهن بين 15-30 عاماً، تقيمها الفتاة بمفردها أو تشترك مجموعة من الفتيات في إقامتها، على أن تدفع كل واحدة قسطاً محدداً من المال، تبدأ في ساعة متأخرة من الليل لا تقل بحال من الأحوال عن الساعة العاشرة مساءً، وتستغرق ما لا يقل عن خمس ساعات، اللباس السائد فيها الجينز، الحفلة راقصة بالدرجة الأولى؛ حيث يستأجر عامل أو عاملة لتشغيل اسطوانات غنائية معينة: ديسكو: و لا تغلق الموسيقى أبداً والفتيات يرقصن عليها. ومما ذكر عن هذه الحفلات يتبين اشتمالها على جملة من المنكرات منها:

1- التبذير وصرف الأموال بلا وجه حق، بل تصرف في أمور محرمة.

2- ما تحويه من غناء وموسيقى محرمة.

3- التبرج والتفسخ واللباس العاري الذي تلبسه المدعوات.

4- التصوير للنساء المدعوات.

5-السهر حيث تمتد الحفلة إلى ساعات الصباح الأولى(25).

6- التشبه بالكفار، فمثل هذه الرقصات مأخوذة من الغرب.

من أين جاءت فكرة هذه الحفلات المنكرة التي لم يكن لمجتمعنا عهد بها حتى وقت قريب؟ لقد جاءت من القنوات الفضائية.

الثالث عشر: عدم الالتزام بالحجاب الشرعي:

الحجاب الشرعي هو غطاء الوجه الساتر، والعباءة الفضفاضة التي توضع على الرأس من أعلى، لكن هذا الحجاب تغير، وأصبح حجاباً سافراً متبرجاً، فغطاء الوجه خفيف شفاف، أو به فتحات كبيرة تسمى نقاباً تفتن أكثر مما تستر، والعباءة أصبحت مزركشة مطرزة تلبس على الأكتاف، وبعض النساء تغطي وجهها ولكنها تمشي في الأسواق والطرقات وكأنها في صالة عرض لجسمها. مع أن الواجب عليها شرعاً ستر جميع محاسنها، ومن أهم ذلك الوجه يقول الله - عز وجل -: " وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن 53 " الأحزاب: 53}، ويقول - سبحانه وتعالى -: " يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما 59 " الأحزاب: 59}.

يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله تعالى -: "أمر الله - سبحانه - جميع نساء المؤمنين بإدناء جلابيبهن على محاسنهن من الشعور والوجه وغير ذلك" (26)، وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها على وجهها من رأسها فإذا جاوزونا كشفناه"(27) يقول فضيلة الشيخ ابن عثيمين: " ففي قولها فإذا حاذونا تعني الركبان سدلت إحدانا جلبابها على وجهها دليل على وجوب ستر الوجه"(28)، لقد تساهلت النساء بالحجاب الشرعي بعد وجود القنوات

الفضائية التي تشجعهن على السفور والتبرج؛ ولهذا كثرت مناظر السفور عند نسائنا بعد وجود هذه القنوات.

إن غالب ما يعرض في القنوات الفضائية من أفلام وبرامج ومسلسلات الهدف منها "إفساد الأخلاق، وقتل العفة، ومحاربة الفضيلة... وتطبيع الرذيلة بمكر ودهاء شيطاني... إنها برامج بلا روح ولا معنى تشبه وتقليد وتبعية... لتطبيع الاختلاط، وصداقة الجنس الآخر، والرقص والضم، والتقبيل والسفور، والتبرج، وتشبه كل جنس بالآخر".

برامج وأفلام " تتسلل سمومها بهدوء بمكر وخبث ليصل الفساد أولاً للمظاهر، لتتأثر ثانياً الأخلاق والسلوكيات، ثم تفسد ثالثاً الأفكار والمعتقدات... لقد كان شعار المنافقين: أفسدوا الأفكار تفسد الأخلاق: فلما فشلوا باختراق الأفكار أولاً نكسوا شعارهم فقالوا: أفسدوا الأخلاق أولاً تفسد الأفكار، فتهيأت لهم الفرصة السانحة عبر البث الفضائي، فهل بعد هذا نعطي مثل هذه القنوات المفسدة فرصة انتهاك حرمة بيوتنا"(29) وتشويش عقول نسائنا؟ نحن اليوم بعد أكثر من عقد من الزمن من ظهور القنوات الفضائية في بلادنا ماذا كانت النتيجة وما هو الحصاد؟ إن الواقع يشهد بوضوح لا غبار فيه أن طائفة من نساء المسلمين غُربن في أفكارهن وسلوكهن.

لقد أدرك بعض عقلاء الغربيين خطورة ما يعرض على الشاشات على القيم والأخلاق، فدعوا إلى ضبط مسار ما يعرض فيها، ولكن هذه الأصوات الضعيفة القليلة ضاعت وسط السعار المحموم، وعبودية الشهوات، واستعباد المرأة. اللهم إني أسالك أن توفق نساءنا وأولياء أمورهن لإدراك مخاطر وأضرار القنوات الفضائية عليهم وعليهن وصلي اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الهوامش:

1- أخرجه أبو داود.

2- أخرجه أبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: 3833.

3- أخرجه أحمد وابن خزيمة وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: 3311.

4- متفق عليه.

5- متفق عليه.

6- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج3 ص 483.

7- أخرجه الترمذي وصححه الألباني برقم 936 في صحيح الترمذي.

8- متفق عليه.

9- مجلة أسرتنا العدد: 37.

10- مجلة أسرتنا العدد: 37.

11- متفق عليه.

12- أخرجه أحمد والترمذي.

13 - متفق عليه.

14- أخرجه مسلم.

15- أخرجه البخاري.

16- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ السعدي ج4 ص 14

17- مجلة الدعوة العدد: 1519.

18- زينة المرأة للشيخ- عبد الله الفوزان ص 35.

19- الفتاوى الجامعة للمرأة المسلمة 3: 855.

20- أخرجه مسلم.

21- أخرجه مسلم.

22- أخرجه أحمد والنسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: 3298.

23- مجلة أسرتنا العدد: 49.

24- المصدر السابق.

25- مجلة أسرتنا العدد: 35.

26- حكم السفور والحجاب لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - ص 7.

27- أخرجه أحمد وأبو داود.

28- رسالة الحجاب لفضيلة الشيخ محمد ابن عثيمين - رحمه الله - ص 18.

29- مجلة أسرتنا العدد:47.

المصدر : http://jmuslim.naseej.com

==============

#قمة الثماني أيدت الخطة والناتو ترفضها

الشرق أوسطية مطلب صهيوني ومصلحة أمريكية

رجب الباسل

- د.حسن أبو طالب:أمركة المنطقة ستكون قسراً وطوعاً.
- د.هيثم الكيلاني: الضعف العربي ساعد أمريكا على فرض تصوراتها علينا.
- د. أحمد يوسف أحمد: الطابور الخامس الأمريكي الخطر الأكبر على أمتنا.
- د. عبد الله خطاب: المصلحة الصهيونية والأمريكية الهدف الأكبر للشرق أوسطية.
- د. عمرو عبد الكريم: صفقة غير مكتوبة تمت في قمة الثماني مع الأنظمة الحاكمة.
- عادل الأنصاري: العقيدة تلعب دوراً لا يمكن إغفاله في الهجمة الأمريكية على المنطقة.

انعقدت خلال يومي 6 . 2004/6/7م إحدى أهم قمم الثماني من حيث تأثيرها، وانعكاساتها على الوضع في العالم الإسلامي أو الشرق الأوسط الكبير وفقاً للمصطلح الأمريكي الجديد.

حيث تبنت القمة مبادرة الرئيس الأمريكي وخطته للشرق الأوسط الكبير التي تقوم على ثلاثة أركان هي: «التعليم، والإصلاح الاقتصادي وتطوير القطاع الخاص، وتقوية المجتمع المدني». وهي عناوين براقة لأهداف خبيثة تستهدف تغيير ثقافة المنطقة إن لم يكن عقيدتها تحت دعوى الإصلاح التي تحتاجها المنطقة بالفعل، ولكن ليس وفقاً للأجندة الأمريكية.

فإصلاح التعليم الذي تطلبه الإدارة الأمريكية يهدف إلى تغيير المناهج بإلغاء كل ما يتعلق بمفاهيم الجهاد والمقاومة والعداء للمشروع الصهيوني، وتغيير وضع المرأة في المجتمعات العربية بمنحها مزيداً من الحرية وخاصة في الشأن الاجتماعي

والشخصي برفع سن الزواج وتشجيع العلاقات الجنسية خارج النطاق الشرعي، وإلغاء القوانين المقيدة لذلك، وتوفير مِنَحٍ للطلاب لاستكمال تعليمهم في الولايات المتحدة وفي الجامعات الأمريكية الموجودة في المنطقة وفقاً لمنظومة التعليم الأمريكية.

ولقد تراجعت الإدارة الأمريكية فعلاً عن مبدأ فرض الإصلاح السياسي على الأنظمة، وتبنت مقابل ذلك مبدأ الشراكة مع العرب، وهو ما أعلنه وزير الخارجية الأمريكية (كولن باول) في الاجتماع التحضيري لقمة الثماني الذي عقده وزراء خارجية هذه الدول الصناعية الكبرى في 2004/5/14م «أن وزراء الخارجية قد ناقشوا مبادرة للعمل من خلال الشراكة مع الحكومات ومجتمع رجال الأعمال والمجتمع المدني في الشرق الأوسط من أجل مساعدة عمليات الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي من خلال برامج قائمة بالفعل، وبرامج جديدة على حد سواء».

أفكار سابقة:

لم تكن مبادرة الرئيس الأمريكي (بوش) لشرق أوسط جديد . التي تبنتها قمة الثماني . هي الأولى؛ فقد سبقها عدة اقتراحات للشرق الأوسط تهدف إلى حماية المصالح الأمريكية في المنطقة وإدماج الكيان الصهيوني، وبدأت بمشروعات اقتصادية مثل: مشروع جامعة (هارفارد) الذي يقوم على فكرة إقامة منطقة حرة بين الكيان الصهيوني وفلسطين والأردن تبدأ بإنشاء (بنك الشرق الأوسط للتعاون والتنمية) بتمويل من البنك الدولي للدول الثلاث، ثم يتوسع ليشمل باقي المنطقة، وكذلك دراسة للبنك الدولي تقوم على تحقيق إصلاحات اقتصادية جريئة داخلية، وتحقيق تعاون إقليمي بين دول المنطقة . ومنها الكيان الصهيوني . يرتكز على الاقتصاد الحر وتوفير دعم دولي للتخفيف من عبء التكاليف الانتقالية، وتكملة الموارد المحلية.

مطلب صهيوني:

يقول الدكتور (عبد الله شحاتة خطاب) مدرس الاقتصاد بجامعة القاهرة: «ظل الكيان العبري حتى معاهدة السلام الصهيونية . المصرية مرفوضاً ومنبوذاً من الدول العربية والإسلامية في الإقليم المشار إليه الشرق الأوسطي، ومن ثَمَّ فإن فكرة قيام أي صورة من صور التعاون بين دول المنطقة وإسرائيل لم تلق قبولاً في العقلية العربية

والإسلامية؛ لدرجة أن السلام المصري . الصهيوني سمي بالسلام البارد؛ حيث لم تصل حدود التعاون إلى ذلك الحد المأمول، ولم يزد حجم التبادل التجاري بين مصر والكيان الصهيوني في التسعينيات . باستبعاد البترول . عن 40 مليون دولار»، ويضيف شحاتة: «إنه في ظل الرفض العربي والإسلامي . الذي بدأ برفض فكرة الدولة العبرية منذ عهد السلطان عبد الحميد مروراً برفض قرارات التقسيم ظل حلم الاندماج في المنطقة العربية يراود قادة وآباء الحركة الصهيونية والكيان المستزرع وإن اختلفت الرؤى حول ماهية الاندماج في المنطقة».

مخاطر الأوسطية:

يرى الدكتور (أحمد جمال الدين موسى) أستاذ الاقتصاد بجامعة المنصورة في دراسة له بعنوان: «مشروع السلام والتمويل الخارجي للتنمية» أن أهم انتقادين لفكرة السوق الشرق أوسطية . أحد أهداف مبادرة الثماني . هما:

1 - أن الفكرة اختراع صهيوني تستهدف إنعاش الاقتصاد الصهيوني أولاً، وتمكينه بعد ذلك من ممارسة دور السيطرة والهيمنة على المنطقة كلها.

2 - أن الفكرة تقوم في نظر مؤيديها كبديل للنظام العربي؛ كما أنها جزء من خطة الولايات المتحدة لإعادة رسم الشرق الأوسط، كما أن الشرق أوسطية كذلك تطمس هوية المنطقة؛ بحيث تنزع عنها خصوصياتها العربية والإسلامية، ومن ثم تصبح محيطاً جغرافياً لا علاقة له بالإنسان، أو التاريخ.

أما الدكتور (زكي حنوش) الأستاذ بجامعة حلب السورية في دراسة بعنوان (الشرق أوسطية والشراكة المتوسطية) فإنه يرى أن مخاطر الشرق أوسطية تكمن في أهدافها وهي:

1 - تأمين السيطرة على النفط والتحكم في أسعاره.

2 - إخماد النزاعات والصراعات الداخلية والإقليمية خاصة الصراع العربي الصهيوني وفق الرؤية الصهيونية.

3 - إعادة تعريف الدور الحيوي للكيان الصهيوني في الاستراتيجية من رديف استراتيجي لأمريكا خلال الحرب الباردة إلى وكيل تجاري وحضاري، وقوة ردع ضد

الإسلام (حسب بيريز) الذي يرى أن على الغرب أن يقف وراء «إسرائيل» واعتبارها الحاجز للإسلام والواقي لأوروبا ضد زحفه وعدوانه.

4 – إعادة النظر في هندسة المنطقة لتفكيكها وربطها وفق الاستراتيجية الأمريكية الحالية؛ ومن هنا الحديث عن الانتماء الشرق أوسطي مقابل الدائرة الحضارية العربية والإسلامية.

أسباب خفية:

الخبير الاقتصادي (عبد الحافظ الصاوي) يرى أن المبادئ الاقتصادية التي تم طرحها في مبادرة قمة الثماني من أجل الإصلاح لا يجب النظر إليها في إطار اقتصادي ضيق؛ فالقضية أكبر من ذلك؛ حيث لها بُعْدٌ حضاري يسعى من خلال أطروحات الشراكة المقترحة أو المعمول بها إلى تأمين مقومات استمرار الحضارة الأوروبية وتقدمها، وتهميش مخاطر الهجرة القادمة من دول جنوب المتوسط؛ فالغرب يرى أن الكثافة السكانية العالية في العالمين العربي والإسلامي . خاصة جنوب المتوسط . مع ارتفاع نسبة البطالة إضافة لوجود خطوط الاتصال والقرب الجغرافي من أوروبا يؤدي ذلك كله إلى زيادة معدل الهجرات وتهديد الأمن الأوروبي من دول جنوب المتوسط. ويضيف الصاوي أن الدعم المقترح الذي ستقدمه مبادرة قمة الثماني هو للمشروعات الصغيرة، ولسيدات الأعمال، وللقطاع الخاص. والهدف من ذلك . كما يرى الصاوي . هو رغبة الدول الصناعية الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة في تقديم نوع من الدعم للدول العربية والإسلامية لا يصل بها إلى مرتبة الند المشارك للدول الكبرى؛ فهو دعم هام لسد الرمق . لمنع الهجرة والإرهاب . لا الوصول لحالة الشبع ومن ثم النِدِّية والقوة؛ وكلاهما مرفوض.

لماذا الشرق أوسطية؟

يقول الدكتور (حسن أبو طالب) رئيس تحرير التقرير الاستراتيجي العربي: «إن المنظور الأمريكي لتغير النظام العربي ينطلق من أن المنطقة بعيدة تماماً عن الأسس التي قامت عليها الحضارة الغربية خاصة والغربية عامة، هذا الاختلاف الحضاري والقيمي تحوَّل من وجهة النظر الأمريكية بعد 11 سبتمبر 2001م إلى مصدر تهديد خطير بعد أن وفر بيئة تنتج الإرهاب والعنف والدعوة إلى الجهاد

ومنازلة الحضارة الغربية، ومن ثم بات العمل على محاصرة هذا التهديد ذا أولوية قصوى، وهو ما لا يأتي إلا عبر تغيير أسس الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية لأهل هذا المنطقة، وبما يترتب عليه توافق تام مع أسس الحضارة الأمريكية والغربية.
وعن آليات هذا التغيير الحضاري والقيمي يقول أبو طالب: هناك نوعان من الآليات:
الأولى: آليات تغيير سلمية يمكن أن تقوم بها دول المنطقة بمفردها أو بمساعدة مباشرة من المؤسسات الأمريكية، أو بالأمرين معاً؛ وذلك لمساعدتها على إجراء التغييرات المطلوبة في نظمها التعليمية، والإعلامية، وأوضاعها السياسية، والاقتصادية على النحو الذي يتماشى مع الرؤية الأمريكية؛ وذلك بالتنسيق مع حكومات تلك الدول، وعبر المنح والمعونات، وبرامج الشراكة الاقتصادية.
الثانية: آليات غير سلمية تتمثل في عقوبات اقتصادية وضغوط سياسية متنوعة المستويات، وضغوط عسكرية عبر التهديد باستخدام القوة أو استخدامها بالفعل خاصة تجاه الدول العربية غير الصديقة، مثل: ليبيا، والسودان، وبدرجة أقل سوريا ولبنان.
وحول إمكانية تكرار ما حدث ضد العراق مع دول عربية أُذن لتحقيق التغيير المنشود من المنظور الأمريكي. يقول أبو طالب: «الأسلوب الهجومي لن تقتصر نتائجه على العراق وحسب، بل سيمتد إلى جيرانه المباشرين وإلى ربوع المنطقة ككل»، ويضيف أبو طالب أنه رغم أن هناك نفياً رسمياً بأن يكون العراق مجرد خطوة أولى في سلسلة طويلة من عمليات التدخل العسكري التي تستهدف دولاً أخرى إلا أن الخطاب الرسمي الأمريكي لا ينفي أن مجرد النجاح في العراق وتكوين حكومة صديقة أو بالأحرى عميلة على أن تكون ملتزمة بحسن الجوار، وإقامة نظام سياسي تعددي ديمقراطي، سيكون بداية لسلسلة من التغييرات الأخرى في المنطقة سواء عبر عملية «الانتشار التأثيري» أو وفق «نظرية الدومينو» الشهيرة.
ويرى أبو طالب أن كلمات (باول) أمام لجنة الشؤون الخارجية في الكونجرس الأمريكي يوم 2003/2/6م الأوضح في مسألة إصرار إدارة بوش على إجراء تغييرات تتلاءم مع السياسة الأمريكية ومصالحها البعيدة والقريبة على السواء. ووفقاً

(لباول) فإن الحملة العسكرية على العراق سوف تتيح لبلاده إجراء تغييرات جذرية في الشرق الأوسط، وحل المشكلة الفلسطينية، وتأمين المصالح الأمريكية في المنطقة على المدى البعيد.

الهدف المنشود:

أما التغييرات المطلوبة طبقاً للرؤية الأمريكية فهي كما يرى أبو طالب تتلخص في:

– إطلاق عملية تغيير سياسي في معظم الدول العربية؛ حتى تكون موالية للقيم الغربية.

– إعادة صياغة التوازن الإقليمي والعربي بطريقة شاملة تبدأ باعتراف الحكومة العراقية الجديدة بالكيان الصهيوني، أو إقامة تحالف (عراقي . صهيوني . أمريكي) وهو الأمر الذي سينطوي على تغيير شامل في منظومة العلاقات العربية والإقليمية معاً للتمهيد عملياً لإقامة النظام الشرق أوسطي بديلاً للنظام العربي.

– إتاحة المجال أمام تطبيق التصورات الأمريكية الخاصة بإعادة هيكلة العراق وفقاً للنموذج الألماني والياباني (المركز العسكري الأمريكي طويل المدى).

– تحول العراق إلى قاعدة نفوذ أمريكي من الدرجة الأولى للضغط على الدول العربية الأولى.

– تسوية القضية الفلسطينية وفقاً للرؤية الأمريكية والصهيونية.

– ضمان السيطرة على النفط العربي والضغط به على الدول الأخرى.

لماذا الآن:

الخبير الاستراتيجي السوري (د. هيثم الكيلاني) يرى ملامح الخارطة الأمريكية الجديدة للشرق الأوسط والمتمثلة في إدماج الكيان الصهيوني في المنطقة، والتي بدأت بمؤتمرات الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في (الدار البيضاء 1994م وعمان 1995م والقاهرة 1996م والدوحة 1997م) وكذا تقويض النظام الإقليمي العربي المتمثل في الجامعة العربية . يرى أنها جاءت في هذه المرحلة لعدد من العوامل أهمها:

1 – مضى أكثر من 85 عاماً على آخر خريطة للمنطقة (سايكس . بيكو) التي كانت بين بريطانيا وفرنسا.

2 – الوضع العربي الراهن الضعيف يجعل البيئة مناسبة لطرح مشروع الخارطة الجديدة لمنطقة الشرق الأوسط؛ إضافة للثروة العربية (النفط. الغاز).

لماذا المسلمون؟

أما عن أسباب الاستهداف الأمريكي للمنطقة عسكرياً وسياسياً؛ فإن الكاتب الصحفي المصري (عادل الأنصاري) يرى أن بين الأسباب التي كانت وراء الرغبة الأمريكية في طرح الشرق الأوسط الكبير.. هي إخفاق الأنظمة العربية التي عول عليها النموذج الأمريكي الكثير في تحقيق المصالح الأمريكية في المنطقة العربية والإسلامية على الوجه الأمثل، ومن أبرز ملامح هذا الإخفاق:

– عدم القدرة على تحقيق الأمن الكامل للكيان الصهيوني، وقد بدا هذا واضحاً في عجز الأنظمة العربية عن إبرام اتفاقيات سلام حقيقية وفاعلة مع الكيان الإسرائيلي تتسم بصفة الشعبية والجماهيرية.

– عدم قدرة الأنظمة العربية على إقناع شعوبها بضرورة ووجوب قبول الكيان الإسرائيلي في المنطقة؛ ليس فقط من خلال اتفاقيات وتعايش سلمي، ولكن من خلال إعادة هيكلة المنطقة في صورتها الجديدة التي تقود قاطرتها دولة الكيان الإسرائيلي.

– تفوق المشروع الثقافي الإسلامي على المشروع العلماني على المستوى الشعبي بصورة واضحة رغم عمليات الإجهاض المستمرة على كافة المستويات من قِبَل الأنظمة الحاكمة، ورغم التغاضي الهائل عن الانتهاكات الشاسعة والواسعة لحقوق الإنسان من جانب الولايات المتحدة، ورغم هذه الانتهاكات من جانب الأنظمة، والتغاضي من الجانب الآخر؛ فإن التأييد الشعبي للمشروع الإسلامي أصبح لافتاً للنظر ومتعاظماً على الاحتواء.

– ازدياد الهواجس لدى الولايات المتحدة من عدم القدرة على الحفاظ على الثروات البترولية العربية الهائلة بما تشكله من احتياطات كبيرة.

– بروز بعض المطامع الشخصية لدى بعض الأنظمة العربية، ومن أبرزها أطماع النظام العراقي السابق في الاستيلاء على الكويت.

- عجز الأنظمة العربية عن القضاء على البيئة التي ينمو فيها فكر العنف المسلح، رغم نجاح بعض الأنظمة العربية في كبح جماح هذه الجماعات ذات المرجعيات الإسلامية؛ وهو الأمر الذي وصل إلى خروج الأمر عن السيطرة لتتطور الأحداث وتصل إلى قمتها مع أحداث 11 سبتمبر 2001م.

ويضيف الانصاري: إزاء معركة حقيقية تستهدف الهيمنة الاستعمارية على بلادنا العربية والإسلامية وامتصاص ثرواتها وتحقيق أقصى فائدة ممكنة من إمكاناتها ومقدراتها، وهي معركة تلعب العقائد فيها دوراً لا يمكن إغفاله من خلال:

- قناعات فكرية لدى طائفة وجدت لها مكاناً في مقدمة المعركة داخل الإدارة الأمريكية.

- حافز معنوي لمعارك استعمارية تستهدف تحقيق استفادة لقطاعات رأسمالية داخل المجتمع الأمريكي، وتفتقد إلى الشرعية الدولية والأسس الأخلاقية؛ لذا يطفو على السطح الحافز الديني ليملأ فراغاً.

- مخاوف من طبيعة العقيدة الإسلامية التي ترفض الخنوع، وتفهم عبادة الله على أنها تتنافى مع عبادة وطاعة مَن سواه.

- خلاف فكري مع معطيات الشريعة الإسلامية، خاصة فيما يتعلق بالمعاملات.

- رفض الشعوب الإسلامية لهيمنة أي دولة غير إسلامية؛ إدراكاً منها أن الهيمنة الاستعمارية تنطوي على تراجع ثقافة وعقائد البلاد الواقعة تحت الاحتلال أو الاستعمار لحساب ثقافة المستعمر، وهي معادلة طبيعية ومنطقية.

- معركة استعمارية تستهدف الحفاظ على السيطرة الأمريكية على العالم بعد الفراغ من كتلة رئيسية تملك من المقومات العقائدية الثقافية ما يدفعها إلى رفض الهيمنة والاستعمار.

- إن البلدان العربية والإسلامية هي الحلقة الأكثر خطورة في طريق الولايات المتحدة لقيادة العالم؛ فرغم إمكانية احتواء هذه المنطقة من خلال أنظمة ديكتاتورية يمكنها أن تقمع شعوبها لتذليل العقبات وتحقيق المصالح الأمريكية؛ فإن الواقع يؤكد أن هناك صعوبات بالغة تكتنف إقناع الشعوب بهذه الهيمنة الاستعمارية واستمرارها.

- إن أوروبا تشعر أنها والولايات المتحدة جزء من حضارة واحدة، وإن تباينت المصالح أحياناً، إلا أنهما في نهاية المطاف يتفقان بصورة كبيرة.
- معطيات الواقع تؤكد أن الهيمنة الأمريكية بصورتها الشاملة لا تستثني قُطراً أو دولة من الدول في المنطقة، وأنها ترشح عدداً من الدول العربية والإسلامية للغزو المباشر، بينما ترشح دولاً أخرى للغزو بالوكالة من خلال دول أخرى، وتفرض وجودها من خلال القواعد العسكرية على بعض البلدان دون معارضة من أولي الأمر في تلك البلدان، ودون حاجة إلى غزو عسكري. أما ما تبقى فربما تتراجع أهميته الاستراتيجية أو تقل المخاوف منه، إلا أن الجميع مشمول بالهيمنة الثقافية والفكرية والأخلاقية كإجراء وقائي يضمن عدم الخروج من بيت الطاعة الأمريكي.

رؤية أوروبية:

أما الكاتب الفرنسي (إيمانويل تود) في كتابه «بعد الإمبراطورية» الذي صدر عام 2002م؛ فإنه يرى أن سبب الاستراتيجية الأمريكية للمنطقة «يعبر عن تخوف من إقصاء أكثر منه قدرة على توسيع الإمبراطورية، ويكشف قلق أمريكا أكثر مما يعبر عن قوتها؛ فالتركيز على العالم العربي يفسر أساساً بضعف هذا الأخير الذي يفتقر إلى وجود دولة قوية فهو بطبيعته كبش فداء؛ وعليه فالعالم العربي يعد مسرحاً لاستعراض قوة أمريكا التي بمقدورها أن تحقق فيه انتصارات تذكر سهولتها بألعاب الفيديو؛ فالعرب يعامَلون بسوء؛ لأنهم ضعفاء، ولأن لديهم النفط، ولأنه لا يوجد لوبي عربي فعال في اللعبة السياسية الداخلية الأمريكية».

فأمريكا طبقاً لـ (تود) دخلت مرحلة انكشاف القوة والتحول التاريخي من قوة عظمى إلى قوة كبرى وتفكك النظام الأمريكي؛ حيث أصبحت أمريكا بحاجة إلى العالم أكثر من حاجة العالم إليها.

ويؤكد أن «أمريكا لم تعد الأمة الكبرى كما كانت في السابق؛ وأن نظامها الديمقراطي في أزمة، ولذا فهي تحاول أن تحافظ، على هيمنتها، وشرعيتها وتسوِّغ ذلك باستهدافها بلداناً قليلة الأهمية اقتصادياً وعسكرياً؛ فلذلك يمكن أن نفهم أسباب الاحتلال الأمريكي للعراق طبقاً لـ (تود): «لقد قفز العجز التجاري الأمريكي من

100 إلى 450 مليار دولار سنوياً، ولم تعد أمريكا قادرة على العيش من إنتاجها وحده».

ويضيف (تود): «إن الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط وسياستها حيال العراق وإيران لا تستهدف التحكم في الطاقة الموجهة لأمريكا . وإن كانت حاجتها إليها في تزايد . وإنما الموجهة للعالم خاصة أوروبا واليابان».

صفقة غير مكتوبة:

يقول الدكتور (عمرو عبد الكريم) الباحث المتخصص في الحركات الإسلامية: «إن ما تم في قمة الثماني صفقة غير مكتوبة بين الدول الصناعية الكبرى والأنظمة في المنطقة العربية والإسلامية راعت القمة بموجبها تحقيق مصالحها في المقام الأول؛ حيث تنازلت القمة عن شرط الإصلاح السياسي . الذي يغضب الأنظمة، ويمكن أن يجعل الإسلاميين بديلاً محتملاً لها . مقابل التزام الأنظمة الحالية بالاستجابة لمقررات القمة خاصة في مجالات التعليم والمرأة والانفتاح الاقتصادي.

ويضيف د. عبد الكريم أن الطرح الرائج حالياً أنه إذا حدث انفتاح سياسي في المنطقة العربية والإسلامية فإن النتيجة المتوقعة هي وصول الإسلاميين للحكم في أغلب دول تلك المنطقة، وهو الأمر الذي يعني أن هؤلاء لن يحموا مصالح الغرب في بلادهم، والغرب من جانبه . وعلى رأسه الولايات المتحدة . يهمهم مصالحهم في المقام الأول وليس الديمقراطية؛ فالطرح الأمريكي هنا للإصلاح . الكلام لعبد الكريم . أساسه مصلحي وليس مبادئياً؛ بمعنى أن المصلحة هي الأساس في طرح مبادرة الإصلاح وليس المبادئ.

فالإصلاح تم طرحه للتنفيس عن الشعوب للخروج من حالة الاحتقان السياسي والاقتصادي التي تعانيها المنطقة؛ ولمنع انفجاره باتجاه الغرب في شكل هجرات غير شرعية وإرهاب من جانب، ومن جانب آخر استخدام هذه المبادرة كـ (فزَّاعة) للأنظمة في المنطقة للضغط عليها لتحقيق ما تريده الولايات المتحدة؛ والهدف في النهاية ليس الإصلاح، ولكن إعادة رسم خرائط المنطقة سياسياً وجغرافياً وقيمياً بما يحقق مصالحها.

وحول أدوات تلك المبادرة يقول د. عبد الكريم إن الولايات المتحدة تستخدم الأمم المتحدة كأداة من أدوات تحقيق أهدافها؛ وذلك للترويج لمنهج الحياة الأمريكي بأنه ينبغي أن يسود؛ فبعدما كان هذا المنهج طبقاً (لبوش الأب) في قمة (ريو دي جانيرو) عام 1992م مبادئ غير قابلة للتفاوض فإنها بعد أحداث 11 سبتمبر ومع (بوش الابن) أصبحت منهجاً مفروضاً ومعياراً يتم القياس عليه والعودة إليه.

ما العمل؟

يرى (الأنصاري) أن الأمة العربية والإسلامية بحاجة للقضاء على التخلف الإيماني ببث روح الإيمان والجهاد في النفوس، وكذا على التخلف في مجالات المعرفة والتقنية والإعلام، ولكن على أسس إسلامية نابعة من عقيدتنا وهويتنا الإسلامية.

أما الدكتور (أحمد يوسف أحمد) مدير معهد البحوث والدراسات العربية فيرى أن هناك عدداً من الخطوات يجب اتخاذها تبدأ بضرورة التحليل الموضوعي الأمين لما جرى في العراق، ثم التصدي الحازم للحرب النفسية الراهنة ضد الأمة، وكذا ضرورة التصدي الحازم للوبي الأمريكي في الوطن العربي أياً كانت الأشكال التي يتخذها والمنابر التي يطل علينا منها؛ حيث بشروا بالتفوق الأمريكي الساحق على العراق قَبْل الحرب كسراً لإرادة المقاومة، والآن يشغلون أنفسهم بمتطلبات الحرب النفسية ضد ما بقي من إرادة الأمة والترويج للمستقبل الأمريكي للوطن العربي الذي يزعمون أنه مستقبل ديمقراطي مزدهر سياسياً واقتصادياً. ويضيف أحمد أنه يجب أيضاً ممارسة أقصى قدر من الضغوط على النظم العربية الحاكمة من أجل رفع مستوى أدائها إلى السقف الممكن، والتصدي للهجمة الواضحة على الجامعة العربية، والنظر فوراً في تفعيل النظام العربي غير الرسمي (الشعبي) والسعي إلى بناء الجسور مع القوى المناهضة للعدوان مع العمل على مواجهة ثقافة الهزيمة بثقافة المقاومة.

مقررات قمة الثمانى

بدأت قمة الثماني يوم 2004/6/6م ولمدة يومين بالولايات المتحدة الأمريكية بحضور رؤساء دول وحكومات (الولايات المتحدة . بريطانيا . فرنسا . كندا . روسيا . إيطاليا . اليابان . ألمانيا) وبدعوة رؤساء وملوك دول (أفغانستان، الجزائر، البحرين، الأردن، تركيا، اليمن، العراق).

تبنت القمة مبادرة بعنوان (مبادرة من أجل التقدم والمستقبل المشترك مع الشرق الأوسط الكبير وشمال أفريقيا).

وافقت الدول الثماني على:

– تأسيس «منتدى من أجل المستقبل» سيجمع معاً في منتدى واحد وزراء الدول الثماني ودول المنطقة للشؤون الخارجية، والاقتصاد، ووزراء آخرين من أجل مناقشات منتظمة حول الإصلاح، مع قادة أعمال ومجتمعات مدنية مشتركة في حوار مواز. وسيعقد الاجتماع الافتتاحي للمنتدى في خريف عام 2004م.

– تبني «خطة دعم» تقدم مساعدة عبر مبادرات جديدة:

– حوار مساعدة ديمقراطية يجمع بين مؤسسات ديمقراطية، ومجموعات مجتمع مدني، وحكومات من الدول الثماني والمنطقة، ودول أخرى لترويج وتقوية المؤسسات الديمقراطية، وتنسيق واقتسام معلومات عن برامج حول الديمقراطية، وتدشين برامج جديدة حول الديمقراطية.

– مبادرة تمويلات صغيرة لتمكين أكثر من مليوني شخص من تنفيذ مشاريع تجارية حرة.

– مبادرة التعليم بما في ذلك تدريب فريق من 100، 000معلم بحلول عام 2009م.

– مبادرة تدريب أصحاب الأعمال الحرة لمساعدة ما يصل إلى 250، 000 مغامر في الأعمال، خصوصاً النساء، وتوسيع فرصهم للتوظف.

– مرفق لتنمية المشاريع الخاصة في مؤسسة التمويل الدولي لاستثمار مبلغ 100 مليون دولار في تمويل مشاريع صغيرة ومتوسطة الحجم.

– شبكة من الصناديق المالية لتنسيق عمل مؤسسات التنمية والمؤسسات المالية الدولية العاملة في المنطقة.

– فريق عمل خاص للاستثمار لمساعدة جهود المنطقة لتحسين جو الأعمال.

– دعم جهود المنطقة لتعزيز حرية التعبير والفكر والعقيدة، ولتشجيع وسائل إعلام مستقلة، بما في ذلك: رعاية التبادلات والتدريب والمنح الدراسية للصحفيين، وتشمل نشاطات مجموعة الثماني.

جمادى الآخرة 1425هـ * يوليو / أغسطس 2004م

المصدر : http://www.albayan-magazine.com

=============

#ماذا تريد المنظمات الأجنبية من المرأة المسلمة في شمال نيجيريا ؟

الخضر بن عبد الباقي محمد

تتعرض الأسرة المسلمة في نيجيريا اليوم أكثر من أي وقت مضى لحروب فكرية شرسة ومدروسة لإحداث بلبلة فكرية أولاً، ومن ثم اضطراب في المفاهيم، وكلها ترمي للقضاء على القيم الإسلامية في البلاد، تلك المحاولات تستهدف المرأة المسلمة وعلى التحديد في المناطق الشمالية التي حققت فيها الصحوة الإسلامية مكاسب كبيرة في السنوات الأخيرة، وتأتي المنظمات الأجنبية والجمعيات غير الحكومية كإحدى محكات تلك الحروب نظراً لما تقوم به وتسوّق له من أفكار لا تخرج في جوهرها عن نمط وأشكال الدعوات إلى الإباحية والرذيلة في البلاد، وللأسف- بأسلوب مموّه وبطريقة قذرة قد لا ينتبه إليها أو يدرك مغزاها ودلالاتها العميقة إلا القلة، ترفع هذه المنظمات شعارات براقة جذابة، وتخفي بداخلها جرثومة فتّاكة من دون إثارة الضجيج. إنها بذلك تنقل السموم الغربية والقيم النصرانية المتناقضة لقيم الإسلام بزعم أنها جاءت تستبدل بالتخلف العلمية والتقدم، وتقتل الظلام بالنور الساطع القادم مع الحضارة الغربية.

الخطوط العريضة لهذه المحاولات الخبيثة لا تكاد تختلف عن دعوات سابقة لتحرير المرأة، بل تؤكد الأدبيات الخاصة للجمعيات العاملة في هذا المجال على أن مسألة تقوية المرأة بإعادة الحرية الكاملة لها، من خلال امتلاك إرادة حرة في اتخاذ قراراتها بعيدة عن سلطة الرجل أو الأسرة، وهذه واحدة من الغايات الأسمى التي تهدف إليها تلك المنظمات، بل تعتبر تحقيق ذلك "انتصاراً لقيم الحرية على السلطوية والقهر".

ولسنوات دأبت على تشجيع إدانة ممارسات رجعية على حد زعمها- مثل تعدّد الزوجات، الزواج القسري أو الزواج المبكر، وسعت من خلال التركيز على هذه الأبعاد الحساسة ثقافياً إلى جذب انتباه سلطات محددة، وتتبع منطق الاستفادة السريعة في الانتشار داخل الحياة العامة في نيجيريا وفي داخل عدد من الدول والمجتمعات الأفريقية، وتكثف عملها على إبراز سوء أوضاع النساء من مختلف

الأبعاد والتي تمثل نقاط الصدمة للغرب، الشيء الذي يمكن أن يجلب أو يدرّ تمويلاً ومساعدات كبيرة من المؤسسات الغربية المعنية بالقضية.

لماذا شمال نيجيريا؟

جاء اهتمام هذه المنظمات الأجنبية بمناطق شمال نيجيريا بشكل أكثر وضوحاً وتركيزاً من أي وقت مضى، ولعل هذا التركيز لم يكن قد جاء اعتباطا أو مصادفة من حيث التوقيت الزمني أو حتى المكاني بالطبع، فعلى الرغم من أن المحاولات والجهود التي تبذلها تلك المنظمات الناشطة في هذا الاتجاه قد انطلقت منذ فترة ليست بقصيرة، إلا أن تكثيف المناشط والبرامج قد جاء في وقت تصاعدت فيه مظاهر الانبعاث الديني أو الصحوة الإسلامية والمتمثلة في إعلان بدء عدد من الولايات النيجيرية في تلك المنطقة تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، وجاءت موجة انتقادات شديدة منها باتهامها بمصادرة حريات المواطن خاصة النساء، والتي ترى على حد زعمها "أنهن أكثر تضرراً من تطبيق الشريعة الإسلامية، وأكثر من وقع ضحايا أحكامها، لا سيما في قضايا الأحوال الشخصية أو القضايا الجنائية".

وقد شهدت مناطق شمال نيجيريا تنامي ظهور وانشاء المنظمات والمراكز الجديدة العاملة في مجال المرأة وشؤونها بطريقة أكثر لفتاً للانتباه والاهتمام حسب ما تشير إليه التقارير و الكتابات الأكاديمية المعنية بالشؤون الاجتماعية في تلك المناطق، فعلى سبيل المثال لا الحصر هناك: مراكز الحق في الصحة(Centers for the right to Health) وامتدت تلك التطورات لتشمل مجال القانون مثل: مركز تنمية المصادر والأبحاث القانونية(Legal Resource and Research Development Center) والذي يولي اهتماماً كبيراً بالجوانب القانونية وتوفير خدمات واستشارات قانونية للمرأة؛ لإنجاح مشروع دعم وتقوية المرأة وتحريرها من السلطوية الأسرية أو الدينية كما يزعم هؤلاء، وقد كان الذراع الطولى والسند الكبير لدعم هذه الدعوات والأفكار الوكالات والمنظمات الدولية اللا حكومية؛ إذ تؤمن للنشطاء في هذا الاتجاه مساعدات مالية ومصادر تمويل دائمة.

وقد أكدت البحوث العلمية الأكاديمية حدوث حالة تدنٍ في مستوى الذوق العام وظهور ممارسات سلوكية في الوسط الاجتماعي، وحملت بعضها مسؤولية انتشار

ظواهر سلبية في المجتمع الشمالي المسلم المحافظ، ويشير الدكتور محمد ثالث الشيخ أستاذ التربية في جامعة بايرو في مدينة كانو في بحث له عن (دور الجمعيات والمنظمات اللا حكومية في إفساد المرأة في شمال نيجيريا) إلى التأكيد على ظهور حالات انحراف سلوكية بين النساء والشباب بالفعل؛ لأسباب ودوافع مختلفة، من بينها ما تنشره تلك الجمعيات من معلومات بالتركيز على مفاهيم مرتبطة بقضايا الجنس والغرائز والمراهقة.

كما أنها باتت تنخرط بشكل كبير في أوجه مناشط المجتمع المدني بجميع أشكالها، وأصبحت تجذب أعداداً هائلة في الأوساط النسائية، بدعاوٍ ومزاعم شتى، كدعوى (إصلاح حياة المرأة والعمل أو النضال للرفع من مستواها المعيشي والدفاع عن حقوقها المهضومة)، ورفعت شعار إطلاقها من القيود المفروضة عليها من الأعراف والتقاليد والقيم الدينية الموروثة.

من ناحية أخرى، نلاحظ أن أغلب تلك المنظمات إن لم تكن جميعها كانت تنطلق من مبادئ الفكر العلماني، فهي لا تهتم أو تعتني بالقيم الروحية، ولا الالتزام الديني فضلاً عن القيم الأخلاقية؛ فلا مجال للحديث عندها عن قضايا قيمية مثل: الشرف والعفة والطهارة والنقاء في الجانب المادي أو المعنوي، فلا تحث على النكاح الحلال، ولكنها تدعو وتشجع على ضرورة إطلاق العنان لحرية المرأة والشباب من الجنسين في إشباع الرغبة والغرائز الجنسية بأي طريقة دون التقيد بالإطار المقبول سواء في العُرف أو الشرع، علاوة على ذلك نجد أن التركيز شديد جداً على قضايا تحديد النسل؛ إذ أصبحت الشغل الشاغل على أجندة أولوياتها، وكثّفت حملاتها، وارتفعت وتيرتها خلال السنتين الماضيتين في شمال نيجيريا حول ضرورة ضبط النسل، والاهتمام بالنواحي الصحية للمرأة من خلال خطة مدروسة ومعدة بكل مكر ودهاء لتحظى بالقبول على المستوى الرسمي والشعبي تحت شعار: نحو مجتمع شمالي خالٍ من الأمراض، (التطعيم) الأمر الذي أدى إلى توتر العلاقة بين الحكومة الفدرالية وحكومات الولايات الشمالية بسبب موقف تلك الولايات الرافض لهذا المشروع المشبوه والمشكوك فيه.

مداخل التغلغل:

عملت هذه المنظمات على استغلال الأوضاع والظروف الاجتماعية في البلاد كمدخل طبيعي للنفاذ داخل المجتمع النسوي، ولمخاطبة الرأي العام النسائي، بالضرب على أوتار وميول مرتبطة بالاحتياجات الفعلية والمشكلات التي تواجه المجتمع، وكانت من بينها إطلاق سلسلة من المشروعات والبرامج ذات الصبغة الإنسانية والخدمية، مثل (مشروع التطعيم ضد الأمراض والأوبئة)، و(مشروع المكافحة والوقاية من الإصابة بمرض فقد المناعة المكتسبة"الإيدز")، و(مشروع دعم التعليم الأساسي)، و(تأمين حياة أفضل للمرأة)، و(مشروع الصحة الإنجابية) وتتبنى الإشراف على تلك المشروعات منظمات ووكالات أجنبية غربية، مثل منظمة الصحة العالمية(World Health Organizition) وتعتبر الوكالة الدولية لمشروع صحة المراهقين والمعلومات(Adolescents Health And Information Agent) أكثر تلك المنظمات الدولية والأجنبية ذات قوة ونشاط ونفوذ، وهي تقدم معلومات و أرشادات ونصائح للمراهقين من الجنسين فيما يخص سبل الوقاية من الأمراض التي يمكن أن تنتج عن ممارسة الجنس، تلك المعلومات التي تصفها بأنها " معلومات ومشورات علمية لإقامة علاقة صداقة وعلاقات حب فاعلة على أساس من الثقة لتفادي أي مخاطر صحية ومشكلات في الأداء"!!

وعلى جانب آخر هناك منظمات تقدم خدمات مماثلة للسيدات، مثل منظمة صحة المرأة النيجيرية (Nigerian Women Organization) صحة المرأة وإرشادات عن وسائل منع حدوث الحمل عند ممارسة الجنس هي قضايا اهتمامها، كما تعمل لتكريس عدة مفاهيم لا تخرج عن فكرة تحرير المرأة، وتعمل بالتعاون مع وكالة الولايات المتحدة الأمريكية للتنمية العالمية، والوكالات الوطنية ذات النزعة العلمانية لنشر قيم الثقافة الغربية في التعليم، مثل الدعوة إلى التعليم المختلط، والمطالبة بإلغاء حالة الفصل الموجودة في بعض المدارس، وتعمل منظمة أخرى في مجال نشر الوعي بالحقوق الديمقراطية للمرأة، مثل مشروع تقوية المرأة (Women Empowerment project) لمساندة جميع الجمعيات النسائية المحلية في شتى المدن لنيل حقوقهن وتحقيق مطالبهن عبر المؤسسات والمنابر الديمقراطية المختلفة.

وتتّبع هذه المنظمات العديد من الوسائل للترويج لتلك الأفكار والمفاهيم، مثل: عقد ندوات ومؤتمرات، وتنظيم ورش وحلقات نقاش ودورات خاصة للنساء، تحت عناوين ومسميّات مختلفة مخفية الأهداف والمقاصد الحقيقية وراء السطور، من بينها مؤتمر المرأة في ظل تطبيق الشريعة الإسلامية في شمال نيجيريا، والذي عُقد مؤخراً في مدينة أبوجا، ولم يكن مستغرباً أن يخلص في مداولاته إلى أن تطبيق الشريعة قد أضر بالمرأة النيجيرية وأعاق تقدمها وتحريرها!!

ويبقى لنا للأمانة أن نشير إلى مسيس الحاجة إلى بذل المزيد من الجهود للتوعية والإرشاد لملاحقة هذا التغلغل والنفوذ من ناحية، وإلى ضرورة تدارك مواطن الضعف والخلل في الأوضاع الداخلية في تلك الولايات مثل: المظاهر الاجتماعية السلبية كحالة أطفال الشوارع وظاهرة التسوّل، وغيرها من الأمور التي وفّرت أرضية للطعن والتشكيك في مدى قدرة نظام ذي توجه إسلامي في ضبط الوضع على الرغم مما تزخر به خطبه وأدبياته من نظريات في الرعاية والعدالة الاجتماعية، علاوة على ذلك فإن هذه الحالة تطرح تحدياً جديداً لا تقل خطورة عن التحديات الثقافية المعاصرة التي تواجهها الأمة، وهو إشكالية عدم وجود خطاب دعوي مخطط ومنظم للمرأة الأفريقية بما يتناسب ومخاطر المشكلات التي تعيشها، أخيراً يجب أن تتم إعادة طرح جديد لفكرة التربية الجنسية في المناهج الدراسية في البلاد، بعقلية تتجاوز الهاجس الأخلاقي للوصول إلى رؤية متكاملة الأبعاد، مما يجعل الجيل والنشء في مأمن وعلى بصيرة من تلك القضايا الشائكة التي دائماً تُثار للنيل من الإسلام وتعاليمه.

المصدر : http://www.islamway.com

============

#(اليونسكو) .. ودورها المشبوه .. ! - حقائق -

سليمان بن صالح الخراشي

لم يعد خافيًا على عاقل أن المنظمات العالمية؛ كهيئة الأمم المتحدة وما يتبعها من منظمات متنوعة هي مجرد أدوات طيعة بيد منشئيها من دول الغرب؛ يسيرونها لتخدم أهدافهم ومخططاتهم وتكريس هيمنتهم الثقافية والعسكرية؛ وإن ستروا ذلك

بشيئ لا يُذكر مما يسمونه بالأعمال الإنسانية ذرًا للرماد في العيون؛ أو كما قال الأستاذ خالد أبو الفتوح: (وحتى لا يتضح دور العالم الغربي وعلى رأسه أمريكا في الهيمنة العالمية فسيكتفي الغرب بدور الموجه والمشرف فقط، تاركاً تتميم الإجراءات وفرض رؤى العولمة للمجتمعات المستهدفة نفسها عن طريق المؤتمرات الدولية والإقليمية والمنظمات الدولية، كالبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية (Wto) والمجلس الاقتصادي والاجتماعي، ومنظمة الأغذية والزراعة (Fao) ومنظمة العمل الدولية، ومنظمة الصحة العالمية، ومنظمة اليونسكو..) (مجلة البيان، العدد 136).

ومن تلك المنظمات سيئة الهدف: منظمة اليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم).

وقد أحببت أن أجمع للقارئ شيئًا من تاريخها غير النزيه مع الإسلام والمسلمين:

نشأتها:

خرجت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم «اليونسكو» إلى حيز الوجود في عام 1946م، وذلك بعد انقشاع رماد الحرب العالمية الثانية، وما صاحبها من تدمير هائل لبنيات المؤسسات التربوية والثقافية والعلمية.

وتشير المعلومات الخاصة بتأسيس (اليونسكو) إلى أن البداية ترجع إلى سلسلة من المؤتمرات لوزراء التربية في الدول الحليفة بدأت في عام 1942م نوقشت من خلالها الكيفية التي يمكن من خلالها استنهاض منظمة دولية للتربية والثقافة من أجل توطيد السلم في العالم. وبمبادرة من الحكومتين البريطانية والفرنسية انعقد المؤتمر التأسيسي لمناقشة دستور المنظمة عام 1945م في مدينة لندن، وتم تشكيل لجنة تحضيرية كلف السير جوليان هكسلي أمينًا تنفيذيًا لها. وقد دخل الميثاق التأسيسي للمنظمة إلى التنفيذ بعد أن وقعت عليه الدولة العشرون (اليونان) وعقد أول مؤتمر عام للمنظمة اجتماعاته في ديسمبر 1946م، حيث تم انتخاب السير جوليان هكسلي أول مدير عام للمنظمة. وشارك في ذلك المؤتمر التأسيسي (44) دولة من ضمنها المملكة العربية السعودية ومصر ولبنان، بل كانت هذه الدول من ضمن قائمة الدول العشرين الأولى التي صادقت على ميثاق المنظمة، لذا تعتبر الدول العربية من أوائل

الدول التي شاركت وساهمت في الاجتماعات التأسيسية لمنظمة اليونسكو؛ كما تدعم منظمة اليونسكو بأساليب مختلفة؛ مثل الإسهام في الودائع الخاصة باليونسكو إلى جانب دفع المساهمات السنوية التي تمثل في حدود (5%) من ميزانية اليونسكو، ومن أمثلة الدعم العربي لليونسكو أيضًا برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة.

الوظائف الأساسية لليونسكو:

ويمكن إيجاز الوظائف الأساسية لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم في التالي:

- أن تكون معملاً للفكر ييسر تفهم التطورات الكبرى في عالم اليوم ويرسم مبادئ توجيهية فكرية وأخلاقية.

- أن تحث السلطات على وضع أهداف محددة، واعتماد السياسات المحققة لها، في ميادين التربية والعلوم والثقافة والاتصالات وتعزيز القانون الدولي بوضع صكوك معيارية في هذه الميادين.

- أن تكون مركزًا دوليًا لتبادل المعلومات عن الاتجاهات في مجالات التربية والعلم والثقافة والاتصالات.

ويلاحظ أن هذه الأهداف قابلة لشتى التفسيرات والتوجهات! حسب هوية من يسعى في إقرارها وتنفيذها.

(للمزيد عن اليونسكو: انظر: كتاب " مسيرة نحو غاية جليلة - كتاب مرجعي لليونسكو " لميشيل لاكوست، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية، 1993م. وانظر: مجلة المعرفة، عدد محرم 1426).

يقول مؤلفو كتاب " المؤامرة على التعليم " (الأساتذة: حسن جودة، محمد خفاجة، أحمد العدل، صلاح الدين محمد، محمد يوسف صبيح، عبدالفتاح غالي) (ص 81-84):

ثانياً: الأمم المتحدة ومنظماتها المشبوهة: اليونسكو ومنظمة الإسلام والغرب

(أ) اليونسكو: ودورها المشبوه

اليونسكو تتعمد تشويه تاريخ الإسلام وتتبنى الإلحاد والعلمانية:

كانت اليونسكو عند إنشائها تجنح إلى الفكر الإلحادي الصريح؛ حيث تولى رئاسة اللجنة التحضيرية للمؤتمر التأسيس الأول (جوليان هكسلي)البريطاني الجنسية والذي وضع في كتابه (اليونسكو وأهدافها وفلسفتها) نظرية اسمها " الإنسانية الارتقائية "، لتحل محل الأديان والفلسفات المحلية، وذلك بحجة تذويب الفوارق الثقافية بين الشعوب لتجنب الصراعات الدولية، ولما عارض ذلك عدد من دول العالم الثالث، وطالبوا بالعدالة في تمثيل ثقافات الدول انسحبت أمريكا من اليونسكو مما أفقد المنظمة نحو ثلث مواردها المالية، وعلل جورج شولتز وزير خارجية أمريكا لذلك بقوله: " إن الأفكار والأيدلوجيات التي سادت المنظمة تضر مصالح الأمريكان "! وهذا دليل قاطع على عنصرية التفكير الأمريكي ورغبته المعلنة في تسيير سياسة المنظمة وإلا ما انسحبت منها، وهكذا بدأت منظمة اليونسكو بالإلحاد وانتهت بالعنصرية.

ومن الأمثلة على تحيز اليونسكو ضد الإسلام أنها قررت عام 1947 أن تدرس تاريخ التطور العلمي، وفي أثناء مناقشات المؤتمر العام لليونسكو سنة 1954 علق الوفد المصري على خطة المجلد الثالث لدراسة التاريخ الثقافي العالمي بأنها لا تفسح مكاناً ملائماً لتاريخ الإسلام، وطالب بمشاركة ممثلين عن العالم العربي في هذا العمل، ولكن لم ينل هذا النقد سوى الوعود الكاذبة، وصدرت ستة مجلدات تباعاً بها الكثير من الأكاذيب حول الإسلام والمسلمين.

والمثير للشكوك والريب حول لجان اليونسكو بالعالم العربي والإسلامي أن هذه القضية لم تكتشف إلا عام 1975 عندما أثارها د. عبدالعزيز كامل (عضو جماعة الإخوان المسلمين سابقاً ووزير الأوقاف المصري سابقاً) وذلك في جريدة الأهرام حيث أعلن عن وجود مغالطات عن الإسلام في أهم مؤلفات اليونسكو، ووجد بالفعل في المجلد الثالث فقرات يمكن أن تصدم مشاعر أي مسلم يعتز بدينه.

ثم توالت الأصوات في العالم الإسلامي والعربي تنادي بمنع هذا المجلد من التداول.

وأمام هذه الزوبعة التي أثارها المجلد الثالث، لما فيه من تشويه للتاريخ الإسلامي برمته، تصرف المدير العام لليونسكو أحمد مختار أمبو تصرفاً حكيماً، حيث قرر عمل لجنة لمراجعة هذا العمل ككل، وتنقيحه مما فيه من أغلاط، ولكن هذه اللجنة

اكتشفت ثغرات وعيوباً خطيرة ومتعددة؛ بعضها يتعلق بالمنهج وبعضها يتعلق بالموضوع، وكان من أخطر ما جاء في تقرير اللجنة هو الإقرار بوجود " تحريف خطير للحقائق فيما يتعلق بإعداد المصنف وتصميم مادته ".

ويضيف التقرير قائلاً: إنه لا يسعنا إلا أن ندهش إزاء ما يجب تسميته "رؤية لتاريخ البشرية تمركز حول أوربا في المقام الأول" وخلصت اللجنة إلى أنه يجب إعادة كتابة تاريخ البشرية والاستغناء تماماً عن العمل السابق ذي المجلدات الستة.

هذا هو نموذج لموقف اليونسكو من الإسلام وتاريخه، فلا نندهش إذن من تبنيها للمنظمة العالمية المشبوهة: " الإسلام والغرب ".

(ب) منظمة "الإسلام والغرب" المشبوهة

إنه لشيء مؤلم حقاً أن تكتشف فجأة تورط منظمات عالمية لها مكانتها في التآمر على عقول المسلمين ومؤسساتهم التعليمية، ومن ذلك منظمة اليونسكو التعليمية unesco التابعة لهيئة الأمم المتحدة، ومما يؤلم أكثر أن تكتشف أن هناك مشاركاً لها في تلك المؤامرة، من بني جلدتنا، وهم أعضاء المنظمة العربية للتعليم والثقافة التابعة لجامعة الدول العربية، حيث تبنت كل من اليونسكو unrsco والأليسكو Alesco ومؤسسات أخرى غربية قيام منظمة عالمية خبيثة اسمها "الإسلام والغرب" تخصصت في الدس على المناهج والمقررات الدراسية في العالم الإسلامي وبخاصة مادة التاريخ والدين؛ وفيما يلي عرض لبعض أعمال هذه المنظمة المشبوهة ولائحتها التأسيسية ودورها في إفساد الكتب الدراسية وغيرها في طول البلاد الإسلامية وعرضها.

ثم نعرض نماذج تطبيقية من مصر ودولة الإمارات والسعودية حيث اتخذت فيها إجراءات للتطوير في مجال التعليم تكاد تكون هي بحذافيرها التي خُطط لها بهذه المنظمة المشبوهة والتي حضر اجتماعاتها مندوبين عن هذه الأقطار وغيرها.

حقيقة منظمة (الإسلام والغرب): وكيف تخصصت في إفساد مناهجنا الدراسية؟

تكونت هذه الجمعية المشبوهة تحت رعاية اليونسكو unesco، ومنظمة التعليم والثقافة Alesco التابعة لجامعة الدول العربية، حيث عقدت ندوة استشارية حول التوصل إلى تفاهم أفضل بين الإسلام والغرب عن طريق تغيير مناهج التاريخ

والعقيدة الإسلامية!! وقد تم ذلك بالفعل في فينيسيا (البندقية) بإيطاليا في المدة من 16: 20 أكتوبر 1977 م.

وكان المشتركون في الندوة خمسة وثلاثين؛ منهم عشرة من المسلمين أما الخمسة والعشرون فمعظمهم من الغربيين الصهاينة والصليبيين من أعلى المستويات التعليمية والسياسية..

وقد شكلت الندوة لجنة لتصنع دستوراً لمنظمة (الإسلام والغرب) وتتكون هذه اللجنة من ثمانية أعضاء منهم أربعة من الدول الإسلامية وأربعة من غير المسلمين ويضاف إليهم رئيس هذه المنظمة الدكتور معروف الدواليبي والسيد/ براون والمدير العام اللورد كارادون الذي كان له النفوذ الأكبر هو والأمين العام الدكتورة مارسيل بواسار اليهودية السويسرية، على أن تجتمع اللجنة في فبراير 1978 في باريس لتستخلص الأهداف من المناقشات العامة التي تمت في فينيسيا توطئة لتقديم اقتراح بدستور المنظمة، وذلك للعمل بوجه خاص لإخراج كتب للمراحل الابتدائية والثانوية والتعليم العالي والإذاعة والتلفزيون ودور النشر.

وإلى هنا والأمر لا يشوبه إلا أن المشاركين من الغرب أكثرية وفطاحل ومتمرسون في الصياغات المهلكة مثل (كارادون) وغيره.

وفي المدة من 3: 6 أكتوبر 1979 عقد المؤتمر التأسيسي لجمعية منظمة (الإسلام والغرب) حيث أصدرت دستورها الذي حظي بالقبول، وكان عنوانه (مراجعة كتب تدريس التاريخ وتطوير المواد التعليمية بوصفها السبيل إلى تفاهم أفضل بين الإسلام والغرب) وجاء في قائمة محتويات البرنامج ما يؤكد على الاتجاه العلمي البراجماتي أي النفعي (الأمريكي) ص 10 10A pragmatic approach.P.، ويؤكد أيضاً على مراجعة الكتب المدرسية، وإعداد المادة الدراسية الخ.

وفيما يلي نقتطف من هذا الدستور بعض الفقرات:

وجد في ص 7: " إن مؤلفي الكتب والمدرسين لا ينبغي لهم أن يسمحوا لأنفسهم بأن يصدروا أحكاماً على القيم سواء صراحة أو ضمناً، كما لا يصح أن يقدموا الدين على أنه معيار أو هدف، وعليهم أن يجتنبوا الخوض فيما يتعلق من الماضي بالحاضر، أو القيم الشخصية التي تتسم بالمفارقات التاريخية، ولا ينبغي لمدرس

التاريخ خاصة أن يقدم إحدى الممارسات الدينية على أنه تفوق سائر الممارسات ولا يصح له أن يضفي أفضلية عليها "!!

وأيضاً: " من المرغوب فيه أن الأديان يجب عرضها ليفهم منها التلميذ خصائصها الأساسية فقط ولكن أيضاً ما تشترك فيه مع غيرها من الأديان، على وجه العموم، وذلك في القطر الذي يتم فيه التدريس ".

ص8: " ويلزم فحص الكتب الدراسية التي قامت بتقديم الظاهرة الدينية، على أن يقوم بذلك علماء من مختلف التخصصات وكذلك أعضاء من أصحاب العقائد الأخرى، وكذلك من اللادينيين "!!

تعليق:

كل هذه القرارات غير قابلة للتطبيق إلا في البلاد الإسلامية! وقد طبقت بالفعل كما هو موضح في نموذج دولة الإمارات العربية ومصر، أما دول الغرب ومنها أمريكا فإنه لا يُسمح بتدخل الحكومة سياسياً، في تغيير أي منهج حتى بالنسبة للولايات الفيدرالية، فالعملية التعليمية عندهم بعيدة عن أصابع العبث والتذبذب مع التغيرات السياسية أو غيرها، فتربية النشء عندهم تخضع لسياسات ثابتة تخدم القضايا القومية، وما ذكر عن ضرورة تحول القرارات إلى تطبيق عملي وفرض ذلك بالقرارات السياسية غير مقبول في مجتمعات الغرب ولا يقصدون به إلا مجتمعاتنا، وهو ما تسعى إلى تحقيقه جمعية " الإسلام والغرب " في بلادنا للأسف).

ثم ذكر الأساتذة نماذج من التحريفات في مناهج الدول العربية.

وقال الدكتور محمود حمدي زقزوق في كتابه " الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري " (ص 115):

(والغريب أن الهيئات العالمية مثل اليونسكو وهي هيئة دولية تشترك فيها الدول الإسلامية- تستكتب المستشرقين، بوصفهم متخصصين في الإسلاميات، للكتابة عن الإسلام والمسلمين في الموسوعة الشاملة التي تصدرها اليونسكو عن "تاريخ الجنس البشري وتطوره الثقافي والعلمي". وقد أثارت كتاباتهم حفيظة المسلمين على مؤسسة اليونسكو. والمهم ما فيها من مجافاة للحقائق التاريخية وتهجم على نبي الإسلام، وكتب الكثيرون احتجاجات على هذه الإساءات التي ليست إلا وحياً لتقاليد موروثة،

وامتداداً للروح الصليبية، وهو عمل كان ينبغي أن تتنزه عنه هذه المؤسسة الكبيرة).
وانظر أيضًا: " نظرات في حركة الاستشراق " للدكتور عبدالحميد مذكور، ص7).
قلتُ: وممن كتب الاحتجاجات على هذه المنظمة وتطاولها على الإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم –: الدكتور محمد السمان في كتابه الشهير " مفتريات اليونسكو على الإسلام ".
ومـــــن ذلـــــــك: مـــــــاتراه فـــــــي هـــــــذين الـــــــرابطين:
. htm19/30http://www.iu.edu.sa/Magazine/
. htm20/30http://www.iu.edu.sa/Magazine/
أما عن دوراليونسكو في تغريب " المرأة المسلمة " فأحيل القارئ إلى بحث بعنوان " العولمة الاجتماعية للمرأة والأسرة " للأستاذ فؤاد بن عبد الكريم آل عبد الكريم، نشر في مجلة البيان (العدد 170)، قال فيه وهذه المنظمة الأخيرة التي تعرف باسم: « منظمة اليونسكو »، لها دور فاعل ومميز في هذه المؤتمرات من حيث الإعداد والمشاركة فيها؛ فقد قرر المدير العام لهذه المنظمة إنشاء لجنة استشارية معنية بالمرأة، وعهد إلى هذه اللجنة بإعداد ما يمكن لهذه المنظمة الإسهام به في مؤتمر المرأة الرابع في بكين 1995م، وتهدف هذه المساهمة إلى ما يلي:
– تعزيز نشاط اليونسكو وتفكيرها بشأن موضوعات المؤتمر الثلاثة: المساواة، والتنمية، والسلام، وإبرازها بصورة أوضح.
– الإسهام في القضاء على القوالب الجامدة التي لا تزال تحدد أدوار وسلوك الرجال والنساء، وتبقي من ثم على أشكال التفاوت والتمييز التي تستند إلى الجنس..) الخ.
وأما عن دورها في نشر " العلمنة " والفكر المنحرف بين المسلمين؛ فيكفي شاهدًا عليه مشروعها (كتاب في جريدة) الذي توزعه – للأسف! – بعض صحف بلادنا؛ حيث التركيز المتعمد على أدباء الحداثة العلمانية؛ من أمثال: سعد الله ونوس، نجيب محفوظ، بدر شاكر السياب، صلاح عبدالصبور، غسان كنفاني، أمل دنقل، غالب طعمة، فرمان قيصر، بايّاخو (شاعر إسباني)، يوسف إدريس، توفيق الحكيم، حنا مينة، عبد المجيد بن جلون، محمد خضير، الطيب صالح، إلياس خوري.. فهي أعمال موجهة مختارة لكتّاب أصحاب توجه فكري واضح ومعلوم.. وليس هذا

بمستغرب؛ حيث لا بد أن القائمين على اختيار الأعمال سينتقون ما يتوافق مع قناعاتهم، ولتعرف هذه القناعات نذكر قائمة (الهيئة الاستشارية) كما جاؤوا في (كتاب في جريدة) ومنهم: أدونيس محمود درويش جابر عصفور عبد العزيز المقالح يمني العيد ناصر الظاهري أحلام مستغانمي توفيق بكار بدر عبد الملك.

فمن الذي وضع هؤلاء أو أولئك أوصياء على وعي الأمة؟ !

ومن الذي أعطى لليونسكو سلطة تشكيل العقل العربي (أو الإنساني)؟ !. (انظر: البيان، العدد 130).

وأختم بما قاله سيد قطب – رحمه الله –: (إن " العالم الحر"! لا يحاربنا بالمدفع والدبابة إلا في فترات محدودة، ولكنه يحاربنا بالألسنة والأقلام، ويحاربنا بالمنشآت البريئة في مركز التعليم الأساسي، وفي هيئة اليونسكو، وفي النقطة الرابعة، ويحاربنا بتلك الجمعيات والجماعات التي ينشئها وينفخ فيها ويسندها ويمكن لها في المراكز الحساسة في بلادنا... وأخيراً فإنه يحاربنا بأموال أقلام المخابرات التي تشتري الصحف والأقلام، وتشتري الهيئات والجماعات). (مجلة الرسالة: العدد 1018 – 1953/1/5، نقلا عن مجلة البيان، العدد 45).

فهل تعيد الدول الإسلامية النظر في دعمها لهذه المنظمة المشبوهة؟! وأليس باستطاعتها وهي ذات الإمكانات المتنوعة – إذا صدقت النية – أن تستغني عنها بمنظمات إسلامية جادة، تحمل الهم الحقيقي لترقية الشعوب الإسلامية بما ينفعها ولا يضرها؟!

المصدر : http://www.saaid.net

==============

#خِيانة المثقّفين في السعوديّة

عبد الله العجمي

أكْلَة الجبناء المفضّلة هي الصّمت الذي يتدثّر بالحكمة، وحجّتهم المتهالكة في مواقف اللامبالاة هي فقدان الشّفافية الذي يقود إلى ضبابيَّة تدفع باتجاه التوقف في مِنطقةٍ وسطٍ بين الـ"مع" والـ"ضدّ" !

فالحقيقة عندهم يجب أنْ تكون دائماً مدعومة بشاهدين، ووضوحها يفقأ العين، متجاهلين علمهم بـ"حقيقة " دامغة لم يخفِها عن أعينهم رُكام الضّباب الذي يحتجّون به، ولم تحتجْ لشاهدين، ولا ليمين مُغَلّظة، تلك هي " حقيقة " فقدان الشّفافية !

الثقافة أيّها المفكّر، وأيَّها المثقّف، وأيّها الكاتب؛ معجونة بالنّضال شئت أم أبيت، يقول "مكسيم غوركي": " في أساس الفن يكمن نضال " مع " أو " ضدّ"، ولا يمكن أنْ يكون هناك فنّ لا مُبالٍ؛ لأنّ الإنسان ليس آلة تصوير، بل هو يثبت الواقع ويؤكّده أو يغيّره ويُحطِّمه".

يقول "برتولد بريخت" : " الحقيقة أمر حزبيّ إنَّها لا تكافح الكذب فقط بل تُكافح أيضاً من ينشره ".

ما الذي جعل "إميل زولا" يتهم؟!

ما الذي جعل "نعوم تشومسكي" يحوّل اهتمامه من اللسّانيات إلى السّياسة؟

ما الذي جعل "بول فيندلي" يقف في وجه المجتمع الأمريكي ليصدر كتاب"من يجرؤ على الكلام" وهو الذي يعلم سيطرة اليمين المتصهين؟

ما الذي جعل "فرانسيس ستونر" تصدر كتابها الشهير " الحرب الباردة الثقافيّة " فاضحة رؤوساً ثقافيَّة كبرى، ومتّهمة إياها بالعمالة لجهاز الاستخبارات الأمريكيّة، رغم ما قد تقود إليه هذه الاتهامات من ملاحقات قانونية في مجتمع لا يسير فيه الفرد في الشارع دون أن يكون رقم محاميه الخاص في جيبه؟!

ما الذي جعل الراحل "إدوارد سعيد" يصف الكاتب بجريدة الشرق الأوسط "مأمون فندي" بالعميل، والبوق الذي يبرّر لليمين الأمريكيّ إمبرياليَّته ومخازيه، وغزواته الاستعماريّة؟

لا شيء دفعهم لهذا سوى " الضمير "، " الحقيقة "، " الوئام مع الأنا "، لم يخشَوْا شيئاً، لم يخشَوْا التصنيف، أو الحملات المكارثيَّة، أو العصا التي تلهب الظّهر لكنها لا تقطع اللّسان! التي قد تحني الظهر، لكنّها لا تحني " الحقيقة ".

السعوديَّة تواجه هجمة شرسة من الداخل والخارج دون أنْ يقف في وجه هذه الهجمة أحدٌ سوى ثُلَّة قليلة من المثقفين، والمفكّرين، والأدباء، والكُتَّاب، والمشايخ في حين فضَّل الكثير أكْلة الجبناء المفضّلة.

في السعوديّة يملك الكثير من الكُتّاب، والمثقّفين، والمفكّرين المخزون الأعلى على مستوى العالم في الحجج والأسباب والدواعي التي تدفع باتجاه موقف اللامبالاة السلبي، ودونكم دواعي البعض منهم وتبريراتهم لعدم تصدّيهم لهجمة بُغاث الليبراليّة السعوديّة على مباني الوطن الدينيّة والاجتماعيّة والسياسيّة والتعليميّة:

• الخوف من التصنيف يأتي على رأسها وخصوصاً حين يُصنَّف المفكّر أو المثقّف أو الكاتب في خانة المتعاطفين مع التيَّار الديني؛ فتلك شتيمة، وأيّ شتيمة أنْ يُوصف بأنَّه سلفِيّ إسلامويّ متديّن وغيرها من توصيفات الاستئصاليّين السعوديّين.

• الخوف على المكانة البورجوازيّة والشرفيَّة التي صنعتها مواقف مسالمة سابقة.

• الشعور بأنَّ المعركة المحتدمة بين الليبراليين والوطنّيين (بما فيهم الإسلاميّين، أومن يحلو للبعض تسميتهم بـ " المطاوعة ") هي معركة غير حقيقيَّة، ولهذا فهي لا تستحقّ عناء المشاركة فيها، أو التعليق عليها! رغم تقرير "راندل" الشهير بدعم إسلام علماني جديد ومستنير، ورغم تصريحات أساطين الخارجيّة الأمريكيّة بتغيير البنية الفكريّة والتعليميّة والاجتماعيّة السعوديّة، ورغم دعمهم المعلن لتوجهات علمانيَّة بعينها! لا شيء تحت الطاولة يا سادة.

• اليأس وفقدان الأمل بجدوى المقاومة يُغذّي هذا الشعورَ، الوضعُ البائسُ الذي ينخر فيه التخلّفُ والعنصريّة والمحسوبيَّة، وكأنّنا في مجتمع شرار الناس الذين لا تقوم القيامة إلا عليهم، ولسنا في مجتمع المقاومة والمدافعة على أرض لنا فيها مثل الذي لهم، وعلينا مثل الذي عليهم.

• الالتزام الفكريّ والكتابّي للمطبوعة، والذي يخشى البعض اهتزازه نتيجة الانحياز لطرف يقف أصحاب المطبوعة أو المشرفين عليها على النّقيض منه.

• هَوَس البعض بمخالفة الجماهير أياً كان موقفها، فلا تجتمع الجماهير – في فِقههم – إلا على ضلالة!! فخوف الجماهير على مكاسبها الوطنيَّة، وارتفاع أصواتها، وجأرها بالشكوى أمر غير مبّرر على الإطلاق، وغير عقلانّي، وغير تقدّميّ، وغير واعٍ في عُرفهم.

• شعور البعض بأنَّ هذه الحرب هي حرب تقليديَّة يُستخدم فيها الدّين والوطنيَّة بطريقة غير أمينة، لكنّهم لا يحتجّون بذات الحجّة تجاه من يهاجم خطابنا الديني،

ومبانينا التعليميّة والاجتماعيّة، ولا يذكرون شيئاً عن الانتهازيَّة الليبراليَّة غير الأمينة في اختيار هذا الوقت للنقد الذاتّي الذي يُخضِع كلّ شيء لمسامير ومطارق الاستنارة السعوديّة الجديدة، التي تأتي بالتزامن مع التهديدات الأمريكيّة لنا، أَنَقْدٌ ذاتيٌ أمينٌ أتى صدفةً، وجيوش الأعداء على تخومنا؟!

• ولها علاقة بما قبلها: الخشية من الوَصْم بعدم الوطنيَّة " سيف المنافقين المسلول "، وكأنَّ من سيصرخ بالحقيقة سيلقيها في وجه سلطان جائر لا في وجه أدعياء، ومرتزقة في ساحة ثقافيَّة مفتوحة للجميع!

• فقدان الجرأة والشجاعة في قول "الحقيقة" و" الحقيقة " – في الحقيقة – نوعان: حقيقة ملائمة، وأخرى غير ملائمة، في السعوديّة لا يُفضِّل الأدباء، والمثقفون، والكُتَّاب النوع الثاني لما فيه من استحقاقات ثقيلة، ولما ينطوي عليه من حقائق عارية تبدو لأوّل وهلة ثوريَّة، والثوريَّة الثقافيَّة – القائمة على الحقائق غير الملائمة – تُثير الفزع والرّعدة في فرائص المسالمين، أما النوع الأول فكلهم يُحسنه بلا استثناء فكلّهم أبطال للحقيقة الملائمة.

• فقدان حسّ المبادرة في الوقوف ضد الاستئصاليَّة في بداياتها، والانتظار، والتردّد في مواجهتها حتى تقع الفأس في الرّأس، وهذا يحدث نتيجة عدم القراءة السليمة لتجارب الآخرين، وفِتنهم المجتمعيَّة، وعدم فهم آليات الطابور الخامس الاستئصاليّ ومن يقف خلفه.

جاء زلزال الحادي عشر من سبتمبر، وأتوقف هنا لأحكي لكم ما قاله لي أحد المفكّرين العرب قبل سنوات حين كنا نتحاور حول ما يجري في الجزائر الجريحة بعد أنْ أثار دهشتي تصريحٌ لأحد سَدَنة التيَّار الفرانكفوني في الجزائر يدعو فيه الجيش لقتل الثلاثة مليون نسمة الذين صوّتوا لجبهة الإنقاذ – هكذا!! – في الانتخابات الشهيرة التي انتهت بتدخّل الجيش، وقلب الطاولة الديموقراطية، وتمكين التيَّار الفرانكفوني المتفرنس!!

قال صاحبي: الاستئصاليون موجودون في كل مكان حتى عندكم في السعوديّة، لكنّ وقت بلوغهم لم يحنْ بعد، ولن يطلّوا حتى تطلّ الفتن، وسترى وتُنكر! وكما في الجزائر ستجد في السعوديّة من يغير ولاءاته كما يغيّر لباسه، ومن يلحق بالأغنى

والأقوى والأكثر توفيراً للأمن الوظيفي، سيردّد بعض المفكّرين والمثقفين والكتاب السعوديّين ما يردّده الغزاة، وسيخلعون القفازات التي أنتنت ليضربوا بأيديهم العارية! انتظر الفتن وسترى.

هل حصل شيء آخر بعد الحادي عشر من سبتمبر خلاف ما قاله صاحبي؟!

ألم يهرول البعض إلى جرائد أعدائنا ينتقدنا فيها، ويستعدي علينا؟

ألم يسخر البعض من تديّن ومحافظة مجتمعنا؟

ألم تُخلع بعض اللّحى ويُلبس بدلاً عنها السموكن، ويُستبدل السّواك بالسّيجار الكوبي؟

ألم يدعُ البعض إلى عين ما دعا له "فريدمان" الصهيونّي من حتميّة تغيير بنيتنا الاجتماعيّة والفكريّة والدينيّة والتعليميّة؟

ألم يتباكى البعض مستنكراً على حكومتنا دعمها للمراكز الإسلاميّة في شرق الأرض وغربها، واصماً هذه المراكز بأنّها إشعاعات للفكر الوّهابي المتخلّف؟

ألم يُسخر من خيار الأغلبيَّة الديني وهابيةً كانت أو سلفيةً أو حنبليةً مرّة بدعوى مكافحة الإرهاب، وأخرى بدعوى تجفيف منابع التطرّف، وثالثة بدعوى مطاردة الفكر التكفيري؟

ألم يرسل البعض سهامه ضد المرأة السعوديّة المحافظة، وضدّ الحجاب الشرعيّ، وضدّ الفصل بين الجنسين؟

ألم ينفخ البعض في نار الاحتراب الداخليّ، والحلول الأمنيَّة العنيفة، مهاجمين كلّ دعوة صادقة لنزع فتيل القنابل البشريّة القابلة للانفجار في أيّ لحظة؟

بل ألم يقم بالأمس "فرعون" في مؤتمر الاستخفاف الذي أطلَّ منه على أهل المنهج المُعلن ليقول: "... مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)[غافر: من الآية29].

وهل كان سبيله المعلن غير الخفي سوى سبيل الإفك والزّور، والاتهامات الطائشة التي درج عليها كل الفراعنة قبله؟ والتي لم تجد من يدحضها رغم ركاكتها وسخافتها، لكنه الاستخفاف الذي وجد طاعة!

تقول صاحبة كتاب " الحرب الباردة الثقافيَّة " في معرض حديثها عن منظمة الحرية الثقافيَّة المملوكة بالكامل لجهاز الاستخبارات الأمريكيَّة: " كانت الغايات تبرر الوسائل حتى وإنْ كانت تتضمن الكذب (مباشرة أو بالحذف) على الزملاء، كانت الأخلاقيات تحت إمرة السّياسة، لقد خلطوا دورهم (تقصد المثقّفين المرتزقة) تابعوا أهدافهم باللّعب على حالة الناس الذهنيَّة، اختاروا تحريف الأشياء على نحو معيّن على أمل تحقيق نتيجة معيّنة، كان ينبغي أنْ يكون ذلك عمل السّياسيّين، أما واجب المثقّفين فكان ينبغي أنْ يكون هو فضح الاقتصاد الشديد الذي يُمارسه السياسيّ بالنسبة للحقيقة".

أرأيتم؟ السعوديّون ليسوا بِدْعاً في هذا، هذا موجود دائماً، يدهشني جداً أنْ أجد في بني قومي من لا يزال –حتى اليوم – غير قادر على استيعاب أنّ مجتمعنا الثقافيّ والفكريّ السعوديّ ليس بمعزل عن نشأة العمالة والِخيانة والاستخذاء، وأنّ المجتمع الثقافّي السعوديّ ليس "شعب الله المختار"!! وأنّ أفراده لم يُخلقوا على صورة الأنبياء – صلى الله عليهم وسلم – أمانة وصدقاً، وشرفاً وغيرةً!! وأنّ ما يحصل عند غيرنا قد يحصل عندنا ما دام النفاق لم يمت، والكفر لم يندرس.

أتذكرون مرج أصحاب "تولستوي" الذين نصحهم " الحكيم " بجزّ العشب من جذوره بدلاً من قصقصة أوراقه، فالقصقصة – كما يقول – تدفع لنمو أكبر للعشب؟

لقد شتموه ونكّلوا به، ووصفوه بكل الأوصاف القبيحة، وروَّجوا عنه أنَّه يأمر – لا أنَّه ينصح – بجزّ العشب من جذوره دون أنْ يذكروا النصيحة كاملة تامةً غير منقوصة " بدلاً من قصقصة أوراقه، فالقصقصة تدفع لنمو أكبر للعشب"تجاهلوها، أسقطوها، ماذا كانت النتيجة: مزيد من العشب، مزيد من القصقصة ومزيد من الخجل من قولة " لو "!

يجب أنْ يُبادر مفكرونا، ومثقفونا، وأدباؤنا، وكُتَّابنا إلى الوقوف ضدّ هذه الهجمة الشرسة حتى لا يأتي اليوم الذي نلوم فيه أنفسنا كما لام "جون شتاينبك" بني عصره حين لم يقفوا ضدّ المكارثيَّة الاستئصاليَّة في بداية عهدها حتى قويت شوكتها، واحتكرت الثّقافة، وأغلقت متجر الحريَّة محراب كلّ عمل أصيل ونافع، يجب ألا

نُؤخذ بالدّعاوى التي تلبس لبوس الوطنيَّة؛ فالدّعاوى إنْ لم يُقيموا عليها بيّناتٍ أصحابها أدعياءُ.

وما أبلغ الوصف القرآني القائل: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ)[البقرة:11و12]

لاحظوا، دققوا في قوله تعالى:"لا يشعرون"، إنَّ عدم شعورهم بفداحة ما يفعلون وفساده لم يجعلهم بمعزل عن الوصف بالإفساد!! قد لا يكونون من الملتزمين تنظيمياً كطابور خامس يقبض مالاً، لكنهم يؤدّون ذات الدور الذي يؤدّيه الطابور الخامس، أو هو ما يصفه أحد النقَّاد بالعلاقة الحتميَّة بين صاحب العمل ومَن يعمل لديه، والتي تكون فيها رغبات الأول متضمَّنة في أفعال الثاني.

سموه حُباً، أو تعاطفاً فكرياً، أو تقاطعاً للمصالح، سموه ما شئتم لكنّه في نهاية الأمر لا يعدو أنْ يكون"خِيانة". إسفيناً، عصا في عجلة الوطن.

إنَّ النفاق – سادتي – موجودٌ " دائماً "، والِخيانة – كما الأمانة – لها وارثوها منذ زمن سيد الخلق – صلى الله عليه وسلم – وزمن ابن سلول.

فليختَرْ كلّ واحد منكم ما يمُليه عليه ضميره، خائناً أو أميناً، أو شيطاناً أخرسَ.

قال تعالى: (... وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)[محمد: من الآية38]، ثم لا تكون ضمائرهم أمثال ضمائركم.

1425/7/15 الموافق له 2004/08/31

المصـــدر:

http://www.islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm?c 4138&artid=39atid=

=============

#معالم الأطروحة البربرية في الجزائر

يحي أبو زكريا

1426/2/25هـ

يعد الكثير من المثقفين الجزائريين أن الأزمة الدموية التي عصفت بالجزائر منذ وقف اللعبة الديموقراطية هي في بعدها ووجهها الآخر أزمة هوية، وأن الصراع الدائر بين

السلطة والإسلاميين هو صراع أيديولوجي ثقافي، حيث يمتلك كل فريق من أفرقاء الصراع قناعات فكرية تتصل بهوية الجزائر وانتمائها، وفي أي خانة يمكن أن تصنف الجزائر، ويمكن حصر هذه القناعات في ثلاث خانات:

1- العروبة والإسلام.

2- الأمازيغية أو البربرية.

3- الفرانكفونية والتغريب.

والملاحظة البارزة في حيثيات الصراع الجزائري أن دعاة الأمازيغية والفرانكفونية شكّلوا تحالفاً استراتيجياً لمواجهة دعاة العروبة والإسلام، وأن الأطروحة الأمازيغية عادت بقوة إلى الواجهة السياسية في الجزائر ليطالب دعاتها بالغاء التعريب الذي هو في نظرهم دخيل على الجزائر، والذي وصلها سابقاً على يد الفاتحين العرب والمسلمين، ولاحقاً على يد العروبيين الذين درسوا في المشرق العربي كمصر وسوريا والعراق وغيرها من الدول العربية.

وكان أحد زعماء البربر متجنياً عندما قال: "إذا كان العرب في وقت سابق قد وصلوا على متن النياق إلى المغرب العربي؛ فأنا سأكون معهم رفيقاً، وأعيدهم على متن البوينغ إلى بلادهم الأصلية في الجزيرة العربية".

وإقحام الورقة الأمازيغية – البربرية – في الصراع الجزائري ساهم في تعقيد الأزمة الجزائرية، وتعميق الشرخ داخل الجزائر، وقد يهيئ الجزائر على المدى المتوسط والبعيد لبدايات التدخل الأجنبي، والذي تبلور بوضوح أثناء الأزمة الجزائرية.

وفيما يتعلق بالأطروحة البربرية فلا يمكن فهم أبعادها وأهدافها دون معرفة جذورها، وكيفية تحولّها إلى ورقة سياسية أرادت فرنسا من خلالها ذات يوم تمزيق صفوف الثوّار الجزائريين الذين أعلنوا الثورة على فرنسا والحلف الأطلسي في الفاتح من نوفمبر عام 1954م، ويجمع المؤرخون الجزائريون كما الغربيون على أن الشعب الذي قطن منطقة الجزائر والمغرب العربي هو شعب أمازيغي بربري – الأمازيغ في اللهجة البربرية هم الأحرار –، وقد كان هذا الشعب الحر أو الأمازيغي معروفاً بالخشونة والمجازفة، والشجاعة والدفاع عن الثغور، ولعّل تسمية سكان الجزائر بالأمازيغ أو الأحرار تعود إلى محاربتهم لكل الغزاة الذين حاولوا استعمار الجزائر

كالرومان والوندال، والفينيقيين وغيرهم، وحتى الفتح العربي والإسلامي لاقى في بدايته مواجهة أمازيغية، وكان على رأس المقاومة المرأة التي عرفت باسم الكاهنة، والتي أمرت أبناءها فيما بعد بضرورة اعتناق الإسلام، وعندما أدرك سكان الجزائر أن الفتح العربي والإسلامي يختلف عن الغزوات السابقة التي تعرضت لها الجزائر احتضن الجزائريون دعوة الفاتحين، وحتى الكاهنة تخلت عن مقاومتها للقادمين من الجزيرة العربية، وحثّت أبناءها على مناصرة الفاتحين في فتح الأندلس.

ودعاة الأطروحة الأمازيغية في الجزائر وفي دعوتهم إلى اللغة والثقافة الأمازيغيتين يدعون إلى الأمازيغية بخصائصها قبل الإسلام، وضرورة نبذ الأمازيغية التي انصهرت في بوتقة العروبة والإسلام وتشبعت بهما، كما أن دعاة الأطروحة الأمازيغية يعدون أن أصول الشعب الأمازيغي آريّة؛ أي أن الامتداد العرقي للأمازيغ يتصل بالحقل الجغرافي الغربي، ولذلك تتكّر هؤلاء لعروبة الجزائر، وكانوا يتهمون القائلين بعروبة الجزائر أنهم بعثيون جاؤوا بهذه النغمة من المشرق العربي وعواصم الشرق الأوسط.

والقول بآرية الشعب الجزائري معناه إيجاد توجهات جديدة للشعب الجزائري، واهتمامات بعيدة كل البعد عن العالم العربي، إلى درجة أن سعيد سعدي زعيم التجمع من أجل الثقافة والديموقراطية البربري، وغداة تشكيل حزبه قبل سنوات عديدة قال: إن حزبه إذا وصل إلى السلطة فسوف يغيّر بنود الدستور الجزائري، ومنها انتماء الجزائر إلى العالم العربي، وطالب بإلغاء العالم العربي، والبند الذي ينصّ على أن الإسلام هو دين الدولة في الجزائر، وقد نبّه بعض دعاة العروبة إلى خطورة القول بآرية الشعب الجزائري؛ لأن هذه الدعوة تربط مصير الجزائر بمصير الغرب، وتجعل الجزائر غير معنية بقضايا العالم العربي الشائكة وغيرها، وتحديداً القضية الفلسطينية.

كما أن القول السالف الذكر يعطي لفرنسا حق احتلال الجزائر باعتبار أنها تريد تخليص الجزائريين من العرب القراصنة الذين في نظرها وضعوا أيديهم على الجزائر، ولذلك أجهد دعاة العروبة أنفسهم في البحث عن جذور الشعب الجزائري، ومنهم الدكتور عثمان سعدي سفير الجزائر الأسبق في دمشق وبغداد، والذي ألّف كتاباً

بعنوان " عروبة الجزائر "، وفي هذا الكتاب يؤكد عثمان سعدي أن جذور الشعب الجزائري عربية، ويستشهد بما أورده الطبري في تاريخه، والذي يؤكد أن الأمازيغ نزحوا من اليمن وأطراف الجزيرة العربية إلى الجزائر والشمال الإفريقي عموماً، ويذهب بعض الباحثين إلى القول إن من أدلّة عروبة الأمازيغ هو تشابه بعض مفردات لهجتهم مع اللغة العربية، وقد تدارك دعاة الأمازيغية ذلك فاستبدلوا الأحرف الأبجدية الأمازيغية والتي كانت عربية إلى أحرف لاتينية، وكل ذلك بتخطيط من الأكاديمية البربرية التي أنشأتها باريس، وعينت على رأسها الكاتب الجزائري البربري مولود معمري الذي كان من الدعاة الأوائل إلى أمزغة الجزائر، أي: جعل الجزائر أمازيغية، وذهب رئيس حزب الأصالة الجزائري إلى القول بأن العروبة في الجزائر قد عطلت المسيرة التنموية في الجزائر، وأقحمتها في دائرة التخلف والتقهقر.

والسؤال الذي يمكن طرحه في هذا السياق: هل يتبنى هذه الأطروحة المضادة للعروبة والإسلام عموم الأمازيغ أم أنها حكر على النخبة المثقفة البربرية، والتي تكونت في الجامعات الفرنسية هي فقط الداعية إلى إحياء الأمازيغية!

معظم المؤرخين الجزائريين كالأستاذ توفيق المدني وعبد الرحمن الجيلالي وغيرهم قالوا: إن الشعب الأمازيغي احتضن العروبة والإسلام، وقدّم النصرة للفاتحين الذين جاؤوا من الجزيرة العربية، وعلى امتداد التاريخ الجزائري وقع تمازج وتصاهر بين الفاتحين العرب المسلمين وبين السكان الأمازيغ الذين ناصروا الإسلام، ولم تتسبّب العروبة في إذابة الشخصية الأمازيغية ومسخها، بل أعادت الأمازيغية إلى جذورها العربية، وطعمتها بالإسلام الحضاري.

ومنذ اعتنق الشعب الجزائري الإسلام وهو ينصهر في البوتقة العربية والإسلامية، وباتت المرجعية العربية والإسلامية هي الأساس بالنسبة إليه، ومنذ تاريخ الفتح العربي والإسلامي وإلى بداية اندلاع الثورة الجزائرية سنة 1954م لم تطرح المسألة الأمازيغية كما طرحت بهذا الشكل أثناء الثورة الجزائرية، وبعد استقلال الجزائر، وللإشارة فإن معظم المعاهد التي صانت اللغة العربية في الجزائر ودافعت عنها أثناء الاستعمار الفرنسي هي تلك المعاهد التي أسست في المناطق البربرية كبجاية والبويرة وأمشدالة وغيرها، وبالرجوع إلى كتاب علماء بجاية ومعجم أعلام الجزائر

وتاريخ الجزائر العام يتضح أن معظم العلماء الذين خدموا اللغة العربية وعلوم الشريعة الإسلامية سابقاً وأثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر كانوا أمازيغاً وبربراً، وعلى رأسهم شيخ الإصلاح في الجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس، ولم يكن الشعب الجزائري يفرق بين العروبة والإسلام، بل كان يعد أنهما شيء واحد، وأكثر من ذلك فقد كان يعد العربي مسلماً والعكس صحيح، ولم تتحول العروبة في الجزائر إلى أيديولوجيا ذات مفاهيم علمانية لائكيّة، ولذلك كان الشعب الجزائري يرى أن العروبة هي الإسلام والإسلام هو العروبة، وحتى الذين ظلوا يقطنون جبال القبائل – سلسلة جبال الأطلس –، وحافظوا على اللهجة الأمازيغية ما زالوا إلى يومنا هذا من أشد الناس تمسكّاً بالإسلام، ويعدون المتكلم بالعربية المتقن لها أعرف الناس بالإسلام وأصوله وفروعه.

والمتجول في المناطق البربرية يدرك أن الأمازيغ مسلمون ومتمسكون بالإسلام، وتكثر المساجد في مناطقهم، وعندما تعرضت الجزائر للاستعمار الفرنسي في 5 يوليو – تموز 1830م كان أول من رفع لواء المقاومة ضد المستعمر الفرنسي هم القبائل أو الأمازيغ المسلمون، ومن الثورات التي تصدّت للاستعمار الفرنسي ثورة المقراني – والمقران لفظة بربرية تعني الكبير –، وكان شعار ثورة المقراني الدفاع عن إسلامية الجزائر وعروبتها، ولم يقاوم المقراني من أجل استرجاع الهوية الأمازيغية للجزائر، وقد أدركت فرنسا خطورة هذه العقيدة فراحت تنبش في الذاكرة الجزائرية إلى أن اهتدى استراتيجيوها إلى مبدأ التشكيك في الهوية الجزائرية، وبدأت حملة التشكيك من خلال تكوين نخبة جزائرية مثقفة مشبعة بالفكر الكولونيالي، وقد لعبت هذه النخبة المعروفة جيداً لدى الشعب الجزائري أكبر الأدوار في تمزيق صفوف الحركة الوطنية، حيث تمّ البدء في تصنيف الجزائري بأنه عربي وبربري وشاوي وما إلى ذلك.

وكانت النخبة المذكورة ترى في ارهاصات الثورة الجزائرية على فرنسا انحرافاً خطيراً باعتبار أن الثورة في مضمونها دعوة للانفصال عن الوطن الأم فرنسا، ومع اندلاع الثورة الجزائرية فكرت السلطات الفرنسية في مختلف الطرق التي تؤدي إلى تمزيق

الثورة الجزائرية التي تبناها الجزائريون بمختلف مشاربهم وانتماءاتهم العرقية، فوصلت فرنسا إلى أمرين لتمزيق الثورة الجزائرية من الداخل:

1- الورقة البربرية.

2- الورقة الجهوية.

فعلى الصعيد الجهوي نجحت فرنسا في إثارة النعرات الجهوية، فبات يسود آنذاك بين الجزائريين بأن هذا من الغرب وذاك من الشرق، هذا وهراني وقسنطيني وقبائلي وهلمّ جرا، وما زالت الجهوية تلعب دوراً كبيراً في التعيينات الوزارية والرسمية، بل إن التوازن الجهوي يعّد أساس الحكم في الجزائر، وعلى صعيد الورقة البربرية فقد نجحت فرنسا في إثارتها عبر آلياتها ووسائلها، وأثناء الثورة الجزائرية هناك من طرح فكرة تأسيس جبهة التحرير الأمازيغية مقابل جبهة التحرير الوطني، وبعد الاستقلال بدأت الحركة الأمازيغية تتحدث عن الغبن والمظلومية التي ألمّت بالثقافة الأمازيغية، وتشكلّ حزبان بربريان مركزيان هما التجمع من أجل الثقافة والديموقراطية، وجبهة القوى الاشتراكية، ومن أهداف التجمع من أجل الثقافة والديموقراطية على وجه التحديد يدعو إلى أمزغة الجزائر لكن يقدم خطابه بلغة فرنسية فصيحة للغاية، ويفهم من ذلك أن التحالف مقدس بين الفرانكوفونية والبربرية، ورموز الثقافة البربرية لا يتكلمون إلا باللغة الفرنسية، ويعدونها رسمية في الجزائر، والأدباء والمثقفون البربر لا يكتبون أدبهم باللهجة الأمازيغية بل باللغة الفرنسية فقط وفقط!!

المصدر:

3http://www.almoslim.net/figh_wagi 584/show_report_main.cfm?id=

===============

#"الفيروس" الديمقراطي!

خالد حسن

1426/2/15هـ الموافق له 2005/3/25

كل شيء تغير في سرعة الضوء، يوم الخميس وفي بضع ساعات فقط في عاصمة قرغيزستان "بيشكيك" تم اقتحام القصر، هرب المستبد الموالي لروسيا، وبدأ نظام جديد في التشكل، أو ما الذي جرى؟.

الثورة سافرت بحافلة، وقطعت مسافة 500 كيلومتر، وعبرت طريق الحرير انطلاقاً من الجنوب مخترقة الجبال المرتفعة متوجهة نحو العاصمة "بيشكيك" قبل أن تحط الرحال أمام قصر الرئاسة، ليشهد العالم ملحمة التغيير السلمي.

حدث هذا "الزحف" في إثر انتخابات مزورة ومزيفة في فبراير ومارس، وانتشار للفساد المدعوم من قبل عشيرة الرئيس المستبد عسكر أكاييف الذي هرب إلى خارج البلد.

قبل شهرين شد أكاييف الرحال إلى قبلته موسكو لتقديم ابنه إلى الرّئيس فلاديمير بوتين، حيث كان يخطّط لنقل وراثي للسلطة، كما نسق أموره مع جناح "ألياف" في آذربيجان، ليسافر بعدها سراً إلى موسكو ثانية الأحد الماضي، وطبقاً للصحيفة الروسية " Vremia Novosti" حاول الاجتماع ببوتين لكن هذه المرة لم يتمكن من ملاقاته، فاجتمع بالدبلوماسيين الروس بدلاً من ذلك.

ويتوقع مراقبو آسيا الوسطى أن تشهد كازاخستان وأوزبكستان الملحمة نفسها، وإن اختلفت بعض التفاصيل، ويتساءل هؤلاء ما إذا كانت ثورة "الليمون" في قيرغيزتان بداية نهاية لرؤساء هاتين الدولتين، بفعل قوة الشارع، وهل يمكن أن يكون ما حدث لقيرغيزيا في آسيا الوسطى إشارة اختبار للقمع الاستبدادي؟

إنه الاقتصاد يا غبي:

يكفي أن نشير بشكل عابر للوضع الدافع للانفجار الاجتماعي والثورة السلمية، فقد أرغم على الأقل 700,000 قرغيزي من مجموع عدد السكان الذي يبلغ حوالي 5 مليون على الهجرة بحثاً عن العمل، ويشتغل أكثرهم بطريقة غير شرعية في مواقع البناء في روسيا وكازاخستان، ويعتمد اقتصاد قيرغيستان الراكد على مناجم الذهب، الأجهزة الكهرومائية، وبعض السياحة، ويقدر الدين الخارجي 2 بليون دولار وهو يعادل الإنتاج القومي الإجمالي.

من المنظور الجغرافي الاستراتيجي فإن الجيران من آسيا الوسطى بالإضافة إلى روسيا، والصين، والولايات المتحدة لا يمكنهم ببساطة تحمل حالة الفوضى، أو

انقسام عرقي في قيرغيزتان، حيث إن هذه الأخيرة تعتبر كأثر جانبي للحرب على "الإرهاب" بيدقا رئيسياً بالنسبة لروسيا، والولايات المتحدة، والصين في اللعبة الكبيرة الجديدة، وذلك راجع بصفة أساسية إلى موقعها الإستراتيجي المحصور بين الصين وكازاخستان.

وتوصف القاعدة العسكرية الروسية في Kant على بعد20 دقيقة عن العاصمة "بيشكيك" من قبل موسكو كـ"رادع للإرهاب الدولي"، في حين تشكل القاعدة العسكرية الأمريكية المجاورة في مطار Manas المدني نظرياً سنداً لقاعدة "باغرام" العسكرية الأمريكية في أفغانستان، لكنها في الحقيقة موجهة وبشكل فعال كأداة نفسية لإرباك الصينيين، ولقربها من إقليم Xinjiang تريد بيكين أيضاً أن تؤسس لها قاعدة عسكرية قرغيزية خاصة!.

وقد باغتت هذه الثورة الروس وجاءتهم على حين غرة من الكرملين إلى الجنرالات، وأبدوا تخوفهم من أن الثورة تنطوي على مخاطر أهمها أن الإسلاميين "المتطرفين" سيستغلون فراغ السلطة لتقديم أنفسهم "كأبطال الطبقة المحرومة"، حيث ظلت موسكو تضرب على الوتر الحساس أن التهديد الذي تتعرض له آسيا الوسطى مصدره "الإسلام الراديكالي"؟!.

ويرى المحللون الغربيون – ومعهم الروس – أن تطورين جديين يمكن أن يتفرعا عن "ثورة الليمون":

الأول: احتمال فرض الحركة الإسلامية لأوزبكستان وحزب التحرير السلمية لجدول أعمالهم، فباستنادهما لنفوذهما داخل قيرغيستان يمكن أن يوسعوا دائرة تأثيرهم إلى جنوب كازاخستان وغرب طاجيكستان وحتى Xinjiang في الصين.

الثاني: احتمال تردي الأوضاع إلى سيناريو مقلق أكثر بكثير، وهو تكرار تجربة الحرب الأهلية الطاجيكيةِ 1992– 97 في قيرغيستان.

إلا أن الشيء الواحد المؤكد: أن ثورة "الليمون" ستستغل حتماً من قبل إدارة بوش باعتبار أن قضية "انتشار الحرية والديمقراطية" نجحت في آسيا الوسطى، وقد أثارت الترسانة الكاملة للمؤسسات الأمريكية – معاهد ومراكز – حركات المعارضة في صربيا وجورجيا وأوكرانيا، ووصل مداها إلى "بيشكيك"، فجيش صغير من الشباب

القرغيزي ذهب إلى كييف بتمويل من الأمريكان، ليستعمل كوقود للثورة "البرتقالية"، أصبح "مصاباً" بالفيروس الديمقراطي!

وعملياً فإن كل ما يرتبط بالمجتمع المدني في قرغيزستان ممول من هذه المؤسسات الأمريكية، أو من طرف الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، حيث إنه على الأقل 170 منظمة غير حكومية مهتمة بتطوير أو ترقية الديمقراطية، تشكلت أو تم تبنيها من الأمريكان.

المصـــدر : http://www.alasr.ws/index.cfm?method=home.con&contentid=6491

==============

#بريد إبليس

عبد السلام البسيوني

من المعلوم لمن له فهم بالإسلام وقواعده أن الله – عز وجل – إذا حرّم أمرًا حرّم كل ما يؤدي إليه، وضيّق السبل الموصلة للوقوع فيه..

فلم يترك الشرع المسلم يحوم حول حمىً محرمٍ، يسيل لعابه له شهوة وتوقًا، وتلتهب جوارحه جؤارًا ورغبة حتى إذا سقط في الحرام قال: لم فعلت كذا؟!

كلا.. بل وضع الإسلام إشارات التحذير، والأضواء الحمراء واللافتات المنبهة لكل ذي عينين قبل أن يصل إلى الحرام بمسافة، لكيلا يكون للناس حجة إذا حاسبهم على اجترائهم على المعصية، وحين حرّم الإسلام الزنا حرّم أشياء كثيرة هي من الموطئات له، المؤديات إليه.

لذا فإننا لا نظن أن رجلاً يزني أو امرأة إلاّ بعد أن يخترق الكثير من المحاذير، ويجترح العديد من المخالفات الممهدة للكبيرة الملطخة.

ومن هذه الموطّئات ما هو أشبه بالبريد الشيطاني الذي يربط بين خائنة الأعين وساقطة الأفكار.. وهي في عصرنا كثيرة.. أذكر منها تمثيلاً لا حصرًا: –

الهاتف: أداة بريئة ولا غنى عنها، وهي أشبه بالطفل، إما أن يبقى على فطرته، أو يهوِّده أصحابه أو ينصروه، أو ينجسوه.

وقد جعله بعضهم رسولاً عصريًّا يؤدي رسالة من أخس الرسائل وأخبثها، فصيّره لسان إبليس، وساعي الرذيلة، وتاجر الفاحشة، تُستغل السرية المفروضة عليه ليكون أشبه بالقوّاد الذي يسعى في نقل العبارات الملتهبة، والآهات الماجنة، ويظل يلح على أذن الضحية ويلح، حتى تنهار مقاومتها، وتتراخى مناعتها، فتستمرئ السماع، ثم تتلهف إلى اجتياز طوره إلى ضرب المواعيد، فاللقاء المحرم..

* والعطر رسولٌ من رسل إبليس يقدر على أن يشد جمعًا حاشدًا من أنوفهم وعيونهم وخلاياهم؛ ليفتشوا عن مصدر الشذى، ومبعث الأريج، وشياطين الأنس مهرة في الترويج لعطور فواحة، وانتقاء الأسماء الموحية لها من مثل:

Femme و Poison و Man و Ecstasy

ولا يخفى على مسلم أن الإسلام أوعد من تخرج متعطرة – ولو إلى المسجد – ووصف من تفعل ذلك ليشم الناس ريحها بأنها زانية!!

* والصوت الناعم سفيرٌ لا يقاوم، بل هو قوة تدك كل مقاومة، وتقضي على كل تمنّع، لذلك أُمرت المرأة المسلمة التقية إن هي خاطبت الرجال أن تكلمهم بصوت جادٍّ، لا ترقيق فيه ولا تكسر، ولا خضوع ولا تأنُّث، حتى تقطع آمال الفسقة، وتسدّ الأبواب أمام المجّان الذين يجيدون الاستدراج والمسامرة {ولا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرضٌ، وقُلْن قولاً معروفًا}..

ولكم أسقط الكلام الرقيق أجسادًا، ودك قلوبًا، وقطع أواصر، ولكم وقع رجال أسرى الصوت الناعم، والتأنُّث المتبذل، والبريد الإبليسي!!

فالمسلمة إذا سارت سارت وقورًا لا تتثنى ولا تتأود، بل تستر نفسها، وتقيم خطاها، وتخفي زينتها.

وقد نبهت السنة المشرفة المسلمة إذا هي سارت أن تأخذ بجوانب الطريق تأدبًا وتحصّنًا، وألا تفضح بمشيتها زينتها المستورة {ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن}.

..

* والمشية دليل أبلق، وحجة ساطعة في الشهادة على حسن السلوك أو سوئه،، يوجهها للدلالة على الشر، وتيسير سبل الفتنة؛ لذلك أُمرَ الرجل والمرأة كلاهما بغض

البصر، ولم يأذن الشرع إلا في النظرة الأولى القهرية، أو نظرة الفجأة، ونهى عن إحداد البصر، فقال تعالى: {قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم} وقال: {وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن}.

كما قال الرسول – صلى الله عليه وسلم –: [لا تتبع النظرةَ النظرةَ؛ فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة].

* ومن أقوى المثيرات والمهيجات: الثياب المخالفة للضوابط الشرعية بسبب ضيق، أو قصر، أو انفراج أو اتساع، أو نوع قماش، أو مخالفة لطبيعة الأنوثة والحشمة، أو غير ذلك من الأسباب..

ولقد حرك إبليس أذنابه فتفننوا في دعوة المرأة المسلمة إلى الاستعانة بهذا البريد لإرسال الفساد والإفساد.. فتحرك رجال الموضة والأزياء، وتحركت شركات أدوات التجميل، وشركات الإكسسوارات النسائية.. واجتذبت عقول النساء وقلوبهن إلى قدوات من نساء الغرب يقلدنهن، ويتبعن طريقتهن.. وتغنى المغنون للتليفون، وللعيون، وللمشية المتكسرة، وللثوب المتهدل، وللصوت وللعطر...

إن إبليس – عليه لعائن الله – يأمر بالفحشاء كما ذكر القرآن الكريم، ويسهل الطريق إلى الانحراف والرذيلة، ويقوم بدور القوّاد الحقير.. حتى إن هذه المهمة لفتت نظر أحد الشعراء المسلمين الذين تعجبوا من سلوك إبليس في رفضه السجود لآدم امتثالاً لأمر الله – تعالى –، ثم رضاه أن يقوم بأخسِّ وظيفة وأدنأ عمل.. وظيفة النخّاس الوضيع، بالجمع بين شخصين في الحرام:

عجبت من إبليس من تيهه *** من سوء ما أظهر من نبتتِه

تاه على آدم في سجدةٍ ** وصار قوّادًا لذريته

فيا للعجب!!

المصدر: http://www.muslema.com

=============

#استضعاف الدين واستنبات التطرف

جمال سلطان

الإسلام اليوم / في مصر الآن ضجة بسبب تهور أحد المشتغلين بمجال الفن التليفزيوني تحديداً، وهجومه الجارح على أحد الصحابة، ودخوله شريكاً في جدل تاريخي ليس من أهله ولا من خبرائه، وصاحب هذا الهجوم الجارح على شخصية إسلامية تاريخية لها هذه الحساسية – وهو يدرك أن لها هذه الحساسية – صدر من شخص يعمل "كاتب سيناريو" لأفلام ومسلسلات تليفزيونية، معظمها يتصل بتاريخ الراقصات والبغايا وبعض الشأن السياسي، وكان من الحمق والاندفاع إلى حد تكرار الهجوم والسباب عبر أكثر من منبر – بعضها صحافي وبعضها تليفزيوني –، حتى إن البعض لاحظ أنه كلما وجد ردود الفعل عليه عنيفة وقاسية كلما زاد حبوره وابتهاجه، وأوغل في حمقه وابتذاله.

تأملت هذه الحالة الغريبة – أو التي كنت أظنها غريبة –، ثم سريعاً أفقت على حقيقة أن هذه – مع الأسف – أصبحت ظاهرة عامة في العالم العربي، وهي جزء مما يمكن وصفه باستضعاف الدين وأهله، وذلك أن مثل هذا السباب المشين الذي أطلقه هذا الشخص لا يمكن له أن يطلقه على حاكم بلده مثلاً، أو شخصية لها خطرها وأهميتها فيه، لأنه يعلم أن في ذلك قطع رقاب، أو – على الأقل – قطع أسباب العيش عنه وعن ذريته إلى أبعد حفيد، هو يعلم ذلك، ويعلم أنه لو فعل ذلك مع مسؤول الإعلام في بلده – وليس الحاكم – لتحولت كتاباته في الفن إلى أقرب صندوق للقمامة، ولما وجدت طريقها أبداً إلى التليفزيون أو جهات الإنتاج، وقد ذاق الرجل شيئاً من ذلك العذاب المضني لأي مشتغل في قطاع الفن في السنوات الماضية، عندما أعلن عن موقفه الداعم للطاغية العراقي صدام حسين أيام غزوه للكويت، فما كان منه إلا أن كال السباب المسف للخليج وأهله، فعاقبته جهات كثيرة بالطريقة المعهودة وهي منع قبول أي إنتاج يكون هو مشاركاً فيه، وبالتالي امتنعت جهات الإنتاج في مصر وغيرها عن قبول أعماله، لأنها تعلم أنها لن تبيع شيئاً، وستكون خسارتها فادحة، فقطعت أسباب كثيرة لعيشه الرغيد الذي تقلب فيه مع النخبة المترفة، خاصة وقد نسي أوقات الحرمان والعذاب بعد أن انتقل من مدرس لرياض الأطفال متواضع المكانة والدخل؛ إلى كاتب سيناريو كبير يتقلب في النعيم والرفاهية، وهذا الموقف زاده هوساً وحمقاً، فتحول بسبابه وهجائه إلى الصحابة، لأنه

اعتبرهم " خلايجة "! – مواطنين خليجيين –، وبالتالي فهم في مرمى سبابه وتصفية حسابه مع الجميع، هذا بالإضافة إلى خرافات أخرى أقدم عليها عندما هاجم شعائر الإسلام، والحجاب، والنقاب، واللحى، والالتزام بالهدي والسنن، واعتبر ذلك غزواً بدوياً لمصر، وبطبيعة الحال يجد له في ما يقوله بعض الأنصار من هنا وهناك ممن يتربصون شراً بكل ما يتصل بهذه الأمة من تاريخ أو دين أو هوية أو كرامة، الأمر الذي يشجعه على مزيد من الحمق والاندفاع، ولكن الذي تحار فيه ويحار فيه العقلاء أن كثيراً من هذه المنابر التي تتضامن معه وتدافع عنه هي مؤسسات رسمية، تنفق عليها الدولة من أموال الناس، سواء كانت منابر إعلامية صحافية أو إذاعية، أو كانت منابر ثقافية، وهو الأمر الذي يعطي الانطباع – الذي قد يكون خاطئاً – بأن هناك دعماً رسمياً لمثل هذا الهجوم على الدين وأهله، وخطورة هذه المسألة أنها تمنح أجيالاً جديدة من الشباب الانطباع بأن الدولة ضد الدين بكل ما تحمله هذه المعاني من خطورة كبيرة على وعي هؤلاء الشباب، وتحولهم المؤكد إلى التطرف وربما العنف من ورائه، ثم تدور الدوائر، وتشتبك الأطراف، ويكثر الجدل، وتضيع المسائل وتغيب وسط هذا كله الحقيقة الأساسية، وإذا ذهبت تبحث في أصولها ومنابتها، تجد أن صناعة التطرف واستنباته لم تكن في خطب المشايخ، أو دروس العلماء، أو مناهج المعاهد الدينية – كما زعم الأمريكان ورجالهم هنا –، وإنما جذور التطرف وميلاده كانت عبر كتابات بذيئة مثل هذه الكتابات التي نشير إليها، واستضعاف مهين للدين وأهله ومقدساته، وغفلة ليست بريئة من الدولة ومؤسساتها الرسمية؛ أعطت الانطباع بأن الدين مستهدف، وأن هناك توجهاً رسمياً لإهانة الدين وتحطيم مكانته في نفوس الناس، إنها ليست بطولة على الإطلاق أن تهاجم الدين ومقدساته، وتهين أهله بالتوازي مع الهجمة الأمريكية على الإسلام ورموزه ومقدساته وأهله، ليست هذه بطولة أبداً؛ بل هي لون من الخسة والنذالة، وادعاء البطولة والشجاعة حيث لا بطولة ولا شجاعة، وإنما هو ركوب للموجة، واستضعاف للدين في أوقات محنته ومحنة أهله، نأمل أن يتضامن كل العقلاء في هذه الأمة، ومن كل تياراتها؛ لوقف هذه الموجة من الابتذال والانتهازية والنذالة، لأن عواقبها بالغة

الخطورة، وهي نوع من اللعب بالنار، في وقت نرى بأعيننا الحرائق من حولنا في كل مكان من أرض الله.

المصـــدر :

31181/4/27/09/1425http://www.almokhtsar.com/html/news/.php

=============

#سياج العفاف

فيصل بن عبد الله العمري

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وبعد:

العفاف مركز شرفٍ، ومورد عز وفخار، للمجتمعات الإسلامية، وهو من أخص مميزاتها، وأولى اهتماماتها، ومن أهم ما يسعى إلى المحافظة عليه أهلها، إذ به يرتفع شأنهم ويتميز منهجهم، ويسمو قدرهم، مما أغاض أعدائهم من ذوي النفوس الدنيئة والأفكار المنحرفة، والمناهج الضالة، من علمانيين ومتغربين، فسعوا جاهدين إلى النيل منه ونقض عراه، عبر خطط مدروسة، وأفكار مدسوسة، باثين سمومهم وسط المجتمع المسلم عبر وسائلهم المتعددة من منابر إعلامية أو كتابات صحفية، أو صيحات ومطالبات سياسية، يبغون من وراء ذلك كله هدم قيم الإسلام وتفشي قيم الكفر والانحلال، زاعمين بذلك أن هذا هو التقدم وأن البقاء على العادات والتشريعات هو مركز التخلف وعنوان التأخر، حتى قال احدهم وهو يتحدث عن قضية المرأة ما نصه: " وإن كانت قضيتها أقسى لأنها محكومة لا بتقاليد فقط، بل بتشريعات وعادات تزعم أنها دائمة"، وقال أيضاً وهو يتكلم عن قوامة الرجل على المرأة وأنها تعتبر سيطرة وملكية خاصة ما نصه: "يسيطر على المجتمع التقليدي . أي المسلم المحافظ . خوف عصابي مزمن من مسألة فقدانه السيطرة على المرأة... وهؤلاء هم غالباً من دعاة تعدد الزوجات والتسري، وأنصار الملكية الخاصة . أي قوامة الرجل على امرأته . ودعاة القيم الأخلاقية والرجولية التقليدية المرتبطة بمجتمعات قديمة . أي مجتمعات المسلمين الأولى . لا نستطيع أن نقول إلا أن الزمن قد تجاوزها، أو أن

علينا أن نتجاوزها إذا أردنا أن نتقدم أو أن ندخل العصر الحديث" (قضية المرأة . المقدمة / محمد الخطيب/ وزارة الثقافة دمشق)..

فهذا أنموذج بسيط لبعض أفكارهم الهدامة، وتصوراتهم الخاطئة حول المرأة، وهم بذلك كله يسعون لهدم سياج العفاف، وتحطيم موازين الحياء، من خلال دعاواهم الهدامة على مرتكزات القيم، ومعالم الكرامة للمرأة المسلمة، والتي ننتقي منها هنا أهمها وهي: الحجاب، والاختلاط، والقرار في البيوت.

- الحجاب:

الحجاب عبادة أمر الله بها، وليست عادة فرضها الزمن، أو ترسخت عبر التاريخ، دل على ذلك أدلة الكتاب والسنة المرجعان الوحيدان في التشريعات والأحكام الإسلامية ومنها:

• قال – تعالى –: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) (59: الأحزاب) قالت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهن: "لما نزلت هذه الآية خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من الأكسية" أخرجه أبو داود.

والجلابيب: جمع جلباب، والجلباب: هو ما تضعه المرأة على رأسها للتحجب والتستر به، أمر الله – سبحانه – جميع نساء المؤمنين بإدناء جلابيبهن على محاسنهن من الشعور والوجه وغير ذلك؛ حتى يعرفن بالعفة فلا يُفتتن ولا يَفتن غيرهن فيؤذيهن.

قال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس – رضي الله عنهما –: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة.

وقال محمد بن سيرين: سألت عبيدة السلماني عن قول الله – عز وجل –: (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى.

• وقال – سبحانه –: (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ... الآية) (31: النور).

قال ابن مسعود – رضي الله عنه –: (مَا ظَهَرَ مِنْهَا) يعني بذلك: ما ظهر من اللباس، فإن ذلك معفو عنه، ومراده بذلك – رضي الله عنه –: الملابس التي ليس فيها تبرج وفتنة.

وأما ما يروى عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه فسر (مَا ظَهَرَ مِنْهَا) بالوجه والكفين، فهو محمول على حالة النساء قبل نزول آية الحجاب، وأما بعد ذلك فقد أوجب الله عليهن ستر الجميع، كما سبق في الآيات الكريمات من سورة الأحزاب وغيرها.

ويدل على أن ابن عباس أراد ذلك: ما رواه علي ابن أبي طلحة عنه أنه قال: (أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة)، وقد نبه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم والتحقيق، وهو الحق الذي لا ريب فيه.

وأما ما رواه أبو داود في سننه عن عائشة – رضي الله عنها –: أن أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنهما – دخلت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وقال:: "يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا " وأشار إلى وجهه وكفيه – فهو حديث ضعيف الإسناد لا يصح عن النبي – صلى الله عليه وسلم –؛ لأنه من رواية خالد بن دريك، عن عائشة، وهو لم يسمع منها، فهو منقطع؛ ولهذا قال أبو داود بعد روايته لهذا الحديث: هذا مرسل، خالد لم يدرك عائشة.. ولأن في إسناده سعيد بن بشير وهو ضعيف لا يحتج بروايته.. وفيه علة أخرى ثالثة، وهي: عنعنة قتادة عن خالد بن دريك وهو مدلس.

• وقال – تعالى –: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (32: الأحزاب).

نهى – سبحانه – في هذه الآيات نساء النبي الكريم أمهات المؤمنين، وهن من خير النساء وأطهرهن عن الخضوع بالقول للرجال، وهو: تليين القول وترقيقه؛ لئلا يطمع فيهن من في قلبه مرض شهوة الزنا، ويظن أنهن يوافقنه على ذلك، وأمر بلزومهن

البيوت، ونهاهن عن تبرج الجاهلية، وهو: إظهار الزينة والمحاسن، كالرأس، والوجه، والعنق، والصدر، والذراع، والساق، ونحو ذلك من الزينة؛ لما في ذلك من الفساد العظيم، والفتنة الكبيرة، وتحريك قلوب الرجال إلى تعاطي أسباب الزنا.

وإذا كان الله – سبحانه – يحذر أمهات المؤمنين من هذه الأشياء المنكرة مع صلاحهن وإيمانهن وطهارتهن، فغيرهن أولى بالتحذير والإنكار، والخوف عليهن من أسباب الفتنة، عصمنا الله وإياكم من مضلات الفتن.

ويدل على عموم الحكم لهن ولغيرهن قوله – سبحانه – في هذه الآية: (وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ).

فإن هذه الأوامر أحكام عامة لنساء النبي – صلى الله عليه وسلم – وغيرهن.

• وقال الله – عز وجل –: (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) (53: الأحزاب) فهذه الآية الكريمة نص واضح في وجوب تحجب النساء عن الرجال وتسترهن منهم، وقد أوضح الله – سبحانه – في هذه الآية أن التحجب أطهر لقلوب الرجال والنساء، وأبعد عن الفاحشة وأسبابها، وأشار – سبحانه – إلى أن السفور وعدم التحجب خبث ونجاسة، وأن التحجب طهارة وسلامة.

فيا معشر المسلمين، تأدبوا بتأديب الله، وامتثلوا أمر الله، وألزموا نساءكم بالتحجب الذي هو سبب الطهارة، ووسيلة النجاة والسلامة. (عن رسالة الحجاب والسفور/ ابن باز بتصرف).

وليس مقصود الحجاب فقط هو تستر المرأة بالجلباب وتغطيت بدنها به، وإن كان هذا من أهم مقاصده، لكن مقصوده أبعد من ذلك: فهو حجب كل وسائل الفتنة عن المرأة ومنها، وحمايتها من كل أسباب الرذيلة وهدم سياج العفاف، فكل ما خالف هذا المقصود فهو ليس بحجاب.

لذلك تجد أن أول ما يدعو إليه دعاة الرذيلة هو نزع الحجاب، وكشف الوجه وتميع معنى العباءة في نفس المرأة، لأن نزع الحجاب سبيل تسهيل كل مأربهم الضالة من اختلاط النساء بالرجال، وعمل المرأة بجوار الرجل في مكتب وأحد، ومحادثة المرأة للرجل في السوق والأماكن العامة، وقيادة المرأة للسيارة، وغيرها، لأنه إذا نزع

الحجاب تيسر كل ذلك إذ لم يعد عند المرأة ما يمنعها من فعل شيء مما سبق ذكره إذا كان الوجه مكشوفاً والحجاب منزوعاً، والرجال ينظرون إليها بدون مانع ولا حاجز. لذلك تجد كبيرهم الذي علمهم الرذيلة وسنها لهم. قاسم أمين. يقول في كتابه (تحرير المرأة): كيف يمكن لامرأة محجوبة أن تتخذ صناعة أو تجارة للتعيش منها... كيف يمكن لتاجرة محجوبة أن تدير تجارتها بين الرجال..." إلى أخر كلامه الذي يدلل على مدى ما يسعى إليه من نزع الحجاب وإحلال السفور بدلا منه.

فإذا هدم سياج الحجاب سهل الدخول إلى الاختلاط والسماح به، لأنه لم يعد عند المرأة ما يمنعها عن مخالطة الرجال وقد نزعت حجابها.

- الاختلاط:

مما لا يختلف فيه اثنان ما غرز الله في الذكر والأنثى من انجذاب كل واحد منها إلى الآخر. حتى تتحقق حكمة التناسل البشري. لذلك جعل الله بحكمته البالغة ضوابط وحدود تضبط هذا التجاذب، ومنع من ترتب المفاسد عليه من قيامه على غير وجهه الشرعي، لذلك كله حرم الاختلاط بين الجنسين، وأمر بقيام العلاقة بينهما على وجهها الشرعي بالزواج، وضبط ما عداه في العلاقة بضوابط شداد، فقال – تعالى –مخاطباً صحابة رسول الله صلى لله عليه وسلم عن نسائه: (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) (53: الأحزاب) فإذا كان هذا لأصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – ورضي عنهم مع زكاة نفوسهم، وطهارة قلوبهم، ومع أزواج رسوله – صلى الله عليه وسلم – وهن أمهات المؤمنين، صاحبات الحياء الكامل والدين المتين، مع خلو زمنهم من دواعي الشهوة، ومثيرات الفتن، وأخبر أن قيام الحجاب بينهم عند سؤال الحاجات هو أطهر لقلوب أمهات المؤمنين وصحابة رسولنا – صلى الله عليه وسلم –، فكيف بحال نساء اليوم ورجاله الذين قد فسدت أخلاقهم، وكثرت دواعي الشهوة في مجتمعاتهم والله المستعان، فإن قيام هذا الحجاب بينهم عند قضاء الحاجات، بمنع الاختلاط وضبط التعامل بميزان الشرع القائم على درء المفاسد وجلب المصالح أولى وأحرى.

وقد ثبتت التجارب، وشهد الواقع، بمفاسد عظيمة ترتبت على هذا الاختلاط بين الجنسين، من فشو الرذيلة، وانتشار الزنا وأولاد الزنا. حتى أصبحت أمريكا وحدها

فقط تنتج كل سنة مليون ولد من الزنا، بل واشتكى من مخاطر الاختلاط من عاشره وراء مفاسده من نساء ورجال . غير ما في الاختلاط من قيام العلاقات المشبوهة المنتهية بالأسى وخاصة في حق المرأة وذويها، وإن دخول الاختلاط في المجتمعات المحافظة لأعظم سبيل إلى إفسادها وهدم سياج عفافها، لذلك ترى دعاة الفساد ينادون صباحا مساء بالسماح للمرأة بالعمل في كل المجلات، حتى في المصنع والورشة وغيره التي لا تتفق مع فطرة المرأة، وليس هذا غيرة منهم على المرأة وتلبية لحاجتها التي قد تكون من وراء العمل، بل لتحقيق أغراضهم الهدامة ومأربهم الضالة من حلول الفساد بدل الصلاح، وانتشار الرذيلة بدل الفضيلة حتى تشبع غرائزهم الشهوانية، وتلبى مطالبهم الحيوانية.

لذلك نهى الله عن تبرج الجاهلية في قوله: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (33: الأحزاب)..

"في هذه الآية حذر – سبحانه – النساء من التبرج تبرج الجاهلية وهو إظهار محاسنهن ومفاتنهن بين الرجال، وقد صح عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء" (متفق عليه من حديث أسامة بن زيد – رضي الله عنه – وخرجه مسلم في صحيحه عن أسامة وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل – رضي الله عنهما – جميعا)، وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: " الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء" (مسلم) ولقد صدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فإن الفتنة بهن عظيمة ولا سيما في هذا العصر الذي خلع فيه أكثرهن الحجاب وتبرجن فيه تبرج الجاهلية وكثرت بسببه الفواحش والمنكرات وعزوف الكثير من الشباب والفتيات عما شرع الله من الزواج في كثير من البلاد، وقد بين الله – سبحانه – أن الحجاب أطهر لقلوب الجميع فدل ذلك على أن زواله أقرب إلى نجاسة قلوب الجميع وانحرافهم عن طريق الحق". (عن رسالة لابن باز – رحمه الله – حول الاختلاط في لتعليم).

- القرار في البيوت:

من حكمة الله الذي خلق الذكر والأنثى أن جعل تكوين كل واحد منهما مختلف عن الآخر، ليقوم كل واحد منهما بواجبه في الحياة على أكمل وجه وأحسنه، فالمرأة قوي فيها جانب العاطفة، والرجل قوي فيه جانب العقل وقوة البدن ليتحمل المشاق ويفكر في الإنتاج وجمع المال، لذلك كلف الله الرجل بالنفقة على من تحته من نساء، وكلف المرأة بالرعاية لشؤون البيت ورعاية الأطفال، إذ النفقة والسعي لها من واجبات الرجال، فهم الذين يجب عليهم جمع المال والإتيان به قال – تعالى –: (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا) (الطلاق: 17) وقال – صلى الله عليه وسلم –: " كلكم راع وكل مسئول عن رعيته... إلى أن قال والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وولده ومسئولة عن رعيتها" (متفق عليه) وبهذا الحديث تتحدد مسؤولية الرجل ومسؤولية المرأة، فالرجل مسئول عن رعاية أهله بالتكسب لهم والنفقة عليهم، والمرأة مسئولة عن رعاية بيتها والعناية بشؤونه.

فهذه هي مهمة المرأة الحقيقية والتي تتناسب مع فطرتها السوية، وتتوافق مع خلقتها البدنية وتتماشى مع تكوينها النفسي.

لذلك أمر الله المرأة بالقرار في البيت، وأمر الرجل بالسعي في الدنيا والبحث عن الرزق فقال – تعالى –في شأن المرة: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ) (33: الأحزاب)، وهذا هو لأمر المتوافق مع طبيعة المرأة الضعيفة، التي تغلبها العاطفة وتسيطر على تصرفاتها، وهذا من حكمة الله الذي يعلم ما خلق: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (14: الملك) حتى تحنوا على ولدها وتصبر على معاناة تربيته ورضاعة، وما يلحقها من ذلك من مشقة، فتصبر عطفا على ولدها وحبا له، وهذا ما لا تجده عند الرجال الذين تغلب عليهم الشدة وقلة الصبر من معاناة الأطفال، وهذا يوصلنا إلى أن قرار المرأة في بيتها هو أصلح لها ولولدها وزوجها ومجتمعها، وأحفظ لدينها وحيائها، وأرعى لعفافها وكرامتها.

ولكن دعاة التغريب وحملة راية الفساد يأبون إلا أن تخرج المرأة من دارها ويّدعون أن بقائها في منزلها تعطيل لمُقدَراتِها، وشل لقُدراتها، وإهمال لنصف المجتمع، غافلين أو

متغافلين أن بقاء المرأة في بيتها لا يعني تعطيلها عن خدمة مجتمعها أو قيامها بواجبها واستفادتها من قُدراتها، بل بقائها في بيتها هو تفريغ لها لواجبها الأسمى وتحقيق للفائدة العظمى منها لها ولمجتمعها، فهي في المنزل تربي للمجتمع، وتصنع الرجال وتحفظ النساء، فهي تبنى الإنسان وتُقوِّم سلوكه وتحقق استفادة المجتمع كله منه، وهذا والله هو أعظم واجب تقوم به وأكمله، فإذا كان الرجل يخرج من منزله ليعمل من أجل أن يبنى المجتمع، أو يُطعم ويَسقي، فإن المرأة تصنع الإنسان الذي يصنع المجتمع، وتربي الأجيال الذين يرتقى بهم، وهذا والله أعظم وأكرم من عمل الرجل الذي يتعامل مع الجماد والإنسان كجسد، أما المرأة فهي تتعامل مع الإنسان كروح تحيى بحياتها مجتمعات وتموت بموتها أخرى.

وقد شكي من خروج النساء من منازلهم وتركهم مهمتهم الأولى . وهي تربية الأجيال . الغرب أنفسهم الذين جربوا ذلك وفقدوا بسببه كثيراً من معاني الحياة الحقيقة، إذ أنه بعمل المرأة وخروجها من بيتها يتعطل المجتمع كله، فيقول أحد أركان النهضة الإنجليزية: إن النظام الذي يقضي بتشغيل المرأة في المعامل مهما نشاء عنه من الثروة فإن نتيجته هادمة لبناء الحياة المنزلية، لأنه يهاجم هيكل المنزل ويقوض أركان الأسرة ويمزق الروابط الاجتماعية ويسلب الزوجة من زوجها والأولاد من أقاربهم وصار بنوع خاص لا نتيجة له إلا تسفيل أخلاق المرأة إذ وضيفتها الحقيقية هي القيام بالواجبات المنزلية مثل ترتيب مسكنها وتربية أولادها والاقتصاد في وسائل معيشتها مع القيام باحتياجاتهم البيتية.

ولكن المعامل تسلخها من كل هذه الواجبات بحيث أصبحت المنازل غير المنازل، وأضحت الأولاد تشب على عدم التربية وتلقى في زوايا الإهمال، وانطفأت المحبة الزوجية وخرجت المرأة عن كونها الزوجة الظريفة والمحبة اللطيفة وصارت زميلة في العمل والمشاق، وصارت معرضة للتأثيرات التي تمحو غالبا التواضع الفكري والتوادد الزوجي والأخلاق التي عليها مدار حفظ الفضيلة. انتهى كلامه. (عن رسالة عمل المرأة بين الشرع المطهر والواقع الملموس/ فيصل العمري).

وهذه شهادة مجرب عاش واقع خروج المرأة من بيتها وعدم قرارها فيه، والعاقل من أعتبر بغيره، وكفي بالذي خلق الثقلين بصيراً وخبيرا فقد أمر المرأة بقرارها في بيتها

ووجهها إلـى رعاية شؤونه ونهاها عن تـرك هـذه المهمـة العظيمـة، حتـى يتكامـل المجتمع، ويقوى بنائه ويصلح حاله.

وكل من ترك ما أمر الله بـه إلى ما نـهاه عنه وجد من مغبة ذلك ومفسدته ما يندم عليه حين لا ينفع الندم.

وبهذا نصل إلى نهاية المطاف من تبين سياج العفاف وشد عراه، والذي يسعى أرباب الفسـاد ودعـاة التغريـب إلـى نقض عراه وهـدم بنائـه، مـن خـلال الـدعوة إلـى السفور والاختلاط وترك المرأة لبيتها، وما يلحقها بعد ذلك من مصـائب ومفاسد لا يعلمها إلا الله والله المستعان.

فاحذر أخي المسلم واحذري أختي المسلمة من الاغترار بكيدهم أو الانخداع بمكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال، حتى ولو تلبسوا بلباس الدين أو تمسحوا بكلمات الشريعة، وعليكم بالأمر العتيق الذي يُحفظ به الدين وتقوم به الشريعة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

1425/11/13

المصدر : http://www.saaid.net

============

#حركات التحرير في ثوبها الجديد

د. عبد العزيز كامل

التـاريخ (الرسـمي) الحـديث أكثـره تـاريخ مزيـف؛ فأبطالـه المعاصـرون أكثـرهم مـن الأصنام المصنوعة في صور ثوار ملهمين، أو قادة مصلحين، أو جنرالات وضباط وُصِفوا بالأحرار مع أنهم لم يكونوا سوى حلفاء ثم خلفاء للاستعمار، بعد رحيل هذا الاستعمار شكلياً ومرحلياً عن بلاد المسلمين خلال عقود خلت.

وقد جسد هؤلاء العملاء في وضوح مفضوح حقيقة التحالف السرمدي الدنس بين قوى الكفر الظاهر، وتكتلات النفاق المراوغ الذي يتقلب فـي ألوان الخداع والمكر محـاولاً إخفـاء حقيقتـه المعاديـة لله ولرسـوله والمـؤمنين: ((يُخَـادِعُونَ اللَّهَ وَالَّـذِينَ آمَنُـوا وَمَـا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ))[البقرة: 9].

ولم تكن حقبة الثورات والانقلابات التي عصفت بالمنطقة في النصف الثاني من القرن العشرين تحت مسمى (حركات التحرير) إلا تعبيراً عن تذبذب هؤلاء في الولاء بين الأمة وأعدائها؛ فهم قد قاموا بثوراتهم، وأطلقوا حركاتهم، وأسسوا أحزابهم باسم تحرير الشعوب، واسترداد السيادة، ومقاومة المعتدين، ولكن هذا الظاهر الطاهر كان يخفي وراءه باطناً شائناً تمثل في قهر الشعوب، وإضاعة مقدراتها، وتمكين الأعداء منها، ومع ذلك ظل هؤلاء (التحرريون) ((مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ))[النساء: 143]، والآية – كما قال ابن كثير – تتحدث عن قوم: «محيَّرين بين الإيمان والكفر، فلا هم مع المؤمنين ظاهراً أو باطناً، ولا مع الكافرين ظاهراً وباطناً، بل ظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع الكافرين، ومنهم من يعتريه الشك؛ فتارة يميل إلى هؤلاء، وتارة يميل إلى أولئك ((كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا))[البقرة: 20](1).

والمعروف أن الزعامات «التحررية» لم تزعم يوماً أنها تتبنى نهج الإسلام، بل إنها رفعت الرايات المناوئة له، وتبنت النظريات المتناقضة معه، حتى أوقعوا الناس معهم في حيرة بسبب التخبط في المناهج، ومحاولة إلصاق الباطل الذي يجيئون به مع الحق الذي جاء من عند الله، وقد وجدوا من المضللين من يلفق لهم خليطاً هجيناً ليصنعوا منه منهجاً وديناً ((وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً))[النساء: 143]؛ فمرة يتحدثون عن الاشتراكية الإسلامية، ومرة عن الديمقراطية الإسلامية أو الإسلام الليبرالي، وأخيراً يجري الحديث اليوم عن خداع جديد يتطلب مخادعين جدداً تحت مسمى (الإسلام المدني الديمقراطي) على ما سيأتي بيانه.

إننا على أبواب عهد جديد تغلق فيه الحقبة الثورية الصاخبة القديمة للتحريريين القدامى الذين أوغلوا في إضاعة الأمة وإضعافها، لنلج في مرحلة جديدة «أبطالها» جيل جديد من فصيلة «التحريريين» ولكن بلا رايات ثورية، ولا شعارات نارية، ولا حناجر ولا خناجر، جيل جرى تجهيزه في دهاليز المخابرات، وأوكار الجاسوسية؛ يمثله فئام من عملاء باهتين مدجنين، يرضون بالقوادة بدل القيادة، ولا يأنفون من الانبطاح لذوي «السيادة» من اليهود والنصارى أو غيرهم.

أما مناسبة تسميتهم بـ (التحريريين) مع كل هذا؛ فلأنهم يتواءمون ويتلاءمون مع مشروعات وأطروحات مرحلة جديدة من خطط (التحرير) الأمريكي التي بدأت في أفغانستان، ثم انتقلت إلى العراق ليجري الترتيب بعد ذلك للمزيد من عمليات (التحرير)، كـ «تحرير» سوريا، و«تحرير» إيران، و«تحرير» لبنان، و«تحرير» السودان، وغير ذلك.

إنها مرحلة جديدة من عهود «التحرير» تختلف جذريّاً عن مراحل الجعجعات النفاقية السابقة بإزالة الاستعمار، ومقاومة الاحتلال، والمقاومة من أجل الاستقلال، إنها مرحلة يدافع فيها «التحريريون» الجدد عن «حسنات» الأجنبي، و«مناقب» المحتل، و«فضائل» المستعمرين الجدد.

وإذا كان التحريريون القدامى قد خبروا على مدى عقود طويلة كيف يخدرون الأمة بشعارات التحرير الزائفة الكاذبة لتجد نفسها في النهاية في أسر التبعية والعبودية؛ فإن التحريريين الجدد يختصرون الطريق، فيبشرون الناس مقدماً بالعجز والإفلاس، وضرورة الاستسلام المبكر باسم الواقعية، وهم يبذلون جهدوهم من الآن لتوطين الهزيمة، وتطبيع المشاعر لـ «التعايش السلمي» مع الغزاة المجرمين.

بين عهدين:

بالرغم من سطوع الحقيقة القائلة بأننا على أبواب عهد جديد من الممارسة النفاقية باسم التحرر؛ إلا أنني أقول إننا لم نَلِجْها بعدُ بشكل كامل، فلا زلنا نعيش في الفترة الانتقالية بين عهدي التحريريين القدامى والتحريريين الجدد؛ إذ لا تزال بقية من الثوريين والتحريريين القدامى تقاوم الفناء، وتستميت في استرضاء الأعداء بإحداث انقلابات فكرية جذرية موتورة، لا تقل في خفتها وسخافتها عن الانقلابات العسكرية الثورية التي كانوا يفاجئون الأمة بها بين آن وآخر.

ولأن هناك أجيالاً ناشئة قد نأت زمانياً أو مكانياً عن عهود التحريريين القدامى فلا بد من استرجاع شيء من مسيرة هؤلاء القدامى الذين مارسوا الإفساد باسم الإصلاح، ورسخوا التبعية باسم التحرير.

إن نظرة عاجلة في تاريخ هؤلاء تنبئك بأنهم مسؤولون عن واقع الأمة الأليم اليوم، وما النكبات والنكسات المتوالية على أيديهم إلا أعراض لأمراض مزمنة مرضت بها

قلوبهم، وأرادوا أن يمرضوا بها الناس ((فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً))[البقرة: 10]، وتتلخص هذه الأمراض في سوء الظن بالله، والكراهية لما أنزل الله، وشدة العداوة لأولياء الله من المؤمنين الصادقين العاملين لنصرة الدين؛ وذلك في الوقت الذي يحسنون فيه الظن بالأعداء وما هم عليه من باطل وشر، كان دوماً يأسر قلوبهم حتى يبالغوا في تقليده، ويتفننوا في استيراده أو استنساخه في ديار المسلمين، وهم مع كل هذا يستنكفون أن يُنسب المسلمون إلى الإسلام، بل يختلقون من دونه الروابط والمناهج الجاهلية: مرة باسم القومية العربية، وتارة باسم البعث العربي الاشتراكي، وطوراً باسم التقدميين أو الاشتراكيين أو اليساريين، والآن باسم الليبراليين أو التنويريين أو الحداثيين، وفي جميع الأحوال فهم كانوا يفسدون في الأرض ولا يصلحون ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ))[البقرة: 11 – 12].

لقد انتعشت تلك الحركات في ستينيات القرن المنصرم تحت ما يسمى بـ (ثورات التحرر)، وكان على رأسها الحركات القومية التي تتمثل في ثلاث فصائل رئيسية هي: البعث العربي، والقوميون العرب، والناصريون، وقد تمكنت هذه الحركات من الوصول إلى السلطة مدعية أنها ستحرر شعوبها من آصار الاستعمار، فحكمت في مصر وسوريا، والعراق والجزائر، وليبيا واليمن، والسودان، وبقيت معظم الدول الأخرى في أطر تتسم بالفردانية لا القومية، فكانت في الغالب لا تثور ولا تثير ولا تثار، أما التحريريون القدامى؛ فقد ابتكروا ثم احتكروا شعارات التثوير والتخدير مثل: «ثورة ثورة حتى النصر»، «لا صوت يعلو فوق صوت المعركة»، «المعارك مستمرة حتى تحرير آخر شبر» «آخر بوصة» «آخر ذرة من التراب الوطني» «آخر حبة رمل من الأرض العربية»!! ولكن ذلك الـ «آخر» لم يأت في أول عهود الثوريين القدامى ولا في آخرها؛ فهاهم يرحلون عن أسرَّة المرض، أو كراسي الحكم، الواحد تلو الآخر، في وقت لا تجد فيه أقدس وأعز وأغلى أوطان العرب والمسلمين من يتحدث عن تحريرها، فضلاً عن العمل لإنقاذها.

صحيح أن التحريريين عاشوا فترة من الانتفاش والانتعاش لا تزيد عن عقد واحد من الزمن، إلا أن الهزائم بدأت تتوالى عليهم، بدءاً من هزيمة عام 1967م التي كسرت

كبرياء زعيم القوميين جمال عبد الناصر، الذي كان قد حاز زعامة شعبية جارفة امتدت من المحيط إلى الخليج بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر عام 1956م، ولكن عبد الناصر سقط في حرب النكسة أمام (عصابات) اليهود التي توعد بإلقائها في البحر، وسقطت بسقوطه العديد من شعارات التحريريين، ثم توالى السقوط للأنظمة «التحرّرية» الأخرى؛ فما أن مات الزعيم كمداً من خذلان الشرق الشيوعي له، حتى ارتمى أبرز زملائه التحريريين في أحضان الغرب الرأسمالي، سالكين سياسة (الانفتاح) على كل ما هو غربي في الفكر والسياسة والاقتصاد والثقافة، وقد سُبق ذلك بتتابع سقوط الثوريين في دول أخرى غير مصر عبر انقلابات واضطرابات سادت كلاً من اليمن، والجزائر، والسودان، أما ليبيا التي حاول زعيمها أن يتزعم مسيرة القومية العربية والناصرية معاً فقد قام على القومية فانقلب عليها، وتنصل من الناصرية فابتعد عنها، ونأى بليبيا عن العروبة بعد أن بَعُد بها عن تطبيق الإسلام الذي وعد به في أول عهده، وكان سقوط زعامة ليبيا للقومية العربية قد سبقه بوقت غير طويل سقوط قيادة البعث العراقي فكرياً قبل أن يسقط عملياً؛ حيث قَتَل صدام فيمن قتل آخر أمل بقيام وحدة عربية – ولو شكلية – بقيامه بالغزو المفاجئ للجارة الكويت، ولم تبق للقومية التي أسقطها الزعيم القومي صدام من صوت بعد ذلك السقوط إلا في معقل قومي صغير ظل يعمل في سوريا باسم (البعث العربي السوري)، وظل يردد في طنين بلا رنين طموحات التحرير والتغيير و(البعث)، ولكن تحت مشاعر تبعث على الخجل أكثر مما تبعث على الأمل، لاستمرار الجولان في الأسر اليهودي نحو سبعة وثلاثين عاماً، تنادي البعثيين والقوميين والناصريين وكل الثوريين والتحريريين أن هلموا لإنقاذي؛ فأنا (الجولان) أخت القدس والضفة وقطاع غزة، ولكن لا حياة لمن تنادي.

نتائج متوقعة لمقدمات واقعة:

لم يكن فشل التحريريين القدامى في مجابهة التحديات التي واجهت الأمة إلا تحصيل حاصل؛ فحركاتهم الثورية لم تمارس الثوران إلا على شعوبها، ولم يصرفها عن مواجهة تحديات الخارج المزعومة إلا الانشغال بتحديات الداخل الموهومة.

وقد أثبتت الأيام أنه ما من حركة من تلك الحركات أو ثورة من تلك الثورات كانت ذات بأس إلا على قومها رغم دعاوى القومية، ولا كانت ذات جبروت إلا على مواطنيها، مع طنطنات الوطنية، أما الأعداء الحقيقيون فلم يكن أولئك الثوريون يمثلون أمامهم يوماً نموذجاً يبعث على الهيبة فضلاً عن الاحترام.

إن هناك أسباباً موضوعية أوصلت «مشروعات التحرير» إلى التحلل من استحقاقات التغيير الموعود والتحرير المنشود، وأهمها: أن تلك الحركات لم تحمل في الحقيقة مشروعاً حقيقياً للنهوض يليق بتاريخ الأمة وحضارتها ودينها الذي مهما ابتغت العزة بغيره أذلها الله، بل كان الثوريون يحملون خليطاً هجيناً مستهجناً من أفكار الكفار في الشرق الشيوعي، مطعمة بسقطات أصحاب الفلسفات في الغرب الصليبي، وفي ظل ذلك وقع التنافس بين الثوريين و«المحافظين»، وأخذ أشكالاً عديدة من الصراع وصلت في بعض الأحيان إلى التآمر المتبادل مع قوى «أجنبية» لقلب الأنظمة وتصفية الحسابات، وكان هذا التآمر – ولا يزال – سبباً في استهانة ذلك الأجنبي بكلا الطرفين، وازدرائه بقومية تقوم على قيام كل قوم على إخوانهم.

كانت الأولوية في مهمات الأنظمة العربية الثورية هي محاربة الأنظمة العربية غير الثورية، أو الأنظمة المحافظة التي كان الثوريون يدمغونها بالرجعية، وكانت تلك أيضاً لا تدخر وسعاً في دعم خصوم خصومها، لكي ينوبوا عنها في أدوار النكاية والتنكيل، وبينما كانت عقدة العقد عند الثوريين هي «تصدير الثورة» فقد كان جلها عند المحافظين هو احتكار الثروة، وبين نزق الثورة وجشع الثروة ضاعت الأرض، وجاعت الشعوب، وتفرقت الكلمة.

ولم يدخر «الوحدويون» من التحريريين أي جهد لتمزيق وحدة الأمة – أو ما تبقى من وحدتها –؛ فعبد الناصر مثلاً نكَّل بالإسلاميين في مصر، ومع ذلك تمكن من التفرد بزعامة الساحة الشعبية العربية في النصف الثاني من خمسينيات القرن العشرين، وحاول أن يخطو خطوة على طريق ما كان يسمى بـ (الوحدة العربية) بإقامة كيان (الجمهورية العربية المتحدة) بين مصر وسوريا على أساس القومية الجاهلية العربية، ولكن جاءه من القوميين من يفسد خططه؛ فإذا بالبعث السوري (القومي) ينبعث مسرعاً في منازعته في زعامة القوم، فانسحب ذلك البعث من الوحدة

مؤيداً الانفصال، بل بادر البعثيون السوريون إلى تسريح الضباط الموالين لعبد الناصر في الجيش السوري، وأعدموا بعضهم إثر حركة (جاسم علوان) في شهر يوليو / تموز 1963م الذي قاد تمرداً عسكرياً، وطلب من عبد الناصر الحماية، وتقرر بعد ذلك فرض الانفصال بين دعاة الوحدة والتحرر.

وما أن هُزم عبد الناصر بعد ذلك بأربع سنوات – أي في حرب النكسة – حتى انقلبت عليه بقية أخرى من القوميين العرب، وحمّلوه مسؤولية الهزيمة، بل تحول بعضهم من التوجه القومي إلى التوجه الماركسي، فتحولت مثلاً حركة القوميين العرب في اليمن الجنوبي إلى كيان ماركسي تمكن من إقامة دولة شيوعية في جنوب اليمن، فمثلت بذلك سابقة خطيرة في إخضاع شعب مسلم كريم لحكم عصابة من لئام الملحدين، وجرياً على عادة الثوريين المزمنة بتبادل تهم الخيانة؛ بادر المنشقون عن عبد الناصر من القوميين باتهامه بالخيانة بعد أن قَبِلَ بأول مبادرة سلام أمريكية مع اليهود، وهي مبادرة روجرز لعام 1970م(2).

ولم يكن مصير تيار الناصرية والقومية خارج مصر بأحسن منه في داخلها؛ فقد انقلب رفيق درب عبد الناصر على الناصرية والمعسكر الشرقي، ليختط لنفسه سبيلاً موالياً للغرب، عُرِف بـ «النهج الساداتي»، وكان أبرز معالم ذلك النهج الجديد (في العهد الثاني للثورة القومية) هو خلع أردية القومية الجماعية، والمبالغة في لبس مسوح الوطنية الفردية التي انعزلت بها مصر سياسياً عن العرب والمسلمين، لتقترب من اليهود والغربيين ضمن أُطر معاهدات السلام المنفردة مع (العدو المصيري)، الذي لم يجئ الوحدويون التحريريون الثوريون – للأسف – إلا بدعوى مواجهته تحت شعار (قومية المعركة).

ولم تكن الوحدة العربية أسعد بالتحريريين في سوريا منها في مصر؛ فبعد انقلاب البعثيين في شهر فبراير / شباط عام 1966م، قام وزير الدفاع السوري آنذاك (حافظ الأسد) بحركة انقلابية في نوفمبر / تشرين الثاني عام 1970م، أطاح فيها بزعامة حزب البعث القطرية التي كان على رأسها أمين الحافظ الذي لجأ إلى العراق طوال العهد البعثي، ولم يُسمح له بالعودة إلى سوريا حتى بعد سقوط صدام حسين.

وانشق حزب البعث السوري أيضاً على حزب البعث العراقي بعد انشقاق البعثيين السوريين على أنفسهم، ثم انشق البعثيون العراقيون على أنفسهم، فقاد صدام حسين حركة انقلابية ضد رفاقه البعثيين، وقتل منهم عدداً كبيراً، كان منهم قادة كبار من أعضاء القيادة القطرية في العراق، بل قتل صدام عدداً من أعضاء مجلس قيادة الثورة نفسه، وأمر بعض الرفاق بأن ينفذوا حكم الإعدام رمياً بالرصاص في رفاقهم الآخرين عام 1979م، وقد كانت تهمة البعثيين العراقيين لزملائهم من البعثيين العراقيين الآخرين هي التآمر لحساب البعثيين السوريين.

أما رفاق التحرر والوحدة في اليمن فلم يكونوا أقل سعياً في تفكيك عُرى الأمة؛ فرغم جعجعاتهم عن الوحدة القسرية المصيرية بين الأمة العربية لم يستطع أولئك (الأحرار) التحرر من نزعة الافتراق والتفرق؛ حتى إن فريقاً منهم اختلفوا في إحدى اجتماعات اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الحاكم، فلم يستطيعوا أن يديروا الحوار بينهم بالكلمات، أو حتى باللكمات؛ فما كان منهم إلا أن أداروا الحوار بينهم بالبنادق والرشاشات، حيث استطاعت الأقلية المعارضة من أعضاء اللجنة المركزية الاشتراكية تصفية شركائها، فقتلت أغلبيتهم في حوار ديمقراطي «تحرري» أسفر عن سقوط حصيلة كبيرة من القتلى.

ملامح العهد التحرري الجديد:

إذا كنا لا نزال نعيش مرحلة انتقالية بين عهدي التحرريين القدامى والتحرريين الجدد القادمين مع مشاريع «التحرر» الأمريكية؛ فلا بد لنا من التعرف على ملامح العهد التحرري الجديد الذي سيسلم فيه قدامى التحرريين مفاتيح المسؤولية طوعاً أو كرهاً للجيل الجديد، الذي سيعيد أو سيساهم في إعادة الاحتلال، وإضاعة ما تبقى من استقلال لصالح المشروعات الأمريكية المعلنة وغير المعلنة في منطقتنا العربية والإسلامية. فلم يعد خافياً أن للولايات المتحدة الأمريكية مشروعاً كبيراً للسيطرة على العالم، ولم يعد خافياً أن هذا المشروع يقوم على نوع من الشراكة والتعاون بين الصهيونيتين اليهودية والنصرانية، ولم يعد خافياً كذلك أن لهذا المشروع آلياته الاستراتيجية، وبرامجه السياسية، وطموحاته الاقتصادية، وطروحاته الحضارية والدينية، ولم يعد خافياً أيضاً أن من وضعوا أسس مشروع السيطرة الأمريكية على

العالم باسم (إمبراطورية القرن الأمريكي) قد اختاروا ديار العالم الإسلامي بعربه وعجمه لتكون منطلقاً لذلك المشروع، بعد أن أطلقوا على ذلك العالم الإسلامي اسم (الشرق الأوسط الكبير) ثم (الشرق الأوسع)!

لم يعد هذا ولا ذاك خافياً، أما الذي لا يزال خافياً؛ فهو الخطوات العملية التنفيذية لهذه المشروعات التسلطية من حيث توقيتاتها وطبيعتها المتفاوتة بين الغزو العسكري الخارجي، والانقلابات الداخلية (الديمقراطية) التي سيقودها من يسمون بـ (الإصلاحيين التحرريين)، وفي كلتا الحالتين فإن الأمريكيين سيحتاجون إلى فريق متكامل من هؤلاء التحرريين الجدد ليكوّنوا حكومات على شاكلة حكومة «التحرير» الكرزاوية(3)، وحكومة «التحرير» (العلاوية).

وكما كان الشأن في حكومات التحريريين القدامى؛ فإن مجموعاتهم لن تقتصر على العسكريين، بل سيكون بعض العملاء على شكل سياسيين أو مفكرين أو مثقفين أو حتى رجال دين، لا يجمعهم جميعاً إلا وصف الخيانة لله ولرسوله وللمؤمنين.

ولأن الأمريكيين لن يستطيعوا الانطلاق في مشروعاتهم العالمية إلا من داخل عالمنا العربي والإسلامي؛ فقد كان لزاماً عليهم أن يجهزوا هذا الفريق من المتحررين من المبادئ لكي يعمل كـ «طابور خامس»(4) تحت إمرة المستعمر الأمريكي الجديد.

مهمة الأمريكيين ومن معهم من اليهود في المرحلة القادمة أن يطبقوا المزيد من مشاريع «التحرير»..! ومهمة المنافقين المتعاونين معهم والموالين لهم أن يقوموا على تنفيذ هذه المشاريع بالأمانة كلها لأعداء الأمة، والخيانة كلها لهذه الأمة.

لن يستطيع الأمريكيون والبريطانيون والإسرائيليون وغيرهم من أعداء الأمة أن يستكملوا مشروعاً واحداً إلا بمعاونة أولئك الخائنين أدعياء التحرر والتحديث، لن يستطيعوا إنجاز ما يريدون أو الباقي مما يريدون في أفغانستان أو العراق إلا بالتعاون معهم، ولن يستطيعوا الانتقال إلى ما يليهما من مشروعات لـ «التحرير» في كل من سوريا ولبنان، والسودان وإيران وغيرها إلا بمساندتهم، ولن يجرؤوا على قطع أشواط أخرى في مشروع (الشرق الأوسط الكبير) أو (الشرق الأوسع) إلا بالتواطؤ معهم، ولن يتمكن اليهود من القفز خطوات أخرى في مشروع (إسرائيل الكبرى) إلا بحبل ممدود لهم من الأمريكان، ومن هؤلاء المنافقين لأنهم ((ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ

مَا ثُقِفُوا إلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ))[آل عمران: 112] وكل هذا يصب في النهاية لخدمة مشروع التسلط الصهيوني – اليهودي النصراني على العالم؛ فهل يتمكن أعداء الخارج من القفز إلى مآربهم على أكتاف أعداء الداخل كما كان يحدث كل مرة؟

إننا لا نستبعد ذلك؛ وخاصة أن أولئك المنافقين من الأعداء الباطنيين يبالغون في الإخلاص الظاهر لهؤلاء الأعداء بما يجعلهم أكثر عداءً للمؤمنين ((هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ))[المنافقون: 4].

إن مشروعاً جديداً من التآمر على الأمة بالتعاون ما بين الكفار والمنافقين يجري الآن تسويغه تمهيداً لتسويقه، ولا يمكن لمثل هذا المشروع أن يجد طريقه أو بعض طريقه إلى التنفيذ دون اتكاء كامل على فريق متكامل من أولئك المنافقين العلمانيين التحرريين المعادين للعقيدة والدين؛ فما هو هذا المشروع؟

استراتيجية «التحرير» من العقيدة:

في سياق حربها المعلنة على العالم الإسلامي لم تستطع الولايات المتحدة أن تخفي الجانب الاعتقادي من تلك الحرب، فأخرجت مؤخراً إلى العلن أطروحات ومشروعات وبرامج تستهدف الدين بشكل مباشر، بعد أن كانت الحرب الدائرة تتدثر أحياناً بالأثواب الأمنية أو الاقتصادية، أو السياسية أو العسكرية باسم حماية المصالح.

وقد كشف في الآونة الأخيرة عن مشروع عدائي جديد يتحدث عنه تقرير تحت عنوان: (الإسلام المدني الديمقراطي.. الموارد والاستراتيجيات)، والتقرير أو البرنامج أصدره قسم أبحاث الأمن الوطني في معهد راند(5)، في سانتامونيكا بولاية كاليفورنيا الأمريكية، وبتمويل من مؤسسة (سميث ريتشارد سون).

والتقرير عبارة عن استراتيجية جديدة ومبتكرة لإطالة أمد الحرب ضد الإسلام، وقد وضعته الباحثة الأمريكية (شريل بيرنارد) المتخصصة في قضايا ما يسمى بـ (تحرير المرأة) في العالم الإسلامي، وهي زوجة رجل المهمات القذرة (زلماي خليل زادة) الأفغاني الأصل، الأمريكي الجنسية، الذي هندس الساحة الأفغانية وهيأها لـ «التحرير» الأمريكي عن طريق ربط خيوط التحالف بين الأمريكيين وتحالف الشمال في أفغانستان، وهو الذي أنيطت به أيضاً مهمة التنسيق بين فصائل المعارضة

العراقية العميلة والحكومة الأمريكية لتهيئة الأوضاع في عراق ما بعد صدام، وأنا شخصياً لا أستبعد أن يكون ذلك الزلماي القادم من (مزار الشريف) هو صاحب الدور الأساس في مشروع (الإسلام المدني الديمقراطي)، فما هي الأسس والمعالم التي يقوم عليها ويتسم بها ذلك المشروع؟ علماً بأن مؤسسة (راند) التي صدر عنها التقرير وثيقة الصلة بوزارة الدفاع الأمريكية التي أصبحت مرتعاً للمحافظين اليهود الجدد الذين يحكمون أمريكا اليوم.

إن التقرير يقوم على ما يلي:

` أمريكا ستظل ملتزمة بنشر قيمها في العالم بوجه عام والعالم الإسلامي بوجه خاص، ولا بد من جهات يمكن التعامل معها داخل البلدان الإسلامية على المدى الطويل.

` التعامل مع (الإسلام السياسي) غير ممكن، ولو بمفهوم التعاون التكتيكي القائم على المصالح.

` لا مناص من تأييد العلمانيين (المنافقين) في البلاد الإسلامية ضد المحافظين (الإسلاميين).

` الإسلاميون الأصوليون المعارضون للديمقراطية و«القيم» الغربية يجب اعتبارهم أعداء، وبخاصة بعد ما أظهرته أحداث سبتمبر.

` مناصرة العلمانيين ضد الإسلامين تعني تأييد التفسير العلماني للإسلام، ومساعدة العلمانيين على تأسيس منابر لنشر آرائهم، وإبرازهم على أنهم هم من يمثل الإسلام العصري المقبول، أو الإسلام الديمقراطي، باعتبار أن الإسلام (التقليدي) نظام ديكتاتوري!!

` العلمانيون أنفسهم ليسوا على درجة واحدة من الاستعداد للتعاون مع أمريكا؛ فهناك الوطنيون واليساريون الذين يرفضون التعاون، ولذا ينبغي التركيز على «أنصار الحداثة».

` جوهر الصراع بين العالم الإسلامي والغرب أصبح فكرياً؛ لأن الغرب يتفوق على الشرق الإسلامي في كل شيء، بينما لا ينازعونه المسلمون إلا في مجال الفكر والقيم.

` الحداثة هي ميدان المعركة، والحداثيون والعلمانيون هم عمادها، ومن خلالهم لا بد من وضع تفسير جديد للقرآن؛ بحيث يُستغنى بهذا التفسير عن النقد المباشر للقرآن.

` ولا بد من الاستعانة بالحداثيين والعلمانيين في إعادة تفسير السنَّة والأحاديث، بما يخدم مفاهيم الإسلام «المدني الديمقراطي»، واعتبر التقرير هذا الأمر مهمة عسيرة جداً، وأطلق عليها (حرب الأحاديث)؛ لأن المعركة الأساسية في المفاهيم ستكون حولها؛ فالأصوليون – كما يقول التقرير – يستطيعون أن يعارضوا كل تفسير يقدمه الحداثيون والعلمانيون للأحاديث، وسيتمكنون من جذب شريحة العامة وغير المثقفين إلى جانبهم، ولذلك سيحتدم الصراع.

` لا بد من استغلال احتدام هذا الصراع لإشغال كل من الفريقين بالآخر، بما يؤدي في النهاية إلى جو من البلبلة والتوتر الذي تمكِّن من ضرب الاتجاهات الأصولية في الصميم، ولا بد أيضاً من استغلال ممارسات التيار الجهادي لضرب الاتجاهات الأصولية بوجه عام بواسطة الحداثيين والعلمانيين.

` في أثناء المعركة بين الأصوليين والحداثيين ينبغي استخدام شريحة «التقليديين» – أي العامة – ضد الأصوليين، وجذبهم إلى جبهة العلمانيين، ويحذر التقرير من كسب الأصوليين لهذه الشريحة الواسعة البالغة التأثير، ويرى واضعوه أن شريحة التقليديين هي المجال الخصب الذي يعوَّل عليه لتحقيق أطروحة (الإسلام المدني الديمقراطي)، ولا بد من دعم العلمانيين في عملية كسبهم وجذبهم.

` اقترح التقرير دعم وتشجيع بعض أصحاب المذاهب الإسلامية لمواجهة المذهب السني المتشدد، وفي مقدمة تلك المذاهب: التصوف والتشيع، واقترح أيضاً العمل على توسيع الهوة بين بعض المذاهب السنية نفسها في بعض البلدان باستغلال الخلاف بين الأحناف مثلاً وبقية المذاهب وبخاصة المذهب الحنبلي.

` يرى التقرير أن الصوفية هي المذهب الديني المرشح لكي يسد الفراغ الروحي عند من يريد سداد هذا الفراغ؛ لأن الصوفية بما لديها من طقوس شعرية وموسيقية وتأملات فلسفية تمثل جسراً للخروج من «مستنقع» الفكر الوهابي الحنبلي!

معركة الجميع:

بهذا الشمول في توسيع دائرة الحرب الأمريكية على جوهر الوجود الإسلامي؛ يكون الأمريكيون قد حولوا تلك المعركة إلى مواجهة شاملة تستحق فعلاً أن تكون مقدمة لـ (صراع الحضارات) الذي بشروا العالم به منذ عقد مضى، وعندما ينتقل الأمريكيون بتلك الحرب إلى ساحة القرآن وميدان السنة مستخدمين المنافقين من العلمانيين والحداثيين – كما صرحوا بذلك – فإن نظرتنا نحن المسلمين إلى تلك المعركة لا بد أن تتخطى أيضاً ساحة الجهاد العسكري والسياسي إلى ساحة الجهاد الفكري والدعوي، حفاظاً على الأمة أن تجتاحها أعاصير التغيير الأمريكي القادم وراء أقنعة أدعياء التحرر الجديد، وهنا لن يكون النذير والنفير موجهاً إلى القادرين على منازلة الأعداء المغتصبين في الساحات المستباحة فقط، بل سيكون موجهاً إلى كل من له طاقة على إحقاق حق أو إزهاق باطل مما يتواطأ الكفار والمنافقون اليوم على رفع رايته، وإقامة دولته.

فعلى الذين استوعبوا معاني جهاد المنافقين في آيات البقرة والنساء والتوبة وغيرها من سور القرآن أن يضموا جهدهم إلى جهد من استوعبوا معاني جهاد الكافرين في الآيات والسور نفسها؛ فوالله الذي لا إله غيره لن تتحقق الانتصارات العسكرية على الأعداء الظاهرين إلا بتحقيق الغلبة الفكرية والمنهجية على الأعداء المستترين ((هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ))[المنافقون: 4]، ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ))[التوبة: 73].

---

(1) تفسير ابن كثير (568/1).

(2) مبادرة روجرز هي: أول مبادرة أمريكية للسلام بين العرب واليهود، وقد قدمتها الولايات المتحدة الأمريكية استجابة لطلب إسرائيل من أجل تخفيف خسائر الإسرائيليين الناجمة عن حرب الاستنزاف التي أعقبت حرب يونيو 1967م، وسميت تلك المبادرة بذلك الاسم نسبة إلى وزير الخارجية الأمريكي آنذاك وليام روجرز.

(3) قال الجنرال (تومي فرانكس) قائد العمليات العسكرية أثناء غزو العراق: إن المخابرات المركزية الأمريكية (السي آي إيه) اختارت حميد كرازاي لزعامة أفغانستان

منذ عام 1996م (أي قبل أحداث سبتمبر بخمس سنوات)، وقد ذكر فرانكس هذه المعلومة ضمن كتابه الذي ألفه بعد تقاعده في شهر يوليو 2003م.

(4) الطابور الخامس تعبير نشأ أثناء الحرب الأهلية الأسبانية التي اندلعت عام 1936م، واستمرت ثلاث سنوات، حيث كانت هناك أربعة طوابير عسكرية من الثوار تعمل تحت قيادة الجنرال فرانكو تسعى لدخول العاصمة مدريد، ولكن لم تستطع تلك الفرق توفير فرص النجاح في اقتحام العاصمة؛ حتى تم تشكيل طابور خامس من الجواسيس والعملاء يعمل في داخل مدريد فاشتهر باسم الطابور الخامس.

(5) معهد راند: هو معهد تابع لمؤسسة راند التي تأسست عام 1948م، وهي مؤسسة ظاهرها النشاط الفكري، لكنها تتعامل مع القضايا العسكرية والمخابراتية التي تتعلق بالأمن القومي الأمريكي؛ ولذلك تمول وزارة الدفاع الكثير من أنشطتها، ولها عدد من الفروع في الدول الأوروبية والعربية، ولها فرع في قطر تعمل به الباحثة التي أعدت ذلك التقرير، ويذكر هنا أن مؤسسة راند هي التي وضعت مشروع توسيع حلف الناتو، ووضعت أسس الحرب العالمية الأمريكية على ما يسمى بالإرهاب.

المصـــــدر : http://www.albayan-magazine.com/bayan-204/bayan-13.htm

============

#الليبيراليون الجدد بين الأمركة والصهينة

يحي أبوزكريا

1425/12/15هـ

ابتلي العالم العربي والإسلامي على مدى المئة سنة الماضيّة بكثرة ذابحيه وسالخيه وطاعنيه من خارج جغرافيته، ومن داخل جغرافيته.

ولعلّ الفتك الداخلي بهذه الأمةّ هو أخطر من الفتك الخارجي بها باعتبار أنّ القادم المحتّل يفد إلى جغرافيتنا وفي يده صليب، ومشروع فكري وثقافي من نسخ المنظومة الفكرية التي ينتمي إليها، ويشرع في هدم المقومات الحضارية ومعالم الشخصية الثقافيّة في هذه الأمة، وفي تلك أو يقوم بتحويل المساجد إلى إسطبلات أو كنائس كما فعلت فرنسا الاستعمارية في الجزائر وتونس والمغرب وغيرها.

وهذا الهادم الحضاري مكشوف للصغير والكبير، ولا تنطلي لعبته لا على خواص الناس من النخب المثقفة، ولا على عوام الناس من الفلاحين والحرفيين والبسطاء ولذلك حاربه الجميع.

فالثورة الجزائرية، وجبال الأوراس في الجزائر؛ جمعت الطبيب إلى جنب الشاعر، وإلى جنب الفلاح، وراعي الماعز، والبطّال، والأمي، والأمر عينه ينطبق على الثورة المصرية والفلسطينية والسورية، وغيرها من ثورات الانقضاض على الاستعمار الذي أذلّ بلادنا العربية والإسلامية على مدى قرنين كاملين، والذي خرج من قمقمه مجدداً من خلال الأمركة الزاحفة إلى حصوننا المدكدكة في العالم العربي والإسلامي.

ولم تنجح الحركة الاستعمارية التي ربضت على مقدراتنا وجغرافيتنا في تحطيم مقومات الشخصية العربية والإسلامية، حيث كانت الحيّاة تتجددّ في ينابيع هذه المقومات دوماً، بل كانت الملاذ الذي حال بيننا وبين السقوط الحضاري المريع.

ويعترف استراتيجيو الحركات الاستعمارية كديغول في مذكراته، وغلوب باشا في مذكراته، وضبّاط إنجليز كثر من الذين كانوا في طليعة المستعمرين في الهند وبنغلاديش وغيرهم كثير أنّ الأمة العربية والإسلامية كانت تملك دوماً ماء الحياة وهو الإسلام، والثقافة التي صاغها الإسلام هي التي حالت دون تذويب الشعوب المستعمرة – بفتح الميم – في الدول المستعمرة – بكسر الميم –، ولعلّ إستراتيجيي الحركة الاستعمارية قد أدركوا منذ ذلك الوقت أنّ الدبابة وحدها لا تكفي في استئصال هذه الأمم من ثقافتها، وإدماجها في الثقافة الغازية القوية، فأسسوا مدارس كولونيالية ضموا إليها أبناء الإقطاعيين، والمتعاملين مع الحركات الاستعمارية، وكونوّهم على أعينهم، وزجوا بهم بين أبناء الأمة يروجون لثقافة المستعمر بلسان الأمة المحتلة والمغزوة.

وربما لذلك نجد أنّ أغلب الذين تصدوا للإسلام في راهننا وسبوه، وسبوا رسوله واستهانوا به؛ هم من العرب والمسلمين الذين احتضنتهم الحضارة الغربية، وينتمون إلى حضارة مغايرة وهي حضارة الإسلام – إذا جاز هذا التعبير –، وكلفوا بأداء المهمة من قبيل سلمان رشدي في بريطانيا، وتسليمة نسرين التي لجأت إلى السويد، وهرسي (النائبة الهولندية من أصل صومالي) التي سبّت رسول الإسلام في هولندا.

وإذا كانت الأمة العربية والإسلامية قد حسمت موقفها من الحركة الاستعمارية لوضوح نواياها، وافتضاح مشاريعها العدوانية التي تطال الإنسان والكيّان؛ فإنّها ظلّت محتارة في أمر الأقلية الفكرية التي تتكلم بلسان علي وخالد وعمر، وتتبنى فكر جوزيف وبيار وكايم وبيرل وغيرهم.

وهذه الأقلية التي تكتلّت اليوم في إطار ما يعرف بالليبيراليين الجدد تلعب أكبر الأدوار في تحريف الأمة عن مسارها، وتسهيل اندماجها الفكري في المنظومة الاستعمارية الراهنة التي لجأت إلى أساليب جديدة للاستعمار الجديد، وعلى رأسه الاستعمار الأمريكي.

ففي وقت الحركة الاستعمارية شكّك هؤلاء الاستئصاليون في جدوى الثورات على الاستعمار، وعدوا هذه الثورات جزءاً من الجنون والخبل باعتبار أنّ الانفصال عن الحركة الاستعمارية سيورّث ويكرّس الجهالة والأمية، والتخلف والأمراض، وعدم القدرة على تسيير شؤون الدولة والاقتصاد، والثقافة والزراعة، وأنّ الاستعمار هو مصدر القوة، وينبوع العطاء في كل المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية.

بل إنّ بعضهم في الجزائر طالب محمداً رسول الإسلام بضرورة مغادرة الجزائر؛ لأنّه دخيل عليها، وقررّت ثورة المليون والنصف مليون شهيد أن تغادر فرنسا ومعها الحلف الأطلسي الجزائر، ويبقى محمد فيها إلى يوم يبعثون.

والليبيراليون القدامى المرجع الروحي لليبيراليين الجدد طالبوا بوأد الثقافة العربية والإسلامية، وإحلال الثقافة الفرانكفونية والإنجلوسكسونية محلها، وطالبوا بالقضاء على التعليم الأصلي، والمعاهد الأصلية التي كانت تخرّج رجالات من قبيل عبدالحميد بن باديس، وعبدالكريم المغربي، وخيرالدين التونسي، وعمر المختار، والسيد المقراني، وعزالدين القسّام وغيرهم من رجالات هذه الأمّة، ولعب المتحالفون مع الاستعمار من أبناء جلدتنا أكبر الأدوار في ترجمة ثقافة المستعمر إلى شعوبنا، ويسروا تسللّها إلى حصوننا ومواقعنا، وهذه النخبة هي التي عناها أحد الاستراتيجيين الفرنسيين بقوله:

في السابق كنّا نوجّه آلاف الجنود والدبابات إلى الجغرافيا العربية والإسلامية لاحتلالها، أما اليوم فإننّا نكوّن بعض نخب هذه البلاد في جامعاتنا، ونرسلهم إلى تلك البلاد ليؤدّوا الوظيفة بإحكام.

وفي الواقع لقد أدوها بإحكام بأتمّ معنى الكلمة، ولذلك كوفئوا من قبل الحركات الاستعمارية بتسليمهم مقاليد الأمور في بلادنا، فأدّوا الوظيفة الاستئصالية على أكمل وجه بعد الاستقلالات الوهمية لبلادنا عن الحركات الاستعمارية.

وقد خلف من بعد هؤلاء خلف أضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات؛ فسوف يلقون غيّاً، فالليبيراليون الجدد وفي الوقت الذي تتعرّض فيه الأمة العربية والإسلامية إلى أبشع أنواع الإذلال والتركيع، والسلب والنهب؛ يطالبون هذه الأمة بالتخلي عن كل ثوابتها ومتغيراتها، والقبول بالديموقراطية الأمريكية والإسرائيلية، فقد برروا لأمريكا كل تصرفاتها العدوانية في الصومال وأفغانستان والعراق، وفي مواقع مختلفة في العالم العربي والإسلامي.

وعدوا ما يقوم به رجال المارينز الأمريكان جزءاً من عملية تحديث هذه الأمّة ونقلها من الظلامية إلى النور، ومن الأصولية إلى الدمقرطة، وراحوا – وفي خطّ مواز لما يقوم به رجال المارينز الأمريكان – يدكدكون مواقع هذه الأمة، فالجهاد في العراق ضدّ الاستعمار الأمريكي إرهاب، والجهاد في فلسطين ضدّ أعتى دولة عدوانية خرافة ووهم، بل إنّ رموز الليبيراليين الجدد زاروا إسرائيل متحدّين بذلك مشاعر كل العرب والمسلمين في خطوة تدشين التحالف الجديد بين الليبيرالية العربية الجديدة والصهيونية، وطبعاً سيكتب ويتحدث أبواق هذا التيار عن ضرورة الصلح مع اليهود كخطوة مركزية لتحقيق حقوق الشعب الفلسطيني.

إنّ الليبيراليين الجدد قد أتقنوا بإحكام وبدقةّ فعل الديّوث، والديوثّ هو السمسار الذي يتاجر بأعراض النساء، فهم نجحوا في جلب المستعمر إلى بلادنا، وأجازوا له أن يمارس الفاحشة السياسية والثقافية، والاقتصادية والأمنية مع بلادنا العربية والإسلامية، وهم عاجزون عن تقديم أي مشروع ثقافي وفكري ينهض بهذه الأمة، بل هم في الوقت الذي يتبجحون فيه بالمشروع الديموقراطي يقبضون أموالاً بالجملة والمفرّق من أعتى الدول الملكية والديكتاتورية في العالم العربي والإسلامي.

وهم بعد أن كشفوا عن حلفهم المقدّس مع أمريكا راحوا يتحالفون مع الكيان الصهيوني، وهما بهذا يتحالفان مع أعتي أعداء العالم العربي والإسلامي راهناً – أمريكا والكيان الصهيوني – اللذين هما كطرفي المقّص، ظاهرهما مختلف، وباطنهما متفق على تمزيق العرب والمسلمين.

المصدر :

3http://www.almoslim.net/figh_wagi
266/show_news_comment_main.cfm?id=

==============

#أساليب التبشير في المدارس وأثرها على الطفل المسلم

د. نهى قاطرجي

حرص الإسلام على تعليم الأطفال أركان الإسلام والإيمان منذ الصغر، وقبل سن التكليف، وجعل مسؤولية هذا الأمر على عاتق الأهل الموكلين بتربية الطفل التربية السليمة التي تنجيه وتنجيهم في الدنيا والآخرة.

وتكون نجاتهم في الدنيا ببرّ الولد لأهله، لقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (رحم الله والداً أعان ولده على برّه). (1)

قال الإمام الغزالي في تفسير هذا الحديث : أي " لم يحمله على العقوق بسوء عمله ". (2)

وروي عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – " أن رجلاً جاء إليه بابنه، فقال : إن ابني هذا يعقني. فقال عمر – رضي الله عنه – للابن : أما تخاف الله من عقوق والدك، فإن من حق الوالد كذا، ومن حق الوالد كذا. فقال الابن : يا أمير المؤمنين، أما للابن على والده حق؟ قال : نعم، حقّه عليه أن يستنجب أمه، يعني لا يتزوج امرأة دنيئة، لكيلا يكون للابن تعيير بها. قال : ويُحسن اسمه، ويعلمه الكتاب. فقال الابن : فوالله ما استنجب أمي، وما هي إلا سِنْدِيّة اشتراها بأربعمائة درهم، ولا حسّن اسمي، سماني جُعَلاً – ذكر الخفاش – ولا علمني من كتاب الله آية واحدة. فالتفت عمر – رضي الله عنه – إلى الأب وقال : تقول : ابني يعقني، فقد عَقَقْتَهُ قبل أن يعقّك، قم عني ". (3)

وتكون النجاة في الآخرة بالفوز بالجنة والوقاية من النار، يقول – تعالى – :
{يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة}. (4)
وقد جعل بعض العلماء الولد داخلاً في النفس " لأن الولد بعض أبيه ". (5)
قال ابن جرير : إن وقاية الأبناء تكون بتعليمهم " الدين والخير و ما لا يُستغنى عنه من الأدب". (6)
ويشدد الرسول – عليه الصلاة والسلام – على هذه المسؤولية بقوله : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة فهل ترى فيها جدعاء؟ ". (7)
وهذه المسؤولية ممكن أن تكون بصورة مباشرة " إذا علماه اليهودية أو النصرانية أو المجوسية حتى يدين بها، وتكون مسؤوليتهما غير مباشرة إذا تركا تعليمه عقيدة الإسلام ومعانيه، وتركاه فريسة للمجتمع الفاسد الضال الذي تشيع فيه عقائد الكفر والضلال من يهودية أو نصرانية أو مجوسية وغيرها فيؤمن بها أو يدين بها ". (8)
وهذه المسؤولية التي تغافل عنها بعض الآباء، إما بسبب جهلهم بها، أو مواكبة للعصر وتقليداً للآخرين، ومن هؤلاء (جون موط) المبشر النصراني الذي قال : " إن الأثر المفسد في الإسلام يبدأ باكراً جداً، من أجل ذلك يجب أن يُحمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم الرشد، قبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية ". (9)
ولم يكتف هؤلاء بالمدارس الإرسالية بل عمدوا في بعض الحالات إلى فتح المدارس العلمانية، بغية إحكام السيطرة على تربية أبناء المسلمين وتدمير عقيدتهم، ذلك لأنهم إذا فشلوا في جذب أبناء المسلمين إلى مدارسهم وتلقينهم المبادئ النصرانية، فإنهم يكونون، على الأقل، قد حطموا مبادئهم من الداخل، وهذا ما جاء في كلام المبشر (زويمر) الذي قال : " ما دام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية، فلا بد أن ننشئ لهم المدارس العلمانية، ونسهّل التحاقهم بها، هذه المدارس التي تساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب ". (10)
ويتحجج كثير من الآباء الذين يرسلون أبناءهم إلى الإرساليات بأن التعليم الديني في هذه المدارس ليس إلزامياً، وأن المسؤولين يجعلون للطالب الحرية الكاملة في دخول

الكنيسة أو عدم الدخول، وهذا الأمر قد يكون صحيحاً، إلا أن ما سها عن بال هؤلاء الأهل أن ما يخطط له هؤلاء في تدمير عقيدة المسلم يمكن أن يحصلوا عليه بوسائل متعددة، ومن هذه الوسائل:

أولاً : صلة الأطفال بمعلميهم، إذ إن المعروف أن الطفل يتأثر بالكبار من معلمين وأهل، وهذا الأثر قد يبقى لفترة طويلة، قد تمتد طوال عمره، والطفل يؤمن بكل ما يقوله معلمه، لذلك " من الطبيعي أن قِيَمَ المعلم واتجاهاته تُتناقَل للتلميذ بطريق مباشر خلال القواعد والمناقشات والتفسيرات أو التعليقات والأوامر، وأقل أهمية أحياناً ما (يقوله) المدرس بالقياس إلى ما (يفعله)، فالمدرس يؤدي وظيفة القدوة أو المثال النموذجي للصغار، إنهم يتمثلونه ويحاكونه ويحاولون الانطباع به ". (11)

ثانياً : تعلم الأطفال من بعضهم البعض، إذ يشكل الرفاق وسيلة من الوسائل التعليمية المهمة، فالحوار المستمر حول نقاط الخلاف بين الأديان يكثر بين الرفاق الذين يكونون في الغالب من أتباع الديانة الأخرى، كل هذا يجعل هذا الولد يتأثر بكلامهم – وإن لم يُبد ذلك للأهل – أو يُظهر ذلك رغبة منه بالحصول على ودهم وصداقتهم أو رغبة بتجنب سخريتهم واستهزائهم.

ثالثاً : استغلال الوسائل كافة من أجل بث التعاليم الدينية، ومن هذه الوسائل (الطابور الصباحي) حيث يجتمع الأطفال في باحة الملعب قبل الصعود إلى الصف، ويستمعون إلى توجيهات الراهبة أو الكاهن، حيث يقوم هؤلاء باستغلال بعض المناسبات الدينية من أجل التعريف بالدين المسيحي وبث أفكارهم بحرية وبدون رقابة، أو من أجل القيام ببعض الصلوات، ومن أخطر هذه المناسبات (الشهر المريمي) حيث يقوم الطلاب بالصلاة الصباحية الجماعية قبل الدخول إلى الصف، والصلوات يقوم بها الطلاب أيضاً بشكل يومي في باص المدرسة أثناء انتقال الأولاد إلى منازلهم.

رابعاً : استغلال النشاطات المدرسية من أجل القيام ببث الأفكار المسيحية في أذهان الطلاب، ومن هذه النشاطات الرحلات المدرسية إلى الأماكن الدينية، كمزار سيدة حريصا في لبنان مثلاً، حيث تبث هناك بعض التعاليم المخالفة للدين الإسلامي، كالحديث عن السيرة المحرفة للسيدة مريم العذراء – عليها السلام –، والحديث عن

معجزاتها، التي تقربها من الآلهة، حسب زعمهم، وقد تجعل الطفل يعتقد أنها قادرة على جلب المنفعة أو دفع الضرر.

ومن هذه النشاطات أيضاً الأفلام السينمائية التي تتحدث عن سيرة المسيح – عليه السلام – ومعجزاته.

خامساً : جهل الآباء بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، وبالتالي انصرافهم عن تعليمها لأبنائهم، يجعل الطفل يصدق كل ما يخبره به الطرف الآخر، لسهولة حصوله عنده على أجوبة الأسئلة التي لا يجدها عند أهله.

ومن النماذج عن جهل الطلاب بدينهم، ما ذكره أحد الأشخاص، من أنه حين كان في صف الفلسفة (آخر صف ثانوي قبل الدخول إلى الجامعة)، أخبره أستاذه النصراني أن هناك وحدة بين الأديان، وأنه ورد في القرآن الكريم سورة مريم، فما كان من هذا الطالب المسلم إلا أن أسرع إلى منزله وبحث في المصحف عن (صورة) مريم، فلم يجدها ... فمن المسؤول عن هذا؟ ...

هذه الأسباب التي ورد ذكرها تتعلق بالآثار المباشرة لتعلم الولد المسلم في المدارس النصرانية، إلا أن المخيف في الأمر أن هذه الآثار قد تبقى في النفس إلى آماد طويلة، وقد لا تزول إلا من نفس من – رحمه الله –، ومن هذه الآثار :

أولاً: رفض الشاب أو الفتاة فكرة أن أهل الكتاب هم من الكفار، لأن رفاقه وأصحابه هم من بينهم، وهو أمضى معهم فترة زمنية طويلة، ويعلم أنهم يتمتعون بالأخلاق الحميدة (وهذا الأمر يشدد عليه النصارى في مدارسهم) لذلك فهو يرفض مقولة أنهم كفار، وبالتالي فإنه قد يرفض في المستقبل محاربتهم أو جهادهم، وإذا فعل فإن هذا قد يشعره بالألم.

ثانياً: إحساسه بعقدة النقص تجاه أتباع الديانة الأخرى، فهو يحاول كسب ودهم بشتى الوسائل، وتحت مختلف الشعارات، كشعار إلغاء الطائفية، وشعار العيش المشترك، هذا التعايش الذي قد يكون في كثير من الأحيان على حساب المسلمين، فإذا أصبح مثل هذا الشخص مسؤولاً في أحد المراكز المهمة، فإنه يُقرب غير المسلم، ويُرقي غير المسلم حتى ولو كان المسلم أحق بالترقية، فهل هكذا يكون الإسلام؟ وهل هذا الأمر بهدف التعايش، أم نتيجة عقدة نقص تجاه الفريق الآخر؟

ثالثاً : تكرار تجربته العلمية (الناجحة في نظره) مع أبنائه، فهو يسجله في المدرسة التي تعلم فيها ليعلمه كما تعلم و (حتى يَطْلَع يِحكي كِلْمْتين فْرِنساوي)، أما إذا سجله في المدارس الأخرى، وخاصة الإسلامية منها، فإنه سيصبح إنساناً معقداً.

إلى هؤلاء نقول : إن ما تفعلونه، هو تدمير ذاتي لكم قبل أن يكون تدميراً للإسلام، لأن الطفل الذي لا تُعلمه دينه، لن يعرف تعاليم الإسلام، من بر الوالدين والإحسان إليهم، والرجل الذي يقرب الأعداء إليه، ينقلب السحر عليه.

وقد حذر الله – تعالى – من هذا الفعل بقوله :

{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء، تلقون إليهم بالمودة، وقد كفروا بما جاءكم من الحق، يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم} (12).

وقال – تعالى – : {لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله}. (13)

ومحادّة الله ورسوله " ليست مجرد الكفر، وإنما هي مناصبة العداء للإسلام والمسلمين ". (14)

ولْيَعلَم أبناء الإسلام أن المعركة مع النصارى معركة قديمة، وهم لن يرضوا عن المسلم مهما فعل ومهما حاول التقرب إليهم وإظهار المودة لهم، وقد أكد هذا الأمر القرآن الكريم بقوله – عز وجل – : {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، قل إن هدى الله هو الهدى، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير}. (15)

وفي النهاية، لا بد من التأكيد على أن مسؤولية التجاء أبناء المسلمين إلى مثل هذه المدارس لا يقع على عاتقهم وحدهم، بل إن بعض هذه المسؤولية يحملها أبناء الإسلام الذين انصرفوا عن إنشاء المدارس الإسلامية الجيدة التي تستطيع أن تنافس المدارس الإرسالية والعلمانية، كما أن لعزوف بعض المدارس الإسلامية عن تعليم اللغات الأجنبية التي يجب على المسلم إتقانها إذا رغب في معرفة لغة عدوه، أثره في دفع بعض الأهل إلى اختيار هذه المدارس محتجين بالضرورة العلمية في بعض الحالات.

____

(1) رواه ابن حبان.
(2) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص216.
(3) السمرقندي، تنبيه الغافلين، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثانية، 1415هـ، 1995 م، ص130.
(4) سورة التحريم، آية 6.
(5) القرطبي، تفسير القرطبي، ج18، ص195، 196.
(6) الشوكاني، فتح القدير، دار الخير، بيروت . الطبعة الأولى، 1413هـ، 1992م، ج5، ص292.
(7) رواه البخاري، الجدعاء، مقطوعة الإذن، يريد أنها لا تولد لا جدع فيها وإنما يجدعها أهلها بعد ذلك.
(8) عبد الكريم زيدان، المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية، ج10، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1417هـ، 1997 م، ص115.
(9) مصطفى خالدي، عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد الاسلامية، المكتبة العصرية، صيدا 1986، ص68.
(10) يوسف النبهاني، مختصر إرشاد الحيارى إلى تحذير المسلمين من مدارس النصارى، دار البيارق، بيروت، الطيعة الأولى، 1416 هـ، 1995م.
(11) كمال دسوقي، النمو التربوي للطفل والمراهق، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص373.
(12) سورة الممتحنة، آية 1.
(13) سورة المجادلة، آية 22.
(14) يوسف القرضاوي، الحلال والحرام في الإسلام، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة عشرة، 1405هـ، 1985م، ص308.
(15) سورة البقرة، آية 120.

المصدر: http : //www. saaid.net

============

#كأس العالم .. وطقوس النصارى

من يقول إن الحروب الصليبية قد انتهت، فهو غافل أو نائم نومة أهل الكهف أو أكثر قليلاً، إن الحروب الصليبية قد زاد لهيبها واشتعالها، خصوصاً بعد اختراق القنوات الفضائية لأجواء المسلمين...

ولو أردنا استعراض الأثر السيئ لهذه القنوات على أفراد أمة التوحيد، لأخذ منا الأمر كتباً، بل مجلدات، ولكننا في هذا المقال، نستعرض باباً واحداً من أبواب الغزو، ألا وهو كأس العالم، وكرة القدم، وما أدراك ما كرة القدم!

فقد رعوها، ونفخوها في وسائل إعلامهم، وأنفقوا الأموال، حتى يكون لهذه اللعبة بيننا مقام لا ينافسه أحب حبيب، ولا أقرب قريب.

وفي الدورة الأخيرة لكأس العالم، ظهر كثير من الطقوس النصرانية، فمنها على سبيل المثال، هذه الصلبان والشعارات المعلقة في كل ملعب تُقام فيه التصفيات، كذلك رسم الصليب على وجوه الجمهور الحاضر للمباريات، وعلى ملابسهم، وتركيز الكاميرات التي تنقل المباريات إلى أنحاء العالم على هذه الشعارات، كذلك . وهو الأخطر والأدهى . رسم اللاعبين عند تسجيلهم لأي هدف الصليب بحركات أيديهم على صدورهم، والغريب في الأمر، أن الكاميرات تسلط الأضواء على كل لاعب يقوم بهذه الحركات، كأن في الأمر اتفاقاً، كذلك من الأمور اللافتة للنظر، هذه التقليعات الغريبة والعجيبة والمخالفة في أغلبها لتعاليم الإسلام، التي يعرضها اللاعبون المشاركون في هذا . الكرنفال . مثل وضع الأقراط في الأذنين، وتلوين الشعر باللون الأخضر والأصفر والأحمر، حتى يظهر اللاعب والعياذ بالله . وكأنه عفريت من الجن.

إن المراهق، أو الطفل المسلم، عندما يرى هؤلاء، فإنه بلا شك، سوف يقلدهم لا شعورياً في لبسه، وحركاته، بل ربما فيما يحب وما لا يحب، ولا غرابة أن يتطوَّر الأمر بعد ذلك، ليصبح حب هذا اللاعب، أو ذاك، أكثر من حب الوالدين، أو حب الأنبياء والرسل، بل إننا سمعنا أن بعض هؤلاء اللاعبين أصبح معبوداً من دون الله.. والعياذ بالله.

لقد رأيت ذات مرة، أحد الأطفال يلعب الكرة، وعندما قام بتسجيل هدف، رأيته يرسم الصليب بحركات يديه على وجهه، وهو لا يدري ما يفعله مقلداً بذلك ما رآه في هذا الكرنفال الخبيث المسمى . كأس العالم . ترى كم من شباب المراهقين . المسلمين . يعمل مثل هذا الطفل، وهو لا يدري؟!!

المصدر : http://www.khayma.com

=============–

#هل هذا وقت المهرجانات السينمائية الماجنة والحفلات الراقصة ؟!

بين الحين والآخر تحمل إلينا الأنباء أخبار المهرجانات السينمائية والغنائية الدولية التي تنظمها عواصم عربية مثل مهرجان القاهرة السينمائي..ومهرجان قرطاج وغيرهما..

وبين الحين والآخر تشهد عواصم عربية حفلات غنائية وراقصة تعد من اللهو والعبث والمجون.. تسخر لها وسائل الإعلام ساعات طوالاً من البث وتنفق عليها الملايين من أموال الشعوب البائسة.. وتتخذ تلك الحفلات مناسبات إسلامية ووطنية لكي تعلن عن نفسها تحت أسماء كاذبة.. ويتم الترويج لها على نطاق واسع تحت شعارات خادعة.. كما تسللت إلى مجتمعاتنا الإسلامية منذ سنوات مسابقات ما يسمى بملكات الجمال التي تحفل بمشاهد العري الفاضح ويتخللها الابتذال والسقوط المشين. وهكذا تسخر الجهود وتهدر ميزانيات الشعوب وتضيع الأوقات في الترويج والإعداد ورعاية وحماية مثل هذه الفعاليات الهابطة؛ بزعم الترويح عن الشعوب وبزعم الإبداع والفن.. وما هو بفن ولا إبداع ولا ترويح إنما هدم للقيم وإلهاء للشعوب ونزح للأموال.

لقد كان الأحرى بالحكومات وأجهزتها المعنية أن تتدبر أمرها وتعي جيداً ما يخطط للأوطان.. الأرض والثروة والشعوب.. من مشاريع استعمارية واضحة للعيان أخذت تطل برأسها وصارت تدق الأبواب منذرة بخطر قادم ومحقق.. وكان الأحرى بها أن تعيد ترتيب أولوياتها في ضوء تلك الأخطار وتتخلى عن سياسات اللهو والمجون والإفساد وتلتفت إلى بناء الأجيال على تقوى من الله وعلى قيم الإسلام ومبادئه

لتنشئة أجيال قادرة على الصمود في وجه الغزوات الاستعمارية والفكرية والعسكرية القادمة.

وكان الأحرى بالحكومات العربية المعنية أن توفر ملايين الدولارات المخصصة لتلك المهرجانات والحفلات والمسابقات الهابطة لضخها في مشاريع التنمية المعطلة وإيجاد فرص عمل للشباب لإنقاذه من براثن البطالة القاتلة نفسياً ومعنوياً.. وإنقاذ الشباب الضائع من الانحرافات والإدمان، وإدخال التقنية الحديثة إلى نظم التعليم وتحديث البنية التحتية ووضع خطط النهضة الشاملة محل التنفيذ، لكن للأسف الشديد فقد تم تعطيل ذلك كله أو إعطاؤه جهداً ووقتاً ومالاً أقل.. بينما تم تقديم الرقص والغناء والمجون.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهنا يجدر بنا التأكيد على ما يلي:

أولاً: إن مثل تلك المهرجانات والحفلات والمسابقات تمثل خروجاً واضحاً على شرع الله – سبحانه وتعالى –، وتمثل مبارزة لله بالمعاصي وهو ما يعد نذير شر وجلب لسخط الله – سبحانه وتعالى –.. ثم إن ذلك يفتح المنافذ والأبواب أمام الموجات اللاأخلاقية التي تفترس الأجيال وتلقي بها في مهاوي الشيطان.. الأمر الذي يصب في تشكيل مجتمعات ضعيفة أخلاقياً، هشة في بنيانها الثقافي، مقطوعة الصلة بربها ودينها وقيمها.. فتصبح لقمة سائغة لموجات الغزو الثقافي والتغريبي.. وتلك هي الخطوة الأولى التي تؤدي إلى سقوط الأوطان في براثن التبعية الاستعمارية.

ولذلك فإننا لا نمل من التحذير من المخطط الغربي الصهيوني الرامي لاقتلاع منظومة الثوابت والقيم والأخلاق السامية التي حمت الأمة طوال تاريخها من حملات التذويب والغزو الفكري، كما لا نمل من التحذير من المخطط القديم المتجدد لإفراغ مجتمعاتنا من الدين والعقيدة والقيم، حتى تصبح كالسائمة تقودها شهواتها إلى مهاوي الهلاك وتصبح قضاياها في أيدي أعدائها يتصرفون فيها كما يشاءون.

ثانياً: إن العدو المتربص بنا ليل نهار لا يكف عن تضخيم قوته وتحديث ترسانة سلاحه.. فالعدو الصهيوني كما هو معلوم يمتلك أكبر ترسانة سلاح في المنطقة ومنها السلاح النووي.

كما أن المؤسسات التنصيرية الدولية لا تكف عن حشد جحافلها لغزو العالم الإسلامي وهي تتحرك اليوم بوضوح في البلاد الإسلامية، كما أنها تنتشر تحت أسماء عديدة في الكثير من البلدان الأخرى.

ولا ننسى في هذا الصدد أن المؤتمر التنصيري الأشهر الذي نظمته "لجنة تنصير لوزان" قبل ربع قرن (عام 1978م) رصد لمخططاته التنصيرية وفق وثائقه 870 مليار دولار و10 آلاف محطة إذاعية وتلفازية وسبعة ملايين منصر و250 دورية وكتاباً. وليس بخافٍ أن هذه الخطط تحميها الجيوش وتساندها الضغوط وتفتح لها الطريق.

وليس بجديد أن نذكّر بمخططات إلغاء التعليم الإسلامي في بلادنا.. في الوقت الذي يتم فيه إنجاز برامج التبادل الثقافي الذي ترعاه الدول الغربية لتغريب عقول أجيالنا، وبرامج التبادل الإعلامي التي تحاول غسل أدمغة أطفالنا وشبابنا.

هذا غيض من فيض من المخططات التي تدبر لنا، وبعض من نماذج الأخطار التي تدق أبوابنا.. فماذا أعددنا لها؟! وماذا خططنا لمواجهتها وحماية الأجيال منها؟! هل بالمهرجانات السينمائية والحفلات الراقصة والغنائية ومسابقات ما يسمى بملكات الجمال.. وغيرها؟!

إن الحكام ومن بيدهم مقاليد السلطة مطالبون بتدبر الأمر جيداً وعدم الانسياق وراء الغرب.. والتنفيذ الأعمى للمخططات التي لا تريد لأوطاننا وشعوبنا الخير.. كما أن عليهم إعادة ترتيب الأولويات قبل أن يجرف الطوفان الجميع.. ويومها لن ينفع الندم.. وستكون العاقبة في الدنيا وخيمة.. ويكون الحساب أمام الله عسيراً "واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون" (281)(البقرة).

المصدر : http://www.almujtamaa-mag.com

=============-

#حتى لا ينهار السد !!

سلطان المهوس

ذكر الله في كتابه الكريم عن قوم سبأ أنهم بنوا سدّا عظيما محكما (سد مأرب) تجتمع إليه سيول أمطارهم وأوديتهم. ولكنهم أعرضوا فأرسل الله عليهم سيل العرم،

قال الله – تعالى –: " لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا لـه بلدة طيبة ورب غفور، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدّلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور ".

ذكر المفسرون أن الله – عز وجل – لما أراد عقوبتهم بإرسال العرم عليهم، بعث على السد دابّة من الأرض يقال لها الجرذ، نقبت أسافله حتى إذاضعف ووهى، وجاءت أيام السيول صدم الماء البناء فسقط.

ونحن أيها الأخوة والأخوات لدينا سد عظيم بناه النبي – صلى الله عليه وسلم –، وجُدِّد بناؤه على مرّ الزمان، ومن آخر من جدّده الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – بمؤازرة الأمير محمد بن سعود – رحمه الله –.

وسدّ الدين يواجه هذه الأيام هجمة عنيفة من خارج البلاد وداخلها، تحاول إضعافه وتسعى لهدمه، والهجمة وإن كانت خطيرة من الخارج إلا إنها من الداخل أشد خطرا، فهي بمثابة الجرذان التي تسببت في انهيار سد مأرب، وأعني بها بعض كتّاب وكاتبات الأعمدة في صحفنا المحلية، وكذلك بعض المذيعين والمذيعات والممثلين والممثلات في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، التي تثير الشبه وتشكك في بعض مسلّمات العقيدة.

والمتتبع لما ينشره ويبثه هؤلاء يرى هجمة عنيفة منهم على الدين وأهله، مثل: عقيدة الولاء والبراء، والإنقاص من قدر العلم الشرعي والعلماء، واتهام المناهج بأنها تفرِّخ للإرهاب، وفتح المجال أمام أهل الحداثة في الملاحق الأدبية والثقافية، ومن أبرز ما يتحدثون عنه ويثيرونه .كما فعل أسلافهم في البلاد العربية . الحديث حول المرأة والتباكي بشأنها والدفاع عن حقوقها المسلوبة .كما يزعمون . والسعي لتحريرها (وصدق من قال: إنهم لا يريدون حرية المرأة، ولكن يريدون حرية الوصول إلى المرأة).

وحتى لا ينهار سد الدين فالذي ينبغي فضح هؤلاء والرد عليهم .كما يفعل الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله – وإيقافهم عند حدهم، ومحاسبتهم عما كتبوا، ومنعهم

من الكتابة وغيرها، ومحاسبة رؤساء التحرير الذين فتحوا لهم الأبواب ليهدموا العقيدة في النفوس.

أيها الأخوة والأخوات: إن القتل جريمة شنيعة، لكن الفتنة في الدين أشدّ وأكبر، كما قال الله – تعالى –: " والفتنة أشد من القتل " وقال – سبحانه –: " والفتنة أكبر من القتل ".

إن وسائل الإعلام سلاح ذو حدين، فإن لم نحسن استغلالها كانت علينا وبالا، وسببا من أسبا ب انهيار الدين.

أسأل الله أن يحفظ لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأن يرد كيد الأعداء في نحورهم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.....

01 يونيو 2004

المصدر: http://www.alommah.net

=============

#إصلاح التعليم .. البعد الحقيقي

د.عماد الدين خليل

في سياق المحاولات المحمومة للولايات المتحدة الأمريكية من أجل "أمركة" الشرق الأوسط، والبلدان العربية، وعالم الإسلام على امتداده، يجيء ما يسمى بإصلاح التعليم لفرض النموذج الثقافي الأمريكي على المنطقة.

والنموذج الثقافي الأمريكي يرتطم ابتداءً مع الرؤية الإسلامية للكون والعالم والحياة والمصير، ولمهمة الإنسان في الأرض.. إنه بسبب من ماديته وعلمانيته ونفعيته وإباحيته وتكاثره بالأشياء ورفضه الغيب والإيمان الجاد بالله واليوم الآخر.. يبحر باتجاه معاكس تماماً لما تربّت عليه، وعايشته أجيال المسلمين على مدى أربعة عشر قرناً، ومارسته في عاداتها وتقاليدها وتربيتها وتعليمها وسلوكها وقناعاتها، رغم كل محاولات الانحراف بها ذات اليمين أو ذات الشمال، ولن يكون بمقدور الممارسة الأمريكية، رغم ضغوطها وإغراءاتها الهائلة، أن تمضي إلى أهدافها بسهولة حتى لو تمكنت من توظيف كل وزارات التربية والتعليم في بلدان العالم الإسلامي من أقصاه

إلى أقصاه. لنتابع بعض ما تشهده البلدان العربية في هذا المجال للاطلاع على جانب مما يراد بهذه الأمة، والجهود الموصولة التي تبذل لإرغامها على قبول فكر الآخر ورؤيته.

فلقد أكد (أحمد الصياد) المدير العام المساعد لمنظمة اليونسكو في كلمته أمام المؤتمر العربي الإقليمي، الذي عقد في القاهرة في يونيو من العام الفائت، تحت عنوان " التعليم للجميع.. والرؤية العربية المستقبلية للتعليم": "أنه لا خيار أمام الدول العربية سوى قيامها بتغييرات شاملة في الأنظمة التعليمية، وعلى رأس هذه التغييرات تغيير المناهج الحالية في جميع الدول العربية". وأشار إلى أن التغيير في المناهج سيوجد حالة من التواصل مع الآخر!

كما طالب في كلمته بفتح حوار مع الأقليات الدينية والسياسية في الأقطار العربية.

وأضاف: إن حقوق الإناث في التعليم ما زالت متخلفة في العالم العربي.

وقد اعتبرت تصريحات المدير العام المساعد لمنظمة اليونسكو إشارة بدء للتغييرات في المناهج على النسق الأمريكي الغربي.

ومن الجدير بالذكر أن السفير الأمريكي في مصر (ديفيد ولش) حضر الجلسة الافتتاحية للمؤتمر من دون سائر السفراء، وقد اضطر للانسحاب بسبب عدم قبول كثير من الحضور لوجوده! كما قام وزراء التعليم العرب بعمل اجتماع مغلق من أجل مناقشة آليات التغيير في الأنظمة التعليمية العربية. وأكدت مصادر مطلعة أن الوزراء العرب درسوا في الاجتماع المغلق، المقررات الأمريكية لتعديل المناهج التعليمية. ومما يلفت الانتباه أن عبارة "الإقليمي" برزت في العنوان الرئيسي للمؤتمر وفي الكثير من عبارات البيان الختامي. ولنا أن نتساءل عن دلالة حشر هذه الكلمة في الكثير من الاجتماعات والمؤتمرات التي أقيمت في الدول العربية مؤخراً: ألا تكفي عبارة (المؤتمر العربي) حتى يضاف إليها (الإقليمي)؟ أليست هي الكلمة التي يطلقها الغرب على الأحداث التي تقع في الشرق الأوسط وتجمع كل دول المنطقة بما فيها "إسرائيل"؟!.

المصدر : http://www.almujtamaa-mag.com

==========

#التغريب في ديار الإسلام

محمد حسن يوسف

عن أبي سعيد الخدري، – رضي الله عنه –، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "لتتبعن سَنَنَ من كان قبلكم، شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!! [1]

قال ابن حجر العسقلاني في شرح هذا الحديث: " ضب ": دويبة معروفة... والذي يظهر أن التخصيص إنما وقع لجحر الضب لشدة ضيقه ورداءته. ومع ذلك فإنهم – لاقتفائهم آثارهم وإتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الصغير الرديء لتبعوهم. [2]

مظاهر التبعية:

إن إتباع آثار اليهود والنصارى، ممثلا في اقتفاء آثار الغرب في طرائق معايشهم ومناهج حياتهم، أصبح من الأمور المميزة لحياة المسلمين في هذا الزمان. وتتعدد مظاهر هذه التبعية في أمور شتى، أحاول استعراض أغلبها أو أهمها فيما يلي:

إعطاء أسماء أجنبية للمحال التجارية: فالسائر في الشارع يهوله هذا الكم الخطير من الإعلانات التي تحمل أسماء أجنبية، إما مكتوبة باللغة العربية أو – وهو الأمرّ مكتوبة باللغة الإنجليزية. واستعرض فيما يلي طائفة لهذه المسميات: فهذا محل للسيارات يطلق على نفسه " الألفي موتورز "! بدلا من أن يقول " الألفي للسيارات ". ومؤسسة تعليمية تُسميّ نفسها " مودرن أكاديمي " بدلا من " الأكاديمية الحديثة ". ومحل تنظيف ملابس اسمه " فاست كلين "!! ولماذا يُسميّ محل تنظيف الملابس نفسه بهذا الاسم؟!! ومحل أدوات كهربائية اسمه " جمال إليكتريك هاوس ". ومحل ألعاب اسمه " Royal Club ". و " ميوزيك سنتر " اسم محل لبيع الشرائط. ومحل " Blue Eyes " لبيع المستلزمات الطبية للعيون. ومحل إنشاءات اسمه " نيو ديزاين ". ومحل أجهزة تبريد اسمه " كول لاين ". ومحل للصرافة اسمه " كونتيننتال للصرافة ". ومحل للتحف يسمي نفسه " رياضكو للتحف " ولا أدري ماذا تعني " كو " بإضافتها لاسم رياض. إن هذه مجرد أمثلة لأسماء عديدة غيرها تصدم المتجول بالشارع، وتجعله يشعر بأنه في بيئة غربية غير البيئة العربية التي يحيا فيها!!!

ومن مظاهر التغريب التي تصدمك في الشارع، تقليد سلوكيات الغرب وعاداتهم شبرا بشبر وذراعا بذراع. تجد البنت ترتدي الملابس على الموضة الغربية، فتمشي في الشارع شبه عارية. وقلما تجد بنتا بدون أن يصاحبها ولد. فالبنت تمشي متأبطة بذراع الولد، ويتسكعان سويا في الطرقات. وأصبح من النادر رؤية بنت تمشي محتشمة تظهر زيها الإسلامي. بل أصبحت رؤية من ترتدي النقاب أو الخمار ومن يرتدي الجلباب ويطلق لحيته، أصبح ذلك محلا للسخرية والتهكم.

وفي أسلوب الحوار، تجدهم يحاولون إقحام كلمة باللغة الإنجليزية أثناء الحديث، حتى يبدو المتكلم وكأنه " مثقف "!! فلا يخلو الحديث من كلمات مثل " أوكيه " أو " هاي " أو " باي باي " أو " آلو " أو " صباح الخير "... الخ. وفي ذلك هجران للغتنا وتقليل من شأنها، خاصة مع وجود البدائل لكل تلك الكلمات والعبارات في ديننا وفي ثقافتنا.

وبعد يوم العمل، تأتي أوقات الفراغ التي يحاولون " قتلها "، فتجدهم أمام شاشات التلفاز يشاهدون المسلسلات أو الأفلام التي تبث القيم الغربية البعيدة أو المنافية للإسلام، أو يتابعون المباريات، والتي غالبا ما تتعارض أوقات إذاعتها مع مواقيت الصلاة، فتجدهم يهدرون الصلاة في سبيل إتمام المشاهدة والمتابعة.

وفي التفكير والسلوك، هيمن النمط الغربي للسلوك على أفراد أمة الإسلام. فتجدهم يغرقون في الديون طويلة الأجل من أجل شراء بيت كبير أو سيارة فارهة أو غير ذلك من الكماليات. ولا يهتمون بما إذا كانت هذه المعاملات تَحْرُم لارتباطها بالربا أم لا. فإذا تكلمت مع أحدهم من أجل التصدق على بعض الفقراء أو غير ذلك من أوجه الجهاد بالمال وجدته يشيح عنك بعيدا مبديا تأففه وتبرمه.

وفي المأكل والمشرب. وضع لنا الإسلام آدابا تنظم طريقة الأكل والشرب. ولكننا هجرناها واستعرنا مفاهيم الغرب عوضا عنها. فانتشرت في شوارعنا ثقافة محلات تقديم الوجبات السريعة والسندوتشات والتي يمشي الناس يأكلونها في الشارع. أو يجلسون في تلك المحال فيأكلون على أنغام الموسيقى الصاخبة والأغاني الهابطة.

كل هذه المظاهر هي مجرد نماذج لما أصاب هويتنا في مقتل. ذلك أن أهم شيء فطن إليه أعداؤنا هو ما تضيفه إلينا هويتنا من عزة وفخار. فكانت محاولاتهم

الدعوبة والمتكررة لمسخ تلك الهوية وتشويه صورتها. والآن وبعد وضوح هذه المخططات وآثارها على مجتمعاتنا، فإما أن نظل ملتزمين بهويتنا الإسلامية، وإما أن ننجرف مع التيار فيبتلعنا ونهلك وتكون الهاوية.

خطورة هذا النموذج على أمة الإسلام:

إن التقدم له أسباب ومظاهر. لم يتقدم الغرب بسبب أن شعوبه كانت تمشي تأكل في الشارع، أو لأن أولادها كانوا يأخذون بأيدي البنات ويهيمون على وجوههم في النوادي والملاهي، أو لأنهم كانوا يُقحمون كلمات غريبة عنهم في أحاديثهم. وإنما كان التقدم في الغرب لأسباب انتهجوها: تشجيع البحث العلمي، والتزام الأمانة والجدية في المعاملات، وإعطاء كل ذي حق حقه، وتشجيع الموهوبين وإفساح المجال لهم، والتخلي عن النفاق، والاهتمام بالشباب... إلى غير ذلك من القيم التي شجعوها وعملوا بها، فكانت سببا في تقدمهم.

فلما تحقق لهم ما يريدون من تقدم، أرادوا أن تكون لهم حضارة وقيم خاصة بهم، فكانت تلك المظاهر التي انتشرت بينهم في المأكل والمشرب والملبس والمعاملات بين البنات والأولاد. ولذلك فإن اقتباس هذه المظاهر دون العمل بالأسباب الدافعة للتقدم هو مجرد وهم وسراب، ولن يجلب تقدم أو يؤدي إلى تنمية.

إن الفرق بين الحضارة الإسلامية وبين غيرها من سائر الحضارات الأخرى، أن الحضارة الإسلامية عُنيت ببناء الفرد أولا بناءً شاملا، ثم بعد ذلك انتقلت إلى العمران المادي. كما أن حضارة الإسلام هي حضارة تقوم على الجانب الوجداني والقيم، ومنها الجمال والسمو. أما الحضارات الأخرى فقد عُنيت بالتشييد المادي وإعمار الحياة في ميادينها المختلفة، لكنها تتجاهل بناء الفرد من داخله، بل وتعجز تماما عن القيام بهذا الدور الذي تفرد به الإسلام دين الفطرة. كما تقوم الحضارات المستحدثة الدخيلة على ثقافة العشوائية، وليس لها جذور. ويتضح ذلك في شكل الملابس والسلوكيات وطريقة الكلام. وللأسف فالشباب عندنا اتخذوا النموذج الغربي " العشوائي " قدوة، واعتبروا الخروج عن القيم إبداعا وموضة.

وإننا إذا أردنا أن ننهض بأمتنا وأن نعيد إليها عزها المسلوب، علينا أن نقتدي بالرسول – صلى الله عليه وسلم – الذي أحيا الله به موات العرب، وأن نأخذ أنفسنا بالتربية الإيمانية فهي وحدها سبيل التغيير والتحويل [3].

يقول " يوجين روستو " مستشار الرئيس الأمريكي الأسبق جونسون: " يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية. لقد كان الصراع محتدما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة، بصور مختلفة. ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي.

إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا هي جزء مكمل للعالم الغربي: فلسفته، وعقيدته، ونظامه. وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي بفلسفته وعقيدته المتمثلة في الدين الإسلامي. ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام، وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية، لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها ".

إن روستو يحدد أن هدف الاستعمار في الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية، وأن قيام إسرائيل هو جزء من هذا المخطط. وأن ذلك ليس إلا استمرارا للحرب الصليبية [4].

إن التغريب، في أحد أوجهه، ليس إلا اللباس الثقافي للتصنيع. لكن تغريب العالم الثالث (والذي تتكون معظم دوله من الدول المسلمة) هو أولا، عملية محو للثقافة، بمعنى أنها تدمير بلا قيد ولا شرط للبنيات الاقتصادية والاجتماعية والعقلية التقليدية، لكي لا يقوم مقامها في حينه سوى كومة كبيرة من الخردة، مصيرها إلى الصدأ... إن هذا الذي يُعرض على سكان العالم الثالث، لكي يحل محل هويتهم الثقافية الضائعة، إنما يتضمن صنع شخصية وطنية عابثة، ذات انتماء خدّاع إلى مجتمع عالمي (هو الغرب)... إن ضياع الهوية الثقافية الذي ينتج عن ذلك، أمر لا يقبل الجدل، وهذا يساهم بدوره في عدم استقرار الشخصية الوطنية سياسيا واقتصاديا. وما يتبقى بعد

ذلك من الإبداع الوطني، يكمن في حالة تبعية إزاء ثقافة تبدو لها أجنبية، وإنها لكذلك [5].

سبل العلاج:

إن أولى خطوات العلاج في سبيل تأصيل هويتنا الإسلامية، هو تمسك الإدارات المحلية والبلدية بعدم إعطاء ترخيص للمحلات إلا إذا كان اسمها عربيا خالصا له معنى في اللغة العربية. ولنا في التجربة الفرنسية أسوة في هذا الموضوع. فقد تشددت فرنسا في عدم استخدام لغات أخرى غير اللغة الفرنسية في جميع المجالات، بل وصل الأمر إلى حد محاولة استخدام اللغة الفرنسية في تطبيقات الحاسب الآلي، حفاظا على الهوية الفرنسية من الضياع أو الاندماج في الثقافة الأمريكية. فيمكن استخدام الأسماء العربية في جميع ميادين الحياة. فتطلق هذه الأسماء على أسماء الشوارع والميادين والمدارس، بل وأسماء الفصول الدراسية في هذه المدارس. فبدلا من القول فصل ثالثة أول أو فصل ثالثة ثاني مثلا، يمكن أن يكون اسم الفصل خالد بن الوليد أو فصل الشجاعة أو فصل " القدس "... الخ.

? تخلي الأسر عن الطموح الجامح، وذلك بأن تعيش في حدود إمكانياتها، والتخلي عن مظاهر الاستهلاك الترفي والمظهري والعودة إلى الدين الصحيح بالالتزام بتعاليم الإسلام فيما يتعلق بعدم الجنوح والإغراق في الديون بغير داعٍ.

? وضع خطة للمبعوثين للدراسة بالخارج في دول أوربا الغربية أو الولايات المتحدة وغيرها، بحيث يكون لكل وفد رئيس من الواعظين ممن يستطيع أن يدحر الشبهات التي تلقى في وجه شبابنا أثناء تلقيهم العلوم بالخارج. كما يجب أن يكون من بين شروط الابتعاث للخارج حفظ قدر معين من القرآن، وليكن خمسة أجزاء على الأقل. كما يفضل تنظيم دورة سريعة لمدة ستة أشهر على الأقل لجميع الأفراد الذين وقع عليهم الاختيار للسفر للدراسة بالخارج يتم فيها دراسة علوم الدين والشريعة وبلغة البلد التي سيتم السفر إليها.

? على الإعلام التوقف عن الترويج للنموذج الغربي بكل قيمه الأخلاقية. فكيف تتحول " مغنيات الهبوط "إلى قدوة لفتياتنا؟ كما أننا نرى المذيعات في بعض

المحطات الفضائية بغير الاحتشام المطلوب. فعلى كل المؤسسات أن تقنن الحرية داخلها حتى نعود للاعتدال، لأنه الوسيلة الوحيدة لحياة كريمة ومحترمة.

? كما أننا نفتقد لبيوت أزياء واعية باحتياجات الشباب تستطيع أن تعادل بين احتياجات الشباب والموضة والتقاليد وتطوعها حسب ظروف العصر. فنحن في أشد الحاجة إلى مؤسسة كبرى تدرس مطالب الشباب وتصنع لهم ما يرغبون في ارتدائه وبما يتناسب مع حضارتهم وهويتهم. [6]

? الاهتمام داخل الأسرة بحماية الأخلاق. فيجب على الأب أن يعود لدوره الأصلي في قوامة جميع أفراد أسرته. ذلك أن دور الأب انحصر في الآونة الأخيرة دور " الممول " المتمثل في مجرد جلب المال للأسرة، وترك جميع مقدرات الأسرة تدار بعيدا عنه.

? معرفة أهداف أعدائنا ومخططاتهم والعمل على التصدي لها. ذلك أن معرفة أن كل ما يحدث من حولنا إنما هو بتخطيط واعٍ وتدبير مدروس من القوى الغربية والصهيونية التي لا تريد لراية الإسلام أن ترتفع أبدا، إن معرفة ذلك والوعي به يضعنا جميعا أمام الطريق الصحيح للعلاج.

21 من جمادى الآخرة عام 1425 من الهجرة (الموافق في تقويم النصارى 7 من أغسطس عام 2004).

----

[1] متفق عليه: صحيح البخاري، 3456، و7320، وصحيح مسلم: 2669(6).

[2] فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ/ ابن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية، 1407 هـ. ج: 6، ص: 574.

[3] القدوة منهاج ونماذج، د/ سعيد قابل، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ص: 97.

[4] الإسلام والغرب، د/ عبد الودود شلبي، مكتبة الآداب، 2004. ص ص: 55 56.

[5] التغريب: طوفان من الغرب، لواء/ أحمد عبد الوهاب، مكتبة التراث الإسلامي، 1990. ص ص: 13 14. نقلا عن: تغريب العالم، سيرج لاتوش، باريس، 1989.

[6] جريدة الأهرام، عدد يوم 2004/7/27.

المصدر : http://www.saaid.net

==========

#تحد جديد

في بداية أحداث الحرب الأمريكية على أفغانستان أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية عن تأسيس مكتب (التضليل الإعلامي) الذي يهدف إلى تزويد القنوات الإخبارية ووكالات الأنباء العالمية بمعلومات إخبارية مغلوطة وموجهة لخدمة المصالح الأمريكية؛ ساخرة بكل الشعوب، ومستفزة لكل المتشدقين بالديمقراطية والحرية الإعلامية.وقد عدَّ أحد المسؤولين في وزارة الخارجية الأمريكية إعلان وزارة الدفاع عن هذا المكتب حماقة سياسية تضعف من التأثير الأمريكي على الرأي العام العالمي، مؤكداً أنها تستطيع أن تفعل ما تشاء دون أن تعلن عن كل شيء، وبعد أيام ألغي المكتب فيما زعموا..!!

ثم ها هي ذي الولايات المتحدة الأمريكية إمعاناً منها في الغزو الإعلامي تبدأ بث قناة إذاعية باللغة العربية (إذاعة سوا)، رصد لها (30 مليون) دولار لمدة ستة أشهر، وتهدف إلى تحسين صورتها عند العرب، وردم الهوة الثقافية مع صغار السن في الشرق الأوسط، كما جاء على لسان (نورمان بايتتز) صاحب فكرة إنشاء القناة.

وقد أدلت نائبة وزير الخارجية الأمريكي (شارلوت بيرز) التي تتولى مهمة الترويج للولايات المتحدة الأمريكية في الخارج بإفادة أمام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي، قالت فيها:إن الإذاعة حققت نجاحاً، وإن على الولايات المتحدة أن تفكر في بث تلفزيوني للشرق الأوسط عبر الأقمار الصناعية.كما أدلى (نورمان بايتتز) بإفادة أمام اللجنة واصفاً المعلومات التي تلقاها عن تأثير إذاعة (سوا) بأنها مدهشة..!!

وندرك يقيناً بأنه لن تجدي المساحيق وعمليات التجميل في إخفاء معالم الوجه الأمريكي القبيح الذي نضحت بُثُوره بالفساد؛ ومع ذلك فإن الخبرات الأمريكية في غسيل الأدمغة، وتزييف الحقائق ربما تجد طريقها عند بعض الجهلة والسذج؛ خاصة

أن الإذاعة ركزت في خطابها وطريقة عرضها وإيقاعها على صغار السن من الشباب!

إن هذا الاختراق الجديد لوعي الأمة يجعلنا نؤكد مرات عديدة دور الدعاة والخطباء والمصلحين ومختلف وسائل الإعلام الإسلامية في إحياء الوعي وتوضيح واقع الأمة، وخطورة التحديات التي تواجهها. قال الله – تعالى – : {وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ} [الأنعام: 55].

ولئن كان الإعلام هو الأداة الرئيسة في صناعة الرأي، وتشكيل الأخلاق الفكرية والاجتماعية؛ فإن تقصير الإسلاميين في تملك أدواته وتعلم فنونه جعل تأثيرهم ينحسر، ويختزل في شرائح محدودة من المجتمع.

إننا أمام تحد كبير يوجب علينا أن ننهض إلى مستوى المسؤولية، ونفكر بطريقة أكثر حيوية، ونسخر كل طاقاتنا في تبصير الأمة ومواجهة أعدائها، وفضح إسفافهم وفجورهم الإعلامي؛ فهذا العصر عصر الأقوياء، ولا مكان فيه للضعفة المتواكلين..!!

{وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران: 139].

رجب 1423هـ *سبتمبر–أكتوبر 2002م

المصدر : http://albayan-magazine.com

============

#المسلمون في الغرب الفرص والمحاذير

ونيس المبروك الفسيي (*)

لا يخفى على الدارس علاقة المسلمين مع شعوب وحكومات الغرب؛ أنّ هذه العلاقة قد شابها الكثير من التوتر، وارتبطت في ضمير أبناء المسلمين بتاريخ مرير وطويل من التنكيل والظلم الذي مارسته جيوش وحكومات الغرب منذ زمن بعيد. ولعل خير شاهد على ذلك؛ ما حدث في الحروب الصليبية، وما كان من مأساة محاكم التفتيش، ونهايةً بالاستعمار الحديث، ثم هيمنة الغرب على شعوب المنطقة عبر المتنفذين والحكام، والتدخل في سياسات الشعوب المسلمة، ومصادرة قرارها السياسي الداخلي والخارجي.

كل هذه الأمور وغيرها؛ شكلت موروثاً ثقافياً يقوم على العداء والرفض، حتى ظن بعض المسلمين أن الأصل في العلاقة مع "الغرب والغربيين" هي الحرب والسيف. وأنّ الغرب كله في سلّة واحدة، ولا يمكن أن تكون هناك نقاط التقاء، أو بؤر للتعاون، ولا أرضية للتعايش، وكل ما نراه من ذكر لحقوق الإنسان، وحريات عامة؛ ما هي إلا فصل من فصول "المؤامرة" على الإسلام والمسلمين.

هذا في ظني ظلم للحق، وهضم للحقيقة، وهو قبل هذا وذاك ابتعاد عن منهج الإسلام الذي ينصف المخالف، وينأى عن التعميم، وينهى عن عاطفة العداء التي تحجب الحقوق، وتقطع الطريق على كل نوع من أنواع التعارف والتعايش والتعاون، التي من أجلها كان الناس شعوباً وقبائل، وتأخذ البريء بجريرة المسيء؛ التي حرمتها كل الأديان والرسائل (أم لم يُنبّأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفّى، أن لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزرَ أخرى) النجم الآيات 36 إلى 38.

كل ذلك لا ينبغي له أن ينسينا أبداً أن لنا أسساً وقيماً وضوابط في التعامل مع هذه القضية، فالمسلم مأمور شرعاً بأن ينطلق في مواقفه ومعاملاته؛ ضمن قواعد الشرع، والتي تحتم عليه ضبط مسارات العاطفة، والعمل ضمن محددات العدل والإنصاف مهما يكن من أمر، وبخاصة في موضوع بعيد الأثر وعظيم الخطر؛ كموضوع حديثنا هذا.

فالإسلام ينطلق في تعامله مع الغير، ولو كان كافراً؛ من أنّ الأصل في العلاقة معه هي السلم لا الحرب. وقد ورد في ذلك الكثير من النصوص الشرعية، قال – تعالى –: (فإن اعتزلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً)، وقوله – تعالى –(وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله)، وقوله – صلى الله عليه وسلم – (لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية).

فالإسلام لا ينزع للحرب ابتداءً، إلا إن كان ظلماً واعتداءً ومنعاً من تبليغ رسالة الإسلام للناس، أما ما عدا ذلك؛ فلا إكراه في الدين، فالباعث على القتال هو الاعتداء، وليس مجرد المخالفة. والإسلام يكره الحرب، ويعتبر كفّ المؤمنين عن القتال من المنن التي يمن الله بها على عباده (وكفى الله المؤمنين القتال).

بل كان النبي الكريم، – صلى الله عليه وسلم –، يغيِّر من أسماء صحابته الذين تسمّوا بحرب ومرة، لكراهته للحرب وأسمائها، فهذا هو الاتجاه العام أو المسار الذي يضبط علاقتنا مع غير المسلمين. والى هذا ذهب كثير من الفقهاء، ومنهم الإمامان الثوري والأوزاعي من السلف. (راجع كتاب العلاقات الدولية في الإسلام، ص 93 وما بعدها، للشيخ الدكتور وهبه الزحيلي – حفظه الله –).

وقد سار سلف هذه الأمة على هذا النهج القويم، ولم تجنح بهم عاطفة البغض لما عليه أهل الكتاب من عناد ورفض للحق بل ومحاربة له، ولم تمنعهم من إنصاف المخالفين من أهل الذمة، وتأدية الحقوق إليهم، مسترشدين في ذلك بكتاب ربهم– تبارك وتعالى –(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط، ولا يجرمنكم شنئآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى، واتقوا الله إنّ الله خبير بما تعملون) المائدة 8، وبقول الرسول الكريم (من ظلم معاهداً أو انتقصه حقاً أو كلّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه؛ فأنا حجيجه يوم القيامة) رواه أبو داوود.

وقد تعهدت الشريعة الغراء بكف الأذى عن أهل الذمة وتحريم قتلهم، بل جاء في الفقه الحنفي ما يفيد تحريم غيبة الذمي، إذ ذكر العلامة ابن عابدين في حاشيته على الدرّ المختار ما نصه "إنه بعقد الذمة وجب له ما لنا، فإذا حرمت غيبة المسلم حرمت غيبته". كما أفتى بعض الصحابة بالسماح لهم بممارسة دينهم وضرب نواقيسهم، وإخراج صلبانهم في أيام أعيادهم، كتاب الخراج لأبي يوسف – يرحمه الله –.

بعض المعالم للواقع الغربي المعاش:

وقبل الولوج في موضوع الفرص والمحاذير؛ أريد التقديم ببعض معالم الواقع المعاش في الغرب، التي ينبغي مراعاتها، ومن الجدير بالذكر التذكير بأنّ تقييم أي واقع يعيشه الناس هو من أصعب المهمات، نظراً لما يتحكم في ذلك من عوامل ثقافية، وتاريخية، وجغرافية، وسياسية، بل لما يتحكم فيه أيضاً من اختلاف الناس في تقييم كل عامل من هذه العوامل، ومدى تأثيره في المعادلة العامة. ومن أهم العوامل التي ينبغي مراعاتها في ظني:

أولاً: الواقع العالمي المعاصر، والذي فتح المجال لتفرّد الولايات المتحدة، وحليفها الغربي؛ لسيادة العالم والسيطرة على مفاصل القوة العسكرية والاقتصادية فيه. وهذا المعطى المهم يحتِّم على المسلمين مراعاة تقديرهم لمحاولات النهوض ذات الطبيعة القطرية الضيقة، أو قيام مشروع نهضوي يُشعر الغرب بالخطر على مصالحه. وبخاصة إذا ما كان هذا المشروع ذا طبيعة نخبوية تهتم بحشد النخبة على حساب وعي الجماهير وتفانيها في مشروع التغيير. إنّ عدم مراعاة ذلك المعطى المهم؛ سيؤدي غالباً لوأد كل محاولة في مهدها قبل أن ترى النور أو تأتي ثمارها.

ثانياً: شيوع مفهوم "محاربة الإرهاب"، وضبابية هذا المفهوم المُتعمَدَة، والتي من خلالها تحارب كل محاولات النهوض، أو التميّز بمعزل عن الوصاية الأمريكية. ويراد من وراء ذلك تجفيف ينابيع التديّن الصحيح، الذي يوجب على أهله القيام بدورهم في الشهود الحضاري على الناس.

وبناءً على ذلك؛ فإنّ تقسيم المسلمين إلى متطرف ومعتدل؛ قد يؤجِّل القضاء على أحدهما قبل الآخر، ولكن لا يلغي نظرة العداء لكليهما، وهما وجهان لعملة الإرهاب الواحدة كما ترى القيادة الأمريكية.

ثالثاً: وجود ما يقارب من 432 مليون مسلم يعيشون كأقليات، أي ما يقارب ثلث المسلمين، منهم ما يقارب خمسين مليون مسلم في أوروبا شرقاً وغرباً. إنّ وجود المسلمين في الغرب لم يعد وجوداً سائحاً عابراً، أو مسافراً قاصداً، بل تعدّى ذلك لأن يكون مواطناً أصيلاً، ورقماً مهماً في الغرب. وهذا يدعونا لمراجعة صادقة في النظر لهذه الديار، وأنّ لها حقوق الوطن وآداب المواطنة. والإسلام يدفع المسلمين بالحرص على بناء أوطانهم والسعي في نهوضها ورخائها، فهي مقر معاشهم، وديار أبنائهم من بعدهم، وصلاح هذه الأوطان وأمنها يعود على كل مواطنيها دون فرق، والمسلم الصادق حينما اختار المعيشة في الغرب؛ فإنه اختار أن يكون "جزءاً" من الوطن والمجتمع الذي يعيش فيه، مما يوجب عليه أن يفكِّر في همومه، والتحديات التي تواجهه، ولكن من منظور دينه وعقيدته.

وعلى المسلمين الحذر من أماني العودة التي قد تطول ولا تُطال، وقد يمرّ بنا العمر ونحن ننتظر قطار العودة، فلا هو حملنا وذهب، ولا نحن الذين وضعنا قدماً يمهِّد

لاستقرار دعوة الإسلام التي آمنا، نظرياً؛ أنها تصلح لكل "مكان"، ولو كان هذا المكان الغرب نفسه.

رابعاً: ولا أنسى وأنا أتطرق إلى الواقع أن أفرد بالذكر شيئاً من تأثيرات الثقافة الشرقية التي صحبناها معنا إلى هذه الديار، والتي تشكّلت من عادات البلاد التي وُلدنا فيها، ولم تكن من فرائض الشرع، أو من مقتضيات التدين. وكذلك لا ننسى تلك الهموم أو المساجلات الفقهية والفكرية، التي تمثلت على شكل صراعات بين جماعات ومذاهب، نقلناها معنا إلى هذه الديار، وكأنّ الجدل والخلاف بحراً لا يمكن لأسماك الشرق التنفس خارج مياهه.

علينا أن نعترف بأن لنا إرثاً علمياً وزاداً ثقافياً فيه الكثير من الخير النافع، ولكن فيه من الدَخَن أيضاً الشيء الكثير. هذا الدخن ورثناه من عصور من التخلف والتعصب المقيت التي شكّلت الكثير من مشاعرنا تجاه بعضنا بعضاً، ووجهت الكثير من مواقفنا التي لا تعبِّر عن الإسلام، ولكننا حملناها كأنها جزء أصيل من الإسلام لا يمكن أن تنفك عنه. وعدنا لا نفرِّق بين ما هو من الإسلام كدين؛ وما هو من ثقافة المجتمع الشرقي المحافظ.

ولعل أبرز ما يجسد هذه الظاهرة نظرة المسلمين للمرأة، وتعاملهم مع الطفل، وتقييمهم لأهل الكتاب، وتربيتهم الحضارية الجمالية، وقابليتهم للانقياد في مجموعات عمل يتنازل فيها بعضهم لمصلحة المجموع، إلى ما هنالك من موروثات كان للعادات والتقاليد الدور الأكبر في ترسيخ سلطانها على نفوسنا، ثم امتثالنا لسلطانها من حيث لا نشعر أحياناً.

ويمكنك مشاهدة ذلك في سلوكيات بعضنا في ديار الغرب، فهناك من يرى أنّ التمسك بلون معيّن من اللباس هو من مقتضيات التدين أو من مكملاته، وبعضنا يرى أنّ تضييق الطرق على جاره أو زميله في العمل من السنّة المطهرة، وبعضنا الآخر يبذل قصارى جهده حتى لا يبدأ الكافر بالسلام، بالرغم من وجود الروايات الصحيحة التي تعلِّل هذا المنع بحالة الحرب مع بني قريظة، وورود استحباب السلام عليهم عن كثير من الصحابة الكرام كعبد الله بن مسعود وابن عباس وابن عمر وأبي الدرداء – رضي الله عنهم –، وما نُقل عن عمر بن عبد العزيز والأوزاعي.

فرص..وآمال:

ثم أودّ التركيز على بعض الفرص التي يمكن لنا استثمارها وتنميتها أو المحافظة عليها، ومحاذير، لا بد من التحرّز منها وتطويقها، حتى لا يتفاقم أثرها.

من هذه الفرص وجود عدد كبير من أنصار الحرية والعدل والمساواة في الغرب، وهم بذلك أنصار للقيم التي نادى بها الإسلام العظيم، ونحن نشترك معهم أو يشتركون معنا في ذلك، ويمكن إذا ما أحسنّا التنسيق معهم أن نحصل على الكثير من المكاسب لصالح شيوع أجواء الحريات التي تمثل البيئة الصالحة لنمو وشيوع الإسلام وبزوغ نوره وظهوره على الدين كله.

من ذلك؛ وجود جمعيات ومنظمات حقوقية ترخِّص لها الدولة، ويحميها القانون يمكن التحرك من خلالها لنصرة قضايا المسلمين في الغرب والشرق على حدٍ سواء. وإن كنا لا ننسى أنّ هذه المنظمات هي منظمات "حكومية" غير مستقلة، وبالتالي فلا يمكن التعويل الكامل على دورها.

وهناك تذمّر الغرب الأوروبي حكومة وشعباً من الغطرسة الأمريكية، وظهور مجموعات مناهضة للعولمة، والتي تنادي بدور مستقل لأوروبا بعيداً عن الهيمنة الأمريكية، ويمكن من خلال ذلك دفع الغرب لأن يكون له دور فاعل وعادل تجاه شعوب المسلمين وقضاياهم الكبرى.

كما يندرج في الأمر؛ انتشار آلاف المراكز والمؤسسات الإسلامية في أوروبا، لا بد من تفعيلها للقيام بدورها المنشود، لبيان صورة الإسلام الناصعة، وتقديم خدمات للمجتمع بدلاً من التقوقع في إطار روادها من المصلين أو المتعلمين.

ومن الفرص الحقيقية؛ شيوع الفهم المعتدل للإسلام بين الكثير من أفراد الأقليات المسلمة، ونفور الكثير من الناس من العصبية القطرية أو المذهبية، والشعور العام بالحاجة للتوحّد على ما هو أوْلى وأهم، وبخاصة بعد الأحداث الأخيرة في فلسطين الحبيبة، وما يحدث في الهند، وأفغانستان، والعراق. كل ذلك كان أرضية مناسبة لترسيخ قيم الإخوة الإسلامية العامة، وشعور المسلمين بأنهم تجاه عدو مشترك يريد أن يستأصل شأفتهم، لا بد من مواجهته بروح التوحّد على قضايا الأمة، والتعاون على البر والتقوى، ونبذ العصبية، والتعاون على المتفق عليه.

محاذير .. ومخاوف:

إنّ حمل الدعوة الإسلامية في مثل هذه البيئة؛ ليس بالأمر الهين، ذلك لما يحيط بهذه المهمة من صعوبات وتحديات كبيرة، منها ما يتعلق بالبيت الداخلي للدعاة والعاملين للإسلام، ومنها ما يتعلق بظروف المجتمعات الغربية، ومنها أيضاً ما يتعلق بظروف الأوطان التي جاء منها هؤلاء الدعاة.

ومن أهم المحاذير والتخوفات التي أحب التذكير بها هنا هي أنه ينبغي أن لا يتحول الخطاب "الدعوي" ذو السمة التبشيرية السمحة؛ إلى خطب عاطفية حماسية، أو "بيانات" ثورية نضالية سياسية. فبالرغم من الهيمنة السياسية لدول الغرب على شعوبنا في الشرق، وتدخلها السافر في كل الشؤون؛ إلا إنه ينبغي علينا أن لا نخلط بين منهج الدعوة وخطابه الذي يتميز بالسلم والجدال بالتي هي أحسن، وبين "التدافع" السياسي، أو الصراع العسكري. فالعدو المخالف في ساحات الحرب والسنان؛ غير العدو المخالف في ميادين الحوار والبيان، ولكل ظرف سلاحه.

ثم على المسلمين أن يتفطنوا لأي محاولة استدراج يقوم بها الصهاينة عبر الإعلام الغربي، والذي يسعى لتأكيد صفة "الإرهاب" والعنف، وأن المسلمين "لا يعرفون غير لغة الدم"، والإقصاء. فبعض الدعاة للأسف؛ يعطي المبرِّر تلو المبرِّر، ويؤكد للشعوب الغربية مثل هذه الادعاءات، وذلك من خلال بعض الممارسات والمواقف، أو التصريحات الإعلامية غير المسؤولة.

كما ينبغي التركيز على عنصر التفاعل مع البيئة الغربية، وألا ننعزل عنها. فإنّ رسالتنا في الغرب لا يمكن لها أن تؤتي أكلها إلا في أجواء من التعارف والتواصل والتعايش والحوار، وشجرة الإسلام لا تمتد جذورها إلا إذا تفاعلت مع بيئتها، وإلا ستكون بمعزل عن التأثير، ولا يكن لنا تحقيق "الشهود" الحضاري المطلوب دون "حضور" في ساحات الفكر والثقافة وصناعة القرار في الغرب.

وأشير في هذا الصدد أيضاً أنه على المسلمين أن يطالبوا بحقوقهم من منطلق "المواطنة"، التي يتمتعون بها، لا من منطلق التميّز الديني عن أهل هذه البلاد. فإنّ ذلك مما يساعد على تلبية ما يطالبون به، دون الوقوع في فخِّ الصراعات الطائفية والدينية.

ثمّ من الحكمة أن يستبعد الدعاة عند حوارهم للناس هنا الحديث عن نقاط الاختلاف التي تفصل بين المسلمين وغيرهم، سواء في المعتقد أو السلوك، بل أن ينهجوا منهج القرآن في التركيز على نقاط الالتقاء ولو كانت صغيرة، ثم الانطلاق منها لتحقيق تقدّم، سواء على صعيد الفكر أو السياسة. وربما من المناسب إعادة الاجتهاد في صياغة الخطاب الديني لغير المسلمين، فإشعار المخالف بأنّ لديه شيء من الحق، وهذه حقيقة لا ينكرها إلاّ مكابر، يقرِّب مسافة الحوار، ويمهِّد لتواصل بنّاء قد يفضي للكثير من المصالح المشتركة.

هذه بعض الكلمات والمفاهيم، ولا شك أنّ هذا الموضوع بحاجة للمزيد من تسليط الضوء على كثير من جوانبه، تمهيداً لفقه دعوي جديد يبشر بالخير والنور لهذه المجتمعات، والله غالبٌ على أمره ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون.

(*) ونيس المبروك الفسيي هو أستاذ الفقه والعقيدة بالكلية الأوروبية للدراسات الإسلامية، ويلز، وعضو مجلس الشورى بالرابطة الإسلامية ببريطانيا.

المصدر : http://www.altareekh.com

=============

#التعليم إلى أين ؟

السياسة التعليمية في المرحلة القادمة:

تؤكد المؤشرات أن العولمة تمثل مرحلة من دعم وتعزيز سيادة النموذج الحضاري الغربي في امتداده الرأسمالي وفلسفته اللبرالية في عصر انتهت فيه علاقة توازن القوى وتبلورت فيه سيادة القطب الواحد وبذلك كانت الهيمنة والعولمة الاقتصادية والسياسية والثقافية.

الهيمنة الاقتصادية: التي سعت أمريكا ودول الاتحاد الأوربي واليابان إليها عن طريق عقد الاتفاقيات الاقتصادية في منظمة الجات والتي تحولت فيما بعد إلى منظمة التجارة العالمية.

كما برزت في هذا البعد موجات التوحد والدمج التي قامت بها كبرى المؤسسات الاقتصادية العالمية من بنوك أو شركات أو مصانع استعداداً لموجة العولمة ومن أجل الصمود أمام المنافسة.

والهيمنة السياسية: المتمثلة في وضع تنظيمات وسياسات تقلص إلى حد كبير من سيادة الدول حتى أضحى العديد من الحكومات والدول ناقصة السيادة وعرضة للتدخلات الكثيرة في شئونها الداخلية لتعارضها مع المبادئ والأنظمة التي أبرزتها العولمة وهناك الهيمنة الثقافية والفكرية الناتجة عن امتلاك الدول الكبرى لوسائل وشبكات الإعلام الكبرى والإنترنت وغيرها مما مكنها من الإقناع والتزيين والتزييف لكثير من الحقائق في الوقت الذي تفتقد فيه الدول الفقيرة والنامية ذلك مما جعل تلك الأخيرة في موقع الملتقى فقط.

من كل ذلك ندرك خطر العولمة ودورهما في إضعاف أمن الدول ووحدتها وزيادة حجم التوتر والإضرابات وضعف الشعور بالمواطنة والانتماء وعزلة الأفراد وغربتهم داخل مجتمعاتهم.

واستمرارا لبلطجة القوة وسيادة مبدأ الغابة وفى ظل الهيمنة الأمريكية خرج علينا كولن باول بدعوة لتعديل مناهج التعليم الإسلامية مشفوعة بالمناهج البديلة وقد ذكر أن إدارته ستعمل من خلال العديد من البرامج لإقناع قادة العالم الإسلامي بذلك. من هنا كانت مسارعة مصر لتطوير التعليم أو لعولمته حتى تواكب العصر الأمريكي.

وحتى تنتظم مصر مع المنظومة الدولية أو المعايير الدولية للتعليم قامت بتجميع 250 خبيراً من خبراء التعليم وأساتذة الجامعة والسياسيين والمفكرين ورجال الدين الإسلامي والمسيحي ومن ممثلين لليونيسيف واليونسكو والاتحاد الأوربي وغيرهم من الهيئات الدولية. وعلى مدار أكثر من عام تم تشكيل لجان وعمل أبحاث وندوات ومؤتمرات.

ونتج عن كل ذلك " وثيقة المعايير القومية للتعليم " في ثلاثة مجلدات المجلد الأول: يتحدث عن الإطار النظرى للمعايير الخمسة المتمثلة في (المدرسة الفعالة ' المعلم الكفء، الإدارة المتميزة، المشاركة المجتمعية، المنهج الدراسي ونواتج التعلم).

المجلد الثاني: يتناول المعايير التفصيلية للمواد الإنسانية (الدين الإسلامي والمسيحي، اللغة العربية، الدراسات، التربية الوطنية، اللغة الإنجليزية والفرنسية).

المجلد الثالث: (المعايير التفصيلية للعلوم والرياضيات):

وبالإطلاع على هذه المعايير وجد أنها جيدة وعلمية وأكاديمية غير أنها مصاغة بطريقة علمانية وبعضها منقولة من الطبعة الإنجليزية وليس الخطورة فى ذلك فقط ولكن الخطورة تكمن في المقررات الدراسية التي تصدرها مراكز التطوير بعد أن انتهى دور هؤلاء العلماء واعتمدت الوثيقة ولقد ظهرت مؤشرات هذا الخطر في المجلد الثاني والثالث وبالتحديد في الحديث عن معايير التربية الدينية الإسلامية والمسيحية والتاريخ والتربية الوطنية واللغة الإنجليزية ولعل أول كتاب صدر في ضوء هذه المعايير من مركز التطوير هو كتاب اللغة الإنجليزية للصف الأول الإبتدائى (Hand in Hand) والكتاب لا يدَّرس لغة بقدر ما يرسخ مفاهيم قيميه عن البيئة والأسرة وإمعانا في الالتزام بهذه المعايير جاء غلاف الكتاب يحمل صور لولد يمسك بيد بنت.

والكتاب قد عولج بطريقة غريبة لم يألفها مدرسو هذه المادة ولم يتدربوا عليها حتى أنهم اختاروا في طريقة تدريسه واكتفى بعضهم بوضع مذكرات بديلة عن الكتاب يدرسونها للتلاميذ!!

أما بالنسبة للمعلم: فلكي يتعامل مع المعايير فلابد وأن يُعاد تدريبه وأن يعاد النظر في أساليب التدريس حتى تتمشى مع الأساليب العالمية الحديثة.

• ولقد تم الاتفاق بين وزارة التربية والتعليم في مصر وبين ثلاث جهات أجنبية هي الاتحاد الأوربي والبنك الدولي والولايات المتحدة الأمريكية تحت مسمى (برنامج تحسين التعليم) وخصوصا تعليم الفتيات. ويتم الإنفاق على هذه البرامج باليورو وأحيانا.

ويجرى التدريب في مدينة مبارك للتعليم بالقاهرة والمراكز الفرعية بالمحافظات وعددهم 25 مركزاً فرعياً على مستوى الجمهورية.

• وحتى الآن تم تدريب حوالي 70 ألف دولار. على أن يقوم بعد عودته بعمل محاضرات لنشر الفكر الذي تلقاه في البعثة بين المعلمين تحت اسم الكتلة الحرجة في الإدارات التعليمية أو وحدات التدريب في المدارس أو بمراكز التدريب الرئيسية.

• والأساليب التي تم التدريب عليها تتمثل في " العصف الذهني والتعلم الذاتي، والتعلم التعاوني ولعب الأدوار وحل المشكلات.. " وهى أساليب تتم في الدول المتقدمة حيث تتوفر الإمكانات المادية والبشرية المتميزة وقاعات الدراسة معدة ومجهزة للوصول إلى المعلومات بكل الأوساط المعرفية وعدد الطلاب في كل قاعة لا يتجاوز العشرين والمعلم موسوعي ومؤهل للتعامل مع هذه الأوساط ودوره محدد فهو مرشد ومشرف وموجه ويستطيع تنمية الإبداع والابتكارات وبث روح المنافسة بين المجموعات داخل القاعة.

• والمقرر الدراسي أيضا موضوع وفق هذه الأساليب فليس به محتوى (فصول أو أبواب) ولكن عناوين أساسية وفرعية ومجموعة إرشادات ومجموعة مشكلات أو أسئلة.

• والطالب أو المجموعة في القاعة يبحثون عن المعرفة فيكون هو المحتوى العلمي لهذه الموضوعات وكلها أساليب علمية متطورة رائعة تُنمى الإبداع ونتمنى أن نصل إلى هذا المستوى.

• فإذا تم تطبيق هذه الأساليب وتلك الطرق عندنا تنفيذ لبنود الاتفاقيات والمنح مع الجهات الأجنبية فستكون الصورة كالآتي

مع غياب المعلم الموسوعة والذي لا يعرف كيف يتعامل مع هذه الأوساط " إن وجدت " وعدم توفر الإمكانات المادية ومصادر المعلومات المطورة والحديثة.. وفى وجود أعداد رهيبة داخل الفصل الدراسي تتجاوز أحيانا 60 أو 70 طالباً حتى ل يتوفر لبعضهم مقاعد أحياناً. في هذا الوضع المترضى لابد وأن يكون المنتج ضعيفاً مخالفاً للمواصفات الدولية التي فصلت عليها المعايير.

ولو جئنا لنُطبق هذه المعايير على المقرر الدراسي فسيكون عبارة عن عناوين ومجموعة إرشادات وتوجيهات ومجموعة مشكلات وخاليا من أي محتوى تعليمي.

وعلى هذا فلن يجد المحتوى الذي يقوم بشرحه. ولن يجد الطالب المحتوى الذي يتعامل معه " ولن يجد ولى الأمر ما يمكن أن يتناوله مع ولده.

إذا فكيف تكون صورة التعليم؟ وكيف يقيم الطالب؟

أجاب عن هذا التساؤل القرار الوزاري رقم 305 الذي نص على أن تكون درجة الطالب على النحو التالي:

15 % لامتحان الفصل الدراسي الأول 15 % لامتحان الفصل الدراسي الثاني 20 % للسلوك والأنشطة 50 % لملف التلميذ. وهذا ما يعرف باسم التقويم الشامل الذي يتم تجميعه عن طريق الملاحظة والمعايشة والمشاهدة. وهو نظام صالح للتلاعب إذا ما غاب الضمير. أي سيدفع ولى الأمر مقابل 70 % مُقدماً مكان الدروس الخصوصية ومع وجود الغش في الامتحانات يمكن أن يحصل الطالب على الدرجة النهائية.

في ضوء كل ذلك كيف تكون صورة المنتج التعليمي؟

من أجل كل ذلك ندق ناقوس الخطر ونقول لابد من تكاتف كل الجهود وكل القوى لإنقاذ العملية التعليمية والتربوية، ولابد من التفاعل الإيجابي لدفع خطر العولمة والتسلح ضد الأدوات والوسائل التي استخدمتها العولمة للهيمنة والسيطرة. وذلك يقتضى تقديم نموذج حضاري ضد الأدوات والوسائل التي استخدمتها العولمة للهيمنة والسيطرة. وذلك يقتضى تقديم نموذج حضاري مُنبثق من فلسفة الأمة الإسلامية وخصوصيتها الثقافية. ومستفيد من التقدم العلمي والتطور التقني الحديث بذلك نستطيع الحفاظ على وحدتنا وأبنائنا في عصر العولمة.

2004/6/23

المصدر : http://www.elbehira.com

=============

#حرب الأفكار

مازن أبو بكر باحميد

انطلقت الحملة الصليبية ضد الإسلام والتي طالما كانت حلماً لكثير من المسئولين الأمريكيين، ففي كتابه (1999 نصر بلا حرب) دعى الرئيس الأمريكي الأسبق

نيكسون الاتحاد السوفيتي إلى التعاون مع الولايات المتحدة لضرب الأصولية الإسلامية المتنامية – على حد قوله –، وكان ذلك في أوج الحرب الباردة؛ لكن تنافر المصالح بين القطبين، والعواصف السياسية للحرب الباردة حالت دون حدوث ذلك.

والآن وفي ظل النظام العالمي الجديد استطاعت الولايات المتحدة تجنيد معظم دول العالم، والانطلاق بها في حملة صليبية ضد الإسلام، يقول عنها قائدها الرئيس الأمريكي إنها: "حملة صليبية" وغير تقليدية، وبأنها غير محدودة بإطار جغرافي.

وقد أبرز الواقع العملي لهذه الحملة أشكالاً مختلفة من أشكال المواجهة، فمن الحروب المباشرة، إلى الحملات الإعلامية ضد الإسلام والمسلمين، إلى محاصرة العمل الخيري، والتدخل في مناهج التعليم، والدعوى إلى حرب العقائد والأفكار، ولعل هذا الأخير هو الأهم في أشكال المواجهة التي تعول الولايات المتحدة عليها لتحقيق أهداف الحملة على المدى الطويل.

وبما أن هذه الحرب هي حرب ضد الإسلام، ولأن ماهية أي دين عبارة عن عقائد وشرائع وأخلاق – أي مجموعة أفكار ومفاهيم –؛ فإن الحرب الحقيقية كما يراها الغرب يجب أن تكون حرباً ضد هذه الأفكار، فالغرب يدرك جيداً أنه أمام خصم لا تكمن قوته في عدته وعتاده، لكن نقطة القوة الوحيدة لهذا الخصم هي هذه المفاهيم والأفكار التي يحملها، والتي تجعله قادراً على التضحية والإقدام وتجاوز كل حالات الإحباط والهزيمة النفسية المفروضة على أمة الإسلام.

والواقع أن تاريخ الحرب الفكرية التي يمارسها الغرب ضد الإسلام يمتد لقرون، وقد تبنى الاستعمار الغربي الكثير من الحملات المنظمة للغزو الفكري ضد الإسلام، وبعد أن آلت زعامة الغرب إلى الولايات المتحدة في منتصف القرن المنصرم فإن الولايات المتحدة لم تغفل عن هذه القضية، وقد شرعت في إجراءات غاية في التعقيد لمحاصرة المد الإسلامي، ولتخفيف الحماس الديني اللاهب لدى المسلمين، فقد أوردت جريدة الأنباء الكويتية قبيل الغزو العراقي بأقل من شهر مقالاً لكاتب صهيوني يتحدث فيه عن خطة كارتر، ويتهم فيه ممارسات إسرائيل بأنها تقوض جميع الإجراءات الأمريكية المتخذة داخل العالم الإسلامي لتخفيف الحماس الديني اللاهب لدى المسلمين على حد قوله.

والذي تغير اليوم هو أن هذه المخططات والإجراءات انتقلت من السر إلى العلن، فقد أصبحت الولايات المتحدة والغرب تتمتع بهامش مناورة كبير، وباتت حركة الولايات المتحدة أكثر حرية في هذا المجال عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، فقد أجبرت دول العالم -بالاشتراك معها - في حملة ضد الإسلام، متذرعة بأن الإسلام بات يشكل خطراً محدقاً بالأمن العالمي عموماً وأمنها القومي خصوصاً، محتجة في ذلك بما حدث في نيويورك صباح الحادي عشر من سبتمبر 2001م، وما يحدث هنا وهناك من أعمال تفجير وقتل.

والحديث اليوم عن حرب الأفكار معقد ومتشعب، وبات أكثر حدة وشراسة مما قبل أحداث نيويورك، وبصورة عامة فإن هذه الحرب الفكرية تسير في خطين متوازيين، كل منهما يقوم بدوره في هدم المفاهيم والقيم الإسلامية وهما:

أولاً: معاول هدم من الداخل، وهذا ما يستخدم فيه المداهنون والمنافقون، وأصحاب الفرق الضالة من صوفية ومرجئة ورافضة، ومهمتهم تكمن في استبدال مفاهيم الرسالة المحمدية والعقائد الإسلامية الصحيحة بمفاهيم عصور الانحطاط، وإقناع المسلمين بأن مفاهيم عصور الانحطاط هي المفاهيم الإسلامية الصحيحة، رغبة في تبديل الإسلام وتحريفه كما فعل بولس "شاؤول اليهودي" بدين المسيح - عليه السلام -، وأتذكر هنا كلام للبارون "كارادي فو" حيث يقول: "لنشتت الإسلام، ولنستغل البدع الإسلامية، والطرق الصوفية؛ إذ أن المهمة الأولى للغرب هو إضعاف الإسلام لجعله عاجزاً إلى الأبد عن اليقظة الكبرى"، وقد أفسحت لهؤلاء شاشات الفضائيات، ومنابر الإعلام العربي لتنفيذ مهامهم.

ثانيا: معاول هدم من الخارج، وهذا ما أوكل لعملاء الغرب من الملاحدة والعلمانيين والمنحلين، فهم يعرضون في كل بيت من بيوت الإسلام من خلال شاشات التلفزيون ما يدعو إلى الانحلال والتحرر من القيم والأخلاق، وفرض النظرة الحيوانية في علاقة الرجل بالمرأة، وإثارة الغرائز الجنسية والشهوانية، وعرض صور للحياة الإباحية الغربية بطريقة مدروسة ومحببة للنفوس، وهم لا يترددون في شن حملات إعلامية شرسة لتشويه الإسلام متهيمينه بالتحجر والتخلف وكبت الحريات!! داعين المسلمين إلى الفوضى واستباحة كل شيء باسم الحرية!! وإلى استبدال الثقافة والعادات

الإسلامية بالثقافة والعادات الغربية، مستغلين المرأة في تحقيق ذلك، وهم في ذلك يتكتمون على الوضع الاجتماعي والأسري الذي وصل إليه الغرب، وما يعصف بهما من اضطرابات قاتلة، وأزمات مدمرة بسبب الأخلاقيات السائدة هناك.

وفي اعتقادي أن ما يسعى إليه الغرب من جذب المجتمع المسلم للتقارب مع أخلاقياته ربما تكون مقدمة لحملات تنصيرية تجتاح المنطقة في المستقبل.

وبين هذا وذاك يقف المسلم في حيرة من أمره، فإن ذهب يبحث عن إسلامه ليسترشد به في حياته وجد الفرق الضالة ومن نصبهم الإعلام الحديث نيابة عن الإسلام، وقد حولوه إلى تقديس للوهم والخرافة، وتقديس للجن والأموات، وعبادة للقبور، وتمجيد للشعوذة والدجل، وتقديس لطواغيت الأرض، وإقرارهم على ظلمهم، والسكوت عن فسادهم، ومدحهم وإطرائهم، ومحاربة لصوت الحق، والاهتمام البالغ بالقضايا الشكلية دون جوهر الإسلام، كل ذلك ممزوج بألوان من الطرب الصاخب باسم الذكر والعنف، والقسوة على الذات باسم العبادة كما يفعل الرافضة يوم عاشوراء، وهذا كله لا يستسيغه ضمير الإنسان وعقله، ويتنافى مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، عندها يموت الضمير، ويتلاشى صوت الفطرة في أعماق الإنسان ليبقى صوت الشهوات والغرائز قوياً ومتفرداً في أعماق الإنسان، وهو ما سيجبر هذا المسلم على الاستسلام أمام هذه الضغوط، والانضمام إلى صفوف الإلحاد والمجون، وإعلان الهزيمة والقبول باستعباد الحضارة الغربية له!!

ومن أصر على الاستمساك بمفاهيم الفرق الضالة والمداهنين وغيرهم ممن نُصِّبوا للحديث نيابة عن الإسلام ظناً منه أن هذه المفاهيم هي الإسلام فإنه سيعيش في أجواء عصور الانحطاط، متقوقعاً متحجراً لا يقدر على شيء، ولن يجد تفسيراً صائباً للفشل الذي يحيط به من كل جانب.

وبعد فإن ما يجري في الواقع في مجال الحرب الفكرية والغزو الفكري ضد الإسلام لهو شيء عظيم، ولشراسة هذه الحملة اليوم فقد غيرت مناهج دراسية سبق أن أشرف على إعدادها جمع من العلماء بما يتفق مع ديننا وتقاليدنا، وحوصر الدعاة وحوصرت أنشطتهم، وازدادت الفضائيات إباحية، كل ذلك عقب أحداث سبتمبر التي حشرت العمل الإسلامي في زاوية مكشوفة، وأعطت الغرب فرصة ذهبية لتجنيد

العالم، وضرب النشاط الإسلامي كما كان يحلم، وأدخلت العمل الإسلامي في مواجهة مع العالم بأسره في وقت كان هو في غنىً عن ذلك!

وعلى أي حال فأنني أؤمن – من دون شك – أن جميع حملات الغزو والمؤامرات ضد الإسلام سيكون حليفها الفشل، ولن أدلل على صحة هذا بجدل فلسفي، وتحليل سياسي؛ بل أستدل بقول الله – جل وعلا – في كتابه عن هؤلاء المتآمرين ضد دينه: ((يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)) فهذه الآية فيها وعد الله بفشل كل المتربصين بالإسلام، وفيها ما يكفي لدفع اليأس والإحباط عن الأمة، وما يكفي للتفاؤل والثقة بمستقبل هذا الدين، ويبقى أن على جميع أفراد الأمة اليوم التصدي لحملات الغزو الفكري، وعدم الاتكالية؛ فهي ليست من قيمنا، وعلينا بذل جهدنا ما استطعنا للدفاع عن الإسلام والدعوة تأسياً بالنبي – صلى الله عليه وسلم –، والابتعاد عن أعمال التخريب التي تضر بالعمل الإسلامي أكثر مما تنفع، وتكسب العدو مصداقية أكثر حتى في بعض أوساط الرأي العام الإسلامي.

فالأمة اليوم تمر بأخطر مرحلة في تاريخها على الإطلاق، فلم يعد الخطر يهدد أرض المسلمين فقط؛ بل بات يمس مفاهيمهم وعقائدهم وقيمهم، ومما أكسب هذه الحملة قوة وشراسة أكبر أن الغرب اليوم يسخر كل ما في يديه من إمكانيات وتقنيات حديثة للوصول للأهداف المرسومة، وهذا يحتم اليوم تطوير أساليب العمل الدعوي، والاستفادة من التقنيات الحديثة للتصدي لموجات الغزو الفكري، والحاجة إلى مؤسسات إعلامية إسلامية تتصدى لهذه الموجات، وتدعم العمل الدعوي، وتسهم في نشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة خاصة لا تزال قائمة، فالإعلام هو حجر الزاوية في مخططات الغرب!! فهل نسبقه إلى ذلك؟!

المصدر : http//:www.islamselect.com

============

#حتى لا نؤتى من قبل الثقافة

أنور الشبَحي

في عصر أصبح فيه العالم الإسلامي سوقاً للمذاهب الفكرية والسياسية والثقافية؛ يقف (المثقفون العرب) في هذا الخضم الهائل ينهلون ويغترفون صنوفاً من الأفكار والثقافات، ثم يعيدون تعليبها وتسويقها تحت شعار بقلم/ (اسم عربي)، ثم ينطلقون ناعقين باسم الثقافة، ناشرين آراءً وأفكاراً غربية المنشأ، لا تمت بصلة إلى ثقافتنا الحقيقية كمسلمين، هذا المشهد الثقافي الغريب يدعونا للوقوف أمام إشكالية تحديد مفهوم الثقافة والمثقف مستندين إلى قيمنا الأصيلة وأهدافنا النبيلة كأمة ذات رسالة، وعلى هذا الأساس نتساءل: هل المثقف هو من يحصل أكبر كم من المعارف والمعلومات، أو يحصل على أعلى الشهادات، ثم نجده يعيش بعيداً عن الواقع، ويفكر بعقلية مقطوعة الصلة بقضايا وطنه وأمته، أو ينظر إلى الواقع برؤية لا تعكس الحقائق كما هي، فيزين الانحراف ويسميه حرية، ويذم الصلاح ويسميه رجعية.

هل هذه هي الثقافة التي نعول عليها في عملية الإصلاح والنهوض؟ لا شك أن هذه ليست هي الثقافة التي ننشدها ونعول عليها، فليس ثمة رابط بينها وبين الواقع الذي ننتظر أن تلعب الثقافة والمثقفون دوراً في إصلاحه وتقويمه، بل هي تهدم تراث الأمة، وتنهال على القيم الأصيلة هدماً وتخريباً، غير مدركة أنها بذلك تهوي بالأمة إلى دركات التخلف والسقوط والفساد.

إنه لأمر مؤسف أن نرى أدعياء الثقافة من السفهاء يتعدون على ثوابت الأمة باسم الثقافة والحرية، ونرى الأقزام يتطاولون على الأعلام من العلماء والدعاة، والمفكرين الصادقين

إنها لمأساة أن نرى المرضى يفرغون حثالة أفكارهم السقيمة، ويسكبون قذارة عُقدهم النفسية المزمنة؛ متدثرين برداء الثقافة وحرية التعبير والرأي، مجردين الثقافة من معانيها الأصيلة التي تقوم على سمو الأهداف، ونظافة الوسائل، وتهدف إلى التقويم والإصلاح، والتهذيب، محاولين إقصاء المثقفين الحقيقيين الذين يجمعون إلى المعرفة والعلم الرؤية الثاقبة المؤسسة على الفهم الصحيح للواقع، والذين يتعاملون مع واقعهم بمقتضى القيم والمبادئ، وقاصدين إلى نشر الخير والحق، مستعلين عن التعامل

بمقتضى ما تمليه عليهم الشهوات والرغبات والاعتبارات الحقيرة، رافضين أن يكونوا أبواقاً تنعق بما يُراد لها أن تنعق به.

ومن هنا فإن العلماء والمتعلمين الذين يؤدون دوراً وظيفياً بحتاً في شتى المجالات أعدادهم كثيرة، ولكن المثقفين منهم الذين يؤدون دوراً إصلاحياً قلة، وعلى عاتقهم تقع مسئولية كبيرة، لأنهم يحملون هموم الأمة وتطلعاتها، ويفكرون حين تتوقف العقول عن التفكير، ويتكلمون حيث تنعقد الألسن عن الكلام، ويثبتون حين تتساقط التماثيل.

هؤلاء هم المثقفون الحقيقيون من العلماء والمفكرين والمصلحين، هم الأعلام الذين تهتدي بهم الأمة، والنجوم التي يأتم بها السائرون، والأمل الذي نعيش على وهج حرارته، وتباشير إشراقاته.

المصدر : http://www.islamselect.com

==============

##مسألة تجنيس المسلمين بالجنسية الفرنسية (1)

مقدمة الناشر :[1]

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، وبعد:

فإن الحملة الصليبية التاسعة التي أعلنها الكاثوليك الفرنسيون – من رهبان وساسة – في المملكة التونسية أثناء عيد الأضحى من عام 1348 ونشرنا فيها كتاباً بعنوان (ظاهرة مريبة) ما زالت بعد ذلك تمعن في الشر وتوغل في العدوان، حتى إذا وافى عيد الأضحى من سنة 1351 صار لهذه الحملة بنادق ورشاشات، ومدافع ودبابات، فأثيرت حفائظ الشعب الإسلامي المسالم، وأرغم على الغضب إرغاما. لأن الذين ارتدوا عن دين الإسلام من التونسيين بتحريض رجال الحملة وأذنابهم أرادت السياسة الصليبية أن تغير حكم الإسلام فيهم، إغراءً لضعاف القلوب والإيمان من المسلمين، حتى يقتدوا بهم ويرتدوا مثلهم عن دينهم، فأوعزت إلى من يؤثر العاجلة على الآجلة من علماء السوء ووزراء السوء أن يصنعوا في ذلك فتوى يقوّلون فيها الإسلام ما لم يقل، ويحوّلون بها حكمه إلى عكس ما أراد الله منه، فتجددت بذلك معركة من معارك هذه الحملة الصليبية. وكان مكتب الأخبار التونسية يراقب وقائع هذه الكارثة بيقظة

وانتباه فدوّنها في هذه الرسالة إيقاظا وإنذاراً لشباب العرب والإسلام في جميع أقطار الأرض، وتخليداً للحقيقة في صفحات التاريخ حتى تعرفها الأجيال الآتية من أبناء الشرق وأبناء الغرب كما وقعت.

إن العالم الإسلامي كله جسم واحد، والوطن الإسلامي مهما اختلفت بقاعه فهو وطن للمسلمين جميعاً؛ فيجب على كل مسلم أن يكون واقفاً على ما يقع في أي بقعة من بقاع وطنه الأكبر، ليكون قلبه على اتصال بإخوانه المسلمين فيشاركهم في آمالهم وآلامهم، ويبقى المسلم ضعيفاً في رابطته الإسلامية حتى يستكمل العمل الصحيح بسراء المسلمين وضرائهم، ولذلك نحن نعنى بإصدار مثل هذه الرسالة بين حين وآخر.

القاهرة 20 صفر 1352

محب الدين الخطيب

الحملة الصليبية على الإسلام في شمال أفريقيا:

محاولة القضاء على الإسلام بتجنيس أهله بالجنسية الفرنسية، بعد تحديه بالمؤتمر الأفخارستي، وبالقضاء على حرية الصحافة العربية، ومنع تأسيس جمعية الشباب المسلمين، والحفاوة بجمعية الشبان المسيحيين، ومنع المدارس القرآنية للذكور من الازدياد، وللإناث من التأسيس، وبتحدي جمعية العلماء المسلمين في الجزائر، وبالظهير البربري في المغرب الأقصى، كل ذلك: إيقاظ وإنذار للعالم الإسلامي والعربي.

إن ثقتنا بما دب في العالم الإسلامي والعربي من شعور وإحساس وروح أشعرته بالكرامة، وسمت به عن التخاذل والاستخذاء، هي التي دفعتنا إلى رفع هذا الصوت مخاطبين به ذلك الإحساس والشعور الشريف، ومستنجدين تلك الروح التي جعلت حداً بمظاهرها الأخيرة بين ظلمة الماضي ونور المستقبل الفياض بالآمال الزاهرة.

إن البرنامج المتحد الذي تهاجم به دول الاستعمار ديار العروبة والإسلام لم يعد يجهله أحد، وان اختلفت ألوانه وآثاره باختلاف منفذيه، فما تقوم به الدول اللاتينية في أفريقيا وبعض بلاد الشرق لا يتفق في لونه مع ما تقوم به غيرها في ما لها من مستعمرات وأن اتحد معه في الغاية والأثر.

فإذا كانت غير الدول اللاتينية تعتني بابتزاز ثروة المستعمرات وجهود أبنائها ولا تعتني بما وراء ذلك - اللهم إلا دعاية نصرانية تقوم على مؤسسات حرة أداتها التشويق ومحاولة الإقناع - فإن الدول الاستعمارية اللاتينية تعتني بالاستحواذ في مصادر الثورة واحتكار الجهود والتحكم المطلق في مصائر الأمم والعمل على تفكيك وحدتها والقضاء على جامعتها لتزول مرة واحدة من الوجود.

فالبلاد التونسية منذ نكبت بالاحتلال وفقدان الاستقلال يعمل فيها المحتلون من الفرنسيين - كما يعملون في غيرها - على محو الذاتية الماثل فيها وجود الأمة بالقضاء على مقوماتها ومشخصاتها: من لغة وأدب، ودين، كل ذلك جرياً وراء تنفيذ خطة لهم في مذهبهم الاستعماري معلومة، تلك هي إزالة سلطان المسلمين من هذه الأرض التي يريدون إسكان عناصر مسيحية بها يعملون على جلبها بمختلف الوسائل من آفاق الأرض ليعمروا بها البلاد، بدل المسلمين الذين أخذوا ينقرضون شيئاً فشيئاً بعوامل سياسة الشدة والإفقار، وليجعلوا بعد ذلك من هذه الأرض إمبراطورية فرنسية كما يقولون.

إن هناك فكرة تسود الأوساط الاستعمارية الفرنسية اليوم وهي تكوين إمبراطورية فرنسية من أكبر أجزائها أفريقيا الشمالية - تونس والجزائر والمغرب الأقصى - وما يحيط بها من السوادين، ولما كان وضعية تونس والمغرب الأقصى السياسية غير وضعية الجزائر ابتدأوا بالعمل على توحيد الوضعية بتوحيد هذه الأقطار والعمل لجعلها قطراً واحداً يسكنه رعايا فرنسيون شريعتهم القانون الوضعي الفرنسي ولغتهم لغة فرنسا بدون شك. ومن الوسائل التي يعتمدون عليها في بلوغ غايتهم هذه مسألة تجنيس سكان هذه البلاد بالجنسية الفرنسية، ومن المعلوم أن المتجنس بالجنسية الفرنسية لا يمكن أن يكون لحكومته الإسلامية ولا لأميره عليه من سبيل، وأنه في أحواله الشخصية - من زواج وطلاق وإرث وغير ذلك - لا يحتكم إلى شريعة الإسلام وإنما يحتكم للقانون المدني الفرنسي الذي تخالف أحكامه الشرع الإسلامي على خط مستقيم: فالطلاق بيد الحاكم ولا يوقعه إلا لأسباب أربعة، والأرث على التساوي بين الذكور الإناث، والزواج بعقد مدني لدى الحاكم الفرنسي، وتعدد الزوجات جناية يعاقب مرتكبها. والمتجنس زيادة على ذلك يوجب على نفسه برضا

واختيار أن يكون جندياً يقاتل تحت الراية الفرنسية حتى المسلمين أنفسهم. هذا زيادة عن كون المتجنس يخرج طائعاً مختاراً عن جماعة المسلمين ويوهن قوتهم ويؤيد خصمهم عليهم ويسعى بخروجه في تقوية سلطان الإسلام من بلاد الإسلام وإزالة أحكامه.

فتحوا باب التجنيس وأقاموا له من نفوذهم وقواهم الوسائل الكافية لإدخال الناس في جنسيتهم وإخراجهم عن ملتهم، وأول طائفة تسللت من نفوذ الإسلام هم اليهود [2] الوطنيون إذ تجنسوا دفعة واحدة في الجزائر وبصفة فردية في تونس والمغرب الأقصى فاحتج المسلمون على هذا العدوان من الفرنسيين والعقوق والخروج عن عهد الذمة من اليهود، ولكن التيار بقي على حاله. وجاء دور المسلمين في سنة 1923 فتجنس نفر منهم بالجنسية الفرنسية وكونوا بمساعدة الحكومة المحتلة جمعية لهم تدعى جمعية المسلمين الفرنسيين أخذت تعمل لبث الدعوة وتوفير عدد المتجنسين، والحكومة تنشطها من خلف بشتى الوسائل.

ولما استفتى المسلمون في تونس علماءهم عن حكم المتجنس في نظر الشرع الإسلامي حجرت حكومة الاحتلال على العلماء الرسميين [3] الإفتاء وبيان حكم الله في هذا الأمر، فسكتوا وكتموا ما أنزل الله من البينات والهدى، إلا من رحم ربك فأفتى الشيخ أحمد عياد والشيخ التهامي عمار بردة المتجنس وعدم جواز معاملته معاملة المسلم، وأفتى بذلك من مصر الشيخ محمد شاكر وكيل الأزهر سابقاً، والسيد رشيد رضا والشيخ على سرور.

ولا تسأل عن تأثير هذه الفتاوى في قضية التجنيس، إذ لم يتجنس بعدها إلا نفر أقل من القليل، فضاقت صدور أنصار التجنيس من الفرنسيين وأعوانهم ممن يسمون أنفسهم بالمسلمين الفرنسيين.

وفي هذه الأيام قام أحد زعماء الفكرة وهو النائب مورينو في مجلس النواب الفرنسي وألقى خطاباً تذمر فيه من قلة عدد المتجنسين واحتج على الحكومة لتقاعسها في هذا الصدد فوعده رئيس الحكومة الفرنسية ببذل أقصى الجهد لإتمام هذا النقص.

واتفق أن مات أحد المتجنسين في مدينة بنزرت، فامتنع المسلمون من قبوله في مقابرهم لأنه مرتد بحكم الفتوى، إلا أن السلطة امتنعت من الإصغاء لهذه المعارضة

واستفتت مفتي البلدة الشيخ إدريس الشريف فأفتى بالردة وعدم الدفن في مقابر المسلمين، فنزل هذا الأمر على الحكومة نزول الصاعقة ودفن ذلك المارق في مدافن النصارى الغرباء.

دهش الجماعة من هذا الأمر ونقمت السلطة على فضيلة المفتي ووقع استنطاقه إرهاباً له وتخويفاً لغيره ونالت قضية التجنيس بذلك صدمة وأي صدمة ضاق بها صدر الحكومة فأخذت تفكر في التخلص مما وقعت فيه بسوء تدبيرها، ووجدت من الوزير الأكبر لسمو الباي وشيخي الإسلام أكبر عون على حل هذا المشكل فدبر ثلاثتهم مؤامرة ضد أميرهم ودينهم ووطنهم، فتواطأوا على وضع سؤال يلقى من الحكومة على أعضاء المجلس الشرعي فيقع الجواب منهم عليه طبق رغبة حكومة الاحتلال ولو أدى إلى انقراض جنسهم وزوال ملك الإسلام وشريعة الإسلام من هذه الديار. واغتنموا عطلة عيد الأضحى لإتمام هذا الأمر ومباغتة الأمة به، ولكن الناس علموا ما يدبر لهم في الخفاء فذهب وفد من الحزب الحر [4] الدستوري التونسي، يتركب من لجنة الحزب العليا وهم السادة أحمد الصافي المحامي بتونس والكاتب العام للحزب، صالح فرجات المحامي، الطيب الجميل المحامي، الطاهر صفر المحامي، عز الدين الشريف، الشاذلي الخلاوي، محمد الصالح ختاش، المنصف المنستيري، الشاذلي خزندار، محي الدين القليبي – ذهب هذا الوفد عشية ثاني أيام العيد إلى كل من الوزير الأكبر وشيخي الإسلام وأبلغوهم نص احتجاج الأمة على هذه المحاولة وأنذروهم وخامة عاقبتها. وزيادة على مافي هذين النصين فقد قام الوفد بمناقشة المتآمرين في هذه المسألة، وأفهمهم جيداً خطورة ما يترتب عليها من دخول المسلمين شيئاً فشيئاً في الجنسية الفرنسية، وخروجهم بذلك على سلطان دولتهم الإسلامية واحتكامهم لغير شريعة الإسلام، وأنه بذلك يقضى على المحاكم الإسلامية ودولة الإسلام في هذه الديار وبين لهم الوفد أيضاً غضب الأمة من هذه المحاولة الخطرة على حياتها ولكن هؤلاء لم يقتنعوا بما قيل لهم، إذ كانت تلوح عليهم علامات الغدر بملتهم ودولتهم وسلطة أميرهم الذي ولاهم هذه الخطط.

وخرج هذا الوفد من لدنهم وهو مقتنع بعزمهم على إبرام ما ائتمروا عليه. فالوزير الأكبر قال لرجال الوفد: إن مسألة بنزرت وفتوى مفتيها بعدم دفن المتجنس في

مقابر المسلمين استاءت منها الحكومة فرنسا أيما استياء، ولا يخفى عليكم أن دولة فرنسا هنا بمقتضى معاهدة مع أمير البلاد وأمر واقع لا يسعنا انكاره ولا التعرض له بسوء وهو احتلالها لبلادنا، وهذا الاحتلال يفرض علينا نحوها آداباً لابد من مراعاتها وإزالة كل ما يخدش فيها. ولما كانت فتوى مفتي بلد بنزرت قد اعتدت على تلك الآداب لأنها عبرت عن أن الجنسية الفرنسية شيء قذر لا يقبله المسلمون ولا يدفنون من تلبس به في مقابرهم، فيجب والحالة ما ذكر محو هذا الأثر السيء الذي أحدثته الفتوى في نفوس أبناء الدولة الحامية [5]، وعبثاً حاول أعضاء الوفد إفهامه أن المسألة دينية وأنها فوق هذه الاعتبارات...

----

[1] – محب الدين الخطيب [1886 1967]: ولد ونشأ في دمشق، ووالده الشيخ أبو الفتح الخطيب [1834 1897]، من علماء دمشق وأئمتها وخطبائها، وكان أمين دار الكتب الظاهرية بدمشق منذ تأسيسها إلى يوم وفاته، وأما جده الشيخ عبد القادر الخطيب [1808 1871]، فكان من كبار علماء دمشق.

التحق بكليتي الحقوق والآداب في الآستانة عام 1905 بعد إكمال دراسته الثانوية في دمشق، وقطع دراسته عام 1907 م بسبب مراقبة أجهزة الأمن له وخوفه من الاعتقال لأنه كان من النشطين في صفوف دعاة النهضة العربية.

بدأ عمله الصحفي عام 1908 في صحيفة المقتبس التي كان يصدرها صديقه محمد كرد علي، وفي عام 1909 انضم إلى أسرة تحرير "المؤيد". وانضم للشريف حسين بعد إعلانه الثورة على الأتراك، وأصدر جريدة "القبلة" وكانت صحيفة رسمية للثورة العربية... ثم التحق بالملك فيصل بن الحسين في دمشق عام 1919، وعينته الحكومة العربية مديراً لمطبوعاتها وكلفته بإصدار جريدة الحكومة الرسمية التي سموها "العاصمة".

وعندما احتل الفرنسيون دمشق عام 1920 م خرج محب الدين الخطيب متخفياً حتى وصل القاهرة، وانضم إلى أسرة تحرير الأهرام واستمر يعمل فيها نحو خمس سنوات، وفي عام 1924 أسس إلى جانب المكتبة السلفية ومطبعتها »مجلة الزهراء«. ثم أسس صحيفة الفتح في عام 1926، واستمرت إلى عام 1948، ثم عمل فترة كرئيس

لتحرير مجلة الأزهر، ووافته المنية في ديسمبر عام 1969 ولم يكن محب الدين الخطيب مجرد صحفي، بل كانت الصحافة عنده وسيلة لخدمة أهدافه الإسلامية العربية، وكانت له صلات قوية مع الحركات الجهادية في مختلف بلدان العالم الإسلامي، – رحمه الله – رحمة واسعة. [عن كتاب محب الدين الخطيب ودوره في الحركة العربية، للدكتور محمد عبد الرحمن برج].

[2] – تعاون المواطنين من اليهود والنصارى مع المستعمرين الذين كانوا يحتلون بلدان العالم الإسلامي غير خاف على كل من عاش هذه الأحداث، ومع ذلك فإن الذين يكتبون التاريخ الرسمي في بلداننا من القوميين والوطنيين العلمانيين، يكثرون من النفاق الممجوج لليهود والنصارى، ويسكتون عن مواقفهم الخيانية خوفاً من التفرقة كما يزعمون. أثناء الاعتداء الثلاثي [الإنكليزي، الفرنسي، اليهودي] على مصر عام 1956، قتل ضابط نصراني من قوات الجيش السوري اسمه "جول جمال"، فأصبح هذا الحدث الشغل الشاغل لأجهزة الإعلام المصرية ومن ورائها أجهزة الإعلام العربية، وسميت أشياء عامة كثيرة في سورية باسم جول جمال، أما جهاد المسلمين المعروف من أهالي بورسعيد وغيرها فقد قوبل بالصمت.

[3] – العلماء الرسميون كانوا مشكلة في هذه المسألة وغيرها في تونس، وكانوا مشكلة في تاريخنا الطويل، وهم مشكلة المشاكل في واقعنا المعاصر. لقد فشل المستعمرون الفرنسيون فيما خططوا له، وانتصرت إرادة الأمة المسلمة في تونس، وذهب العلماء الرسميون يحملون أوزارهم، كما ذهب العلماء الأحرار بأعمالهم الطيبة، وبقيت المسألة حدثاً تاريخياً فهذا يُذكر بعمله الحسن، وذاك يذكر بنفاقه فهل من متعظ؟.

[4] – ألف أنصار الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي الحزب "الحر الدستوري"، أثناء اعتقال الفرنسيين له، وتولى – الثعالبي – رئاسة الحزب عام 1920 م عندما أخلي سبيله.

وكان الحزب يمثل آمال الأمة وتطلعاتها، ولهذا فقد قاد الشعب كله في موقفه من مسألة تجنيس المسلمين بالجنسية الفرنسية، وواجه العملاء في داخل تونس بكل قوة كما واجه سيدهم المستعمر الدخيل، ومن رجالات هذا الحزب إضافة إلى رئيسه

الشيخ الثعالبي، الأستاذ محي الدين القليبي، وقد تلقى تعليمه بجامعة الزيتونة، وتولى رئاسة الحزب أثناء نفي الثعالبي، وتعرض فيما بعد للنفي والتشريد، وتوفي في مدينة دمشق، وكان موضع ثناء وتقدير أساتذتنا الذين صاحبوه خلال إقامته في دمشق.

وقد ضاق الفرنسيون ذرعاً بالحزب الحر الدستوري، واستغلوا نفي الثعالبي، ثم نفي القليبي، فحققوا نجاحاً كبيراً في اختراقهم للحزب، وتمكن الحبيب بورقيبة ومجموعة أخرى من العلمانيين من السيطرة على الحزب، وإبعاد الرجال المؤسسين، وتغيرت أهداف الحزب تغيراً جذرياً، فحقق قادته الجدد ما عجزت فرنسا عن تحقيقه. [عن كتاب الأعلام، لخير الدين الزركلي، ومعلومات أخرى خاصة].

[5] – إن أسلوب المنافقين واحد في القديم والحديث، فكل ما يهتم به الوزير الأكبر [أي رئيس الوزراء] ويعمل من أجله هو إرضاء الحكومة الفرنسية، ولو كان الثمن ردة الأمة كلها عن دينها وعقيدتها.

المصدر : http://www.alsunnah.org

==============

#مسألة تجنيس المسلمين بالجنسية الفرنسية (2)

شملت الحلقة الأولى المقدمة التي كتبها الأستاذ محب الدين الخطيب – رحمه الله – ، ثم مقدمة الموضوع الذي أعده مكتب الأخبار التونسية، ومن أهم فقراته:

– إيقاظ وإنذار للعالم الإسلامي والعربي.

– تكوين إمبراطورية فرنسية من أكبر أجزائها أفريقيا الشمالية.

– ومن وسائل تكوين هذه الإمبراطورية تجنيس سكان هذه البلاد بالجنسية الفرنسية.

ماذا يعني هذا التجنيس من الناحية الشرعية؟

– امتناع المسلمين في بنزرت من دفن أحد المتجنسين في مقابرهم.

– تواطؤ الوزير الأكبر وشيخي الإسلام على الباي المتعاطف مع شعبه.

– مقابلة وفد الحزب الدستوري للوزير الأكبر وشيخي الإسلامي، وتبليغهم نص احتجاج الأمة على هذه المؤامرة.

ونستمر في هذه الحلقة في عرض دور وفد الحزب.

كان سلطان تونس – الباي – آخر من يعلم بهذه المؤامرة، وكان الوزير الأكبر يستغل جهل الباي، فعندما سأله عن سبب المظاهرة أجابه: سببها البطالة وعسر الحال، وعندما كان يغضب انتصاراً لشعبه كانت التهديدات تأتيه من المقيم العام الفرنسي فيضعف ويتراجع، ووزيره الأكبر هو الذي يرتب هذه الأدوار كلها، وهذا هو شأن الضعفاء، ورحم الله القائل:

وطغوا فأصبح ملكنا متقسماً وإمامنا فيه شبيه الضيف

* * *

ولما رجع أعضاء الوفد ليلاً إلى مقر الحزب الحر الدستوري قرروا إصدار عدد خاص من جريدة الحزب التي يصدرها باللسان الفرنسي (صوت الأمة) وشرح هذه المقابلة ونتيجتها فيه إيقاظاً للشعب وتنبيهاً إلى ما يراد به ويدبر له في الخفاء. وفعلاً أصدروا من الغد (الجمعة 13 ذي الحجة) عدداً خاصاً بعناوين ضخمة مفادها أن الجنسية التونسية في خطر، وكتبوا فيه كشفاً لهذه المؤامرة، فكان لهذا النبأ صداه، ومن الغد "السبت" كان موعد قدوم سمو الأمير [1] إلى العاصمة لقبول تهاني رعاياه بالعيد فاسقتبله الشعب بمظاهرة ولاء عظيمة امتدت على طول الطريق من محطة الأرتال إلى القصر العالي، وكان عدد المتظاهرين نحو الخمسين ألفاً يهتفون على طول الطريق بحياة الجنسية التونسية وسقوط التجنس الأجنبي. وقد اهتز الأمير لهذا النبأ الذي لم يكن له علم به، ولم يعرض عليه قبل ذلك اليوم. وقد سأل وزيره: ما لهؤلاء ولمسألة التجنيس وقد طويت صحيفتها قبل اليوم؟ فأجابه: إن الأزمة يا مولاي أضرت بالقوم، وأن هذا التظاهر بدافع البطالة وعسر الحال. فقال له الأمير: إنهم ينادون بسقوط التجنيس وهو غير الأزمة والبطالة. ولما صعد الأمير إلى قصره وسط ذلك الخضم من المخلوقات الصاخبة الناقمة، وأشرف عليهم من شرفات القصر ليطمئن خاطرهم، اعتلى أحد الشبان هامات الواقفين وألقى على مسامع الأمير خطاباً شرح له فيه حقيقة الحال. فاستاء الأمير أيما استياء، وشاهد الناس مشادة وقعت بينه وبين الوزير دعي على أثرها مدير الداخلية مسيو تيري وانتقد عليه هذا السلوك، وحمله والوزير عواقب ما ينشأ عن هذه الفتنة، فخاطبه مدير الداخلية بأن في الإمكان تفريق هذه الجموع بفرقة من رجال الشرطة. فانتهره الأمير قائلاً: أولئك

رعاياي، أريد أن أسمع تظلمهم، ولا أريد أن يظلمهم أحد. ورجع الأمير بعد انتهاء الموكب إلى قصر حمام، وشيعه جمع عظيم من شيوخ العاصمة – من علماء وأعيان وأشراف – وأعينهم باكية وهم في حالة من الهلع أحزنت الأمير وأبكته، لأنهم كانوا يستغيثون من العبث بأحكام الدين، والعمل على ارتداد المسلمين بواسطة التجنيس. وكان الأمير طول الطريق يبكي لبكائهم، ويلاطفهم ويهدئ من روعهم، إلى أن امتطى الرتل إلى قصر الشتاء.

ومن الغد صدرت الصحف ملأى بأنباء هذه المظاهرة العظيمة، مرددة أصوات الاحتجاج الواردة من جهات المملكة وعلى الأخص جريدة الحزب الحر، فإنها كانت مملوءة بعرائض الاحتجاج الواردة من أطراف البلاد التونسية.

وفي يوم الاثنين شاعت أراجيف مفادها أنه وقع سحب الاستفتاء وبطل العمل به، وأنه سيبقى ما كان على ما كان، إلا أن الحزب علم من مصدر وثيق أنه قبل ظهر يوم الاثنين بساعة سلمت جميع الأجوبة على الاستفتاء من طرف المجلسين الحنفي والمالكي، ولم يشذ عن الجواب الذي يرضي الحكومة إلا الشيخ عبد العزيز جعيط من شيوخ الإفتاء المالكية، والشيخ حميد بن مراد والشيخ محمد بن الخوجة من شيوخ الإفتاء الأحناف، فقد علق أولهم وهو المفتى المالكي قبول توبة المتجنس ورجوعه إلى حظيرة الإسلام على رجوعه إلى الأحكام الشرعية والجنسية التونسية، وهو أمر مستحيل قانوناً، وامتنع المفتيان الحنفيان من الموافقة على الاعتراف بقبول التوبة لاستحالة رجوعه إلى أحكام الإسلام قانوناً، ولما تيقن الحزب استلام الحكومة للجواب المصطنع قرر إرسال لائحة إلى وزارة الخارجية الفرنسية تبين رأي الأمة. ومن ذلك الحين أخذت الاجتماعات العظيمة تتوالى بأندية الحزب والخطباء فيها يشرحون الموقف الحرج الذي تجتازه البلاد بتأثير أعمال الوزير وشيخي الإسلام.

وأعلن طلبة جامع الزيتونة (الكلية الدينية الكبيرة بشمال أفريقيا) ويقدر عددهم بنحو ثلاثة آلاف وخمسمائة طالب أنهم قرروا الإضراب عن الدروس إلى أن يتخلى عن إدارة الكلية شيخ الجامع الحالي وهو شيخ الإسلام المالكي المسمى الطاهر بن عاشور. وكبر هذا الأمر على الوزير وعلى شيخي الإسلام لما يعلمانه من سوء الأثر الذي سينشأ عن هذا الإضراب، وعبثاً حاولوا إبطاله بشتى الطرق.

وفي يوم الجمعة قرر الناس عدم الإقتداء في الصلاة بجميع الأئمة الذين شاركوا في هذه الفتوى، وأن لا تقام الصلاة وراءهم ولا وراء نوابهم بالجوامع التي هم أئمتها، فأصبحت خاوية على عروشها، وصلى الناس وراء غيرهم صلاة الجمعة وأقيم ذكر اسم "اللطيف" في الجوامع الكبرى احتجاجاً على هذه الفتوى، وذكر الناس ربهم بلسان واحد قائلين "يالطيف يالطيف، ألطف بديننا الحنيف" وقد تأثر الناس من إجراءات علماء السوء وأجراء السوء، وازداد حماسهم وسخطهم على أولئك الشيوخ الذين صاروا محل الزراية والأذى من أخلاط القوم، فإذا مروا بشارع تناولتهم الألسنة بما يشين الكرامة ويزري بالشرف.

وأشيع في عشية الجمعة أن أحد المتجنسين قد مات بنهج الحفير، وأن الحكومة تحاول إخفاء موته لتدفنه في مقابر المسلمين، فتجمهر الناس حول دار هذا الرجل المصاب بداء النقط وقد نزل به هذا المرض المهلك عندما وصلته أوراق تجنسه. ولما خشيت عائلته سخط الجماهير استنجدت القوة الحاكمة فأنجدتها بالبوليس وجنود الدرك المدججة بالسلاح، فامتلأت بهم الشوارع في ذلك المساء، وزاد قدوم القوة في حماسة الناس وتجمهرهم. ولما خيم الليل وقع اصطدام بين القوة والشعب بسبب تضارب أحد المتظاهرين مع ضابط من كبراء قوة الدرك ضرب الضابط الرجل فأدماه فخطف الناس الضابط وأشبعوه ضرباً، فاستنجد جنود الدرك بالجيش فحضرت منه كوكبة مسلحة إلى تلك الساحة التي أخذت تعج بالناس في ظلمة ذلك الليل، وأسفرت المشادة في صبح ذلك اليوم عن 16 جريحاً من الجند والمتظاهرين. وقبض على 27 من التونسيين زجوا في السجن.

وما أصبح الصبح حتى امتلأت تلك الساحات والبطاح بالجنود السود مشاة، وركباناً من الإفرنسيين، ودارت في شوارع العاصمة وفي الحارات الإسلامية منها بالخصوص المدافع الرشاشة والدبابات وأطلقت البنادق في الفضاء إرهاباً للناس ورغبة في تفريقهم. ولكن هذه الرغبة أتت بعكس المقصود فازداد الازدحام وامتلأت الشوارع كافة بالمتظاهرين وبدأت علائم الشر تلوح على الوجوه، وكانت قوات الحكومة قد أوعزت إليها الإدارة بتكوين حوادث دموية في ذلك اليوم الرهيب لأنهم لم يتركوا وسيلة لإثارة حفائظ الناس لم يستعملوها، ولكن الشعب المتظاهر قابل كل تلك

المحاولات بما عهد فيه من صبر وأناة، فكنت ترى جنود الدرك والبوليس، وحتى رؤساء هذه القوات، يمعنون في ضرب الناس على وجوههم حتى أدموا الكثيرين منهم وأحدثوا لهم أضراراً كثيرة، فنقل الكثير منهم على أثرها إلى المصحات والمحلات التي أعدت خصيصاً لمعالجة منكوبي المظاهرة.

وحدثت عدة اصطدامات بين الجند والمسلمين في أثر هذه الاعتداءات الفظيعة الصادرة من الجنود وأعوان الحكومة استعمل الجند فيها سلاحهم ورجال الشرطة عصيهم، واستعمل الناس الحجارة والعصي من جهتهم أيضاً، واستمر الحال هكذا بين أخذ ورد إلى الليل، ودام الأمر كامل تلك الليلة وصباح الغد وعربات السجن تحمل الجموع إليه وعربات الإسعاف تحمل المنكوبين إلى ما بعد ظهر الاثنين.

وفي عشية يوم الاثنين رغب الناس في الذهاب إلى قصر حمام لمكاشفة سمو الأمير بما حل برعاياه. وعارض الحزب الحر الدستوري في تنفيذ هذه الفكرة وفضل عدم إدخال ملك البلاد في هذه الخصومة حتى لا يقع استعمال نفوذه فيها ضد إرادة الشعب بتأثير إدارة الاحتلال. وفعلاً فإنه لم يذهب إلا نحو الثلاثمائة شخص فقط تجمهروا أمام قصر الإمارة هاتفين بسقوط التجنيس والفتوى المفتعلة على الدين.

واتفق أن كان هناك نائبان في البرلمان الفرنسي قدما إلى تونس بقصد السياحة والإطلاع، فقدمهما المقيم العام في ذلك المساء إلى سمو الباي فشاهدا ذلك الهتاف والتظلم. وقد تأثر المقيم من هذه الصدفة السيئة فأفهم ذينك النائبين غير الحقيقة من تلك المظاهرة، فصرح أحدهما للصحف بما يدل على تبرمه مما شاهده من عدم الإخلاص لفرنسا رغماً عما عرفت به من تسامحها الديني!.

مثل وفد من أولئك المتجمهرين أمام سمو الأمير، وقدم له عريضة بما لقيته الأمة. وكان الوزير حاضراً هذا الموطن وكان للأقوال التي قيلت لسمو الباي تأثيرها على نفس الوزير بطل هذه المأساة فرآها فرصة سانحة للاتحاد مع المقيم العام ضد إرادة سمو الباي فجاءا إليه من الغد: الأول يهدد ويتوعد باسم حكومته وقوتها وعظمتها وجندها وسلاحها، والآخر ينصح الأمير بتعديل الموقف خشية حدوث مالا يسر. وقد تليت في هذا الموطن على سبيل التبرك والانتفاع قصة سلطان المغرب مولاي عبد الحفيظ. وبعد جدال ومناقشة دامت ساعتين ونصفاً أذن الأمير لوزيره بأن يعمل ما

يهدئ روع الناس، وما يرجع الأمن والطمأنينة إلى ما كانا عليه، فخرج الوزير فرحاً بهذا الانتصار الذي أحرزه ووضع خطة التنفيذ بمعية مدير التشريفات مصطفى صفر عدو الحركة الوطنية القديم. وكانت الخطة إخراج تصريحات على لسان حاجبي الأمير يعربان فيها عن أفكار سموه في هذه المشاكل، تم إصدار بلاغ من الوزير على لسان سمو الأمير يكون حاسماً لمادة النزاع على رأي الوزير الأكبر. وتولت جريدة النهضة التي تخدم ركاب الوزير ومشيخة الإسلام نشر هذين البلاغين فكان يحدث بسببهما الفشل في الشعب لما اشتملا عليه من تغير في الموقف ولكن القابضين على زمام الحركة منعا هذا التأثير من التسرب إلى الأفكار وبادر الحزب حالاً بالرد عليه وخاطب الشعب بوجوب الثبات والاستمرار على حركة الاحتجاج إلى أن يقع حل هذا المشكل بما يرضي التونسيين المسلمين.

وهناك حادثة استغلها الوزير وأثر بها على سمو الأمير لابد من ذكرها هنا بإيجاز لأن البلاغ الأول يصرح بها والثاني يشير إليها، وهي حادثة الخلاف الذي وقع في العام المنصرم بين سمو الأمير ووزيره السابق خليل بوحاجب وشيخ الإسلام السابق حميدة بيروم، وصورة هذا الخلاف أن حملة صحفية عنيفة أقامها الوطنيون ضد الاحتفال بمرور خمسين عاماً على الحماية الفرنسية بتونس فأراد المقيم العام أن يرفع قضية على القائمين بها من رجال الحركة الوطنية، وفعلاً وقع تتبع هؤلاء، وصح العزم على إصدار أحكام قاسية عليهم، فأذاع أعداء ذلك الوزير أن الموعز بهذا التتبع هو الوزير التونسي نفسه، فقامت حملة ضده في الصحافة وحدثت مظاهرات عظيمة كانت نتيجتها حفظ القضايا، وإرجاع الصحف المعطلة ومنها النهضة، وصادف أن وقع الخوض إذ ذاك في مسألة إصلاح نظام التعليم بالجامع الأعظم، فكان شيخ الإسلام السابق من المعارضين فيه، فاغتنم الفرصة شيخ الإسلام الطاهر بن عاشور خصم شيخ الإسلام المذكور وأثار ضده حملة في الصحافة باسم إصلاح الجامع وتحت عنوان إرادة الخير لهذا المعهد الإسلامي الكبير، فأصبحت الحملة متجهة نحو شيخ الإسلام ونحو الوزير الأكبر فتساندا للدفاع عن موقفيهما وكانت لهما منزلة لدى حكومة الاحتلال، ولكن الأمير صمم على عزلهما فعزلا وتولى بدلهما الوزير الحالي الهادي وشيخ الإسلام الحالي محمد بن يوسف والطاهر بن

عاشور انتصب شيخاً للإسلام في المذهب المالكي وشيخاً للجامع بعد أن تم أمر إصلاح التعليم فيه على ما يؤمله ويرجوه. ونظراً لما لاقاه الأمير في مسألة عزلهما من العنت من حكومة الاحتلال فقد أصبح لا يحتمل ذكرهما. ولما جاءت هذه الحوادث قال الوزير لسمو الباي: إن هذه الحركة يغذيها الوزير السابق وشيخ الإسلام ليحلا محلي ومحل الطاهر بن عاشور، فخاف سمو الباي أن تكون هذه هي الحقيقة، وأن يصبح يوماً ما أمام أمر واقع. وبهذا الأمر نجح الوزير واستخرج الأذن من سمو الأمير بإصدار ذلك البلاغ الذي لم يخلُ من الإشارة إلى هذه الدسيسة، بينما المسألة لا تخرج عن الاحتجاج على الإفتاء بقبول توبة المتجنس ومعاملته معاملة المسلمين بينما هو لا يحتكم إلى شرعهم ولا يمت إلى جامعتهم بسبب.

حوادث التجنس في أنحاء الإيالة التونسية:

قصبة بنزرت:

بينما الحوادث تجري في العاصمة التونسية كما مر في الفصل السابق إذا بحوادث أخرى أفظع منها تقع في قصبة بنزرت "فير يفيل" ذلك أن أحد المتجنسين فيها – وهو المسمى عيسى بو عقلين – توفي وأرادت الحكومة دفنه غصباً في مقابر المسلمين، رغماً عن كونه لا تنطبق عليه الفتوى المفتعلة، على فرض التسليم بصحة ما جاء فيها من أن المتجنس إذا حضر لدى الحاكم الشرعي وأشهد على نفسه أنه تبرأ من جميع الأديان ونطق بالشهادتين تقبل توبته بعد ردته ويعامل معاملة المسلمين ولو مع بقائه على الاحتكام إلى غير شريعة الإسلام. ولما عارض مسلمو قصبة بنزرت في دفنه بمقابرهم عمدت الحكومة إلى فرقة كاملة من الجند أرسلتها ليلاً على هذه البلدة بخيلها وسلاحها وأمطرت المتجمهرين وابلاً من رصاص الرشاشات والبنادق واستمر إطلاقها من الساعة 10 ليلاً إلى السادسة صباحاً فخربت عدة أماكن وجرح الكثير من مسلمي البلدة الوادعين المسالمين، ومن الغد زيد في عدد الجند والسلاح وحوصرت البلدة ومنع الداخل فيها والخارج منها، وقبض على كافة المنتمين للحزب الحر الدستوري بها وأودعوا السجن، ثم حملت جثة المتوفى تحت السيوف والبنادق والرشاشات في مساء ذلك اليوم، وصلى عليه عامل بنزرت محمد بن الخوجة لعدم وجود من يصلي عليه من المسلمين، وغسله أحد أعوان

العامل المذكور ودفن في قبره الأول من نوعه لأنه محاط بالإسمنت والحديد خوفاً من نبشه بعد دفنه، وأقيم عليه حرس من الجند لا يزال قائماً إلى الآن.

ثم أرسلت الحكومة الجند على بيوت سكان القرية بدعوى التفتيش على السلاح الموجود فيها، ففتكوا بأهلها وشردوا نساءها وصغارها يهيمون في الجبال، وكسروا كل ما وجدوه من أمتعتهم وأبادوا كل ما ادخروه من أقوات وفي 27 بيتاً فتشوها ولم يعثروا إلا على أربع قطع من السلاح المرخص في حمله للحراسة والصيد فحجزوها، ولا تزال البلدة على روعها محاطة بالجند المدجج بالسلاح والرقابة مضروبة على أهلها والذين أودعوا السجون لا يزالون بها لحد الآن، وقد تطوع للدفاع عنهم محامون من رجال الحزب.

في منزل جميل:

وفي هذه القرية متجنس منعه مسلموها من دخول المسجد لارتداده بالتجنس عن دين الإسلام، فرفع أمره إلى حاكم البلدة وفي أسرع من لمح البصر زحف عليها الجند وأجبروا سكانها على إدخال المتجنس للجامع فتركوه والجامع وأقاموا صلواتهم في أماكن أخرى من البلدة وبقي الجند مرابطاً إلى الآن.

بنزرت:

أخذت السلطة الفرنسية في هذه البلدة تحقق مع الكاتب العام لشعبة الحزب الحر الدستوري هناك السيد الطيب بن القايد حسين وثلة من أحرار البلدة بشأن توقيعهم على عرائض الاحتجاج الموجهة للحكومة ضد الفتوى المتعلقة بالتجنيس، ولا يزالون في استنطاق وهم بحالة سراح إلى الآن، وقد وقع تهديدهم بالسجن والإبعاد إن هم عادوا لمثل هذه الخطة.

ماطر:

تظاهر سكانها وهتفوا في جموع عظيمة بسقوط الفتوى، واجتمعوا في جامعها لذكر اسم الله "اللطيف" إظهارا لامتعاضهم مما نزل بالإسلام وأهله من محنة، وأخذت الإدارة هناك تحقق مع رجال الحزب الحر فيها وبالأخص زعيم الحركة هناك السيد حمودة ميهوب الذي هدد بالإبعاد عن الوطن التونسي بتهمة إثارة القلاقل به في كل مناسبة.

فريانة:

أضرب أهالي هذه البلدة عن العمل يوماً كاملاً، احتجاجاً على فتوى التجنيس، وأرسلوا برقيات بذلك إلى المراجع العليا كما أبرقوا إلى الحزب يؤيدونه في موقفه ضد الفتوى والتجنيس فنقمت السلطة عليهم هذا الأمر وأسرت لهم الإيقاع بهم، واتفق أن حدث من الغد حريق في مناشر الحلفا فأجبرت السلطة أهالي البلدة – كما هي عادتها – على إطفاء ذلك الحريق فامتثلوا، ولكنهم بمجرد الشروع في العمل سمعوا أصحاب الحلفا الفرنسيين واليهود يشتمون دين الإسلام ظناً منهم أن الذي أضرم النار من مسلمي القرية فاحتج المسلمون على هذا الاعتداء وإزاء احتجاجهم استنجد عامل الجهة الجيلاني بن رمضان الذي كان من الوطنيين ثم صار عاملاً لحكومة الاحتلال بقوة الجند والدرك فأرسلت إليه قوة من سوسة وأخرى من قفصة وقبض على المنتمين للحزب في القرية وزجوا في السجن فاحتج رفاقهم وأرادوا أن يدخلوا السجن معهم إعلاناً لتضامنهم فما كان من جنود الدرك إلا أن ضربوهم الضرب المبرح وأدخلوهم السجن ودخل العامل عليهم السجن وأخذ يضربهم بهراوة كانت بيده ومن الغد سيق خمسة منهم إلى سجن مدينة سوسة حيث أحيلوا على محكمتها الفرنسية لتحاكمهم بصفتهم متهمين بضرب جنود الدرك وأطلق سراح الباقين ووضعت عليهم الرقابة من عيون الحكومة وأعوانها السريين.

قفصة:

وفي قفصة أغلقت البلاد يومين كاملين وأضرب عن العمل فيها وتظاهر السكان مع من وفد إليها مما حواليها من جموع العربان وطافوا شوارعها وذهبوا إلى إدارة الحكومة وقدموا إليها عرائض احتجاجهم ضد العبث بالدين الماثل في فتوى توبة المتجنس وقبولها، وأرسلوا عرائض إلى سمو الباي وشيخي الإسلام بتونس وإلى مركز الحزب الحر الدستوري يؤيدونه في موقفه ويعاضدونه في دفاعه. وقد أجرت الحكومة أبحاثاً ضد المتسببين في هذه المظاهرة إلا أنها إلى الآن لم تسجن منهم أحداً.

____

[1]- من المناسب في هذا الصدد عرض نبذة قصيرة عن حياة هذا الباي:

هو: أحمد بن علي بن حسين بن محمود. ولد في تونس [قصر المرسي]، وتولى السلطة سنة 1347 هـ [1929] بعد وفاة ابن عمه الباي محمد الحبيب، كان فيه ورع وميل إلى الأدب، وانسياق إلى مناصرة الحركة الوطنية في بلاده، إلا أنه لم يكن له من الأمر غير الاسم والمظهر، وفي حكومة تونس على عهده 12 ألف موظف فرنسي تبلغ رواتبهم 53% من مجموع الميزانية، والوظائف العليا وقف على الفرنسيين، ولا يزيد عدد الموظفين التونسيين على أربعة آلاف. [عن كتاب الأعلام، لخير الدين الزركلي].

المصدر: http://www.alsunnah.org

=============

#مسألة تجنيس المسلمين بالجنسية الفرنسية (3)

الإسلام وإدارة الحزب الحر أيضاً.

نفطة:

ولم تتخلف نفطة عما قام به أهل قفصة وتوزر بل كان فيها ما كان في جارتيها أيضاً من مظاهر الاحتجاج والاستنكار.

وأرسل أهالي المناوي. ودقاش. والحامة. والمطوية، وقابس. وجربة، ورأس الجبل، وعوسجة، والعالية، وغار الملح، وحاجب العيون، وأبة كسور، والقليبية، ومنزل تميم، ودار شعبان وغيرها من أمثالها من البلدان عرائض وبرقيات الاحتجاج الممضاة من طبقات سكانها فكان لها الوقع العظيم.

سوسة:

وفي صبيحة الثلاثاء 23 ذي الحجة 1351 أصبحت عاصمة الساحل (سوسة) مضربة عن العمل مغلقة دكاكينها وبكر الناس فيها إلى جامعها الكبير، وبعد أداء فريضة الصبح أخذ المصلون في تكرار اسمه – تعالى – »اللطيف« ثم خرجوا من الجامع الكبير في مظاهرة عجت بها أكبر شوارع هذه العاصمة، وسارت المظاهرة بين هتاف الرجال وولولة النساء والمناداة بسقوط الفتوى والتجنس وبحياة وبقاء الجنسية العربية التونسية، وقصد المتظاهرون دار عامل البلدة ومراقبها المدني حيث تقدمت لجنة منهم إلى كل من العامل والمراقب وسلمته عرائض الاحتجاج وتلت على

مسامعه خطاباً مؤثراً في الموضوع. وقد أحيطت هذه الجموع بجيوش جرارة من العساكر شاكي السلاح وكذلك البوليس والدرك وقد حاولت هذه القوات تفريق الجماهير المحتشدة ولكن بدون جدوى وبقيت البلدة على هذه الحال إلى آخر النهار.

مساكن:

وكان على أثر مظاهرة سوسة قام سكان بلد (مساكن) بمظاهرة كبيرة واجتماع في جامع البلدة وقدموا عرائض احتجاجهم لخليفة العامل عندهم ووقع الإضراب عن العمل كامل اليوم أيضاً.

القلعة الكبيرة:

تظاهر سكان (القلعة الكبيرة) من الغد أيضاً وأضربوا عن العمل وأبلغوا عرائض احتجاجهم إلى خليفة العامل ببلدتهم أيضاً.

المكنين وقصر هلال:

اجتمع من الغد سكان هاتين البلدتين المتجاورتين، وقاموا بمظاهرة كبيرة خطب فيها الخطباء بما يناسب الموضوع وسلموا عرائض احتجاجهم إلى العامل هناك.

وقد أيدت بلدان الساحل هذه في احتجاجاتها صفاقص والقلعة الصغيرة وأكودة وحماد سوسة والصبيبة والمنستير والساحلين وطبلبة ولمعلة وقصور الساف وطبربة ومجاز الباب والكريب وسليانة.

وبالجملة فإنه لم يبق بلد من بلدان المملكة لم يحتج ضد هذا الصنيع وأصبحت البلاد على أشد حالة من الاضطراب والقلق خصوصاً عند ما قابلت الحكومة مظاهرات الشعب السلمية الهادئة بالجند والسلاح.

المحاكمات:

أول محاكمة هي التي أحيل فيها 17 رجلاً من المتظاهرين بتونس على المحاكم التونسية وتطوع بالدفاع عنهم الأساتذة صالح فرحات الكاتب العام الثاني للحزب والطيب الجميل العضو الأول بلجنة الحزب، فأطلق سراحهم وحكم عليهم بغرامات مالية تتراوح بين المائة والمائة والخمسين فرنكاً من مصاريف نشر الدعوة.

تم محاكمة الذين أحيلوا على المحكمة الفرنسية لتضاربهم مع ضباط الجند وجرح البعض منهم وهؤلاء ناضل عنهم الأساتذة الطيب الجميل المذكور والطاهر صفر

ومحمد بورقيبة وعز الدين الشريف. وقد وقعت مشادة بين المدعي العمومي والأستاذ صفر كادت تؤول إلى ما لا تحمد عقباه، لأن الأستاذ صفر قال أن رجال الحكومة من جند وبوليس وغيرهم هم المعتدون لا هؤلاء العزل المسالمون الذين جئتم بهم إلى هنا، فصاح المدعي العمومي إنك تتهم الحكومة وقد أقسمت اليمين على احترامها عندما رخص لك في المحاماة، فأجابه: إنما أقسمت على احترام العدل والحق لا الحكومة، وعندها صاح المدعي العمومي مستنجداً بالرئيس أن يسكت هذا المحامي، فصاح الرئيس: إني أمنعك من الكلام إن سرت على هذا الأسلوب في المرافعة، فقال الأستاذ صفر عضو اللجنة التنفيذية للحزب: إن مهمتي هي الدفاع وإن القانون يعترف بوجود معتد ومعتدى عليه والمعتدي هنا هو الحكومة في نظري فيجب أن أقلب الدعوى عليها بفائدة الموكل المعتدى عليه حتى يتضح الحكم وينزل العدل منزلته وكلنا يحترم العدالة، واستمر الأستاذ في مرافعته وتلاه الآخرون ولم يفسد هذا الجو إلا مرافعة أحد المحامين المسمى محمد علي بن مصطفى بن خير الله ابن مصطفى الذي لعبت فرنسا على يده وبواسطته والوزير الجلولي سابقاً ذلك الدور الذي آل إلى استفتاء الباي محمد الناصر – رحمه الله – وأخ الشاذلي خير الله الذي كان في صفوف الوطنيين ثم لعبت به أيدي أذناب الحكومة فرموا به في هوة الخروج عن الحركة الوطنية وطعنها في الصميم. وقف هذا الأرعن مدافعاً عن أحد المتهمين فقال: إني أخجل من الوقوف أمامكم أيها السادة مدافعاً عن هؤلاء الذين آذوا سمعة فرنسا في جنسيتها، وإنما أقول لكم أنهم بسطاء دفعهم آخرون إلى هذا الاجرام وأرجو أن لا يتكرر هذا العدوان بين من تقلدوا جنسيتكم وبقوا على ديننا... الخ. فامتعض من هذه المرافعة حتى اليهود والافرنج الذين حضروها وكان لها الوقع السيء لدى كافة التونسيين.

وأخيراً حكم على أحد المتهمين بعامين سجناً وعلى اثنين بعام لكل واحد وعلى اثنين آخرين بعام ونصف لكل واحد أيضاً، والبقية من ثمانية أشهر إلى أربعة أشهر سجناً، وقد استأنف أكثرهم الحكم إلى محكمة الجزائر الفرنسية.

وبعد هؤلاء جاء دور محاكمة المتهمين في فريانة المحالين على محكمة سوسة وسافر من تونس للنضال عنهم الأستاذ الطاهر صفر وناضل عنهم في سوسة

الأستاذ الطيب القسام وحكم عليهم بمدة تتراوح بين العامين والعام مع ما يقرب من الأربعة آلاف فرنك غرامة لكل منهم. وسبب الحكم بالغرامة هو ما طلبه المدعي العام هناك من قوله أن هؤلاء في الحقيقة لا ذنب لهم والمجرمون الحقيقيون لم يصلوا إلى قفص الاتهام بعد، فيجب أن يشملهم الحكم بوضع غرامة يدفعها أولئك الذين دفعوا هؤلاء لوقوف هذا الموقف. وكذلك كان، ولكن المحكوم عليهم استأنفوا الحكم إلى محكمة الجزائر الفرنسية أيضاً.

وبعد هؤلاء أحيل نحو 27 على محكمة المخالفات فحكمت عليهم بغرامات مالية خفيفة مع إخلاء سبيلهم. [1]

القيروان:

ولم تتخل عن هذه الحركة عاصمة الأغالبة والعبيديين، ومحط رحال أصحاب الرسول الأعظم من الفاتحين، فقد أغلقت المحلات التجارية كلها وتجمهر الناس صباحاً في مقام الصحابي الكريم أبي زمعة البلوي – رضي الله عنه – وخرجوا من هناك حاملين الأعلام الوطنية يتقدمهم سيد شباب القيروان الشريف ابن الشريف السيد الشاذلي عطاء الله وطافوا المدينة وتقدموا إلى دار العامل والمراقبة المدنية فوجدوا المراقب بالباب يخاطبهم بلسانه الفرنسي: قدّموا إلي وفداً منكم فتقدم ثلاثة – منهم السيد الشاذلي عطاء الله – فزجهم في السجن وأحاط الجنود بالمتظاهرين فجأة وأخذوا يضربون الناس على وجوههم بمؤخرة البنادق حتى أدموهم، والمراقب بعصاه يمعن فيهم ضرباً وشتماً وأخذ أعوان البوليس يزجون الناس في السجن، وبقي الناس على هذا الحال كامل ذلك اليوم. ومن الغد أحيل ثمانية من الموفدين على المحاكمة وأطلق سراح الباقين. وبعد أيام أطلق سراح السيد الشاذلي عطاء الله وأعلنت محاكمة الباقين فسافر للنضال عنهم السيد الحبيب بورقيبة والأستاذ صالح فرحات فحكم المجلس بإطلاق سراح أحدهم وبالتخلي عن القضية للمحكمة الفرنسية في الباقين لأن القضية سياسية، وعملاً بقانون عام 1926 تحال كل القضايا السياسية على المحكمة الفرنسية. واستأنف المحاميان هذا التخلي إلى محكمة الوزارة بتونس وكادت التحقيقات مع الموقعين على البرقيات والعرائض أن تعم كل الإيالة ولا ندري ماذا تكون نتيجتها بعد.

وفاة زوجة أحد المتجنسين:

وبينما الحالة لم تستقر بعد على قرار إذ بنبأ يثير العاصفة من جديد، ذلك هو نبأ وفاة زوجة عبد القادر القبايلي رئيس جمعية المتجنسين من التونسيين المسماة (جميعة المسلمين الفرنسيين) وهذه المرأة متجنسة أيضاً بالجنسية الفرنسية، ورغماً من إشارة أهلها على زوجها بدفنها في إحدى المقابر المتروكة فإنه صمم على دفنها بمقبرة الجلاز تحدياً للمسلمين الذين نصب نفسه عدواً لهم اعتماداً على ولائه وانحيازه إلى الفرنسيين. وما كان يذاع خبر موتها ليلاً بشاطئ حلق الوادي حيث سكناها حتى اجتمعت حول دارها مظاهرة من لفيف عملة المكان ليلاً وأنذروا زوجها بأنه لا يمكنهم أن يتركوه يضعها في مقابر المسلمين، فاستنجد بجنود الدرك فأنجدته الحكومة بقوة منها "بضباطها" وجاء عامل أحواز الحاضرة التونسية ومراقب تونس وباتوا عنده كامل الليل ومن الغد لم يجدوا من يغسل المرأة، لأن الغاسلات [2] امتنعن من غسلها لاعتبارها مرتدة عن الإسلام فصبت عليها قريباتها الماء وصلى عليها عمها بالدار، ورفعت على سيارة وما كادت تصل إلى مقبرة الجلاز بتونس حتى وجدت الجموع المتراصة تحمي المقبرة، وتمنع هذه المتجنسة من أن تدفن فيها، وجاء الجند والرشاشات والمدافع والدبابات وأخذت هذه القوى تفرق الناس وتحمي الجثة وكان الناس قد هدموا القبر الذي أعد لدفنها وصاحوا بسقوط القبائلي ومشروع التجنيس، وما جاءت الساعة السادسة حتى دفنت هاته الجثة تحت السيوف وأفواه البنادق والرشاشات، وأبقوا فرقة من الجند تحرسها إلى ساعة كتابة هذا خوفاً من أن تخرج من القبر ووقع اعتقال الكثيرين من المشتركين في المظاهرة.

استنطاق رجال العلم:

ولما أعيت شيخ الجامع الحيلة في حل الاعتصاب الصادر ضده من طلبة جامع الزيتونة وأثر هذا الاضراب على مركزه ومركز الوزير الأكبر معه، وقوبل من الأمة بالسخط والغضب، عمد إلى استعمال كافة الوسائل لمعالجة الموقف، فلم ينجح، وكان المدرسون بالجامع الأعظم قد امتعضوا من سلوك رجال الافتاء نحو الدين والوطن فأرادوا أن يرفعوا المعرة فأجمعوا على وضع فتوى تعارض الفتوى الأولى فلما بلغ هذا الأمر شيخ الجامع اتهمهم بأنهم المثيرون للاغتصاب والمحرضون على

الإضراب، فما كان من الحكومة إلا فتح بحث ضدهم في هذا الشأن ولكنهم أظهروا في هذا الأمر شجاعة كانت مضرب الأمثال لأنهم صرحوا بكل ما يعتقدونه وتعتقده الأمة في شيخ الجامع ونشروا الفتوى المعارضة بعد هذا البحث وكان لها صداها حتى أن سمو الباي قد تأثر بما جاء فيها وطالب بإلحاح إحداث مقبرة خاصة بالمتجنسين اعتماداً على الحكم بردتهم وعدم صحة قبول توبتهم ولازال هناك أخذ ورد بين سمو الباي والمقيم العام في هذا الأمر.

ولا يزال الإضراب عن الدروس مستمراً إلى اليوم وقد بارح أكثر الطلبة العاصمة إمعاناً في الإضراب وتحقيقاً لعدم العودة إلى الدروس إلا أن يعزل شيخ الجامع الذي أفتى في دين الله بغير ما أنزل الله. وقد عمد أخيراً شيخ الجامع الطاهر بن عاشور [3] إلى كتابة مكتوب فيه إعلان الثقة به وسلمه إلى أحد أذنابه يطوف به على المدرسين ويطلب إليهم التوقيع عليه فامتنعوا عن ذلك وتبرأ والد هذا الطائف من أعماله وقبحها على صفحات الصحف.

وتدور إشاعة في البلاد مفادها أن المقيم العام عازم على وضع البلاد تحت حالة الحصار وإبعاد كافة المشتغلين بالحركة الوطنية إلى خارج المملكة وقد تأيدت هذه الإشاعة بعدة أمور منها مجيء رئيس لجنة الأمور الخارجية بفرنسا م. فرنوت إلى تونس لإجراء بحث في أسباب الحوادث الأخيرة واستفيد من محادثاته أن هناك تقريراً أرسله المقيم العام في الحوادث الأخيرة ينذر فيه الحكومة بشر مستطير ويقول يجب أن تطلق يده في البلاد ليعمل تحت مسئوليته ما يريد ولكن لجنة الأمور الخارجية أبت أن تطلق يديه ما لم تتبين الموقف جيداً فأرسلت أحد أعضائها للبحث وقد استقبل هذا العضو من لدن الهيئة الرئيسية للحزب الحر وقررت له الحالة كما هي ونظرية المسلمين فيها وهو الآن يطوف أنحاء المملكة يبحث ويستعلم عن الحالة هناك.

هذه خلاصة ما وقع من الحوادث لحد ساعة كتابة هذا وفي عزم التونسيين أن لا يتركوا متجنساً يدفن في مقابرهم إلا بالقوة القاهرة وبالأمر الذي لا يستطيعون له دفعاً ولا يعلم إلا الله ماذا ينجم عن هذه السياسة الخرقاء التي تتبعها حكومة فرنسا نحو المسلمين في شمال أفريقيا.

خاتمة:

إن المسلمين في تونس قد دافعوا بما يستطيعون عن عروبتهم وإسلامهم وقد كانت نكبتهم هذه المرة على أيدي علماء الدين منهم وحاشا للدين أن يرضى بهذا الانتساب إليه. وكانت حجة فرنسا الوحيدة هي فتوى الشيوخ بتونس فتونس اليوم تستصرخ العالم العربي والعام الإسلامي وتستنجده للدفاع، وعسى أن يجد صوتها المتهدج آذاناً صاغية وقلوباً واعية من رجال الدين والسياسة ومن عامة المسلمين والله ولي المؤمنين...

---

[1] - رغم وحشية الاستعمار الفرنسي، فقد كانت الأحكام الصادرة بحق المعارضين لسياسة التجنيس أرحم من الأحكام التي اتخذها الحبيب بورقيبة ضد الدعاة المعارضين، وأحكام بورقيبة التي وصلت إلى حد اغتيال زملائه المعارضين الذين لجأوا إلى ديار الغرب أقل وحشية من الأحكام الوحشية التي اتخذها - ولا يزال - ابن علي

[2] - كيف كنا وكيف أصبحنا؟ نساء من عامة الناس يرفضن غسل إحدى الهالكات لأنها تجنست بجنسية المستعمر الذي يعمل لطمس الهوية الإسلامية!! ليت الخاصة اليوم يبلغون هذا المستوى.

[3] - شيخ جامع الزيتونة هو الطاهر بن عاشور صاحب المؤلفات الكثيرة ومنها تفسيره "التحرير والتنوير"، وعجيب وقوفه هذا الموقف الشاذ، ولا نرى له عذراً في ذلك، فقد كان سنداً للوزير الأكبر - رجل فرنسا - وكان وإياه في جبهة واحدة ضد الشعب وعلمائه، وضد الباي، ولم يتردد في تنفيذ كل ما طلب منه، بل كان يتخذ مبادرات لا تطلب منه.

المصدر : http://www.alsunnah.org

=============

#مسألة تجنيس المسلمين بالجنسية الفرنسية (4)

قدم أحد التونسيين إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ يوسف الدجوي من هيئة كبار العلماء في مصر السؤال الآتي:

س: ما قول سادتنا العلماء أمتع الله بهم الأمة في رجل مسلم تجنس بجنسية أمة غير مسلمة اختياراً منه والتزم أن تجري عليه قوانينها بدل أحكام الشريعة الغراء حتى في الأحوال الشخصية كالنكاح والطلاق والمواريث ويدخل في هذا الالتزام أن يقف في صفوفها عند محاربتها ولو لأمة إسلامية فهل يكون نبذه لأحكام الشريعة الإسلامية والتزامه لقوانين أمة غير مسلمة طوعاً منه ارتداداً عن الدين، وتجري عليه أحكام المرتدين، فلا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين أو كيف الحال؟ وإذا كان خلع أحكام الشريعة من عنقه والتزامه لقوانين أمة غير مسلمة ردة، فهل ينفعه أن يقول بعد هذا الالتزام إني مسلم وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ أفتونا أعلى الله بكم كلمة الدين وجعلكم من العلماء الراشدين المرشدين. أحد التونسيين النازلين بمصر

فأجاب فضيلة الأستاذ – حفظه الله – تعالى – بما يأتي:

ج: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه، وبعد: فقد قرأت شيئاً عن هذا الموضوع موضوع التجنس بالجنسية الفرنسية الذي يشير إليه حضرة السائل في سؤاله، وفي تونس الآن حركة تدمي القلوب وتفتت الأكباد وما يراد بتلك الحركة وأمثالها كالظهير البربري المعروف إلا محو الإسلام من تلك البلاد ذات التاريخ المجيد في خدمة الدين والعلم بما أنجبت من أكابر الفضلاء وفحول العلماء وإنه ليجب على المسلمين أن يتيقظوا لما يدبر لهم في الخفاء وما يراد بهم من الأعداء الذين لا يألون جهداً في الكيد لهم والتفنن في وسائل الإيقاع بهم والعمل على إخراجهم من دينهم واستعبادهم في أوطانهم والسير بهم في طريق يؤدي إلى الكفر لا محالة، وقد استعملوا لذلك ضروب الحيل وشتى الوسائل، ولقد مر بنا من الحوادث ما فيه مزدجر وقام على سوء نيتهم وكذب دعاويهم ما فيه عبرة لأولي الألباب.

إن التجنس بالجنسية الفرنسية والتزام ما عليه الفرنسيون في كل شيء حتى الأنكحة والمواريث والطلاق ومحاربة المسلمين والانضمام إلى صفوف أعدائهم معناه الانسلاخ من جميع شرائع الإسلام ومبايعة أعدائه على ألا يعودوا إليه ولا يقبلوا حكماً من أحكامه بطريق العهد الوثيق والعقد المبرم (وهل بقي بعد هذا من الإسلام شيء؟) وإن هناك فرقاً كبيراً بين من تسوقه الشهوات بسلطانها الشديد إلى الزنا

وشرب الخمر مثلاً وبين من يلتزم هذه الأشياء مختاراً لها على شرائع الإسلام التي نبذها وراء ظهره وأعطى على نفسه العهود والمواثيق ألا يعود إليها فإن صاحب الشهوة يفعل ما يفعل بمقتضى سلطانها الطبيعي القاهر وهو يتمنى أن يتوب إلى الله عليه فهو معتقد قبح ما يفعل وسوء مغبته، وربما كان قلبه ممتلئاً بمحبة الله ورسوله كما قال: لأصحابه عندما لعنوا ذلك الذي حُد في الخمر مراراً لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله فمثل هذا يوشك أن يندم على ما فعل ويتوب مما اقترف وأما حليف الفرنسيين الخارج من صفوف المسلمين طوعاً واختياراً مستبدلاً لشريعة بشريعة وأمة بأمة مقدماً ذلك على اتباع الرسول بلا قاسر ولا ضرورة فلابد أن يكون في اعتقاده خلل وفي إيمانه دخل وإذا حللنا أحواله القلبية ونزعاته النفسية وجدناه منحل العقيدة فاسد الإيمان فهو من وادي من قال الله فيهم: ((ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً)) [النساء/ 60 – 61]، وهذه الظواهر التي تدل على فساد البواطن ينبغي أن لا نتغافل عنها ولا عن ما صاحبها من تلك القرائن التي تنطق بالبعد عن حقائق الإيمان وتدل على سوء المقصد وقبح الغاية (ولله در المالكية في نظرهم البعيد حيث لم يقبلوا التوبة من الزنديق الذي قامت القرائن على كذبه في دعوى الإسلام وإن لذلك مدى كبيراً في نفسي فقد كان لهم من بعد النظر وحسن السياسة للشريعة المطهرة ما يعرفنا أنهم بالمحل الأول من الحكمة واليقظة ولولا ذلك لكان الإسلام لعبة في يد هؤلاء الزنادقة ولكان المسلمون لديهم مثال الغفلة والبلاهة والجهالة، فما أسرع ما كانوا يهزؤون بهم ويسخرون من عقولهم وقد رأينا ذلك في ملاحدة مصر [1] حيث يأتي الرجل بالكفر الصريح والإلحاد المكشوف والإقذاع الفاحش ثم يكتب على صفحات الجرائد أنه يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ويقول بعض ذوي القلوب السليمة من العلماء أنه إن كفر بالأمس فقد أسلم اليوم، ولم يدر أننا صيرنا الإسلام بذلك هزأة الهازئين وسخرية الساخرين وأضحوكة الزنادقة والملحدين، فجزى الله المالكية عن الإسلام خيراً فما أوسع نظرهم وأعرفهم بتلك النفوس الخبيثة ومقدار تفننها في الخبث والدهاء (وما أعظم استعدادها

لأن تظهر بكل لون وتتشكل بكل شكل) على أننا لو تنزلنا غاية التنزيل فلسنا نشك في أن هؤلاء المتجنسين بالجنسية الفرنسية على أبواب الكفر وقد سلكوا أقرب طريق إليه وليس يخفى ضعف النفوس وتأثرها بما تعتاده وتألفه فهي طريق موصلة لغايتها توصيلاً طبيعياً لا محالة وقد رأينا المدنية الأوربية وما فعلت بنا والتقاليد الغربية وما أفسدت من أبنائنا الذين سارت بهم مسيراً تدريجياً في طريق الفساد الذي قضى على الدين والآداب والأخلاق قضاء مبرما، ومما لاشك فيه أن أبناء أولئك المتجنسين لابد أن يكونوا خلواً من الإسلام براء من ذويه لا يعرفون غير الكفر ومحبذيه ولا شك أن الرضا بالكفر كفر، والوسيلة تعطي حكم المقصد وما لا يتم الكفر إلا به فهو كفر ومن عزم على الكفر بعد خمسين عاماً فهو كافر من الآن ولا يمكننا أن نفهم إلا أن هذا استحلال لما حرم الله ورد لما أوجبه – سبحانه وتعالى– [2]. وبعد فإن كان هؤلاء يعتبرون أنفسهم مؤمنين فليعلموا أن الحب في الله والبغض في الله من الإيمان والحب في الشيطان والبغض في الشيطان من الكفر، وليس هناك ميزان صحيح لوزن الإيمان الصحيح غير الحب في الله والبغض في الله وقد ورد في الصحيح أن المرء مع من أحب فإنه لا يحبه إلا إذا كان بينه وبينه تشاكل في النفوس وتوافق في النزعات وتقارب في الاستعداد وإلا وقع التباين فكانت البغضاء والمقاطعة وقد قال – صلى الله عليه وسلم –: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"، ويقول – صلى الله عليه وسلم – أيضا: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به". ويقول الله – عز وجل –: ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً)) [النساء/ 65]، ويقول: ((قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)) [التوبة/ 24]، ويقول: ((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم)) [المائدة/ 51]، ويقول عز من قائل: ((لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو

كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم)) [المجادلة/ 22]، والآية على ظاهرها متى كانت المودة قلبية بالغة ذلك الحد الذي ينم عن ما امتلأت به النفس فإن ذلك منبئ عن فساد الإيمان ولابد، وأي حد أبعد من أن يحارب المسلمين ولا يكون في صفوفهم ولا يحرم المحارم ولا يعتبر طلاقاً شرعياً ولا زواجاً شرعياً ولا ميراثاً شرعياً. وعلى الجملة فهو رجل اختار غيرنا فلا نقول إنه منا وكيف نجعله منا وهو ينادي بأنه ليس منا، بل نقول: إنه فتح بفعله هذا باب الكفر ومهد السبيل لأمة بأسرها لخطر الخروج عن حظيرة الإسلام إن عاجلاً وإن آجلاً لا قدر الله. وإنا نرى شبهاً كبيراً بين من يختار أن يسير على شريعة الفرنسيين دون شريعة المسلمين وبين جبلة بن الأيهم الغساني حين لطم الفزاري فأراد عمر رضي الله عنه أن يقتص منه، فلم يرض بحكم الدين، وفر إلى الشام مستبدلاً الإسلام بالمسيحية ((ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)) [آل عمران/ 85]، وأما تلفظه بالشهادتين فلا يفيده مطلقاً، وقد قلنا إن شأنهم مخادعة المسلمين والهزء بهم إذا خلوا إلى شياطينهم، وأنت تعلم أن هناك مكفرات كثيرة ذكرها العلماء في باب الردة وليس كل من ينطق بالشهادتين يعتبر مسلماً كما بينه الفقهاء، وقد أكثروا من موجبات الردة خصوصاً الحنفية. أو نقول إن هذه الأفعال تكذبه في دعواه الإسلام وتنطق بأن شهادته هذه ليست من قلب ولا عن عقيدة وإلا لم يأت بما يناقضها ((إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله، والله يعلم إنك لرسوله، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون)) [المنافقون/ 1]، ومع ذلك كله فإننا نقبله ونرحب به متى جاءنا رافضاً ما التزمه من العمل بشريعتهم راجعاً إلى حظيرة الإسلام تائباً نادماً على ما كان منه، والتوبة تجب ما قبلها وقد قال – تعالى –: ((... إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير، وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير)) [الأنفال/38–40].

فيا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ولا تغتروا بأساليب الاستعمار وحيل المستعمرين بعدما اتضح أمرهم وافتضح سرهم ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، وليعلم المسلمون أن الروح التبشيرية والنزعة الصليبية لا تفارقهم على الرغم من تلك

الدعاوى الكاذبة فهم مبشرون متعصبون في بلادنا ولو كانوا لا دينيين في بلادهم [3]، ولو فرضنا أنهم قهروكم على ذلك وجبت عليكم الهجرة وجوباً لا هوادة فيه وإلا كنتم ممن يقال لهم: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، والأمر أوضح من أن نطيل فيه أو أن نستدل عليه وهو على ما يقول الله – تعالى –: ((قد بينا الآيات لقوم يوقنون))، ((ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير)) [البقرة/ 120]، هذا وإذا بحثت عن نكبات المسلمين في جميع عصورهم وأدوار تاريخهم وجدتها من علماء السوء وأمراء الهوى. أسأل الله أن يرشد المسلمين إلى صلاح أمرهم واتفاق كلمتهم وأن يقيهم شر زلل العلماء وجهل الأمراء بمنه وكرمه...

يوسف الدجوي من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف.

---

[1] – يشير – رحمه الله – إلى ما كان يكتبه طه حسين وأمثاله في الثلاثينيات من هذا القرن، وقد أصبحت معظم الصحف المصرية مرتعاً لأقلام الملاحدة والمرتدين.

[2] – عدد من القواعد الشرعية لخصها الشيخ في كلمات قليلة، ومنها أن الرضا بالكفر كفر، وهذا ما يجادل به اليوم بعض المنسوبين إلى العلم، نسأل الله لهم الهداية.

[3] – يظهر للقارئ إطلاع الشيخ الجيد على واقع عصره من خلال مقدمة الفتوى والخاتمة.

المصدر : http://www.alsunnah.org

=============

#مسألة تجنيس المسلمين بالجنسية الفرنسية (5)

فتوى علماء الهداية الإسلامية:

وضعت دولة فرنسا في تونس قانوناً فتحت به للوطنيين باب التجنس بالجنسية الفرنسية، ومعنى التجنس بهذه الجنسية أن ينسلخ المسلم عن أحكام الشريعة الإسلامية ويلتزم أن تجري عليه قوانين فرنسا حتى في الأحوال الشخصية – كالنكاح

والطلاق والمواريث – وأن يقف في صفوفها عند محاربتها ولو لأمة إسلامية، وأن يكون أولاده ومن يتناسل منهم فرنسيين كذلك.

وقد ألفت جمعية الهداية الإسلامية لجنة من أفاضل علمائها تحت رياسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ علي محفوظ وكيل الجمعية والمدرس بكلية أصول الدين، وبحثت اللجنة مسألة التجنس، فرأت أن الأدلة القائمة على ردّة المتجنس قاطعة، فكتبت فتوى بذلك وقدمتها إلى مجلس إدارة الجمعية فقرر نشرها بالصحف تحذيراً للمسلمين من الوقوع في هاوية الارتداد عن الدين. وقد جاءت هذه الفتوى موافقة لما أفتى به جماعة من جلّة العلماء أمثال حضرات أصحاب الفضيلة الأستاذ الشيخ الدجوي، والشيخ محمد شاكر، من هيئة كبار العلماء بمصر، والشيخ إدريس الشريف محفوظ مفتي بنزرت، وغيرهم.

ولم تكتف فرنسا بوضع هذا القانون الذي تفسد به على المسلمين أمر دينهم، بل استعملت القوة في دفن هؤلاء المرتدين في مقابر المسلمين.

فجمعية الهداية الإسلامية تنكر على الدولة الفرنسية استعمال القوة في دفن هؤلاء المرتدين في مقابر المسلمين، وترى أن في هذا العمل إهانة للمسلمين واستخفافاً بشعورهم واعتداء عليهم من ناحية من نواحي دينهم، وتنتظر من الدولة الفرنسية أن تدرك قبح هذا الاعتداء وتعرف ما ينتج عنه من سوء العاقبة وتعدل عن اضطهاد المسلمين في تونس وإكراههم على أن يعدّوا المتجنسين مسلمين، ويقبلوا دفن جثثهم وهم مرتدون عن الدين في مقابر معدة لدفن أموات المسلمين.

وهذا نص الاستفتاء والفتوى:

ما قول ساداتنا العلماء – أمتع الله بهم الأمة – في رجل مسلم تجنس بجنسية أمة غير مسلمة اختياراً منه، والتزم أن تجري عليه أحكام قوانينها بدل أحكام الشريعة الغراء حتى في الأحوال الشخصية كالنكاح والطلاق والمواريث، ويدخل في هذا الالتزام أن يقف في صفوفها عند محاربتها ولو لأمة إسلامية، كما هو الشأن في التجنس بالجنسية الفرنسية الآن في تونس.

فهل يكون نبذه لأحكام الشريعة الإسلامية، والتزامه لقوانين أمة غير مسلمة طوعاً منه ارتداداً عن الدين، وتجري عليه أحكام المرتدين، فلا يصلى عليه، ولا يدفن في

مقابر المسلمين، أو كيف الحال؟ وإذا كان خلع أحكام الشريعة من عنقه، والتزامه لقوانين أمة غير مسلمة ردة، فهل ينفعه أن يقول بعد هذا الالتزام إني مسلم أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ أفتونا، أعلى الله بكم كلمة الدين، وجعلكم من العلماء الراشدين المرشدين.

أحد التونسيين النازلين بمصر

الفتوى:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه. أما بعد، فإن التجنس بجنسية أمة غير مسلمة على نحو ما في السؤال هو تعاقد على نبذ أحكام الإسلام عن رضا واختيار، واستحلال لبعض ما حرم الله، وتحريم لبعض ما أحل الله، والتزام لقوانين أخرى يقول الإسلام ببطلانها، وينادي بفسادها.

ولا شك أن شيئاً واحداً من ذلك لا يمكن تفسيره إلا بردة ولا ينطبق عليه حكم إلا حكم الردة، فما بالك بهذه الأربعة مجتمعة في ذلك التجنس الممقوت؟

1 - إن الله - تعالى - يقول في نبذ أي حكم من أحكام الشريعة: ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما)).

2 - ويقول جل شأنه في النسيء، وهو من جملة استحلال الحرام وتحريم الحلال: ((إنما النسيء زيادة في الكفر [1] يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله، زين لهم سوء أعمالهم، والله لا يهدي القوم الكافرين)).

3 - ويقول - تعالى - فيمن التزم شريعة أخرى غير الإسلام: ((ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين))، أضف إلى ما سبق أن التجنس المذكور فيه موالاة للكفار، ونصرة لهم على المسلمين، وفيه تعاقد على أن هذا المتجنس يقف في صف الأمة غير المسلمة إذا نفر النفير ولو ضد أمة إسلامية.

ومثل هذه الموالاة ينعي الله على أصحابها، ويعتبرهم من جملة من والوهم، ويسمهم بالظلم، ويتوعدهم بأنه لا يهديهم، ويصفهم بمرض القلوب وبالجبن والخوف، ويفند

مزاعمهم في احتجاجاتهم الباطلة، وينادي على لسان المؤمنين بحبوط أعمالهم وبخسرانهم، ثم يحكم أخيراً – سبحانه – بردتهم، وينذرهم بالفناء والزوال وأن يستبدل بهم قوماً خيراً منهم. قال جل ذكره في بيان ذلك كله: ((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين، فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين، ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين. يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم)).

ثم إن مثل التجنس الفرنسي المذكور فيه فوق ما ذكر مودة لدولة تحادّ الله ورسوله، وتشاقّ المسلمين، وتستعمر ديارهم قوة واقتداراً، وتذيقهم كأس الظلم والإرهاق ألواناً، وتعمل على تنصيرهم بكل الوسائل والحيل، والله جلت قدرته يقول: ((لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم)).

النطق بالشهادتين:

أما النطق بالشهادتين مع التردي في هذه البؤر الخبيثة الموجبة للردة، ومع عدم الإقلاع عنها والتبرؤ منها والندم عليها؛ هذه الشهادة على تلك الحال لا تنفع صاحبها شيئاً وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، لأن الشهادتين إنما كانتا دليلاً على الإسلام باعتبار أنهما عقد بين العبد وربه على احترام أحكام دينه، والرضا عنه وعن تشريعه، وعدم تخطيه إلى شريعة أخرى. فإذا قامت قرينة ظاهرة تدل على عدم الإذعان لمقتضى هاتين الشهادتين لم يقبل إسلام من نطق بهما، كمن يقول كلمة التوحيد وهو يسجد لصنم، وكمن يقول أنا أؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهو يهين كتاب الله. فما بالك بالتجنس الآنف وهو جريمة متألفة – كما علمت – من أربع جرائم كل منها يكفي قرينة ظاهرة تدل على عدم الإذعان لكلمة الإسلام، وعلى ترك القيام بحقها.

وما مثل هؤلاء إلا كمثل من قال الله فيهم: ((ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً)).

إن الله – تعالى – سمى أمثال هؤلاء منافقين، واعتبرهم أشد من الكفار الظاهرين، وقال فيهم: ((إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً))، وفضحهم أشنع الفضيحة في سورة التوبة، ونهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يصلي على أحد منهم مات أبداً أو يقوم على قبره، مع أنهم كانوا يصلون بصلاة رسول الله، وكانوا يقفون في صف الجهاد معه، وكانوا يظهرون خضوعهم لأحكام الله، فكيف أنت بهؤلاء المتجنسين الذين رضوا بالوقوف في صف الجهاد مع فرنسا ولو ضد الإسلام، وأظهروا التبرؤ والانسلاخ من أحكام الله، وانضووا علانية تحت قانون ضد دين الله؟

إن أمثال هؤلاء زنادقة لم يكفهم أن يخرجوا من الإسلام ومن زمرة المسلمين، بل زادوا على ذلك بأن استخفوا بالإسلام وبالمسلمين، فهم أشد ممن قال الله فيهم: ((وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون. أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)). نعم زنادقة اليوم أشد من منافقي الأمس، لأن أولئك كانوا يتسترون في انضمامهم إلى العدو، وكانوا يستحيون أن يقولوا لشياطينهم إنا معكم إلا حين يخلون إليهم، أما مرتدو اليوم فقد انسلخوا عن الإسلام في جرأة، وناصروا العدو في عقد مكتوب محكم لا يسمح لهم ولا يسمحون هم لأنفسهم أن يرجعوا عنه يوماً، أو يتهاونوا في احترام نصوصه أبداً. وإن الله – تعالى – يقول: ((إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون. اتخذوا أيمانهم جُنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون)). وأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به". رواه البخاري. [2]

هل لهؤلاء من عذر؟:

ولا عذر لهؤلاء المتجنسين لأنهم ليسوا بمكرهين حتى نقول ما قال الله: ((من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان))، بل هم مختارون راضون كما يقول السؤال، وليس ما ينتظرونه وراء التجنس من حطام الدنيا وحظوظ العاجلة بمسوّغ لهذا التجنس، بل يجب أن يفر المرء بدينه متى استطاع، وإن ذهبت دنياه، اقرأ إن شئت قوله – تعالى –: ((قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)).

إن الشارع أوجب الهجرة من دار الكفر إن خاف المسلم على نفسه الفتنة، وتوعد الله – سبحانه – أولئك الذين يبقون في أوطانهم بين الفينة وهم قادرون على الهجرة فقال جلّ من قائل: ((إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا)).

هل لهؤلاء من توبة؟:

بقي الكلام على التوبة، هل تقبل من هؤلاء توبة؟ والجواب أنها تقبل، ولكن على معنى أن التوبة إصلاح للماضي بالندم على ما فرط فيه، وإصلاح للحال بالإقلاع من الذنب فوراً، وإصلاح للمستقبل بالعزم على عدم العودة إلى ذلك الإثم أبداً.

أما التائب الذي لم يقلع عن ذنبه فهو كالمستهزئ بربه وما يأتيه ليس بتوبة، إنما هي حوبة جديدة وأكذوبة سخيفة إذ يقول (تبت) وما تاب، و (رجعت) وما يرجع، مع أن ربه عليم بذات نفسه، لا تخفى عليه خافية.

فهؤلاء المتجنسون إن نبذوا عقد التجنس، وخرجوا عن مقتضياته، وندموا على ما فرط منهم، ورجعوا إلى أحكام الله واحترامها، وصمموا ألا يعودوا إلى ذلك التجنس أبداً؛ إنهم إن فعلوا ذلك فقد تابوا حقاً "والتائب من الذنب كمن لا ذنب له". أما إن بقوا على احترامهم لعقد التجنس، ونبذهم لعقد الله فأولئك لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً، ولو ملأوا الأرض من كلمة التوحيد، ومن ألفاظ التوبة والاستغفار، ومن مظاهر الصلاة والصوم والصدقة. قال – تعالى –: ((والذين كفروا أعمالهم كسراب

بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب)).

نصيحتنا:

وإننا ننصح لإخواننا المسلمين أن يتيقظوا لما يراد بهم في هذا الزمان من أعداء الإسلام وأعوانهم ممن يزعمون الإسلام؛ فإننا أصبحنا في فتن كقطع الليل المظلم، فيها يصبح الرجل مسلماً ويمسي كافراً ويمسي مسلماً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل، ويكفي ما نحن فيه؛ فقد طفح الكيل، وبلغ السيل الزبى واتسع الخرق على الراقع. نسأل الله السلامة، وإنا لله وإنا إليه راجعون...

التوقيعات

رئيس اللجنة أمين اللجنة

علي محفوظ محمد عبد العظيم الزرقاني

المدرس بكلية أصول الدين بالأزهر من علماء الأزهر

---

[1] - النسيئ في الآية الكريمة معناه تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر وكان العرب إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهرا آخر، فانزل الله هذه الآية نهيا لهم عن هذا النسيئ وبين لهم أنه زيادة في الكفر لأنه تحليل ما حرمه الله وتحريم ما أحله. بهو كفر مضموم إلى كفرهم.

[2] - لعل المقصود البخاري في قرة العينين والحديث رواه ابن أبي عاصم في السنة 12/1 وضعفه.

المصدر: http://www.alsunnah.org

=============

#مسألة تجنيس المسلم بالجنسية الفرنسية (6)

فتوى الشيخ محمد رشيد رضا:

ومن أدلة ذلك في القرآن قوله - تعالى - (4: 59 - 60): {ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى

الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً. وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا}.

الطاغوت مصدر الطغيان ومثاره، ويدخل فيه كل ما خالف ما أنزله الله وما حكم به رسوله – صلى الله عليه وسلم –، فإنه جعل مقابلاً له هنا وفي آيات أخرى. ومنه بعض أحكام القانون الفرنسي كإباحة الزنا والربا، دع مايستلزمه اتباع أي جنسية سياسية غير إسلامية من قتال المسلمين وسلب بلادهم منهم. ومما ورد في تفسير الآية بالمأثور أن سبب نزولها تحاكم بعض المنافقين إلى بعض كهان الجاهلية، وقد سمى – سبحانه – ادعاء هؤلاء المنافقين للإيمان زعماً، والزعم مطية الكذب. وقد بينا في تفسيرنا للأولى منهما اقتضاء الإيمان الصحيح للعمل، وأن الاستفهام فيها للتعجيب من أمر هؤلاء الذين يزعمون الإيمان ويعملون ما ينافيه، وإن الأستاذ الإمام سئل في أثناء تفسيرها في الجامع الأزهر عن القوانين والمحاكم الأهلية [1]، فقال: تلك عقوبة عوقب بها المسلمون أن خرجوا عن هداية قوله – تعالى –: {فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول} فإذا كنا تركنا هذه الهداية للقيل والقال وآراء الرجال من قبل أن نبتلى بهذه القوانين ومنفذيها فأي فرق [2] بين آراء فلان وآراء فلان، وكلها آراء منها الموافق لنصوص الكتاب والسنة، ومنها المخالف له؟ ونحن الآن مكرهون على التحاكم إلى هذه القوانين فما كان منها يخالف حكم الله – تعالى – يقال فيه – أي في أهله – {إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان} وانظر فيما هو موكول إلينا إلى الآن كالأحكام الشخصية والعادات والمعاملات بين الوالدين والأولاد والأزواج والزوجات، فهل ترجع في شيء من ذلك إلى الله ورسوله؟... الخ ما قاله. وقد وضحت المراد منه فيراجع في الجزء الخامس من التفسير.

وأقول: إن إكراه المصريين على ما يخالف الكتاب والسنة من القوانين قد زال الآن[3] بالاستقلال. فإثم ما يبقى منه بعد انعقاد البرلمان المصري في أعناق أعضائه وأعناق الأمة في جملتها، إذ هي قادرة على إلزامهم إلغاء إباحة الزنا والخمر وغير ذلك من المحرمات بالإجماع، هذا وإن المحاكم الأهلية وقوانينها خاصة بالأحكام المدنية والعقوبات التي تقل فيها النصوص القطعية المعلومة من الدين بالضرورة ومن حكم له فيها بربا محرم فليس ملزماً أخذه، ومن حكم عليه به وأكره على أدائه فهو معذور،

ولا يمس عقيدته ولا عرضه منه شيء، والحدود الشرعية في العقوبات خاصة بالإمام الحق، والتعزيرات مبنية على اجتهاد الحاكم - فاين حكم المحاكم الأهلية بالقوانين من قبول جنسية تهدم مافي ا لقرآن من أحكام النكاح والطلاق والإرث وغير ذلك، وهي اختيارية لا اضطرارية، ومن اختارها فقد فضلها على أحكام الله - تعالى - في كتابه، وعلى لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم -؟ وفضل أهلها الكافرين على المؤمنين بالفعل.

(ومنها): قوله - تعالى - (4: 64): {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما}، قال أبو بكر الجصاص[4] من أئمة الحنفية في تفسيرها من كتابه (أحكام القرآن) ما نصه: (وفي هذه الآية دلالة على أن من رد شيئاً من أوامر الله - تعالى - أو أوامر رسوله - صلى الله عليه وسلم - فهو خارج من الإسلام سواء رده من جهة الشك فيه أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم، وذلك يوجب صحة ماذهب إليه الصحابة في حكمهم بارتداد من امتنع من أداء الزكاة وقتلهم وسبي ذراريهم، لأن الله - تعالى - حكم بأن من لم يسلم للنبي - صلى الله عليه وسلم - قضاءه وحكمه فليس من أهل الإيمان) اهـ.

وقد بينا في تفسيرنا لهذه الآية ما ملخصه أن الإيمان الحقيقي وهو إيمان الإذعان النفسي المقابل لما يدعيه المنافقون لا يتحقق إلا بثلاث:

1 - تحكيم الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيما شجر أي اختلط فيه الأمر مما يتخاصم فيه الناس.

2 - الرضاء بحكمه وانشراح الصدر له بحيث لا يكون في القلب أدنى حرج أي ضيق وانكماش مما قضى به.

3 - التسليم والانقياد بالفعل.

ولا خلاف بين المسلمين في اشتراط هذه الثلاث في كل ما ثبت مجيئه به - صلى الله عليه وسلم - من أمر الدين، إذ لا يعقل اجتماع الإيمان الصحيح برسالته مع إيثار حكم غيره على الحكم الذي جاء به عن الله - تعالى -، ولا مع كراهة حكمه والامتعاض منه، ولا مع رده وعدم التسليم له بالفعل.

وجملة القول أن المسلم الذي يقبل الانتظام في سلك جنسية يتبدل أحكامها بأحكام القرآن، فهو ممن يتبدل الكفر بالإيمان فلا يعامل معاملة المسلمين، وإذا وقع من أهل بلد أو قبيلة وجب قتالهم عليه حتى يرجعوا. والمعقول أن هذا لا يقع من مسلم صحيح الإيمان بل لا يجوز عقلاً أن يصدر عنه، ذلك بأن الإيمان القطعي بأن أحكام النكاح والطلاق والإرث وتحريم الربا والزنا المنصوصة في القرآن من عند الله العليم الحكيم يقتضي تفضيلها على كل ما خالفها والعلم بأن التزامها من أسباب رضوان الله وثوابه، وترك شيء منها من أسباب عذابه وسخطه، يقتضي الحرص على الاستمساك بها فعلاً لما أوجب – سبحانه – وتركاً لما حرم، ودليله أن العلم بالمضار والمنافع يقتضي فعل النافع وترك الضار بسائق الفطرة، ويعرف ذلك كل إنسان من نفسه بالوجدان الطبيعي، ومن سائر الناس بالتجربة المطردة في جملة المنافع والمضار. وما يشذ من الجزئيات فله أسباب لا تنقض القاعدة التي بيناها مراراً. ويلتبس الأمر على كثير من الباحثين في بعض هذه الجزئيات فيحسبها ناقضة لقاعدة اقتضاء العلم القطعي أو الراجح للعمل، وجل هذا اللبس يرجع إلى خفاء وجوه الترجيح الطبيعي فيما يتعارض فيه العلم القطعي والظن والوجدان والفكر، مثال ذلك: ترك المريض للدواء النافع، وفعله لضده كتناول الغذاء الضار من أمور الدنيا، وتركه لبعض الواجبات أو اجتراحه لبعض السيئات من أمور الدين، ومن محص المسألة يظهر له أن تارك الدواء لاستبشاع طعمه قاطع بضرره المتعلق بالذوق، وهو من الحسيات اليقينية، وغير قاطع بنفعه، بل هو إما ظان وإما شاك فيه، وكذلك مرتكب المعصية وإن كان تحريمها قطعي كالزنا فإن الشك يعرض له في الوعيد عليه من باب الرجاء في العفو والمغفرة بفضل الله – تعالى – أو بالتكفير عنه بالأعمال الصالحة، ولكن لذة الشهوة التي تعرض له لاشك فيها، فيرجح العلم القطعي بالمنفعة وهي اللذة على الظن أو الشك في العقاب، وإنما يقع هذا الترجيح في الكبائر لمن كان ضعيف الإيمان، وهو ما كان عقيدة لم ترتق بها التربية العملية إلى الوجدان، وإنما الإيمان الكامل المقتضي للعمل في أفراد الجزئيات ما كان فيه الاعتقاد الصحيح مصاحباً للشعور الوجداني بالخوف والرجاء في كل منها، وقد

يتخلف في بعض دون بعض، فإن من يعيش بين قوم يجاهرون بمعصية لا ينفر وجدانه منها كمن يعيش بين قوم لا يفعلونها إلا ما قد يقع من بعضهم وراء الأستار.

فهذا ملخص ما يحتج به على استلزام الإيمان الصحيح للعمل بجملة ما ثبت عند المؤمن أنه من الشرع، والأدلة الشرعية عليه كثيرة، وبها جعل جمهور السلف العمل ركناً من أركان الإيمان - وقد اختلف العلماء في معنى الحديث المتفق عليه (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن... الخ)، بناء على اختلافهم في تعريف الإيمان، فذهب بعضهم إلى أن المنفي هو الإيمان الكامل وهو الوجداني الذي يقتضي العمل فعلاً وتركاً - وقيل إن الإيمان يفارق الزاني حين الزنا، بحيث لو مات في أثنائه مات كافراً، وحقق الغزالي أنه لا يكون عند تلبسه بالزنا مؤمناً لأنه يستلزم سخط الله وعذابه، وهو يصدق بنسيان الوعيد عند ذلك لغلبة الشهوة التي يغيب صاحبها عن إدراك الحسيات أحياناً كما قال الشاعر:

قالت وأبثثتها وجدي فبحت به قد كنت عندي تحب الستر فاستتر

ألست تبصر من حولي؟ فقلت لها غطى هواك وما ألقى على بصري

ويصدق بالشك في وقوع الوعيد بما بيناه آنفاً من رجاء المغفرة أو التكفير. ومثل هذا الشك والتأول لا يمكن أن يجري في جملة المأمور به والمنهي عنه ولا في ترك الأحكام الكثيرة التي لا يغلب صاحبها عليها ثورة شهوة، ولا سورة غضب كأحكام الإرث والنكاح والطلاق وثبوت النسب ونفيه - بل هي مما يتفق الدليل العقلي والطبعي مع الدليل الشرعي على أن من رغب عنها إلى غيرها من أحكام البشر لا يمكن أن يكون مؤمناً، وعندي أن تركها بمثل اختيار الجنسية المسؤول عنها ليس إنشاء للكفر وابتداء للردة بل هو أثر له ناشيء عنه.

وإنما أطلت في هذه المسألة التي سبق لي توضيحها مراراً لما بلغني من توقف بعض علماء تونس في الافتاء بكون التجنس بالجنسية الفرنسية ردة.

جنسية الإسلام وإصلاحه للبشر:

ويحسن ختم هذه الفتوى بالتذكير بما كنا نوهنا به مراراً من الركن الأعظم لإصلاح الإسلام لشؤون البشر وتمهيد طريق السعادة لهم.

وبيان ذلك بالإيجاز أن مثارات شقاء البشر محصورة في اختلافهم في مقومات الاجتماع ومشخصاته من العقائد واللغات والأوطان والأحكام والحكومات والأنساب (أي العناصر والأجناس كما يقول أهل هذا العصر، أو الأصناف كما يعبر علماء المنطق) والطبقات والتقاليد والعادات وحسبك من هذا الأخير أن المختلفين في الأزياء من أبناء الوطن الواحد المتفقين فيما عداه من روابط الاجتماع يتفاضلون فيه حتى يحتقر بعضهم بعضاً...

جاء دين التوحيد والسلام (الإسلام) يرشد الناس كافة إلى المخرج من كل نوع من أنواع هذا الاختلاف المثيرة لشقائهم بالتعادي والتباغض بجمعهم على دين واحد موافق للفطرة البشرية مرق لها بالجمع بين مصالح الروح والجسد (وهو الجنسية الدينية) ولغة واحدة يتخاطبون بها ويتلقون معارفهم وآدابهم بها (وهي الجنسية الاجتماعية الأدبية) وحكم واحد يساوي بينهم على اختلاف مللهم ونحلهم (وهو الجنسية السياسية) فهو يزيل من بينهم التفاضل والتعالي بالأنساب والامتياز بالطبقات، والتعادي باختلاف الأوطان والعادات، وأودع في تعاليمه وأحكامه جواذب تجذبهم إلى ذلك باختيارهم بالتدريج الذي هو سنة الله في كل تغيير يعرض لجماعات البشر {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم} وحسبنا هنا من الحجة على ذلك ماهو معلوم بالتواتر من أثره في نشأته الأولى في خير القرون إذ انتشر مع لغته وآدابه وسياسته وأحكامه في العالم القديم من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق، وطالما شرحنا أسباب ذلك من آيات الكتاب والسنة وعمل الخلفاء وعلوم الأئمة.

وقد قلدته أمم الحضارة الكبرى في هذا العصر، فكل منها تبذل القناطر المقنطرة من الذهب لنشر دينها ولغتها وتشريعها وآدابها وأحكامها في جميع أقطار الأرض مؤيدة ذلك بآلات القهر والتدمير البرية والبحرية والجوية، ولم يبلغ تأثيرها في عدة قرون مع سهولة المواصلات وتقارب الأقطار ودقة النظام ما بلغه تأثير الإسلام في أقل من قرن واحد مع فقد هذه الوسائل كلها – ولو وضع نظام للإمامة الكبرى (الخلافة) يكفل أصولها وأحكامها الشرعية لعم الإسلام ولغته العالم كله، ولتحققت به أمنية الحكماء فيما ينشدونه من المدينة الفاضلة قديماً وحديثاً.

أهمل المسلمون هذه الفريضة الكافلة لجميع الفرائض والفضائل، فما زالوا يرجعون القهقرى، حتى بلغ بهم الخزي ما نسمع وما نرى، وصار مستعبدوهم ومستذلوهم يطمعون في تركهم لما بقي من شريعتهم اختياراً، في الوقت الذي آن لهم فيه أن يعرفوا أنفسهم، ويعرفوا قيمة دينهم وشرعهم، وينهضوا به لإصلاح أنفسهم وتلافي سقوط حضارة العصر بإبادة بعض أهلها لبعض، {فاعتبروا يا أولي الأبصار}.

---

[1] – أنشئت المحاكم الأهلية سنة 1883 هـ، ووضعت لها ستة تقنينات أخذت عن التقنينات الفرنسية، وهي: التقنين المدني، وتقنين المرافعات، والتقنين التجاري، والتقنين البحري، وتقنين العقوبات، وتقنين تحقيق الجنايات، وقد قام قضاة أجانب بوضع هذه القوانين التي ليس لها من اسمها نصيب إذ أنها ليست أهلية وليست وطنية، وقد اختاروا لها هذا الاسم المزور لتمييزها عن المحاكم الأجنبية [مع أنها بقيت أجنبية في قوانينها وفي كثير من قضاتها] والمحاكم الشرعية التي ألغاها نظام جمال عبد الناصر.

[2] – كلام الشيخ محمد عبده لا يدعو إلى الاطمئنان، فلا مجال للمقارنة بين المحاكم التي تطبق شرع الله مهما قيل عن التعصب المذهبي، وبين شريعة فرنسا التي التزمتها المحاكم الأهلية الوطنية.

[3] – غريب هذا القول من رجل مثل رشيد رضا، وهو لا يختلف عن أقوال أصحابنا اليوم الذين يعلّقون أوسع الآمال وأعرضها على البرلمانات، فالمستعمر لا يترك بلداً من البلاد إلا بعد أن يطمئن لمن سيخلفه، ولعل عذر رشيد رضا أن تجربة البرلمانات كانت في بدايتها.

[4] – الجصاص: أحمد بن علي، أبو بكر الرازي، إمام الحنفية في عصره، كان مشهوراً بالزهد، وطلب منه أن يلي القضاء فامتنع، وأعيد عليه الخطاب فلم يفعل.توفي سنة 370 هـ.

المصدر : http://www.alsunnah.org

===============

#الإسلام الديمقراطي المدني

كريم كامل

الشركاء والمصادر والاستراتيجيات:

منذ الحادي عشر من سبتمبر قام العديد من الكتاب والعلماء وصناع القرار والباحثين بتأمل دور الإسلام في المجتمعات المسلمة؛ في الوقت الذي يتم فيه إعادة رسم الحدود الجيواستراتيجية والثقافية والاجتماعية في كل من واشنطن ولندن، وهي استراتيجية يحاول الغرب من خلالها أن يسيطر على «الأصولية الإسلامية» بمساعدة المسلمين (المعتدلين)، لقد ورد ذلك في تقرير تم تمويله بواسطة أحد المراكز الفكرية الأمريكية المحافظة. إن هذا التقرير وهو بعنوان: الإسلام الديمقراطي المدني: الشركاء والمصادر والاستراتيجيات، قد تم إعداده بواسطة «مؤسسة راند»، ومقرها في الولايات المتحدة، وبتمويل من مؤسسة (سميث ريتشاردسون) المحافظة، وهي مؤسسة تمويلية تقدم ما يزيد على مائة مليون دولار للمنظمات البحثية والجامعات(1).

ويعد هذا التقرير الأحدث في سلسلة من الأوراق السياسية المتخصصة التي تهدف إلى تشديد الهجمة العسكرية والاقتصادية والثقافية الغربية على العالم الإسلامي. وفي جلسة الإيجاز التي عقدت في صيف العام 2002م، لمجلس كبار المستشارين في البنتاجون، وصف (لورينت موراويس) المحلل السابق في «مؤسسة راند»، المملكة العربية السعودية بأنها «نواة للشر، والمحرك الرئيس، وأشد الخصوم خطورة» على مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. وقال: إن على الولايات المتحدة أن تطلب من المملكة العربية السعودية أن تتوقف عن دعم الإرهاب، أو أن تواجه بمصادرة حقولها النفطية وأرصدتها المالية في الولايات المتحدة. كما طالب (موراويس) بشن حملة إمبريالية من عدة مراحل على الشرق الأوسط، ابتداءً بالعراق (المحور التكتيكي) ومروراً بالمملكة العربية السعودية (المحور الاستراتيجي) وأخيراً مصر (الجائزة)(2).

إن تقرير الإسلام الديمقراطي المدني قد كتبته (شاريل بينا رد) وهي عالمة اجتماع قد نشرت روايات تتضمن موضوعات تطالب بمساواة المرأة بالرجل منها: «مقاومة

المغول وشجاعة المحجبة» وتسخر فيها من المظاهر الدينية وتصور المرأة المسلمة بأنها مضطهدة وتعيش تحت وطأة حكم شيوخ مستبدين ومصابين بجنون العظمة.

وبالرغم من اعتراض الملايين من المسلمات على حظر الفرنسيين المثير للجدل للحجاب، في المدارس الحكومية الفرنسية، فقد ركزت (بينارد) في تعليق لها مؤخراً في صحيفة (كريستيان ساينس مونيتور) على أن القانون الجديد يعتبر دفعة إيجابية لحقوق المرأة: حيث إن الحجاب في العالم الإسلامي هو شيء ترتديه المرأة أو البنت؛ لأنها مجبرة على ذلك . وهو رمز للتقييد والإكراه بالتهديد.

وبالرغم من أن عالمة الاجتماع (بيرنارد) تعتبر نفسها مرجعاً في القوانين الإسلامية، فهي تذكر من بين أشياء أخرى ادعاء صادراً من أحد الكتاب المصريين المغمورين الذي يقول إن الحجاب ليس إجبارياً في الإسلام، بل إن ذلك ناتج عن قراءة خاطئة للقرآن(1).

ومن الطريف أن «شاريل بينارد» متزوجة من «زلماي خليل زاده»، الذي يشغل الآن منصب المساعد الخاص للرئيس بوش، وكبير مستشاري الأمن القومي المسئول عن الخليج العربي وجنوب شرق آسيا. ويعتبر خليل زاده . الأمريكي من أصل أفغاني . الوحيد الذي ينتمي إلى المحافظين الجدد ويعرف بآرائه المتطرفة(2)، وقد تمكن خلال الثمانينيات من أن يؤمن لنفسه منصباً دائماً في مجلس تخطيط السياسة بوزارة الخارجية، وقد عمل في هذا المنصب تحت إدارة «بول وولفويتز» العقل الموجه لفكر المحافظين الجدد. ثم عمل مساعداً بوزارة الدفاع في إدارة بوش الأولى إبان حربها على العراق عام 1991م. وبعد الانتخابات الرئاسية عام 2000م اختاره (ديك شيني) نائب الرئيس ليرأس اللجنة الانتقالية لشؤون الدفاع.

ويعرف خليل زاده بكونه جزءاً من جهود الولايات المتحدة منذ مدة طويلة للحصول على مدخل إلى احتياطيات النفط والغاز في آسيا الوسطى؛ حيث كان يعمل مستشاراً للطاقة لدى شركة شيفرون، كما عمل مشرفاً لدى شركة النفط الأمريكية العملاقة (ينوكول) والتي كانت ترغب في بناء أنبوب للغاز يربط بين تركمانستان وباكستان عبر أفغانستان. كما أن خليل زاده يعرف عنه تودده للمجموعات المناوئة لصدام وحركة طالبان قبل الغزو الأمريكي وبعده لكلا البلدين.

لقد عبرت (شاريل بينارد) عن نواياها في تقرير الإسلام المدني الديمقراطي؛ حيث إن الهدف هو بناء نموذج جديد من الخطاب الإسلامي غير الفعّال يكون مصَمّماً ليتماشى مع الأجندة الغربية لفترة ما بعد الحادي عشر من سبتمبر. وبتركيزها على أكثر المصطلحات وضوحاً لم تدع الكاتبة مجالاً للشك فيما يخص الطموحات العظيمة في مشروعها. وتضيف قائلة: «إن تحويل ديانة عالَم بكامله ليس بالأمر السهل. إذا كانت عملية بناء أمة مهمة خطيرة، فإن بناء الدين مسألة أكثر خطورة وتعقيداً منها» (3).

وتوضح (بينارد) بقولها: إن الأزمة الحالية للإسلام تتكون من مكونين رئيسين هما: «عدم قدرته على النمو، وعدم الاتصال مع الاتجاه السائد في العالم». ومن وجهة نظر الكاتبة فإن العالم الإسلامي هو سبب مشكلة الحضارة، «لم يتمكن من مواكبة الثقافة العالمية المعاصرة». حيث إن الكاتبة تستخدم مرة أخرى ما ذكره أحد المستشرقين القدامى عن تصويره للمسلمين بصورة نمطية تقول مرة أخرى «إن المسلمين هم الوجه الآخر للبربريين وأن أسلوب حياتهم يتناقض مع أسلوب الحياة لدى الغرب. فإذا كان الغرب الحديث حركياً، فإن العالم الإسلامي راكد لا يتحرك. وبينما الغرب يحترم حياة الإنسان والحرية، فإن الإسلام مصاب بداء الاستبداديين والإرهابيين و «حرب الأحاديث»(4) التي لا تنتهي، وشباب متعصبين يلبسون المتفجرات ويقدسون الموت ويشجعون المفاهيم التدميرية (النهلستية) مثل الشهادة. ولم تأتِ الكاتبة إلى ذكر الدعم الغربي للأنظمة الاستبدادية العلمانية، ولا إلى برامج إسرائيل التي لا تنتهي ضد الفلسطينيين، ولا إلى التطهير العرقي الذي يمارس ضد المسلمين في أوروبا الشرقية والشيشان، وبالطبع إهمال القصف الأمريكي العنيف لأفغانستان والعراق.

ومن أجل إيجاد صلات وثيقة مع القوى المحبة للغرب، يقترح التقرير تحديد أربعة اتجاهات فكرية في المجتمعات المسلمة للمناقشة في التحكم بقلوب المسلمين وعقولهم، وهي:

1 - المتشددون الذين «يرفضون قيم الديمقراطية والحضارة الغربية المعاصرة».

2 - التقليديون الذين «يشككون في الحداثة والابتكار والتغيير».

3 – الحداثيون الذين «يريدون من العالم الإسلامي أن يكون جزءاً من التقدم الذي يسود العالم».

4 – العلمانيون الذين «يريدون من العالم الإسلامي أن يتقبل فكرة فصل الدين عن الدولة».

ويقول التقرير إن فئتي أنصار الحداثة والعلمانيين هما أقرب هذه الفئات للغرب، ولكنهما بشكل عام في موقف أضعف من المجموعات الأخرى؛ حيث ينقصهم المال والبنى التحتية والبرنامج السياسي. ويقترح التقرير استراتيجية لدعم أنصار الحداثة والعلمانيين؛ وذلك عن طريق طباعة كتاباتهم مقابل تكاليف مدعومة؛ وذلك لتشجيعهم للكتابة لمزيد من القراء وطرح وجهات نظرهم في مناهج المدارس الإسلامية، ومساعدتهم في عالم الإعلام الجديد الذي يهيمن عليه المتشددون والتقليديون.

كما يقترح التقرير أيضاً أن يتم دعم التقليديين ضد المتشددين؛ وذلك من خلال ممارسة الولايات المتحدة سياسة «تشجيع عدم الاتفاق» بين الطرفين. ومن الاستراتيجيات المقترحة أيضاً في هذا التقرير، مواجهة ومعارضة المتشددين من خلال تحدي تفسيرهم للإسلام، ومن خلال فضح ارتباطهم بمجموعات وأنشطة غير قانونية. وذهبت (بينارد) إلى أبعد من ذلك؛ حيث دعت إلى تقوية الصوفية؛ لأنها تمثل تفسيراً أكثر خمولاً واعتدالاً للإسلام.

إن ما يلفت الانتباه في أغلب محتويات التقرير هو عدم التعامل مع المسلمين كأناس عقلاء لهم مخاوفهم المشروعة، بل يتم تقسيمهم إلى مجموعات للتحليل بناءً على انجذابهم نحو القيم والمفاهيم الغربية؛ حيث يتم استخدام هذه المجموعات الفرعية كرهان من أجل تكريس هيمنة الولايات المتحدة وهي سياسة «فرق تسد».

ويتم تصوير المسلمين على أنهم شعوب لا صلة لها بالحقيقة، بل هم يعانون من الجمود الفكري، ومنخرطون باستمرار في جدل روحي عفا عليه الزمن؛ وذلك بدلاً من مواجهة المشاكل المعاصرة من تهميش واضطهاد تفرضه عليهم أنظمة مستبدة مدعومة من الغرب، أو مصممة وفق المتطلبات الإمبريالية في أقاليمهم.

وبناء على اعتقاد الكاتبة، فإن العنف والاحتجاج الإسلامي ليس ردة فعل على عدم العدالة، بل هو تعبير عن حالة الأمية، والغالبية غير المتعلمة التي تقودها فئة منظمة من المتشددين لديها إمكانيات مالية ضخمة؛ حيث قيل لنا إن المتشددين هم الخطر الحقيقي؛ لأنهم يمثلون النسخة العدوانية والتوسعية للإسلام الذي لا يهاب ممارسة العنف، وأن وحدتهم المرجعية هي ليست الدولة أو المجموعة العرقية، بل هو المجتمع المسلم، أي الأمة، وأن تمكُّنهم من السيطرة على عدد معين من الدول الإسلامية سيشكل خطوة في هذا الطريق، ولكنه ليس الهدف الرئيس. ومما يدعو إلى السخرية أن استخدام العنف للحصول على أهداف سياسية ولفرض السيطرة على عدد من الدول الإسلامية، يدل على التشدد؛ إذن فالسياسة الخارجية للولايات المتحدة في العالم الإسلامي هي تطرف جامح بامتياز.

ومن العجيب أن الكاتبة تعترف بأن الكثير من العلمانيين المهمين في العالم الإسلامي لا يحبون أو حتى أنهم يكرهون الولايات المتحدة (الغرب) أشد الكره. ومرة أخرى، فإن السبب وراء هذا العداء ليس هو الوجه القبيح لسياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، بل إن الأسباب هي أساليب تفكير ضالة تتجسد في الأفكار اليسارية، والقومية الحاقدة والمعادية لأمريكا.

إن تلميحات (بينارد) واضحة: فعندما يكره المسلمون أو يلجؤون إلى العنف؛ فهو لأنهم بطبيعتهم متطرفون أو ضالون، ولكن عندما يأتي الغرب المتحضر والمستنير والكريم، إلى ممارسة نفس الأساليب أو يناصر نفس الأهداف، فإن سلوكه هذا إما أن يتم تجاهله، أو المسارعة إلى تسويغه.

وفي النهاية، فإن أفكار (بينارد) ليست سوى نظرية ميكيافيلية تسعى إلى فرض الهيمنة الغربية والثقافة الإمبيريالية من خلال السياسة القديمة «فرق تسد». إن نموذج الإسلام الذي تناصره (بينارد) هو ذلك النموذج الخامل الضعيف الذي يمكن اختراقه بسهولة ومن ثم تشكيله لكي يتناسب مع أجندة الغرب.

إن النموذج الذي تعوِّل عليه (بينارد) هو تركيا، والتي تعتبرها «واحدة من أنجح الدول الإسلامية» وذلك نسبة لسياستها العلمانية العدائية. لقد تم اختيار حكومتين إسلاميتين عبر الانتخابات في تركيا في السنوات الأخيرة، حيث إن الأخيرة منهما

رفضت السماح للولايات المتحدة باستخدام قواعدها العسكرية قبل الحرب على العراق.

إن الكاتبة لا تحاول فقط تشويه بعض المفاهيم الأساسية في الإسلام مثل الجهاد، والشهادة، والحجاب فحسب، ولكنها تذهب إلى ما هو أبعد من ذلك؛ فهي تتساءل عن مدى صحة القرآن نفسه، عندما تقول وبكل وقاحة «بأن اثنين على الأقل من سور الكتاب المقدس للمسلمين مفقودة»(*). إن إطلاق مقولات شنيعة كهذه ضد القرآن دونما استشهاد أو دليل، ليس بالشيء البغيض فحسب، بل هو ممارسة لثقافة بائسة. وأعتقد لو أن عبارات كهذه قيلت في حق اليهود لقاموا بمقاضاتها بتهمة معاداة السامية.

إن مقترحات (بينارد) بالرغم من مسحتها الخبيثة المعادية للإسلام، ومضامينها التي تدعو إلى الفرقة في العالم الإسلامي، إلاّ أنها ليست بالشيء الجديد في صناعة السياسة الخارجية الأمريكية.

قبل عقدين من الزمان عندما انبعث التشدد الشيعي في إيران، اعتُبر أكبر تهديد للحضارة الغربية، حيث إن المئات من المسلمين السنة التقليديين كان يتم تسليحهم بواسطة الولايات المتحدة ليجاهدوا ضد الاتحاد السوفييتي. فقد كان الافتراض السائد حينها أن الحركة الوهابية من الإسلام السني هي تيار محافظ بالفطرة، ولذلك هو الحليف الطبيعي للولايات المتحدة ضد الشيوعيين والمتشددين الشيعة(1)، أما اليوم، فالصوفية، وأنصار الحداثة، والعلمانيون، وبعض الشيعة، يُنظر إليهم على أنهم القوة الموازنة للمتشددين السنة. وفعلاً نرى أن التاريخ يعيد نفسه بطرق ملتوية.

(*) باحث في العلاقات الدولية.

(1) بول رينولد «منع صراع الحضارات» قناة بي بي سي الإخبارية 29 مارس 2004م.

(2) جاك شافير، «مركز القوة الذي هز البنتاجون» سليت MSN 7أغسطس 2002م.

(1) شاريل بينارد، «الحرب الفرنسية على الحجاب الإسلامي، دفعة إيجابية نحو حقوق المرأة» مؤسسة راند، 5 يناير 2004م.

(2) «الخبير في الشؤون الإيرانية خليل زادة يتبنى سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأدنى» خبير إيران، 7 يناير 2002م.

(3) شاريل بينارد، «الإسلام المدني الديمقراطي: الشركاء والمصادر والاستراتيجيات» مؤسسة راند.

(4) انظر الملحق: «حروب الحديث» حيث تشير الكاتبة إلى تحريف الحديث النبوي «كوسيلة تكتيكية» من أجل كسب المناظرات ضد المتشددين.

(*) لعلَّ مقالتها هذه مقتبسة من مصادر الشيعة التي تقول بأن هناك سورة اسمها: «سورة الولاية» قد انتزعت من القرآن الكريم، وأن القرآن زيد فيه ونقص منه، انظر: الخطوط العريضة، محب الدين الخطيب، طبعة الدار السلفية، مصر.

(1) توني كارين «الشيعة الذين تعتقد الولايات المتحدة أنها تعرفهم» موقع Time. com11مارس 2004م.

المصدر : http://www.albayan-magazine.com

=============

#مناهج التعليم الديني في العالم الإسلامي تحت القصف الأمريكي

كمال حبيب

عرف العالم الإسلامي منذ وجوده الأول المدارس الدينية التي قامت بتفسير القران الكريم والسنة النبوية المطهرة، صحيح أن ذلك بدأ بشكل فردي حيث كان الصحابة يقومون بنقل ما سمعوه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – شفاهة ثم جاء التابعون من بعدهم لنقل ما أثر عن الصحابة ثم تكونت المدارس الفقهية واللغوية والأدبية.وكان كل نشاط العقل المسلم يدور حول الإسلام والقرآن والسنة، وعلماء التفسير والبيان والسنة والجرح والتعديل جميعهم كان نشاطهم العقلي والفكري يستلهم الإسلام ويدور حوله من أجل بيانه وشرحه والحفاظ عليه، ولم تكن المدارس الفقهية أو اللغوية أو الحديثية أو البيانية، ذات بيان ولها رسوم مقررة، ولكنها في أغلبها عمل تطوعي وأهلي ومجتمعي.

فأبو حنيفة مثلاً كان تاجراً لكنه متوافر على تأسيس مدرسة فقهية عريقة تعود بجذورها إلى الصحابي الجليل عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . الذي كان يحكم ويقضي ويجتهد؛ هذه المدرسة الفقهية هي تلامذته الذين نقلوا العلم عنه «كأبي يوسف» و «محمد بن الحسن الشيباني» وغيرهم من المجتهدين والعلماء والقضاة، ثم تبلور في النهاية «المذهب الحنفي» الذي هو طريقة في المنهج لفهم الشريعة، وكذا الشافعي وكذا «الإمام مالك» إمام أهل المدينة بلا منازع ثم الإمام «أحمد بن حنبل».

وكان يحدث في هذه المدارس الإسلامية تلاقح فكري وقواعد في الفهم والاجتهاد وهي آية في التضلع الفكري والعلمي العقلي بمعناه الواسع؛ فالنشاط العقلي والفكري للحضارة الإسلامية هو بالأساس نشاط حول الإسلام وعلومه، وهذا الذي مثل النسق المعرفي الإسلامي بالأساس، ثم ظهرت جماعات من شذاذ الفكر الذين تلوثوا بالفكر اليوناني الوثني، والأفكار النصرانية والخوارجية البدعية، وكان ذلك في الواقع جزءاً من محاولة العدوان على الفكر الإسلامي الأصيل، لكن هذا الفكر الشاذ ظل هامشياً، وكان أهله محاصرين بحكم الشعور الإسلامي العام وبحكم علو الشريعة فكراً وسلطة. كما أن طبيعة العصر التي لم تكن تحقق التواصل، وكان كل عالم يعيش وحده، وهو ما جعل آثار هذا التفكير محدودة وليس لها واقع في حياة الأمة والناس؛ لكنه مع نهاية القرن السابع عشر ومع هزيمة الدولة العثمانية عسكرياً أمام الجيوش النصرانية الغربية، بدأت السفارات إلى الغرب، وبدأ استقدام متخصصين في العلوم البحتة ذات الطابع العسكري بالأساس، ولأول مرة جرى استقدام غير مسلمين للتخطيط والتدريس في الجيوش الإسلامية؛ كما بدأ إرسال المبعوثين، وهنا جرى أول اختراق حقيقي للعالم الإسلامي؛ حيث تكونت البذور الأولى داخل المؤسسات الإسلامية والتي تحمل أشواقاً لعالم الأعداء، وتؤمن أن تقليدهم في القيم والأفكار يمكن أن يحقق النهوض للعالم الإسلامي، ثم صار الإيمان بهذا الفكر الوافد قيمة للعمل من أجل تحطيم العالم الإسلامي وليس النهوض به.

ومن المثير أن يكون الجيل الأول من العلمانيين في العالم الإسلامي قد اشتد عوده وقويت شوكته في مؤسسات الدولة العثمانية حاملة راية الإسلام في هذا الوقت، بل

إن السلاطين أنفسهم كانوا من الذين حملوا الترويج لهذه الأفكار منذ منتصف القرن التاسع عشر. نعم كانت هناك ضغوط غربية من الخارج! لكن نمط التعليم الغربي اخترق أعلى مؤسسات الدولة كما حدث في الدولة الأموية والعباسية والتي جرى اختراق مؤسسة صنع القرار فيها عبر تبني الخلفاء والملوك للمذاهب القدرية والباطنية، وتسلط على مؤسسة الخلافة ذاتها المعتزلة والمبتدعة. ثم انتقل الأمر من عاصمة الإسلام إلى مصر؛ حيث رحل طلاب العلم إلى أوروبا في كافة الشُّعَب لكن أخطرهم كان «رفاعة الطهطاوي» إمام أول هذه البعثات، وجاء من بعده «محمد عبده» ومن قبله «الأفغاني» وتأسست مدرسة يمكن وصفها بالمصطلحات المعاصرة «مدرسة التفسير الاستعماري للإسلام». ومن المدهش أن يكون سعد زغلول، وقاسم أمين، وعلي عبد الرازق وغيرهم تلامذة في هذه المدرسة التي كانت وثيقة الصلة بالإنجليز. لكن التعليم الإسلامي استرد عافيته بهبة الأمة من أجل الدفاع عن دينها وإسلامها وتعليمها.

تدمير الأزهر:

وظل الأزهر في مصر المدرسة التي تحمي التعليم الديني، وكان لها تقاليد صارمة علمية في الضبط والتحرير والإنتاج العلمي، ثم ظهرت مدرسة «دار العلوم» التي تخرج فيها الشيخ حسن البنا، والأستاذ سيد قطب، ودار القضاء الشرعي التي تخرج فيها الشيخ جاد الحق، وكان القصد منها ضرب الأزهر، لكنه ظل قوياً.

ثم جاء انقلاب يوليو وأصدر قانون «تطوير الأزهر» حيث فصل أوقافه عنه، واستولت عليها وزارة الأوقاف، كما جعل شيخه تابعاً لوزير يساري في هذا الوقت هو كمال رفعت، وأدخل التعليم المدني فيه مثل الطب وغيره بقصد تخريج كوادر دعوية لمواجهة التبشير.

وهنا أصبحت المؤسسة الأزهرية التي هي بالأساس مؤسسة أهلية علمية لها أوقافها المستقلة وتمارس الاجتهاد، ولها تقاليدها بعيداً عن يد الدولة . أصبحت في قبضة الدولة، وحدثني «الشيخ الشعراوي» الذي كان يعمل مديراً لمكتب الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر أنه . أي الشيخ حسن مأمون . لم يكن يستطيع أن ينقل الفراش من مكتبه؛ أي نزعت من الأزهر كل أسلحته، وصار شيخ الأزهر الذي كان يمثل ضمير

الأمة كلها مجرد موظف لدى المؤسسة الحاكمة لا يخرج قيد أنملة عما تطلب منه رغم أن العلماء في التقاليد الإسلامية هم بالأساس مراقبون للسلطة وضابطون لسلوكها، وهم معبرون عن الأمة من مواجهة السلطة.

ثم مضى التطوير قدماً حالياً حيث جرى تقصير مدة الدراسة في الفترة الثانوية لتصبح ثلاث سنوات بدلاً من أربع مثل الثانوية العامة، وتم إلغاء دراسة المذاهب الفقهية تماماً والتي هي حافظة لطريقة فهم الشريعة وهي ناقلتها عبر الأجيال، ثم منع الطلاب الراغبون من خارج الأزهر من الالتحاق به وكانوا يمثلون دماءاً فيه لتجديد روح الأزهر وشبابه، ثم رفع سن القبول في المرحلة الابتدائية، وتضاءلت دراسة القرآن الكريم؛ كما حوصرت الكتاتيب، وضعف مستوى طلاب العلوم الشرعية والقسم الأدبي، رغم أن الشيخ الشعراوي قال لي: إن إصلاح الأزهر يكون عن طريق دعم القسم الأدبي والتخلي عن القسم العلمي تماماً للتعليم العام . فدعاة الأزهر هم خريجو العلوم الشرعية بالأساس؛ وكل ذلك يجري في إطار ما أطلق عليه: «علمنة الأزهر» أي نزع صفة كونه معهداً لتدريس العلوم الشرعية وتخريج متخصصين في العلوم الشرعية الإسلامية.

وخالف الأزهر عبر شيخه الحالي أعز تقاليده في تحمل الاختلاف الفقهي، فحوصر المخالفون لشيخ الأزهر وحوكموا وعزلوا وشردوا في الآفاق، وظن شيخه أن المركز الذي منحته السلطة له يتيح له أن يستخدم سلطة الإكراه في مواجهة خصومه رغم أن سلطة العلماء بالأساس هي سلطة معنوية لا تستند إلى الإكراه؛ والمتأمل في الاجتماع الإسلامي يلاحظ بوضوح أن السلطة السياسية كانت تعمد إلى فرض الرأي الواحد عبر القوة بينما كان العلماء يعمدون إلى إعطاء الفرصة لكافة الآراء الاجتهادية لا يحتكرها عالم واحد أو مجتهد واحد؛ وموقف الإمام مالك . – رحمه الله – . في هذه المسألة واضح حين عرض عليه المنصور أن يجعل من «الموطأ» دستوراً فقهياً موحداً للأمة لكنه رفض.

كان كل ذلك يتم في إطار علمنة ثقافة الأمة وتحطيم هويتها عبر مصطلحات مثل «تجفيف الينابيع»؛ فبما أن الأزهر رصيد لتخريج علماء الدين فليجفف، وطالما أن

الطلبة الذين يرغبون في الالتحاق به من خارجه يشتبه في أن يكونوا متطرفين فليمنعوا، وهكذا.

وطالما أن مادة الدين في التعلم العام يمكن أن تكون مصدراً لتدين الشباب فلتجعل مادة للثقافة المشتركة مع غير المسلمين حفاظاً على الوحدة الوطنية. لم يكن كل ذلك تحت قصف النيران الخارجية أو في إطار خطة مفروضة من الخارج، بل كان من يقومون بكل هذا ينكرون أن يكون للخارج أي تدخل في فرض أجندته التي تريد أن تفرض التبعية الثقافية على عالمنا الإسلامي وخاصة دول القلب والمركز فيه، لكن أحداث سبتمبر جاءت لتقلب الأمور رأساً على عقب.

ما بعد سبتمبر والقصف الأمريكي لمناهج التعليم:

كما هو معلوم أن العقل الأمريكي ذي الطابع البراجماتي لا يملك القدرة على الغوص في الأمور لفهمها وتحليلها وهو يعتمد منهج التجريب فيما ينهيه إليه أقرب نظرة له أو أقرب طرفة عين عقلية، فإن ثبت خطأه جرب غيره، وهكذا.. وهذا وصناع القرار فيه اتهموا «بغير بينة» ما يطلق عليهم «فوكوياما» الأصوليين، وفي ظن الأمريكيين أن هؤلاء الأصوليين إسلاميون درسوا علوم الشريعة؛ وإذن فالمدارس الدينية في باكستان هي التي أخرجت طالبان والمدارس الدينية في السعودية هي التي تخرج أصوليين، ومناهج التعليم الديني هي التي تحفظ للإسلام قوامه؛ إذن تجب محاصرة هذه المدارس والمناهج، والضغط من أجل ذلك، ومن هنا فما كانت تقوم به الحكومات المحلية في السابق على استحياء أصبحت أمريكا رأساً هي التي تقوم بذلك، وهي تقوم به بعصبية شديدة وانفعال وقلة خبرة تحت تأثير ضربة سبتمبر، وهي تجهل أنها تدخل في قلب الوجود الإسلامي وفي قلب هوية الأمة، وهو ما يعد عدواناً قاسياً وخطيراً يصل إلى حد الحرب.

بيد أن أمريكا لم تكتف بذلك، بل إن مسؤولين كباراً في وزارة الخارجية اقترحوا تمويل أئمة المسلمين الذين يعارضون الإرهاب . على حد زعمهم . ويؤيدون الحرية الدينية. وقالت وكيلة وزارة الخارجية للشؤون العالمية أمام اجتماع «لجنة الحريات الدينية» المعنية بمتابعة الحالة الدينية في العالم وفق الرؤية الأمريكية: «يتحدث كثير من المسلمين عن معارضة الإرهاب لكن ذلك غير كاف، وعلينا أن نواصل القيام بالمزيد

لحث المسلمين في الخارج على التحدث علناً عن قيم دينهم التي تعلي من شأن الحياة، وأوضحت أنه «يجب التفكير خارج الإطار التقليدي وتوظيف وسائل خلاقة للنهوض بالحرية الدينية، وهنا علينا التفكير في تمويل علماء مسلمين وأئمة وأصوات أخرى للمسلمين» وزادت توضيحاً بالقول: «علينا أن نضم المزيد من علماء المسلمين إلى برامج التبادل الثقافي والأكاديمي التي تمولها أمريكا، إننا نريد الوصول إلى جمهور أكبر في المجتمعات الإسلامية؛ وذلك بهدف دعم أصوات التسامح في الدول الأخرى وعودة الناس للتسامح».

أي أن أمريكا تريد من المسلمين «إعلاء القيم الدينية التي تحافظ على قيمة الحياة» ويستبطن هذا المعنى إلغاء كل ما يتصل بالقتال في القرآن الكريم والسنة النبوية باعتبار أن آيات القتال في التصور الأمريكي تهدد حياة الآخرين، كما أن إعلاء قيمة الحياة تعني منع العمليات الاستشهادية في الأراضي المحتلة ضد الصهاينة باعتبار أن اليهودي في التصور الأمريكي هو إنسان محفوظ الدم والحياة؛ لأنه لم يعتد على أرض لهم بل هو صورتهم في الاعتداء على الآخرين.

وأفكار التسامح تعني إلغاء كل ما يتصل بمفهوم الولاء والبراء والتمايز على أساس العقيدة؛ فهم ينظرون «للإنسان» من وجهة نظرهم باعتبار الإنسان الغربي ابن الحضارة الأمريكية والغربية أو التي تصله بها آصرة الثقافة والدين كاليهود.

وهم يروجون لفكرة «الإنسان الكوني» أي الإنسان الذي لا يشعر بأي انتماء خاص لدين أو لوطن أو لعقيدة أو لقضية، وحين يكون إنسان «العالم الإسلامي» أو الإنسان الشرق أوسطي «كما يزعمون بهذه الحالة فإنه سيكون نهباً وعبداً لكل ما يطلب منه.

وتبقى العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي هي حصانة العالم الإسلامي في مواجهة الهيمنة الأمريكية الثقافية.

إن أمريكا تسعى اليوم عبر التدخل في مناهج التعليم الديني على وجه الخصوص للتأثير على الأجيال القادمة للأمة الإسلامية، أي أنها تعمل للسيطرة على المستقبل في العالم الإسلامي، وهي تشعر أنها لا يمكنها السيطرة على هذا المستقبل إلا عن

طريق السيطرة على عقول شبابه وأبنائه، وهذا لا يمكن تحقيقه إلا عن طريق العبث بمناهج التعليم الديني خاصة.

إن الأمة الإسلامية بحكم صفتها هي أمة روحها هو الدين وتاريخها وثقافتها ونشاطها كله بالأساس حول الدين، ونزع دينها أو التلاعب به من قبل قوة خارجية هو خطر لا يمكن الاستهانة به أو التقليل من شأنه؛ لأنه خطر وقصف موجه إلى العقل والروح، هو قصف موجه إلى الجذور، وهو خطر يستهدف اغتيال الأمة، ونحن نثق أن الله «غالب على أمره» وحافظ دينه {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر: 9] وأن هجمة أمريكا ومكرها سيمتد إليها {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجَرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ } [الأنعام: 123]. لكن الأمة كلها بحاجة إلى تدبر طبيعة الحرب التي تواجهها: إنها حرب صليبية، الإجلاب فيها بالخيل والرجل من جانب، وبالغزو الفكري والثقافي لهدم قواعد الأمة وأسسها من ناحية أخرى.

أمريكا وتغيير خصائص الشعوب:

دارسو السياسة الخارجية الأمريكية يعلمون أنها تعتمد على المدرسة السلوكية وما بعد السلوكية، وهي في جوهرها تقوم على ما يعرف بـ «الخصائص القومية للشعوب» أي تغيير الطبيعة القومية والنفسية للشعوب، وقد نجحت في ذلك مع ألمانيا واليابان بعد الحرب العالمية الثانية، وهي تشن حرباً نفسية على العالم الإسلامي عن طريق محاولة تغيير خصائصه؛ لكن العقيدة الإسلامية هي التي تحفظه وتقف به صلباً أمام موجات العولمة الحديثة كما وقفت أمام موجات الحرب الصليبية والتبشير والاستشراق والاستعمار «الاستخراب» ومن ثم فالحرب الحضارية بين أمريكا والغرب من جهة والعالم الإسلامي من جهة أخرى هي حرب عقيدية حول الأساس وحول القضايا الثابتة، وهي حرب تضرب في الجذور، وسوف تسعى أمريكا بشكل أساسي لتجنيد العملاء، لكنهم هذه المرة من قلب المحتل الذي تريد أن تحطمه كما قال «زويمر» من قبل: «الشجرة لا يقطعها إلا أحد أبنائها» فالعملاء لن يكونوا يساريين أو علمانيين؛ لكنهم سيكونون من علماء الدين والمتخصصين في العلوم الشرعية من المفتين والقضاة والرؤوس في علوم الإسلام، وأمريكا سوف تمنح وتعطي

وتغري وتخاتل وتبدو كالمسيخ الدجال الذي يتلاعب بظواهر الأشياء ويقلب المسميات ويصور للناس أنه يملك الجنة والنار، وهي تقول: «من ليس معنا فهو ضدنا»؛ لذا فالأمر خطير؛ وليحذر كل امرئ وخاصة العلماء من فتنة أمريكية عمياء، القابض فيها على دينه وعلى الحق كالقابض على الجمر. إن الدهشة سوف تلجمنا إذا علمنا أن مؤسسة تسمى «كير» تتبع المخابرات المركزية الأمريكية هي التي تقوم بالتخطيط للمناهج في وزارة التربية والتعليم المصرية.

والدهشة ستمسك بتلابيبنا إذا علمنا أن وفد الـ F. B. I قد التقى شيخ الأزهر، ووفود الكونجرس تلتقيه للاطمئنان على مناهج الأزهر.

ونورد ما قاله وزير التعليم المصري في حوار مع إحدى الصحف قال: «المناهج الدينية تتم صياغتها بإشراف شيخ الأزهر وهو رجل لا يستطيع أحد التشكيك في استنارته وتقدمه، وهو يعلن مسؤوليته دائماً عن كل ما يدرس من تربية دينية داخل وزارة التربية والتعليم، وشارك بنفسه في دورة تدريبية لمدرسي التربية الدينية بالوزارة؛ وبالفعل تم تغيير الكثير من هذه المناهج حتى يمكن صياغة عقل الإنسان الجديد غير المتطرف؛ وذلك لأننا نعتقد أن العقل هو جوهر الإسلام وعشرات الآيات تحض على العقلانية وإعمال العقل والفكر وقبول الآخر والتسامح والأخلاق والتكامل والرحمة» وهذا بالفعل هو ما تريده أمريكا، ونحن نندهش ونتساءل: وهل كانت الوزارة قبل هذا الوزير ومنذ وجدت وزارة التعليم في داهية عمياء بلا عقل ولا فكر ولا قبول الآخر ولا التسامح معه؟ وهل كان الطلاب لا يعرفون كل هذا؟ لكنها الأجندة الأمريكية الجديدة، حين يرتبط العقل والتسامح بها فإنها تعني عقلاً خاصاً وتسامحاً خاصاً تجاه أعداء هذه الأمة وتجاه تاريخها. ومن الإنسان غير المتطرف؟ «أي الإنسان الأمريكي، الإنسان الشرق أوسطي الذي لا يشعر بالهوية ولا يعترف بالقيم وإنما يؤمن فقط بالمصلحة إنسان البراجماتية والنفعية.

وتدرك أمريكا ويدرك الغرب معها أن التعليم في أوروبا كان المدخل للسيطرة على الفرد وعلى الأمة، وكان أساس بناء الدولة القومية العلمانية في أوروبا؛ ففكرة العلاقة بين الهيمنة والتعليم في الغرب أساسية؛ لذا فهم يحاولون الهيمنة والسيطرة والإخضاع

عبر التعليم، عبر تغيير مناهج التعليم الديني في مصر والسعودية وباكستان واليمن؛ وعبر القضاء على المدارس الدينية والجمعيات الخيرية التي تدعمها.

وذلك يعني محاولة تدجين المجتمع الأهلي الإسلامي الذي يمثل قاعدة نبض الأمة وحيويتها.

ويغري أمريكا بهذا صداقتها لهذه البلدان؛ لأنها تحاول توظيف هذه الصداقة عبر ترويج فكرة السلام، في اختراق وتسميم هذه المجتمعات الإسلامية.

وهنا فالخطر داهم على الأمة حكاماً وشعوباً؛ ولذا يجب على الكل أن يستيقظ ويرفض المساومة على الثوابت أو التلاعب بالعقائد، وعلى الجميع أن يعرف أن روح الأمة أقوى من كل شيء، والحمد لله أن هذه الهجمة الأمريكية واكبت في الأمة حياة ووعياً مؤثراً، وأجيالاً جديدة حية تدرك وتسعى.

{ الأَحَادِيثِ وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ }. [يوسف: 21].

المصدر: http://albayan-magazine.com

==============

#كفى رفقا بالقوارير على طريقتهم

أنا أُطَالِب بحقوقي..!!!!

ندى عبد العزيز محمد اليوسفي

لقَد أصبَحت مالِئَةَ الدنيا، وشاغلةَ الناس..!!!!، كالكُرَة تُقذَفُ من مقالةٍ لبرنامج فضائي..!!!!، تُتنَاول في مجلسٍ إصلاحي..!!!!، وتَرتَفع بسببها الأصوات في حوارٍ وطني..!!!!، تقيمُ الدنيا ولا تُقعدها في منتدى اقتصادي..!!!!

تلك هي المرأة السعودية، وحقوقها المسلوبة في رأيهم، شوّهوها وصاغوها وأضافوا إليها من التّوابل ما أضافوا، تكلّموا عنها في كل محفَل، أثاروها في كلّ مجلسٍ، و تصدّرَت كل صحيفةٍ وبرنامَجٍ تلفازيّ ومَشْهَد.

دخلتُ على دكتورة كبيرةُ السنّ لشأنٍ ما.. وكنتُ كلما زرتها تفتح موضوعاً بشكل غير مباشر.. عن الحجاب.. عن القيادة.. عن تحفّظاتها على ضرورة السفر بمحرم.. لدرجة أنها تتباكى على بعض الأمور الميسّرة للأطباء (الذكور) مما لايسوغ لمرأة مسلمةٍ عاقلة المطالبةَ به..!!!!، كل مرة أصدمها في نفسها.. ألقي عليها

الحجة.. أتظاهر أمامها بأني أوافقها و أجعلها تتابع الحديث.. وتتابع وهي تظن أني مندمجة مقتنعة بما تقول ثم تُصدَم.. وتودّعني يائسة..!!!!!!!!!!!

فتحَتْ موضوعاً ما ولما تعذّرت بانشغالي.. فقالت لي لحظة واحدة وأخرجت قصاصة من جريدة.. تقول اقرئي المقال وأعطيني رأيك.. فإذ بالمقال أحدُ تلك المقالات الملغومة، والتي بحقوق المرأة مزيّنةٌ مصفوفة...!!!!!!، قلتُ في نفسي.. سبحان الله.. الطيور على أشكالها تقع..!!!!!!

العجيب أن هذه الدكتورة ذاتها لا تتكاسل ولا تتقاعس عن وظيفةٍ أخرى جعلتها همّاً لها رغم انشغالها، فلا تفوّت أبداً فرصة مرور طالبة طب بعيادتها أو طبيبة أو أيّ ساترة لجسدها ووجهها لمحاورتها ومحاولة إقناعها بعدم ضرورة ذلك وتسرد ما تحوّره ليوافق هواها من استشهاداتها العجيبة، وتغلّف ذلك كله بعطفها وحنانها على فلانة من أن تموت من الحرّ بسبب هذا الحجاب، أو أن يعوقها عن العمل أو متابعة دراساتها العليا، وتعزّزه بمدح جمال فلانة وأن الله يحبّ الجمال فلماذا تحجبه عن العيون وتُعيّش الناس في كآبة و سواد..!!!!!!!!!!، حتى لو اضطر الأمر منها بعض الأحيان إلى تأخير المريضة المفترَض دخولها عليها ساعة كاملة!!!!!!

عندما أتأمّل حالها وجدالها وجهادها في سبيل باطلها، وأتفكّر في حالِ من أوتوا العلم والحق وحسن البيان لكن فصلوا بين الدعوة الميدانية في مقرّ أعمالهم وما يدينون به، أتعجّب من همّة أولئك، من جلَد العاصي، وعَجْزِ الثقة..!!!!!!!!!

بعض النساء ينبهرن بكتابات البعض.. بكلماتهم.. يشعرونهنّ بالقهر.. بالظلم الواقع عليهنّ.. يرين فيهم المنقذ و أطواق النجاة والخلوص من زمن العبودية حسب تعبيرهنّ وتعبيرهم فيحفظن كلماتهم عن ظهر قلب ويخرجنها في كل حين وحين للاستشهاد بها ويدافعن عنها كما لو كانت سطوراً مقدّسة..!!!!!!!

وتناسَيْن أنَّ هناك صنفٌ من النّاس.. ودّوا.. لو يصيب نساءنا ما أصاب نساءهم من مرض الإحساس بالنّقص وما يؤدي إليه من التّقليد والعري وانعدام الحياء..!!!!!، ودّوا.. لو يصيب رجالنا ما أصابهم من أمراضٍ فتّاكة.. انعدام المروءة والغيرة والرجولة..!!!!!!، فنكون سوااااااااااء..، لا أعلمهم ولا تعلمهم..، الله يعلمهم.

كنا نظنّ سابقاً أنهم مجرّد مفتونين بالحياة الغربية.. معجبين بالحريّة..!!! وإذ بنا نفاجأ أن أهل الأهواء يستشهدون بأقوالهم ويعاضد بعضهم بعضاً..!!!!، فأصبحت كتاباتُهم دعوةً لها مؤيّدون ومناصرون ومُطالِبون لا مجَرّد مادحين وبسحرها مفتونين.
لقد تعدّى الأمر وأوذي من هذه الكتابات والأطروحات أُناسٌ حرصوا على حراسة الفضيلة وقمع أهل الشر والرذيلة، أناسٌ نذروا دينهم لحماية جنابِ العقيدة، وحفظ فتياتها من مستَنقَع الضياعِ واللومِ والفضيحة.
أصبح كل من هبَّ ودبّ يناقش أمري، أنا المرأة السعودية، حتى الصحافة الأجنبية لم تفتأ تذكر حالي بحزنٍ وألمٍ ورحمةٍ تخفي وراءها ما تخفي، صوّروني في نظر المجتمعات، امرأة لا تملك من الأمر شيء، مسلوبة الإرادة، جاهلة، أمية، مُجبَرة على التلفّع بسوادٍ يحجبها عن العطاء، ممنوعة من المشاركة في أي عملٍ تنموي، محدودة الأفق، ضعيفة التأثير..!!!!!!!!!!
اختصروا قضيّتي كلها في قطعة قماشٍ تغطي وجهي، وسيارة تنتظرني لأقودها أمام بيتي، تصوّر كيف بلغت بهم التفاهة ليتجاوزوا كل همومي، ويختصروا كل آلامي ومطالِبي وحقوقي، بأمرين لم ألقِ لهما يوماً بالاً ولم أشعر يوماً بضررهما أو حاجتي للتحرّر منهما..!!!!!!
نخر أذني صوت صراخهم، أضاعوا الساعات والأيام في مجالسٍ يُفتَرَض أن تُناقِش ما هو أهم، أضاعوها في قضايا عجيبة وبنظرة ضيقة محدودة، أضحكت منّا العالمين!!!!!، وضعوا الدراسات وفنّدوا الأدلة والإدّعاءات، ولم يمثّلوا إلا أنفسهم في تلك الحوارات والمجالس..!!!!. لا جَرَمَ أَنَّمَا يدعون إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة، وأن مردّنا إلى الله...!!!!!!
إحدى النساء البسيطات.. آتاها الله قوة في البصيرة.. تقول: ((أنا عندي حساسية من كل من يكتب ويتحدّث عن المرأة بهذا الشكل.. خاصة لو كان رجل))..!!!!!!!
أفيقي أختي..، تنبّهي، اعرفي من يريد مصلحتكِ، ممّن همّه ضياعك و العبث بكِ وبأمنِك وبيتِك..، تنبّهي، واعلمي حقيقة المعركة الدائرة حولك، حتى تتعلمي كيف تواجهينها وبأيّ سلاح، حتى تكتسبي الانتقائية وتميّزي بين الخبيث المسموم، والطّيب

المُحَارَب المأسُور، حتى تتبهي غيرِكِ ممن انخدَعن وانسقن وراء دعاوى مزيقّة وكلماتٍ منمقة.

أنا المسلمة السعودية أُطَالِب في حقي بأن يمثل أخواتي في تلك الحوارات من نرضاهُ لا أن تُمَكّن من لا نرضاها لتمثيلنا والحديث باسمنا والمطالبة بما تسميه حقوقاً...!!!!!، وأُطَالِب بأن يُمنَع كل من هبّ ودب من الحديث عن شأني والتدخّل في خصوصياتي و الكلام على لساني وإثارة الفتَن وتأليبِ الناس على بعض...!!!!!!

أنا المسلمة السعودية أُطالِب في حقي في تنقية كل مجالاتِ دراستي وعملي مما يخالف نصّاً شرعياً صحيحاً ويحافظ على حيائي و حشمتي...!!!!!، أُطالِب بأن تيسّر لي بيئة العمل والدراسة الطبية- مثلاً فيما فيه حفظ أسباب حيائي وحشمتي، مع مساعدتي على الارتقاء بعلمي وعطائي، في مناخٍ شرعي ترتاح إليه نفسي وأنفس المحيطين بي وتطمئن..!!!!!!، أُطالِب بأن أكون في المستشفى مريضةً كُنتُ أو مرَاجِعة آمنةً مُطمَئِنَة، محميّة من عبثِ العابثين، مستورة العورة، مأمونة الروعة...!!!!

أنا المسلمة السعودية أُطَالِب بعدم تمييع صورتي وإظهارها في وسائل الإعلام بما يخالِف حقيقتها، ويتجاهل كل عطاءاتها و نجاحاتها، وفي الجانب ذاته تبرز المتبرجة وقد بلغت نفس إنجازي أو أقل على أنها فريدة عصرها وزمانها، صورةٌ للجيل المشرق بآمالٍ من ذهب..!!!!!، أُطَالِب بأن تُفسَح لي نفس المساحة من الحرية للتعبير عن أفكاري و المطالَبَة بحقوقي، لا إن كتبتُ ردّاً على أحدهم ممن تسمّى بنصير المرأة السعودية المظلومة أن يُعلّب ويلقى في غياهب أدراج ذلك المكتب..!!!!!!

أنا المسلمة السعودية أُطَالِب بصيانة الحقوق التي كفلتها لي الشريعة كاملة، لا أن يُماطِلني الرجل ويبتزني ويجرجرني في المحاكم وعند القضاة بحثاً عن حقي، لا أن أُطَلّق من رجلِ عابث، لأسرَتِه مضيّع، فلا أجد نفقةً ولا بيتاً يؤويني وبنيي، لا أن أُجبَر على البقاء مع رجلٍ معربدٍ تاركٍ للصلاة، لعائلتِه مفسِد، وأُطَالَب بالصبر عليه، لا أن أُطَلّق أو أترمّل فينزع أبنائي منّي وأُحرَم رؤيتهم، لا أن أكبر في السنّ فلا أجد

معيلاً ولا ولداً باراً بي رحيماً ولا علاجاً للمرضِ مقيلاً، لا أن.... ولا أن.....، و قائمة القهر تطول...

أرءيتم حقوقي الكثيرة والأكبر بكثير مما اختصرته كلماتكم و مطالِبكم..، وفرّغتم له أقلامكم وأصواتكم وأوقاتكم..، خروج المسلمة السعودية كاشفة الوجه، حاسرة الرأس، تتفاخر بمجالستها فلان وفلان، على رؤوس الأشهاد هل هو رفقاً بها؟!!!، تضييعها مسئوليتها الأصلية، وتعريضها للفتن و تقديم التنازلات هل هو رفقاً بها؟!!!!، سفرها بلا محرم ومشاركتها للرجل في ميدان عمله و حواره دون ضوابط شرعية هل هو رفقاً بها؟!!!!!، كفى.. كفى رفقاً بالقوارير على طريقتكم.. كفى..، مالكم كيف تحكمون.. ها أنتم تحاجّون عن أنفسكم في الحياة الدنيا.. فمن يحاجج الله عنكم يوم القيامة..؟!!!!!!!!!!!!!!!!!

كم من دعوةٍ في جوفِ الليلِ من قلوبٍ محترقة لما وصل إليه حالُ المرأة المسلمة اليوم على هدى شعرواي وقاسم أمين – ليست بالهاديةِ وليسَ بالأمين –..!!!!!!!

والقائمة بعدهما طالَت وما زالت تطول وتطول، نسألُ الله السلامة والعافية، والله يريد أن يتوب عليكم، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً..!!!!!!!

فليعلموا وليعلم غيرهم ممن سار على نهجهما واتبع خطاهما؛ أن زوال الدنيا بما فيها أهون من زوال الدين والأخلاق، واختلاط النساء بالرجال، وضياع أسباب حفظ الفضيلة، و انتشار الفاحشة والرذيلة، عند من يقدر قيمة الدين والخلق، ويعلم أن عزة الأمة، وقوتها، ونجاتها وأمنها، بحفاظها على عقيدتها وخيريتها التي اختصها الله – سبحانه وتعالى– بها و قرنها بأمرها بكل معروف ونهيها عن كل منكر.

أسأل الله أن يبارك في جهود الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فهم والله سفينة النجاة، كلٌ في موقعهِ، وأن ينفع بهم الإسلام والمسلمين، وأن يزيدهم توفيقاً وهدى، وإيانا وإياهم وسائر إخواننا من دعاة الهدى وأنصار الحق، وأن يتوفانا جميعاً على دينه غير خزايا ولا مفتونين.

مجلة المتميزة – العدد الثالث عشر – محرم 1425هـ

المصدر: http://saaid.net

=============

#مناهج التعليم الجزائرية دون «تربية إسلامية»

أميمة أحمد

أثارت بعض التعديلات التي أدخلتها الحكومة الجزائرية على مناهج التعليم انتقادات واسعة مع بدء العام الدراسي الجديد في 2004/9/11، واعتبر البعض هذه التغييرات مساساً بقضية «الهوية الوطنية» من جانب «التغريبيين»، خاصة أن بعضها فاقم مشكلات موجودة بالفعل.

وشملت التعديلات تغيير اسم مادة «التربية الإسلامية» إلى «التربية الدينية والأخلاقية والمدنية»، وتدريس اللغتين الفرنسية كلغة ثانية بدءاً من الصف الثاني الابتدائي، والإنجليزية في السنة الأولى متوسط (السنة السابعة) بعد أن كانت اللغتان تدرسان بدءاً من الصف الرابع، إلى جانب تدريس مقارنة الأديان في المرحلة الثانوية.

وقد وردت تلك التعديلات وغيرها في تقرير «لجنة إصلاح المنظومة التربوية» التي عينها الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة عام 1999، وأنهت عملها في تموز 2001.

الهوية الوطنية:

وقال الدكتور علي بن محمد (وزير التربية الجزائري السابق، ورئيس «التنسيقية الوطنية لمدرسة جزائرية متفتحة وأصيلة») لـ«إسلام أون لاين» يوم 9/22 الجاري: إن هناك نقصاً كبيراً في عدد مدرسي اللغة الفرنسية عندما كان تدريسها يبدأ بالسنة الرابعة؛ حيث لم تتجاوز التغطية 50% من عموم المدارس الجزائرية.

وتضم «التنسيقية الوطنية لمدرسة جزائرية متفتحة وأصيلة» عدة جهات معارضة للإصلاحات التي شرعت وزارة التربية في تطبيقها، من بينها أحزاب إسلامية، وجمعية الدفاع عن اللغة العربية، والتنسيقية الجزائرية لمناهضة التطبيع مع إسرائيل، ونقابات مستقلة.

أوضح الوزير السابق: «إننا نؤيد الإصلاح الذي يتناول المناهج والبرامج، وتكوين المعلمين، وإعداد المربين، وهذه كلها تدخل في الإصلاحات، أما قضية الهوية والثوابت الوطنية فلا ينبغي أبداً أن تكون عرضة للزيادة والنقصان، لكن في بلادنا

يوجد جماعة نسميهم بالتغريبيين والاستئصاليين الذين لا يفهمون الإصلاح إلا بالتراجع عن كل ما يتعلق بالهوية الوطنية، وبالذات اللغة العربية والدين الإسلامي في الجزائر».

وحول ما يقوله أنصار تلك الإصلاحات من أن المعارضة لها «انغلاق على الثقافات الأخرى التي ينبغي معرفتها» نفى ابن محمد ذلك، قائلاً: «بالعكس نحن من دعاة الانفتاح على اللغات الأجنبية، وناضلنا كثيراً من أجل ترسيخ الإقبال على اللغات الأجنبية.. لكن الفرانكفونيين (متحدثي الفرنسية) يريدون إغلاق الأمر علينا حصراً باللغة»، وتابع: «إننا نرفض إصلاحاً يُغير في الهوية الوطنية العربية الإسلامية».

بلا ترتيبات مسبقة:

من جانبه انتقد محمد إيدار رئيس الاتحاد الجزائري للتربية والتكوين إدخال الفرنسية بدءاً من السنة الثانية، خاصة أنه «يأتي دون ترتيبات تربوية مسبقة، لا سيما مع نقص مدرسي الفرنسية»، وأشار إيدار إلى مشكلة أخرى هي نقص كتب الفرنسية.

واقترحت وزارة التربية «استئجار الكتاب المدرسي»، وتساءل إيدار في ذلك حول إمكانية أن يحافظ تلميذ في المرحلة الابتدائية على كتابه للعام القادم في الوقت الذي يتوجب عليه حل تمارين في الكتاب نفسه.

شملت تعديلات الوزارة أيضاً إدراج تدريس اللغة الأمازيغية بجميع الولايات بعدما كانت في 11 ولاية فقط العام الماضي، واتفق إيدار مع ابن محمد على صعوبة توفير أساتذة لتعليم الأمازيغية بجميع المدارس، واعتبرا تلك الخطوة «ورقة للتوظيف السياسي».

وانتقد وزير التربية الجزائري الأسبق تغيير اسم مادة «التربية الإسلامية» إلى «التربية الدينية والأخلاقية والمدنية»؛ لتصبح التربية الإسلامية جزءاً من ثلاثة أجزاء تشكل مادة واحدة.

كما تم تغيير اسم المادة نفسها في المرحلة الثانوية إلى «التربية الدينية»؛ حيث يتم تدريس جميع الأديان بها وليس الإسلام فقط، واحتجت الوزارة في ذلك بأن «التلميذ سيكون متسامحاً أكثر عندما يتعلم جميع الأديان».

وأشار ابن محمد في هذا الصدد إلى أنه «لا توجد مدرسة في العالم تعلم مقارنة الأديان في الثانوي؛ فهذا موضوع في الجامعة نحن معه في كليات الشريعة الإسلامية، ونلح على أن يعرف الطلبة جميع الديانات الأخرى ليحاوروا محاورة حضارية ثقافية ترقى لمستوى الجامعة، أما في المرحلة الأساسية والثانوية فينبغي أن يقتصر التعليم على فهم دينهم بعمق».

وكانت «التنسيقية الوطنية لمدرسة جزائرية متفتحة وأصيلة» قد هددت قبيل بدء الدراسة بما أسمته بـ«سنة بيضاء» إذا شرعت وزارة التربية بالإصلاحات التي طالب بها التقرير، وقال الدكتور ابن محمد: «نعم هددنا بشل التعليم لو طبقت وزارة التربية تقرير العار» الذي وضعته لجنة إصلاح المنظومة التربوية.

لكنه أشار إلى أن الوزارة «لم تطبق شيئاً من الإصلاح، فقط قالوا: سنعلم باللغة الفرنسية من السنة الثانية بالابتدائي»، مشيراً إلى أن «وزير التربية نفسه صرح بأنه لا يملك الوسائل البشرية لتطبيق القرار الآن».

ولذلك رأى الوزير السابق أن تدريس اللغة الفرنسية في الصف الثاني ما هو إلا «تراجع عن التعريب، والعودة إلى التعليم باللغة الفرنسية»، واعتبر أن هذا القرار «شكلي على أرض الواقع، لا يستطيعون تطبيقه».

المصدر: http://www.al-aman.com/asubpage.asp?issid=28&sectionid=70

===========

#مسلمون مع وقف التنفيذ

خالد مطهر العدواني

لقد أصيب العالم الإسلامي اليوم بأوجاع سقيمة، وآلام مبرحة؛ من جراء الغزو الصليبي العسكري والفكري، حتى أصبح التناقض واضحاً جلياً بين مبادئ الإسلام وواقع المسلمين، وجدنا كما يقولون: مسلمين مع وقف التنفيذ، مسلمين بحكم الاسم والولادة والموقع الجغرافي، وانصرفنا عن الشرق المسلم إلى الغرب الكافر، وخيمت علينا عتامة في الفكر، وغشاوة في البصر، وانحطاط في القوى، وأصبحت أراضينا

مستعمرة، بسبب تقاعسنا، وتراخينا عن التمسك بديننا الحنيف، والذي كان ظهوره هو أعظم ما رأى العالم من أحداث، وأكبر فتح في تاريخ الإنسانية والبشرية جمعاء.

فنرى المسلمين اليوم – وقد كانوا قادة العالم بالأمس في الفكر، والحضارة، والثقافة يوم كانت دولتهم – وقد أصبحوا تابعين في الفكر، والوعي، والرأي، والوقف، وجاوز ذلك الأمر إلى تقليد تلك المجتمعات الغربية في ميادين السلوك، والتصرفات، والأعراف حتى لو كانت لا توافق ديننا، أو مجتمعنا، فنجد المسلم منا يحمل اسم الإسلام فحسب أما تصرفاته وسلوكه فيزاحم الأوربيين في عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم نتيجة التقليد الأعمى لهم، فأصبح يقلد المظاهر الأوربية في جميع جوانب حياته المختلفة، مما أدى بكثير من الشباب العربي لفقد توازنه النفسي، فصارت تستهويه التقاليد الغربية التي يسير عليها الشباب الأوروبي، وطفق يأخذ من هذا وذاك دون تمييز بين الغث والسمين، والنافع والضار، حتى لقد أصبح تفكير الشباب يحفل بأفكار مشبوهة عن العلاقة بين الجنسين.

حتى إن النساء المقلدات في كثير من مجتمعاتنا الإسلامية يبدين مفاتنهن شيئاً فشيئاً بدءاً بالكف واليدين والوجه، ثم الشعر ... دون أن تحس بمقت من مجتمع، أو نهي من دين، أو إرشاد من ولي أو زوج، وصارت المرأة تتعلل بسنة التطور للحاق بالغربيات، وغاب عنها أن المجتمعات الغربية نفسها تنظر نظرة إعجاب وتقدير إلى كل امرأة ذات شخصية مستقلة، وقيم أصيلة، وحضارة متميزة، وثقافة خاصة!!

إن من العجيب أن نرى الراهبة في أوربا أو في الشرق فخورة بدينها، ترتدي زياً متأنقاً يستر كل البدن (عدا الوجه والكفين كما في تعاليم دينها، ولا تكشف أبداً عن ساقيها)، ورداؤها يحجب عنها كل نظرة خبيثة، وهي لذلك موضع احترام وتبجيل ممن ينتمون لدينها، ولم يستنكر ذلك أحد أو يطالبها بأن تتحرر من زيها بدعوى الرجعية.

ولقد كان لوسائل الإعلام الدور الكبير في نقل الأفكار الغربية إلى أذهان أبناء المسلمين، فأصبحوا يتابعونها باستمرار، ويقلدون ما وصل إليهم عبر تلك الوسائل من أفكار وتقاليد منحطة تدمر القيم النبيلة للإسلام والأخلاق العالية لدى أبنائه، ولا

يزال البث الفضائي ينحدر انحداراً شديداً نحو أفلام الجنس الرخيص، ومشاهد الإثارة العنيفة.

والأمر يتطلب إلى أن تقوم الحكومات الإسلامية، والمؤسسات المعنية، وذوو الحماسة الإسلامية بحيازة أكثر أدوات الاتصال والإعلام تقدماً للوصول بالكلمة والصورة إلى الأذان، والأفهام؛ حتى تستقبلها النفوس راضية، ويعود المسلمون إلى دينهم، ويصبحوا مسلمين بكل ما تحمله هذه الصفة من معاني، وقيم، وأخلاق، ومفاهيم، فالإسلام هو تاريخ المرحلة المقبلة والأفق الجديد للفكر الإنساني والبشرية، كما يقول الفيلسوف الفرنسي المعاصر جارودي: فنحن بحاجة إلى إنقاذ واقع المسلمين، واستئصال كل رذيلة علقت به من جراء الغزو الفكري، وهو ما يتطلب منا التسلح بالصبر الجميل في مجال العمل الإسلامي الجاد والذي يقع على عاتق علماء هذه الأمة.

المصدر : http://www.islamselect.com

============

#الجندر

د. حسن بن محمد شبالة

مفهومه أهدافه موقف الإسلام منه

نموذج يمني لدعاته

¨ المقدمة:

(قضية تحرير المرأة) هي التي قامت الحركة النسوية في أوربا بالدعوة إليها بداية القرن الماضي، وتوسعت القضية وتعددت محاورها، ابتداءً من قضية مساواة المرأة بالرجل في الأجر، حتى أصبحت القضية في النهاية هي طلب المساواة التامة مع الرجل في كل شيء.

ودخلت هذه القضية في بداية أمرها إلى العالم الإسلامي – إلى مصر – مع دعاة تحرير المرأة الأوائل كـ (قاسم أمين، وهدى شعراوي، وصفية زغلول) وأمثالهم عام 1919 م؛حين قامت مظاهرة نسوية في ميدان الإسماعيلية بالقاهرة، واحرقن الحجاب.

ثم عمت جميع بلاد الإسلام ومازالت القضية في تقدم نحو السقوط منذ ذلك اليوم حتى وصلت اليوم إلى الدعوة إلى الجندر بصراحة دون حياء.

¨ فما هو الجندر؟ وما مفهومه؟ وما هي أهدافه؟ وما موقف الإسلام منه؟

هذا ما نسلط عليه الضوء في هذه السطور إن شاء الله، ثم نذكر نموذجاً من دعاته في اليمن.

أولاً: مفهوم الجندر: -

الجندر: يعني لغة ومفهوماً : (الجنس) المتعلق بمكونات الذكورة والأنوثة بالدرجة الأولى([1]).

وقد استعير من البيولوجيا، وأن الجندر هو الوجه الاجتماعي الثقافي للانتماء الجنسي([2]).

أو هو الهوية الجنسية للفرد كذكر أو أنثى، كما تحددها الثقافة والمجتمع([3]).

وعلى ضوء هذا المفهوم للجندر، تم عملية اشتقاق كل المضامين والدلالات الاجتماعية الأخرى للوظيفة والدور، ومن منطلق نفس الفروق واختلاف القدرات بيولوجياً بين الجنسين تأتي الدعوة إلى رفض التمييز والفروق الاجتماعية والأدوار والوظائف بين الذكر والأنثى.

¨ منشأ هذه الدعوة: -

بدأ الجدل حول هذا المفهوم منذ أواخر السبعينات للقرن الماضي ومن منطلق الدعوة للانحياز المباشر والضمني لتعزيز موقف المرأة وحقوقها الماسة في المجتمع المعاصر.

وقد انطلقت هذه الدعوة من عمق الحداثة الأوربية والأمريكية، وكانت واضحة من خلال أنشطة الهيئات والمنظمات الدولية، وخاصة في أوساط مجتمعات الدول النامية.

وقد عقدت لهذه الدعوة عدة مؤتمرات وفعاليات عالمية ودولية من أهمها: -

مؤتمر القاهرة عام 1994 م.

مؤتمر بكين عام 1995 م.

مؤتمر بكين عام 2000م.

مؤتمر المرأة الذي نظمه مركز الدراسات النسوية بجامعة صنعاء عام 2000م.
مؤتمر عمَّان عام 2001 م.
وكانت أهداف تلك المؤتمرات واضحة جداً في الدعوة إلى إزالة الفوارق بصفة عامة بين الذكور والإناث، واتهام المجتمعات الشرقية (الدول الإسلامية) بالتخلف الثقافي الجنسي، والحديث عن اضطهاد المرأة في تلك المجتمعات.
وقد قوبلت تلك الأطروحات بالرفض من المجتمعات الإسلامية الغيورة على دينها وفطرتها السليمة، ولُطِّخت سمعة هذا المصطلح واحترقت شخصيات الداعين إليه، كما حصل في اليمن للقائمين على مركز الدراسات النسوية بجامعة صنعاء، حيث فروا إلى خارج اليمن وأنشأوا مراكز مماثلة هناك([4]).
¨ النوع الاجتماعي وعلاقته بالجندر:
بعد الفشل الذي أصاب مفهوم الجندر في العالم الإسلامي حاول المهتمون بقضايا المرأة والجندر تغيير صورتهم الشنيعة إلى صورة مقبولة إلى حد ما داخل المجتمعات الإسلامية، وكان من أهم قرارات مؤتمر القاهرة عام 1994 م إعادة طرح موضوع الجندر من جديد ولكن باسم آخر مقبول إلى حد ما هو " النوع الاجتماعي".
فما هو مفهوم النوع الاجتماعي عند الجندريين ؟!.
" النوع الاجتماعي لا يتعدى بالنسبة لكثير من المهتمين والمعجبين بالجندر أكثر من مجرد ترجمة لكلمة الجندر الإنجليزية، أو مجرد غطاء شكلي للستر على ما قد لحق بمفهوم الجندر من سوء السمعة في المنطقة العربية والإسلامية بالذات"([5]).!
غير أنه يوجد هناك فريق من الجندريين المعتدلين([6]) حاول مسك العصا من الوسط، وحاول إزالة السمعة السيئة عن الجندر وأصحابه، وقسموا مفهوم النوع إلى قسمين : –
النوع البيولوجي : وهو يعني المعنى اللغوي والموضوعي للذكورة والأنوثة، وهذا النوع هو الذي يمكن تمييز الرجل عن المرأة باختلاف الخواص البيولوجية لكل منهما.
النوع الاجتماعي : وهو الأدوار والوظائف الاجتماعية التي لا علاقة لها بالنوع البيولوجي، وهذا هو الذي يجب عدم التمييز بين الرجال والنساء فيه فهم متحدون

تماماً، فبإمكان الرجل أن يقوم بجميع أدوار المرأة الاجتماعية، والمرأة تقوم بجميع أدوار الرجل الاجتماعية دون استثناء.

من خلال ما سبق: -

يتضح أن الجندر والنوع الاجتماعي وجهان لعملة واحدة، غير أن النوع الاجتماعي جاء بثوب عربي مهجن، كغيره من المصطلحات المعاصرة التي حاول أذيال الغرب في بلاد الإسلام تهجينها مثل: الاشتراكية الديمقراطية... الخ بنسبتها إلى الإسلام؛والجندر أتى بثوب غربي صرف.

¨ أهداف الجندر (النوع الاجتماعي) وآثاره على المجتمع المسلم:

الهدف الأول : - التشكيك في كثير من ثوابت المجتمع المسلم، العقدية والفطرية والأخلاقية والسلوكية..

وذلك من خلال القول بالتفرقة بين (النوع البيولوجي) و(النوع الاجتماعي)، وأنهما مختلفان تماماً ولا علاقة لأحدهما بالآخر، حيث يقرر الجندريون: أن النوع البيولوجي ثابت، والنوع الاجتماعي متغير، ومكتسب، وحصروا مفهوم النوع البيولوجي في الذكورة والأنوثة وما يتعلق بهما من خصائص الحمل والولادة والتناكح والتناسل فقط. والنوع الاجتماعي: فيما عدا ذلك من صفات وأدوار ووظائف متعلقة بالرجل والمرأة على حد سواء، وهذا يعني التشكيك في الثوابت والخصائص المتعلقة بالمرأة، وكذا التشكيك في الثوابت والخصائص المتعلقة بالرجل، وأنها في وجهة نظر الجندريين لا تعدو أن تكون أدواراً ووظائف مكتسبة ومتغيرة.

وبناءً على هذا المفهوم يطالب الجندريون بإعادة النظر فيما يلي: -

أ مفهوم الرجال والنساء.

ب- مفهوم الأمهات والآباء.

ج- مفهوم الأبناء والبنات.

و يدعون إلى قلب هذه المفاهيم بناءً على نظرية (النوع الاجتماعي) المتغير والمكتسب، وأن هذه المفاهيم لا علاقة لها بالذكورة والأنوثة، فيمكن للذكر أن يكون امرأة وللأنثى أن تكون رجلاً والأب أن يكون أماً والأم أن تكون أباً، وهكذا في الأبناء والبنات.

ونتيجة لتغيير هذه المفاهيم تبعاً لتبادل الأدوار فسيكون من ثمارها ما يلي: -
إلغاء مبدأ قوامة الرجال على النساء.
إلغاء الأحكام الخاصة بالنساء، كأحكام الحجاب والخلوة والاستئذان والسفر والأمومة والحضانة ونحوها.
القضاء على تاج النساء -وهو حياؤهن- وخاصة الفتيات من خلال دعوتهن إلى تبادل الأدوار والوظائف فيما بين الرجال والنساء مهما كانت تلك الوظائف والأدوار.
الهدف الثاني: - تحطيم الأساس الذي يقوم عليه البناء الاجتماعي في المجتمعات المسلمة وتنفيذ مخططات الأعداء في تمزيق الأسرة المسلمة.
وذلك من خلال إلغاء دور الوالدين القيادي والتوجيهي في تنشئة الأسرة، وهذا يؤدي إلى الانحطاط الأخلاقي والسلوكي عند الأبناء، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية الدعوة الصريحة والواضحة إلى ضرورة تبادل الأدوار داخل الأسرة بين المرأة والرجل في الوظيفة والدور الذي وضع لهما شرعاً، والدعوة إلى إعادة تقسيم العمل بينهما بناءً على هذه النظرية.
الهدف الثالث: الدعوة إلى إلغاء قواعد اللغة والثوابت المتعلقة بتمييز النوع والجنس، وإحلال (اصطلاحات مهجنة) بديل عنها، ومن ثم إيجاد فاصل بين ثوابت اللغة ومدلولاتها الشرعية والتاريخية وبين أهل اللغة واللسان العربي في فهم مدلولات النصوص الشرعية والتاريخية، وهي دعوى لم نجدها في أي مجتمع من المجتمعات البشرية.
الهدف الرابع: - الدعوة إلى عدم الارتباط بما خلفه لنا المتقدمون وما ورثناه من تاريخ الأمة من قيم وتقاليد أصيلة، وفهم للنصوص المقدسة، حيث يطالب الجندريون ويدعون إلى الاجتهاد المطلق وفتحه لكل الناس دون ضوابط ولا شروط، بدعوى التطور والتغيير، وكذلك الدعوة إلى فهم عصري جديد لنصوص القرآن والسنة، مخالف تماماً لفهم سلف الأمة وعلمائها؛وإطلاق القول (بأن كل شي قابل للتطور والتجديد) وهذا معناه نسف كثير من الثوابت الشرعية في المجتمع.
الهدف الخامس: - الدعوة إلى مسخ شخصية المرأة ومسخ شخصية الرجل مسخاً كلياً من خلال الدعوة إلى إزالة الفوارق بين الرجال والنساء والدعوة إلى الشذوذ.

بحيث يمكن للمرأة أن تكتسب كل صفات ومميزات ووظائف وأدوار الرجولة الاجتماعية، وتكون بذلك رجلاً دون أن تكون قطُّ ذكراً. والعكس بالعكس صحيح تماماً، ودون أي انتقاص لوجود وإنسانية أي منهما إذا قام بعمل ووظيفة الآخر اجتماعياً. وبمعنى آخر: يمكن للرجل أن يكتسب كل صفات ومميزات ووظائف وأدوار المرأة الاجتماعية، ويكون بذلك أمرأة دون أن يكون قطّ أنثى، ودون انتقاص لوجوده وإنسانيته.

فأي استخفاف بالعقول أشد من هذا، وأي شذوذ أبشع من هذا الذي يطالب به الجندريون.

موقف الإسلام من الجندر:

من خلال ما سبق يتضح لنا أن دعاة الجندر يدعون إلى:

دعوة المرأة إلى الترجل، ودعوة الرجل إلى التخنث!!

وهذا محرم، ومن الكبائر وقد لعن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من يفعله:

فعن ابن عباس –رضي الله عنهما– أنه قال: (لعن النبي – صلى الله عليه وسلم – المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء)([7])

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: (لعن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل)([8]).

و روى ابن عباس – رضي الله عنهما – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: " لعن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال"([9]).

فالجندريون يريدون أن يحوّلوا المجتمع إلى مجتمع تحل عليه لعنة الله – تعالى –، وكل مسلم لا يمكن أن يرضى هذا لنفسه ذكراً كان أو أنثى.

2 الدعوة إلى تسوية المرأة مطلقاً بالرجل!! :

وهذا يعني إلغاء الأحكام الثابتة شرعاً و الخاصة بالنساء؛كأحكام الحجاب والاستئذان والخلوة والسفر بمحرم وعدم الاختلاط بالرجال والشهادة والميراث ونحوها... وهذا لاشك من أبطل الباطل

3– الدعوة إلى تحرر المرأة من سلطان الشرع وقوامة الرجل عليها:

بحيث تفعل ما يحلو لها وليس لأحد سلطان عليها، وهذا يتصادم مع قول الله – تعالى –: (الرجال قوامون على النساء) [النساء: 34].

وبالنظر في أهداف الجندرة المذكورة آنفاً يتضح لنا حكم الشرع فيها وأنها دعوة باطلة مشبوهة، تناقض أحكام الإسلام، وتدعو إلى الإباحية ونشر الفاحشة في المجتمع المسلم، وتدمير الأسرة، وإفساد المرأة والرجل على حد سواء، وبناءً على هذا فلا يجوز الانتساب إليها ولا ترويجها في المجتمع، ودعوة المتأثرين بها والمدافعين عنها إلى التوبة والإنابة والرجوع إلى الله قبل أن يحل بهم عذاب الله – سبحانه – الأليم الذي وعد به من أحب إشاعة الفاحشة بين المؤمنين كما في قوله: (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين أمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون)}النور: 19.

نموذج لدعاة الجندر في اليمن (عرض ونقد):

النوع الاجتماعي في اليمن مفاهيمه وتحليلاته واتجاهاته، للدكتور / حمود العودي([10]).

حاول الباحث عبثاً أن يفرق بين المتماثلات ويجمع بين المختلفات من خلال نظريته المزعومة في هذا البحث والمسماة بالنوع الاجتماعي الذي من أخص صفاته أنه مكتسب ومتغير وحشد لها أدلة مثل خيوط العنكبوت.

– ففي ص (7) يقول الباحث: " فمفهوم الذكر والأنثى مفهوم بيولوجي خلقي بحت لا علاقة له بالمفاهيم الاجتماعية المكتسبة، كمفهوم رجل وامرأة وشاب وشابة... " الخ.

وبناء على هذه القاعدة بنى أفكاره وأطروحاته، فجعل النوع البيولوجي هو الثابت وحصره بالذكورة والأنوثة وهي تعنى الجنس والحمل والولادة فقط، أما غيرها من الصفات والأدوار والوظائف لدى الذكر والأنثى فقد سماها " النوع الاجتماعي " وجعله متغيراً ومكتسباً يمكن تبادله بين الذكور والإناث بكل سهولة.

– وفي ص (29) يقول: " قد تكون أسرة ما في وسط اجتماعي محافظ أكثر مرونة وانفتاحاً كأن تقبل خروج بناتها بدون حجاب...، لكن الوسط الاجتماعي الثقافي يحول دون ذلك....، وقد يكون هناك نظم وتشريعات عامة متطورة ومنفتحة......،

غير أن منظومة الثقافة العامة في المجتمع على خلاف ذلك فهي أكثر محافظة ورجعية ". وهكذا بهذه العقلية يتهجم على التشريعات الإسلامية ويصفها بالرجعية، ويطالب بإلغاء دور الثقافة العامة للمجتمع التي هي في الحقيقة الثقافة الدينية.

– وفي ص (24) يعد البدهيات من التصرفات البشرية الصحيحة خاطئة، ويستغرب من التفريق بين الذكر والأنثى في الملابس وفي الاسم، وعدم حضور البنت مجالس الناس وعدم السماح لها بإبراز الأعضاء التناسلية لها مثل الولد، وحجم الملابس، ونحو ذلك مما سطره ص (21 22) ويعتبر ذلك خطأ وتمييزاً بين الذكر والأنثى.

ولازم قوله هذا الدعوة إلى مساواة الذكر بالأنثى في كل ما ذكر أعلاه وهذا لا يقوله عاقل.

وهذه الأطروحات والمفاهيم تعد من باب قلب الحقائق اللغوية والعرفية والشرعية والفطرية، ولم يستند الباحث في إثبات نظريته هذه إلى أدلة علمية بحتة بل سطرها وانصرف عن إثباتها بالأدلة العلمية إلى البناء عليها قصوراً من المفاهيم المغلوطة، فكان حاله كمن أسس بنيانه على شفا جرف هارٍ فانهار به.

بيان عوار هذه النظرية وفساد الاستدلال الذي استدل به الباحث: –

أولاً: دعوى الباحث عدم العلاقة بين (النوع البيولوجي) و(النوع الاجتماعي)، دعوى باطلة، وأكثر بطلان منها دعواه بأن القرآن ميز بين النوعين البيولوجي فأورده بمصطلح الذكر والأنثى ولم يرد بغيره فيه، وبين النوع الاجتماعي بمصطلح الرجل والمرأة ولم يرد بخلافه ([11])فليس صحيحاً أن (النوع البيولوجي) لا علاقة له (بالنوع الاجتماعي)، وليس صحيحاً أن مفهوم الذكر والأنثى لا علاقة له بمفهوم الرجل والمرأة، بل الصحيح علمياً أن النوع الاجتماعي ينقسم إلى قسمين : –

القسم الأول: – يحتوي على الصفات والأدوار والوظائف المتعلقة تعلقاً كلياً بالنوع البيولوجي وهي أثر من آثاره، والفصل بينهما من باب الفصل بين السبب والمُسبب، أو من باب الفصل بين العلة والحكم، فلا تسمى المرأة امرأة إلا إذا كانت أنثى واضحة الأنوثة، ولا يسمى الرجل رجلاً إلا إذا كان ذكراً واضح الذكورة، وعند اختلاط صفات الذكورة بالأنوثة فهناك مصطلح ثالث وهو " الخنثى " وقد يكون اختلاط الصفات متداخلاً كثيراً فيسمى "الخنثى المشكل"، وكل من المصطلحات الثلاثة

المذكورة سابقاً لكل نوع منها أحكامه الخاصة به في الشرع والفطرة والعرف. وهذا القسم له تعلق كبير جداً بالنوع البيولوجي ودعوى عدم العلاقة بينهما التي حاول أن يثبتها الباحث خطأ علمي وقع فيه بسبب عدم تفريقه بين أقسام النوع الاجتماعي، أو مغالطة يروج لها بالتلبيس والتدليس.

القسم الثاني : - صفات وأدوار ووظائف لا علاقة لها بالنوع البيولوجي، وليست أثراً من آثاره، وهي الصفات والأدوار المشتركة بين الذكر والأنثى والمتعلقة بالحقوق التعبدية التي لا تختلف أحكامها من ذكر إلى أنثى، قال الله

- تعالى -: (أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) أي في العمل الصالح والعبادات من حيث الجملة، إلا أن الله - سبحانه - اختص المرأة ببعض الأحكام الشرعية تبعاً لخلقتها وفطرتها والظروف التي تعتريها كالحيض والنفاس وما يتعلق بها.

ثانياً: اجتهاد الباحث في المجالات العلمية الشرعية اجتهادات باطلة وقع فيها بسبب جهله بهذه الفنون "ومن تحدث في غير فنه أتى بالعجائب"، وإليك بيانها: -

اجتهاده في مجال اللغة:

يقترح الباحث مجموعة من المصطلحات اللغوية الجديدة؛ليلغي بها المصطلحات اللغوية الأصيلة التي أقرها الشرع وخاطب بها الخلق في تشريعاته، فيقترح استبدال مصطلح (أب أم) بمصطلح (أبم)، ومصطلح (الرجل والمرأة) بـ (رام) والبنت والولد بـ (بلد) إلى آخر هذيانه كما في ص (16)، على أن كلمة (ولد) تشمل في المصطلح اللغوي الشرعي الابن والبنت، كما قال - تعالى -: (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حض الأنثيين) لكن بسبب جهل الباحث في اللغة قال ما قال.

ولا أدري ما الفائدة من تغيير تلك المصطلحات اللغوية والشرعية المستقرة في أذهان الناس إلى هذه المصطلحات الملفقة التي هي محض هراء وجهل بلغة العرب وألفاظها ومدلولاتها.

لكن هذا التغيير يصب في تحقيق الهدف الأول الذي أشرنا إليه سابقاً وهو الدعوة إلى ثورة على المصطلحات والثوابت الشرعية في المجتمع المسلم.

ب - وفي مجال الفقه: -

يجتهد الباحث في مجموعة من الأحكام الثابتة في الشريعة الإسلامية ويدعو إلى تغييرها، من ذلك: -

إلغاء مدلول قوله - تعالى -: (فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء)، حيث يطالب في نهاية اجتهاده في تفسيرها بإلغاء هذا المدلول أو تسوية ضعف النساء بضعف الرجال، ويطالب بالتسوية بينهما في الشهادة بمعنى إلغاء مدلول النص أو مساواة الرجل بالمرأة في ضرورة أن يكون رجل في مقابل امرأة أو رجلان في مقابل امرأتين.

يطالب الباحث بضرورة تبادل الأدوار بين الرجل والمرأة فيما سماه بالنوع الاجتماعي المتغير والمكتسب ويعنى تبادل الأدوار والوظائف بين الرجال والنساء، أي أن الرجل يمكنه أن يقوم بدور المرأة وأن المرأة يمكنها أن تقوم بدور الرجل دون النظر في نوع تلك الأدوار والوظائف هل هي خاصة بالمرأة أو بالرجل وهذا لا يهمه بناءً على نظريته السابقة. وهذا يعنى عدم ثبات الأحكام الشرعية الخاصة بالنساء، كأحكام الحجاب والاستئذان والخلوة والسفر بمحرم، وعدم الاختلاط بالرجال ونحوها، وأنها متغيرة ومكتسبة يصح إلغاؤها أو تبادلها مع الرجال.

2- دعا الباحث صراحة إلى إلغاء أو تعديل مفهوم القوامة الشرعية كما سيأتي بيانه في اجتهاده في التفسير.

3- يطالب في اجتهاده الفقهي بأن تخرج الفتاة لتبحث لها عن زوج دون أدنى حياء قياساً على الشاب الذي يبحث له عن زوجة، كما صرح بذلك في ص (39). بل يقرر الباحث أن الحق المفترض في مسائل الخطبة والبحث عن الزوج تكون بالنسب التالية: - 70 % من حق البنت في البحث لها عن زوج، 30% من حق أسرة البنت في البحث عن زوج لابنتهم، ولا أدري على أي دليل شرعي بنا ذلك.

ج - في مجال التفسير: -

1- يختار الباحث ما يوافقه من الآيات ويدع الأخرى، وهذه خيانة علمية في البحوث، ولم يكتفِ بهذه السوءة بل أضاف إليها أخرى، حيث يفسر تلك الآيات كما يحلو له دون أن يرجع فيها إلى أقوال المختصين من المفسرين.

حيث يقرر في بحثه هذه القاعدة فيقول ص (8): (فكل الآيات القرآنية الكريمة التي ورد فيها ذكر الأنثى والذكر قد اقترنت دلالاتها وأحكامها بالأدوار والوظائف البيولوجية للنوع البيولوجي...)، و كذب والله في هذه الدعوى، فقد ذكر (الذكر) (12 مرة) في القرآن، وذكرت الأنثى (18 مرة)، و الأنثيين (6 مرات) والإناث (6 مرات). وليست كلها مقترنة بالنوع البيولوجي. بل منها ما هو مقترن بالنوع الاجتماعي، كما في آية سورة آل عمران (لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى)، وكما في آية سورة النساء (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن)، وكما في آية غافر (ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن)، وكما في قوله، في سورة آل عمران (وليس الذكر كالأنثى)، فهذه كلها كما رأيت متعلقة بالنوع الاجتماعي ولا علاقة لها بالنوع البيولوجي.

وقد استدل المؤلف بآيتين فقط : الأولى ذكر فيها لفظ الذكر والأنثى وهي آية الحجرات (خلقناكم من ذكر وأنثى) ليستدل بها على النوع البيولوجي، والثانية ذكر فيها لفظ المرأة وهي آية النمل (إني وجدت امرأة تملكهم) واستدل بها على النوع الاجتماعي ثم استنبط وقرر على ضوئهما القاعدة التي ذكرت أعلاه، فأين ذهبت الأمانة العلمية أثناء إعداد البحث ؟ ولكنه الهوى والجهل الذي يفعل في صاحبه فعله.

مع أن لفظ (امرأة) وما يضاف إليها ذكر في القرآن (24 مرة)، وليست كلها في النوع الاجتماعي كما يدعى الباحث بل بعضها في النوع البيولوجي الذي يتعلق بالحمل والتناكح والتناسل مثل لفظ (امرأة عمران – امرأة نوح امرأة لوط – امرأة فرعون – امرأة العزيز) وكذا لفظ (امرأتي امرأته امرأتك) وكلها أضيفت إلى الزوج ولها تعلق بالنوع البيولوجي الذي هو التناكح والتناسل، ولم يقل (أنثى عمران أو أنثى نوح أو أنثاك)... الخ

بل قوله – تعالى – على لسان زكريا (وامرأتي عاقر) متعلق بالنوع البيولوجي الذي هو متعلق بالحمل والولادة.

وقول الله – تعالى –: (وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً) يتعلق بالنكاح الذي هو من النوع البيولوجي، والأدلة على بطلان ما قرره الباحث في قاعدته في القرآن الكريم كثيرة لو تتبعناها لطال بنا المقام.

2- يفسر الباحث آية القوامة على ما يحلو له دون استناد إلى دليل؛ حيث يقول: ص (51) عند قوله – تعالى –: (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض) فيقول: "إن علة التفضيل في حكم القوامة في الآية الكريمة محمول على الرزق، وامتلاك الرجال للثروة أكثر من النساء، ووجوب إنفاق من يملك الثروة و الرزق على من لم يملكها بنفس القدر، وحمل مبدأ القوامة كوظيفة ودور اجتماعي للرجل بالنسبة للمرأة كزوجة".

وهذا يعني أن مفهوم القوامة مفهوم متغير وليس ثابتاً بحيث يمكن تبادله بين الرجل والمرأة فحينما تكون المرأة غنية والرجل فقيراً فالقوامة لها، أومتعلمة والرجل أمي فالقوامة لها، أوذكية والرجل غبي فالقوامة لها، وهكذا... وهذا يعنى إلغاء مدلول النص القرآني الثابت في أن القوامة للرجل بناءً على هذا التفسير الذي حصر سبب القوامة في الرزق وامتلاك الثروة فقط مع أن الآية تنص أن هناك سبباً آخر للقوامة، هو ما فضل الله به الرجال على النساء من صفات وخصائص بيولوجية، ولو رجع الباحث إلى أقوال المختصين من العلماء والمفسرين لما وقع في هذا المزلق.

د وفي مجال الحديث: –

يخبط الباحث خبط عشواء حينما يستدل بالحديث الشريف، حيث يستدل على فكرته بأحاديث مكذوبة لا زمام لها ولا خطام حينما تكون في صالحه، وحينما تقابله أحاديث صحيحة تخالف فكرته يشكك في صحتها ثم يؤولها ويفسرها على ما يحلو له، كما فعل في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري (لا يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة).

استدل الباحث بحديث: (خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء) وهو حديث مكذوب لكنه يؤيد فكرته، ويقول كذباً: وقد ثبت عن عمر أنه ولى منصب الحسبة لامرأة، ولم يبين أين ثبت وما مصدره في ذلك ولكنه كحاطب ليل، نعم أورد ابن حجر في ترجمة الشفاء بنت عبد الله([12]) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – ربما ولّاها بعض أمر السوق، لكنه أورد ذلك بدون سند، بل قال ابن العربي عن هذه الرواية ما

نصه: " وقد روي أن عمر قدم امرأة على حسبة السوق ولم يصح فلا تلتفوا إليه فإنما هو من دسائس المبتدعة في الأحاديث "([13]).

3- ولم يكتف بهذه التجنيات على العلم الشرعي بسبب جهله، بل يذهب ليقدح ويسب ويشتم أهل العلم ويصفهم بالأوصاف النابية كما في ص (51) وليت شعري من هو الأحق بهذه الأوصاف ومن هو أعمى البصر والبصيرة أهو أم أولئك الكرام؟!.

هذه أهم الجوانب الخطيرة في هذا البحث، وغيرها مماهو دونها كثير، اقتصرت على الإشارة إليها إجمالاً لوضوح مخالفتها لقواعد الإسلام وآدابه وقيمه، بل ومخالفتها للفطر السوية والعقول السليمة وما جرت عليه البشرية منذ آدم – عليه الصلاة والسلام –.

مهلاً يا دعاة الجندر: ليس للمرأة قضية:

ونقول بعد ذلك كله([14]): إذا كانت لقضايا المرأة المطروحة ما يفسر أسباب إثارتها في المجتمعات الغربية، نقول يفسرها ولا يبررها، فإننا لا نجد تبريراً بل ولا تفسيراً لطرح هذه القضايا وإثارتها في مجتمعنا، حيث تسود قيم الإسلام الضابطة لوضع المرأة في المجتمع.

لذلك يأتي تحذيرنا لكل الغيورين في مجتمعنا من مثل هذه الدعوات، التي تريد إخراج المرأة من بيتها وعن مهمتها ورسالتها وطبيعتها، وإذا حصل ذلك لا سمح الله فلا تسأل عن هلكة المجتمع.

إن وضع المرأة في مجتمعنا لا يمكن أن تحلم به تلك المرأة الغربية، سواء كانت بنتاً أو زوجة أو أماً.

وبنظرة موضوعية لوضع المرأة في الغرب، وهي بنت تتقاذفها أيدي الذئاب البشرية، أو زوجة كادحة لا تأوي إلى بيتها إلا كالة مرهقة لتشارك الرجل، حتى في دفع أقساط السيارة والبيت، وإلا فلا قيمة لها.

وأماً يقذفها أولادها بالنهاية في إحدى دور الرعاية الاجتماعية.

نقول بنظرة منصفة إلى حال المرأة المسلمة في مجتمعنا وهي بنت مصونة يحافظ عليها الرجل كجزء من حياته.

أو هي كزوجة مكفولة بواسطة الرجل حتى ولو ملكت ما ملكت من المال، بل يظهر البون الشاسع وهي أم أو جدة تتحول إلى ملكة في كيان أولادها وأحفادها.

إن المرأة في الغرب مظلومة ومبتذلة حقاً، إنها تستحق أن يرفع لها قضية ترافع بها الرجل الذي يبتزها، وذلك من أجل إنصافها.

إن قضية المرأة المسلمة ليست هي قضية (المرأة الأوربية!) (فالمرأة الأوربية) قد صارت لها قضية لأنه ليس لمجتمعها منهج رباني يسير عليه، إنما يشرع فيه البشر لأنفسهم، فيظلمون أنفسهم ويظلمون غيرهم، وقد وقع الظلم هناك من تشريع أو عرف وضعه البشر، ثم اختاروا أو اختار لهم الشياطين في الحقيقة حلًّا ساروا فيه حتى أوصلهم في النهاية إلى الخبال، من تفكك الأسرة، وتحلل المجتمع، وشقاء الرجل والمرأة كليهما، وتشرد الأطفال، وجنوح الأحداث، وانتشار الشذوذ، والأمراض النفسية والعصبية والقلق والجنون والانتحار والخمر والمخدرات والجريمة.

أما المرأة المسلمة فقضيتها أن الظلم قد وقع عليها من مخالفة المنهج الرباني، الذي التزمت به مجتمعاتها عقيدة على قصور كبير في جوانبها- ولم تلتزم به عملاً، و رجعت في هذه القضية بالذات إلى أعراف الجاهلية الفاسدة.

وقد يكون الظلم واحداً أو متشابهاً، ولكن العلاج يختلف لاختلاف الأسباب.

فعلاج القضية بالنسبة للمرأة المسلمة هو الرجوع إلى المنهج الرباني الصحيح، والالتزام به عقيدة وعملاً، وليس علاجه هو اتباع الخطوات التي سارت فيها القضية في الغرب، فخرجت من تخبط إلى تخبط ولا تزال.

وحقيقة إن المنهج الرباني هو العلاج لكل مشكلات البشرية، ولو آمنت به أوربا ونفَّذته لحلّت كل مشكلاتها، ولكن الذين ينفذونه بالفعل، أو المفروض أن ينفذوه هم الذين التزموا به فعلاً أي المسلمون فإذا حادوا عنه فإن مهمة [المصلحين] هي تذكيرهم به، ودعوتهم إلى العودة إليه ليطبقوه في عالم الواقع، فتنحل مشكلاتهم ويصلح حالهم.

أما اتباع أوربا، وسير المرأة المسلمة في الخطوات التي سارت فيها (المرأة الأوربية)؛فلن يحل مشكلتها، كما لم يحل مشكلة (المرأة الأوربية) وسيصل بها

وبمجتمعها وقد وصل بالفعل إلى المصير البائس ذاته الذي وصل إليه مجتمع (المرأة الأوربية) من قبل([15]).

وأخيراً تلك إطلالة سريعة على النوع الاجتماعي (الجندر)، تلك الدعوة الخبيثة التي يروج لها اليوم في بلاد المسلمين، أرجومن الغيورين على دين الله والباحثين التواصل معي بأفكارهم وأطروحاتهم حول هذا الموضوع.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

____

[1] – النوع الاجتماعي في اليمن ص 4 د. حمود العودي، مركز الدراسات السكانية جامعة صنعاء.

[2] – مدخل إلى تصحيح وضع المرأة في منهج التعليم العام، مقارنة جندرية عزة بضون مجلة أبواب العدد 19ص128

[3] – الصور النمطية والجندر في كتب القراء والتربية الاجتماعية والوطنية في مرحلة التعليم الأساسي في اليمن ص6، عبده مطلس نشر مركز البحوث التطبيقية والدراسات النسوية جامعة صنعاء 1999 م.

[4] – سابقاً – لم تتخلى عن هدفها وأنها سارعت إلى إنشاء مركز للدراسات النسوية في هولندا مع مجموعة من النساء العربيات.

[5] – النوع الاجتماعي في اليمن 6 حمود العودي.

[6] – المصدر السابق 7، 8. يتقدمهم حمود العودي استاذ علم الاجتماع جامعة صنعاء.

[7] – نشرت صحيفة المرأة اليمنية في عددها 46 مايو 2000م ص 38 أن رؤوفة حسن مديرة مركز الدراسات النسوية.

[8] – سابقاً لم تتخلى عن هدفها وأنها سارعت إلى إنشاء مركز للدراسات النسوية في هولندا مع مجموعة من النساء العربيات.

[9]– النوع الاجتماعي في اليمن 6– حمود العودي.

[10] – المصدر السابق 8. 7 يتقدمهم حمود العودي أستاذ علم الاجتماع جامعة صنعاء.

[11] – انظر ص (44).

[12] – الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج 8، ص 202، تحقيق علي معوض وآخرين ط/ دار الكتب العلمية بيروت 1415هـ.

[13] – أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ج3، ص 1457، تحقيق علي البجاوي، ط / دار المعرفة بيروت 1408هـ.

[14] – انظر: قضية تحرير المرأة ك محد قطب ص: 4 و45.

[15] – قضية تحرير المرأة محمد قطب ص 45.

المصدر: http://www.aljazeeraonline.net

============

#بروتوكولات حكماء واشنطن

د. طارق سيف الكاتب

يظن البعض خطأ أن المواقف المتطرفة التي تتخذها الإدارة الأميركية الحالية مؤقتة، وأن سلوكها المخالف للمجتمع الدولي، وتصرفاتها التي تناقض كل التوقعات، وتعكس ميول التصرف الانفرادي واللامبالاة، هي أشياء ستزول بزوال إدارة بوش الصغير غير مأسوف عليها. ولكن من دون تشاؤم أو تفاؤل أود أن أؤكد على أن هذا السلوك له بعده التاريخي وتأثيره المعاصر ومن ثم ستكون له تداعيات في المستقبل. وحتى نفهم صحة هذه النتيجة يجب أن نتعرف على "بروتوكولات حكماء واشنطن".

في البداية أود أن أوضح أن الهدف الاستراتيجي أو الغاية العليا من تنفيذ هذه البروتوكولات هو "إقامة حكومة أميركية عالمية للكون"، من خلال طرح خطة استراتيجية متوسطة المدى تضمن تشكيل العالم الذي تريده واشنطن وليس العالم الذي قد يتغير بمرور الزمن ويقبل بحكمها، وذلك حتى تستطيع السيطرة من خلاله على ثروات الكرة الأرضية الطبيعية والصناعية، وتفرض إرادتها على من تشاء وقتما تشاء، أي إن البروتوكولات برنامج عمل إيجابي متكامل ينطلق من مبادئ أحادية

التوجه وأسس أيديولوجية خاصة بحكماء واشنطن، ولا يهم بعد ذلك قيام إمبراطورية أميركية أو غيره.

كانت البداية مع خروج الولايات المتحدة الأميركية منتصرة في حربها الباردة مع الاتحاد السوفييتي، وشعورها العميق بأنها حققت هذا النصر منفردة ومن دون حاجة إلى حلفاء أو أصدقاء، وسرعان ما اختطف أصحاب البروتوكولات من الصقور مواقع القرار في الإدارات الأميركية المتعاقبة تحت زعم قدرتهم على صنع العالم الذي تنشده واشنطن، والذي سيحافظ على النصر الأميركي المنفرد بعد حقبة الحرب الباردة، ويقضي على أي قوى تفكر في منافسة الهيمنة الأميركية وسطوتها، لذلك فرضوا برنامجهم على العالم. وفور تولي بوش الصغير مسؤولية الحكم في البيت الأبيض أضحت هذه البروتوكولات سياسة واقعية معلنة للإدارة الأميركية في كل مناحي الحياة على كوكب الأرض.

كانت البداية الحقيقية لتنفيذ البروتوكولات تكمن في صياغة البروتوكول الأول الذي ركز على صناعة التهديدات العالمية وأمركتها، حيث كانت أحداث 11 سبتمبر 2001 والمبالغة في تصوير التطرف والإرهاب ومدى تهديدهما للأمن الأميركي المباشر السبب الرئيس في طرح الإرهاب الدولي ودول محور الشر كتهديدات عالمية تملك أميركا وحدها قدرات مواجهتها وعلى العالم أن يحدد موقفه، إما أن يكون مع أميركا أو ضدها. لذلك جاء البروتوكول الثاني لحكماء واشنطن في أمركة معادلة الأمن العالمي، وتطلب ذلك إلغاءها للحدود الوطنية والتحول من احترام سيادة الدول إلى حق التدخل والغزو في أي وقت لاعتبارات تراها واشنطن وحدها، وحظر امتلاك الأعداء لأسلحة دمار شامل مع غض الطرف عن امتلاك الأصدقاء لمثل هذه الأسلحة.

وترتب على البروتوكول الثاني صدور الثالث، وهو أمركة القوة العسكرية العالمية من خلال تبني استراتيجية الضربة الاستباقية التي تتيح استخدام الآلة العسكرية وأجهزة الاستخبارات الأميركية ضد أي تحد أو تهديد تراه واشنطن، ومن ثم تصبح الإدارة الأميركية القاضي والجلاد في آن واحد، بينما يُسمح لها بالقضاء على جميع الخصوم وتنصيب حكومتها العالمية، وما تراه من حكم لا يقبل النقض أو الاستئناف

أو الطعن وعلى المتضرر أن يغادر كوكب الأرض. وقد تمت ترجمة التفوق العسكري التقني الأميركي في ميدان المعركة إلى هالة لا تقهر، لذلك فليست هناك حاجة سياسية واقتصادية للالتفات إلى وجهات نظر أخرى وأخذها بعين الاعتبار.

أما البروتوكول الرابع فهو يهدف إلى أمركة السياسة الدولية، من خلال فرض السيطرة الأميركية الكاملة على المنظمة الدولية وأجهزتها ومؤسساتها، وإذا لم يتحقق ذلك يتم تهميشها أو حتى إلغاؤها، لأن حكماء واشنطن يعتبرون أن السياسة الواقعية الجماعية قد فشلت في دفع العالم إلى قبول أفكار وقيم النظام السياسي الأميركي. وبالتالي يجب أن يفهم العالم اليوم أنه لا توجد مساواة في العلاقات بين الدول، ولا يوجد ما يسمى بالشراكة الاستراتيجية والمنفعة المتبادلة بين الدول. فمصلحة واشنطن فوق الجميع، كما يجب التعامل مع القضايا الإقليمية والدولية وفق وجهة النظر الأميركية ووفق إرادتها الكونية الحرة، ولا يهم أميركا استقطاب الآخرين إلى صفها طالما تستطيع أن تفرض عليهم ما تريد ولا يهمها نزعات العداء الشعبي العام، لأنه في النهاية سينظر الجميع من المنظور الأميركي ومن ثم سيتفهمون مواقفها وسلوكها، وفي الوقت نفسه لا تهم شرعية السياسة الأميركية في عيون الآخرين، لأن موضوع الشرعية سيصبح نسبياً عندما تتولى الحكومة الأميركية مهامها العالمية.

وحتى يتحقق البروتوكول الرابع يجب تنفيذ البروتوكول الخامس الذي يهدف إلى إجراء تغييرات جذرية في السياسة الداخلية لكل دول العالم، خاصة في منطقة الشرق الأوسط، لأنها بؤرة التهديد العالمي ووكر التطرف الإسلامي وكهف الجهل المدقع. لذلك يترتب على دول الشرق الأوسط القبول طواعية أو قهراً بصيحات الإصلاح التي تطلقها الإدارة الأميركية من دون مناقشة لتطبيق الديمقراطية الأميركية، حتى يمكن لشعوب هذه الدول فهم التوجهات الأميركية العالمية والانصياع لإرادة حكومتها، والوقوف على أسباب تفوق الجنس الأميركي على باقي البشر، وإلا فإن البديل هو تغيير الأنظمة الحاكمة بالقوة العسكرية. وإذا أدى ذلك إلى حرب أهلية داخل الدول فيمكن الاستيلاء على مصادر ثروتها ودعم أطراف القتال لإذكائه حتى يقضي الجميع على الجميع، ثم تدخل واشنطن لتعيد بناء هذه الدولة وفق ما ترغب عندما يتوافر الوقت. ولذلك فإن دعم الإدارة الأميركية واتصالاتها بالمعارضة

السعودية والإيرانية والسورية إنما هي أداة تهديد وضغط لإفساح الطريق لتغيير الأنظمة في هذه الدول عند الحاجة. وإذا كانت أميركا قد تبنت سياسة الأنظمة الحاكمة المستبدة في العالم وتتخلص من معارضيها من الليبراليين ودعاة التحرر من الاستعمار، فلا حاجة بها لأن يفهم الآخرون سياستها، لأن نظرتهم قاصرة ولا تزال تعيش في عصور ما قبل البروتوكولات.

أما البروتوكول السادس فيتعامل مع مصادر الثروة على كوكب الأرض، والتي تراقبها الأقمار الاصطناعية الأميركية على مدار الساعة، حيث يرى حكماء واشنطن ضرورة فرض السيطرة الأميركية المباشرة على مصادر الطاقة في العالم، وعلى جميع دول العالم أن تفتح حقول نفطها وغازها أمام الحكومة الأميركية العالمية تغرف منها وقتما تشاء بالسعر الذي تراه. كما يرى الحكماء أيضاً ضرورة الحفاظ على التقدم التكنولوجي غير المسبوق لأميركا، والعمل على نقل جميع العلماء والمبدعين من دول العالم إلى الولايات المتحدة حفاظاً على الثروة العلمية البشرية وضماناً لعدم تسربها إلى أيدي الأعداء، ومنع تداول التكنولوجيا المتقدمة من دون تصريح أميركي موقّع عليه من حكماء واشنطن المعنيين بالأمر.

ويتعرض البروتوكول السابع إلى أمركة العقول والثقافات من خلال الاعتماد على وسائل الإعلام العالمية والمحلية، وباستخدام الأكاذيب والفضائح والشائعات، حيث يجب اعتماد العالم على شبكات الأخبار الأميركية والإنترنت في استقاء الأخبار ومشاهدة البرامج التي تعبر عن وجهة النظر الأحادية الأميركية، وعلى جميع وسائل الإعلام الأخرى أن تلتزم بالدفاع عن المواقف الأميركية وتعمل ليلاً ونهاراً على نشر الثقافة والقيم الأميركية، وإلا ستكون مخالفة ويلزم إغلاقها، وإذا كان من المقبول مرحلياً استمرار الوضع الراهن الذي يسمح بوجود وسائل الإعلام الأميركية مثل "سوا" وأخواتها من "حرة" و"هاي" جنباً إلى جنب مع القنوات الفضائية المعادية لأميركا مثل "الجزيرة" و"أبوظبي"، فإن هذا لن يستمر طويلاً، لأنه سيتم القضاء عليها بضربة إعلامية استباقية مفاجئة ما لم تعدل مواقفها وتساند الحكومة الأميركية العالمية.

أما البروتوكولات من الثامن إلى العاشر فتتعرض للرؤية الأميركية للعالم تحت حكم واشنطن، حيث الجميع يخضع لحكومتها العالمية، وقد اختفت الحدود بين الدول،

وأعلنت الصين وروسيا والاتحاد الأوروبي والشرق الأوسط الكبير الاستسلام للحكومة العالميـة، وانتشـرت القـيم الأميركيـة السياسـية والاقتصـادية والاجتماعيـة والثقافيـة، وانتهت التهديدات الكبرى من إرهاب وتطرف، وبدأ نوع جديد من التهديدات يتمثل في تلوث كوكب الأرض، لذلك تقرر واشنطن نقل مكان الحكم إلى أحد الكواكب الأخـرى حتـى تضـمن الحفـاظ علـى صـحة أعضـاء الحكومـة العالميـة واسـتمرار ممارسـتهم لمهـامهم. وتـم حـل الصـراعات الإقليميـة وفـق الإرادة السـامية لحكمـاء واشنطن، حيث تم حل الصراع العربي-الإسرائيلي بعد إبادة الجنس الفلسطيني، وأصبح العراق مقسماً إلى ثلاث دويلات، وجرى إنشاء خط أنابيب عالمي لسحب الغاز والنفط من مصادرها ليتم تخزينهما في مكان حددته الحكومة العالمية لتنفق منه وفق إرادتها.

وبروتوكولات حكماء واشنطن لا تؤمن بوجود ما يسمى صراع الحضارات وصراع الأديان، لأن التبشير "المسيحي الصهيوني" سيعالج كل أسباب الصراع إن آجلاً أو عاجلاً وسيؤمن الجميع بمبادئ هذا التبشير فيتم القضاء على التطرف في كل الأديان الأخرى، ويبقى فقط التطرف اليميني المسيحي.

الدلائل كثيرة على وجود بروتوكولات حكماء واشنطن، وما نراه حالياً من تصرفات غريبة وغير مفهومة للإدارة الأميركية إنما هي إرهاصات لفرض البروتوكولات سيتم إدراك مغزاها في مراحل لاحقة، اللهم قد بلغت اللهم فاشهد.

2004/06/20

المصدر : rar.net7http://www.ala

===========

#الأب لويس شيخو اليسوعي يحرف شعر أبي العتاهية

الدكتور شكري فيصل

كان بين أيدينا نصوص أبي العتاهية كما طبعت في بيروت في المطبعة اليسوعية، وكانت الطبعة الأولى منها سنة 1886م.. ثم تكررت بعد ذلك مرات، أغلب الظن أنها أربع، من غير كبير اختلاف.. ولكنها لم تكن تحمل مقدمة يطمئن القارئ إلى كل مصادرها التي صدرت عنها وإلى كل مواردها التي أخذت منها وإلى تحديد هذه

المصادر في كل قصيدة أو مقطوعة.. لم يكن بين أيدينا في الواقع ديوان أبي العتاهية كما صنعه الأقدمون، وإنما كان بين أيدينا، على نحو ما يفجؤنا في العنوان، ديوان صنعه أحد الآباء اليسوعيين، وسماه «الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية». وما من عجب في أن يصنع معاصر ديوان شاعر قديم، يجمعه ويخرجه ويعرضه للناس على الصورة التي يوفق فيها إلى عرضه.. فذلك ما يجب أن نفعله في شعر الشعراء الذين غيّب الزمان دواوينهم وشعرهم.. ولكن العجيب ألا يكون في هذا الصنع تحديد واضح للخطة التي اتبعها، والنهج الذي أخذ نفسه به، وحديث موثوق عن المصادر التي استمد منها، وعزوٌ للروايات التي أخذ بها أو أشار إليها.

بل إن ما هو أعجب منه أن يكون هنالك طمسٌ لهذه المصادر وسكوت مقصود عنها أو إشارات خرسٌ إليها، فلا يكون في ذلك إلا هذا السطر «الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية، نقلا عن رواية النمري وكتب مشاهير الأدباء كالأصفهاني والمبرد وابن عبد ربه والمسعودي والماوردي والغزالي» في صفحة العنوان.. أما كل ما جاء بعد ذلك في الديوان نفسه فهو إلى التعمية أقرب، على مثل ما سيلقاك من وصف النسخة في الصفحات التالية.

مهما يكن من شيء، فالمؤكد أني لم أستطع وأنا أدرس أبا العتاهية أن أطمئن إلى هذا الديوان أقيم الدراسة عليه.. فكان لابد لي من أن أتلفت يمنة ويسرة أسأل عن أصول موثوقة.

وقرأت للشيخ أحمد محمد شاكر في الشعر والشعراء تعليقه على ترجمة أبي العتاهية قال فيها: «وديوانه معروف مطبوع طبعه الآباء اليسوعيون بمطبعتهم في بيروت، وهم قوم لا يوثق بنقلهم لتلاعبهم وتعصبهم وتحريفهم، ولكن هذا الذي وجد بأيدي الناس». فكانت هذه القالة منارا جديدا لي.. كيف يكون التلاعب والتعصب في نشر ديوان شعري قديم؟. ما طريق التعصب إلى هذا الشعر الذي يتحدث عن الحياة والموت والآخرة؟.. وكيف يكون الأمر على هذا النحو الذي وجد بين أيدي الناس ولا يكون في الناس خلال ثمانين سنة من يملك أن يضع بين أيديهم بعضا من تراثهم على خير من الذي وقع لهم محرفا متلاعبا فيه؟

* * *

يتلخص عمل الأب لويس شيخو في الأنوار الزاهية بالخطوط التالية:

1 – الركيزة الأولى في عمله هي الديوان الذي صنعه ابن عبد البر، وأغلب الظن أنه اطلع على نسخة الظاهرية، ومنها أخذ. وانظر دليلا على ذلك ما جاء في هامش الصفحة 235 من ذكر أحد الأسناد.

2 – عرض الأمهات كالأغاني والعقد والأمالي ونظر في بعض المخطوطات وأفاد منها.

3 – تجاوز الزهديات إلى الأغراض الأخرى فجعلها في قسم آخر سماه «منثورات شتى» وطواه على ستة أبواب: المديح والتهاني، حسن التوصل والطلب والتشكي والتشكر، العتاب والهجو، الرثاء والتعازي، الأوصاف والهدايا والإجازات الشعرية، الحكم.

4 – ألحق بعمله في خاتمته فهرسا لغويا فسر فيه ما رأى أنه غريب أو صعب من شعر أبي العتاهية.

5 – أخرج الديوان مشكولا شكلا كاملا، وسمى أبحر الأبيات، ووضع لكل قطعة عنوانا، رآه تعبيرا عنها.

ولكن عمله بعد ذلك جاء يحمل السمات التالية:

1 – طمس معالم عمل ابن عبد البر حين سكت عنه وأغفل التعريف به ولم يشر إلى مدى ما أفاد منه.

2 – سكت عن وصل الروايات والمقابلات بمصادرها مكتفيا بهذه القالات الصماء: روي له، ويروى، وفي رواية، وفي مخطوطة من باريس..

3 – لم يستوف كل شعر أبي العتاهية في غير الزهديات. والحق أنه ما كان له أن يبلغ ذلك آنذاك، لأن كثرة من ذخائر التراث العربي ومخطوطاته إنما نشرت أو عرفت بعد ذلك.

4 – طوى شعره الغزلي والخمري مهملا له؛ وحرّف بعضه تحريفا، حذف القطعة خير منه، لأنه يجعل الحب ودا، والهوى نوى، والجارية نديما – في تقديم البيت – والوجه رأيا في مثل البيت التالي «ق279 ص663»:

عزة الحب أرته ذلتي

في هواه وله وجه حسن

فيصيّره إلى

عزة الود أرته ذلتي

في نواه وله رأي حسن

5 – في شكل الزهديات أخطاء قد يكون بعضها مما يقع مثله، ولكن الشكل في غير الزهديات كثير. وفي تسمية بعض الأبحر، وبخاصة مخلع البسيط الذي عدّه من المنسرح، وهمٌ وفي بعضها سكوت عن الإشارة إلى أنه مجزوء. وعناوين القطع لا تتساوق دائما مع مضمونها.

6 – ولكن أعظم من ذلك إنما كان في هذه التحريفات التي تعمدها؛ وهي تتنوّع فتتناول الكلمة حينا والجملة حينا والشطر أو البيت مرة والأبيات ذوات العدد في بعض الأحايين.

أ – التحريف في الكلمة الواحدة:

1 – يتناول مثل هذا التحريف ضبط الكلمة المعروف المشهور والمتداول، فلفظ «زُلزِلت، في الآية الكريمة: {إذا زُلزلت الأرض زلزالها} من الألفاظ القرآنية الشائعة ولكن ناشر الديوان يضبطها: زَلزَلت.

2 – يتناول التحريف بناء اللفظة أحيانا. فكلمة «أوّاب» مثلا، وهي كلمة قرآنية معروفة، يحرفها الأب شيخور إلى أوْ آب» في البيت الثاني «ق168 ص166»:

طوبى لكل مراقب

ولكل أوآب شكور

3 – ويتناول أحيانا تغيير الكلمة كلها، نسخها بغيرها مما يرتضيه. فكلمة «نشور» وهي كذلك كلمة قرآنية، يحرفها الأب شيخو إلى «نزول» كما في البيت 11 «ق22 ص30»:

أسقام ثم موت نازل

ثم قبر ونشور وجَلَبْ

وطبيعي أنه لا يمكن أن يكون هنالك رواية ما للبيت على هذا اللفظ؛ ولكنها الرغبة في التحريف. أما اللفظ القرآني «سائق وشهيد» فيتحول في البيت «ق125

ص123» إلى سابق وشهيد. كذلك تؤول لفظة «حورهن» إلى «دورهن» في البيت «ق452ص439»:

إن العقول عن الجنان

وحورهن لساهية

4 – وأبعد من هذا أن الأب شيخو كان لا يطيق فيما يبدو أن يرى لفظة «محمد» الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – في شعر أبي العتاهية، ولذلك فإنه يحرّف هذه اللفظة، ما صادفها، التحريف الذي يشمل أكثر البيت حتى لا ينتقض الوزن فينقل البيت «ق11ص11»:

وإذا ذكرت محمدا ومصابه

فاذكر مصابك بالنبي محمد

إلى:

وإذا ذكرت العابدين وذلهم

فاجعل ملاذك بالإله الأوحد

ويحوّر البيت «ق100ص100»: بنبي فتح الله به.. إلى: بخطيب فتح الله به. وينقل لفظة «مرسل» إلى لفظة «ابن من» في البيت الذي يليه:

مرسل لو يوزن الناس به

في التقى والبر شالوا ورجح

فإن لم يجد التحريف السبيل حذف البيت كله كما فعل في البيت 28 «ق12ص15»

وهو الذي بعث النبي محمد صلى الإله على النبي المصطفى

ب . التحريف في التراكيب:

ويتجاوز التحريف الكلمة الواحدة إلى التعبير الكامل. ومن أمثلة ذلك أن الأب شيخو كان يستبعد التعبير الإسلامي: لا شريك له، في كل مكان يرد فيه، ويضع مكانه تعبيرا آخر: لا مثيل له أو لا شبيه له، كما يبدو في الشطر «ب9ق199ص194»: الحمد لله شكرا لا شريك له، وفي الشطر «ب2ق213ص203» فحسبي الله ربي لا شريك له.

وتعبير: رسول الله، يصير إلى: فنذير الخير في البيت «ق100ص100»:

فرسول الله أولى بالعلى
ورسول الله أولى بالمدح
وتعبير «لست والدا» يؤول إلى «لست محدثا» في البيت الثاني «ق104ص104»:
شهدنا لك اللهم أن لست والدا
ولكنك المولى ولست بمولود
والشطر «هو الذي لم يولد ولم يلد» في «ق119» يؤول على حساب المعنى والوزن إلى: «فهو الذي به رجائي وسندي».
فإذا وجد أن مثل هذا التحريف لا ينقع غلته أسقط البيت كله كما فعل بالبيت التالي «ق273ص261»:
الحمد لله لا شريك له
حاشا له أن يكون مشتركا
جـ - حذف البيت:
قلت إنه يحذف البيت كله، وقدمت على ذلك بعض الأمثلة وهي كثيرة منها مثلا هذا البيت «ق114ص112»:
أين أين النبي صلى عليه الله
من مهتد رشيد وهاد
د - طي الأبيات ذوات العدد:
ويمضي التحريف وكأنما ليست هنالك حرمة للنصوص ولا رعاية للصدق ولا اعتبار لأية واحدة من هذه القيم التي لا يكون العالم عالما إلا بها، فإذا ناشر الديوان يطوي أبياتا برمتها كهذه الأبيات الخمسة «ق116ص116» في مديح الرسول ولست لأستقصي في هذه المقدمة أمثلة التحريف كلها ولكني لأعرّف بها وأدل على بعض منها.. إن وراءها أمثلة أخرى كثيرة يستطيع القارئ المتتبع أن يقع عليها حين ينظر في الحواشي. (1)، وأن ينتهي - مهما يكن لونه - إلى أن مثل هذه التحريفات تتجاوز كل حدود التعصب والتلاعب التي أشار إليها الشيخ شاكر في قالته التي مرّت بنا، وأن هذه التحريفات تتناول كل ما يتصل بألفاظ القرآن وتعابيره، وكل ما

يتصل بالنبي صلوات الله عليه ورسالته، وكل ما يتصل بمفاهيم الإسلام من الوحدانية والنشور والآخرة.

---

* هذا المقال مأخوذ عن مقدمة كتاب «أبو العتاهية: أشعاره وأخباره» للدكتور شكري فيصل - مطبعة جامعة دمشق 1384هـ - 1965م، ص5، 6، 10-13.

(1) انظر مثلا: ق12ص15ب28 . ق27ص51ب1 - ق76ص77ب8 - ق129ص126ب9 و 9-ق157ص154ب6.

نشر في مجلة (الأدب الإسلامي)عدد(15)بتاريخ (1418هـ)

المصدر : http://www.bab.com

=============

#التصدي للدعوة البربرية في الجزائر

د. محمد علي الفرا

لم تحقق سياسة فرنسة الجزائر ما كانت تهدف إليه فرنسا، كما أن سياسة شق الصف الجزائري، واختلاق هوية بربرية مناهضة ومعادية للعروبة والإسلام لم تجد من يؤيدها في الجزائر، إلا شريحة بسيطة، وعدداً محدوداً من الجزائريين الذين درسوا في فرنسا، وانبهروا بمظاهر حضارتها، أو الذين تخرجوا في المدارس والمعاهد التي أقامها المستعمرون في الجزائر، وتلقوا علومهم على يد مستشرقين فرنسيين وضعوا أنفسهم في خدمة السياسة الفرنسية الاستعمارية، وتخصصوا في اللهجات والثقافة البربرية، والأدب البربري؛ الذي وضع أسسه وقواعده مستشرقون فرنسيون على صلة بالاستعمار الفرنسي.

لقد كان الفضل الأكبر في إفشال هذه السياسة الفرنسية - وبخاصة في منطقة القبائل القريبة من العاصمة الجزائر - يعود إلى نشاط الزوايا التي كانت منتشرة في مدن وقرى القبائل، وقد كانت هذه الزوايا كالسد المنيع أمام دعاة السياسة البربرية، وكانت بمثابة خط الدفاع المتقدم عن شخصية الشعب الجزائري الرافض للفرنسة والتنصير، وحافظت على التقاليد المتبعة التي تقر بأن البربر أصولهم عربية، كما كانت هذه الزوايا مكاناً لتخريج حفظة القرآن الكريم، وقد انتشر هؤلاء الخريجون في

أنحاء الجزائر يعلمون القرآن في الكتاتيب، ويحافظون على العبادات، ويدعون إلى التمسك بالعروبة والإسلام، وتعززت جهود الزوايا بنشاط الحركة الإصلاحية في الجزائر المتمثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين "1 3 9 1 6 5 9 1 "، وكان من أبرز هؤلاء العلماء "أحمد توفيق المدني" أحد رواد الجمعية، وقد حذر من أخطار المخطط الفرنسي بمنطقة القبائل في كتابه المسمى "كتاب الجزائر" والمطبوع في الجزائر عام 1 3 9 1، وفيه يقول : "فإني أخشى على هذا القسم من بلاد الوطن " يقصد منطقة القبائل " أن تعبث به الأيدي، وأن ينفصل حبل اتحاده مع بقية البلاد، فإلى تلك الناحية يجب أن تتجه أنظار المفكرين والعلماء المسلمين.

وللشيخ الإمام "محمد البشير الإبراهيمي" جهود كبيرة في التصدي للمخطط الفرنسي في منطقة القبائل وفضحه، وقام نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي بجمع آثار والده وطبعها في أجزاء، وقد أهداني الأخ الدكتور عصام الطاهر نسخاً مصورة عن كتابات ومقالات للإمام محمد البشير الإبراهيمي يدافع فيها عن اللغة العربية، وعروبة الجزائر وإسلامها، يقول الإبراهيمي وهو البربري الأصل في مقال له "اللغة العربية في الجزائر عقيلة حرة، ليس لها ضُرّة" نشر في جريدة البصائر العدد 41 بتاريخ 28 . 6 . 1948 ما نصه: "إن العربي الفاتح لهذا الوطن جاء بالإسلام ومعه العدل، وجاء بالعربية ومعها العلم، فالعدل الذي أخضع البربر للعرب، ولكنه خضوع الإخوة لا خضوع القوة، وتسليم الاحترام لا تسليم الاجتراب"، ويقول أيضاً: "ما هذه النغمة السمجة التي ارتفعت قبل سنين في راديو الجزائر بإذاعة الأغاني القبائلية، وإذاعة الأخبار باللسان القبائلي "البربري "، ثم ارتفعت قبل أسابيع من قاعة المجلس الجزائري بلزوم مترجم للقبائلية في مقابلة مترجم للعربية، أكل هذا إنصاف للقبائلية، وإكرام لأهلها، واعتراف بحقها في الحياة، وبأصالتها في الوطن؟ كلا، انه ترجيل سياسي على طائفة من هذه الأمة، ومكر استعماري بطائفة أخرى، وتفرقة شنيعة بينهما، وسخرية عميقة بهما".

وفي مقالة عن عروبة الشمال الإفريقي يقول الإبراهيمي في العدد 150 من البصائر بتاريخ 9 . 4 . 1951 ما نصه: "ينكر الاستعمار عروبة الشمال الأفريقي بالقول، ويعمل لمحوها بالفعل، وهو في جميع أعماله، يرمي إلى توهين العربية بالبربرية،

وقتل الموجود بالمعدوم، ليتم له ما يريد من محو واستئصال لهما معاً، وإنما يتعمد العربية بالحرب لأنها عماد العروبة، وممسكة الدين أن يزول، ولأن لها كتابة، – ومع الكتابة العلم – وأدباً، ومع الأدب التاريخ، ومع كل ذلك البقاء والخلود، وكل ذلك مما يقض مضجعه، ويطير منامه، ويصخ مسمعه، ويقصر مقامه".

وقد أكد البشير الإبراهيمي على عروبة البربر في مقالة بجريدة البصائر سابق الذكر، بقوله: "إن القبائل مسلمون عرب، وكتابهم القرآن يقرؤونه بالعربية، ولا يرضون بدينهم ولا بلغته بديلاً، ولكن الظالمين لا يعقلون".

لم يتردد الرعيل الأول من رجال الإصلاح من أبناء منطقة القبائل عن مواجهة السياسة البربرية بالمنطقة، فنجحوا في إنشاء ثلاثين مدرسة ظلت تعلم النشء اللغة العربية والفقه الإسلامي حتى عام 1956، كما حرصوا على توعية الناس بتنظيم حلقات الوعظ والإرشاد في المساجد، واستطاعوا تكوين طلائع من الشباب متمسكة بالإسلام، ومعتزة بالثقافة العربية، ومن هؤلاء الرجال الذين خدموا الجزائر بصمت وكرسوا حياتهم لخدمة الإسلام فيها نذكر على سبيل المثال: "السعيد بن زكري" و "ارزقي الشرفاوي" و "أبو يعلى الزواوي" و "الفضيل الورتلاني" وغيرهم كثيرون.

وقد اتخذت جمعية العلماء موقفاً صريحاً من السياسة البربرية للإدارة الفرنسية عندما حددت شعار مشروعها الإصلاحي في العمل على الدفاع على ثوابت الدين واللغة والوطن في عبارة : "الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا"، وتعززت جهود جمعية العلماء بالنشاط السياسي لمنظمة النجم "5 2 9 1 7 3 9 1 "، وحزب الشعب "7 3 9 1 6 4 9 1 "، وحركة انتصار الحريات الديمقراطية "6 4 9 1 4 5 9 1 " التي تبنت منذ ابتعادها عن التأثير الشيوعي مبدأ المقاومة السياسية من أجل استرجاع السيادة الوطنية المتمثلة في العقيدة الإسلامية واللغة العربية، واعتبر التيار الاستقلالي في الحركة الوطنية الجزائرية أن من أولى مهامه المطالبة بتعليم العربية إجبارياً، فأقرها برنامجه الأساسي في عام 3 3 9 1 ، ولم يتوان عن إنشاء المدارس على غرار جمعية العلماء لتعليم العربية، وندد بالمشروع الاستعماري الفرنسي بالجزائر القائم على فكرة تقسيم الجزائريين وتفريق صفوفهم، وقد أكد على هذا التوجه أحد مناضلي حزب الشعب الشاعر المبدع "مفدي زكريا" من أبناء

"ميزاب" البربرية، عندما حدد أهداف النضال السياسي لأبناء المغرب العربي في خطابه بتونس عام 1 9 3 4 والذي جاء فيه : "الإسلام ديننا، وشمال أفريقية وطننا، والعربية لغتنا".

ولعل في خطبة "مصالي الحاج" بالجزائر في 2 . 8 . 1 9 3 6 رداً على مطالب المؤتمر الإسلامي التي سلمت بمبدأ اندماج الجزائر في فرنسا، موضحاً تمسك الحركة السياسية الوطنية الجزائرية المتمثلة في منظمة النجم وحزب الشعب بثوابت الشعب الجزائري، فقد جاء في هذه الخطبة الشهيرة لمصالي الحاج ما يلي: "احتراماً للغتنا الوطنية اللغة العربية والتي كلنا نعتز بها، ونعجب بها، وأيضاً تقديراً لنبل هذا الشعب الجزائري الشجاع الكريم؛ فقد أردت أن اعبر أمامكم بعد نفي دام اثنتي عشرة سنة بلغتي الأم".

وقد واصلت الثورة الجزائرية النضال ضد سياسة التفرقة العنصرية في الجزائر والمتمثلة في المسألة البربرية، ونجحت في توحيد الشعب الجزائري، وقد كان لرجال منطقة القبائل مساهمة كبيرة وأساسية في هذه الثورة مما أفشل المخططات الفرنسية، وكان من أبرزهم "كريم بلقاسم" و "محمدي السعيد" و "عميروش آيت حمودة" و "محمد ولد الحاج" وغيرهم كثيرون، وقد أفلحت جهودهم في إسقاط المشروع الاستعماري، وفي رص الصفوف، واعتبروا أن أي دعوة لتفريق الصفوف بمنزلة خيانة للوطن.

ويبدو أن هذه الجهود الطيبة تعرضت فيما بعد إلى انتكاسة، فقد استطاع دعاة البربرية إعادة تنظيم صفوفهم، وزرع أنصارهم ومؤيديهم في مختلف أحزاب الجزائر وبخاصة حزب الشعب، وتمكنوا من التسلل إلى أجهزة الدولة الحساسة، واستولوا على المراكز الهامة في الحكومة، وقاموا بمحاربة الإسلام، واللغة العربية، وطعنوا في عروبة الجزائر.

وقد يتساءل البعض كيف حدث هذا الانقلاب الخطير الذي لا زالت تعاني منه الجزائر اليوم، ويهدد وحدتها، ويشتت صفوف شعبها، ويشكك في هويتها العربية الإسلامية؟ وهذا ما نأمل الإجابة عليه في مقال قادم إن شاء الله.

المصدر : http://www.alshaab.com/2004/27-08-2004/11.htm

=============

#هل تصدق ؟ (زوجة قاسم أمين تغطي وجهها ! ودرية شفيق انتحرت!)

سليمان بن صالح الخراشي

حدثني أحد الإخوة أن إحدى الكاتبات الداعيات إلى تغريب المرأة المسلمة في بلادنا متزوجة من أحد الأطباء النفسيين، فكانت إذا اتصلت به إحدى النساء تطلب رأيه أو استشارته في مشكلة ما ترفض هذه الكاتبة أن تسمح برد زوجها على النساء مباشرة إنما تكون وسيطًا بينهما! كالمترجم!

حدثني بهذا الخبر الموثق – لأن بينه وبين الكاتبة نسبًا – وهو متعجب من هذا التناقض بين الفكرة والواقع الذي يعيشه هؤلاء.

فقلت له: لا تعجب! فبعض المنحرفين يعلم خطأ ما يقوم به أو يدعو إليه.. ولكنه ينساق مع شهوته – والعياذ بالله –.

فتجده يرضى للآخرين ما لا يرضاه لنفسه أو لأهله وأحبابه.

ولهذا تجد من حكمة الرسول – صلى الله عليه وسلم – لما جاءه من يريد الزنا أن ذكره بهذه القضية؛ وهي أنه لا يرضى الزنا لأهله وقراباته؛ فانتهى الرجل.

وأضيف إلى هذا التناقض الذي يعيشه هؤلاء المفسدون هذين الخبرين اللذين رواهما شاهد عيان؛ وهو الصحفي الشهير مصطفى أمين الذي تربى منذ صغره في بيت سعد زغلول لقرابة بينهما:

الخبر الأول عن زوجة من يسمى (محرر المرأة)! قاسم أمين:

يقول مصطفى في كتابه " من واحد لعشرة " (ص 119–120) متحدثًا عن واقع بيت سعد زغلول الذي كان إسلاميًا ثم انتكس وتمت صناعته صناعة (عصرية) (تنويرية)! :

(كان غريباً في تلك الأيام أن يدعى رجل من غير أفراد الأسرة للجلوس على مائدة واحدة مع سيدات الأسرة، ولكن الفلاح الأزهري القديم سعد زغلول كان لا يجد غضاضة في أن يجلس أصدقاؤه المقربون مع أسرته لتناول الغداء والعشاء.

كانت هذه ظاهرة غريبة في بيت سعد زغلول! إن معاصريه ما كانوا ليسمحوا لزوجاتهم برؤية أصدقائهم، ولا يذكر أحد من أصدقاء عدلي يكن باشا أنه رأى وجه

زوجته، ولا يذكر أقرب صديق لحسين رشدي باشا أنه تناول معه الغداء في حضور زوجته.. بل الأغرب من هذا كله أن قاسم أمين زعيم تحرير المرأة، كان يتردد باستمرار على بيت سعد زغلول ويتناول الغداء معه ومع صفية، ولكن زوجة قاسم أمين لم تحضر هذا الغداء الدوري مرة واحدة!

ويذكر الطفلان (أي مصطفى أمين نفسه وأخاه علي أمين) بعد وفاة قاسم أمين بعشر سنوات أن زوجته كانت تأتي بين وقت وآخر لزيارة صفية زغلول، فلا تكشف وجهها أمامهما، بل إنها إذا تناولت الغداء مع صفية، كانت تُعد لهما مائدة في غرفة أخرى، وتُناول سعدًا الطعام وحده، ذلك أن قاسم أمين الرجل الذي دعا المرأة المصرية إلى نزع الحجاب فشل في إقناع زوجته بأن تنزع حجابها، وظلت متمسكة بوضع الحجاب على وجهها).

الخبر الثاني: عن داعية شهيرة من داعيات تغريب المرأة (درية شفيق):

قال مصطفى الذي كان جارًا لها في كتابه " شخصيات لا تنسى " (ص 257 وما بعدها) ونقله عنه صاحب " لماذا انتحر هؤلاء " (ص 113-118):

(صدرت جريدة "الأهرام" ذات صباح، وفي صدر الصفحة الأولى صورتان كبيرتان بعرض أربعة أعمدة بعنوان "قران سعيد"، ودهش القراء، فهذه أول مرة تنشر جريدة الأهرام صورة عروسين في الصفحة الأولى، حتى خبر زواج الملك فؤاد من الملكة نازلي نشرته جريدة الأهرام الوقورة في صفحة المحليات في داخل الجريدة.

وتضاعفت دهشة القراء عندما قرأوا أن العريس هو الكاتب الشاب المحبوب أحمد الصاوي محمد، الذي يكتب باب "ما قلّ ودل" في الصفحة الأولى من الأهرام، وقد كان الصاوي يومئذ أحد نجوم الصحافة الموهوبين وكانت كتاباته وقصصه موضع إعجاب السيدات والآنسات فقد كان ينصر المرأة، ويؤيد تعليمها، ويحيي نجاحها في جميع الميادين، وكانت العروس هي الآنسة "درية شفيق" التي تحمل شهادة في الآداب والتي حصلت على (الليسانس) من جامعة السوربون في باريس، والتي تحدث المجتمع عن جمالها ونبوغتها.

ثم زاد ذهول القراء عندما قرأوا في النبأ أن حفلة عقد القران تمت في قصر السيدة "هدى شعراوي" زعيمة النهضة النسائية في مصر، وأن قيمة الصداق كانت خمسة وعشرين قرشاً مصرياً فقط!!

وكان هذا الزواج هو زواج الموسم وخاصة أن بطليه كانا من أنصار المطالبة بحقوق المرأة، وتم عقد الزواج بسرية تامة، ولم يتسرب النبأ أو الإشاعة إلى جريدة أو مجلة، وانفردت الأهرام وحدها بنشر الخبر الخطير.

ولكن الزواج الذي أحدث ضجة كبرى لم يستمر، بل حدث الطلاق قبل الزفاف، فقد كان أحمد الصاوي أوروبياً من الخارج وصعيدياً من الداخل (يعني مسلمًا!!)، ولد في مدينة أسوان وتعلم في باريس، فهو متحرر في كتابته ومحافظ في بيته، وكانت درية شفيق متأثرة بدراستها في السوربون، تطالب للمرأة المصرية بكل حقوق المرأة الفرنسية، تريدها ناخبة ونائبة ووزيرة، وكان الصاوي لا يمانع أن تكون كل امرأة في مصر وزيرة وسفيرة ما عدا زوجته هو فإن مكانها في البيت! وتم الطلاق، وعندما تزوج أحمد الصاوي محمد بعد ذلك بأكثر من عشر سنوات رفض أن تُنشر صورة زوجته في الصحف، ولم تظهر حتى الآن صورة زوجة الصاوي الثانية على صفحات الصحف، بينما مضى على زواجهما أكثر من خمسة وثلاثين عاماً!!

إلى أن يقول:

وذهلت درية في وحدتها: أنصارها تخلوا عنها، صديقاتها انقطعن عن زيارتها، والصحف منعت من ذكر اسمها حتى وهي تذكر القرار بمنح المرأة المصرية حق الانتخاب ودخول نائبات في البرلمان وتعيين وزيرة في الوزارة، نسي الناس اقتحامها البرلمان سنة 1951 مطالبة بحق المرأة في الانتخاب، ونسوا أنها فقدت حريتها وصحفها وما لها وزوجها لأنها طالبت بمزيد من الديمقراطية.

وبقيت درية شفيق شبه مسجونة في شقتها في الدور السادس بعمارة وديع سعد طوال 18 عاماً، لا تزور أحداً ولا يزورها أحد!

وكنتُ أراها من وقت لآخر في مصعد العمارة لأنها كانت جارتي- بلا زينة ولا طلاء، في فستان قديم، وقد كانت قبل ذلك ملكة للجمال وملكة للأناقة، وجهها شاحب، عيناها تبكيان بلا دموع، شفتاها ترتعشان بلا نطق، قلبها ينزف بلا دم،

روحها تصرخ بلا صوت، كانت هذه المرأة أشبه بالشبح، امرأة ميتة تمشي خرساء برغمها...

وبعد ظهر يوم 20 أيلول (سبتمبر) 1975 عدتُ إلى بيتي بعد أن تناولت الغداء في أحد الفنادق، وفي ردهة العمارة رأيت جمعاً من الناس يلتف حول ملاءة بيضاء، وسألت: ماذا حدث؟ قالوا: إن سيدة ألقت بنفسها من شرفة الطابق السادس.

ورفعتُ الملاءة البيضاء ووجدت جثة جارتي "درية شفيق"!).

انتهى كلام مصطفى أمين؛ وفيه عبرة وموعظة لما يعيشه هؤلاء من تناقض وصراع نفسي بين ما يعرفونه من دين الإسلام، وبين ما يشتهونه... قد يؤدي ببعضهم إلى (الانتحار) – عياذًا بالله – (يذكر البعض أن قاسم أمين نفسه قد انتحر أيضًا).

أسأل الله أن يتوفانا مسلمين، وأن يجنبنا حال دعاة الفساد.

المصدر : http://saaid.net

================

#التعليم الأجنبي مخاطر لا تنتهي (1- 2)

مهيمن عبد الجبار

إن الحديث عن المدارس الأجنبية حديث يتلاقى ويتماس مع كثير من نقاط واقعنا المعقد؛ فهو يتناول التربية العقدية بمفهومنا ولفظنا، كما يتناول التنشئة السياسية من جهة أخرى، ويتناول قضية الهوية بجوانبها وتشعباتها، وهي سر من أسرار تخلف التنمية، ولها ظلالها الإعلامية والتعليمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، ويمس عصب الأمن القومي.

ولكي نتصور القضية تصوراً صحيحاً لا بد أن نضع في اعتبارنا عدة أمور:

أولها: أن التعليم الأجنبي يأتي ضمن منظومة واسعة لتغريب الأجيال وإبعادهم عن دينهم تتضمن التعليم والإعلام والثقافة، ويتستر خلفها التبشير والاستشراق والاستعمار، وتساندها بقية الأدوات.

وثانيها: أن الكلام حول التعليم الأجنبي يتناول المدارس الأجنبية ومدارس الإرساليات التبشيرية ومدارس الجاليات بالأصالة، كما يشير إلى مدارس اللغات والمدارس

التجريبية التي تقفو أثر المدارس الأجنبية . وإن تسمَّت بأسماء عربية . بالتبعية، كما يتطرق الحديث إلى الابتعاث إلى الدول الغربية.

وثالثها: أن حديثنا عن دور ومخاطر هذا النوع من التعليم يزيد من شأنه . ولا يهون . ما يتم للتعليم الوطني اليوم في كثير من بلادنا الإسلامية تحت مسميات التطوير والتحديث، ضمن ما يعرف بالعولمة التعليمية التي ترعاها المؤسسات الدولية وتدفع إليها الدول الغربية.

ورابعها: أن التعليم في الإسلام يعني عملية إفراز وتنمية للولاء العقدي الذي هو أعلى وأوثق أنواع الولاء، كما يرتبط بقيمة وجودية للأمة الإسلامية هي الهداية كما قال – تعالى –: {وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ } [آل عمران: 79].

كما يرتبط بقيمة أخرى في الآخرة هي الوقاية من عذاب الله – تعالى – : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ } [التحريم: 6]، وهذا . كما قال المفسرون . يتم بالتعليم والتأديب، وفيه ملمح مهم وهو ارتباط التعليم بالإصلاح، على عكس ما يحدث اليوم في التعليم الأجنبي.

وخامسها: أن دخول أطراف خارجية في العملية التعليمية يعني تعريض أمن الأمة للخطر؛ وذلك حين يتعرض دين الأجيال للتحريف وعقولهم لألوان الغزو الفكري، وهي مسألة لا تقل خطورة عن السماح للأجانب بالالتحاق بالجيش أو أجهزة الأمن التي تسهر على حماية البلاد، بل تزيد؛ لأنها تؤدي مستقبلاً إلى وجود مثل هذه الفئات داخل هذه المؤسسات دون أن ندرك حقيقة الدور الذي تقوم به.

إننا كثيراً ما نلمس آثار هذه المدارس على المتخرجين فيها، لكن ما يغيب عنا أكثر، دون أن يكون لنا . أفراداً أو مجتمعات . دور يتفاعل مع قضية بهذه الخطورة.

سادساً: إن الحديث عن التعليم الأجنبي اليوم لا يمكن التطرق إليه بمنأى عن الخريطة التعليمية القُطرية والعولمية؛ فلم تعد المدارس الأجنبية هي الخطر الوحيد في المجال التعليمي؛ بل ينبغي تصور خريطة المخاطر المحتفة بالتعليم اليوم؛ فهناك مدارس الإرساليات (علمانية، ودينية)، وهناك المدارس الدينية التي تخص الطوائف النصرانية التي تعيش في بلداننا الإسلامية، والمدارس الخاصة التي تقتفي

أثر هذه المدارس، إلى جانب التعليم العام المنجذب مغناطيسياً نحو مجال هذه المدارس كنموذج.
إن نظرة الأمم إلى مسألة التعليم تنطلق من نظرتها لذاتها ودورها وهدفها الأبعد على هذه الأرض وما بعد الأرض؛ ومن ثم فإن الخريطة التعليمية لأي دولة يمكن أن تنبئنا بتطلعات هذه الدولة إلى المستقبل، ويمكن إيضاح ذلك من خلال عدد من التجارب والمواقف:
* كان للتعليم الشرعي دوره الذي بهر العالم كله في نموذج طالبان وسيطرتها على الأوضاع داخل أفغانستان بسهولة، والبدء في خطط تنموية حقيقية رغم الحصار الشديد وضعف الإمكانيات؛ مما جعل التقارير العالمية توصي باتخاذ إجراءات سريعة وحاسمة بصدد هذا النوع من التعليم في الدول الإسلامية الأخرى، ومن ثم قامت النخب العلمانية بتصفية هذا النوع من التعليم بعدة طرق في تركيا ومصر واليمن وباكستان وغيرها، وما يحدث الآن في أفغانستان يعيد للأذهان حملة نابليون للقضاء على بواكير النهضة العلمية والحضارية التي كادت تزهر في أحضان الأزهر، وزرع التعليم البديل(1).
* كان للمدارس الدينية دورها في إنجاح الثورة الإيرانية في أواخر السبعينيات، كما كان للتعليم الغربي دوره اليوم أيضاً في الانقلاب السلمي على الثورة هناك.
* النهضة الاقتصادية الماليزية بدأت أيضاً بالتعليم؛ ففي سنة 1985م أقيمت مؤتمرات وطنية لقضية التعليم، وقررت أن تكون ماليزيا دولة صناعية؛ ولذا تغيرت مناهج التربية والتعليم على هذا الأساس، كما تغيرت نظم البعثات الدراسية، والهجرة والاستثمار في غضون 10 سنوات، وكانت النتيجة أن ماليزيا أصبحت عاشر دولة صناعية في العالم سنة 1995م.
* نموذج الصين واليابان والهند وألمانيا وهي تجارب دول عانت من مشاكل أكثر عدداً وأضخم من المشكلات التي يعلق عليها العرب خيبتهم التعليمية والتنموية؛ ومع هذا استطاعت هذه الدول حين ملكت الإرادة أن تقفز من خلال تعليم هادف قفزات سريعة في فترة محدودة.

* وفي كشمير المحتلة عملت الهند على محاربة التعليم الإسلامي ونشر التعليم العلماني، وتشجيع الحركات العلمانية على حساب الحركات الإسلامية؛ وخاصة بعد ظهور الحركات الجهادية لطمس هوية كشمير وإذابتها داخل المستنقع الهندي.

* كان للمدارس الدينية دورها في إيجاد تيار واسع له أثره البالغ في توجه الدولة اللقيطة وتعاملها مع العرب(1).

* وأخيراً كان للتعليم الأجنبي أثره البالغ على أمن المنطقة العربية واستقلالها من خلال تربية أجيال لا تؤمن إلا بالفكر الغربي، ولا تعرف غير الحضارة الأوروبية، وتتنكر لدينها وحضارتها وقيمها الأصيلة، وكان لهذه الأجيال العير والنفير في مختلف المجالات.

إطلالة على الوجود التعليمي الغربي:

في عام 1863م اقترح المنصِّر هاملين على صديقه روتشيلد اليهودي إنشاء مدرسة ثانوية بجوار «قلعة الروملي» قائلاً: «لقد أنشأ الأتراك حصناً لفتح إسطنبول، وأنا سأنشئ هنا مدرسة لهدمهم». هذه العبارة على وجازتها تلخص لنا الدور الخطير الذي لعبته المدرسة الأجنبية في تفكيك العالم الإسلامي وتفتيت ريحه؛ لقد مكر أهل الكتاب مكر الليل والنهار لرد المسلمين عن دينهم تارة بحروب صليبية وتارة بتدبير المكائد الداخلية، وفي كل مرة كان العالم الإسلامي يهب هبته ينفض عنه مسة أهل الكتاب، وفي كل مرة كان الغرب يبحث عن لبنة سنمَّار حتى ظفر بها أخيراً؛ إنه حبل التلقي الموصول بالله عبر المسجد والمدرسة والأم.. فلتكن المعركة في هذه الساحة لا بهدمها كما صنع بونابرت وإنما بتفريغها من محتواها أولاً وتبديله بمحتوى مخالف أياً كان هذا المحتوى ليفعل فعل السرطان في الجسد عندما تتغير كيميائية خلية واحدة.

يقول جب في كتابه: (وجهة الإسلام): «إن إدخال طرائق جديدة في البلاد الإسلامية كان يتطلب نظاماً جديداً في التربية من عهد الطفولة في المدارس الابتدائية والثانوية قبل الانتقال للدراسات العالية، وإن إصلاح التعليم [يسميه إصلاحاً!] على هذا النحو لم يكن في ذلك الوقت يخطر على بال السلطات المدنية الإسلامية، ولكن الفراغ ملأه هيئات أخرى؛ فقد انتشرت في منتصف القرن التاسع عشر شبكة واسعة من المدارس

في معظم البلاد الإسلامية ولا سيما في تركيا وسوريا ومصر؛ وذلك يرجع غالباً إلى جهود جمعيات تبشيرية مختلفة، وقد كان أكثرها عدداً المدارس الفرنسية، وقد كانت المدارس الإنجليزية في الإمبراطورية العثمانية أقل مما في الهند، وكانت المدارس الهولندية قاصرة على جزر الهند الشرقية».

وقد ارتبط التعليم الأجنبي منذ وفوده على البلاد الإسلامية .كما ذكر جب . بالإرساليات التبشيرية، وتنسب بداية المحاولة إلى الإسباني (ريمون لول)، ثم أخذت الجمعيات التبشيرية في الانتشار في أواخر القرن 18 وأوائل الـ 19 التي كان أحد أهم مناشطها التعليم، خاصة مع تحول الكنائس الكبرى في أوروبا من الإطار الكهنوتي البحت إلى الإطار التعليمي بإنشاء المدارس والمعاهد التابعة لها، وقد بدأت الإرساليات تمارس نفس الدور في العالم الإسلامي خاصة حين أخفقت الأساليب المباشرة للتبشير شرعت في أداء الدور التعليمي، وخاصة بعد أن رأى المبشرون من خلال مؤتمراتهم وخبراتهم المتبادلة أن العمل في جانب الصغار أجدى بكثير من الكبار وفي جانب الفتيات أخطر منه في البنين.

وقد كان الغرض الملحُّ على العقل الأوروبي من بناء المدارس .كما قلنا . هو حل المسألة الشرقية من الداخل بعد أن استغلق حلها من الخارج.. والناظر في تاريخ سقوط الخلافة يعلم بحق أثر هذه المدارس في الكيد لأهل الإسلام؛ فقد لعبت دوراً أعظم مما أداه جميع سفراء الدول ومعتمديهم السياسيين باعتراف الغرب نفسه.

كانت الشرارة الأولى قدحت في بيروت بإنشاء مدرسة للبنات في الإمبراطورية العثمانية سنة 1830م؛ لأن البنات سيكُنَّ أمهات؛ فإذا تربَّيْن في هذه المدارس النصرانية أثرن على أولادهن!! وكانت تعنى ببنات الأسر والبيوت الكبيرة اللاتي سيكون لهن السيطرة على الجيل المقبل؛ ولهذا قال بعض دعاتهم: «إن مدرسة البنات في بيروت هي بؤبؤ عيني»!!

وقد تركزت في لبنان جهود الأمريكيين والفرنسيين، وقد كان للجامعة اليسوعية (الأمريكية فيما بعد) وجامعة القديس يوسف دور خطير في لبنان بالتقاط النابهين من نصارى الشام وبنائهم نماذج متغربة تعمل لحساب المشروع الغربي؛ حيث ارتبط

كثير منهم بالمخطط الماسوني الهادف لإسقاط الدولة العثمانية وتفتيت العالم الإسلامي وغرس الدولة اليهودية في المنطقة.

وفي مصر عام 1840م من خلال البعثات التنصيرية قام الآباء بتأسيس الكلية الفرنسية بالإسكندرية والجمعية الإنجيلية البروتستانتية، وجمعية راهبات القلب المقدس عام 1845م، ثم تلتها الإخوة المسيحيون والفرير عام 1847م ثم الآباء اليسوعيون والجزويت ثم الفرنسيسكان 1859م والمير دي ديو (وتعني أم الله! – تعالى – الله عن ذلك علواً كبيراً) 1877م. ثم تبعتها مدارس الآباء اليسوعيين عام 1880م كمقدمة لاحتلال مصر في عام 1882م، وقد بلغ عدد مجموع الطلاب من المسلمين 7117 طالباً مسلماً حتى عام 1891م، وهو رقم مذهل بمقاييس تلك الأيام وظروفها.

كان انتشار المدارس الأجنبية في مصر مكثفاً ومقصوداً حتى إنها الآن تبلغ عشرات الآلاف من المدارس، وتبلغ نسبة الدارسين فيها من المسلمين 52% من الطلاب بمصر، ويشير مؤرخو المدارس الأجنبية أن الجالية اليونانية كانوا كلما حلوا في بلد أنشؤوا فيه كنيسة ومدرسة كما فعلوا في الإسكندرية عام 1843م ثم في المنصورة، وطنطا، وبور سعيد، والسويس، والقاهرة وغيرها، وهكذا الجالية الإيطالية منذ عام 1862م، والجالية الألمانية عام 1866م، واليهود منذ عام 1872م، والمارونيون السوريون، وكانت أولى الجاليات الجالية الأرمنية عام 1828م في بولاق.

أما عن تعليم البنات فقد كان هناك مدرستان في أواخر العقد السادس من القرن الماضي للتعليم العام بحي الأزبكية: واحدة تابعة للكنيسة الأرثوذكسية، والأخرى تابعة لكنيسة الأقباط الإنجيليين. وفي عام 1904م أنشأت الكنيسة القبطية أول مدرسة صناعية ببولاق.

وقد عملت كثير من هذه المدارس بمبدأ المواءمة واستغلال الفرص المتاحة؛ بحيث تظهر ما جاءت من أجله كلما سنحت الفرصة، وتتستر حين تضيق عليها الأمور.

كما شهدت سوريا بالتزامن مع حالة لبنان ومصر جهوداً موسعة لفتح المدارس الإرسالية حتى كان نصيب سوريا وحدها من المدارس الأمريكية عام 1909م: (174) مدرسة في المدن والقرى.

وفي السودان من أنواع المدارس والبعثات التنصيرية الشيء الكثير، بل إن عدد الكنائس في الخرطوم يفوق عدد المساجد!!

وأما في جبال النوبة فقد استولت الإرساليات البريطانية على التعليم فيها منذ عام 1919م وحاصرت توسع الإسلام واللغة العربية، وأقفلت ما يفتح من المدارس الإسلامية عام 1931م(1).

وفي العراق: في أوائل القرن العشرين الميلادي كانت أول مدرسة تبشيرية في البصرة مدرسة للبنات، ثم انتشرت مدارسهم في أنحاء العراق.

وهذا ما جرى عليه الحال في سائر بلاد الإسلام خاصة البلاد التي دخلها الاستعمار.

وقد كان جل اهتمام التنصير منصبّاً على مصر وباكستان تحديداً؛ ولذا نالا قسطاً أكبر من الغزو عموماً ومن خلال التعليم على وجه الخصوص. يقول (ستيف نيل) مؤرخ الكنيسة: «في العالم الإسلامي دولتان تمثلان أكبر أهمية بالنسبة للتنصير، هما باكستان ومصر، وسقوط إحداهما في قبضتنا يعني إزالة أكبر عقبتين من طريق الكنيسة».

تتوافر عن باكستان أمامنا بعض الإحصائيات حول نشاط عدد من أشهر المدارس هناك يمكن أن تعطينا صورة عن حجم النشاط وما يصبو إليه وما يمكن أن يحققه:

نجد في مدرسة القديس باتريك في كراتشي (2100) طالب مسلم و (400) نصراني!

وفي مدرسة القديس يوسف (2100) مسلم، (100) نصراني!

ومدرسة القديس لورانس (1050) مسلماً، (150) نصرانياً!

ومدرسة القديس جوز (100) مسلم، وليس فيها نصراني واحد.

ومدرسة المسيح الملك (700) مسلم، (300) نصراني.

ومدرسة القديس جون (700) مسلم، (200) نصراني.

ومدرسة القديس بونا بونتشر في حيدر آباد (1560) مسلماً، و (40) نصرانياً.

ومدرسة القديسة ماري في حيدر آباد (1558) مسلماً، (139) نصرانياً.

بالنظر في ما تقدم يتضح أن وجود النصارى عبارة عن ذر للرماد في العيون(2).

على أن الأمر لا يتوقف عند حدود مصر أو باكستان أو بلاد الشام، وإنما زحف نحو جميع البلاد في غفلة من المسلمين. وتشير الأرقام إلى وجود 264 مدرسة تنصيرية في ماليزيا، وفي قطر هناك أكثر من 30 مدرسة، وفي مدينة مقديشو وحدها أكثر من ثلاثين مدرسة صليبية!

وطبقاً لإحصائيات عام 1991م توجد 16500 مدرسة نصرانية في أفريقيا وحدها.

أما التعليم الجامعي فلدينا ثلاث مؤسسات كان لها أبلغ الأثر في تحول كثير من أبناء الأمة عن دينهم وهي:

جامعة القديس يوسف في لبنان، وهي جامعة بابوية كاثوليكية (تعرف الآن بالجامعة اليسوعية).

والجامعة الأمريكية التي كانت من قبل تسمى (الكلية السورية الإنجيلية)، ثم كلية بيروت، وقد أنشئت في عام 1865م، وهي جامعة بروتستانتية.

والكلية الفرنسية في لاهور، وأسست في لاهور باعتبار أن هذا البلد يكاد يكون البلد الفريد في تكوينه في شبه القارة الهندية.

إلى جانب (كلية روبرت) في إستانبول، والكلية الأمريكية (الجامعة الأمريكية فيما بعد في القاهرة).

وكلية جوردن (البريطانية) في الخرطوم، وأخيراً الجامعة الأمريكية الجديدة في الشارقة، وفي قطر!

وهناك الجامعة الألمانية والفرنسية . في المستقبل القريب . في مصر اللتان شرع في تأسيسهما مؤخراً.

ومن خلال هذا الجهد المكثف نجح التعليم الأجنبي بمدارسه وجامعاته في تخريج أجيال عملت على خدمة المصالح الغربية على تفاوت فيما بينها؛ فقد تخرج فيها كثير من القيادات القومية الفكرية والسياسية من بين المسلمين والنصارى . دون فرق إلى حد بعيد . في كل من مصر ولبنان وفلسطين والأردن وسوريا والعراق والسودان، ومن أبرزهم: ميشيل عفلق، وجورج حبش، وقسطنطين زريق، وأنطون سعادة، ولويس عوض وغيرهم، وكان من عملاء هؤلاء المنصرين في تركيا الجنرال: أحمد وفيق باشا الذي أمَّن أرضاً للمدرسة؛ ولذا لما سئل السلطان عبد الحميد الثاني عن المكان

الذي سيدفن فيه الجنرال، قال: «في قلعة الروملي؛ ليستمع الرجل الذي باع للبروتستانت أرضاً ليؤسسوا عليها أجراسهم، أصوات هذه الأجراس إلى يوم القيامة».

وقد أولت الدول المستعمرة خلال فترة ما بين الحربين اهتماماً شديداً بتثقيف أبناء الأمراء والعظماء وكبار رجال السياسة، ونقلهم إلى التعليم في المعاهد الأجنبية؛ وذلك لإعداد هذه الطبقة، وقد كان إغراؤهم عجيباً لكثير من أصحاب المراكز العلمية ـ حتى بعض كبار المسؤولين في مجال الإسلام ـ على تعليم أبنائهم وبناتهم، وقد أشارت تقاريرهم إلى ذلك بما أسمته: «نزوع الطبقة الراقية إلى المدارس الأجنبية».

تعليم المخاطر!

نجح الغرب من خلال التعليم في أن يبث سمومه في مختلف مناشط الحياة، وحشد ضمن كل منشط منها مجموعة من المخاطر، ثم راح يؤلف بينها؛ ولهذا نرى المخاطر اليوم تتداعى وتجتمع وتتضافر، ويكمل بعضها بعضاً.

إن أثر النشاط التعليمي الغربي في بلادنا لم يعد يمس زاوية دون أخرى أو يكتفي بجانب دون سواه.. بل أصبح يمثل شبكة من المخاطر كل خطر يوطئ لما بعده ويخدم جوانب أخرى غيره؛ ولهذا فإن تفنيد بعض المخاطر لا يقلل من شأن سواها، وذكر كل منها منفردة لا يعني أنها منبتَّة عما سواها في الواقع؛ فالتعليم بذاته شبكة ضمن شبكة أوسع من المخاطر والمهددات التي تتنامى مع الوقت.

ومن هنا يأتي التعليم الأجنبي على رأس قائمة المخاطر وأدقها وأعمقها أثراً، ويكفي أنه لم يقع أن اتبعت الأمة بمجموعها سنن أهل الكتاب إلا بعد أن أصبحت مدارسهم تنافس مساجدنا، وقد رأينا من آثاره كيف تساق الأمة سوقاً وتقهر قهراً على اتباع سنن أهل الكتاب حذو القذة بالقذة شبراً بشبر وذراعاً بذراع كما جاءت النصوص، وأن هذا ما كان ليتحقق لولا فتح باب التلقي عنهم والانغماس في سوادهم.. وتحسين مسلكهم.. والانبهار بكل ما يأتي عنهم دون تبصر أو تفكر، ووقوع الفتنة بتوليهم ومحبتهم في مقابل خلع ولاية الإيمان.

ونحن بصدد دراسة أهم المخاطر الناجمة عن الوجود التعليمي الغربي في بلادنا للدلالة على ما سواها لا بد أن ندرس أثرها على التيار العام للأمة، وألا نغفل دراسة

النماذج الفردية المجلية لأثر التعليم الغربي وإن لم يتح لنا هذا بصورة قوية هنا، لكن تكفي بعض الإشارات الضمنية:

الخطر العقدي:

ويبدأ هذا الخطر حين تقوم هذه المدارس بترويض فكر الطالب شيئاً فشيئاً ليتشرب العقيدة النصرانية، وتنزع عنه حساسية الفطرة والإيمان، من خلال المناهج، والممارسة التربوية، والنموذج التربوي الذي تقدمه هذه المدارس (المثل الأعلى)، وشكل البناء؛ فالمدرسة تبنى بجوار الكنيسة أو داخل فنائها، وأسلوب الإدارة، وتعويد الطفل على رؤية الكهنة والراهبات في منزلة التوقير بما يجعل لهم نفسياً سلطة لا شعورية تبدأ بالاحترام وتنتهي بقبول أفكارهم ومعتقداتهم؛ فلا يجد هذا الطفل حرجاً حين يتخرج أن يرتدي لباس الكهان، بل يظل يحلم بهذه اللحظة، وكأن المدرسة تقول له: قد هيأناك لتكون هكذا! ولا حرج أن يدخل كنيسة المدرسة ظهر كل أحد مع زملائه ليستمع إلى درس الأحد، ولا بأس بعدها أن يدخل أي كنيسة ضيفاً أو زائراً أو مهنئاً أو معزياً..!

وهو في البداية كما قال هوارد ويلس رئيس الجامعة الأمريكية الأسبق في بيروت: «التعليم في مدارسنا هو الطريق الصحيح لزلزلة عقائد المسلم وانتزاعه من قبضة الإسلام».

وهو في النهاية كما يقول بنروز رئيس الجامعة الأمريكية أيضاً: «أثمن الوسائل هي التي استطاع المبشرون أن يلجؤوا إليها في سعيهم لتنصير سوريا ولبنان».

ومن يقرأ تاريخ الأحزاب والحركات الهدامة في العالم الإسلامي في عصرنا الحاضر يلمس دوراً خطيراً للتعليم الأجنبي في تشكيل هذه الحركات وتوجيهها.

والمدرسة تبدأ بالطفل خاصة حين يغفل الأبوان عن دورهم في المتابعة، ثم تجعل منها قنطرة إلى أسرته، وهؤلاء تعد لهم المدرسة قائمة طويلة من المناسبات والحجج التي تبدو طبيعية لتوثيق العلاقات، كمجلس الآباء والحفلات الدورية وغيرها من المناسبات، ومن ثم يفتح الباب أمام الكنيسة لتمارس دورها في ربط هؤلاء بحياة الكنيسة، فتشملهم بمجموعة جديدة من الخدمات التعليمية غير النظامية، مثل مدارس القرى، وبرامج التربية الشعبية ومحو الأمية، وبرامج التدريب المهني والحرفي، وتعليم

اللغات، والتدريب على الحاسب الآلي، ومجالات السياحة وأعمال مكاتب الطيران، ومراكز تنمية المجتمع، ومراكز رعاية الطفولة و... وتحاول هذه المدارس مع من يلتحق بها أن تعزله عن التأثر بعقيدته الإسلامية ومحيطه الكبير، تارة بإثارة الشكوك.. وأخرى بأساليب السخرية المقنعة والظاهرة.. والتهوين من شأن الإسلام..! وإذا لم يخضع التلميذ وأبدى بعض التمسك كان في انتظاره حزمة من عمليات الحرب النفسية الكفيلة بأحد أمرين: ترك المدرسة، أو عقدة الانطواء؛ ومن ثم تنجح المدرسة في تصوير المتمسك بإسلامه لباقي زملائه على أنه أحد اثنين: إما غير ناجح، وإما معقّد.

ثم تكتمل الحلقة حين يلتحق الطالب بإحدى جامعات الغرب أو فروعها في بلادنا؛ فيجد عشرات من الكتب والرسائل التي تطعن في الإسلام طعناً صريحاً، وتخلط بين الإسلام وما سواه باسم الثقافة، ويجد الزوجة التي تكمل معه المشوار، والأستاذ الذي يأخذ بيده إلى آفاق أخرى، ولهذا لا يعجب المرء بعدها حين يسمع عن تنصر بعض هؤلاء سراً أو علناً.

وكما تعمل المدارس التبشيرية على ترسيخ قيم الكنيسة التي تنتمي إليها، تعمل المدارس العلمانية على ترسيخ القيم المادية من خلال منظومتها التعليمية؛ حيث تطبق المعايير الرأسمالية البحتة على كل شيء بدءاً من عمل المدرسين وأدائهم، وانتهاء بتقييم الطلاب وتحديد أولويات حياتهم.

ومن هنا يزول عجب المرء حين يجد هذا الهجوم الواسع على الإسلام من طوائف واسعة من بني جلدتنا ممن يتحدثون بألسنتنا، وحين يجد الدأب في العمل لخدمة المصالح الغربية على حساب الأمة، حين يعلم المرء أن هذا النتاج هو حصيلة قرن ونصف من العمل الدؤوب في مجال التنشئة.

ومعلوم أن الإنسان يحن إلى طفولته وصباه، ومكوناتهما هي أوتار الحس في بقية مراحل العمر.. وتعلق قلب المتعلم في هذه المدارس يعد مقدمة لما بعده.

فلا عجب أن يُضمَّن الشعر والنثر عقائد أهل الكتاب، ولا غرابة أن تستورد قوانينهم وأفكارهم حتى بعد إحالتها للتقاعد في بلادها، أو أن يصبح إعلامنا بوقاً لترديد ما يشتهون، ومن لم يدركه أثر التعليم مباشرة أدركته توابعه!

وبهذا نجد أن أثر التعليم الأجنبي لا يقف عند حد فرد أو مجموعة وإنما تسري سمومه في جسد الأمة وهي تظن أنها تتداوى. والمتأمل في تاريخ بعض الشخصيات التي تربت في هذه المحاضن يجد أن شؤم التحاق فرد ربما عاد على الأمة كلها بالضرر الكبير، ولدينا أمثلة من حاضرنا تتمثل في أتاتورك رغم أصوله المتصلة باليهود؛ لكن طبيعة نشأته وتكوينه هو ومجموعة الاتحاد والترقي هي التي حركته في الاتجاه الذي سار فيه، و«سنجور» حاكم السنغال السابق الذي نصَّرته مدرسته . بينما لا يزال أهله مسلمين . وتولت إعداده ليتولى حكم دولة مسلمة بنسبة 99% ويحارب فيها الإسلام، وبعد أن افتضح أمره تفرغ للتنصير، وأقيمت جامعة تحمل اسمه لإعداد المنصِّرين في بلاد المسلمين.

وقل ما هو أعظم من ذلك عن إسماعيل باشا خديوي مصر الذي عاد مع أول بعثة من فرنسا وهو يحلم بتحويل مصر إلى قطعة من فرنسا، ودوره الخطير في تمكين أعضاء المحفل الماسوني من حكم مصر، والسيطرة على قطاع واسع من المنطقة العربية، والذي أغدق الهبات على بعثات التنصير الفرنسية المتعاونة مع الاستعمار من الصين إلى أعماق أفريقيا، وقد ورد في رسالة مسيو «بوجاد» قنصل فرنسا في مصر في 1869/5/2م: «أن إسماعيل منح رئيس أساقفة اللاتين بمصر قطعة أرض مساحتها: 3500 ذراع في موضع حسن جداً (150 ألف فرنك ذهب)، ومنح الراهبات إعانة سنوية (6 آلاف فرنك ذهب) وهبة (200 ألف فرنك)، ومنح أساقفة اللاتين منحة أخرى هي أرض مساحتها 6 آلاف ذراع»(1). وكانت منذ عام 1867م قد بدأت مدارس الاستعمار الفرنسي والبريطاني في العمل في مصر، وجميع عملاء الغرب من رجال الخديوي إسماعيل إنما صنعتهم هذه المدارس.

لقد كان شؤم هؤلاء الثلاثة على عقيدة الأمة وعلى عافيتها أمراً لا يمكن الإحاطة بمداه؛ لأن تبعاته ما زالت تتوالى علينا، وقد كان جهدهم ناتجاً عن عقيدة نجح التعليم في تشكيلهم عليها.

ومن العجيب أن نصارى البلاد العربية أبوا أن يلحقوا أولادهم بالمدارس النصرانية الوافدة . وهم أهل دين واحد . غيرة على مذاهبهم وحرصاً على أبنائهم، فأقاموا مدارس خاصة بهم. أما المسلمون فلم تأنف منهم طائفة أن يسلِّموا أولادهم إلى هؤلاء وهؤلاء!

يقول المبشر «تكلى»: «يجب أن نشجع إنشاء المدارس، وأن نشجع على الأخص التعليم الغربي. إن كثيراً من المسلمين قد زعزع اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الإنجليزية. إن الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي أمراً صعباً جداً».

لقد حفلت مناهج التعليم الغربي بجهود المستشرقين في الطعن في الإسلام، وتزيين ما عليه عقيدتهم من باطل، وتحسين مناهجهم وسيرتهم، والفتنة بتاريخهم والتأسي بعظمائهم، والفخر بما حققته مدنيتهم من تقدم مادي، والتنكر لكل ما هو إسلامي وعربي.. كل ذلك ما كان ليبلغ مداه لولا التأسيس لها عقيدياً؛ ولهذا نجد أن كثيراً من أفكارهم الشاذة قد انتقلت من كتبهم إلى بطون الدساتير والقوانين واللوائح العربية، وعبرت عن أفكارهم مئات الصحف والإذاعات، وترجمت إلى آلاف الكتب والرسائل، وأقيم من أجلها ما لا يحصى من المؤتمرات والندوات والجمعيات والهيئات، كل ذلك لم يكن ليتحقق لولا الغزو العقدي الذي مني به طائفة من المسلمين خلال تربيتهم في هذه المدارس، ويسهرون على نشره ونصره بين مجتمعاتهم اليوم.

الخطر التعليمي والتربوي:

إن ما قام به التعليم الأجنبي ابتداء أشبه بإنشاء جدول صغير خاص به، وتحكم فيما يدخل إلى هذا الجدول كما تحكم في مصبه؛ يسقي منه من شاء، ثم أخذ بتوسيع ذلك الجدول شيئاً فشيئاً، ثم عمد مع الوقت إلى تحويل مجرى الماء الأساسي إلى جدوله لينبع منه ويصب في مصبه هو.

إن من أخطر ما قامت به المدارس الأجنبية أنها استطاعت أن تضع المعايير التي تقاس بها جودة التعليم وفقاً لمآربها هي، مع أن معايير القياس في تجردها فيها جزء مطلق وجزء آخر تحكمه عقيدة المجتمع، لكن الذي حدث أن المدارس فرضت ذلك من خلال طبع صورة الانبهار بها لدى العقل العربي ابتداء، ثم بتمكين خريجيها من توجيه المجتمعات لاحقاً؛ مما أدى إلى فرض صيغة مأزومة للمعايير التي تحكم سير العملية التعليمية الوطنية بعد أن أحاطتها بسياج من الجمود والتخلف والتبعية.

ولو تفحصنا نظرة التربويين إلى عملية التربية لوجدنا أن الأمم الغربية كان لديها حساسية من استعارة معايير خارجة عن المجتمع وظروفه وأهدافه العليا حتى وإن

اتفق الطرفان في جزء كبير من العقيدة واللغة والتاريخ. يقول كونانت أستاذ التربية الأمريكي الشهير في كتابه: (التربية والحرية): «إن عملية التربية ليست عملية تعاط وبيع وشراء، وليست بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد إلى الداخل، إننا في فترات من التاريخ خسرنا أكثر مما ربحنا باستيراد نظرية التعليم الإنكليزية والأوروبية إلى بلادنا الأمريكية»(1).

إن استيراد نظريات التربية الغربية ومعاييرها لا يناسب حال الإنسان المسلم ولا تطلعاته خاصة مع وضوح المفاصلة التي جاء بها القرآن وامتلاء التاريخ بصفحات الكيد والمكر؛ فإذا كانت التربية تعني سعي الأمة للاحتفاظ بنظرية سبق أن آمنت بها، وأقامت عليها حياتها، وجاهدت في سبيل تخليدها.. بنقلها إلى الأجيال القادمة. ومن ثم فهي الجهد الذي يقوم به آباء شعب ومربوه لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التي يؤمنون بها. ووظيفة المدرسة أن تمنح القوى الروحية التي تتصل بنظرية الحياة، وتربي التلميذ تربية تمكنه من الاحتفاظ بحياة الشعب وتمديدها إلى الأمام»(2).

ومن خلال هذه الرؤية التي تزداد خصوصية ووضوحاً إذا ما تعلق الأمر بخير أمة أخرجت للناس نرى أن خطر التعليم الأجنبي لم يقتصر في مزاحمته تعليمنا الداخلي الذي أريد له التخلف والقصور، وإنما في كونه أصبح هو الذي يمسك له البوصلة التي تحدد له اتجاهاته ومساراته، وقيمه ومعاييره، وأهدافه ووسائله، وهنا مكمن الداء في أن الاختراق نجح بإشعاعاته أن يقلب كيميائية التعليم في عدد من بلادنا إلى خلايا سرطانية تتغذى بغذاء الجسد وتعمل في ذات اللحظة على هدمه.

____

(1) تتسابق الآن كل من فرنسا والولايات المتحدة في بناء أكبر عدد ممكن من المدارس في أفغانستان ضمن سياسة الفرصة السانحة.

(1) ارتفع التعليم الديني في إسرائيل في السنين العشر الماضية من 48 ألف إلى 111 ألف بنسبة 130%.

(1) أغلب الإحصاءات مستفادة من كتاب المدارس الأجنبية، للدكتور بكر أبو زيد.

(2) نقلاً عن حلقة من برنامج الشريعة والحياة، والضيف هو الشيخ أحمد القطعاني من النشطين في محاربة التبشير، وقد تم اللقاء معه على حلقتين حول التبشير في أفريقيا، وفي آسيا، ومادة اللقاءين منشورة على موقع (الجزيرة نت).

(1) انظر: معالم التاريخ الإسلامي المعاصر. أنور الجندي، ص: 56. عن الغزو الفكري، ص: 107.

(1) انظر: غزو في الصميم، ص: 18، فماذا نقول نحن في بلادنا الإسلامية حين رسم لنا التعليم الأجنبي الطريق، وأراد لنا أن نسير فيه خلفه؟

(2) انظر: غزو في الصميم، ص: (18 . 19).

صفر 1423 هـ - أبريل- مايو 2002 م

المصدر : http://albayan-magazine.com

===============

#التعليم الأجنبي مخاطر لا تنتهي (2- 2)

مهيمن عبد الجبار

الخطر على الهوية:

خرَّجت المدارس الغربية عشرات الأجيال من المتغربين: منهم من خلع عن نفسه ربقة الإسلام كلية واستبدل بها ما دونها، ومنهم من تشبع بانهزامية وانسحاق أمام الغرب، ومنهم من لم تكن العقيدة ذات بال عنده فانسلك في سياق مادي وقدم نفسه عميلاً أينما وضعه الغرب وجده، ومنهم من انكمش داخل ذاته، ومنهم من رفض كل ذلك لكنه بقي مخترَقاً ببعض القيم الغربية التي تحول بينه وبين الحركة الصحيحة، ومنهم من رفض ذلك علانية فأُقحم في سلسلة من الإهانات والعواصف النفسية التي جعلت منه أنموذجاً مأزوماً منطوياً على نفسه.

هذه المدارس صاغت أخلاق التلاميذ وكونت أذواقهم، والأهم أنها علمتهم اللغات الأوروبية التي جعلت التلاميذ قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوروبي، فصاروا مستعدين للتأثر بالمؤثرات التي احتكوا بها أيام الطفولة (أي التعليم على الطريقة المسيحية)(1).

إضافة إلى أثر اللغة التي يتعلم بها؛ فثمة علاقة قوية بين اللغة والتكوين العقلي والنظرة إلى الوجود أثبتتها الدراسات الحديثة في علم اللسان، "فأسلوب الاستجابات والمواقف في مجتمع من المجتمعات يرتبط ارتباطاً وثيقاً باللغة والفكر؛ "وعلى هذا فإن الصيغ تؤثر في الذهن وتنظم التفكير بشكل معين". والبناء اللغوي الذي يتلقاه الفرد من محيطه مسؤول مسؤولية مباشرة عن الطريقة التي ينظم بها نظرته إلى العالم(2).

إن إحدى كبريات المعضلات التي يخلفها التعليم الأجنبي هو غرس بذرة القابلية للاستعمار لدى نفوس أتباعه. يقول المستشرق جب: "إن التعليم هو أكبر العوامل الصحيحة التي تعمل على الاستغراب، وإن انتشار التعليم (أي على الطريقة الغربية) سيبعث بازدياد . في الظروف الحاضرة . على توسيع تيار الاستغراب وتعميقه، ولا سيما لاقترانه بالعوامل التعليمية الأخرى التي تدفع الشعوب الإسلامية في نفس الطريق". وقد أشارت بعض الصحف والمجلات إلى ضعف قضية الولاء لدى خريجي هذه المدارس والجامعات، سواء على مستوى الدين أو على مستوى الدولة أو على مستوى المجتمع.

وأخطر من الاستعمار السياسي والاقتصادي ما يعرف بالاستلاب العقدي؛ لأنه يجعل الإنسان يدور في فلك وإطار حياتي رسم له ولا يرى له وضعاً غير وضعه، ويلجأ إلى ما يسميه بعض المثقفين بالتماهي؛ وهو انبناء الشخصية تبعاً لأنموذج معين حتى يصبح الشخص هو الآخر بأن يكتسب صفاته وهويته دون إدراك منه.

وقد حرصت كثير من الكنائس الشرقية القديمة على بناء المدارس إلى جنب الكنيسة؛ بل في حضن الكنيسة في كثير من الأحيان إشارة منها إلى سلطة العقيدة على الحياة.

ويقول المستشرق "شاتلي": "إن أردتم أن تغزوا الإسلام وتخضدوا شوكته وتقضوا على هذه العقيدة التي قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة؛ فعليكم أن توجهوا جهود هدمكم إلى نفوس الشباب المسلم والأمة الإسلامية بإماتة روح الاعتزاز بماضيهم المعنوي وكتابهم القرآن، وتحويلهم عن كل ذلك بواسطة نشر ثقافتهم وتاريخهم، وحتى

لو لم نجد إلا المغفلين منهم والسذج والبسطاء منهم لكفانا؛ لأن الشجرة يجب أن يتسبب لها في القطع أحد أغصانها"(1).

ومع أن لهذه المدارس جوانب لا تنكر في طريقة العرض، وفي جاذبية المناهج، وفي متابعة الطالب وإدارة العملية التعليمية، ولكنها بمثابة ما في الخمر من فوائد؛ لأنها وهي كذلك تعطي مفاتيح مغلوطة للعلم من حيث كنهه وهدفه ووسائل تحصيله ومجالات استثماره خاصة حين يصب في خدمة أعداء الله. نعم! هي تعمل على تنمية الفرد ثقافياً وتجعله يفكر بطريقة منظمة لكن في إطار ما تريد هي، وينتفي هذا النظام إذا تعلق الأمر بالإسلام أو الثقافة أو الحضارة العربية. إذن هي لا تعطيه قيماً تعليمية أو تربوية مطلقة يمكنه من خلالها التفكير المستقل عن الإطار الذي رسم له(2).

ولا يخفى خطرها في إعادة تشكيل الهوية من خلال توظيفها لكل متاح لديها ليخدم في هذا المجال من خلال:

- منظومة القيم التي تحتكم إليها المدرسة . نصرانية كانت أو علمانية . في إدارتها وفي حكمها على الأمور وكأنها تعوِّده على الرجوع إليها، حتى إذا ما أصبح هذا الخريج في يوم من الأيام مفاوضاً عرفوا كيف يوظفون مواقفه لصالحهم، بل إن قناعته بكثير مما يطمح الغرب إليه يصبح أمراً ذاتياً لديه.

- رسم خريطة الأحلام المستقبلية للطالب؛ بحيث يوضع في اعتباره القيمي مجموعة من الأهداف المستقبلية والطموحات التي ليس من بينها طبعاً العيش في بلاد الإسلام ولا خدمة مصالحها.

- توظيف مناهج هذه المدارس وهي وافدة تدرس بلغة بلدها الأصلي، وتعرض تاريخه وتطوره وثقافته ومشكلاته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية؛ ومن ثم تتجذر قضية الهوية المغايرة في شعور الطالب دون أن يستطيع فهم طبيعة مشكلات مجتمعه هو ولا ينشغل بقضاياه.

وتصبح اللغة الأجنبية لديه لغة العلم والحضارة والتحدث، وتُجعل قالباً للخبرة القيمية؛ لأن اللغة حين تنتقل بتعبيراتها ومضامينها إلى الطالب يتشرب تلك المضامين دون وعي منه.

– الجوانب الأدبية والتاريخية، وهي عنصر إلهام؛ فالتاريخ الذي يدرسه الطالب في هذه المدارس ليس هو تاريخ الإسلام، وإنما تاريخ القومية التي تتبعها المدرسة؛ وفي هذا ترسيخ لمفهوم الشعوبية والقومية؛ فعلى سبيل المثال تصور الحروب الصليبية على أنها حملات تنوير، أو أن أسبابها ليست عقيدية وإنما سياسية أو اقتصادية، وأنها نتيجة لخلاف سياسي ناتج عن تنازع المصالح أو عدم تقدير الجانب العربي لمصالح الجانب الغربي؛ ومن هنا تتشكل معالم تذوق جديدة للخير والحق والجمال.

– المعايشة. ومعلوم أثر المعايشة والجو التربوي في بناء الشخصية؛ لأن كثيراً من المستعصيات يمكن أن تحل عن طريق المعايشة.

– وما تقوم به من حملات التشهير المغرضة ضد الإنسان العربي المسلم، ورموزه، ومعطياته الحضارية عبر التاريخ الطويل.

– تعويد الطالب على الفوضى الفكرية باسم التحرر الفكري والحوار؛ حتى يمكنه أن يغير أفكاره كما يغير ملابسه، ولو ذهبنا نتتبع الموضات الفكرية والسياسية المطلة علينا من الغرب لاكتشفنا الصلة المباشرة والقوية لها بالتعليم الأجنبي.

لقد زاد من اتساع الهوة بين الشباب وبين هويته الأصلية أن هذه المدارس ربطت نفسها بمنظومة مستمرة لا تدع للإنسان قراراً منذ أن يقرع بابها إلا على الموت؛ فهي بعد تنشئته تغرس فيه الطموح إلى السفر إلى الغرب لاستكمال التعليم، كما تضمن له غالباً وظيفة مرموقة في شركة من الشركات الأجنبية براتب مرتفع لتزداد العلاقة بالمجتمع تصرماً وانقطاعاً، ثم تفتح له باب الزواج من غربية، ثم تحيطه بإطار واسع ومتشعب من الصداقات والعلاقات الاجتماعية في إطار أعرافها الاجتماعية والثقافية(1).

الخطر الأمني(2):

يتسع مفهوم الأمن ليشمل إلى جانب أمن النظام كمظلة وأمن المجتمع كمحضن ليشمل أمرين سابقين مقدمين عليهما وهما: العقيدة بوصفها أساساً يقوم عليها النظام والمجتمع، والولاء باعتباره صلة تربط بين مكونات المجتمع والدولة. والمفترض أن تعريض واحد من هذين الأمرين للخطر حتى ولو على مستوى فرد يعني تعريض أمن الأمة للخطر. وللأسف فإن نظرية الأمن القومي الأمريكي قد راعت هاتين

المسلَّمتين. بينما أغفلت في الحس العربي. ولكن بنظرتها المخالفة؛ لكنها تقيم لفكرها المنحرف وإنسانها مهما كان وأين كان هذا الاعتبار الأمني.

ومن ثم فإن خطر التعليم الأجنبي على أمن الأمة لا بد أن توضع فيه هذه الاعتبارات، ويوضع على رأس أولويات الأمن القومي للدولة؛ فمجرد ضعف أو إضعاف التعليم الوطني هو تهديد للأمن القومي، ومحاولة جهة ما السيطرة عليه أو التأثير فيه يمثل خطأً أحمر لا يجوز السكوت عنه.

بل إن هذه المدارس في مسألة الأمن قد تخطت هذا إلى ما هو أخطر بكثير إلى التأثير في إعادة صياغة وتشكيل مفهوم الأمن القومي حتى لا تثار ضدها أدنى حساسية؛ فالإعلام والثقافة مدرجان ضمن دائرة الأمن دون أن يُدرَج هذا النوع من التعليم مع أنه أهم وأخطر.

بل على العكس نجد التعليم الإسلامي بكل صوره مدرجاً ضمن مخاطر الأمن القومي في كثير من بلادنا؛ بينما لا نجد أي حساسية من وجود المدارس الأجنبية وانتشارها وهي الدخيلة الزنيمة، والسبب في ظني أن الاختراق التعليمي المبكر لعقل النخبة التي بيدها مقاليد الأمور قد نجح في إقصاء نشاط هذه المدارس من حس العقلية الأمنية ومن حساسيتها؛ وبهذا يقال إن هذه المدارس قد نجحت في توجيه سهامها إلى مقومات الأمن الحقيقية للمجتمعات، ولنا أن نقارن بين دور خريج من خريجي الجامعات يعمل في علن على اختراق عقل الأمة أو تخريب اقتصادها، وبين متهم بالتخابر مع جهة أجنبية في نفس المجالات التي يعمل فيها الخريج: كيف ستكون النظرة إلى الطرفين؟ إن عشرات النماذج في طول بلادنا وعرضها لتخبرنا بما لم يكن متصوراً في حق هؤلاء بل ربما قُدموا للأجيال على أنهم رواد فكر وحضارة دون أن تشعر الأجيال بالخطر الحقيقي الماثل في صنيع هؤلاء، بل لم تثر ضدهم أي شبهات.

أما إذا أضفنا بعداً جلياً ومحسوساً دون كلفة منا وهو الدور المعلوماتي والاستخباري الذي تقوم به كثير من هذه المدارس والمؤسسات التعليمية فإن الأمر يزداد ثقلاً.

إن إحدى كبريات المعضلات التي يخلفها التعليم الأجنبي هو غرس بذرة القابلية للاستعمار لدى نفوس أتباعه، ولو أطلق الإنسان عين البحث في تاريخ هذه المدارس

لأمكنه أن يمسك بحبل الصلة بين المدارس الأجنبية وبين الماسونية من خلال أنها تمثل سلطة كونية تعمل على إخضاع العالم لأدواتها.

ولا يقف الخطر الأمني عند غرس مفاهيم بعينها ضمن النظرية الأمنية، بل يمتد إلى جوانب أخرى أشار إليها عدد من الباحثين في هذا المجال والتي منها تمييع قضية الولاء والبراء، وتفتيت هذا الولاء بين ولاءات شتى كل حسب مشربه؛ فالذي تلقى تعليمه في المدارس الفرنسية تجد عموم ولائه لفرنسا، ومن تعلم في مدارس أمريكية نجد أن أحلامه أمريكية وهكذا.. وفي هذا إذهاب لريح الأمة وتبديد لطاقاتها بل استثمارها فيما يعود عليها بالضرر. يقول اللورد سالسبوري: "إن مدارس المبشرين أول خطوة من خطوات الاستعمار؛ فهي تحدث في البلاد التي تنشأ فيها انقساماً وتفريقاً بين أهلها، يفقدون بها وحدتهم، فيكونون عوناً للمستعمر على أنفسهم. وقد سجل بعض المؤرخين ملاحظة مهمة تخص هذا النوع من التعليم؛ وهي أنه لم يكن بين الوجود التعليمي البريطاني 1880م والوجود العسكري البريطاني 1882م في مصر سوى عامين فقط"(1).

لقد أشار عدد من الباحثين إلى نجاح التعليم الأجنبي في اختراق جميع مؤسسات الدولة من القمة إلى القاع مرة بالفكر الذي لقنه دائرة واسعة من الناس، ومرة أخرى حين نجح في دعم مجموعة ممن تبناهم بعد تخرجهم وعمل على إبرازهم من خلال وسائل الإعلام؛ لأنه نجح في اختراق الفكر الذي يحكم حركة هذه المؤسسات؛ وذلك حين نجح في زلزلة معاني العقيدة الراسخة داخل المجتمع عن طريق طائفة رباها ثم نجح في تسليط الضوء عليها والسعي في التمكين لها داخل المؤسسات(2).

ومن هنا فإن السماح بدخول أطراف خارجية إلى ساحة التعليم خاصة في المراحل الأولية يعني وجود خلل في إدراك النظرية الأمنية التي تحكم الاستراتيجية المستقبلية للدولة. كما تعني وجود خطر كامن لا يمكن معرفة أبعاده لالتباسه بالحقيقة الداخلية للمواطن، والتي يصعب في كثير من الأحيان تقدير أثرها؛ ولمحلل أو مدقق أن يجري مقارنة بين مسيرة ألف عام في تطور الشخصية الإسلامية على المستوى الفردي والجمعي؛ وبين مسيرة هذه الشخصية خلال مائة عام. وكلي ثقة أن الفارق بين منحنيي التسارع في التغير أجلى من أن ينبه عليه؛ بالإضافة إلى أن مجمل

التغير خلال مائة عام فاق بكثير مجمل التغير على مدى ألف عام، سواء على مستوى الفرد أو على مستوى الأمة.

الخطر الاجتماعي:

لقد اهتمت هذه المدارس بتعليم المرأة المسلمة لإخراجها من دينها شيئاً فشيئاً، ولنزع ثوب الحياء عنها. تقول الصليبية (آنَّا مليجان): "ليس هناك طريق لهدم الإسلام أقصر مسافة من تعليم بنات المسلمين في مدارس التبشير الخاصة. إن القضاء على الإسلام يبدأ من هذه المدارس التى أنشئت خصيصاً لهذه الغاية، والتي تستهدف صياغة المرأة المسلمة على النمط الغربي الذي تختفي فيه كلمة الحرام والحياء والفضيلة"! ويوافقها زويمر في ذلك فيقول: "إن أقصر طريق لذلك هو اجتذاب الفتاة المسلمة إلى مدارسهم بكل الوسائل الممكنة؛ لأنها هي التي تتولى عنهم مهمة تحويل المجتمع الإسلامي وسلخه من مقومات دينه.. "، وقد تنبه الغرب لدور المرأة منذ وقت مبكر، فأقام لها مدارس ذات طابع نصراني بنظام الإقامة الكاملة، واحتضن مجموعة منهن كمشاريع رائدات تغرير (تحرير) لأن المرأة أسلس قياداً لكونها مجبولة على التبعية. ولأسباب أخرى نجح الغرب في تكوين إطار نسوي كانت بواكيره في تلك المدارس المغلقة لتصبح المرأة معول هدم بعد أن كانت أداة بناء خاصة حين تتبنى الرؤى الغازية لقضية المرأة والمجتمع. إن مفاهيم تحرير المرأة قد نمت بذرتها في محاضن التعليم الأجنبي من خلال شبهات المستشرقين المبثوثة في المناهج مرة ومن خلال الأمور المكملة من مسرحيات وقصص ونماذج غربية و.. و.. و.. ومن كان يتصور مثلاً أن تصدر في بلادنا العربية سلسلة من القوانين تمكن للمرأة وتسحق الرجل، أو تفسح المجال أمام الشذوذ وتضيقه أمام الزواج، وما يصبغونه على مسالك الغواية من القداسة ضمن تسويق فني وطرح إعلامي يستأثر به صنائع هذه المدارس ليكمل الطوق، ثم تأتي سلسلة القوانين لتفرض مظلة وترسخ لعرف ما كان له أن يشيع بين المؤمنين لولا المكر الكُبَّار؛ فالباليه يُقدَّم على أنه من الثقافة، والرقص ثقافة، والنحت ثقافة، والجنس أيضاً ثقافة.

ترسيخ الطبقية وتفتيت المجتمعات:

وإلى جانب هذا فقد ساهم التعليم الأجنبي في ترسيخ الطبقية داخل المجتمعات؛ حيث إن نظام الالتحاق به كان مبنياً على ذلك؛ فرسوم الالتحاق بهذه المدارس باهظ جداً ولا يستطيعه إلا الأغنياء وهم الطائفة التي تريدهم هذه المدارس وتعطيهم الأولوية حتى يمكنها أن تقيم علاقة مع هذه الطبقة (وهي طبقة الصفوة الاقتصادية والسياسية، والاجتماعية تبعاً) لتحقق من وراء ذلك عدة أهداف:

- أن الاتصال بهذه الطبقة يسهل عمل هذه المدارس ويفتح لها مغاليق الأبواب.
- أن تربية أبناء هؤلاء مضمون العائد نظراً لأنهم هم الأقرب من امتلاك زمام الأمور سياسياً واقتصادياً وفكرياً في المستقبل.
- أن هؤلاء الأولاد غالباً ما يكون الترف قد أكل منهم وشرب؛ وعليه يسهل إقناعهم بأي شيء، ولعلنا لا نمل إذا رددنا أن عبدة الشياطين كانوا من أبناء هذه المدارس ومن نفس الطبقة المستهدفة.
- غالباً ما تكون هذه الأسر في حال تفكك لانشغال الأبوين عن الأولاد؛ ومن ثم فلا توجد سلطة تربوية أو رقابية يمكن أن تفسد ما تغرسه هذه المدارس.
- أن وجود هؤلاء الصفوة يفتح المجال أمام طبقات أخرى أقل في المستوى والمكانة، لكنها مصابة بداء المحاكاة وحب التقليد؛ فتسعى إلى إلحاق أولادها تشبهاً بغيرها؛ وكأن هذا يكسبها مكانة في عين الناس! وساعد في هذا عدد من الأفلام والمسلسلات.

لهذه الأسباب توجهت المدارس الأجنبية لهذه الطبقة فحولتهم إلى نموذجها ورسخت فيهم الشعور بالاغتراب، والنظر إلى المجتمع بنظرة التنقص والنفور، والشعور بالانتماء إلى الغرب بحضارته وقيمه ونظمه، وربما بما هو أكثر: بعقيدته سواء العلمانية أو النصرانية.

المخاطر الأخلاقية:

كثيرة هي المفاسد الأخلاقية التي تورثها الدراسة بهذه المدارس، وأثرها ظاهر فاشٍ؛ ومن أخطرها زوال الحساسية الإيمانية (وازع الإيمان)؛ إذ يقترف الإنسان كثيراً من المنكرات دون أن يهتز منه قلب، بل إننا نرى في كثير من الأحيان مفاخرة ومجاهرة بالحرام.

وبالإضافة إلى ما تبثه من شرور مقصودة، فإنها تعد قناة مباشرة لنقل أمراض المجتمعات الغربية إلى مجتمعاتنا؛ ومن ذلك الانتحار والجرائم الأخلاقية والجريمة المنظمة، ولم يكن من عجب أن يسجل لنا أحد الباحثين المطلعين على أوراق قضية عبدة الشيطان التي تفجرت في منتصف عام 1417هـ أن المنتمين إلى هذه الفئة كانوا جميعاً من منتسبي المدارس الأجنبية وخريجيها!

ومن بينها الاختلاط والتبرج، ونزع الحياء، وإقامة العلاقات المحرمة باسم الحب والصداقة، ومثل هذه المباذل يرسخ التعليم في نفس الطالب أنها من حقوقه، وأنه لا بد أن يمارسها حتى يتخلص من عقدة النقص؛ أي أنهم ركبوا في صورة الإنسان الكامل عشرات من الذنوب والمنكرات من الكذب والغش والخداع، والنفاق والتملق، وأكل الربا والحرص على متاع الدنيا، وترسيخ قيم الفردية والأنانية وعدم الاهتمام بمشاعر الغير، وتفسير كل شيء تفسيراً مادياً؛ والنتيجة ما نرى فضلاً عما نقرأ ونسمع من نمط غربي في الحياة حتى في أدق المسائل حساسية لدى الإنسان العربي. لقد تحدث بعض المطلعين على مثل هذه الأوساط فقال: لقد أصبح من الشائع حتى بلغ درجة العرف بينهم أنه من العيب في حق الشاب حين يتزوج أن يسأل عن عفة زوجته "بكارتها"؛ وكأن الأصل عندهم هو الماضي . أي أن لكل فتاة ماضياً . ومن العيب أن يسأل عنه كما هو الحال مع الشباب. نسأل الله العصمة والسلامة. ويتناسق هذا ويتناغم مع موضة الثقافة الجنسية وآلاف المواقع والقنوات الاستباحية.

وهكذا نرى أنه كلما نجح هؤلاء في ترسيخ مبدأ جديد في نفوس الأبناء قطعوا شوطاً في إبعاد هؤلاء عن الالتحام مع مجتمعهم والتفاعل مع هويتهم.

أما باقي المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية فالمخاطر فيها تابعة بالضرورة للجوانب التي ذكرت آنفاً، وإن بدا أنها هي التي تؤثر في غيرها؛ لأنه عند التجريد نجد أن السياسة حين تؤثر سلباً على الهوية الاجتماعية أو على الحالة الاجتماعية أو على التعليم فإنها تكون في ذلك الحين قد افتقدت دورها العقدي الأصيل واستبدلته بعقيدة مغايرة كما افتقدت بُعدها القيمي والاجتماعي، كالعضو من الجسد حين يهمل فيعود ضرره على سائر الجسد.

وبعد هذا لم نذكر ما ذكرنا لنيأس من العلاج، ولكن لنشخص ما أصابنا كي يسهل إدراك الدواء؛ والدواء مركب على قدر تركيب الداء، والعافية لا تدرك إلا بتجرع الصبر، وذوق المر والفطام عن أسباب السقام.

الحلول:

إن النظر في حلول أي مشكلة لا بد أن ينبع من معاناة واقعية لعقيدة معينة؛ وحين ذلك تتحول المعاناة من مجرد بحث عن حلول لمشكلات مزمنة إلى بناء حضاري، وهذا ما ينبغي التفكير في إطاره؛ لأنها حين إذن تخرجها من كونها عملية آلية للتغيير إلى عملية إنسانية، وهذا واجب المسلم أينما كان؛ لكن المسألة أكبر من طاقة فرد أو مجموعة، ولا بأس أن يدلي كل بدلوه وينافس غيره، ويتعاون الكل على البر والتقوى.

وما سُجّل هنا من حلول قد سبق إليه أفاضل وأكابر ضم إليه غيره وهو في افتقار إلى زيادة، والجميع في حاجة إلى مبادرة وريادة، وكما قص علينا القرآن: {قَّالّ رّجلانٌ مٌنّ الّذٌينّ يّخّافٍونّ أّنًعّمّ اللَّهٍ عّلّيًهٌمّا ادًخٍلوا عّلّيًهٌمٍ البابّ فّإذّا دّخّلًتٍمٍوهٍ فّإنَّكٍمً غّالٌبٍونّ وعّلّى اللَّهٌ فّتّوّكَّلٍوا إن كٍنتٍم مٍَؤًمٌنٌينّ} [المائدة: 23].

ومن بين هذه الحلول:

1 - توعية الآباء وأولياء الأمور بمخاطر هذه المدارس؛ فهي تجمع المعاني التي حرم الخمر والميسر من أجلها، وما الخمر والميسر إلا إحدى ثمارها الخبيثة، وفيها معنى مسجد الضرار، ومجالس الخوض في آيات الله والكفر به، كما أن تقديم الوالدين ولدهما إلى هذه المدارس يجعلهما ضمن من قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه"(1)، ولو لم يكن في ذلك إلا فقد الولد الصالح الذي يدعو له لكفى؛ فكيف وفيها تبعة الدنيا والآخرة؟! ولو أخذنا نموذجاً واحداً من صنائع هذه المدارس لوجدنا أن من دفع بهم إلى هذه المدارس شريك لهم في التبعة، ولا يصح التعلل بوجود رقابة ومتابعة في البيت؛ لأنه لا يدري ما يحدث من ورائه، والقلوب ليست في يده، ولا يدري من يكون أقوى أثراً، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "لا يورِدَنَّ على مُصِحٍّ ممرض"(2) وقال: "فِرَّ من المجذوم فرارك من الأسد"(3). والمرض البدني أهون في

شره من أمراض القلوب والعياذ بالله، وقد كان السلف – رحمهم الله – يشددون النكير في مجالسة أهل البدع؛ فكيف بأهل الكفر الذين يعدون الكيد لنا ديناً؟!

وكيف يسلم الأب ابنه إلى قسيس في ثياب معلم، أو معلم بقلب زنديق ثم يرجو له السلامة؟! وإن على الأب ألاَّ يتصور أن هؤلاء ناصحون مخلصون له في ولده؛ فإنهم وإن أعطوه ما يريد فلن يعطوه إلا بعد أن يأخذوا منه ما أرادوا هم، وهذه شهادة من المبشر هنري هريس جسب يقول فيها: "إن التعليم في الإرساليات التبشيرية إنما هو وسيلة إلى غاية فقط، هذه الغاية هي قيادة الناس وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين وشعوباً مسيحية، ولكن حينما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية في نفسه، وليخرج لنا خيرة علماء الفلك، وعلماء طبقات الأرض، وعلماء النبات، وخيرة الجراحين في الزهو العلمي.. فإننا لا نتردد حينئذ في أن نقول إن رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى التبشيري إلى مدى علماني محض، إلى مدى علمي دنيوي.. "(4). وقد أشرنا إلى أن المدرسة ليست مناهج أو مدرساً وحسبُ، ولكنها نظام يصبغ الطفل مع الوقت بصبغته؛ فإذا أخذنا في الاعتبار فساد الزمان وقلة الناصح ومحاربة سنن الهدى؛ فكيف يمكن أن يفلح في الجمع بين صلاح دينه ونيل دنياه، وقد نهينا عن اقتحام السبل؟!

وحتى نكتشف حجم الخديعة في هذه المدارس يمكن لأي منا أن يجري إحصاء سريعاً حول تعليم النوابغ في بلادنا ليجد أنه لا صلة بين التعليم الأجنبي ونبوغ هؤلاء، بل إن غالبهم من التعليم النظامي.

وقد ذكرنا المخاطر الكامنة في إلحاق الأولاد بهذه المدارس والتي منها فقدان دينه أو تشويه شخصيته إذا ما أبى إلا التمسك بدينه عبر عشرات الإجراءات، والتي منها الاضطهاد، وتشويه صورته أمام زملائه.

والغريب أن هؤلاء المنصِّرين لم تشغلهم أموالهم وأهلوهم عن قضيتهم التي جاؤوا من أجلها؛ بينما نجد من بيننا من شغل أولاده بهمِّ هؤلاء، فضلاً عن اشتغاله بهمِّ دنياهم عن همِّ دينه ودينهم.

2 – نشر فتاوى أهل العلم في تحريم الالتحاق بهذه المدارس، وتحريم تأجير الأماكن لها أو بيع الأراضي لبنائها، أو الترويج لها، والعمل فيها أو معاونتها، وفي وجوب

التضييق عليها ووجوب مجابهتم وصدها والتحذير من مخاطرها، ونقلت الفتاوى في ذلك عن اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله –، وقرار هيئة كبار العلماء بالأزهر برئاسة شيخ الأزهر، وفتاوى عدد من العلماء والدعاة ومقالات للمفكرين ومن هؤلاء: الشيخ الخضر حسين شيخ الأزهر، والشيخ عبد الله بن سليمان بن حميد، والشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، والشيخ عبد الرحمن بن سعدي، والشيخ عبد الرحمن الدوسري، والشيخ رشيد رضا، والشيخ محب الدين الخطيب، والشيخ علي الطنطاوي، والشيخ أبو الحسن الندوي رحمة الله عليهم جميعاً، وغير هؤلاء كثيرون، وكان لفتاواهم صدى في أوقاتها؛ لكنْ مع إلف الواقع وقلة الناصح وقلة الاحتساب ضعفت الهمم وغاب الوعي ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ ففي فتاوى هؤلاء تعرية لحقيقة هذه المدارس وبيان لمخاطرها وبيان لحكمها، ويمكن مراجعتها في كتاب: (المدارس الأجنبية) للدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد.

3 – بيان حكم هجرة علماء الأمة إلى خارج بلاد الإسلام والإقامة هناك؛ وهو التحريم إذا لم يكن لطلب العلم، ولا لاستكمال البحث والدراسة، ثم العودة فور انتهاء مهمتهم؛ وذلك لاحتياج أمتهم إليهم خاصة في حال الحاجة إليهم، وخاصة أن جهودهم اليوم تصب صراحة في دعم العدوان الصريح على الإسلام وأهله، ويشمل هذا جميع الطاقات والتخصصات التي لم تسد حاجة الأمة فيها من بين أبنائها.

4 – تبني الأقسام التربوية والإعلامية والدعوية في الجامعات لخطة بحثية شاملة للخروج بحلول عملية ليس لإنهاء الاستعمار التربوي فقط، وإنما لتلافي الآثار الفكرية والنفسية والسلوكية لهذه المدارس على الأجيال المتخرجة وانعكاساتها السياسية والثقافية على المجتمع.

5 – التخطيط التربوي للتعامل مع التحديات القائمة والقادمة؛ فالساحة تحتاج إلى ذوي الخبرات والباحثين في ميدان التربية لوضع خطط متوازية تصلح كل منها للتطبيق في ظل الظروف العالمية الراهنة؛ ومن هنا يمكن إيجاد طبيعة تربوية مرنة تسمح بالتطبيق حتى في ظل التجفيف المستمر لينابيع الإسلام. وأمامنا تجارب متوافرة يمكن الاستفادة منها مثل تجربة الفترة المكية.. تجربة مصر في ظل الحكم

العبيدي.. والمسلمين في آسيا الوسطى في ظل الحكم الشيوعي.. وفي تركيا في ظل الكمالية.. وفي الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي.. وفلسطين في ظل الاحتلال الصهيوني.. وتجارب الأقليات الإسلامية والجاليات التي نجحت في بناء هيكلية تربوية وتعليمية خاصة بها.

6 - دراسة حالات النهوض التعليمي المختلفة الشهيرة في العالم، والاستفادة منها مثل التجربة اليابانية والصينية والماليزية والاستفادة منها في إنهاض التعليم الرسمي.

7 - إقامة مجموعة من المواقع الإلكترونية التي تتنوع وتتكامل في نشاطها لتصب في مواجهة الخطر القائم والقادم من قبل التعليم الأجنبي، فتتوزع الأدوار فيما بينها وفق تخصصات مدروسة إما موضوعية أو جغرافية؛ لبيان خطر هذه المدارس في مختلف أركان العملية التربوية، (المناهج، الممارسة، سلوك الإدارة، النظم، الوقائع اليومية، وسائل التأثير، الأدوات المكملة) بما يمهد لمقاطعتها وتحجيم مخاطرها.

8 - علاج أسباب الإقبال على مثل هذا النوع من التعليم وعلاجها ومنها:

أ - تخلف التعليم الرسمي وفقدان الثقة فيه مع أنه على ما فيه من مثالب وعيوب قد خرَّج لنا فطاحل في كل مجال، والمشكلة تكمن في أعراض يمكن علاجها رسمياً، كما يمكن الاستعاضة عن نقصها بتكميلات مجتمعية.

ب - نيل المكانة الاجتماعية التي فرضها واقع هذه المدارس وحين ينافس التعليم الإسلامي والمحلي في الجودة التعليمية؛ فإن مسألة المكانة ستصبح لا قيمة لها خاصة عندما تتلقف الأسواق الخريجين من ذوي الكفاءة والخبرة العالية.

ج - التقليد الأعمى نتيجة ضغط الواقع والأعراف التي تقرن بين الانتساب إلى هذه المدارس وبين المستويات الاجتماعية العالية؛ وعلاجها: إيماني . نفسي . دعوي.

د - فتح مجالات التوظيف أمام خريجي تلك المعاهد والجامعات الأجنبية بعد عودتهم، وقد نجحت هذه الجامعات الأجنبية أن توفر لخريجيها فرصاً للعمل؛ إذ تعد شهادتها بمثابة وثيقة ضمان لنيل الوظيفة.

هـ - المظهر البراق لأداء تلك المدارس سواء من جهة: الاسم.. البناء.. الملبس.. ومستوى الإدارة.. كفاءة المدرسين.. والرسوم المرتفعة.. والمواصلات.

و – قبول الأطفال في سن مبكرة عن سن التعليم النظامي؛ حيث تقبل الصغار في سن الروضة والابتدائي بحد أقصى يقل شهوراً عن التعليم العام، وهو سبب مهم يجعل أولياء الأمور يلجؤون إليها لاختصار سنة من سنوات التعليم.

ز – تقديم المادة التعليمية بطريقة منظمة ومرتبة، وجودة المناهج من حيث الإخراج والصياغة لا من حيث المادة.

ومثل هذه الأسباب تحتاج إلى نظم خطاب دعوي خاص بهذه الحالة، والاستفادة من بعض أصحاب التجارب في كشف عوار هذه المدارس مع تقديم البديل وعلاج القصور ما أمكن.

9 – ويحتاج إلى نهوض بالتعليم الإسلامي العام الخاص، والعمل على زيادة عدد المدارس ما أمكن. والمراد هنا المدارس الخاصة التي تحل المشكلة وتحقق معايير الجودة الحقيقية للتعليم، وهذا يحتاج إلى رؤوس أموال للاستثمار في هذا المجال وهو مجال مربح جداً على ألا يكون الربح المادي هو الباعث الوحيد للاستثمار؛ لأن الاستثمار في مجال التعليم استثمار بشري في المقام الأول، وقد أثبتت النماذج الإسلامية حينما توفق إلى إدارة جيدة ونماذج تربوية ناجحة تفوقاً على ما سواها من المدارس الأخرى، ومراعاة أحوال المجتمعات وظروف الدول خاصة مع الغزو الإمبريالي المكثف لمجال التعليم في السنوات القليلة الماضية، وقد يكون السمت الإسلامي محارَباً في بعض البلدان لكن يمكن إبقاؤه عند أدنى حد.

10 – جعل قضية رفع مستوى التعليم في المدارس الحكومية همّاً يومياً من هموم الآباء، وجزءاً لا يتجزأ من خطاب الدعاة.

11 – عودة وظيفة المؤدب التي عرفتها الخبرة الإسلامية، ويمكن ذلك عن طريق تشجيع أصحاب المواهب التربوية على سلوك هذا السبيل وتنمية مهاراتهم وخبراتهم وكفالتهم مادياً، حتى لو كفلت كل مجموعة من الأسر شاباً ممن يلتمس فيهم الربانية والنبوغ في الجانب السلوكي والتربوي في مقابل تأديب أولادهم بآداب الشرع على أن ينمى تربوياً ويكفل مالياً، وإطلاق الملكات الإبداعية في هذا المجال؛ أي أننا نريد أن نخرج دور المؤدب من العمل الهامشي إلى ممارسة دور رئيس في إطار منتظم يكتسب استمرارية، ويلقى احتراماً من المجتمع، هذا العمل في صورته الصغيرة يمكن

أن يحقق طفرات يصعب قطفها أو اجتثاثها أو حتى إعاقتها. ومعلوم تاريخيا أن كل مرحلة تاريخية يمكن أن تولد وظائف وأدواراً جديدة تلقى رواجاً واحتراماً؛ وهذا ما يراد لوظيفة المؤدب بأن يصبح لها إطارها العام وأدبيات الممارسة، ويمكن الاستفادة في هذا من تراث الأمة الضخم في هذا المجال والبناء عليه؛ بحيث يُرعى من خلال الأسر التي يقوم على تربية أولادها، وبهذا نضمن وجود مؤسسة تربوية جانبية يصعب عرقلتها تحت أي ضغوط.

12 - منهجة التربويات والعلوم المختلفة بحيث يقدم خبراء التعليم والمناهج خبراتهم إلى المربين والمعلمين من النوع المشار إليه سابقاً في صورة مناهج قابلة للتدريس.

وختاماً: فإن المواجهة اليوم ضد الإسلام شاملة؛ ولهذا فهي تحتاج إلى نفير شامل؛ وإصلاح الخلل لن يكون إلا بتلمس مواطن الأقدام، ووضعها على الطريق الصحيح؛ والتعليم اليوم هو بؤبؤ العين وحجر الزاوية.

(1) الخنجر المسموم، ص: 27، عن الغزو الفكري التحدي والمواجهة، ص 106.

(2) التخلف الاجتماعي، ص 80.

(1) الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص 12.

(2) ومن الأدلة على ذلك أن البروز الريادي في الجانب العلمي لم يرتبط غالباً بخريجي هذه المدارس والجامعات رغم ما تشيعه هذه المدارس عن نفسها؛ فهي لا تمنح الذكاء ولكنها قد تستغل بعض الأذكياء.

(1) ليلاحظ معي القارئ أن بعض الجامعات الغربية تقوم بنشر إعلانات مدفوعة الأجر تنشر في بعض الصحف والمجلات العربية وخاصة المهاجر منها، تنشر على شكل تحقيقات عن مستوى خريج هذه الجامعات وأنه الأفضل، وأن كل الأبواب مفتوحة أمامه، بل ربما هو الذي يُطرق بابه! وهو أسلوب رخيص في ترسيخ الانهزامية لدى خريج الجامعات الوطنية، ولون من ابتزاز أولياء الأمور لإلحاق أولادهم بهذه الجامعات.

(2) في عام 1992م صدر تقرير عن الكونجرس الأميركي يشير إلى أن أوضاع التعليم في الولايات المتحدة أصبحت تشكل خطراً على الأمن القومي الأميركي،

وأشار إلى أن الوضع لو استمر على ما هو عليه لمدة 20 سنة، فسوف يسبب خطراً على الأمن القومي الأمريكي؛ ولذلك صدر قرار الكونجرس بإصلاح التعليم وتغييره.

(1) في الأشهر الأخيرة نقلت الصحف أخباراً عن اشتعال المظاهرات المعارضة للتواجد السوري في لبنان في جامعة القديس يوسف، وهو نفس الموقف الذي تتبناه الكنيسة المارونية؛ والسؤال عن التوقيت والهدف.

(2) على أنه لا يلزم أن يكون كل خريجي هذه المدارس والجامعات على نحو واحد؛ ففيهم شرفاء ومنهم المنضبط شرعاً ولكنهم قليل، والحكم للأعم الأغلب.

----

(1) أخرجه البخاري، رقم 1296. (2) أخرجه البخاري، رقم 5328.

(3) أخرجه أحمد، رقم 9345. (4) غزو في الصميم، ص 25.

ربيع أول 1423 هـ - مايو -يونية 2002 م

المصدر http://albayan-magazine.com :

=============

وفاة رفاعة الطهطاوي . رائد التغريب

الزمان/ 1 ربيع الآخر . 1289 هـ.

المكان/ القاهرة . مصر.

الموضوع/ وفاة الشيخ رفاعة الطهطاوي رائد التغريب في العصر الحديث.

الأحداث:

مقدمة:

إن تجربة الالتقاء الحضاري الشامل بين المجتمع العربي الإسلامي والحضارة الأوروبية في بداية القرن التاسع عشر الميلادي الموافق القرن الثالث عشر الهجري، وما خلفته من آثار ما زالت الأمة تتجرع مرارتها حتى الآن . لجديرة بالتأمل والتدبر وإمعان التفكير؛ ذلك لأنه قد صبغت وجهة العالم الإسلامي وحددت مساره النفسي والفكري والقيمي لفترة طويلة، وأفرزت عند الأمة هذا المسخ العقلاني القبيح المسمى بالعلمانية التي تسللت لحياة المسلمين واحتلت جانبًا كبيرًا من عقولهم وقلوبهم من حيث لا يعلمون، ولولا رحمة الله - عز وجل - لهذه الأمة ثم الدعوة والصحوة

الراشدة التي صححت مسار الأمة بعدما كانت على شفا هلكة وغرق حتمي في مستنقع العلمانية النتن.

والجدير بالذكر أن كافة الانحرافات التي تتصدى لها الصحوة اجتماعيًا وأخلاقيًا وثقافيًا وإعلاميًا جاءت عند حدوث الصدمة الحضارية التي وقعت لبعض المسلمين عندما التقوا مع الحضارة الغربية، وهذه الصدمة أدت للانبهار والهزيمة النفسية والوعي المنقوص، والرغبة في رقي المسلمين كما ارتقى الغربيون، فوقع الخلل، وانحرف المسار، وتشوه التفكير، وانحرفت الأمة إلى طريق التبعية والتقليد الأعمى للغرب، فصارت حضارة المسلمين مثل حضارة القرود تقلد ما تراه ولا تعلم معناه، ونحن على هذه الصفحة نقلب دفاتر أول رائد للتغريب، وأول من تلقى الصدمة الحضارية، لنعلم مدى الأثر البالغ التي خلفته تلك الصدمة المشئومة.

رفاعة رافع الطهطاوي:

في أتون المواجهات العسكرية العنيفة بين الشعب المصري المسلم في صعيد البلاد وبين قوات الحملة الفرنسية النابليونية وبالتحديد سنة 1216 هـ ولد رفاعة رافع بمدينة 'طهطا' من أعمال مديرية 'جرجا' بمحافظة 'المنيا' بعائلة تؤكد شرف انتسابها لآل البيت من الفرع الحسيني، وهذه الدعوة منتشرة بأرض مصر خصوصًا، ولهم نقابة خاصة بهم تعرف بنقابة الأشراف بعضويتها ستة ملايين مصري!!! كلهم يدعي الانتساب لآل البيت، والله يعلم من منهم ينتسب ومن منهم ينتحل، والظن أن أغلبهم منتحلون.

نشأ رفاعة كعادة أبناء جيله على حفظ القرآن الكريم حتى أتمه، وحفظ بعض المتون الشرعية المتداولة حتى توفي أبوه وهو صغير السن، فانتقل للدراسة بالجامع الأزهر، ولم تمر عليه بضع سنين حتى ظهرت نجابته وقوة فهمه وتحصيله العلمي حتى فاق أقرانه، وانتقل إلى طبقة المدرسين وهو في العشرين من عمره، ولكن ضيق ذات اليد كانت تكدر عليه صفو حياته وتعطل مسيرته العلمية وتفرغه للتدريس.

الشيخ المجهول:

ونعني به الشيخ 'حسن العطار'، وكان من كبار علماء الأزهر، حتى إنه قد تولى مشيخة الأزهر في مرحلة من حياته، وكان هذا الشيخ أستاذ رفاعة في الأزهر، وكان

له الأثر البالغ في حياة وتفكير رفاعة الطهطاوي رغم جهل الكثيرين بهذا الرجل، ويعتبر حسن العطار أول مشايخ الأزهر افتتانًا بالحضارة الغربية، أو بعبارة أدق أول مصدوم بها، وذلك عندما جاءت الحملة الفرنسية على مصر، واتصل حسن العطار برجالها وتأثر بما عندهم من علوم وتقدم، واشتغل بتعليمهم اللغة العربية، واندمج إلى حد كبير معهم وأنشد في رقيهم وعوايدهم الأشعار، وتوثقت العلاقة بين محمد علي وحسن العطار بعد رحيل الحملة الفرنسية، وأصبح محط ثقته وأحد الركائز التي يعتمد عليها محمد علي في مشروعة الحضاري الجديد القائم في الأصل على الحضارة الغربية.

كان حسن العطار يبث في عقول تلاميذه . ومنهم رفاعة الطهطاوي . ضرورة التغيير في أوضاع الأمة المسلمة ونقل الحضارة الغربية، ثم جاءت الفرصة عندما طلب محمد علي من حسن العطار أن يرشح له 'إماما' يؤم البعثة المصرية العلمية المتوجهة إلى فرنسا في الصلاة والفتوى، فرشح العطارُ الطهطاوي لتلك المهمة، فتوجه الطهطاوي إلى فرنسا سنة 1241هـ / 1825م، وقد طلب حسن العطار من رفاعة طلبًا خاصًا ألا وهو: تدوين كل ما يراه ويسمعه أثناء هذه الرحلة التي استمرت ست سنوات.

الصدمة الأولى:

الرحلة التي قام بها رفاعة الطهطاوي كانت تمثل اللقاء الأول بين الفكر الإسلامي الأصيل التقليدي والحضارة الغربية في أوج عنفوانها وقوتها عقب الثورة الفرنسية الشهيرة، فوقعت الصدمة الأولى عند هذا الرجل صاحب الثقافة الإسلامية والحضارة التي نبذت لتوها الدين وتخلصت من سلطان الكنيسة بعد الثورة المعروفة، وكانت الحسرة تملأ قلب رفاعة عندما يرى التمدن والحضارة الجديدة قوية راقية مرتفعة ويرى أن المسلمين أولى بتلك القوة من بلاد الكفر، وأن المسلمين أولى من هؤلاء الكفرة بالأخذ بأسباب الحضارة. وهذه كانت بداية الصدمة؛ لأن المسار انحرف بعد ذلك.

مكث رفاعة الطهطاوي ست سنوات يسجل كل ما يراه ويكتبه ويعلق عليه وذلك في كتابه الشهير 'تخليص الأبريز في تلخيص باريس' ووصل بعد هذه الرحلة . أو الصدمة الحضارية لعدة قَناعات حددت بعد ذلك مسار حياته عندما رجع إلى مصر.

قَناعات الطهطاوي:

- ضرورة التقريب بين الأحوال الإسلامية والأحوال الغربية خاصة فيما يتعلق بفكرة التشريع. فيقول في كتابه: 'ومن زاول علم أصول الفقه، وفَقِهَ ما اشتمل عليه من الضوابط والقواعد جزم بأن جميع الاستنباطات العقلية التي وصلت عقول أهالي باقي الأمم المتمدنة . يقصد أوروبا . إليها وجعلوها أساسًا لوضع قوانين تمدنهم وأحكامهم قلَّ أن تخرج عن تلك الأصول التي بنيت عليها الفروع الفقهية'.

وهو بذلك يجعل الشرع الحنيف على قدم سواء مع تشريعات أوروبا الوضعية، فيعتبر بذلك أول من مهد لدخول هذه التشريعات لبلاد المسلمين، وقد ظهر ذلك واقعيًا وعمليًا عندما عاد إلى مصر وقام بترجمة قوانين أوربا الوضعية ونقلها للعربية بناءً على أوامر محمد علي، وما أدى بعد ذلك لاستبدال الشريعة بهذه القوانين الوضعية.

- تقديم مفهوم الوطنية من وجهة النظر الأوروبية للعالم الإسلامي لأول مرة بديار الإسلام، فقال في كتابه: 'وما يتمسك به أهل الإسلام من محبة الدين والولوع بحمايته مما يفضلون به عن سائر الأمم في القوة والمنعة يسمونه . أي الأوروبيون . محبة الوطن'.

وهو بذلك يروج للوطنية على المسلمين السذج مما يمهد السبيل لقطع علائق المسلمين بعضهم ببعض بدعوى ابتعاد أوطانهم واختلافها.

. نقل الحرية بالمعنى والمفهوم الفرنسي إلى بلاد المسلمين، بسبب حالة القهر والظلم التي مارسها الطاغية محمد علي على البلاد، مما جعل هذا الشيخ الوافد ينبهر بالحرية التي عليها الناس في أوروبا، فنراه يثني ويدافع عن مراقصة الرجال للنساء ويصفه بأنه نوع من الرياضة والأناقة والفتوة، ويقول عن الاختلاط بين الجنسين: 'ليس داعيًا إلى الفساد'!!!!

. ضرورة تحرير المرأة الشرقية والمسلمة. ويكون بذلك أول من أثار هذه القضية بديار المسلمين، فسن بذلك أسوأ السنن حيث حمل بعده رجال راية 'تحرير المرأة' على النمط الغربي، فخُلع الحجاب، وعم الفساد، وانتشر الاختلاط، وضاعت الأنساب.

الحيرة والتخبط:

إن أزمة رفاعة الطهطاوي حقًا تتلخص في الصدمة الحضارية الشديدة التي تلقاها عندما سافر إلى فرنسا، فهو لم ينحرف أو يضل أو يترك شيئًا من عقائده وصلواته، فهو قد ابتعد إيمانيًا عن فرنسا النصرانية، ولكنه اصطدم حضاريًا إلى حد التبعية والتقليد لحضارة فرنسا، ففشل في الجمع بينهما كما فعل الأوائل عندما فهموا ما عند الغير من العلوم وهضموها جيدًا ووظفوها وطوروها بما يخدم أمة الإسلام دون تقليد أو انبهار. ونلمس هذه الحيرة والتخبط في تفكير رفاعة الطهطاوي وأشعاره فمنها:

أيوجد مثل باريس ديار *** شموس العلم فيها لا تغيب

وليل الكفر ليس له صباح *** أما هذا وحقكم عجيب

ـ لقد كان رفاعة الطهطاوي أول من وضع الأفكار النظرية موضع التنفيذ وأنتج أعمالا فكرية تمهد لخطة اجتماعية عملية في التشريع، وفي التعليم، وفي السلوكيات، وكان موضع ثقة محمد علي وأولاده من بعده في تطبيق فكرة التغريب والتحديث الأوروبي في كل الميادين، حتى إن الخديوي 'إسماعيل' طلب منه أن يقنع علماء الأزهر وشيوخه بقبول التشريع الأوروبي الوضعي ودار بينهما هذا الحوار:

قال الخديوي إسماعيل: إنك منهم ونشأت معهم، وأنت أقدر على إقناعهم، أخبرهم أن أوروبا تضطرب إذا هم لم يستجيبوا إلى الحكم بشريعة نابليون.

قال رفاعة: إنني يا مولاي قد شخت، ولم يطعن أحد في ديني فلا تعرضني لتكفير مشايخ الأزهر إياي في آخر حياتي، وأقلني من هذا الأمر. فوافق إسماعيل.

انزوى رفاعة الطهطاوي في آخر حياته عن الساحة وترك مكان الصدارة الذي ظل يشغله طيلة خمسين سنة يترجم علوم وأفكار أوروبا والقوانين الوضعية ويرأس تحرير جريدة 'الوقائع المصرية'، ويكتب المقالات، ويؤلف الكتب ويقنن الأفكار، حتى وافته المنية في 1 ربيع الآخر سنة 1289هـ/1873م. بعد أن قام بالدور الأول في طمس معالم الحضارة الإسلامية وتحويلها لمسخ من الحضارة الغربية، وكلنا يعرف وزر من سن في الإسلام سنة سيئة.

الثلاثاء 5 ربيع الآخر 1425هـ – 25 مايو 2004 م

المصدر: http://links.islammemo.cc

=============

من المسؤول عن تغريب الأدب وتذويب هوية الأمة الثقافية ؟

محمد القوصي

منذ عقود خلت احتدمت المعركة بين «الحداثيين» و «المحافظين» وكانت . بالفعل . معركة حامية الوطيس بين دعاة الخروج على النص الحضاري (لغة وتراثاً وشعراً)، وبين رعاة هذا النص الذين رأوا فيه هويتهم فتمسكوا به، ووجودهم فدافعوا عنه في شجاعة وقوة.

واكتسب «الحداثيون» من خلال الزخم الإعلامي الوافد، والواقع العربي المعقد، اكتسبوا بريقاً في عصر «صناعة النجوم»، لكنهم لم يكسبوا شرعية رغم كتائبهم المدججة بالمال والسلاح، فلم تتبلور لهم ملامح، ولم تتحدد لهم قسمات، بل هي نسخ مكرورة تزداد مع الزمن انغلاقاً رغم ادعاء التفتح، وغموضاً رغم كثرة ما شرحوا متونهم وفسروا رؤاهم في قصائد الشروح والحواشي، والتربيع والتدوير. لقد ظلوا رغم ما يملكون من قوى مادية يحسون بغربة في المسافة، وضيق في المكان، فصبوا غضبهم على التراث، وعلى قدراته في طبيعة الأرض التي ازدهر عليها بالرغم من أنهم جميعاً . بالرغبة أو بالإكراه . أبناء هذا التراث، إن لم يصبهم من خيره وابل فطلّ. لقد كانت لهم غاية لا صلة لها بجوهر الشعر ولا بالوعي النقدي التابع له؛ إنها دعوة إلى مقاطعة التراث، وقطع اللسان العربي، وإعلان الحرب على الخليل في عروض لم ينشئها هو، بل كان كاشفاً عنها بأذُن موسيقية بلغت شأواً دونها معامل الصوتيات المعاصرة بآلاتها المبتكرة وعلومها المستحدثة. إنها دعوة إلى القطيعة بين الإنسان في حضارتنا وبين انتمائه؛ فهم يرمون صلتنا بالتراث . بل صلة شعراء التفعيلة بالتراث . بأنها علاقة عقائدية... ليس هذا فحسب، بل إن مجرد عودة شاعر التفعيلة إلى الشعر العمودي في إحدى قصائده يعتبرونها جريمة لا تغتفر وعثرة لا تقال.

يقول ناقد همام من قادتهم عن الشاعرة العراقية «نازك الملائكة» التي مارست التفعيلة في فترة معينة، ثم عادت إلى «الخليل» مرة أخرى، يقول عنها: «إنها تتجه بخطى واسعة نحو نهاية الشوط، إلى الخاتمة الأسيفة لهذا التيار السلفي الجديد، وهي التحجر والجمود واحتلال جانب المحافظين لحركة التجديد الحديثة في الشعر العربي. إن خطواتها التقليدية تقودها بالرغم عنها إلى حافة اللاوجود الشعري الذي

أصاب المحافظين السالفين؛ حيث كتبت أحدث قصائدها في العمود الخليلي كاملاً غير منقوص».

وهكذا أصبحت كتابة القصيدة في العمود الخليلي غير منقوص ردة عن الرؤيا الحديثة للشعر، ونقيضاً للتطور، وسلفية فكرية.

وهذا الذي دعا نزار قباني ليقول: «إن الفخ الخطير الذي وقعت فيه حركة الحداثة هو اعتقادها أن موسيقى الشعر نظام استعماري قديم لا بد من الانقلاب عليه».

وبعد مرور نصف قرن من الزمان لم يظهر بين «الحداثيين العرب» أديب في قامة المنفلوطي أو الرافعي، أو روائي في قامة علي أحمد باكثير أو نجيب الكيلاني، أو شاعر مثل: حافظ إبراهيم أو إبراهيم ناجي أو جميل صدقي الزهاوي... بل كان (الشعر الحر) أكبر همهم ومبلغ علمهم وآخر دعواهم.

خمسون عاماً يقرضون «الشعر الحر» الخالي من الوزن والقافية، والمحشو بالغموض المذموم الذي يكتنف الفكرة سواء أكانت جزئية أم كلية؛ فإنك تقرأ ما يسمى بالقصيدة عندهم فلا تفهم معاني جملها ولا مضمون هيكلها، بل هي عبارة عن كلمات عائمة. رُصِفت رَصفاً غريباً متنافراً. حتى صارت رطانات وطنطنات عابثة.

وسمة الإبداع عندهم أن تخلوَ «القصيدة» من أي غرض أو معنى، ويفلسفون هذا «المسخ» بأن القصيدة التي لا يضمِّنها صاحبها أي غرض أو معنى تظل تنمو وتكبر وتتعدد معانيها بتعدد قرائها...!

لذا، لجأ «الحداثيون العرب» إلى التعابير الغامضة التي تمتلئ بها أشعارهم وكتاباتهم مثل « الممرئية»، رؤياوية»، «التعارض الثنائي»، «اعتباطيات الإشارات»، «اللاحقيقة»، «التموضع الزمكاني»... وغيرها من الألفاظ المائعة والمخنثة.

وفي هذا يقولون: إن «الحداثة» هي الثورة على كل شيء، وآخر يقول: إنها الابتعاد الصارم عن المجتمع.

وفي كتابه «مقدمة في الشعر العربي» يقول الأب الروحي للحداثيين العرب. بجرأة شديدة: «.. إن القرآن نفسه إبداع، وكذلك السنَّة؛ فالإبداع القرآني والنبوي أوصدا الطريق أمام الإبداع الأدبي، وأوقعا الخوف في روع الأدباء... ».

ويستطرد هذا الهمام قائلاً: «إن الأدباء العرب لن يبدعوا إلا إذا حرروا أفكارهم من التقيد بالدين والنظم السائدة في المجتمع سواء أكانت اجتماعية أو وطنية أو قومية.. فالأدب، أي الأدب «اللا معقول»، أو «اللاواقع»، أو «اللاحياتي».

أما صاحب كتاب «جدلية الخفاء والتجلي» فيقول: «الحداثة انقطاع معرفي؛ ذلك أن مصادرها المعرفية لا تكمن في المصادر المعرفية للتراث، أو في اللغة المؤسساتية والفكر الديني، ولكون الله مركز الوجود... الحداثة انقطاع؛ لأن مصادرها المعرفية هي اللغة البكر والفكر العلماني، ولكون الإنسان مركز الوجود... ».

وتقول خالدة سعيد . وهي زوجة أدونيس .: «.. الحداثة أكثر من التجديد؛ فهي ترتبط بصورة عامة بالانزياح المتسارع في المعارف، وأنماط العلاقات، والإنتاج على نحو يستتبع صراعاً مع المعتقدات؛ مثلما فعل (جبران) في كسر الشرائع وكشف الحقائق... كذلك كان طه حسين وعلي عبد الرازق يخوضان معركة زعزعة النموذج . يعني الإسلام . بإسقاط صفة الأصالة فيه، ورده إلى الموروث التاريخي، ليؤكدا بأن الإنسان يملك موروثه ولا يملكه هذا الموروث، ويملك أن يحيله إلى موضوع للبحث العلمي والنظر، كما يملك حق إعادة النظر في ما اكتسب صفة القداسة [القرآن والحديث] وحق نزع الأسطورة عن المقدس، وحق الأسئلة والبحث عن الأجوبة».

ويقول أحد الحداثيين العرب: «يجب أن نخلع جبة الأصول، وقلنسوة الوعظ، لنترك للشاعر حرية مساءلة النص، ونقض الماضي وتجاربه، ولنترك لأنفسنا فسحة لنصغي لتجربته الجديدة، وما تقترحه من أسئلة. وليس هذا من حق الشاعر فحسب، ولكنه حق حياتنا المعاصرة علينا».

وهذا الكلام يحمل شحنة من التمرد يزعمون أنها وظيفة الأديب والأدب . الآن . بل إنهم يزعمون أن هذا التمرد لا ينبغي أن يُحصَر في مجال الأدب، ولكنه رسالة العصر سواء أكان المتمرد أديباً أو غير أديب.

وكلمات (الماضي والتراث، وسلطان التاريخ، والقداسة...) وما أشبه هذه الكلمات التي لا يقصد منها الحداثيون إلا الإسلام، وما يتصل به من فكر وأدب، وقيم وسلوك وتراث.

ومنح الحداثيون أنفسهم حق نزع صفة القداسة عن المقدس [الإسلام] ومارسوا حق تصرف الوارث في إرثه، فأخضعوا الإسلام للنقض والأخذ والرد، وأعطوا أنفسهم حق مناقشته وتأويله.

وقد حذر كثير من العقلاء، والأدباء الشرفاء من خطورة موجة الحداثة على الأدب والثقافة العربية الأصيلة، والمؤامرة التي تحاك لسحق هويتنا الثقافية، وإفساد ذوق الجماهير، وتشويه تراثنا وحضارتنا مما يؤدي في نهاية الأمر إلى تحويل أفراد الأمة إلى نباتات مخلوعة من الأرض غير قادرة على النمو والازدهار.

إن هذه التقاليع الأدبية . كما يقول رجاء النقاش . هي وليدة بعض بيئات الترف والفراغ في أمريكا ومجتمعات أوروبا الغربية المتقدمة التي لم تعد أمامها ما تهتم به أو تسعى إليه في مجال القيم الإنسانية والحضارية، والتي لم تعد تفكر إلا في الرخاء الذي تخشى زواله، وفي الراحة التي أصبح من «المتعب» الحرص عليها والرغبة في منعها من الانهيار.

إن هناك مجتمعات غربية متقدمة لم تعرف هذا الترقي الأدبي والعبث الفني على الإطلاق مثل إنجلترا التي لم نسمع بشاعر فيها يكتب قصائده بالمثلثات أو المربعات والمستطيلات، ولم نسمع بفنان يسمح لنفسه بالهلوسة، ويجد حوله نقاداً يصفقون له ويرفعون رايته ويقولون للعالَم: إن هذا هو الفن الصحيح.

ومن العجيب . والكلام لرجاء النقاش . أن أصحاب هذه الدعوة الجديدة يقولون إنهم يكتبون قصيدة النثر الخالية من كل قيود القصيدة القديمة، مثل: الوزن أو الموسيقى، وغير ذلك من العناصر الفنية الأساسية في الشعر؛ فهل هذا الادعاء هو ادعاء صحيح؟.. الحقيقة أنه في جوهره ادعاء كاذب؛ لأن الأدب العربي قد عرف منذ عصوره القديمة ذلك النثر المليء بندى الشعر وعذوبته منذ كتابات أبي العلاء في «الفصول والغايات»، وكتابات «أبي حيان التوحيدي»..

وقد عرفنا هذا اللون من النثر المليء بروح الشعر في كثير من كتابات المعاصرين مثل: المنفلوطي، والرافعي، والعقاد، وزكي مبارك، ومي زيادة، وجبران، وأمين الريحاني، وأحمد حسن الزيات... فما أكثر ما كتب هؤلاء نثراً بروح الشعر مليئاً بالوجدان والعاطفة، ولكننا ابداً ما كنا نخرج من كتابات هؤلاء ونحن أشبه بالمجانين

الذين فقدوا عقولهم وفقدوا قدرتهم على التمييز بين الأشياء، بل كنا نخرج من كتابات هؤلاء الموهوبين ونحن على العكس ـ في منتهى اليقظة والنشوة العقلية.

*نحن والغرب:

نحن لا ندعو ـ أبداً ـ إلى الانعزال عن الثقافة والآداب العالمية، بل ندعو إلى التواصل معها على أساس مبدأ الانتقاء والاصطفاء الذي يلائم فكرنا وشخصيتنا وانتماءنا العربي والإسلامي، ومجتمعنا الذي يختلف في ظروفه وقضاياه عن المجتمعات الغربية. فهذا هو جبران خليل جبران ـ على الرغم من كونه من دعاة التغريب في أدبنا العربي الحديث ـ إلا أننا نجده يصِف العلاقة بين الشرق والغرب وصفاً صحيحاً؛ حيث يقول: «قلّد الغربُ الشرقَ بحيث مَضَغ وحوَّل الصالح مما اقتبسه إلى كيانه، أما الشرق فإنه اليوم يقلد الغرب، فيتناول ما يطبخه الغربيون ويبتلعه دون إن يحوله إلى كيانه، بل إنه على العكس يحول كيانه إلى كيان غربي، فيبدو أشبه بشيخ هرم فقد أضراسه، أو بطفل لا أضراس له... ».

ويصل جبران إلى حقيقتين: «الأولى: أن الغرب صديق وعدو لنا في آنٍ واحد: صديق إذا تمكنا منه، وعدو إذا وهبنا له قلوبنا وعقولنا، صديق إذا أخذنا منه ما يوافقنا، وعدو إذا وضعنا أنفسنا في القالب الذي يوافقه.

ـ أما الحقيقة الثانية: فهي أنه خير للإنسان أن يبني كوخاً بسيطاً من ذاته الأصيلة، من أن يقيم صرحاً شاهقاً من ذاته المقتبسة».

ومن أسف أننا وهبنا ـ للغرب ـ قلوبنا وعقولنا، ووضعنا أنفسنا في القالب الذي يوافقه. لقد كان كل هذا نتيجة حتمية لهذا المسخ والتقليد والتبعية المطلقة والتهالك على الطارئ. كل ذلك أردى أدبنا العربي في أوحال المادية والعبثية والفحش، وأجهض الكلمة الطيبة بالغموض والنثرية، وتتمثل هذه التبعية ـ بوضوح شديد ـ في المناهج النقدية، وفي فصل الأدب عن الفكر الإسلامي، وبإعلاء الشخصيات المشبوهة، وبالسقوط الأخلاقي، وبضرب لغة القرآن، ومحاكمة الشخصيات الإسلامية بمعايير مادية وفلسفية. وكسر الثوابت، والإيمان بشمولية التغير واستمراره.

ـ كذلك؛ فإن من أشد آثار التغريب والتقليد الفج للآداب الأجنبية أنك تجد الأدب العربي الحديث يعيش بلا هوية، وبلا تماسك، وبلا خصوصية، وأعقب ذلك نهوض

أقلام مؤثرة لنبش العفن في موروثنا الأدبي، بحجة أنه موروث، فجاء إحياء الفكر الاعتزالي، والوثني، وشعر الخمر، والمجون، والغزل الفاحش، كما أعيدت ظواهر أدبية وشخصيات مشبوهة لم تكن حاضرة في الذهن رغبة في تحولها إلى قدرة سيئة للناشئة؛ فمثلاً تجد الصعاليك، والزنادقة والشعوبيين والباطنيين، وغلاة المتصوفة، كل أولئك يترددون على ألسنة الأدباء وبشكل لم يسبق له مثيل.

ـ ليس هذا فحسب، بل إن هذا الأدب العربي الحديث ـ بكل أجناسه ـ قد ازداد تأثراً بالمذاهب الأدبية الغربية في لهاث مسعور منذ منتصف القرن العشرين، وتحول بعضه على يد «المتغربين» إلى دعوات فاجرة وهجوم شرس على العقيدة الإسلامية وتراثها، وصار جهداً دؤوباً لتأصيل القيم الغربية في الفن والحياة، ولم يقتصر التأثير على استعادة الأدوات الفنية، بل امتد إلى الخلفيات الفكرية والفلسفية التي تصدر عنها المذاهب الأدبية الغربية، وقد صدرت قصص ودواوين تحمل صورتها وتدعو إليها صراحة وضمناً.

ـ وتبعاً لذلك؛ فقد توزع قسم من أدبنا خلف الأيديولوجيات المختلفة، فوجدت الماركسية قبل سقوطها أدباء يجسدون أفكارها، ويدعون ـ من خلال أعمالهم الأدبية ـ إلى الالتحاق بها، ووجدت نقاداً يجتهدون في تثبيت الواقعية الاشتراكية «الصياغة الأدبية للماركسية».

وبالمثل تماماً؛ فقد وجدت الكتلة الغربية أبواقاً تدعو بقوة إلى اعتناق حضارتها وتقليد فنونها وآدابها.

ومما يدعو للدهشة أن تجد أن النصرانية التي هُزمت في بلادها وعُزلت عن الحياة منذ عصر النهضة، قد دخلت بفضل الغزو الفكري المكثف والضخ الغربي المستمر إلى نتاج عدد من أدبائنا، وقد خلف هذا التيار وذاك آثاراً خطيرة في الأدب المعاصر، وفي مقدمتها الرموز النصرانية المتفشية في الشعر الحديث، وقصص الإنجيل التي أصبحت مادة أساسية لعدد كبير من الشعراء والقاصين.

ـ إلى جانب هذا وذاك، قد تجد أدباً وجودياً، وماركسياً، ومذاهب واتجاهات تسرح وتمرح في وسطنا، وتسهم في تلوُّث وعينا يتبنّاها أبناء المسلمين ويبشرون بها،

ويسعون لتكريسها، أو على الأقل يمنحونها مشروعية الوجود، ولا في معاشرتها، وطرد الغربة عنها.

وهكذا اختلطت الأصوات، وتوزع قسم وافر من أدبنا المعاصر وراء المذاهب الأدبية الغربية «المستوردة»، وحمل أدواتها الفنية من جهة، وقيمها وتصوراتها من جهة أخرى، ففقد كثيراً من ملامح الشخصية العربية الإسلامية، وتحول إلى حربة تهاجم الإسلام والمسلمين في عقر دارهم.

ومما يزيد الطين بِلَّة ظهور أعمال أدبية تعبث بالقيم الخلقية . التي يحرص عليها الإسلام . عبثاً شديداً، وتصوّر العفن والهبوط والنزوات الجنسية المحرمة على أنها عواطف إنسانية رقيقة جديرة بالاهتمام، وتسوّغ التحلل والتفسّخ وتسعى إلى ترسيخه في أعماق الشباب والفتيات تحت ستار الحرية الشخصية.

وقد لاقى هذا الأدب الرخيص تشجيعاً من بعض الأجهزة ومن الهيئات والمؤسسات الثقافية والإعلامية في كثير من بلادنا المغلوبة على أمرها؛ كما أقبلت دور النشر على هذا الأدب المكشوف في سباق محموم، وغطى واجهات المكتبات، بل تسلّل . بكل ما فيه من إثارة وتهديم . إلى حقائب المدارس ومخادع النوم.

وصارت هذه الأعمال . بفضل التطبيع والتغريب والأمركة . صارت عنواناً لـ «التنوير» و «المودِيرنزم»، وشعاراً لـ «الحداثة»، وطريقاً لـ «التفكير العلمي» الصحيح، وتمشياً مع «روح العصر» وآفاقه وأشواقه الحارة.

ومع كل ما فعله هؤلاء القوم من بني جلدتنا، فإن إيماننا أن الثقافة العربية والإسلامية لهي أقوى من أن تشوّه روعتها بعض الأتربة العابرة، أو أن يطمس نورها الذين يحاولون حجب الشمس بغربالهم الهزيل.

وأخيراً:

أرجو ألا أكون قد نكَّرت لأحد عرشه، أو وضعت «السقاية» في رحله... فأنا لم أجهر بالقول ولم أخافت، ولعلِّي ابتغيت وراء ذلك سبيلاً.

(*) عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

المصدر : http://www.albayan-magazine.com

=============

#الأفعى النفاقية

1425/8/12

ياسر بن علي الشهري

تشير قضايا العولمة وتأثيراتها المتعددة إلى أن ميدان الصراع القائم والمستقبلي هو ميدان الثقافة والإعلام، حيث تبدلت وتغيرت وسائل السيطرة وإخضاع الشعوب؛ نتيجة للقوة التي تمتلكها تكنولوجيا الاتصال الحديثة في جانبي الوصول إلى كافة بقاع الأرض وما تتمتع به من أساليب إقناعيه وخصائص فنية.

والأمة المسلمة التي تسعى إلى النهوض من جديد، من خلال تقوية صلتها بالله _سبحانه وتعالى_، والاستقامة على أمره، وإقامة الحياة على العلم القائم على الكتاب والسنة النبوية المطهرة، لمواجهة الهيمنة الثقافية الغربية (الإمبريالية الإعلامية الثقافية) لابد لها من بناء إعلامها على الأسس القويمة لدين الله ليعبر عن وجودها المعنوي ومكانتها في حمل الهداية والسعادة والسلام للعالم.

"كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ" (آل عمران:110).

ولكن كيف تنهض الأمة، وقد فقدت قوتها المعنوية، وأصبحت منهزمة من الداخل، إذ إن الإعلام الذي ينسب إلى المسلمين اليوم يمثل في غالبه صورة من صور الهزيمة النفسية للأمة أمام الثقافة والقيم الغربية، حتى أفقدهم الثقة في أنفسهم، وأصبح عائقاً أمام محاولات النهوض التي تفتقد في معظمها إلى الوسائل العصرية والفاعلة كوسائل الاتصال الجماهيري.

وعجز الأمة عن استثمار القدرات والإمكانات الهائلة لوسائل الإعلام للنهوض،لا يعني نهاية المطاف، بل إن ذلك يوجب على علماء الأمة، والمتخصصين في هذا المجال تحذير الأمة من استثمار أعدائها لهذا السلاح العصري الخطير وكشف أساليبهم في هدم كيان الأمة، ونسف قيمها ومبادئها، والسير بها خلف التيارات

الفكرية المنحرفة، وتقديم التنازلات العقدية والأخلاقية، دون وعي من أبناء المسلمين بدعوى التحضر والحداثة والعصرية.

يقول عمر بن الخطاب _رضي الله عنه_: "إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية، فيظهر أهل الجاهلية من أجل تقويض عرى الإسلام، فلا يقبل منهم أهل الإسلام ذلك، لمعرفتهم بهم وبجاهليتهم".

وقد حدد القرآن الكريم أعداء الأمة على اختلاف أصنافهم وأشكالهم وطبيعة نياتهم ومواقفهم وسبل مواجهة كل ذلك.

قال _تعالى_: "مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ" (الأنعام: من الآية38).

وقال _تعالى_: "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ" (النحل: من الآية89).

والمنافقون هم أكثر العناصر المعادية للإسلام إشاعة للغربة التي حذر منها الرسول _صلى الله عليه وسلم_ في المجتمع المسلم، من خلال عملهم الدائم الدؤوب لهدم عرى الإسلام وصرف الناس عنه قال _تعالى_: "هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ" (المنافقون: من الآية4).

يقول ابن القيم _رحمه الله_: "إن بلية الإسلام بالمنافقين شديدة جداً؛ لأنهم منسوبون إليه وهم أعداؤه في الحقيقة، يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه علم وصلاح، وهو غاية الجهل والفساد، فلله كم من معقل للإسلام هدموه؟ وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه؟ وكم من علم له قد طمسوه؟ فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبلية، ولا يزال يطرقه من شبههم سرية بعد سرية ويزعمون أنهم بذلك مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون".

وهذه الفئة مهما تخفت فإن الله يظهر ما تضغنه صدورهم وما تبطنه قلوبهم، قال _تعالى_: "أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ" (محمد:29، 30).

ولذلك ورد الحديث عن النفاق والمنافقين في سبع عشرة سورة مدنية من جملة ثلاثين سورة، واستغرق ذلك قرابة مئتين وأربعين آية. قال ابن القيم _رحمه الله_: "كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم".

وعلى ذلك فالمنهج الصحيح هو الكشف عن الأساليب الإعلامية للمنافقين بالعلم الصريح القائم على كتاب الله وسنة رسوله _صلى الله عليه وسلم_ للبعد عن الوهم والخرافة والظن، قال _تعالى_: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ" (الإسراء: من الآية9) .

فالقرآن الكريم كما يقول سيد قطب _رحمه الله_: "كان دائماً في المعركة الناشئة في القلوب بين تصورات الجاهلية وتصورات الإسلام، والمعركة الناشئة في الجو الخارجي بين الجماعة المسلمة وأعدائها الذين يتربصون بها من كل جانب، هذه المعركة كتلك ما تزال قائمة، فالنفس البشرية هي النفس البشرية، وأعداء الأمة الإسلامية هم أعداؤها، ولا نجاة للنفس البشرية ولا للأمة الإسلامية إلا بإدخال هذا القرآن في المعركة يخوضها حية كاملة كما خاضها أول مرة".

ووسائل الإعلام بما تتمتع به من المميزات والخصائص، تعد من أهم الوسائل المعاصرة التي استخدمها المنافقون بشكل مركز لتحقيق أهدافهم، وتنفيذ مخططاتهم، إذ إنها أسهمت في إلباس الباطل بثوب الإصلاح، وزخرف القول، حتى يروج بين الناس، ولذلك يلجأ المنافقون إلى إلباس طرقهم وأهدافهم وأفكارهم لبوس الإصلاح والحرص على المصلحة. قال _تعالى_: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْأِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ" (الأنعام:112).

ويعود تمكنهم من الإعلام وقوتهم في السيطرة عليه وخطرهم، إلى ضعف المسلمين في هذا العصر إذ تلاشت قوتهم، فكان إظهار المنافقين لنفاقهم أشد وأعظم. قال حذيفة بن اليمان _رضي الله عنه_ (أمين سر الرسول _صلى الله عليه وسلم_ في المنافقين): "النفاق اليوم أكثر منه على عهد رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ "أو في الرواية الأخرى" كانوا على عهد النبي _صلى الله عليه وسلم_ يسرونه، واليوم يظهرونه".

كما ضاعف من خطورة استغلال المنافقين للإعلام ما تعاني منه الشعوب الإسلامية من الجهل والأمية والفقر والفرقة، بالإضافة إلى الأساليب الإعلامية المستخدمة لتحقيق القبول والإقناع للرسالة الإعلامية، فهي الطريقة التي يتوصل بها إلى الهدف النهائي والقصد الأساسي للاتصال الإعلامي وهو التأثير على المتلقي (الجمهور)، حيث أظهرت الدراسات الإعلامية العامة والدراسات الإعلامية الإسلامية خاصة، اتفاقاً حول أهمية الأسلوب وضرورته للتأثير، وما يصاحب ذلك من المؤثرات التي أفرزتها التقنية، واتفاقاً حول تعدد الأساليب وتنوعها، وارتباط ذلك بموضوع الإعلام وأهدافه والجمهور المخاطب.

ومن هنا فإن على علماء الأمة أن يستجيبوا لحاجة الأمة إلى الكشف عن الأساليب الإعلامية للمنافقين -كما بينها القرآن الكريم- للحذر والتحذير منها ومن أصحابها، ولكشف الأقنعة التي يتخفون وراءها لهدم عرى الإسلام، وإضعاف أهله من خلال حملاتهم لطمس الحقائق، وتزوير الوقائع، والتشكيك في المسلمات، والطعن في الثوابت، والتلبيس والتدليس على العامة، فهذا الموضوع يستمد أهميته من المبررات التالية:

1- وجوب كشف الأساليب الإعلامية للمنافقين، من خلال فهم كتاب الله وسنة رسوله _صلى الله عليه وسلم_ لما يمثله الإعلام اليوم من قوة مادية ومعنوية للأمة، وللحذر والتحذير منهم قال _تعالى_: "هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ" (المنافقون: من الآية4).

كما أرشد _سبحانه وتعالى_ إلى تتبع المجرمين والنظر في طرقهم لهدم الدين ومحاربته، قال _تعالى_: "وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ" (الأنعام:55).

وعن عمران بن الحصين _رضي الله عنهما_ مرفوعاً إلى رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ قال: "إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي منافق عليم اللسان" أخرجه الإمام أحمد وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (1554).

_2 لمجاهدتهم، فقد نزل على الرسول _صلى الله عليه وسلم_: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" (التوبة:73).

وأعظم الجهاد هو جهاد العلم، حيث ذكر السلف _رضوان الله عليهم_ أن مجاهدة المنافقين تكون باللسان زجراً وتأنيباً وإقامة للحجة عليهم. (تفسير ابن حجر، (184/10).

ويقول تلميذ المصنف الحافظ ابن قيم الجوزية _رحمه الله_: "وكذلك جهاد المنافقين، إنما هو بتبليغ الحجة، وإلا فهم تحت قهر أهل الإسلام، فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار، وهو جهاد خواص الأمة وورثة الأنبياء" (زاد المعاد 6/3)..

واستنفار الأمة لمجاهدتهم ضمن إطار "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" والتحذير من سمات النفاق والمنافقين.

3_ليتجنب المسلمون طاعاتهم، فقد أمر الرسول _صلى الله عليه وسلم_ بعدم طاعتهم رغم ما يزخرفون من القول، قال _تعالى_: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً" (الأحزاب:1).

4_لوعظهم فقد يكون منهم الجاهل أو المغرر به، أو قد يهديهم الله _سبحانه وتعالى_ قال _جل وعلا_: " وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً" (النساء: من الآية63).

3http://www.almoslim.net/figh_wagi
212/show_news_comment_main.cfm?id=

=============

#المؤامرة على المرأة في مصر

محمد كمال منصور

لا نقصد بالعنوان تبني فكرة "المؤامرة" بمعناها الشائع؛ حيث إن هناك يداً خفية توجه الأحداث من وراء ستار لتحقيق أهداف ومقاصد خاصة ضد الذين تقصدهم المؤامرة، لكننا نقصد بالمؤامرة هنا مجموعة من الإجراءات والعمليات التي تجري في وضح النهار، يستند القائمون على هذه الإجراءات والعمليات إلى مراكزهم في السلطة والتي تعطيهم الصلاحية في مباشرتها. والمؤامرة تأتي من أن القائمين على تدبير هذه العمليات لا يعبِّرون عن تاريخ الأمة أو مصلحتها أو احترام خصوصيتها ودينها، إن المؤامرة تأتي من فكرة الاغتصاب، سواء على مستوى تولي مواقع السلطة أو

الانخراط في مجموعة من الإجراءات التي لا تعبر عن دين الأمة أو نظامها الاجتماعي، وإنما هي تعبير صريح عن رغبة كاذبة في الالتحاق بالمنظومة الفكرية والثقافية للغرب من ناحية، وتعبير – أيضاً – عن إرادة ضعيفة بل ومسلوبة تجاه الاكتساح الغربي – المنظم – للنظام الاجتماعي الإسلامي عبر ما نطلق عليه "عولمة القيم الثقافية والاجتماعية للغرب".

ويستند الغرب في ذلك إلى مجموعة من المعاهدات ذات الطابع الدولي والتي تفرض التزاماً دولياً على من يوقع عليها.. تختفي هذه المعاهدات في الواقع وراء ما يطلق عليه الغرب "حقوق الإنسان".. وتأتي حقوق المرأة في مقدمة هذه الحقوق بحيث تكون مدخلاً لإعادة بناء النظام الاجتماعي الإسلامي بما يحوله في النهاية إلى صورة مشوِّهة للنظم الاجتماعية الغربية.

الانتقال من السياسة إلى المرأة:

في الفترة الاستعمارية كانت حركات التحرر في العالم الإسلامي ومصر تتبنى هدفاً وحيداً وهو الاستقلال والتحرر من الاستعمار، بينما كان يروِّج للأفكار والنظم الغربية مجموعة من المثقفين والمفكرين اللادينيين (العلمانيين) الذين رأوا أن نهضة العالم الإسلامي تتحقق عبر تبني قيم العالم الغربي.. أي أن إجابتهم عن السؤال "كيف تتحقق النهضة؟ " كانت تتمثل في اتباع ما سار عليه الغرب حذو القذة بالقذة شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب دخلناه وراءهم.

الفكرة الأساسية هنا هي أن الحكومات – في الفترة الاستعمارية – كانت تتبنى المطالب السياسية، بينما كان المثقفون من خارج السلطة – وغالبهم تعلم في الغرب وتشرب قيمه – كانوا يدعون إلى نمط الحياة الغربية أي أن الثقافة كانت تعمل في فضاء مختلف عن السياسة، ومع انتهاء الفترة الاستعمارية ومجيء ما نطلق عليه "دول ما بعد الاستعمار"، فإن النظم السياسية الجديدة بدأت في تبني بعض البرامج الاجتماعية والثقافية والسياسية، وبينما كانت السياسة – فيما يبدو – تناطح الغرب، فإن القيم الثقافية والاجتماعية لهذه النظم كانت غربية، لذا دفعت هذه النظم المرأة المسلمة للخروج إلى العمل على نمط المرأة الغربية.

ففي الفترة الناصرية – مثلاً – لم يكن أجر الغالبية العظمى من الرجال يمكنهم من الاستقلال وحدهم بالإنفاق على بيوتهم، ومن ثم كانت الفكرة الرائجة وقتها ضرورة خروج المرأة للعمل؛ لكي تساند في تحمل عبء الإنفاق على الأسرة، وأدى الاستقلال الاقتصادي للمرأة إلى تمردها وفرديتها ومن هنا تراجعت فكرة قوامة الرجل في بيته، كما بدأت ظواهر مجتمعية جديدة تتسلل إلى المجتمع المصري، ومنها: تزايد نسب الطلاق، ارتفاع نسبة جنوح الأطفال، إقامة علاقات خارج نطاق الزواج الشرعي، نبذ الحجاب وتحطيم الحواجز في العلاقة بين الرجل والمرأة بسبب الاختلاط. لقد كان النظام الناصري نظاماً لا دينياً (علمانياً) يتبنى قيم الغرب المجتمعية والثقافية.. باسم الحداثة التي لم تكن تعني في الواقع – لدى النخبة الحاكمة – سوى التغريب.

في هذه المرحلة كان الغرب قد استطاع أن يكوّن زمراً ثقافيةً تتبنى قيمه بحيث أصبحت هذه الزمر وكيل الغرب الثقافي في مصر والعالم العربي والإسلامي.. لم يكن النظام الناصري ليجرؤ على أن يقدم نموذج المرأة المسلمة في مواجهة الغرب الذي زرع في عقول النخبة السياسية والثقافية أن الحضارة والحداثة لها منطقها الذي لا يقاوم وأن المعيار لها هو المعيار الذي وضعه الغرب.. وهذا المعيار هو تقديم المرأة على نمط المرأة الغربية بلا حجاب ولا حياء.. بل إن المبالغة في الالتحاق بالحداثة جعل المرأة في العالم الإسلامي وفي مصر تسرع بخطوات أكثر من المرأة الغربية فبدت الحداثة لديها شكلية متمثلة في المكياج ومقص الخياط والكوافير.. هنا النظم السياسية انتقلت تدريجياً في فترة ما بعد الاستعمار لتتبنى البرامج الاجتماعية التي تعكس القيم الغربية بحيث لم يعد الاستقلال – الذي تحقق – هدفاً، وإنما أصبح الهدف هو تمثل قيم التغريب والحداثة في الجانب الاجتماعي والثقافي كجزء مما يصوره الساسة والنخبة أنه معاصرة.. وإذا كنا نقاوم الغرب سياسياً، فلسنا أقل حق في الاجتماع والسياسة.. وليس نساؤه بأفضل من نسائنا.. ومن هنا كان دفع المرأة دفعاً حتى لو لم تكن راغبة؛ لتكون شهادة للنظام لدى العالم على العصرنة والحداثة.

وكما هو معلوم، فإن القيم تأخذ وقتاً طويلاً في تغييرها بأكثر مما تأخذ الأشياء الحادثة.. لكنه في العالم الإسلامي وفي مصر، على وجه الخصوص، فإن القيم الاجتماعية المتصلة بترتيب أوضاع المرأة في المجتمع قد تغيرت على نحو صارخ

ومذهل، بحيث لم تأت ستينات القرن إلا وقد تحققت آمال قاسم أمين.. بل إن قاسم نفسه لو رأى ما انتهى إليه حال المرأة في مصر لفزع.. لقد أصبحت المرأة في شوارع القاهرة لا تختلف عن مثيلتها في شوارع باريس ولندن وبرلين وواشنطن.. ولم يكن الأمر فقط أمر ترويج للأفكار الثقافية، وإنما كان أمر تبني النظم السياسية لهذه الأفكار ووضعها موضع التحقيق والتنفيذ. عمل النظام الناصري في هذه الفترة على إلغاء المحاكم الشرعية والتي كانت تقوم بالفصل في المسائل المتصلة بالزواج والطلاق والإرث والنفقة والمتعة وغيرها، وكان القصد من وراء ذلك إثبات علمانية النظام الذي يسعى إلى جعل المرجعية للقانون الوضعي والنظر إلى المواطنين جميعاً باعتبارهم مواطنين متساوين في دولة يحكم علاقتهم بها نظام قانوني موحد.

لقد كانت المحاكم الشرعية مؤسسة تشير إلى وجود بقايا نظام قانوني واجتماعي إسلامي يستند إلى الشريعة وينظر في الفصل فيه قضاة متخصصون في الفقه والأحكام الشرعية، وأحسب أن المحاكم الشرعية كانت المؤسسة الأخيرة ضمن النظام السياسي الناصري والتي كانت تشير إلى المرجعية الإسلامية. وظلت لائحة ترتيب المحاكم الشرعية ضمن قوانين لا دينية أخرى تمثل القانون الذي يرجع إليه القاضي في المحاكم للفصل في قضايا الأحوال الشخصية. وفي عهد السادات حدثت ضجة ضخمة حول قانون تبنته "جيهان السادات" وقتها للأحوال الشخصية كان أشبه بالقوانين اللادينية التي أقرها بورقيبة في تونس، ووقف الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر – بقوة – ضد هذا القانون اللاديني الذي أباح الزنى ومنع الزواج الشرعي بأخرى.. ووقتها وضع الشيخ "عبد الحليم محمود" قانوناً بديلاً للأحوال الشخصية يستمد كل مواده من الشريعة الإسلامية؛ لأن الرجل رأى أن هناك نية من النظام السياسي للتلاعب بالنظم الاجتماعية ليس على مستوى القيم والثقافة، وإنما على مستوى القوانين.. وتم إجهاض مشروع قانون الأحوال الشخصية الذي تبنته "جيهان" إبان الفترة الساداتية.

وفي الواقع كان مشروع "جيهان" استجابةً لرغبة النخبة السياسية المتغربة وأفكارها، كما كان استجابةً للمعاهدات الدولية التي تم توقيعها في إطار الأمم المتحدة والتي استهدفت تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة فيما يتصل بمنع الرجل من الزواج بأخرى

باعتباره تمييزاً ضد المرأة.. وإعطاء المرأة الحق في السفر بدون إذن الزوج باعتباره تقييداً لحرية المرأة. والنظم السياسية انتقلت من المطالبة بالاستقلال السياسي إلى التلاعب بالنظم الاجتماعية عبر تسميات غامضة، مثل التنمية، وتم إخراج المرأة إلى الشارع وإلى العمل وتم نزع حجابها وتم امتهانها بشكل قاس في وسائل المواصلات والمؤسسات العامة وأصبح معيار "المواطنة" بالنسبة للمرأة هو أن تكون "عاملة" لا "ربة بيت"؛ لأن المرأة العاملة تقبض أجراً في مقابل عملها، بينما ربة البيت لا تتلقى مقابلاً.. بل وفق هذا المنظور المادي الإجرامي، فإن المرأة المواطنة هي التي تقبض أجراً مقابل عملها حتى لو كانت داعرة.. بينما المرأة التي تبقى في منزلها لا تعد مواطنة؛ لأنها لا تأخذ مقابلاً.

مبارك والإجراءات الجديدة:

شهدت فترة حكم مبارك سقوط الاتحاد السوفيتي والانتصار النهائي للغرب عليه، وبدأ مفكرو الغرب يتحدثون عن "نهاية التاريخ" بمعنى توقف الجدل الإنساني؛ لأن للتاريخ والتقدم طريقاً واحداً هي طريق التحررية (الليبرالية) الغربية، وعلى العالم كله أن يتبع طريق الغرب فليس هناك طرق بديلة.. وفي الواقع، فإن مقولة "نهاية التاريخ" التي أطلقها الأمريكي "فوكوياما" هي تعبير عن قمة الغزو الفكري الذي أصبح يُعبر عنه الآن بالعولمة. ورغم أن العولمة تركز على الأبعاد الاقتصادية، إلا أن جوانبها الفكرية والاجتماعية والثقافية لا تقل خطراً وأهمية.. وطرح "هنتجتون" مقولة "صراع الحضارات"، كما طرح مفكرون كثيرون – في الغرب – أطروحة "العدو البديل" والخطر الإسلامي" والخطر الأخضر وقوس الأزمات.. المهم أن انفراد الغرب بقيادة النظام الكوني جعله ينتقل من الصراع السياسي وصراع المصالح مع العالم الإسلامي إلى "صراع الأفكار والنظم والقيم".

وجاء في مقدمة "مناطق الصراع" إعادة الهندسة الاجتماعية للعلاقة بين الرجل والمرأة. وإعادة تعريف الأسرة "والحقوق والواجبات داخلها"، أي التدخل في الشئون الداخلية للمجتمعات وفرض نمط اجتماعي من العلاقات والقيم عليها بالقوة. ويمثل مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية – الذي عقد في سبتمبر 1994، ثم مؤتمر المرأة في بكين الذي عقد عام 1995 بعنوان "المساواة والتنمية والسلم" – يمثل آلية دولية ملزمة

للدول الموقعة على وثائق المؤتمرين بضمان فرض النمط الاجتماعي الغربي على مصر والعالم الإسلامي. وكنوع من التزام القاهرة بمقررات بكين والقاهرة قامت بتغيير قانون الأحوال الشخصية في مصر، حيث أعطت المرأة المصرية حق الخلع من زوجها بدون رضائه وموافقته، كما كان مقرراً إعطاء المرأة حق السفر بدون إذن زوجها، لكنه تم إحباط هذه المادة.

وكان تغير قانون الأحوال الشخصية جزءاً من الاستجابة لجدول عمل (أجندة) دولي يفرض على الأنظمة عدم التمييز ضد المرأة ومساواتها بالرجل ومنحها الحرية الشخصية في العلاقة مع الأصدقاء ومنحها الحق الإنساني في التصرف بجسدها باعتباره حقاً ذاتياً لها، كما شهدت القاهرة قبل انصرام القرن الماضي مؤتمراً بعنوان "مائة عام على تحرير المرأة". هذا المؤتمر أعده المجلس الأعلى للثقافة (وهو أعلى هيئة ثقافية في وزارة الثقافة) وفيه تجمع شذاذ الآفاق ممن يطلقون على أنفسهم "دعاة الاتجاه النسوي"، وطالبن بحرية المرأة المطلقة في السيطرة على جسدها، كما طالبن بالتمرد على الرجل حتى فيما يتصل بالعلاقة الجنسية به وبناء علاقة جنسية إما مع الذات أو مع المثيل.. ودعاة هذا الاتجاه يطلقن على أنفسهن المبدعات.

لقد كن أكثر تطرفاً في مطالبتهن التسوية مع الاتجاه النسوي في الغرب. ويتم هذا داخل مؤسسة في الدولة.. كان هذا المؤتمر – المجرم – قبل معركة قانون الأحوال الشخصية. ومع مطلع القرن الجديد فُوجئ الناس في مصر بصدور القرار الجمهوري بإنشاء مجلس قومي للمرأة يتبع رئيس الجمهورية وتكون له الشخصية الاعتبارية ويكون مقره القاهرة، ويتكون المجلس من ثلاثين عضواً من الشخصيات العامة وذوي الخبرة في شئون المرأة والنشاط الاجتماعي، ومدة عضويته ثلاث سنوات قابلة للتجديد، وللمجلس اختصاصات عديدة، أخطرها وأهمها: اقتراح السياسة العامة للمجتمع ومؤسساته الدستورية في مجال تنمية شئون المرأة وتمكينها من أداء دورها الاقتصادي والاجتماعي وإدماج جهودها في برامج التنمية الشاملة، ثم إبداء الرأي في مشروعات القوانين والقرارات المتعلقة بالمرأة قبل عرضها على السلطة المختصة والتوصية باقتراح مشروعات القوانين والقرارات، التي تلزم النهوض بأوضاع المرأة، ثم إبداء الرأي في جميع الاتفاقيات المتعلقة بالمرأة وتمثيل المرأة في المحافل والمنظمات

الدولية المعنية بشئون المرأة، وللمجلس لجان دائمة لممارسة اختصاصاته، منها: لجنة الصحة والإسكان ولجنة المنظمات غير الحكومية واللجنة التشريعية.

وفي أول جلسة للمجلس القومي للمرأة تم اختيار "سوزان مبارك" رئيساً للمجلس، بينما تم اختيار مرفت التلاوي أميناً عاماً للمجلس، وحضر "مبارك" جانباً كبيراً من الجلسة الأولى لهذا المجلس، وقالت سوزان مبارك: "إننا سنكون على قدر المسئولية؛ حتى يكون هذا المجلس نقطة تحول حقيقي في تاريخ المرأة المصرية وتطور المجتمع".

ويتساءل المرء: إلى أين يريد هؤلاء النسويون الاتجاه بالمرأة؟ ألا يكفيهم ما أحدثوه من تدمير في حياتها حتى الآن ويطمعون في إجراء المزيد.. وفي الواقع، فقد كان إنشاء المجلس القومي للمرأة جزءاً من الاستعداد المصري على المستوى الرسمي لقبول ما يفرضه جدول العمل الدولي الجديد فيما يتصل بترتيب أوضاع المرأة في المجتمع المصري، والذي يؤكد ذلك هو عقد المجلس القومي للمرأة قبل أعمال الدورة الاستثنائية للجمعية العامة للأمم المتحدة بعنوان "المرأة عام 2000" المساواة بين الجنسين والتنمية والسلم في القرن الحادي والعشرين، حيث تمت الموافقة على إصدار تقرير سنوي عن وضع المرأة في مصر على غرار تقرير الأمم المتحدة، حيث سيكون هذا التقرير بمثابة الصك الذي تقدمه مصر للأمم المتحدة والعالم الغربي لتأكيد الرضوخ للمقررات الدولية بشأن أوضاع المرأة، وهو يعني حقيقة أن الكارثة الكبرى بشأن أوضاع المرأة المصرية سوف تأتي في السنوات القادمة، حيث سيكون هذا المجلس هو غرفة العمليات التي تتلقى ما يطلب من مصر لتحويله إلى واقع قانوني واجتماعي.

فقد تمت الموافقة على تشكيل مجالس إقليمية للمجلس في أربع عشرة محافظة، ورُصدت ميزانية للمجلس تبلغ خمسة عشر مليون جنيه. وترأست "سوزان مبارك" الوفد المصري في أعمال الدورة الاستثنائية التي عرفت باسم (بكين + 5) وحضرها وفود مائة وسبع وثمانين دولة وهي أكبر تجمع دولي لبحث أوضاع المرأة في العالم منذ المؤتمر الدولي الرابع للمرأة، الذي عقد في بكين عام 1995، وقدم الوفد المصري خلالها تقريراً وضعه المجلس القومي للمرأة من ثلاثة أجزاء حول تنفيذ خطة عمل مؤتمر بكين، وتتمثل في: جهود تحقيق المساواة بين الجنسين للنهوض بوضع

المرأة المصرية، والتدابير التالية والمؤسسية من خلال تبني الحكومة لسياسات إدماج المرأة في التنمية، وأخيراً ما حققته مصر من تقدم في تنفيذ خطة عمل مؤتمر بكين بوجه عام، وتزامناً مع انطلاق أعمال الدورة الاستثنائية للجمعية العامة للأمم المتحدة حول قضايا المرأة أعد البنك الدولي مشروع تقرير حول سياسته المتعلقة بالمرأة، وأكد أن تحالف حركة المجتمع المدني في مصر والحكومة بإشراف رجال القضاء والشريعة الإسلامية نجح في إصدار قانون يمثل إنجازاً كبيراً للمرأة المصرية وهو قانون تيسير إجراءات التقاضي في مسائل الأحوال الشخصية.. أي أن البنك الدولي – كمؤسسة اقتصادية دولية – يراقب عن كثب تطور الأوضاع القانونية للمرأة في مصر ويمنح شهادة رضى عما تقوم به الدولة ونخبتها بما في ذلك النخبة الدينية.

فليس تغير قانون الأحوال الشخصية استجابة لمشاكل داخلية حقيقية للمرأة في مصر، وإنما هو بالأساس استجابة لإكراه عجيب من قبل المؤسسات الاقتصادية والسياسية والحقوقية الدولية، التي تروج لنظام الاجتماع الغربي وقيمه لفرضه كمرجعية كونية جديدة يجب على كل العالم أن يلتزم بها ولا يحيد عنها.

وفي كلمتها أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة قالت "سوزان مبارك" إننا لسنا هنا لنستأنف المناقشات أو للتراجع عن الاتفاقيات والقرارات الجماعية التي صدرت في كل من بكين والقاهرة، وإنما نحن هنا لنمضي قدماً ونمهد الطريق لتمكين المرأة من ممارسة حقوقها.. ومضت تقول إن المشاركة هي أكثر القنوات فاعلية لتحقيق إجماع عريض بشأن الأولويات الاقتصادية والاجتماعية، غير أنه من الصعوبة بمكان صياغة مشاركة فاعلة وهو أمر حقيقي خاصة – خلال فترات التحول السريع. وانتهت إلى أنه يجب أن تتلاءم سرعة التغيير مع الحقائق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لكل دولة، "أي أن سوزان مبارك تؤكد الالتزام بمقررات القاهرة وبكين، بل وتسعى للمضي قدماً لتمكين المرأة من المساواة، بيد أنها تنبه المشاركين في تحقيق التحول الاجتماعي والقيمي بشأن المرأة إلى ضرورة المواءمة بين التغيرات وحقائق الاقتصاد والاجتماع والسياسة في البلدان التي يتم السعي لتغييرها. وهنا يبدو لنا كشف لذلك الخطاب المراوغ والخفي الذي يتبناه دعاة التسوية الجديدة في العالم الإسلامي، حيث لا يعبرون عن حقائق مراميهم؛ لأنها تتصادم بعنف مع واقع

الناس، ومن ثم فإنهم يستخدمون خطاباً مخالفاً ومخادعاً تمهيداً لحرث التربة لأفكارهم ومشاريعهم.

وقال مندوب مصر في الأمم المتحدة – أحمد أبوالغيط في الاجتماع الذي عقده "كوفي عنان" مع سوزان مبارك قال: إن مصر تسعى جدياً من أجل تنفيذ البرامج المتفق عليها وتطوير التشريعات المصرية، بينما أكدت "سوزان مبارك" أن مصر من أوائل الدول التي تلتزم بتعهداتها فيما يتصل بالقضاء على جميع أشكال العنف والتمييز ضد المرأة. وفي مصر الآن يثور جدل حول اللائحة التنفيذية لقانون الأحوال الشخصية الذي تم إقراره بمصر مطلع هذا القرن، حيث بدأت مشاكل التنفيذ في الظهور.

كما أن هناك وثيقة زواج جديدة أصدرتها وزارة العدل يلتزم فيها الزوج بعدم الاقتران بزوجة أخرى إلا بإذن كتابي من زوجته الأولى، وتفويض الزوج لزوجته بتطليق نفسها وعدم توثيق الزواج إذا كان سن الزوج دون 18 سنة والزوجة 16 سنة، وتحديد من يكون له حق الانتفاع بالمنقولات ومسكن الزوجية في حالة الطلاق أو وفاة الزوج وإدراج وثيقة تأمين باسم الزوجة وعدم الاعتداد بالطلاق إلا إذا كان مطابقاً لوثيقة الطلاق الجديدة.. فمن الواضح – الآن – أن مسألة المرأة هي من المسائل الملحة التي وضع الغرب يده عليها ويريد فرضها على النظم الاجتماعية في البلدان الأخرى خاصة في بلدان العالم الإسلامي.

وهكذا يمكننا القول إن صراع الغرب مع العالم الإسلامي انتقل إلى ما يمكن أن نطلق عليه المناطق الحساسة والخطرة المتصلة بالوجود والهوية وهي عصب حياة الناس ووجودهم؛ لذا، فإن إصرار الغرب على طرح جدول أعماله الداعي للمثلية الجنسية وحق الإجهاض وحق ممارسة الجنس المسمى بالآمن للمراهقات واعتبار الفروق الجنسية بين الذكر والأنثى هي فروق اجتماعية تتصل بالدور الذي يمارسه الإنسان وليس بطبيعة الخلق التي خلق الله الناس عليها ومن ثم يمكن للذكر أن يغير دوره ونظرته، كما يمكن للأنثى أن تفعل هي الأخرى، فالفروق ليست بيولوجية ولكنها اجتماعية، كما أن جدول أعمال (أجندة) الغرب المتصل بإعادة تعريف الأسرة وإعادة تعريف الحقوق والواجبات والمسئوليات فيها – والذي يريد أن يفرضها على

العالم – تم وصفها في اجتماعات الدورة الاستثنائية الأخيرة للجمعية العامة بأنها نوع من "الاستعمار الجنسي".

فالغرب الآن يسعى لفرض قيمه وهو يتبنى نظرية جديدة لا تعتبر أن الاقتصاد أو الفروق الاقتصادية هي المسببة للتفاوت الطبقي، كما كانت النظرية الشيوعية تفعل، ولكنه يعتقد أن إزالة الفروق بين الرجل والمرأة هي التي تحقق نوعاً من الأهمية الجديدة عابرة القارات وهي الوعاء أو الإطار الذي يوجد بين البشر. إنها ماسونية جنسية جديدة يسعى الغرب من خلالها للسيطرة على العالم الإسلامي وتخريب نظمه الاجتماعية والثقافية.

النتائج المرعبة:

للغرب مصالحه الضخمة في العالم الإسلامي، وهو يسعى – منذ وقت مبكر – إلى إخضاع العالم الإسلامي، وقد أيقن أنه لا يمكنه كسر هذا العالم عبر مواجهة عسكرية، خاصة بعد انتهاء الحروب الصليبية، ومن ثم ابتدع وسائل أخرى هي التي نطلق عليها الغزو الفكري. المثير الآن أن الغزو الفكري قبل انهيار الاتحاد السوفيتي لم يكن وسيلة يرفعها الغرب بشكل سافر وعلني، حيث كان يَعتبِر أن الصراع مع العالم الإسلامي صراع مصالح وسياسات، وليس صراعاً حول القيم والأفكار ونظم الاجتماع والثقافة.. لكنه يعتبر أن أسلوب مواجهته مع العالم الإسلامي يتم عبر صراع اجتماعي وقيمي وفكري ممتد، وأنه، لكي يحقق الغرب هيمنته الفكرية والثقافية، فإن لديه فرصة تاريخية باعتباره القوى المطلقة المتربعة على قمة النظام الكوني.. وهي الفرصة السانحة التي لا يجب أن يضيعها من خلال فرض قيمه ونظمه الاجتماعية باعتبار أن وجود نظم اجتماعية وثقافية وفكرية مختلفة في بلدان أخرى تعوق دون اكتساحه هذه البلدان.

إن العولمة لها أبعادها المختلفة على الرغم من أن التركيز على البعد الاقتصادي فيها أكثر من غيره. فللعولمة أبعادها الاجتماعية والثقافية والفكرية وهي ساحة صراع كبيرة وهائلة بحيث لا يمكن تحقيق الانتصار النهائي للغرب في هذه المعركة، إلا عبر تحطيمه للنظم الاجتماعية والثقافية والفكرية في البلدان الأخرى وخاصة بلدان العالم الإسلامي. من هنا، فإن الإجابة على التساؤل: لماذا يهتم الغرب بالتدخل في

شئون بلدان العالم الإسلامي الخاصة، في قضية مثل الختان وجرائم الشرف أو إعادة ترتيب أوضاع العلاقات الاجتماعية. إن الغرب يعتقد أن العالم الإسلامي – على وجه الخصوص – لا يزال يملك مقومات قوة حقيقية تتمثل في النظم التي صاغت تاريخه وهويته ووجوده، وإنه – لكي يحول هذا العالم إلى سوق كبيرة مستهلِكة لمنتجاته – لا بد له من تحطيم هذه النظم المتصلة بوجوده وهويته وتاريخه وثقافته، لذا فإن المعركة الجديدة بين الغرب والعالم الإسلامي مختلفة عن المعارك التي سبقتها؛ لأنها متصلة بالهوية والوجود والحضارة.. ولهذا فهي معركة البقاء والوجود.
((والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)). وصدق القوي العزيز: ((فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)).
جمادى الأولى 1421 – يوليو 2000
المصدر http://www.alsunnah.org :

=============

#الديك يبيض

أنور قاسم الخضري*

رحبتُ به، وقدمتُ إليه المائدةَ، ودعوتُهُ ليمدَّ يَدَه إلى أيِّ طعام يشتهي..
كنت آملُ أن أفتح معه حواراً حول الإسلام حتى يتسنى لي دعوتُهُ إليه، فقد كان نصرانياً معتزاً بدينه؛ مُعتزاً بحضارةِ قومِه.
وكنتُ أعملُ على أن أرتِّبَ أفكاري حتى أتدرج معه في طرحِ الموضوعِ، فلا أنجرَّ وراءَ عراكٍ لفظيٍ، أو مسألةٍ جانبيةٍ، ثم ينتهي الأمرُ للتعصبِ والنزَاعِ والخصومةِ.
وبينما أنا غارق البال، إذا به يقطع تفكيري بسؤاله:
(ما هذا؟!) (لطبيخٍ كان موضوعاً في وسط المائدة).
فقلت له: هذا بيضُ ديكٍ؟! فضحكَ ومدَّ يدهُ إليه ليطعمَ منه، علَّه يستسيغُ طَرْفَتي السمجةَ.
لم يرقْ له طعمُ الطبيخ، فقلتُ لهُ: لعلك لم تألفْ أن تأكلَ بيضَ الديكِ؟! كادَ الرجلُ أن يشرقَ؛ فما زلتُ أؤكدُ لهُ ما قلتُ بألفاظي، وتعابير وجهي الجَادة.

ناولته كوبَ ماءٍ، ثم قلتُ لهُ: كُنَّا قديماً نشعرُ بنفسِ الشعورِ تجاهِ طعمِ هذا البيض؛ إلا أننا بعد فترةٍ من الزمنِ تعوَّدْنا أَكلَهُ، واستسغنا طعمَهُ.
هذه المرة عبسَ في وجهي وقالَ: أرجو أن تكونَ مُدركاً لما تقول فليسَ هناكَ ما يُسمى ببيض الدِّيك في أي جزءٍ من العالم، ولكن لعلكَ تقصدُ أن هذه الطبيخَ قد أعدُّ من لحمِ الديكِ، أو تقصدُ أمراً آخرَ.
هذه المرة ضحكتُ أنا، وقلتُ له: بل أنا مدركٌ لحقيقةِ ما أقولُ، ولستُ مستعداً أن أتنازلَ عن علمي اليقيني لأمور ورثها العالمُ دون أن يمحصَ عنها بالتجربةِ والبحثِ والدراسةِ، ولست وحدي على هذا الأمرَ فقومي جميعهم على هذا الأمرِ الذي تنكره.
إلا أنني أضفتُ:
أنا لا أنكرُ أننا كُنَّا سابقاً نرى بنفسِ رأيكم في أن الدجاجةَ وحدها هي التي تبيض، لكننا لم نجمد عند موروثاتنا القديمة، فنحن نؤمن بتغيرِ الظروفِ، وحركةِ الحياةِ، وتقلبِ الأحوالِ، والمسألةُ عندنا تخضعُ للعقلِ.
هنا نهضَ الرجلُ ليصيحَ بأعلى صوتِهِ: عقلٌ.. أيُ عقلٍ... أعتقدُ أنني أحتاجُ إلى أن أُفيقَ من هذا الحُلُم.
لم يكن من الصحيح تركُ الرجلِ ليخرُجَ دونَ أن أوضحَ لهُ صدقَ ما أقولُ، أو في أقلِ القليلِ أن يكملَ عشاءَه، فَيَصِمُنا بالجنونِ أو البخلِ أو بهما معاً.
أصررتُ عليه لكي يجلسَ، وأخذتُ أبادلهُ الابتسامات، وأتلطفُ معه حتى سكنَ وجلسَ.
تركتُ الحديثَ معه وفي نفسي أن أنطلقَ معهُ بعدَ العَشَاءَ في معركةٍ كلاميةٍ أُخرى.
وفي ظلِ الهدوءِ الذي خيمَ على الغرفةِ، كنتُ أتناولُ عشائِي من طبقِ البيضِ بشراهةٍ لم أعهدها فيّ من قبلُ.
وللأسف قطعَ صمتَنَا صياحُ ديكِ جارتِنا، فسألتُ الله من فضلِهِ كما هي السُّنَّةُ، بينما بدءَ يُتمتمُ صاحبي بصوتٍ أسمعُهُ:
ديكٌ يبيضُ.. وبيضُ ديكٍ... وعقلٌ..
ثم عقبَ يقول:
وهل هذا الديكُ أيضاً يبيضُ!!؟

قلتُ له: نعم، غادرتُ الغرفةَ سريعاً، وعدتُ ببيضةٍ في يدي، وقلتُ هذا من جارتي صاحبةُ الديكِ.

قال: وهل يمكنُ أن أنظرَ إلى الديكِ.

فأشرتُ إلى النافذةِ وكانتْ تُطل على صرحِ منزلِ جارتي الذي فيه الديك.

أخرجَ منديلاً ليُجفِفَ عَرَقَهُ، والتفت إليَّ وسألَ: وكم قيمةُ هذا الديكِ؟!

قلتُ له: قيمتُهُ تُساوي قيمةَ أيَّ ديكٍ آخرَ هنا أو في بلادِكم!!

قال: ولكني أريدُ أن أشتريَهُ.

قلتُ له: أخبرُ جارتي، وإن كانتْ لن توافقَ على بيعهِ بدونِ الدجاجةِ.

قال: أنا لا أحتاجُها فلدينا من أمثالها الكثيرُ.

قلتُ له: وكيف يبيضُ الديكُ إذن؟!.

مال إلى الجدرِ مستنداً إلى يدِهِ وأشارَ بيدِهِ: الدجَاجةُ تُلقِحُ الديكَ إذن.

قلتُ له: أمرٌ طبيعي، وإلا فكيف ستخرجُ البيضةُ من الديكِ.

قال لي: هل يمكنُ أن تتَحدثَ بهذا الكلامِ أمامَ وسائلِ الإعلامِ.

قلتُ له: وماذا في الأمرِ.

قال: إذن دعني أسألَكَ من مبتكرُ هذه النظريةِ من علماءِكم.

قلتُ له: هم أبناءُنا – ولا فخرَ – الذين درسوا لديكمُ العلومَ، فما عرفوا منها إلا حقوقَ المرأةِ، فمنذُ ذلك الحينُ والديكُ في أعيننا يبيضُ.

كنتُ في خيالي هذا، وكنتُ أتمنا أن أرى مشهدَ صاحبي بعدَ وقوعِ الكلامِ عليه، إلا أن زوجتي أيقظتني من خيالي بصياحها من المطبخ.

أين البيض يا ديك البيت؟!!

* رئيس مركز الجزيرة العربية للداراسات والبحوث بصنعاء.

المصدر : http://www.islamselect.com

=============

#الثقافة العارية

محمد أحمد الزنداني

"يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون".

إن الولايات المتحدة وحلفائها – المسيرين من قبل الصهيونية – لم تستطع أن تنجز أو تحقق أي عمل عسكري واستخباري إلا بمساعدة أذنابها، سواءً ممن يدعون الإسلام، أو من أبناء جلدتنا من عملاء يخترقون الصفوف، ويختلقون الفتن.

فيصموا آذاننا، ويزكموا أنفونا بأفكار وثقافة عارية مستوردة من المستنقعات الغربية، فتارة باسم تحرير المرأة بتحريرها من قيود الفضيلة والأخلاق، وتحرير جسدها ومفاتنها من الحجاب، وتحويلها إلى امرأة عارضة للمفاتن والأزياء، امرأة تعيسة تخفي ملامح وجهها الحزين البائس خلف حجب من المكياج.

وتارة باسم الديمقراطية وما الديمقراطية إلا وجهين لسياسة واحدة، وقناع كبير تخفى ورائها السيطرة الصهيونية على سياسة واقتصاد العالم.

وتارة باسم حقوق الإنسان "غير المسلم"، وتأسس لها الهيئات والنقابات والمنح الدراسية للتدريب على حقوق الإنسان، وكأن المسلمين حيوانات مفترسة تحتاج للترويض والتدريب على الحركات البهلوانية لإضحاك وإمتاع جمهور سيرك النجمة السداسية.

وتارة باسم الوسطية وما وسطيتهم إلا ربط للخصر والهز، والاعتدال أمام صفعات الأعداء على خدودنا، وضربات سياطهم على أجسادنا.

وتارة باسم حوار الحضارات بهدف التسوية بين الوثنية والإسلام، واستعلاء الباطل على الحق، هذه هي القيادة والثقافة التي أوصلت المسلمين إلى هذا الحال، من تخلف وإذلال، وخضوع للإدارة الصهيوأمريكية ومطالبها التغييرية لثقافتنا وفكرنا ومناهجنا الدراسية؛ لخلق جيل، ومن عقيدته وإيمانه، لخلق جيل شهواني السلوك، مادي الغايات، بليد الأفكار.

إن المرحلة التي يمر بها المسلمون في الوقت الراهن ليست مرحلة للبكاء والشعور بالهزيمة؛ بل مرحلة الخروج من دائرة الضغوط والخوف، مرحلة عمل ودعوة وإعداد لقيادة إسلامية مخلصة لسد الفراغ بعد أن انكشف للأمة هشاشة وعري قياداتنا خاصة بعد سقوط بغداد.

وأخيراً.. لقد سقطت بغداد، وسقطت معها جميع الأقنعة، وبانت كل الوجوه القبيحة، وكل القيادات والثقافات والشعارات العارية، وانتهى دور الأذناب، وبدأت بالاحتضار،

فسقوط بغداد؛ صفعة قوية أيقظت الأمة من نومها، وآن الأوان لعلمائنا الأفاضل أن يدركوا أنهم المقدمة والبداية لإتاحة الفرصة للعمل في جو أكثر حرية ووضوح.

"إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم".

المصدر : http://www.islamselect.com

===========

#لا .. للمرتدين ذهنيّاً

د. نورة خالد السعد

الأمة الإسلامية في مرحلة من الوهن والانحطاط لا تحسد عليها، وأخفقت هذه الأمة في حمل رسالة الإسلام عقيدة ومنهج حياة، ومجال تقدم في العلم والمعرفة، رغم وجود إرهاصات ممتازة في ماليزيا – مثلاً –؛ ولكن في معظم مجتمعاتنا العربية الوضع هو الاستكانة والاعتماد على مصانع أمريكا والغرب في استيراد ما يسد رمق الشعوب، وإن توقف الأمر على هذا الاستيراد (المادي) فربما تكون المصيبة أهون، ولكن ما لا يطاق هو الإصرار على الاستيراد للفكر والثقافة والنموذج الغربي بكل مثالبه.

وبما أن حضارة الغرب قامت على التقدم المتسارع في مجال العلم والمعرفة وتطبيقاتها في الحياة مما خطف أبصار الراكضين خلف بريقها من مجموعة يطلق عليها (المثقفون)!! هذه الطبقة التي تتوالد في كل مجتمع عربي مسلم تباعدت عن البيئة المسلمة وقيمها، واعتنقت حضارة الغرب ومدنيته، وآمنت بفلسفة هذه الحضارة، وتشبعت ذهنياتهم بما تحمله من توجيهات لا دينية بعد عزل الدين عن منهج الحياة وإبقائه فيما أطلق عليه (المؤسسة الدينية)، وسلوك هذه الطبقة يماشي أسلوب تفكيرهم الذي أصبح نتاجاً غريباً؛ فرغم أنهم ولدوا ونشأوا في بيئات عربية ومسلمة ولكن ما يتحدثون به وينادون به هو (نشاز) إذا ما قيس بمعيار (التشريع الإسلامي) الذي يوجه كل مناحي الحياة سياسياً وتربوياً وإعلامياً واجتماعياً واقتصادياً، ولا يعزل في (مؤسسة دينية) كما يقولون وينادون.

إن هؤلاء أصيبوا بما يسمى (ارتداد ذهني) مخيف، ووجدوا فرصتهم في معظم المجتمعات العربية من خلال تيار سياسي أو ثقافي، أو اختراق للوزارات المسؤولة

عن الإعلام وعن الثقافة والتربية؛ فأحدثوا وحققوا ما يرغبون.. والنتائج هي مزيد من الانسلاخ عن قيم المجتمعات المسلمة، وعدم تحقيق أي مخرجات مجتمعية تسهم في دور تنموي فاعل، وتقرير التنمية السنوي الذي نشر في العام السابق أو العام الحالي مؤشر للإخفاق الاقتصادي والاجتماعي.

هنا .. في مجتمعنا.. لم يكن لهذه الفئة وجود إلا من خلال نشاط أدبي!! ولكن مؤخراً وجدنا أنهم يتوالدون كالأرانب!!

يهاجمون الدين وليس علماء الدين كما يدّعون تحت مظلة أن العالم ليس معصوماً من الخطأ.

يفسرون الآيات القرآنية كما يرغبون!! ويستعدون الدولة على المؤسسات الدعوية، وعلى النشاط اللا منهجي في المدارس!!، وعلى بعض المعلمين الذين يتهمون بأنهم (غلاة)!!، والتهمة لا يتم اقتصارها على عدد محدود إذا افترضنا أنهم كذلك؛ ولكنهم يتهمون الجميع، بل ويطالب أحدهم عبر قناة مشبوهة بأن يتم اجتثاث جذورهم فهم العبء الذي نعاني منه – كما يقول –!!

هذا الهجوم على الدين عبر هذا الشخص الذي جند جهوده لمحاربة المناهج الدينية منذ اللحظات الأولى لهجمات سبتمبر، وعبر قناة فضائية اشترك معه فيها عدد من الأفاضل أنكروا عليه هذا، وخصوصاً أن أحدهم كان رجل تربية، ويعرف المناهج جيداً.. ويومها لم ينطق ولم يكابر.. ولكنه ما فتئ في كل فرصة يعيد المقولة، وأن (المؤسسة الدينية) هي المهيمنة على مؤسسات التعليم وهنا يكمن الخطر – كما يقول –!!، ويطالب بتحييد المؤسسة الدينية!! وكي يجد قبولاً لدى من يسمعه يحاول أن يكون عقلانياً فيقول: " يجب أن نفرق بين الدين وبين المؤسسة الدينية.. الدين من الممكن أن أعطيه عدة تفسيرات الآن، في الإمكان أن أفسر لك وأقول لك، أو أخرج بنظرية ليبرالية من الدين أو نظرية من الدين أو نظرية شمولية، يعتمد على موقفي.. فالدين واسع وسمح.. لكن المشكلة عندما يكون هناك مؤسسة دينية معينة ذات تدثير معين، ذات رأي واحد تفرضه على الجميع على أنه هو الدين.. هنا تكمن المشكلة وخاصة في المملكة ".

هذه العبارات ألا تؤكد بُعد هذا الإنسان عن فهم الدين كما ينبغي، وما الفرق بين العقيدة في الإسلام وما تؤمن به أو تعتقده الديانات التي عزلت الدين في (مؤسسة دينية)!! ثم إن هذه الفئة تحارب العلماء والمشايخ بدعوى أنهم (يفسرون الدين وفق مرجعيتهم)؛ بينما هو هنا يدعى أنه يمكن له أن يفسر الدين وفق نظرية ليبرالية أو شمولية!! بل وفي مقالات له يقوم بشرح الآيات والأحاديث وهو لا يفقه في أصول علم الفقه أو التفسير.. أي وفق (مرجعيته)!!

هذا نموذج فقط؛ إذ إن الآخرين لا يملون من الانتقاد، بل والهجوم على محتوى المناهج وفق (انتقائية) غربية، كما قام أحدهم في قناة فضائية باستعراض الدراسة التي قدمت في الحوار الفكري الثاني، وشرحها للعالم العربي والإسلامي والأمريكي!! كي يدركوا ما في هذه المناهج من عداء للآخر!! بل (ويفسر) ما قد لا يفهم لمن يستمع إليه، فهل هذا سبيل الإصلاح ينتهجه هؤلاء؟! وبعضهم كانوا مشاركين في الحوار الوطني! وهل هذا الهجوم على المناهج الدينية سوف يفتح آفاقاً لعالم المعرفة والعلم واللحاق (بالتقدم)؟! وهل استخدام (ورقة النساء) للهجوم على ثوابت الشريعة التي تحرّم الاختلاط كما هو حالياً، وليس الاختلاط الذي يدعونه وأنه يحدث في المسجد الحرام!! هل الإصلاح الإداري والقضاء على الفقر سيتم من خلال تكوين ما يسمى بثورة النساء!! أي خلع الحجاب؟! هل سنبني مجتمعنا بالتخلي عن ثوابتنا الشرعية التي لم تؤسس هذه الدولة إلاّ على أركانها؟!

نعم هناك مناهج في حاجة إلى التطوير.. ومدارس فقيرة من جميع أولويات الوسائل التعليمية، والمناخ التربوي.. لم يطالب أحد بإصلاحها أو تجنيد المجتمع لذلك!!

ونعم هناك عدم فعالية في تطبيق بعض الأحكام القضائية الخاصة بقضايا المطلقات وحضانة الأطفال، والميراث، وسوء استخدام لمفهوم القوامة ... وإلخ من قضايا تمس حياة الفرد في المجتمع، نعم هناك ما نحتاج جميعاً إلى التعاون لإصلاحه؛ ولكن لن يتم هذا وفق منهجية الغرب وتبعية (فئة الارتداد الذهني)!!.

المصـــدر :

http://www.islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm?id=3858&artid=39&catid=37

===== ==============

#أزمة أخلاق (1- 4)

محمد سرور بن نايف زين العابدين

إنها أزمة:

ليس من شيء في عالمنا المعاصر أكثرُ من الأزمات التي لا يخلو منها بلد من البلدان، أو مدينة من المدن، وأكاد أقول: لا تخلو منها معظم بيوت المسلمين.

فكثيراً ما نسمع أن هناك أزمة في الحكم في هذا البلد أو ذاك، ويعود نشوءُ هذه الأزمة لأسباب مختلفة:

منها: حدوث اختلاف قوي بين الحزبين الذين يتقاسمان السلطة - وما أكثر هذا النوع من الخلافات -، ويفتقد كلُ من هذين الحزبين الأكثرية في المجلس التشريعي - البرلمان - التي تمكنه من الانفراد في الحكم.

ومنها: أن يصل العسكريون إلى الحكم إثر انقلاب عسكري يحوكون خيوطه في الظلام، ثم يذعن الناس لسياسة الأمر الواقع، وينتظرون استقرار الحكم الجديد، وتنفيذ قادته للوعود المعسولة التي وعدوا الأمة بها بعد نجاح انقلابهم على النظام المهترئ العميل الذي أطاحوا به (على حد زعمهم)، ولكن الناس يفاجأون بانقلاب جديد على هذا الانقلاب، قد يكون صامتاً، وقد ينقسم الجيش إلى أجنحة تتقاتل فيما بينها، وربما تجاوزت شظايا ونيرانُ هذه المعارك الثكنات العسكرية لتصل إلى الآمنين من المدنيين في المنازل والأسواق والشوارع العامة.

وقصارى القول: إن الأسباب تتعدد بتعدد الأزمات التي لا نهاية لها، ولابد أن ينعكس أثر هذه الأزمات على شؤون الإدارة والحكم، فيتغيب كبار المسؤولين عن مكاتبهم في الوزارات والمؤسسات العامة، وتتعطل مصالح العباد، ويستولي الهلع والقلق على نفوس الناس، وتكثر الأسئلة والهمسات عما ستنجلي عنه هذه الأزمة.. ومن المنتصر.. وما هي السياسة التي سيتبعها.. وهل في انتصار هذه الجهة أو تلك أمل في بتر دابر الفساد والمفسدين؟!.

غير أن المواطنين يصابون بخيبة أمل عندما يستقر الوضع لصالح جهة من الجهات المتصارعة، لأن الفساد على مختلف أشكاله يستمر، والقهر والاستبداد يزداد

سوءاً، والأمل من التغيير يتبدد، وتترسخ قناعة أهل الخير والصلاح بأن هذا وذاك سواء لأنهم شركاء في الحكم والفكر، وما بينهم من خلافات لا تعدو المصالح الشخصية.. وأن كل من حادّ الله ورسوله واتبع سبيل الشيطان لا خير فيه، ولو رفع راية العدل والإنصاف.

وتطرق مسامعنا بين الحين والآخر أخبار الأزمات الاقتصادية المتتالية، لاسيما ونحن نعيش في عصر هيمن فيه طاغوت ظالم اسمه "صندوق النقد الدولي"، فعندما يضغط هذا الصندوق الربوي على بلد من بلدان العالم تأخر في وفاء الالتزامات المطلوبة منه، ويأمره برفع الدعم عن بعض المواد الغذائية الضرورية، لابد أن يستجيب البلد للأمر المطلوب منه، ولو حاول أن يتهرب منه بعض الوقت، والاستجابة هذه يتحمل وزرها الفقراء الذين كان دخلهم يكاد لا يسد حاجاتهم الضرورية قبل رفع الأسعار، فكيف يكون حالهم بعدها؟!.

ولما كان هؤلاء الفقراء يمثلون الغالبية العظمى من أبناء هذا البلد، فإنهم لا يجدون وسيلة يعبرون فيها عن مشاعرهم عندما يقترب منهم شبح المجاعة إلا الخروج إلى الشوارع العامة متظاهرين مستنكرين، وقد تتحول المظاهرات إلى قتال دموي عندما تأمر السلطة رجال أمنها وقوات جيشها بقمع هذا الشعب (!!).. ولابد أن تكون الغلبة لقوات النظام المدربة على مثل هذه الأعمال، لاسيما وأنها مزودة بالأوامر التي تسمح لها بقتل وجرح وأسر كل من لا يفر هارباً من أمامها.

يتفرق المتظاهرون، وكل منهم له شأن، فمنهم من يقتل وينشغل أهله بأمور دفنه، ومنهم من تعج بهم المستشفيات ليعالجوا من الإصابات التي تعرضوا لها، ومنهم من يكون مصيره السجن ويوجه إليه ما يشاء المحقق من التهم، والبقية الباقية يعودون إلى منازلهم التي خرجوا منها يشكون أزمة اسمها "الخبز" ورجعوا إليها بأزمة أخرى اسمها القهر والاستعباد والإذلال.

وهناك أزمات بين السلطة والنقابات المهنية لا ينقطع الحديث عنها، فقد تطالب نقابة من النقابات برفع أجور العمال المنتسبين إليها ليكون دخلهم متناسباً مع ارتفاع الأسعار. وقد ترفض السلطة هذا الطلب لأن الميزانية لا تتحمل مثل هذه الزيادة، فلا تجد النقابة بداً من الإضراب الذي قد يؤدي إلى توقف إنتاج الشركات والمصانع، أو

إلى تعطيل حركة السير وامتلاء الشوارع بالقمامة وبالروائح الكريهة التي تنبعث منها.. ثم تبدأ المفاوضات من جديد بين السلطة والنقابة للبحث عن مخرج من هذه الأزمة.

أجل.. إن الأزمات التي يهتم بها الناس – كل الناس – كثيرة ومتنوعة، لكن أزمة واحدة لا تجد نصيبها من العناية والاهتمام والدراسة مع أنها أزمة الأزمات، ومشكلة المشاكل، وعنوان رقي الأمم أو هلاكها واندحارها أمام أعدائها.. إنها أزمة الأخلاق!!، وما من أزمة أخرى إلا ولها بها صلة، فالسلطة الملتزمة بالعدل وقواعد الأخلاق تجوع إذا جاع الناس، وتشبع إذا شبعوا، وهكذا كان شأن عمر ابن الخطاب وغيره من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم:

إن جاع في شدة قوم شَرِكْتَهُمُ في الجوع أو تنجلي عنها غواشيها

جوع الخليفة والدنيا بقبضته في الزهد منزلة سبحان موليها

إنني أفهم لماذا يثور الناس ويقاتلون من أجل خبز يومهم، لكني لا أفهم لماذا لا يثورون ويقاتلون من أجل دينهم الذي يعتدى عليه، ومن أجل أخلاقهم التي تنتهك وأعراضهم التي تهتك.. فهل الطعام والشراب أهم عند الناس من الدين والأخلاق؟!.

وأفهم كذلك لماذا يعرف الخاصة والعامة، والصغير والكبير من غير استثناء أن هناك أزمة اسمها: إضراب عمال التنظيفات من أجل زيادة أجورهم، لكنني لا أفهم لماذا لا يعرف هؤلاء جميعاً بأن هناك أزمة اسمها أزمة أخلاق، ولماذا لا تكون إثارة الناس لهذه الأزمة بحجم إثارة عمال التنظيفات لقضيتهم؟!.

تلجأ السلطات أحياناً إلى إثارة أزمة لها علاقة قوية بالدين والأخلاق، ومن الأمثلة على ذلك مشكلة المخدرات التي تجتاح العالم كله، فتعقد من أجلها المؤتمرات والندوات، وقد يستدعي علماء ودعاة ليدلوا بدلوهم، وليبيّنوا حرمة تعاطي هذه السموم.. ثم يخرج المؤتمرون بقرارات من أهمها تشديد العقوبة على كل من يتاجر بالمخدرات، لكن هذه القرارات تبقى حبراً على ورق لأن المطلوب منهم تطبيقُها هم المدمنون على المخدرات، وهم الذين يَرْعَونَ العصابات الخطيرة التي تتاجر بها، ولديهم حيل ووسائل كثيرة يبررون من خلالها مواقفهم، ويلقون باللائمة على غيرهم.. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن السلطات لا تكافح المخدرات لأسباب دينية

وأخلاقية، وإنما تكافحها لما لها من أثر مدمر على اقتصاد بلدانهم، ولأن الإدمان مرتبط أشد الارتباط بالجريمة، وازدياد الجرائم يهدد أمن النظام واستقراره.. ولولا هذان السببان لبقيت المخدرات مسألة شخصية مثلها كمثل الخمور التي تبيحها القوانين المعمول بها.

ومن الأدلة على ذلك أن بعض المسؤولين التنفيذيين عن مكافحة المخدرات يقولون في الندوات العامة:

إن الذين يداومون على ارتياد المساجد لا يتعاطون المخدرات.. وإن معظم التائبين إنما ترتبط توبتهم بأسباب دينية.. ثم يختمون حديثهم بالدعوة إلى نشر الوعي الديني بين الشباب.

ثم نسمع فيما بعد أن هؤلاء المسؤولين الصغار قد أبعدوا عن وظائفهم، مع أن بعضهم ليس متديناً، وقال الذي قاله من منطلق الأرقام والإحصائيات التي بحوزته، وهو لا يدري أنه قد تجاوز الحدود المسموح بها، وليس من حقه أبداً التوصية بنشر الوعي الديني لأن المسؤولين الكبار لو خيروا بين انتشار المخدرات أو الوعي الديني لاختاروا الأولى على الثانية التي تهدد فسادهم واستمرارهم في السلطة.

إن أزمة الأخلاق التي تعاظم أمرها، واستفحل شرها يوماً بعد يوم، وعاماً بعد عام آخر تثير أمام الباحثين السؤال الآتي:

هناك صحوة إسلامية يلمسها كل إنسان أينما اتجه: في المساجد، والمدارس، والمصانع، والشوارع العامة، ورغم كل القيود التي تعترضها فإنها والحمد لله تزداد رسوخاً وصلابة وكثرة.

وهناك أيضاً فساد عريض على المستويين الفردي والجماعي.. فكيف نجمع بين هذا وذاك؟!.

وقبل الإجابة على هذا السؤال فإنني أهيب بإخواني الدعاة أن يتجنبوا النظرة السطحية القاصرة التي لا يرى فيها بعض الصالحين إلا من كانوا على شاكلتهم من أهل الفضل والتدين.. يرونهم في المساجد التي تزدحم بالمصلين، ويرونهم أيضاً في المنتديات العامة والخاصة فيظنون أن الأمة بخير.. لكنهم لو أتيح لهم أن يروا دوائر أخرى مخالفة لدائرتهم الخاصة لتمالكهم العجب والذهول، وظنوا أنهم في بلد آخر

غير بلدهم الذي يعرفونه، ولابد من التذكير أن الدعاة لن يكتب لهم النجاح وتحقيق الأهداف إلا إذا أحاطوا بعلل مجتمعاتهم.

ومن جهة أخرى فإن انتشار الوعي الديني قد تحقق بقدرة الله – سبحانه وتعالى–، ثم بجهود بعض الصالحين من الدعاة الذين كتب الله لهم القبول عند الناس.. وإمكانات هؤلاء الدعاة بسيطة وغير منظمة، أما إمكانات أهل البغي والفساد فغير محدودة من قوة اتساعها، ففي الإطار الداخلي يتبنى مشروعهم جهات رسمية لها بنود في ميزانية الدولة، وفي الإطار الخارجي تقف الدول الاستعمارية بتاريخها البغيض وراء مخطط إبعاد المسلمين عن دينهم لأنه مصدر قوتهم، ومبعث عزهم، ولا سبيل إلى تحقيق هذا المخطط إلا بنشر الفساد وإشاعة الظلم والاستعباد.

ومن جهة ثالثة فنحن لا نواجه أزمة بدأت آثارها تبرز منذ أعوام قليلة، ولا نتحدث عن المعاصي الفردية التي يتستر المذنبون بفعلها لأن مثل هذه الأفعال لم يخل منها أي عصر من العصور بما في ذلك عصر الرعيل الأول.

متى بدأت هذه الأزمة.. ومن الذي خطط لها وكيف.. وما هو مدى تأثيرها على الدعاة.. وكيف تكون البداية التي ينطلق منها المصلحون، وبمن يقتدون؟! هذا ما سأحاول الإجابة عليه في هذا البحث، ومن الله وحده نستمد العون والتوفيق.

المستعمر وضع أساس هذه الأزمة:

كان للإرساليات التبشيرية في بلدان العالم الإسلامي دور في اقتلاع العقيدة الإسلامية من قلوب ونفوس من وقع في شراكهم من أبناء أمتنا، ومن أجل ذلك كانوا يعقدون المؤتمرات التي يستعرضون فيها أنشطتهم، ويضعون الحلول المناسبة للمشكلات التي تواجههم، وفي أحد أهم مؤتمراتهم تدارسوا أسباب فشلهم في تنصير المسلمين رغم ضخامة الإمكانات التي يضعونها في هذا السبيل، وفي هذه المناسبة ألقى القس زويمر رئيس مؤتمر القدس التبشيري خطبة، كان مما قاله فيها:

"أيها الإخوان الأبطال والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد المسلمين، فأحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس، لقد أديتم الرسالة التي نيطت بكم أحسن الأداء، ووفقتم لها أسمى التوفيق، وإن كان يخيل إلي أنه مع إتمامكم العمل على أكمل الوجوه، لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية

منه.. إني أقركم على أن الذين أدخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين، لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة: إما صغير لم يكن له من أهله من يعرّفه ما هو الإسلام، أو رجل مستخف بالأديان لا يبغي غير الحصول على قوته، وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش، وآخر يبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية. ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإن هذا هداية لهم وتكريم، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به في خلال الأعوام السالفة خير قيام، وهذا ما أهنئكم عليه، وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيون جميعاً كل التهنئة"، وأضاف قائلاً:

"لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الأوربية والأمريكية.. والفضل إليكم وحدكم أيها الزملاء أنكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد".

"إنكم أعددتم نشئاً (في بلاد المسلمين) لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده الاستعمار المسيحي لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات. فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإن بنوا أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء".

"إن مهمتكم تمت على أكمل الوجوه وانتهيتم إلى خير النتائج وباركتكم المسيحية، ورضي عنكم الاستعمار، فاستمروا في أداء رسالتكم فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضوع بركات الرب" أهـ [1].

في خطاب زويمر لفتات مهمة يجدر بكل مسلم غيور على دينه أن يتأملها جيداً، ولعل من أهمها قوله: ".. وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها".

ومن هنا نستطيع أن نكتشف أسرار وأبعاد كثير من الأمور التي جرت ولا تزال تجري في بلدان العالم الإسلامي:

- قرر المبشرون في مؤتمرهم المنعقد سنة 1906 بالقاهرة إنشاء جامعة علمانية على نمط الجامعات الفرنسية لمناهضة الأزهر، والذي قالوا إنه يتهدد كنيسة المسيح بالخطر.

وفي سنة 1908 تم افتتاح الجامعة المصرية (أي جامعة القاهرة اليوم)، وكان من أبرز المؤسسين لها والقائمين عليها:

قاسم أمين، سعد زغلول، أحمد لطفي السيد، مرقص فهمي، السير جاستون ماسترو، يعقوب آرتين، إسماعيل صدقي، وسيرة هذه الأسماء وتاريخها الفكري خير دليل على أن هذه الجامعة لن تكون إلا منبراً من منابر التغريب والإفساد، وعلى هذا النحو قامت كليات ومعاهد ومدارس ابتدائية، وثانوية في مصر أولاً ثم في بقية البلدان العربية، وكلها ملتزم بالمنهج العلماني، ولكن بصياغة عربية معدلة لابد فيها من التدرج، وعدم مفاجأة الناس بما لا يطيقون.

- جميع القادة الذين تولوا شؤون الحكم والفكر في بلادنا متخرجون من مدارس تبشيرية صليبية، أو من جامعات غربية كجامعة لندن، وباريس، وبرلين، أو من فروعها في بلادنا؛ كالجامعة اليسوعية، أو الأمريكية التي تخرج منها أكثر دعاة القومية العربية الذي تزعموا أحزاباً وحركات علمانية.. والكليات الحربية التي خرّجت قادة الانقلابات العسكرية لا تشذ عن هذه القاعدة في نهجها، وفي تربية الضباط الذين يتخرجون منها، ولا يكتفي المشرفون على هذه الكليات بالمناهج العلمانية التي يتلقاها الدارسون قبل تخرجهم، وإنما يرسلونهم إلى أمريكا وأوربا بما يسمونه دورات تختلف في مسمياتها، وتتفق في نتائجها التي لا تخرج عن الإعجاب بالغرب وتقدمه

في مختلف المجالات، وفي مقدمتها إقامة علاقات محرمة يحنون إليها بعد عودتهم إلى بلدانهم.

- أنشأ المشرفون على الجامعة المصرية كليات ومعاهد عليا أطلقوا عليها اسم "الفنون الجميلة" مع التزام قاعدتهم الآنفة الذكر "التدرج وعدم مفاجأة الناس بما لا يطيقون" أتدري أيها القارئ الكريم ما هي هذه الفنون الجميلة؟!.

إنها: التمثيل، والتصوير، والموسيقى، والمسارح، والرقص، والسينما. ولابد للدارسين والعاملين في هذا الميدان من اختلاط الرجال بالنساء، كما أنه لا يمكن للمرأة أن تمارس هذه المهنة إلا إذا خرجت سافرة ومتبذلة.. هذه هي فنونهم الجميلة، أي أن ترقص المرأة مع الرجل على خشبة مسرح عام تمتلئ مقاعده بالمشاهدين فكيف إذا كانت هذه الفنون قبيحة؟!.

- كان من بين الذين مهدوا لهذا الغزو الهدام ناس تخرجوا من الأزهر، وآخرون مثقفون بثقافة إسلامية، ومن بين هؤلاء وأولئك: الشيخ رفاعة الطهطاوي، وقاسم أمين، وعلي عبد الرازق، يقول الأخير في تقريظه لكتاب "السفور والحجاب" للكاتبة السورية نظيرة زين الدين:

"إني لأحسب مصر قد اجتازت بحمد الله طور البحث النظري في مسألة السفور والحجاب إلى طور العمل والتنفيذ، فلست تجد بين المصريين إلا المخلفين منهم من يتساءل اليوم عن السفور هل هو من الدين أم لا، ومن ضروريات الحياة الحديثة، أم لا، بل نجدهم حتى الكثير من الرجعيين المحجبين منهم يؤمنون بأن السفور دين وعقل وضرورة لا مناص لحياة المدنية عنها".

".. أما إخواننا السوريون فيلوح أن للسفور والحجاب عندهم تاريخاً غير تاريخه في مصر، فهم لم يتجاوزوا بعد طور البحث النظري الذي بدأه بيننا المرحوم قاسم أمين منذ أكثر من عشرين سنة، ولكنهم على ذلك يسيرون معنا جنباً إلى جنب في الطور الجديد الذي نسير فيه، طور السفور الفعلي الكلي الشامل"[2].

أما الشيخ رفاعة الطهطاوي، فقد أعرب في كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" عن إعجابه بحضارة الغرب، ودعا بعد عودته من فرنسا إلى الاقتداء بالفرنسيين حتى

في إنشاء المسارح والمراقص، مدعياً أن الرقص على الطريقة الأوربية ليس من الفسق في شيء، بل هو أناقة، وفتوة[3].

ولم يكن موقف الشيخ محمد عبده بعيداً عن موقف هؤلاء المحسوبين على الأزهر، يقول عباس محمود العقاد وهو من المعجبين بالشيخ: إن دراسة الفنون الجميلة من بنات أفكار محمد عبده، ومن جهة ثانية فقد نقل عن بعض الذين كانت لهم صلة بالشيخ أنه هو الذين ألف كتاب "تحرير المرأة"، أو أنه هو الذي أملى أفكار هذا الكتاب على تلميذه قاسم أمين إرضاء للأميرة "نازلي فاضل" التي غضبت من كتابه الأول الذي ينتصر فيه للحجاب، وينتقد بعض السيدات المصريات اللائي يتشبهن بالأوربيات، فظنت الأميرة نازلي بأن قاسماً يعنيها.

الأميرة نازلي فاضل هي ابنة الأمير مصطفى فاضل نجل إبراهيم بن محمد علي الكبير، وكان والدها مصطفى فاضل يعتبر نفسه أحق بعرش مصر من الخديوي إسماعيل، وهي – نازلي – كانت ضد الخديوي عباس، ولهذا السبب كان لها صلة وثيقة بقصر "الدوبارة" وهو مقر المندوب السامي الإنكليزي، كما كان لها صالون يرتاده كبار أهل السياسة والفكر من أمثال: المندوب السامي البريطاني اللورد كرومر، فارس نمر، يعقوب صروف، الشيخ محمد عبده، قاسم أمين، اللقاني، محمد بيرم، سعد زغلول.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الأميرة المعجبة بالغرب، والداعية إلى السفور والاختلاط كانت تطبق الاختلاط في صالونها يوم أن كان الاختلاط غير وارد طرحه للنقاش عند عامة الناس وخاصتهم إلا من كانوا على شاكلة رواد صالونها.

إذن كان الشيخ محمد عبده من رواد هذا الصالون، ومن المعجبين بالأميرة، وكانت هي معجبة به كذلك، وقال الشيخ فيها كما جاء في كتاب تاريخ الإمام -: "حضرة البرنسيس التي لها من قلبي المنزل الأبهى، والمقام الأسمى"، وما كان الشيخ – وهو الذي يتقد ذكاء – يجهل انحراف هذه الأميرة وفسادها، ولا عجب إذا علمنا أنها تزوجت فيما بعد من طبيب أمريكي فأخرجها عن الإسلام، وتنصَّرت والعياذ بالله وكذا ابنتها "فتحية"، شقية الملك فاروق فقد تزوجها قبطي مصري، بدعوى أنه أسلم،

ثم تبين عدم إسلامه، فحملها على أن تتصرت معه، وأخذ مالها، وفارقها، ثم قتلت فيما بعد في أوربا"[4].

– إذا كان الاختلاط والسفور قاصراً على صالونات: نازلي فاضل، ومي زيادة، وروز اليوسف، وكان رواد هذه الصالونات نوعية محدودة من أهل الفكر والسياسة، فإن هدى شعراوي تمكنت من السير بهذا النشاط الهدام خطوات أخرى، ففي سنة 1919 قادت مع زوجة سعد زغلول المظاهرة النسائية التي طافت شوارع القاهرة هاتفة بالحرية، "ثم تجمعن أمام ثكنات قصر النيل، وهتفن ضد الاحتلال.. ثم بتدبير سابق، ودون مقدمات ظاهرة، خلعن الحجاب، وألقين به في الأرض، وسكبن عليه البترول، وأشعلن فيه النار.. وتحررت المرأة!!! "[5].

وفي عام 1923 دعت عدداً من النساء لحضور اجتماع في منزلها، وترتب على هذا الاجتماع بدء تشكيل الاتحاد النسائي المصري، الذي أخذت مجالات أنشطته تتطور وتتشعب داخل المجتمع المصري.

وفي عام 1944 تمكنت مع زميلات لها من عقد المؤتمر النسائي العربي الأول الذي أثار موجة غضب واستنكار في عدد من العواصم العربية.

وكانت هدى شعراوي في جميع أنشطتها النسائية مقلدة للمرأة الغربية، ومنفذة لما يطلب منها في الاتحاد النسائي الدولي، وفضلاً عن هذا وذاك فقد كانت معجبة بكل ما في الغرب، حتى شراسة أخلاق الرعاع في باريس كانت معجبة بها، ففي خطبة لها بمناسبة الاحتفال بالعيد العشرين للاتحاد النسائي الذي عقد في مدينة روما تقول:

".. ومنذ ذلك اليوم – أي يوم قبلت عضوية مصر في الاتحاد النسائي الدولي – قطعنا على أنفسنا عهداً أن نحذو حذو أخواتنا الغربيات في النهوض بجنسنا مهما كلفنا ذلك، وأن نساهم بأمانة وإخلاص في تنفيذ برامج الاتحاد النسائي الدولي الذي يشمل أغراضنا المشتركة".

وتقول عن فرنسا في أول زيارة لها:

"وقد أعجبني في باريس كل شيء حتى شراسة أخلاق الرعاع فيها، لأنها لا تخلو من خفة الروح وتعبر عن شخصية لا تكلف فيها ولا تغيير، فالفرنسيون أشخاص

متفردون بعبقريتهم، مستقلون في أفكارهم وطباعهم وأعمالهم وصفاتهم حتى في عيوبهم".

وفي خطبة لها أمام الطاغية كمال أتاتورك قالت: ".. إن هذا المثل الأعلى من تركيا الشقيقة الكبرى للبلاد الإسلامية، شجع كل بلاد الشرق على محاولة التحرر، والمطالبة بحقوق المرأة.. وأضافت: إذا كان الأتراك قد اعتبروك عن جدارة أباهم وأسموك [أتاتورك] فأنا أقول: إن هذا لا يكفي بل أنت بالنسبة لنا [أتاشرق] فتأثر كثيراً بهذا الكلام الذي تفردت به، ولم يصدر معناه عن أي رئيسة وقد شكرني كثيراً في تأثر بالغ، ثم رجوته في إهدائنا صورة لفخامته لنشرها في مجلة [الإجيبشيان]"[6].

إن هدى شعراوي برت بعهدها الذي التزمت به في روما!! فحذت حذو المرأة الغربية، واتخذتها قدوة لها، وفي تركيا رشحت كمال أتاتورك ليكون أباً للشرق كله، وليس أباً لتركيا وحدها، وهي التي لا تجهل فساد هذا الطاغية وامتهانه للمرأة عندما جعل من قصوره موطناً للدعارة والفجور، وإذا كنا اليوم نقرأ مذكرات بعض الذين عاشوا مع أتاتورك، ونقرأ فيها فظائع عن مخازيه بحق المرأة نعف عن ذكرها في كتابنا، فكيف بمن كانت على صلة قوية بتركيا ورجال السياسة والفكر فيها أيام الطاغية أتاتورك؟!، ولا تجهل هدى شعراوي شدة عداوة أتاتورك للإسلام والمسلمين، فكيف تعمل على تحرير المرأة ثم تصفق من جهة أخرى للذي استعبد الأمة التركية رجالاً ونساءً.. عقيدة وفكراً، وجعل من نفسه إلهاً يعبد؟!.. إن هدى شعراوي تريد عن علم وخبث أن يحلّ بمصر خاصة والشرق عامة ما حلَّ بشعب تركيا.

وخلاصة القول: إن هدى شعراوي استفادت من أخطاء: نازلي فاضل، وروز اليوسف، ومي زيادة فتداركتها، وأقامت علاقات واسعة مع أهل الفكر والسياسة والإعلام، ومن ذلك بعض شيوخ الأزهر، وما كانت تخطو خطوة جديدة في مسيرتها إلا وتهيء لها مختلف الأسباب، وتقف في بعض الأحيان في صف الذين يدافعون عن الإسلام، ولها في ذلك رد على بعض الأقباط.

لكن هدى شعراوي رغم إمكاناتها الواسعة ما كان لها أن تحقق هذا النجاح الذي أحرزته لو لم تكن ابنة عميل الإنجليز محمد سلطان باشا، وزوجة علي شعراوي باشا

الرجل الثاني بعد سعد زغلول في حزب الوفد، ولولا دعم الدوائر الاستعمارية لها داخل مصر وخارجها.

أما بالنسبة لدور الشيخ محمد عبده المؤسف وعلاقته بالأميرة نازلي فاضل وبمن كان يتردد على صالونها، فلا أظن أن الشيخ كان يريد للمرأة المسلمة ما يريده الإنجليز والفرنسيون ولا حتى ما تريده نازلي وغيرها، ولكن خصومته مع الخديوي ومصالح دنيوية أخرى دعته إلى الاستعانة بهذه المرأة وباللورد كرومر الذي كان يتردد على صالونها، وكان رواد هذا الصالون من معارضي الخديوي.. والشيخ في هذا مؤاخذ غفر الله له.

* * *

إن سياسة الإنجليز والفرنسيين كانت منسجمة انسجاماً كاملاً مع ما قاله زويمر، وخير مثال على ذلك ما ذكره الجبرتي عن أحداث سنة خمس عشرة ومائتين وألف، قال – رحمه الله –:

"ومنها تبرج النساء وخروج غالبهن عن الحشمة والحياء، وهو أنه لما حضر الفرنسيس إلى مصر ومع البعض منهم نساؤهم كانوا يمشون في الشوارع مع نسائهم وهن حاسرات الوجوه لابسات الفستانات والمناديل الحرير الملونة ويسدلن على مناكبهن الطرح الكشميري والمزركشات المصبوغة ويركبن الخيول والحمير ويسوقونها سوقاً عنيفاً مع الضحك والقهقهة ومداعبة المكارية معهم وحرافيس العامة، فمالت إليهم نفوس أهل الأهواء من النساء الأسافل والفواحش فتداخلن معهم لخضوعهم للنساء وبذل الأموال لهن، وكان ذلك التداخل أولاً مع بعض احتشام وخشية عار ومبالغة في إخضاعه، فلما وقعت الفتنة الأخيرة بمصر وحاربت الفرنسيس بولاق، وفتكوا في أهلها وغنموا أموالها وأخذوا ما استحسنوا من النساء والبنات صرن مأسورات عندهم، فزيوهن بزي نسائهم وأجروهن على طريقتهن في كامل الأحوال، فخلع أكثرهن نقاب الحياء بالكلية وتداخل مع أولئك المأسورات وغيرهن من النساء الفواجر، ولما حل بأهل البلاد من الذل والهوان وسلب الأموال واجتماع الخيرات في حوز الفرنسيس ومن والاهم وشدة رغبتهم في النساء وخضوعهم لهن وموافقة مرادهن وعدم مخالفة هواهن ولو شتمته أو ضربته بتاسومتها فطرحن الحشمة والوقار

والمبالاة والاعتبار، واستملن نظراءهن واختلسن عقولهن لميل النفوس إلى الشهوات وخصوصاً عقول القاصرات. وخطب الكثير منهم بنات الأعيان، وتزوجوهن رغبة في سلطانهم ونوالهم فيظهر حالة العقد الإسلام وينطق بالشهادتين لأنه ليس له عقيدة يخشى فسادها، وصار مع حكام الأخطاط منهم النساء المسلمات متزينات بزيهم ومشوا معهم في الأخطاط للنظر في أمور الرعية والأحكام العادية والأمر والنهي والمناداة، وتمشي المرأة بنفسها أو معها بعض أترابها وأضيافها على مثل شكلها. وأمامها القواسة والخدم وبأيديهم العصي يفرجون لهن الناس مثل ما يمر الحاكم ويأمرن وينهين في الأحكام.

"ومنها أنه لما أوفى النيل أذرعه ودخل الماء إلى الخليج وجرت فيه السفن وقع عند ذلك من تبرج النساء واختلاطهن بالفرنسيس ومصاحبتهم لهن في المراكب والرقص والغناء والشرب في النهار والليل في الفوانيس والشموع الموقدة وعليهن الملابس الفاخرة والحلي والجواهر المرصعة وصحبتهم آلات الطرب وملاحو السفن يكثرون من الهزل والمجون، ويتجاوبون برفع الصوت في تحريك المقاذيف بسخيف موضوعاتهم وكتائف مطبوعاتهم وخصوصاً إذا دبت الحشيشة في رؤوسهم وتحكمت في عقولهم فيصرخون ويطبلون ويرقصون ويزمرون ويتجاوبون بمحاكاة ألفاظ الفرنساوية في غنائهم وتقليد كلامهم شيء كثير.

وأما الجواري السود فإنهن لما علمن رغبة القوم في منطق الأنثى ذهبن إليهم أفواجاً فرادى وأواجاً فنطَّطن الحيطان وتسلقن إليهم من الطيقان، ودلوهم على مخبآت أسيادهن وخبايا أموالهم ومتاعهم وغير ذلك"[7].

---

[1] الغارة على العالم الإسلامي، ترجمة محب الدين الخطيب، وجذور البلاء لعبد الله التل ص 275 276، وزويمر من أخبث المستشرقين وأشدهم عداوة للإسلام والمسلمين.

[2] صدر هذا الكتاب سنة 1928، انظر مجلة الهلال، أغسطس 1928 [عن كتاب العلمانية للشيخ سفر الحوالي، ص: 631].

[3] عودة الحجاب: 26/1، للدكتور محمد بن أحمد بن إسماعيل، وكتاب: الإسلام والحضارة الغربية، ص: 36، د. محمد محمد حسين.

[4] - عودة الحجاب، القسم الأول، معركة الحجاب والسفور، د. محمد بن أحمد بن إسماعيل، ص: 37 - 39.

[5] - واقعنا المعاصر، محمد قطب، ص: 258.

[6] هذه المقاطع يمكن العودة إليها في الصفحات التالية من مذكرات هدى شعراوي: 129، 249، 454، كتاب الهلال، وكتاب عودة الحجاب، مصدر سابق، ص: 113.

[7] تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، للشيخ عبد الرحمن الجبرتي، دار الجيل: 436/2.

رمضان - 1419 هـ - كانون الثاني (يناير) - 1999 م

المصدر: http://www.alsunnah.org

=============

#أزمة أخلاق (2- 4)

محمد سرور بن نايف زين العابدين

المستغربون على خطا أساتذتهم:

رأينا فيما مضى أن جحافل المبشرين والمستعمرين كانوا منذ مطلع القرن التاسع عشر يعملون وفق خطة محددة، هدفها إفساد أخلاق المسلمين وإبعادهم عن التمسك بتعاليم دينهم الذي هو عصمة أمرهم، وكان التجاوب مع هذه الخطة محبطاً لآمال وطموحات المبشرين كما أشار إلى ذلك زويمر في خطبته.

وبعد احتلال الجيوش الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت لمصر عام 1798، شهدت خطة المستعمرين بعض التقدم الذي تزايد عندما أخذ محمد علي باشا وأبناؤه من بعده يرسلون الطلبة الصغار إلى فرنسا بقصد الدراسة، وكان هؤلاء الطلبة يتسنمون مراكز قيادية بعد عودتهم إلى بلدهم، كما كانوا يستغلون هذه المراكز التي شغلوها في الدعوة إلى الفكر الغربي العلماني.

غير أن الإنجليز عند احتلالهم لمصر عام 1882 استطاعوا أن يحققوا نجاحاً واسعاً عجز عنه الفرنسيون، ولعل السبب يعود إلى أن النفوس كانت مهيأة لذلك، ومن جهة ثانية فإن طريقة الإنجليز في العمل كانت أكثر خبثاً ودهاءً، ولهذا فقد أنشأوا المدارس والجامعات، ووضعوا المناهج الكفيلة بتحقيق أهدافهم، وغني عن البيان أن داهيتهم "دنلوب" كان مستشاراً لوزارة المعارف، والوزير عنده ليس أكثر من منفذ لما يرسمه ويخطط له هذا المستشار، وفضلاً عن هذا وذاك فقد ربى الإنجليز أجيالاً اختاروهم بعناية فائقة ودراية تامة، وأصبح التلامذة بعد رحيل المستعمر رسلاً له، يترسمون خطاه، ولا يرضون بغير نهجه بديلاً.

كانت مسألة تحرير المرأة كما زعموا شغل تلامذة المستعمرين الشاغل، ومن أجل تحقيق هذا الهدف حاولوا اختصار الوقت مستغلين ما كسبوه من شعبية وتأييد جماهيري عريض، ومن الذي يستطيع في تلك الفترة أن يشكك بالزعيم سعد زغلول وأمثاله من أبطال النضال والاستقلال (!!)، بل من ذا الذي يستطيع أن يزعم بأن هؤلاء القادة ينفذون مخططات المستعمر الدخيل؟!!، مع أن الخاصة والعامة يعلمون أنهم من ألد أعدائه.

وخلال فترة قياسية لا تتجاوز أربعة عقود نجح التلامذة في تحقيق ما عجز عنه زويمر وأمثاله، وبشكل أخص فيما أسموه تحرير المرأة:

- فنظام الدراسة في الجامعات قام على أساس الاختلاط بين الجنسين، ثم شمل هذا النظام المعاهد والمدارس على مختلف مراحلها.. وأصبحت هذه الجامعات مثل معارض الأزياء، لأن القوانين المرعية لا تشترط لباساً معيناً، وهذا يعني أن من حق النساء أن يلبسن ما يحلو لهن ولو كان فيه مخالفة لقواعد الدين والأخلاق، وليس من حق أحد أن يمنع البنت من الجلوس مع الشاب الذي تختاره على مقعد واحد، ولهما حق الخروج والدخول إلى الجامعة سوية، وما يصاحب هذا الدخول والخروج من خلوات محرمة، ولا تسل عن الحلال والحرمة في ذلك لأن أبطال الاستقلال حرروا المرأة من الظلم والظلام والاستبداد، وأصبحت مثل الرجل، ولم تعد مجرد متاع يتصرف بها ولي أمرها كما يشاء.

- والمرأة صارت شريكة للرجل تعمل وإياه في جميع مؤسسات الدولة، وفي الشركات العامة والخاصة وكثيراً ما يحدث أن يكون مكتب الرجل والمرأة في غرفة واحدة، يمكثان فيها ثمان ساعات في اليوم، والباب لابد وأن يكون مغلقاً معظم الوقت.

إن هذا الوضع الذي لا يشك مسلم يعرف الحد الأدنى من العلوم الشرعية بحرمته أصبح هو الوضع الطبيعي المألوف، ومن لا يعجبه ذلك فعليه الاستقالة من عمله، ومن الصعوبة بمكان أن يجد وظيفة بديلة ليس فيها مثل هذه المنكرات.

وإذا كان هذا حال أصحاب الوظائف العادية المتواضعة، فأصحاب الوظائف الكبيرة: كالوزير، ووكيله، والمدير العام، وغيرهم لابد أن يكون لكل منهم مسؤولة عن إدارة شؤون مكتبه "سكرتيرة"، وهم الذين يختارونها، وقد جرت العادة أن يكون الجمال هو الشرط الأول في هذا الاختيار، ويكاد الباحث لا يجد امرأة قبيحة الشكل تشغل وظيفة "سكرتيرة".

وما الذي يمكن تصوره من رجل وامرأة قد نُزِعَ خوف الله من قلبيهما عندما يغلق عليهما باب واحد معظم النهار؟!، أجل ما الذي يمكن تصوره إذا كانت المرأة جميلة وحريصة على إرضاء رئيسها لأن هذا الرضى ضمان لاستمرارها في العمل مع زيادة مرتبها ومشاركة الوزير في إدارة شؤون الوزارة؟!.

سبحان الله! كيف سمح بعض الرجال لزوجاتهم أن يجلسن مع الرجال الغرباء في مكاتب تتحقق فيها الخلوة المحرمة ثمان ساعات في اليوم، مع أن الزوج نفسه قد لا يجلس مع زوجته مثل هذه المدة في يومه؟!، وبعد كثير من التردد أضيف: لقد استحدث بعض كبار المسؤولين غرف نوم تابعة لمكاتبهم، وهذا ما قرأته في أكثر من صحيفة[1].

- وللمرأة القِدْحُ المعلى في أماكن اللهو والعبث والطرب: فهي في المسارح المنتشرة في طول البلاد وعرضها، ترقص وتغني لرواد هذه الأوكار الهدامة، ولكل مغنية أو راقصة جمهورها الذي يغص به المسرح.

وهي في السينما تمثل مع الرجال أدواراً هابطة لا تخرج في موضوعاتها عن الجنس والجريمة.

وهي على شاشة التلفاز ترقص وتغني وتمثل، والتلفاز أيضاً مشكلة أخرى، فقد كان علماؤنا ودعاتنا يحذّرون من دور السينما مع أن وجودها كان محدوداً، ولا يذهب إليها إلا كل من يستسهل الوقوع في المنكرات، فأصبحت السينما عن طريق التلفاز موجودة في كل بيت من بيوت المسلمين، ثم جاء دور البث المباشر في الإفساد، وفي هذا البث كل ما يخدش الحياء، ويخل بالمروءة ما نترفع عن وصفه، ثم يأتي من يقول: إنني ما أدخلت هذا الجهاز إلى بيتي إلا وأنا قادر على التحكم فيه وسماع ما يبيح الشرع سماعه.. وهذا من المستحيلات، فقد يكون الأمر كذلك في حال وجود هذا القائل قرب الجهاز في بيته، أما إذا غاب الرجل عن منزله وانصرف إلى عمله اليومي، فإن أبناءه لابد أن يبحثوا عن هذا الذي يمنعه أبوهم منه، وكل ممنوع مرغوب.

- والمرأة أحد أبرز أركان السياحة والاصطياف، وما السياحة عند الغالبية العظمى من هواة هذا الفن إلا المرأة والخمرة، وبعد ذلك بدرجات تأتي أهمية دور الآثار والمتاحف العامة، ولهذا تعمد الجهات المسؤولة عن هذا القطاع إلى إنشاء كم كبير من الأوكار يكثر فيها وجود المرأة: كالمسارح، ودور السينما، والفنادق، والملاهي، والحدائق العامة، ومحلات بيع الخمور، ويمضي العام في الاستعداد لهذا الموسم وفي إقامة حفلات رقص وغناء صاخبة يشارك فيها كبار الممثلين والمغنين من الجنسين.

وزيادة على ذلك تقوم السلطة باستنفار فريق من قوات الأمن لحماية السواح والسهر على راحتهم، ولا عجب في ذلك فإن قوات الأمن المسؤولة عن مكافحة الفساد والدعارة التي يسمونها في بعض البلدان "قسم الآداب العامة".. هذه القوات أصبحت تحمي وتحرس السواح الذين يمارس معظمهم الفواحش والمنكرات، ثم يعودون إلى بلدانهم لينشروا أخبار هذه الفضائح التي مارسوها أو سمعوا بها من زملائهم في السفر.

ولكن الذي يثير العجب أن أكثر السواح من الأوربيين، وهكذا فقد انعكست الآية حيث كان ناس من المترفين في بلادنا يسافرون إلى البلدان الأوربية بحثاً عن الفواحش والمنكرات، فأصبح المترفون وغيرهم حتى من الفقراء الأوربيين يأتون إلى

بعض بلداننا لممارسة الرذيلة فيها.. وهذا كله رغم بشاعته وقبحه لا يثير حفيظة وغيرة المسؤولين عن السياحة، وكل الذي يهتمون به نجاح الموسم، وزيادة عدد السواح، لأن هذه الزيادة تعني ازدهار اقتصاد البلد، وضمان دخول العملة الصعبة، ولو كان ذلك كله على حساب الدين والشرف والأخلاق.

وإذن: عندما رفع تلامذة المستعمرين من أبناء جلدتنا شعار تحرير المرأة كانوا يطبقون الخطة نفسها التي رسمها: زويمر، وبونابرت، وكرومر، وكان الأساتذة والتلامذة يعلمون أن المرأة هي قوام الأسرة، وفسادها يعني فساد الأسرة، وفساد الأسرة يعني فساد المجتمع، وهكذا كان شأن بني إسرائيل في تاريخهم:

عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "إن الدنيا حُلْوةٌ خَضِرةٌ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون. فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء"[2].

وعندما فتن بنو إسرائيل بالنساء أصابهم الوهن والبغي والاستكبار، وكثرت بينهم الخلافات والانقسامات، وما زالت الفتن تترى عليهم بعد فتنة النساء حتى دالت دولتهم، وتفرقوا في الأمصار شذر مذر، واستحقوا غضب الله ومقته.

ودول أوربا في العصر الحديث أصابها ما أصاب اليهود في تاريخهم، كانت أسرهم محافظة ومتمسكة بالخلق والدين، وتغيرت أحوالهم بعد قيام الحركات العلمانية، حيث كانت المرأة أول المستهدفين بهذا التغيير، فخرجت من منزلها تعمل والرجال سواء بسواء في مختلف المرافق العامة، وبعد خروجها من المنزل خرجت عن عفافها وطهرها، فانفرط عقد الأسرة، وانهارت أخلاق المجتمع، ولابد أن يكون مصيرهم كمصير بني إسرائيل الذي ورد ذكره في عدد من سور القرآن الكريم.

ولا تزال المرأة إذا خرجت عن هدي الإسلام من أشد الفتن على الرجال وأعظمها أثراً:

عن أسامة بن زيد – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء"[3].

ينكر دعاة الاختلاط والتغريب أن تكون المرأة فتنة، ويزعمون أن مثل هذا القول لا يقوله إلا كل من يحتقر المرأة ولا يراها صالحة إلا للمتعة والخدمة في المنازل، ويُصِرُّون على الادعاء بأنها مثل الرجل، وأن الاختلاط بها أمر عادي جداً.

وقد كذبوا في هذا كله لأن أخبار فضائحهم بسبب الاختلاط مادة دسمة للصحافة وسائر وسائل الإعلام، ولا يخجل بعضهم من الاعتراف بهذه الفضائح، وبيعها بأثمان باهظة للناشرين، ويندر أن نجد سياسياً[4] أو فناناً من الجنسين قد نأى بنفسه عن هذا الانحطاط الخلقي لا فرق في ذلك بين دول الشرق والغرب، وهناك ناس من بينهم تكشف فضائحهم بعد هلاكهم بأعوام قد تبلغ قرناً أو يزيد من خلال الاطلاع على وثائق جديدة، وقد كان يظن بهم البعد عن مثل هذه المواطن النتنة، ودعاة التغريب هم الذين يحتقرون المرأة لأنهم أخرجوها من منزلها حيث العفاف والوقار والحشمة، وزجوا بها في مواطن مشبوهة تتعارض مع رسالتها كأم وربة بيت، وفي طليعة هذه المواطن اتخاذها مادة دعائية للتجارة والتكسب، والأمثلة على ذلك كثيرة وفي أماكن متعددة أبرزها ما يعرض على شاشة التلفاز.

وكل مسلم متمسك بأحكام الدين وآدابه لا يلتفت إلى أقاويل وأكاذيب دعاة التغريب، بل يستسلم وينقاد لقول المعصوم – صلى الله عليه وسلم –: "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء"، فيجتنب كل ما يقربه من هذه الفتنة، ومن ذلك الخلوة المحرمة: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "لا يخلون أحدكم بامرأة، فإن الشيطان ثالثهما"[5].

ولا أشك بانتشار الشياطين في المدارس والمعاهد والجامعات، وفي مكاتب الوزارات والمؤسسات والشركات التي يختلط فيها الجنسان، وما هذه المناكر التي تحدث وينشر بعضها إلا بسبب إغراءات الشياطين لأناس يسهل عليهم الاستجابة لنداء الشياطين.

علمانيون أكثر من العلمانية:

العلمانية تعني أن يكون الدين لله، أي أن يتعبد الإنسان ربه بالطريقة التي يريدها، ويكون الحكم وشؤون السياسة لقيصر، وليس لقيصر أن يتدخل في شؤون الدين ومؤسساته، كما أنه ليس من حق الله أن يتدخل في شؤون قيصر.

وتعني العلمانية أيضاً أن تضمن الدولة حرية الاعتقاد، فلا تسمح لأية جهة ولو كانت حكومية أن تفرض على أماكن العبادة شيئاً مخالفاً لأنظمتها وللقرارات التي يتخذها رجال الدين طالما بقيت هذه الأنظمة والقرارات في حدود أماكن العبادة..

صحيح أن الثورة الفرنسية تطرفت بعض الشيء في مفهوم العلمانية، وانتزعت من رجال الدين كثيراً من الحقوق التي يتمتع بها أمثالهم في بقية الدول الأوربية، لكن دور العبادة بقيت مستقلة ومحترمة.

المستغربون في بلادنا كانوا في علمانيتهم أشد علمانية من العلمانية في مفهومها الصحيح وفي تطبيق الدول الأوربية لهذا المفهوم، وسنختار فيما يلي أمثلة تتصل بموضوع البحث:

1 حجاب المرأة: يرى الغربيون أن المرأة لها نفس الحقوق التي يتمتع بها الرجل، ومن ذلك اللباس لأنه حق شخصي لكل فرد لا يجوز التدخل فيه. أما البلدان الإسلامية التي تدين حكوماتها بالنظام العلماني فقد منعت الحجاب الشرعي في الجامعات والمدارس وغيرها من مؤسسات الدولة، ومن الأمثلة على ذلك:

أ تركيا: فمن جملة القرارات اتخذها التي عدو الإسلام أتاتورك بعد هدمه للخلافة الإسلامية منع الحجاب في سائر مؤسسات الدولة من تعليمية وغيرها، وما كان الأمر عنده قاصراً على منع الحجاب، وإنما كان يريد إشاعة الفساد والإلحاد، وكان قدوة سيئة لشعبه في ممارسة هذه المنكرات، وتمكن خلال خمسة عشر عاماً من وضع المرأة التركية الملتزمة بدينها في المستوى الذي كانت عليه المرأة في أوربا.

وفي عهد عدنان مندريس أي في أوائل الخمسينيات ألغت الحكومة عدداً من القرارات الظالمة التي كان قد اتخذها أتاتورك وخليفته عصمت إينونو، وتنفس المسلمون الصعداء طوال هذا العهد، غير أن العسكريين الذين كان أتاتورك يحكمهم وهو في قبره أدركوا أن قرارات مندريس كانت سبباً من أسباب بزوغ فجر الإسلام، فما كان من قادتهم إلاَّ أن قادوا انقلاباً عسكرياً، تولوا إثره شؤون الحكم، وأعدموا مندريس، ثم اتخذوا إجراءات صارمة ضد التدين والمتدينين، غير أن كيد الشيطان كان ضعيفاً، فالصحوة استمرت وتزايدت والحمد لله.. وهم اليوم يمنعون قبول المرأة في الجامعات إذا كانت من اللواتي يلبسن الحجاب، ولكنهم لا يمنعون المرأة إذا كانت تلبس ملابس فاضحة تخلّ بمعاني الشرف والمروءة، ولا ندري ما علاقة الحجاب بالدراسة، وهل العلم يتعارض مع حشمة المرأة وحسن أخلاقها والتزامها بما فرضه الله عليها؟!، ومما يجدر ذكره أن موقف السلطة من حجاب المرأة في الجامعات وغيرها من مؤسسات

الدولة هو أحد إجراءات كثيرة يتخذونها ضد الإسلام والمسلمين، أما الفساد وهدم قواعد الأخلاق فتلقى منهم كل عون ومساعدة، بل وكبراؤهم من مختلف الأحزاب والحكومات العلمانية المتعاقبة هم الذين يتزعمون عصابات "المافيا" والرشوة وسرقة الأموال العامة، وسجلات المحاكم والمجالس النيابية البرلمان أكبر شاهد على ذلك.

ب تونس: لم يعد فساد أتاتورك بعد هلاكه قاصراً على تركيا وحدها، وإنما تجاوزها فشمل العالم الإسلامي كله وبشكل أخص البلدان المجاورة لتركيا. لقد وجد فيه المنافقون الزنادقة مثالاً يقتدى به، وبطلاً مناضلاً ضد الاستعمار والرجعية والجهل، وقائداً محنكاً، استطاع خلال فترة زمنية لا تتجاوز العقدين أن يضع بلده في مصاف الدول المتحضرة.

وكان الرئيس التونسي السابق الحبيب بورقيبة من أكثر الحكام العرب إعجاباً بأتاتورك وبالنخبة الحاكمة في فرنسا التي نهل منها ثقافته، وعندما وصل إلى سدة الحكم[6] بأساليب ملتوية لم تكن فرنسا بعيدة عنها، عقد العزم على أن يسلك الطريق نفسه الذي سلكه من أعجب بهم في كل من باريس وأنقرة، بل كان أكثر منهم تطرفاً في علمانيته وزندقته، ونستعرض فيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

- أصدر حاكم تونس السابق القانون رقم (108) الذي يمنع ما أسماه بـ "اللباس الطائفي"، وعندما يُذكر اسم هذا اللباس يتبادر إلى الذهن أنه لباس طائفة من الطوائف الشاذة المنحرفة الدخيلة على المجتمع التونسي الذي لا يدين بغير الإسلام، ولا يقبل العادات والتقاليد الوافدة إذا كانت تصطدم مع عقيدة الأمة ومنهجها الرباني الخالد. لكن الأمر ليس كذلك في دين بورقيبة ومنهجه، فاللباس الطائفي عنده هو اللباس الذي فرضه الشارع على المرأة، وهو في شريعته: "مناف لروح العصر والتطور السليم، ولئن ادعى هذا الزيّ لنفسه الاحتشام فإنه يرمز لا محالة إلى ضرب من الشذوذ، والانتساب إلى مظهر متطرف هدام، وهو يتعارض مع ما دعا إليه المجاهد الأكبر فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة في الخطاب الذي ألقاه في شهر جوان بمناسبة يوم العلم"[7].

- وتتشدد الدولة في تطبيق قانون اللباس الطائفي، ومن مظاهر هذا التشدد أن الحبيب بورقيبة كان قد ظهر على شاشة التلفاز في احتفال شعبي عام وهو ينزع بيده

الآثمة أغطية النساء التونسيات قسراً عن رؤوسهن وهو يقول لإحداهن: انظري إلى الدنيا من غير حجاب.

ولا تسمح دوائر الأمن والجوازات بمنح المرأة بطاقة هوية أو جواز سفر إذا كانت محجبة، ولا يقبلون منها أقلَّ من أن تدخل على دوائر البوليس وهي حاسرة الرأس كاشفة الصدر.

وفي المدارس يأخذون تعهداً من ولي أمر الفتاة يقر فيه بأن ابنته تخلت عن ارتداء الزي الطائفي إن كانت ترتديه من قبل -، ثم تتخذ المدرسة الإجراء المناسب إذا عادت الطالبة لارتداء الحجاب، وقد تكون العقوبة الرادعة تمزيق حجاب المرأة أمام مشهد عام من الطلبة لأن التعليم مختلط، وقد يكون أشد من هذا.

ومن مظاهر التشدد في تطبيق قانون اللباس الطائفي أن دوائر المستشفيات والمصحات تمنع علاج أو إسعاف الحوامل المحجبات عندما يأخذهن المخاض. ومن باب أولى فإنهم لا يعالجون المريضات بشكل عام إذا اقترفن جريمة لباس الزي الطائفي!! وإنها لمواقف همجية تتقزز منها نفس كل حر أبي.

- أبرم النظام التونسي عقود عمل مع شركاتألمانية في فترة ما بين [1970 1974] تعهدت بموجبها الحكومة التونسية بتصدير [700] فتاة لم تتجاوز واحدة منهن سن العشرين عاماً للعمل بالمصانع الألمانية، فأكلن لحم الخنزير وشربن المسكرات وسقطن في الفتنة، فمنهن من تزوجن الكفار ثم قذفوا بهن إلى الشوارع، ومنهن من احترفن البغاء.. وأصبحت تونس فيما بعد من الدول المصدرة للفتيات نحو أوربا وغير أوربا بشكل فوضوي أو بشكل منظم عبر شركات دولية للمتاجرة بالرقيق الأبيض.

- أول شيء فعله بورقيبة بعد توليه شؤون الحكم عام 1956 تتمثل في إصدار مجلة الأحوال الشخصية في 13 أغسطس 1956، وإذا كان مجال هذا البحث لا يسمح بالتوسع في دراسة هذه القوانين فلا أقل من عرض نماذج منها فيما يلي:

منع تعدد الزوجات مع فرض عقوبات زاجرة على كل من يخالف هذا القانون.

إلغاء قوامة الرجل في بيته ونسخ واجب طاعة المرأة لزوجها.

صادقت الحكومة التونسية على اتفاقية الأمم المتحدة المتعلقة بالقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة بمقتضى القانون عدد 68 لسنة 1985، وصار من حق المرأة التونسية المسلمة أن تتزوج من غير المسلم، وهناك أمثلة كثيرة على تطبيق هذا القانون، وتحدثت بعض المتزوجات من غير المسلمين عبر وسائل الإعلام عن تجاربهن في هذا الميدان، ومواقف الأهل والأقرباء منهن، ونقدهن لتزمت المجتمع.

- نشرت مجلة الحقائق التونسية خبر المباراة التي انتظمت بين طالبات كلية الشريعة بجامعة الزيتونة، وحتى لا يظن ظان إنها مسابقة لمعرفة الفائزة في أفضل بحث دعوي أبادر إلى القول: لا تحسنوا الظن بأمثال هؤلاء الناس بعد أن تكشفت نواياهم الخبيثة، وأي شيء تعني الدعوة عندهم إذا كانوا يمنعون طالبات كلية الشريعة والدعوة من اللباس الطائفي ويفرضون عليهن السفور؟! إنها مباراة في السباحة!! نعم مباراة في السباحة للطالبات وهن عاريات وليس عليهن إلا ما يستر العورة الغليظة، وبعد إعطاء وزير الشؤون الدينية الذي كان يشرف على المباراة ومعه جمع من كبار المسؤولين في وزارته إشارة الانطلاق للطالبات قال مبتهجاً: "الآن تخلصت الزيتونة من عقدتها".

بقي أن يعلم القارئ الكريم: أن كلية الشريعة وأصول الدين هي البقية الباقية من جامع الزيتونة الذي تأسس في القرن الهجري الأول، وكان طوال التاريخ الإسلامي مركز إشعاع علمي في إفريقيا والأندلس وأوربا.. ويكفي أن نعلم أن من طلبته في العصر الحديث: شيخ علماء الجزائر ابن باديس، والبشير الإبراهيمي، والشيخ عبد العزيز الثعالبي، وآل عاشور، وغيرهم من فحول العلماء الذين علّموا الشعب التونسي المسلم العريق كيف يحارب الاستعمار الفرنسي الغاشم، ولماذا يرفض جنسيته التي تنص على أن تونس جزء من الأراضي الفرنسية، وفرنسا بلد علماني وهذا يعني التخلي عن أمور معروفة بالضرورة في الدين الإسلامي.

عجز الاستعمار الفرنسي رغم إمكاناته الهائلة عن النيل من صمود علماء الزيتونة، ونجح بورقيبة وخلفه في تحقيق الحلم الفرنسي، فشرد علماءها، وحولها إلى جامعة ممسوخة، وحدد عدد القبول فيها، وفرض الاختلاط بين الجنسين، ورافق ذلك فرض السفور على الطالبات.. ثم كان أمر مباراة السباحة الآنفة الذكر.

ونختم هذا الحديث عن بقايا جامع الزيتونة بالخبر الآتي الذي نشرته مجلة حقائق التونسية بعددها (379):

"أحيت الفنانة الصاعدة منيرة حمدي سهرة فنية رائعة!! في رحاب معهد أصول الدين التابع للجامعة الزيتونية، وفي نفس السياق وتلقيحاً للطلبة ضد التطرف تمتع الطلبة بمشاهدة الألعاب السحرية للمنوم المغناطيسي الشهير حمّادي بن جاب الله الفرشيشي".

وإذا كان هذا هو أمر معهد أصول الدين بالجامعة الزيتونية، فلا عجب أن تكون حصص الرياضة مشتركة بين الجنسين في معاهد الدولة وثانوياتها، ولابد في هذه الحصص من التعري إلا ما يستر العورة الغليظة، كما أنه لابد من ممارسة حركات وألعاب مخجلة.

ولا عجب أن تبث القنوات التونسية الداخلية برامج جنسية ممنوعة حتى في بعض دول أوربا الغربية.

ولا عجب أن يعتبر قانون الوظيفة العمومية اللحية وسخاً ودَرَناً لا يليق بمظهر الموظف التونسي.

ولا عجب من إلغاء نظام القضاء الشرعي، وحل الأوقاف الشرعية وتأميمها، وإلغاء فريضة الصيام.. كما أنه لا عجب أن يكون خلف بورقيبة أسوأ منه[8].

2 – المساجد: مما لا جدال فيه أن دور العبادة في الأنظمة العلمانية الغربية مستقلة لا يجوز للحكومات التدخل في شؤونها وفرض تعليمات إدارية أو دينية عليها، ولا يجوز لها التدخل في شؤون السياسة والحكم.

أما في بلادنا، فتطبق العلمانية بمفهومها الصحيح على دور عبادة غير المسلمين من النصارى واليهود وأديان أخرى ما أنزل الله بها من سلطان، وإذا حدث تجاوز حكومي على أحد هذه الدور، غضبت لغضب هذه الدار أمم وأجهزة شتى من مختلف بلاد العالم، ولا تزال تستنكر وتنذر وتتوعد في السر والإعلان حتى يزول هذا التجاوز، وإننا بهذه المناسبة نذكّر بنظام الامتيازات التي فرضته الدول الغربية على الدولة العثمانية، وفي ظل هذه الامتيازات تمتع النصارى في كنائسهم ومدارسهم

بحقوق ما كان المسلمون أنفسهم يحلمون بها ولا تزال آثار هذه الامتيازات باقية بشكل مباشر أو غير مباشر.

أما مساجد المسلمين وأوقافهم فليس للقائمين عليها من العلماء حق في إدارتها، بل الحق كل الحق للنظام العلماني، والعاملون فيها من الخطباء والمدرسين ليسوا أكثر من موظفين يتلقون التعليمات والأوامر من مسؤولي وزارات الأوقاف، وإذا خالف أحد الشيوخ هذه التعليمات ذاق عياله مرارة الفاقة والحرمان على أقل التقديرات، وهذا يعني طرده من عمله ومنعه من الوعظ والتدريس والخطابة في المساجد، ومن المؤسف أن الشيوخ ليس لهم دخل ينفقون منه على عيالهم إلا هذا الراتب الشهري الضئيل الذي يأخذونه من وزارة الأوقاف، ولهذا فهم يفكرون ملياً قبل اتخاذ موقف يحرمهم من هذا الراتب.

الأنظمة العلمانية لابد وأن تختار وزراء الأوقاف من نفس الفصيلة التي ينتمون إليها أو أن يكون موظفاً مطيعاً لرئيس الدولة ولو كان عنده بعض التدين، وطاعة النظام ورئيسه تقتضي محاربة كل نشاط دعوي وأخلاقي إذا كان له تأثير قوي على رواد المساجد، ونضرب المثال الآتي على ذلك:

نلحظ أحياناً أن نشاطاً دعوياً إصلاحياً يشق طريقه إلى بعض المساجد في بلد ما دون أن يكون اتفاق مسبق بين أئمة هذه المساجد، وقد لا يعرف أحد منهم الآخر.. والشاهد هنا أن هذا النشاط يسترعي انتباه عامة الناس وخاصتهم، وتزدحم هذه المساجد والساحات المحيطة بها بالمصلين الذين يأتي عدد كبير منهم من أحياء بعيدة عن هذه المساجد، ويأتون أيضاً من مدن أخرى، ومن بين الوافدين المصلين لصوص، ومجرمون، ومدمنون على المخدرات، كتب الله – جل وعلا – لهم الهداية على أيدي هؤلاء العلماء الأفاضل الذين عمروا مساجدهم بالعلم والورع والتقوى، والكلام الذي يخرج من قلوب نقية طاهرة لابد وأن يصل إلى قلوب الناس.

الأنظمة العلمانية في بلادنا لا تقبل هذه الظاهرة التي تهدد وجودها واستمراريتها، وتخشى من انتقالها إلى مساجد ومدن أخرى فيؤدي ذلك إلى فقدانها زمام الأمور، ولهذا تسارع إلى إصدار أوامرها الفورية بإبعاد هؤلاء العلماء عن مساجدهم، وتمنعهم من الوعظ والتدريس في جميع المساجد والمؤسسات العامة، وليس مهماً أن يتم هذا

الإبعاد دفعة واحدة أو على مراحل، ثم تعمد بعد دراسة متأنية إلى تعيين صنف آخر من الدعاة في هذه المساجد من الذين لا يهتمون إلا بأنفسهم وأسرهم ورواتبهم التي يتقاضونها في نهاية كل شهر. ويتجنبون كل قول أو فتوى تغضب الجهات الرسمية المسؤولة عنهم.

وطاعة الأنظمة العلمانية والانقياد لها في تدريس القرآن والسنة والعقائد لابد وأن يتعارض مع طاعة الله – سبحانه وتعالى–، كما أن الإيمان بالله الواحد الأحد لابد وأن يصاحبه الكفر بكل ما يعبد من دون الله من أوثان وأصنام وطواغيت.

والذي يحدث فيما بعد أن معظم الجمهور الذي كان يرتاد هذه المساجد ينفض عنها، وتخفت جذوة الإصلاح في غياب دعاتها الذين فرض عليهم الحصار، مع أنهم كانوا من خلال دروسهم ومواعظهم يتجنبون إثارة أية مشكلة مع الأنظمة.

ثم يتكرر هذا المشهد في مساجد أخرى، ويدرك كل من يتابع هذه الظاهرة بأن الذين يطاردون العلماء المصلحين، ويضيقون الخناق عليهم، ويبعدونهم عن مراكز الدعوة والتوجيه يحققون من وراء ذلك هدفين:

الأول: فتح الباب على مصراعيه أمام دعاة الغلو والتطرف من جهة، وأمام دعاة النفاق والمداهنة من جهة أخرى وكلاهما شر مستطير ومنزلق خطير.

الثاني: نشر الفساد والميوعة والإلحاد، وفي غياب أهل الحق والإصلاح يخلو الجو أمام دعاة الشر والإجرام، فكيف إذا كان في أجهزة النظام من يدعو إلى ذلك جهاراً نهاراً.

3 الديموقراطية: ممارسة الديموقراطية عند الأوربيين حق لكل مواطن، ومثل ذلك تأسيس الأحزاب والجماعات، وإصدار الصحف والمجلات، وقد تصدر هذه الصحف في أكثر هذه البلدان دون أخذ ترخيص مسبق من الحكومة.

وليس من حق أية حكومة منع تأسيس أي حزب معارض لها سواء كان تأسيسه قائماً على أساس ديني أو غير ديني، ويستطيع هذا الحزب مقاضاة أكبر شخصية حكومية إذا أصدرت قراراً أو اتخذت إجراء يضر بمصلحة هذا الحزب، والقضاء يقول كلمة الفصل في القضية المثارة لأنه مستقل وليس للحكومة أي تأثير عليه.

وفي كل من إيطاليا وألمانيا لعب الحزبان المسيحيان دوراً مهماً في سياسة هذين البلدين، وخاصة بعد أن تمكنا في فترات مختلفة من الحصول على الأكثرية في الانتخابات "البرلمانية".

ولكن الأمر في بلادنا يختلف، لأن شريعة هذه الأنظمة لا تسمح بقيام أحزاب سياسية على أساس ديني، أما الجمعيات الخيرية فهناك قيود مشددة تصل إلى حد عدم السماح لأي منها إلا إذا كانت تخدم مصلحة النظام، وقل مثل ذلك في شأن إصدار الصحف والمجلات.

وإذا كان قد جاء حين من الزمن سمحت فيه بعض الحكومات بقيام أحزاب إسلامية، فلأن هناك معلومات مؤكدة لدى الذين منحوا الترخيص لها تشير إلى أن دور هذه الأحزاب سيكون ثانوياً ولن يمكّن من الحصول على الأكثرية في الانتخابات التشريعية وعندهم من الوسائل ما يساعد على ذلك:

منها: أن الديموقراطية في بلادنا تصاغ حسب مزاج الحاكم وبطانته، وإذا تغيّر المزاج تغير معه قانون الانتخابات.

ومنها: أن تزوير الانتخابات هو الأصل في هذه المسألة، وعدمه هو الاستثناء.

وإذا خرق الحزب الإسلامي هذه القيود كلها وحصل على الأكثرية التي تمكنه من الانفراد في الحكم، فإن الجيش وقوات الأمن ستكون له بالمرصاد، وتتحرك على الفور، فتفرض الأحكام العرفية، وتلغي الانتخابات، وتقيل الحكومة التي أشرفت على الانتخابات، وتتقلد شؤون الحكم، وفي ظل أحكامها العرفية الجائرة تبدأ بمطاردة الإسلاميين ومنعهم من أي نشاط سياسي لأنهم أعداء ألداء لدستورهم العلماني، وموقفهم هذا يشمل جميع الأحزاب والجمعيات الإسلامية دون أي تفريق بين الذين يعملون في المجال السياسي وبين الذين يقتصر نشاطهم على الأعمال الخيرية والتعليمية.. وإذا تأكد العسكريون من نجاحهم في سحق الحزب الإسلامي فقد يسمحون بقيام ديموقراطية مزيفة لا مجال فيها لوجود أحزاب إسلامية.

ومما لا يثير أي استغراب عند الذين يتابعون الأحداث أن جميع الأحزاب والشخصيات العلمانية تتوحد فيما بينها رغم ما بينها من إحن ومكائد ضد المشروع

الإسلامي، وتستقبل الانقلابات العسكرية بالتأييد لأنه سيريحها من هذا الذي تراه كالكابوس أو أشد.

من أقرب الأمثلة على ذلك ما حدث في كل من الجزائر وتركيا، والفرق بينهما أن الحزب الإسلامي التركي صابر مجامل يريد أن يمضي بتجربته إلى نهاية الشوط رغم كل ما يتلقاه من ضربات، أما الحزب الإسلامي الجزائري فكان موقفه أقرب إلى الشدة، وقابل العسكريون هذه الشدة بهمجية يعجز عنها الوصف، ولا يزالون يعتبرون معركتهم مع الإسلاميين معركة حياة أو موت ولو كان في ذلك دمار الجزائر كلها، وما صنعه العسكريون في الجزائر غير مستبعد أن يصنعوه في كل بلد إذا تحقق عندهم بأن الإسلاميين سيصلون إلى الحكم، ومما هو جدير بالذكر أن أي انقلاب عسكري لابد وأن يتبعه الفساد بكافة أشكاله وأصنافه، لأن جميع المنافقين وأصحاب الأهواء والمصالح ينضوون تحت راية الانقلابيين المعادية للإسلام والمسلمين.

* * *

ترى هل كان قادة الأنظمة العلمانية في بلادنا على خلاف مع أساتذتهم الأوربيين في هذه الأمور الثلاثة التي تطرفوا فيها [حجاب المرأة، المساجد، الديموقراطية]؟!.

ليس هناك من خلاف لأن الأوربيين متفقون مع تلامذتهم على أن دول العالم الثالث لم تصل إلى المستوى الراقي الذي وصلته أوربا، ولهذا لابد من التشدد في تطبيق النظام العلماني، وخلال فترة استعمارهم العسكري لبلادنا كانت القوانين التي يطبقونها في المستعمرات عكس القوانين المطبقة في بلادهم...

---

[1] صحف عربية، وتتحدث عما يجري في بعض البلدان العربية.

[2] رواه مسلم في صحيحه، أنظر صحيح مسلم بشرح النووي: 55/17.

[3] متفق عليه.

[4] السياسيون المتمسكون بدينهم وخلقهم هم من هذا النادر، والأصل في العمل السياسي المعاصر منع الإسلاميين من دخول هذا النادي.

[5] رواه أحمد: 18/1، والترمذي: 207/3، وقال: حسن صحيح.

[6] كان ذلك في عام 1956 م.

[7] جريدة الصباح التونسية الصادرة في 1981/10/23، وهذا البيان ممهور بتوقيع وزير التربية القومية محمد فرج الشاذلي، وكان قد سبقه بيان آخر (1981/9/23) ممهور بتوقيع رئيس الوزراء آنذاك محمد المزالي الذي جرد من مناصبه كلها فيما بعد وهرب من تونس قبل أن يعتقله زملاؤه، ويعيش الآن لاجئاً سياسياً في إحدى الدول الأوربية، وزاد الخرق اتساعاً في عهد تلامذة الحبيب بورقيبة الذين انقلبوا عليه.

[8] كان جلّ اعتمادي فيما كتبت عن تونس على كتاب "تونس الإسلام الجريح" للأستاذ محمد مهدي مصطفى زمزمي، ولقد اهتم المؤلف بتوثيق كتابه توثيقاً جيداً، كما أنني اعتمدت على بعض المصادر التي اعتمد عليها المؤلف (وهي قليلة)، وعلى أقوال الثقات الذين أعرفهم من أهل تونس.

ذو القعدة - 1419 هـ - آذار (مارس) - 1999 م

المصدر: http://www.alsunnah.org

============

#حصاد المسلمين

الدكتور الشيخ علاء الدين زعتري

اتقوا الله عباد الله، واعلموا أن مشروع الشر أوسط يقتحم المنطقة نهاراً جهاراً، بعد أن كان يحاول التسلل خفية وإسراراً، نعم إنه الشر أوسط الجديد، ولا تلوموني فلم أخطأ في الكلمة، فغياب قوة إيمان المسلمين قد طعنت الشرق في مؤخرته وأسقطت في طريقها (قاف) الشرق فأضحى المشروع (الشر أوسط)

يا أمة الحق والآلام مقبلة متى تَعِيْنَ ونار الشر تستعر

متى يعود إلى الإسلام مسجده متى يعود إلى محرابه عمر

أكلَّ يوم يُرى للدين نازلة وأمة الحق لا سمع ولا بصر

عباد الله: يقول تعالى:]ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز * الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور [[الحج/40-41].

فيا أمة الإسلام أفيقي، ومن غفلتك فانتبهي، فلينصرن الله نصراً عزيزاً مَن ينصر دينه، ويؤيد شريعته، ويعمل بكتابه، ويتبع سنة رسوله، وفي المقابل يكون الخزي والعار، والذل والهوان لِمَن يهمل شريعة الله، هذه سنة الله في عباده الذين ارتضوا لأنفسهم الإسلام.

إخوتي في الله: يعيش المسلمون اليوم زمناً عصيباً، ووقتاً دقيقاً، وجرحاً مميتاً، وألماً فظيعاً، وجراحاً مذففة، وجثثاً متفحمة، وسيارات مفخخة، وأشجاراً مقتلَعة، وبيوتاً مهدمة، وأسراً مشردة، وأطفالاً ميتمة، ونساءً ثكلى، وقد لا تسعفك الكلمات في القواميس عن وصف حال المسلمين التي لا تُسر صديقاً، ولا تجعل العدو حاسداً؛ مشاكل تستهدف الأمة بتدمير مستقبلها، وتدنيس حاضرها، وتغييب ماضيها، ويأتي السؤال: فماذا نفعل، ومن المنقذ، وما سبيل النجاة، ما درب السلامة مما نحن فيه؟.

أقول: لا خلاص للأمة إلا بانقيادها لكتاب ربها، واتباع سنة نبيها محمد – صلى الله عليه وسلم –، فلقد كُتب لهذه الأمة حين تحيد عن الشرع أن تتقلب في الإهانات والمذلات، وأن تنتقل من هزيمة إلى هزيمة، كما كُتب لهذه الأمة حين تعتصم بحبل الله المتين أن ترتفع رايات نصرها، وتعلوا أبراج سؤددها، هذه حقيقة لا ينبغي أن تغيب عن الأذهان، ولا أن تُمنع عن سماعها الآذان، ولا أن نحجب عن رؤيتها العينان.

فلنرفع الغطاء عن أنفسنا، ولنكشف الغشاوة عن أبصارنا، ولنفتح بالوعي أذهاننا، ولتكن حياتنا ملؤها التواصي بالحق والمصارحة، والتناصح في الله والمكاشفة، كفانا نكبات تجرح مشاعرنا، كفانا كوارث تهز كياننا، كفانا نكسات تسود وجوهنا.

أما يئسنا من تلمس النصر عند البشر من دون الله، ألم نتعظ من استجداء النصر من مجلس الأمن.

قتل وتشريد وهتك محارم فينا وكأس الحادثات دهاق

وحشية يقف الخيال أمامها متضائلاً وتمجها الأذواق

أين النظام العالمي أما له أثر ألم تنعق به الأبواق

أين السلام العالمي لقد بدا كذب السلام وزاغت الأحداق

يا مجلس الخوف الذي في ظله كسر الأمان وضيع الميثاق

أو ما يحركك الذي يجري لنا أو ما يثيرك جرحنا الدفاق؟
قالت:
أنا أيها الأحباب مسلمة طوى أحلامها الأوباش والفساق
أخذوا صغيري وهو يرفع صوته ((أمي)) وفي نظراته إشفاق
ولدي ويصفعني الدعي ويكتوي قلبي ويُحْكِم بابي الإغلاق
أضافت:
أنا لا أريد طعامكم وشرابكم فدمي هنا يا مسلمون يراق
عرضي يدنس أين شيمتكم أما فيكم أَبِيٌّ قلبه خفاق
أجيبت:
أختاه أمتنا التي تدعونها صارت على درب الخضوع تساق
مدي إلى الرحمن كف تضرع فلسوف يرفع شأنك الخَلاَّق
كفانا استعطافاً من مجلس الأمم الظالمة، ولنعمل بإسلام ربنا الذي يبني مجتمعات وأمم عادلة.
كفانا عن كتاب الله بعيدين، كفانا عن سنة رسوله حائدين؛ فإن الحق – تبارك وتعالى– أرادنا أن نكون مؤمنين مؤمنين، وهو القائل:]والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله[[التوبة/71].
هذه موازين تنزل الرحمات إن أردتموها أيها المسلمون، هذه مقاييس مَن يستحق الرحمة من الله إن رغبتم بها، فيا مَن تطلبون الرحمة من الله والعناية والرعاية، هل بذلتم أسبابها؟ أم تراكم زرعتم بذوراً تعطي عكس الرحمة من الغضب والنقمة؟!!
فما الرحمات الإلهية والعنايات الربانية، وكذا السخط الإلهي والغضب الرباني؛ إلا صنيع أعمالكم، وزرع قدمتموه تنتظرون حصاده، فماذا تتوقعون مما تفعلون؟
قولوا بالله عليكم:
ما نتيجة إقرار الناس على الجرائم والمنكرات؟
ما نتيجة سكوت الناس عن الفواحش والضلالات؟
ما نتائج تقديم العصاة في المسؤوليات وتأخير المؤمنين والمؤمنات؟

ما نتيجة ترك الصلوات وإهمال الزكوات؟

ما نتيجة تسهيل المسكرات وتعاطي المخدرات؟

ما نتيجة سماع الأغاني الماجنات، والترويجِ للغانيات الفاسقات؟

ما نتيجة إطلاق العنان لإرواء الملذات، والجري وراء الشهوات؟

ما نتيجة الركون إلى الذين فسقوا، ومداهنة الذين كفروا، وموالاة الذين ظلموا؟

وماذا تنتظرون بعد المجاهرة بكل أصناف المعاصي والمنكرات، والفواحش والسيئات؟

إن ما تمر به الأمة اليوم ما هو إلا حصاد زرع سابق، ونتيجة سلوك ماض، والنتيجة يراها الناس بأم أعينهم:

فالأمور قد اختلت، والقيم قد تغيرت، والبركة قد نزعت، والنقمة قد حلت، مع أن القرآن قد حوى قصة مماثلة، وحكاية معبرة عن أقوام فعلوا في الماضي ما وقع فيه المسلمون اليوم، ولكن للآسف جعلنا القرآن للموت والموتى، ولم نشعر به عملاً وسعادة وتجاة للحياة والأحياء.

اقرؤوا قول الله تعالى:] لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون[[المائدة/78].

واليوم يُلاحظ كل مسلم أن المنكرات في حياة المسلمين ظاهرة للعيان، فالزنى قد انتشر، ودور الخمر قد فشت، وقطيعة الرحم قد ذاعت، والغش والتدليس والكذب قد استفحل، والموبقات قد عمت، والفجور رائحتها فاحت، والمعاصي راياتها ارتفعت، فهل يستحق النصر مَن هذا حاله؟!!.

انظروا حولكم: أما انتشر الفحش وعم الفساد!!، أما استبدلت الأغاني بالقرآن!!، أما ضُيعت الصلوات!!، أما أحييت الليالي على الماجنات من المغنين والمغنيات بدل إحياء الليالي بالقيام والركعات!!، أما أُكل الميراث ومُنع من أصحابه، وضاعت أموال الناس بالباطل؟!! فهل يتحقق نصر والحالة هذه؟!!.

أمراض وعلل وأوبئة أوصلت إلى الشلل؛ تعصف بجسد الأمة فتضعفه، وتنخر في إيمانه فتذيبه وتمحقه، وتنال من شموخ الأمة لتذلها.

وفي المنطق السليم، والعقل الرصين، والفكر الرشيد: أن المريض يبحث عن الدواء، وأن المعلول يفتش عن الاستشفاء، فو الله لا دواء للأمة إلا بشرع ربها، ولا شفاء إلا بكتاب بارئها، ومَن عرف الدواء استعمله، ومَن انتفع به نصح به غيره باستعماله.

وهذا هو أوان الاستشفاء، وهذه زمان أخذ الدواء، وهذا وقت التناصح، وميعاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله[[التوبة/71].

أيها المسلمون: مَن يأمر بالمعروف إن لم تأمروا به أنتم؟، ومَن ينهى عن المنكر إت لن تنهوا عنه أنتم؟ ألا واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الطريقة المحمدية؛ بالحكمة والرفق واللين، بالشفقة والرأفة والرحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، فما هو إلا دواء يعطيه الطبيب للمريض.

فلا ندعو لضرب المخطئين وإيذائهم، ولا لشتم المذنبين وسبهم، ولا لكسر خزاطر العاصين وجرح مشاعرهم، ولا للتشهير بالفاسقين وتكفيرهم، بل ندعو إلى إنقاذ الناس من الضلالة، وإدخالهم إلى ساحة الرحمة والهداية، ندعو إلى أخذ الناس بمراكب النجاة، وإيصالهم إلى بر السلامة والأمان، فالدين النصيحة: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم، ونبهني الله وإياكم من نومة الغافلين، اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

المصدر : http://www.islamselect.com

============

#نموذج من الإرهاب في المناهج التعليمية الأميركية

محمد المليفي

انطلقت بعض الأفواه الخربة المنتنة الرائحة وبعض أصحاب الأقلام الفاشلة والساقطة في المستنقع الغربي انطلقت تردد وبطريقة منافسة صراخ العالم العربي وعلى رأسهم أميركا بما يسمونه تطوير المناهج التعليمية بينما الواقع هو أمركة المناهج التعليمية وسلخها من كل قيم الإسلام الحقيقية ومبادئه وعلى رأسها مفهوم الولاء والبراء في

الإسلام.. ولسنا الآن بصدد تقييم مناهجنا التعليمية والتي أصلاً تنقصها مفاهيم كثيرة في الإسلام، ومع هذا يريدون تغييرها أيضاً! ولكننا الآن بصدد فضح بعض المناهج التعليمية الأميركية ولأريكم الصورة النمطية للعرب والمسلمين في مناهجهم التي يغذون بها عقول أبنائهم طيلة هذه العقود ولا يزالون!

رصدت اللجنة العربية لمكافحة التمييز بأميركا (ADC) بعضاً مما تحتويه المناهج التعليمية المقررة في جميع المدارس الأميركية لا سيما في المراحل الأولى للتعليم فماذا وجدوا هناك؟!

أولاً: ترسيخ صورة محتقرة لجميع العرب بلا استثناء وحتى الصورة النمطية للعرب من أنهم يركبون الجمال والإبل هي دلالة على التخلف المدني والمستوى التعليمي المتردي.

ثانياً: أن العرب عبارة عن قبائل، وأن هذه الطريقة في التقسيم لديهم هي أرذل من التقسيم العنصري في العالم الغربي! حيث أن كل قبيلة تستولي على أموال القبيلة الأخرى وتغتصب نساءها وتبيد رجالها!

ثالثاً: علاقة العرب بالصحراء والرمال وطيدة للغاية وسبب ذلك عشقهم للعيش مع الأغنام والماشية! ولأن العرب لا يحبون النظافة والاستحمام فالصحراء مناسبة لهم كي تضيع روائحهم الكريهة فيها!

ومن التصورات الحقيرة في مناهجهم التعليمية عن العالم العربي ككل، إنه عالم يسافر إليه الأبطال الغربيون سعياً منهم في تحقيق مغامراتهم العاطفية على طريقة ألف ليلة وليلة، والبساط السحري وعلاء الدين، والذي يشاهد الرسوم المتحركة بعلاء الدين يرى بنفسه كيف يصورون العرب على أنهم مجموعة متخلفة ولا يعيشون إلا في الحانات والخمارات وبين النساء والغلمان! وهذه مجرد أفلام كرتونية ومع هذا نجد فيها كل هذا الإستحقار فكيف بكتبهم ومناهجهم؟!

وأما أثرياء العرب، فهم يجلسون على آبار من البترول، وأنهم يريدون أن يشتروا العالم وأميركا بأموالهم، وحياتهم إسراف وتبذير وجهل وغير متعلمين وفساد ونساء وفجور ولا تعد صورتهم في مناهجهم عن الأثرياء العرب سوى أنهم أصحاب كروش ضخمة عصبيو المزاج، وهواياتهم المفضلة خطف النساء الشقراوات الغربيات!

رابعاً: أما عن صورة المرأة العربية فلا ترسم في مناهجهم التعليمية الا بصورة المرأة المضطهدة من الرجال والمتخلفة في لبسها لا سيما الحجاب والنقاب والثوب المستور.. وأما القسم الثاني من النساء العربيات فهن لا يعدون الا أن يكن راقصات عاريات، جميلات يقعن في حب الرجل وأنهن يفعلن كل هذا بغية الحصول على الرجل الغربي الذي ينقذهن من شر الرجل العربي وبطشه واضطهاده وحرمانها من الحرية.. الخ.

خامساً: ومن الصور النمطية للمسلمين تصويريهم على أنهم سفاحون.. لصوص.. إرهابيون.. متطرفون.. مغتصبون.. والنموذج الذي يرسم هذا كله ويجسده عندهم هم الفلسطينيون! فهم يحاولون تدمير إسرائيل »المسالمة! « وإنهم يسعون لاحتلال »تل أبيب«! فهم إرهابيون مجرمون يريدون كل شيء لهم وحدهم فقط!

معاشر السادة النبلاء:

هذا بعض ما رصدته اللجنة العربية لمكافحة التمييز في أميركا (ADC) وإذا أردتم أن تعرفوا مدى تأثر الأميركيين بهذه المناهج الحقيرة، فانظروا إلى رأي الرئيس الأميركي جورج بوش في مجرم وسفاح هذا القرن »اريل شارون« فهو على رغم كل هذا السحق للأرواح الفلسطينية وقصف صدورهم العارية بالطائرات وليس فقط بالرشاشات.. ومع هذا يقول جورج للعرب أن شارون هو »حمامة السلام«!! ويسمي دفاع الفلسطينيين عن أرضهم ومقدساتهم بأنه إرهاب وإجرام! فبالله عليكم من هو الذي تأثر بمناهجه التعليمية أبناؤنا الذين تغربوا وصاروا يجوبون الأسواق والشوارع كالأميركيين والغربيين..أم القيادات الأميركية التي تطبق عملياً وبالحرف الواحد ما رضعوه في عقولهم من مناهجهم التعليمية?!

المصدر : http://saaid.net

============

#لماذا الإسلام هو الحل

فاضل بشناق*

أخي القارئ: تريد أن تعرف لماذا نريد الإسلام قائداً لمسيرة التحرير؟

فإليك ما قالته صحيفة الجارديان البريطانية سنة 1967م، لقد جرب العرب أوراقاً حمراء وصفراء كثيرة في حربهم مع اليهود(مع عدونا عدو العقيدة والإنسانية الصهيوني التلمودي)، فقد جربوا القومية والاشتراكية، والثورية الوطنية والتعددية الحزبية، وفشلت كل تلك الأوراق ولم يبقَ إلا ورقة الإسلام، ويخشى بعد أن فشلت تلك الحلول والأنظمة ألا تجد شعوب المنطقة غيرها منهجاً وسلاحاً.

نعم أخي المسلم يقولون ذلك لأن ماضي الإسلام يشهد، فقد جُرِب الإسلام، وأثبت قدرته على التحرير وعلى النصر، وذلك لأن الإسلام يحمل راية الحق وسيفه ضد الظلم وسيوفه مشهرة، وأنها حقيقة يجب أن لا تموت، وهي أننا نحارب عدواً رفع سلاح العقيدة، وينطلق في حربنا من تصورات عقائدية باطلة ضمنها في كتبه المحرفة من توراة وتلمود، والتاريخ بحروبه وصراعاته يثبت هذه المنطلقات، وهذه الحقيقة التي تؤكد أن الصراع بين المسلمين ومن يدعون اليهودية صراع عقائدي، وحري بنا أن نرفع سلاح الإسلام في وجه كل العقائد الفاسدة، ومن الدلائل على عقائدية المعركة، وحتمية النصر للإسلام والمسلمين ما روي عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قوله : (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، وحتى يختبئ اليهودي خلف الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله) رواه مسلم.

هذا هو الإسلام، وهذه هي البشارة الربانية بالنصر، وهذا هو التوجيه الحكيم نحو الطريق المنهجي الذي يرى أن مسألة الإيمان والإسلام كلٌّ لا يتجزأ، فهما متلازمان إذ لا فائدة من إيمان لا يتبعه عمل، ولا فائدة من عمل لا يصدر عن إيمان. مصداقاً لقوله تعالى: (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) [المائدة: 56]. وهذا شاعرنا يقول:

ما قيمة العمر إلا الدين يوقظنا ولذة العيش غير الحق في نظري

نعم.. لهذا نريد الإسلام شعاراً وتطبيقاً لأن الإسلام حدد الطريق، ووضع الأساس للخلاص من كل ألوان العبودية لغير الله، من عبودية الأفراد، والمال، والشهوات، وأهواء الذات وغرائزها، ذهاباً بالإنسانية كما قلنا إلى وحدة التوجه والمحاكمة لشرع وإرادة رب العباد، وملك الملوك والأسياد ترسيخاً لمعنى التوحيد والعدل والحق والسلام

والوحدة والتعاون، وهذه هي الفطرة القائمة بمبادئها ضد الكفر والطغيان، وضد العداوة والاقتتال، وضد العنصرية والانفصال، ولذلك جاء الإسلام داعياً إلى مجتمع مجاهد يقف مع الحق ضد الضلال، ومع العدل ضد الجور والظلم، ومع السلام ضد الحرب، والإسلام بصفته دين يمتاز بالشمولية والديمومة والعالمية فهو قادر على النهوض بالأمة المرة تلو المرة بعد كل كبوة أو هزيمة، والتاريخ يشهد أن المسلمين أعقبوا كل نكسة بنهضة بفضل وجود رجال الدعوة العاملين، وعلمائها المجتهدين المدافعين عن الشريعة، ويأتي هذا تأكيداً لقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) رواه أحمد وأبو داود)، ولهذا فالإسلام نظام اجتماعي وسياسي واقتصادي ليس فيه شبهٌ لأي نظام سياسي واقتصادي آخر كالشيوعية والعلمانية والرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية، فهو دين قائم على أساس عقيدة التوحيد التي يُغذى من خلالها كل مبدأ، ويُشرع كل نظام يضمن توازن النوازع الداخلية والرغبات الخارجية نهوضاً بالأمة إلى أعلى درجات المسؤولية الداخلية والخارجية، فيصنع منها أمة رائدة ذات حضارة متميزة.

نعم أخي المسلم.. إذا كان الإسلام مطلوباً لأنه حدد الطريق فكذلك هو مطلوب لأنه قد حدد الهوية، فالإسلام بميزاته ومبادئه لا يلقى من أعدائه إلا تنوعاً وتفنناً في ألوان العداء، وصور المكائد له، كمبدأ ولأهله كعاملين، فقوى الشر والطغيان والباطل تعمل متحدة على محاربة هذا العملاق على اختلاف أسمائها وأحلافها ومنطلقاتها، والتاريخ يحفظ في صفحاته كل هذه الممارسات التي مورست بهدف السيطرة على الإسلام، والقضاء على الأمة الإسلامية والعربية بالعنف، وهذا ما ظهر في العديد من الحروب التي دارت بين دار الإسلام ودار الكفر والطغيان، وانتهت بسقوط أجزاء كبيرة من الأراضي العربية والإسلامية لفترة من الزمن، وما كان هذا ليحصل بنا ولن يقع لنا مثيله لولا أن غزا التباغض والاستبداد والظلم والتحاسد والفساد والخيانة قادتنا والمتنفذين أصحاب الشأن والقرار، وسنبقى نكرر أنه بضعفنا وبعدنا عن ثوابت عقيدتنا ظهر علينا عدونا وأركعنا وقطع أوصالنا، فالأب في لبنان، والأخ في عمان، والأم في مصر، والأخت هناك تاهت في صحرائنا، وهنا في فلسطين الجريمة ظل

ينزف أقصانا جريح الخيانة، وتجزأ الوطن وتمزقت الهوية، وضاع الاسم، واستقر في القلب سهم الغربة حتى أصبح أمرُ الوحدة أملاً بعيداً بل سراباً خادعاً كداعيها.

هم هزمونا في المعركة ومزقونا وليس معنا هوية، بحثنا عنها فخدعونا أنها ليست هي وليست ذات الهوية إنها وثنية، إنهم أدخلوا عليها عبارات ليست من قاموس أصالتنا، قالوا في دفاترهم أن الأم شيوعية، وأن الأخت اشتراكية، وعن الجدة أسقطوها من مجالسهم وقالوا عنها أنها رجعية، هم حطمونا بنوا علينا جسرهم، وزرعنا أحرقوه وزرعوا حنظلهم ومعه بدأ التقيح والألم، وهل تعلمون ما هو حنظلهم..؟ إنه رأس الفتن، إنه الكفر، إنه الوثن، إنه الظلم وروح العداء، إنه إسرائيل، نحن لا نريدهم ونريد هويتنا غير ممزقة، وليست من دفاترهم كما عوضونا هم جزءونا فلنتحد، هم أضعفونا فلنجتهد، هم روضوا منا ما استطاعوا فلنبتعد، هم حاربونا فلنستعد، وعلى العقيدة نستند في تقويم اعوجاجنا، ومحاربة أعدائنا، وتنمية طاقاتنا، متمثلين في مسيرتنا مبدأ الإسلام في عدم الإفراط والتفريط في مواجهة الطواغيت، فالدراية في أمور السياسة واجبة، ما الدراية في أمور الحرب والحكمة في خوض الصراع كما الشجاعة والإعداد للحرب سُر النصر فيها. وإذا قلنا لابد من مواجهة الأعداء وحربهم فقد يذهب بنا الإفراط إلى القتال بلا حيطة ولا استعداد فيكون المصير الإجهاض، ولسنا هنا من دعاة الإفراط بالإعداد والاستعداد لأن ذلك يدفع الكثير ممن ينافقون في عداوتهم لعدونا، وحبهم للإسلام وأهله وإن كانوا من أبنائه إلى رفع شعارات لا نرى منها إلا الاستسلام والجبن، وهذا فعلاً نراه حيث لاحت في سماء وطننا شعارات مثبطة للعزائم، قاتلة لروح المواجهة مثل شعار التوازن الاستراتيجي ضرورة ومطلب أولي يسبق لخطة المواجهة مع العدو، فأي توازن هذا الذي تطلبه البلاد العربية والإسلامية وممن؟ من أعدائها الطامعين أصلاً في خيراتها، والساعين إلى القضاء على أي مظهر من مظاهر القوة التي يرون فيها خطراً على ربيبتهم إسرائيل، وما حربهم للعراق إلا برهاناً واضحاً على أنه لن تسمح قوى الاستعمار والكفر أن تتفوق ولو بجهدها الذاتي أية دولة عربية على إسرائيل، ويكفي هنا أن نذكر أن الشروط السرية لابتياع أية دولة عربية السلاح من روسيا كانت تصب في هذا المعنى، وهذه الشروط هي:

1- أن تبقى إسرائيل داخل حدودها فلا تهاجَم ولا تُمَس ولا يحاول أحد النيل منها.

2- إن السلاح الذي تأخذه البلاد العربية سلاح دفاعي.

3- إن هذا السلاح يباع بأغلى الثمن بينما يقدم لإسرائيل كهبات.

4- أن يكون جهاز الرقابة والصيانة لهذه الأسلحة بإشراف روسي.

5- السماح للنشطاء الشيوعيين في البلاد العربية من التحرك والعمل بحرية كاملة بدءاً بالتنظير وانتهاءً بالهجوم على الاتجاهات الإسلامية والنيل من العقيدة.

إنه وبعد كل هذا علينا أن نتمثل في استعدادنا لحرب عدونا القاعدة الربانية في قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)، وفي الحديث يتبين أن معنى القوة كل وسيلة تصيب هدفها عن بُعد حيث قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (ألا إن القوة الرمي)، وإطلاق الرمي في الحديث يشمل كل ما يرمى به العدو عن بُعد كالسهم والرمح والرصاصة والصاروخ، فالآية والحديث يشكلان دعوة إلى التصنيع والاعتماد على الذات لا أن نعتمد في تعزيز قوتنا وتحديث وسائلنا على أعداء الإسلام والمسلمين كما هو الحال في أنظمتنا ودولنا في وطننا الكبير.

* مدير مركز المرشد – فلسطين

المصدر : http://www.islamselect.com

=============

#مناهجنا والإرهاب

طارق معدي آل مستنير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم... أما بعد:

منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر ونحن نقرأ ونسمع عن حملات الهجوم والانتقاد الشرسة للمناهج الدراسية في بلادنا سواءاً من أبناء جلدتنا من كتاب وصحفيين ومثقفين، أو من أعدائنا في الخارج، مما يدفع المرء أن يتساءل: ما هو مصدر ومكمن الخلل؟ وأين كانت هذه الحملات المطالبة بالتغيير قبل أزمة سبتمبر؟ وهل حقيقة أن ما يسعى إليه أصحاب هذه الحملات نابع من غيرة على الدين وعلى

مستقبل البلاد والمسلمين والقضاء على الإرهاب العالمي والتطرف المتفشي بسبب هذه المناهج التي تدرس في بلاد المسلمين كما يزعمون؟

لقد أصبحت هذه المناهج هي الشماعة التي يعلق عليها المنهزمون والضعفاء فشلهم، وأصبحت السبب الرئيسي لكل ما يجري في العالم بأسره من الجرائم والمصائب والنكبات والتخريب والفساد على حد قولهم، وقادت هذه الحملة أمريكا وطبل لها المطبلون، وسخر الصحفيون والمفكرون أقلامهم وطاقاتهم لمساندة هذه الادعاءات الباطلة، وهل يراد فعلاً بهذه الجلبة محاربة الإرهاب وإحلال السلام العالمي كما يظهرون؟

كلا لن ولم تكن هذه غايتهم، بل جل اهتمامهم وغاية أطماعهم وأهدافهم هو طمس معالم ديننا وتاريخنا، وإبعاد المسلمين عن مصدر قوتهم وإيمانهم المستمد من القرآن لتصبح أمتنا الإسلامية شخصية بدون هوية، وإفقادهم عزتهم وزرع الخور والانهزامية في نفوسهم، وبث أفكارهم المسمومة وأخلاقياتهم المنحلة في شبابنا قال الله – تعالى-: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)(1)، فغايتهم ورضاهم أن نسلك طريقهم ونتبع دينهم.

قد هيئوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

"ولا يقف مراد الغربيين عند حد قبولنا عقلية الغرب فحسب؛ بل يتعداه إلى محاولة خلق دائرة فكر تهدم بناء المسلمين والعرب، وتنتقص فكرهم، وتشيع فيهم الشبهات والمثالب، ثم لا تدفعهم إلى أي جانب من جوانب البناء أو النهضة أو أي فكر آخر"(2)، ويكمن هذا العداء للإسلام واضحاً في الحروب والدمار التي سببته أمريكا في أفغانستان والعراق، فقد أظهرت نواياها الخبيثة والدفينة بكل استكبار واستعلاء بالرغبة في السيطرة والهيمنة على العالم بأسره، وكسح أي قوة تعترضها أو تشكل خطراً على زعامتها للعالم والتي تتمثل في القوة الإسلامية، فمن جملة ما يؤيد هذا ما قاله الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش: 'كانت الولايات المتحدة على مدى قرنين من الزمان هي مثل العالم الأعلى في الحرية والديمقراطية، وقد حملت أجيال متعددة راية النضال للحفاظ على الحرية، وتعظيم المكاسب التي حققتها... واليوم وفي عالم يتحول بسرعة شديدة فإن زعامة الولايات المتحدة لا غنى عنها"(3)، نحن أمة تستمد

ثقافتها ومنهجها وجميع علومها من كتاب الله الذي به صلاح كل من تمسك بما فيه من تعاليم وأحكام وتشريعات قال الله – تعالى-: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)(4) أي في كل شؤون الحياة يهدي للتي هي أقوم، في الاقتصاد، وفي السياسة، وفي الاجتماع، وفي الإعلام، وفي الإدارة، وفي كل الأمور، وقد بين هذا الدكتور عمر الأشقر بقوله: "أما الثقافة الإسلامية فإن أصولها العقائدية والأخلاقية والعملية وحي إلهي رباني، فالإسلام هو الذي أنشأ عقائد الأمة الإسلامية وتصورها وأخلاقها وقيمها، وهو الذي حدد مسارها وبين منهجها ووضع لها قانونها وأقام لها الضوابط التي تعصم الفكر من الانحراف، وهيمن الإسلام على الدراسات الإنسانية، وقوم الفنون التي تمارسها الأمة"(5)، وإن ما يحزن القلب، وتدمع له العينين شفقة على من ينخر في صرح الإسلام القويم من داخل أسوارها من المنتسبين إلى الإسلام والمسلمين، "إنك حين تنظر في أي قضية من قضايا الإسلام وبخاصة في أزمنة الضعف والاضطهاد للمسلمين فإنك تجد أن رؤوس النفاق يتبينون فيها ويكشرون عن أنيابهم، فيظاهرون المشركين والعلمانيين، ويؤيدونهم ويسخرون كل ما أعطاهم الله – تعالى – في نصرتهم"(6).

فيتجلى لنا الآن أن مناهجنا ليست السبب في كل ما رميت به وما نسب إليه زوراً وبهتاناً، ولكن السبب وراء هذه الدعاوى من بعض أبنائنا هي الانهزامية النفسية، والشعور بعقدة المغلوب عندهم، ويصف هذا الشعور ابن خلدون بقوله: "إن المغلوب مولع أبداً بالإقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، والسبب أن النفس تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه، إما لنظرة بالكمال، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي وإنما هو لكمال الغالب" وقد تقدمت البلاد الأوروبية والأمريكية في القرنين السابقين في حقول العلم والتقنية وازدهرت ازدهاراً باهراً فيهما، ولكن العالم الإسلامي على العكس قد بات مرتكساً ومتقهقراً في هذا المضمار من أجل الضعف والغفلة والتكاسل بعد إحراز النجاح في العلوم الطبيعية والتجريبية في ماضيه العريق، وأهم أسباب هذا التخلف تكمن في البعد عن الإسلام، وعدم تنفيذ أمره باستعمار الأرض، وترك العلوم التي كان آباؤنا أساتذة فيها، ومن جملة الأسباب الجهود غير المباركة التي بذلها أعداؤنا ليحولوا دون الوصول إلى العلوم التي نرتقي

بها"، ولكي تتخلص الأمة الإسلامية من هذا الضعف والخور والانهزامية لابد من السعي الدؤوب لإيجاد الحلول المناسبة، ولتغيير هذا الواقع المر الذي نعيشه، بعد أن كنا نقود الأمم أصبحنا نقاد ونسير ابتداءاً بالعودة والرجوع إلى الدين، والتمسك بتعاليمه الشاملة لجميع وشتى أمور الحياة قال الله – تعالى –:(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)(7) أي الإسلام حيث أكمل الله – تعالى – لنا ديننا فلا نحتاج إلى دين غيره.

يقول الدكتور عبدالله الخاطر: "لا بد من التربية على الإيمان الصحيح، وأول خطوة في طريق الألف ميل هذه هي التزام المسلمين شباباً وشيوخاً, صغاراًً وكباراً, رجالاً و نساءاً بهذا الدين الالتزام الصحيح، وأن يتربوا على هذا الدين الحقيقي الذي يجعلهم لا يخافون إلا من الله – سبحانه وتعالى –، وهذه العقيدة الإسلامية التي هي ليست فكرة فقط موجودة في الأذهان ولكن يجب أن تكون حقيقة"(8) لا ننكر أن مناهج العلوم التجريبية أو الطبيعية التي تدرس في مدارسنا وجامعاتنا بحاجة إلى إعادة صياغتها لتتوافق مع ديننا ومنهجنا الإسلامي، ويؤيد هذا الندوة التي عقدت في مدينة الرباط في 8 فبراير 1984 باسم (ندوة جعل الثقافة الإسلامية محور مناهج التعليم) فقال مدير المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة الأستاذ عبد الهادي أبو طالب: "ليس الهدف من برنامج (جعل الثقافة الإسلامية محور مناهج التعليم) زيادة حصص مادة التربية الإسلامية أو تعميمها في جميع مراحل التعليم، وانما إعادة صياغة المنهج المدرسي كله على أسس إسلامية، وتأليف مفرداته، وصوغ معطياته من منظور إسلامي، وصبغ التعليم كله بالصبغة الإسلامية لخلق جيل متماسك الشخصية، محدد الهوية، واثق بنفسه، مؤمن برسالته" مهما عصفت بأمة الإسلام من مصائب وحروب وما تلاقيه من الكيد لها في شتى المجالات الإنسانية والاقتصادية والسياسية والتربوية والثقافية والإعلامية وغيرها فسيبقى الإسلام هو الدين الصالح لجميع الشعوب والأمم، وسيظهر وسيحكم الأديان كلها، فالمستقبل لهذا الدين الحق قال الله – تعالى –:(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)(9)، وقد أدرك حقيقة هذا الأمر بعض علماء الغرب ومنهم (باول شتمز) فقال: "سيعيد التاريخ نفسه مبتدئاً من الشرق عوداً على بدء من المنطقة التي قامت فيها

القوة العالمية الإسلامية في الصدر الأول للإسلام، وستظهر هذه القوة التي تكمن في تماسك الإسلام ووحدته العسكرية، وستثبت هذه القوة وجودها إذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والاستفادة منها، وستقلب موازين القوى لأنها قائمة على أسس لا تتوافر في غيرها من تيارات القوى العالمية"(10).

---

1. سورة البقرة : آية 120.
2. "شبهات التغريب" لأنور النجدي : 13.
3. "النظام الدولي" لياسر أبي الشبانة: ص 31.
4. سورة الإسراء : آية 9.
5. "نحو ثقافة إسلامية أصيلة" للدكتور عمر سليمان الأشقر: ص 68 ، 99.
6. "هكذا علم الأنبياء لا إله إلا الله" لسلمان بن فهد العودة: ص 77.
7. سورة المائدة : آية 3.
8. "الهزيمة النفسية عند المسلمين" للدكتور عبد الله الخاطر : ص 47.
9. سورة التوبة : آية 33.
10. "الإسلام قوة الغد العالمية" لـ باول شتمز.

المصدر : http://www.islamselect.com/admin/fback.php

==============

#قصة حجاب " أمة الله "

الدكتور نبيل السعدون

أثار اهتمامي خبر الفتاة الصغيرة التي طردتها أكاديمية بن فرانكلين في مدينة ماسكوجي بولاية أوكلاهوما في أوائل شهر أكتوبر الماضي بسبب إصرارها على ارتدائها الحجاب خلال ساعات الدوام المدرسي، فقررت زيارتها في مدينتها مع أولادي خلال عطلة نهاية الأسبوع نيابة عن مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير).

وجدت أسرتها تقيم في بيت متواضع وفي حي فقير في المدينة حيث استقبلتنا الأسرة بالترحاب، وكان أكبر همي أن أرى تلك الفتاة الشجاعة التي هزت الأوساط التربوية والإعلامية في أمريكا وتناقلت أخبارها وكالات الأنباء الأمريكية والعالمية.

سلمت "أمة الله" علينا، وهذا اسمها الإسلامي، وحيانا والدها وشكرنا على الزيارة لمؤازرته وأسرته حيث يشعر بالوحدة بسبب خلو المدينة الصغيرة من المسلمين تقريباً، كما أن أمة الله هي الطالبة الوحيدة المسلمة في المدرسة.

سألتها لماذا يريدون إجبارك على خلع الحجاب؟ فقالت ببساطة وبراءة الطفل: "لأنهم لا يريدون لديني الإسلامي أن يكون له وجود في المدرسة". ثم حدثني والدها فقال إن الأمر بدأ في 11 سبتمبر الماضي حيث قالت معلمة أمة الله بأنها لا تستطيع أن تأتي إلى الأكاديمية مرتدية الحجاب لأن قوانين المنطقة التعليمية تقضي بمنع غطاء الرأس من أي نوع خلال اليوم الدراسي، وأكد على ذلك مدير المدرسة ثم تبنى الموقف أيضاً مدير المنطقة التعليمية.

وتحدثنا عن عدم منطقية هذا القرار حيث أن القوانين الأمريكية تجيز حرية التعبير وحرية ممارسة الاعتقادات الدينية كما هو مفروض وبخاصة في ولاية أوكلاهوما حيث أنها واحدة من إثنى عشرة ولاية تبنت قوانين إضافية محلية تؤكد على حرية ممارسة الاعتقادات الدينية والتعبير عنها.

وكنت قد تحاورت مع إبراهيم هوبر المدير الإعلامي لكير حيث نتابع تطورات هذه القضية فقال: "كنا في الماضي ننجح في حل مشكلة من هذا النوع بمجرد مكالمة هاتفية، أما بعد أحداث سبتمبر 2001 أصبح الأمر أكثر صعوبة وتعقيداً".

وعلى كل حال وبتوفيق الله وبعد حملة ضغط إعلامي وجماهيري دعت إليها كير وشارك فيها مئات المسلمين والعرب وانضمت إليها مؤسسات حقوقية أمريكية أخرى تراجعت إدارة المنطقة التعليمية في منتصف شهر أكتوبر عن موقفها جزئياً وسمحت لأمة الله أن تعود للمدرسة مرتدية حجابها لحين إتمام الجهاز القانوني لدى المنطقة التعليمية في ماسكوجي مراجعة نظمها وقوانينها ومحاولة استيعاب حجاب أمة الله دون مخالفة للقوانين المرعية لديهم.

وفي حالة تراجع المنطقة التعليمية وتضييقها على أمة الله مرة أخرى فإن كير وربما مؤسسات حقوقية أمريكية أخرى يدرسون إمكانية رفع دعوى قضائية ضد المنطقة التعليمية في ماسكوجي وذلك للدفاع عن حق أمة الله وحقوق الملايين من المسلمات اللواتي يرتدين الحجاب في المدارس الأمريكية على مدى السنوات والأجيال القادمة.

سار بنا الحديث إلى الطريقة التي تعرف بها إيفون هيرن، والد الفتاة على الإسلام، فقال كان هذا في عام 2000 حيث وقعت في يدي نسخة من القرآن الكريم فشدني هذا الكتاب وقرأت فيه كثيراً حتى أسلمت، ثم بدأت بتعليم أسرتي الإسلام فأسلمت أمة الله رغم أنها أصغر أولادي الثلاثة وأتمنى أن يشرح الله صدر زوجتي وأولادي الآخرين لهذا الدين قريباً إن شاء الله فإنهم ما زالوا مترددين في أن يعتنقوا الإسلام.

أما أمة الله فقال إنها شديدة الحرص على تعلم القرآن ومبادئ الإسلام العظيم وأنا مسرور لمدى حبها والتزامها بهذا الدين، وقال إنها هي التي اختارت اسمها الإسلامي "أمة الله " حيث وجدته في أحد المواقع خلال بحثها في الشبكة المعلوماتية.

غادرنا منزل العائلة وكلنا احترام وإكبار لموقف الفتاة الشجاع وثباتها على المبدأ العظيم الذي تؤمن به. وخلال الأيام التالية توجهت المراكز والمؤسسات المسلمة في أوكلاهوما وتكساس بدعوات للأسرة لحضور مناسبات تم خلالها تكريم أمة الله وتشجيعها على الثبات على موقفها.

ومع حلول شهر رمضان المبارك اتصلت هاتفياً بالأسرة لتهنئتها بحلول الشهر الكريم ففاجأني والد أمة الله بأن زوجته وابنه الأكبر قد أسلما والحمد لله وهو يأمل في أن تحذو بنته الكبرى حذوهما ويصبح جميع أفراد هذه الأسرة مسلمون، وقال إن زوجته أصرت على أن ترتدي الحجاب فور إسلامها لأنها تريد أن تلتزم بما يأمرها به الإسلام وتبدأ طريق الإسلام بداية صحيحة أي بالطاعة التامة.

هذا الخبر أثار في نفسي مشاعر فياضة غامرة واحتراماً عظيماً لهذه الفتاة المسلمة الملهمة وأسرتها التي أرسلت من خلال موقفها عدة رسائل وفي عدة اتجاهات.

أولها للمسلمين جميعاً أن المسلم الحق يثبت على مبدأه ويكون رائدا في رفع شعارات الإيمان والعفة، وهو يؤثر إيجابياً على الغير ولا يتأثر سلبياً بهم ولو كان وحيدا، وأن

الثبات على المبدأ الصحيح يؤدي بعون الله إلى ترسيخ الحق في واقع الناس. ورسالة للشباب المسلم أن عليهم ألا ينجرفوا وراء المظاهر وأن يتجنبوا التقليد الطائش والأعمى وأن يلتزموا بجوهر طاهر ومظهر عفيف كما أمر الدين الحنيف.

وثالث هذه الرسائل للآباء والأمهات أن يكون هدفهم في الحياة أن ينشئوا من نسلهم جيلاً يكون أكبر همه إرضاء الله – تعالى – والفوز بالجنة لا الافتتان بمظاهر هذه الحياة وزينتها.

ورسالة للمجتمع الأمريكي تنبهه إلى مدى التراجع الذي وصل إليه في مجال الحريات الدينية، إلى حد ضيق بعض أفراده بحجاب فتاة صغيرة وحيدة عرفت كيف تتمسك بقوة وإيجابية بحقها حتى استعادته، ورسائل أخرى عديدة يضيق المجال بذكرها.

المصدر: http://www.islamway.com

============-

#ماذا وراء تمجيد الزنادقة في التاريخ القديم والمعاصر؟

محمد بن حامد الناصر

لاحظنا في السابق مهاجمة العصرانيين للفتوحات الإسلامية وقادتها، والتطاول على بعض الصحابة – رضي الله عنهم –، ونلاحظ هنا أن بعضهم يدافع عن الزنادقة والمرتدين باسم الدفاع عن حرية الرأي والتجديد.

وقد تحمل وزر هذه الدعوة عدد من العصرانيين، فمدحوا الخوارج واعتبروا أنهم حزب العدالة والقيم الثورية، رغم أنهم كلاب أهل جهنم كما ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة.

واعتبر بعضهم أن القرامطة هم الجناح اليساري في الحركة الشيعية، كما مدحوا الدولة العبيدية الإسماعيلية، وأشيد بثورة الزنج في البصرة جرياً وراء تمجيد المستشرقين لهذه الحركات المنحرفة الطائشة(1).

ثم تابع العصرانيون الجدد – أصحاب النزعة المادية – طريق من سبقهم بجرأة أشد، وانحراف أخطر(2).

تمجيدهم لعدد من الزنادقة:

دأب الطبيب (خالص جلبي) على تمجيد الحلاَّج والسهروردي ومحمود طه زعيم الإخوان الجمهوريين السودانيين، وهو باطني ضال حوكم شرعياً، وحكم بإعدامه، وأراح الله السودان منه، وستعرف المزيد عنه في هذا المقال، وقد اعتبر خالص جلبي هؤلاء مجددين قُتلوا ظلماً.

يقول في مقالة له في الشرق الأوسط: «كل المظالم وقعت باسم الشعب، وباسم الأمن، أنشئت أجهزة الرعب، وتحت بعض الشعارات تغتال الحقائق؛ فباسم الشعب في بغداد حكم على الحلاج بضربه ألف سوط، ثم قطع لسانه وأطرافه».

«وإن المجتمع الإنساني يتقدم بدون التجديد الدائم، وكل فكرة جديدة عانت وكابدت، من ذلك إعدام سقراط في أثينا، وإعدام محمود طه في السودان بتهمة الردة»(3).

ثم يعترض (الجلبي) على إعدام محمود محمد طه فيقول: «وتحت شعار تطبيق الشريعة الإسلامية أعدم محمود طه في السودان لرؤيا رآها، فسرت أنها كفر، ولم ينفع في رفع الحكم عنه سنواته السبعون»(4).

ويقول أيضاً: (وفي عام 1971م أعدم محمود طه في السودان على يد الطغمة العسكرية بتهمة الردة، وكان الرجل مجدداً، فلم يكفر ولم يرتد، ولكنها السلطة التي لا تتحمل النقد والمعارضة)(5).

حقيقة محمود محمد طه:

قتل هذا الرجل مرتداً لأنه كان من مدعي النبوة، وكان قد درس مذاهب الفلسفة والمنطق، وله دراسات حول مدرسة الجدليين، واستقال من عمله في الحكومة السودانية، وشكَّل الحزب الجمهوري، ولم ينضم إليه أكثر من عشرة أشخاص. عمد إلى أسلوب المحاضرة في المقاهي والشوارع، وكان يصدر منشورات باسمه، في أخريات عام 1945م(6).

سجن محمود طه مرتين، وخرج بعد المرة الأولى بعد سنتين وقد أطلق لحيته، وأرسل شعر رأسه، وأوضح أن الحزب الجمهوري حزب له رسالة، هي رسالة الحق، وأنه قد كُلِّف بهذه الرسالة، ثم سجن مرة أخرى لمدة سنتين.

وقد أسقط عن نفسه الصلاة، ولكنه نادى أتباعه بإقامة قواعد الإسلام.

كان يتأول في تفسير القرآن الكريم، ويعتبر أن الآيات المكية هي أساس الشرع، وأن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يتمكن في مكة من تعليم المسلمين أسس هذه الآيات.

نفذ فيه حكم الإعدام لادعائه النبوة، وخروجه من الإسلام بعد أن أمهل ثلاثة أيام ليتوب ويرجع عن كفره وضلاله فلم يتب ولم يتراجع، (أعدم في سجن الخرطوم).

وتوجد حقائق مذهلة عن أفكاره، ما كان يعرفها كثير من الناس، وقد بسطتها مجلة المجتمع في بعض أعدادها؛ حيث بينت أن الجمهوريين في السودان يرون: أن محمود طه أفضل من النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – لأنه فصَّل الرسالة الثانية، وهي بزعمهم أعلى مرتبة من الرسالة الأولى، وحكمت المحكمة على أربعة آخرين معه بالإعدام(7).

ورغم هذه الردة عند محمود طه فإن خالص جلبي يتباكى عليه ويدافع عنه، ويعتبر أنه قُتل مظلوماً، من قِبَل السلطة العسكرية؛ لأنها لا تتحمل النقد والمعارضة»(8).

ويتجاهل الطبيب خالص ما كُتب عن محمود طه ورِدَّته وفكره، ومن ذلك كتاب «موقف الجمهوريين من السنة النبوية»(9) وكتاب «الردة ومحاكمة محمود محمد طه»(10).

أما الحلاج:

فهو الحسين بن منصور المتوفى عام 309 هـ، كان جده مجوسياً، عرف عند الفقهاء أنه زنديق، وكان يتعاطى السحر والشعوذة.

وكان حفيده (الحسين بن منصور) من أكبر دعاة الحلول، ودعوى امتزاج الخالق بمخلوقاته – تعالى الله عما يقوله الزنادقة علواً كبيراً –.

ومن شعر الحلاج قوله(11):

مزجت روحك في روحي كما تُمزج الخمرة في الماء الزلال

فإذا مسَّك شيء مسني فإذا أنت أنا في كل حال

ومن شعره أيضاً:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

والحلاج قتل بالعراق بعد أن ادعى النبوة حيناً، والألوهية حيناً آخر، وأقرَّ بكتاب منسوب إليه بهذه التهم.

قال ابن تيمية – رحمه الله –: «الحلاج قتل على الزندقة التي ثبتت عليه، مما يوجب قتله باتفاق المسلمين، ومن قال إنه قتل بغير حق فهو: إما منافق ملحد، وإما جاهل ضال»(12).

ورغم كل ذلك فإن (جلبي) يرى: «أن الحلاج قُتل مظلوماً، وأعدم في بغداد بعد أن قطع لسانه وأطرافه»(13).

وقد أشاد خالص جلبي بالشهاب السهروردي أيضاً، واعتبر أن إعدامه كان تجاوزاً، يقول: «ربما حدثت تجاوزات حيث قضى السهروردي نحبه بفتوى أيام صلاح الدين الأيوبي»(14) ومعروف أن السهروردي كان حلولياً من أصحاب وحدة الوجود كالحلاج؛ فهو من ضُلاَّل الصوفية.

يقول ابن كثير – رحمه الله –: وكان الشهاب السهروردي مبتدعاً يخالف في معتقده وآرائه حَمَلة الشرع، فصلبه السلطان الظاهر في حلب – بأمر من والده السلطان صلاح الدين – بعد أن شهَّر به(15).

تمجيد جودت سعيد لعدد من الزنادقة أيضاً:

كان الشيخ جودت معجباً بابن المقفع والجاحظ أشد الإعجاب وذلك لكثرة قراءاتهما، حسب مفهوم الشيخ للقراءة.

يقول جودت سعيد: «إن الإنسان يتصاغر أمام من هو أقرأ منه.. أجل إن من يقرأ أكثر يَنَلْ أكثر، إنه قانون الله «من يعمل سوءاً يجز به».

ثم يقول: «وإن تجرد إلقاء نظرة على تاريخ العلماء في العالم بيبن لك أن القراءة الدائمة هي دأب العلماء».

«انظر مثلاً كتاب كليلة ودمنة، وما وضع في مقدمته من الجهود التي بذلت في تحصيل هذا الكتاب؛ ففيه معلومات عالمية محجوزة لا يفرج عنها إلا بعد سنوات تطول أو تقصر حسب رؤى أصحابها»(16).

ثم يقول: «وإذا كان لي من نصيحة أثيرة أقدمها للشباب الذي تعلّق الأمة عليهم آمالها، فهي أن يتطلعوا إلى مصادر للعلم غير المصادر التي كنا نستقي منها»(17).

ثم يقول أيضاً: «ويزداد الإنسان إعجاباً بأقوال ابن المقفع حول المُلك «السياسية» وأنه إما مُلك دين، أو مُلك عقل، أو ملك هوى» ويقول: «هذا هو النظر التاريخي العلمي الأخلاقي»(18).

فكثرة القراءة لا تجيز للشيخ جودت أن يمجد الملاحدة كفلاسفة الملاحدة اليونان، ولا الزنادقة كابن المقفع وأضرابه.

قال ابن عبد الهادي: «ما رأيت كتاباً في زندقة إلا وابن المقفع أصله»(19).

وقد أسهم ابن المقفع بنشر الثقافة الفارسية، ويقول عنه ابن النديم في الفهرست – وكان معاصراً له –: «كان ابن المقفع يعتني بكتاب المانوية، ونقل إلى العربية منها كتباً أخص بالذكر منها كتابه «ديانة مزدك».

وقال الخليفة العباسي «المهدي»: «وما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع»(20).

ويشيد جودت سعيد بالجاحظ أيضاً:

فيقول: «والجاحظ له مقام في الحضارة الإسلامية، يتألق نجمه على مر الزمن.. كان يتذوق مع آيات الله: آيات الآفاق والأنفس، وهو وإن كان إماماً في الأدب، إلا أنه صاحب مذهب في العقيدة أيضاً»(21).

ويقول: «كانت وفاته تحت ركام الكتب التي تهدمت عليه، إنه شهيد الكتاب والقراءة، لقد كان قارئاً بمستوى حضاري إنساني عالمي، ولكتبه طعم خاص وذوق معين، وذلك لعلميته في القراءة، ولإنسانيته في الثقافة(22).

أخي القارئ: إليك أقوال أهل العلم بالجاحظ الذي أتخذه جودت سعيد أسوة له، وزعم أنه صاحب عقيدة:

قال ابن حجر العسقلاني: «كان الجاحظ من أئمة البدع».

ويقول أبو العيناء: «كان الجاحظ قدرياً».

وقال الخطابي: «كان الجاحظ يُرمى بالزندقة».

وقال ابن حزم عنه: «كان أحد المُجَّان الضُّلاَّل، غلب عليه الهزل»(23).
وقال الإمام الذهبي: «العلامة المتبحر المعتزلي، أخذ عن النظَّام، وأنه كان يختلق»(24).
يلاحظ هنا أن هنالك ارتباطاً كبيراً بين أفكار الجاحظ وأفكار جودت سعيد، وخاصة فيما يتعلق بأفكار القدر والاعتزال المبثوثة في كتبهما.
تمجيد العصرانيين الجدد للمعتزلة ورؤوس الاعتزال:
يقول الدكتور خالص جلبي: «وعندما استقر الأمر للعقل الكسيح، وطُحن التيار العقلاني من المعتزلة وسواهم، أصبح التشكيك في عقيدة أي إنسان جاهزاً وحتى اليوم، وبقيت الساحة عقلاً من دون مراجعة، ونقلاً من دون عقل»(25).
والمعتزلة قوم فُتنوا بالفلسفة اليونانية، فأوَّلوا القرآن الكريم، وكذَّبوا الأحاديث التي تتعارض مع العقلية الوثنية اليونانية (26)، وحكَّموا العقل وقدَّموه على الشرع، فكَّذبوا ما لا يوافق العقل من الأحاديث الشريفة - وإن صحَّت - وأوَّلوا ما لا يوافقه من الآيات الكريمة(27).
والمعتزلة تطاولوا على أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ لأن الأحاديث التي ينقلونها تخالف أصولهم، ومن هؤلاء: عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، والنَّظَّام.
وقد أُعجب العصرانيون بآراء المعتزلة، ومجَّدوا النظَّام أحد رؤوسهم الذي يقول فيه البغدادي: «دخل الفساد على عقيدة النظَّام ممن خالطهم من الزنادقة والفلاسفة وغيرهم»(28).
واتخذ المعتزلة ومن شايعهم الجدل والمراء وسيلة للبحث في الدين؛ وذلك مخالف لهدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ إذ يقول: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه، إلا أتُوا الجدل»، ثم تلا - عليه الصلاة والسلام -: «ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون»(29).
تناقضات عجيبة:
بينما كان خالص جلبي يدافع عن الزنادقة والمرتدين، ويحزن لإعدامهم، نراه يشيد بما سماه «المحاكمة العادلة» التي حوكم فيها سليمان الحلبي الطالب الأزهري الذي

اغتال خليفة نابليون بمصر الجنرال كليبر، وقد حكمت عليه بالإعدام؛ فقد أشاد بالمحكمة الظالمة التي تواطأت مع المستعمر الفرنسي آنذاك، فقال: «انظر إلى النظام القضائي البديع، واستيفاء الوقائع، وجمع الأدلة قبل إصدار الحكم، كل ذلك في غياب مطبق لأي صورة من صور العدالة الحديثة، والقضاء الجديد، واستغلال القضاء ونزاهته»(30).

ومن الغرائب أن الطبيب خالص يحزن لمقتل الزنادقة، بينما نراه يهاجم الدعاة والعلماء، ويفرح لإعدامهم، يقول في مقال له بعنوان: «كيف تنشأ الأساطير» معرِّضاً بسيد قطب: «أفضل طريق لدخول عالم الأساطير أن يختفي صاحبها إما على حبل المشنقة كما حصل مع سيد قطب، أو غابات بوليفيا كما حصل مع غيفارا»(31).

ويتشفى جلبي بسجن ابن تيمية لأنه لم يتجنب العنف في خصوماته، وقد تحدثنا عن هجومه على السلطان الفاتح والقائد المجاهد صلاح الدين الأيوبي؛ لأنهم جاهدوا في سبيل الله وقاتلوا أعداء الإسلام (في ساحات المعارك) الروم والصليبيين، وخالفوا منهج الاستسلام واللاعنف كما يفهمه (جلبي وشيخه: جودت سعيد).

هذا وإن الولاء والبراء من أوثق عرى الإيمان، قال - عليه الصلاة والسلام -: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله»(32)، وقال - تعالى -: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ} [الممتحنة: 1].

---

(1) انظر كتابنا: العصرانيون، ص 292 . 293.

(2) يمثل هذا الاتجاه، الشيخ جودت سعيد، والطبيب خالص جلبي مع فتنة بالتغريب وتعطيل للنصوص.

(3) الشرق الأوسط، عدد (8324) من مقال له بعنوان: (باسم الشعب)، في 2001/9/12م.

(4) سيكولوجية العنف، خالص جلبي، ص 36.

(5) الشرق الأوسط، العدد (8324) في 2001/9/12م.

(6) تتمة الأعلام للزركلي، محمد خير رمضان يوسف، مجلد 2، ص 169 . 170، دار ابن حزم، بيروت، 1418هـ.

(7) مجلة المجتمع في العدد (703) 1405/5/15هـ، والعدد: (705) في 1405/5/29هـ، وتتمة الأعلام، 169/2 . 170.

(8) الشرق الأوسط، في 2001/9/12م.

(9) موقف الجمهوريين من السنة النبوية، شوقي بشير، طبعها في مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، 1408هـ.

(10) الردة ومحاكمة محمود طه، تأليف المكاشفي الكباشي، دار الفكر بالخرطوم، 1408هـ.

(11) البداية والنهاية، لابن كثير، 132/11 . 134، مطبعة دار الفكر، بيروت.

(12) مجموع فتاوى ابن تيمية، 108/35.

(13) جريدة الشرق الأوسط، العدد (8324)، 2001/9/12م.

(14) جريدة الرياض، عدد (1110500) في 1998/11/19م.

(15) البداية والنهاية، 5/13، لابن كثير . رحمه الله ..

(16) اقرأ وربك الأكرم، جودت سعيد، ص 26 . 29.

(17، 18) اقرأ وربك الأكرم، ص 29، 144.

(19) لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، 3/ 449.

(20) وفيات الأعيان، لابن خلكان، 125/2، طبعة (وستنفلد).

(21) اقرأ وربك الأكرم، جودت سعيد، ص 30 . 31.

(22) المرجع السابق، ص 31.

(23) لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، 409/4.

(24) سير أعلام النبلاء، للذهبي، 526/11.

(25) من مقال لخالص جبلي في الشرق الأوسط.

(26) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، الدكتور مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت.

(27) التفسير والمفسرون، الشيخ محمد حسين الذهبي، ص 372، 373، الجزء الأول، دار الكتب الحديثة، 1381هـ.

(28) الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص 43، ص 127، مطبعة المدني، القاهرة.

(29) الحديث أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(30) جريدة الرياض، العدد (10489) في 1417/11/4هـ.

(31) مقتطفات من مقال لخالص جلبي في الشرق الأوسط في 2002/2/20م.

(32) سلسلة الأحاديث الصحيحة: الشيخ ناصر الدين الألباني، حديث رقم (1728).

المصدر : http://www.albayan-magazine.com/bayan-196/bayan-21.htm

=============–

#أكثر من 400 ألف موقع تبث الدعارة والجنس والمخدرات

في الوقت الراهن يتحول ليل غالبية الشباب من الجنسين إلى نهار، ونهارهم إلى ليل، فيمضي بعضهم الساعات الطويلة متصفحًا مواقع الإنترنت ومنتدياتها، ومقلبًا في صفحاتها دون رقيب أو حسيب، وإن سألت عن دور الأبوين في الأسرة فهما وللأسف الشديد يغطان في نوم عميق بحيث لا يعرف أحدهما في أي شيء يضيع أولاده وبناته أوقاتهم الثمينة، ومن بين هؤلاء الشباب من يجنح في استخدامه للإنترنت ويتحول من مستخدم عادي إلى مدمن له وهذا كله يكون بسبب عشقه له وكما يقول المثل: 'حبك للشيء يعمي ويصم'

ومن حبه له يتغاضى عن النظر إلى عيوبه، فمن هؤلاء من يتسلل دون حياء، أو خجل، ودون حرج إلى تلك المواقع المشبوهة فيدمن على مشاهدتها، بل إن بعضهم لا يكتفي بمشاهدتها بمفرده بل يلجأ إلى نشرها بين أصدقائه وأقاربه وأقرانه، فيجتمع مجموعة من الشباب على مشاهدة هذه المواقع المخلة بالآداب العامة، وبما أمر به ديننا الحنيف من عفة الفرج، وغض البصر...

واقع أولادنا وبناتنا مع الإنترنت:

ولا يكتفي هؤلاء الشباب من الجنسين بالمشاهدة فقط، بل إنهم يعمدون، نتيجة لإدمان مشاهداتهم لمثل هذه الصور المتحركة التي تشع قذارة، إلى تكوين جماعات مشاهدة ومن ثم يلجئون لتطبيق مشاهداتهم بصورة بهيمية على أرض الواقع، فينشأ بين الصبيان كما بين البنات الشذوذ الجنسي [فاحشة قوم لوط، والسحاق] فيتكون من ثم في مجتمعاتنا المسلمة، نتيجة لانحراف فطر بعض شبابنا المسلم، أو فتياتنا المسلمات مجتمع السحاقيات من الفتيات اللاتي يتحدث البعض عن وجودهن في مدارس البنات، والشاذين الذين نجدهم في استراحات الشباب وتجمعاتهم في الشوارع العامة.

مؤسسات المجتمع المسلم في البلاد الإسلامية، ولا سيما المدارس والجامعات والأسرار، ودور العبادة، إضافة إلى جهود المربين والدعاة لإفهام الشباب خطورة نتائج هذه الأفعال المحرمة، مع تسهيل فرص الزواج وتيسيره من قبل الدول والمجتمعات الإسلامية.

وقد تسأل قارئة: لماذا تطرح 'المتميزة' مثل هذا الموضوع؟ ولماذا نهول من استخدام الشباب والفتيات للإنترنت؟

فنجيبها قائلين:

إن الاستخدامات السيئة للإنترنت هي التي تجلب الضرر على الفرد المستخدم وعلى المجتمع سواء كان هذا الاستخدام منحرفًا في الواقع، أو غير منحرف [بمعنى معروف بين أفراد المجتمع بانحرافه، أم لا].

وإليك عزيزتي القارئة المتميزة قصصًا واقعية لمستخدمي الإنترنت بطرق ضارة ففسدوا وأفسدوا مجموعات حولهم في المجتمع.

الحكاية الأولى: رغم كونها جميلة:

تقول صاحبتها: إنها كانت تعاني من فراغ عاطفي لكون زوجها الذي اقترنت به أتى لخطبة أختها الصغرى، ولكن أختها تصغره بكثير فأشاروا عليه بزواجه منها هي البكر، فقبل وقبلت أسرته، ولكنها بعد الزواج السريع اكتشفت بأن ثمة فوارق كبيرة بينهما في الاهتمامات، ورغم كونها جميلة، إلا أن زوجها لا يمكث في المنزل

وخصوصًا بعد عودتهما من شهر العسل، حيث اشترى لها جهازًا، ووصله بالإنترنت وعلمها كيفية استخدامه.

ومع الوقت احترفت استخدامه، فأصبحت تدخل على غرف الدردشة والمسنجر، وتعرفت على عدد من الشاب والفتيات عن طريقها، ولقد لفت انتباها واحد من مجموعة الشباب الذين كانت تحادثهم وحاولت التعرف عليه أكثر، إلى أن اطمأنت له وتملكها حبه فأعطته رقم هاتفها الجوال وصار يتصل عليها أثناء غياب زوجها، ويبث لها لوعته وهيامه، ويؤكد عشقه لها، ومع الأيام توطدت علاقته معها على الرغم من حملها من زوجها.. ثم بدأت تهمل زوجها وأصبحت ترفض الخروج معه وتطالبه بالخروج بمفرده.

هذا الشاب أصبح يرسل إليها الصور الإباحية ويطلب منها أن تدخل إلى المواقع المشبوهة.. في البدء كانت ترفض ومن ثم أصبحت تفتح الرسائل التي تردها منه، وشيئًا فشيئًا أصبحت مدمنة عليها، ثم أصبح يرسل إليها ويسألها عن رأيها فكانت تحدثه.. وفي النهاية طلب منها مقابلته، وعندما رفضت هددها بفضح أمرها لدى زوجها، ومن ثم رضخت لأوامره وقابلته وتكررت لقاءاتها معه، إلى أن دعاها يومًا إلى شقة لصديقة وتحت إلحاحه وخوفها من تهديداته لها، قبلت والتقت به وحدث بينهما ما حرم الله.. وتوالت لقاءاتهما السرية المحرمة والزوج في غفلة من أمره، إلى أن دخل عليها يومًا قبل ولادتها دون أن تشعر هي به، وهي غارقة في حبال الرذيلة، وكشف الزوج أمرها وانتظر الزوج ولادتها ومن ثم طلقها وأخذ منها مولودها.. وهكذا حكمت على نفسها بالإعدام ثلاث مرات: بالطلاق مرة وأخرى بحرمانها من مولودها الأول، ومرة ثالثة بالفضيحة.

الحكاية الثانية: فقدت عذريتها وعمرها 13 سنة:

وهذه أخرى تفقد عذريتها وهي ابنة ثلاثة عشر ربيعًا دون أن تدرك معنى لما حدث لها، ودون أن تعي أمها أو تشعر بما حدث لابنتها إلا بعد أن اصطحبتها ذات مساء للمستشفى بعد مغص ألم بها، حيث أدركت هناك الصدمة التي اقشعر لها بدنها عندما أسفرت نتائج كشف الطبيبة عليها عن كون الفتاة على وشك الوضع. وبعد تحقيق الأم في الموضوع كشفت البنت أن ابن خالها كان يلعب معها لعبة العريس

والعروس ونال منها مبتغاه. في ظل غياب الأم عن مسؤولياتها، وعدم توعيتها لابنتها، وترك ابن
الخال يلعب معها ويدخل غرفتها ويجالسها...
ومع التحقيق أيضًا تبين أن هذا الذئب الصغير يكبرها بأربع سنوات فقط، وكان يشاهد أفلامًا إباحية على مواقع الإنترنت مع رفقائه في مقاهي الإنترنت التي تكثر فيها العمالة الأجنبية، مع غياب الرقابة على هذه المحلات...
هذه الطفلة تزوجت ابن خالها وسترت الأسرة نفسها.. ولكن ماذا لو لم يكن الجاني هو ابن الخال؟!
قصص أخرى:
وهذه قصص أخرى تتعلق بمجموعة صبية من أبناء الجيران لا يمكثون في البيت بمقدار مكوثهم في الشارع مع رفقاء السوء. والأم والأب مشغولون عن تربيتهم بأمور أخرى.. في يوم من الأيام، بينما الجار عائد إلى منزله في وقت متأخر من الليل بعد مناسبة فرح لقريب له خارج المنطقة، إذ به يسمع أصواتًا تتسلل في الظلام الدامس، فأنصت قليلاً وإذا به يسمع أحدهم يقول لصاحبه: أنا دفعت لك مئة ريال من أجل أن آخذ منك ما أريد، واليوم ليس لدى مال، أنا أريدك وسوف أدفع لك حين ميسرة، وإذا به يوافقه ولكنه يطلب منه ثمنًا أكبر!!
وآخر من أبناء الجيران أيضًا يأتي إليه شخص.. في منتصف الليل ويأخذه معه إلى مكان ما في المدينة ولا يعيده إلى المنزل إلا في الساعات الأولى من الصباح.
كل ذلك يحدث في ظل غياب الآباء والأمهات، وفي ظل وجود وسائل اتصال مسمومة تنشر الفساد والانحلال الخلقي بين الشباب من الجنسين.
وبهذه الصورة وفي ظل غياب الوعي والوازع الديني بين الشباب، وفي ظل غياب تربية الأهل ودورهم في الحماية.. تستخدم شرائح معينة من الشباب من الجنسين الإنترنت في إقامة العلاقات المشبوهة عبر مواقع المحادثة أو ما يسمى بغرف الدردشة، ومن ثم تتحول إلى علاقات تمارس في الواقع وتتسبب في ظهور الأمراض الجنسية والاجتماعية، وتفشي السلوكيات المضطربة والمحرمة في المجتمعات الإسلامية.. وبهذا تضيع الأوقات الباهظة الثمن من عمر الشباب دون طائل، بين

مشاهدة الصورة العارية، أو إقامة علاقة محرمة بين شباب وفتاة ضائعين، أو إقامة علاقات بين المثلين من الجنسين.. وهذا هو الهلاك بعينه للمجتمع وللأنفس..

وقفة مع الطب:

ويعلق الدكتور سليمان الخضري على ممارسة الشباب لهذه الأفعال فيقول: إن للصور الخليعة مخاطر نفسية وصحية على المراهقين والشباب؛ لأن تلك الصور تنطبع في ذهن المراهق وذاكرته حتى يألفها ومن ثم تصبح لديه شيئًا عاديًا.

كما يرى الدكتور الخضري أن الخطورة تظهر عندما يتذكر هذا المراهق تلك الصور والمشاهد التي طالعها عبر الإنترنت، ويرغب أن يشبع رغبته الجنسية بأي صورة، فلا يجد أمامه إلا سبيل الانحراف، فيسقط عن طريق الممارسة الخاطئة، أو ممارسة العادة السرية، التي يؤدي إدمانها إلى تدميره صحيًا ونفسيًا وقد يصاب عن طريق الممارسات الخاطئة بالأمراض الجنسية الخطيرة مثل الإيدز.

الآثار والنتائج:

تؤكد معظم الإحصائيات والتحليلات على الآتي:

* أن 80% من مرتادي مقاهي الإنترنت لم يتزوجوا بعد.

* أن 70% من هؤلاء يأتون للتسلية المحرمة والاتصال بالمواقع الإباحية.

* أن 55% من رواد مقاهي الإنترنت لا يعلم ذووهم عنهم شيئًا.

* أن كثيرًا من هؤلاء يتبادلون عناوين المواقع الإباحية حتى في مدارسهم ومواقع عملهم وجامعاتهم وكلياتهم.. وهذا يشكل خطرًا كبيرًا على العملية التعليمية.

* إن أغلب مدمني الإنترنت من الشباب قد أثر ذلك في مستواهم الدراسي، فرجعوا القهقرى بعد أن كان بعضهم من المتقدمين دراسيًا.

* إن إدمان الإنترنت يؤدي إلى حدوث صراع نفسي داخلي بين ما ترسخ في وجدان المدمن من قيم تربى عليها، وبين هذه القيم الجديدة التي يتلقاها عبر الإنترنت.

* يعمل إدمان الإنترنت على تفكيك الروابط الأسرية، ودفع العديد من الأفراد إلى الاستغناء عن الطريق الطبيعي لتكوين الأسرة من خلال الزواج والإنجاب والاكتفاء بما يشاهد وما يمكن أن يمارس من محرمات تعوضه . فيما يرى . عن الزواج الذي يتطلب منه مبالغ باهظة.

* أن رخص أسعار أجهزة الكمبيوتر والاشتراك في شبكة الإنترنت ومجانيته في بعض الدول العربية والإسلامية أدى إلى جذب عدد كبير من الشباب وانضمامهم إلى عالم الإنترنت.

* ثمة أكبر من 400 ألف موقع لبث الدعارة والجنس والمخدرات والقمار من خلال الشبكة العنكبوتية حول العالم تدخل كل ممتلكي أجهزة الحاسوب واشتراكات الإنترنت، حتى مع وجود الرقيب في بعض الدول التي تفرض الرقابة على المواقع الإباحية.

* أثبتت الدراسات أن ضعف الرقابة على الإنترنت أدى إلى وقوع كثير من أبناء الأسر المحافظة في براثنها.

المصدر: com666http: //kuwait .

=============

#بين الأصولي والمأجور ... !

محمد الحضيف

جرت العادة أن تطالعنا وسائل الإعلام الغربية بكلمة Fundamentalism (الأصولية) حينما تريد أن تصف الحركة الإسلامية أو أفراد المسلمين الذين يدينون بالولاء والتبعية لمنهج الإسلام وحده، ولا يقبلون بالهيمنة الأمريكية، ووصاية (الرجل الأبيض) المباشرة وغير المباشرة.

وعلى عادته، حينما يخترع الإعلام الغربي مصطلحاً معيناً، ويريد أن يقرّه في الأذهان، فإنه يصنع له صورة ذهنية، وهكذا كان، فقد صار الـ Fundamentalist (الأصولي) شاباً ملتحياً، وفتاة متحجبة، وعندما يبرز الإعلام الغربي هذه الصورة وكثيراً ما يفعل ذلك في معرض حديثه عن الصحوة الإسلامية (وخطرها..!) على النظام العالمي الذي يديره (الرجل الأبيض)، الذي حوّل العالم إلى واحة من السلام من خلال (قنابله الذكية) كما حدث في هيروشيما وفيتنام وبغداد!!. عندما يعرض الإعلام الغربي هذه الصورة لهؤلاء الشباب والفتيات، فإنه غالباً ما يختمها بتعليق ترجمته: (... ويؤمن هؤلاء الشباب الأصوليون بأن الإسلام هو الحل، وأن تعاليمه

التي تعود لأكثر من ألف وأربعمائة سنة يمكن أن يقوم على أساسها دولة في القرن العشرين).

هذه هي (الصورة الذهنية) التي صنعها الإعلام الغربي للمد الإسلامي: شباب ملتح هائج دينياً، وفتيات متحجبات، يرفضون أن يكون التحديث والتنمية مساوٍ للتغريب والعلمنة، يقفون خلف كل المسيرات والتظاهرات و.. (خطر قادم) يهدد كل (الأنظمة الوادعة) و(الصديقة).

لكن ماذا يقول قاموس أكسفورد الانجليزي عن Fundamental؟ يقول: إن الكلمة تعني الأساسي، المبدئي. وحينما تطلق الكلمة على شخص ما فإنها تعني أنه شخص ملتزم بأساس الأمر الذي هو بصدده، وبأصله. كذلك كانت ترجمة قاموس المورد البعلبكي لهذه الكلمة، وأضاف إليها: جوهري وأصولي، أي يهتم بأصل الشيء وأساسه.

من هنا، فإن (الصورة) التي صنعها الإعلام الأمريكي لكلمة Fundamentalism (الأصولية)، لا تمثل معناها اللغوي حقيقة، لكنها في التاريخ الغربي النصراني مرتبطة بجماعات نصرانية تتمسك بحرفية كتبهم الدينية، وترفض منجزات الحضارة الحديثة على أساس من رؤية (دينية مسيحية) متخلفة تنادي بالعودة إلى الحياة الفطرية للإنسان البدائي الأول، وذلك كردّ فعل ضد الحياة المادية للإنسان الغربي، وأجواء التفسخ التي نشرت القلق، وأحدثت فصاماً في شخصيته.

كلمة Fundamentalism ترجمها (الإعلام العربي) إلى كلمة (أصولية)، وصار يطلقها على الحركة الإسلامية وأبنائها، وهي من حيث مضمونها عند من يطلقونها تماثل كلمة (رجعي) التي سادت في الستينات أيام المد اليساري. ولأن اليسار إنحسر إلى درجة تدعو إلى (الشفقة)، وصار الإعلام العربي في معظمة إما أمريكياً، أو يسارياً بتمويل أمريكي (!!) فإن المصطلح تم تغييره لينسجم مع الخط الذي يسير عليه الممول، الذي يبني (نظاماً عالمياً جديداً) لا يكدر صفوه إلا الأصوليون.

وكلمة (أصولي) في معناها اللغوي في اللغة العربية ذات معنى سام ورفيع. فالأصولي هو الذي يرتكز على الأصول، وهي هنا المنطلقات الأساسية الأولى

للإسلام. ومن معانيها أيضاً أن تقول أصول العقيدة أو أصول الفقه، أي المرتكزات التي تقوم عليها العقيدة أو الفقه.

قد يسأل سائل: إذا كان هذا هو معنى أصولي، فلماذا يستخدمها الإعلام العربي كنوع من الغمز واللمز ضد المسلمين الذين يطالبون بالعودة إلى الإسلام (الأصولي) وشريعته ومنهجه، ويرفضون (الإسلام المعلب) الذي صمم في لندن أو باريس أو واشنطن؟ بشكل أوضح: لماذا نرى في جريدة (عربية) ولنسمها مثلا (الشرق الأوسخ)، حملة مشبوهة، مثل مصادر تمويلها، ضد المسلمين الذين يسقطون برصاص الجيوش (الوطنية) جداً (!!!)؟

الجواب هو أن تعرف أن الإسلام الأصولي إنتاج محلي فرضته إرادة الجماهير، أما غيره من (أنواع) الإسلام الأخرى (...) فهي مصنعة في الخارج المحلي إذا نافس المستورد، وزاحمه يسقطه، لأن الناس بطبعها ترفض (المستورد)، حتى لو كان يعرض على (واجهات خضراء)، إذا ما توفر لها (المحلي) الجيد. وحيث أن الجريدة (العربية) التي افترضناها (...) وشقيقاتها، ما هي إلا قنوات تسويق لذلك المستورد، فإنها ستسقط بسقوطه. لأن الجماهير جعلت خيارها النهائي المحلي الأصولي وركلت إلى الأبد ذلك المستورد حتى لو كان معروضاً في (واجهات محلية).

المصدر : http: //www.alsunnah.org

===========

#قناة "الحرة": الإعلام في خدمة الحرب

حسام شاكر

كان يمكن لفضائية "الحرّة" أن تحمل في واقع الأمر أيّ اسم آخر - باستثناء هذا الاسم تقريباً - الذي يبرهن على فجوات هائلة في الخطاب الإعلامي الأمريكي الراهن.

إذا ما تعلق الأمر بالسياسة الأمريكية نحو الشرق الأوسط؛ فإنّ سوق المصطلحات التي تروجها إدارة الرئيس جورج بوش تحفل بما يشدّ الانتباه ويدغدغ الآمال في العالم العربي: الحرية والديمقراطية، وشيء من حقوق الإنسان.

وبينما تنهمك إدارة بوش في مشروعها لدمقرطة العالم العربي، وغرس الحرية فيه على طريقتها الخاصة تماماً؛ فإنها عمدت إلى تدشين محطتها للتلفزة الفضائية الموجهة لاستلاب اهتمام مئات الملايين من المشاهدين العرب، وتحت اسم ينبع من الخطاب السياسي لبوش نحو الشرق الأوسط: إنها الفضائية "الحرّة".

في طريق الإعلام الموجه:

هذه المرة أيضاً اختارت واشنطن اسماً بديعاً، يبدو امتداداً للإعلام الأمريكي الموجه، كإذاعة "أوروبا الحرة/ راديو الحرية"، التي وُجِّهت إبان الحرب الباردة من جنوب ألمانيا الغربية نحو المستمعين في العالم الاشتراكي، وكنماذج الإذاعات الأمريكية الناشئة في ما بعد، كتلك الفارسية الموجهة للإيرانيين في ظل الجمهورية الإسلامية، أو العراقيين الذين كان ينبغي تهيئتهم إذاعياً عبر الأثير لحقبة الاحتلال الراهن، من خلال صوت "العراق الحرّ".

لم تفكر الولايات المتحدة حتى الآن في خيارات أخرى، من قبيل إرسال موجه لفلسطين، لحث الفلسطينيين على مواصلة انتزاع حريتهم من بين أنياب حالة احتلالية مزمنة، وإن كان التوجه الأمريكي الراهن يضع ضمن أولوياته شرق الأوسطية؛ تحريض الفلسطينيين على قيادات السلطة الرسمية المتهمة بـ"الفساد" و"عدم الديمقراطية"، وتأليبهم على خط المقاومة الذي يحظى بالتفاف شعبي كونه "إرهاباً" في المفهوم الأمريكي الراهن.

كان يمكن لفضائية "الحرّة" أن تحمل في واقع الأمر أيّ اسم آخر، باستثناء هذا الاسم تقريباً، الذي يبرهن على فجوات هائلة في الخطاب الإعلامي الأمريكي الراهن، فثمة هالة من الشكوك يمكن أن تحيط بأية وسيلة إعلامية اتُخذ القرار بشأن قيامها وطبيعة أدائها في دوائر حكومية، وتقع تحت إشراف سلطة تابعة لوزارة الخارجية الأمريكية، بينما يتم تمويلها عبر مخصصات الكونغرس، الذي لا يتوانى في ما يتعلق بالمسائل شرق الأوسطية عن التناهي مع الرؤية العبرية في تل أبيب.

وقد بدت الصفة الرسمية لهذه المحطة الجديدة طاغية عندما كان رئيس الولايات المتحدة هو ضيفها الأول، الذي "يتكرّم" عليها بحديث خاص بثّته على يومين، الرابع عشر والخامس عشر من شباط (فبراير)، مع تركيز شديد للاهتمام على تصريحاته

لها، ضمن ما يشبه الطقوس الإعلامية لمحطات التلفزة العربية التقليدية، التي انصرف عنها المشاهدون إلى غير رجعة.

نجاحات قد تقود إلي الفشل!

العظة التي لم يستلهمها صانعوا القرار الإعلامي في واشنطن هو أنّ النجاحات السابقة تغري بارتكاب أخطاء وخوض مجازفات بثقة زائدة عن الحد، فكثيراً ما سعت الولايات المتحدة في السنوات القليلة الماضية إلى أن تعيد مع العرب والمسلمين إنتاج تجربتها في الإعلام الموجه في أوروبا في ما بعد الحرب العالمية الثانية، وفي حقبة الحرب الباردة.

ففي ألمانيا المهزومة قامت سلطة الاحتلال الأمريكية في ما بعد سنة 1945م كما فعلت في أجزاء النمسا المحتلة أمريكياً؛ إلى إعادة تخطيط الساحة الإعلامية، على أمل تشكيل الرأي العام الألماني على أسس جديدة كلياً، وفي واقع الأمر نجح المسؤولون الأمريكيون في هذا المسعى إلى حد كبير، وكان من إنجازاتهم تأسيس صحف وتسليمها تدريجياً إلى طواقم محلية، لتتابع المسيرة ضمن مسار وطابع يتفق مع الرؤى والمطالب الأمريكية، حتى مع استقطابها لأقلام ومحررين من بقايا العهد النازي طالما أنه لم يكن من ذلك بد، لتبقى هذه الصحف قائمة في معظمها حتى اليوم، مشكلة قصة نجاح أمريكية سيُصار إلى محاولة إعادة إنتاجها في بؤر مأزومة أخرى.

كان ذلك في واقع الأمر طليعة برنامج أمريكي واسع النطاق عُرف باسم "إعادة التربية" للألمان ومن والاهم، وقد تجسّد ذلك في تركيز المؤثرات الأمريكية على المجالات الثقافية والتعليمية، فضلاً عن إعادة تصميم الإعلام والسياسة والاقتصاد، كما وجد ترجمة واضحة له في ثنايا "خطة مارشال" الأمريكية لإعادة إعمار أوروبا الغربية بعد الحرب.

ثم أخذ المسؤولون الأمريكيون في السنوات الأخيرة يكثرون من استعادة هذه التجارب، مشددين على أهميتها في التعامل مع العالم العربي والإسلامي باتجاه تحقيق التغيير الذي يبشر به بوش، والذي يجري اختزاله في كلمات معدودة يصعب تحمل تأويلات لا حدود لها، وفي الأشهر الأولى لاحتلال العراق كان يجري على

ألسنة المتحدثين في إدارة بوش التغني بتجربة الولايات المتحدة مع ألمانيا واليابان، وهي التجربة التي كان لها مسار إعلامي أيضاً، باعتبارها ستكون الوصفة الناجعة في العراق المحتل أيضاً، وهو أمر بات المتحدثون أنفسهم يتحاشون التطرق إليه لاحقاً مع الانغماس المتزايد في المستنقع العراقي.

مع هذا التوجه الأمريكي متعدد المسارات؛ أصبح بالإمكان توفير مخصصات مالية سخية من الكونغرس لصالح برامج الإعلام الخارجي في وزارة كولن باول، ففي ظل التهيئة للهيمنة العسكرية الأمريكية على أفغانستان تم إطلاق بث إذاعي موجه للمستمعين الأفغان في عهد طالبان عندما كانت الإذاعة ولا زالت إلى حد ما هي وسيلة التواصل الأولى وشبه الأخيرة بين الأفغان والعالم، خاصة مع إلغاء طالبان للبث التلفزي بما كان هدية مجانية للغزاة المحدقين بالبلاد.

وقد تزامن ذلك مع إلقاء أجهزة الاستقبال الإذاعي من الطائرات العسكرية الأمريكية بكميات سخية على مناطق تجمع الأفغان إبان تلك الحرب، لربطهم مع ما يقوله مذيعوا أمريكا، إلى جانب استقبال بث "بي بي سي" المرغوب محلياً، كما جرى قبيل مرحلة التحول التي شهدتها أفغانستان إعداد كوادر إعلامية أفغانية في واشنطن – مع التركيز على النساء – وكان من السهولة استقطاب بعض المنتمين والمنتميات إلى الطبقة الإعلامية والثقافية المرتبطة سابقاً بالغزو السوفياتي لأفغانستان، أو من يمكن تسميتهم بـ"أفغان موسكو"، الذين باتوا اليوم مع آخرين "أفغان واشنطن" باستحقاق.

كان ذلك يجري بينما مضت "إذاعة الحرية" الأمريكية في توجيه برامجها انطلاقاً من براغ بالفارسية والعربية، في إرسالين موجّهين نحو الإيرانيين والعراقيين.

التجارب الموجهة للعالم العربي:

لكن المجهود الإعلامي الأمريكي الموجه نحو الجماهير العربية أخذ بالتطور والتبلور بصورة لافتة للانتباه، بصورة تتماشى مع تصاعد المجهود الحربي الأمريكي في المنطقة، وقد تم ذلك مع عناية أكبر بمخاطبة الفئات والشرائح بصورة أكثر تحديداً وانتقاء، تجلى ذلك في حالة إذاعة "سوا" الموجهة للشباب العربي، وهي تجربة إذاعية تقوم على خلط منوعات غنائية وموسيقية غربية بأخرى عربية، مع حشوها بصورة

متقنة بالرواية الأمريكية لأحداث المنطقة والعالم المتمثلة في نشرة إخبارية رشيقة مقتبسة من إذاعة "صوت أمريكا" بالعربية.

على التوازي من ذلك، وبصورة يصعب تصوّر براءتها من التساوق مع النهج الحكومي الأمريكي؛ دأبت وسائل إعلام أمريكية بارزة بالتعاقد مع وكلاء في المنطقة على استصدار نسخ عربية منها، بشكل مثير للشفقة أحياناً، فعلى صعيد الإعلام المطبوع؛ يمكن الإشارة إلى نموذج مجلة "نيوزويك" العربية التي تصدر من الكويت عن "دار الوطن" كل ثلاثاء.

تعيد حالة "نيوزويك" هذه إلى الذاكرة تجربة مجلة "المختار للقراءة" التي نقلت إلى العربية، كما إلى العديد من اللغات الأخرى؛ عن النسخة الأم الأمريكية ذات التوجه الليبرالي، لكنّ "نيوزويك" المسيّسة بطبيعتها كان عليها أن تُدخل من يقومون بإصدارها للقراء العرب في مواقف لا يُحسدون عليها، مثل الأزمة التي تسببت فيها قبل أكثر من سنة عندما نشرت تقريراً لصحافي يهودي يسيء إلى أحد جدران المسجد الأقصى المبارك بوصفه "الجدار الملعون"، ويؤكد ادعاءات الاحتلال ومجموعاته الشوفينية في المسجد الأقصى بصورة فاضحة، وهو انتهاك يمثل في جوهره مخالفة لتنظيم المطبوعات الكويتي، لكن العدد خرج إلى الأسواق بلا مشكلات، كما خرج غيره مما يحمل مساساً بالشعائر الإسلامية.

حالة "نيوزويك" العربية التي بقيت مجلة مغمورة لم يكترث بها القراء العرب؛ بوسعها أن تُفهم المراقبين أسباب إخفاق التجارب الشبيهة القائمة على تعريب المضامين الإعلامية الأمريكية بما يشبه الترجمة الحرفية، ومن الواضح أنّ تجارب "سي إن إن العربية"، و"سي إن بي سي عربية" ليست ببعيدة على هذا المشهد، بينما تأتي فضائية "الحرّة" بلا مواربة؛ في محاولة النفاذ بقوة إلى قلب التشكيلة الإعلامية الجديدة الخاصة بالعرب، التي لم يعد زمام الأمر المباشر فيها مرتبطاً بمراكز صنع القرار الدولي، وللمرة الأولى في التاريخ الإعلامي العربي الحديث.

إنها الفضائيات العربية التي بدأت منذ أواسط التسعينيات في الخروج من قمقم السيطرة الحكومية على الإعلام التلفزي؛ هي التي أعادت قلب المشهد الإعلامي في المنطقة، فوجد العرب أنفسهم وبصورة لافتة الانتباه على موعد مع "الرأي والرأي

الآخر"، وأصبح بالإمكان إدراك وجود شيء اسمه "الاتجاه المعاكس" أو الاعتراف بأنّ هناك "أكثر من رأي" وحوار "بلا حدود"، لم ينحصر الأمر في "ظاهرة الجزيرة"، بل تعداه إلى جزر هنا وهناك أخذت تطفو على سطح المشهد الإعلامي في المنطقة المأزومة، المشهد ذاته الذي يعاني من تكامل مذهل بين حالتي الإغراق الإعلامي الرسمي الممل، والتدفق الإعلامي الغربي أحادي الاتجاه، وبهذا أمكن توافر نجاح موضوعي هائل لأية تجربة بث بوسعها أن تتحرك في هذا الفضاء على أسس مهنية سليمة.

خصوصية الحالة العربية:

بدا انعتاق الإعلام العربي من قمقمه حالة مثيرة للانتباه، ليس على مستوى المنطقة وحدها؛ بل على مستوى العالم أيضاً، إنهم العرب هذه المرة الذين نجحوا رغم كل ما يمكن أن يُساق من ملاحظات وانتقادات في أن يشكلوا حالة إعلامية تنتمي إلى العالم الثالث لكنها قادرة على المنافسة – الجزئية – مع الأقطاب الإعلامية الذين ينتمون حصراً إلى العالم الأول الغربي.

وربما كانت "لجنة ماكبرايد" التي شكلتها اليونسكو في النصف الثاني من سبعينيات القرن المنصرم ستشير إلى هذا التحول – المفارقة – في تقريرها الموسع عن مشكلات الاتصال والاختلال الإخباري في العالم؛ لو أمكن لها أن تحدِّث نتائجها اليوم.

فقد أكدت اللجنة في حينه النتيجة المعلومة سلفاً: الأقلية المتنفذة القابعة في الشمال تنتج كل المعلومات الإعلامية تقريباً، والأكثرية البائسة في الجنوب النامي والفقير تكتفي بالاستهلاك؛ وخمس وكالات أنباء غربية تدير السوق الإخباري الدولي برمته على أسس مجحفة ومختلة؛ وغير ذلك من الحقائق التي يدركها المعنيون.

لكن الأمور لا تبقى على حالها في عالم المتغيرات المتسارعة، فرغم ما بذله القطب الأوحد – الولايات المتحدة – من محاولات لتحقيق حضور إعلامي أكثر فاعلية له في المنطقة؛ جاءت المنعطفات ذاتها التي صنعتها إدارة جورج بوش على المسرح الدولي لتحمل الإعلام الذي ينتمي إلى العالم العربي إلى مسرح المنافسة الدولية، تجلى ذلك في تغطية حرب أفغانستان في خريف سنة 2001، ثم في الصراع

المحموم على كعكة إعلام الحرب الأخيرة على العراق بمفارقاتها وضحاياها، ما أثار المراقبين في حينه أنّ الولايات المتحدة وحليفاتها كانت قد استعدت جيداً لحرب إعلامية موازية للضربات العسكرية، فتم في طيات ذلك حشد جيش الصحافيين المزروعين على ظهور الدبابات لينقلوا رواية من جانب واحد فقط من الجبهة، في سابقة لم يشهد لها تاريخ المهنة الصحافية مثالاً، والمعادلة اتضحت للكثيرين الذين رأوا "جنديين" على ظهر دبابة واحدة، أحدهما يحمل قاذفة قنابل وثانيهما يحمل كاميرا.

إلاّ أنّ هذا كله بما في ذلك مجزرة الصحافة في بغداد عشية السقوط الكبير؛ لم يفلح في كسب الغزاة للجولة الإعلامية، فحققت وسائل إعلام عربية حضوراً متعاظماً على المسرح الدولي في طيات حرب العراق.

وإذا كان لهذه القفزة الإعلامية العربية أسبابها المفهومة، فإنّ الأمر يتعلق – في جانب منه – زيادة على ذلك بإعلام حروب وأزمات عالمية هي في الأصل متركزة في المنطقة ومستوطنة فيها، وطالما أنّ أهل مكة أدرى بشعابها، وأنّ الممارسة المهنية حاضرة، وأنّ التغطية المالية والإرادة السياسية يمكن العثور عليهما محلياً أيضاً؛ فإنّ النجاح على هذا النحو بات ممكناً، لكنّ المثير هو ما تمكنت منه هذه القفزة العربية من اختراق حالة احتكار أسطوري، كان قد ساهم الجنوب ذاته في استدامتها على هذا النحو لصالح الشمال.

بالمقابل كانت إدارة بوش التي تقف خلف "الحرّة"؛ هي أكثر من أبدى انزعاجه في السنوات الأخيرة من سقف الحرية "المرتفع" لفضائيات عربية استُهدفت بالاسم، دون أن تتطرق للفضائيات العربية الرسمية بسقوفها المعروفة، وهذه مفارقة إضافية.

وفي أتون الحملة متعددة الأوجه ضد الفضائيات الإخبارية العربية، وبخاصة "الجزيرة" و"العربية" و"المنار" و"أبو ظبي"؛ تأتي مبادرات أمريكية رسمية من قبيل إطلاق "الحرّة".

إسرائيل في الملعب:

إلاّ أنّ ذلك لا يبتعد بنا عما حاوله آرائيل شارون، عندما سعى جاهداً إلى تسويق سياسات الدولة العبرية، وتجميل احتلالها ومجازرها للرأي العام العربي، بطرحه على

مجلس وزرائه مقترحاً من بنات أفكاره يقضي إنشاء محطة تلفزية فضائية ناطقة بالعربية، على أمل أن تعيد أمجاد إذاعة "صوت إسرائيل من أورشليم القدس" الموجهة للعالم العربي، لكن سرعان ما أيقن شارون ذاته أنّ قوانين اللعبة قد تغيّرت، فتخلت حكومته الغارقة في إحباطاتها عن الفكرة التي لم تتمكن من شغل أي مساحة اهتمام لدى العرب، لتبيت على إحباط آخر.

حالة فضائية شارون لن تكون استثناء من الدرس وعظاته: فكل من يحاول أن يسوِّق للعرب إعلاماً براقاً وخلاباً لن يكون بوسعه أن يستقطب الاهتمام الذي يأمله؛ طالما أطلّ عليهم بمواد إعلامية تترجم أولويات الأجندة السياسية لمشروعات الاحتلال والهيمنة، وتجمِّل برامج الانتقاص من الاستقلال والسيادة والهوية بشتى نسخها وتفريعاتها، وبهذا يمكن التأكيد بأنّ الضخ المالي السخي، واستنفاذ تقنيات الإثارة الإعلامية؛ لن يجديا نفعاً في الإقناع والتأثير الأمثل، مع انتفاء عامل المصداقية.

بدا "البلدوزر" شارون كمدير شركة ساذج، يظن أنّ بوسعه ترويج شراب ذي مذاق غير مستساغ بمجرد إطلاق حملة إعلانية ضخمة، لكنهم في واشنطن ما زالوا يفكرون بالمنطق ذاته، دون أن يلجؤوا إلى تعديل المذاق الجوهري للسياسات، فالتعامل مع "صدمة" استطلاعات الرأي التي تعبر عن مناهضة العرب والمسلمين للأداء الأمريكي في العالم؛ يمكن أن يجري حسب رؤيتهم – ببساطة – عبر إعلانات محشورة بين فقرات ترويج مساحيق الغسيل، وإطارات السيارات في الدول الإسلامية، وقد تبددت ملايين الحملة بجدارة دون جدوى قبل أن تتخطى مرحلتها الأولى.

أما من سيثيرون الشفقة على نحو خاص فهم أولئك الذين سيتوجب عليهم في هذه الوسيلة أو تلك أن يركزوا على جوانب إيجابية في خطابات تحفل بمصطلحات "الحرب الوقائية" و"محور الشر"، وتعج بتحذيرات شديدة اللهجة من أولئك "الذين يكرهوننا" أو "الحاقدين على المجتمعات المتمدنة".

الشفقة ذاتها ينبغي أن يحظى بها من تكون وظيفتهم تقديم صورة ناصعة لشخصيات نافذة في صناعة السياسة الدولية، من قبيل ديك تشيني أو بول ولفويتز، أو ربما

أرنولد شفارتزينيغر مستقبلاً، فضلاً عن من سيحاول إقناعنا بامتلاك العراق لأسلحة دمار شامل قبل الحرب، وتلقيننا فنون التملّص من هذه القناعة بعدها.

نقلاً عن إسلام اون لاين

المصـــــــــدر : http://www.alarabnews.com/alshaab/2004-02-27/a2004-16.htm

============

#والآن ما هو دورنا ؟!!!

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثير.. وبعد:

إن إلغاء باب الولاء والبراء من كتاب التوحيد للصف الأول ثانوي لفضيلة الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله- منكر عظيم تهتز له قلوب الموحدين، حين مسّته الأيادي الظالمة لنفسها، فكلنا يحفظ أن الإسلام هو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، والبراءة من أهله.

فالولاء والبراء ركنٌ لا يتزعزع من أركان الإسلام، ولكن نعزي أنفسنا بحفظ الله لدينه، ونصرته لأوليائه، ودحره لأعدائه.. ثم إن انسلاخ العقائد من النفوس ليس أمراً سهلاً، فعقيدتنا ليست على ورق، بل في قلوبنا، قد استقيناها من كتاب ربنا الذي تكفّل بحفظه، ولكنها قد تنسلخ عبر الأزمنة و الأجيال كما فُعل بها في البلدان المجاورة إذا تقاصرنا وتخاذلنا جميعاً عن أداء دورنا..

فما هو دورنا؟!!!

إن دورنا هو النزول للميدان، فذلك الركن العظيم " الولاء والبراء" لا يكفيه منك أيها الموحّد انفعالات فحسب، فلن تنفع الدموع والأحزان.. ولا الشتائم واللعان..

وسنطرح بين يديك بعضاً من الحلول الميدانية، والتنفيذ مسؤولية الجميع، وهو أعلى درجات تغيير المنكر.. وقد يطول فلا تستعجل.. وإليك أولاها:

1/ الإنكار: بأن ينكر الجميع خاصة المدرسين والمدرسات المتخصصين في تدريس الدين في مدارسنا الأهلية والحكومية وكذلك المدراء برفع خطاب استنكار ومطالبة بإرجاع المادة إلى التدريس..

2/ التلقين: اعمل على تلقين العقيدة الصحيحة في البيت.. في الحلقة.. من خلال الأنشطة.

ابدأ من الآن.. احتفظ بمناهج الدين المدرسية ولقنها لأطفالك.. في الحلقة اعرض المساعدة على المعلم، لا تلقي بآرائك عليه ثم تنسحب... إذن أنت لم تعمل شيئاً!!

3/ التطبيق: لنخلع كل هيئة ورداء للتشبه المضاد للولاء والبراء، فالمشابهة في الظاهر تجلب الود في الباطن لمن يتشبه به كما قرر ابن تيمية – رحمه الله –.. لنتجافى عن كل ما يثير الإعجاب باليهود والنصارى.. لنسعَ في مناصحة المشاغل وصالونات التجميل التي تنشر رسوم التشبه فينا ولكن بالرفق والتأليف والصبر، ولا ننسى أن الهداية ليست بأيدينا...المهم نستمر ولا نتوقف.

4/ التعليم: وذلك بعرض العقيدة الصحيحة وترسيخها في النفوس من خلال المؤسسات الدينية والتربوية مثل:

المسجد: على الإمام وخطيب الجامع مسؤولية أولية بالحي.. ألا يستحق ما ألغي من كتاب التوحيد لفضيلة الشيخ صالح الفوزان أن يلقى في المسجد خلال كلمة أو محاضرة أو خطبة ابتداءً!!!.

أيها الإمام اصنع خطة جادة بعيدة المدى. إنك إن عملت مرة أو مرات فحسب.. فلن تغير شيئاً.. ولنقدم نحن إليه ما يحتاجه من مساعدة..

المدرسة: إن كنت معلماً فاغرس المبادئ العقدية في تلاميذك بين وقت وآخر من خلال الأنشطة والمسابقات والإذاعة ومواضيع الإنشاء.. ارسم برنامجاً مستمراً مع زملائك. إن توقفتم بعد عام أو عامين.. فما غيرتم شيئاً..

الإعلام: إن كنت قائماً على مجلة أو زاوية أو برنامج فاصنع ركناً ثابتاً لا يتزحزح حتى تقوم بدورك في غرس العقيدة الإسلامية عبر أزمنة مديدة.. انتبه.. لا تتوقف..

إن كنت صاحب مكتبة أو دار نشر أو تسجيلات فاجعل ركناً ثابتاً لباب الولاء والبراء وغيره من مهمات العقيدة وقم بحيازة إصداراته.. قم بعمل دعائي له.. بعروض مغرية واحتسب ذلك من النفقة في سبيل الله.. استمر على ذلك عند معالجة كل حرمة تنتهك من حرمات الله...إن توقفت فأنت لمُ تعمل مجالك على الحقيقة..

5/ الإقتداء والاسترشاد: اعمل بناءً على فتوى ورأي. سيصيبنا الزلل إن لم نستمسك بغرز العلماء.. سنتعثر أو نقف إن لم نسترشد بذوي الخبرة والتخصص في وضع الأهداف ورسم الخطط والمناهج..

6/ الدعم المادي: لتكثيف الدورات الشرعية وحفزها.

دعم الأنشطة والمسابقات العلمية.

دعم المعاهد العلمية النسائية الناشئة لتقوم بدورها، فكم صاحب مال يستطيع أن يقوم بما يقوم به عشرات الدعاة بسبب ما ينفق.. هل أنت مستعد أن تقوم بدعم نواة علمية شرعية نسائية ناشئة يقوم عليها ثقات أمناء وعلماء أجلاء فضع يدك بأيدينا.

7/ العلماء والدعاة: نريد فتاواكم في هذه الحرمة التي انتهكت..نريد إصدارات تطرح عقيدة الولاء والبراء وتنزلها على الواقع لتقرأ وتدرس.. نريد صياغة المناهج والخطط لنسير عليها عند ترسيخ عقيدتنا بأفضل الطرق.. ودونما توقف.. إن المتحرقين غيرة على دين الله قد تطاير لهيبهم هنا وهناك فمن يلم شعلتهم ويضيء طريقهم غيركم.. إنهم كثير الذين يعملون.

ولكن إذا بدأوا العمل أعيتهم الحيل وانقطعت بهم السبل..!

أخي الحبيب.. أختي الحبيبة:

- تذكر أن العمل من أعلى درجات تغيير هذا المنكر وغيره.

- تذكر أنك ستبذل المزيد من الوقت والجهد والهم والمال.. لذلك ابدأ بهدوء.. واستمر.. فأنت في مهمة الرسل وأئمة الموحدين.

- ستقابلك صعوبات ومشكلات عند التنفيذ.. ابعث بها إلينا مع إنجازاتك وسنتعاون بإذن الله على اجتيازها.

- اجعل معك من يساعدك ومن يقوم بمهمتك حين تتوقف عنها لتستمر.

- ابعث إلينا بما تحصلت عليه من فتاوى واستشارات وآراء حول ما سبق من الحلول المطروحة ليستفيد الجميع.

- لا تنس في زحمة العمل الإقبال على الله داعياً إياه مخلصاً له مستعيناً به.

وفق الله الجميع،،،

المصدر: http://saaid.net

============

#ستار أكاديمي

ستار أكاديمي: (انحلال الشباب والبنات نسال الله العافية لنا ولمن نحب).

في الوقت الذي يمزق الإسلام وأهله في كل مكان وتستحل ثروات العرب والمسلمين وتهدر دماؤهم رخيصة في فلسطين وفي كل الأرض وبينما الإسلام يئن ضعفاً وخوراً من أهله، يفاجأ العالم العربي والإسلامي بانحطاط جديد يخترعه الفرنسيون ثم يأتي من يزعمون أنهم عرب ومسلمون ليستنسخوا هذا الانحطاط ويطبقونه على أولادنا وبناتنا وشبابنا وبناتنا ويجعلون العالم العربي والإسلامي كله مشدوهاً مشدوداً بآخر التقليعات الساقطة، والمنكر الفاضح ومبارزة الله في المعاصي وعلى الهواء مباشرة ببث حي ومباشر لمجموعة من الضحايا الشباب والبنات الذين يتنافسون على المنكر وعلى كل ما يغضب الله – تعالى –.. فمن يكن منهم أكثر إجادة للرقص يكن فائزاً بالدرجات العليا! ومن يكن أكثرهم حميمية مع صديقاته ولطيفاً ورومانسياً يكن هو الفائز! ومن يجد المقامات والغناء والعزف وكل أنواع الغفلة يكن هو الأول عليهم..!

كم هي خطة ساقطة ومهينة تلك التي خطط لها القائمون على هذا البرنامج الفاضح والمسمى "ستار أكاديمي".. فهم علاوة على سحقهم لقيم الفضيلة والأخلاق علانية في نفوس الشباب والبنات.. كذلك جنوا الملايين والملايين من وراء الاتصالات التي تصل للبرنامج، فأنت من ترشح اليوم ليكون الفائز بهذه الرقصة؟! وأنت من ترشحين من الشباب ليكون الفائز عندك؟! ومن هو الشاب الذي دخل قلبك وتتمنين أن تقضي أوقاتاً دافئة معه؟! ساعدي هذا الشاب وأنت ساعد هذه الفتاة التي أعجبت بقوامها واتصل واعطها صوتك.. وهكذا يمزقون الفضيلة وينحرون الحياء والعفاف..!

بين يدي إحصائية يندى لها الجبين وتمزق قلب كل مسلم غيور على دينه.. إحصائية تبين لنا عدد الذين صوتوا لبرنامج "ستار أكاديمي".. وهي منقولة من موقع "سعودي تيليكوم" و"ايجيبت تيلي كوم"، و"ليبان كول" وشركة "الوطنية للاتصالات" بالكويت وغيرها. السعودية: أربعة ملايين متصل، مصر: 23 مليوناً ومئة وخمسة وسبعون ألف اتصال، لبنان: 18 مليوناً وخمسمائة وستة وثلاثون ألف اتصال، الكويت: 300 ألف اتصال، الإمارات: مليون ومائتان وواحد وعشرون ألف اتصال،

اليمن السعيد!: سبعة آلاف اتصال، سورية الأسد!: 16 مليوناً وتسعمئة ألف وثلاثة وثلاثون اتصال، الأردن: 8 ملايين وثمانية وسبعون ألف اتصال والآن إذا جمعت عدد الاتصالات فسيكون مجمل الاتصالات أكثر من سبعين مليون اتصال..!

بينما كان عدد المصوتين من جميع البلدان العربية في مجلس الأمن والأمم المتحدة على وثيقة الاعتراض على الحرب على افغانستان المسلمة آنذاك وصل إلى ثلاثة ملايين صوت..!! وبذلك يكون أكثر من سبعين مليون صوت لـ "ستار أكاديمي" من المسلمين والعرب لتشجيع وترشيح المائعين من الشباب والمتبرجات والضائعات من البنات يطلبون فيها الفوز لمن اغرموا فيهم وعشقوهم في "ستار أكاديمي" مقابل ثلاثة ملايين اتصال فقط يطالبون بعدم سحق المسلمين بأفغانستان! هذه هي الحال التي وصلنا إليها ويراد لنا جميعاً أن نصل لهذا المستوى عبر خطة خبيثة حقيرة ساقطة يقوم فيها عملاء اليهود وأولياء الشيطان فنسأل الله أن يطهر الأرض منهم ويمزقهم شر تمزيق.

اتصالات كثيرة جاءتني من عدد من الأمهات والآباء يطلبون مني أن اصرخ عنهم عبر زاويتي لإيقاف هذا العبث الأخلاقي الذي غزا عقول شبابنا وبناتنا على مدار الساعة.. وتقول لي إحدى الأمهات رأيت احد المشاركين بالبرنامج كيف انه بعد أن تمت التصفيات بين بعض الفتيات فخرجت إحداهن من هذا الماخور الذي يسمونه زوراً وبهتاناً بالأكاديمية، ثم وضعوا الكاميرا على صديقها الذي تعرف عليها في هذه المسابقة اللعينة، فكان يبكي كالبنات ويضرب الطاولة بيديه وهو يقول "آه.. ما أقدر على فراقها.." فتأتي فتاة أخرى وتضمه وتقبله فيقوم ويقبلها ويضمها وهو يفرك رأسه على صدرها مردداً.. "أنا أحبها بحبها.." ثم يأتي صديقه ليهدئه على فراقه لفتاة أحلامه فيقوم بضم صديقه ويتمايل على جسده.. وهكذا مشاهد حقيرة وساقطة ومائعة.. يراها كل شبابنا وبناتنا لتزرع في نفوسهم أبشع صور السقوط والانحطاط ويصبح ما رأوه طبيعياً في حياتهم وهكذا يخنثون الشباب!

معاشر السادة النبلاء:

هذه الفضيحة الأخلاقية التي تعيشها امتنا المهزومة روحياً وعسكرياً هذه الأيام قد تنبأ بها رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وقد تحدث عنها وكأنه يراها لحظة

بلحظة ودقة بدقة.. فها هو يقول في الحديث المتفق عليه: "لتتبعن سنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة، شبراً بشبر وذراعاً بذراع، وحتى لو أن احدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه، وحتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه" قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: "فمن إذن"؟

اللهم إنا نسألك أن تنتقم وتدمر كل من يسعى لنحر الفضيلة والأخلاق في أمتنا..

اللهم أهلكهم بدداً وأحصهم عدداً ولا تغادر منهم أحداً.. آمين يا رب العالمين..

المصدر: http://www.twbh.com

==============

#الثقافة العربية في مواجهة الهيمنة الأمريكية

عبد الهادي صابر

بعد استجابتها في المغرب العربي وبلاد الشام لدعاوى الفرانكفونية، واستجابة البعض الآخر في الوطن العربي للأنجلوساكسونية، هل تستطيع الثقافة العربية الصمود في مواجهة تيارات الأمركة الحديثة؟ والتي تأتي تحت عناوين العولمة، والنظام العالمي الجديد، وما تنادي به أمريكا من الانفتاح الثقافي، وهل تمتلك ثقافتنا العربية من عومل القوة الذاتية ما يمنحها القدرة على البقاء في مواجهة هذه التيارات الخارجية من جهة، ومواجهة المتأمركين ومتبني الثقافة الأمريكية من أبنائها من جهة أخرى؟ وذلك في ظل قوة الوارد الثقافي الذي تدعمه وسائل إعلام قوية تملكها أمريكا، وهل نمتلك بالفعل مشروعاً ثقافياً عربياً ينطلق من وحدة اللغة والتاريخ والدين نستطيع به محاورة الثقافات الأخرى دون خشية من عوامل التعرية الثقافية والتأثير والتأثر بين الثقافات؟ وما هي بنية المخطط الأمريكي لمحو الثقافة العربية لصالح سيادة الثقافة الأمريكية؟ وهل من سبل لمواجهة هذه التحديات؟ .. حول هذه التساؤلات وتلك المخاوف استضافت القاهرة مؤتمر اتحاد الكتاب العرب في الفترة من 9 - 12 ديسمبر الماضي بمشاركة لفيف من الأدباء والشعراء والمفكرين العرب تحت عنوان "الثقافة العربية وأفاق المستقبل" متطرقاً لـ"كيفية مواجهة المخطط الأمريكي ضد الثقافة العربية"، وأيضاً العلاقة الجدلية بين المثقف العربي وبين السلطة والمجتمع.

محاولة للصمود

وأشار (فاروق حسني) وزير الثقافة المصري لدى افتتاحه المؤتمر إلى أن هذا التجمع هو إدراك لتأثير الثقافة في واقعنا، واستشراف لقدراتها في تعزيز أواصر التلاقي في مستقبل يرفع من شأن الثقافة كلغة لائقة لتفاهم الدول، آخذين في الاعتبار أن أي لقاء لجمع عربي معناه تحد لقوى تهدف إلى تفريقنا وتعمل على شرذمتنا.

ومن جانبه أكد (فاروق خورشيد) رئيس اتحاد كتاب مصر على أن هذا المؤتمر هو صورة من صور التحدي لأي قوى خارجية، وأن أي عدوان يقع على وطن من الأوطان العربية يعتبر تعدياً على الدول العربية جميعاً.

وطالب (علي فهمي خشيم) رئيس رابطة الكتاب الليبيين الأدباء والمثقفين العرب التكتل ضد أي تيار يأتي من الخارج، لأن ماضي العرب ماض جميل، وحاضرهم الآن يحمل معطيات خطيرة، ولذلك لابد من رفع الراية عالية ضد العيون الأجنبية المحدقة بنا، وهذه مسؤوليتنا جميعاً.

وأكد الدكتور (شوقي جلال) عضو اتحاد الكتاب المصري أن ما نسميه مخططاً أمريكيّاً ليس إلا مخطط لوضع بنية أساسية لما يسمى بالأنجلوساكسونية في منطقتنا العربية، ومضيفاً أننا كعرب تعاملنا مع أمريكا منذ استقلالنا من خلال منظور خاطيء، وتعامل الزعماء العرب من هذا المنطق، في حين أن أمريكا تنظر إلينا نظرة دونية بناء على ما قاله مفكروهم وأدباؤهم المتقدمون، حيث قال ألكسندر هاملتون في عام 1755م: إن الدول الصغيرة لا مكان لها، ويقصد بذلك الدول العربية، أما أوليفر ويلدن فيرى أن الحق يمتلكه الشعب القادر على قهر الشعوب.

ومن هنا فليس غريباً ما قاله فوكوياما: من أننا شعوب عشوائية، مؤكداً أن ما تفعله بنا أمريكا سببه الزعماء العرب.

إمبريالية صهيوأمريكية

ويؤكد (علي عقلة عرسان) أمين عام اتحاد الكتاب العرب على أننا في محنة سياسية تواجه في ظلها ثقافتنا تحديات كبيرة وخطيرة في الداخل والخارج لمعنى الوجود، وجوهر الثقافة وفعاليتها وقدرتها على التغيير والأداء والبناء في ظل احتلال صهيوني – أمريكي يتوسع في مساحات الأرض، والفكر، والإعلام منفذاً مرحلة في

سلسلة تستهدف أشمل وأعمق للسياسة الثقافية والجغرافية السياسية في المنطقة العربية، وأمامنا محنة الشعب الفلسطيني من قتل، ودمار، وحصار أسوار الحقد التاريخي، والعزل العنصري، ويهودية الدولة المحتلة، وما ينشأ عن ذلك من تقسيم وضم للأرض، وتهويد للقدس، وتناسل لمشاريع من رحم شريرة واحدة تهدف إلى تصفية المقاومة والانتفاضة، وحق العودة، وصمود الإرادة الشعبية في ظل (فرجة) مبكية، وأمامنا أيضا احتلال أمريكي صهيوني بريطاني للعراق يؤسس لتغيير وجهه العربي، ومسؤولياته القومية، وجعله مرتكز انطلاق للهيمنة والتدخل في الشؤون السياسية والثقافية والتربوية للبداية العربية والإسلامية، ويهدد منه دول محددة تنفيذاً لبرنامج تدخل معلن، ويقيم قواعد عسكرية في أرضه، ويفرض عليه ولاءً للاستعمار والصهيونية، وقطيعة مع أمته ودولها إذا كانت مع التحرير والمقاومة وإرادة العيش الحر خارج حدود التبعية ترفض ما ترمى إلى فرضه الولايات المتحدة الأمريكية وحليفها العضوي الكيان الصهيوني من شروط وحلول للصراع العربي الصهيوني وفق الرؤية الصهيونية على حساب العرب وحقوقهم التاريخية.

ويضيف عرسان أننا في مواجهة تهديد وحصار أمريكيين صهيونيين جديدين متوعدين لسورية، بدأ بالعدوان على عين الصاحب قرب دمشق، وإصدار ما يسمى بقانون محاسبة سورية على دعمها للمقاومة ضد الاحتلال التي يسميها العدو إرهاباً، ولعدم انصياعها للشروط والمطالب الأمريكية الصهيونية من جهة، وعلى موعد مع قانون أمريكي آخر لمحاسبة السعودية من جهة أخرى... والحبل على الجرار، ولا نرى نهاية لتلك المطالب الشريرة الصادرة من مركز الشر في العالم إلا في فرض تبعية وهيمنة شاملتين على أمتنا، والقضاء على معوقات السيادة، والاستقلال، والانتماء القومي، والهوية العربية والشخصية الثقافية، ومنظومات القيم الدينية وهذا ما لا يمكن قبوله أننا نتابع الخطط والبرامج العدوانية التي توضع لتدمير منظومات قيمنا، ومقومات هويتنا بذرائع شتى، ونعرف حجم المال الموظف، والطاقات البشرية المستقطبة والمستخدمة لتحقيق ذلك، ونرى ما ينصب على الثقافة العربية والمقومات الرئيسة للهوية والشخصية من تشويه واتهام ومحاولات تخريب.

يريدوننا مستسلمين

ويؤكد أمين اتحاد الكتاب أن مشكلتنا في عدو اليوم المنقض علينا (بعته) القوة أنه يدعى الحضارة ويتهمنا بالعداء لها، وأنه لا يحاورنا وإنما يملي علينا شروطاً، ويريد أن يمحونا ليعيد تكويننا على شاكلته، وأننا بنظره لا يجوز لنا أن نرفض منة الاستعمار و(الشراكة) التي يقدمها لنا، وليس لنا سوى الخضوع لشروطه، والتنازل عن مقومات وجودنا وهويتنا وشخصيتنا الثقافية ومصالحنا، وعندنا نرفض أن نفعل ذلك يرشقنا مباشرة بالصواريخ، ويهددنا بالإبادة انطلاقاً من قواعد سقيمة يضعها يزدريها العقل وتزري بالعقل مثل: (من ليس معنا فهو ضدنا)، ومن لا يخضع لإرادتنا سوف نحرره من نفسه بالتبعية والموت.. هذا هو منطق الرئيس الأمريكي جورج بوش وحليفه (رجل السلام) أرئيل شارون.

المثقف والسلطة والمجتمع

وعن العلاقة بين المثقف والمجتمع (السلطة) قال الكاتب والناقد (فاروق عبد الله) عضو اتحاد الكتاب المصري: إن العدل المطلق غير كائن على وجه الأرض؛ لذا فإن هناك دائماً فجوات داخل المنظومة التشريعية داخل الدولة ذاتها تتسع وتضيق طبقاً للمصلحة التي تحميها، وأوضح مثالاً على ذلك هو الكم الهائل من القوانيين التي تلغيها المحكمة الدستورية في مصر لمخالفتها للدستور حتى أن قانوناً مثل قانون الأحوال الشخصية قد ألغى عدة مرات بسبب مخالفته للشريعة والدستور، وقانون الجمعيات والمؤسسات الخاصة الذي ألغي عقب شهور قليلة من إصداره لمخالفته لبعض قواعد الدستور، كل تلك الأحكام هي من مفاخر ومآثر المحكمة الدستورية العليا في مصر التي وقفت وتقف في وجه السلطة لتنهاها عما ارتكبته من هفوات وزلات، ولتعلن بوضوح أن لا أحد يعلو على الدستور، ويوضح (فاروق عبد الله) تباين القانون في معاملته للأدباء، وتفاوته في شدته أو سخائه تبعاً لاقتراب الأديب من السلطة أو ابتعاده عنها؛ فإذا ما اقترب أغدقت بحسناتها عليه، وأغمضت عينيها عن سيئاته، أما إذا ابتعد فالويل والثبور وعظائم الأمور، بل لقد تمادت فئة المقربين في أحيان كثيرة فدافعت عن السلطة ظالمة أو مظلومة حتى أصبحت أحد أطرافها الطويلة التي تؤدب بها المارقين والمبعدين، وتطالب السلطات بعقابهم وتشريدهم، وتسفيههم لما يكتبون، وأقاموا من أنفسهم حراساً على الأبواب حتى إنهم

لا دخلوا ولا تركوا الآخرين يدخلون، بل زايدوا على السلطة ذاتها فأصبحوا (ملكيين أكثر من الملك).

كبت الحريات

ويؤكد (فاروق عبد الله) أن دساتيرنا زينت عباراتها بالدرر التي تمجد حرية الرأي والفكر والإبداع، وردت كمثال في المواد 47 و48 و49 من الدستور المصري التي تنص على كفالة الدولة لحرية التعبير؛ بينما نجد قانون العقوبات المصري قد أفرد باباً كاملاً من أبوابه وهو الباب الرابع عشر من الكتاب الثاني فصل بعنوان (الجنح التي تقع بواسطة الصحف وغيرها) ثلاثون مادة من رقم (171) حتى رقم (201) كلها وضعت في عهود سحيقة سبقت صدور الدستور الحالي احتوت تلك المواد على كل ما يمكن أن يقوله الإنسان من أقوال، أو يرتكبه من أفعال في تعبيره عن رأيه يمكن لها إذا ما توسعنا في تفسيراتها أن توقعنا تحت طائلة قانون العقاب، من بين تلك المحرمات (التحريض) على قلب نظام الحكم, وترويج المذاهب الهدامة، والكتابة أو الصور المنافية للآداب) وغيرها، الكثير وأخطر ما في هذه النصوص عدم دقة تحديد مفاهيمها؛ فغير واضح حتى الآن مفهوم الآداب العامة أو المذاهب الهدامة، أو الإساءة إلى السلطات فكلها قد اختلف فيها الفقهاء، وتباينت تبعاً لذلك أحكام القضاء بشأن المسألة الواحدة، فنجد بعض المحاكم تشدد العقوبة، وبعضها يحكم بالبراءة، وكل حسب فهمه وتقديره لمعنى النصوص الغامضة، لذا فقد ارتفعت الأصوات في الآونة الأخيرة في محاولة لإلغائها، أو على الأقل حصر نطاقها بتحديد مفهومها الذي سوف يبقى ويظل كامناً في ضمير القاضي كما قد استقر المعنى في بطن الشاعر.

ولسنا هنا في مجال المفاضلة ما بين النظم التشريعية المختلفة لدولنا العربية التي تتوجس خيفة من الكلمة فتحيطها بالسلاسل والقيود؛ فتلك مهمة نتركها لأصحابها لكننا نضرب لها الأمثال لنلفت من خلالها أنظار كتابنا العرب للمزيد من الترابط والتلاحم فيما بينهم واتفاقهم على كلمة سواء تضمن لهم قدراً ملائماً من حرية الحركة والتعبير دون شطط أو جموح، ولن يأتي ذلك إلا من خلال اتحاداتهم وتنظيماتهم النقابية التي ينبغي لها أن تتمتع بقدر عالٍ من الحرية والاستقلال عن السلطة

لتتمكن من أداء رسالتها في حماية أفرادها على الوجه الأكمل احتراماً للشرعية، وتطبيقاً للقانون والدستور.

ضمير المثقف وعدوانية السلطة

أما الكاتب السوري (سهيل عروسي) فيرى أن الظروف التي تمر بها الأمة العربية، وسيادة مفهوم الدولة القطرية؛ تجعلنا لا نطلب من المثقف العربي أن يكون خارج تلك الظروف ومفاهيمها، بل عليه أن يندمج فيها من أجل تفكيكها من داخل منظومتها (وإن كان هناك من دعا إلى الطلاق البائن بينونة كبرى بين المثقف والسياسي... وهناك أيضاً من طالب أن تبقى الواو قائمة بين المثقف والسلطة).

ويؤكد العروسي أن المثقف إذا رفض طريق التبعية للسلطة فإنها تعتبره منافساً لها، فتسعى إلى محاربته بشتى الوسائل، وفي عصر الإعلام لجأت السلطة إلى جر الثقافة إلى حقل الإعلام بغية القضاء على الثقافة كحامل الأيدولوجيا المعارضة والجماهير عن طريق تفكيك عناصرها وشرذمتها وتوزيعها الإعلامي، وهناك إجماع على أن المثقفين (يشعرون بالخط المزدوج من الإعلام المحلي الذي لا يلبي الطموح ومن الإعلام العالمي إعلام التوجيه والتسلط الذي يقوم على الثقافة المضادة، ويريد تدجين الشعوب وإعاقة تقدمها.

لقد خصصت ميزانية الإعلام الأمريكي (23) مليار دولار للسيطرة على هؤلاء الذين رفضوا الأفكار المطروحة للنظام العالمي الجديد؛ فهل ينجح هؤلاء في إحكام السيطرة على العالم وشعوبه، أم يستفيق العالم من غفوته، وتقف أنظمته الوطنية في مواجهة الغزو؟.

ثورة ضد الغزو

ويختتم العروسي حديثة قائلاً: إن بعض الدراسات تتنبأ بثورة ضد الغزو يشارك فيها كل المثقفين لكن ذلك يتطلب في أبسط متطلباته موقفاً دفاعيّاً شعبيّاً، وموقفاً وطنيّاً تعمل فيه السلطات على دعم الثقافة والإعلام والاقتصاد، وهذا لن يتحقق إلا بتكامل سلطة وثقافة السلطة تكاملاً عضويّاً وبما يؤدي إلى رفاهية المجتمع، وتحقيق العدل والمساواة.

ويوضح الأديب الأردني (يوسف ضمرة) عضو رابطة الكتاب الأردنيين أننا لا نستطيع الحديث عن إصلاح السياسات الثقافية لتصحيح العلاقة بين المبدع والسلطة في ظل استمرار سياسة عامة تعمل على تحديد الحريات وتعريفها، وتسويق مفهومها باعتباره مفهوما أزليّاً وأبديّاً ثابتاً.

ولا نستطيع أيضاً الحديث عن علاقة صحية بين المبدع والسلطة في ظل تعارض لا مفر منه بين رؤية مادية ضيقة للحياة تتكىء على رؤية سابقة، وبين رؤية أكثر شمولاً وإنسانية.

ولا نستطيع الحديث فيما ينبغي له أن يكون في الوقت الذي ندرك أن كل ما في الدولة هو ملك للسلطة بأشكالها المتعددة، وأن المؤسسة الأمنية في الوطن العربي مازالت صاحبة اليد الطولى وذات القرار فيما هو نافع أو ضار.

ويؤكد (يوسف ضمرة) على أن العلاقة بين المبدع العربي والسلطة ستظل علاقة متوترة قائمة على الحذر والتربص على الرغم ما قد يبدو أحياناً من تحديث في السياسات الثقافية فهو تحديث لا يعدو كونه تعبيراً عن احتقانات سياسية واقتصادية تبرز بين حين وآخر.

وينهي ضمرة كلامه متسائلاً: إلى أي مدى يمكن للمبدع العربي الاستفادة من هامش الحرية الذي يضيق ويتسع تبعاً لرؤية السلطة واحتياجاتها؟ والى أي حد يستطيع المبدع العربي أن يؤثر في حجم هذا الهامش؟؟.

بتصـــــــــــــــــــــــــرف يســـــــــــــــــــــــــير : http://www.islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm?c 3422&artid=35atid=

=============

#تسويق التبعية

أحمد الصويان

تضطرب البيئة المعاصرة بطوفان متعدد الأطياف من التيارات الفكرية، وهذا الاضطراب ناتج في كثير من الأحيان عن صراع فكري واجتماعي متعدد الجبهات

في البلاد الغربية، تمتد انعكاساته في البيئة العربية والإسلامية، فترى ألواناً من التخبط والخلط الفكري الذي بلغ مداه في العقد الأخير.

ومع كثرة الهزائم والنكسات السياسية والحضارية التي تشهدها البلاد الإسلامية ازداد التخبط والاضطراب، وتكاثر المتهوكون في أودية الباطل.. أولئك المنهزمون الذين لم يجدوا سبيلاً لرفع رؤوسهم إلا بالتقليد المطلق لكل ما غربي؛ فهو المحور الذي يدورون في رحاه، واستعلوا بانهزاميتهم، وتطاولوا بسقوطهم، وعدُّوا ذلك باباً من أبواب التزيّن يتبخترون به على غيرهم..!

قال الله – تعالى –: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الأعراف: 175 176].

إننا نرى آثار هذه الانهزامية هشيماً يسري في أغلوطات فكرية وإعلامية مستمرة، ويتطاير شررها في الحاضر والبادي، وضجت الصحافة العلمانية والقنوات الفضائية بثرثرة مملَّة، فيها كل شيء ما عدا الكلام العلمي الذي يبني العقل ويربي الخلق..!

من آخر الأمثلة الصارخة على ذلك: موقف هؤلاء المنهزمين إزاء القانون الفرنسي الفج من الحجاب الإسلامي؛ حيث تسابقوا على تسويقه والتماس المعاذير له بتملق وتكلف لا يخفى، وأسرف بعضهم في الهجوم على الحجاب والقيم الإسلامية، ونعى على المسلمين بسخرية وشماتة تخلفهم ومتاجرتهم ب (فقه الآخرة!)، وبتعلقهم بتلك التوافه الشكلية التي تقيد الحركة وتنتهك الحقوق، في الوقت الذي تقدمت فيه المرأة الفرنسية، وبلغت قمة السمو الحضاري بزعمه، بل إن بعضهم راح يؤكد بكل أنواع التأكيد سلامة النهج العلماني، وأنَّه هو الخيار الأمثل أو هو الوحيد الذي سوف يضع أمتنا في مدارج التحضر والتقدم الإنساني..! وصدق المولى – جل وعلا –: {فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج: 46].

والطريف في الأمر أن وزير الخارجية الفرنسي قام بزيارة إلى دول الخليج وبعض البلاد العربية لشرح موقف بلاده، ونسي أن بعض هؤلاء المتساقطين من بني جلدتنا ربما كانوا أكثر حماساً وتشنجاً في الدفاع عن كل ما هو غربي، وتزيينه بكل أنواع

الزينة المصطنعة، إنها بكل وضوح عقدة الانكسار والهزيمة التي تطغى على العقل، وتجعله كالإمَّعة الوضيع، وتحوطه بالمهانة والصغار، وصدق المولى – جل وعلا – : {وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ} [الأعراف: 202].

ولهذا ليس عجيباً أننا بدأنا نقرأ ونسمع في بلادنا العربية من أثنى على فتوى شيخ الأزهر، وطار بها فرحاً، بل والأخطر من ذلك من يريد تعميم هذه الفتوى على الواقع الإسلامي لتشابه الظروف والدواعي التي من أجلها صدرت الفتوى. وكل ذلك ليس حباً في الأزهر أو انتظاراً لرأيه، ولكن لأنها وافقت هوى استقر في نفوسهم..!!

إنَّ المأزق الذي يتساقط فيه هؤلاء يوماً بعد يوم أنهم لا يملكون مشروعاً حضارياً جاداً لنهضة الأمة كما يزعمون، وإنما غاية ما يملكونه أنهم يريدون أن يزجوا بالأمة في المستنقع الغربي الآسن، ليكون أبناؤها عبيداً يتمرغون تحت أعتابهم، ويجترون بكل بلاهة قيمهم المادية والاجتماعية، حلوها ومرها، خيرها وشرها، كما قال أحد أشياخهم منذ زمن ليس بالبعيد!

وحسبك أن تقرأ أطروحات ما يسمى بالاتجاه الليبرالي في منطقة الخليج بخصوص قضية المرأة مثلاً؛ فالحجاب الشرعي هو الحائل بزعمهم عن تسريع عجلة التنمية والنمو الاقتصادي، ومنع الاختلاط عندهم رمز من رموز البدائية والتخلف، جعل الأمة العربية في حضيض المجتمعات الإنسانية المعاصرة. والانتصار الكبير الذي ينتفشون به ويصفقون له عندما تتجرأ إحداهن بنزع حجابها متجاوزة حدود الشرع وقيم الأمة، وفي كل بلد تتكرر مسرحية سعد زغلول، وهدى شعراوي..!

والعجيب أنهم يريدون أن يقنعونا بأن التحديث والتطوير الذي يتطلع إليه جميع الناس قرين التغريب الثقافي والاجتماعي..!

إن النازلة القادمة التي تجددت الدعوة إليها بعد مبادرة (الشراكة الأمريكية الشرق أوسطية) التي أعلنها كولن باول وزير الخارجية الأمريكي هي: قضية المرأة وتغيير القيم الاجتماعية للأسرة التي قررها الشرع المطهر. وأحسب أن المسألة ليست مجرد معركة حجاب عابرة، أو دعوة للاختلاط بين الرجال والنساء فحسب، بل هي مقدمات حثيثة لإعادة صياغة جميع القيم الاجتماعية صياغة جديدة، تُمسخ فيها الهوية الإسلامية، وتنتزع فيها الكرامة الإنسانية، وتصبح فيها المرأة المسلمة مجرد ألعوبة

تافهة، ودمية هزيلة، يعبث بها رؤوس الفساد، ودعاة المنكر.

لست قلقاً من هؤلاء الصغار؛ لأن هذه المواقف المكشوفة تفضحهم عند الخاصة والعامة، وتميط اللثام عن انتكاسهم الفاضح، وتبرز بجلاء حقيقة شعاراتهم المتناقضة التي يتشدقون بها بكل صفاقة ومهانة. قال الله – تعالى –: {وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ} [محمد: 30].

نعم.. لست قلقاً من هؤلاء إذا ما وعى الدعاة والمصلحون طبيعة المعركة، وأدركوا أن الحق يُصرَع إذا أُخِذَ بتهاون وتثاقل.

ولكن ثمة حقيقة في غاية الأهمية، وهي أن العلماء والدعاة قصروا تقصيراً بيناً في الدعوة في أوساط النساء، وكان الخطاب الدعوي في مجمله خطاباً رتيباً مكرراً يفتقد للجاذبية والتجديد والإبداع، في الوقت الذي تصدَّر فيه المفسدون للتغريب ونشر الرذائل والعبث بالقيم، وفتنوا الناس في أخلاقهم وأعراضهم.

هذه حقيقة مهمة يجب أن نعيها؛ لأن ذلك سيقودنا بعون الله – تعالى – إلى إعداد رؤية شاملة للدعوة في الوسط النسائي، وتقديم البدائل العملية الجادة التي تحفظ للأمة كرامتها وعفتها.

وها هنا وقفة مهمة مع الأخوات الداعيات لتذكيرهن بواجبهن الشرعي في أخذ زمام المبادرة، والإقبال على الدعوة والتربية، والحرص على سعة الأفق، والبدء بالأولويات.

إن للمرأة الداعية طاقات كبيرة ومجالات عديدة لا يملكها الرجال، وتستطيع بإذن الله – تعالى – إن هي أقبلت على الدعوة وجدَّت في العمل أن تنجز إنجازات كبيرة، وتذبّ عن الأمة شروراً كثيرة.

ولئن كنا قد قصرنا في وقت مضى، فلا عذر لنا فيما يأتي. وردود الأفعال الآنية مهمة ولا بد منها، لكن لا يجوز أن نبقى هكذا عاجزين متواكلين، بل يجب أن نبادر بأطروحات مستبصرة، نستشرف فيها أبعاد المرحلة وتبعاتها. قال الله – تعالى –: {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ} [الرعد: 17].

المصدر: http://www.albayanmagazine.com

============

#منتدى اقتصادي أم منتدى .... !!

أحمد الغامدي

لا يزال أعداء الدين وخصوم الملة من أعداء الفضيلة وأنصار الرذيلة يقتنصون الفرصة تلو الفرصة لإفساد المجتمع، ونشر الانحلال، والهجوم على الحجاب رمز عفاف المرأة المسلمة، وسلاحها ضد أمواج الفساد، ذلك السلاح الذي أمر الله به نساء النبي؛ أشرف النساء وأطهرهن وأعفهن يحتجبن عن أشرف الرجال وأطهرهم وأعفهم، ومع ذلك يستغل أعداء الفضيلة كل فرصة تسنح لهم لإبراز ما في قلوبهم من عداء لهذا الدين ولأهله، وإبراز وإظهار النفاق الذي يبطنونه في قلوبهم، فلم يعد يقنعهم خروج المرأة بالعباءة على كتفيها ولا بالعباءة المزركشة المزينة بل ولا العباءة المخصرة فهذه كلها خطوات يودون من ورائها الوصول إلى هدفهم، ولم تعد تعجبهم ولا تقنعهم، فاستغلوا الفرصة في منتداهم الاقتصادي – زعموا – فخرجت فيه شرذمة من " الفاسقات " مظهرين لمفاتنهن بدعوى المشاركة في النهوض الاقتصادي، وإن كل مسلم غيور ليتسآل ما هي العلاقة بين الاقتصاد والحجاب؟!! ما هي العلاقة بين الاقتصاد وإظهار عدد من المفتونات على الصفحات الأولى للجرائد؟ ما هي العلاقة بين هذا وهذا؟!! لِمَ يتم إظهار النساء المشاركات في ذلك المنتدى الاقتصادي بتلك الطريقة على الصفحات الأولى، ولم يتم إظهار الرجال المشاركين أيضاً في نفس المنتدى بتلك الطريقة؟!! ثم إن هناك عدداً من الشابات شاركن في ذلك المؤتمر بينما في الرجال لم يشارك إلا الكهول، فلا أظن أن هناك مشاركاً يقل عمره عن الأربعين من الرجال في ذلك المؤتمر!! فما هذه المفارقات العجيبة؟! أيعقل أن أولئك الشابات جئن فعلاً للإدلاء في الاقتصاد أم أن الهدف هدف آخر بعيد عن هذا كل البعد؟!!

ثم أي شرع هذا الذي يبيح للمرأة أن تخرج متزينة متعطرة كاشفة عن مفاتنها أمام الرجال الأجانب بدعوى المشاركات الاقتصادية، إن الإسلام لا يحرم أبداً على المرأة استثمار أموالها، ولم يحرم عليها المتاجرة الحلال، فهذه خديجة – رضي الله تعالى– عنها كانت تتاجر بأموالها بل إن تجارتها كانت تفوق تجارة كثير من الرجال، بل ولم

يحرم عليها المساهمة في نهضة المجتمع وتقدمه، ولكن ذلك كله تحت الانضباط بالضوابط الشرعية، فلم يبح الشرع للمرأة أن تظهر بلا حجاب بل وبكامل زينتها مدعية المشاركة في الاقتصاد، إنها سياسات تحللية من قيم الدين وأخلاقه، وإفساد للمجتمع، ونشر للفاحشة، وقد توعد الله تعالى أولئك جميعاً بقوله: ((إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ...)) وتتعجب من الكلام الذي طرح بعد ذلك المؤتمر، فمن قائل: لقد أثبتت المرأة وجودها، وآخر لقد أثبتت المرأة عندنا أنها جديرة بالثقة وتحمل المسؤولية، ولنا أن نتساءل: هل إثبات وجودها بتعريها وانسلاخها من حجابها؟ هل جدارتها بالثقة هي بثورتها على حجابها ((كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً))، يتلاعبون بالعبارات والألفاظ، وكما أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – أن في آخر الزمان أقوام يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها، فهؤلاء يسمون التحلل والرذيلة بغير اسمها، إنها كلمات تدل على ما يحمل أولئك في بواطنهم من حقد على عفاف المرأة في مجتمعنا، وتحصنها بحجابها عن أعين الذئاب المترصدة لها، كلمات تخرج ما في نفوسهم من الرغبة في العبث بها، إن جعجعة أولئك لا تمثل المجتمع بل إن أولئك لا يمثلون إلا أنفسهم المريضة، ولكن لا يصح أبداً أن يرتفع صوت الباطل، بل لابد أن يدمغه الحق، فالواجب على كل منا أن ينكر بما يستطيع ولو بالكلمة، وأن نجتمع على كلمة سواء ضد الرذيلة والفساد

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً ***وإذا افترقن تكسرن آحاداً

والله غالب على أمره، وهو ولي المؤمنين، اللهم من أراد ببنات المسلمين سوءاً اللهم فاشغله بنفسه، ورد كيده في نحره، اللهم اكشف بواره، وافضح عواره، واجعل الدائرة عليه.. والله أعلم.

المصدر : http://www.islamselect.com

===========–

#الطريق إلى الولد الصالح

وحيد عبد السلام بالي

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد فإنه لا مخرج لنا من الأزمة التي نحن فيها إلا بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قولاً وعملاً وتطبيقاً، وتحكيم الكتاب والسنة في كل أمورنا صغيرها كبيرها، عظيمها وحقيرها، ثم تنشئة أولادنا على ذلك، وغرس حب الله والرسول في قلوبهم، وتعويدهم منذ الصغر على التضحية من أجل هذا الدين، والعمل لرفعة هذا الدين وبذل الغالي والرخيص في سبيل إعلاء هذا الدين، وقتها سيعود جيل خالد بن الوليد، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، ووقتها سيسود المسلمون العالم كما ساده أجدادهم من قبل: {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ} [الروم: 4، 5].

من أجل ذلك كتبت هذه الكلمات سائلاً المولى – تبارك وتعالى – أن ينفع بها في حياتي وبعد مماتي إنه أكرم مسؤول، وصلى اللهم وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الولد الصالح هو خير كنز يتركه المسلم من بعده، فهو نافع لأبويه في حياتهما وبعد موتهما، ولذلك يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)).

بل إن الذرية الصالحة يجمع شملها من آبائها الصالحين في الجنة {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ} [الطور: 21]، فعلى المسلم أن يأخذ بالأسباب لنيل الولد الصالح وهذه الأسباب نجملها فيما يأتي:

1 – اختيار الأم:

على المسلم أن يختار لأبنائه الأم المسلمة التي تعرف حق ربها، وحق زوجها، وحق ولدها، والأم التي تعرف رسالتها في الحياة، الأم التي تعرف موقعها في هذه المحن، الأم التي تغار على دينها، وعلى سنة نبيها – صلى الله عليه وسلم –.

وذلك لأن الأم هي المصنع الذي سيصنع فيه أبناؤك، وهي المدرسة التي سيتخرجون منها؛ فإن كانت صالحة أرضعتهم الصلاح والتقوى، وإن كانت غير ذلك فكذلك.

وصدق الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

الأم روض إن تعهده الحيا بالري أورق أيما إيراق

الأم أستاذة الأساتذة الألى شغلت مآثرهم مدى الآفاق

وهذه نماذج تخرجت من مدرسة الأم:

يقول محمد المقدم:

لا تكاد تقف على عظيم ممن راضوا شمس الدهر، وذلت لهم نواصي الحادثات، إلا وهو ينزع بعرقه وخلقه إلى أم عظيمة، كيف لا يكون ذلك والأم المسلمة قد اجتمع لها من وسائل التربية ما لم يجتمع لأخرى ممن سواها؟ مما جعلها أعرف خلق الله بتكوين الرجال، والتأثير فيهم، والنفاذ إلى قلوبهم، وتثبيت دعائم الخلق العظيم بين جوانحهم وفي مسارب دمائهم.

* فالزبير بن العوام:

قامت بأمره أمه صفية بنت عبد المطلب فنشأ على طبعها وسجيتها.

والكملة العظماء عبد الله والمنذر وعروة أبناء الزبير ثمرات أمهم أسماء بنت أبي بكر، وما منهم إلا له الأثر الخالد والمقام المحمود.

* وعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه – تنقل في تربيته بين صدرين من أملأ صدور العالمين حكمة، وأحفلها بجلال الخلال، فكان مغداه على أمة فاطمة بنت أسد، ومراحه على خديجة بنت خويلد زوج رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

* وعبد الله بن جعفر سيد أجواد العرب، وأنبل فتيانهم تركه أبوه صغيراً، فتعاهدته أمه أسماء بنت عميس ولها من الفضل والنبل مالها.

* معاوية بن أبي سفيان أريب العرب وألمعيها ورث عن هند بنت عتبة ما لم يرث عن أبي سفيان، وهي القائلة – وقد قيل لها ومعاوية وليد بين يديها: "إن عاش معاوية ساد قومه " – ((ثكلته إن لم يسد إلا قومه "، وكان معاوية – رضي الله عنه

– إذا نوزع الفخر بالمقدرة، وجوذب بالمباهاة بالرأي انتسب إلى أمه فصدع أسماع خصمه بقوله: (أنا ابن هند).

* وأبو حفص عمر بن عبد العزيز أورع الملوك وأعدلهم وأجلهم، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، أكمل أهل دهرها كمالاً، وأكرمهن خلالاً، وأمها تلك التي اتخذها عمر لابنه عاصم وليس لها ما تعتز به من حسب ونسب إلا ما جرى على لسانها قول الصدق في نصيحتها لأمها وهي التي نزعت به إلى خلائق جده الفاروق.

* وأمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر الذي ولى الأندلس وهي ولاية تميد بالفتن، وتشرق بالدماء، فما لبثت أن قرت له وسنت لخشيته، ثم خرج في طليعة جنده، فافتتح حصناً في غزوة واحدة.

ثم أمعن بعد ذلك في قلب فرنسا، وتغلغل في أحساء سويسرا، وضم أطراف إيطاليا، حتى ريض كل أولئك له، ورجف لبأسه، وبعد أن كانت قرطبة دار إمارة يذكر الخليفة العباسي على منابرها، وتمضي باسمه أحكامها، أصبحت مقر خلافة يحتكم إليها عواهل أوربا وملوكها، ويختلف إلى معاهدها علماء الأمم وفلاسفتها.

أتدرى ما سر هذه العظمة، وما مهبط وحيها؟

إنها المرأة وحدها، فقد نشأ عبد الرحمن يتيماً قتل عمه أباه فتفردت أمه بتربيته وإيداع سر الكمال وروح السمو في ذات نفسه، فكان من أمره ما علمت.

* وسفيان الثوري، وما أدراك ما سفيان الثوري؟! إنه فقيه العرب ومحدثهم، وأحد أصحاب المذاهب الستة المتبوعة، إنه أمير المؤمنين في الحديث الذي قال فيه زائدة: (الثوري سيد المسلمين)، وقال الأوزاعي: (لم يبق من تجتمع عليه الأمة بالرضا إلا سفيان).

وما كان ذلك الإمام الجليل، والعلم الشامخ، إلا ثمرة أم صالحة، حفظ التاريخ لنا مآثرها وفضائلها ومكانتها وإن كان ضن علينا باعها، روى الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل – رحمه الله – بسنده عن وكيع قال: (قالت أم سفيان لسفيان: يا بني أطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي)، فكانت – رحمها الله – تعمل وتقدم له ليتفرغ للعلم، وكانت تتخوله بالموعظة والنصيحة، قالت له ذات مرة فيما يرويه الإمام أحمد أيضاً: (يا

بني إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقارك؟ فإن لم تر ذلك، فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك)، فهل ترى من غرابة بعد هذا أن نرى سفيان يتبوأ منصب الإمامة في الدين، كيف وهو قد ترعرع في كنف مثل هذه الأم الرحيمة، وتغذى بلبان تلك الأم الناصحة التقية؟!

* والإمام الثقة الثبت إمام أهل الشام وفقههم أبو عمرو الأوزاعي الذي يقول فيه أبو إسحاق الفزاري: (ما رأيت مثل رجلين: الأوزاعي، والثوري فأما الأوزاعي فكان رجل عامة والثوري كان رجل خاصة، ولو خيرت لهذه الأمة، لاخترت لها الأوزاعي، لأنه كان أكثر توسعاً، وكان والله إماماً).

قال النووي – رحمه الله –: (وقد أجمع العلماء على إمامة الأوزاعي وجلالته وعلو مرتبته، وكمال فضله، وأقاويل السلف – رحمهم الله – كثيرة مشهورة مصرحة بورعه وزهده وعبادته وقيامه بالحق وكثرة حديثه، وغزارة فقهه، وشدة تمسكه بالسنة، وبراعته في الفصاحة –، وإجلال أعيان أئمة عصره من الأقطار له واعترافهم بمرتبته)، ذلك الحبر البحر كان أيضاً ثمرة أم عظيمة:

قال الذهبي: قال الوليد بن مزيد البيروتي: ولد الأوزاعي ببعلبك، وربى يتيماً فقيراً في حجر أمه، تعجز الملوك أن تؤدب أولادها أدبه في نفسه، ما سمعت منه كلمة فاضلة إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه، ولا رأيته ضاحكاً يقهقه، ولقد كان إذا أخذ في ذكر المعاد أقول: تُرى في المجلس قلب لم يبك؟!

وهذه أم (ربيعة الرأي) شيخ الإمام مالك أنفقت على تعليم ولدها ثلاثين ألف دينار خلفها زوجها عندها، وخرج إلى الغزو، ولم يعد لها إلا بعد أن استكمل ولده الرجولة والمشيخة، وكانت أمه قد اشترتهما له بمال الرجل، فأحمد الرجل صنيعها، وأربح تجارتها في قصة ساقها ابن خلكان قال:

وكان فروخ أبو ربيعة خرج في البعوث إلى خراسان أيام بنى أمية، وربيعة حمل في بطن أمه، وخلف عند زوجته (أم ربيعة) ثلاثين ألف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة، وهو راكب فرساً، وفي يده رمح، فنزل ودفع الباب برمحه، فخرج ربيعة وقال: يا عدو الله أتهجم على منزلي؟

فقال فروخ: يا عدو الله أنت دخلت على حرمي فتواثبا حتى اجتمع الجيران، وبلغ مالك بن أنس فأتوا يعينون ربيعة، وكثر الضجيج، وكل منهما يقول: لا فارقتك، فلما بصروا بمالك سكتوا، فقال مالك: أيها الشيخ لك سعة في غير هذه الدار، فقال الشيخ: هي داري، وأنا فروخ، فسمعت امرأته كلامه، فخرجت وقالت: هذا زوجي وهذا ابني الذي خلفه وأنا حامل به، فاعتنقا جميعاً وبكيا، ودخل فروخ المنزل، وقال: هذا ابني؟ فقالت: نعم. قال: أخرجي المال الذي عندك. قالت: تعرض: قد دفنته وأنا أخرجه، ثم خرج ربيعة إلى المسجد، وجلس في حلقته – فأتاه مالك والحسن، وأشراف أهل المدينة، وأحدق الناس به.

فقالت أمه لزوجها فروخ: اخرج فصل في مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فخرج، فنظر إلى حلقة وافرة، فأتاها فوقف عليها، فنكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره، وعليه قلنسوة طويلة، فشك أبوه فيه، فقال: من هذا الرجل فقيل: هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن.

فقال لقد رفع الله ابني، ورجع إلى منزله، وقال لوالدته: لقد رأيت ولدك على حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقه عليها.

فقالت أمه: فأيهما أحب إليك.. ثلاثون ألف دينار أم هذا الذي هو فيه؟

فقال: لا والله بل هذا.

فقالت: أنفقت المال كله عليه.

قال: فوالله ما ضيعتيه. أ هـ.

هذه هي الأم المسلمة التي جلست في بيتها، وأنتجت لنا أعظم ثروة، صنعت الرجال العظماء الذين قادوا البشرية إلى الخير والرشاد.

2 – الدعاء:

على المسلم أن يدعو الله أن يرزقه الولد الصالح الذي ينفعه في حياته وبعد مماته والله – عز وجل – يقول: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [البقرة: 186]، وقال – سبحانه وتعالى – في وصف عباد الرحمن {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً} [الفرقان –: 74].

3 – أذكار البناء:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "إذا تزوج أحدكم امرأة، أو اشترى خادماً، فليقل: اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه – وإذا اشترى بعيراً، فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك ".

4 – أذكار الجماع:

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضى بينهما ولد، لم يضره الشيطان أبداً".

5 – التأذين في أذن المولود:

يستحب التأذين في أذن المولود عند ولادته وذلك لعدة أمور:

1 – لفعل النبي – صلى الله عليه وسلم –: فقد قال أبو رافع – رضي الله عنه –: رأيت النبي – صلى الله عليه وسلم – أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة – رضي الله عنها – بالصلاة.

2 – لكي يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلمات التوحيد وشعار الإسلام.

3 – وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثره به، وإن لم يشعر.

4 – هروب الشيطان من كلمات الأذان، لأن الشيطان يترصده عند ولادته.

5 – فيه معنى من معاني انتصار الإنسان على الشيطان.

6 – فيه إشارة إلى أن وظيفة المسلم في الحياة هي الدعوة إلى الله {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} [آل عمران: 110].

6 – تحنيك المولود:

يستحب تحنيك المولود عقب الولادة اقتداء بالنبي – صلى الله عليه وسلم –، ولكن ما التحنيك؟ وما الحكمة من ذلك؟

التحنيك معناه (مضغ التمرة ودلك حنك المولود بها وذلك بوضع جزء من الممضوغ على الإصبع، وإدخال الإصبع في فم المولود، ثم تحريكه يميناً وشمالاً بحركة لطيفة،

حتى يتبلغ الفم كله بالمادة الممضوغة، وإن لم يتيسر التمر فليكن التحنيك بأية مادة حلوة).

ولعل الحكمة في ذلك تقوية عضلات الفم بحركة اللسان مع الحنك مع الفكين بالتلميظ، حتى يتهيأ المولود للقم الثدي، وامتصاص اللبن بشكل قوي، وحالة طبيعية، ومن الأفضل أن يقوم بعملية التحنيك من يتصف بالتقوى و الصلاح.

عن أبي موسى – رضي الله عنه – قال: ولد لي غلام فأتيت به النبي – صلى الله عليه وسلم – فسماه إبراهيم، وحنكه بتمرة ودعا له بالبركة، ودفعه إلي.

وقالت عائشة – رضي الله عنها –: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يؤتى بالصبيان فيدعو لهم بالبركة ويحنكهم.

7 – اختيار الاسم الحسن:

على المسلم أن ينتقى من الأسماء أحسنها وأجملها، تنفيذاً لما أرشد إليه، وحض عليه المصطفى – صلى الله عليه وسلم –، فعن أبي الدرداء – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم ".

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "إن أحب أسمائكم إلى الله – عز وجل – عبد الله وعبد الرحمن".

8 – العقيقة:

عن سلمان بن عامر الضبي قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "مع الغلام عقيقة، فأهريقوا عنه دماً، وأميطوا عنه الأذى".

وعن أم كرز – رضي الله عنها – أنها سألت النبي – صلى الله عليه وسلم – عن العقيقة فقال: "عن الغلام شاتان وعن الجارية شاة واحدة".

9 – التربية الإسلامية المتكاملة:

على الآباء والأمهات أن يعلموا أن أمر التربية ليس بالأمر اليسير، وإنما هو المحرك الأساسي لسلوك الولد فيما بعد، ولذا كان يجب على المربين سواء كانوا آباء أو أمهات أو معلمين أن يهتموا بأمر التربية ويتقنوا أصولها، ولقد كان المسلمون الأوائل

ينتقون لأولادهم أفضل المؤدبين علماً وأحسنهم خلقاً، وأميزهم أسلوباً وطريقة: وإليك طرفاً من أخبارهم.

* روى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان لما دفع ولده إلى المؤدب قال له: (ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بني إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، وعلمهم سير الحكماء، وأخلاق الأدباء، وتهددهم بي، وأدبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء ولا تتكلن على عذر مني، فإني اتكلت على كفاية منك.

* وروى ابن خلدون في مقدمته أن هارون الرشيد لما دفع ولده الأمين إلى المؤدب قال له: (يا أحمد: إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعتك له واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروه الأشعار وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة).

* وقال عبد الملك بن مروان ينصح مؤدب ولده؟ (علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، واحملهم على الأخلاق الجميلة، وروهم الشعر يشجعوا وينجدوا، وجالس بهم أشراف الرجال وأهل العلم منهم، وجنبهم السفلة والخدم فإنهم أسوأ الناس أدباً، ووقرهم في العلانية، وأنبهم في السر، واضربهم على الكذب، فإن الكذب يدعو إلى الفجور، وإن الفجور يدعو إلى النار).

* وقال الحجاج لمؤدب بنيه: (علمهم السباحة قبل الكتابة، فإنهم يجدون من يكتب عنهم، ولا يجدون من يسبح عنهم).

* وكتب عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لأهل الشام يقول لهم: (علموا أولادكم السباحة والرمي والفروسية).

* وقال أحد الحكماء لمعلم ولده: (لا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فإن اصطكاك العلم في السمع وازدحامه في الوهم مضلة للفهم).

*ومن وصية ابن سيناء في تربية الولد: (أن يكون مع الصبي في مكتبه صبية حسنة آدابهم، مرضية عاداتهم، لأن الصبي عن الصبى ألقن، وهو عنه آخذ، وبه آنس).

* قال هشام بن عبد الملك لسليمان الكلبي مؤدب ولده: (إن ابني هذا هو جلدة ما بين عيني، وقد وليتك تأديبه، فعليك بتقوى الله، وأد الأمانة، وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله ثم روه من الشعر أحسنه، ثم تخلل به في أحياء العرب، فخذ من صالح شعرهم، وبصره طرفاً من الحلال والحرام، والخطب والمغازي).

أصول التربية:

لابد للمربين من معرفة أصول التربية الإسلامية، والإلمام بجميع جوانبها حتى يقوموا بها خير قيام، ويعدوا لنا الجيل الذي يعود بالأمة المسلمة إلى سيرة الأسلاف الكرام الذين سادوا الأرض بعزة الإيمان، وهاكم أصولها:

أولاً: التربية الإيمانية:

المقصود بالتربية الإيمانية ربط الولد منذ تعلقه بأصول الإيمان، وتعويده منذ تفهمه أركان الإسلام وتعليمه من حين تمييزه مبادئ الشريعة الغراء.

تعليمه أصول الإيمان مثل:

الإيمان بالله – سبحانه –، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسل.

الإيمان بسؤال الملكين، وعذاب القبر، والبعث، والحساب، والجنة والنار، وسائر المغيبات وتعليمه أركان الإسلام مثل: الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج.

وتعليمه مبادئ الشريعة مثل: أقضية الإسلام، وأحكامه، وقوانينه، ونظمه وينتج عن ذلك عدة أمور:

أ – حب الله – تعالى –: وذلك بلفت نظر الطفل إلى نعم الله التي لا تعد ولا تحصى، فمثلاً: لو جلس الوالد مع ولده على الطعام فقال له: هل تعلم يا بني من أعطانا هذا الطعام؟ فيقول الولد: من يا أبتي؟ فيقول الأب: الله. فيقول الولد: كيف؟ فيقول الأب: لأن الله هو الذي رزقنا، ورزق الناس جميعاً، أو ليس هذا الإله بأحق أن تحبه يا ولدي، سيجيب الولد: نعم.

ولو مرض الولد مثلاً فيعوده الوالد على الدعاء يقول له: أدعو الله أن يشفيك لأنه هو الذي يملك الشفاء، ثم يحضر له الطبيب ويقول له: هذا الطبيب سبب فقط ولكن الشفاء من عند الله، فإذا قدر الله له الشفاء يقول: اشكر الله يا ولدي، ثم يبين له فضل الله فيحبه لأنه هو الذي أكرمه بالشفاء. وهكذا في كل مناسبة، وعند كل نعمة تربطها بالمنعم حتى يغرس حب الله و قلب الولد الصغير.

2 – حب الرسول – صلى الله عليه وسلم –: وذلك بتعليمه مواقف الرسول – صلى الله عليه وسلم – وشجاعته، ووفاءه، وحلمه، وكرمه، وصبره، وإخلاصه، وبهذا يحب الولد نبيه – صلى الله عليه وسلم –.

3 – مراقبة الله – تبارك و تعالى –: وذلك لأنه يعلم أن الله مطلع عليه في كل حركة وسكنه فسيراقبه، ويخشاه، ويخلص في عمله ابتغاء مرضاة الله.

4 – أحكام الحلال والحرام: وذلك لأن المربي سيبين له الحرام حتى يجتنبه، والحلال المباح كي يفعله، والآداب الإسلامية كي يمثلها، وخلاصة القول أن مسئولية التربية الإيمانية لدى المربين والآباء والأمهات هي مسئولية هامة وخطيرة لكونها منبع الفضائل، ومبعث الكمالات، بل هي الركيزة الأساسية لدخول الولد في حظيرة الإيمان، وبدون هذه التربية لا ينهض الولد بمسؤولية، ولا يتصف بأمانة، ولا يعرف غاية، ولا يتحقق بمعنى الإنسانية الفاضلة، ولا يعمل لمثل أعلى ولا هدف نبيل، بل يعيش عيشة البهائم ليس له هم سوى أن يسد جوعته، ويشبع غريزته، وينطلق وراء الشهوات والملذات، ويصاحب الأشقياء والمجرمين.

فعلى الأب أو المربي أن لا يترك فرصة سانحة تمر إلا وقد زود الولد بالبراهين التي تدل على الله، وبالإرشادات التي تثبت الإيمان، وبالصفات التي تقوي جانب العقيدة.

وهذا أسلوب فعال في ترسيخ العقيدة في نفوس الصغار، ولقد استعمله رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فها هو ينتهز فرصة ركوب عبد الله بن عباس خلفه على حمار فيقول له:(يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت

الصحف). وهاهو يرى غلاماً تطيش يده في الصحفة أثناء تناوله الطعام فيقول له: (يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك).

ثانياً: التربية الخلقية:

التربية الخلقية هي مجوعة المبادئ الخلقية، والفضائل السلوكية والوجدانية التي يجب أن يتلقنها الطفل ويكسبها ويعتاد عليها منذ تمييزه وتعقله إلى أن يصبح مكلفاً، إلى أن يتدرج شاباً، إلى أن يخوض الحياة.

ومما لاشك فيه أن الفضائل الخلقية والسلوكية والوجدانية هي ثمرة من ثمرات الإيمان الراسخ، والتنشئة الدينية الصحيحة.

والطفل منذ نعومة أظفاره حين ينشأ على الإيمان بالله، ويتربى على الخشية منه، والمراقبة له، والاعتماد عليه، والاستعانة به، والتسليم لجنابه فيما ينوب ويروع تصبح عنده الملكة الفطرية، والاستجابة الوجدانية لتقبل كل فضيلة ومكرمة، والاعتياد على كل خلق فاضل كريم.

لأن الوازع الديني الذي تأصل في ضميره، والمراقبة الإلهية، التي ترسخت في وجدانه، والمحاسبة النفسية التي سيطرت على تفكيره وإحساساته كل ذلك بات حائلاً بين الطفل وبين الصفات القبيحة، والعادات الآثمة المرذولة، والتقاليد الجاهلية الفاسدة، بل إقباله على الخير يصبح عادة من عاداته، وتعشقه المكارم والفضائل يصير خلقاً أصيلاً من أبرز أخلاقه وصفاته، والعكس تماماً حينما تكون التربية للطفل بعيدة عن العقيدة الإسلامية، مجردة من التوجيه الديني والصلة بالله – عز وجل –، فإن الطفل لاشك يترعرع على الفسوق والانحلال، وينشأ على الضلال والإلحاد، بل سيتبع نفسه هواها، ويسير خلف نوازع النفس الأمارة، ووساوس الشيطان وفقاً لمزاجه وأهوائه وأشواقه الهابطة.

الأخلاق الهابطة:

هناك عدة أخلاق منتشرة بين الأطفال لا يتم مراعاتها والتحذير منها وهي:

1 – خلق الكذب:

وهو خلق ذميم فواجب على الآباء والمربين أن يراقبوا أولادهم حتى لا يقعوا في ذلك الخلق الشنيع.

ويكفي الكذب تشنيعاً وتقبيحاً أن عده الإسلام من خصال النفاق فعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:"أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر".

2 – خلق السرقة:

وهو لا يقل خطراً عن الكذب، وهو منتشر في البيئات المتخلفة التي لم تتخلق بأخلاق الإسلام، ولم تترب على مبادئ التربية والإيمان، ومن المعلوم بداهة أن الطفل منذ نشأته إن لم ينشأ على مراقبة الله والخشية منه، وأن يتعود على الأمانة وأداء الحقوق، فإن الولد – لاشك – سيدرج على الغش والسرقة والخيانة، وأكل الأموال بغير حق، بل يكون شقياً مجرماً، يستجير منه المجتمع، ويستعيذ من سوء فعاله الناس، لهذا كان لزاماً على الآباء أن يغرسوا في نفوس أبنائهم عقيدة المراقبة لله، والخشية منه، وأن يعرفوهم بالنتائج الوخيمة التي تنجم عن السرقة، وتستفحل بسبب الغش والخيانة.

3 – خلق السباب والشتائم:

وهو خلق قبيح منتشر في محيط الأولاد خاصة من تربوا بعيداً عن هدى القرآن، والالتزام بالإسلام.

يقول عبد الله علوان: والسبب في انتشار ظاهرة السباب والشتائم بين الأولاد يعود إلى أمرين:

الأول: القدوة السيئة:

فالولد حينما يسمع من أبويه كلمات الفحش والسباب، وألفاظ الشتيمة والمنكر فإن الولد – لاشك – سيحاكي كلماتهم، ويتعود ترداد ألفاظهم، فلا يصدر منه في النهاية إلا كلام فاحش، ولا يتلفظ إلا بمنكر القول وزوره.

الثاني: الخلطة الفاسدة:

فالولد الذي يُلقى للشارع، ويُترك لقرناء السوء ورفقاء الفساد، فمن البديهي أن يتلقن منهم لغة اللعن.

لهذا كله وجب على الآباء والأمهات والمربين جميعاً أن يعطوا للأولاد القدوة الصالحة في حسن الخطاب، وتهذيب اللسان، وجمال اللفظ والتعبير، كما يجب عليهم أن يجنبوهم لعب الشارع، وصحبة الأشرار، وقرناء السوء – حتى لا يتأثروا من انحرافهم، ويكتسبوا من عاداتهم.

ويجب عليهم كذلك أن يبصروهم مغبة آفات اللسان ونتيجة البذاءة في تحطيم الشخصية، وسقوط المهابة، وإثارة البغضاء والأحقاد بين أفراد المجتمع.

ويمكنك أن تُلقى على أسماعهم بعض الأحاديث التي تنهى عن اللعن والسب مثل: حديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر"، وحديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه " قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: "يسب الرجل فيسب أباه، ويسب أمه".

4 – خلق الميوعة والانحلال:

يقول عبد الله علوان: أما ظاهرة الميوعة والانحلال فهي من أقبح الظواهر التي تفشت بين أولاد المسلمين وبناتهم في هذا العصر الذي يلقب بالقرن العشرين، فحيثما أجلت النظر تجد كثيراً من المراهقين الشباب والمراهقات الشابات قد انساقوا وراء التقليد الأعمى، وانخرطوا في تيار الفساد والإباحية دون رادع من دين، أو وازع من ضمير، كأن الحياة في تصورهم عبارة عن متعة زائلة، وشهوة هابطة، ولذة محرمة، فإذا ما فاتهم هذا فعلى الدنيا السلام.

وقد ظن بعض ذوي العقول الفارغة أن آية النهوض بالرقص الماجن، وعلامة التقدم بالاختلاط الشائن، ومقياس التجديد بالتقليد الأعمى، فهؤلاء قد انهزموا من نفوسهم، وانهزموا من ذوات شخصياتهم وإرادتهم قبل أن يهزموا في ميادين الكفاح والجهاد.

فترى الواحد من هؤلاء ليس له هم في الحياة إلا أن يتخنفس في مظهره، وأن يتخلع في مشيته، وأن يتصيع في منطقة، وأن يبحث عن ساقطة مثله ليذبح رجولته عند قدمها، ويقتل شخصيته في التودد إليها.. وهكذا يسير من فساد إلى فساد، ومن ميوعة إلى ميوعة حتى يقع في نهاية المطاف في الهاوية التي فيها دماره وهلاكه.

ومن هنا يتعين على المربي أن يهذب أخلاق الولد، وأن يبعده عن صحبة السوء، وأن يربطه بالصحبة الطيبة، وعليه أيضاً أن يباشر الولد فإذا وجد منه اعوجاجاً سارع بتقويمه قبل أن يتأصل فيه.

ثالثا: التربية الفكرية:

لقد انتشرت في الساحة الآن أفكار كثيرة منها الصالح والطالح والبناء والهدام والحق والباطل.

فعلى الوالد أن يبين لولده الحقيقة، ويفرق له بين الغث والسمين من هذه الأفكار حتى يشب على بينة من أمره، ولا تجتاحه الأمواج كما اجتاحت كثيراً من شباب المسلمين.

ويدخل في هذا أيضاً أن يعلم ولده كيف ينزل الناس منازلهم، فإذا ذكر أمامه رجل من أهل المجون والفسوق كالفجرة من المغنين والمغنيات مثلاً احتقره وحط من قدره حتى لا يتخذه الولد قدوة له، وإذا ذكر أحد الدعاة أو المصلين أو العلماء المستقيمين رفع قدره، وعظم أمره، وعود الولد على حبه كي يقتدي به، وهذه لفتة مهمة لمن تدبرها.

ولابد من تعويد الولد وتنشئته على حب السنة وأهلها، وبغض البدعة وأهلها.

رابعا: التربية الجسمية:

الجسد هو الدابة التي تحمل الروح في السفر إلى الله، فإن أكرمتها وأحسنت إليها واصلت بك، وإن أهملت أمرها انقطعت بك في الطريق (إن لجسدك عليك حقاً).

فلا مانع من تعليم الولد بعض التمرينات الرياضية التي تقوي جسده وتنشط جسده وتنشط روحه، وقد قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – (علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل).

فلو أحضرت لولدك بندقية، وعلمته أصول الرماية الصحيحة لكان خيراً، وكذلك تعليمه قيادة السيارات والدراجات وغيرها من الآلات العصرية.

وأخيراً:

عليك بالملاحظة التامة لولدك في كل حركاته وسكناته وتصرفاته وتحاول أن تصلح ما تراه قد اعوج، سالكاً في ذلك اللين والشدة، والرخاوة والقسوة، كل حسب حاجته، ولا

تظن بذلك أن ولدك صار صالحاً كريماً مقداماً وإنما عليك بالدعاء إلى الله والتضرع إليه أن يصلح ولدك، فإن الله وحده هو الذي بيده مفاتيح القلوب.

ونسأل الله – تبارك وتعالى – أن يجعل هذه الكلمات معينة لنا على تربية أبنائنا تربية صحيحة إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى اللهم على محمد وعلى آله وصحبه والتابعين من أئمة الهدى أجمعين.

المصدر : http://www.mknon.net

============

#الأسرة في العصور الحديثة

مشكلة الأسرة . في هذه العصور الحديثة . مشكلة خطيرة جداً، فقد فقدت نتيجة التغيرات الاجتماعية كثيراً من وظائفها التي كانت تقوم بها من ذي قبل، فأدى ذلك إلى تفكك عرى الأسرة، وانهيار الروابط التي كانت تربطها فيما قبل، يقول بعض المربين:

(والواقع أن من مخاطر المجتمع الحديثة الرئيسية أن الدور الطبيعي الذي كانت تقوم به الأسرة يتضاءل نتيجة لاستيلاء مؤسسات أخرى على كثير من مسؤولياتها، ونخشى نتيجة التضاؤل أن تفقد الأسرة الأثر الفعّال الذي هو من أهم قوى الاستقرار في المجتمع..). (التعليم: ص87).

وإن من أوهى الآراء القول بإهمال شؤون الأسرة، وترك الحديث والبحث عنها لأنها لا تؤثر في تطورنا الاجتماعي، بل إنها مصدر من مصادر الاستغلال يجب تحطيمها كما أعلنته الماركسية في بداية تطبيقها زاعمة أن الرجل يستغل زوجته وأولاده فيتخذهم أدوات إنتاج. (بيان الحزب الشيوعي: ص69، طبع دار التقدم في موسكو).

وأصر إنجلز على ذلك فقال: (ولا تعود العائلة الفردية بتحويل وسائل الإنتاج إلى ملكية عامة، الوحدة الاقتصادية للمجتمع، وتصبح إدارة المنزل الخاصة صناعة، وتصبح العناية بالأطفال وتربيتهم قضية عامة، إذ يأخذ المجتمع على عاتقه تربية جميع الأطفال على حد سواء أكانوا ثمرة زواج أم لم يكونوا... وبهذا يختفي الخجل الذي يساور قلب الفتاة من جرّاء النتائج التي هي في زماننا أهم عامل اقتصادي

خلقي يعوق الفتاة من استسلامها بحرية إلى الشخص الذي تحبه...). (أصل العائلة، ص81، ويراجع في معرفة المزيد من ذلك النظام الشيوعي، ص50).

وقد تراجعت الشيوعية عن كثير من مقرراتها لأنها اصطدمت بالواقع الذي يعيشه الناس في جميع مراحل تأريخهم من أن الأسرة نظام مستقر ثابت لا غنى للبشرية عنه، ومن ثم اتجه المشروع الروسي إلى إعلاء شأن الأسرة، والعمل على حماية الدولة لمصلحة الأم والطفل، ومنح المرأة إجازة قبل الولادة وبعدها بأجر كامل. (الدستور السوفيتي، المادة 122).

انعزال المرأة عن التربية:

وكانت المرأة فيما قبل مستقرة في بيتها تعنى بتربية أولادها، والقيام بشؤون زوجها، وكانت تقوم مقام المعلم بين أبنائها مشتركة مع الرجل في ذلك، أما في هذه الصورة فقد خرجت الزوجة لتقوم بأعمال تشابه أعمال الرجل، وأصبحت شؤون المنزل والقيام بمهامه عملاً ثانوياً بالنسبة لها، وأصبحت المرأة في كثير من الدول ترى أن إنجاب الأطفال يتعارض مع قيامها بتولي الوظائف العامة، الأمر الذي نجم منه تحديد النسل، وعدم التفكير في إنجاب الأطفال.

ومما لا شبهة فيه أن المرأة مسؤولة عن تهيئة الجو الاجتماعي والنفسي لنشأة الأطفال نشأة سليمة متكاملة، وقد نجم من تخيّلها عن هذه الوظيفة كثير من المضاعفات السيئة، وكان من أهمها انهيار الأسرة، فقد أصبح التقاء المرأة بزوجها وأطفالها التقاءً سريعاً، وأصبحت الأسرة في نظر الكثيرين أكثر شبهاً (باللوكاندة) من دون أن يوجد ذلك الرباط الاجتماعي والنفسي الذي يربط بين أفراد الأسرة، والذي يدعوهم دائماً إلى وضع مصلحة الأسرة فوق كل اعتبار. (الأسس الاجتماعية: ص72).

إن خروج المرأة من البيت قد أوجب حرمان الطفل من التمتع بحنان أمه، وذلك لمزاولتها العمل وتركه لها أكثر الوقت، ومن الطبيعي أن تغذيته الاصطناعية وتعهد المربية لشؤونه لا يسد مسدّ حنان الأم وعطفها، فقد أثبتت التجارب العلمية أن الطفل لا ينمو ولا يترعرع على حليب أمه، فحسب بل على عطفها وحنانها، وهذا الغذاء العاطفي لا يقل أهمية عن الغذاء الجسدي في تنمية شخصيته، ومن هنا جاءت

أفضلية التغذية الطبيعية من ثدي الأم على التغذية الاصطناعية؛ ففي الأولى يتمتع الطفل بأمرين هما: الغذاء والحنان، وأما التغذية الاصطناعية فإنها تخلو غالباً من شعور الطفل بحنان أمه، ومن هنا يحسن في الأطفال الذي يحرمون من التغذية الطبيعية أن تضمهم أمهاتهم إلى صدورهن حسب ما ينصح به أطباء الأطفال. (أسس الصحة النفسية: ص75).

وعلى أي حال فإن الطفل لا ينشأ نشأة سليمة إلا إذا أخذ حظه من الحب والحنان من أمه، وهو ـ في الغالب ـ قد حرم من هذه الجهة حين انعزال المرأة عن التربية.

وقد نعى على المرأة خروجها من بيتها جمع كبير من علماء التربية والاقتصاد والنفس، ونعرض لكلماتهم من دون أن نعلّق عليها:

يقول الفيلسوف الكبير برتراند رسل: (إن الأسرة انحلت باستخدام المرأة في الأعمال العامة، وأظهر الاختبار أن المرأة تتمرد على تقاليد الأخلاق المألوفة). (الإسلام والحضارة العربية، ج2، ص92).

ويقول العالم الاقتصادي جون سيمون: (النساء قد صرن الآن نسّاجات وطبّاعات، وقد استخدمتهن الحكومة في معاملها، وبهذا فقد اكتسبن بضعة دريهمات، ولكنهن في مقابل ذلك قد قوّضن دعائم أسرهن تقويضاً، نعم إن الرجل صار يستفيد من كسب امرأته، ولكن إزاء ذلك قلّ كسبه لمزاحمتها له في عمله.. (مجلة المجلات: ص17).

ويقول العالم الاجتماعي أوجست كونت جواباً عن سؤال قدمته (هيركور) تسأله عن رأيه في المرأة فأجابها: (إن حالة المرأة في الهيئة الاجتماعية إذا جرت على النسق الذي تريدينه كما هو حالة الرجل فيكون أمرها قد انتهى فإنها تصير مستعبدة مملوكة). (دائرة معارف وجدي: ج8، ص605 – 606).

وتقول الكاتبة (أني رورد): (لأن تشتغل بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاءً من اشتغالهن في المعامل؛ حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد، ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة، والعفاف والطهارة... الخادمة والرقيق يتنعمان بأرغد عيش ويعاملان كما يعامل أولاد البيت، ولا تمس الأعراض بسوء. نعم إنه العار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلاً للرذائل بكثرة

مخالطة الرجال، بالناس لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام في البيت وترك أعمال الرجال سلامةً لشرفها..). (مجلة المنار: ج4، ص486).

يقول الأستاذ شفيق جبري: (إن المرأة في أمريكا أخذت تخرج من طبيعتها في مشاركتها للرجل في أعماله، إن المشاركة لا تلبث أن تتضعضع بها قواعد الحياة الاجتماعية، فكيف تستطيع المرأة أن تعمل في النهار، وأن تعنى بدارها وبأولادها في وقت واحد، فالمرأة الأمريكية قد اشتطت في هذا السبيل اشتطاطاً قد يؤدي في عاقبة الأمر إلى شيء من التنازع بينها وبين الرجل). (أرض السحر).

يقول ساموبل سمايلس: (إن النظام الذي يقضي بتشغيل المرأة في المعامل مهما تنشأ عنه من الثروة للبلاد، فإن نتيجته هادمة لبناء الحياة المنزلية لأنه يهاجم هيكل المنزل، ويقوّض أركان الأسرة، ويمزق الروابط الاجتماعية..). (نظرية العلاقة الجنسية في القرآن الكريم: ص94 – 95).

تقول السيدة أمينة السعيد: (إن الجهل ما زال منتشراً في النساء، وإن التشريعات العائلية بصورتها الراهنة أحق بالعلاج من دخول البرلمان.. والبيت في رأيي جنة، ما بعدها جنة، واستقرار المرأة فيه يعادل آلاف الحقوق السياسية..). (علمتني: ص24).

هذه بعض الآراء التي أدلى بها جمع من المفكرين . وهي من دون شك . تحمل طابعاً كبيراً من السمة العلمية، فإن خروج المرأة من بيتها، ودخولها في المعامل، ومزاحمتها للرجل في عمله واقتصاده مما أدى إلى عجزها عن القيام بوظيفتها في تربية النشء فإنها لم تعد إلى المنزل إلا وقد أضناها العمل واستنزفت الأتعاب جميع قواها، فكيف تتمكن من تربية أطفالها تربية سليمة، ومن الطبيعي أن ذلك يشكل خطراً جسيماً على النشء يعرّضه إلى الإصابة بكثير من الأمراض النفسية، وعدم الاستقامة في سلوكه، حسب ما دلّل عليه علماء التربية والنفس.

تضاؤل نسبة الزواج

والشيء الخطير الذي يهدد كيان الأسرة في جميع أنحاء العالم، هو تضاؤل نسبة الزواج وانخفاضه إلى حد كبير، فإن الحضارة المادية الحديثة قد جعلت المرأة متاعاً

رخيصاً، وسلعة مبتذلة، حتى امتنع الكثيرون من الشباب عن الزواج لأن ما ينشدونه من المتعة الجنسية قد صار بمتناول أيديهم فإذن لماذا يقدمون على الزواج ويعانون أعباءه وأثقاله.

يقول الشيخ بهي الخولي:

(يمتنع الشباب عن الزواج، لأن الزواج قيد يحجزه عن الخوض فيما شاء من اللذة المتجددة، فقد أقبلت عوامل التطور الحديث على كثير من المجتمعات الغربية بحريات واسعة في الفكر والقول والعقيدة والسلوك الخاص، وأنشأت لهم أهدافاً في المال والمنفعة واللذة الحسية تعارض ما كان لهم من أهداف روحية، ومقاييس لمعاني العرض والعفة، وصار لكل منهم حريته الواسعة في حياته الخاصة يفعل منها ما يريد دون رقابة من قانون أو تحرج من عرف، بل يفعل ما يريد بتحريض من العرف وعطف من المجتمع.

وكان من ذلك أن تفجّرت الشهوات، وسادت عبادة الجنس، وراج جنون اللذة يستبد بألباب كثير من أفراد تلك المجتمعات، فرأوا في الزواج قيداً يحد من حرياتهم في ابتغاء ما يريدون، فنبذوا حياة الأسرة، وركنوا إلى المخادعة، كلما فترت رغبة أحدهم في خليلته أو فترت رغبتها فيه انصرف كل منهما عن صاحبه حيث يجد اللذة في رغبة جديدة وشوق أشد.

ولا شك أن ذلك يفضي إلى قلة النسل أي تناقص عدد السكان، وضعف الأمة في مقوماتها المادية ومقوماتها المعنوية، وقد ظهرت آثاره السيئة منذ عشرات السنين في بعض البيئات الأوربية، وأخذت في الازدياد والاتساع حتى شملت كثيراً من الدول.

وهانحن نرى كثيراً من علماء الاجتماع يدقون نواقيس الخطر، وينذرون أممهم . إذ تُهمل حياة الأسرة . سوء المصير، بانهيار الأخلاق وانحلال روابط المجتمع، وانقراض النسل، ولقد وفق المارشال (ربيتان) غداة احتلال الألمان لفرنسا في الحرب العالمية الأخيرة – إذ ينادي قومه إلى الفضيلة، ويعزو الهزيمة إلى هجر حياة الأسرة – فكان مما قاله:

(زنوا خطاياكم فإنها ثقيلة في الميزان، إنكم نبذتم الفضيلة، وكل المبادئ الروحية، ولم تريدوا أطفالاً، فهجرتم حياة الأسرة، وانطلقتم وراء الشهوات).

إن الدولة . باسم الإسلام . مكلفة أن تعني أعظم العناية بإنشاء الأسر وحياطتها، وتوفير ضمانات الاستقرار لها، وتحسّن ما تلده الظروف الاقتصادية والثقافية والسياسية من آثار تمسها، نعم هي مسؤولة عن ذلك مسؤوليتها عن التموين والتعليم والدفاع، وما أشبه هذه الأغراض التي لا يمكن تركها للأفراد لأنها من صميم عمل الدولة..). (حقوق الإنسان، ص115 – 116).

الشذوذ الجنسي

وكان لتضاؤل نسبة الزواج وانخفاضه آثاره السيئة التي تهدد كيان الأسرة بالدمار والانحلال واضطراب السلوك بين أفرادها، ومن أخطر آثاره إشاعة الشذوذ الجنسي وانتشاره بين الناس، ومن الطبيعي أنه ليس شيء أخطر على الإنسانية ولا أفتك بها من إشاعة الفوضى الجنسية فيها، حيث تضيع الأنساب، وتنهار قواعد الأخلاق، وقد وضع الإسلام جريمة الزنا في صف الشرك بالله، وقرنها مع جريمة قتل النفس التي صانها الله وتوعّد بالخلود في النار لمن يقترفها قال – تعالى –: (وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً إِلاَ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً) (سورة الفرقان: 68 – 70).

لقد وضع الإسلام السدود والحواجز أمام جريمة الزنا فأمر بإخفاء الزينة صيانة للمرأة قال – تعالى –: (وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا) (سورة النور: 30).

وحرم إثارتها الانتباه والتدليل على جمالها وزينتها قال – تعالى –: (وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) (سورة النور: 30).

كما منع من خلو الرجل مع المرأة الأجنبية، قال الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلم): (لا يخلونّ أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم) (صحيح البخاري).

وحرّم ملامسة المرأة الأجنبية ففي الحديث (لأن يُطعن أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له). (البيهقي).

وجعل صلاة المرأة في بيتها كصلاتها في المسجد كل ذلك صيانة لها من الاختلاط الذي يدفعها إلى السقوط في حمأة الرذائل، وفقدانها لكرامتها وعزتها وشرفها.

إن الإسلام بجميع أجهزته وطاقاته يحارب الشذوذ الجنسي، ويحارب الفوضى الغريزية، ويناهض جميع الوسائل التي تؤدي إلى سقوط المرأة في حمأة الرذائل، ويطالب بالنهوض بها إلى أرقى المستويات، يريد أن تكون ربة عائلة، ومربية جيل، وسيدة كريمة تحاط بهالة من العزة والكرامة... ولكن الحضارة المادية الحديثة قد أغرت المرأة، وحببت لها الإثم والفجور فأخرجتها من ذلك الميدان المشرق إلى حياة كريهة تحفها الضعة والهوان ووخز الضمير.

لقد سرت في العالم الغربي موجات رهيبة من الفوضى الجنسية، فلم تعد المرأة الغربية تعرف معنى للعفة والكرامة، والحياء والأمانة، ولم تفقه بحكم تربيتها الحديثة أي مغزى أصيل لهذه الحياة سوى إشباع رغباتها الجنسية، وقد انتشر البغاء في الغرب انتشاراً فظيعاً تندى له جبين الإنسانية، انتشر في المنتديات والمعاهد والمحلات العامة، ولم يعد ذلك أمراً قبيحاً ينكره المجتمع أو ينفر منه، فقد تسالم على تشجيعه وإقراره.

يقول بولا بيورو:

(إن هذا العمل . أي احتراف البغاء . قد أصبح في زماننا نظاماً محكم التركيب يجري بما شئت من التنظيم في أيدي الموظفين، والعاملين المأجورين، ويعمل فيه أرباب القلم وناشرو الكتب، والخطباء، والمحاضرون، والأطباء، والقابلات، والسياح التجاريون، ويستعمل له كل جديد من فنون النشر والعرض والإعلان).

ويقول جورج أسكان:

(أصبح تعاطي الفجور، وعدم التصون، واتخاذ الأطوار السوقية معدوداً عند فتاة العصر من أساليب العيش المستجدة).

وقد عجت صحفهم اليومية والسياسية ومجلاتهم وكتبهم بإغراء المرأة ودفعها إلى التجارة بجسدها، وخلعها لثوب العفة والطهارة، وقد نجم من ذلك تسيب المرأة وتحللها، واندفاعها وراء الشهوات والمغريات كلما ملّت من رفيق اتخذت خدناً آخر لها، وقد فسدت بذلك شؤون الأسرة، وعم الاضطراب والانحراف جميع أعضائها.

إن البغاء آفة كبرى على المجتمع، فإنه من أهم العوامل التي تنخر في كيانه وتقضي على أصالته وتماسكه، فالمجتمع الذي يصاب بهذا الداء الوبيل تنتشر فيه الأمراض

الزهرية كالقرحة الرخوة، والسفلس، والسيلان المنوي، وهي مما توجب تدمير الصحة العامة، وتعريض الإنسان للإصابة بكثير من الأمراض المهلكة، كما تقضي على تماسك الشخصية، وإزالة جميع أرصدتها الأخلاقية والأدبية.

لقد انتشر هذا الداء في كثير من مناطق العالم، فالمستشفيات، والمؤسسات الصحية، ودور عيادات الأطباء الخاصة تستقبل كل يوم سيلاً عارماً من المصابين به، وبالرغم من المعالجات الحديثة له كالبنسلين وغيره، فإنه قد انتشر بصورة هائلة، وكان من آثاره الإصابة (بالهستريا) وقد ضجت المستشفيات العقلية بالمصابين من جرائه، كما كثرت عدد ضحاياه في العالم، وهو في نفس الوقت يحول دون نمو الاقتصاد العام الذي يتوقف على ازدهار الصحة وتقدمها في البلاد، كما يستهلك قسماً كبيراً من الاقتصاد العام لشراء الأدوية والعقاقير لإسعاف المصابين، وإنقاذهم مما هم فيه.

ومن مظاهر الشذوذ الجنسي تفشي الحبوب المسقطة للحمل، وانتشارها بين الفتيات اللاتي يمارسن البغاء، ويخشين من الحمل، وقد انتشر ذلك بصورة مؤسفة في الجامعات والمعاهد الغربية فقد كثر فيها الإجهاض والسقط، ومن الطبيعي أن لذلك أثراً كبيراً على صحة المرأة وإرهاقها مضافاً لتقليله للنسل، ومن نتائج هذا الانحراف والشذوذ كثرة اللُّقطاء فقد فحشت هذه النسبة في عواصم الغرب، واهتمت الحكومات هناك ببناء الملاجئ لاستقبال هذا البشر المنكوب، الذي يفقد العطف الأبوي، وهو يمنى بكثير من العقد النفسية . كما يقول علماء النفس .، ومن أخطر ما يصاب به أنه يمنى بقساوة الخلق والطبع والضغينة على المجتمع... هذه بعض الأخطار التي تنجم عن الفوضى الجنسية، وهي تهدد الأسرة بأمواج من الآثام الطاغية حتى ليوشك أن تغرق فيها.

عقوق الأبناء

ومن مظاهر ما منيت به الأسرة من الانحلال . في هذه العصور . انفصال الأبناء عن آبائهم انفصالاً متميزاً في الرأي والعقيدة والاتجاه، فقد عملت التربية الحديثة بما تملك من طاقات مادية وحضارية على الزهد والتشكيك بقيم الآباء وعاداتهم وأفكارهم، وأصبح الأبناء ناقمين على مثل آبائهم وقيمهم، ونتج من ذلك نضال فكري وثوري

على المثل القديمة، والنبذ لكل ما يعتنقه الآباء من القيم والتقاليد الاجتماعية، كما نتج صراع آخر عنيف وحاد فيما بينهم، فالآباء دوماً يشكون ما يعانونه من عقوق أبنائهم، وسوء آدابهم، ويحكون صوراً متنوعة من جفائهم، وعدم حشمتهم، ومقابلتهم بالقسوة والحرمان.

يقول المربي (جون ديوي):

(ومن البعث أن نندب ذهاب تلك الأيام القديمة السعيدة على مناقب أولادنا، والحشمة، والاحترام والطاعة الخلقية إذ النوح لا يعيد الذاهب، وبكاء ما فات يزيد الحسرات، فإن التغييرات الحادثة نتائج نواميس طبيعية، ولا يقابلها إلا تغيير كاف في التهذيب...).

وهو رأي وثيق للغاية فإن التغييرات الحادثة في نظام الأسرة وغيرها من الأنظمة التربوية والاجتماعية قد أوجبت تمرد الأبناء، وخروجهم من حدود الطاعة وهيهات أن تعود إلى الطبيعة الأولى من دون أن يكون هناك تهذيب للطباع، وتهذيب للغرائز، وغرس للنزعات الخيرة في أعماق النفوس.

التحلّل والميوعة:

ومنيت كثير من الأسر الحديثة بألوان فظيعة من التحلل والانحراف، فقد أسرفت في التفنن بأنواع الملذات والمحرمات مما أدى إلى انهيار الأخلاق، وانحطاط السلوك.

ومن الطبيعي أن الانسياق وراء اللهو يخلق جيلاً غير متماسك لا يعنى بالقيم الإنسانية ولا بالمثل الاجتماعية، فالطفل الذي يشاهد أبويه وهما عاكفان على إدمان الخمر وتبادل الرذائل فإنه حتماً يتأثر بذلك في سلوكه توجيهه.

يقول بعض الباحثين في الشؤون التربوية:

(لقد أصبحت الأسرة جواً مخزياً للتربية بصورة عامة لأن الآباء والأمهات في العصر الحديث قد تجاوزوا الحد المقرّر في السذاجة أو العصبية أو الضعف أو الشدة، وربما يعلّم أكثرهم بعض العيوب لأطفالهم.

أكثر الأطفال الذين يجدون صوراً مختلفة عن سوء الأخلاق والفساد والمشاكسة والسكر في البيت والأسرة، والكثيرون منهم إن لم يجدوا مثل هذه القضايا في البيت فلابد وأنهم تعلّموها من أصدقائهم، فيمكن القول بلا مبالغة أن كثيراً من الآباء

والأمهات في العصر الحديث يجهلون تربية أطفالهم مهما كانت الطبقة التي ينحدرون منها، والمدارس أيضاً لا تستطيع أن تؤدي واجبها لأن الأساتذة لا يختلف سلوكهم عن سلوك الأبوين كثيراً...).

إن انحراف الناشئة وفساد سلوكها يستند . على الأكثر . إلى ميوعة الأسرة وتحللها، ولا نعدو الصواب إذا قلنا إن كفة إصلاح الأسرة يفوق سائر العوامل التربوية الأخرى فهي المدرسة الأولى التي تؤثر أثراً مباشراً على السلوك والتوجيه.

المصدر : http://www.al - rasool.net

============

#حمىّ الموضة: المعقول وغير المعقول

بقلم :عادل القاضي

هل الشكل الخارجي للشاب أو الفتاة مهم؟

نعم، مهم. لماذا؟

لأنّه يعطي صورة مشرقة أخرى عن المحتوى الداخلي لشخصية كلّ منهما، فإذا كانت الروح جميلة، والأخلاق جميلة والعقل جميل، والسلوك جميل، فإن اللباس الجميل سيضفي جمالاً آخر على تلك الجمالات.

نعم، لو كان السؤال – ايّهما أهم. فلا شك أن جوهر الإنسان وعلمه ومنطقه وأخلاقه أهم بكثير، لان هذا من الجمال أيضا، بل هو أجمل الجمال.لكننا نلاحظ إقبالا شديداً على ما تضمّه أسواق الموضة وأجهزة التفنن بالصرعات من لدن الشباب والفتيات وان كان الاهتمام من قبل الفتيات أكثر لاعتبار أن الزي جزء من جمال المرأة.

ولا يعني ذلك أننا نقلّل من شأن الأزياء فللزيّ تعبيره عن الشخصية وعن الهوية، فالحجاب مثلاً زي تتميز به الفتاة أو المرأة المسلمة حتى أنّك إذا رأيت محجّبة تقول إنها مسلمة حتى ولو لم تسألها عن دينها، وكذا العمّة أو الجبّة التي يرتديها بعض علماء المسلمين فهي علامة فارقة على أنهم مسلمون. لكن الإسلام لم يقيد حرية المسلم في اختيار الزي الذين يرتديه، وترك لأهل كل عصر أن يلبسوا اللباس الذي يناسبهم شريطة أن يكون لباساً شرعياً لا يكشف

المناطق المحضورة من جسد المرأة والرجل، وان لا يكون متبرجا يوحي ويدعو إلى الإثارة.

لماذا إذا هذه المبالغة أو التهالك على الموضات والصرعات وكأنها كلّ الشخصية وليست جزءاً منها؟

نعتقد أن التركيز على ثقافة الشكل الخارجي الذي تمارسه أجهزة الإعلام لا سيما المرئية المقروءة له الأثر الكبير في هذا الإقبال (المجنون) على شراء البدلات واستبدالها، حتى بات التغزّل أحيانا بملابس الفتاة لا بخصائصها الجمالية. يقول شريط فديو يتحاور فيه شبان أميركان من الجنسين حول الأزياء والموضة أن حميّ الموضة قد لا تسمح للفتاة وللشاب أن يتوقفا قليلا ليطرحا على نفسيهما بعض الأسئلة المعقولة عن التصرفات التي تبدو في غالب الأحيان غير معقولة. وأضاف الجنسان أن الموضة تلعب دور النموذج الذي يقارنون بموجبه ما يلبسون وما يطرح من جديد في أسواق الموضة وهو لهاث لا ينتهي.

ولابدّ للشباب والفتيات من التنبّه إلى النقاط التالية بشأن الموضة:

1- إن أول ما يواجهنا في مسألة الموضة هو (التقليد) وخطورة التقليد على الأزياء المستوردة تكمن في تاثيرها (الثقافي) و(النفسي) و(الأخلاقي) و(السلوكي). فهي أزياء صممت لغيرنا.. لنساء (كاسيات عاريات) همّهن الإثارة والفتنة والخلاعة والتبرج.

يقول (محمد أسد) النمسوي الذي اسلم، إن ارتداء المسلمات الزي غير الإسلامي يجعلهن يتصورن إنهن يستبدلن ثياباً بثياب، والحقيقة أنّ المسألة هي استقبال ثقافة وافدة وأخلاق وسلوك لا يقرّها الإسلام. وبالتالي فإن نفسية المرأة المسلمة – شاءت أم أبت – سوف تتأثر بالأزياء التي ترتديها. فالإسلام حين أباح للمرأة أن تتبرج لزوجها وان ترتدي ما شاءت من ملابس حينما يختليان، فانه حدد ذلك لها بهذا الحدّ، كما أباح لها أن ترتدي في حضرة النساء
الأخريات ما يحلو لها من أزياء.

2- وفي حمى الموضة تواجهنا أيضا النزعة الاستهلاكية المتمثلة بالبذخ والإسراف، فإذا كانت للموضة مواسم أربعة، أزياء للصيف وأخرى للربيع وثالثة للخريف وأخرى

للشتاء، وإذا كان كل موسم يمطرنا بعشرات التصاميم والألوان والأشكال فإن ذلك مما سيرهق كاهل الفتاة أوالشاب ماليا، حتى بتنا نرى أن الفتاة تخجل من أن تلبس البدلة الواحدة مرتين في مناسبتين مختلفتين، أو أنّها تضطر لاستعارة بدلة أختها أو ابنة خالتها أو جارتها حتى لا يقال عنها أنّها لا تمتلك سوى بدلة واحدة، ولذا نرى أن المناسبات والأعراس أضحت حفلات استعراضية للأزياء التي تمثل صيحة الموسم.

3- إنّ مسايرة الموضة ومجارات الصرعات ليست دليلاً أو شرطاً من شروط الدخول إلى العصر أو عالم الحداثة، صحيح أن خير اللباس لباس أهل العصر، وقد تكون الأزياء العصرية مظهراً من مظاهر التمدّن، لكن المسايرة العمياء التي لا تعرف ماذا تأخذ وماذا تترك، هي مسايرة في الشكل دون المضمون، فكثيرا ما نرى شبانا وفتيات يتعاملون مع العصر بالمظاهر والأشكال فقط، فإذا كان الذين يصدّرون بضائعهم من الملابس والأحذية وقصات الشعر، أهل حضارة فلم ينصبّ اهتمامنا على اقتباس مظاهرهم فقط دون التعمّق في علمهم وإبداعهم ووسائلهم الحديثة ومؤسساتهم الثقافية.

إن تحويل الاهتمام من (المهم) إلى (الثانوي) ومن (الجوهري) إلى (الشكلي) هو واحد من مساوئ حمّى الموضة.

4- أما تقليد المشاهير والنجوم في السينما والمسرح والطرب في أزيائهم وما يبتدعون من موضات، فهو اعتراف ضمني أنهم أهل للقدوة، وهم ليسوا كذلك، فحياتهم الخاصّة - في الغالب - حياة لا تسرّ، فكيف أقلّد - كمسلم أو مسلمة - شخصيات اقل ما يقال عنها أنّها تتصرف بشكل معاكس لأخلاقنا وديننا؟ ثم أنها عملية تقليد متعبة، فالفنان أو المطرب أو الممثل له دخله الممتاز الذي يمكنه من ارتداء عدة بدلات في حفلة واحدة، فلم هذا اللهاث وراء تقليد المظاهر؟ أليست أزياؤنا جميلة؟ أليس لدى مصممات الأزياء عندنا تشكيلات وموديلات أجمل بكثير مما لدى الغرب والغربيين؟

أليست أزياؤنا تتناسب مع أخلاقنا وعاداتنا وتقاليدنا وديننا؟ أليس هناك بعض الشعوب التي ما زالت تعتز بزيّها الرسمي حتى ولو سافرت أو هاجرت إلى بلاد غير بلادها، وما ذاك إلا لتصورها أن هذا تعبير عن هويتها وتراثها وفلكلورها الشعبي الذي انطبعت بطابعه .. فلم لا يكون عندنا مثل هذا الاحترام لأزيائنا؟

ثم أن بعض الموضات المستوردة مثيرة للضحك، مثيرة للقرف .. وقد لا تبدو في البلدان المصنّعة غريبة لكنها في أجوائنا الخاصّة تبدو مستهجنة وغير لائقة، ولذلك لابدّ من أن يراعي الشاب أو الفتاة مناسبة الموضة لأوضاعنا كما يراعون لون اللباس الذي يتناسب مع لون بشراتهم.
إن الانقياد وراء (حمىّ الموضة) كالسير في شارع بلا إشارات ضوئية .. هل تحسّبنا لمخاطرها ..
نعتقد في شبابنا وفتياتنا من هم أوعى من أن تنطلي عليهم اللعبة.
================

#الحجاب الحريري والعلمانية

د. عائض الردادي
الصورة التي نشاهدها كثيراً من مكاء وتصدية في ملاعب الكرة إذا دخل الفريق المنافس أو إذا خسر هجمة من هجماته هذه الصورة بدت بشكل أوضح في مقاعد البرلمان التركي عندما دخلت النائبة المنتخبة من الشعب مروة قاوقجي لأداء اليمين الدستورية والسبب أنها غطت رأسها بالحجاب الحريري لا الحديدي، ولو دخلت كما تدخل السابحات على الشواطئ لعد ذلك نهضة حضارية.
وهذا المشهد الذي تحول فيه الرجال ذوو الشنبات الطويلة من هدوء إلى صريخ وضرب على الطاولات وزعيق بسبب امرأة متسترة لو لم يكن مؤكداً لاعتبر ضرباً من ضروب الخيال, لأن المخالفة في البرلمانات المتقدمة تقابل بالحوار بموجب النظام حتى في إسرائيل الدولة العنصرية عندما تجرأت نائبة بكلام تجاوز الحدود قبل سنوات على رئيس الوزراء طلب من رئيس البرلمان أن يحميه من النائبة بموجب القانون ولم يصرخ أو يتحول البرلمان إلى ما يشبه فحيح الجماهير في الملاعب ضد الفريق المنافس.
ظاهرة اخذ القشور من حضارة الغرب والبعد عن العمق للأسف هي ما أخذه العالم الثالث كما يسميه الغربيون تأدباً والعالم المتخلف كما هي الحقيقة، فهذه الصورة التي حدثت في تركيا لا توجد في الغرب إلا في حالة وجدت في فرنسا وحكمت قانونياً ولكنها كما حصلت في تركيا حدثت في إحدى الدول العربية حين منعت الطالبات

المنقبات من دخول الامتحانات في إحدى الجامعات وحرمت أخريات من تسلم الشهادات في إحدى الدول الإسلامية الآسيوية بسبب الحجاب الحريري الناعم.

فهل أصبحت مروة قاوقجي بطلة دخلت التاريخ من حيث أرادت أو لم ترد أو هل ستكون أول مسمار يدق في نعش العلمانية التركية التي ليس لها من العلمانية الأوروبية إلا الاسم؟ فمروة درست في الولايات المتحدة الحاسب الآلي ولم تمنع يوماً من دخول الجامعة بسبب الحجاب لأن العلمانية هناك تعني الحرية الشخصية، ولا تتدخل في أمور سطحية كأن يطلب من المرأة السفور ومن الرجل عدم وضع الطربوش على الرأس كما هو في تركيا.

وللأسف أن يصل الأمر بمروة أن تقول: إنها ستكافح مثلما كافح زنوج أمريكا حتى نالوا حقوقهم وتحرروا وإلا ماذا سيضر إن جاءت المسلمة محتشمة بل إن هذا الوقار هو الأولى من التفسخ وكشف العورات ولكن الكماليين (الذين يسترهم رجل مات منذ سبعين عاماً وما زال يحكم من قبره) بالغوا في عداوة الإسلام وحسبك في هذا أنهم لم يدققوا كما تفعل الدول قبل الانتخابات في أوراق المرشحين حتى إذا ما فازت مروة ودخلت البرلمان بحجابها الحريري بدأ الطعن في أهليتها ومن ذلك حملها جنسية أخرى، ولو لم تغط رأسها لهان موضوع الجنسية الأخرى ولم يعامل نواب حزب اليسار مثل ذلك.

الكماليون يجدّفون ضد التيار وكل ما لحقتهم مذلة من أوروبا زادوا في الإصرار على التمسح بأعتابها من أجل استلحاقهم بالاتحاد الأوروبي ولو عادوا لانتمائهم الإسلامي لعلت رؤوسهم فوق النجوم ولكن لعل وعسى أن يستفيدوا من عبر التاريخ الحي لا الميت وعسى أن يدرك عقلاء الأتراك الأمور قبل فوات الأوان.

المصدر : http://www.suhuf.net.sa

=============

#أنت الحكم ادخل الآن وكن الحكم الدين ممنوع والعتب مرفوع

هل سيأتي يوم على أمتنا أن تمنع بها عبادة الله؟

الحمد لله الذي جعل لنا الأرض فراشاً والسماء بناء.

الحمد لله الذي رزقنا الأمطار والماء وأحيانا لنكون من خير أمة أخرجت للناس، والصلاة على سيدنا محمد وعلى اله أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين:
عندما كنت صغيراً مررت بجانب أحد المحلات التي تبيع الخضروات والفواكه وقد كتب صاحب المحل هذا العبارة ((الدين ممنوع)).
وقفت قليلاً أمام هذه العبارة وقلت في ما بيني وبين نفسي: ((كيف يريد أن يمنع الدين هذا الرجل وبأي حق..... وصرت أتذكر قول الشيخ عندما قال إن الدين لله)).
وبقيت هذه العبارة راسخة في ذهني إلى أن عرفت أنها الدين ممنوع أي أن هذا الذي كتبها لا يريد أن يبيع بالقرضة والسلفة وهذا الرجل مسلم ومتدين وملتزم أيضاً.
وفي مرة كنت أسير بها في إحدى الشوارع في المدينة وهذه المنطقة لم أكن قد آتيت إليها مسبقاً وضللت طريقي هناك وتوهمت بأحد الشوارع الفرعية أنه هو الطريق الصحيح ودخلت به وسرت في ممراته الضيقة والمتعددة وخرجت بعدها إلى مكان غريب وكأنه سوق وأي سوق هذا !!
إنه سوق ربما ممنوع دخول الرجال إليه فكل ما فيه نساء ونساء.
اعتقدت أنه ليس سوق وجاء الظن أنه إحدى دور عرض الأزياء.
نعم إنهن نساء لم أرى بكثرتهم في حياتي.
وهم من كنت أسمع عنهم لهن شعور وكأنها سنام أجمال ولم أشعر بنفسي كيف أصبحت وسط الزحام هذا ولم أعرف من أين اذهب والى أين أتجه .... وبدأت أتلفت من حولي ما هذا المكان الذي يعج بنساء سافرات ساقطات عوراتهن مكشوفة أمام الباعة وأمام من يمر من هنا وكان هناك بعض الرجال المارة من هناك وكنت أرى الأيدي الرجّالية وهي تمتد إلى النساء بلمسات ناعمة وكأن شيئاً لم يكن بل بالعكس كانت الابتسامات تملئ وجوه الجميع ولكن الرحمة قد نزعت من الوجوه وبدا فيها غضب الرحمن.
وغير ذلك من اللحوم البيضاء المكشوفة من الأيدي والصدور والأقدام ((ربما يكون هذا الشارع حمّام)) وليس شارع وليس سوقاً تجارياً كان هناك رجالاً يمسكون برقاب النساء برقة ويتحدثون بأصوات منخفضة ولكن الضحكات مرتفعة والعياذ بالله من هذا.

أين أنا الآن ومن أين سأخرج من هنا؟!

وبدأت بالسير باحثاً عن مخرجاً أهرب من شارع الزنا هذا...

وفجأة يا شباب قرأت نفس العبارة ((الدين ممنوع.... وقد أضيف عليها والعتب مرفوع والرزق على الله)).

نعم يا أخوتي الرزق على الله ولا عتب على هؤلاء ولكن العتب علينا ورأيت طرف الشارع وركضت إلى هناك وخرجت من الدوامة التي رأيت بها القوامع التي أعدت لمن هم يزنون.

خرجت من الشارع وأحسست أني قد كنت في النار ودخلت الجنة.

وأنا أتمتم في قلبي: ((اللهم إن هذا منكر وأنا لا أرضى به)).

وقفت أخيراً على طرف الرصيف وبحثت عن مقهى للإنترنت لأبحث عن طريق التوبة وأنادي..

أخي أنت الحكم أختي أنت الحكم...

المصدر: http://www.twbh.com

==============

#جذور العلمانية والتغريب في العالم الإسلامي 1

خالد ابو الفتوح

تُعد العلمانية (فصل الدين عن الحياة) أحد الانحرافات الكبرى التي أصابت الأمة الإسلامية؛ إذ إنها حملت في طياتها مجموعة من التشوهات والمفاسد التي مسَّت أو تغلغلت . بدرجات متفاوتة . في تصورات أفراد هذه الأمة وقيمهم، أو نشاطاتهم وعلاقاتهم، أو نُظُمهم ومؤسساتهم.

ومن المعروف في دراسة أحوال المجتمعات وتحولاتها أنه من غير الممكن الوقوف على نقطة محددة (زمنية أو فكرية) في مجتمع ما والإشارة إليها على أنها نقطة التحوُّل العمراني (الحضاري) . هبوطاً أو صعوداً . في هذا المجتمع؛ فهذه النقطة قد تكون (محطة) في منحدر الهبوط أو سُلَّم الارتقاء، ولكنها لا تكون منعزلة أو منبتَّة الصلة بغيرها من الأفكار والأحداث والشخصيات الأخرى التي تكوِّن (المحطات) الأخرى في مسيرة هذا المجتمع.

ومن هذا المنطلق فإننا لا نستطيع دراسة نشأة العلمانية في العالم الإسلامي من غير البحث في الحامل الذي جاء بها (التغريب)، ومن غير البحث في الخلفيات والعوامل الثانوية التي ساعدت على هذه النشأة، وبعد ذلك يمكننا تتبع شبكة التطورات التي انتهت إلى ما نحن فيه.

نظرة من بعيد:

يمكن القول: إن العلمانية إحدى الصور الفجة لانفصال السلطان عن القرآن الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم : «... ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان؛ فلا تفارقوا الكتاب...» (1)، وقد بدأ هذا الانفصال التدريجي بشكل خافت بعد الخلافة الراشدة إثر انفصال أهل العلم والتقوى عن أهل السلطان والغلبة؛ حيث تغيرت معايير اختيار أصحاب السلطان، وإن بقي أهل العلم يمثلون مرجعية للأمَّة وفي كثير من الأحيان لأهل السلطان أنفسهم، ولكن هذا الانفصال لم يكن في مبدأ أمره انفصالاً عن الأفكار والتصورات والعلاقات والتشريعات الإسلامية بقدر ما كان انفصالاً بين (جهاز) التفكير و (جهاز) التنفيذ، وإن قُدِّر وحدث انحراف ما في التنفيذ فإنه كان يقع في دائرة الاجتهاد الخطأ أو الهوى والمعصية، ولكن لم يتعد إلى دائرة التصورات والأفكار وتغييرها بغية إيجاد مسوِّغ وتشريع لهذا الانحراف والتعدي كما هو حادث في العلمانية، أقول ذلك على الرغم من وجود بعض الفتاوى التي كانت تصدر أحياناً من علماء السلطان لإيجاد مسوِّغ لمعاصيهم وتفلتهم من الأحكام الشرعية، ولكن المدقق يمكنه أن يرى أن هذه الفتاوى لم تكن أكثر من استخدام سيئ وبمهارة لأصول شرعية يُسلِّم المجتمع بمرجعيتها.

غير أننا لا نعدم أيضاً في بواكير (التراث الفكري الإسلامي) بعض الجذور العميقة لتصورات ومفاهيم منحرفة عن الإسلام الصحيح ساهمت إلى حد كبير في إخصاب الأرضية الفكرية التي عملت عليها العلمانية.

فمن ذلك: الأثر الذي تركته الفلسفة اليونانية والفارسية والهندية على فكر بعض الفرق . وخاصة المعتزلة .؛ حيث شاع عندهم تقديم العقل على النقل عند توهم تعارضهما، حتى عدُّوا ذلك أصلاً من أصول الاستدلال، فكانوا ينكرون ما يستطيعون من الأحاديث النبوية التي تتعارض مع المعقول . بحسب تصورهم لهذا

المعقول ـ بدعوى عدم ثبوتها أو عدم حجيتها لكونها أحاديث آحاد لا تفيد اليقين، وهذه الفكرة ـ في أحد جوانبها ـ من شأنها تضييق نطاق النصوص الشرعية وما يستنبط منها لحساب توسيع مجال عمل العقل الذي أخذ يحتل مكانة النصوص في منهجية الاستدلال.

كما أخذوا يؤولون الآيات القرآنية ـ تأويلاً أياً كان بُعْده ـ ليوافق أصولهم ومعارفهم العقلية التي عدُّوها يقينية، فكان استخدام هذا الأصل بقدر ما يُعلي من قيمة العقل البشري بقدر ما يحط من قوة الإيمان بالغيب وصفاء التسليم للشريعة.

ومن ذلك أيضاً: الأثر الذي تركه الفكر الإرجائي على تصور كثير من المسلمين لحقيقة الإيمان؛ فقد ابتدع المرجئة القول بخروج الأعمال من حقيقة الإيمان؛ وعليه: بات يُكتفى في الإيمان بتصديق وقول ـ على اختلافٍ بينهم ـ، ومن ثم: كثرت الأعمال التي لا تنسب إلى الإيمان، وهي تشمل الحياة كلها، وبتعبير آخر: اتسعت المساحة التي يمكن أن يتحرك فيها العصيان والتبديل والانحراف بأمان تاركاً الإيمان قابعاً في زاوية ضيقة تسمى القول، ثم تحول هذا القول على يد المرجئة الجدد إلى مجرد ألفاظ خالية من مدلولاتها ومعانيها.

ومما زاد من أثر آراء المرجئة على حياة الأمة: اندثار المرجئة الفرقة، وبقاؤها ـ بل وانتشارها ـ أفكاراً وآراءاً.

ثم كان للصوفية نصيب من هذا الإخصاب: إذ تعانق مع الفكر الإرجائي انحراف مفهومي (العبادة) و (القضاء والقدر) عند المتصوفة؛ حيث تحوَّل مفهوم الزهد الإيجابي الذي كان عليه السلف على يد المتصوفة إلى سلوك انسحابي أخذ شكل التفرغ (للعبادة) في مسجد أو زاوية أو خلوة أو حتى كهف، وأما من انصرف إلى معالجة شؤون الدنيا فقد كان ينظر إليه عند هؤلاء على أنه انصرف عن العبادة، وكما رأينا اضطراب العلاقة بين العقل والنقل عند المعتزلة الذي تطور لاحقاً عند (التنويريين) إلى اضطراب في العلاقة بين العلم والدين، نجد هنا ـ على يد المتصوفة ـ علاقة متنافرة غريبة بين الدين والدنيا، أو بين الآخرة والدنيا، فمن أراد الدين والآخرة فله المسجد لا شأن له بالدنيا، فلمن تترك هذه الدنيا؟!... يتصدى لها أهل الفساد والانحراف، ولا يكون ذلك مستهجناً، كما لا يكون مستغرباً أن يُنظِّموا هذه الدنيا

بمنأى عن الدين الذي ترك في خلوات العبادة وحلقات الفقه، وفي قول أو شعائر يؤديها الفرد المسلم، بل يتم التسليم بذلك الانحراف على أنه قضاء وقدر.

أضف إلى ذلك: أن ما روَّجه الصوفية عن الفَرْق بين الحقيقة والشريعة كان بابًا واسعاً للانسلاخ من الشرع والتفلت من الدين تحت مظلة ادِّعاء (الولاية)، وقد كان هذا المفهوم مطية لتأويلات عديدة غير منضبطة بأصول شرعية أو لغوية أو عقلية.

ومن العوامل الفكرية التي ساهمت في إخصاب الأرضية التي قامت عليها العلمانية: الفصل الحاد بين (العبادات) و (المعاملات) الذي اقتضته (الأصول الفنية) للمنهجية العلمية التي قامت عليها الكتب الفقهية المتأخرة.

وكذلك بعض الآراء الأصولية الفقهية الشاذة أو الاستخدام السيئ لبعض الأصول والقواعد الفقهية، فلقد ناقش الفقهاء مسألة (نسخ القياس والإجماع للقرآن والسنة) وردُّوها(1)، ولكن إثارتها من بعض العلماء. وإن كانوا قلة. يدل على استعداد فكري مبكر لتطويع الشريعة.

كما ساهم في ذلك: الانحراف عن ضوابط بعض الأصول والقواعد الفقهية، مثل: الخروج بالاستحسان والمصالح المرسلة من كونها المصالح الشرعية إلى المصالح التي يرتئيها المتنفذون حسب عقولهم وأهوائهم(1)، ومثل الانحراف بنظرية العرف أو قاعدة (العادة محكَّمة) ليكون العرف والعادة هما الأصل الذي يُقدَّم على ما سواه.

ومن هذه العوامل: إغلاق باب الاجتهاد منذ أواخر القرن الرابع الهجري، هذا الإغلاق وإن كان دافعه حُسن النية حتى لا يدَّعي في دين الله من ليس أهلاً للنظر والاجتهاد، إلا أننا نلاحظ أن آثاره كانت عظيمة؛ فهو وإن كان فيه نوع من إعلاء لقدر عقول علماء السلف واجتهاداتهم، إلا أن فيه أيضاً نوعاً من الحَجْر على الكتاب والسنَّة، وتقليص المعاني والحكم المستنبطة منهما بما لا يتجاوز ما قاله هؤلاء العلماء الأجلاء، كما أن فيه أيضاً تصوراً خاطئاً عن طبيعة تطور الحياة الإنسانية؛ فمن منعوا الاجتهاد المطلق تصوروا أن من سبقهم من العلماء افترضوا وتخيلوا كل ما يمكن وقوعه من حوادث في حياة البشر ووضعوا لها الحلول والفتاوى الشرعية، وهذا وذاك أدى إلى مرضين خطيرين في الحياة الفكرية والفقهية لدى المسلمين، هما: التقليد وما يتبعه من تعصب، والجمود وما يتبعه من انغلاق وتحجر.

وفي عصر الدولة العثمانية . عندما تطورت الحياة أكثر . كانت الحاجة ملحة لإعادة فتح باب الاجتهاد، ولكن العلماء رفضوا ذلك ولم يُقدِّموا . في الوقت نفسه . الحلول البديلة أو يُبدوا الاستعداد لتهيئة من يكونون أهلاً لهذا الاجتهاد، عندها استغل رواد العلمانية الأوائل ومن يريدون الكيد بالأمة الفرصة وتقدموا هم بالبديل: التغريب والعلمانية.

حرث الأرض الهامدة:

لم يُفتح باب الاجتهاد، بل انكسر ليلج منه كل مدَّعٍ وصاحب هوى باسم (التجديد والإصلاح).

ولا شك أن مجرد وجود هذه العوامل والمؤثرات كان لا يعني حتمية نشوء العلمانية في العالم الإسلامي؛ ذلك أن في الإسلام ذاته وفي العالم الإسلامي في مجمله من القيم الأخرى الأصيلة والقوى المعادلة لهذه العوامل والمؤثرات ما يبطل . أو يضعف . أثر هذه العوامل، ولكن الحقيقة أيضاً أن هذه العوامل والمؤثرات شكلت . عندما انتشرت وتعاظمت . حالة يمكن أن نطلق عليها: (القابلية للعلمنة)، شبيهة بتلك (القابلية للخضوع) التي قصدها الشيخ عبد الحميد بن باديس، والمفكر مالك بن نبي، والتي أطلقوا عليها: القابلية للاستعمار، إضافة إلى أن هذه العوامل مثلت ثغوراً نفذ منها العلمانيون إلى البناء الفكري الإسلامي.

وعلى ذلك: فإن هذه العوامل والمؤثرات رغم وجودها في مسيرة الأمة، إلا أنها لم تكن عناصر فاعلة إلا في القرنين الأخيرين؛ ذلك لأن العوامل المساعدة المنشطة التي تحث هذه العناصر على التفاعل لم تكن متوفرة بشكل كافٍ قبل ذلك، ومن أبرز هذه العوامل المساعدة: الهزيمة النفسية لدى المسلمين، وتوجه الغرب إلى الغزو الفكري مع (أو بدلاً من) الغزو العسكري الذي ثبت إخفاقه وحده عبر حروب صليبية طويلة.

ولكن كيف أثيرت هذه العوامل؟

يرى بعض الباحثين أن الشرارة الأولى لهذا التوجه الغربي الصليبي (الغزو بالفكر والقيم) اتقدت في ذهن لويس التاسع (1214م – 1270م/611هـ – 669هـ) ملك فرنسا وقائد آخر حملتين صليبيتين كبيرتين على العالم الإسلامي؛ فحينما هُزم في

الحملة الصليبية السابعة، وأُسر بالمنصورة سنة 1250م (648هـ)(2)، أتيحت له فرصة التأمل والتدبر، فوضع مخططاً من أربعة محاور لغزو جديد (سلمي) للعالم الإسلامي(3).

وقد نشط هذا المخطط مجدداً بدءاً من عام (1082 هـ = 1671م) على يد الملك لويس الرابع عشر بواسطة وزيره الشهير (كولبير) الذي كلف بعض المعتمدين في الشرق بالبحث عن المخطوطات العربية(1). يقول الدكتور محمود المقداد: «وقد تلقن الفرنسيون هذا الدرس القاسي باشتراكهم مع الأوروبيين الآخرين في هذه الحروب، وخلاصة هذا الدرس أن (الحملات المسيحية الأولى إلى الأرض المقدسة، وإلى مصر جاءت من غير خطة مدروسة جيداً، ومن غير معرفة شيء عن أخلاق الشعوب التي ذهبوا لقتالها أو عن تسليحها)»، ثم يقول: «وهكذا حاول الفرنسيون أن يتعرفوا أخلاق العرب والشرقيين وعاداتهم وتقاليدهم وما لهم من معارف وثقافات... ولهذا اتجه الغربيون عامة والفرنسيون خاصة إلى جمع أعداد من المخطوطات... وقد جُنِّد لهذا الغرض رهبان ومبشرون وتجار وجواسيس ودبلوماسيون وسفراء في العالم العربي والإسلامي ورحَّالة وسواح ومستعربون، كُلِّفوا خصيصاً بهذا العمل»(2).

ففي أرض مصر إذن بدأ المخطط يدور في رأس لويس التاسع ملك فرنسا، وبعد أكثر من 500 عام، وعلى ثغر الإسكندرية من أرض مصر أيضاً نزل القائد الفرنسي نابليون بونابرت يُنفِّذ الحملة الفرنسية (علمانية العقل صليبية القلب) على العالم الإسلامي سنة (1213هـ/1798م).

لم تستغرق هذه الحملة عسكرياً أكثر من ثلاث سنوات، ولكنها خلفت وراءها زلزالاً كبيراً كانت أعدت له عدته، وكانت أحوال المسلمين مهيأة له؛ وأهم ملامح هذا الزلزال ما يلي:

أولاً: أنها ابتدئت بالتلبيس بادعاء تحلي نابليون وجنوده بحُلَّة الإسلام والمبادئ والأهداف السامية؛ فقد كان أول منشور لنابليون متصدراً بما يلي: «بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله لا ولد له ولا شريك له في ملكه»، وفيه أيضاً:« يا أيها المصريون، قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم؛ فذلك كذب

صريح فلا تصدقوه، وقولوا للمفترين: إنني ما قَدِمْت إليكم إلا لأخلِّص حقكم من يد الظالمين، وإنني أكثر من المماليك أعبد الله . سبحانه وتعالى . وأحترم نبيه والقرآن العظيم، وقولوا أيضاً لهم: إن جميع الناس متساوون عند الله، وإن الشيء الذي يفرقهم عن بعضهم هو (العقل) و(الفضائل) و(العلوم) فقط(!!)... أيها المشايخ والقضاة والأئمة... قولوا لأمتكم إن الفرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون، وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا في رومية الكبرى وخرَّبوا كرسي البابا...»(3).

لقد كان هذا الأسلوب خطاً ثابتاً في سياسة نابليون أينما حل؛ فقد كان يحرص في مثل هذه المسائل أن يستعمل دواءً من جنس الداء!، ولما كان نابليون يُشخِّص داء الشعب المصري في تدينه؛ حيث إن «الأفكار الدينية كانت على الدوام مسيطرة على الشعب المصري في شتى العصور» ... كان دواء هذا الداء عند نابليون هو استخدام «لقاح ضد الدين»، فسياسة نابليون كانت قائمة على (ترويض) الدين لا مقاومته(4)، وهذه السياسة ذات أبعاد خطيرة، وسيكون لها أثرها الذي لا يستهان به في آلية إدخال العلمانية والتغريب إلى العالم الإسلامي.

ولكنا نشير هنا إلى الثغرة التي حاول نابليون ورجال حملته استغلالها لاختراق الفكر والشعور الإسلامي، ألا وهي الفكر الإرجائي؛ إذ يبدو أن نابليون وقواده . وخاصة ساعده الأيمن (فينتور دي بارادي) الذي قضى أربعين سنة يتجول في العالم الإسلامي قبل أن يلتحق بالحملة(5)- كانوا يدركون جيداً تأثير الفكر الإرجائي على مشاعر المسلمين ومواقفهم؛ ولذا: كانوا يستغلون رصيد انفصال القول (أو الشعارات) عن العمل بمهارة واطمئنان، وقد كانوا أيضاً . امتداداً لهذه السياسة . حريصين على إنفاذ الحج وإقامة الموالد! وإظهار البهجة بأعياد المسلمين واحترام شعائرهم.

ثانياً: بدء تنحية الشريعة وإحلال بعض التنظيمات والدواوين (مجالس الشورى) مكانها، وقد أسندوا معظم الدواوين إلى أناس غير علماء بالشريعة، بل إن بعضها كان يرأسه نصارى؛ فمن ذلك ما يحكيه الجبرتي: «شرعوا في ترتيب ديوان آخر وسمَّوْه محكمة القضايا، وكتبوا في شأن ذلك طوماراً [أي: وثيقة] وشرطوا فيه شروطاً ورتبوا فيه ستة أنفار من النصارى القبط، وستة أنفار من تجار (!) المسلمين، وجعلوا قاضيه الكبير ملطي القبطي... وفوضوا إليهم القضايا في أمور التجار والعامة

والمواريث والدعاوى، وجعلوا لذلك الديوان قواعد وأركاناً من البدع السيئة...»(1)، بل وصل الأمر إلى حد مناقشة النصارى الأقباط والفرنج للمشايخ في مدى صلاحية أحكام شرعية منصوص عليها في القرآن ومقارنتها بقوانينهم (2).

ثالثاً: التوجه إلى تهميش القوى الإسلامية المناهضة للتبعية للغرب وتنحيتها، الذي تطور بعد ذلك إلى محاربة تلك القوى، كما وضح التوجه إلى تدجين بعض المشايخ واستمالة أصحاب النفوذ والتأثير بشد وثاق متين بينهم وبين الغرب وإدخالهم في نطاق التبعية لفرنسا، ومن الحوادث ذات الدلالة على ذلك: محاولة نابليون تقليد شيخ الأزهر . باعتباره رئيساً للديوان . وشاحاً يحمل ألوان علم فرنسا ورَفْض شيخ الأزهر لذلك...(3).

ومنذ ذلك الحين يحرصون على ألا يرقى الرئاسة إلا من يضع على صدره وسام الرضى الغربي!.

رابعاً: في مقابل ذلك: ظهر التوجه الواضح إلى إبراز دور النصارى والأقليات الدينية الأخرى وإعلاء قدرهم وإشراكهم في مراكز التأثير واتخاذ القرار بصورة ملحوظة، وأحداث الحملة الفرنسية زاخرة بالدلالة على ذلك(4).

خامساً: كما أشاعوا الفجور والتحلل الأخلاقي بواسطة نسائهم وبغاياهم، وشجعوا الفسقة وضعاف النفوس من المسلمين على الخوض فيه والتبجح به، وكان واضحاً حرصهم على إخراج المرأة المسلمة من إطارها المعتاد(5).

سادساً: تدشين عهد النبش في الحضارات القديمة السابقة على الإسلام، وإثارة النعرات الوطنية وروح الفخر بهذا الماضي الوثني، مع عد المسلمين ضمن الغزاة لمصر؛ فمن ذلك قولهم في أحد المنشورات الموجهة إلى الشعب المصري: «...وإن العلوم والصنائع والقراءة والكتابة التي يعرفها الناس في الدنيا أُخذت عن أجداد أهل مصر الأُوَل، ولكون قطر مصر بهذه الصفات طمعت الأمم في تملكه، فملكه أهل بابل وملكه اليونانيون والعرب والترك الآن...»(6)، وهذا أحد أسباب بذل جهودهم المعروفة في التنقيب عن الآثار الفرعونية وإبرازها والاهتمام بها، ومن ضمن هذه الجهود تأسيس معهد الآثار الفرعونية.

سابعاً: ظهور الحملة الفرنسية بمظهر الدولة الحديثة من تنظيمات إدارية وعسكرية وعمران مدني، بل بمظهر الحرص على الرحمة والعدل بين الناس في بعض الأحيان، تلك المظاهر التي بَعُد عهد المسلمين بها في عهود تخلفهم وانحطاطهم، ففوجئوا بها تأتيهم على يد (الكفار)(7).

ثامناً: وفي مقابل ذلك: وضح استعراض الحملة لقوتها العسكرية وقدرتها العلمية؛ وذلك من خلال مظاهر البطش والتنكيل وإحراق القرى والبيوت وإذلال المسلمين الذي كان أبرز أحداثه اقتحامهم الأزهر بخيولهم وسكرهم وتغوُّطهم فيه، كما كانوا يتعمدون إظهار الفارق العلمي بينهم وبين المسلمين، وذلك بإجراء بعض التجارب الكيميائية والفيزيائية التي كان المسلمون يومها يحارون في تفسيرها(1).

تاسعاً: حاول نابليون إيجاد قاعدة دعائية له ولمبادئه العلمانية التغريبية بإرسال (بعثات) إجبارية لبعض الأشخاص؛ ليشكلوا بعد عودتهم تياراً يدعو إلى التغريب ويغير من تقاليد البلاد وعاداتها، كما عمل على غزو المسلمين اجتماعياً باستخدام (الفن) والتمثيل، وقد ذكر ذلك صراحة في رسالة بعث بها بعد رحيله من مصر إلى خليفته كليبر، يقول في ختامها: «ستظهر السفن الحربية الفرنسية بلا ريب هذا الشتاء أمام الإسكندرية أو البرلُّس أو دمياط، يجب أن تبني برجاً في البرلس.

اجتهد في جمع (500) أو (600) شخص من المماليك، حتى متى لاحت السفن الفرنسية تقبض عليهم في القاهرة أو الأرياف وتسفِّرهم إلى فرنسا، وإذا لم تجد عدداً كافياً من المماليك فاستعض عنهم برهائن من العرب أو مشايخ البلدان، فإذا ما وصل هؤلاء إلى فرنسا يُحجزون مدة سنة أو سنتين، يشاهدون في أثنائها عظمة الأمة (الفرنسية) ويعتادون على تقاليدنا ولغتنا، ولمَّا يعودون إلى مصر يكون لنا منهم حزب يضم إليه غيرهم.

كنتَ قد طلبتَ مراراً جوقة تمثيلية، وسأهتم اهتماماً خاصاً بإرسالها لك؛ لأنها ضرورية للجيش، وللبدء في تغيير تقاليد البلاد!»(2)، ولكن يبدو أن مقتل كليبر على يد سليمان الحلبي وما تلاه من أحداث حال دون تنفيذ هذا المسعى.

هذه هي أهم ملامح الحملة الفرنسية على قلب العالم الإسلامي (مصر والشام)، وقد ظلت هذه الملامح نفسها هي ملامح الحملات العلمانية (المحلية!) اللاحقة، ونلاحظ

في نتائج هذه الملامح أنها ولَّدت الآثار المطلوبة لقيام العوامل المساعدة بدورها التفاعلي، فإذا كان الغزو الفكري المنظم لم يظهر بصورة كاملة، فإن الحملة حققت نجاحاً ملحوظاً في الغزو النفسي والاجتماعي للمسلمين، وهو ما أدى إلى هزيمة نفسية أمام الغرب لدى كثير من المسلمين، ومن ثم استعدادهم للتلقي عن هذا المنتصر (حضارياً)، فالحملة الفرنسية أطلقت قبل رحيلها رصاصة العلمانية والتغريب التي أصابت عقل الأمة بعد حين من هذا الرحيل، أو بعبارة أخرى: قلَّبت الأرض الهامدة وأثارتها حتى تهيأت لغرس البذور الفكرية الأولى للعلمانية والتغريب، وقد تولى من جاء بعد الحملة مهمة غرس هذه البذور ورعايتها ثم قطف ثمارها.

غرس البذور:

لم ترحل الحملة الفرنسية عن مصر مكتفية بتقليب الأرض الاجتماعية الإسلامية الهامدة، بل خلّفت وراءها بذوراً ملقَّحة فكرياً يمكن استنباتها في هذه الأرض، ويعد الشيخ حسن العطار (1190-1250هـ/1776- 1834م) نموذجاً لهذه الشريحة من المتأثرين فكرياً بالحملة، فقد اندمج إلى حد كبير في علوم الحملة الفرنسية وكثيراً ما تغزل في أشعاره بأصدقائه منهم، كما إنه نقل عنهم علومهم، وفي الوقت نفسه تولى تعليمهم اللغة العربية، وهو الذي أطلق قولته الشهيرة: «إن بلادنا لا بد أن تتغير أحوالها ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها» (3) لذا: يعده العلمانيون المعاصرون «رائداً من رواد النهضة؛ حيث تتلمذ على يديه جيل من الرواد كرفاعة الطهطاوي، ومحمد عياد الطنطاوي»(4).

غير أن هذه البذور ما كانت لتنبت بغير رعاية لها، وهذا ما كان؛ فبعد خروج الحملة الفرنسية من مصر استطاع الجندي الألباني ـ تاجر الدخان سابقاً ـ محمد علي (1769م ـ 1849م/ 1183هـ ـ 1265هـ) الوثوب إلى رأس السلطة في مصر، وبعد أن اطمأن الحاكم الجديد إلى قوته ضرب العلماء بعضهم ببعض، وتخلص من خصومه المماليك (القوى الرجعية !) في مذبحة شهيرة سنة (1226هـ/1811م).

وبعد أن قضى على القوى المناوئة له في الداخل والقوى المهددة له في الخارج تفرد بالحكم وتفرغ (للإصلاح) و(التحديث)، وهما الاسمان اللذان استخدما مطية للعلمنة والتغريب!

ونقف هنا لنلاحظ:

١ أن تفوق أوروبا الحربي والصناعي ورغبة الشرق الإسلامي . وخاصة مصر وتركيا . في اللحاق بهذه القوة وهذا التقدم.. كان دائماً وراء انفتاح كثير من بلاد المسلمين على الغرب ونظمه، بل وقيمه ومبادئه، وهذا ما دعا الإصلاحيين إلى استقدام الخبراء والمدرسين من أوروبا وابتعاث الطلاب المسلمين إليها، ولكن هؤلاء (المصلحين) لم ينتبهوا . أو ربما لم يكترثوا . إلى أن من العبث . كما يقول المؤرخ البريطاني الشهير أرنولد توينبي .: «من العبث القول بأن في وسع مجتمع إقامة جيشه على النمط الغربي، وترك جوانب حياته الأخرى تجري على ما كانت عليه... فإن الأمر لا يقتصر على جيش يقام على النمط الغربي ويدعمه العلم والصناعة والتعليم المقتبس من الغرب؛ ذلك لأن ضباط هذا الجيش أنفسهم يحصلون على أفكار لا تمت بصلة إلى مهاراتهم في فنهم، ولا سيما إذا ما ابتعثوا إلى الخارج ليحذقوا مهنتهم.

ويوضح تاريخ هذه البلاد الثلاثة [مصر وتركيا وروسيا] ظاهرة عجيبة، هي: قيام جماعات من ضباط الجيش بتزعم (ثورات تحريرية)»(1).

١ أن البذور الأخرى المعاكسة للعلمانية والتغريب بدأت تغرس أيضاً في العالم الإسلامي في هذا الوقت المبكر، وإن لم تتضح هذه الهوية أو يلتفت إليها، فقضاء الدولة العثمانية . عن طريق محمد علي، القوة العلمانية الصاعدة . على الواقع الذي انبثق من دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب لم يقض على الدعوة نفسها؛ فصحيح أن دعوة الشيخ لم تكن من القوة أو الكبر بحيث تحتوي الأمة كلها احتواءً شاملاً، أو توقف انهيار الدولة العثمانية وتعيد الصعود بمدها، أو تواجه القوة العلمانية الصاعدة وتقضي عليها، إلا أنها أيضاً لم تكن من الضعف والصغر بحيث يقضى عليها بدون أن يبقى لها أثر على العالم الإسلامي وحركته الفكرية، بل لعل في القضاء عليها سياسياً في هذا الطور أدى إلى عدم الانتباه إلى انتشار ما تدعو إليه في أنحاء كثير من العالم الإسلامي.

لقد كان الأثر المباشر الواضح لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو محاربة البدع والخرافات والأوهام والقضاء على شرك القبور والأضرحة، ولكنها أيضاً أصَّلت

وجوب رد الأمر كله إلى الكتاب والسنة وهو ما يناقض فصل الدين عن الحياة الذي هو جوهر العلمانية، إضافة إلى أنها رسخت مفهوم الولاء والبراء على أساس الدين والعقيدة، وهو ما يناقض مفهوم الوطنية والقومية العلمانيين.

نعود إلى بذور العلمانية:

لم يكتف الغارسون باستيراد بذور علمانية أوروبية صرفة، بل دأبوا على تصنيع بذور هجين من العالم الإسلامي نفسه، واستخدموا في هذا التصنيع كافة أساليب الهندسة الفكرية.

فقد شرع محمد علي أيضاً في تنفيذ ما طلبه نابليون من خليفته كليبر ولم يمتد به الأجل لتنفيذه، ولكن محمد علي استطاع تنفيذه بصورة أدق وأخطر مما اقترحه نابليون نفسه، فقد انتقى بعض الشباب المختارين بعناية ثم أرسلهم في بعثات إلى أوروبا وخاصة فرنسا؛ ليكونوا في باريس تحت إشراف أحد أعضاء المعهد العلمي الذي أسسه نابليون في مصر من قبل، ويدعى: جومار.

وعندما فتح محمد علي ودعاة النهضة المدارس والمعاهد وأرسلت البعوث إلى أوروبا بهدف اللحاق بنهضتها.. كان بدهياً أن تُمَد هذه المدارس «بالأساتذة الأوروبيين أو بالمتعلمين في أوروبا، ورغبوا بطبيعة الحال في أن يدرِّبوا أساتذة من عندهم، وبهذا أوسعوا المجال للمؤثرات التي كانوا يرجون تجنبها وزادوا في قوتها، فليس هناك طالب ذكي يقضي ثلاث أو أربع سنين في عاصمة أوروبية مختلطاً بأهلها كل يوم وقارئاً ما يكتبون خيره وشره من غير أن يشرب في نفسه شيئاً أكثر من قشور المدنية الغربية، ثم عاد الطلبة أفراداً وبعوثاً، لا بدراسات فنية بحسب، ولكن بجراثيم الأفكار السياسية، بل بجراثيم العادات الاجتماعية أحياناً، مما كان متضارباً مع تقاليدهم الموروثة، وقد كان الأثر في مجموعه ضعيفاً في الجيل الأول، ولكنه تضاعف في الجيل الثاني، وظل يتضاعف باطراد»(1).

كان من أبرز المتأثرين في هذه البعثات والمؤثرين في غيرهم: الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي الذي ذهب إلى باريس . بترشيح من أستاذه الشيخ حسن العطار . سنة (1241هـ/1826م) مع بعثة كبرى ليقيم الصلاة في أعضائها، فكان سبَّاقاً إلى قراءة

كتب آباء الثورة الفرنسية! كجان روسو ودومونتسكيو وفولتير، كما نهل من كبار المستشرقين الفرنسيين وعاين الحياة الفرنسية (بحلوها ومرها).

وبعد رجوعه إلى مصر أثَّر الطهطاوي في الحركة الفكرية لدى قطاعات كثيرة من مثقفي الشعب المصري، بل نستطيع القول: إن القسم الأكبر من المصريين الذين دخلوا المدارس الحديثة بين عامي (1831م و1880م) (1246هـ . 1297هـ) هم من تلاميذ رفاعة المباشرين أو غير المباشرين عن طريق من تخرجوا على يديه، هذا إذا لم نأخذ في حسابنا قراءه خارج هذه الحلقة، ولا شك أنهم كانوا كثيرين(2).

وإضافة إلى كونه أول الداعين إلى (تحرير المرأة) وإلى استعمال العامية لغة للكتابة والتصنيف، ساهم الطهطاوي في تحبيذ بزوغ وعي وطني مصري بمفهوم تغريبي، فـ «كان هو الأول في تمييز (الوطن) عن (الأمة الإسلامية)... وها هو كل شيء يبدو في صورة جديدة: لقد بدَّد ابن طهطا ظلمات القرون الوسطى التي غمرت الجماعة الإسلامية واستعاد جذوره الفرعونية... »(3).

وهكذا لم يرحل الطهطاوي عن الدنيا عام 1873م (1290هـ) إلا وقد ترك مصر واقعة في شَرَك العلمانية والتغريب:

ففي مجال التعليم: عمل محمد علي على (إصلاح) التعليم بما يخدم أهدافه (الإصلاحية) والتوسعية، فنحَّى الأزهر جانباً، وشرع في تأسيس المدارس النظامية والمعاهد المتخصصة التي يقوم عليها أوروبيون.

وفي مقابل تهميش الثقافة الإسلامية وتنحية الأزهر عن مكانته في قيادة العملية التعليمية والجور على أوقافه التي كانت تكفل له الكفاية والاستقلال المادي، وفي موازاة لعمل البعثات التعليمية الخارجية.. توسع التعليم الذي أسسه محمد علي، وانتشرت مدارسه . وخاصة في عهد الخديوي إسماعيل ..

وفي الوقت نفسه: فتح المجال لمدارس الأقباط ومدارس الإرساليات (التبشيرية)، بل كانت بعض هذه المدارس تتلقى الدعم المادي من الخديوي نفسه أحياناً(4)، «وعلى الرغم من أن فرنسا كانت تسودها روح الإلحاد فإنها شجعت رجال الدين الذين ينشرون الثقافة الفرنسية في الخارج، وأرسلت البعثات (العلمانية) إلى مصر، فأسست عدداً من المدارس»(5)، فكان الهدف الظاهر لهذه البعثات نَشْر الدين الكاثوليكي،

ولكنها عملت على خدمة الاستعمار الفرنسي والتمكين لنفوذ فرنسا الفكري والأدبي في مصر (6) هذا في مجال التعليم.

أما في مجال القضاء والتشريع: فـ «مع بناء الدولة الحديثة في مصر، سعى محمد علي لتقليص نفوذ القضاء الشرعي، حتى يحقق هدفه في التحديث، عن طريق استيراد المدنية الغربية والتقرب للقوانين الأوروبية من ناحية، والعمل على تخفيف سيطرة الدولة العثمانية التي ارتبط بها القضاء الشرعي من ناحية أخرى»(1).

تركيا (2):

في هذه المرحلة الزمنية نفسها (1830- 1881م) خرج من سلطان الدولة العثمانية بعض البلدان؛ مما عمق إحساس الدولة العثمانية بالانكسار والهزيمة، ودفعها إلى إجراء مزيد من (الإصلاحات)في الجيش ونظم الحكم، ولكن الدولة كانت تهوي في الحقيقة إلى هاوية التبعية والتغريب بتشجيع الغرب؛ فقد زود السفير الإنجليزي (ستراتفورد كاننج) بتعليمات من وزير خارجيته اللورد (إبردين) خلال سفارته الثانية لدى الباب العالي عام 1842م (1258 هـ) لتأييد الإصلاحات الحكيمة التي درست دراسة جيدة «مما يوفر لحكومة السلطان الاستقرار والثبات اللازمين لها»(3)، وهذا السفير نفسه كان يعتقد أن «الإمبراطورية التركية تحث الخطا نحو تفككها بصورة واضحة، والفرصة الوحيدة التي تمكنها من البقاء متماسكة لأي فترة زمنية أطول يتيحها لها تقربها من حضارة العالم المسيحي»(4).

وفي هذا الإطار وبذريعة (الإصلاح) صدرت (التنظيمات)، «وقد استندت حركة (التنظيمات) إلى مرسومين سلطانيين صدرا خلال عهد السلطان عبد المجيد.. أولهما في عام 1839م (خط شريف همايوني)، المشهور بـ (منشور كُلْخانة) الذي وضعه [الصدر الأعظم] مصطفى رشيد باشا تلميذ المستشرق [الفرنسي] سلفستر دي ساس، ووزير الخارجية [محمد أمين عالي باشا] في مطلع عهد عبد المجيد.

وقد كفلت [هذه] (التنظيمات) مساواة المسلمين والذميين من الرعايا العثمانيين أمام القانون، مقابل الحفاظ على كيان الدولة العثمانية بعد أن هددها محمد علي [في الفترة] (1839 . 1841م) بموجب معاهدة لندن.

وثانيهما في عام 1856م (خط شريف همايوني) الذي عرف بـ (منشور التنظيمات الخيرية)، وقد صدر عقب حرب القرم (1856–1854م).. فكان ثمن هذه الهزيمة أيضاً منشور التنظيمات الخيرية الذي أكد ـ كسابقه ـ المساواة في ذلك بالضرائب (إلغاء الجزية) وتمثيل الطوائف غير الإسلامية بمجالس محلية وفي مجلس القضاء الأعلى»(5).

وقد كان وراء هذه التنظيمات رشيد باشا الصدر الأعظم للسلطان الشاب عبد المجيد، أكبر شخصية ماسونية في وقته، ومن ثم: احتضن الماسونيين العثمانيين، ووجه أجهزة الدولة نحو التمسك بتمثل أوروبا والبعد عن التوجه الإسلامي.

وفي عام (1282هـ/1865م) وفي ظل الحماية التي وفَّرها مدحت باشا (تلميذ رشيد باشا) للتيار التغريبي قامت مجموعة صغيرة (6 أفراد) من العناصر العثمانية ذوي الميول الليبرالية بعقد اجتماع سري اتفق فيه على تأسيس (جمعية شباب العثمانيين)(6) على غرار جمعية إيطالية أقرب إلى الماسونية العسكرية، هي جمعية الكاربوناري (إيطاليا الفتاة)، وقد أطلق الأوروبيون على (جمعية شباب العثمانيين) اسم: (تركيا الفتاة)، وكان من أبرز أعضائها: الشاعر نامق كمال، وضياء باشا، وآية الله بك، وإبراهيم شناسي، وقد اصطبغ نشاطها في البداية بالصبغة الأدبية الثقافية، باعتبارها حركة تهدف إلى الدعوة لإصلاح الدولة العثمانية من منظور غربي علماني، وتجلت أهدافها في أربعة مبادئ: الحرية الفردية، وقيام النظام الدستوري، والقضاء على الإقطاع، والتحرر من السيطرة الأجنبية.

وقد تلاقت أفكار هذه الجمعية مع أفكار دعاة (الإصلاح) المتنفذين في الحكم ـ وعلى رأسهم مدحت باشا ـ فكوَّنوا تياراً قوياً يرى أن الإصلاح الذي يجب أن يسود الدولة العثمانية هو الحكم الديموقراطي على نمط الحكم في إنجلترا وفرنسا، ومظهر هذا الحكم هو الدستور وإنشاء المجالس النيابية، واستطاع هذا التيار التحكم في السلطان عبد العزيز ودفعه إلى هذا السبيل، فتابع (الإصلاحات) السابقة.

بلاد الشام (1):

أما في الشام ـ التي كانت خاضعة آنذاك للدولة العثمانية ـ فقد نشطت الإرساليات التنصيرية الأجنبية فيها، ومدت جسوراً من التواصل والتعاون مع نصارى المنطقة

منذ حُكم إبراهيم باشا بن محمد علي أثناء احتلاله للشام. وبعد عهد التنظيمات في الدولة العثمانية بدأ التغلغل الصليبي يزداد في الشام مستفيداً من الامتيازات والتسهيلات الجديدة، ومستغلاً إمكاناته المالية والبشرية الهائلة وغطاء حماية الدول الأوروبية؛ حيث كانت كل من هذه الدول تدَّعي حماية الأقلية النصرانية التابعة لمذهبها (فرنسا للكاثوليك، وروسيا للأرثوذكس، وأمريكا وإنجلترا للبروتستانت)، وتنفذ من خلال ذلك مخططاتها التغريبية والاستعمارية التي كان هدفها العلمانية والتغريب ووسيلتها الثقافة والتعليم.

ففي عام (1263هـ/1847م) تشكلت تحت رعاية الإرساليات (التبشيرية) الأمريكية (جمعية العلوم والفنون)، ومن مؤسسيها بطرس البستاني وناصيف اليازجي . وكانا ماسونيين على صلة بهذه الإرساليات الأمريكية . وضمت أيضاً بعض (المبشرين) الأمريكيين من هذه الإرسالية، مثل: فان دايك، وإيلي سميث، وكان هدفها: نشر العلوم الغربية والدعاية لدول أوروبا! ولكن لم ينضم إلى هذه الجمعية خلال عامين سوى خمسين عضواً كلهم من نصارى الشام، وتعد هذه الجمعية البذرة الأولى للقومية العربية العلمانية.

وفي عام (1273هـ/1857م) . وهي السنة التالية لصدور منشور التنظيمات الخيرية العثماني الذي ساوى بين أصحاب جميع الديانات في الولايات العثمانية . حدث تطور مهم على النشاط التغريبي العلماني في الشام؛ فعلى إثر حل الجمعية السابقة . مع صنوتها الكاثولكية (الجمعية الشرقية) . تكونت بدلاً منهما جمعية أكبر باسم: (الجمعية العلمية السورية)، كانت غاياتها ووسائلها وقانونها وأنظمتها كلها على غرار جمعية العلوم والفنون أيضاً، ولكنها ضمت لأول مرة بين أعضائها الخمسين والمئة: دروزاً، ومسلمين، إضافة إلى النصارى من جميع الطوائف، كان يجمعهم اهتمامهم بتقدم البلاد على أساس (الوحدة الوطنية)، كما أن جميع أعضائها كانوا من العرب، ولذا: أصبح الرباط الذي يؤلف بينهم هو اعتزازهم بالتراث العربي.

ولم تأت سنة (1275هـ/1858م) إلا وكانت الإرسالية الأمريكية قد افتتحت أكثرمن ثلاثين مدرسة ودار طباعة تنشر مبادئها وثقافتها من خلالها.

وفي عام (1276هـ/1860م) حدثت فتنة كبرى بين الموارنة والدروز أَوقَفت . إلى حين . تصاعد المد القومي وحفزت في الوقت نفسه جهود الداعين إليه، وبعد هذه الفتنة أصدر بطرس البستاني صحيفة سياسية أسبوعية باسم (نفير سوريا)، « ودعا فيها إلى الاتحاد والتعاون بين أبناء الطوائف المختلفة، وإلى ضرورة فصل الدين عن الدولة، وإحلال الشعور القومي العربي مكان التعصب الطائفي»(2).

وفي عام (1281هـ/1862م) حدث تطور آخر مهم؛ إذ افتتحت (الكلية السورية الإنجيلية) في بيروت، التي عرفت فيما بعد باسم: (الجامعة الأمريكية) لتكون بديلاً محلياً عن البعثات الخارجية التي كانت لا تؤتي الثمار المطلوبة، ولتلعب دوراً كبيراً في مجريات الأحداث فيما بعد، حيث كانت معقلاً من معاقل الحركة القومية العلمانية وموئلاً ضم الداعين إلى العلمانية والتغريب في الشام.

وفي سنة 1863م (1282 هـ) أنشأ بطرس البستاني (المدرسة الوطنية) على أساس وطني لا ديني.

ثم في سنة (1285هـ/1868م) نالت الجمعية العلمية السورية اعتراف الحكومة بها، وفسحت المجال للاشتراك فيها حتى ضمت أعضاءً كثيرين بارزين من الذين كانوا يقطنون خارج البلاد، وخاصة في إستانبول والقاهرة، وتحسنت الصلات بين بعض الساسة من أوروبا وأعضاء فيها، وفي هذه الجمعية ظهر أول صوت يدعو بوضوح وصراحة لحركة القومية العربية، وذلك عندما ألقى إبراهيم بن ناصيف اليازجي على ثمانية من أعضائها قصيدة اتخذت صورة النشيد الوطني، وَرَد فيها تحريض للعرب على الثورة على الترك، وفخر بأمجاد العرب وأدبهم، وقد ذاعت هذه القصيدة ذيوعاً واسعاً.

وفي سنة 1870م (1287هـ) أصدر بطرس البستاني صحيفة (الجنان). وهي صحيفة سياسية أدبية . دعا فيها إلى أن ازدهار الشرق يقوم على «الحكم الصالح الذي لا يمكن أن يقوم إلا بفضل اشتراك الجميع فيه، وفصل الدين عن السياسة، وقبل كل شيء: إقامة العدل والاتحاد بين أبناء الأديان المختلفة، وتقوية الشعور الوطني الموحد بين جميع المواطنين العثمانيين»(1)، وقد جعل شعار صحيفته: (حب الوطن من الإيمان)، وهو شعار لم يكن يعرفه العالم العربي حتى ذلك الزمن، وهكذا بات

الطريق مفتوحاً أمام الجيل الأول من دعاة الوطنية الذين ينادون صراحة بأن الولاء الديني لا يصلح أساساً للحياة السياسية.

وفي سنة 1875م (1292هـ) أسَّس خمسة شبان تلقوا العلم في الكلية السورية الإنجيلية في بيروت . وهم جميعاً نصارى من مريدي اليازجي والبستاني، ومن أبرزهم: إبراهيم اليازجي والدكتور فارس نمر(2) . أسَّسوا جمعية سرية قامت على أساس قومي هي (جمعية بيروت)»، وهي تعد أول حزب سياسي في هذه البلاد، فعادت العثمانيين وسمَّت دولتهم باسم تركيا، وكان من أهم مبادئها: فصل الدين عن الدولة واعتبار الجنس العربي هو الأساس، والغريب من تلك الجمعية اتهامها الدولة العثمانية باغتصاب الخلافة الإسلامية من العرب والتفريط في الدين، مع العلم أن أعضاءها المؤسسين ليسوا بمسلمين كما ذكر سابقاً، و أن من انضم إليها لاحقاً كان قومياً علمانياً، بل إن كاهناً كاثوليكياً كان يدعو في جريدته (النحلة) في الفترة نفسها إلى «الإصلاح الديني [الإسلامي] بلهجة العربي القومي، وهاجم عبد الحميد واصفاً إياه (بمغتصب لقب الخليفة)»(3).

وإضافة إلى الاهتمام بالتعليم وتكوين الجمعيات السرية والعلنية، نشط نصارى الشام في نشر أفكارهم المتمثلة في العلمانية والقومية العربية عن طريق إصدار الصحف والمجلات التي كانت الوسيلة الإعلامية العامة الوحيدة آنذاك.

ولكن لم يكن النصارى وحدهم الدعاة إلى هذه الأفكار الجديدة في الشام، بل كان هناك بعض (علماء المسلمين) الذين تأثروا بهذه الدعوة، وعلى رأس هؤلاء برز في هذه المرحلة: عبد الرحمن الكواكبي (1265ـ1320هـ/1848 ـ1902م) الذي أخذ على عاتقه الدعوة إلى (الوحدة الوطنية) وفصل الدين عن الدولة، فكان . كما يقول حفيده سعد زغلول الكواكبي عنه .:«أول رائد لفلسفة العلمانية مجاهراً بها بين المسلمين»(4).

الجزائر (5):

يعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة (1246هـ/1830م)، نقطة تحول كبرى في تاريخ المنطقة، وقد كان لهذا الاحتلال عوامل دينية وعمرانية (حضارية) لا تخفى، عبَّر عن هذا بورمون قائد الحملة على الجزائر عندما أقام صلاة الشكر احتفالاً بالنصر،

وبعث للملك الفرنسي وصفاً لهذا الاحتفال قال في نهايته: «مولاي! لقد فتحت بهذا العمل باباً للمسيحية على شاطئ إفريقيا، ورجاؤنا أن يكون هذا العمل بداية لازدهار الحضارة التي اندثرت في تلك البلاد»، ولم يُخف المؤرخون المحدثون هذه الحقيقة، فوصف إدوارد يور المؤرخ الفرنسي المعروف حادث الاستيلاء على الجزائر بأنه: «كان أول إسفين دُقَّ في ظهر الإسلام»(1).

وفي هذه الفترة المبكرة وبعد أن استقرت أقدامهم عمل الاحتلال الفرنسي على مصادرة الأوقاف وإغلاق مراكز التعليم بالمساجد والكتاتيب، وإذا ما سمحوا بالتعليم ورخصوا بالكتاتيب . على قلة ذلك . «فمن شروط الترخيص ألا يُدرَّس تفسير القرآن، أو تاريخ الجزائر... »(2).

وفي القضاء انتزع الفرنسيون تدريجياً اختصاصات المحاكم الشرعية وحولوها إلى محاكمهم المدنية.

كما عمل (جنرالات الجيش الفرنسي) وسياسيوه بالتعاون مع (رجال الدين المسيحي) على استنبات بذور تغريبية جزائرية النسب وفرنسية الولاء، فاستمالوا في هذه المرحلة المبكرة بعض مشايخ الطرق الصوفية ورجال الزوايا والأعيان وأشباه الفقهاء ممن أنابهم الاحتلال عنه، فشرع الاحتلال ينظم لهم الرحلات إلى فرنسا، وربما أقدم على تسريب الفتيات الفرنسيات زوجات لبعضهم مؤثِّرات وجاسوسات، فتحولت بعض هذه الزوايا وأصحابها إلى بؤر لترويج التغريب وتشويه الدين ومسالمة الاستعمار معتبرة إياه (قضاءً وقدراً)؛ حيث أفتى بعضهم بقبول الاحتلال كقدر.

أما من جهة المقاومة: فقد بايعت بعض القبائل عام 1832م (1248هـ) الأمير عبد القادر على الأساس الديني (للجهاد ضد الكفار) فاتخذ لقب أمير المؤمنين ودعا القبائل لطاعته بدافع الدين، وأطلق على الأراضي المحتلة اسم (دار الكفر) وعلى البلاد التابعة له (دار الإسلام).

ولكن في الوقت نفسه استعان عبد القادر بالأوروبيين من مختلف الجنسيات لتدريب الجيش ولإقامة مصانع للذخيرة، وقرّب بعضهم، وقد اشتهر من بين هؤلاء المستشرق الفرنسي (!) ليون روش الذي اتخذه الأمير مستشاراً له بعد أن اعتنق الإسلام، فأقام

عنده نحو أربع سنوات، وعندما انقطع الصلح بين الأمير وجيش الاحتلال سنة 1839م (1255هـ) رفض روش اتِّباع الأمير في استئناف القتال، واعترف له بأنه تظاهر باعتناق الإسلام، ومع ذلك فقد أخلى سبيله، ثم تبين بعد ذلك أنه كان جاسوساً.

ويقدم لنا الأمير عبد القادر الجزائري نموذجاً واضحاً لأثر العوامل المساعدة التي ذكرناها سابقاً (كالهزيمة النفسية وانحراف مفهوم القضاء والقدر، إضافة إلى البعثات والرحلات المنظمة والمقصودة) في التحول نحو القبول والميل تجاه التغريب والعلمنة، فهذا الأمير الذي قضى من عمره خمسة عشر عاماً في (جهاد الكفار) حدث له تحول كبير بعد ذلك؛ فبعد هزيمته العسكرية في آخر سنة 1847م (1263هـ) التي أعقبها إيقافه للقتال ثم غدر الفرنسيين به وأسره وترحيله إلى فرنسا.. أطلقه نابليون الثالث من الأسر «وأمر بنقله إلى (بروسة) من أملاك الدولة العثمانية، وأثناء مروره بباريس قدم تعهداً كتابياً بألا يفعل شيئاً ضد فرنسا.

ومنذ ذلك الوقت أصبح يسوده شعور بالعرفان بالجميل نحو نابليون ونحو فرنسا بصفة عامة! حتى إنه طلب الاشتراك في الاقتراع على الإمبراطورية في نوفمبر 1852م [1269هـ] (لأن الأخوَّة تجعلنا مواطنين فرنسيين!).. كذلك ساد الأمير شعور بالتفاوت الحضاري وتفوق قوة فرنسا المادية، وأصبح مقتنعاً (بأن الله هو الذي أراد هزيمة المسلمين لأنهم انحرفوا عن دينهم، وعليهم أن يقبلوا بالمصير الذي انتهوا إليه).. بل إنه أظهر في مناسبات كثيرة تعاونه مع فرنسا، كما اشتهر بإنقاذه للمسيحيين في أحداث سنة (1276هـ/1860م) بدمشق»(3)، ولا غرابة في ذلك إذا عرفنا أن الأمير عبد القادر كان راسخ القدم في التصوف(4)، كما أنه شايع الماسونية بعد انتقاله إلى سورية(5).

(ü) هذه المقالات مقتطفات مختصرة من كتاب يُعِدُّه الأخ الكاتب عن تاريخ العلمانية والتغريب في العالم الإسلامي، وقد آثر – جزاه الله خيراً – مجلة البيان بنشر هذه المقالات قبل نشره للكتاب. . ^ .

(1) جزء من حديث أخرجه الطبراني في الكبير (90/20) والصغير (264/1)، وذكره ابن حجر في المطالب العالية (4348).

(1) انظر على سبيل المثال: إرشاد الفحول للشوكاني، ج 1، ص 329، المسودة لآل تيمية، ج 1، ص 202، الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم، ج 4، ص 517، الإحكام للآمدي، ج 3، ص 9، أصول السرخسي، ج 2، ص 66، المستصفى للغزالي، ج 1، ص 262، شرح مختصر الروضة لنجم الدين الطوفي، ج3، ص 748 .

(1) انظر . في التحذير من ذلك . على سبيل المثال: كلام الإمام الشافعي في (الرسالة) مع تعليق أحمد شاكر، ص 110، 505.

(2) مات بالطاعون في تونس أثناء حملته الثامنة سنة (669هـ/1270م).

(3) انظر: العلمانية، للدكتور سفر بن عبد الرحمن، ص 536، وفي الغزو الفكري، د. أحمد عبد الرحيم السايح، ص 47.

(1) انظر: تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، د. محمود المقداد، ص 58.

(2) السابق، ص 56 . 57.

(3) تاريخ الجبرتي، أحداث شهر محرم سنة 1213هـ.

(4) انظر: بونابرت في مصر، لكرستوفر هيرولد، ترجمة: فؤاد أندراوس، ص 251.

(5) انظر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص 124، ومصر: ولع فرنسي، لروبير سوليه ص 37.

(1) تاريخ الجبرتي، أحداث شهر ربيع الآخر.

(2) انظر مناقشتهم لأحكام الميراث في تاريخ الجبرتي، أحداث شهر جمادى الأولى من سنة 1213هـ.

(3) انظر: تاريخ الجبرتي، أحداث شهر ربيع الأول سنة 1213هـ.

(4) على سبيل المثال: يمكن مراجعة الصفحات رقم: 15،20، 28، 29، 36، 61، 82، 105، 106، 231، 264... من الجزء الثالث من تاريخ الجبرتي، طبعة الأنوار المحمدية، القاهرة.

(5) انظر على سبيل المثال: ص55، 60، 71، 98، 110، 230، 231، 272... من المصدر السابق.

(6) السابق، أحداث شهر ربيع الثاني، 1213هـ.

(7) انظـر: ص20، 31، 32، 25، 45–48، 56، 58، 72، 162، 190،... مـن المصدر السابق ذكره.

(1) انظـر مـثلاً: ص 11، 12، 48،34، 52، 79، 80، 112، 127، 137، مـن المصدر السابق، وانظر أيضاً: مصر: ولع فرنسي، ص 38 . 39.

(2) نقل الرسالة الشيخ محمود محمد شاكر، في (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا)، ص 108، عن كتاب أحمد حافظ عوض: (فتح مصر الحديث)، وقد ذكر أن أصل هذه الرسالة محفوظ في وزارة الحربية الفرنسية، وثيقة رقم 4374.

(3) انظر: في الفكر المصري الحديث، د. عزت قرني، ص 164.

(4) تقرير الحالة الدينية في مصر، الصادر عن مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، سنة 1995م، ص 32.

(1) مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة: فؤاد محمد شبل، ج 3، ص415 . 416، وهو يشير إلى الثورة العرابية في مصر، والثورة البلشفية في روسيا، والانقلاب الأتاتوركي في تركيا.

(1) وجهة الإسلام، هاملتون جب، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ص 34 . 35 ، وانظر: ص 37.

(2) انظر: العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة، د. عزت قرني، ص 59، 106.

(3) مصر: ولع فرنسي، روبير سوليه، ص 80، وانظر: الرحالون العرب وحضارة الغرب، د. نازك سابا يارد، ص 52.

(4) انظر: في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، جـ 1، ص 72.

(5) انظر: المصدر السابق، جـ 2، ص 10. (6) انظر: السابق.

(1) د. لطيفة محمد سالم، مصدر سابق، ص 128.

(2) انظر: العثمانيون من قيام الدولة إلى الأنقلاب على الخلافة، د. محمد سهيل طقوش، ص 527 . 528، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، د. إسماعيل أحمد ياغي، ، ص 172 . 175، قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، د. زكريا سليمان بيومي، ص 170، 213، 216، محاضرات في نشوء الفكرة القومية،

ساطع الحصري، ص 92 . 95، د. محمد حرب، مصدر سابق، ص 431، الفكر العربي في عصر النهضة، ألبرت حوراني، ص 78.

(3) الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، د. سيد رجب حراز، ص 21، نقلاً عن: صحوة الرجل المريض، ص 73.

(4) العلماء العثمانيون والتغريب في زمن سليم الثالث ومحمود الثاني، أوريل هيد، بحث ضمن كتاب (الشرق الأوسط الحديث)، إشراف: ألبرت حوراني وآخرين، ترجمة: د. أسعد صقر، ج 1، ص 47.

(5) بتصرف عن: صحوة الرجل المريض، د. موفق بني المرجة، ص 71.

(6) أو (العثمانيين الشبان)، ويذكر بعض الباحثين أن جذورها تعود إلى عام (1860 م)، انظر: د. محمد سهيل طقوش، مصدر سابق، ص 431، ود. زكريا سليمان بيومي، مصدر سابق، ص 210.

(1) انظر: يقظة العرب، لجورج أنطونيوس، ترجمة: الدكتور ناصر الدين الأسد، والدكتور إحسان عباس، ص 97 – 126، والفكر العربي في عصر النهضة، لألبرت حوراني، ترجمة كريم عزقول، ص 104– 111، 276– 283، والدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، د. علي حسون، ص 142– 149، والتاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر، جـ 8، ص 183.

(2) الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث والمعاصر ، د. محمد كامل ضاهر، ص 99.

(1) الفكر العربي في عصر النهضة، ص 270، وانظر: ص 110، 251، 280.

(2) هاجر إلى مصر سنة 1883 م (1300 هـ)، وكان أحد مؤسسي مجلة (المقتطف) وجريدة (المقطم) المواليتين للإنجليز.

(3) الفكر العربي في عصر النهضة، ص 276. (4) الإمام الكواكبي . فصل الدين عن الدولة، لجان داية، ص10.

(5) انظر: المغرب العربي . دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة، للدكتور صلاح العقاد، والإسلام والاستعمار، وعقيدة الجهاد في التاريخ الحديث، لرودلف

بيترز، ص 73 . 83، وعبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، لمصطفى محمد حميداتو، ص 45 - 51.

(1) المغرب العربي . دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة، للدكتور صلاح العقاد، ص 79.

(2) الاستبداد والاستعمار وطرق مواجهتهما عند الكواكبي والإبراهيمي، د. أسعد السحمراني، ص 41.

(3) د. صلاح العقاد، مصدر سابق، ص 122.

(4) انظر: تعليقات الأمير شكيب أرسلان على كتاب حاضر العالم الإسلامي، جـ 2، ص 172 - 173.

(5) انظر: د. زكريا سليمان بيومي، مصدر سابق، ص 170، 219، وصحوة الرجل المريض، ص 340، وانظر الإشارة إلى نفي هذه التهمة عنه في مقال حفيدته الأميرة بديعة الحسني الجزائري، بجريدة الحياة اللندنية، ع/ 13275، تاريخ 1420/3/30هـ - 1999/7/13م.

مجلة البيان رقم العدد : 159 , رقم الصفحة : 159

==============

#جذور العلمانية والتغريب في العالم الإسلامي(2)

خالد ابو الفتوح

أشار الكاتب في الحلقة السابقة إلى أن العلمانية هي أحد الانحرافات التي أصابت الأمة الإسلامية، ورأى أنها إحدى الصور الفجة لانفصال السلطان عن القرآن، كما أومأ إلى أن بعض الباحثين يرى أن الشرارة الأولى للغزو الصليبي بالفكر والقيم اتقدت في ذهن لويس التاسع عشر بعد هزيمته وأسره في مدينة المنصورة عام 1250م، ثم طوّف بنا الكاتب في أنحاء شتى من عالمنا الإسلامي ليرصد حركة التغريب، وها هو اليوم يشد بنا الرحال إلى بقاع أخرى لنشهد بعضاً مما أصاب الأمة من أوضار بسبب حركة العلمنة والتغريب. - ^ -

أما في تونس (1):

فلم يكن الحال أقل سوءاً؛ فبعد زيارة إلى أوروبا سنة 1846م (1262هـ)، واستقبال حافل في باريس بدأت سياسة التعاون بين أحمد باي(2)وفرنسا، فسمح لهم بإنشاء كاتدرائية في مواجهة مدينة تونس (في المكان الذي قيل إن لويس التاسع مات فيه أثناء الحروب الصليبية)، وعهد إليهم بإنشاء المدارس وتدريب الجيش.

ورغم عدم وقوع تونس تحت الاحتلال الأجنبي رسمياً إلا أن النفوذ الأجنبي فيها كان كبيراً، كما كان هناك تأثر بحركة التنظيمات التي شهدتها الدولة العثمانية . وكانت تونس تابعة لها .، ومن ثم: كان طبيعياً أن تشهد تونس أيضاً حركة (إصلاحات) على النسق الأوروبي.

ففي عام 1275هـ (1857م) أصدر باي تونس (محمد باشا) . استجابة لرغبة القناصل الأوروبيين . القانون الأساسي لتونس، وهو شبه دستور عرف باسم عهد الأمان، وقد صيغ على نمط خط كلخانة العثماني، حيث بناه على قواعد ثلاث: الحرية، والأمان التام، والمساواة التامة بين المسلمين وغير المسلمين أمام القانون.

وفي عهد الباي محمد الصادق باشا وبفضل جهود الوزير خير الدين باشا (التونسي) تم تعديل عهد الأمان، فصدر أول دستور في العالم الإسلامي على الإطلاق سنة 1861م (1277هـ)، وبحسب هذا الدستور يتولى الباي السلطة التنفيذية ويعاونه وزراء يقوم هو باختيارهم، وهو الذي يقوم أيضاً بإصدار (التشريعات) بمعاونة مجلس تشريعي مكون من (60) عضواً يقوم الباي بتعيينهم من التونسيين والجالية الأجنبية، وقد نصت المواد الثلاثة الأولى من الدستور على المساواة أمام القانون والإدارة والضرائب دون تمييز بين الأجناس والأديان، كما خصصت المواد (9، 10، 11) لتأكيد حقوق الأجانب، ثم بدأ العمل في إصدار قانون مدني وآخر جنائي بعد صدور هذا الدستور، وكان خير الدين «هو العقل المنظم لهذه الحركة ومن له النصيب الأكبر في وضع القوانين لمجلس شورى منتخب»(1)، فقد كان هو الرئيس الفعلي للمجلس التشريعي بجانب توليه لوزارة الحربية.

وفي عام (1284هـ/1867م) نشر خير الدين كتابه: (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك)، شرح فيه آراءه في الإصلاح والتجديد التي جاءت متأثرة بمشاهداته أثناء

رحلته إلى فرنسا (1853م . 1857م/ 1269هـ . 1273هـ)، حيث يقول في مذكراته: «إن إقامتي الطويلة في فرنسا ورحلاتي العديدة مكنتني من دراسة أسس المدنية الأوروبية وأحوالها، فضلاً عن مؤسسات الدول الكبيرة في أوروبا، فانتهزت فرصة اعتزالي الحياة السياسية ووضعت مؤلفي السياسي الإداري: (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك)»(2)، بل صرح في كتابه هذا «أنه استقى بعض معلوماته وآرائه في (أقوم المسالك) من كتب أوروبية في السياسة والتاريخ والاقتصاد والقانون...»(3)، وقد اهتم فيه بالتدليل على أهمية اللحاق بالغرب في منجزاته ومخترعاته، ولكنه ألحق بذلك أيضاً (تنظيماته) باعتبار أن هذه التنظيمات هي أساس التقدم المادي الذي أحرزه الغرب، كما إنه عدَّ هذه (التنظيمات) الغربية مؤسسة على دعامتي الحرية والعدل (اللذين هما أصلان في شريعتنا)(4)، غافلاً عن اختلاف المصدر . ومن ثم: القيم والتشريعات . المؤسسة لهاتين الدعامتين في كل من النظام الغربي والنظام الإسلامي.

ولأجل مواءمة الشريعة (لإصلاحاته) «فقد دعا إلى الاجتهاد في تأويل الشرع حتى من غير التمسك بالمذاهب الفقهية، ما دامت غاية المجتهد أن يخدم الصالح العام»(5)، وعليه: فقد عهد إلى مختصين بدراسة الفقه الحنفي والمالكي وعادات البلاد والقوانين المعمول بها في الدولة العثمانية وفي مصر وفي أوروبا، وأن يستخرجوا منها قانوناً يناسب تونس، ولكنه خرج من الوزارة قبل أن تتم هذه اللجنة عملها(6).

الهند(7):

استطاع الإنجليز القضاء على قوة الأمراء الذين لم يدخلوا في طاعتهم، وانتهى الأمر بأن تمكن القائد البريطاني من القضاء على كل سلطان المسلمين في الهند . فيما عدا جيوب صغيرة . عندما دخل دلهي عام 1803م (1218هـ)، وبذلك انتهى تاريخ سيادة المسلمين على شبه القارة الهندية؛ وأخذ الإنجليز يمحون الطابع الإسلامي في المنطقة، وأفصحوا عن سياستهم المعادية عداءاً صريحاً لكل ما هو إسلامي في الهند.

ولكن لم يرضَ المسلمون بهذا الواقع، فأصدر شيخ المحدثين مولانا شاه عبد العزيز الدهلوي (1159هـ ـ 1239هـ / 1746م ـ 1823م)في السنة نفسها فتوى تنم عن إحساس عميق بخطورة الوضع ومعرفة دقيقة للفرق بين الإسلام والعلمانية؛ حيث أعلن أن «... في هذه البلد (دلهي) لا يحكم إمام المسلمين إطلاقاً، بينما تسود فيه سلطة الحكام النصارى دون حرج، ونعني بإجراء أحكام الكفر: أن الكفار في وسعهم أن يعملوا بسلطانهم في الحكم، وفي التعامل مع الرعية، وفي جمع ضرائب الأرض والرسوم والمكوس والعشور والدموغ، وفي عقاب قُطَّاع الطرق واللصوص، وفي تسوية النزاعات وعقاب المجرمين، ومع ذلك فإن بعض أحكام الإسلام التي تتعلق بصلاة الجمعة والأعياد والأذان، وذبح البقر، ما زالت نافذة، إلا أن ذلك إنما يرجع إلى أن جوهر هذه الأمور لا قيمة له عندهم؛ إذ إنهم يهدمون المساجد دون تورع، ولا يستطيع المسلمون والذمِّيون أن يدخلوا هذه البلد أو ضواحيها إلا بأن يطلبوا منهم الأمان، وإنما لمصلحتهم هم أنهم لا يعرقلون مرور المسافرين والتجار... »(1)، وقد عُدَّت هذه الفتوى بعد ذلك مرجعاً للعلماء والمسلمين عامة في عدم شرعية الوجود البريطاني في الهند، وكانت هي الأساس لكل دعوة إلى محاربة الإنجليز ومقاطعتهم.

وعليه: كان المسلمون يعتقدون أن المسلم الصالح ينبغي عليه مقاطعة الإنجليز وعدم التشبه بهم حتى في أدق الأمور كالأكل بالشوكة والسكين، أو ارتداء حذاء برباط...، لأن ذلك من التشبه (بالكفار).

وفي عام (1274هـ/ 1857م) قامت ثورة كبرى (الاعتصام الكبير) في ولايات عديدة من الهند تزعمها المسلمون وبعض الهندوس الذين نكبهم الإنجليز، واستمرت هذه الثورة حوالي العام حاول فيها المسلمون إعادة تنصيب آخر سلطان مغولي (سراج الدين أبو ظفر شاه)، ولكن الثورة أخفقت وقضى عليها الإنجليز بوحشية وقسوة مع تخصيص المسلمين بالقهر المتعمد، وقبضوا على السلطان سراج الدين ونفوه بعد أن عزلوه وأهانوه إهانة شديدة ثم اضطروه إلى التنازل عن عرشه.

وبنهاية سلطنة مغول الهند أصبحت الهند كلها مستعمرة بريطانية، وأحس الإنجليز أن مصدر القلق في المسلمين هو موقفهم العدائي من (الكفار)، وأن سبب التمردات والثورات التي تخبو ثم تشتعل من جديد هو فتاوى العلماء التي كانوا يصدرونها

بوجوب الجهاد ضد الكفار ومقاطعتهم، فلجأ المستعمر إلى «بعض العلماء يصطنعهم ويستفتيهم في مسألة الجهاد في الهند: هل يجوز أم لا؟ ويصدر هذا البعض الفتاوى بأن الجهاد في حالة عدم التكافؤ بين قوة المسلم وقوة المستعمر عبث ومضيعة للنفس والمال، وأن المستعمر ما دام لا يتدخل في إقامة الصلاة وأداء الفرائض فلا تكون البلاد بلاد حرب...؟ واستجلبوا [أي: الإنجليز] فتاويهم حتى من مكة، كي يقضوا على فكرة الجهاد التي يعتنقها بعض المسلمين في الهند، ويعمل بها المتحمسون..»(2)، وواضح ما في هذه الفتاوى من تراجع عن الوعي والانتباه اللذين بدوا في فتوى شاه عبد العزيز السابقة، وهنا يظهر مرة أخرى أهمية دور العلماء في المعركة ضد التغريب والعلمانية.

وتوازى مع ذلك الاتجاه: شروع الإنجليز في غزو المسلمين في العمق الفكري والاجتماعي

غزواً منظماً، فحاربوا مدارسهم واستبدلوا بها المدارس الإنجليزية الحديثة، ونزعوا الأوقاف الإسلامية التي كانت تنفق على المدارس الإسلامية، وهددوا أو أغروا أغنياء المسلمين حتى يكفوا عن مساعدة هذه المدارس، وساندوا المنصرين بقوة، كما حرصوا على

إبعاد المسلمين عن كل الوظائف ذات المسؤولية ووضعوا مكانهم هندوساً وسيخاً.

وفي الوقت نفسه: أفاق المسلمون بعد انكسارهم في (الاعتصام الكبير) على الواقع الأليم الجديد، فبدأت الهزيمة النفسية تتغلغل إلى نفوس كثير منهم، كما بدؤوا يفكرون كيف يتعايشون مع الواقع الجديد الذي بدا لهم أنه سيكون طويلاً مستمراً؟ ويبحثون عن سبل إنقاذ ما يمكن إنقاذه، ورأوا أنهم . بعد فقدانهم سلطانهم السياسي والاجتماعي . مهددون بفقدان هويتهم الثقافية وتميزهم الفكري، وانقسموا إزاء مواجهة ذلك فريقين: فريقاً يرى الحفاظ على هوية المسلمين بتنمية معارفهم الأصيلة عن طريق إنشاء مدارس يدعمها عامة المسلمين أنفسهم حتى لا تتعرض لضغوط الحكومة الإنجليزية وكل من له صلة بها من الأمراء والأغنياء، وكانت أول مدرسة قامت على هذا الأساس مدرسة (دار العلوم) في ديوبند سنة (1283هـ/1867م)، و «كان الأساس الذي قامت عليه هي وزميلاتها أساساً فكرياً خالصاً، يتمثل في

الاحتفاظ بالثقافة الإسلامية ولغتها (اللغة العربية) ومحاربة الثقافة الإنجليزية والحيلولة بينها وبين الغزو الفكري والخلقي للمسلمين في الهند، وقد كوَّن هذا الاتجاه مدرسة فكرية خاصة في الهند كان لها أثرها البعيد المدى في حياة المسلمين الخاصة والعامة هناك»(1).

أما الفريق الآخر فقد رأى أن اتجاه الفريق الأول يؤدي إلى حرمان المسلمين من المشاركة في خيرات البلاد ووظائفها العامة، فدعا إلى إزالة الفجوة بين الإنجليز والمسلمين، وإلى غرس الثقة المتبادلة بينهم، كما دعا أصحاب هذا الاتجاه المسلمين إلى الإقبال على التعليم المدني الذي أدخله المستعمر للبلاد، ودعوا إلى إنشاء مؤسسة علمية إسلامية يتلقى فيها أبناء المسلمين التعليم الحديث مع تعاليم دينهم في جو مأمون موثوق به، وهكذا ولدت مدرسة (عَليكَرْه) سنة (1293هـ/1875م) التي تحولت فيما بعد إلى (الكلية المحمدية! الإنجليزية).

وقد تكون بعض المقدمات التي قدمها هذا الفريق صحيحة، ولكن شخصية القائم على هذا الاتجاه، والمسار الذي سلكته المدرسة الممثلة له: يفضحان أن المقصود كان تدجين فكر المسلمين وتذويب التميز العمراني (الحضاري) الذي كانوا يتمتعون به ويحسونه ويفخرون به؛ فقد كان رأس هذه الاتجاه هو سيد أحمد خان (1817م ـ 1898م/ 1232هـ ـ 1316هـ)، الذي كان موظفاً في الحكومة الإنجليزية بمهنة (قاضٍ) في محكمة، والذي عارض ثورة عام (1274هـ/1857م) وأنقذ أثناءها أُسَراً إنجليزية كثيرة وحماها من فتك الثائرين بها، وقد كافأته بريطانيا على مواقفه الموالية لها عندما زارها عام 1869م (1286هـ)، حيث كان ابنه يدرس هناك، فنزل لمدة سبعة عشر شهراً ضيفاً مبجلاً على الأوساط الإنجليزية الراقية، فاحتفل به كبار الإنجليز الرسميين وقابل الملكة وولي العهد والوزراء الكبار، ونال الوسام الملكي ولقب الشرف (سير)، وأثنت عليه الصحافة الإنجليزية، كما هيؤوا له زيارة الجامعات والمعاهد العلمية؛ ليستفيد منها عند إنشاء مدرسته الجديدة،.. في زيارة تذكرنا بالبعثات الباريسية (للمصلحين) العرب! كما أن الرجل كانت له آراء فكرية خطيرة تدل على مدى الانحراف الذي يعمل على جر المسلمين إليه، فانحراف المعتزلة القديم في خلق القرآن وفي العلاقة بين العقل والنص تحول على يديه إلى القول بأن

القرآن نزل على الرسول بالمعنى فقط، ثم صاغ الرسول ألفاظه من عنده، وقد تشبع سيد أحمد خان بالمذهب (الطبيعي)، وهو مذهب داروين، وأنكر الجنة والنار والملائكة والجن، وأخذ يشتم الفقهاء ويستهزئ بالمحدِّثين وبالشعائر الإسلامية.

بل نظر إلى العبادات المحضة النظرة العقلية نفسها فجعلها مجرد رموز، ووصف الإحرام والطواف ورمي الجمرات بأنها عادات باقية من الأديان الأولى في طفولة البشرية، وكان يرى أن الإسلام والهندوكية والنصرانية يجب أن تكون عقائد دينية في نفوس معتنقيها فقط، وهذه العقائد كلها يجب ألا تؤثر في الوطنية، وقال: إن الجهاد يكون مشروعاً فقط عند الدفاع عن النفس وبشرط أن يحمل العدو المسلمين على تغيير دينهم صراحة. وقد تطورت هذه الآراء على يد تلامذته فأصبحت أكثر تطرفاً . أو قل: صراحة ووضوحاً .، وذلك كله باسم (تجديد) الدين والإصلاح، وهو في الحقيقة تطويع وتطوير للدين. وقفات مع المرحلة:

وقبل أن ننتقل إلى مرحلة تالية من تاريخ العلمانية والتغريب في العالم الإسلامي نود الوقوف مع أحداث هذه المرحلة . والتي قبلها . وظواهرها بعض الوقفات؛ لعلنا نضع أيدينا على بعض الحقائق والدروس لنستفيد منها: فأولى هذه الوقفات: أن أوضاع العالم الإسلامي في بداية هذه المرحلة وما قبلها مباشرة كانت أوضاعاً في مجملها تحوي كثيراً من المظالم والتخلف، مظالم شاملة لا يوقفها معيار محدد للعدالة إلا القوة والسلطة، وتخلف شامل أيضاً كانت حقيقته التخلف عن الإسلام ذاته، ومظاهره التخلف عن الغرب الذي سبق العالم الإسلامي في العلوم والإدارة والصناعة والتجارة. أي إن أوضاع العالم الإسلامي كانت تستحق الثورة وكانت في حاجة إلى الإصلاح، ولكن الثورة من أي منطلق، والإصلاح في أي اتجاه؟ هذا هو ما نختلف مع (الإصلاحيين) والعلمانيين فيه.

كما يجب أن نشير هنا أيضاً إلى أنه . رغم تلك الأوضاع . فإن الفجوة بين العالم الإسلامي والغرب في بداية هذه المرحلة كانت غير كبيرة(1)، ومن هنا يمكننا القول: إنه كان من الممكن إذا توفرت الجهود المخلصة للإصلاح، ولم تتكالب قوى الغرب للإجهاز على العالم الإسلامي قبل إفاقته.. كان يمكن تدارك هذه الفجوة واللحاق بهم فيما تقدموا فيه من علوم مادية من غير تفريط في قيمنا ومبادئنا و(ديننا)، ولكن ما

حدث في الواقع هو العكس؛ إذ اتجهت الأنظار إلى قيم الغرب ومبادئه زاعمة أن هذا هو سر تقدم الغرب وحقيقة عمرانه (حضارته)، ودارت الدعايات والترويج لهذه القيم والمبادئ، بينما كان النشاط في اقتباس علوم الغرب وأسرارها ضئيلاً وسطحياً.

ثانياً: من المعلوم أن «العلمنة بمعناها الشامل فلسفة تنطوي على (محاولة لإدراك معنى العالم المادي بوصفه معقولاً... وعلى إمكانية إدراكه، وبالتالي تغييره دون حاجة للقوى الفوقية والسماوية والدينية)»، وتتفق المذاهب العلمانية الكبرى في المعنى النظري للعلمنة «الذي يتضمن (تَمْدِين الدولة والمجتمع والمؤسسات والقوانين وسائر الشؤون العامة، وإبعادها عن أي مؤثرات دينية)» ولذلك فإن العلمنة تعني صراحة: «إبعاد الدين عن ميدان تنظيم المجتمع الإنساني وشؤونه السياسية والاقتصادية والاجتماعية»(2)، ومن خلال تأمل مجريات المراحل السابقة للعلمانية والتغريب في العالم الإسلامي نستطيع بلورة ملامح الغزو العلماني التغريبي التي استمرت أيضاً . ولكن بصورة أوضح . في المراحل اللاحقة، لتصب في اتجاه تحقيق معنى العلمنة السابق ذكره، ومن أهم هذه الملامح:

1 - إيجاد مرجعية فكرية جديدة بديلة عن المرجعية السائدة في المجتمع، وهي التي كانت في أصلها مرجعية إسلامية.

2 - وضع الأفكار (القديمة) الشائعة بين أفراد المجتمع موضع الشك، ومن ثم: بحثها ودراستها مرة أخرى في ضوء المرجعية الفكرية الجديدة، مما يؤدي إلى استبدال هذه الأفكار (القديمة).

3 - ربط المجتمع الإسلامي بمنظومة عالمية في الفكر والاجتماع والسياسة والاقتصاد والقانون، وإحلال هذه المنظومة في المجتمع بحيث تمثل صبغة جديدة له.

4 - استبدال ولاءات جزئية قائمة على قيم أرضية (مادية) . عنصرية أو مصلحية . بقاعدة ولاء المجتمع المسلم، المتمثلة في الولاء لله ورسوله وللمؤمنين، ثم إعادة ترتيب هذه الولاءات الجزئية في منظومات وتحالفات أكبر قائمة على الأساس المادي ذاته.

5 - ولتحقيق هذا الهدف كان ينبغي تحطيم أدوات وحدة فكر هذه الأمة وعاطفتها القومية الإسلامية، وذلك بالقضاء على . أو على الأقل إضعاف . حضور اللغة

العربية الفصحى (لغة القرآن)، وعلى مفهوم العمران (الحضارة) الإسلامي، باعتباره عمراناً متصلاً خرج من معين واحد، مع تشويهه والحط منه؛ لإيقاف عاطفة الفخر القومي الإسلامي الناشئ من هذا الاعتبار.

6 – كما ينبغي . لبلوغ هذا الهدف . تفتيت تماسك المجتمع، وذلك بغزو نواته الأولية المتمثلة في الأسرة، وذلك عن طريق استهداف المرأة، وإشاعة صور التفلت والانحلال الخلقي بين أفراد المجتمع.

وإذا كانت هذه الملامح بدت باهتة في المراحل السابقة فإننا سنلحظها واضحة كل الوضوح في هذه المرحلة.

ثالثاً: باستعراض الخطوات التي أدت إلى العلمانية والتغريب في الأقطار التي تعرضنا لها، نلحظ أن آلية هذه الخطوات تتشابه . إن لم تتطابق . في كيفية تسللها، وأن الغرب استفاد من تجاربه العديدة مع المسلمين في شتى البقاع وعلى مر العصور، وهي تبدأ بإظهار الفارق العمراني (الحضاري) بين الغرب الغازي والبلدان الإسلامية، والتأكيد على تفوق هذا الغرب، يتبع ذلك إحساس المسلمين بالانكسار والهزيمة النفسية التي تولد عندهم إعجاباً بهذا المتفوق، ثم العمل على محاولة مسايرته واللحاق به، فيفتح لهذا الغرب الباب لتعليم وتدريب من يُعَدُّون لقيادة البلاد، ويفتح الباب أيضاً لتسنم بعض هؤلاء المعلَّمين مراكز حساسة في البلاد، وفي الوقت نفسه: تُرسل البعثات من أبناء المسلمين النابهين وقياداتهم للاطلاع على هذا الغرب وأخذ العمران و(الحضارة) من منبعهما الأصيل!، فتتلقاهم هناك أيادي المستشرقين والمبشرين، ويغوصون في أوحال هذا المجتمع ويرتوون من مستنقعاته، ثم يعودون إلى بلدانهم ليكونوا (حزب الغرب) فيها.

وبعد ذلك تفتح أبواب البلاد . المعجبة بالغربيين والمهيأة لهم . لامتيازات الدول الأجنبية وأفرادها، فتبدأ سياسة (التغلغل السلمي)، فيمتلكون الأراضي والعقارات، وينشئون المزارع والمصانع، ويديرون شركات البنية الأساسية، فتكون هذه الامتيازات ذريعة للتدخل السياسي والاقتصادي ثم العسكري؛ للحفاظ على حقوق رعاياهم وأعوانهم، فيصعب على البلاد بعد ذلك الخلاص منهم، وفي الوقت نفسه: يبدؤون باللعب على وتر حقوق الأقليات فتبرز الوطنية أو القومية أو الطائفية، ثم يطالبون

بنظام قضائي (حضاري) وتعليم (معاصر) واقتصاد حر.. ويفتح الباب على مصراعيه للعلمنة والتغريب.

رابعاً: ولتمرير نهج التغريب والعلمنة فقد حرص المنفذون في هذه المرحلة على مراعاة عدة أمور عند التنفيذ، منها:

- أن يتم تمرير هذا النهج على يد رموز علمية واجتماعية مقبولة من المجتمع المستهدف، وكان أبرز من يقوم بذلك بعض العلماء والساسة اللامعين (أو الملمَّعين) الذين أظهروا ميلاً إلى الوافد الجديد؛ حيث كانت المؤسسة العلمية الدينية وحدها تمثل الحياة الفكرية حينئذ، وكانت المؤسسة السياسية هي أداة التنفيذ الأساس.

- أن يتم تسويغ الأفكار الجديدة تحت لافتات عديدة مقبولة: كالإصلاح، والتحديث، والنهوض، والأخذ بأسباب القوة والمدنية.. وإظهار أن هذه الأفكار غير متعارضة مع مبادئ الدين وقيم المجتمع.

- أن يكون التغيير المستهدف شاملاً لجميع نواحي الحياة: فكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية، بل أن يصل التغيير بهذه المبادئ إلى الدين نفسه. كما سنرى لاحقاً إن شاء الله تعالى..

- أن يكون هذا التغيير بصورة تدريجية مع اتباع سياسة الصدمات محسوبة الأثر والنتائج إن لزم الأمر.

خامساً: وكانت الترجمة من أهم طرق نقل الأفكار الغربية إلى العالم الإسلامي وأخطرها في ذلك الوقت. وخاصة في مصر وتركيا والشام. «فقد مهدت حركة الترجمة بما حققته من انتشار الفكر العلمي والثقافة العلمية. في مقابل الفكر والثقافة الدينية. مهدت السبيل للأفندية أن يحلوا محل المشايخ في الزعامة الفكرية في مصر في القرن 19»(1).

سادساً: اختلف شكل الإطار الذي خرجت منه العلمانية والتغريب حسب ظروف منطقة الاحتكاك العمراني (الحضاري) الذي نموَا فيه، ففي حين أن دور رجال السلطة المحلية والمحافل الماسونية كان واضحاً في مصر وتركيا في هذه المرحلة، نجد أن الإرساليات التنصيرية والمستشرقين والنصارى العرب لعبوا دوراً أكبر في الشام، كما نجد أن الاستعمار الصريح: الفرنسي في الجزائر، والبريطاني في الهند

كان هو العامل الحاسم في غرس العلمانية والتغريب في هذين البلدين، وهذا الاختلاف في الإطار والظرف العام سيكون له أثره فيما بعد.

ومع ذلك فيكاد ألا يختلف (أسلوب) تقديم العلمانية إلى العالم الإسلامي رغم اختلاف هذه الظروف وتعدد هذه الأطر؛ فقد تسللت العلمانية والتغريب إلى العالم الإسلامي في بدايتها . وما زالت . تحت ستار كثيف من التضليل والتلبيس؛ حيث اختلط (أو خُلِّط) الحق بالباطل والصواب بالخطأ في الدعاوى التي رفعها (الإصلاحيون)، كما قُدِّمت العلمانية والتغريب . في هذا الخلط . على طبق من الدين.

وفي ذلك يصف الدكتور محمد محمد حسين بدقة دوافع (المصلحَيْن) الطهطاوي وخير الدين التونسي ومنهجهما، فيقول: «فالطهطاوي وخير الدين يبدأ كل منهما كلامه بالنص القرآني وبالحديث وبرأي الصحابة والفقهاء، ونقطة البدء في تفكيرهما هي التماس الوسائل لقوة المجتمع الإسلامي... ولكن التخطيط للنهضة والتماس الحلول للتخلص من عوامل الضعف يبدأ من الإعجاب ببعض ما شاهداه من النظم في المجتمع الغربي والرغبة في نقله إلى وطنيهما...»(1). والقوانين التي صدرت باسم (التنظيمات) في الدولة العثمانية كانت تُصدَّر بأنه: «لا يخفى على عموم المسلمين أن دولتنا العلية من مبدأ ظهورها وهي جارية على رعاية الأحكام القرآنية الجليلة والقوانين الشرعية المنيفة.. وقد انعكس الأمر منذ مئة وخمسين سنة بسبب عدم الانقياد والامتثال للشرع الشريف ولا للقوانين المنيفة..»(2)، ثم تُذيَّل بأنه «قد أفتى المفتي بجواز العمل بها شرعاً ومعاقبة من يعارض في إنفاذها»(3).

وقد كان للصورة التي حاولوا بها (تقنين) الفقه دوره في هذا التلبيس . بغض النظر عن نيات من قاموا به ومدى مناسبة هذا التقنين . حيث اعتاد الناس هذه الصورة وألِفوها، ومن ثم: لم يستغربوا بعد ذلك أن يُحكموا بقوانين غريبة عن الإسلام على هذه الصورة، لا سيما حين يقال عنها إنها لا تخالف الشريعة الإسلامية، أو إن لها تخريجاً يتفق مع رأي في مذهب فقهي إسلامي.

هذا الأسلوب وإن بدا في هذه المرحلة المبكرة غير ظاهر والانحراف فيه يسير، إلا أنه استعمل على نطاق واسع في المراحل التالية، كما أن خط الانحراف به اتسع وتأصل فيما بعد.

سابعاً: تميزت هذه المرحلة بالتركيز على التغلغل في أوساط النخب الثقافية والفكرية وأصحاب التأثير في المجتمع الإسلامي، كما تميزت بالارتكاز على أصحاب السلطة والاحتماء بهم لنشر العلمانية والتغريب، وهذا واضح في البلاد التي تعرضنا لها.

أما قاعدة المجتمع العريضة فقد كانت تعيش حالة من التحول الاجتماعي . أو ما نستطيع أن نطلق عليه: البرزخية الاجتماعية . فهي لم تكن تعيش إسلاماً صحيحاً كما أنها لم تكن تعيش علمانية كاملة.

وفي الوقت نفسه: كان واضحاً سعي ذوي النفوذ في تيار العلمانية والتغريب على صبغ حياة المجتمعات الإسلامية بالقوانين الوضعية في مجالات الحياة المتنوعة؛ لنزع الطابع الديني عن المعاملات اليومية في حياة أفراد هذه المجتمعات وإحلال صبغة علمانية بديلة، إضافة إلى ربطهم بأسس مرجعية جديدة ترتبط بالنظام العالمي الناشئ من المدنية الغربية، كما حرصوا على إشاعة المظاهر التي تدل على هذه الصبغة الجديدة.

أما بالنسبة إلى العلماء فإنه وإن استُعمِل بعضهم جسراً للعلمانية والتغريب إلا إن آخرين أعلنوا رفضهم لذلك الاتجاه وقاوموه بالوسيلة التي يملكونها: الفتاوى! وفضح أصحاب هذا الاتجاه أمام الأمة؛ ففي تركيا العثمانية «لم يلق الخط الشريف أو الدستور الذي سانده مصطفى رشيد وقلة من المحيطين به ترحيباً أو تأييداً من الرأي العام العثماني المسلم، فأعلن رجال الدين! تكفيرهم لرشيد باشا، واعتبروا الخط الشريف منافياً للقرآن الكريم في مجمله، وبخاصة في مساواته المسيحيين بالمسلمين...»(4). وعندما أعلن سيد أحمد خان آراءه «هيج الرأي العام ضده، وزاد في هياج الرأي العام المسلم وتشديد النكير عليه من العلماء . حتى حكموا بكفره . ما قرره في تفسيره من أن القرآن نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعنى فقط...»(5).

ولكن أصحاب هذه الأصوات المعارضة ضاعت وسط الزخم العلماني والتغريبي المستند على السلطة النافذة والدعم الغربي آنذاك، كما يبدو أن أصحاب هذه الأصوات المعارضة لم يستطيعوا إدراك مدى المخطط البعيد وشموله في هذه المرحلة المبكرة.

أخطر المراحل وأعقدها (1882م– 1917م): بعد أن نمت البذور التغريبية والعلمانية في أرض الإسلام بدأت تضرب بجذورها في هذه الأرض، وبدا واضحاً أن هذه الجذور أخرجت نبتة لها ساق مستوٍ وعود مشتد.

وقد تميزت هذه المرحلة بحدوث اضطراب شديد وتحولات فكرية وسياسية واجتماعية كبيرة في البلاد الإسلامية، كما أن التداخل في نشاطات وجهود (الرواد) الإصلاحيين وأثر ذلك على الأقطار المتعددة.. كان سمة بارزة في هذه المرحلة.

ويمكننا في هذا الرصد أن نضع أيدينا على مفاتيح تعيننا على فهم هذه المرحلة التي نحن بصددها، تتمثل في الآتي:

أولاً: تميزت هذه المرحلة بتكثيف انتقال القيم الغربية والعلمانية من مجال الأفكار إلى الواقع، وبذا انتقلت الهجمة التغريبية العلمانية إلى الضرب في العمق؛ فكراً: بطرق الموضوعات التي تطرحها في صورة أكثر صراحة ووضوحاً وشمولاً، وانتشاراً: بفتح ميدان انتقالها من النخبة المثقفة المحدودة إلى القاعدة الشعبية العامة.

ثانياً: نتيجة لهذا الضرب المركز في العمق الفكري والاجتماعي تبلور تيار كانت بذوره موجودة في المرحلة السابقة، وكان جل اهتمامه محاولة (التوفيق) بين الإسلام وبين الأفكار والقيم الغربية الوافدة، وقد تعددت (دوافع) هذا التيار و(درجاته) و (صوره)، ولكنه عموماً احتل مساحة واسعة في أنشطة هذه المرحلة، كما كان له أثر كبير فيما بعد.

ثالثاً: رغم تعدد ميادين الأنشطة العلمانية والتغريبية و (التوفيقية) في هذه المرحلة إلا أن هناك قاسماً مشتركاً يجمع بين هذه الأنشطة بدا وكأنه صرعة العصر التي تنطلق منها، ألا وهو: الحرية بمفهومها الغربي الليبرالي؛ فقد تمثل ذلك في الفكر: بطرح كل المسلَّمات (السابقة) على طاولة النقاش، ومن ثم: الرفض أو القبول، وفتح المجال لإدخال أي أفكار والترويج لها باسم حرية الفكر، وفي الإصلاح الديني: بفتح باب الاجتهاد وإعادة تفسير الإسلام بما يتلاءم مع (روح العصر)، مما أدى لاحقاً إلى محاولات تطويع الإسلام و (علمنته)، وفي السياسة: بالدعوة إلى الحرية الدستورية، ومقاومة الاستبداد، والتحرر من الروابط السياسية القديمة، وذلك ما أدى فيما بعد إلى رفض الإطار السياسي للخلافة، وإلى استقرار النيابة البرلمانية بوصفها

مصدراً للسلطات، وفي الاجتماع: بالدعوة إلى حرية المرأة وانعتاقها من قوامة الرجل وأسر الأسرة والتقاليد وتعاليم الدين، وهو ما أدى إلى التفكك الأسري والانحلال الأخلاقي، وفي الاقتصاد: بوضع أطر الاقتصاد الحر والارتباط بالرأسمالية العالمية واقتصاد السوق، ومن ثم: فتح المجال أمام الأفكار والتصورات الاقتصادية المنابذة للدين التي مثلها الحضور المكثف لرأس المال الغربي بما يحمله من احتكارات واستغلال وربا، وفتح المجال أيضاً لنشاطات اقتصادية منافية للإسلام أخلاقياً واجتماعياً.

هذه إجمالاً أهم مفاتيح هذه المرحلة، والآن لنعرض بعض تفاصيل تحولات الفكر والثقافة في هذه المرحلة:

دخول الفكر العلماني التغريبي الصريح: مثلما كان الفكر النصراني هو واسطة نقل الفكر الفلسفي اليوناني إلى الفكر الإسلامي في العصر العباسي عبر حركة ترجمة واسعة آنذاك «كان هذا الفكر مؤهلاً أكثر من غيره

لدور الريادة عندما جاءت الموجة (الهيلينية) الجديدة من أوروبا المسيحية . العلمانية هذه المرة، ومعها تجربة غير معهودة من قبل في تحديد العلاقة الجدلية بين الدين والعقل، تستند إلى مبدأ الفصل والتمييز والتفريق بينهما»(1)، وهكذا كان النصارى العرب . وإن شاركهم غيرهم . رأس الحربة في نقل العلمانية الصريحة.

فبخلاف (المصلحين) المسلمين الذين كانت تؤرقهم محاولات تقديم الأفكار الغربية في صورة لا تتعارض مع الإسلام، مما دفعهم إلى اختيار مسلك التوفيق بينهما... «كان المثقفون المسيحيون يرفضون ربط التطور الاجتماعي بأية عقيدة دينية، ويسعون إلى التحرر من مشكلة الانتماء الديني بالتشديد على النظرة العقلانية إلى الإنسان والمجتمع»(2)، ومن هنا: أخذوا ينهلون ويتبنون . بوضوح وبدون حرج أو حساسية . أفكار مفكري عصر التنوير الأوروبي.

وهكذا تمثل التيار العلماني التغريبي الصريح . في معظمه . في بعض نصارى الشام الذين هاجروا إلى مصر، وأخذوا في بث أفكارهم من خلال عدة طرق، محدثين حركة فكرية ثقافية كبرى داخل قطاعات كبيرة من (المثقفين) استخدمت فيها الصحف والمجلات التي أصدروها على نطاق واسع، مستغلين (حرية النشر) التي

كانت توفرها سلطات الاحتلال لمثل تلك الإصدارات، وأيضاً من خلال ترجمة بعض الكتب الأوروبية التي تساير الاتجاه الجديد، وتحقيق وإخراج بعض الكتب الفلسفية والأدبية القديمة التي تخدم توجهاتهم، بإعادة طرح أسئلة كبرى حول الإنسان والكون والحياة، والتي تهدف أيضاً إلى إعادة صياغة العلاقات بين الأفراد والمجتمعات.

فبعد جيل فرنسيس مراش، وبطرس البستاني، وناصيف اليازجي، وفارس الشدياق، أتى جيل آخر يمثله سليم عنحوري، وأديب إسحاق، وشبلي الشميل، وفرح أنطون، وجورجي زيدان، وبشارة وسليم تقلا، وفارس نمر، ويعقوب صرُّوف... وغيرهم، ولا شك أن بينهم فروقاً فكرية، ولكن يجمعهم أنهم جميعاً نصارى . على اختلاف مذاهبهم ـ وأنهم ماسونيُّون، كما أن معظمهم درس في الكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأمريكية) التي أشرنا إليها سابقاً.

كانت الصحافة أحد أهم أنشطتهم التي روجوا من خلالها أفكارهم بطرق ملتوية ومخادعة؛ فقد كان بعضهم يتعمد أن يتضمن اسم مطبوعته دلالة رمزية قد تخفى على بعض القراء: ففارس نمر يوضح أنه بعد رفض وزارة الداخلية المصرية الموافقة على إصدار جريدته الجديدة باسم (الإصلاح!) اختار هو وشركاؤه اسم (المقطم)، يقول: «ولما سئلت عن السبب في اختيار هذا الاسم بالذات، قلت: لأنه الجبل الذي بنيت من حجارته الأهرام الثلاثة»(1)، وكذلك جورجي زيدان أطلق على مجلته اسم (الهلال) مستغلاً ما يشاع بين الناس من أن الهلال رمز إسلامي، والحقيقة أنه أحد رموز الماسونية، ومن المعروف أن زيدان كان ماسونياً، كما أن (جامعة) فرح أنطون كانت باسم (الجامعة العثمانية)، وهذا الاسم وإن كان ظاهره يناصر الدولة العثمانية، إلا أنه يطرح بصفته بديلاً عن (الجامعة الإسلامية)، وهذا الطرح كان دعوة لها أنصارها في ذلك الوقت، وهو يعني التجمع حول آصرة الجنسية العثمانية التي تضم أدياناً وأعراقاً شتى، بدل آصرة الإسلام، وهو يعني بمعنى آخر العمل على الدعاية لعلمانية الدولة في الانتماء والولاء.

وكما عمدوا إلى المداورة والخداع في الأسماء والعناوين عمدوا إليها أيضاً في المحتوى والموضوعات؛ فمجلة المقتطف «إذا أخذنا العدد الصادر [منها] في كانون الثاني 1896م على سبيل المثال، لوجدنا أنه يشتمل على مقالات في الأمراض

السارية، والميكروبات في الهواء، والفروق بين الرجال والنساء، وتحليل فلسفي لمركز الإنسان بين الحيوانات... أما مؤسس الهلال... فقد كان ذا تركيب ذهني مختلف، فأعار العلوم الطبيعية في مجلته اهتماماً أقل، موجهاً جل عنايته إلى علم الاجتماع، وأدب النفس، والسياسات العالمية، والجغرافيا والتاريخ، واللغة والأدب، وآثار العرب...»(2)، ويعلق ألبرت حوراني على هذه الموضوعات قائلاً: «قد تبدو المواضيع التي كانت تعالجها هاتان المجلتان عديمة المغزى، خصوصاً وأنهما كانتا تتحاشيان كل ما يتعلق مباشرة بالسياسات المحلية أو بالدين أو بما شأنه أن يثير ضدهما العداء، غير أن وراء هذه المواضيع ووراء غيرها من هذا النوع كانت تكمن بعض الأفكار المعينة الدائرة حول: ما هي الحقيقة؟ وكيفية البحث عنها؟»(3) وبهذه الطريقة أصبحت مجلة كالمقتطف «أهم المجلات التي أخذت تدعو إلى التحلل من الدين»(4).

وإلى جانب الصحافة . التي كانت تعمل على تشكيل الرأي العام . سلك طلائع العلمانية

مسالك أخرى لتبديل البيئة الفكرية لمثقفي الأمة؛ ففي هذه المرحلة التاريخية نشطت حركة إحياء كتابات فلسفية قديمة، مع اهتمام خاص بفلسفة ابن رشد.

فعلى سبيل المثال: أصدر فرح أنطون سنة 1901م كتاب (ابن رشد وفلسفته) الذي أحدث جلبة كبيرة أدت إلى سجالات عديدة؛ حيث ادعى أنطون أن الإسلام قضى على الروح الفلسفية واضطهد العلم، وأن حل (النزاع) بين العلم والدين يتم بتحديد الحقل الخاص بكل منهما؛ بحيث لا يتجاوز أحدهما حدود الآخر، مؤكداً أن الأنبياء فلاسفة، وأن الحقيقة واحدة يسربلها الأنبياء بالرموز الدينية من أجل العامة بينما تفقهها النخبة مباشرة(1)؛ فأهمية الكتاب ترجع إلى أنه «لم يستهل المباحث الفلسفية الجديدة في مطلع القرن العشرين وحسب، بل فتح الباب أمام مساجلات فكرية هامة بين أقطاب الفكر في مصر... حول مسائل الخلق والأزلية والسببية، وسواها من القضايا الفلسفية الكبرى»(2). وتوازى مع ذلك النشاط حركة ترجمة واسعة لكتب منتقاة تعبر عن الفكر (التنويري) الغربي، وبعد أن كانت حركة الترجمة في المرحلة السابقة تتم برعاية الدولة ومرتبطة بمصالحها وتوجيهاتها الحديثة، نجد أن الترجمة

في هذه المرحلة أخذت بعداً جديداً بانتقال معظم نشاطها إلى أفراد أصحاب توجهات تغريبية واضحة ومقصودة، عملوا على تجاوز ترجماتهم تحديث أجهزة الدولة نحو تحديث أفكار المجتمع وثقافته، حيث بدأت حركة نشطة لترجمة أمهات الكتب الفلسفية والاقتصادية والسياسية والأدبية والاجتماعية إلى اللغة العربية.

فكرتان وشخصيتان:

ولا يفوتنا في هذا المقام الحديث عن شخصيتين وفكرتين كانتا ذا أثر كبير في الحركة الفكرية في هذه المرحلة، باعتبارهما نموذجين للأفكار والشخصيات التي تمثل هذا الاتجاه في ذلك الوقت، ونعني بالشخصيتين: شبلي الشميل، وفرح أنطون، وأما الفكرتان: فالداروينية والاشتراكية.

فلقد أعطى تيار العلمانية الصريحة الاشتراكية بعداً هو أقرب إلى حقيقتها، مخالفين النهج التوفيقي الذي سبقهم الأفغاني باستعماله عند حديثه عن الاشتراكية، ففي «أوائل التسعينات من القرن التاسع عشر بدأت صحف اللبنانيين الدورية الصادرة في مصر تتعرض للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية والنظريات الأوروبية بشأنها، ومن بينها التعاليم الاشتراكية، وكان يعقوب صرُّوف في مجلته (المقتطف)، وجورجي زيدان في (الهلال)، وفرح أنطون في (الجامعة) من أوائل العارضين والمحللين لتلك التعاليم»(3)، وهكذا «ظلت الأفكار الاشتراكية حتى قبيل الحرب العالمية الأولى محصورة بشكل رئيسي في نطاق العلمانيين المسيحيين، وأصدر سلامة موسى في عام 1913م [1331هـ] كتابه (الاشتراكية)»(4)، وفي العام نفسه نشر المدرس المصري مصطفى حسنين المنصوري كتابه (تاريخ المذاهب الاشتراكية) وضمنه شروحات ميسرة للأفكار الاشتراكية، وهو يعد من أوائل من عرضوا مبادئ الفكر الاشتراكي والماركسي(5).

وإذا كان يعقوب صرُّوف وجورجي زيدان ظلا في نطاق التحليل الوصفي للاشتراكية دون الالتزام بها سياسيّاً، فإن الشميل وأنطون كانا أول الداعين إليها باعتبارها التزاماً سياسياً اجتماعياً؛ حيث كان الشميل «يؤمن بحتمية الوصول إلى الاشتراكية مهما طال الزمن؛ لأنها ذات نواميس طبيعية تدعو إليها»(6)، بينما ذهب فرح أنطون إلى أبعد من ذلك، فدعا إلى تأميم وسائل الإنتاج وإلغاء الملكية الخاصة، كما «كان

يعتقد بأن على المرء ألا يكتفي بالتبشير بالاشتراكية إذا أراد تحقيقها، بل عليه أن يسعى إلى هذا التطبيق ولو بالقوة والثورة، وبالتالي يصبح من الضروري غرس فكر الثورة والعنف في عقول الطلاب منذ الصغر»(7)، وهكذا شقت الاشتراكية طريقها في الفكر العربي المعاصر، لتتمثل بعد ذلك في نظم سياسية تتبناها وتدعو إليها.

أما الداروينية . أو مذهب النشوء والارتقاء كما عُرفت آنذاك . فكانت «أحد المجالات الأساسية للصراع ضد العلمانية... فكانت الداروينية في أواخر القرن التاسع عشر من ضروب النظرية التطورية التي شكلت عصب فكر القرن التاسع عشر، ومن المسلَّمات التي أخذ بها الغربيون والشرقيون معاً»(1)وقد أثارت الداروينية موجة قوية من الإلحاد؛ حيث طغى في هذا العصر مذهب المادية «القائل بأن العالم له أساس واحد هو المادة، ولا شيء وراءها، وكل شيء في الحياة مظهر من مظاهرها حتى الفكر والعاطفة، والمادة لا تتجدد ولا تفنى، وقوانينها قديمة أزلية أبدية، وليس في هذا العالم شيء يعتريه الفناء، وإنما تتغير الأشكال، وبناءاً على ذلك: فلا نفس ولا روح ولا دين ولا إله!»(2)، وهكذا خطت (العلمانية) خطوة نوعية كبرى في مهاجمة الدين بمحاولة تحطيم أسسه الأولية.

شبلي الشميل (1850م . 1917م / 1266هـ . 1335هـ):

يرى الدكتور عزيز العظمة أن التيار العلماني الشامل والآخذ بالعلمانية في أسسها المادية ونتائجها الاجتماعية كان «تياراً صغيراً... مثَّله أفضل تمثيل شبلي الشميل ثم سلامة موسى، وكان الاثنان قد أسسا سوية مجلة (المستقبل) في القاهرة عام 1914م، كتب فيها موسى مقالاً (كله فجور إلحادي)، ودعا فيها الشميل إلى المادية والتطورية (دعوة مستقبلية فجة)»(3).

فقد اعتقد الشميل «بأن العلم هو الدين الجديد للإنسانية جمعاء»(4)؛ حيث اعتبره «أكثر من طريقة لاكتشاف النظام في ترابط الأشياء؛ إذ كان مفتاحاً لحل لغز الكون، لا، بل نوعاً من العبادة»(5)، ويرى الشميل «أن دين العلم هو إعلان حرب على الديانات القديمة»(6)، وعليه: فهو يرى أن: «ليس الحكم الديني والحكم الاستبدادي فاسدين فحسب، بل هما غير طبيعيين وغير صحيحين»(7).

«وكان الكثيرون من الكتاب العرب المسيحيين من معاصري الشميل يبشرون بتلك الأفكار ويستنتجون منها وجوب وجود وحدة قومية تتعدى الفروق الدينية، لكن الشميل نفسه ذهب أبعد من ذلك في استنتاجه؛ فهو لم يحاول الاستعاضة عن التضامن الديني بالتضامن القومي فحسب، بل راح أيضاً يعلن أن لجميع أنواع التضامن الجزئي خطر التضامن الديني؛ لأنها تجزئ المجتمع البشري، فالتعصب القومي الأعمى لا يقل شراً عن التعصب الديني الأعمى، لذلك لا بد أن تَحل . عاجلاً أو آجلاً . الوطنية العالمية محل الولاء للوطن المحدود»(8)، ولعل هذا كان سبباً لأن راقته فكرة الاشتراكية حيث الدعوة إلى الأممية العالمية، فكان «أول من نشر بالعربية فكرة الاشتراكية، وإن لم يكن أول من سماها بهذا الاسم»(9) وهكذا انبثق الولاء للعالمية من الرؤية العلمية العلمانية! ولدين الشميل الجديد مستلزمات اجتماعية وسياسية واسعة أيضاً «فالعلوم الطبيعية هي أساس العلوم الإنسانية، ولا تستمد الشرائع إلا من العلوم الإنسانية الصحيحة»(10).

وعلى رأس العلوم الصحيحة عند الشميل: الداروينية، لذا: كان «أول داعية للأفكار الداروينية والفلسفات المادية في العالم العربي، تحت تأثير فلسفة سبنسر الذي جعل من الداروينية مبدأً فلسفياً لا ينازع»(11)، و«أضاف الشميل بذلك على غيره من العلمانيين نظرة مادية في الدين، وجعل من الداروينية نموذجاً عاماً لقانون تطوري يشمل نشوء وترقي الإنسان واللغة والشرائع، وقال بالتالي بأن تاريخية المجتمع كتاريخية الطبيعة، وقال أيضاً بنسبية الأخلاق ومفاهيم الخير والشر»(12).

«ويترتب على نظرية التطور أيضاً أن القوانين السارية في كل مجتمع ليست شرائع أبدية معصومة، بل يجب أن تتطور بالتدرج وفق حاجات الإنسان وقضاياه، وقد تصبح الثورة ضرورية(!) إذا تحجرت تلك الشرائع ومنعت ذلك التطور»(13).

وهكذا يتضح بجلاء أن العلمانية في صورتها الغائية الصريحة هي منظومة فلسفية كلية، تنبثق منها تصورات شاملة عن الإنسان والكون والحياة، كما تنبثق منها النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تعبر عن هذه التصورات لتحل محل الدين والنظم المنبثقة عنه.

فرح أنطون (1922-1874م / 1291-1340هـ):

وبمثل هذا الوضوح والسفور كان فرح أنطون، «ففي الوقت الذي حاول فيه من سبقه التوفيق بين الحضارة الغربية والحضارة العربية، والتمسك بإحياء التراث العربي القديم باعتباره الحل المثالي لتقدم مجتمعهم، كان فرح أنطون يدين بالولاء الكامل للحضارة الغربية وأفكارها، وينقل عنها في مجلته (الجامعة) مذاهبها في الإصلاح الاجتماعي، ويناقش الأفكار الاشتراكية والشيوعية في هذا الوقت المبكر حين كان المجتمع غير مستعد بأي صورة من الصور لتقبل مثل هذه الأفكار»(1)، فكان فرح أنطون «أول من كتب بالعربية عن بوذا وكونفوشيوس، وعرَّف بفلسفة تولستوي وشرائع حامورابي وأفكار روسو وفلسفة أوجست كونت»(2)، وهو يرى أن لا فرق بين الأديان «فإذا تفحصنا مجموعة المبادئ [الجوهرية] وجدنا أنها واحدة في جميع الأديان... كذلك إذا تفحصنا مجموعة الشرائع لوجدنا أن غايتها الوحيدة إنما هي حث الناس على الفضيلة؛ فالثابت فيها هو إذن المبدأ الخلقي الكامن وراءها، ويجب أن نفسرها تفسيراً يسمح لها بالقيام بوظيفتها، حتى لو اقتضى ذلك تأويلها، وبعبارة أخرى: إن جميع الأديان إنما هي دين واحد يعلِّم بعض المبادئ العامة، أما الشرائع الدينية فلا قيمة لها بحد ذاتها؛ إذ ما هي إلا وسائل لغاية»(3).

وأنطون يرى من هذا المنطلق أن المفاضلة بين دين ودين «من القضايا المتحدرة من القرون الوسطى، التي لا تتصل لا من قريب ولا من بعيد بمفاهيم العلم الحديث»(4)، وبنى على ذلك أيضاً موقع الدين في الحياة، فهو يهدي كتابه عن ابن رشد إلى «النبت الجديد في الشرق» ويعني بهم: «أولئك العقلاء في كل ملة وكل دين في الشرق، الذين عرفوا مضار مزج الدنيا بالدين في عصر كهذا العصر، فصاروا يطلبون وضع أديانهم جانباً في مكان مقدس محترم! ليتمكنوا من الاتحاد اتحاداً حقيقياً ومجاراة التمدن الأوروبي الجديد لمزاحمة أهله، وإلا جرفهم جميعاً وجعلهم مسخرين لغيرهم»(5).

وهذا الكلام يتضمن نقطتين مهمتين: فصل الدين عن الدولة، وضرورة الاتحاد على أساس المواطنة لا الدين؛ «فالوحدة تتم بخلق الولاء القومي والفصل بين السلطة المدنية والسلطة الدينية، وفي هذا قوله: (فلا مدنية حقيقية ولا تساهل ولا عدل ولا مساواة ولا أمن ولا ألفة ولا حرية ولا علم ولا فلسفة ولا تقدم في الداخل إلا بفصل

السلطة المدنية عن السلطة الدينية)»(6)، ومن ثم: «أصبحت الدولة الدينية (دولة الضعفاء والجبناء والكسالى في الأمة)»(7)، وعندها «تصبح الاشتراكية إنما هي (دين الإنسانية)، وهي آخذة في الحلول محل الأديان المنزلة»(8).

(* هذه المقالات مقتطفات مختصرة من كتاب يعده الأخ الكاتب عن تاريخ العلمانية والتغريب في العالم الإسلامي، وقد آثر . جزاه الله خيراً . مجلة البيان بنشر هذه المقالات قبل نشره للكتاب. . ^ .

(1) انظر: د. صلاح العقاد، المغرب العربي . دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة، ص 161، د. إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ص 171، د. عزت قرني، العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة، ص 305، علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط، ص 604، أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص 146، ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، 93 -103.

(2) باي: لقب عثماني، معناه: ممثل السلطان.

(1) زعماء الإصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين، ص 156.

(2) عن: الرحالة العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، د. نازك سابا يارد، ص 24. (3) المصدر السابق، ص 28.

(4) انظر: السالك إلى أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك لخير الدين التونسي، وهو دراسة بين يدي مقدمة أقوم المسالك، قام بها الدكتور رحاب خضر عكاوي، والكلام المنقول من المقدمة نفسها، ص 91، وانظر: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص 162.

(5) الرحالة العرب وحضارة الغرب...، ص 90، وانظر : العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة، ص 24.

(6) انظر: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص 168 . 169، والفكر العربي في عصر النهضة، ص 120.

(7) انظر: كفاح المسلمين في تحرير الهند، عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، له أيضاً، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد

البهي، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد حامد الناصر، التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، ج 8، ص 431، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، لأحمد أمين، ص 121 . 138.

(1)الإسلام والاستعمار، عقيدة الجهاد في التاريخ الحديث، رودلف بيترز، ص 64، وانظر: تاريخ الإسلام في الهند، ص 528، وتكمن أهمية هذه الفتوى في نقطتين: الأولى: عدم اعتداده وعدم انخداعه بإقامة شعائر تعبدية فردية بدون وجود صبغة إسلامية عامة للمجتمع والدولة تحكم بالإسلام وتوالي على أساسه، وهذا هو جوهر العلمانية الذي يفرق بين الدين والحياة (أو الدولة) بغير تداخل بينهما، في مقابل جوهر الإسلام نظاماً للحياة يشمل جميع أوجه النشاط الإنساني. الثانية: انتباهه إلى أهمية شرط السيادة (السلطان) عند تطبيق الإسلام، فما كان يسمح الإنجليز بتطبيقه من الإسلام لا يعتد به؛ لأنه خرج من منطلق سيادة سلطان الكفر . عندما كان بإذنهم هم: (آمنتم له قبل أن آذن لكم) (الأمة مصدر السلطات) .، ولم يخرج من منطلق العبودية لله . عز وجل . وسيادة أحكام الإسلام. وهاتان النقطتان تمثلان الفارق الجوهري بين دار الإسلام ودار الكفر، وتميزان بين حقيقة الإسلام وحقيقة العلمانية.

(2) عبد المنعم النمر، كفاح المسلمين في تحرير الهند، ص30، وانظر: الإسلام والاستعمار، ص 69 . 72.

(1) المصدر السابق، ص 39.

(1) انظر: رسالة (في الطريق إلى ثقافتنا) لأبي فهر محمود محمد شاكر، ص 81، 98، 117.

(2) محمد كامل ضاهر، الصراع بين التيارين الديني والعلماني، ص 114.

(1) سامي سليمان محمد السهم، التعليم والتغيير الاجتماعي في مصر في القرن التاسع عشر، ص 288.

(1) د. محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، ص 38، و د. معن زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، ص 204، 226.

(2) تاريخ الدولة العلية العثمانية، لمحمد فريد بك، ص 254. (3) المصدر السابق، ص 219.

(4) د. زكريا سليمان بيومي، قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، ص 208.

(5) عبد المنعم النمر، مصدر سابق، ص 45، وانظر: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص 131.

(1) د. محمد جابر الأنصاري، تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي (1930م – 1970

م)، ص 12.

(2) د. محمد كامل ضاهر، مصدر سابق، ص173.

(1) د. سامي عزيز، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي، ص 96.

(2) ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، ص252.

(3) المصدر السابق، ص 252، 253، وانظر في المعنى نفسه: د. سامي عزيز، مصدر سابق، ص

.115

(4) د. سامي عزيز، مصدر سابق، ص 302.

(1) انظر: الفكر العربي في عصر النهضة، ص175، 260 وما بعدها، ولك أن تتتبع اهتمام العلمانيين و (التنويريين) بابن رشد المستمر حتى الآن، والتي ليس آخرها إخراج كتبه محققة ومشروحة بعناية كبارهم، وإخراج أفلام سينمائية تطرح وجهة نظرهم من خلال ابن رشد . أو تطرح ابن رشد من وجهة نظرهم . مع إسقاطها على الواقع الحالي، كفيلم (المصير)، للمخرج المصري يوسف شاهين.

(2) ماجد فخري، دراسات في الفكر العربي، ص 230.

(3) د. محمد كامل ضاهر، مصدر سابق، ص 220. (4) د. محمد جابر الأنصاري، مصدر سابق، ص 24.

(5) انظر: الاتجاهات السياسية في العالم العربي، للدكتور مجيد خدوري، ص 106 .107 .

(6) انظر: د. محمد كامل ضاهر، مصدر سابق، ص 220 . 221. (7) المصدر السابق، ص 222.

(1) د. عزيز العظمة، مصدر سابق، ص 181.

(2) زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص 77، وانظر: الصراع بين التيارين...، ص 217.

(3) العلمانية من منظور مختلف، ص 182، والأقواس الداخلية من وضع الكاتب نفسه.

(4) د. محمد كامل ضاهر، مصدر سابق، ص 216. (5) ألبرت حوراني، مصدر سابق، ص254.

(6، 7) السابق، ص 256. (8، 9) المصدر السابق، ص 258

(10) المصدر السابق، ص 256. (11) د. محمد كامل ضاهر، مصدر سابق، ص 217.

(12) المصدر السابق، ص 184. (13) د. محمد كامل ضاهر، مصدر سابق، ص 217.

(1) د. عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر، ص 89، وانظر: ص 42.

(2) د. محمد كامل ضاهر، مصدر سابق، ص 214.

(3) ألبرت حوراني، مصدر سابق، ص 261.

(4) د. محمد كامل ضاهر، مصدر سابق، ص 176.

(5) فرح أنطون، ابن رشد وفلسفته، الإهداء، نقلاً عن: الفكر العربي في عصر النهضة، ص

260، وانظر الصراع بين التيارين الديني والعلماني، ص 174.

(6) ألبرت حوراني، مصدر سابق، ص 263، وانظر: ص 261.

(7) د. عزيز العظمة، مصدر سابق، ص 185.

(8) ألبرت حوراني، مصدر سابق، ص 264.

مجلة البيان

==============

#جذور العلمانية والتغريب في العالم الإسلامي (3/3)

خالد ابو الفتوح

فـي الحلقتـين السـابقتين طـاف بنـا الكاتـب بـين الانحرافـات التـي أصـابت الأمـة الإسلامية، وتنقل بنا إلى أنحاء شتى من عالمنا الإسلامي ليرصد حركة التغريب، واليوم نتابع معه بقية الحديث. – ^ –

التوفيقية والإصلاح الديني:

لم تكن العلمانية بهذا السفور لتجد رواجاً في العالم الإسلامي آنذاك، كما أنها في هذا القالب كانت مقتصرة على مخاطبة فئة قليلة في المجتمع . وإن كانت ذات تأثير - هي فئـة النخبـة المثقفـة إن جـاز التعبير، لـذا: كـان لا بـد من وجود أسلوب آخر يضمن قبول العلمانية والتغريب لدى قطاعات كبيرة من المجتمع، ولذا أيضاً كان لا بد من وجود وسائل تتسم بالشيوع والانتشار لضمان وصولها.

نهج غربي مقترح:

ولنترك جانباً في هذا المقام نظريتنا التآمرية، ولندع كبار مخططي (الغزو العلماني التغريبـي) فـي هذه المرحلـة يحدثوننا عن النهج المقترح في ذلك، واصلين السابق باللاحق في ذلك لتتضح الصورة جيداً:

يحدثنا أول مندوب سام بريطاني في مصر وأحد أبرز قادة الحملات التغريبية على العالم الإسلامي في العصر الحديث (إفلن بارنج) المعروف بـ (اللورد كرومر) عن أهداف الإنجليز (الحضـارية!) فيقول: «المصـريون يتمسكون تمسكاً تاماً بالإسـلام الذي هو أحد الكلمات المرادفة للوطنية في الشرق، والإنجليز لا يهدفون إلى نشر المسيحية ولكنهم يريدون نشر حضارة تقوم على أساس مسيحي»(1)، فإذا كان الأمر كذلك، فما مصير (الحضارة الإسلامية)؟ يوضح الإجابة لنا الدكتور محمد محمد حسين ملخصاً وجهة نظر المستشرق الإنجليزي المتأمرك هاملتون جب، فيقول: «المقصـود من الجهود المبذولـة لحمل العالم الإسلامي على الحضـارة الغربيـة هو تفتيت وحـدة الحضـارة الإسـلامية التـي تقوم عليهـا وحـدة المسلمين؛ لأن كـل قطـر سيتجه إلـى اقتبـاس مـا يلائم ظروفـه مـن هـذه الحضـارة، وعنـد ذلـك تتعدد أسـاليب

الاقتباس بتعدد البيئات الإسلامية المختلفة، فتفقد الحضارة الإسلامية طابعها الموحد، بل لا يعود هناك شيء اسمه (حضارة إسلامية)»(2)، وفي مقال: (مصر وغربي آسيا) ضمن كتاب: (وجهة الإسلام) الذي أشرف عليه جب يلفت المستشرق الألماني كامبفماير النظر إلى عوامل وحدة هذه الحضارة حتى يمكن التركيز عليها، ويلخصها الدكتور محمد محمد حسين في ثلاث نقاط: «أولها هي: أهمية الكتلة العربية وخطورتها في نظره، وثانيها هي: أن أهم العوامل التي تستمد منها هذه الكتلة وحدتها هي: اشتراكها في اللغة العربية الفصحى، واشتراكها في العناية بالتراث الإسلامي القديم وتاريخه وأدبه، وثالثها هي: ما يستتر وراء كلامه من أنه يتمنى أن يحدث في مصر ما حدث في تركيا من قطع كل صلة بالماضي الإسلامي واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية»(1).

وهنا يتبين أن المعركة الفكرية ستدور حول عدة محاور: الهجوم على اللغة العربية الفصحى لغة القرآن، ويتضمن ذلك: استهداف الحروف العربية التي تعد أداة لوصل الماضي بالحاضر ولربط الشعوب الإسلامية بعضها ببعض، والهجوم على التراث الإسلامي الذي صيغ بهذه اللغة واستنبط من أسس الإسلام وتصوراته ومقوماته لإفساح المجال أمام الثقافة الجديدة بما تحمله من قيم وتصورات مختلفة، أما المعركة السياسية: فتدور حول التفتيت الذي تحدث عنه جب، وبصفة خاصة تفتيت الكتلة العربية المميزة بموقعها المعنوي والجغرافي والتاريخي.

ولكن على أرض الواقع، كيف ستنفذ المخططات التي وضعت لتحقيق هذه الأهداف؟ وكيف سيقضى على العوائق التي تواجه هذا الغزو في ظل وجود خلاف عميق بين الجديد والقديم والغازي والمغزو؟

نعود إلى اللورد كرومر، فقد «لاحظ كرومر وجود هذا الخلاف بين المسلمين وبين المستعمر الغربي في العقائد وفي القيم، وفي التقاليد والعادات، وفي اللغة، وفي الفن، وفي الموسيقى...

لاحظ كرومر في هذا الفصل أن هذه الخلافات هي السبب في انعدام ثقة المسلم بالمستعمر الأوروبي وسوء ظنه به، وهي السبب في وجود هُوَّة واسعة تفصل بينهما،

وتجعل مهمة المستعمر محفوفة بالمتاعب. ودعا من أجل ذلك إلى العمل بمختلف الوسائل على بناء قنطرة فوق هذه الهوة.

وقد اتخذت هذه الوسائل طريقين: أحدهما هو تربية جيل من المصريين العصريين الذين ينشَّؤون تنشئة خاصة تقربهم من الأوروبيين . ومن الإنجليز على وجه الخصوص . في طرائق السلوك والتفكير. ومن أجل ذلك أنشأ كرومر (كلية فكتوريا)، التي قصد بها تربية جيل من أبناء الحكام والزعماء والوجهاء في محيط إنجليزي، ليكونوا من بَعْدُ هُم أدوات المستعمر الغربي في إدارة شؤون المسلمين، وليكونوا في الوقت نفسه على مضي الوقت أدواته في التقريب بين المسلمين وبين المستعمر الأوروبي، وفي نشر الحضارة الغربية(2)...

أما الوسيلة الأخرى التي اتخذها الاستعمار لإيجاد هذا التفاهم المفقود، وعمل على تنفيذها، فهي أبطأ ثماراً من الوسيلة الأولى، ولكنها أبقى آثاراً... وهي تتلخص في تطوير الإسلام نفسه وإعادة تفسيره؛ بحيث يبدو متفقاً مع الحضارة الغربية، أو قريباً منها وغير متعارض معها على الأقل، بدل أن يبدو عدواً لها معارضاً لقيمها وأساليبها...»(3)، «ومن ثم عمد رجال الاحتلال إلى العمل على زيادة عدد المصريين الآخذين بنصيب من الحضارة الأوروبية»(4).

وماذا يتوخى رجال الاحتلال من ذلك؟ يقول كرومر: «... وإذا استمر المضي في هذا الطريق أصبح المصري الآخذ بحضارة أوروبا أقل مصريةً وأكثر ميلاً لأوروبا؛ إذ يصبح المصريون بهذا الفيضان المتدفق من الحضارة الأوروبية أقل إسلاماً، وهم في الوقت نفسه لم يحصلوا بعد على العمود الفقري في الحضارة الأوروبية»(5)، «أو كما يصفهم في عبارة قصيرة (بأنهم مسلمون وليست فيهم خواص إسلامية، وأوروبيون وليست فيهم خواص أوروبية)»(6) وهو المسخ العلماني التغريبي الذي نراه الآن.

فما الذي حصله هؤلاء إذن؟ يذكر Zetland Marquis of. أن الهدف النهائي لهذا المسعى هو: «القضاء على استخدام الأساليب الشرقية الموشاة بمدنية أوروبية زائفة، وأن تستبدل بها مدنية غربية حقيقية تقوم على أساس من مبادئ الأخلاق المسيحية»(1)، ويجيبنا كرومر نفسه بما يهدف إليه، فيقول: «الشباب المسلم الدائر

في تيار الحضارة الأوروبية يفقد إسلامه . أو على الأقل يفقد القدر الأكبر من دينه . ويحرم نفسه من أهم مبادئ عقيدته، وفي الوقت نفسه: نادراً ما يتجه هذا الشخص إلى المسيحية... فالحضارة الأوروبية تقضي على دين دون أن تستبدل به غيره ... وهكذا فإنه بحرمان نفسه من عقيدته لن يجد رادعاً أخلاقياً، وفي الوقت نفسه: يحاول تقليد الأوروبي، ولا يترك هذا المصري عقيدته خلف ظهره فحسب، بل إنه يترفع عنها ويزدريها، وهكذا يندفع . مغمض العينين . بين أحضان الحضارة الأوروبية غير مدرك لحقيقة هامة، هي أن ما يراه ليس سوى المظهر الخارجي لتلك الحضارة، بينما تستقر المعنويات المسيحية تحت هذا المظهر وتتحكم في تحركاته...»(2)! يا لك من لورد خبيث!

«ولكن هل يحيا المصريون هكذا دون عقيدة معينة؟... يوضح كرومر أنه (بمرور الوقت سيخلق المسلمون ديناً لا يقوم على الإسلام الأول، إنه سيقوم على مبادئ جديدة. وهكذا فإن المصري المتحضر بالحضارة الأوروبية هو الحجر الأول وليس الأخير في المجتمع الإسلامي المتطور)، وفي الوقت نفسه ينصح كرومر رجال السياسة الأوروبية بالابتعاد عن كل ما من شأنه أن يعد تحقيراً للعقيدة الإسلامية (ولندع هؤلاء الذين يقودون دفة الدولة على حذر يدكُّون . في مكر . الصرح الروحي للمجتمع الإسلامي؛ فإن ازدراء العقيدة الدينية للشعب بأسره أمر على جانب كبير من الخطورة سياسياً واجتماعياً)»(3)، وهذه السياسة تذكرنا بنظرة نابليون بونابرت إلى مكانة الدين عند المصريين، وبسياسته القائمة على ترويض الدين ومواجهته باستخدام لقاح من جنسه ضده.

تتفق هذه النظرة مع نظرة (الشيخ) محمد عبده التي عبر عنها بقوله: «أنفس المصريين أُشربت الانقياد إلى الدين حتى صار طبعاً فيها؛ فكل من طلب إصلاحها من غير طريق الدين فقد بذر بذراً غير صالح للتربة التي أودعه فيها، فلا ينبت، ويضيع تعبه، ويخفق سعيه، وأكبر شاهد على ذلك: ما شوهد من أثر التربية التي يسمونها أدبية من عهد محمد علي إلى اليوم»(4)، وقد عبر عن هذه النظرة مرة أخرى . عقب عودته من منفاه . في نصيحة أسداها ضمن مذكرته المقدمة إلى اللورد كرومر؛ حيث نبه الإنجليز إلى أهمية الدين عند المصريين، فقال: إن «أعظم فاعل

في نفوسهم [المصريين] (وأغلبهم مسلمون)أن يقال: إن صاحب هذه المنفعة ليس من دينكم، وأنكم مأمورون ببغضه...»(5).

وكما التقت النظرة في (المثير المانع) من التغيير، التقت أيضاً في منهجية هذا التغيير؛ فقد كان من أقوال محمد عبده التي سطرها لتوضيح هذه المنهجية . معترضاً أيضاً على طريقة محمد علي في الإصلاح رغم تقبله لإنجازاتها .: « ... ولو أنه [أي صاحب الفكر الرفيع الذي يريد كمال أمة] أراد تحويل أفكار شخص واحد وهو في سن الرجولة، هل يمكنه أن يبدلها بغيرها بمجرد إلقاء القول عليه؟ كلا، إن الذي تمكن في العقل أزماناً لا يفارقه إلا في أزمان، فلا بد لصاحب الفكر أن يجتهد أولاً في إزالة الشبه التي تمسك بها ذلك الشخص في اعتقاداته، وذلك لا يكون في آن واحد، ولا بعبارة واحدة... فما ظنك بحال أمة من الأمم... وإنما الحكمة: أن تحفظ لها عوائدها الكلية المقررة في عقول أفرادها، ثم يطلب بعض تحسينات فيها، لا تبعد منها بالمرة، فإذا اعتادوها طلب منهم ما هو أرقى بالتدريج، حتى لا يمضي زمن طويل إلا وقد انخلعوا عن عاداتهم وأفكارهم المنحطة إلى ما هو أرقى وأعلى من حيث لا يشعرون...»(6).

ويبدو أن الإنجليز استفادوا بالفعل من هذه النصائح؛ يقول الدكتور سامي عزيز: «واتبع الإنجليز الوسيلة التي كان ينادي بها محمد عبده بشأن محاولة تغيير المجتمع...»(1)، فيمكن القول: إن نظرية (الإصلاح) القريب المتدرج والمتصاعد التي آمن بها محمد عبده اتفقت مع أهداف الإنجليز وطباعهم، وإن كنا نمسك عن الخوض في الحديث عن إشكالية الدوافع لكلا الفريقين.

ثم بالإلحاح والإصرار و(التعليم) و (الفن) سينشأ الجيل الجديد، الذي «يجب أن يجد من الإغراء أو الإرغام ما يجعله يمتص الروح الحقيقية للحضارة الأوروبية»(2).

«وهكذا، فإن الاحتلال لن يأتي بشعب جديد إلى مصر؛ ولكنه يعمل في صبر على تغيير الأسس التي تقوم عليها مقومات الشعب، وفي الوقت نفسه وضع كرومر نصب عينيه أن يكون دخول المدنية الأوروبية دون زعزعة كيان المجتمع ثورياً»(3).

لم يكن هذا النهج وجهة نظر آنية، بل كان مخططاً مدروساً أصبح فيما بعد أساس التغيير العلماني التغريبي في معظم العالم الإسلامي، حتى إن مؤتمر الثقافة

الإسلامية والحياة المعاصرة المنعقد في برنستون عام 1953م (1372هـ) جاء في كتاب أبحاثه: أن «.. هذه المشاكلة لا تقوم إلا بتقارب القيم الأخلاقية والاجتماعية، وهذه القيم لا تتقارب ما دامت الشعوب الإسلامية تعيش على قيم ثابتة تخالف قيم الغرب، وهي قيم الإسلام. فلا بد إذن من أحد حلين:

إما أن يمحى هذا الإسلام بتشكيك الناس فيه، وفي قيمه، وفي الأسس التي يستند إليها، ويحاصر بحيث لا يتجاوز نفوذه المسجد، وبحيث يفقد سيطرته على مسلك الأفراد وتنظيم العلاقات الاجتماعية، وذلك عن طريق إقناع الناس بأن الدين شيء ومشاكل الحياة شيء آخر.

وإما أن يخضع هذا الإسلام للتطوير بحيث يصبح أداة لتبرير القيم الغربية، ولتقريب ما بين الشعوب الإسلامية وبين الغرب . وهذا الطريق الأخير يكشف عن قوة هائلة لا يغني غَناءَها شيءٌ، إذا أمكن استخدامها كأداة لتحقيق الأهداف الاستعمارية في إقامة علاقة ثابتة من الود والتفاهم. ذلك هو ما ينبه له جوستاف فون جرونباوم أستاذ اللغة العربية في جامعة شيكاغو، حيث يقول: (إن الدين الجديد . ويقصد به التأويلات الإسلامية العصرية . سيدخل أو يسمح بإدخال أسئلة جديدة تتطلب أجوبة مناسبة، وسيقترح أجوبة جديدة لأسئلة قديمة، أو يخلع صفة الشرعية على أجوبة كانت في النظام المعدول عنه تعتبر أسئلة هدامة أو غير مقبولة) ص 192»(4).

فالحل الأول هو العلمانية الصريحة، والتي كانت تركيا محلاً لتطبيقها، وقد تشاركها في هذا الوصف إندونيسيا وتونس وإيران رضا بهلوي، إضافة إلى تجربة أمان الله خان في أفغانستان، وهي التي أنشأ كرومر كلية فيكتوريا لتفريخ قادتها، أما الحل الآخر: فهو التوفيقية وما يصاحبها من (إصلاح ديني)، وهو ما طبق في مصر على نطاق واسع وكثير من البلدان الإسلامية الأخرى.

لذا: ينبغي لكي نعي مسيرة العلمانية جيداً أن ندرس (التوفيقية) و (الإصلاح الديني).

التوفيقية:

كان التوفيق بين القيم الغربية والإسلام واقعاً في النشاط الفكري في هذه المرحلة، وتعود جذور هذا المنحى إلى رفاعة الطهطاوي في مصر وخير الدين التونسي في تونس، وأحمد خان في الهند، وقد ساهم الأفغاني ـ أيضاً ـ في هذا المنحنى بنصيب.

وقد أشار الأفغاني إجمالاً إلى طرف من منهجية هذه الحركة التجديدية في الدين بقوله: «إن الدين لا يصح أن يخالف الحقائق العلمية، فإن كان ظاهره المخالفة وجب تأويله!»(5)، وقد يكون بين الاعتماد على حقائق العلم (التجريبي) والقول بـ (المادية) فارق دقيق يصعب المحافظة عليه والتنبه له، ولكن التوفيقية في المرحلة التي نتحدث عنها أخذت بعداً أكبر وأثراً أعمق من ذي قبل.

وفي المرحلة التي نحن بصددها رأينا أكثر من اسم لامع، ومن هذه الأسماء: الشيخ اللبناني المولد الأزهري التعلم حسين الجسر (1845م ـ 1909م/ 1261هـ ـ 1327هـ) الذي «أسس (المدرسة الإسلامية الوطنية) في مسقط رأسه طرابلس، وكان منهج هذه المدرسة يشتمل على تعليم اللغات العربية والفرنسية والتركية، والعلوم الدينية، والمنطق، والرياضيات، والعلوم الطبيعية الأوروبية الحديثة»(1)، ومن جهود الشيخ في هذا المجال كتابه (الرسالة المحمدية في حقيقة الديانة الإسلامية وحقيَّة الشريعة المحمدية) حيث نحا في بعض أبحاثه هذا المنحى التوفيقي، فـ «طريقة معالجته لشخصية محمد صلى الله عليه وسلم وتعاليمه يمكن اعتبارها نهجاً جديداً وبالأخص إلحاحه على حق العقل في تفسير القرآن والحديث؛ فهو يدعو إلى تفسيرها حرفياً ما لم يتعارض هذا التفسير الحرفي صراحة مع أحد المبادئ العقلية، عندئذ يجب تفسيرها رمزياً؛ إذ لا يجوز قبول أي تفسير يتناقض والدليل العقلي القاطع، عندئذ يجب تفسيرها رمزياً»(2).

وفي الشام أيضاً نشط عبد الرحمن الكواكبي في بداية حياته قبل أن يواصل هذا النشاط في مصر، وقد كان «ينتمي إلى مدرسة الأفغاني... التي كانت تفكر في المسائل الطارئة بعقل عصري، فتتدارسها في ضوء العلم والعقل النظري، ثم تنقلها إلى الدين وتربط بينهما برباط قوي متين... لذلك فإن آراء الكواكبي في الإصلاح الديني لا تخرج في جملتها عن آراء الأفغاني والشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا... »(3)، ويشير بعض الكتاب إلى احتمال تأثر الكواكبي بكتاب (مستقبل

الإسلام) لبلنت، كما يشيرون إلى وجود دلائل قوية لاقتباسه إطار . وبعض أفكار . كتابه عن الاستبداد من كتاب (رسالة في الاستبداد) للمفكر الإيطالي في عصر الثورة الفرنسية فيكتور ألفياري(4)، ومن ثم: فقد ربط الكواكبي . متابعاً ألفياري . بين الاستبداد والدين، زاعماً أن الاستبداد في السياسة متولد من الاستبداد في الدين أو مساير له، وإن نفى الكواكبي ذلك عن الإسلام الحقيقي(5).

ولم يقف تأثر الكواكبي بالفكر الغربي عند حد الاقتباس، بل سعى إلى حركة توفيقية إصلاحية شاملة في الإسلام؛ إذ «يبدو من كلام الكواكبي [في كتابه أم القرى] على لسان المندوب الإنجليزي أنه يهدف إلى تكوين جماعة من المسلمين تنزع في تفكيرها منزع البروتستانت في تفكيرهم»(6)، ومن هنا لم يجئ طرحه لمبدأ العلمانية في فصل الدين عن الدولة من زاوية إلحادية كما طرحه شبلي الشميل مثلاً، بل جاء طرحاً مناسباً لـ (عالم ديني كبير)(7)، فكانت من أقواله . مخاطباً العرب غير المسلمين .: « .. دعونا يا هؤلاء نحن ندبر شأننا... دعونا ندبر حياتنا الدنيا ونجعل الأديان تحكم في الأخرى فقط! دعونا نجتمع على كلمات سواء، ألا وهي: فلتحيا الأمة، فليحيا الوطن..»(8).

وفي تونس كانت مدرسة (الصادقية) التي كان خير الدين التونسي أسسها عام 1875م (1292هـ) لتكون منافسة لجامع الزيتونة ولتعليم اللغات التركية والفرنسية والإيطالية والعلوم الحديثة، فضلاً عن اللغة العربية وعلوم الدين الإسلامي.. كانت قد خرَّجت أجيالاً من الطلاب مزودين بتربية عصرية(9)، وإضافة إلى مجموعة جريدة (الحاضرة) التي تأسست في أغسطس 1881م (1298هـ) واستمرت حتى عام 1906م (1324هـ) متخذة أفكار خير الدين التونسي نبراساً لها، إضافة إلى ما تركته من أثر ثقافي وسياسي في البلاد.. أنشئت عام 1896م (1314هـ) . بدعم أو حتى بمبادرة من السلطات الفرنسية .(1) «(الخلدونية)، وهي رابطة توخت إطلاع الذين تربوا تربية تقليدية في المدارس القرآنية وفي جامع الزيتونة على العلوم العصرية»(2)، يعبر عن ذلك المنهج أحد إصلاحييها هو سالم بوحاجب في كلمة افتتاحها معتبراً «أن العلم نفسه كان سبب استخلاف الله لآدم وبنيه»(3).

ولكن التوفيقية ارتبطت باسم آخر كان له أكبر الأثر في التنظير لها والمنافحة عنها ثم نشرها في العالم الإسلامي، ألا وهو الشيخ محمد عبده؛ فلقد تزعم محمد عبده اتجاه التوفيق بين الإسلام والغرب وما تبعه من الإصلاح الديني، وهو الاتجاه الذي نادى أصحابه بأن الإسلام هو الأساس الذي يجب أن يقوم عليه الإصلاح، ولكنهم فسروا نصوصه تفسيراً جديدًا يقبل معه كثيراً من أساليب الحياة والتفكير الوافدة من الغرب، وعملوا على تقريب الإسلام من الحضارة الغربية والتفكير الغربي الحديث(4).

اضطلعت المدرسة التوفيقية . وعلى رأسها محمد عبده . بمهمة ذات شقين: أولاً: إعادة تحديد ماهية الإسلام الحقيقي من وجهة نظرهم، ثانياً: النظر في مقتضيات هذا الإسلام بالنسبة إلى المجتمع الحديث(5)، ومن هذا المنطلق نظر محمد عبده إلى التغييرات الاجتماعية التي أحدثها في عهده الخديوي إسماعيل متابعاً جده محمد علي باشا، فلم يأسف لهذه التغييرات وما أحدثته في القوانين والتعليم، بل رأى أن هذا التطور . في خطوطه العريضة . لا مرد له، وأنه في صالح مصر(6)، ولكن . في الوقت نفسه . كان يشغله خطر انقسام المجتمع إلى دائرتين منفصلتين بدون اتصال حقيقي بينهما: دائرة تسودها شرائع الإسلام ومبادئه الخلقية، وهي دائرة آخذة في الانحسار في ذلك الوقت، والدائرة الأخرى في اتساع مضطرد، وهي الدائرة التي قامت على المبادئ المستمدة بالاستنباط العقلي من اعتبارات المصالح الدنيوية(7)، ومن ثم: عمل عبده . وخاصة في آخر أيامه . على رتق هذا الانقسام مع عدم إيقاف مجرى هذا التطور الذي بدأه محمد علي، «بل الاعتراف بالحاجة إلى التغيير، وربط هذا التغيير بمبادئ الإسلام، وذلك بإثبات أن هذا التغيير الحاصل ليس مما يجيزه الإسلام فحسب، بل إنما هو من مستلزماته الضرورية إذا فهم على حقيقته»(8)، وينبغي علينا وضع خط أسفل (حقيقته).

وعلى خطى الطهطاوي وخير الدين التونسي والأفغاني سار محمد عبده، فكانت رؤوس الموضوعات هي نفسها: الوطنية الإقليمية، والعناية بالتاريخ القديم السابق على الإسلام . الدعوة إلى الحرية وإلى الحياة النيابية . الدعوة إلى إعادة النظر في وضع المرأة في المجتمع: في الحجاب، والحد من تعدد الزوجات، والحد من حرية

الطلاق(9)... ولكن تلك المفاهيم أخذت بعداً أعمق على يد محمد عبده ومدرسته من بعده؛ فما قدمه رفاعة في ميدان التجديد كان بمثابة البراعم التي تفتحت على يد محمد عبده ومدرسته(10)، وعلى الخطى نفسها سار محمد عبده في المنهج الذي اختطه (الرواد) «في التوحيد بين بعض المفاهيم التقليدية للفكر الإسلامي وبين الأفكار السائدة في أوروبا الحديثة، وعلى هذا النهج انقلبت (المصلحة) تدريجياً إلى المنفعة، و (الشورى) إلى الديمقراطية البرلمانية، و (الإجماع) إلى الرأي العام، وأصبح الإسلام نفسه مرادفاً للتمدن.. ولا شك أنه كان من السهل . باتباع هذا النهج . تحوير . إن لم نقل إبطال . المعنى الدقيق للمفاهيم الإسلامية وتناسي ما يميز الإسلام عن غيره من الأديان، لا، بل عن النظرة الإنسانية اللادينية، وهذا ما تنبه له بقلق نقاده المحافظون..»(1).

وهكذا ولد الإصلاح الديني من رحم (المدرسة التوفيقية)؛ فعلى أسس التوفيق بين الإسلام والغرب تحددت معالم (الإصلاح)، وذلك بتضييق نطاق الثابت (الجوهري) في الإسلام الذي لا يقبل التعديل (الاجتهاد)، وهو الاعتقادات والعبادات (رغم أنها لم تسلم أيضاً من اجتهاداتهم)، وتوسيع نطاق المتغير (العرضي) الذي سيتماس مع أوجه الحياة؛ لأنه يشمل (المعاملات)، أو بتعبير الدكتور عزيز العظمة: تضييق مجال الدين وتوسيع نطاق الدنيا(2).

ولكن المدرسة الإصلاحية إذا تعاملت مع هذه الدائرة الأخيرة بالنظرة الفقهية القديمة نفسها لا تكون قد حققت الغرض المرجو، لذا: كان لا بد من تحييد التراث الفقهي، ولا يتم ذلك إلا بمحاربة التقليد، ثم الدعوة إلى الاجتهاد في هذه المسائل من جديد.. «لقد كان [الأفغاني] يؤمن بالأصول ويترك لعقله الحرية في الفروع، ويصل في ذلك إلى نتائج غريبة عن أذهان الجامدين المتزمتين، فيرمى بالإلحاد، فكان ينفر من التقليد ويدعو إلى الاجتهاد»(3)؛ فمن ثوابت دعوة الأفغاني «أن باب الاجتهاد لم يغلق، وأنه لمن حق الناس(!) . لا، بل من واجبهم . أن يطبقوا مبادئ(!) القرآن مجدداً على قضايا زمانهم، وإذا امتنعوا عن القيام بهذا وقعوا في الجمود والتقليد اللذين لا يقلان عداوة عن الدهرية؛ فمحاكاة أقوال الآخرين وأفعالهم تفسد الدين والعقل معاً»(4).

وبـ (تحرير) العقيدة من قيد التقليد أهدت حركة الإصلاح طوق النجاة إلى حركة التحرر العلمانية، أو كما يقول المستشرق جب: «.. كان [محمد عبده] يرفض قبول مبدأ السلطة، أو التقليد بلا مناقشة . كما يقال في الإسلام .، وكان هذا الرأي بمثابة خشبة إنقاذ للنزعة العلمانية الجديدة»(5).

وبـ (تحرير) الفقه من القيد نفسه (التقليد) وصلت المدرسة الإصلاحية إلى فتح باب الاجتهاد؛ «لكي يتسنى للعالِم أن يؤول التعاليم الإسلامية تأويلاً جديداً يتلاءم مع روح العصر»(6)، وعلى هذا نستطيع فهم الهدف من دعوة هذه المدرسة إلى الرجوع إلى السلف الصالح . في بعض جوانبها . على أنه: «النفوذ إلى ما وراء النظم الفقهية المتحجرة . كما تبدو في المذاهب الأربعة . وفتح باب الاجتهاد، لكي يتمكن العالم من تأويل التعاليم الإسلامية تأويلاً جديداً حراً»(7).

ثم تمخض عن فتح باب الاجتهاد على يد هذه المدرسة دعوة عريضة إلى إعادة تفسير الشريعة كلها، فبعد أن كانت الدعوة إلى الاجتهاد التي أطلقها (الإصلاحيون) الأوائل كالطهطاوي والتونسي مقتصدة غاية الاقتصاد تدعو إليه في أضيق الحدود... «أصبحت من بعد على يد محمد عبده ومدرسته . ولا سيما رشيد رضا . دعوة عامة تهاجم التقليد، وتطالب بإعادة النظر في التشريع الإسلامي كله دون قيد، فانفتح الباب على مصراعيه للقادرين ولغير القادرين، ولأصحاب الورع ولأصحاب الأهواء»(8)، ولم تتضح ضوابط شرعية واضحة أو حدوداً قصوى لهذه الدعوة عند المدرسة الإصلاحية، بل كان الهدف الثابت هو الوصول إلى التوفيق الذي مر إيضاحه، «فما نفتقر إليه اليوم إنما هو إعادة تفسير الشريعة لنتمكن من اقتباس ما كان صالحاً من الأخلاق الأوروبية، كإلغاء الرق مثلاً، ومنح المساواة أمام القانون للمسيحيين القاطنين البلاد الإسلامية»(9).

ولكن كيف سيكون الاجتهاد خادماً لذلك التوجه؟ سيكون ذلك من خلال قاعدة يقوم عليها وأصول تنبثق منها، أما القاعدة فهي: «أن العقل يجب أن يحكَّم كما يحكَّم الدين، فالدين عرف بالعقل، ولا بد من اجتهاد يعتمد على الدين والعقل معاً حتى نستطيع أن نواجه المسائل الجديدة في المدنية الجديدة، ونقتبس منها ما يفيدنا»(1)، أما أهم الأصول التي تستخدم في هذا الاجتهاد فنستطيع القول إنها تتمثل في:

1- التوافق مع العقل والعلوم الحديثة، وقد مر بنا سابقاً ما يغني عن تكرار الحديث عن هذا الأصل.

2 - تضييق نطاق النصوص الشرعية بالتشكيك في حجية أحاديث الآحاد، وتحييد النصوص القرآنية ظنية الدلالة، ثم تأويل ما تبقى من هذه النصوص إذا بدا (للمجتهد من هذه المدرسة) أن ظاهره مخالف للعقل . كما يتصوره .، أو للعلوم العقلية . في تطورها الآني ..

فإذا حوصرت الشريعة في هذا (الحيز الكمي) المحدود فإن ما يتبقى منها . على زعمهم . هو مبادئ واعتبارات وفضائل عامة تشترك فيها . مع الإسلام . جميع الأديان والمذاهب المنسوبة إلى السماء أو إلى الأرض، وبذا تتلاشى الفواصل بين الإسلام وغيره، وتذوب معالمه في فضائل إنسانية عامة، يقول الدكتور العظمة: «ولا يخبرنا الإصلاحيون: بأي اعتبار كانت هذه الأمور العامة شرعية إسلامية؟ وما الذي يميزها عن الأصول العامة لجل مجتمعات الدنيا وأسسها الأخلاقية والقانونية؟»(2).

أما إذا تعارض ظاهر نص مع هذا المنحى فإن المدرسة الإصلاحية تلجأ إلى التأويل (التفسير الرمزي) حتى تتفق مع المعطيات الجديدة.

فبالتأويل يصبح النص مرناً وفضفاضاً يمكن تشكيله حسب الحاجة، وتصبح الوقائع المحددة التي وردت في النص مجرد تمثيل لأخذ العبرة والحكمة: «إن النقطة المبدئية التي يؤكدها هذا الموقف [تفسير محمد عبده لعموم طوفان نوح . عليه السلام . أو عدمه] هي إمكانية الانصراف إلى التأويل . بل ضرورته . إذا قطع بأن الظاهر (غير مراد): ينسب بذلك مراد العصر إلى عصر النص، أي: إن تأكيد سلطة النص القطعية يجري بإضفاء معنى اليوم عليها مما لا يناسبها بالطبع، فيصبح اليقين والنص صنوين... »(3).

وهكذا «أصبح النص القرآني . وخصوصاً آياته الدالة على الأمور الكونية . لا يفهم إلا على أن بعض مفرداته قائمة على شيفرة، مفتاحها المعارف العلمية الحديثة»(4).

3 - أما في المسائل الفقهية: فقد عمدت المدرسة الإصلاحية إلى التوسع في استخدام بعض الأصول والقواعد الفقهية التي تلبي حاجتها (التجديدية)، كنظرية العرف، والمصالح المرسلة، والاستحسان، والمقاصد الشرعية، مع التلفيق بين

المذاهب الفقهية وإعادة إبراز الآراء الفقهية الشاذة . إن لزم الأمر .، للوصول للفتوى التي تطمئن لها عقولهم.
يقول ألبرت حوراني: «فعلى المسلمين اليوم . في نظر محمد عبده . أن يقوموا بما كان عليهم القيام به دوماً: إعادة تأويل شريعتهم وتكييفها وفقاً لمتطلبات الحياة الحديثة، ولبلوغ هذه الغاية لا بد من الاهتداء بمبدأين سلم بهما الفقهاء وأعطاهما محمد عبده بعداً جديداً: الأول: مبدأ المصلحة... كان هذا المبدأ تقليديّاً بمثابة قاعدة لتأويل النصوص.. فيختار [الفقيه] التأويل الذي يحقق هذه الغاية، أما محمد عبده وأتباعه فقد جعلوا من المصلحة قاعدة لاستنباط شرائع خاصة من المبادئ العامة للخلقية الاجتماعية؛ فالله لم ينزل . في رأيهم . سوى مبادئ عامة، تاركاً للعقل أمر تطبيقها على قضايا المجتمع الخاصة، وبما أن هذه القضايا تتغير توجَّب تغيير تطبيق المبادئ عليها.. أما المبدأ الثاني: فهو مبدأ التلفيق... فدعا، لا إلى الاستعانة بالمذاهب الأخرى في مسائل معينة فحسب، بل إلى مقارنة علمية بين المذاهب الأربعة أيضاً . ناهيك بأحكام الفقهاء المستقلين الذين لم يقبلوا أياً منها . بغية وضع (مذهب موحد) يؤلف بين العناصر الصالحة في كل منها، وقد تمكن . بوصفه مفتي مصر . من وضع هذه الدعوة موضع التنفيذ»(5)، وكانت المصلحة هي الأصل عند تلميذه رشيد رضا الذي توسع كما ذكر . من قبل . في المرونة (الاجتهادية) أكثر من شيخه، «فالعمل بموجب الحديث الصحيح عند السيد رشيد رضا أمر واجب إن لم ينافِ المصلحة، وإذا نافى المصلحة فإنه سيعتبر . حكماً . أنه معارض الأصول العامة المؤيدة بالكتاب والسنة، ولأن لا بد له إذن إلا أن يكون من أحاديث الآحاد التي لا تفيد إلا الظن دون اليقين أو الإلزام، فترفض بذلك الأحاديث لاعتبارات نفعية دون الإلماع إلى نواقصها التاريخية [علم الجرح والتعديل]»(1).
4 – ومن الملحوظات في أسلوب عرض أصحاب المدرسة الإصلاحية لآرائهم: الجزم واليقين عندما تكون هذه الآراء متسقة مع منهجهم الجامع بين الإسلام والمعطيات العقلية والعلمية الحديثة وعندما يكون إمرارها بين الناس محتملاً، أما عندما يختل نظم هذا المنهج أو يصعب إمرار الرأي الذي خرجت به فإن التشكيك،

أو التفـويض و (اللاأدريــة)، أو العـرض فــي صـورة المحـتملات أو الحكايــة.. هـو الأسلوب المناسب.

وهكذا عمدت المدرسـة الإصـلاحية إلـى إيجـاد منظومـة مـن الآراء الجديـدة (الفكريـة والفقهية) تشمل مجالات الحياة المختلفة، تتسق مع مفاهيمهم العقلية ومعطيات الحياة الغربيـة، لتشـغل الفراغ الكبيـر فـي السـاحة الفكريـة الموجود آنـذاك(2)، محاولـة رتـق الشِّق البادي في توجهات المجتمع.

فاجتهادات المدرسة الإصلاحية لم تقف عند حد التوفيق بين الإسلام والأفكار الغربية في المسائل الحياتية المرتبطة بالشريعة (أو الفقه)، ولكنها تجاوزتها إلى (التصورات) و (الغيبيات)، لتربط بينها وبين (العقل)، وهي في هذا المجال قاربت أن تنزلق من (العقلانيـة) إلـى (الماديـة)، فحرصـت . مـا أمكنهـا . علـى أن يكـون كـل تصـور مفسـراً بالعقل، وأن ترد معظم الغيبيات إلى أصل مادي أو تجريبي، وإلا أوَّلوها تأويلاً أقرب إلى نفيها.

وقد كان هذا المنهج أقرب إلى مخطط الغرب الخبيث لإدخال العلمانية والتغريب إلى العـالم الإسـلامي بـدون إثـارة، «.. فـإن دخـول عناصـر جديـدة علـى الحيـاة الإسـلامية كـان يقتضـي إبـراز بعـض تعليمـات الـدين، وتوجيـه عنايـة أكبـر إليهـا، ووضـعَها فـي المكان الأول، ووضعَ تعليمات أخرى في مرتبة غير أساسية. وإذا حدث هذا، فمعناه أن الموازين الدينية والتعاليم الأخلاقية في الإسلام آخذة في التحول، وأن هذا التحول يتجه نحو تقريبه من الموازين الغربيـة فـي الأخـلاق التـي هـي فـي الوقـت نفسـه متمثلـة في التعاليم الأخلاقية للكنيسة المسيحية.

ويقرر جيب أن في كل البلاد الإسلامية... حركات معينـة تختلـف قـوة واتسـاعاً ترمـي إلى تأويل العقائد الإسلامية وتنقيحها، ثم يقول: وقد اتجهت مدرسـة محمد عبده بكل فروعها وشُعَبها نحو تحقيق هذا الهدف، بل لقد ظهر كثير من العلماء المستقلين الذين نادوا بآراء أكثر تقدماً وجرأة، لا سيما في الهند. ولكن الواقع هو أن معظم ما تم من تعديل وتحوير خفي لا يبدو للنظرة السطحية»(3).

ويقـول بولسـون نيومـان «... فـإذا أمكـن للمبـادئ الإسـلامية أن تتطـور مـع الـزمن المتطور، بدلاً من الارتباط بعالم خيالي لا يسمح للتطور الزمني أن يتطرق إليه...

عند ذلك: سوف تصبح يقظة الشرق حقيقة واقعة، وليست أضغاث أحلام، وعند ذلك سوف يتحرر ملايين البشر من هذه العقائد الأثرية الشيباء ليأخذوا مكانهم بين الحركات الحديثة»(1).

لذا: فقد لاقت فكرة الإصلاح الديني أو الاجتماعي «هوى في نفس كرومر؛ لأنها الفكرة التي تشغل بال الرأي العام المصري عن المطالبة بالاستقلال أو الجلاء، أو لأنها الفكرة التي لو نجحت في مهمتها(!)لأصبحت دليلاً على نجاح الاحتلال البريطاني في مهمته، وهذه المهمة في ظاهرها هي الأخذ بيد المصريين إلى الحضارة والسير بهم إلى حيث يلحقون بالأمم الأخرى»(2).

من التوفيق إلى التقريب:

لم تقف جهود المدرسة الإصلاحية عند حدود توفيق الإسلام (عقيدة وشريعة) مع الفكر الغربي وإذابة الفوارق والفواصل بينهما، بل سعى بعض رموز هذه المدرسة إلى (التقريب) بين الإسلام والأديان الأخرى.

فمحمد عبده يقول: «إن القرآن . وهو منبع الدين . يقارب بين المسلمين وأهل الكتاب حتى يظن المتأمل فيه منهم أنهم لا يختلفون عنهم إلا في بعض أحكام قليلة»(3).

ولقد أخذ هذا الفهم النظري شكل السعي العملي؛ فها نحن نجده بعد إغلاق صحيفة العروة الوثقى وعودته من باريس إلى بيروت يؤسس (جمعية التأليف والتقريب بين الأديان السماوية)، وشاركه فيها آخرون من المسلمين والنصارى واليهود، من أبرزهم القس الإنجليزي إسحاق تايلور المعروف بالدعوة إلى ذلك، وجي دبليو لينتز، وحسن خان مستشار السفارة الإيرانية بالآستانة، وكان محمد عبده صاحب الرأي الأول في إنشائها ونظامها، أما هدف الجمعية فكان: التقريب بين الأديان السماوية الثلاثة، وإزالة الشقاق بين أهلها، وإحلال التعاون بدل الفرقة والخصام(4).

مكمن الخطر في المدرسة الإصلاحية:

إننا لا نستطيع الآن . وقد ماتت أنفس لا تستطيع الدفاع عن نفسها، وطمرت أحداث لا نستطيع جلاءها . أن نصدر حكماً . بالإدانة أو البراءة . على المدرسة الإصلاحية، وليس هذا من أهدافنا أصلاً، فهدفنا رصد الخطوات والمؤثرات والوقائع التي أدت إلى العلمنة والتغريب الذي تحياه معظم مجتمعاتنا المعاصرة بدرجات متفاوتة.

قد يكون في أتباع هذه المدرسة مخلصون أرادوا . في ظل هذه الظروف الصعبة والمعقدة . الدفاع عن الإسلام وإصلاح الواقع الاجتماعي والثقافي والوقوف دون انهيار إيمان المسلمين أمام المد الإلحادي... يحتمل !، وقد يكون فيهم عملاء مأجورون باعوا أنفسهم للغرب أو انبهروا به إلى حد الذوبان فيه وخدمته تلقائيّاً... ربما!، وقد يكون فيهم من تمثل فيه هذا الوصف وذاك ... ليس بمستبعد!

ولكننا . على العموم . لا نستطيع أن ننظر بعين واحدة . هي التي تنشط في دراسة كهذه . عند تقييم هذه المدرسة؛ فقد كان لها بالفعل آثار ملموسة في نبذ الخرافات وكسر الجمود الفقهي وإعادة تشكيل الفكر الإسلامي، وفي الوقت نفسه: فإننا لا نستطيع تجاهل الانحرافات العقدية والعلمية والعملية التي وقعت فيها هذه المدرسة، وأيضاً لا نملك . علميّاً وأدبيّاً . حق التغاضي عن الدور الذي قامت به والأثر الملموس الذي أحدثه روادها . قصدوا أو لم يقصدوا . في تقريب العلمانية والتغريب إلى المجتمعات الإسلامية.

لم يكن مستغرباً أن يتفق الإسلام مع العقل، ولم تكمن خطورة المدرسة الإصلاحية في انفتاحها على الفكر الغربي ونهلها من نتاجه، إنما تمثل مكمن الخطورة في المدرسة الإصلاحية في عدة أمور، منها:

أولاً: أن تفسير الدين ونصوصه بالعقل المحض الذي وصل إلى حد أن يكون ذلك قاعدة الاستدلال الأساس، والذي انبنى عليه تأويل النصوص بحسب معطيات العلم التجريبي الغربي المعاصر.. كان ذلك بمثابة محاولة لإخضاع علم الله وقدرته المطلقين وغير المحدودين لإدراك العقل الإنساني وتصوراته ومعارفه وتجاربه التي تتسم بالقصور والمحدودية والنسبية، ليس بالنسبة لعلم الله وقدرته فقط، بل بالنسبة للعقل الإنساني نفسه الذي تختلف قدراته من شخص إلى آخر، وتختلف تجاربه ومكتسباته العلمية من عصر إلى آخر، كما أنه ليس في الوجود البشري عقل مطلق ومجرد نستطيع القياس عليه واتخاذه حَكَماً يرجع إليه البشر في تصوراتهم وأفكارهم ومناهجهم وأخلاقهم.

فهم بهذا التوسع يعملون على تفسير المطلق وغير المحدود بالنسبي والمحدود، وفي ذلك ما فيه من مخالفة العقل نفسه، إضافة إلى خطورته على توحيد الله والإيمان به.

ثانياً: أن محاولة إخضاع الغيبيات والخوارق المذكورة في الكتاب والسنة للتفسير المادي أو التجريبي... فيه نوع من اختزال الإيمان بالغيب لحساب عالم الشهادة؛ فإنه عندما يؤمن المسلم بتفسير غيبية أو خارقة بناءً على مشاهداته المحسوسة أو المتصورة التي قد تتكرر أو تفتعل بإرادة المخلوقين أو سيطرتهم.. فإنه لا يؤمن حينئذ بغيب، بل يؤمن بمشاهد أو مشهود، وهكذا: كلما فسرنا غيبية بهذا التفسير نقلناها من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، وفي النهاية يتقلص الإيمان بالغيب ويتمدد الإيمان بالشهادة، وهذه نقلة نحو المادية وابتعاد عن الدين الذي تقوم قاعدته الكبرى على الإيمان بالغيب: {ذّلٌكّ پكٌتّابٍ لا رّيًبّ فٌيهٌ هٍدْى لٌَلًمٍتَّقٌينّ > پّذٌينّ يٍؤًمٌنٍونّ بٌالًغّيًبٌ $يٍقٌيمٍونّ پصَّلاةّ $مٌمَّا رّزّقًنّاهٍمً يٍنفٌقٍونّ} [البقرة: 2، 3].

ثالثاً: إذا كان القرآن، وكذلك السنة، لم يأتيا إلا بمبادئ وحدود عامة في التشريع . بحسب اجتهادت المدرسة الإصلاحية .، وإذا فسرت الغيبيات والمعجزات التي ذكراها تفسيراً مادياً يمكن أن يحدث لأي أحد، وإذا كان ما ورد فيها من ذكر للأحداث والأسماء التاريخية ليس لذكر حقائق تاريخية بل فقط للاعتبار والتذكر، وإذا كان الأمر نفسه بالنسبة لـ (إشارات القرآن) في الفلك والاقتصاد.. وإذا أهدرت أحاديث الآحاد . ومعظم السنة أحاديث آحاد . ثم أوِّل ما تبقى منها أو حيد عنها بدعوى تحقيق المصلحة وموافقة المقاصد ...فضلاً عن إهدار التراث الفكري الذي خرج من هذين المصدرين، وإذا كانت (الشريعة) يمكن التلاعب بها إلى الحد الذي رأينا في فتاوى هذه المدرسة... فماذا يتبقى من الإسلام إذن؟

إن المدرسة الإصلاحية . باتباعها ذلك المنهج . تكون قد قامت بعملية الإخلاء اللازمة لاحتلال الفكر الغربي قواعد الفكر الإسلامي.

رابعاً: كان من أثر روح الهزيمة النفسية التي سادت المدرسة الإصلاحية والتداعيات التي تمخضت عنها، والتفاعلات المستمرة مع أصحاب اتجاه العلمانية الصريحة ... أن الإصلاحية لم تستطع الصمود أمام الهجوم العلماني والإلحادي المادي؛ فلقد «كانت قوة التحدي الأوروبي . الحضاري والسياسي . أعظم من أن تصمد لها توفيقية محمد عبده ومعادلته التي حاولت بعد أزمان من التنافر والعداء الجمع بين الإسلام والغرب في صيغة تصالحية واحدة ... »(1)، فكانت النتيجة تقهقر هذه المدرسة

وتراجعها عن مواقعها شيئاً فشيئاً أمام اتجاه العلمانية الصريحة، متوسعة في منهجها التوفيقي الاعتذاري وتطبيقاته على أوجه الحياة.

خامساً: نتج عن هذا التقهقر وذلك الإخلاء للمواقع أنَّ العلمانيين وجدوا في أدبيات المدرسة التوفيقية الإصلاحية أدوات ومسوغات يغزون بها المجتمعات الإسلامية على نطاق واسع، كما أن شهيتهم ازدادت شراهة لعرض أفكارهم، وفي الوقت نفسه: أصبح منهج المدرسة الإصلاحية وسيطاً مناسباً لحمل هذه الأفكار الغربية، أو كما يقول ألبرت حوراني عن رائد هذه المدرسة (محمد عبده): «لقد نوى إقامة جدار ضد العلمانية، فإذا به في الحقيقة يبني جسراً تعبر العلمانية عليه، لتحتل المواقع واحداً بعد الآخر، وليس من المصادفة ـ كما سنرى ـ أن يستخدم معتقداته فريق من أتباعه في سبيل إقامة العلمانية الكاملة»(2)، ويقول شيخ الإسلام بالدولة العثمانية مصطفى صبري: «فلعله وصديقه ـ أو شيخه ـ جمال الدين أرادا أن يلعبا في الإسلام دور لوثر وكلفين زعيمي البروتستانت في المسيحية، فلم يتسن لهما الأمر لتأسيس دين حديث للمسلمين، وإنما اقتصر تأثير سعيهما على مساعدة الإلحاد المقنَّع بالنهوض والتجديد...»(3).

سادساً: ومثلما ساهمت المدرسة الإصلاحية على إسقاط الحاجز الفكري بين الإسلام والغرب بتقريب الفكر الغربي إلى المجتمعات الإسلامية ساعدت على إسقاط الحاجز النفسي لدى النخبة المثقفة لقبول العلمانية والتغريب، فـ «عند أولئك الذين تعلموا في المدارس الحديثة كانت جاذبية وجهة نظر الإمام محمد عبده للإسلام تكمن في أنها حررتهم لقبول أفكار الغرب الحديثة بلا أدنى إحساس بالتخلي عن ماضيهم...»(1).

سابعاً: تطورت معادلة التوفيقية الإصلاحية على يد تلاميذ محمد عبده من القول: «إن المدنية الحقيقية تتوافق مع الإسلام» إلى القول: «إن الإسلام الحقيقي يتوافق مع ما تأتي به المدنية»(2)، أو بمعنى آخر: من شرح الحضارة (العمران) والأفكار الغربية بما يوافق الإسلام (الحقيقي)، إلى تطويع الإسلام وإعادة تفسيره لحمله على موافقة الحضارة (العمران) والعقل الغربي، والحقيقة أن هذا التطور في تلك المعادلة كان قد بدأ على يد محمد عبده نفسه، ولكن تلامذته خاضوا فيه بصورة أوضح.

كما انهارت الموازنة بين قيم الإسلام وتصوراته وبين أفكار الغرب وعلومه، وهي الموازنة التي كان يحرص عليها . إجمالاً . محمد عبده، وافترقت خطى مدرسته من بعده، فمال رشيد رضا بفكره إلى سلفية أكثر، بينما اتجه سعد زغلول وأحمد لطفي السيد وقاسم أمين وعلي عبد الرازق... وغيرهم، إلى شبه قبول مطلق للفكر الغربي، مطالبين بعلمانية متشبهة بالغرب وبفصل الدين عن الدولة(3).

وعليه: نستطيع القول: إن المدرسة الإصلاحية . بعد توظيف الغرب لها خدمة لأهدافه . عادت من حيث بدأت: إسلاماً يواجه الفكر الغربي، وتغريباً وعلمانية يحاصران الإسلام ويعملان على إقصائه من واقع الحياة.

ثامناً: رسخت المدرسة الإصلاحية استمرار النهج التلفيقي المخادع الذي بدأه الطهطاوي والتونسي، القائم على تلبيس الحق بالباطل وتخليط الصواب بالخطأ، والذي كان مقتضاه تقديم التغريب والعلمانية على طبق من الدين، وهذا الأسلوب في تقديم العلمانية والتغريب باسم الإسلام في هذه المرحلة المبكرة هو ما تمناه المستشرق القسيس المنصر (زويمر) عندما قال هو وزملاؤه: «تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم؛ لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها»(4)، وقريب منه ما ذكره (الشيخ) محمد عبده . في رسالة مريبة منه بخط يده إلى أستاذه جمال الدين الأفغاني عام 1300 هـ (1883م) بعد مناظرة الأخير الشهيرة مع رينان . : «نحن الآن على سنتك القويمة: لا تقطع رأس الدين إلا بسيف الدين، ولهذا لو رأيتنا لرأيت زهاداً عباداً ركعاً سجداً..»(5)، وهذا ما عبر عنه أحد المفكرين المعاصرين بأن العلمانية دخلت إلى العالم الإسلامي لابسة عمامة، وهو الأسلوب نفسه الذي يحاول اتباعه الآن (الإصلاحيون) في إيران وبعض (التنويريين) في بقاع أخرى من العالم الإسلامي، وعكسه ما يحاوله بعض الإسلاميين في تركيا (إعادة الإسلام لابساً قبعة).

ويمكن القول . إذا لم نتحلَّ بدرجة كبيرة من إحسان الظن بهم .: إن (الإصلاحيين) في ذلك الوقت لم يكن في وسعهم إلا اتباع ذلك الأسلوب المخادع حتى لا يصطدموا مع عامة الأمة وعلمائها (المتعصبين).

(ü) هـذه المقـالات مقتطفـات مختصـرة مـن كتـاب يعـده الأخ الكاتـب عـن تـاريخ العلمانية والتغريب في العالم الإسلامي، وقد آثر . جزاه الله خيراً . مجلة البيان بنشر هذه المقالات قبل نشره للكتاب. . ^ .

Modern Egypt(1) ، ج 2، ص 132 . 133 نقلاً عن د. سامي عزيز، مصدر سابق، ص 300، وانظر أيضاً: ص 226.

(2) الاتجاهـات الوطنيـة فـي الأدب المعاصـر، ج 2، ص 215، وانظـر: وجهـة الإسلام، ص 40.

(1) السابق، ج 2، ص 214، وانظر: وجهة الإسلام، ص 69، وما بعدها.

(2) وبالفعل يكاد ألا يخلو قطر عربي ممن تربى فيها وتخرج منها ثم تسنم في بلاده مناصب سياسية أو اجتماعية أو ثقافية وتربوية أو إعلامية رفيعة، مما مكنهم من التأثير في تلك البلاد، حتى إن هذه الكلية (وهي مدرسة من المرحلة الابتدائية حتى الثانوية) التي أصبح لها فروع عديدة تفخر بذلك وبأنها يطلق عليها اسم: (مدرسة المشاهير).

(3) الإسـلام والحضـارة الغربيـة، ص 45 – 46. (4) د. سـامي عزيـز، مصـدر سابق، ص 300.

Modern Egypt(5) ، ج 2، ص 228، 231، نقـلاً عـن: د. سـامي عزيـز، مصدر سابق، ص 300.

(6) د. سامي عزيز، المصدر السابق.

Cromer Lord(1) ، ص 89، نقلاً عن: الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي، ص 226.

Modern Egypt(2) ، ج 2، ص 228 . 231 ، نقـلاً عـن: د. سـامي عزيـز، مصدر سابق، ص 301.

(3) د. سامي عزيز، مصدر سابق، ص302.

(4) تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، لمحمد رشيد رضا، ج 2، ص 537.

(5) السابق، ج 2، ص 536.

(6) مقال خطأ العقلاء، بجريدة (الوقائع المصرية) سنة (1298هـ / 1881م)، نقلاً عن: تاريخ الأستاذ الإمام..، ج 2، ص 120 . 121.

(1) الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي، ص 224.

(2)Modern Egypt ، ج 2، ص 538، نقلاً عن: د. سامي عزيز، مصدر سابق، ص 276.

(3) د. سامي عزيز، مصدر سابق، ص 225 . 226.

(4) د. محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، ص133 . 134.

(5) زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص 114، وانظر: خاطرات جمال الدين الأفغاني، لمحمد باشا المخزومي، ص 99 . 104.

(1) الفكر العربي في عصر النهضة، لألبرت حوراني، ص 230.

(2) نفسه، وقد كان الشيخ حسين الجسر على صلة وثيقة بمحمد عبده، كما كان أستاذاً لمحمد رشيد رضا، انظر مثلاً: تاريخ الأستاذ الإمام، ج 1، ص 404، 998 . 999.

(3) د. نزيه كبارة، عبد الرحمن الكواكبي، حياته وعصره وآراؤه، ص 108، وانظر: الفكر العربي في عصر النهضة، ص 277 . 278، والعلمانية من منظور مختلف، للدكتور عزيز العظمة، ص 163.

(4) انظر: المصادر السابقة.

(5) انظر: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، للكواكبي، ص 35- 49، وانظر أيضاً: صحوة الرجل المريض، للدكتور موفق بني المرجة، ص 203، وعبد الرحمن الكواكبي..، ص 71 . 75 ، والعلمانية من منظور مختلف، ص 163.

(6) د. نزيه كباره، مصدر سابق، ص 105، وانظر: أم القرى، للكواكبي، ص 106 . 108، و د. أسعد السحمراني، مصدر سابق، ص 65.

(7) انظر: الإمام الكواكبي . فصل الدين عن الدولة، لجان دايه، ص 18. (8) طبائع الاستبداد..، للكواكبي، ص 122.

(9) انظر: الفكر العربي في عصر النهضة، ص 95، 373، والعلمانية من منظور مختلف، ص 85.

(1) انظر: صحوة الرجل المريض، ص 148، والعلمانية من منظور مختلف، ص 92.

(2) الفكر العربي في عصر النهضة، ص 369. (3) العلمانية من منظور مختلف، ص 158.

(4) انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ج 1، ص 327، 329، 370، والفكر العربي في عصر النهضة، ص 152.

(5) انظر: الفكر العربي في عصر النهضة، ص 149.

(6) انظر: مقال (خطأ العقلاء) لمحمد عبده، المنشور في جريدة الوقائع المصرية (1298هـ/ 1881م)، نقلاً عن: تاريخ الأستاذ الإمام، ج 2، ص 119، وقد هاجم محمد عبده فيما بعد محمد علي، عندما اختلف مع أمراء أسرته الحاكمة، حاملاً عليه عدم اهتمامه إلا بما يمس أسرته وجيشه.. ولكن لاحظ في هذا المقام أن الأفغاني كان قد أثنى كذلك على هذه التغييرات ووصف محمد علي بأنه (الرجل العظيم)، انظر: خاطرات جمال الدين الأفغاني..، ص 183، ولاحظ أيضاً أن الوصف نفسه لمحمد علي كان قد نعته به اللورد كرومر، مثنياً على محمد علي، ذلك الرجل العظيم، الذي يكفيه من مآثره كونه (بتر) مصر من الدولة العثمانية وجعل لها وجوداً إدارياً مستقلاً، انظر: مصر الحديثة، ص 22، 134.

(7) انظر: الفكر العربي في عصر النهضة، ص 145، 146. (8) ألبرت حوراني، مصدر سابق، ص 148.

(9) انظر: الإسلام والحضارة الغربية، ص 78. (10) انظر: معالم على طريق تحديث الفكر العربي، د. معن زيادة، ص 201.

(1) ألبرت حوراني، مصدر سابق، ص 153. (2) انظر: العلمانية من منظور مختلف، ص 166.

(3) أحمد أمين، مصدر سابق، ص 113.

(4) ألبرت حوراني، مصدر سابق، ص 136، وانظر: خاطرات جمال الدين الأفغاني..، ص 111 – 112،.

(5) الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ص 62، وانظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ج 1، ص 340 . 341.

(6) ماجد فخري، دراسات في الفكر العربي، ص 246. (7) السابق، ص 278.

(8) د. محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، ص 50. (9) ألبرت حوراني، مصدر سابق، ص 163، وانظر: ص 159.

(1) أحمد أمين، مصدر سابق، ص 337. (2) العلمانية من منظور مختلف، ص 165.

(3) د. عزيز العظمة، مصدر سابق، ص 171 . 172، وما بين القوسين من كلام رشيد رضا، وراجع كلام محمد عبده نفسه . حول طوفان نوح عليه السلام . في: تاريخ الأستاذ الإمام، ج 1، ص 666 . 667. (4) السابق، ص 172.

(5) الفكر العربي في عصر النهضة، ص 159 . 160، وانظر: ص 242، والعلمانية من منظور مختلف، ص 166.

(1) د. عزيز العظمة، مصدر سابق، ص 168.

(2) إليك نموذجاً للبديل (الفكري) السائد في هذا الوقت في مواجهة العلمانية الصريحة والإلحاد الذي ذكرناه سابقاً، لتعرف مدى الفراغ الذي كان موجوداً في الساحة آنذاك، ومدى (الانبهار) الذي قد يحدث عندما تقدم المدرسة الإصلاحية منهجها وآراءها لملء هذا الفراغ: إذ يروي أحمد شفيق باشا أن شيخ الأزهر انتدب في رمضان سنة 1309هـ (1892م) الشيخ أحمد الرفاعي لإلقاء بعض دروس التفسير بين يدي الخديوي عباس بقصر عابدين، أي: إن الشيخ الرفاعي منتدب من أعلى هيئة علمية دينية في البلاد إلى أعلى سلطة سياسية فيها، يقول أحمد شفيق: «... وقد ظل الأستاذ عدة أيام يتابع دروسه، وكنت ممن يحضرونها، وكان كثير الإسهاب في إيراد أقوال المفسرين، وإيراد بعض الروايات الغريبة.

وفي ذات يوم تحدث عن {إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ} [الفجر: 7]، فهالنا ما أورده عنها من الروايات الغريبة، ولا سيما القول بأنها مدينة شُيِّدت طوبة من الذهب وأخرى من الفضة، وأنها معلقة بين الأرض والسماء !، ثم توسع في ذلك وعرض إلى علم الفلك بأسلوب يثير الإشفاق والضحك، فكنا والخديوي نزم شفاهنا حتى لا يغلبنا الضحك

الرنان» (مذكراتي في نصف قرن، ج 2، ص 28)، ولا شك أن أمثال هذه العروض كانت تساعد على دفع أصحاب القرار والمثقفين من أمثال هؤلاء نحو تبني خيار العلمانية والتغريب، ولا شك أيضاً أن من يأتي بعد ذلك وينفي عن الدين هذه الأقوال المضحكة ويقدم تفسيراً للدين فحواه أنه موافق للعلم الحديث لا يخرج عنه، ويحافظ على إيمان الناس بدينهم مع عدم الاصطدام بقناعاتهم العلمية والفكرية.. سيفتن الناس به ويقبلون عليه أياً كانت آراؤه غريبة أو غير مقبولة من الأوساط الدينية (المحافظة).

(3) د. محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ج2، ص213 . 214والآراء المذكورة مقتبسة عن كتاب جب: وجهة الإسلام (Whirher Islam).

(1) بريطانيا العظمى في مصر (Great Britain in Egypt)، ص165، نقلاً عن: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ج 2، ص307 . 308 .

(2) عبد اللطيف حمزة، الصحافة والأدب في مصر، ص123 . 124، نقلاً عن: الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي، ص 307، وانظر: الإسلام والحضارة الغربية، ص 77.

(3) تاريخ الأستاذ الإمام، ج 2، ص 538.

(4) انظر: تاريخ الأستاذ الإمام، ج 1، ص817 . 829.

(1) د. محمد جابر الأنصاري، تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي، ص 17.

(2) الفكر العربي في عصر النهضة، ص 153، وانظر: الاتجاهات الحديثة في الإسلام، لهاملتون جب، ص 70، والإسلام والحضارة الغربية، ص 78.

(3) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج 2، ص 144.

(1) ألبرت حوراني، تاريخ الشعوب العربية، ج 2، ص 145، وانظر: الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ص 70.

(2) انظر: الفكر العربي في عصر النهضة، ص 170، وتحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي، ص 9، 19.

(3) انظر: الفكر العربي في عصر النهضة، ص 171، 172، 153، و معالم على طريق تحديث الفكر العربي، ص 231، وتحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي، ص 19، والاتجاهات السياسية في العالم العربي، ص 78.

(4) الغارة على العالم الإسلامي، لخصها ونقلها إلى العربية، محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، ص 80.

(5) محمد عبده، سلسلة الأعمال المجهولة، لعلي شلش، ص 53، وانظر: العلمانية من منظور مختلف، ص 179، ومنهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، لفهد بن عبد الرحمن الرومي، ص 161، وانظر صورة الرسالة بخط محمد عبده، ص 162، 163، من الكتاب الأخير، وقد حذف رشيد رضا هذا المقطع عند إيراده لرسالة محمد عبده في (تاريخ الأستاذ الإمام) على عادته في حذف ما يرى عدم مناسبة نشره، انظر: تاريخ الأستاذ الإمام، ج 2، ص 599.

مجلة البيان

===============

#سوبر ستار العرب (ماذا قال عبد الباري عطوان)

كل عام وأنتم بخير

أكيد الكل شاف برنامج السوبر ستار في قناة المستقبل تعالوا نشوف ماذا علق عبد الباري عطون على هذا البرنامج.

عبد الباري عطوان:

نعترف أننا ارتكبنا خطيئة كبري عندما نعينا في افتتاحية سابقة الرأي العام العربي، ووصفناه بالموات. فالمظاهرات والمهرجانات التي تجري حالياً في الأردن ولبنان وسورية في إطار حمي اسمها سوبر ستار تؤكد أن الشارع العربي يتحرك فعلاً، ولكن في الاتجاه الأمريكي الصحيح.

محطة المستقبل الفضائية اللبنانية التي نقلت إلينا هذه التقليعة الجديدة، في حال بث مستمر لتشجيع الناس علي التصويت للاختيار بين الأردنية ديانا كرازون والسورية رويدا عطية.

التلفزيون الرسمي السوري ألغى معظم برامجه الخفيف منها والثقيل، وأقام مهرجانات في الحدائق العامة، وفي مختلف المدن والمحافظات، ونصب شاشات عملاقة لحشد التأييد والمساندة لرمز سورية الوطني رويدا عطية، التي ستحرر الجولان وفلسطين وربما العراق بعد فوزها!

في الأردن نسي الناس أزمات المياه وانقطاع الكهرباء، والبطالة المتفاقمة، والفقر المدقع، وباتوا في حال استنفار لدعم القضية الوطنية الأولى، أي التصويت لاختيار الآنسة ديانا، حتى ترفع رأس الأردن والأمة العربية في المعركة المصيرية ضد السورية رويدا.

لبنان وضع مزارع شبعا جانباً، فالوقت ليس وقت مقاومة وتحرير، هناك ما هو أهم، فالصحف منشغلة بالمرشح اللبناني ملحم زين الذي خرج من المسابقة ضحية مؤامرة إمبريالية كبرى تستهدف لبنان وأرضه وأرزه وتاريخه الحضاري، حتى إن الخبر الرئيسي في نشرة أخبار تلفزيون المستقبل يوم أمس هو استقبال الرئيس اللبناني إميل لحود للمرشح المهزوم ملحم زين، وعلى قدم المساواة مع وزير الخارجية الفلسطيني نبيل شعث.

نأسف أن نقول وبألم شديد: إننا نعيش علامات الساعة. وأن أمتنا التي طالما أنشدنا لها، وسطرنا القصائد في التغني بأمجادها، وعظمتها، هي أمة وصلت إلى أدني درجات التفاهة، ولهذا تنهال عليها الهزائم والنكبات من كل حدب وصوب.

بغداد تحت الاحتلال، وقوات أمريكية تعربد وتقتل وتنتهك حرمات وطن وشعب، وانتفاضة في الأرض المحتلة تذبح، وأغلى المقدسات تتعرض للتدنيس في القدس، ولا أحد يتحرك أو يحرك ساكناً، ولكن قضية ديانا، وملحم ورويدا تحرك الملايين، وتدفعهم إلى الشوارع متظاهرين لأبطال العرب الجدد ومصدر فخرهم وعزتهم.

التلفزيونات الرسمية العربية لم تهتم الاهتمام نفسه بغزو العراق، ولم تحرض الجماهير للتظاهر ضد العدوان، ولم تنصب الشاشات الضخمة والعملاقة في الساحات العامة لحشد التأييد للانتفاضة والتضامن مع شهدائها، ولكنها تفعل ذلك من أجل صوت ديانا الذهبي، وأحبال رويدا الصوتية البلاتينية.

قوات الأمن في الأردن وسورية ولبنان لم تطلق كلابها البوليسية لنهش لحوم المتظاهرين، ولم تستخدم الهراوات الغليظة لشج رؤوسهم، فهذه هي المظاهرات النموذجية التي نتمناها في هذه المرحلة، وكل المراحل القادمة، وهذه هي القضايا المصيرية التي يجب أن ينشغل بها الرأي العام.

فالتنافس بين الأردن وسورية ولبنان أو أي من البلدان الأخرى، لا يجب أن يكون في قضايا متخلفة مثل تحرير العراق أو فلسطين، أو في كيفية إطلاق الحريات العامة وحماية حقوق الإنسان، وتكريس القضاء المستقل، التنافس يجب أن يكون في الغناء والطرب والرقص، التصويت يجب أن لا يكون لانتخاب برلمان حر ديمقراطي، وفي ظل نظام حزبي تعددي، فهذا مضيعة وقت، وإهدار للمال والجهد. التصويت الصحيح والحضاري هو لاختيار من يحرك وسط الجماهير رقصاً، ورؤوسها طرباً بصوته العذب، وحنجرته الأصيلة.

الحناجر القوية التي تهتف بسقوط الاستعمار، وتطالب بالتحرير، وتتبني المطالب الشعبية في الاستقلال الحقيقي، هذه حناجر أصواتها نشاز، وأحبالها الصوتية مزعجة يجب أن تقطع من جذورها. فمن العار أصلاً أن تكون موجودة في زمن ديانا ورويدا وملحم السعيد.

إنه نجاح كبير ومذهل لكل جهود التسخيف والتسطيح التي مارستها الأنظمة العربية وإعلامها للمواطن العربي، والذوق العام. ولا بد أن الإدارة الأمريكية مسرورة بهذا الإنجاز وتعكف حالياً على إعداد برقيات التهنئة للمسؤولين عنه.

أمريكا لم تعد بحاجة إلى إقامة إذاعات أو محطات تلفزيونية لغسل دماغ المواطن العربي، من خلال الموسيقي الشعبية والمسلسلات المكسيكية، والأفلام الخليعة، فقد كفتها التلفزيونات العربية هذه المهمة الصعبة التي خصصت لها عشرات الملايين من الدولارات، وجيوشاً من الخبراء في علم الاجتماع والنفس والإعلام. وها هي تحقق لها أهدافها مجاناً ودون مقابل.

إن ما يجري هو أحد أبرز عناوين الانحدار والتفاهة، والتخدير الفكري والاجتماعي والسياسي والوطني.

نعترف مرة أخرى أننا ننتمي إلى فكر منقرض، وإلي أمة غير الأمة التي نعرفها، فمن كان يصدق أن نشاهد رجال دين يتدخلون لمنع التظاهر ضد الاحتلال في العراق، وحكومات عربية تعترف بمجلس حكم نصبه الأجنبي الغازي، ورئيس وزراء فلسطيني ينفي وجود أي عداء بين العرب واليهود، وزعماء عرب يطالبون شعوبهم بالتصويت لمطرب أو مطربة في برنامج تلفزيوني غرائزي!

إنها فعلاً علامات الساعة والبقاء لله.

المصدر http://www.raf7.com

=============

تغيير مناهجنا الدراسية إلى أين؟

د.سليمان بن حمد العودة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره...

بوأ الله لإبراهيم مكان البيت، وأراده الله قلعة للتوحيد "ألا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً"(الحج: من الآية26)، واستجاب الله دعاء إبراهيم وبعث في أمة العرب رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين.

وكانت بلاد العرب وأرضُ الحرمين جزيرة الإسلام، منها شعّ نوره ومن بطاحها بُعث نبيه _ صلى الله عليه وسلم _، ومنها انطلقت قوافل المجاهدين يفتحون البلاد ويدعون العباد إلى الحق، وكان الإسلام قدرَ الجزيرة، وكان فضل الله عظيماً على أهلها إذ جعلهم حملة الإسلام الأول، وأهلَ السابقة والفضل"بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"(الحجرات: من الآية17)،"وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ"(الأعراف: من الآية43).

وظلت الجزيرة – عبر القرون – تحظى بالأهمية والرعاية، فهي مهوى الأفئدة وقبلة المسلمين، ومنها ابتدأ تاريخ الإسلام، وفيها أعظمُ مقدسات المسلمين، ولا غرو أن تحتفظ بخاصيتها وتميزها الحضاري والقيمي وإن مرّت بمراحل ضعف أو تهميش في جوانبها السياسية والمادية.

ولا تزال بلاد الحرمين تحتفظ بمكانتها ولها سَمْتُها وخصائصها المميزة عن غيرها، ولكن هذا التميُّز لم يكن مرضياً لأعداء الملة والدين في قديم الزمان وحديثه، وكانت

حملات المشركين والمنافقين في مواجهاتها الأولى مع خير القرون شرسة حادة، استُخدمت فيها كل أنواع السلاح، وشعار المشركين قولهم:"أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ"(صّ:5)، ومنهج القوم"أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ"(صّ: من الآية6)، وشعار المنافقين"لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ"(المنافقون: من الآية8)، ومنهجهم في التضييق"يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا"(المنافقون: من الآية7).

واستمرت ولا تزال حملاتُ المواجهة والإرهاب يصطلي المسلمون عموماً بنارها ولبلاد الحرمين نصيب وافرٌ منها، وما الهجوم الكاسح في وسائل الإعلام الغربية وفي دوائرهم السياسية وهيئاتهم ومنظماتهم إلا نموذج من نماذج العدوان والظلم، فلم تسلم البلاد ولا العباد من تطاولهم وظلمهم ولم يُستثن الإسلام الحق، ولا النبي الأكرم، ولا الكتاب المهيمن من هذه الهجمة الشرسة، وأنى لغيرهم أن يسلموا؟

ولا غرابة في ذلك فالهدف واضح"وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ"(البقرة: من الآية120) والنفس الطويل"وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا"(البقرة: من الآية217).

ولكن المستغرب حقاً أن يستجيب المسلمون لهذه الاستفزازات، وأن يضعفوا أمام هذه المكيدة ويتأثروا بهذه الحملات، والأخطر من ذلك أن يتّجهوا إلى أغلى ما يملكون بالتغيير لا بالتطوير، وأن تكون قيم الأمة وأصولها في مهب الريح، وأن تُخترق حصونها الأخيرة في سبيل إرضاء الآخرين، أو لنوع من الهزيمة النفسية عند ثلة من المثقفين، فيحذف أو يحور (الولاء والبراء) من المناهج الدراسية، ويستحيا من ذكر الجهاد، وهو ذروة سنام الإسلام أو يغض الطرف عن الكافر وترقق العبارة معه فيُسمى بالآخر بدل الكافر، وهو مصطلح الشرع حتى وإن قاتلونا في الدين وأخرجونا من ديارنا مستعمرين غاصبين، وكأنه لم ينزل في كتابنا"وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً"(التوبة: من الآية123)،"وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ"(المائدة: من الآية51)،"لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ"(الممتحنة: من الآية1).

وعلى حين غفلة من الناس جرى في هذه الأيام تغييرٌ في مناهجنا الدراسية، وفوجئت المدارس بسحب كتب مدرسية طبعت هذا العام 1424هـ، لتُستبدل بكتبٍ أحدث منها، وكان التغيير على مستوى كتبٍ بجملتها، أو إبقاء كتب مع تعديل في بعض مضامينها، أو توحيد المنهج للبنين والبنات في كتاب واحد أو تغيير الرسوم والصور والتعليقات القديمة إلى صور وتعليقات محدثة تظهر فيها صورة الفتاة إلى جانب صورة الفتى، وفيها إيحاءات لا تخفى على اللبيب..

ولنا على هذا التغيير وقفات وتعليقات:

1- هذا التغيير العاجل والمفاجئ كان مُركزاً على مواد الدين، ولا سيما (التوحيد)، ويُعنى التغيير بقضايا أساسية في العقيدة كالولاء والبراء، وما يتبع ذلك من حكم الاحتفال بأعيادهم ومشاركتهم أفراحهم، وحكم الاستعانة بالمشركين والعمل عندهم والإقامة بين أظهرهم وحكم تقليدهم ونحو ذلك، وقد طالعت بنفسي كتاب التوحيد الجديد للصف الأول الثانوي، فرأيت حذفاً كاملاً لباب الولاء والبراء، وتغييرات أخرى في الأبواب الأخرى يدركها بجلاء من قارن بين المنهج القديم والجديد.

فلماذا تكون البداية بمواد الدين وبهذه الموضوعات على وجه الخصوص؟ ومن المسؤول عن الهدر المادي حين تطبع كتب هذا العام ثم تسحب بعد أسابيع لتوزع كتب بديلة عنها؟

2- لم يُستفت العلماء وفي مقدمتهم هيئة كبار العلماء في هذا التغيير، وفي ذلك خرق وتجاوز للأمر الملكي القاضي بإحالة أي تغيير في المناهج الشرعية إلى هيئة كبار العلماء، بل صدرت فتوى لأحدهم، وهو فضيلة الشيخ صالح الفوزان باستنكار التغيير في المناهج، ومما قاله: لا يجوز التغيير في الكتب المؤلفة القديمة بحذف شيء أو زيادة أو شطب شيء أو تقديم أو تأخير ولا حذف أسماء مؤلفيها؛ لأن ذلك خيانة للأمانة العلمية، وهو من جنس تحريف أهل الكتاب لكتبهم... إلخ، بل ذلك خرق لسياسة التعليم في المملكة، والتي نصت أهدافها الإسلامية العامة على: 1- تنمية روح الولاء لشريعة الإسلام، وذلك بالبراءة من كل نظام أو مبدأ يخالف هذه الشريعة... إلخ (ص 10)، كما نصت سياسة التعليم في المملكة في أهداف المرحلة الثانوية (وهي المرحلة التي حذف منها باب الولاء والبراء) على: متابعة تحقيق الولاء

لله وحده، وجعل الأعمال خالصة لوجهه ومستقيمة في كافة جوانبها على شرعه (ص12)، ونصت كذلك على أن غاية التعليم في المملكة فهمُ الإسلام فهماً صحيحاً متكاملاً، وغرس العقيدة الإسلامية ونشرها (ص10) الطبعة الرابعة.

وإذا نصت هذه الوثيقة المعتبرة على الولاء والبراء وعلى فهم الإسلام فهماً متكاملاً في أكثر من بند فكيف يحذف هذا الباب برمته من المنهج؟ وإذا كان يخطط لتعديل سياسة التعليم برمتها فالأمر أدهى وأمر ويحتاج إلى وقفة حازمة وعلى مستوى أعلى، وهل يلام من قام بمرافعة للتجاوزات على سياسة التعليم؟

3- إن أمر المناهج الدراسية عظيم فعليها تتربى أجيال الأمة في كافة المراحل، ومن خلالها تصاغ عقول الطلاب والطالبات، المناهج الدراسية ذات صلة بمشروع الأمة الحضاري، ومحددة لقيمها وأسلوب تعاملها مع الآخرين، هي عامل من عوامل الوحدة والبقاء، وهي لون من ألوان التميز، ومرتكزٌ للصمود أمام التحديات العالمية.

وإذا كانت تلك بعض قيم المناهج، فالتغيير فيها لا ينبغي أن ينفرد بالقرار فيه امرؤٌ أو فئة معينة، بل هو حق للمجتمع كله بدءاً من الطالب ومروراً بالمعلم، ثم ولي أمر الطالب، وانتهاءً بولاة الأمر، ومنهم العلماء، فهل يليق أن تصادر آراء هؤلاء جميعاً، ويصدر القرار بشكل أحادي أو فتوى؟ أين الدعاوى بتقدير وجهة نظر الآخرين؟ ألسنا ننتقد سياسة الإقصاء، أولسنا نعيب احتكار الآراء، وما بالنا نمارس ذلك في أخطر القضايا؟

ومهما قيل إن التغيير بسبب الأحداث والتفجيرات الأخيرة، فالحديث عن التغيير في المناهج سابق لذلك، ومهما استنكرنا حوادث التفجير في بلادنا فلا ينبغي أن نعالج الخطأ بخطأ آخر.

4- إن قضيتنا مع المناهج، بل مع التعليم برمته قصة طويلة، ومنذ زمن والمستغربون وأهل العلمنة يدندنون حول التعليم مرة بالدعوة إلى الاختلاط ومرة بتغيير المناهج، وثالثة بإدخال التربية الرياضية في مدارس البنات... وهكذا، ومع الإصرار ومستجدات الأحداث بدأت الخطوات الأولى لتنفيذ المخطط، وينبغي أن يصرَّ الخيِّرون وأصحاب الفكر السليم على وقف التنفيذ، والتنبه للخطوات المستقبلية،

وأين القول بأن (الدمج) مجرد قرار إداري؟ وهل لنا أن نقول: إن هذه أول ثماره المرة؟

5- وثمة طرفٌ آخر يصر على التدخل في مناهجنا، ولكنه يُسِرُّ بذلك من قبل، ثم بات يجهر ويعلنها صراحة وتهديداً، واصفاً إياها بالتطرف، وناسباً لها تدمير حضارتهم، والحق أن مناهجنا لم تدمر منشآت الغرب، وإنما دمّر الغربُ أنفسهم بأنفسهم، وذلك بظلمهم وطغيانهم وتدميرهم للآخرين، ولقد شهد شاهد منهم بذلك، فقد قال (أحدُ) أصحاب مدرسة المخابرات المركزية الأمريكية (بيل كريستان): إن الهدف الحقيقي للمتطرفين هو تخليص العالم الإسلامي من الهيمنة الأمريكية، إنهم لم يسعوا إلى تدمير أمريكا بقدر ما سعوا إلى إخراجها من أرضهم، [مستقبل العالم الإسلامي وتحديات في عالم متغير (كتاب البيان) 1424هـ ص563-564].

6- إننا حين نستجيب لهذا الاستفزاز ونغيِّر في المناهج لا عن قناعة وإنما لإقناع الآخرين، فنحن بهذا التصرف نصدِّق التهمة، وسيظل القوم يتهمون، ونحن نغير، حتى لا يبقى لنا من مناهجنا شيء نتميز به، وأعداؤنا في الغرب والشرق يدركون أن التأثير على التعليم مدخلٌ للسيطرة على الفرد والأمة، وهو أسلوب لتدجين المجتمعات الإسلامية وسلخها من هويتها المسلمة، وهو نوع من الإرهاب الفكري والاستعمار الثقافي لا يتورع الغرب عنه، ومن العجب أن هؤلاء الذين يمارسون التدخل في مناهج الآخرين يرون التدخل في مناهجهم نوعاً من الحرب عليهم، وأمريكا وقبل عشرين عاماً تقول: لو قامت قوة بفرض نظام تعليمي علينا لكان ذلك مدعاة لإعلان حرب علينا. (الدويش، البيان/173)، وعلى المجتمع والأمة أن تدرك آثاره ومخاطره المستقبلية، وأن تتبصر في المخطط والأدوات ووسائل التنفيذ، وتسعى جاهدة لإيقاف صلاحيته وسريانه.

7- وسؤال مهم يطرح نفسه، وماذا عن مناهج القوم التعليمية، وما هي رؤية المسؤولين في التعليم عندهم؟ ودعونا نُمثِّل بأقرب نموذج يجاورنا في البلاد المحتلة (فلسطين) – عجَّل الله بتحريرها من أيدي الصهاينة الغاصبين – حيث يُحدد وزير المعارف والثقافة الإسرائيلي السابق (زبولون هامر) أهمية التربية في المجتمع اليهودي بقوله:"إن صمودنا أمام التحدي الكبير الذي يواجهنا يتمثل في مقدرتنا على

تربية قومية مرتبطة بالتعاليم الروحية اليهودية تربيةً يتقبلها الطفل راغباً وليس مكرهاً، ولهذا فإن على جهاز التعليم الرسمي والشعبي أن يتحمل التبعية الكبيرة للصمود أمام التحديات التي تواجه إسرائيل..".

ويعمم التربية وأثرها على كل أفراد المجتمع اليهودي أولُ رئيس وزراء لإسرائيل (ابن غوريون) حين يقول: إنه لن يكون للحركة الصهيونية مستقبلٌ بدون تربية وثقافة عبرية لكل يهودي بوصفه واجباً ذاتياً (انظر: هكذا يربي اليهود أبناءهم في إسرائيل، مقال في مجلة البيان عدد 1423/173هـ).

هكذا ينظر المسؤولون في دولة اليهود إلى قيمة التعليم وتأصيل المناهج بنظرتهم المرتبطة بتعاليم التوراة المحرفة، ومصيبة حين يتشبث أهل الباطل بباطلهم، ويتوارى أو يستحي أصحاب الحق من إظهار حقّهم.

وفي أمريكا وبريطانيا وبقية الدول الغربية تبرز المدارس اليهودية كنموذج متطرف في الحفاظ على الهوية والتميز الديني، وذلك من خلال فتح مدارس منظمة ينخرط فيها مُربون ومعلمون متمكنون في مجال التربية والتعليم، ومختصون بدراسة الأبعاد النفسية والاجتماعية للجالية اليهودية في المجتمعات الغربية (الجمهور: التعليم الإسلامي في الغرب، ملف مجلة البيان).

بل تقول الدراسات التربوية وتشهد الإحصاءات الرقمية على تنامي وزيادة المدارس الدينية في الغرب، حتى وصلت إلى ثمانية عشر ألف مدرسة تضم أكثر من مليوني تلميذ في عام 1980م، والأهم من ذلك أن في مناهج الغرب بشكل عام تطرفاً وإساءة للعرب والمسلمين ولم نسمع من يطالب بتغييرها (محمد الدويش: هل لمناهجنا صلة بالتطرف والإرهاب؟) إننا في زمن العودة للهويات، فالأصولية الإنجيلية، واليمين المتطرف، والتوراتيون ونحوها من مسميات القوم شاهد على ذلك، والتطرف بضاعة القوم إن رموا غيرهم بها.

وسؤالٌ أيضاً يضاف إلى سابقه: مناهجنا الدراسية إلى أين؟

ومدارسنا الدينية ما حالها؟ وما حجمها؟ مع الاعتبار بأن ديننا الإسلام هو الحق المُنزّل من عند لله، وغيرُنا"شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ"(الشورى: من الآية21).

8- وثمة ملحظٌ تربوي قيمي على التغيير في المناهج، فالولاء والبراء وإن حذف أو أُضعف في المناهج المدرسية فهو محفوظ بنصوص الكتاب والسنة، وبماذا نجيب الطالب في مادة التفسير عن آيات الولاء والبراء ومدلولاتها، أو ليس عيباً أن نحذف في المنهج ما يقرأه الطالب صباح مساء في كتاب الله؟ ومثل ذلك يُقال عن آيات الجهاد وهي تملأ القرآن الكريم عرضاً وبياناً وإرهاباً للعدو، وغلظة ومقاتلة للذين يلونكم من الكفار، هل من حقنا أن نتدخل فيما أنزل الله، أو نغيِّر فيما شرع الله؟ وهل نريد أن نوقع الناشئة في نوع من الاضطراب، بل وفي نوع من عدم الثقة والشك في تراث الأمة ومدونات العلماء، وهي حافلة بالحديث المفصل عن هذه القضايا الحية والأصيلة في عقيدتنا وتراثنا؟

9- إننا – وحسب سنة الله في التدافع – قد نضعف في زمن من الأزمان أمام عدونا، وقد نُهزم في معركة السلاح العسكري، وهذا ضعفٌ وتقصير، ولكن المذل أن ننهزم في تحقيق قيمنا وفي الجهر بإسلامنا.. المصيبة حين نُهزم من داخل أنفسنا، وأخطر من ذلك حين نعمق الهزيمة لتصل إلى أبنائنا وأحفادنا، وذلك بالعبث بأي مفردة أصيلة من مفردات مناهجنا التي يتربى عليها أبناؤنا وبناتنا وهي تعمق فيهم العزة بالإسلام والنصرة للمسلمين، وجهاد الأعداء والانتصار للمظلومين.

إن الأمانة توجب علينا أن نعلم الأجيال أمرَ الإسلام – كما أنزله الله – مهما كان واقعنا، ومهما خطف العدو من مكاسبنا واستباح من أرضنا وخدش من كرامتنا، ونخون الأمانة إن خرَّجنا أجيالاً يلتبس عليها الحق بالباطل، وتفهم العدو صديقاً حليفاً، والماكرَ المستعمر رجلاً مهذباً محترماً؟

إنه خليق بالعقلاء والمفكرين والنبلاء وقادة الفكر ورجال التربية – من باب أولى – ألا يتورطوا في تربية جيل ضعيف في انتمائه لأمته ووطنه متذبذب في نظرته، حائر في منهجه، متشكك في شيء من مسلمات دينه.

إنها أمانة العلم ومسؤولية التعليم عَهِد بها إلينا من سبقنا بيضاءَ نقية، وينبغي أن نُسلمها لمن بعدنا كذلك، وليس من لوازم ذلك أن نجمد ولا نُطور، لكنه التطوير المدروس والنافع الذي يجمع بين الثبات والمرونة، والأصالة والمعاصرة، ولا يكتب في ظروف الانكسار والهزيمة، وهل نحن راضون عن تطويرنا في العلوم التجريبية،

ونحوها من المعارف المادية التي قصّرنا فيها وسبقنا إليها الآخرون، ولم يبق لنا إلا أن نغيّر في قيمنا وثوابتنا.

10- ومفارقات عجيبة يدركها العامة فضلاً عن العاملين والمتابعين للأحداث، فهل يليق أن نُهمش (الولاء والبراء) أو نستحي من ذكر (الجهاد) في زمن أعلن الأعداء حربهم علينا، ولم يرقبوا في مؤمن إلاً ولا ذمة، قُصفت بلاد المسلمين بأحدث أسلحتهم، ودُمرت المنشآت والبُنى (الفوقية والتحتية) بطائراتهم وقنابلهم ومدفعياتهم، تيتم الأطفال، وترملت النساء، واستبيحت الأموال، وعُبث بالأعراض، وضاقت الأرض وشكت السماء من ظلمهم، وترسخ في عقول المسلمين وقلوبهم ناشئتهم وكبارهم، بل وفي عقول غير المسلمين الكره لهؤلاء الغزاة المستعمرين، ودرسوا ذلك من الواقع المشاهد قبل أن يقرؤوه في المناهج، وفقد الأمل من كان يرجوا الإصلاح على أيدي هؤلاء المفسدين، وخيمت سحابة من الغضب والسب لهؤلاء المجرمين المستكبرين، ونقلت وسائل الإعلام المختلفة شيئاً من مظاهر الغضب والاستياء لهذه الممارسات الظالمة التي تجاوزت مواثيق الأمم، واستهجنت بكرامة الشعوب، ووأدت ما بقي من خداع الحرية والديمقراطية والعدل والمساواة التي طالما تشدق بها القوم، وهي اليوم رِممٌ مُحنطة تضاف إلى ما في متاحفهم من دُمى عفا عليها الزمن.

أفيليق بنا والحال تلك – في كره العالم للغرب المعتدي – أن نحجب عن أبنائنا وبناتنا هدي الإسلام ومنهج القرآن في أسلوب التعامل وطبيعة العلاقة مع هؤلاء؟ إن مناهجنا ينبغي أن تكون مواكبة للأحداث واعية للمتغيرات.

ومن الخطأ أن يشعر الطالب والطالبة بشيء من التناقض لما يدرس وما يرى على صعيد الواقع.

11- وهنا حقيقة لا بد أن تدرك وهو أن المخطط كبير لتطويق العالم الإسلامي فكره وحضارته واقتصاده، ويظلم نفسه ويسيء إلى أمته من ساهم في تنفيذ شيء من مخطط القوم في بلاد المسلمين من حيث يدري أو لا يدري، ومن لم يمنعه دينه ولا كرامته وإباؤه من الضيم والهوان وسوء المنقلب، فما لجرحٍ بميت إيلامُ، ونسأل الله أن يلهمنا رشدنا وإخواننا المسلمين، فالتغيير للمناهج بدأ، وستتلوه خطوات أخرى إذا لم يتوقف، وثمة لجان جديدة مشكلة، وثمة وعود بتغيير وطباعة كتب مدرسية جديدة،

بل الأمر يتجاوز المناهج والتعليم إلى قضايا وملفات أخرى كالمرأة ومحاولات إفسادها، والمؤسسات الدينية ومحاولة تقليصها، وتحديد مناشطها والهيئات والمؤسسات الإغاثية الإسلامية ومحاولة تطويقها ومحاصرة مناشطها... إلى غير ذلك من نشاط المسلمين ودعوتهم، ولو كانت سلمية هادئة فهي محل غضب الأعداء ويودون إلغاءها أو إضعافها، بل هي في النهاية، وكما أخبرنا الله عنهم"وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ"(النساء: من الآية89)، ألا فلننتبه جميعاً لهذه المخططات والأهداف، وليستشعر كلٌّ منا الخطر، وليساهم في النصرة لدين الله والدعوة للإسلام، أنى كان موقعه ومهما كان حجم مسؤوليته، ورفقاً بأمتكم ومجتمعكم يا مهرولون، ومزيداً من الثقة بإسلامكم وقيمكم يا مسلمون، والقصد القصد تبلغوا، والسكينة السكينة تفلحوا.

12- وبعدُ فهذا هو المأزق فكيف المخرج؟ وما هو الدور المطلوب؟

إنني حين أؤكد على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمدافعة، أؤكد معها على الحكمة والتعقل والصبر والاحتساب، وأن يقوم كل أحد منا بما يستطيعه، بالكتابة للمسؤولين، ومقابلتهم والنصح لهم، وبزيارة اللجان العاملة في المناهج وتذكيرهم بمسؤوليتهم، ونتائج قراراتهم على البلاد والعباد – حاضراً ومستقبلاً – ومناشدة الكتبة في وسائل الإعلام بالكتابة بما يدينون الله به، واستنهاض همم التربويين خاصة وأساتذة الجامعات بعامة على الكتابة وإبداء رأيهم في تغيير المناهج، ومعلمي المراحل المختلفة في التعليم من باب أولى، ولا سيما من كانوا يدرسون هذه المواد من قبلُ ومن بعدُ أن يكتبوا مرئياتهم وملاحظاتهم، وإذا كان المنهج المدرسي مهماً، فلا تقل عنه أهمية أثر المعلم والمعلمة في تفعيل هذا المنهج، ولذا يوصي المعلمون والمعلمات بتفعيل مناهجهم ويذكّرون بأمانة العلم ومسؤولية التعليم.

أما أنت يا ولي الأمر فبإمكانك أن تقوم بدورك في تربية أسرتك على هدي الإسلام بشموله وتوازنه في وقت يحتدم الصراع وتختل الموازين، ولا بد أن تُسأل الوزارة ما مصير القرارات السابقة؟ ولماذا نُحيت بعض اللجان المختصة العاملة؟ وهل من مبرر لإبعاد البعض عن المناهج؟ وما نوعية اللجان الجديدة؟ وكيف يُتخذ القرار فيها؟ وإذا عُرف أناس بالصلاح والنزاهة في هذه اللجان والمجالس الجديدة، فما مدى تأثيرهم في القرار؟ وهل يصدر شيء باسمهم وهم غير مقتنعين به؟ إنها حمل وأمانة

فليتقوا الله فيها، ومن سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، ونعيذهم من الأخرى.

يا علماء الأمة مسؤوليتكم في البلاغ والدعوة أعظم من غيركم، فما هو موقفكم تجاه تغيير المناهج الواقع والمتوقع؟ وما هو بيانكم الناصح للراعي والرعية؟

أيها المسؤولون والرعية أمانة في أعناقكم مسيرة البلد وقيادة السفينة إلى بر الأمان، والحفاظ على وحدة المجتمع وخصائص البلد ذمة وعهد عاهدتم الله عليه، فالعهد العهد تُفلحوا، والصدق الصدق تنجوا وتسعدوا وتُسعدوا، ولا يستفزنكم الذين لا يوقنون.

أيها المسلمون جميعاً ومهما فعلتم من أسباب فلله الأمر من قبل ومن بعد، فأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له، وادعوه خوفاً وطمعاً، فهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض.

المصدر : http://www.almoslim.net

============

#الحرب الأمريكية على ساحة التعليم

د. محمد يحيى

بعد غزو العراق أعلنت أمريكا بوضوح أن أهم أهدافها من احتلال العراق هو تغيير نظام التعليم، وبالأصح المناهج والأفكار والمضامين لكي تصبح ديمقراطية ومضادة للدكتاتورية وحديثة.

وعندما بدأ الناس يسمعون بالتفاصيل تبين أن المقصود بصفة عامة هو تغريب تلك المناهج العراقية إلى حد أن الأمريكان تحدثوا عن ترجمة كتب الأفكار العامة التي تدرس في المدارس الأمريكية وفرضها على المدارس العراقية في شتى مراحلها. ومع التغريب جاء هدف العلمنة ونزع الإسلام بأشكاله من الكتب المدرسية العراقية بحجة محاربة الطائفية رغم أنه لا يوجد في العراق سوى الإسلام، وكان التركيز الأمريكي على التعليم مثيرًا للتساؤل؛ لأنه أتى في أولوية تفوق اهتمامهم بالبترول رغم الحديث الكثير على البترول باعتباره الهدف الأمريكي الأسمى من الغزو والاحتلال، والواقع

أن الحرب الحقيقية على العراق كانت حربًا ضد العقول والضمائر، وضد الإسلام قبل كل شيء، ولهذا الهدف كانت الأولوية المعطاة لمسألة التعليم والفكر.

لقد عاملوا العراق بالضبط كما عاملوا اليابان وألمانيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية، فهناك غيّروا مناهج التعليم بالتحديد لمحو الهوية القومية والثقافية والتاريخية والحضارية، وخلف التبعية الفكرية والذهنية لأمريكا في تلك البلاد، وقد نجح هذا التدبير نجاحًا باهرًا بحيث أصبحت اليابان وألمانيا في الدول التابعة لأمريكا بذلة وخنوع، وتأمرك المجتمع في هاتين الدولتين مع الفارق هو أن المجتمع الألماني لم يكن بحاجة إلى تغريب؛ لأنه مجتمع غربي قح؛ بل هو أحد المجتمعات الثلاثية المؤسسة للحضارة الغربية أو الأوربية مع فرنسا وانجلترا، وقبلهما إيطاليا في عصر النهضة، أما اليابان كمجتمع شرقي؛ فكانت بالفعل قطعت خطوات على طريق التغريب قبل الحرب العالمية الثانية، ثم جاءت تلك الهزيمة لتسير البلاد على هذا الطريق لأبعد مداه وإن لم يكن كاملاً مئة في المئة.

مقاومة التغريب:

أما في العراق وسائر البلاد العربية؛ فإن الأمركة والتغريب والعلمنة كانت ولازالت تلقى المقاومة الشديدة، بحيث أصبح من المطلوب ضربها الآن بالقوة الغاشمة الاحتلالية، ليس في العراق وحده، ولكن في كل البلاد التي يحكمها الأمريكان من خلال النخب. وكذلك فإذا كانت ألمانيا واليابان دولتين علمانيتين شبه كاملتين قبل الحرب العالمية الثانية؛ فإن الأمر لم يتضاعف بعد الحرب لأن العلمانية لم تتضاعف وكانت بالفعل جذورًا راسخة. أما في العراق والدول العربية؛ فإن الحال يختلف أيضًا على الرغم من سيطرة النخب المتغربة المعلمنة على مدى سنوات وعقود طويلة، لأن المجتمعات والبنى الفكرية والثقافية ظلت إسلامية وعربية، ومن هنا تصاعدت بشكل رئيس حدة الهجمة الأمريكية التغريبية العلمانية على الرغم من وجود تيار ديني متعصب صليبي يقود أمريكا، بل على العكس فإن وجود هذا التيار الصليبي الذي لا يؤمن بالعلمانية في تلك البلاد هو الذي دفعه إلى دعم وتحفيز وتصعيد العلمانية في العالم الإسلامي والعربي على سبيل الكيد للإسلام، وهذا هو

الجديد في الهجمة العلمانية الجديدة المتصاعدة، ففي الماضي كانت الدول الأوروبية التي تفرض العلمانية على سبيل التحمس لمبدأ تؤمن هي به.

التيار الصليبي المتطرف:

أما الآن فإن التيار الصليبي الحاكم صراحة وليس من وراء ستار أمريكا والصاعد وذا النفوذ في بريطانيا ودول أوروبية أخرى وبالذات في شرق أوروبا؛ يصعّد فرض العلمانية ومعها التغريب في العالم الإسلامي مدفوعًا بكل حقد الكيد للإسلام والرغبة في القضاء عليه..

هذه هي الخلفية التي يجب أن نقرأ عليها الرغبة الأمريكية المحمومة في تعديل بل تشويه مناهج التعليم في العراق قبل فعل أي شيء آخر في تلك البلاد.

إنها الحرب القديمة على الإسلام، لكنها الآن وفي ظل الحكم الصليبي السافر في أمريكا تأخذ شكلاً سافراً وحادًا وهستيريًا هي الأخرى، ومن الناحية الأخرى فإن حكاية الهجمة على النظام التعليمي بهدف تغريبه وعلمنته ليست جديدة ولنفس دوافع ضرب الإسلام لقد توصلت إليها الدول العربية في أواسط الثمانينيات تحت الشعار التونسي الشهير "تجفيف المنابع"، والذي عم جميع البلدان الأخرى، واتخذ شكل تأميم المساجد وفرض الخطب والدروس الدينية المعلمنة، وفرض الفتاوى وضرب الحركات الإسلامية بأبشع الوسائل وفرض القوانين الاستثنائية..

إن الهجمة التغريبية على نظام التعليم في العالم العربي ليست جديدة ولا مرتبطة بوصول الحكم الصليبي الحالي في أمريكا؛ فعلى مدى ما يقرب من العشرين عامًا سمعنا عن مراكز أمريكية لوضع المناهج في مدارس بلدان كبرى في العالم العربي، ومحيت الكتب الدينية أو كادت ومعها تدريس الدين، ووضعت مناهج علمانية سميت بـ"تدريس الأخلاق"كبديل عن الدين الإسلامي بالذات.

فضح العملاء:

وسمعنا من العلمانيين أصحاب أمريكا من يعلن بكل فخر أن التعليم هو مشروعه النهضوي للأمة، وكان في ذلك يعني كلمة واحدة هي فقط علمنة وتغريب الأمة، ومحصلة هذا الأمر كله هو أن الحرب على الإسلام أصبحت تدور الآن على ساحة التعليم باعتباره مجال صنع العقول والضمائر للأجيال القادمة، وقد انتقلت من ساحة

السياسة إلى الساحة الاجتماعية، ولعل دخول الأمريكان بهذه الفجاجة والغباء وكذلك إلى ميدان كشف الأوراق؛ فضح العملاء، وأثبت للجميع أن كل الدعاوى التي كانت تردد حول تحديث التعليم والمشاريع القومية الكبرى فيه مجاراة العصر ليست سوى تغطية للفكر الأمريكي المفروض على الجميع في هذا المجال.

إنها ليست سوى أوراق توت خائبة يسعى البعض لوضعها، لكن سقطت مع سفور الخطة الأمريكية لحكم العراق وتغييره.

المصدر: http://www.islamtoday.net

=============

#مناهجنا ومقرراتنا الشرعية التعليمية أمانة في أعناقنا جميعا

تتعرض مناهجنا الشرعية في هذه الأيام لهجمة شرسة من قبل من لا يريدون بنا ولا بديننا ولا ببلادنا خيرا، وهذا الهجوم والعداء لمقرراتنا الشرعية في مدارسنا السعودية وجامعاتنا ليس بمعزل عن العداء لدين الله: الإسلام الذي هو الدين الحق وما عداه فباطل، وما بعث الله – تعالى– نبيه محمدا – صلى الله عليه وسلم – إلا ليكون الإسلام هو الدين المهيمن على الدين كله، ولو أن مقرراتنا الشرعية في بلادنا السعودية لا تمثل الإسلام الصحيح أو كانت مشوبة بالتصوف والبدعة لما هوجمت هذا الهجوم، ولكن لأنها تمثل الإسلام في وضوحه ونقائه، و لأنها قائمة على الدليل الصحيح والفهم السليم القائم على ما كان عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه، ولأنها كذلك فقد استحقت العداء والهجوم وإلصاق تهم لا تمت إلى الواقع بأية صلة من قبل من لا يرجون رحمة الله ولا يخشون عذابه.

إن مناهجنا التعليمية الشرعية هي المناهج التي أخرجت رجالات ونساء هذا البلاد منذ تأسيسها وهي مناهج قائمة على العدل والإحسان والنظرة العادلة السامية الصحيحة للإسلام، ولا يستطيع أحد لديه عدالة في البحث واستقلال في النظر وفهم صحيح لدين الله وبعد عن التحيز والتحزب والتعصب أن يثبت أن في مناهجنا الشرعية انحرافا عن شريعة الله – تعالى– ولقد قالوا إن في مقرراتنا تشددا وتطرفا – أي أن فيها غلوا– وهذا باطل وزور، وقد كبرت كلمة تخرج من أفواههم، ولكن تعالوا ننظر في مسألة التطرف والتشدد ومن هو الذي يطلق هذه الصفات والنعوت على

مقرراتنا، فإذا عرفنا منهم هؤلاء وما ذا يريدون وإلام يهدفون وما هي المنطلقات التي ينطلقون منها عرفنا سر هذه الهجمة على ديننا ومقرراتنا وتعليمنا:

أولا – منهم الذين يهاجمون مقرراتنا؟

إنهم أناس عرفوا بتخصصاتهم البعيدة تماما عن العلوم الشرعية، وقد قيل: فاقد الشيء لا يعطيه، إذ كيف يسوغ لدارس العلوم السياسية أن ينتقد وأن ينسف مقررات دراسية قام على تأليفها علماء أجلاء لهم تأريخهم الطويل مع العلم الشرعي حتى برعوا فيه بل صاروا من أعلامه في هذا العصر، ومنهم – الذين يهاجمون مقرراتنا التعليمية الشرعية – دارس اللغة الإنجليزية والصحفي الجاهل والحاقد وغير ذلك، فهل هؤلاء هم القضاة الذين ينظرون في القضية ثم يصدرون أحكامهم وليس لهم من الأمر شيء، إلا إذا كان للميكانيكي حق التدخل في استخراج حصاة من كلية مريض أو لمهندس مدني حق الحديث في أصول وأساليب تدريس اللغة العربية، بل إن أمر هذا وهذا أبعد عن ذاك وذاك لأن أمر العلوم والمقررات الشرعية توقيع عن رب العالمين، ويترتب عليها صلاح أمر المجتمع كله، فهل يجوز بعد وضع هذا الأمر في يد غير مؤهلة وغير مؤتمنة البتة للحديث حتى في أولياته؟.

ثانيا – وأما ما هي أهداف الذين يهاجمون هذه المقررات والمناهج؟ وأقول إن أهدافهم معلومة معروفة للجميع، فقد عرف هؤلاء بدعواتهم المريبة الغريبة التي لا ترتبط بديننا ولا بشريعتنا، فهم يطالبون بأن تكون الحياة الغربية غير الإسلامية هي المثال الذي يجب أن يحتذى، وهم لا يدعون إلى هذا مباشرة عند تصديهم لمناهجنا التعليمية الشرعية تنفيرا منها و تعريضا بها، لأنهم بهذا سيفضحون أهدافهم وسيضعون أنفسهم في موضع العداء السافر لكل ما يمت لهذه المقررات بصلة، ولكن كتاباتهم وحواراتهم وأقوالهم الأخرى وفي مناسبات مختلفة ومن خلال منابرهم وكتبهم وأعمدتهم الصحفية يصرحون بهذا، أي بالرغبة في تقليد الغرب غير المسلم في كل شيء مظهرين ضيقهم من التمسك بالإسلام وقيمه وأحكامه في مختلف جوانب الحياة، وهنا يبطل العجب لأن سبب الهجمة على مقرراتنا الشرعية قد عرف.

إن مقرراتنا الدراسية الشرعية في التعليم العام والعالي هي مقررات إسلامية ملتزمة بكتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – دون زيادة ولا نقصان، فمن زاد فقد

ابتدع ومن نقص فقد أخل وخان الأمانة، وهي مقررات قائمة على الدليل والفهم الصحيح المنضبط البعيد عن الهوى لأن من قام على تأليف هذه الكتب من العلماء وطلبة العلم والمربين قد وضعوا نصب أعينهم النورين: القرآن الكريم والسنة المطهرة ثم اجتهادات العلماء الأثبات المعتبرين عبر القرون.

إن مقرراتنا ومناهجنا الشريعة أمانة في أعناقنا جميعا ولا يجوز التفريط في شيء منها ولا من أبوابها وموضوعاتها التي تمثل الإسلام في تكامله، وإن أي نقص أو انتقاص من هذه المقررات أو حذف أو تغيير فيها هو انتقاص للأمانة، وتشويه لحقيقة الإسلام و تفريط في أمانة التبليغ و ظلم لأبنائنا وبناتنا، بل ظلم للمجتمع المسلم وتفريط في أمانة البليغ، لأن مدارسنا وجامعاتنا مؤتمنة في تبليغها لدين الله لطلابها وطالباتها، وسوف يسأل كل من ولي هذه الأمانة أمام الله وسوف يتحمل نتائج الإخلال بهذه الأمانة ويتحمل نتائج ما يصيب هؤلاء الطلبة والطالبات إبان دراستهم ثم بقية عمرهم من الجهل في دين الله نتيجة الانتقاص أو الحذف أو التحوير، لأن التعليم في المدارس والجامعات هو المسؤول أولا وآخرا عن تربية الأجيال على دين الله وتبليغهم أحكامه التي تكون فهمهم لهذا الدين وتشكل أساس عباداتهم ومعاملاتهم مدى حياتهم وحياتهن، فالله الله في الأمانة، وليتق الله كل من له في هذا الأمر قرار أو له به صلة و أن يكون رضا الله نصب عينيه لأن الله – تعالى– قد قال: (وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89) الشعراء.

حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ)، هذا وتبليغ دين الله لهؤلاء الطلبة والطالبات أهم واجب من واجبات الوزارات المعنية، وهو واجب من أهم واجبات الدولة، فلنتق الله في ذلك، ولنتق الله في أنفسنا وفي أبناء وبنات المسلمين الذين هم أمانة في أعناقنا جميعا وسيسألنا الله عن هذه الأمانة حفظنا أم ضيعنا قال الحق – تعالى–:

(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (281) البقرة.

اللهم احفظ من حفظ دينك وبلغه كما أمرت، واهد من فرط وبدل، وأصلحنا وأصلح بنا وأصلح لنا يا رب العالمين.

المصدر : http://saaid.net

============

#مناهجنا تغيير أم تغريب

عبد الرحمن العقل

يفدح المصاب ويزداد البلاء على هذه الأمة، وتشتد طوارق الإحن عليها، وتمتد سحائب الفتن على أجيالها، وتتراكم أجواء التمحيص لأبنائها حين يكون خصامها في مسلّماتها، ونزالها في ثوابتها وأصولها.

"إن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضاً، وتجيء فتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة؛ فيقول المؤمن هذه هذه"[أخرجه مسلم في الأمارة عن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما–].

إن أعظم فتنة، وأقسى زلزلة تواجه الجيل الصاعد في هذا العصر، زلزلة الثوابت، وتشكيك شرائح من منهزمي هذه الأمة في معاقد عزها، ومقاعد ثبوتها وبقائها.

ويقبح الأمر أكثر، وتتصاعد الظلمة وتمتد حين يترجم هؤلاء ما لديهم إلى واقع ملموس، ووضع محسوس، وحين يتخطون التنظير بالأقوال إلى التنفيذ بالأفعال، وهذا ما صدم به هؤلاء المجتمع السعودي في هذه الأيام حينما اجترؤوا على خطوة كبيرة نحو الوراء في مناهج التعليم، بهدف غربلة المجتمع، وبت الصلة بين ناشئته وبين أصولهم وعقائدهم.

إنها الخطوة الجريئة الكبيرة للتمهيد لمشروع أكبر، وهو تغريب الأفكار، وصياغة الإسلام على النظر الأمريكي وهيكلة المجتمع على ما تهواه الأم الحنون.

إنه تحقيق مطلب في سلسلة مطالب تنادي بها هذه الأم.

ورغم النداءات المتعددة من النصحة – قديماً وحديثاً– في التأني والتريث؛ إلا أن القاضي في مجلس الكونجرس قد أصدر حكمه سريعاً، فقطعت جهيزة قول كل خطيب.

ولكن أغلقوا الأسماع عنا وأبدوا ضدنا عقداً دفينة

وأنذرناهم الطوفان لكن أبوا إلا حمى الأسس الحصينة

فلما أن قطعنا بعض شوط إذا بالبعض يخرق في السفينة

نهرناهم عن التخريب لكن أجابوا إن فعلتهم جميلة

فماذا يصنع الإنسان فيهم إذا كانت نصائحنا مهينة؟

فلله الشكاية في غريب يرى طرق السلامة ضد دينه

جاء في تقرير اللجنة الأمريكية المكلفة من مجلس الكونجرس بدراسة وفحص أكثر من تسعين كتاباً مقرراً في مختلف المراحل الدراسية في السعودية، جاء من ضمن فقرات التقرير:

1) إن التعليم السعودي يقوم على الإسلام، والدراسات الإسلامية تشكل جزءاً رئيساً في هذه المقررات حتى الكتب العلمية تشير إلى الإسلام.

2) السعوديون يقولون: إن الإسلام هو أساس الدولة والمجتمع والقضاء والتعليم والحياة اليومية.

3) إنهم يصفون المسيحيين واليهود بأنهم كفار، وأنهم أعداء الإسلام.

4) المناهج السعودية لا تعترف بأي حق لليهود في فلسطين وأرض إسرائيل.

5) في المناهج السعودية تركيز على فصل النساء عن الرجال، وحجاب المرأة.

6) هناك آيات قرآنية كثيرة عن حجاب المرأة، وأهمية الالتزام به، وما تقوم به بعض النساء من كشف أجسامهن لرجال غرباء هو ذنب كبير.

7) حديث نبوي أثار كثيراً من النقاش عن اليهود، يقول:"لن يأتي يوم القيامة حتى يقاتل المسلمون اليهود.. حتى يختفي وراء شجر أو حجر"[انظر مجلة البيان العدد (188) 1424/4هـ].

هذه هي نظرة هؤلاء إلينا وإلى مناهجنا، إنها مساومة وقحة على ديننا وعقيدتنا، إنهم ينزعجون حتى من ذكر الإسلام في مناهجنا.

أيها الأحبة:

هذه بعض الملامح التي تدل على معالم التغيير الأمريكي الجديد الذي يصب لصالح اليهود أولاً، والنصارى ثانياً، ولن يكون هو نهاية المطالب، ولا غاية الرضا عند هؤلاء وأولئك، فحتى لو أُعطوا كل ما يطلبون من التغيير؛ فلن يرضوا بذلك، أو يقنعوا به، لأنه لا حد للجشع اليهودي، ولا سقف للمطالب الصليبية.

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) (ودوا لو تكفرون كما كفروا) (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا).

إن مما يؤسف له كثيراً أن عدداً من النخب الثقافية والإدارية في مجتمعنا لديه الاستعداد التام –خوفاً أو طمعاً– لقبول خطة الأمركة التعليمية، ولا مانع لديه لقبول مشروع التغيير كاملاً أو مجزَّءاً.

إن المرحلة القادمة حرجة وفظيعة بكل المقاييس، وربما شهدت معركة ضارية على ديننا وبلادنا، وعلى قيمنا وثوابتنا، وسيكشف كثير ممن يسمون أنفسهم بـ (الليبراليين) عن حقيقة ثقافتهم، وجذورهم، ونحسب أن هذا التيار سيكون الأداة الطيعة الذي سيستخدمه العدو في اختراق الأمة، وتسويق مشاريع الثقافة الأمريكية، وبسط هيمنتها على مراكز الرأي ومصادر التأثير.

وباسم الإصلاح والتطوير ونحوها من الكلمات الجذابة والمصطلحات البراقة، يرفع هؤلاء لواء الإفساد ومشروع التغريب والتخريب.

وليس هذا بدعاً من هؤلاء المتغربين والمتأمركين، فلقد قال الله عن أسلافهم من قبل:(وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون* ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون).

إن قضية تغيير المناهج التعليمية في المنطقة الإسلامية لم تفتر أبداً منذ معاهدة (كامب ديفيد)، مروراً باتفاقيات مدريد؛ إلا أن هذه القضية اشتد الإلحاح عليها بله التهديد لأجلها في هذه الأيام، بعد أن طفت على السطح زمناً.

ازدادت هذه القضية زخماً َ، وصعد شأنها بعد أحداث سبتمبر الشهيرة، وذلك من خلال الربط الأمريكي بين المناهج التعليمية المقررة في عدد من الدول الإسلامية –وبالأخص السعودية– وبين ما تسميه الولايات المتحدة إرهاباً.

لقد رأى هؤلاء وأعوانهم من المتأمركين المنهزمين فرصة سانحة في هذه الظروف لإجراء عمليات تغيير واسعة في المنطقة خاصة في أمر المناهج.

قال المنصِّر المشهور (تكلي):"يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني، لأن كثيراً من المسلمين قد تزعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية، وتعلموا اللغات الأجنبية".

وقديماً قال زعيم المنصِّرين (زويمر) مهنئاً تلامذته المنصرين:"لقد قبضنا في هذه الحقبة من ثلث القرن التاسع عشر على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية، وإنكم أعددتم نشئاً في ديار الإسلام لا يعرف الصلة بالله، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده الاستعمار المسيحي، لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يعرف هِمّة في دنياه إلا في الشهوات؛ فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، إنه يجود بكل شيء للوصول إلى الشهوات"[انظر:"مخطط تدمير الإسلام"لنبيل المحيش، وأيضاً"قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله"لجلال العالم].

هذا ما يريده هؤلاء لأجيالنا الإسلامية، وهم المستهدفون المعنيون بكل هذه المشاريع المرسومة والخطط المدروسة منذ أمد بعيد.

أيها الأحبة في الله:

إن الباعث لأمركة المناهج والداعي لغربلتها كما يريد أسياد أمريكا هو أنها أذنبت وأجرمت جرماً واحداً، إنه (جرم تدريس الإسلام، وتعليم القرآن وسنة النبي –صلى الله عليه وسلم–).

إن جريرة المناهج في بلادنا عند الأسياد والأذناب، أنها تعلم عقيدة الولاء والبراء التي جاء بها القرآن العزيز، وتغرس بغض الكافرين وحب المؤمنين.

هذه المناهج، بهذا البناء والغراس، هي التي فرخت الإرهاب كما يقوله هؤلاء، وهي التي ولدت العنف وبثت التطرف وأنشأت الغلو كما يقول أولئك.

أما المناهج الإسرائيلية المتشددة التي يتربى عليها أبناء يهود؛ فهذه لا تزداد مع الأيام إلا قوة، ولا مع الصراعات إلا تماسكاً وثباتاً وتطوراً إلى الأشد؛ لأنها لا تولد إرهاباً ولا عنفاً عند القوم.

جاء في أول كتاب"حول أدبيات التعليم والثقافة العبرية"للبروفسور أوميركوهين –أستاذ التربية في جامعة حيفا– موضوعاً بعنوان"وجوه قبيحة"يركز فيه مؤلفه على مسألة الصراع العربي الإسرائيلي في أدب الناشئة، واعترف فيه أنه حتى نهاية عام 1984م لم تتغير النظرة المشوهة إزاء الإنسان العربي؛ فالنظرة عدائية، ولم تحل محلها نظرة احترام أو قيم".

وقد تأثر الأدب الصهيوني الطفولي بالفكر الصهيوني العنصري القائم على القومية العرقية، والموغل في الاستعلاء المغلف بمفاهيم وتعاليم توراتية وتلمودية.

وقد شرعت القيادة الصيهونية بتسخير أحلامها وتجنيد طاقاتها الفكرية لصياغة أدب جديد يلائم المرحلة القادمة ويرتكز على جانبين:

1) الجانب الاستعلائي العرقي.

2) الجانب الاستيطاني الاستعماري.

فأما الجانب الأول؛ فيعتبر الأدباء فيه أن فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، وشعبها ليست له هوية، وأن سكانها بدو متوحشون، احتلوا البلاد وخربوها؛ لذا يجب أن يعودوا إلى الصحراء، وأن يستولي اليهود على الأرض، لذا فالحرب قائمة بين العرب واليهود إلى أن يتم طرد العرب الذين صوروا بأقبح الصور، على أنهم قطاع طرق قذرون، ثيابهم رثة، ويمشون وهم حفاة على الأقدام.

أما الجانب الثاني الاستيطاني الاستعماري؛ فينظر فيه إلى العرب والمسلمين على أنهم أشجار بلا جذور يتحتم اقتلاعها عاجلاً أو آجلاً، وأنهم عصابات سرعان ما يهربون من الأرض، وهذا عندهم دليل على عدم الانتماء إلى الأرض التي يعيشون فيها، لذا فإنهم مجرد لصوص يسرقون المياه من أرض الأمة العبرانية.

وهناك العديد من القصص التي أُلفت للأطفال اليهود، هدفُها غسيل أذهان أطفال اليهود، وتصوير المسلم والعربي بأنه قاتل مخادع، وبأن الجندي اليهودي مسالم لا يحب الدم والقتل، وإنما دفعه لذلك المسلم المتعطش للدماء والقتل. كما يُصورون المسلم للطفل اليهودي بأنه يمارس تجارة الجنس التي تنتهي عند التهريب والتخريب وخطف الطائرات. [انظر"مناهج التعليم الإسرائيلية والصراع العربي الإسرائيلي"، إعداد

مركز دراسات الشرق الأوسط، الأردن، ومجلة البيان 190 جمادى الآخرة 1424 هـ].

هكذا يربون ناشئتهم في ظل هذه الظروف الحرجة، والصراعات الحادة، ونحن نتوارى بديننا من القوم، ونستحي من بيان عقيدتنا؛ بل نحرفها أو نحذفها لإرضاء القوم.

مصاب جلل أن يخجل بعض قومنا من عقيدة الولاء والبراء التي جاء بها كتاب ربنا وسنة نبينا – صلى الله عليه وسلم – . إننا حين نستجيب لمطالب القوم، ونرضخ لهم بما يريدون بسبب قوة مطرقتهم، نصدق التهمة ضدنا بأن عقيدتنا تفرخ الإرهاب، وسيظلون يتهمون ونحن نغير حتى لا يبقى لنا من ديننا شيء (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا).

إننا حين نلبي مطامحهم بسبب استفزازاتهم؛ فنغير مناهجنا لا عن قناعة منا إنما لإقناعهم، سنظل أذلاء تابعين مقهورين.

ومن يتهيب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر

يجب أن نصرخ بعقيدتنا بكل عزة وافتخار، ونرفع ألويتنا في كل الوهاد والبحار، (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون).

إن هذه المطالب، وهذه التغييرات الجديدة لن تزيد – بإذن الله – أهل الحق إلا قوة في دينهم، ومعرفة أكثر بعدوهم ويقيناً أعظم بوعد ربهم، (لن يضروكم إلا أذى..) ومع كل هذا الإصرار من عدونا، إلا أنا أكثر إصراراً وأقوى سنداً، وأشد إلحاحاً، وأعظم تجلداً مع البلوى (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) إننا ورغم لحوق فئام من أمتنا بركاب عدونا، وانهزامهم في أحلك الظروف وأقساها، لن نلين ولن ننثني، وسنظل جبهة قوية متماسكة لمقاومة كل رياح التغيير والتغريب، ومواجهة كل مشاريع العلمنة والأمركة.

إننا في هذه المرحلة الخانقة الحرجة أحوج ما نكون للتماسك صفاً ملتئماً واحداً ضد الهجمات التغريبية الصليبية القادمة هجمة على الإسلام ورسول الإسلام، وهجمة على المبادئ والمثل والأخلاق، وهجمة على المرأة والأسرة والبيت المسلم، وهجمة أخطر وأكبر على المناهج والتعليم كما سبق آنفاً.

إننا في ظل هذه الهجمة نطالب بتعزيز المناهج وتقويتها، وربطها بالإسلام أكثر مما هي عليه، نعم نطالب بتطويرها إلى الأحسن، وتجديد أساليب عرضها، والتفنن في صياغتها وشرحها. ومن المفارقات أن التعليم الديني في دولة يهود يعزز في كل فترة، ويسير وفق خط بياني قد رُسم له منذ قيام دولة يهود، لا يخطئ هذا الخط مساره قدر أنملة؛ بل يتقدم على الخط المرسوم بقفزات تطويرية تضمن للدولة اللقيطة التفوق العلمي والتقني على مجموع الدول العربية.

هذا ما يحصل للتعليم الديني في المناهج المدرسية الإسرائيلية، في زمن يُطالَب فيه المسلمون بتصفية المدارس الدينية، وتقليص – بل حذف– كثير من ثوابت الإسلام وأصوله.

ماذا يُراد بأمة الإسلام من ثلة مأجورة الأقلام
وهبوا الولاء وحبَّهم لعدوهم وتلطخوا بالحقد والإجرام
ما إن تحدق فتنة حتى يُروا ما بين رائش سهمه أو رام
هم أثخنونا من وراء ظهورنا وتكشفوا في أحلك الأيام
يا أمة الإسلام أين مصيرنا نمنا، وأمسى القوم غير نيام
ها هم يكيدون(المناهج)جهرة ويجففون منابع الإسلام
يتكففون رضى العدو وما جنوا غير الإهانة منه والإرغام
والله لن ترضى اليهود ولا النصا رى عن (مناهجنا) مدى الأعوام
حتى نوافقهم ونتبع دينهم ونسير خلف ضلالهم بخطام
يا أمتي صبراً فلن نصل العلا إلا على صرح من الآلام
وتحمل الأعباء أجدر بالفتى من أنّة الشكوى والاستسلام
ومن القنوط إذا أحاط به الأسى ومن الهروب لشرفة الأحلام
يا أمتي ليس الدواء بدمعة نشكو بها من جرأة الأقزام
لكن بعزم صادق وإرادة نقفو بها آثار خير إمام
ونرد كيد المبطلين بنحرهم ونعيدهم لعدالة الإسلام
والله خيرٌ حافظاً وموفقاً أعظم به من خالق علام
وصلى الله وسلم علي نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المصدر : http://www.islamtoday.net

============

#المجلات الخليعة ومخاطرها

الحمد لله وحدة، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فقد أصيب المسلمون في هذا العصر بمحن عظيمة، وأحاطت بهم الفتن من كل جانب ووقع كثير من المسلمين فيها، وظهرت المنكرات، واستعلن الناس بالمعاصي بلا خوف ولا حياء، وسبب ذلك كله: التهاون بدين الله وعدم تعظيم حدوده وشريعته وغفلة كثير من المصلحين عن القيام بشرع الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنه لا خلاص للمسلمين ولا نجاة لهم من هذه المصائب والفتن إلا بالتوبة الصادقة إلى الله – تعالى– وتعظيم أوامره ونواهيه، والأخذ على أيدي السفهاء وأطرهم على الحق أطرا.

وإن من أعظم الفتن التي ظهرت في عصرنا هذا ما يقوم به تجار الفساد وسماسرة الرذيلة ومحبو إشاعة الفاحشة في المؤمنين: من إصدار مجلات خبيثة تحاد الله ورسوله في أمره ونهيه فتحمل بين صفحاتها أنواعا من الصور العارية والوجوه الفاتنة المثيرة للشهوات، الجالبة للفساد، وقد ثبت بالاستقراء أن هذه المجلات مشتملة على أساليب عديدة في الدعاية إلى الفسوق والفجور وإثارة الشهوات وتفريغها فيما حرمه الله ورسوله ومن ذلك أن فيها:

1- الصور الفاتنة على أغلفة تلك المجلات وفي باطنها.

2- النساء في كامل زينتهن يحملن الفتنة ويغرين بها.

3- الأقوال الساقطة الماجنة، والكلمات المنظومة والمنثورة البعيدة عن الحياء والفضيلة، الهادمة للأخلاق المفسدة للأمة.

4- القصص الغرامية المخزية، وأخبار الممثلين والممثلات والراقصين والراقصات من الفاسقين والفاسقات.

5- في هذه المجلات الدعوة الصريحة إلى التبرج والسفور واختلاط الجنسين وتمزيق الحجاب.

6- عرض الألبسة الفاتنة الكاسية العارية على نساء المؤمنين لأغرائهن بالعري والخلاعة والتشبه بالبغايا والفاجرات.

7- في هذه المجلات العناق والضم والقبلات بين الرجال والنساء.

8- في هذه المجلات المقالات الملتهبة التي تثير موات الغريزة الجنسية في نفوس الشباب والشابات فتدفعهم بقوة ليسلكوا طريق الغواية والانحراف والوقوع في الفواحش والآثام والعشق والغرام.

فكم شغف بهذه المجلات السامة من شباب وشابات فهلكوا بسببها وخرجوا عن حدود الفطرة والدين.

ولقد غيرت هذه المجلات في أذهان كثير من الناس كثيرا من أحكام الشريعة ومبادئ الفطرة السليمة بسبب ما تبثه من مقالات ومطارحات. واستمرأ كثير من الناس المعاصي والفواحش وتعدي حدود الله بسبب الركون إلى هذه المجلات واستيلائها على عقولهم وأفكارهم.

والحاصل: أن هذه المجلات قوامها التجارة بجسد المرأة التي أسعفها الشيطان بجميع أسباب الإغراء ووسائل الفتنة للوصول إلى: نشر الإباحية، وهتك الحرمات، وإفساد نساء المؤمنين، وتحويل المجتمعات الإسلامية إلى قطعان بهيمية لا تعرف معروفا ولا تنكر منكرا، ولا تقيم لشرع الله المطهر وزنا ولا ترفع به رأسا، كما هو الحال في كثير من المجتمعات، بل وصل الأمر ببعضها إلى التمتع بالجنسين عن طريق العري الكامل فيما يسمونه (مدن العراة) عياذا بالله من انتكاس الفطرة والوقوع فيما حرمه الله ورسوله.

هذا وإنه بناء على ما تقدم ذكره من واقع هذه المجلات ومعرفة آثارها وأهدافها السيئة وكثرة ما يرد إلى اللجنة من تذمر الغيورين من العلماء وطلبة العلم وعامة المسلمين من انتشار عرض هذه المجلات في المكتبات والبقالات والأسواق التجارية فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ترى ما يلي:

أولا: يحرم إصدار مثل هذه المجلات الهابطة سواء كانت مجلات عامة، أو خاصة بالأزياء النسائية، ومن فعل ذلك فله نصيب من قول الله – تعالى-: "إِنَّ الَّذِينَ

يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.... الآية" [النور:19].

ثانيا: يحرم العمل في هذه المجلات على أي وجه كان سواء كان العمل في إدارتها أو تحريرها أو طباعتها أو توزيعها، لأن ذلك من الإعانة على الإثم والباطل والفساد والله – جل وعلا– يقول: "وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ" [المائدة:2].

ثالثا: تحرم الدعاية لهذه المجلات وترويجها بأية وسيلة؛ لأن ذلك من الدلالة على الشر والدعوة إليه؛ وقد ثبت عن النبي إنه قال: {من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا} أخرجه مسلم في صحيحه.

رابعا: يحرم بيع هذه المجلات، والكسب الحاصل من ورائها كسب حرام، ومن وقع في شيء من ذلك وجب عليه التوبة إلى الله – تعالى– والتخلص من هذا الكسب الخبيث.

خامسا: يحرم على المسلم شراء هذه المجلات واقتناؤها لما فيها من الفتنة والمنكرات، كما أن في شرائها تقوية لنفوذ أصحاب هذه المجلات ورفعا لرصيدهم المالي وتشجيعا لهم على الإنتاج والترويج. وعلى المسلم أيضا أن يحذر من تمكين أهل بيته ذكورا وإناثا من هذه المجلات حفظا لهم من الفتنة والافتتان بها وليعلم المسلم أنه راع ومسئول عن رعيته يوم القيامة.

سادسا: على المسلم أن يغض بصره عن النظر في تلك المجلات الفاسدة طاعة لله ولرسوله وبعدا عن الفتنة ومواقعها وعلى الإنسان ألا يدعي العصمة لنفسه فقد أخبر النبي أن الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم. وقال الإمام أحمد – رحمه الله تعالى– : كم نظرة ألقت في قلب صاحبها البلاء! فمن تعلق بما في تلك المجلات من صور وغيرها أفسدت عليه قلبه وحياته وصرفته إلى ما لا ينفعه في دنياه وآخرته؛ لأن صلاح القلب وحياته إنما هو في التعلق بالله جل جلاله وعبادته وحلاوة مناجاته والإخلاص له وامتلاؤه بحبه – سبحانه–.

سابعا: يجب على من ولاه الله على أي من بلاد الإسلام أن ينصح للمسلمين وأن يجنبهم الفساد وأهله ويباعدهم عن كل ما يضرهم في دينهم ودنياهم ومن ذلك منع

هذه المجلات المفسدة من النشر والتوزيع وكف شرها عنهم وهذا من نصر الله ودينه، ومن أسباب الفلاح والنجاح والتمكين في الأرض كما قال الله – سبحانه–: "وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ" [الحج:40،41].

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الرئيس – عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل شيخ

عضو – عبد الله بن عبد الرحمن الغديان

عضو – بكر بن عبد الله أبو زيد

عضو – صالح بن فوزان الفوزان

المصدر: http://www.kalemat.org

=============

#حديث الذكريات

ورجع يجر أذيال الخيبة!

محمد توفيق أحمد

– رحمه الله –

أذكر أنه إبان الحرب العالمية الأولى، أقام التبشير الأمريكي داراً له في باب الشعرية بالقاهرة، يشرف عليها القس المبشر [جلوي] وظل يعقد الاجتماعات، ويُلقي المحاضرات، ويقدم الإغراءات المختلفة، فلا يحضرها إلا قلة من ذوي الحاجات!

وأخيراً قرر العودة إلى أمريكا تاركاً نشاطه لنائبه المصري الذي تابع نشاطه بهمة عظيمة، ووزع الكساء والمال بسخاء على رواد دار التبشير من فقراء المسلمين، وزاد الإقبال على الدار بغية الحصول على المنح المادية، وأرسل النائب صورة من هذا النشاط الكبير، وعن العدد العظيم الذي يؤم الدار يومياً لرئيسه في أمريكا طالباً المزيد من العون، وزادت دهشة القس [جلوي] لذلك فقد عاش يخدم داره هذه أكثر من عشر سنوات، ولم يفز بمثل هذا النجاح، فقرر زيارة مصر ثانية، وأعلن نائبه عن

ذلك، ودعا الناس لحضور حفل استقباله، وامتلأت دار التبشير هذه بالزبائن، أملاً في الحصول على مزيد من المنح!

وقام النائب بتقديم القس للحاضرين على أنه منشئ هذه الدار، ورب هذه النعمة التي تُقدم إليهم، ثم وقف القس بعد ذلك ليقول كلمته، وبعد هنية تفرس فيها وجوه هذه الجمهرة الكبرى، قال بصوت عالٍ: " وَحِّدُوه ...! " وسرعان ما انطلق الجميع في صوت واحدٍ: " لا إله إلا الله، محمد رسول الله ".

فنظر إلى نائبه نظرة عتاب على ما أنفقه لهؤلاء القوم من أموال، ثم تكلم كلمة عامة عن المحبة، وأخيراً قرر إنهاء خدمة نائبه، وإنهاء العمل، وتصفيته!، وعاد إلى أمريكا يجر أذيال الخيبة.

المصدر : http://www.islamic-mail.com

============

#المسلم الجديد

ماجد بن محمد الجهني

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

فإن من المعلوم أن هناك توجه نصراني عالمي لنشر ثقافة الردة بين جموع المسلمين التي يراد لها أن تتحول إلى جموع ممسوخة العقيدة ممسوخة الخلق ممسوخة التفكير، وهذا النشاط النصراني واضح وجلي من خلال ما تقوم به أمريكا قائدة المسيحية في هذا العصر التي تريد من المسلمين أن يقوموا بأنفسهم بتقطيع أوصال دينهم واللعب بأحكامه، ومن ثم يسهل لها استنساخ مسلمين جدد على الطراز الأمريكي ومتوائم مع الموضة الغربية عموما التي تحبذ الطراز المسخي على الأصيل.

ولاشك أن لهذا المسلم الجديد، أو لهذا الممسوخ الجديد مواصفات، ومقاييس، ومعايير تم وضعها من قبل الحزب اليميني المتطرف المسيحي واليمين المتطرف اليهودي، وهذه المعايير لا تمنع هذا المسخ من أداء عباداته كالصلاة والصيام والحج وإن كانت لا تنصح بذلك بكثرة ولكنها أيضاً تحرم عليه وبشدة أن يؤمن بعقيدة الولاء والبراء، أو يعتنق شعيرة الحب في الله والبغض في الله؛ لأنها تنمي روح البغضاء والكراهية للآخر فهي عقيدة تعلم حب المؤمنين الصالحين فقط وما يراد من هذا

المسلم الجديد هو أن يحب الناس جميعا ويستوي لديه حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي – رضي الله عنهم جميعا – مع حب فرعون وهامان والنمرود وشارون وبوش الأب والولد وحب قولدا مائير فهؤلاء جميعا يشتركون في الآدمية وهذه هي العقيدة الجديدة التي تريد أمريكا النصرانية تصديرها للعالم الإسلامي، وكذلك من مواصفات هذا المسلم الجديد أنه لا يؤمن بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه اعتداء صارخ على حريات الآخرين فلا بأس من التصفيق للزاني والزانية ولشارب الخمر وللمرابي وللوطي فهؤلاء يمارسون حرياتهم والاحتساب عليهم تطرف وإرهاب.

ومن الصفات اللائقة بالمسلم الجديد الذي تريده أمريكا المجرمة أن يكون بعيدا كل البعد عن التفاعل مع قضايا إخوانه المسلمين في أنحاء العالم فهو لا يحزن لمصاب المسلمين ولا يتكافل مع المظلومين منهم ولا يتصدق لنصرة دينه فهذا عبث جنوني وتطرف ومساعدة للإرهاب والإرهابيين في العالم، ومما يجب على هذا المسلم الجديد اعتقاده أنه لا يوجد شيء اسمه الجهاد في سبيل الله لأن هذا الجهاد مفهوم يعلم بغض الآخر وينمي ثقافة العنف وخصوصا إذا كان دفاعا عن مقدسات المسلمين وأعراضهم وحرماتهم أمام عدو غاصب نصراني أو يهودي أو شيوعي أو هندوسي فمقاومة العدو ودفع الصائل جرم خطير قد يدرج صاحبه تحت قائمة الإرهابيين الدوليين المطلوبين للعدالة الأمريكية البائسة.

وهذا المسلم الجديد بما لديه من بعد نظر وشمولية وعمق فكري يتفهم بشكل حضاري كل ما تقوم به أمريكا من قتل للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لأنه من باب الحرب على الإرهاب وليس موجها ضد المسلمين كما أن احتلال بلاد المسلمين إنما هو من باب تعليمهم كيف يحكمون أنفسهم بأنفسهم وبالنسبة لمسألة البترول العراقي المنهوب القصد منه أن تقوم شركات دك تشيني باستثماره للعراقيين في أمريكا إلى أن يستطيعوا تشكيل دولة لحماية هذه الثروات.

والمسلم الجديد متفهم أيضا للأهداف الإسرائيلية السامية من وراء هدم البيوت على رؤوس أهلها وذلك لأن قتلهم ليس الهدف من هذا الهدم وإنما الهدف هو إعادة ترميم تلك البيوت الفلسطينية المتهالكة، وأما ما يحدث من أهل فلسطين والعراق والشيشان وكشمير والفلبين وأفغانستان من مقاومة للاحتلال فهذا هو التطرف والغلو بعينه

ومينه وهذا هو الإرهاب بأبشع صورة وأوضح معانيه إذ كيف يليق بالمسلم المثقف المتنـور والمتحضـر أن يمـارس مقاومـة أسـياده المحتلـين الـذين جـاءوا لنشـر الديموقراطية والسلام؟؟!!

إن علـى المسلم الجديد في مفهوم أمريكـا أن يرمـي بجهـاد شـعب فلسطين عـرض الحـائط وأن يعتبـر حمـاس والجهـاد الإسـلامي منظمـات إرهابيـة لأنهـا تريـد اسـتعادة مقدسات المسلمين، وهذا النوع من الإسلام هو مفهوم الردة الذي تريد أمريكا وإسرائيل وذنـبهم المنـافق الاتحـاد الأوروبـي وحفنـة مـن علمـانيي العـالم العربـي فرضـه علـى المسلمين.

إنها عملية غسل دماغ كبرى للمسلمين تريد تركيعهم وإجهاض تطلعاتهم ولهذا نجد اقتراحـات متواليـة فتارة يقترحـون حذف آيات من القرآن الكريم واستبدالها بنصـوص إنجيلية، وتارة يصمون الجهاد في سبيل الله بأنه إرهاب لأنهم يرون أن الواجب على أي قطر إسـلامي تطؤه أقدام الاحتلال أن يرضـخ وأن يركـع وأن يقول سمعا وطاعة للمحتـل بـل ويجـب علـى أهل ذلـك القطـر جميعـا وجوبـا عينيـا أن يقـابلوهم بـالورود والزهور ولكـن هل نجحـت أمريكـا فـي فـرض هذا اللـون من الـدين الـذي تريـده علـى المسلمين ؟؟؟

الجواب طبعا كلا وألف كلا فأمريكا لم تجد من يسوق لبضـاعتها المسخ في عالمنا إلا حفنة من الغربان المفلسة التي تجاوزها قطار الزمان والمكان والتي أصبحت في عـالم قصـي تعـيش مـع الزواحـف والديناصـورات البائـدة فـي متـاحف الهـالكين، وأمـا الشريحة الكبرى من المسلمين فهي تدين الله – عز وجل – بأن قائدة الإرهاب في العـالم هـي أمريكا وإسرائيل والغالبيـة العظمـى فـي العالم الإسـلامي نمـا وعيهـا وعـلا صـوتها وزادت عزيمتهـا واستجمعت شكيمتها لتقول بصـوت يشق عنان السماء: كفرنا بأمريكـا.. كفرنـا ببـوش... كفرنـا بإسـرائيل وشـارون وآمنـا بـالله وحده...لسـان حـالهم وقالهم " ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين "

المصدر : http://www.saaid.net

============

#رجل قميء.. امرأة جاهلة!

عودتنا "الدراما" العربية ومن قبلها الأعمال الأدبية على صورة نمطية لأهل التدين من الرجال والنساء؛ فالرجل قميء جلف، يسبق سخطه رضاه، ينتزع الابتسامة من بين أسنانه، لا ليبشر بها الناس، وإنما ليعلن لهم مصيرهم الذي ينتظرهم في النار والسعير إن هم خالفوا أمره أو حادوا عن رأيه!

أما المرأة المتدينة فهي جاهلة لا تعرف من الكلام إلا كلمات محدودة، مثل "حاضر.. طيب.. إن شاء الله" مسلوبة الإرادة، مغلوبة على أمرها، معطلة الفكر، لا تصلح إلا أن تكون كالأرنب تنجب الأطفال وترضعهم وتطعمهم فحسب!

على الجانب الآخر فالرجل المنفلت.. جميل، مهذب، ومتحضر أيضاً، يعرف كيف يلاطف الناس ويداهنهم، ولا بأس بسوء أخلاقه أو فساد ذمته وتعاملاته مع الآخرين، المهم أنه لا يؤذي أحداً إيذاء ظاهراً يترتب عليه تنفير الناس أو فقد حبهم!

والمرأة المنفلتة ليست أحسن حالاً من الرجل المنفلت، فمن أولى علامات إيجابيتها وتفاعلها مع من حولها: أن توزع الابتسامات لمن تعرف ولمن لا تعرف، وأن تتحلل من عصر الحريم والجمود، فالملابس القصيرة والألوان الزاهية والعطور النادرة ما صنعت إلا لأجلها هي، ولأجل أن يتمتع من تصادقه أومن تحبه من الرجال، ويجب عليها أن تتمرد على أهلها وأسرتها، وأن تتحدى العالم أجمع في سبيل تحقيق بغيتها في مرافقة من تحب، وإلا فما الفرق بينها وبين تلك الجاهلة التي لا تعرف من دنياها إلا كلمات "حاضر.. طيب.. إن شاء الله"؟!!

واليوم.. قد انتبه أهل التدين والالتزام، رجالاً ونساء، إلى الدور الذي يلعبه المضللون من خلال الأدبيات ووسائل الإعلام؛ فتوجهوا إليها، وعملوا على تجلية الصورة الحقيقة بدأب وإخلاص، فانتشرت الحقيقة، واندحرت الأباطيل، وأصبحت أكاذيب "الدراما" والأدبيات التي تدندن كالسابق لا تلقى رواجاً ولا تجد من يلتفت إليها أصلاً، فبواسطة الإنترنت والفضائيات استطاع المتلقي أن يميز الأفكار الطيبة من الأفكار الخبيثة، واستطاع أن يوازن بين الصورة النمطية والصورة الجديدة التي يطالعها لأهل التدين في الفضائيات والإنترنت؛ ليكتشف "الإرهاب الفكري" الذي مورس علي عقله من قبل، فيكفر بكل هذه الأباطيل، ويؤوب إلى الحق، ليدرك أن أهل التدين رجالاً ونساء هم الأجمل والأرحم والأحب إلى الله، وأن أهل الباطل وأهل الهوى من الرجال

والنساء المنفلتين لا يباريهم في قمائتهم وجهلهم إلا اليهود صانعو هذه الألاعيب وأصحاب السبق في غرسها في ديارنا منذ أكثر من نصف قرن!

المصدر : http://www.lahaonline.com

=============

#الإسلام والغرب في وسائل الإعلام الغربية

د. مازن مطبقاني

موضوع الإسلام والغر ب من موضوعات الساعة،وأصبح يطرق بكثرة في وسائل الإعلام،فلمَ هذا الاهتمام والزخم الإعلامي الكبير حول هذا الموضوع؟

لقد دأبت وسائل الإعلام الغربية على الاهتمام بالإسلام والمسلمين منذ ظهور الحركات الإسلامية بقيادة العلماء المسلمين داعية إلى التحرر من النفوذ الغربي، وكان تناولها لهذه الحركات يتسم بالهجوم على هذه الحركات ووصمها بالتعصب والدعوة إلى كره الأجنبي. وتناولت قضايا محدودة في الإسلام كمسألة علاقة الإسلام بالحضارة الغربية، وموضوع المرأة، ووضع الأقليات غير المسلمة في البلاد الإسلامية، لقد اهتمت وسائل الإعلام الفرنسية مثلا بحركة الشيخ عبد الحميد بن باديس – رحمه الله– (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) كما اهتمت الصحافة الإنجليزية والأمريكية بحركات التحرر في البلاد التي كانت خاضعة للنفوذ الإنجليزي.

وما زلت أذكر مقالة الشيخ عبد الحميد بن باديس (حيث أصدرت ترجمة للشيخ في سلسلة أعلام المسلمين) بعنوان:"وخز الدبابيس " ينتقد فيها جريدة الطان الفرنسية Le Temps التي سماها " عجوز الصحف الفرنسية" لتناولها الإسلام بأسلوب يتسم بالعداء والتهجم.

ولم يتوقف اهتمام الإعلام الغربي بالإسلام وقضايا المسلمين، فالإعلام الغربي بالرغم من أنه ليس إعلاما حكوميا لكنه يميل إلى تأييد مواقف الحكومات الغربية التي تحرص على مصالحها الرأسمالية، والإعلام تملكه (الرأسمالية الغربية) وكان الإعلام الغربي يحارب على جبهتين: الشيوعية، والإسلام، وكان يقرن بينهما دائما. حتى إذا سقطت الشيوعية وجد الإعلام الغربي فراغاً كبيراً مما جعله يتجه إلى ملئه بالعداء

المضاعف للإسلام. وقد نبهت إلى ذلك نشرة تصدر عن معهد هارتفورد اللاهوتيHartford بمقالة بقلم رئيس مكتب الاهتمامات النصرانية الإسلامية القس مارستون سبايت Rev.Marston Spight حيث ذكر القس أن انتهاء الحرب الباردة بين المعسكر الرأسمالي والشيوعي يثير تساؤلا: هل يصبح الإسلام الشبح الجديد؟ وقد جاء في المقال:"لم تعد قوة العالم الشيوعي تشكل تهديداً كما كانت في الماضي وذلك نتيجة للأحداث الصاخبة والمدهشة في أوروبا الشرقية، وهكذا وجد الأمريكيون الذين كانوا يسهبون في الحديث عن الخطر المفترض من الشيوعية، وجد هؤلاء أنفسهم فجأة محرومين من موضوعهم المحبب... وقال القس:" والسؤال الذي يطرح نفسه هل تختار العناصر (الإعلام) التي تتولى تحذير الشعب الأمريكي من الخطر مجموعة أخرى من البشر لوضعها أمام الجمهور على أنها تهديد لأمريكا والعالم؟ إن الصورة السيئة التي يصوَّر بها الإسلام في وسائل الإعلام الأمريكية تثير انتباه بعضنا إلى جعل الإسلام الشبح الجديد." وقد أكد القس كلامه بأمثلة من الصحافة الأمريكية تتمثل في تلخيص لمقال لكاتب أمريكي هو شارلز كروتهامر Charles Kruthammer

لا شك أن اهتمام القسيس يثير التساؤل، فهل كانت صورة الإسلام في الإعلام الغربي جيدة قبل نهاية الحرب الباردة؟ وكأنّ القسيس يريد أن يبرّئ الإعلام الغربي والمنصرّين من إثارة العداء ضد الإسلام قبل سقوط الشيوعية. وقد نبهت إلى هذا العداء ضد الإسلام وقبل سقوط الشيوعية حينما تحدث نائب الرئيس الأمريكي دان كويل في خطابه الذي ألقاه في حفلة تخريج دفعة من البحرية الأمريكية يوم 30 مايو 1990 فربط فيه بين الإسلام والشيوعية على أنهما أكبر الأخطار التي تواجه العالم في القرن العشرين، وقد صور نائب الرئيس الحركات الإسلامية بأنها حركات" أصولية" متشددة.

إن اهتمام وسائل الإعلام بالعلاقة بين الإسلام والغرب له أسباب كثيرة منها أن معظم البلاد العربية الإسلامية تعتمد حكوماتها على الدعم الغربي في صور عديدة أهمها الديون الخارجية التي بلغت مئات البلايين من الدولارات،والدعم المعنوي للأنظمة الحاكمة، وأن الغرب هو الذي يرعى مسألة الصلح مع اليهود وهذه نقطة

خلاف رئيسة بين الحكومات العربية الإسلامية التي تنفذ مشيئة الغرب وبين الحركات الإسلامية

ولاشك أن في الغرب بعض الأصوات المعتدلة التي تحاول أن تنظر إلى العلاقة بين الإسلام والغرب نظرة موضوعية، ومن هؤلاء أساتذة جامعيون ومفكرون وسياسيون، ويجب أن نتساءل ما حجم هذا التيار المعتدل، وما حجم نفوذه؟ إن الوقت الذي تحدث فيه الأمير شارلز ولي عهد بريطانيا حديثا نال الاستحسان والإعجاب في العالم الإسلامي نتساءل هل له تأثير حقيقي في بلاده؟ الأمير يمتدح الإسلام ورئيس الوزراء يلتقي سلمان رشدي، والحكومة البريطانية تنفق آلاف الجنيهات على حماية هذا المارق، وتبخل بالقليل على المدارس الإسلامية حتى لو كان المتقدم بطلب المساعدة بريطانيا أباً عن جد وهو يوسف إسلام الذي استاء من موقف حكومته فتقدم يشكوها إلى لجنة حقوق الإنسان الأوروبية.

المصدر : http://medinacenter.org

==============

#الإسلام.. لحظة حاسمة

عبدالواحد الحميد

أن تكون أمريكا أو غيرها دولة كبرى فهذا لا يعني أن القيم والأخلاقيات السائدة فيها هي الأفضل.. لكن المشكلة أن الدولة القوية أو الدولة المنتصرة تصبح - بالتدريج - قدوة.. وهذه هي العلاقة القديمة بين سيكولوجية المهزومين والمنتصرين كما أشار إليها ابن خلدون في كتاباته.

فالمجتمع الأمريكي يشهد تحولاً أخلاقياً خطيراً رغم كل ما يُقال عن سيطرة المحافظين سياسياً.. فالواقع أن النزعة الليبرالية المتحررة هي المسيطرة على المجتمع الأمريكي أخلاقياً.. وخصوصاً ما يتعلق بالقيم الاجتماعية. وعندما تكون أمريكا قدوة عالمية في هذا المجال، فذلك يعني أن العالم يواجه خطراً يهدد قيمه وأخلاقياته.

إنهم في أمريكا يتحدثون، على سبيل المثال، عن حرية زواج المثليين حيث يتزوج الرجل رجلاً وتتزوج المرأة امرأة ويقيمون "عائلة" ويتوارثون وتطبق عليهم كل الامتيازات والحقوق والواجبات التي تُطبق على "عائلة حقيقية".. وقد أجازت كندا

أيضاً ذلك.. أما أمريكا فقد تم اتخاذ خطوة أُعتبرت مقدمة عندما قضت المحكمة الدستورية في شهر يونيو الماضي بأن قوانين ولاية تكساس المناهضة للواط غير قانونية. وقد وصف أحد كُتَّاب جريدة نيويورك تايمز هذا الحكم، في حينه، بأن المحكمة الدستورية قد قررت أن "توصد غرف النوم في أمريكا على أهلها" باعتبار أن ما يحدث داخل غرف النوم هو شأن خاص وليس من حق الحكومة أن تتدخل فيه.

الواقع أن هذا هو شأن الأمريكيين.. لكن المصيبة هي مدى تأثيرهم على العالم في ظل الحقيقة التي نشاهدها وهي أن الأمريكيين يرون أن قيمهم هي "القيم الصحيحة" التي يجب على العالم أن يعتنقها وإلا تم وصفه بأنه متخلف وظلامي وغير ديمقراطي.. وربما إرهابي!

وقد كتبت من قبل، وربما أكثر من مرة، كما كتب غيري عن الدور الغائب للإسلام لإنقاذ العالم من جهالاته وإباحياته في هذه المرحلة بالذات بعد الهجمة الشديدة لثقافة الإباحة والشذوذ وكل قذارات ما يُوصف بالعالم المتقدم.. فالمؤسف أن الإسلام لا يأتي ذكره إلا في إطار كراهية الآخرين وقتلهم.. وقد صار "الإسلام" مفردة مرادفة لـ "الإرهاب" في الإعلام العالمي.. ولذلك يصعب على الغربيين تصور أن يكون الإسلام هو المنقذ.

لقد أسهم المسلمون – للأسف – بتكريس هذه الصورة المرعبة عن الإسلام، رغم أنه دين الرحمة والمودة والفضيلة.. ولاشك أن علماء المسلمين مطالبون بتغيير هذه الصورة من خلال إبراز هذه الجوانب وإعطائها أولوية مطلقة في طروحاتهم.

إن ما يجتاح العالم من إباحية وشذوذ أمرٌ مرعب.. ويكفي أن تتجول في شوارع أي مدينة أوروبية أو أمريكية بل وحتى بعض مدن آسيا وأمريكا الجنوبية أو أن تشاهد فضائيات تلك البلدان كي ترى كيف أصبحت ثقافة العري واستغلال جسد المرأة هو الشيء الطبيعي.

إن دور الإسلام في إعادة الحضارة الإنسانية إلى الفضيلة والأخلاق الحميدة هو دور أساسي في الوقت الحاضر.. لكن المسلمين – للأسف – ليسوا بالنموذج المغري للآخرين للاتباع.. وفي هذا خسارة عظيمة للإنسانية.

المصدر : http://writers.alriyadh.com.sa

==============

#المرأة ومغالطة الحقائق

مصعب الطيب

يقول المتنبي:

أومن يغالط في الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمع

ما علاقة قضية المرأة بهذا البيت المعبِّر؟! .. ببساطة شديدة – أيها الكرام – أحاول أن أجيب.

عندما تتأمل مجموعة كبيرة من المنشورات في ساحة النشاط الطلابي – مثلاً – أو حزمة مقالات صحفية أو بعض الكتابات التي تطرق قضية المرأة تجد نفسك (محاصَراً!) بنمط وحيد تجاه المرأة يتحدث عن ضرورة (إقحام!) المرأة في كل الأعمال – والموضوعيون جداً ربما يضيفون على استحياء.. "التي تناسبها"!! – ويتحدثون عن مفاسد تعطيل نصف المجتمع والتنفس برئة واحدة! هذا النمط لا يملّ ترديد الدعوة للرجل بفك أسر المرأة وتحريرها وعدم هضمها حقها، ويحذّر بالويل والثبور وعظائم الأمور من عودة التخلّف والرجعية التي تسجن المرأة وتنتهك إنسانيتها!! موجز ما يدعو إليه هؤلاء هو (المساواة) بين الرجل والمرأة، وأن على الرجل أن يمنح المرأة ما استلب (عنوةً) من حقوقها.

وحتى لا يكون لقارئ تلك (الأراجيف) أي فرصة للبحث والتمحيص والتدبر فإنه لا تكاد تمر مقالة إلاّ بعد أن تشن هجوماً كاسحاً وإرهاباً فكرياً عنيفاً على كل من تسوّل له نفسه التشكيك في صحة تلك الدعوى.

وبناءً على الحيثيات أعلاه فإن:

أولاً: (وإجمالاً) هذه دعوى تحمل في سردها ما يكفي لردّها بحمد الله.

ثانياً: نبرة (التنازل والمنح) التي يطالبون بها الرجل، أليس فيها حجة ضد زعمهم هذا؟ وإلاّ فوفق أي منطق يكون الرجل دائماً – عبر كل صفحات التاريخ والمجتمعات – هو الظالم المهيمن؟! كان يجب ألاّ يكون كذلك لو صحّ ادّعاء هؤلاء.

ثالثاً: أمّا (المساواة) فهي خدعة سخيفة تنهار عند أول اختبار عملي؛ فلا شك أبداً أن مطالبة المرأة بالوقوف في صفوف الإجراءات الحكومية – مثلاً – في وهج الهجير مع الرجال، أو نشر إعلان وظائف (لأعمال شاقة) للنساء فقط، أو التصرف معها على نحوٍ لا يليق إلا مع الرجال.. لا شكّ أن هذا إهانة وتحقير لها.. لماذا؟ لأن الأمر بداهةً لا فلسفة فيها هو "المرة ما زي الراجل.." كما تعبّر السجية السودانية ببراءة.

رابعاً: لم يزعم أحدٌ البتة أن (العدل والإنصاف) دائماً في مطلق التسوية! بمعنى أنه يجب أن يساوى بين (المتماثلات) فقط لا غير! ويُفرَّق بين المختلفات.

والتماثل إنما يكون في أسس وأصول الحكم الموجبة للتساوي لا مجرد التشابه في بعض المظهر والمخبر، وإلاّ عُدّ جوراً وظلماً كبيراً وانتهاكاً للحقوق. وأي ظلم أعظم من تكليف النحيل من الناس كلفة الجسيم أو العجوز كلفة الشاب الطرير، ولا حاجة في تقرير حاصل مؤدّاه أن المرأة ليست كالرجل في خلقته وطباعه.

خامساً: ماذا لو تبنّى أحدٌ رأياً يقضي بضرورة (إقحام) المهندسين في مهنة التطبيب بحجة استثمار إمكانيات المجتمع فيما هو أجدى وتشغيل الطاقات المعطّلة والبناء والتعمير، ألا يُعَدّ هذا سفاهةً وسذاجةً منقطعة النظير تستدعي منا دوراتٍ تثقيفية عن "أهمية التخصص" واحترامه، ونتحدث في الصحف عن مخاطر "تقمّص وانتحال الأدوار" في انهيار بنيان المجتمع. وتستدعي منا نشر كتب تنظر في قضية "تنويع التخصصات والمهام" وتعدد مزاياها، ونشجب بشدة – عبر كل أجهزة الإعلام – أي محاولاتٍ للحد من قدر أي تخصص ما، أو تحقير أي وظيفة كانت. ولربما نطالب بأن يُحاكَم صاحب هذه (الخرافة!) بتهمة "الخيانة العظمى" للمجتمع المتحضر!! وإن يكن فما بال أقوامٍ يصرّون على تبخيس دور المرأة في إنشاء الأجيال وصيانة بيت الزوجية؟ وقديماً قيل: (إذا كان الرجال هم الذين يصنعون الحضارة؛ فإن النساء هنّ اللاتي يصنعن الرجال)، ولماذا يتمسك أولئك بزج المرأة في مهام تخرجها عن حياتها وأنوثتها، وتعكّر عليها عفتها، وتُطْمِع في نفسها مَن في قلبه مرض وتخرجها –من قبل– من أنبل وأشرف الوظائف التي هي أهلها:

الأم مدرسةٌ إذا أعددتها أعددتَ شعباً طيّب الأعراقِ

سادساً: قضية المرأة (صناعة رجالية) تأليفاً وبطولةً وإخراجاً – وعلى حدّ زعمهم – فالرجال هم الذين تعسّفوا وظلموا ابتداءً، ثم تنادموا فأدانوا، ثم تواطئوا على لزوم (اقتلاع!) حقها منهم انتهاءً! بينما يبقى صوت المرأة مهما ارتفع على هامش الصراع. فماذا يعني هذا؟ نحيل السؤال بطبيعة الحال إلى أولئك النفر من (الرجال)..

سابعاً: زخم معركة المرأة.. (المفتعل) يوحي بشكل واضح (وفاضح) إلى أن ثمة "مآرب أخرى" تتخفى خلف ذلك الحماس الجهير للقضية وسيل دغدغة المشاعر الأنثوية والإطراء المنمّق والتشبث المريب لكل ما من شأنه توطيد العلائق خارج إطار الزوجية.

إن أكبر الإهانة والتحقير لمكانة المرأة يوم تكون (وسيلةً) لأغراض ساقطة ومرامٍ سافلة تمارس باسم الدفاع عن حقها و(أداةً) لإشباع الرغبات الحرام بدعوى (الصداقة البريئة !!) فأي مغالطة للحقائق أعظم من هذا؟! ولنا عودة.

المصدر : http://www.meshkat.net

=============

#العولمة..

هدم الاقتصاد القديم

د. زكريا مطر

أستاذ اقتصاد

يعتبر العالم الكندي مارشال ماك لوهان، أستاذ الإعلاميات السوسيولوجية في جامعة تورنتو، أول من أشار إلى مصطلح "الكوننة أو العولمة" globalization، عندما صاغ في نهاية عقد الستينيات مفهوم القرية الكونية، وهو الذي تنبأ أيضاً بأن الولايات المتحدة الأمريكية ستخسر الحرب الفيتنامية، وقد تبنى هذه الفكرة من بعده زبيجينو بريجنسكي، الذي أصبح فيما بعد مستشاراً للرئيس الأمريكي كارتر (1977 – 1980)، وأشار إلى أن تقدم أمريكا، التي تمتلك ما يزيد على 65% من المصادر الإعلامية، يمكن أن يكون (نموذجاً كونيًّا للحداثة) يروج للقيم الأمريكية التي تنادي بها كالحرية وحقوق الإنسان، وذلك عند سعيها حينئذ لإزاحة الأيدلوجيات الاشتراكية التي تبناها السوفييت المعادين للأمريكان، واعتمدت الولايات المتحدة في ذلك على

شبكات تلفزة وقنوات فضائية وسينما ومراسلين في كل مكان في العالم ومن خلال الفضاء الكوني.

إن صياغة تعريف دقيق للعولمة مسألة ليست من السهولة بمكان؛ لوجود تعريفات لها بقدر الدارسين لها، حسب انتماءاتهم الفكرية ومستوياتهم الثقافية، ومواقفهم تجاه العولمة سواء بالرفض أو القبول.

ويمكن تقديم تعريف للعولمة من خلال التعريفات المتعددة، يجمع بين مفهومها وخصائصها، رغم أنها ما زالت في مراحلها الأولى، ولم تتبلور بعد إلى شكلها النهائي كالآتي:

العولمة هي تلك الحالة أو الظاهرة التي تسود في العالم حالياً، وتتميز بمجموعة من العلاقات والعوامل والقوى، تتحرك بسهولة على المستوى الكوني متجاوزة الحدود الجغرافية للدول ويصعب السيطرة عليها، تساندها التزامات دولية أو دعم قانوني، مستخدمة لآليات متعددة، ومنتجة لآثار ونتائج تتعدى نطاق الدولة الوطنية إلى المستوى العالمي؛ لتربط العالم في شكل كيان متشابك الأطراف، يطلق عليه القرية الكونية Global village.

تحول مفاهيم الاقتصاد ورأس المال

وقد اقترنت العولمة بظواهر متعددة استجدت على الساحة العالمية أو ربما كانت موجودة من قبل، ولكن زادت من درجة ظهورها، وهذه الظواهر قد تكون اقتصادية أو سياسية أو ثقافية أو اتصالية أو غيرها، ولا شك أن أبرز هذه الظواهر هي الظواهر الاقتصادية التي أهمها:

1 – تحول الاقتصاد من الحالة العينية (الأنشطة التقليدية كتبادل السلع عينيًّا بالبيع والشراء) إلى الاقتصاد الرمزي الذي يستخدم الرموز والنبضات الإلكترونية من خلال الحواسب الإلكترونية والأجهزة الاتصالية، وما ينتج عن ذلك من زيادة حجم التجارة الإلكترونية والتبادل الإلكتروني للبيانات في قطاعات التجارة والنقل والمال والائتمان وغيرها.

2 – تحول رأس المال من وظائفه التقليدية كمخزن للقيمة ووسيط للتبادل إلى سلعة تباع وتشترى في الأسواق (تجارة النقود)؛ حيث يدور في أسواق العالم ما يزيد على

100 تريليون دولار (100 ألف مليار) يضمها ما يقرب من 800 صندوق استثمار، ويتم التعامل يوميًّا في ما يقرب من 1500 مليار دولار – أي أكثر من مرتين ونصف قدر الناتج القومي العربي – دون رابط أو ضابط، وهو ما أدى إلى زيادة درجة الاضطراب والفوضى في الأسواق المالية، وأعطى لرأس المال قوة لفرض شروطه على الدول للحصول على أقصى ما يمكن من امتيازات له. وقد أدى هذا كله إلى زيادة التضخم نتيجة لزيادة قيمة النقود.

3 – تعمق الاعتماد المتبادل بين الدول والاقتصاديات القومية، وتعمق المبادلات التجارية من خلال سرعة وسهولة تحرك السلع ورؤوس الأموال والمعلومات عبر الحدود مع النزعة إلى توحيد الأسواق المالية، خاصة مع إزالة كثير من الحواجز الجمركية والعقبات التي تعترض هذا الانسياب بعد إنشاء منظمة التجارة العالمية، التي بدأت نشاطها في بداية عام 1995م، وهو ما يشاهد الآن بعد توحُّد بورصة لندن وفرانكفورت اللتين تتعاملان في حوالي 4 آلاف مليار دولار، وكذلك توحد بورصات أوروبية أخرى، وهناك اتجاه متزايد نحو إنشاء سوق مالية عالمية موحدة تضم معظم أو جميع البورصات العالمية، وتعمل لمدة (24) ساعة ليمكن المتاجرة في أسهم الشركات الدولية من أي مكان في العالم. وقد ترتب على إزالة الحواجز والعوائق بين الأسواق أن أصبحت المنافسة هي العامل الأقوى في تحديد نوع السلع التي تنتجها الدولة وبالتالي فإن كثيرًا من الدول قد تخلت عن إنتاج وتصدير بعض سلعها؛ لعدم قدرتها على المنافسة مثل صناعة النسيج في مصر التي انهارت أمام منافسة دول جنوب شرق آسيا، وأصبحت تلك الدول تحصل على حاجتها من دول أخرى لها ميزة تنافسية في إنتاج تلك السلع، وهو ما ينطبق أيضاً على رءوس الأموال التي أصبحت مركزة في بعض الدول المنتجة والمصدرة للبترول، وعلى الدول التي تحتاج إلى تلك الأموال أن تحصل عليها من الدول المتقدمة.

دور أكبر للمنظمات العالمية

4 – زيادة الانفتاح والتحرر في الأسواق واعتمادها على آليات العرض والطلب من خلال تطبيق سياسات الإصلاح أو التكييف الاقتصادي والخصخصة ، وإعادة هيكلة الكثير من الاقتصاديات الموجهة واقتصاديات الدول النامية لتتوافق مع متطلبات

العولمة (مثلما حدث في مصر ويحدث الآن في دول الخليج فضلا عن باقي دول العالم).

5 – زيادة دور وأهمية المنظمات العالمية في إدارة وتوجيه الأنشطة العالمية كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي للإنشاء والتعمير، ومنظمة التجارة العالمية واليونسكو، ومنظمة الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة وغيرها.

6 – التوجه نحو تشكيل العديد من التكتلات الإقليمية الاقتصادية والسياسية والثقافية مثل تكتل الآسيان والاتحاد الأوربي وغيرها، والزيادة الملحوظة في أعداد المنظمات غير الحكومية بعد أن بدأ دور الدولة في إدارة الاقتصاد في التناقص.

تفاقم المديونية وتزايد الشركات متعدية الجنسيات

7 – استشراء ظاهرة الشركات المتعدية الجنسيات، مع سيطرتها على الاستثمار والإنتاج والتجارة الدولية والخبرة التكنولوجية مثل شركات IBM ، ومايكروسوفت وغيرها، خاصة بعد أن ساوت منظمة التجارة العالمية بين هذه الشركات والشركات الوطنية في المعاملة.

8 – تفاقم مشاكل المديونية العالمية وخاصة ديون العالم الثالث والدول الفقيرة مع عدم قدرتها على السداد، وما تزامن مع ذلك من زيادة حجم التحويلات العكسية من الدول الفقيرة إلى الدول المتقدمة، والمتمثلة في خدمة الديون وأرباح الشركات المتعددة الجنسيات وتكاليف نقل التكنولوجيا وأجور العمالة والخبرات الأجنبية، والذي قابله في نفس الوقت تقلص حجم المعونات والمساعدات والمنح الواردة من الدول المتقدمة إلى الدول النامية وعدم جدواها.

9 – ظهور تقسيم دولي جديد للعمل تتخلى فيه الدول المتقدمة للدول النامية عن بعض الصناعات التحويلية (هي الصناعات التي تعتمد على تحويل المادة الخام إلى سلع مصنعة يمكن الاستفادة منها، كصناعات الصب والبتروكيماويات والتسليح وغيرها) التي لا تحقق لها ميزة نسبية، مثل الصناعات كثيفة الاستخدام للطاقة وكثيفة العمل والملوثة للبيئة، وذات هامش الربح المنخفض، مثل صناعات الصلب والبتروكيماويات والتسليح، بينما ركزت الدول المتقدمة على الصناعات عالية التقنية

كصناعة الحاسبات والبرامج وأجهزة الاتصالات والصناعات الإلكترونية، ذات الربحية العالية والعمالة الأقل.

تبديد الفوائض بدلاً من تعبئتها

10 – تغير شكل وطبيعة التنمية، فبعد أن كانت التنمية تعتمد أساسًا على تعبئة الفوائض والتمويل الذاتي (الادخار)، تحولت إلى تنمية تعتمد على الاستثمارات الخارجية والشركات المتعدية الجنسيات، وأصبحت التنمية هي تنمية تبديد الفوائض والمدخرات (الاستهلاك) كناتج أساليب الاستهلاك الترفيهي المتزايدة، تحت ضغط الآلة الإعلانية الجبارة، التي أدت إلى عجز مزمن في موازين المدفوعات وتفاقم أزمة الديون في العالم الثالث، وتركيز التنمية على الجانب الاقتصادي فقط، أي تحولها إلى تنمية وحيدة الاتجاه تهمل الاتجاه الاجتماعي والثقافي، مع اعتماد نظام السوق ليكون أساساً للتنمية في مختلف بلاد العالم. حتى الطبقات عالية الدخل في الدول النامية التي من المفترض أن تكون نسبة ميلها الاستهلاكي (نسبة الإنفاق على الاستهلاك من الدخل الكلي) قليلة وأصبحت تلك الفئات من الفئات المسرفة التي تبدد دخولها على الاستهلاك الترفيهي وبالتالي فإن ميلها الاستهلاكي أصبح مرتفعًا، وقد ساعد على ذلك قدرة الاقتصاديات المتقدمة على إنتاج سلع جديدة والتنوع في السلع القديمة مثل ابتكار طرازات جديدة من السيارات والسلع المعمرة وغيرها.

11 – تراجع نصيب المادة الأولية في الوحدة من المنتج في العصر الحديث بسبب تطور الإنتاج وهو ما يسمى بالتحلل من المادة (Dematerialization)، وإحلال الطاقة الذهنية والعلمية (الفكر) محل جزء من المادة الأولية، مما أدى إلى تراجع الأهمية النسبية للنشاط الصناعي في الهيكل الإنتاجي في الدول المتقدمة الصناعية وتصاعد الأهمية النسبية لقطاع الخدمات، وقد زادت الأهمية النسبية لنشاط الخدمات داخل النشاط الصناعي ذاته بحيث أصبحت تمثل أكثر من 60% من الناتج الصناعي، لتنامي الصناعات عالية التقنية، وظهور مجموعة جديدة من السلع غير الملموسة كالأفكار والتصميمات والمشتقات المالية استقطبت المهارات العالية، وما ترتب على ذلك من زيادة عملية التفاوت في الأجور، وبالتالي توزيع الدخل القومي توزيعاً غير عادل، سواء على مستوى أفراد الدولة الواحدة أو بين الدول.

زيادة الفوارق بين الطبقات والبطالة

12 – تعمق الثنائية الاجتماعية في مجتمعات العالم الثالث، فبعد أن كانت الفوارق مادية، أصبحت هذه الفوارق مادية وتكنولوجية بسبب استحواذ الطبقات مرتفعة الدخل على الإنجازات التكنولوجية عالية القيمة التي يصعب على الفقراء اقتناؤها، كالإنترنت والتليفون المحمول والحاسبات الإلكترونية وغيرها، ويؤدي هذا في المستقبل إلى زيادة وترسيخ التخلف في الطبقات الفقيرة وصعوبة تقليل الفوارق بين الطبقات العالية الدخل والفقيرة في المجتمع مما يهدد الاستقرار الاجتماعي.

13 – زيادة وانتشار البطالة في المجتمعات وخاصة في الدول النامية بسبب الاتجاه إلى استخدام الأساليب كثيفة رأس المال، التي تعتمد على استخدام عدد أقل من القوى العاملة، وذلك بسبب الحاجة إلى تخفيض تكاليف الإنتاج وزيادة مستوى الجودة؛ فلا مكان للمنافسة في السوق العالمية الموحدة بعد إنشاء منظمة التجارة العالمية.

14 – إحلال مفاهيم جديدة محل القديمة كسيادة مفهوم الميزة التنافسية competitive advantage وحلوله محل الميزة النسبية Comparative Advantage بعد توحد الأسواق الدولية وسقوط الحواجز بينها، وكذلك سقوط مفهوم التساقط الذي تبناه البنك الدولي وصندوق النقد الدولي لمدة طويلة، حيث إن الطبقات العالية الدخل في الدول النامية هي طبقات مسرفة لا تدخر ولا تستثمر وتبدد فوائضها في مصارف استهلاكية لا يستفيد منها المجتمع، وهو ما أدى إلى تناقص معدلات النمو في هذه الدول بسبب نقص الاستثمارات وزيادة عجز الموازين التجارية وموازين المدفوعات.

وتعني الميزة التنافسية للدولة قدرتها على إنتاج سلع وتصديرها لتنافس في الأسواق العالمية دون أن تتوفر لها المزايا التي تساعدها على إنتاج هذه السلع مثل الظروف الطبيعية والمناخية والمواد الأولية وذلك نتيجة تفوقها التكنولوجي؛ حيث يمكن لها استيراد المواد الأولية من الخارج وتصنيعها بدرجة عالية من الجودة وبتكلفة أقل لتنافس في السوق العالمي مثلما يحدث في اليابان وسنغافورة ودول جنوب شرق آسيا، وقد ساعد على ذلك تناقص قيمة المادة في السلع وزيادة القيمة الفكرية

والذهنية نتيجة استخدام الحاسبات وأجهزة الاتصالات. أما الميزة النسبية فهي تعني توفر مزايا للدولة تساعدها على إنتاج سلع معينة كالظروف الطبيعية والمناخية والمواد الأولية أو القوى العاملة الرخيصة، إلا أن هذه المزايا قد لا تساعدها على المنافسة في الأسواق العالمية؛ ربما لانخفاض الجودة أو لارتفاع التكلفة بسبب غياب التكنولوجيا.

15- اتجاه منظمات الأعمال والشركات إلى الاندماج؛ لتكوين كيانات إنتاجية وتصنيعية هائلة الغرض منها توفير العمالة وتقليل تكاليف الإنتاج والحصول على مزايا جديدة كفتح أسواق جديدة أو التوسع في الأسواق الحالية، وهو ما نشاهده الآن من اندماجات الشركات الكبرى مع بعضها؛ حيث دخلنا فيما يسمى بعصر "الديناصورات الإنتاجية" الهائلة والأمثلة على ذلك كثيرة في مجالات البترول والتكنولوجيا والمعلومات والمصارف، وينتج عن ذلك بالتأكيد تطوير كبير في علم الإدارة والرقابة والسيطرة للتوصل إلى مهارات إدارية وتنظيمية وصيغ جديدة من الأشكال التنظيمية التي تناسب هذه الكيانات الكبيرة.

المصدر: http://www.islam-online.net

============

#الحضارة الغربية: ضجة عن الحرية .. وممارسة للهيمنة الثقافية.

د. جعفر شيخ إدريس

الحضارة الغربية حضارة يبوء كاهلها بالمتناقضات: تناقض في الأفكار، وتناقض في القيم، وتناقض في المواقف، وتناقض بين الأقوال والأفعال. لكنها رغم ذلك كله هي الحضارة السائدة التي يعدها أهلها ويعدها بقية العالم . إلا من رحم ربك . حضارة العصر، الحضارة التي يجب أن يحذو حذوها كل من يريد أن يتبوأ مكانة محترمة، بل وحتى مقبولة في هذا العصر، وإلا كان فيه بجسده وخارجه بروحه وفكره.

ولعل من أبرز أنواع التناقض بين أقوال هذه الحضارة وأفعالها، تناقضها بين ضجتها الصوتية العالية عن حرية الأفراد والشعوب، وسلوكها كل سبيل لفرض قيمها الخلقية، وتجربتها السياسية، ونظمها الاقتصادية، بل ومعتقداتها الدينية على سائر شعوب

الأرض، ووصم كل ما يخالفها، بل كل ما يتعارض مع مصالحها، بكونه انتهاكاً للحقوق الإنسانية، أو إضراراً بالمصالح العالمية، أو ممارسة للإرهاب، أو سبباً للتخلف، وما شئت من تهم جائرة، بل . وأحياناً . أقوال آفكة.

المتعصبون من أهل الحضارة الغربية ضد ثقافات الأمم الأخرى . وما كلهم كذلك . مصابون بنوع من المرض الثقافي الذي يجعل على بصر صاحبه غشاوة تهول له قيم ثقافته، بل وأباطيلها، حتى يراها هي القيم الإنسانية التي يجب على كل الأمم أن تؤمن بها وتطبق مقتضياتها، بل وهي المعيار الذي تقاس به إنسانية الأمم، ويحدد على أساسه استحقاقها للمصالحة والمساعدة أو المشاقة والإعنات. وقد عبر عن شيء من هذا مندوب . أو مندوبة . باكستان في جلسة الأمم المتحدة الخاصة بقضية المرأة. قالت لهم المندوبة كلاماً نقلته بعض الصحف الأمريكة فحواه أن مشكلة المرأة في باكستان أن تشرب ماء نقياً، لا أن تتزوج امرأة مثلها، ولا أن تكون لها حرية الاتصال بمن شاءت من الرجال.

هذا موضوع كبير نشرت فيه أوراق وألفت فيه كتب منها كتاب مشهور للأستاذ إدوارد سعيد اسمه الاستعمار الثقافي، لكن حديثنا اليوم عن آخر مظهرين شهدهما الكاتب لهذه الهيمنة. أولهما الاجتماع الخاص بالنساء الذي عقد بالأمم المتحدة والذي تحدثت عنه في مقال سابق. وثانيهما كتاب لرائدة من رواد الحركة الأنثوية feminism.

من مظاهر الهيمنة الثقافية في اجتماع الأمم المتحدة أن المنظمات غير الحكومية التي شاركت فيه، كان أعلاها صوتاً . وربما أكثرها عدداً . المنظمات الآتية من البلاد الغربية. وحتى التي أتت من البلاد غير الغربية كان كثير منها . إن لم يكن معظمها . من الجماعات الدائرة في فلك المنظمات الغربية، بل ربما كان بعضها مجرد صدى لها. كان منها مثلاً منظمة من بلد من أكثر البلاد الأفريقية فقراً وجوعاً، لكن مستوى أدائه في الدعاية للقيم الغربية كان مضاهياً لأغنى المنظمات الغربية.

ومن مظاهرها أن اللغة المسيطرة على الاجتماع كله كانت اللغة الإنجليزية؛ فالذي لا يعرفها لا يستطيع أن يشارك مشاركة فعالة.

ومن مظاهرها أن كبار المتحدثات كن من الشخصيات الأمريكية المرموقة؛ فقد تحدثت في اجتماع المنظمات غير الحكومية سيدة أمريكا الأولى، وخاطبت الجمعية العمومية وزيرة خارجيتها، وكان معظم المتحدثين والمتحدثات غير الغربيين من أبواق الغرب، حتى إن عدد المتحدثين والمتحدثات من بلد أفريقي غير الذي ذكرت آنفاً لم يكن متناسباً قط لا مع أهميته ولا مع حجمه.

والقضايا التي أثيرت ونالت اهتماما كبيراً كانت هي القضايا التي يهتم بها الغرب إما لأنها من القضايا التي تشغل بال الناس فيه، أو لأنها مما يعترض عليه الغرب في ثقافات الآخرين. من ذلك قضية ختان البنات، التي حولها الكتاب والساسة الغربيون وأتباعهم من المستغربين إلى قضية كبرى تكاد تكون من أهم معاييرهم للولاء والبراء.

وهذا يقودنا إلى كتاب الرائدة الأنثوية الذي أسمته: المرأة كاملة، أو المرأة بأكملها The Whole Woman. تعرضت المؤلفة فيه لقضية الختان هذه، فذكرت أنها كانت ومازالت معترضة على ختان النساء، لكنها بعد أن سافرت واتصلت بالثقافات الأخرى، تبين لها أن اهتمام الغرب به هو تعبير عن احتقاره للثقافات غير الغربية. واستدلت على ذلك بأدلة لا تخلو من طرافة.

منها أنه لا فرق بين ختان الرجال وختان النساء، لكننا لا نعترض على الأول ولا نثير حوله زوبعة لأنه يمارس في الغرب.

ومنها أن النساء في الغرب يجرين عمليات جراحية تجميلية هي أشد غرابة من الختان. من ذلك العمليات التي يجريها بعض النساء لتصغير أثدائهن. قالت: إنها عندما ذكرت هذا لبعض النساء السودانيات كان استغرابهن له كاستغرابنا للختان، وأنها تعلمت منهن أن الختان أنواع، وأن منه ما لا ضرر فيه، وأنه لا يؤثر على الاستمتاع الجنسي، وأنه ليس أمراً يفرضه الرجال على النساء كما نظن في الغرب.

ومنها أن بعض الناس في الغرب يخرقون ألسنتهم ليدخلوا فيها نوعا من الحلق، كالذي يدخل في الآذان. بل إن منهم من يفعل ذلك لعضو الرجل!

لنفترض أن الحديث كان عن أسوأ أنواع الختان، وهو مضر ما في ذلك شك. لكن أهو أضر من هذا الذي ذكرته الكاتبة؟ أهو أضر من شرب الخمر الذي يموت بسببه المئات بل ربما الآلاف في الغرب في ليلة واحدة هي ليلة عيد الميلاد؟ أهو أضر

من حمل السلاح الذي يرخص به القانون الأمريكي، والذي يقتل بسببه عدد من الأبرياء . وأحياناً حتى الأطفال . في كل يوم وليلة؟ أهو أضر من الجمع بين السَكر وحمل هذا السلاح؟ أهو أضر من السفور، وما ينتج عنه من أنواع الاغتصاب؟ أهو أضر من الزنا واللواط الذي تحله القوانين الغربية والذي كان سبباً في مرض الإيدز وأمراض أخرى جسدية ونفسية؟ أهو أضر من التدخين الذي صار من أسباب الموت الأولى في البلاد الغربية، والذي لا مسوغ لإباحته إلا استفادة بعض الشركات منه، كاستفادة أخرى من إباحة حمل السلاح؟

كلا، والله. ولكن الأمر كما قال ربنا: "فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور".

إن قوة الغرب المادية صارت فتنة تعمى الناس . ومنهم منتسبون إلى الإسلام . عن رؤية عيوبه وشروره. كما أن ضعف المسلمين صار فتنة تصد الناس عن رؤية ما عندهم من خير وعن قبوله.

{ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم }.

المصدر : http://www.jaafaridris.com

=============

#ماذا يريدون من المسلم؟!

حمزة الميداني

ماذا تريد أمريكا، وماذا يريد الغرب من المسلم، وماذا تريد الحكومات التابعة لأمريكا، المذعنة لها والخاشعة لها؟

هل يريدون من المسلم أن يصلي ويصوم ويحج، ثم يكون بعد ذلك مطية ذلولاً للراكب، وتكون أرضه وأمواله غنيمة للغاصب. هل يريدون منه أن يأكل ويشرب وينام ويشتري البضائع الأجنبية، ويعمل في المصانع الأمريكية ويعتاد على الثقافة الهابطة، ثم لا يقف الأمر عند هذا الحد، بل يجب أن يشكر للغرب هذا الكرم، ويسبح بحمد الحكومات التي أتاحت له الفرصة لتقبيل أيادي الأعداء!!.

هل يريدون تدجين المسلم، والتدجين يذهب بكثير من خصائص الحيوان، فأما البشر فيذهب بمقوماتهم حتى يصبح الإنسان أحط من بعض الحيوان.

تريد أمريكا ولايات عربية (غير متحدة) مدجنة ومؤمركة، وأمريكا هي التي تنظر في أمنها واقتصادها، والمنهزمون (الواقعيون) من العرب سيقولون: ماذا نعمل؟ لا نستطيع المقاومة ولابد لنا من الإذعان، وكل حكومة عربية (تدبر رأسها).

أما الإسلام فيقول للمسلم بعد أن يقوم بالفرائض بـ (كن رجلاً عزيزاً قوياً عالماً، هادياً محسناً كسوباً معطياً، عارفاً بالحياة، سباقاً في ميادينها، صادقاً صابراً هيناً إذا أريد منك الخير، صلباً إذا أُردت على الشر)(1) ...

---

(1) – البشير الإبراهيمي: الأعمال الكاملة 283/1.

المصدر : http://www.alsunnah.org

==============

#من مزالق الدعاة

أ.د. جعفر شيخ إدريس

الدعوة إلى الله أشرف مهمة يقوم بها إنسان، لذلك اصطفى الله . تعالى . لها أكرم خلقه فجعلهم رسله إلى الناس، والداعية المسلم داعٍ إلى الله . تعالى .: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة)، وهو نائب عن الرسول . صلى الله عليه وسلم . في هذه المهمة؛ لذلك كان من الطبيعي أن تكون دعوته على بصيرة، أي عن علم بما يقول الله . تعالى .، وما يقوله رسوله . صلى الله عليه وسلم .، وكان من الطبيعي أن يكون ملتزماً في دعوته أشد الالتزام بما أوحى الله إلى رسوله . صلى الله عليه وسلم .، لا يحيد عنه قيْد أنملة، وإلاّ لم تكن دعوته إلى الله، بل كانت إلى ما يراه هو وما يهواه (يا أيها النبي بلغ ما أُنْزِل إليكَ من ربك وإنْ لم تفعلْ فما بلغتَ رسالته و الله يعصمك من الناس).

لكن ما أصعب أن يلتزم الداعية . حتى لو كان مخلصاً . بمثل هذا الالتزام، في بيئة تكون فيها شرائع الإسلام التي يدعو إليها غريبة غير مألوفة! ما أسهل أن ينزلق الداعية فيحيد عما أوحى الله، وهو يحسب أنه يدعو إلى الله! لقد كان سبب العزلة التي سقط فيها بعض الناس . وهم من الدعاة . أنهم في سبيل جعل الحكم الإسلامي مقبولاً للعقلية الغربية أو المستغربة، بدؤوا يضيقون ذرعاً بكل ما لا تقبله هذه العقلية

من تعاليم هذا الدين، وإن كان مما جاءت به النصوص الصريحة، وإن كان محلَّ إجماع بين علماء المسلمين، تراهم لذلك يهرعون إلى تلقُّف كل رأي يخلِّصهم من هذه التعاليم ويسمونه اجتهاداً.

لكنني وجدت في مؤتمر عربي إسلامي نظّمه المعهد العالمي للفكر الإسلامي هنا بالولايات المتحدة، أن هذا الانحراف أدى عند بعض الناس إلى انحراف آخر أخطر منه، فقد بدا لي من أقوال بعض الذين شاركوا في هذا المؤتمر أنهم . في سبيل قبول بعض التقاليد الغربية السياسية . بدؤوا يقبلون معها ما يرونه لازماً لها من الأفكار والمعتقدات الغربية، ومن ذلك أنهم في سبيل إيجاد مكان للتعددية السياسية في الدولة الإسلامية صاروا يذمون كل من يظهر استمساكاً شديداً بما يعتقد أنه الحق ويقولون لا أحد غير الله . تعالى . الذي يسميه بعضهم بالمطلق . يمتلك الحقيقة. فكأنهم يقولون: إنك لكي تعترف بالآخر لا بد أن تعتقد أنه قد يكون على صواب وتكون أنت على خطأ. قلت لهؤلاء الإخوة: إن هذا يمكن أن يقال في مجال الأمور الدينية الاجتهادية، والأمور الدنيوية المبنية على الرأي، أما إذا قام الدليل القاطع على أمر ما أنه الحق، فلا مجال للتشكيك فيه سواء كان من الأمور الدين أو من أمور الدنيا. وإلاّ كان معنى هذا القول الاعتقاد بنسبية الحقيقة، والقول بنسبية الحقيقة . في غير مجال العلوم الطبيعية . هو من أمراض الحضارة الغربية الخطيرة التي تعدُّ كثيرٌ من مشكلاتها الاجتماعية أعراضاً لها. إن القول بنسبية الحقيقة هو الذي يجعل القيم الخلقية قيماً نسبية، فلا يجيز لذلك لإنسان أن يقول عن سلوك إنسان آخر إنه خطأ أو غير خُلُقي أو يذمه بأي نوع من أنواع الذم. ولذلك صاروا الآن يستبدلون بعبارة (الشذوذ الجنسي) عبارة (الميل الجنسي)، أي إن الرجل الذي يكون ميله إلى الرجال أو المرأة التي يكون ميلها إلى النساء هما كالرجال والنساء الذين يكون ميلهم إلى الجنس الآخر، لا فرق بين الميلين، لذلك ينبغي أن لا يكون هنالك تفرقة في المعاملة.

وقلت لهم: هل معنى ذلك أنني في سبيل قبول ما يسمونه بالآخر ينبغي أن لا أجزم بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن القرآن كلام الله، وأن الشرك باطل ومذموم؟ هل يقول بهذا عاقل؟ ولكن هذا هو الذي يؤدي إليه القول بعدم امتلاك

الحقيقة. نعم إنه لا أحد غير الله . تعالى . يعرف كل الحقائق، لكن من نعمة الله علينا أن جعل لنا نحن البشر الناقصين سبيلاً إلى معرفة بعض الحقائق التي تهمنا والتي تعتمد عليها حياتنا، وجعل العلم بها والإيمان اليقيني بصوابها شرطاً في نيل مرضاته سبحانه (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا)، بل جعل اليقين بها شرطاً للدعوة إليه (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون).

وقلت: إن تحملي للآخر وتسامحي معه لا يلزم أن يكون مبنياً على شكي وارتيابي فيما عندي، بل يمكن أن أتحمل وأُحسِن إلى من يخالفني وأنا موقن أنني على الحق وأنه على باطل. ألم يقل الله . تعالى . عن بعض الكفار: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يُخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتُقسطوا إليهم إن الله يُحب المقسطين)؟

مجلة منار السبيل

http://www.jaafaridris.com/Arabic/aarticles/mazaliq.htm

============

#دور المرأة المسلمة فى مواجهة التغريب

رهام اديب الزعبي

تمر أمتنا الإسلامية في الوقت الحاضر بمرحلة في غاية الخطورة هي محاولة إرساء التغريب في أرضها وإحكام الهيمنة عليها من قِبَلِ أعدائها. والتغريب هنا هو تحويل الثقافة العربية والإسلامية من عقيدة وسلوك، وعادات وتقاليد إلى ثقافة وعادات وتقاليد تابعة للغرب مخالفة تماماً لعقيدتنا وتراثنا الإسلامي، ومن ثم تصبح الهيمنة على أمتنا والسيطرة عليها واحتواؤها سهلاً ميسوراً؛ بحيث تخضع خضوعاً تاماً لما يريده الغرب، الذي يحاول جاهداً دون كلل أو ملل بث أفكاره وثقافته بكل السبل التي يستطيع الدخول من خلالها.

وهذا التغريب قائم على أبحاث ودراسات حشدت لها كل الطاقات والإمكانات لكي تطبق على المسلمين، منها ثقافية وفكرية، ومنها نظم سياسية واقتصادية بعيدة كل البعد عن الإسلام وتشريعاته، مما يؤدي في النهاية بالمجتمع الإسلامي إلى أن

يتشبع بالفكر الغربي وثقافته وحضارته المعادية للإسلام، فيقضي على شخصية المجتمع وولائه لدينه وأمته، ويصبح من السهل قيادته وتنفيذ كل ما يطلب منه. والأمثلة على ذلك كثيرة، ومن أهمها ما يتعلق بشؤون المرأة.

ولما كان للمرأة المسلمة أهمية كبيرة في تربية الأجيال ولها تأثيرها المباشر في تنشئتهم على الإسلام عقيدة وسلوكاً، فقد أعطى أعداء الإسلام أهمية قصوى لمحاولة تغريبها والتركيز عليها؛ وذلك من خلال الدعوات البراقة الكاذبة التي انخدع بها كثير من أبناء وبنات أمتنا... تلك الدعوات المسماة بالتحرر وانتزاع الحقوق، وطلب المساواة بينها وبين الرجل!

فإذا استجابت المرأة المسلمة لدعوتهم تلك فسيؤدي ذلك حتماً إلى إفسادها ثم إلى فساد المجتمع وتدميره بأقصر الطرق وأسرعها؛ لما لها من تأثير فعال في ذلك، مما لا يستطيع أن ينكره عاقل.

ومن المؤسف حقاً أن نجد فئة من نسائنا قد انجذبت وانساقت لتلك الأباطيل، فتبنت أفكارهم المضللة تلك، والدعوة لها، وعشن بتبعية كاملة لهم فكرياً واجتماعياً وسلوكياً، مقلدات المرأة الأوربية تقليداً أعمى دون إدراك أو تفكير بحيث ينطبق عليهن حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قيل: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟)(1).

ولقد غاب عن وعي أولئك النسوة أن الظروف الاجتماعية والقانونية والتاريخية التي واجهت المرأة الأوربية مختلفة تماماً عمّا واجهته المرأة المسلمة؛ فالمرأة هناك تعيش مجتمعاً قائماً على قوانين من وضع البشر وليست شرائع ربانية؛ فكان هناك انتهاك وهضم لحقوق المرأة مما جعلها تثور وتتمرد لتحصل على حقوقها.

أما المرأة المسلمة فقد أعطاها الإسلام حقوقها كاملة منذ أربعة عشر قرناً؛ فيحق لها أن تفخر وترفع رأسها عالياً بتلك الحقوق التي لم تحصل عليها كثير من النساء في أكثر البلدان التي تدعي الحضارة والتقدم إلى الآن.

لقد كرم الإسلام المرأة أحسن تكريم، ورفع مكانتها ووضعها في المكان اللائق بها، ولم يفرق بينها وبين الرجل، بل ساوى بينهما في الحقوق والواجبات، والثواب

والعقاب. ولا أدري والله ما هي الحقوق التي تطالب بها المرأة المسلمة؟ وقد أعطاها الإسلام كامل حقوقها الدنيوية والأخروية.. أما الدنيوية: فمنها حق التعلم والعمل، وحق التملك والتصرف بملكها وتجارتها دون تدخل من زوج أو أب. كما أعطاها حق اختيار الزوج؛ وحق الخلع إذا لم توفق بزواجها. ومن حقها أيضاً المحافظة على اسم عائلتها بعد الزواج؛ وذلك بعكس المرأة الأوربية التي تحمل اسم عائلة زوجها بعد الزواج. وأيضاً أُعطيت المسلمة حق الإرث فهي ترث وتورث، يقول تعالى : ((لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ والأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً)) [النساء: 7].

وأما حقوقها ومساواتها مع الرجل في الأجر فقد بينه قوله تعالى : ((فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى)) [آل عمران: 195]. وقوله تعالى : ((إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ والْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)) [الأحزاب: 35]. وبعد ذلك: ماذا تريد المرأة أكثر منه تعالى : ((قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ(1)لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ)) [الكافرون: 1، 2].

فعلى المرأة المسلمة أن تقف سداً منيعاً إلى جانب الرجل المسلم في وجه ما يخطط للأمة الإسلامية من خلالها، فلا تكون عوناً لأعدائها وأعداء أمتها؛ بل يجب عليها أن تعي وتدرك ما يدور حولها من خطط لإبعادها عن دينها ورسالتها في هذه الحياة وتهميش دورها في بناء مجتمعها الإسلامي، وإشغالها بتوافه الأمور، وإضاعة وقتها في تتبع ما تبثه الفضائيات، وما تنشره المجلات الهابطة من عروض للأزياء وآخر الموديلات من مكياج وعطورات، ومتابعة أخبار الفنانين والفنانات!

إنه من المؤلم حقاً أن نرى إلحاح الإعلام المرئي والمقروء على جعل تلك الشخصيات الفنية قدوة لأخواتنا وبناتنا المراهقات.. وما كثرة استضافتهن على شاشات التلفزيون وصورهن على أغلفة المجلات وداخلها، غير تأكيد على ذلك؛ وكأن الدنيا قد خلت إلا من هؤلاء!

إن أكثر ما يغيظ الغرب هو تمسك هذه الأمة بدينها؛ فدعوتهم إلى تحرر المرأة المسلمة والمتمثل عندهم بخلعها الحجاب واختلاطها بالرجال حتى يعم الفساد في المجتمع الإسلامي ما هو إلا دليلاً كبيراً على ما يكنه الغرب لنا من عداء؛ فلن يهنأ لهم بال ولا يستقر لهم حال حتى نترك ديننا ونعيش بتبعية كاملة لهم منفذين رغباتهم وأمانيهم التي لا تنتهي إلا باتباع ملتهم كما أخبرنا به سبحانه وتعالى بقوله: ((وَلَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)) [البقرة: 120].

فالواجب على المرأة المسلمة أن تعود إلى إسلامها وتتمسك به بكل قوة، وتعيش تعاليمه كلها منهجاً وسلوكاً، وتطبقها على نفسها أولاً ثم على من هم تحت رعايتها. فلا بد أن تعلم المرأة المسلمة قبل كل شيء أن الإسلام كلّ لا يتجزأ؛ عقيدة، وعبادة، ومنهج حياة؛ فإذا أرادت أن تأخذ منه ما يطابق هواها وتترك ما يغايره فإن هذا ينقض العقيدة وسلامتها. يقول تعالى : ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)) [الأحزاب: 36]. لذلك يجب عليها أن تلتزم التزاماً كاملاً بما أمرها الشرع من حقوق وواجبات، والبعد عن كل ما نهاها عنه قبل أن يستشري الداء ويزيد البلاء، فيعمنا الله بعقابه في الدنيا من قبل أن نلقاه. كما قال تعالى : ((وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ)) [الأنفال: 25].

ومن الواجب على المرأة المسلمة أيضاً أن تعمل على تثقيف نفسها والتسلح بالعلم الشرعي، وذلك من خلال حضورها لبعض الدروس الشرعية المتاحة في مجتمعها، وسماعها للأشرطة المأمونة المتوفرة في السوق، وكذلك تلاوتها للقرآن وتدبر آياته وحفظ ما تيسر منه، وخصوصاً آيات الأحكام، وكذلك الآيات الكونية، والاطلاع على كتب التفسير والسيرة حتى يساعدها ذلك على أداء مهمتها في الدعوة لهذا الدين العظيم، ذلك الدين الذي جعلنا خير أمة؛ لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر كما قال تعالى : ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ)) [آل عمران: 110] فإن وجدت في نفسها الكفاءة والقدرة للدعوة لهذا الدين العظيم في محيط مجتمعها فينبغي ألا تدخر جهداً في ذلك؛ فهذا واجب عليها. فإن لم تستطع فبإمكانها الدعوة بين أقربائها وجيرانها، فإن لم تستطع فيكفيها أن تنشئ

أبناءها على العقيدة السمحة، وتربيهم التربية الصالحة، وتبث في نفوسهم حب هذا الدين والولاء له والبراء من أعدائه، وأن تشرح لهم معنى قوله تعالى : ((لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...)) [المجادلة: 22] لأننا اليوم في أمسّ الحاجة لكي يعلم أبناؤنا ما يخططه لنا الغرب الصليبي واليهود الحاقدون ومن شايعهم في محاولتهم الخبيثة لتذويب شخصية شبابنا المسلم في بوتقة الانحراف، وإبعادهم عن هويتهم الإسلامية الصحيحة؛ ففي هذه الظروف التي نراها الآن وتعيشها الأمة الإسلامية وقد تداعت عليها الأمم كما تداعت الأكلة على قصعتها، نرى أمتنا وقد هانت على أعدائها وتكالبوا عليها لتضليل أبنائها ونهب ثرواتها وخيراتها.. فهم كما نرى يصطنعون الأحداث في بلادنا ويضعون لها الحلول.. يخططون وينفذون ما يريدون؛ ففي مثل هذه الظروف يجب أن تتكاتف الأيدي جميعاً.

فلتكن المرأة المسلمة عوناً للرجل تسانده وتشجعه بالدعوة لهذا الدين والذود عنه، فلا تضيع وقتها فيما لا يعود عليها ولا على أمتها بالخير؛ فالعمر هو الوقت، والمسلم سوف يسأل عن عمره فيما أفناه، يقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن رزقه من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به)(2).

فعلى المرأة المسلمة الحذر كل الحذر من أن تقع في شراك أدعياء تحرير المرأة؛ فإنهم يهدفون من وراء ذلك الطعم اصطيادها وتحللها من دينها وقيمها وأخلاقها؛ وحينها تكون ذيلاً لهم وتابعة ذليلة لمناهجهم.

إن الأمر جد خطير؛ فلا بد من تعبئة كل القدرات وتهيئتها وتضافر الجهود وبذل الطاقات من أجل صحوة دينية نسائية صادقة هادفة تقوم على أسس هذا الدين ومبادئه؛ فقد آن الأوان لكي نرد لهذا الدين عزته، وللمؤمنين كرامتهم؛ فنحن أحق بأنفسنا من التبعية للأجنبي الغريب، بل نحن أحق بقيادة هذا العالم؛ لأن ديننا صالح لكل زمان ومكان، وهو ينشر العدل والأمن والسلام بين البشر وميزانه: ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)) [الحجرات: 13] و (لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى).

فللّه العزة ولرسوله والمؤمنين... ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

الهوامش :

(1) البخاري: كتاب الأنبياء، حديث (50) وكتاب الاعتصام، حديث (14). ومسلم: كتاب العلم، حديث (6).

(2) الترمذي: كتاب القيامة، حديث رقم (1).

مجلة البيان رقم العدد : 132 , رقم الصفحة : 24

==============

#أقوال منسية حول (التغريب)

احمد ابراهيم خضر

منذ العشرينيات من هذا القرن والباحثون الغربيون المتخصصون منشغلون بقضايا تغريب العالم الإسلامي بعامة ، وما يسمونه بمنطقة الشرق الأوسط بخاصة ولا يكاد يخلو أي كتاب أو أي مقالة تتعرض لحياة المسلمين من إشارة هنا وأخرى هناك لهذا التغريب ، إلى الدرجة التي حدت بهؤلاء الباحثين إلى القول:

"إن مظاهر التغريب عند شعوب الشرق الأوسط مشاهدة تماماً وبدرجة كافية وإنه لمن السهل عليك أن تضع قائمة طويلة توضح لك كيف أن هذه المظاهر التقليدية التي كانت سائدة منذ مائة أو مائة وخمسين عاماً قد اجتاحتها رياح التغيير ، واستبدلتها بقيم أدخلها الغرب".

لم يكن تغريب المسلمين مسألة متروكة لمجرد الاحتكاك بين الثقافتين الإسلامية والغربية، ثم متابعة آثار هذا الاحتكاك على الإسلام والمسلمين، إنما كانت سياسة موجهة ومدروسة تستند إلى تنظير خاص ، يعتمد في جزء كبير منه على تجارب الاحتكاك بين الإسلام والغرب في الماضي ، وعلى تجربة الثورة الصناعية وما تلاها من آثار على البناء الاقتصادي والاجتماعي والتقني الغربي ، ثم على تحليل مسألة اتساع الهوة بين هاتين الثقافتين بعد الثورة الصناعية؛ بسبب الاستقرار الثقافي في بلاد المسلمين، وتلك التراكمات التي أخذت مكانها في الغرب.

نظرية ومكاسب:

استندت عملية تغريب المسلمين إلى ما يسمى بنظرية (تشويش الأحكام القيمية) أو إيقاع الاضطراب في هذه الأحكام ، وتقوم هذه النظرية على الأساس التالي:

"هناك توازن وتوافق بين عناصر ثقافة المجتمع التقليدي المستقر جيداً ، بمعنى أن القيم التي تحكم وتسود هذا المجتمع تتسق وتؤيد واقعه المعاش ؛ ولهذا تتميز ثقافة هذا المجتمع بالتماسك والتوازن الداخلي.

ويمكن للواقع الثقافي أن يعير وأن يستعير عناصر من ثقافة أخرى مخالفة بصورة أكثر سرعة من استعارة القيم الثقافية ، ولهذا يصعب حدوث تغير في القيم في الوقت الذي يسهل فيه حدوث تغير في الواقع.

وعندما يحدث اتصال بين ثقافتين مختلفتين ، فيدخل واقع جديد إلى إحداهما يمكن هنا أن يتحطم التوازن القديم ، وتتغير القيم الثقافية بتغير الواقع الذي كانت تحكمه وإن احتاج الأمر إلى بعض الوقت ، بسبب هذه الصلة العاطفية التي يحيط بها المجتمع ثقافته الخاصة ، ومقاومته لإدخال أي محتويات ثقافية غريبة أو جديدة.

وهذا لا يعني بالطبع أن مكونات الواقع في ثقافة ما يمكن أن تزرع في ثقافة أخرى دون أن تسبب تغيرات في قيمها ، أو أن قيم ثقافة ما يمكن أن تفرض على الثقافة الأخرى دون أن تحدث تغيرات في مكونات هذه الثقافة ؛ لأن التناسق المحكم والاعتماد المتبادل بين مكونات الواقع والقيم الثقافية يجعل من غير الممكن أن تدخل تغيرات في واحدة منها دون أن تحدث تغيرات في الأخرى".

بهذه النظرية دخل الغرب إلى حياة المسلمين ساعياً بمختلف طاقاته الثقافية والعسكرية والاقتصادية والتقنية إلى إدخال واقع جديد يخص ثقافته هو على ثقافة المسلمين؛ ليحطم التوازن القائم بين واقعها وقيمها ، ويغير من قيمها حتى تصبح مناسبة للواقع الجديد الذي أدخله عليها ، ولقد حقق الغرب هنا مكسبين مهمين: أولهما أنه بتحطيمه لهذا التوازن المشار إليه أوجد هوة عميقة بين الإسلام والمسلمين ، ودمر الصلة العاطفية التي تربط المسلمين بإسلامهم والمكسب الآخر: أنه وهو يخترق هذه الهوة ليملأ الفراغ المترتب عليها حرك الأمور بالطريقة التي تمكنه من تحقيق مكاسب مادية ضخمة على حساب هذا الكيان المنهار.

سنقتصر في مقالتنا هذه على عرض وتحليل ثلاثة من عناصر هذا الواقع الجديد الذي أدخله الغرب على حياة المسلمين فدمر التوازن القائم في ثقافتهم.

أولا صنع هيبة الغرب:

لم يكن هذا الواقع موجوداً من قبل ، كانت العلاقة بين المسلمين وغيرهم تقوم على أساس "الإسلام والكفر،وجاء الغرب وأدخل واقعاً جديداً.. فبعد أن تمكن من إيجاد موطئ لأقدامه في بلاد المسلمين، أحاط نفسه وأهله بهالة من الهيبة والاحترام ، وفرض نفسه على النظام الاجتماعي القائم في بلاد المسلمين، وتقلد الوظائف القيادية، وساهمت حكومات بلاد المسلمين العلمانية في تدعيم هذه الهيبة ؛ بوضع أبناء المستعمر في مواقع قيادية مهمة وسمحت لهم بالحضور إلى مناسبات وطنية وغير وطنية ، لا يدعى إليها عادة إلا كبار رجالات الدولة وعلية القوم فيها.

وزاد الغرب من هيبته في عيون المسلمين بما أدخله عليهم من صناعات وتكنولوجيا ومعرفة في ميادين مهمة انفرد بها ، وكان نتيجة ذلك أن ظهر الغربيون للمسلمين على أنهم هم الأسمى وهم الطبقة العليا.

وهنا تغيرت القيم فأصبح الغرب وأهله هدفاً مرغوباً يسعى بعض المسلمين للانتفاع به ، كما ينتفعون بصناعاته ومنتجاته ، وسهلت هذه الهيبة عند المسلمين طريق محاكاة أسلوب الحياة والسلوك والأخلاقيات والاتجاهات الغربية ، ثم جاء الانهيار الكبير حينما قلد المسلمون الغربيين في فتورهم نحو دينهم وعدم مبالاتهم به وهو عين ما كان يهدف إليه الغرب.

يقول (روفائيل باتاي) أستاذ علم الإنسان في (دوبسيي كوليج) بفيلاديلفيا وجامعة كولومبيا في الخمسينيات من هذا القرن:

"... بينما تكشف لنا البدايات التقنية للتغريب عن هذا النجاح العالمي الذي حققته ، تأتي هناك عوامل أخرى أبرزها (نظام الهيبة الجديد) الذي تسرب الغربيون عن طريقه إلى قطاعات الناس المختلفة ، وتمكنوا من السيطرة والرقابة على الوظائف المهمة ، وفرضوا أنفسهم على النظام الاجتماعي ، وظهروا للناس على أنهم هم الأسمى وهم الطبقة العليا.

ليس من السهل أن نحلل المكونات المتعددة التي تصنع الهيبة الغربية ، لقد كان عنصر القوة هو العنصر الأكثر أهمية في أيام الاستعمار الأوربي ، إلا أن هذا العنصر قد استبدل الآن بمزيج متعدد المكونات: مثل الثروة ، وتملك الآلات والمعدات الغربية ذات الهيبة ، أو المعرفة الخاصة في ميادين ذات أهمية متزايدة كالطب والزراعة وغيرهما ، وشغل مراكز تحظى بالثقة والنفوذ تمنحها الحكومات المحلية للغربيين ، والسماح لهم بالحضور الحر في مناسبات معينة مثلما يسمح تماماً وبدرجة متساوية للقيادات العليا في الدولة. إن الهالة والهيبة التي تحيط بالغربي غلفت ثقافته تماماً ، فأصبح اكتساب الثقافة الغربية نتيجة لذلك هدفاً مرغوباً فيه اجتماعياً يفوق بدرجة كبيرة الانتفاع المعترف به لمنتجات هذه الثقافة".

وفي معرض حديثه عن تخلي المسلمين عن مناهجهم التقليدية في الطب واتباعهم لمناهج الطب الحديث يقول (باتاي) في وثيقته:

"إن البحث في الأسباب التي أدت إلى التغيرات في الاتجاهات العقلية التي سادت منذ قرون ، لا يجعلنا نرد هذه التغيرات العقلية إلى الاهتداء المفاجئ إلى التفكير الأكثر عقلانية ولكن إلى (الميل للغرب).. من أين أتى هذا الميل؟!

تكمن الإجابة على هذا السؤال في هذه الهيبة للغربيين وثقافتهم ، إن الهيبة التي يتمتع بها كل شيء غربي في عيون شعوب الشرق الأوسط أوجد فيهم نزوعاً إلى محاكاة كل الطرق الغربية ، إنه أدى إلى رغبة خانعة ليس فقط في الحصول على المعدات الغربية ، ولكن رغبة في تقليد السلوك والاتجاهات الغربية كذلك. لقد قبل الطب الغربي ليس لأنه أظهر أفضلية ولكن لأنه طب غربي ، تبنى سكان الشرق الأوسط ازدراء الغرب للممارسات السحرية وغير العلمية ، ليس لأن ذلك له قيمة فحسب ، ولكن لأنه أمر مؤكد جاء به الغرب (المهاب)".

وعن (اللامبالاة) وعدم الاكتراث بالدين التي قلد فيها المسلمون الغرب يقول (باتاي):

"... وهنا ظهر على المسرح (الغربي) المحمل بالهيبة والذي يحتل وضعاً أعلى ويحمل ثقافة تستحضر الرغبة في محاكاتها: أن هؤلاء الأجانب لا ينتمون فقط إلى دين مختلف ، ولكن اتجاهاتهم نحو دينهم المسيحي كانت فاترة فكان من الطبيعي أن

يقلد هؤلاء المعجبون بالطرق الغربية من مجموع ما قلدوه الفتور نحو الدين واللامبالاة به ، فأظهروا عدم الاهتمام بدينهم هم".

ثانيا علمنة الأسرة:

ينظر الغربيون إلى الأسرة المسلمة على أنها أسرة ممتدة ، والأسرة الممتدة في المصطلحات الغربية هي الأسرة التي تتكون بنائياً من ثلاثة أجيال أو أكثر ، وتضم الأجداد وأبناءهم غير المتزوجين والمتزوجين (أو بناتهم) وتضم أحفادهم كذلك.

سعى الغربيون نحو علمنة الأسرة المسلمة، وإلى أن تكون الأسرة الغربية وأشكالها الاجتماعية هي النموذج الجديد الذي يجب على المسلمين الاقتداء به. عمل الغرب على فصل الأسرة المسلمة عن الدين ، وذلك بكسر قبضة الدين من تلك الأسرة الممتدة وتقليص اعتماد الفرد عليها ، والقضاء على تكامله معها وتدمير سلطة الأب على أولاده ، وانفلات الأبناء من الأسرة ؛ حتى ينفلتوا من الجو الديني العام الذي يحيط بالأسرة ، والنظر إلى كل ذلك على أنه ماضٍ يجب أن يرفض.

يقول (باتاي):

"في الوقت الذي كان فيه التأثير المباشر للبعثات التنصيرية على الحياة الدينية في الشرق الأوسط تافهاً ، تميز الغرب بموقفه البارد تجاه الدين لأن الدين في الشرق الأوسط في ظل الظروف التقليدية هو طريقة كلية للحياة: التنظيمات المهنية هي تنظيمات دينية ، ارتداء الزي المحلي أمر يقره الدين الطب والتعليم مهنتان دينيتان ، سلطة الدولة نفسها تقوم على الدين، ليس هناك ترتيب هرمي في الإسلام كما هو في الكنائس المسيحية، وليس هناك قسيس أيضاً ، العديد من سكان الحضر منتظمون في دوائر دينية ، والكثير من العائلات سواء أكانت في الريف أو الحضر تحظى بتأييد المؤسسات الدينية ، أما أكثر المؤسسات التي تمسك بقبضتها على الفرد فهي الأسرة الممتدة ، اعتماد الفرد على أسرته وتكامله معها مسألة عالية الأهمية في ثقافة الشرق الأوسط إلى درجة أنها تعد ثقافة القرابة، الأسرة هنا مؤسسة دينية يعضدها الدين ، أي أن الدين يعضد الأسرة ، وهي بدورها تعضد الدين.

ولما جاء التغريب أحدث انهياراً في السلطة الأبوية ، وحطم الأسرة الممتدة وغيّر نظام الاقتصاد العائلي بسبب حركة الهجرة من القرية إلى المدينة إلى نظام اقتصادي

يقوم على علاقات غيرشخصية ، أصبحت الأسرة الغربية وأشكالها الاجتماعية نموذجاً يحتذى به بين الطبقات العليا والوسطى ، ولم يترتب على هذه الأمور مجرد تغير جوهري في طبيعة الحياة الأسرية ذاتها فقط ، وإنما ترتب عليها أهم من ذلك كله وهو (علمنة الأسرة) وابتعادها عن الدين ، فحينما ينفلت الشاب من قبضة أسرته كان يخلف وراءه هذا الجو الديني الهام الذي كان يحيط به فيصبح رفضه لهذا الجو جزءاً من رفضه للماضي ، ولهذه الأسرة التي تحكم قبضتها عليه.

ثالثا الحياد الموجه للمشروعات الاقتصادية والفنية الغربية:

هناك الكثير من المشروعات الاقتصادية والفنية الغربية العاملة في البلاد الإسلامية مهمتها الأساسية استنزاف خيراتها وربطها بالغرب،ولقد حرص الغربيون وهم يدخلون هذا الواقع الجديد إلينا هذه المشروعات على تجنب الخوض المباشر في أي موضوعات تتعلق بالعقيدة الإسلامية ، وتركوا هذه المهمة للبعثات التنصيرية بالرغم من تسليمهم بمحدودية عائدها وللشيوعية لكنهم أي الغربيين أولوا الشيوعية اهتماماً وثقلاً أكبر ، فهي في نظرهم التهديد الحقيقي الخطر على عقيدة المسلمين الذي يمكن أن يطيح بتوازنهم الاجتماعي الثقافي ، وقد تركزت الجهود على إقناع المسلمين بأن الشيوعية لا تتطابق مع الإسلام فقط بل إنها التعبير الحقيقي للشكل النقي من الإسلام في أصوله الأولى! ولا يهم هنا أن يكون نظام الحكم القائم في بلاد المسلمين شيوعياً بقدر ما يهم تدمير بنائهم الاجتماعي الثقافي الكلي.

يقول (با تاي):

"تميز مدخل الغرب في الشرق الأوسط في السنوات الأخيرة بصفة خاصة بالاعتناء الشديد بتجنب الخوض في أي قضايا أيديولوجية ، والتركيز على الناحية الفنية فقط بالنسبة للمشروعات الاقتصادية والفنية وما هو على شاكلتها ، دخلت هذه المشروعات إلى الشرق الأوسط عبر الولايات المتحدة والأمم المتحدة ومعها توجيه أساس بعدم التدخل في القيم والأيديولوجيات الخاصة بالبلاد.

لكن الأمر يختلف بالنسبة للبعثات التنصيرية ، فليس أمر الكف عن التدخل الأيديولوجي موضع حرية اختيار هنا ، إلا أنه يجب أن يوضع في الاعتبار رد فعل المجتمع الإسلامي للمحاولات المكشوفة لتنصيره ، لقد نجحت البعثات التنصيرية في

علاج عشرات الآلاف من المسلمين ، كما علمت الآلاف من مرضى الأطفال المسلمين ، وربما أثرت بسلوكياتها ومثلها على النظرة الأخلاقية للعديد من المسلمين، ورغم ذلك فإن الذين تحولوا إلى النصرانية قلة قليلة. إن الدين في الشرق الأوسط يشغل وضعاً محورياً في بنائه ؛ ولهذا يعتبر التنصير عند المسلمين ردة يترتب عليها أن ينفصل المسلم إذا تنصر عن الأسرة والمجتمع والقيم الثقافية ويتعرض لنبذ أصدقائه والمحيطين به ، وأهم من ذلك كله أن اعتناق الإسلام اعتقاداً ثابتاً لا يهتز والنظرة إليه على أنه الدين الحقيقي يعني أن الردة عنه غباء كامل.

رابعا تغريب النخبة:

عمد الغرب بهذا الواقع الجديد إلى ضرب التوازن المستقر الذي أوجده الإسلام بين طبقات المجتمع المختلفة وإلى تمزيق الشرايين الحيوية التي تجري بين الطبقات العليا والدنيا وإيجاد تناقضات بينها ، إلى أن ينتهي الأمر بأن تنظر الطبقة العليا إلى الطبقة الدنيا على أنها جماعة من المتخلفين البدائيين الذين يمثلون ما يسميه الغرب "بالوجه الفقير لثقافة الإسلام التقليدية".

وحتى تتسع الهوة بين هاتين الفئتين عمد الغرب إلى ما يلي:

1- تغريب واحتضان الطبقة العليا التي تملك المال الوفير والفرص المتاحة للسفر والاتصال بالغرب وشراء منتجاته وتبني نمط حياته ، ثم استغلال الدافع الكامن عند الطبقة الدنيا التي تسعى إلى تسلق السلم الاجتماعي لتكون قريبة من الطبقة العليا بإتاحة الفرصة لها لاكتساب الخاصية التي تفردت بها هذه الأخيرة.

2- تدمير الجسر الثقافي الذي يربط بين الفئتين السابقتين بتحويل الطبقة العليا إلى جماعة من المستهلكين الشرهين لكل ما هو مستورد وقادم من الغرب ، بعد أن كانت هذه الطبقة تستخدم أحسن وأجمل وأفضل القوى الثقافية المتوافرة في الأرض الإسلامية ، لقد كان هذا الاستخدام في حد ذاته أساساً من أسس توحد الطبقة العليا في المجتمع مع باقي الطبقات.

لم يكن تغريب الطبقة العليا إلا أحد أوجه سلسلة الواقع الجديد الذي أراد به الغرب ضرب التوازن الاجتماعي المستقر في البلاد الإسلامية، وهناك وجهان آخران: أولهما إيجاد طبقة جديدة من العمال الحضريين المحرومين ، ولقد جندت هذه الطبقة

من المدن ومن الريف ؛ لدفع عجلة التصنيع الفجائي والمفروض الذي أدخله الغرب على عالمنا الإسلامي ، لقد عاشت هذه الطبقة ظروفاً صعبة وقاسية ولم يكن المهم أن تعيش هذه الظروف فقط ، وإنما كان المهم أن تحرم من الإشباعات العاطفية والروحية التي يمنحها الدين والأسرة الممتدة لأفرادها. كان تجنيد هذه الطبقة من الريف لتحقيق هدف مهم آخر سعى إليه الغرب وهو إيجاد ما يسمى (بثنائية الريف المدينة) حيث القدر الأكبر للمدينة وكل ما قدم منها ويرمز لها ، مع الحط من قدر الريفيين والعمل على هجرتهم إلى المدينة لتشكيل الطبقة الجديدة وتركيز المهنيين (الغير مهمين) والمثقفين في المدينة على حساب المهنيين الذين تشتد الحاجة إليهم كالأطباء والمهندسين وغيرهم.

هذا هو الوجه الأول ، أما الوجه الثاني: فقد كان تدعيم الطبقة الوسطى وإضافة فئات أخرى لها تشابه أكثر وأكثر مثيلتها في البلاد الغربية ، ويعهد إليها بمهمة التطوير الثقافي للبلاد لحساب الغرب.

خامسا إدخال الصناعة والتكنولوجيا:

لم يكن التصنيع (الحديث) والتكنولوجيا واقعاً قائماً في بلاد المسلمين فجاء الغرب وأدخلهما عن عمد كواقع جديد بهدف إحداث اضطراب خطير في النسيج المكون لثقافة المسلمين أولاً ، ولضمان تبعية المسلمين له واستنزاف خيراتهم بطريقة عصرية ، لأن الطرق القائمة لا تسعفه في تحقيق هذا الاستنزاف.

دمر الغرب الصناعات المحلية، وقضى على المهن التقليدية، ونشر بضائعه الاستهلاكية ، وأرغم الصنّاع والحرفيين إما على الخروج من الساحة والانضمام إلى ركب العمال الحضريين، أو تعديل خبرتهم الفنية بحيث ينتجون بضائع ذات نمط غربي يعرف الغرب أنها لن تقوى على المنافسة أمام بضائعه التي تستخدم التقنية الحديثة العالية الجودة المعدلة وفقاً لأذواق المسلمين ، ثم نافس الغرب بعد ذلك المشروعات الصناعية القائمة ، وأدخل مناهجه الغربية في إنتاج ما يصنع محلياً.

اعتقد المسلمون أنهم وهم يستخدمون المعدات والتقنية الغربية قد وصلوا إلى مرحلة من التقدم الاجتماعي ، وأن التغير الذي حدث عندهم بسبب هذا الاستخدام تغير محدود لن يؤثر على قيمهم الأساسية ، ولم يدرك المسلمون وهم في وهم هذا التقدم

أن الغرب قد وقف بهم عند حد (طريقة الاستخدام) ولم ولن يصل بهم أبداً إلى (طريقة الإنتاج).. لم يكن المسلمون وهم يستخدمون الصناعة والتقنية الغربية يقفون عند الحدود الشرعية التي تحدد لهم الفرق بين الانتفاع بالثقافة وبين التأثر بهذه الثقافة ، في حين أن الغرب كان يعلم تماماً أن استخدام أي عنصر ثقافي غربي لابد وأن يؤدي بالضرورة إلى استخدام عنصر آخر ، وهكذا إلى أن ينتهي الأمر إلى تبني طريقة الحياة الغربية ذاتها.

حال الغرب دون تمكين المسلمين من صناعة الآلات التي توجد فيها باقي الصناعات ، فلم توجد لدينا المصانع التي تصنع الآلات من (موتورات) وخلافه ولم تتوفر لدينا آلات من صناعة البلاد تمكننا من صناعة باقي المصانع ، ولقد أعاق الغرب صناعة الآلات في بلاد المسلمين بحجة أنها تحتاج إلى وقت طويل وأنه لابد لنا من صناعة الحاجات الأساسية ، فانصرف المسلمون إلى الصناعات الاستهلاكية وأصبحت بلادهم سوقاً لمصانع أوربا وأمريكا ، وأرسلت أكثر البعثات إلى الخارج لا لتعلم صناعة الهندسة الثقيلة وصناعة الفولاذ ، ولكن لدراسة الآداب واللغويات والعلوم الإنسانية والاجتماعية التي توسع الهوة بين المسلمين وثقافتهم ، فانصرفت البلاد إلى صناعة المنسوجات والورق وخام الحرير ، وأهملت صناعة الآلات.

وبدلاً من استقدام خبراء صناعة الآلات استقدمت الخادمات والمربيات الأجنبيات ، صاغ الغرب لنا كتبنا خاصة في النمو الاقتصادي ، فجعلنا نعتقد أننا لابد وأن نسير في عدة مراحل وبشروط معينة حتى نصل إلى مرحلة التقدم فأطال أمامنا أمل تسلم زمام رأس الصناعة ومنبعها وهو (صناعة الآلات).

أجبرنا الغرب على شراء المصانع والآلات منه وبثمن باهظ ، وإذا أصيبت الآلات بعطب أو كسر اضطررنا لاستقدام خبرائه لإصلاحها أو استيراد الآلة منه وإلا تعطلت المصانع كلية.

لم تكن لبلاد المسلمين سياسة اقتصادية محددة في أن تكون هذه البلاد (صناعية) بمعنى (أن تصنع الآلات)، ولهذا لم تخلص بلادنا حتى الآن ولم تستغنِ عن الغرب لكنها أصبحت بدلا من ذلك أكثر ارتباطاً به وبمنتجاته وآلاته والأهم من ذلك كله بطريقة الحياة الغربية.

يقول (باتاي):
ما أن وجد الغربيون لأنفسهم قدماً في قلب الشرق الأوسط حتى بدأوا في إظهار (تكنولوجيتهم) ونشر مظاهر معينة منها عمداً وعرضاً بين السكان المحليين. إن المظاهر التكنولوجية للثقافة هو إيسر ما يمكن أن يستعار، وهذا صحيح فقط عند النظر إلى (استخدام) المنتج التكنولوجي وليس (إنتاجه). إنه يصعب عليك أن تصنع مضخة مياه تعمل بمحرك لكنك تستطيع في دقائق قليلة أن تتعلم كيف تستخدمها، وأن تتعرف على مزاياها التي تفوق استخدامك للأسلوب القديم لرفع المياه عن طريق (الشادوف).

إن قبول سكان الشرق الأوسط للتكنولوجيا الغربية بالإضافة إلى إمكانيات نقلها ووظيفتها الكبرى كمؤشر هام للتقدم ، قد تيسر بواسطة حقيقة مؤداها أنها لا تشغل وضعاً مهماً في ثقافتهم الخاصة.. وبمعنى آخر إن شعوب الشرق الأوسط مثل أصحاب أي ثقافات أخرى لم ترَ أن مجرد التحول إلى استخدام المعدات الغربية يعنى أن قيمهم الأساسية سوف تتأثر، بل رأت أنه مجرد تغير ذو أهمية قليلة ، وأخيراً أدركت بعد أن فات الأوان أن قبول أي عنصر ثقافي غربي منفرد يؤدي إلى قبول عناصر أخرى أكثر وأحدث فتكون النتيجة إحداث اضطراب خطير في النسيج الحيوي المكون لثقافتهم التقليدية.

إن مقارنة نمو التصنيع الغربي بتصنيع الشرق الأوسط يبين لنا أن تصنيع الأخير كان محدوداً وفجائياً ، بالإضافة إلى أنه مفروض من الخارج ، ولم ينمو عضوياً في بيئته المحلية ، ولهذا كان من المحتمل أن يصاحب بتوترات قاتلة يترتب عليها انهيار الأشكال التقليدية من التفاعل الاجتماعي الذي تميزه العلاقات الشخصية والأسرية وانتشار المكانات الموجهة قرابياً ، وتحوله إلى الأشكال الغربية من التفاعل الاجتماعي الذي يقوم على العلاقات غير الشخصية".

هذه خمسة عناصر من عناصر هذا الواقع الجديد الذي أدخله الغرب على حياة المسلمين لتغريبهم وتدمير التوازن القائم في ثقافتهم ، وتندرج جهود الغرب هذه تحت قوله عز وجل ((ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفَاراً حسداً من عند أنفسهم من بعدما تبين لهم الحق))(1) ، وتشير الوقائع السابقة إلى أن الغرب قد

نجح إلى حد بعيد في جهوده تلك رغم التحذير الذي وجهه الله عز وجل للمسلمين من اتباع سبيل الكافرين كما جاء في قوله تعالى: ((ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم))(2)، وقوله تعالى ((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم))(3) وقوله تعالى: ((لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوآدون من حاد الله ورسوله))(4)... إلى غير ذلك من الآيات.

لكن نجاح الغرب في تغريب المسلمين لم يكن راجعاً إى كفاءة تنظيره المدروس الذي أسماه (تشويش الأحكام القيمية) ، فليس هذا التنظير كما يخيل للبعض بجهد إبداعي خلاق يضيف هيبة أخرى إلى هيبة الغرب الحالية في عيون المسلمين. إن هذا الجهد يتضاءل أمام قاعدة ابن تيمية رحمه الله التي يقول فيها: "إن المشاركة في الهدى الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى موافقة في الأخلاق والأعمال... فإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والموالاة ، فكيف بالمشابهة في أمور دينية.. فإن إفضاء هذا النوع من الموالاة أكثر وأشد والمحبة والموالاة لهم أي اليهود والنصارى تنافي الإيمان"".

ويرجع نجاح الغرب في تغريب المسلمين إلى سببين أساسين:

الأول: أن هذا هو قضاء الله عز وجل النافذ فيما أخبر به رسوله –صلى الله عليه وسلم– مما سبق في علمه ، فقد قال –صلى الله عليه وسلم–: (لتتبعن سنن من قبلكم حذو القذة حتى لو دخلوا مجر الضب لدخلتموه ، قال يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال فمن؟)(5).

الثاني: ضعف إيمان المسلمين: الله سبحانه وتعالى ضمن نصر دينه وحزبه وأوليائه القائمين بدينه علماً وعملاً ، يقول ابن القيم رحمه الله في ذلك: "فإذا ضعف الإيمان صار لعدوهم من السبيل بحسب ما نقص من إيمانهم فهم جعلوا عليهم السبيل بما تركوا من طاعة الله تعالى ، فالمؤمن عزيز غالب مؤيد منصور مَكْفيٌ مدفوع عنه بالذات أين كان ، ولو اجتمع عليه من بأقطارها ، إذا قام بحقيقة الإيمان وواجباته ظاهراً وباطناً.. وقد قال الله تعالى للمؤمنين ((ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن

كنتم مؤمنين))(6) ، وقال تعالى: ((فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم)) (7).

فهذا الضمان إنما هو بإيمانهم وأعمالهم التي هي جند من جنود الله يحفظهم بها ولا يفردها عنهم ويقتطعها عنهم فيبطلها عليهم كما يتر الكافرين والمنافقين أعمالهم إذا كانت لغيره ولم تكن موافقة لأمره.

الهوامش :

*انظر تفصيلا: RAPHAEL PATAI, THE DYNAMICS OF 9WESTERNIXATION THE MIDDLEEAST JOURNAL, V. .16-1, PP. 1955, WINTER 1NO.

(1)سورة البقرة ، آية 109.

(2)سورة النساء ، آية 115.

(3)سورة المائدة ، آية 51.

(4)سورة المجادلة ، آية 22.

(5)أخرجه الترمذي ، كتاب الفتن ، وابن ماجة ، كتاب الفتن.

(6)سورة آل عمران ، آية 139.

(7)سورة محمد ، آية 35

مجلة البيان رقم العدد : 78 , رقم الصفحة : 37

=============

#"مهاتير" لليابانيين: التغريب والأمركة ستحطمكم!

كوالالمبور – صهيب جاسم – إسلام أون لاين/ 19-1-2001

"إن سبب أزمتكم الاقتصادية التي تبدون عاجزين عن حلها يعود كليًّا إلى محاولتكم تبني القيم والسلوكيات الغربية".. هكذا فاجأ رئيس الوزراء الماليزي د. مهاتير محمد اليابانيين في أول حديث لمسؤول أجنبي رفيع المستوى في طوكيو عن التغريب وأثره في الأزمات التي تعاني منها اليابان اقتصاديًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا، والتي تتعمق يوما بعد يوم، وهو ما اعتبر نظرة مختلفة عن كل ما قيل من أحاديث المسؤولين الأجانب

واليابانيين في توصيف الأزمة في اليابان، كما علق مراقبون على ذلك بأنه ينبع من كونه مسلما؛ حيث يتميز المسلمون باهتمامهم بقضية التغريب بشتى أشكاله.

وكان قد واصل مهاتير زيارته إلى اليابان يوم الخميس 18-1-2001 حيث زار مصنعا لشركة شارب، وكلية للإعلام والوسائط المتعددة؛ حيث حضر أحد الفصول ليطلع على الأسلوب الدراسي؛ لينقل التجربة لبلاده، لكن الذي لم تسلط وكالات الأنباء الغربية أضواءها عليه خلال زيارته وهو الأهم هو ما جاء في كلمته عن التغريب واليابان والتي تحدث خلالها في صميم الأزمة، بالرغم من أن ذلك كان مقدمة لكلمته التي ألقاها أول أمس الخميس 18-1-2001 عن "أهمية الدور الياباني في نهضة آسيا" في المؤتمر الدولي لصحيفة ماينيشي شيمبون اليابانية، والتي تسلمت إسلام أون لاين نسخة منها.

وكان المنظمون للمؤتمر قد طلبوا من مهاتير أن يتحدث عن تعزيز التفاهم بين اليابان والدول الآسيوية الأخرى؛ لكنه بدأ كلامه عن الحضارة اليابانية المعاصرة بتذكيرهم بسنن الكون في تاريخ الأمم من نهوض وانحدار، مشيرا إلى "الحضارات العظمى وهي في أوج قوتها، كان أصحابها يظنون أنهم باقون بقوتهم إلى الأبد، كالحضارات الفارسية، والرومانية، والمغولية، والإغريقية.. وبريطانيا العظمى التي كانت توقع معاهدات مع ملايا تدوم ما دامت الشمس والقمر والنجوم... لكننا نعلم أن كل هؤلاء قد اندحروا.."

للتغريب جذوره في اليابان:

ومن هنا بدأ مهاتير يتحدث عن أصول التغريب في المجتمع الياباني منذ أيام حكم إمبراطورية ميجي عندما بدءوا لبس الملابس الغربية إلى اعتماد الأنظمة الغربية في إدارة بعض أجهزة الدولة وقال: "واليوم تنسخ اليابان من الغرب الأيدلوجيات، والأنظمة الاقتصادية، والإدارية، وإنني أخشى أن يتكرر ما حصل عندما تحطمت الإمبراطورية اليابانية بنهاية مأساوية؛ لأن نقل الأيدلوجيات الغربية وأنظمتهم قد تأتي بنفس النتيجة". وأضاف:" إن اليابان اليوم تنسخ من الولايات المتحدة باعتبارها بلدا ديمقراطيا وحرا عظيما، فهم حررونا من اليابانيين عندما كسبوا حرب المحيط الهادي(الحرب العالمية وما بعدها) وكنا نظن أننا سنبقى مائلين لأمريكا إلى الأبد،

لكن الأمريكان لم يعودوا مُحرِّرين؛ فقد تغيروا وأصبحوا سُلْطَوِيِّين.. إنه من المحزن أن نرى السفارة الأمريكية اليوم في كوالالمبور محاطة بسياج من الإسمنت المسلح، وهو ما لم يكن معروفا إلا عن السفارتين السوفيتية والصينية..".

ثم بدأ بمهاجمة المقلدين لأمريكا قائلا: "لماذا يريد الكثيرون أن يصيبوا أمريكا بالضرر؟! فإذا كان الأمريكان غير محبوبين ومكروهين؛ فهل يستحقون منا تقليدهم؟!.. نحن نعرف أن اليابان مدينة لأمريكا؛ ولكن خمسين عاما مدة طويلة على اليابان أن تبقى بعدها ملتزمة أخلاقيا لأي أحد.. وإذا كان هناك الكثير من الأمور التي على اليابانيين اتباع أمريكا فيها؛ فهناك الكثير من الأمور التي عليها رفضها أيضا، مع أنه ليس كل شيء أمريكي سيِّئًا" فالأمريكان علموا اليابانيين الانتقال من الصناعات الرخيصة إلى التقنيات الحديثة.

مخالفة الغرب سبب النهوض:

ثم امتدح استقلالية بناء النظرية التسويقية لليابانيين في بداية النهوض، والذين طوروا من النوعية وحافظوا على تنافسية السعر خلافا للأمريكان؛ مما ساعد الدول الفقيرة على استخدام التقنيات الحديثة بسعر مناسب، وحرك النمو الياباني " لكن الغرب لن يتسامح مع اليابان بسب غزوها البضائعي لأسواق أوروبا وأمريكا، غير أن الدول الفقيرة كانت ممنونة لليابانيين الذين لولا انتشار سياراتهم؛ لبقيت الكثير من الشعوب تعيش حياة بدائية ..". وضرب مهاتير مثالا بمساعدة اليابان لماليزيا في التحول الصناعي حتى أصبحت 85% من صادراتها الحالية من القطاع الصناعي.

ثم قال: "ما الذي استفدناه نحن من النموذج الياباني في تطوير وتحديث القدرات الصناعية؟ هو أن عليك ألاَّ تتعلم كل شيء من الغرب بشكل كامل.. انسخ النوعية والجودة ولكن لا تقلد سياسة التسعير مثلا.. ولو تغربت اليابان كليا في سياساتها لما استطاعت أن تتنافس في السوق العالمية.. وبالحفاظ على إستراتيجية تسويقية يابانية فريدة استطاعت اليابان أن تصبح ثاني أكبر اقتصاد في العالم".

التغريب بداية التحطيم!:

وبعد كلامه عن بداية النهضة الصناعية في اليابان في النصف الثاني من القرن العشرين، بدأ تحذيره لليابانيين من مستقبل مجهول بقوله : "إن اليابان اليوم تريد تقليد

الغرب 100%، في السياسة والاقتصاد والإدارة المالية.. فاليابان اليوم تتخلى تدريجيًا عن كل سلوكياتها السابقة لصالح المناهج والمعايير الغربية، لقد ألغى كثير من اليابانيين مبدأ العمل طوال الحياة، والتعاون بين الحكومة والقطاع الخاص، والتعاون الإقليمي، وغير ذلك، حتى الشباب الياباني يريد أن يصبح أشقر وغربيًّا، وأن يقلل من ساعات العمل، ويزيد من ساعات اللهو، وأما الثقافة اليابانية الشرقية؛ فإنها ترمي وتتبنى الثقافة الغربية بما في ذلك إهمالها للورع الديني والانضباط".

ثم رمى بجملته التي جاءت كالصاعقة في آذان التغريبيين من اليابانيين:" إن سبب أزمتكم الاقتصادية التي تبدون عاجزين عن حلها يعود كليًّا إلى محاولتكم في تبني القيم والسلوكيات الغربية، لن يكون الضرر كبيرًا لو حصل ذلك بتدرج، لكن اليابان تريد التغيير والتغريب في يوم وليلة.. ومع أن التغيير دائما يحدث اضطرابا؛ لكن التغيير العاجل يسبب اضطرابًا لكل شيء، ليس كل ما في اليابان والأساليب اليابانية في الحياة سيئًا فلقد نفعت ثقافة اليابان شعبها كثيرا، وما زالت قادرة على العطاء لو ثبت الحسن منها، وتخلى عن السيئ.. وبعد كل هذا.. لنتدبر كم من المرات في التاريخ ثبت لنا أن الغرب كان مخطئًا؟!..".

أخذ الحسن ورفض السيئ من الغرب:

وقال مذكرا بأوج عهد الشيوعية والاشتراكية ثم التخلي عنها: "يوما من الأيام سينتقد الغرب ويتخلى عن جنونه في ليبراليته وسوقه الحرة، ولكن تكلفة ذلك ستكون باهظة للذين حاولوا بلع تلك الأفكار والأنظمة بدون تفكير.. فعلينا جميعا أن نفكر في الديمقراطية الليبرالية والسوق الحرة تماما في العالم غير المحدد بحدود جغرافية لنقرر ما الذي علينا أن نقبله منها وما الذي علينا أن نعدله ثم نتبعه أو ما الذي علينا أن نرفضه تماما " وقال :"إن علينا أن نختار الحسن ونرفض السيئ ففرض الصيغ الغربية لم ينفعنا فالعولمة كمثال تبدو رائعة لكنها بشكلها الحالي لا تنفع إلا الغني وتضر الفقير". وكانت بقية حديثه بالتفصيل عن ضرورة إحياء وتدعيم الدور الياباني في جنوب شرق آسيا في التحول من الاقتصاد التصنيعي الذي عايشته في العقود الماضية إلى الاقتصاد التقني في عصر العولمة

المصدر http://www.islamonline.net

============

#العصرانيو ن و ضرورة الحجر عليهم

بقلم/ أبي عبدالعزيز النجدي-بريدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول رب العالمين ..

أما بعد ..

ففي ظل إلحاح أبله وتعد مستغرب على التخصص من قبل من يدعي التعقل والفهم وإنزال الأمور منازلها على فصول لا يعقلها .. إنها لمصائب تترى .. وانه لفضول ممجوج .. إن احترام الذات ووضعها على الوجهة المطلوبة شرعا وعقلا لأمر يحمد عليه صاحبه ..

والرسالة الموجهة إلى هؤلاء لا تعني طرح راجح في خلاف محسوم شرعا .. بقدر ما تعني في لبها ذلك التعدي الأهوج على تخصص الآخرين .. إذ ليس من المعقول أن يسمح لكل أحد أن يبحث في أمور هي ليست لكل أحد .. وليس من الحق أن يُساق استفسار في قضايا حساسة يخُاض غمارها عن جهل واضح ..

ما كان لهؤلاء إلا أن يذعنوا لرأي الموقعين عن رب العالمين ..

أسفي على أولئك ونحن نعرفهم بأساليبهم وفكرهم المتحرر عن ثوابت الدين تحت ضغط الواقع أو الشهرة أو الهوى أو الجهل ، أن ينتهوا حيث انتهى سلفهم .. إذ ليسو هم اعلم ولا افقه ولا أدرى ببواطن الأمور و ظواهرها من سلفنا .

وأسفي أن يتولى أحدهم قضية يصوغها بأسلوب عار تماما عن أساليب البحث العلمي .. والذي كان من السهل عليه أن يدعها إلى من هو افقه واعلم منه ، بادعاءات مضللة وحجج واهية تحت راية الأخذ بالدليل وحرية الرأي والفكر ..

إن المشروع الإسلامي في نقد الضلالات وتمييز الخبيث من الطيب يحتم علينا جميعا أن نكون على قدر من المسؤلية من جهة التبيين والإيضاح ، ومن جهة الوقوف أمام زحف الجهلة .. و إلزام النفس ما ليس لها بلازم من قبل هؤلاء جدير أن يسقط جميع المشاريع الإسلامية .

والمطلوب من قبل فئة متطفلة على العلم و أهله أن تكون على قدر حسن من المتابعة لأوامر الدين وخوف من رب العالمين و إحسان التصرف مع النصوص الشرعية وسؤال العلماء عن المشكلات والرجوع إلى بيان أهل العلم الموثوقين من المتقدمين والمتأخرين .

إذ ليس من المعقول ولا من المنقول أن يصادر عقل المسلم بأساليب ناشزة هي عبارة عن تهويشات

وتلميحات عن طريق الحشد الخاطئ لبعض المصطلحات غير المرعية شرعا ولا عقلا ..

إنها ظلمة نتجرع غصص أزمتها حينا بعد حين ..

إن الرزية كل الرزية يا أحبتي أن اعنيَ بحديثي هذا فئة محسوبة على الدين و أهله ..

والواقع المشهود يلاحظ ظهور نبتة سيئة رديئة تصوغ الفساد على أنه الدين .. بسلوكها طريق أهوج من خلال مواقع إعلامية تافهة مشبوهة . إنها لهزيمة مشهودة (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) .

والمواجهة ضد طغمة إنزال الفساد بقالب الدين ضرورة قصوى ..وإن تترك فلسوف تتخبط في أصول الدين وفروعه ..

كنا منذ سنوات قريبة وما زلنا نشكوا من نشوء جهات مشبوهة .. تحاول جاهدة القضاء على الصحوة الإسلامية بطرق شتى تحت مظلة مقنعة بأقنعة شتى ، هذه النبتة الجديدة الفاشلة تسير بسير بعض تلك الجهات شبرا بشبر وذراعا بذراع ، وان كانت تتغير الوجهات والطرائق (إذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم) .. إلا أن الغاية واحدة ، وهي القضاء على الدين من خلال القضاء على علمائه والتشكيك في ثوابته ..

وهذه النبتة الرديئة الجديدة تفترق عنها بتقربها لبعض دعاة الإسلام حيلة منها لسحبهم إليها ، وتعزيزا لمنهجهم الفاسد ..

إن الصحوة الإسلامية والتي فرضت نفسها .. جعلت من لا يرضى عنها أن يرضى بها رغما عنه .. وجعلت من الواقع المشهود مواقع إسقاط وتساقط من يحاول أن يقف في طريق هذه الصحوة المباركة

وليعلم أن أفكار هؤلاء نتيجة إفرازات فكر المستشرقين الغربيين ..ونتيجة لتتلمذ هؤلاء على كتب أهل الفلسفة والاعتزال .. ونتيجة لرسم أهل الحداثة لهم شعروا أم لم يشعروا وهم يحاولون كسر طوق قواعد أهل السنة في محاربة البدعة .. مع استصحاب الجهل والتعالي على الآخرين .. ونتيجة تطبيل جهلة هم كالذي ينعق بما لا يفقه .. ونتيجة انتكاسات دينية مصورة بصورة الفقه الميسر .

إنها يا أحبتي سلسلة القضاء على الدين عن طريق خلخلة مناهج أهل السنة بالحكم على الأشخاص وإسقاطهم باسم علم الجرح والتعديل ..وباسم إعادة النظر في كتب العقائد .. و باسم إعادة النظر في كتابة التأريخ الإسلامي .. وباسم حرية الرأي والفكر وإظهار الخلافات الفقهية للناس ..و باسم تنقية كتب السنة عن ما داخلها من الإسرائيليات والكذب .. و باسم نبذ التمذهب ..

وهلم جرا .

إنها شعارات ظالمة متجنية متنحية عن الحق والعدل والصدق في القول ..

اللهم انصر دينك ..

والمطلوب من هذه الطغمة الفاشلة أن تعي الواقع ، وان تعي كيف تعايش هذا الواقع .. وأن تعلم أن هذه الزعزعة لا تنطلي على عوام المسلمين فضلا عن خواصهم ، مهما زُين لها .

ومن جملة من أتحدث عنهم من أمثال تلك الفئات الفاشلة من تسعى إلى رسم نفسها عن طريق الرقي على أكتاف بعض أهل العلم إما بتصنيفهم بأنهم ينتمون إلى بعض الجماعات وقد رأينا ما تقوم به هذه الزمرة من إلصاق التهم والتجني واختلاق الأكاذيب عليهم .. و باتهام بعضهم بنصر فكر الخوارج من خلال قراءة مذهب الإرجاء ..

والإشكال أن هذه الفئة لا يقطعها عن مخاصمة الناس قاطع ولا رادع ، فسبحان من ركب هذه العقليات بتلك الصور .

والرسالة الموجهة إليهم أيضا أن يعوا انهم في مستنقع مليء بالجراثيم .. وانهم أصحاب فشل ذريع و نبتة سيئة رديئة .. لا تكاد ترقى بنفسها ولا أن تغير من مجريات حياتها ..

نعم .. أقولها و أنا اعلم جيدا من هو هذا الجيل الفاشل ..

و المرارة التي يكابدها الشخص .. انك تجد من يريد أن يقحم نفسه بعقبات لا يحتملها .. علما أن جزءا ليس بالقليل من هؤلاء يحتاج إلى إعادة نظر في تكوين عقليته وتركيب تفكيره .. ومنطقه العام .. وجزئيات حياته ..

و النوازع الغريبة التي تتسنم عقلية فئة من الناس لم تتجاوز القنطرة كتلك الفئة .. تحيلك أحيانا إذا لم تكن على إدراك لواقعها .. ولم تكن صارفا لنفسك عنها .. تحيلك إلى هوس فكري متجن ، ذي صبغة مكتئبة

وان كان الأولى أن تعيش تلك الفئة في محاورها البيئية الذاتية فلا تتعداها .. إلا أن الدفع لها تحت ضغط الحاجة أو التعالي أو الهوى أو الجهل أو التعالم أو التعقل أو التحرر أو مجاراة العصر أو غير ذلك جدير بأن يجعل من أمثال هذه الفئات دراسات وبحوث ساخرة من قبل أعداء الإسلام ..

ولذلك فإن من الواجب علينا أخي الحبيب أن نكون على قدر من التوقي لأنفسنا من أن تجتذبنا الزخارف القولية أو العناوين البراقة .. والتي قد تخدع من لا يعي مدى هشاشة فكر من ينتحلها .

فهل هؤلاء مطالبون بأن يكونوا من أهل التمكين الهش المغشوش المجترئ على الحق .. على حساب دعاة الإسلام و مجاهديه .. ولا أقصد بكلامي هذا من هؤلاء الدعاة من هو في طريق نسف ضرورات الإسلام أو ثوابته .

هل تظن تلك الفئة أن التمكين لا يتم إلا بهذا الأسلوب الأخرق أسلوب القضاء على أهل الإسلام وثوابته وأصوله وفروعه .. وهل تتصور تلك الفئة أن الاعتلاء الديني لا يكون إلا بتصفية لغيرها بأسلوب أو بآخر .

إن التصور الأرعن الذي يجعل عقل تلك الفئة خربا بالأسلوب المجتزئ للحق ما هو إلا دعم من مستفيد .. يريد الإفساد .. يفرض هذا الدعم ما تفرضه الحاجة بالحاجات ساقطة أو بحب الذات.

وحتى يتبين لك أمري .. فإن تلك الفئة تشذ بتصوراتها و تظهر مكنوناتها وتتجنى على غيرها عن طريق مخطط مرسوم لحساب جهات تريد هدم الدين ..

ومنصور النقيدان من أقرب الأمثلة ..

إذ لا يزال على وتيرة خلخلة شعائر الدين باسم حرية الرأي والفكر المزعوم .. والأخذ بالدليل عن جهل .. حتى ترى في كتاباته الدعوة إلى الرذيلة ..

فهل الأخذ بالدليل وحرية الرأي والفكر تأمرك :

بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى صحابته ..

أو بالتعرض لسلف الأمة وعلمائها ..

أو بمدح المبتدعة والضلال ..

أو بخلخلة شعائر الدين ..

أو بتشتيت عقائد العامة ..

أو بسب طلبة العلم ..

أو بنشر الرذيلة ..

أو بأمثال هذه الأمور ؟

والمستغرب من هذا المتعالم انه ينزل إلى مواضع هي اكبر منه بكثير .. والمشكلة انه يتصور انه أهل لأن يبحث في مثل بعض الفصول ، والتي كان عليه أن ينتظر عشرين سنة حتى يصل فيها إلى راجح يحل فيه إشكاله ..إذا لم يأخذ العلم من أهله

.

و الإشكال الذي يكابده هذا المذكور . أنه يملك بعض المعلومات العامة .. وبعض الخلافات

الفقهية .. فتراه يتخبط بمواضيعه ومعلوماته فيطرحها وقد تراكمت في عقليته على تلك المعلومات المنسية أكوام من أفكار الكتب الفكرية الاعتزالية الفلسفية المحلول أشكالها من قبل علماء الأمة رحمة الله على الجميع ..

وأيضا تراه يقحم نفسه عن طريق طرح ومناقشة مسائل عظيمة التي لو وقعت في عهد عمر رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر وهو في الحقيقة يعيش خيالا غير متناسق ، في صورة من أصابه نخر عقلي فكري غير قادر هو على اكتشافه ..

ويظن انه من خلال ذلك الخيال في تكامل فكري منهجي يواكب شخصية فذة تركت خلفها سنين من التيه والتخلف والجهل ، عاشت فيها بين أوساط ما زالت في تحجر ديني مذهبي عقلي غير مواكبة للعصر الذي لا بد له من أن يجاريه .

والدوران في فلك الاعتداد بالنفس وتصويرها أنها علت شاهقا لم يعلوه غيرها ، وأنها وصلت إلى درجة طرح الواقع بأسلوب المنظّر الموجّه ، أو عن طريق إسقاط غيره بأوصاف متجنية ، قد يتفق فيها مع جملة من الببغاوات ، تجعل هذا المتعالم يكمل بناية عقله الخرب على نسق يجمع العقلاء على انه لا بد من أن يحجر عليه وعلى عقله كالحجر على المجنون ..لأنه فشل في أن يعايش انسجاما مع نفسه ..

والتغيرات التي طرأت عليه لا تتواكب مع فكر مضطرب غير ثابت على وجهة معينة .. حتى إن بعض طلبة العلم أحصى عليه ثلاثة عشر منهجا انتحله .. ولهذا كان كما ذكرنا لا بد من الحجر عليه نسأل الله الثبات ..

وهو أيضا يتخبط في تحرير رأيه الأعوج حينما يريد أن يطرح ما عنده بجهله المدقع بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وبالتعالم الذي غلب عليه ، والذي يجعله في كثير من احيانه يبحث عن غرائب الفقه والمعتقد حتى يترأس على من هو أقل منه ، ولذلك ما أسرعه أن يسقط ويكون بذلك كبش فداء لمن هم مستخدمون مثله .

فهل يعي أنه في طريق إهلاك نفسه ..؟

وهل هو على استعداد للرجوع إلى الحق .. ؟

وهل يتغلب على الشيطان ؟ أم يتغلب الشيطان عليه ..؟

وهل هو على وعي بالواقع الذي يعيشه ..؟

أسئلة كثيرة تبحث عن إجابة ..؟

اللهم رده إلى رشده .. واهده سبل السلام

اللهم ثبتنا على دينك وصراطك المستقيم ..

الحمد لله على إحسانه ، اللهم صلى على نبينا محمد ..

المصدر : http://www.alsalafyoon.com

============

#تراث الغير

د. حسن حنفي

ولمّا كان الوعي الحضاري الذي أنتج التراث الذاتي وعياً متفتّحاً على الحضارات الأخرى فإنه سرعان ما تمثّل تراث الغير واحتواه واستعمل لغته، واستعمل أساليبه، واستخدم طرقه، وأكمل نقائصه.

أمّا المُحدَثون فإنهم في انفتاح وعيهم الحضاري الجديد على تراث الغير، التراث الغربي، حَدَثَت لديهم "صدمة الحداثة" وخَلَطوا بين التحديث والتغريب، فكان من الضروري "تحجيم" تراث الغير، وردّه إلى حدوده الطبيعية داخل بيئته المحلية.

(1) الحداثة والتحديث:

تعني الحداثة هنا الانتقال من التراث الذاتي إلى تراث الغير ليس على مستوى الثقافة بل على مستوى السلوك اليومي والعادات والتقاليد.

أ. مظاهر الحداثة:

وقد بَدَت عن أجيالنا المُعاصِرة مظاهر الحداثة لدى الطبقات العليا من المجتمع كي تلحق بالعصر وكما حدث في تركيا بعد الثورة الكمالية وكما حدث في مصر في القرن الماضي حتى قبيل الثورة المصرية في 1952. وقد بدت مظاهر الحداثة كالآتي:

1_ العيش على مستوى الإنتاج الآلي في الغرب، والتمتع بالخدمات الحديثة واستيراد أحدث الاختراعات لتسهيل رغد العيش.

2_ الحداثة في مظاهر الحياة الخارجية في العمارة والهندسة وفي العمران بوجه عام من شقّ الطرق، وتشييد الجسور العلوية، وإقامة الميادين والحدائق العامة، والانتقال من عصر "الجِمال" إلى عصر "الصواريخ" ونقل إنجازات الغير دون اختراعها.

3_ الحداثة في الثقافة، والإطلاع على آخر صيحات العصر في الفكر والفن والأدب دون وعي داخلي لتزيين القصور ولحديث الأندية والمجتمعات. فالثقافة ترف، والفن سلعة، والأدب من المستلزمات العصرية.

ب_ مخاطر الحداثة:

1_ ترويج التقدّم على السطح.

2_ انقطاع الماضي عن الحاضر، وغياب أي تطور طبيعي بينهما مما يسبب في الحياة العامة تجاورهما المكاني دون أي اتصال زماني.
3_ توليد المحافظة من أجل الدفاع عن القديم، وإحداث تيار عكسي للحداثة ورفض ما هو قائم.
4_ القضاء على خصوصية القديم ونوعيته، والتنكّر لها أو الجهل بها تماماً وإحلال الشمول محلّها.
5_ عدم اللحاق بالغرب وإنتاجه السريع، واللهاث وراءه، وهنا تحدث الصدمة الحضارية.
6_ تكوين طبقة من "المستغربين" أو ما سمّاهم فكرنا المعاصر "المُتأورِبين" منعزلة عن جموع الشعب لا أرض لهم، يعيشون في العواصم الأوروبية ويتنقلون بينها، وقد يولدون فيها ويموتون بها مثل مُلاّك الأرض الغائبين على مستوى الدولة.
7_ الولاء للغرب، إذ إنها تدور في فلك الأجنبي، وتمثّل مراكز الاستعمار الثقافي في البلاد، هم النخبة السياسية والثقافية والاجتماعية، أجانب ومصريون متأوربون، وأول من يجرفهم التيار في الثورة الوطنية كما حدث في مصر في ثورة 1952. فقد كان "طرد الأجانب" باستمرار أحد المطالب الوطنية كما حدث في ثورة عرابي.
ح_ دور الحداثة:
بالرغم من سلبيات الحداثة في مظاهرها ومخاطرها فقد كان لها بعض الدور مثل:
1_ تعليم جيل في التخصّصات الدقيقة كان له فاعلية وأثر على حياة البلاد في العمران بوجه عام والحياة الثقافية بوجه خاص، فأنشئت المدن الجديدة، وأقيمت البنايات الحديثة، ومُهّدت الطرق، وشُيّدت الجسور والسدود، إمّا لبقايا من وطنية أو لخدمة الاقتصاد الغربي أو للسيطرة على ثروات البلاد.
2_ تعليم أجيال لاحقة من الوطنيين أصبح ولاء معظمهم للبلاد فاتّسعت قاعدة الفنيين والمتخصصين مما ساعد على إعداد "البناء التحتي" للبلاد، وظلت البلاد في هذا الصراع بين المتخصص غير الوطني والمتخصص الوطني أولاً، ثم بين الوطني غير المتخصص بعد الثورة المصرية وغير الوطني وغير المتخصص في جيلنا هذا

ثانياً بعد احتجاب مصر وظهور طبقة من غير الوطنيين وغير المتخصصين، لا أهل خبرة ولا أهل ثقة.

3_ كان المتأوروبون نافذةً لمصر خاصّة وللأمة العربية عامّة على العالم الخارجي. فمن خلالها اطلّع الوطنيون على مظاهر التقدم الأوروبي مما أوحى لبعض الحُكّام جعل مصر "قطعة من أوروبا" وكما حاول الغرب الشيء نفسه مع إيران قبل الثورة، فقد كانوا صحفيين ومفكّرين وسَاسَة ورحّالة، ولكن كان معظمهم علماء ومهندسين وفنيين.

4_ كانوا نافذة للغرب على العالم العربي. فاستطاع الغرب أن يرى من خلالهم الشعوب غير الأوروبية سواء من خلال كتاباتهم عن شعوبهم؛ مصر والشام خاصة، أو من سلوكهم وتقاليدهم وأحاديثهم عن بلادهم في الخارج. فقد رأى الغربيون صورة الشعوب غير الأوروبية مُجَسّدة في أشخاصهم.

(2) التحديث والتغريب:

والحقيقة أن هذه الحداثة في سلوك الأفراد لم تنتج أثراً في تحديث المجتمعات تحديثاً شاملاً نظراً لقيامها على "التغريب" في الوعي القومي، فالتحديث هو محاولة تغيير المجتمعات على يد "المُحدِّثين" الذين هم في واقع الأمر ضحية التغريب في وعيهم الثقافي والوطني.

أ_ النقل والاستيعاب:

يفترض التغريب أن وظيفة الشعوب غير الأوروبية هي النقل والاستيعاب لإبداعات الغرب، وكلّما أبدع الغرب لَحِقَ غيرُ الأوروبي بالنقل دون التمثّل أو الفهم أو حتى مجرد التفكير فيما ينقل. وقد أدى ذلك في الشعوب غير الأوروبية إلى الآتي:

1_ الخلط بين العلم والمعرفة، وذلك أن العلم شيء والمعارف العلمية شيء آخر. العلم هو نشأة العلم بناءً على تصوّر علمي للعالم وليس مجموعة من المعارف يحملها جاهل بنشأتها. ولكننا لم نَعِ هذا الخلط لأن وجداننا القومي يرى أنه "رُبَّ سامع أوعى من مُبَلّغ" مع أن ذلك في الاستفادة والاستعمال وليس في الإبداع. فلا مانع لدى العالِم أن يكون ناقلاً لآخر النظريات في علوم الذرة ثم يتبرّك بآل البيت، ويغيّر واقعه بالدعاء.

2_ تصوُّرُ أنّ التقدم هو استيراد آخر الاختراعات وإنجازات التكنولوجيا الحديثة وليس إبداع وسائل للسيطرة على الطبيعة حتى اضطرت الشعوب غير الأوروبية إلى انتظار "قطع الغيار" لوسائل لَم تُبدِعها. ولمّا كان مُعدّل النقل أكبر من معدل الاختراع تحوّلت مجتمعاتنا إلى مجتمعات استهلاكية صرفة لما ينتجه الغرب.

3_ القفز إلى النتائج دون المقدمات، وقطف الثمار بلا غَرس، فالإنجازات العلمية إنما أتت بعد تطور طويل للمنظور العلمي منذ عصر النهضة في القرن السادس عشر حتى عصر الاكتشافات العلمية في القرن الماضي، وتكنولوجيا هذا القرن. ولكن مجتمعاتنا تحاول أن تعيش في عصر النهضة وأن تقفز إلى عصر التكنولوجيا دون أن يحدث تطور طبيعي في منظورها العلمي أو في تصوّرها للعالم لأن التاريخ ومراحله ليس بُعداً في وجداننا القومي.

ب_مخاطر التغريب:

1_ التعلّم المستمر والتتلمذ على أيدي الغير إلى ما لا نهاية، والتهميش والترجمة لما نتعلّم يُرهَق الذهن ويضيع الوقت في الاستيعاب ويتحول الذهن إلى "مُلّقي العلم" وليس إلى "مُبدِع العلم"، ويصبح العلم كمّاً هائلاً بلا كيف، ويغلب على إنتاجنا طابع التجميع والعرض باسم العلم، ويصبح العالِم هو صاحب العلم الغزير، ويكون أفضل عالم هو العالم الموسوعي.

2_ لمّا كان معدّل الإنتاج الغربي أسرع بكثير من معدّل الترجمة، طالت فترة الترجمة والتجميع ولم نتحول بعد إلى التأليف والإبداع، مع أن فترة الترجمة الأولى لم تستغرق أكثر من مائة عام وهو القرن الثاني الهجري جاء بعدها التأليف في القرن الثالث عند الكندي مثلاً. ونحن قد بدأنا الترجمة في القرن الماضي منذ بعثات محمد علي وتحت إشراف الطهطاوي وما زلنا نشكو من نقص التراجم.

3_ تكوين مُرَكّب العظمة الحضاري لدى الشعوب الغربية وفي مقابلها مركّب النقص الحضاري لدى الشعوب غير الأوروبية ما دامت العلاقة أحادية الطرف، طرفٌ يُعطي وطرف يأخذ، طرف يبدع وطرف ينقل، وبمرور الأجيال، تتحول العادة إلى طَبعٍ، ويتحول الطَبعُ إلى سلوك طبيعي.

4_ ضياع قدرة العقل على التفكير وتحويله إلى وظيفة الذاكرة أي التذكُّرُ والاستيعاب. وبالتالي تَقُلُّ قدرات الذكاء، وتختفي محاولات الإبداع وينتقل ذلك الموقف الحضاري العام إلى نمط في الحياة الثقافية في التعليم في المدارس والجامعات حتى في معاهد البحث العلمي.

5_ خلق طبقة من المتخصّصين لنشر العلم والقيام بأعمال الترجمة لمراكز الثقافة الممثّلة للدول الغربية، وتوجيه الرأي العام لدى الشعوب بنوع المعلومات المترجمة ومعظمها عن مآثر النهضة الأوروبية ومميزات المدنية الحديثة حتى يتحوّل الوعي القومي من الذات إلى الغير فتتكسّب هذه الطبقة، وتحوّل العلم من رسالة إلى منفعة شخصية أو إلى وجاهة إجتماعية وسط شعوب في حاجة إلى التعلم والمعرفة.

6_ ويزيد وَلاءُ هذه الطبقة للغير إلى حدّ يَقربُ من الخيانة الوطنية إذا ما أصبحوا أدوات للغزو الثقافي الأجنبي، ورُسُلاً للاستعمار الثقافي وهم على وعي بدورهم، فيجرفهم في النهاية أقرب تيار للثقافة الوطنية.

ـــ

المصدر : دراسات فلسفية

المصدرhttp://www.balagh.com

=============

#جهاد العفة . . في مواجهة التغريب

د. أحمد عبدالرحمن

كانت علاقات الرجال بالنساء إحدى التحديات الكبرى التي واجهت الأمة المسلمة في العصر الحديث , وقد طرح الغرب الأوروبي الأمريكي رؤاه لها , فإذا هي تناقِض – في الصميم – شريعة الإسلام التي تنظم تلك العلاقات , وهكذا ظهرت "قضية المرأة" , وتطورت وتضخمت هذه الأيام , ودار الصراع بين الإسلام والرؤية الغربية في محاولات مستميتة لإحلال تلك الرؤية محل الشريعة الإسلامية .

وربما كان "مؤتمر بكين" , ومن قبله "مؤتمر القاهرة" – أحدث الحلقات في ذلك التحدي الاجتماعي , والأخلاقي , والتشريعي الكبير , وها هي وزارة الثقافة المصرية تطرح القضية في "مؤتمر جديد" يروج لوجهة النظر العلمانية .

ونستعيد – أولاً – صورة موجزة لتلك العلاقات كما يمليها الإسلام , فنقول : إن الإسلام لا يقر أي اتصال بين الرجال والنساء إلا من خلال الزواج الشرعي بشروطه الشرعية المعروفة عند المسلمين , وهو يحرم كل ضروب الفحشاء (ما ظهر منها وما بطن) , ويطبق عقوبات رادعة على مقترفيها , وقبل العقوبات يشرع الإسلام لفتح كل الأبواب لتيسير الزواج , والإحصان , كما يغلق كل أبواب الحرام , ويضع من التدابير الوقائية ما يحُول بين المسلمين , وبين الرذيلة , ابتداءً من مجرد النظرة إلى المرأة الأجنبية , والخلوة بها , وهو يحارب الشائعات المغرضة , ورمي المحصنات , وينظف المجتمع المسلم من كل ما يحض على الرذيلة , أو يزينها , أو يهون ارتكابها , ثم إنه يسمح بتعدد الزوجات , ويبيح الطلاق , وينهى عن "عَضْل" النساء , وعن تبتُّل الرجال , هذا فضلاً عن ضمانات العقيدة الإسلامية.

* هذه هي معالم العفة الجنسية في الإسلام , ومعالم نظامه لعلاقات الرجال بالنساء , وتنعكس "العفة" أو "العفاف" على مظهر المسلم وملبسه – رجلاً كان , أو امرأة – فالمرأة منهية عن التبرج , ومأمورة بلباس الحشمة والوقار والستر , والرجل مأمور بستر العورة , وفي هذا يقول النبي – صلى الله عليه وسلم – : "احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك" ؛ فسأله سائل : فالرجل يكون مع الرجل؟ (يعني : أيجوز أن يكشف الرجل عورته لرجل آخر ؟) , فقال – صلى الله عليه وسلم – : "إن استطعت ألا يراها فافعل !" , فعاد الرجل يسأل : فالرجل يكون خالياً , (يعني : أيجوز للرجل أن يعري عورته وهو في خلوة ؟) , فقال – صلى الله عليه وسلم – : "الله أحق أن يُستحيا منه" , وقد تحدثت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – عن حالها مع النبي – صلى الله عليه وسلم – فقالت : "ما رأيت ذلك منه , ولا رأى ذلك مني" (أورده القرطبي في تفسيره) .

* وهكذا نرى أن معالم النظام الإسلامي هي : العفاف والستر , والحرص الشديد على صيانتهما إلى أقصى الحدود الممكنة .

* وفي مواجهة "العفاف والستر" , جاء التحدي الأوروبي مناقضاً لهما ؛ فأوروبا الحديثة رجعت إلى التراث اليوناني , والروماني الوثني , ونبذت شريعة التوراة والإنجيل , ولم يحافظ على تعاليمهما إلا قلة قليلة من الناس , وعند اليونان كان

الشذوذ منتشراً , وقد كانوا وثنيين , وقد لقي الشذوذ عند كُبرائهم الرضا والموافقة, ومن أولئك "سولون" و"يوربيدس" و"أفلاطون" , ومعلوم أن أفلاطون كان قد رسم نظاماً مثالياً لدولته الخيالية , وجعل النساء فيها "مشاعاً" في طبقة الجنود , وعلى هذا التراث بُنيت علاقات الرجال والنساء , بعد الثورات العلمانية الحديثة التي نبذت المسيحية ؛ فكانت مضادة للعفاف الذي يفرضه الإسلام.

* وكان اليونان ضد "الستر" أيضاً , وكان من عادة الرياضيين أن يشاركوا في المسابقات المختلفة , وهم عُراة عُرياً تاماً , وزعم أفلاطون أن "الأفضل تعرية الجسد" , كما زعم أن العري لم يعد يثير السخرية عند اليونانيين ؛ بعد أن كشف لهم العقل عما يثير السخرية , وما لا يثيرها ! (الجمهورية : الفقرة رقم 453) , وكان اليونانيون يظنون أن الجمال البشري يبلغ ذروته في الجسد الإنساني العاري ؛ ولهذا كان الجسد العاري هو الموضوع المسيطر في فن النحت اليوناني , وعند تأسيس كليات الفنون في العالم الإسلامي في العصر الحديث أُبيح رسم الأجساد العارية محاكاة لما يقع في مثيلاتها في بلاد الغرب , دون اعتبار لدين الأمة أو شريعتها !

* والحق أن الدول الأوروبية – التي احتلت معظم بلاد المسلمين – سعت منذ وطئت أقدامها تلك البلاد لإحلال نماذج العلاقات الأوروبية بين الرجال والنساء محل "العفاف والستر" , وقد أدركوا أن هذا الإحلال يمثل شطراً مهماً جداً في مشروعهم للقضاء على هوية الشعوب المسلمة واستقلالها الاعتقادي والتشريعي والأخلاقي , وكانت علاقات الرجال والنساء مدخلاً لذلك , فلم يتوانوا عن استغلاله , ووجد المسلمون أنفسهم في مواجهة هذا التحدي , والعدو هو المسيطر على شئون بلادهم ؛ فبيده السلطة والمال , ومعه الشهوات الحيوانية الفطرية , وهو يزين للناس الهبوط والانفلات من ضوابط العفاف والستر , والمسلمون يدعونهم إلى الارتفاع عن الدنايا والرذائل , والالتزام بأخلاقيات دينهم , ورفض الغوايات التي يقدمها المستعمرون , والامتناع عن محاكاة نسائهم في تبرجهم ومجونهم وإسفافهم .

* شرع المستعمرون الأوروبيون – فور احتلالهم للبلاد الإسلامية – في إحلال نظمهم (أو فوْضاهم إن شئت الدقة) محل أخلاقيات "العفاف والستر" الإسلامية ,

وهـذا أنمـوذج لـذلك يتمثـل فيمـا صـنعته جيـوش فرنسـا الاسـتعمارية فـي مصـر والمصريين بقيادة نابليون .

* إن المؤرخين المغرضين يتحدثون عن العلماء الذين جلبهم نـابليون معه لخدمة جيشه , ولا يذكرون أنه جلب معه أكثر من 300 امرأة , كُنَّ بمثابة البذور الخبيثة لنشر البِغَاء في القاهرة , وفي هذا يقول كريستوفر هيرولد – المؤرخ الأمريكي – في كتابه "بونابرت في مصر" : "وأفلحت نساء أُخريات – غير المرافقات بإذن , تنكَّرن في زي جند في فرق أزواجهن – في التسلل إلى ناقلات الجنود , وبلغ عدد النساء المرافقات للحملة جميعاً نحو 300 امرأة" (الترجمة العربية , ص38 , 217) , فماذا فعلت تلك النسوة ؟ , وماذا فعل الضابط والجنود في جيش الاحتلال بأخلاق العفاف والستر ؟ .

* لقد كان المجتمع المصري ملتزماً بالإسلام وأخلاقياته , وكان كل خروج عليها يلقى الردع والعقاب , وكان الحجاب على رؤوس النساء جميعاً , حتى المسيحيات واليهوديات المصريات , ولم تُرَ امرأة سافرة , إلا زوجات القناصل الأوروبيات (نفسه , ص199) , ولكن في مُناخ الاحتلال , ومع انتشار النساء السافرات من الفرنسيات فـي شـوارع القـاهرة , واسـتهتارهن الشـديد , وتبـذُّلهن , أخـذت بعـض النسـاء – غيـر المسلمات – في محاكاتهن , وبعد حوالي 14 شهراً , انقلبت الأوضاع انقلاباً شنيعاً ! .

* وهذا هو الوصف الذي سطره "الجبرتي" – المؤرخ الأمين , وشاهد العيان على أحداث تلك الفترة الحالكة السواد من تاريخ مصر – حيث يقول في تقريره عن أحداث يوم 1214/3/24 هـ : "وخرجوا تلك الليلة عن طورهم (يقصد أنهم تجاوزوا حدود الشرع والعرف) , ورفضوا الحشمة , وصحبتهم نساؤهم , وقَحَّابهم , وشرابهم , وتجاهروا بكل قبيح من الضحك والسخرية والكفريات , ومحاكاة المسلمين (يقصد تقليد أفعال المسلمين سخرية منهم !) , ووقع تلك الليلة بالبحر (يقصد نهر النيل) وسواحله من الفواحش , والتجاهر بالمعاصي والفسوق , ما لا يكيف ولا يوصف , وسلك بعض غوغاء العامة , وأسافل العالم (يقصد أسافل الناس) ورعاعهم مسالك تسفل الخلاعة , ورذالة الرقاعة , بدون أن ينكر أحد , على أحد من الحكام أو

غيرهم , بل كل إنسان يفعل ما تشتهيه نفسه , وما يخطر على باله , وإن لم يكن من أمثاله" !

* وهذه الكلمات الأخيرة تشير إلى ما كان سائداً قبل الاحتلال من إنكار للمنكرات من قِبَل السلطات , ومن قِبل الشيوخ وعامة المسلمين , ثم وقعت التغيرات , و"الجبرتي" يصف ذلك فيقول إنه في سنة 1213هـ – أول سنة للاحتلال – : "لما حضر الفرنسيس – أي الفرنسيون – إلى مصر , ومع البعض منهم نساؤهم , كانوا يمشون في الشوارع مع نسائهم , وهن حاسرات الوجوه , لابسات الفساتين , والمناديل الحرير الملونة , ويركبن الخيول والحمير , ويسوقونها سَوْقاً عنيفاً , مع الضحك والقهقهة , ومداعبة المكارية معهم , وحرافيش العامة (يقصد أسافل العامة) ؛ فمالت إليهم نفوس أهل الأهواء من النساء والأسافل والفواحش" , ومن الواضح أن استبشاع خروج النساء "حاسرات الوجوه" مرُّده إلى ما كان سائداً من الستر للنساء , وتغطية وجوههن بالبراقع , واستنكار الملابس الملونة مرده إلى أن النساء لم يكُنّ يخرجن إلا ملفوفات في العباءات السوداء , أو الثياب السوداء , أو الزرقاء , وكذلك بقية الأوصاف المنكرة التي أوردها , ما رآها كذلك إلا لتناقُضها مع أخلاقيات البلاد المستقرة , وبدأت "الطبقة السفلى" من النساء في تقليد الفرنسيات .

* ومن الممكن أن نقول إن "الإحلال" بهذه الأساليب , تم بالإغراء والإغواء والمثل السيئ! , وهو بهذه المثابة غير قسري , لكن المحتلين الفرنسيين لم يقفوا عند تلك الحدود ؛ فبعد موقعة بولاق فتك الجيش الاستعماري بأهاليها : "وغنموا أموالها , وأخذوا ما استحسنوه من النساء والبنات اللاتي صِرْنَ مأسورات عندهم , فزيُّوهن بزي نسائهم , وأجروهن على طريقتهن في كل الأحوال , فخلع أكثرهن نقاب الحياء بالكلية , وتداخل مع أولئك المأسورات غيرهن من النساء الفواجر" (راجع : تاريخ الجبرتي , ج2 , ص436 , ط. دار الجيل , بيروت) .

* ويصف هذه الأوضاع أيضاً "نقولا الترك" – المؤرخ اليوناني الذي شاهد الأحداث – فيقول : "وخرجت النساء خروجاً شنيعاً مع الفرنساوية , وبقيت مدينة مصر (يقصد مدينة القاهرة) مثل باريس ؛ في شرب الخمر والمسكرات , والأشياء التي لا ترضي رب السماوات" (هيرولد : هامش ص219) , ويصف رد فعل الشعب المصري

المسلم , فيقول : "إن المصريين كادوا أن يموتوا من الغيظ حين كانوا يرون تلك المناظر" !

* وكان قادة الجيش الفرنسي وضباطه وجنوده ونساؤهم أمثلة ساقطة إلى أبعد الحدود في تردِّيهم في الرذيلة , وافتخارهم بها , وخصوصاً "ديزيه" الذي كان يدمن اغتصاب الفتيات الصغيرات ! (راجع : هيرولد , ص314 , ص348) .

* كان المصريون المسلمون يتميزون من الغيظ حين يرون الفجرة والفاجرات من المحتلين , ومن السفلة الذين سايروهم , وقد تفجرت ثورتهم العامة الأولى – التي تسمى (ثورة القاهرة الأولى) – يوم 1798/10/21م , وهو العام نفسه الذي ابتُليت فيه مصر بالعدوان الفرنسي , وكان إحلال "الإباحية" محل "العفاف" – أحد البواعث الأساسية للثورة (هيرولد : ص261) , وكان الثوار هم "الغلاة في الدين" حسب تعبير "هيرولد" ! , وهم المتدينون من أئمة المسلمين وطلاب الأزهر , الذين قادوا الثورة , ومعهم الطبقة الفقيرة المتدنية , وأُحبطت الثورة بعد أن أُطلقت المدفعية الحديثة على الجامع الأزهر , وعلى المساجد المختلفة في أحياء القاهرة , ولم تمضِ سوى خمسة أشهر وستة أيام حتى ثارت القاهرة من جديد , ولم يجد "كليبر" – قائد – الاحتلال بُدّاً من "قذف المدينة بالمدافع وتجويعها ؛ حتى تسلم" (هيرولد , ص489) .

* وبعد ثلاث سنوات – بأيام – تم طرد المحتلين الفرنسيين , وعاد الحكم العثماني من جديد , وتولى "محمد علي" حكم البلاد باسم الدولة العثمانية – وباختيار الشعب وزعمائه – سنة 1805م , وعاد التوقير لأخلاق العفاف والستر الإسلامية , لكن جرثومة الإباحية والسفور كانت قد أصابت بعض العائلات والأفراد , وأخذت تفعل فيهم فِعلها كالمرض الخبيث .

* وانضمت إلى الجرثومة الفرنسية جراثيم أخرى ؛ ففي تلك الفترة بدأ إرسال البعثات إلى أوروبا – من تركيا وإيران ومصر – لتحصيل العلوم العسكرية , ومن ثم تأسيس جيوش حديثة , وفي مصر بدأ محمد علي باستخدام ضباط فرنسيين سنة 1820م (راجع : عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد علي , دار المعارف بمصر , ط4 , سنة 1982 , ص321–377) , وبعد ذلك أرسل محمد علي بعض الضباط المصريين إلى فرنسا وإنكلترا ؛ لإتمام تعليمهم هناك (نفسه , ص378) , وقد بلغ

عدد المبعوثين إلى أوروبا في عهد محمد علي (319) , من سنة 1813 إلى سنة 1847م (نفسه , ص409) .

* ثم توالت البعثات إلى أوروبا في مختلف مجالات العلوم , وعاد المبعوثون وقد حملوا معهم توجهات ثقافية مجافية للثقافة الإسلامية , وعبر (رفاعة الطهطاوي) عن هذه التوجهات , وفيما يتصل بموضوعنا نلاحظ أنه ينفي أن يكون التبرج والاختلاط من دواعي الفساد ! , والقرآن الكريم ينهى عن التبرج – كما أن النبي – صلى الله عليه وسلم – ينهى عن الخلوة , وحين تحدث عن تحلُّل الفرنسيين من ضوابط العفاف والستر سمى التحلل "لخبطة" ! , فقال : "إن نوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتي من كشفهن أو سترهن , بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة" , وهذا الكلام فيه تهوين من قيمة "الخمار" الذي أمر به القرآن الكريم بقوله – تعالى – :{وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جيُوبِهِنَّ} [النور:31] , كذلك سوَّغ الطهطاوي مراقصة الرجال للنساء , حين وصف حفلات الرقص , وقال : "إن الرقص – عندهم – فيه من الفنون ... , ويتعلق بالرقص في فرنسا كل الناس, وكأنه نوع من العياقة والشلبنة , لا الفسق" ! (نقلاً عن د.محمد محمد حسين : الإسلام والحضارة الغربية , المكتب الإسلامي , ط1 , سنة 1399هـ – 1979م , بيروت , ص36) (والعياقة , والشلبنة كلمتان عاميتان تعنيان : الأناقة والفتوة , هامش ص36 نفسها) , وهكذا أضيفت جراثيم جديدة ضد أخلاق العفاف والستر الإسلامية .

* وكان محمد علي باشا حريصاً على أن يقف الاقتباس عن أوروبا عند حدود العلوم , ولا يتعداها إلى الثقافة , لكن غيره (في مصر , وفي تركيا , وفي إيران) لم يكونوا حريصين على ذلك , بل أراد بعضهم أن يجعل بلاده قطعة من أوروبا , مثل السلطان "محمود الثاني" , ثم ابنه عبد المجيد في تركيا (نفسه , ص14–16) .

* لكن الخديوي "إسماعيل" كان المثل البارز لذلك النوع من الحكام (1863–1879م) , وهو الذي زعم أن مصر صارت "قطعة من أوروبا" , في حين كانت مصر في عهده قد فقدت استقلالها , وأُخضعت لوصاية الدول الأجنبية (راجع : الرافعي , عصر إسماعيل , ج2 , ص81) , وكانت تربية إسماعيل فرنسية , وقد مكث في باريس فترة كطالب بعثة , لكنه لم يحصِّل شيئاً من العلوم , وأحب

الفرنسيين جداً , فلما تقلد منصب الخديوية فتح لهم البلاد على مصراعيها , فجاءوا بكثرة , وجلبوا معهم – بطبيعة الحال – أخلاقياتهم التي لا تعترف بالعفاف والستر (نفسه , ص297-298) , وكان أولئك الأوروبيون – أو معظمهم – بشهادة القاضي الهولندي فان بملين Van Bemlen الذي عمل بالمحاكم المختلطة – : "من أحطّ الطبقات , ولم يكن همهم إلا الإثراء على حساب البلاد" (نفسه , ج1 , ص87-88) .

* وكان إسماعيل محباً للفنون الفرنسية , وحاول جلبها إلى مصر , ومن ذلك حفلات الرقص التي أنفق على إقامتها ببذخ , ودعا إليها الكبراء والأثرياء (نفسه , ص298) , وتلك هي البيئة الخصيبة للمجون والتحلل من كل آداب العفاف والستر الإسلامية.

* وكانت مدارس التنصير– في ذلك العهد – تخرِّج أناساً فقدوا الولاء للدين والوطن : "ونال كثير منهم الحماية الأجنبية بواسطة القناصل ؛ فصاروا في حكم الأجانب في انتمائهم للدول الأجنبية , وميولهم إليها" (عصر إسماعيل , ج1 , ص209) , فهؤلاء طرحوا أخلاق العفاف والستر , وحاكوا الأجانب في السفور والتبرج والتحلل , بل إن بعضهم ارتدّ عن الإسلام ! .

* وهكذا اتسعت دائرة التحدي , وصمدت الأمة المسلمة , وجاهدت , وحاصرت الوباء في العواصم , فظل معظم البلاد على أخلاقيات الستر والعفاف , والآن تعود العواصم الإسلامية – بفضل الله تعالى – إلى الحجاب والنقاب والخمار , ويتحقق "الإحلال الحميد" , وينتصر دين الله في هذه التحديات .

* والآن لابد أن نتساءل :

كيف صارت علاقات الرجال بالنساء في المجتمعات التي تحللت من العفاف والستر ؟ , هل صارت أكثر إنسانية ورحمة واستقراراً ؟ , وكيف صار حال الأسرة ؟ , هل قويت وتماسكت ؟ , وهل انعدمت الجرائم الجنسية , أو انخفضت ؟ , وكيف صار حال الأطفال ؟ هل انخفض جنَاحُهم ؟ , هل تمتعوا بحقوقهم في دفء الأسرة وحضانتها وحبها؟ .

* إن هذه الأسئلة تكشف لنا عن الفائز في التحدي , ونحن نتوجه بها إلى الواقع ؛ لنستشهد به , فهو الشاهد التجريبي على الفلاح أو الإخفاق , وهو شاهد لا يكذب , , والإحصاءات الرسمية هي "الأساس العلمي" لمشروعية شهادته , والأجوبة هي التي ستبين إن كانت الاستباحة قد حققت "النجاح الحيوي" , أو العكس .

* ونبدأ بتقرير كندي حكومي – صدر في منتصف عام 1993 – يفيد أن أكثر من نصف عدد النساء في (كندا) كُنَّ ضحايا لجرائم اغتصاب , أو محاولات اغتصاب , وبيَّن التقرير أنه استند إلى دراسة 420 حالة لسيدات – تراوحت أعمارهن بين 16 و64 عاماً – في مدينة "تورنتو" , وثبت أن 98% منهن تعرضن لاعتداءات جنسية , وأكدت نسبة 54% منهن تعرضهن لتجارب جنسية – بالقوة – من قبل بلوغهن سن السادسة عشرة , وهذه الأوضاع تمثل : انهياراً في العلاقات الإنسانية , وخطراً عاماً داهماً , يتهدد كل فتاة وكل امرأة في عِرضها , وفي حياتها .

* وفي الولايات المتحدة ذكرت آخر الإحصائيات أن جريمة اغتصاب تُرتكب كل دقيقة , ويحصي تحقيق شمل عامي 92–1993 – وقوع نصف مليون اعتداء جنسي على الأمريكيات كل عام , وتقول الإحصاءات "إن جرائم الاغتصاب قفزت بنسبة 59% في عام 1991 عما كانت عليه عام 1990", هذا مع ملاحظة أن 49% من حوادث الاغتصاب لا تبلَّغ للشرطة , وعلى هذا يجب أن نعترف بأن مليون اعتداء جنسي يقع على نساء أمريكا كل عام , لا نصف مليون فقط , وبناءً على هذا يندر أن تستطيع سيدة أمريكية الإفلات من التعرض لتلك الجريمة البشعة! .

* وأما الأسرة فتعرضت للدمار في مُناخ التحلل من العفاف , فمنذ عام 1984 تتوالى التقارير الرسمية التي ترسم الخط البياني لانهيار الأسرة البريطانية , ففي بريطانيا تقع "حالة طلاق" كل ثلاث دقائق , ويقول مكتب المساحة والتعداد البريطاني : "إن حالات الطلاق زادت في سنة 1985 بنسبة 11% عنها عام 1984" , وذكر المكتب أن "الانحرافات الأخلاقية" هي أحد أسباب الطلاق , وفي عام 1995 حذرت الإحصاءات الرسمية من خطر انقراض الأسرة البريطانية , وحذر مؤتمر للتعليم في يناير عام 1996 من أنه إذا لم يتم إنقاذ القيم ستعود بريطانيا إلى عصور البربرية في جيلين !

* وعلى الرغم من هذا الإخفاق الحيوي المروع , الذي صورنا بعض ظواهره فقط – طلباً للإيجاز – فإن الأمم المتحدة تحاول تعميم أو تدويل التحلل الأخلاقي ! ؛ لقد عبرت مواثيق المنظمة الدولية عن ثقافة أوروبا وأمريكا , ولذلك وجدناها تُدين "القوادة" , لكنها لا تدين البغاء ! (انظر : اتفاقية حظر الاتجار بالأشخاص واستغلال دعارة الغير , التي صدرت في 1949/12/2) , وفي مؤتمر القاهرة للسكان , ثم مؤتمر بكين حاولت المنظمة الدولية اعتماد (الشذوذ والإباحية) في توصياتها , ثم جعْلها دستوراً عالمياً , ينسخ كل الدساتير والأعراق , والشرائع التي تستمسك بالعفاف والستر ! .

* ويمكن القول إن هناك ظواهر أخرى في أمريكا نفسها تشير إلى أن العفة كسبت التحدي ؛ فقد تبلور في السنوات الأخيرة تيار واسع ينادي بالعودة إلى الدين , وإلى أخلاقياته , وكان "ريجان" قد دعا إلى السماح بأداء الصلاة في المدارس , ثم جاء "بوش" فوضع الدين والأخلاق في برنامجه الانتخابي , ويُعزَى فوز الجمهوريين في انتخابات الكونغرس الأخيرة إلى استجابتهم لذلك التيار الشعبي ؛ إذ إنهم وضعوا عناصر دينية وأخلاقية ضمن برامجهم الانتخابية , وقد بيَّن استطلاع للرأي – أجراه معهد "جالوب" – أن أغلبية الأمريكيين توافق على أداء الصلاة في المدارس لمختلف الأديان – بما فيها الإسلام – وتكونت مؤسسات تدعو الأمريكيات إلى الحفاظ على عفتهن , والترفُّع على الإباحية الشائعة .

* ويمكن رد هذه الصحوة الدينية الأخلاقية في أمريكا إلى عوامل عديدة , منها الإخفاق الحيوي الذريع الذي نتج عن الإباحية , ومنها أنها سبب العدوى بكثير من الأمراض , أخطرها الإيدز , ثم السيلان , والزهري , ومنها كتابات عديدة رفضت الإباحية , والإلحاد , والمادية , مثل مؤلفات "بول تيليش" Poul Tilich و"كاريل" و"دوبو" و"سوروكين" وغيرهم .

* لكننا يجب أن نلتزم الحذر في النظر إلى هذه الظواهر ؛ فالرئيس كلينتون – مثلاً – فاز بالرئاسة بأصوات الشواذ , الذين شكَّلوا سُبع الأصوات التي انتخبته , وقد كانت أصواتهم هي الأعلى في مؤتمر بكين , بل سيطروا على المؤتمر , واستبعدوا دعاة الأخلاق ! .

* وأما عندنا – نحن المسلمين – فالعفاف والستر دين , وشريعته قرآن وسُنَّة , وبصرف النظر عن النجاح الحيوي العظيم الذي تحققه أخلاقيات العفاف , فنحن نتمسك بها , ونعَض عليها بالنواجذ , ويجب أن نحافظ على التدابير الوقائية التي قررتها شريعتنا السمحة ؛ لنباعد بين أمتنا , وبين الأوبئة والكوارث الصحية , والأمنية , والاجتماعية التي أفرزتها "إباحة الاستباحة" , وبذلك نقدم للإنسانية "الأنموذج الإسلامي الرفيع" , الذي يضمن الطهارة للرجال والنساء , والسعادة الأخروية والدنيوية لهم , ولأولادهم , ومجتمعهم .

المصدرhttp://www.almanar.net

============

#المسلمون فى بلجيكا بين هموم التغريب والهجمات العنصرية والتناقضات الأخلاقية

بلجيكا مملكة تقع في الشمال الغربي من أوروبا، مساحتها 513ر30 كم2 وعدد سكانها أكثر من عشرة ملايين نسمة.

وينتمي معظم الشعب البلجيكي إلى فئة الفلمنكيين الذي يشكلون حوالي 55 بالمائة من سكان بلجيكا وهم من سلالة الفرانكيين (قبائل جرمانية، احتلت ما يعرف ببلجيكا فى القرن الخامس الميلادي) ويتكلمون اللغة الهولندية، والوالون حوالي 30 بالمائة ويرجع نسبهم إلى قبائل السلتية التي عاشت في المنطقة إبان الاجتياح الفرنكي ويتكلمون اللغة الفرنسية.

ويعيش في بلجيكا حاليا زهاء نصف مليون مسلم حسب تقديرات المشرفين على المركز الإسلامي والثقافي في بلجيكا معظمهم من المنتمين إلى الجالية الوافدة من البلاد الإسلامية وتحديدا من المملكة المغربية وتركيا والبانيا بشكل رئيسي، إلى جانب مختلف الجنسيات الاخرى.

ويعد المركز الإسلامي والثقافي في بلجيكا أحد اهم المراكز الإسلامية في غرب أوروبا على الإطلاق، وأحد المنارات المتقدمة للدين الإسلامي في أوروبا.

وقد انشئ المركز عام 1936م في مبنى صغير مستأجر في احد احياء بروكسل المتواضعة.

واعترفت الحكومة البلجيكية عام 1968م بالدين الإسلامي كدين رسمي لها، مما يعد سابقة في تاريخ تعامل الحكومات والدول الاوروبية مع الحضور الإسلامي في أوروبا.

وصادقت الدولة البلجيكية عام 1975م بادخال دروس التربية الإسلامية ضمن البرامج المدرسية لابناء الجالية مما زاد من ثقل ومسؤوليات المركز الإسلامي والثقافي في بروكسل.

وشهدت بروكسل في نطاق تطوير نشاطات المركز افتتاح أول معهد إسلامي أوروبي عام 1983م، وفي عام 1986م تم افتتاح أول مسجد في مطار العاصمة البلجيكية تحت إشراف المركز الإسلامي.

ويشهد الدين الإسلامي إقبالا متصاعدا لاعتناقه والدخول تحت عصمته من قبل أبناء الشعب البلجيكي وقطاعات واسعة من الأوروبيين المقيمين في بلجيكا. ويؤدي فريضة الحج هذا العام 2000 حاج من مسلمي بلجيكا.

لكن التحديات العنصرية التي يواجهها المسلمون في أوروبا خصوصا بعد أحداث سبتمبر كان لها حضور واسع في بلجيكا، فبعد قيام أحد المدرسين البلجيكيين بالتهجم على شخص الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم تظاهر المئات من الطلبة الأجانب خاصة أبناء الجاليات الإسلامية والعربية في مدارس مقاطعة أنتويرب البلجيكية، احتجاجا. وعن ملابسات الواقعة التي حدثت داخل مدرسة ثانوية تجارية وأدت إلى خروج المظاهرة، قالت مديرة المدرسة، نورا فيرسخورن إن المدرس البلجيكي يعمل منذ سنوات في المدرسة وأمس أبلغ عن غيابه لسبب مرضي، وان هناك تحقيقا جاريا حول تهجمه. وأضافت في تصريحات لوسائل الإعلام البلجيكية أمس أن المدرس حصل على اجازة لمدة أسبوع، وسوف نتخذ الإجراءات اللازمة عقب انتهاء التحقيق.

من جانبه، قام أحد الطلبة العرب م. الخلفاوي، 17 عاما، إن المدرس معروف لدينا بأنه لا ينظر إلى الإسلام نظرة جيدة مضيفا، كنا نصعد سلالم المدرسة وفجأة وبدون أية أسباب فوجئنا بالمدرس يتهجم على الإسلام والرسول، ويصف المواطن البلجيكي الذي قام في نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي بقتل المغربي محمد إشراق (مدرس

تربية إسلامية) في مدينة أنتويوب بأنه شخص مقدس. وأضاف الطالب العربي بأنه توجه هو وزملاؤه إلى أحد المدرسين العرب في المدرسة ذهبوا إلى مديرة المدرسة لتقديم شكوى ضد المدرس البلجيكي.

جمعية مدارس بلا عنصرية قالت أمس إنها تتلقى باستمرار عددا من الشكاوى من جانب التلاميذ المسلمين ضد المدرسين وهي تتحصر في إرغامهم على أكل وجبات فيها لحوم الخنزير. ويضيف فرانك فينمانس مسؤول بالجمعية يصل الأمر أحيانا إلى التهديد بمنع الطلبة من تأدية الامتحان إذا حضروا وهم يرتدون الشال الفلسطيني، وأحيانا إلى وصفهم بأنهم أسوأ من طالبان. ويقولون للأطفال أهلا (أسامة) بن لادن الصغير. وكان مركز المساواة ومكافحة العنصرية في بلجيكا قد تلقى في العام قبل الماضي 31 شكوى بسبب العنصرية في مجال التعليم، ونصف تلك الشكاوى تتناول عنصرية المدرسين داخل المدارس.

مصاعب الاندماج العربي في المجتمع البلجيكي

على مدى شهور، نظم دياب ابو جهجه البلجيكي من اصل لبناني مظاهرات تأييد للفلسطينيين وراقب أي سلوك ينم عن عنصرية مزعومة من جانب الشرطة مما أدى إلى تفاقم التوتر في المدينة، وقد اتهم بالتحريض على شغب في انتويرب في نوفمبر، لكن نحو 30 الف مسلم يعيشون في المدينة وبصفة خاصة الشباب يعتبرونه بطلا بعد أن القي القبض عليه لفترة قصيرة في الشهر الماضي بدعوى إثارة أعمال شغب اثر مقتل مدرس مسلم على أيدي رجل بلجيكي ابيض.

ويرفض كثير من المهاجرين المسلمين الأكبر سنا، تشدده، إلا أن حديثه المناهض للاندماج في المجتمع وجد أرضاً خصبة بين المراهقين العرب في انتويرب، حيث فاز حزب فلامس بلوك المناهض للهجرة بثلث الأصوات في الانتخابات المحلية قبل عامين.

قال جهجه (31 عاما) لرويترز الاندماج في بلجيكا يعني الاحتواء.. عندما يتحدث السياسيون عن الاندماج يتحدثون عن احتوائنا في ثقافتهم الواحدة مع احتفاظنا بنوع من الصلة بتراثنا الشعبي.. لا نريد الانفصال، بل نريد الاندماج. ولكن نريد ان نبقى كما نحن.

وتظاهر المئات في شوارع انتويرب ثاني اكبر مدن بلجيكا، حيث يقطن 450 الف نسمة قبل قتل المدرس المسلم في الشهر الماضي. وحطم المتظاهرون النوافذ واتلفوا سيارات ورشقوا رجال الشرطة بالحجارة. والقي القبض على عدد من المتظاهرين.
وأثارت أعمال جهجه قلق الحكومة مما دعا رئيس الوزراء جي فيرهوفشتات للتعهد بتقييد أنشطة رابطة الأوروبيين العرب التي يتزعمها. وقال محمد شاكر المتحدث باسم جماعة اتحاد المنظمات المغربية يظهر العداء علنا بمناطق معينة في انتويرب. يوجد فصل عنصري بالفعل في قطاعات معينة من المجتمع.
وأضاف انه أمر غريب. تشعر الأغلبية بأنها مهددة من أقلية لا تملك سلطة سياسية أو ثقافية أو اقتصادية. وقال انه يوافق إلى حد كبير على تحليل جهجه للتمييز ضد المسلمين والسلوك الاستفزازي للشرطة، إلا انه ذكر ان توفير مزيد من الوظائف ومساكن وتعليم أفضل سيخفف من حدة التوتر.
بلجيكا تجيز الزيجات بين مثليي الجنس
وفي حدث متناقض مع الأخلاق السليمة ومتناسب مع الفساد الأخلاقي تبنى مجلس النواب في بلجيكا بغالبية كبيرة مشروع قانون يسمح بالزواج بين شخصين من الجنس نفسه في بلجيكا دونما السماح بتبني أولاد.
وحصل مشروع القانون الذي وافق عليه مجلس الشيوخ على دعم 91 نائبا ومعارضة 22وامتناع تسعة عن التصويت. وسيدخل القانون الجديد حيز التنفيذ خلال أربعة اشهر تقريبا وسيجعل من بلجيكا ثاني دولة اوروبية بعد هولندا تجيز الزواج بين مثليي الجنس.
ويغير النص القانون المدني البلجيكي الذي سينص من الآن وصاعدا على "السماح لشخصين من الجنس نفسه أو من جنسين مختلفين بالزواج". وسيتمتع مثليو الجنس بالحقوق نفسها التي يتمتع بها الأزواج الاخرى خصوصا في ما يتعلق بالملكية والارث باستثناء ما يتعلق بتبني الأولاد.
وفي ما يتعلق بالسحاقيات تعتبر المرأة التي أنجبت الطفل الأم الحقيقية. كما ينص القانون على منع زوجين من مثليي الجنس من تبني أولاد. وقال وزير العدل مارك

فيرويلغهن أن "العقليات تطورت وبالتالي ما من سبب لعدم السماح لزوجين من الجنس نفسه بالزواج".

وصرحت انكي هينتجنز المسؤولة في اتحاد رابطات اللواطيين والسحاقيات في فلاندرا (شمال) "إننا مسرورون جدا للتصويت على هذا القانون". ولا يحصر القانون الزيجات بين مثليي الجنس بالبلجيكيين أو الأشخاص الذين يتحدرون من دول تعترف بمثل هذه الزيجات.

وحذر وزير العدل من "احتمال عدم اعتراف بعض الدول بهذه الزيجات إذ تعتبر بلجيكا وهولندا الدولتين الوحيدتين إلى هذا اليوم اللتين تبنتا هذا التشريع".

شبكة النبأ المعلوماتية - الأحد: 2003/2/9 - 7/ ذو الحجة/1423

المصدرhttp://www.annabaa.org

============

#التغريب

التعريف:

التغريب هو تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية ، يرمي إلى صبغ حياة الأمم بعامة ، والمسلمين بخاصة بالأسلوب الغربي ، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية .

التأسيس وأبرز الشخصيات:

- بدأ المشرقيون في العالم الإسلامي مع نهاية القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر بتحديث جيوشهم وتعزيزها عن طريق إرسال بعثات إلى البلاد الأوربية أو باستقدام الخبراء الغربيين للتدريس والتخطيط للنهضة الحديثة ، وذلك لمواجهة تطلع الغربيين إلى بسط نفوذهم الاستعماري إثر بدء عهد النهضة الأوربية .

- لما قضى السلطان محمود الثاني على الإنكشارية العثمانية سنة 1826م أمر باتخاذ الزي الأوروبي الذي فرضه على العسكريين والمدنيين على حد سواء .

- استقدم السلطان سليم الثالث المهندسين من السويد وفرنسا والمجر وانجلترا وذلك لإنشاء المدارس الحربية والبحرية .

- قام محمد علي والي مصر ، والذي تولى سنة 1805م ، ببناء جيش على النظام الأوروبي ، كما عمد إلى ابتعاث خرجي الأزهر من أجل التخصص في أوروبا .

- أنشأ أحمد باشا باي الأول في تونس جيشا نظاميا ، وافتتح مدرسة للعلوم الحربية فيها صباط وأساتذة فرنسيون وإيطاليون وإنجليز .

- افتتحت أسرة الفاجار التي حكمت إيران كلية للعلوم والفنون على أساس غربي سنة 1852م .

- منذ عام 1860م بدأت حركة التغريب عملها في لبنان عن طريق الإرساليات ، ومنها امتدت إلى مصر في ظل الخديوي إسماعيل الذي كان هدفه أن يجعل مصر قطعة من أوروبا .

- التقى الخديوي إسماعيل في باريس مع السلطان العثماني عبد العزيز 1284هـ/1867م حينما لبيا دعوة الإمبراطور نابليون الثالث لحضور المعرض الفرنسي العام ، وقد كانا يسيران في تيار الحضارة الغربية .

- ابتعث كل من رفاعة الطهطاوي إلى باريس وأقام فيها خمس سنوات 1831/1826م وكذلك ابتعث خير الدين التونسي إليها وأقام فيها أربع سنوات 1852–1856م وقد عاد كل منهما محملا بأفكار تدعو إلى تنظيم المجتمع على أساس علماني عقلاني .

- منذ 1830م بدأ المبتعثون العائدون من أوروبا بترجمة كتب فولتير وروسو ومونتسكيو في محاولة منهم لنشر الفكر الأوروبي الذي ثار ضد الدين الذي ظهر في القرن الثامن .

- أنشأ كرومر كلية فيكتوريا بالإسكندرية لتربية جيل من أبناء الحكام والزعماء والوجهاء في محيط إنجليزي ليكونوا أداة المستقبل في نقل ونشر الحضارة الغربية .

- قال اللورد لويد (المندوب السامي البريطاني في مصر) حينما افتتح هذه الكلية سنة 1936م : كل هؤلاء لن يمضي عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية بفضل العشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ .

- كان نصارى الشام من أول من اتصل بالبعثات التبشيرية وبالإرساليات ومن المسارعين بتلقي الثقافة الفرنسية والإنجليزية ، كما كانوا يشجعون العلمانية التحررية

وذلك لعدم إحساسهم بالولاء تجاه الدولة العثمانية ، فبالغوا من إظهار إعجابهم بالغرب ودعوا إلى الاقتداء به وتتبع طريقه ، وقد ظهر ذلك جليا في الصحف التي أسسوها وعملوا فيها .

– كان ناصيف اليازجي 1800–1871م وابنه إبراهيم اليازجي 1847–1906م على صلة وثيقة بالإساليات الأمريكية الإنجيلية .

– أسس بطرس البستاني 1819–1883م في عام 1863م مدرسة لتدريس اللغة العربية والعلوم الحديثة فكان بذلك أول نصراني يدعو إلى العروبة والوطنية إذ كان شعاره : حب الوطن من الإيمان . كما أصدر صحيفة الجنان سنة 1870م التي استمرت ست عشرة سنة وقد تولى منصب الترجمة في قنصلية أمريكا ببيروت مشاركا في الترجمة البروتستانتية للتوراة مع الأمريكيين سميث وفانديك .

– أنشأ جورجي زيدان 1861–1914م مجلة الهلال في مصر وذلك في سنة 1892م ، وقد كان على صلة بالمبعوثين الأمريكان ، كما كانت له سلسلة من القصص التاريخية التي حشاها بالافتراءات على الإسلام والمسلمين .

– أسس سليم تقلا صحيفة الأهرام في مصر وقد سبق له أن تلقى علومه في مدرسة عبية بلبنان والتي أنشأها المبشر الأمريكي فانديك .

– أصدر سليم النقاش صحيفة المقتطف التي عاشت ثمانية أعوام في لبنان انتقلت بعدها إلى مصر في سنة 1884م .

– تجول جمال الدين الأفغاني 1838–1897م كثيرا في العالم الإسلامي شرقا وغربا وقد أدخل نظام الجمعيات التسرية في العصر الحديث إلى مصر ، كما يقال بأنه انضم إلى المحافل الماسونية ، وكان على صلة بالمستربلنت البريطاني .

– كان الشيخ محمد عبده 1849–1905م من أبرز تلاميذ الأفغاني ، وشريكه في إنشاء مجلة العروة الوثقى، وكانت له صداقة مع اللورد كرومر والمستربلنت ، ولقد كانت مدرسته ومنها رشيد رضا تدعو إلى مهاجمة التقاليد ، كما ظهرت لهم فتاوى تعتمد على أقصى ما تسمح به النصوص من تأويل بغية إظهار الإسلام بمظهر المتقبل لحضارة الغرب كما دعا الشيخ محمد عبده إلى إدخال العلوم العصرية إلى الأزهر لتطويره وتحديثه .

- كان المستشرق مستربلنت : يطوف هو وزوجته مرتديا الزي العربي ، داعيا إلى القومية العربية وإلى إنشاء خلافة عربية بغية تحطيم الرابطة الإسلامية .
- قاد قاسم أمين 1865-1908م وهو تلميذ محمد عبده ، الدعوة إلى تحرير المرأة وتمكينها من العمل في الوظائف والأعمال العامة . وقد كتب تحرير المرأة 1899م والمرأة الجديدة 1900م .
- كان سعد زغلول : الذي صار وزيرا للمعارف سنة 1906م شديد التأثر بآراء محمد عبده وقد نفذ فكرة كرومر القديمة والداعية إلى إنشاء مدرسة للقضاء الشرعي بقصد تطوير الفكر الإسلامي من خلال مؤسسة غير أزهرية منافسة له .
- كان أحمد لطفي السيد 1872-1963م من أكبر مؤسسي حزب الأحرار الدستوريين الذين انشقوا عن سعد زغلول سياسيا ، وكان يدعو إلى الإقليمية الضيقة وهو صاحب العبارة المشهورة التي أطلقها عام 1907م وهي مصر للمصريين وقد تولى شؤون الجامعة المصرية منذ تسلمتها الحكومة المصرية عام 1916م وحتى 1941م تقريبا .
- وكان طه حسين 1889-1973م من أبرز دعاة التغريب في العالم الإسلامي حيث تلقى علومه على يد المستشرق دوركايم وقد نشر أخطر آرائه في كتابيه الشعر الجاهلي ومستقبل الثقافة في مصر .
- يقول في كتابه الشعر الجاهلي ص26: للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا أيضا ، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي .
- ويقول بعد ذلك : وقد كانت قريش مستعدة كل الاستعداد لقبول هذه الأسطورة في القرن السابع للمسيح . كما أنه ينفي فيه نسب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أشراف قريش .
- لقد بدأ طه حسين محاضرة له في اللغة والأدب بحمد الله والصلاة على نبيه ثم قال : سيضحك مني بعض الحاضرين إذا سمعني أبدأ هذه المحاضرة بحمد الله والصلاة على نبيه لأن ذلك يخالف عادة العصر .

– ازدهرت حركة التغريب بعد سيطرة الاتحاديين عام 1908م على الحكم في الدولة العثمانية وسقوط السلطان عبد الحميد .

– وفي سنة 1924م ألغت حكومة مصطفى كمال أتاتورك الخلافة العثمانية مما مهد لانضمام تركيا إلى الركب العلماني الحديث ، وفرض عليها التغريب بأقصى صوره وأعنفها.

– علي عبد الرزاق : نشر سنة 1925م كتابه الإسلام وأصول الحكم الذي ترجم إلى الإنجليزي والأردية ، يحاول فيه المؤلف أن يقنع القارئ بأن الإسلام دين فقط وليس دينا ودولة ، وقد ضرب سميث مثلا به عندما أشار إلى أن التحررية العلمانية والعالمية لا تروج في العالم الإسلامي إلا إذا فسرت تفسيرا إسلاميا مقبولا ، وقد حوكم الكتاب والمؤلف من قبل هيئة العلماء بالأزهر في 1925/8/12م وصدرت ضده إدانة أخرجته من زمرة العلماء ، وكان يشرف على مجلة الرابطة الشرقية كما أقام حفل تكريم لأرنست رينان في الجامعة المصرية بمناسبة مرور مائة سنة على وفاة هذا المستشرق الذي لم يدخل وسعا في مهاجمة العرب والمسلمين .

– وكان محمود عزمي من أكبر دعاة الفرعونية في مصر ، درس على أستاذه دور كايم الذي كان يقول له : إذا ذكرت الاقتصاد فلا تذكر الشريعة ، وإذا ذكرت الشريعة فلا تذرك الاقتصاد .

– وسبق أن قدم منصور فهمي 1886–1959م : أول أطروحة للدكتوراه على أستاذه ليفي بريل مهاجما نظام الزواج في الإسلام التي موضوعها حالة المرأة في التقاليد الإسلامية وتطوراتها ، وفي هذه الرسالة يقول : محمد يشرع لجميع الناس ويستثني نفسه ، ويقول : إلا أنه أعفى نفسه من المهر والشهود ، لكنه انتقد بعد ذلك حركة التغريب في سنة 1915م وجاهر بآرائه في الأخطاء التي حملها طه حسين ومدرسته .

– ويعتبر إسماعيل مظهر من أئمة مدرسة التغريب لكنه لم يلبث أن تحول عنها إبان عصر النهضة الحديثة .

- وكان زكي مبارك في مقدمة تلاميذ طه حسين ، درس على أيدي المستشرقين وسق له أن قدم أطروحة للدكتوراه في الغزالي والمأمون مهاجما الغزالي هجوما عنيفا لكنه رجع عن ذلك فيما بعد وكتب مقاله المعروف إليك أعتذر أيها الغزالي .

- ويعتبر محمد حسين هيكل 1888-1956م رئيس تحرير جريدة السياسة في الفترة الأولى من حياته من أبرز المستغربين وقد أنكر الإسراء بالروح والجسد معا انطلاقا من نظرة عقلانية حياة محمد ، لكنه عدل عن ذلك وكتب معبرا عن توجهه الجديد في مقدمة كتابه في منزل الوحي .

- وكان الشيخ أمي الخولي وهو من مدرسي مادتي التفسر والبلاغة بالجامعة المصرية ، يروج لأفكار طه حسين في الدعوة إلى دراسة القرآن دراسة فنية بغض النظر عن مكانته الدينية ، وقد استمر في ذلك حتى كشفه الشيخ محمود شلتوت سنة 1947م .

- وقاد شبلي شميل 1860-1917م الدعوة إلى العلمانية ومهاجمة قيم الأديان والأخلاق .

الأفكار والمعتقدات :

أفكار تغريبية :

- المستشرق الإنجليزي جب ألف كتاب إلى أين يتجه الإسلام الذي يقول فيه : من أهم مظاهر سياسة التغريب في العالم الإسلامي تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة وقد أعلن في بحثه هذا صراحة أن هدف إلى معرفة إلى أي مدى وصلت حركة تغريب الشرق وما هي العوامل التي تحول دون تحقيق هذا التغريب .

- عندما دخل اللورد اللنبي القدس عام 1918م أعلن قائلا : الآن انتهت الحروب الصليبية .

- يقول لورنس بروان : إن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته ، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الغربي . ولهذا فلا بد من الدعوة إلى أن يطبع العالم الإسلامي بطابع الغرب الحضاري .

– تشجيع فكرة إيجاد فكر إسلامي متطور يبرر الأنماط الغربية ومحو الطابع المميز للشخصية الإسلامية بغية إيجاد علائق مستقرة بين الغرب وبين العالم الإسلامي خدمة لمصالحه .

– الدعوة إلى الوطنية ودراسة التاريخ القديم والدعوة إلى الحرية باعتبارها أساس نهضة الأمة مع عرض النظم الاقتصادية الغربية عرضا مصحوبا بالإعجاب ، وتكرار الكلام حول تعدد الزوجات في الإسلام وتحديد الطلاق واختلاط الجنسين .

– نشر فكرة العالمية والإنسانية التي يزعم أصحابها بأن ذلك هو السبيل إلى جمع الناس على مذهب واحد تزول معه الخلافات الدينية والعنصرية لإحلال السلام في العالم ، ولتصبح الأرض وطنا واحدا يدين بدين واحد ويتكلم بلغة واحدة وثقافة مشتركة بغية تذويب الفكر الإسلامي واحتوائه في بوتقة الأقوياء المسيطرين أصحاب النفوذ العالمي .

– إن نشر الفكر القومي خطوة على طريق التغريب في القرن التاسع عشر وقد انتقل من أوروبا إلى العرب والإيرانيين والترك والإندونيسيين والهنود ، إلى كيانات جزئية تقوم على رابط جغرافي يجمع أناسا ينتمون إلى أصول عرقية مشتركة .

– تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة ، يقول المستشرق جب: وقد كان من أهم مظاهر سياسية التغريب في العالم الإسلامي تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التي ازدهرت في البلاد المختلفة التي يشغلها المسلمون الآن ... وقد تكون أهميته محصورة الآن في تقوية شعور العداء لأوروبا ولكن من الممكن أي يلعب في المستقبل دورا مهما في تقوية القوميات المحلية وتدعيم مقوماتها .

– عرض روكفلر الصهيوني المتعصب تبرعه بعشرة ملايين دولار لإنشاء متحف للآثار الفرعونية في مصر وملحق به معهد لتخريج المتخصصين في هذا الفن .

– إن كلا من الاستعمار والاستشراق والشيوعية والماسونية وفروعها والصهيونية ودعاة التوفيق بين الأديان "وحدة الأديان" قد تآزروا جميعا في دعم حركة التغريب وتأييدها بهدف تطويق العالم الإسلامي وتطويعه ليكون أداة لينة بأيديهم .

– نشر المذاهب الهدامة كالفرويدية والداروينية والماركسية والقول بتطور الأخلاق (ليفي برويل) وبتطور المجتمع (دوركايم) والتركيز على الفكر الوجودي والعلماني

والتحرري والدراسات عن التصوف الإسلامي والدعوة إلى القومية والإقليمية والوطنية والفصل بين الدين والمجتمع وحملة الانتقاص من الدين ومهاجمة القرآن والنبوة والوحي والتاريخ الإسلامي والتشكيك في القيم الإسلامية عن فكرة الجهاد وإشاعة فكرة أن سبب تأخر العرب والمسلمين إنما هو الإسلام .

– اعتبار القرآن فيضا من العقل الباطن مع الإشادة بعبقرية النبي محمد صلى الله عليه وسلم و ألمعيته وصفاء ذهنه ووصف ذلك بالإشراق الروحي تمهيدا لإزالة صفة النبوة عنه .

مؤتمرات تغريبية :

– عقد مؤتمر في بلتيمور عام 1942م وهو يدعو إلى دراسة وابتعاث الحركات السرية في الإسلام .

– في عام 1947م عقد في جامعة برنستون بأمريكا مؤتمر لدراسة (الشؤون الثقافية والاجتماعية في الشرق الأدنى) وقد ترجمت بحوث هذا المؤتمر إلى العربية تحت رقم 116 من مشروع الألف كتاب في مصر، شارك فيه كويلر يونغ وحبيب كوراني وعبد الحق إديوار ولويس توماس .

– عقد مؤتر (الثقافة الإسلامي والحياة المعاصرة) في صيف عام 1953م في جامعة برنستون وشارك فيه كبار المفكرين من مثل ميل بروز ، وهارولد سميث وروفائيل باتاي ، وهارولد ألن ، وجون كرسويل ، والشيخ مصطفى الزرقا وكنت كراج واشتياق حسين وفضل الرحمن الهندي .

– وفي عام 1955م عقد في لاهور بالباكستان مؤتمر ثالث لكنه فشل وظهرت خطتهم بمحاولتهم إشراك باحثين من المسلمين والمستشرقين في توجيه الدراسات الإسلامية .

– انعقد مؤتمر للتأليف بين الإسلام والمسيحية في بيروت 1953م ، ثم في الاسكندرية 1954م وتتالت بعد ذلك اللقاءات والمؤتمرات في روما وغيرها من البلدان لنفس الغرض .

– في سبتمبر 1944م عقد بالقاهرة مؤتمر السكان والتنمية بهدف نشر أفكار التحلل الجنسي الغربية بين المسلمين من إتاحة للاتصالات غير المشروعة بين المراهقين

والإجهاض والزواج الحر والسفاح والتدريب على موانع الحمل وقد أصدرت هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية فتوى بضرورة مقاطعته والحذر من توصياته وأهدافه .

كتب تغريبية خطرة :

- الإسلام في العصر الحديث لمؤلفه ولفرد كانتول سميث ، مدير معهد الدراسات الإسلامية وأستاذ الدين المقارن في جامعة ماكجيل بكندا ، حصل على الدكتوراه من جامعة برنستون سنة 1948م تحت إشراف المستشرق هـ.أ.ر. جب الذي تتلمذ عليه في جامعة كمبريدج وهذا الكتاب يدعو إلى التحررية والعلمانية وإلى الفصل الدين عن الدولة .

- نشر هـ.أ.ر.جب كتابه إلى أين يتجه الإسلام ، الذي نشر بلبنان سنة 1932م كان قد ألفه مع جماعة من المستشرقين وهو يبحث في أساب تعثر عملية التغريب في العالم الإسلامي ووسائل تقدمها وتطورها .

- إن بروتوكولات حكماء صهيون التي ظهرت في العالم كله عام 1902م ظلت ممنوعة من الدخول إلى الشرق الأوسط والعالم الاسلامي حتى عام 1952م تقريبا أي إلى ما بعد قيام إسرائيل في قلب الأمة العربية والإسلامية ولا شك بأن منعها كان خدمة لحركة التغريب عموما .

- تصوير بعض الشخصيات الإسلامية في صور من الابتذال والعهر والمزاجية كما في كتب جوردي زيدان ، وكذلك تلك الكتب التي تضيف الأساطير القديمة إلى التاريخ الإسلامي على هامش السيرة لطه حسين والكتب التي تعتمد على المصادر غير الموثوقة مثل محمد رسول الحرية للشرقاوي وكتبه عن الخلفاء الراشدين والأئمة التسعة .

الجذور الفكرية والعقائدية :

- لقد ارتدت الحملة الصليبية مهزومة بعد حطين ، وفتح العثمانيون عاصمة الدولة البيزنطية ومقر كنيستهم عام 1453م واتخذوها عاصمة لهم وغيروا اسمها إلى اسلامبول أي دار الإسلام ، كما أن جيوش العثمانيين قد وصلت أوروبا وهددت فيينا سنة 1529م وقد ظل هذا التهديد قائما حتى سنة 1683م ، وسبق ذلك كله سقوط

الأندلس وجعلها مقرا للخلافة الأموية ، كل ذلك كان مدعاة للتفكير بالتغريب ، والتبشير فرع منه ، ليكون السلاح الذي يحطم العالم الإسلامي من داخله .

- إن التغريب هجمة نصرانية صهيونية استعمارية في آن واحد التفت على هدف مشترك بينها وهو طبع العالم الإسلامية بالطابع الغربي تمهيدا لمحو الطابع المميز للشخصية الإسلامية .

الانتشار ومواقع النفوذ :

- لقد استطاعت حركة التغريب أن تتغلغل في كل بلاد العالم الإسلامي ، وإلى كل البلاد المشرقية على أمل بسط بصمات الحضارة الغربية المادية الحديثة على هذه البلاد وربطها بالغرب فكرا وسلوكا .

- لقد تعالت تأثير حركة التغريب إذ أنه قد ظهر بوضوح في مصر ، وبلاد الشام وتركيا وأندونيسيا والمغرب العربي وتتدرج بعد ذلك في البلاد الإسلامية الأقل فالأقل ولم يخل بلد إسلامي أو مشرقي من آثار وبصمات هذه الحركة .

ويتضح مما سبق :

أن التغريب تيار مشبوه يهدف إلى نقض عرى الإسلام والتحلل من التزاماته وقيمه واستقلاليته والدعوة إلى التبعية للغرب في كل توجهاته وممارساته ومن واجب قادة الفكر الإسلامي كشف مخططاته والوقوف بصلابة أمام سمومه ومفترياته التي تبثها الآن شخصيات مسلمة وصحافة ذات باع طويل في محاولات التغريب ، وأجهزة وثيقة الصلة بالصهيونية العالمية والماسونية الدولية ، وقد استطاع هذا التيار استقطاب كثير من المفكرين العرب ، فمسخوا هويتهم وحاولوا قطع صلتهم بدينهم والذهاب بولائهم وانتمائهم لأمتهم الإسلامية من خلال موالاة الغرب والزهو بكل ما هو غربي وهي أمور ذات خطر عظيم على الشباب المسلم .

http://www.khayma.com/internetclinic/mathahb/altakreb.htm

============

#التغريب بين اندماج الشباب وانصهارهم

بقلم: عادل القاضي

لا نريد الدخول في أسباب هجرة الكثير من العوائل المسلمة إلى البلدان الغربية، فلقد باتت واضحة لكثرة ما دار الحديث حولها.لكن الذي يهمنا منها هو مشكلة التغريب بالنسبة لشريحة الشباب الذين يقومون بالهجرة تارة بشكل فردي شخصيّ بمعزل عن العائلة، وتارة بالالتحاق بالعائلة التي تتخذ قرار الهجرة.

والشكل الأول اخطر من الثاني لان الشاب في هذه الحالة سيكون مفصولاً تماماً عن عائلته، فلا رقابة ولا توجيه ولا حضانة، الأمر الذي يعني بالنسبة لغالبية المهاجرين من الشباب الانفلات من سلطة العائلة والتحرر من الالتزامات الدينية والاجتماعية والثقافية.

والخطورة تزداد إذا كانت خلفية الشاب الثقافية والدينية والاجتماعية هشّة، فإذا كان هو سلفا يجهل ذلك، أو لا يعلم منه إلا القليل، فإنّه مع تواتر الأيام سيفقد حتى هذا القليل ليملأ الفراغ الحاصل بثقافة المحيط الجديد .. ومن هنا تتعقد المشكلة ولا نقول تنشأ، فهي قد نشأت منذ قرر أن يهاجر لوحده.ولما كان أكثر الذين يهاجرون من الشباب سواء مع عوائلهم أو لوحدهم لا يتوجهون لإكمال دراساتهم إلا ما رحم ربي ولا يلتحقون بالمراكز الإسلامية والأجواء.

الدينية وإنما ينخرطون مباشرة في سوق العمل فإنّ احتمالات تأثير الأجواء الجديدة بشكل سلبي عليهم كبيرة لدرجة الانصهار مع المجتمع الجديد، فلا يبقى من هوية الشاب المسلم سوى اسمها، وإلاّ فتصرفاته وحتى طريقة لباسه وتسريحة شعره ووضع السلاسل على رقبته ومعصمه وتساهله في الاختلاط والعلاقات غير الشرعية مع الفتيات .. تشبه إلى حد بعيد حال الشاب الغربي نفسه.

وربما تعقد الأمر أكثر نتيجة غياب المراقبة والمحاسبة والشعور الديني بالمسؤولية، حتى يصل الى تعاطي المخدرات والى الانضمام إلى منظمات مشبوهة أو معادية للإسلام.

أن مشكلة التغريب عند الشباب تظهر وتتبلور أكثر عندما لا يكون الشباب والفتيات قد تلقوا تعليما أو تربية إسلامية سابقة على الهجرة، فلقد اتضح من خلال بعض الإحصاءات المهجرية أن العوائل الملتزمة والمحافظة والمتدينة التي تعاملت بأسلوب التفاهم والصراحة والاحترام مع أبنائها هي الأقل عرضة لحالات انحراف الأبناء

والبنات من الأسر التي أهملت واجباتها في التربية، الأمر الذي يصل بها أحيانا إلى فقدان السيطرة تماما على أبنائها وبناتها حين يستمعون ويستمتعون بالخطاب الذي يقول لهم أنكم شخصيات مستقلة ولا دخل للوالدين في شؤونكم الخاصة .. ولكم حريتكم التي لا يحق لأحد التدخل فيها.

ولذلك، وأمام مشكلة التغريب التي يعيشها الكثير من الشبان المسلمين والفتيات المسلمات، لابد من النظر إلى المشكلة من أكثر من زاوية:

1- إن دور الأسرة في المجتمعات الإسلامية خطير وكبير، فما بالك في المجتمعات غير الإسلامية، إن المسؤولية هنا تتضاعف، فإذا كانت الأسرة حكيمة في تعاملها مع أبنائها قلصت وخففت وربما تمكنت من الحد من عوامل الذوبان في المجتمعات الجديدة بما توفره من أجواء الانسجام والتفاهم والاحترام والحوار بين أعضائها.

2- لابدّ من التفريق بين (الانصهار السلبي) و(الاندماج الذكي) فنحن لا نريد للشباب المسلمين أن يكونوا جزائر منفصلة عن المحيط .. كما لا نريد لهم أن يكون قطرات ذائبة في المحيط .. فإذا انطلق الشباب المسلمون والفتيات المسلمات من قاعدة رصينة – نعني خلفية ثقافية ودينية جيدة – فإنّهم سيكونون عناصر تفاعل جيدة وعناصر تأثير جيدة في الدفاع عن دينهم وحقوقهم وقضاياهم.لقد لوحظ في بعض أوساط الجاليات المسلمة في الغرب أن المنطقة أو الحي الذي يعيش فيه مسلمون ملتزمون تتراجع فيه معدلات الجريمة والمخدرات والفساد الأخلاقي مما أعطى صورة طيبة للمؤسسات المعنية في الدول الأوروبية على إن في المسلمين من يحترمون القوانين ويفون بالعهد والمواثيق، ولهذا الأمر انعكاساته الطيبة في أسلوب التعامل بين تلك المؤسسات وبين المهاجرين.

3- إما على صعيد الانصهار السلبي والانبهار الذين يعمى ويصمّ، فلقد أفرزت تجربة الاغتراب جيلاً ليس بالصغير أو القليل من الذائبين من الرأس حتى أخمص القدمين بالمجتمعات الغربية، من جراء الإحساس بروحية الدونية والحقارة لانتماءاتهم السابقة، ومن خلال إجراء مقارنات مادية بحتة بين مجتمعاتهم التي كانوا يعيشون فيها والتي يسيطر عليها الظلم في الغالب وبين هذه المجتمعات التي تعيش الحرية والنظام والاستقرار، بل يتطوّر الأمر إلى ما هو أسوأ من هذا وذاك إلى الشعور

بالعيب من الإسلام وقيم الدين، ففي حين تجد فتيات مسلمات واثقات من دينهن وشخصياتهن يقاومن محاولات إجبارهن على خلع الحجاب، ترى في المقابل بعضا من فتيات المسلمين من تخلع حجابها من دون أي ضغط وذلك مسايرة للفتيات الغربيات المتبرجات، أو المسلمات الضعيفات الالتزام.

4- وكحل لمشكلة التغريب في أوساط الشباب نقترح ونشجع على السكن في المناطق التي

تتواجد فيها جاليات إسلامية اكبر، لان الجو الاجتماعي الإسلامي له تأثيره في قوة الانضباط والانشداد إلى الجماعة الإسلامية، كما أن ارتياد المراكز الإسلامية واختار الأصدقاء الصالحين، وإقامة نواد ومدارس إسلامية يلتحق بها الشبان والفتيات، بل وإيجاد أماكن للترفيه والتسلية الإسلامية ما أمكن ذلك، مما يساعد على الحفاظ على الهوية الدينية واللغة العربية وتأمين الحاجات النفسية والعاطفية للتواصل الاجتماعي وتحقيق الفرص المناسبة لنمو الثقافة الإسلامية التي تعد صمام الامان من الانصهار في المجتمعات الغربية.

المصدرhttp://www.balagh.com

=============

#المصلحون والدعوة إلى التغريب

حسين احمد امين

أخذ من سمّوا بالمصلحين في كل البلاد الإسلامية يدعون دعوات متشابهة، عمادها أن تأخذ شعوبها من المدنية الغربية ما يناسب، وأن يأخذوا من المدنية الإسلامية ما يناسب.. وكانت خلاصة رأيهم "أن عقدة العقد في موقف المسلمين اليوم هي التوفيق بين المدنية الغربية والمبادئ الإسلامية. غير أن المسلمين لحسن الحظ ليسوا مخيرين بين التمسك بدينهم وبين اعتناق الحضارة الغربية. فخير للعالم الإسلامي اليوم أن يأخذ من المدنية الغربية كل علمها وتجاربها في الصناعة والزراعة والتجارة والطب والهندسة وسائر العلوم، من غير قيد ولا شرط، ثم يحتفظ مع ذلك بروحانيته التي يلوّن بها هذا العلم، فتجعله موجها في البشرية لا لغلوّ في كسب مال، ولا لإفراط في نعيم، ولا للقوة والغلبة، ولكن للخير العام. وهذا هو المبدأ الذي يضيء

للمسلمين الطريق، ويبدّد حيرتهم، ويحل الكثير من مشاكلهم. فدينهم الإسلامي لا يمنعهم أيّ منع من ذلك، بل إن الإسلام حث على طلب العلم ولو في الصين، ولا شيء يمنعهم من ذلك إلا تمسكهم بالتقاليد الموروثة، وتقديسهم للعادات المألوفة، ودينهم براء من ذلك... وإنما برّت أوربا الشرق المسلم في مضمار الحضارة لا لأنها مسيحية، وإنما لعنايتها بتطوير العلوم وإهمال المسلمين لها. وليس في الإقبال على التعليم من الغرب من بأس، ولا هو مدعاة للخجل، فإنما كان الفضل في نهضة العلوم في أوربا راجعًا إلى استفادتها من النقل عن المسلمين الذين عنوا بالحفاظ على تراث الإغريق وتطويره وتنميته ".

هكذا كانت دعوة هؤلاء "المصلحين ". وهي دعوة أيدها المستعمرون وأبهجتهم، خاصة إن صدرت عن رجال الدين البارزين من أمثال الشيخ محمد عبده، إذ رأوها في مجملها دعوة مقنعة إلى التغريب. والذي نتج عن هذه الدعوة هو ما كان متوقعاً منها ؛ فتحت الباب على مصراعيه أمام الاقتباس من مدنية الغرب دون حرج، في حين أغفل الشطر الثاني وكأنما لم يورده الدعاة إلا من قبيل التمويه والنفاق وتسهيل الأمر. وإنه لمن الشائق حقًا أن نقرأ في العدد الأول من مجلة "العروة الوثقى " تحديدًا لأهداف المجلة، ومن بينها " 0000 3- الدعوة إلى التمسك بمبادئ السلف المماثلة في واقع الحال لمبادئ الدول الأجنبية القوية المتقدمة!".

فهنا إذن إحساس بتفوق الغرب، وإدراك لضرورة الدفاع، واعتراف بصحة الأسس التي تقوم عليها حضارة الدول الأوربية تضمّنته الإشارة إلى الشبه بينها وبين مبادئ الإسلام، وهو أكثر صنوف الإطراء والمديح إخلاصًا. وقد شكا المبشرون المسيحيون من أن هؤلاء المصلحين الإسلامين إنما يتبنّون الأفكار والقيم المسيحية، ويسعون إلى تشييد صرح إسلام جديد "مسيحي ". غير أن الواقع أنهم لم يتبنوا القيم المسيحية، وانما نسبوا إلى الإسلام القيم الليبرالية الإنسانية البورجوازية التي عمّت أوربا خلال القرن التاسع عشر، وهي قيم غير مشتقة عن المسيحية.

المصدر :الاسلام و الغرب

http://www.balagh.com

==============

#نحن و التغريب في وسائل الإعلام

بقلم: نور الحسين

قد تعكس الصورة بعض جمالها أو كله على المضمون، وقد تسيء الصورة للمضمون أو قد يسيء المضمون للصورة أو يجمل مساوئها. فالشاب الوسيم أقدر على أن يحتل مكانة اجتماعية مميزة من القبيح، رغم أن المضمون النفسي قد يكون مغايراً لما في الخارج. وقد ينعكس الموضوع فينعكس جمال أو قبح المضمون على الصورة، فالتقوى النابعة من الأعماق قادرة على أن تهب جمالاً لشخص غير جميل، والخيانة التي تفوح رائحتها المنفرة قادرة على أن تحجبنا عن جمال مظهر الجميل. وقد يتحد المضمون والصورة فيصبحان جمالاً أو قبحاً واحداً.

وفي عالمنا المعاصر حيث الدراسات والأبحاث ووسائل الفن وأدوات الجمال تسهم بدور خطير في التلاعب بأذواق الناس، أصبح من السهل أن ينقلب الحق والصدق والجمال؛ باطلاً وكذباً وقبحاً خصوصاً أن الطاقات المختلفة تتمركز في أيدي من صمت أسماعهم وعميت أبصارهم وزاغت سبلهم عن الحقيقة التي بها خلاص المجتمعات البشرية. وبهذا أصبح العبء الذي يجب أن يتحمله الرساليون أكبر؛ خصوصاً أن الهوة الفاصلة بينهم وبين أدوات التغيير الحديثة كبيرة ويراد لها أن تبقى كذلك.

في زمن الدعاية والإعلام ينبغي أن نتمتع بوعي كاف يكشف لنا طبيعة الهجمة الإعلامية التي تتعرض لها مجتمعاتنا. ولكي نعي بعض ما يمارس على مجتمعاتنا من تلاعب بالذوق والأخلاق الاجتماعية نسرد الملاحظات التالية:

أولاً: إن قبولنا لدخول وسائل الإعلام إلى منازلنا هو قبول غالباً بدخول مظاهر الفساد مهما كانت المبررات، خصوصاً إذا كان تعاملنا بعد هذا الاستسلام هو تعامل عفوي، نتقبل فيه على أقل الاحتمالات القصص العاطفية ومظاهر العنف تارة في صورة أفلام أو مسلسلات، وتارة في صورة أفلام الرسوم المتحركة التي تنخر في سلوكيات الأطفال دون أن نشعر ونحن غافلون، والصور الأخرى كثيرة يطول النقاش فيها و المفاسد أكثر.

ثانياً: إن هذا الفساد يفرض نفسه و يمر من قنوات تسهل نقل مظاهر الفساد وتجعلنا نقف عاجزين عن تحدي زحف مظاهر الفساد، وعند الإشارة لبعض قنوات مرور الفساد يمكننا أن نسرد معادلات المقايضة التالية:

1- الوصول إلى المعلومة والخبر بشرط قبول الدعاية شبه العارية والأخبار المضللة.

2- التسلية و القضاء على الملل من خلال برامج فاسدة، أو مستنزفة للوقت.

3- عرض الإباحية والفساد على أنها مظهر حضاري ينبغي قبوله.

ثالثاً: إن ما نرفضه من مظاهر الفساد اليوم سرعان ما يتحول مع التكرار إلى شيء مألوف نعتاده، مما يؤدي إلى فقدان المناعة والرفض بل قد تحدث تحولات في تفكيرنا تؤدي إلى القبول والتأييد، وهذا ما يشهد عليه التحول في الكثير من المواقف الاجتماعية بين جيل وآخر؛ فكثير مما يرفضه الآباء يمكن أن يقبله الأبناء وهذا التحول في المواقف ليس دائماً مبرراً.

من خلال ما سبق نخلص إلى أن الفساد يمر من خلال قنوات تجعله مقبولاً ،وهذا ما يجب أن ندركه أولاً كي نعي أن التحدي ليس في تبيان أحقية أو مصداقية منهج معين بقدر ما هو عملية دعاية وترويج يسخر لها أحدث آليات الدعاية والإعلام وتعرض بعدة طرق بحيث يمكن تمرير الفساد في قوالب مقبولة والنتيجة تغلغل الفساد وتحوله إلى ذوق وسلوك عام في المجتمع؛ لذا ينبغي ملاحظة النقاط التالية للنجاح في تقديم الدور الرسالي المطلوب:

1- التفاعل مع وسائل الإعلام ومحاولة التأثير فيها من خلال المطالبة ببرامج تتوافق مع أخلاقياتنا والمشاركة في البرامج المفتوحة لتوجيهها وجهة صحيحة.

2- السعي لامتلاك تلك الوسائل سواء على المدى البعيد أو القريب وإعداد الكفاءات المناسبة لذلك.

3- الاهتمام بطريقة العرض والقوالب التي نقدم من خلالها ثقافتنا وأفكارنا وعدم القبول بعرض أفكارنا في قوالب أو مظاهر سيئة لان ذلك سيؤدي لتشويه تلك الأفكار وعدم رواجها.

4- دراسة اثر البرامج المختلفة في وسائل الإعلام غير الملتزم من حيث فاعليتها في تغيير الأخلاقيات والذوق العام ونشر نتائج تلك الدراسات والتحليلات.

5- إعادة تقييم موقفنا من وسائل الإعلام من خلال دراسة التحولات في تعاملنا مع وسائل الإعلام في ضوء المسار الزمني لبروز تلك الأدوات وتحولنا من الرفض إلى القبول بالعادات التي تنتشر في مجتمعاتنا. على أن يتم هذا التقييم من خلال الابتعاد بتقييمنا عن تأثرنا بالإعلام قدر المستطاع.

وأخيراً: ننوه إلى أنه قد يدخل الفساد بيوتنا مختبئ خلف عباءة الحضارة والتقدم والفن والجمال، وقد يطرد الدين منها لغياب وعينا بأهمية الاهتمام بالأساليب الجمالية والإبداعية والحضارية التي يجب أن يعرض من خلالها، فيخرج الدين متهماً بالتخلف والقبح والعنف... وما شابه. لذا فواجبنا الربط بين عظمة المضامين الدينية والقوالب التي يعرض فيها الدين كي لا نسيء إلى الدين من حيث لا ندري.

.htm2031%http://www.qateefiat.com/qa/maqalat/nahn

============

#لغتنا الجميلة وعاديات التغريب..!

كثيرون وكثيرات، من الرجال والنساء، في المجتمعات الإسلامية، مع ما هم عليه من خير والتزام ظاهر بأحكام الإسلام وآدابه وأخلاقه، يقعون تحت طائلة التبعية الذليلة وإعطاء الدنية من حيث لا يشعرون؟!

فمثلاً تجد بعض الألفاظ الأجنبية ديدناً على الألسنة في المعاملات اليومية بين الناس، والسلع الأجنبية هي المفضلة لدى الكثيرين وذات الرواج في أسواق البيع والشراء. أمَّا الصغار فجلّ حديثهم عن الشخصيات الكارتونية الأجنبية التي يرونها عبر شاشات التلفاز، والتي تغزو عقولهم وقلوبهم بأفكار دخيلة وغريبة على مجتمعاتنا!

وفي المجالس النسائية حدِّث ولا حرج عن الألفاظ الأجنبية التي يبدو أنَّ بعض النساء يتباهين ويتنافسن في كثرة إيرادها وإدراجها في عباراتهم.. فبدلاً من "جزاك الله خيراً" وألفاظ الشكر والدعاء جميلة الوقع في نفس القائل والسامع، تجد مسخاً من ألفاظ أجنبية مثل "مرسي" "أوكي"... إلخ.

وفي أماكن العمل المختلفة التي ينبغي أن يظهر فيها تميز الأخلاق والآداب الإسلامية، يتوارى اللسان العربي، وترى الهوة الواسعة . في كثير من الأحيان . بين المظهر الإسلامي المشرق الجميل، وبين ألفاظ صاحب هذا المظهر نفسه . للأسف! .، فترى . مثلاً . الطبيب المسلم الملتزم الوقور وهو ينادي ممرضة كافرة متبرجة بلفظ "سيستر" ومعناه: أختي! ناهيك بركاكة اللفظ وسماجته! (انظر معجم المناهي اللفظية لفضيلة الشيخ العلاّمة بكر أبو زيد).

إنَّ غلبة الألفاظ الأجنبية الدخيلة على ألسنة المسلمين والمسلمات بهذا الانتشار الواضح لهو نوع من التبعية المنافية لعزة المسلم واعتزازه وترفّعه عن التشبه بمن لا خلاق لهم، وقد قال رسول الهدى صلى الله عليه وسلم: "من تشبّه بقوم فهو منهم" و"المرء مع من أحب"! إضافة إلى أنه مما يفرح به أعداء المسلمين ويجعلهم يشعرون بنوع من التفوق والاستحواذ!

أيضاً فإن المشابهة في العادات . ومنها الألفاظ التي يدمن عليها اللسان . تورث مشاكلة في الطباع والأخلاق، كما نص على ذلك العلماء، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وغيره.

فهل نراجع أنفسنا وتأخذنا الغيرة على اللسان العربي المبين الذي نزل به قرآن رب العالمين، ونفعِّل هذه الغيرة عمليّاً بتعويد ألسنتنا وألسنة أطفالنا التلفظ بلغتنا العظيمة المباركة، ونشر هذا الوعي تواصياً وتناصحاً مع من حولنا وفي مجالسنا، وصدَّاً لعاديات جحافل "التغريب" من خلال هيمنة الإسلام في أقوالنا وأفعالنا ومعاملاتنا على كلّ كبيرة وصغيرة؟!

المصدر/http://www.lahaonline.com

============

#المرأة في دول الخليج ومطارق التغريب

دأبت أقلام على السعي من خلال الوسائل والأدوات الإعلامية وبإصرار على معاودة الطرق على أوضاع المرأة في دول الخليج العربي، بل والوصاية عليها، فتارة تتباكى تلك الأقلام وأحيانا ترسم المستقبل الذي تعشقه كما رأته في بلاد الجريمة والاعتداءات على المرأة في عرضها أو مالها أو حياتها.. وأحيانا تندد وتشجب

وتتعلق بخيوط العنكبوت لتبني منها أوهامها وتنفث من خلال ذلك الفكر الدخيل لتهدم صروحا وأمجادا بنتها المرأة خلال عقود من الزمن.

فحيث توجد المرأة المسلمة فالإسلام أعطاها أعلى درجات السعادة التي ممكن أن تحصل عليها في الحياة، فالمرأة منذ بداية الإسلام لم تكن شيطانا نجسا لا يعترف به وليس له حق في الملكية الخاصة وليس له حق السعادة والفرح والبهجة، أو معزولة موروثة وخادمة و مهانة لا كرامة لها ولا حقوق، كما هي في الحضارات التي عاصرت كثيرا المد الإسلامي.

فأصول النظام الإسلامي ومصادره تتزاحم فيها النصوص التي تعتني بالمرأة وتحافظ على حقوقها الأصلية، بل كثيرا ما تجعل الخطاب الموجه إليها نصا خاصا ينفرد بالتوجه إليها غير نص الرجال لا في ضمنه ولا في محتواه ولا بالمفهوم فقط، وذلك من إعزازها وتكريمها واستقلالها.

{ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ.........}{ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ.....} (سورة النور).

ولقد فرض الإسلام لهن مثل ما عليهن {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ}

حتى بلغت النصوص درجة الوجوب في العناية بالمرأة وتغليب جانب الخير عند التعامل معها "استوصوا بالنساء خيرا"، بل ربطت خيرية الرجل بمدى خيريته لأهله "خيركم خيركم لأهله".

ومع هذا تطالعنا وسائل الإعلام ببعض الكتابات التي تطل بأعناقها للحديث عن المرأة في بلاد الإسلام.

عجباً!! أو تتناسى أدنى درجات الموضوعية والإنصاف؛ لأنها تنساق في قوالب قد أعدت مسبقا لها؟! فحينا تسمي الإسلام: أوضاعا اجتماعية، ومرات تسميه: مخلفات تراكمية، وتارة تنسبه لعصور الانحطاط ....عجبا!!

نقول هذا ونحن نتداول بين أيدينا مقالا نشرته إحدى الصحف العربية وقد حملت كاتبته مطرقة حديدية هوت بها على أوضاع المرأة المسلمة في إحدى بلدان الخليج العربي؛ استمرارا للحملة التي ما تزال مطارق المنصرين ودعاة انسلاخ المرأة من دينها و فطرتها وعفافها تدق عليه. انظر إلى هذا النص من مقالها تقول:

"تعيش السعوديات حياة صعبة تمزج بين التقاليد الصارمة وقواعد السلوك مع المطالب الحديثة للتعليم والحرية".

أرأيت . أخي القارئ . لوجود التقاليد ولوجود قواعد السلوك يسمون الحياة صعبة! إنهم يريدونها بلا قواعد للسلوك ولا تقاليد وأعراف البيئة التي رضيتها الشعوب لنفسها! أنهم لا يريدون لأي أمة أن تختار، بل لهم الحق . في رأيهم . أن يجددوا المنهج للعالم أجمع، ومن رأى لنفسه غير ذلك فهي حياة صعبة وفيها نظم وبنود، ولا حرية هوجاء فيها ولا انفراط من مجتمع القيم والأعراف كما هي المطالب الحديثة التي تتميز بالانحلال وفسخ كل التعاليم إلا ما ترتضيه الأهواء والنزوات، حيث التعليم المختلط والسائب والحرية المزعومة التي تقضي على القيم والأخلاق والأعراف، حيث إن تلك البلد التي تتحدث عنها المجلة أعرافها جلها من الشرع المطهر.

ثم انظر ماذا تقول المجلة: (وبينما يتعين على النساء في المملكة ارتداء الحجاب... ـ إلى أن تقول . ولا بد من اصطحاب أحد أقاربهن الذكور كمحرم عند سفرهن للخارج...) (منقول).

إنهم لا يريدون الحجاب ولا يريدون المحرم! اعتراض سافر على أحكام الشريعة وعلى اختيار الناس الذي اقتنعوا به ورضوا به لذواتهم!

(إلا إنهن ابتعدن كثير عن الصورة النمطية السائدة عنهن في الغرب) (منقول).

وهذا هو المطلب، إنه انهزامية من الداخل، كل المراد هو تغيير الصورة عند الغرب.

وفي مقطع آخر من المقال نفسه: (ورغم أن كثيرا من النساء لا يعملن حسب اختيارهن، هناك أيضا بعض القيود على مشاركتهن في المهن المختلفة. وفي بعض الحالات فإن القيود على النساء لا تقرها القوانين وإنما الممارسة).

يا للعجب!!

اعتراض على الحرية الفردية والجماعية للفرد والمجتمع. القانون لا يسمحون له أن يتحكم في الممارسة ولا الأعراف، تدخل سافر وتحكم ومصادرة للحريات.

وفي المقال نفسه: (رغم إن النساء في السعودية يملكن 40 بالمئة من الثروة الخاصة، وآلاف الشركات التي تعمل في مجالات تراوح بين تجارة التجزئة إلى الصناعات الثقيلة، إلا إنهن يواجهن قيودا ثقافية وقانونية محبطة. ويتعين على

النساء الاعتماد على وكيل رجل للتعامل مع المكاتب الحكومية ولإدارة الكثير من المعاملات).

كيف تكون أن ما تعمل به الأمة من أنظمة وتشريعات يسمونها قيودا ثقافية وقانونية محبطة وكيف تكون محبطة وهم يقولون (النساء في السعودية يملكن 40 في المئة من الثروة الخاصة وآلاف الشركات التي تعمل في مجالات تراوح بين تجارة التجزئة إلى الصناعات الثقيلة). لكنهم يريدون المرأة تأتي للمكاتب وتحتاج إلى مقابلات ولقاءات.

ثم تقول الصحيفة :(ويقول كثيرون إن التقاليد والثقافة هما اللذان يدعمان هذه القيود لا الإسلام، ويشيرون إلى أن الدين يدعم حقوق المرأة في البيت والعمل).

ماذا يقصد بالثقافة، والكل يعرف أن الثقافة التي تنبني عليها أحكام في السعودية هي الثقافة الإسلامية؟

وتقول الصحيفة: (فالإسلام يكفل للنساء حق إدارة ميراثهن بأنفسهن ويمنحهن حقوق الملكية. ويقول مسلمون كثيرون إن القرآن كفل للنساء حقوقاً اقتصادية واجتماعية قبل فترة طويلة من حصول المرأة في الغرب على الحقوق نفسها).

نعم، إنه تناقض كبير بين النداء وبين التحقيق، أو أنه سم في العسل، فإذا كان الإسلام بهذه الصفة فلماذا لم يكن النداء دعوة للتوجه إليه؟!

المصدرhttp://www.lahaonline.com

============

#الحركة النسوية الغربية و أثرها في المجتمعات الإسلامية

محمد الأحمري

كانت ليلة عاصفة من النقاش مع غير المسلمين. كان النقاش في الكنيسة عن الإسلام وموقفه من قضايا عدة , وقد دعت لهذا اللقاء إحدى كنائس "البروتستانت" في أمريكا. كلفت باللقاء , وتهيبت ما أمامي منه أيما تهيب , وسيحضر اللقاء معي مسلم واحد –حديث العهد بالإسلام – وهذا امتحان لدينه أمامه وأمامهم , وأمامنا لقاء مفتوح مع شخصيات كنسية رغبت في التعرف والنقاش , وهم كثرة ونحن قلة , ومعهم قسيسة متخصصة في الإسلام والعالم الإسلامي , رأيت – قبل قدومي –

بعض ما درسته , وعرفت من لقاء سابق , أنها مهتمة جداً بالإسلام ودراسته من شتى الجوانب , عقيدة وسلوكاً وتاريخاً, وبدى ذلك واضحاً من ورقة البرنامج.

وما أن بدأت الحديث , حتى ثارت إحدى الجالسات في لهجة مندفعة وصوت عال وسلوك نزق , تشتم الطريقة التي أجبرها أهلها فيها على اعتناق المسيحية ودراستها ؛ فقد أجبروها على ما تكره , وألزموها ديناً , فيه الكثير من غير المعقول , فتورمت أنوف الشيوخ الكبار والعجائز المشاهدات , وضاقوا بها وبتعرضها وتشويهها للمسيحية أمام المسلمين , وفي موجة غضب , كانت تهجو المسيحية وتسأل المسلمين وتنتقد الموجودين .

ثم هدأ الموقف – بتهدئة ذوي الأحلام – ليأخذ السياق طابع الجد والنقاش المباشر , وقد هيأ الله لنا باباً في الحديث – هم فتحوه – وكان موضوع (المرأة) . ولا يأتي ذكر الإسلام عند الأمريكان خاصة , إلا مرتبطاً بالحديث عن أمر المرأة . وكيف أن الإسلام يمنعها من التعليم والحياة , وموقف الإسلام من المرأة يحدده سلوك "طالبان" في أفغانستان ؛ فهو تجهيل للمرأة وحرمان . كما أن السلوك الإسلامي للرجل , يحدده صدام و القذافي والخميني , فهو كراهية للأجناس الأخرى , وحقد وفشل وحصار .. وما شابه .

ومشكلة المرأة في المجتمع الغربي , عقدة حقيقة في الثقافة الأوروبية القديمة , ثم حملتها المسيحية معها عندما تنصرت الشعوب المتوحشة المتخلفة ؛ فقد كانت هذه الشعوب – قبل تنصرها – تشرب الخمر, وتتزوج زوجة واحدة يمتلكها الرجل مدى الحياة ويخونها , ويزني بمن صادف من زمان التوحش إلى زمان "كلنتون" .. ثقافة يتوارثها الآباء عن الأجداد , في البيوت والمكاتب والمدارس والكتب .. وغيرها .

ذكرت لهم : أن عقدة المرأة لم تكن في المجتمع الإسلامي كما هي في ثقافتهم , وأننا اليوم قد استوردنا المشكلة مع مطاعم "مكدونالد والكوكاكولا", وأصبح همهم في هذه "الكنيسة" هو همّ الشارع "المسلم" , فيكفي أن تطلقوا نكتة أو تحدث مشكلة ؛ فتصبح مشكلتنا ! يكفي أن تنشر عندكم صورة إمرأة "بلباس غريب" أو "موضة حديثة" فتكون – هذه – موضة المغلوبين على أمرهم , ولم تسمعوا ولم تروا ولم تكبر عندكم كما كبرت عندنا .

وقرأت "لشريعتي" في مقارنته بين أسلوب تقدم المرأة في البلاد المتخلفة والدول القوية "أن المرأة تقدم في "فرنسا" على أنها بطلة من أبطال المقاومة ضد "ألمانيا" وتحرير باريس من النازيين , وضمن الأساتذة والكتاب والمترجمين والمكتشفين والمخترعين والمناضلين السياسيين والقائمين بخدمة البشر .. وأمور وتخصصات من هذا القبيل , أي الجهاد والمشاركة الفعالة بأكثر ما يمكن , من المفاخر التي كانت – في الغالب –قاصرة على الرجال , أما المرأة العصرية – هنا في إيران– فإن الإحصائية الوحيدة التي تقدمها كدليل دقيق لمعدل التقدم والتطور والحرية لديها, وأكثر الأناشيد الحماسية التي ينشدنها إيقاعاً , ويعتبرنها من الانتصارات التي اكتسبنها في طريق الحرية والتقدم , إنه منذ سنة 1957 حتى 1976 – وفي فترة لا تزيد عن عشر سنوات تضاعفت – مؤسسات التجميل والزينة وبيع لوازم الزينة والرموش والأظافر الصناعية في (طهران) خمسمائة ضعف , مما أسعد أصحاب محلات من أمثال كريستين ديور" أ.هـ بتصرف , (العودة إلى الذات ص 80). ثم يشير – في مكان آخر – إلى أن النساء الجاهلات أو الأقل تعليماً ومدنية وفي ريف إيران – أشد تعلقاً بالموضات الفرنسية وإنفاقاً عليها , من ساكنات طهران . وكانت إيران تستورد من مساحيق الزينة , أضعاف ما تستورده من المنتجات الثقافية .

ولما وهب الله المرأة من الحساسية الاجتماعية العالية, وسرعة التقليد , والتي تتمثل في تعلم الأشكال والأصوات , بل والبراعة في تعلم اللغات أكثر من الرجل , وهي أمور تساهم سلباً , كما تساهم إيجاباً. فعلى مجتمع الرجل المنهار– التابع لغير المسلمين – ألا يصب اللوم على المرأة وحدها , ولكن الحل أن يبرز الرجال منهم أساتذة ومن النساء يكن قدوات ؛ فينقلب الأمر, كما حدث في "مجتمع النبوة" الأول , وكما يمكن أن يحدث في أي مجتمع بشري . فالنخبة الواعية قادرة على قلب الموازين الثقافية .

ولما عرجت على أن المرأة المسلمة لم تعرف عقدة الكراهية والشتم – التي امتلأت بها كتب النصارى , وأنها تملك حق الزواج والطلاق والميراث , وأن تكون لها تجارتها وعملها ومالها الخاص , منذ أكثر من أربعة عشر قرناً , وأن خديجة – رضي الله عنها – كانت صاحبة مال وأعمال , عمل عندها الرسول (صلى الله عليه

وسلم) في تجارتها . وكان للنساء حضور في الحركة الجهادية والعلمية والسياسية في الإسلام , وما هند بنت عتبة , وعائشة وخطبتها يوم الجمل , بغريبة في الثقافة الإسلامية . قال الذهبي : – ناقلاً عن (الأحنف بن قيس) لقد استمعت لأبي بكر وعمر , فما سمعت مثل عائشة يوم الجمل أفخم كلاماً1. إن مجتمع خفت فيه العقد الداخلية , ولم يستورد أمراض الشعوب الأخرى – كحالنا اليوم – , تمرضه كل هبة ريح , أمل القوي فيستقوي بالوافد , ويضع الصالح لبنة في بنائه الضخم .

ثم أخذنا نستشهد جاء في الإنجيل: "وكما تصمت النساء في جميع كنائس الإخوة القديسين فلتصمت نساؤكم في كنائسكم , فلا يجوز لهن التكلم , وعليهن أن يخضعن كما تقول الشريعة, فإن أردن أن يتعلمن شيئا, فليسألن أزواجهن في البيت, لأنه عيب على المرأة أن تتكلم في الكنيسة2" فليس لها أن تتكلم أو تتعلم في الكنيسة . ودع هذا النص , للتالي العجيب ؛ يقول الإنجيل : "فالمرأة المتزوجة تربطها الشريعة بالرجل ما دام حياً, فإذا مات تحررت من رباط الشريعة .. هذا وإن صارت إلى رجل آخر وهو حي فهي زانية3" وهنا جاء السؤال هل ترون – معشر الحاضرين – هذا عدلاً ؟ وضجوا .. لا ؟!

لقد كان النقاش والتعقيب منا ومنهم , لنا نصراً , وشعرنا بالانشراح والابتهاج ؛ لأنهم اعترفوا بهذه الحقيقة , وليست هناك مشكلة عندها أن تسوق الأمثلة – بلا نهاية – على الشك والتناقض في أصولهم . وختاماً أقرت خبيرتهم فقالت: "بكل بساطة ووضوح , إن المرأة في المسيحية ما هي إلا جزء من ممتلكات الرجل والمسلمون منذ 14 قرناً , أعطوا للمرأة ما ترون . حقاً إنه عدل مبكر جداً".

الانتقام من المسيحية بالحركة النسوية

كنت قبلها بفترة يسيرة , اطلعت على كلمة لأحد الكتاب الأمريكان , قال فيها : "إن تعاملنا مع مسألة المرأة هذه الأيام , يدمر مجتمعنا" . فالمرأة التي تصبح وتمشي على ثقافة الحركة النسوية المتطرفة , والتي تطالب بأن يخاطب الله – عز وجل – بضمير المؤنث أيضاً "عز وجل عما يفترون" لأنهم إن وصفوا الله بضمير التذكير ؛ ففي هذا امتهان للمرأة . بل لا بد من الإشارة بالضميرين بالتساوي . وجعل كلمة "هي" و"هو" في كل مكان سواء . وأيضاً – يقول : "والأسرة التي تسمع , والأطفال

.. هذه الحروب الثقافية , كيف يمكن أن تصنع هذه الثقافة أسرة سعيدة ؟ بل وكيف يشعر الأطفال والآباء أن بينهم مودة ومحبة ؟ إن الأصوات الصاخبة بحقوق المرأة , لم تعد عليها إلا بالتدمير والكراهية والطلاق والمضايقة في مواقع العمل والشوارع , والامتهان والسخرية . إن العلاقة بين الزوجين ليست علاقة "قانونية" مجردة , إنها حب ووئام وألفة وإنصاف ومشاركة , يدخل القانون وقت المشكلة فقط .. وكم كانت الحياة سعيدة هادئة , قبل الحركة النسوية ؟

إن سياق الحزازات والمماحكات بين الرجل والمرأة – والتي أدت لحصول المرأة على نصف ممتلكات الرجل عند الطلاق أو الانفصال – هي التي تجعل الرجل يكره الزواج , ما دام الزنا سهلاً , ويصون عليه ماله , ويتهرب به حتى من المسئولية عن أطفاله . بل أوجدت هذه القوانين نوعاً جديداً – بدأه شياطين الأفلام – وهو "زواج العقود" وهو (عقد يظهر فيه الرجل على أنه زوج للمرأة ولكن لا يسجل زواجاً) , ويكتب عقداً يبين فيه أنه في حال الانفصال – لكثرته عندهم – ؛ فليس له عندها شيء , وليس لها عنده أي التزام ؛ لأن الحيلة – بأن توقعه في الزواج أو يوقعها – سادت في المجتمع المنحرف , ليخرج – بعد أيام – بنصف مالها , أو هي بنصف ذلك ؛ فكانت هذه الحيلة – التي تجعل العلاقة علاقة نفاق وعدم ثقة وحرب – مبطنة بالابتسامات للمصورين , والتظاهر بالسعادة والحياة الجميلة . وأكثر من نصف الزيجات تنتهي بالطلاق4 في عامة المجتمع , أما بين هذه الطبقات فلا تكاد النسبة تذكر , للباقين على زواجهم . على الرغم من أن الرجل يعاشر المرأة وتعاشره مدة أطول قبل الزواج , منها بعده .

إن النقمة العارمة من التاريخ المسيحي والعرف الوثني الغربي – الذي يحقر المرأة ويجعلها من سقط متاع الرجل – ؛ هو من أسباب سن القوانين المناصرة للمرأة , والتي تفضلها على الرجل , ولكن .. ماذا جاءت به هذه القوانين ؟ بالمزيد من الكراهية والاستهتار . فالأمريكي العنيف , لم يزل يفكر بالفتوة , والرجولة , والقوة , والغلبة على المرأة والهندي والملون . ولا أنسى قول أستاذنا – لزميل لنا عربي حصلت له مشكلة مع رئيسة التسجيل في الجامعة – قال له الأستاذ : "اذهب وقل لها كذا ؛ فرد الطالب بما يوحي بخوفه منها أو تمسكها برأيها , قال له منتهراً : أنت

تخاف من امرأة ؟ حدثنا فيما بعد بالقصة .. يتعجب من أسلوب أستاذه في الاستهتار بصاحبة المنصب الرفيع , التي تهتز لقولها فرائص طلاب العالم الثالث (المتخلف) , إذ يقلبون القوانين والثقافة – دائماً – لتكون ضدهم . صحيح .. إنه قول جريء وغريب في ذلك المجتمع ؛ فهم يمارسون قهر المرأة دون صراحة , والعمل الذي يسندونه لها , يعطونها أقل مما يعطون الرجل , وقد تعمل عملاً أكثر وأشق .

المرأة ومرحلة المجتمع:

ولكن المجتمع الأمريكي إلى الآن مجتمع رجولي , وعندما يضعف وينهار سوف تأتي المرأة على رأسه , كما جاءت (تاتشر) عند غروب ونهاية بريطانيا ؛ لتعلن ضياع الأدوار وسقوط همم الرجال , وتواري بأسهم . لقد كان أمراً يستحق الملاحظة أن الدول الإسلامية التي تمت فيها انتخابات حرة ؛ قد تزعمت فيها المرأة أول الحكومات الانتخابية . في تركيا, والباكستان , وبنغلادش , وأندونيسيا .. لماذا ؟ بل وفي الهند والفلبين – إذا ألحقنا دولاً أخرى ضعيفة أو متخلفة بمقاييس العصر – , بينما هذه المرأة الفرنسية , لم تصل في الانتخابات الحرة بعد الثورة , ولا بعد العلمانية المتطرفة , ولا زمن قوة فرنسا , ولم تصل أمريكا بعد , مع كونها أطول الديموقراطيات الرئاسية عمراً , وهذه اليهودية (مادلين ألبرايت) أول امرأة تتولى منصباً مهماً , في تاريخ أمريكا ؛ بسبب مال اليهود ونفوذهم . ولكنها لا تحلم بالرئاسة , ولو كانت هناك من امرأة قريبة أمل بالرئاسة في أمريكا ؛ فهي المترجلة (إليزابيث دول) . ولكن أمريكا القوية لم تصل بعد إلى عهد النساء , واختلاط المهمات . ولماذا المرأة في الدول الإسلامية فازت ؟ سأل أحدهم هذا السؤال في مجلس ؛ فقال أحدهم : "هذه شعوب مريضة ومعقدة تحب أن تثبت أنها متطورة فيهرب رجالها للخلف وتتظاهر الشعوب المقهورة بالتقدم والحرية واختيار المرأة !!" . وقال بعضهم : "إن هذا هو موقع المرأة الحقيقي في هذه الشعوب هي الزعيمة وهي صاحبة القرار في البيت والشارع , ولا يغرك تظاهر الرجال, ولذا لم يفلحوا" . ولكنفترة حكم هذه النساء , في تركيا والباكستان ؛ قد تكشفت عن فساد مالي ووساطات وقرابات , نهبت ميزانية دولهم في عهدهن , فأين القوة والأمانة ؟!

فتش عن العقدة:

لم تكن تلك الحوادث التي تقال على الألسن كافية لأن أعرف سر تطرف بعض العربيات في الحركة النسوية العربية , والتي جاوزت الخلق والأدب والمعقول , وأضحت كتابات مشبعة بالفجور ومستفزة , حتى كان ذات يوم , وأعطاني زميل كتاب (نوال السعداوي) .. "مذكرات طبيبة" , وهي نسخة مترجمة للغة أجنبية, إذ لا مناص من إثبات الولاء والحضور في لغتهم , والتماثل . ومن الصفحات الأولى في الكتاب تظهر لك (العقدة) وعين الأزمة , بلا ستار . لقد كانت عقدتها أنها في أول سنوات بلوغها – وكما تقول هي – ؛ فقد تعرضت لتحرش مؤذ من حارس العمارة – التي كانت تسكن فيها – وهربت منه – كما تقول – وكانت صغيرة جاهلة . وأنشب الخوف والحقد مخالبه فيها منذ ذاك. ثم تبعه – فيما بعد – أزمة علاقات صعبة في البيت مع إخوانها ووالديها , ثم تطورت العقدة إلى زواج فاشل , فنمى الخوف والعقدة , وأزمة البيت والشارع , والجامعة والذكاء والنجاح في الدراسة , والفشل في الحياة ؛ لتخرج بأزمة وأفكار "مريضة" موغلة في الانتقام ممن رأت أنهم "سر" فشلها ومرضها وعقدها المزمنة .

إن الصدمات الموجعة , والتجارب الفاشلة , والعلاقات القاسية في الطفولة والشباب المبكر ؛ تحفر– في النفس والعقل – حفراً كبيرة , يظهر خللها في يوم من الأيام . وتظهر آثار تلك الأزمات في تصرفات غير يسيرة , بل وبأشكال مثيرة ومستفزة , لأن النفس لم تكن سوية , ولم تستطع أن تخفي تلك الحفر (العميقة) , ولا أن يدمسها الزمن ! . لقد كانت مذكرات "هذه المرأة" جواباً لسؤال كبير أحاط بكتابتها , وتفسيراً لعقدة عتيدة , فقد جاوزت الحد , الذي يقال له "شكوى" , وأحرجت النساء ؛ بما وصل له أسلوبها من طريقة تقضي على الود والرحمة التي فطر الله عباده عليها , وجعلها رباط الزوجين .

التعدد والأفراد:

إن كنتم تريدون أن يكون الغربي مثالاً , أو الشرقي– الصيني والياباني – مثالاً ؛ فلا بأس , وإن أردتم أن يكون "الشيوعي" – المتظاهر بخدمة الطبقة الكادحة – قدوة , فلكم ما أردتم. أنكم لن تجدوا عندهم – وبلا وصاية من كاتب أو ممل لفكرة – غير رجال يعددون النساء في كل أمة وتحت كل قانون , وأنهم يغيرون زوجاتهم , أو

يخونونهن , أو يقتلونهن . ومن قرأ "دعاية السياحة" في بريطانيا – في وسط التسعينات – ؛ فقد كانت مضحكة ومعبرة !! , إنها تقول: "تعالوا إلى بريطانيا فقد مات هنري الخامس منذ زمن طويل" . لماذا "هنري" .. هذا ؟ إنه هو الذي ساق نساءه للمقصلة في برج لندن , فقد كان كلما عاشر زوجة ثم أعجبته امرأة أخرى, اتهمها , ثم قتلها وجاء بالأخرى .. لم كل هذا ؟ لأن هناك رجالاً لا يستطيعون الاكتفاء بواحدة , وهناك قوانين أو أعرافاً سنها الناس , خلاف سنة الله في عباده ؛ فكان لابد للناس أن يدوروا حول هذه القوانين بالحيل , أو يحطموها , أو أن يعبثوا بها .

في الحوار تلك الليلة معهم أشرنا إلى الأنبياء الذين ورد ذكرهم في التوراة والإنجيل , وأنهم كانوا يعددون الزوجات والجواري , أما (عيسى) فقد رفعه الله في نحو الثالثة والثلاثين, أما قادتهم وقادة الإلحاد المعاصر (الحداثة الشيوعية وغيرها) , فهم معددون في أسوأ نماذج التعدد. ولأضرب لذلك مثلاً بأربعة , من شر صناع الفكر والسياسة في القرنين الأخيرين وهم: هيجل , وماركس , ولينين , وماوتسي تونج.

عاش "ابن هيجل" مع الأسرة , من صديقة كان يزني بها ؛ وسبب هذا مشاكل للأسرة بلا نهاية5. أما "ماركس" فقد كان له – أيضاً – ولد من شبه قصة أستاذه "هيجل" , ومات الابن في بريطانيا في نحو عام 1924 بعد انتصار "فلسفة والده" في روسيا6. أما "لينين" فقد كانت "عشيقته" السويسرية , تساكنه شقته, مع زوجته "كروبسكايا" قبل الثورة وفي الكرملين , حتى مات7. أما "ماوتسي تونج" , ففي مذكرات "طبيبه الخاص" من القصص ما لا يحسن ذكره في هذا الجانب . لكن المنحرفين الذين أعماهم التقليد والجهل ؛ لا يجدي معهم شيء ؛ فهم يقولون : إنهم لا يعددون , ولكنهم يفعلون ما هو أسوأ. والمهزوم بالسلاح النووي , يتوقع أن غالبه متميز في كل شيء !! ولله الأمر من قبل ومن بعد .

لقد كنت قبيل محاكمة "كلينتون" , من سامعي البرنامج الذي قدمته شبكة (سي إن إن) , وقد لفت انتباهي , قول أحد الضيوف الكبار, على التلفاز للعالم كله "كلنا نفعل هذا" يقول ذلك عن الرجال الأمريكان , أما الأوروبيون فقد عدوا السؤال والنقاش في الأمر , سخافة وتخلف ؛ فمن عندهم الذي بقي مهتما بمثل هذا الأمر!

ألا ترى المرأة المسلمة , أن التعدد والاعتراف بالفطرة والوضوح والكرامة , خيراً لها . فلنقل إنها هي الزوجة (الأولى) , فكيف ترضى لأختها أن تكون عاهرة , وكيف ترضى أن تكون باقية على نار الشك وعدم الثقة في الرجل سنوات وهي تتوقع منه الانحراف ؟ . ألم تكن هي من يدعو للانحراف , بإصرارها على تحقيق قوانين الشعوب الأجنبية المتضاربة , التي جاءت من مخلفات الهراطقة والمتوحشين؟ . بلاد بلا دين ولا خلق , والتصقت بالمسيحية , التي قال الله – عز وجل – عنهم , أنهم سنوا لأنفسهم الالتزامات , ثم إنهم لم يرعوها حق رعايتها . ليس أفراداً منهم فقط . بل الأغلب منهم لم يرعوها , فقال الله – عز وجل – عنهم "فما رعوها حق رعايتها". لأنه لو كان خرقاً فردياً , لما كان الحكم للمجموع , ولا كان اللوم عليهم , فإما أنهم خرقوا أو , وافقوا , أو سكتوا عن كسر حدود الله . وفي قصة (أصحاب السبت) .. دليل . قد نجد في بلاد المسلمين , رجالاً ونساءاً لا يرعون حدود الله , ولكن ليست بهذه الطريقة الشمولية التي ساقها الله عن غالب أولئك , أو كلهم .
وهل أمنت المرأة – التي تكره وتحارب التعدد – أن تكون هي بحاجة – ذات يوم – أن تكون ثانية , أو ثالثة , أو رابعة لرجل آخر , خير لها من الإهمال والعزوبة والتفرد ؟ وقد تكون نهاية زواجها ؛ بسبب منع زوجها لحقه في الزواج من أخرى , أو بسبب موت أو غيره , فكيف تفكر المسلمة في إلزام الشعوب المسلمة بشرائع الوثنية , التي لم يوقروها ذات يوم ؟ رأيت في المجتمع الغربي – من معايشة طويلة – كيف تتمنى المرأة الغربية – في أحوال عديدة – أن تكون زوجة "ثانية" لمسلم , يكف عنها حياة العدم , والوحدة , والأنانية الطاغية , ولكن المسلمين هناك أيضاً , يقل بينهم من يعدد بسبب الأحوال المادية والقانونية , وبسبب تسرب أفكار الوثنيين للإسلاميين رجالاً ونساءً ؛ فيقدسون قوانين , أو يخشونها , أو يفكرون في صحتها رغم فرار أهلها منها . والأبشع من ذلك أن تنشر مجلة (التايمز) – مقابلة مع إحداهن – وهي تروي كيف سمح لها زوجها بمعاشرة رجال آخرين ؛ لأنه هو لديه نساء أخريات , ويبقى التسجيل القانوني أنهما زوجان , حتى لا تأخذ البيت أو نصفه أو ما جمع من مال ؟

وفي ولاية "يوتا" تقوم طائفة حديثة من النصارى "المورمن" بالسماح بالتعدد إلى حد تسع زوجات , وذات يوم جاءت إحدى الزوجات لمذيع لتقص عليه "قصة" هذه الأسرة المكونة من رجل وتسع زوجات (كبرى النساء فوق الخمسين وصغراهن عمرها ثلاثة عشر عاماً) , صورت المقابلة , وأعيد إذاعتها على التلفاز عدة مرات , وما هذه الأسرة إلا واحدة من عشرات الألوف - في تلك الولاية وحدها - من المعددين , ومستوى المشكلات الاجتماعية , أقل من غيرهم, ويحرمون الخمر أيضاً , إلا في أيام قليلة في السنة . جاء المذيع لمحطة الإذاعة التي تعمل فيها هذه الزوجة ؛ وتبين أنها قد تمكنت من أن تقنع زميلتها المذيعة الأخرى لتكون زوجة للرجل نفسه , ثم ذهب المذيع للبيت وقابل الأسرة كاملة , ورأى النساء والأطفال وقد وضع لكل زوجة غرفة , ويرأس النساء وينظمهن أقدمهن وهي "أكبرهن سناً" , أما الصغيرة - التي كانت في الثالثة عشرة - فقد كان أمرها أغرب , لذا ذهب المذيع إلى والدها ووالدتها اللذين زوجاها من هذا العجوز الستيني . وأبو البنت وأمها أصغر من زوج ابنتهما . وقد قال الأب والأم : "إنه كانت لنا بنت أكبر منها , وقد ذهبت مع عشيق أو عشيقة وفسدت , ولا نعرف مصيرها , وقد عرضنا عليه الزواج من ابنتنا , وحببنا لها الأمر , وقبلت وقبل , فهي الآن زوجة لرجل نعرفه في بيت نعرفه . وليس لديها مشكلات , كالتي تعاني منها أختها الهاربة" . قد تكون أمثال هذه الحادثة قليلة أو نادرة , ولكن يبقى أن من الناس - وإن كفروا - أناس قريبين من الفطرة , تهمهم كرامتهم وصيانة أعراضهم , ويواجهون مشكلاتهم بأسلوب عملي , مهما بدا للغرباء غريباً .

وقد يمط أحدهم شفتيه , مستغرباً لنماذج الحياة الأمريكية هذه ؛ فأمريكا - عنده - , والغرب قوة , وفحش , ومسرحيات , وسيارات , وطائرات , وحرية , حتل لا يشعر أن الإنسان بقي هناك - قابعاً مقهوراً - تحت فحش وتفسخ الحداثة وميراث الوثنية , وصرامة العمل , وغياب العاطفة , ورغبة عارمة في التدين .

وهناك من يدأب للبحث عن البدائل , في الهروب من كل أشكال الحضارة المعاصرة ففي مقاطعات "الآمش" هناك اللذين لا يستخدمون أيا من الوسائل الحديثة , فلا يستعملون السيارات , ولا الطائرات , ولا الكهرباء , ولا الهاتف , في استسلام عجيب

لمبادئ "كالفن" الدينية تغطي النساء رؤوسهن إلى اليوم والغد – غالباً – بغطاء أزرق , ويزرعون زراعتهم دون كيماويات ولا مخصبات , مما جعل اللذين يسعون إلى الطعام الطبيعي يقبلون على منتوجاتهم , مما عاد عليهم بالأرباح الكبيرة , مع أنهم لم يغادروا تلك الحياة القديمة جداً , في شمال أوروبا , في القرن السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ..

هذه نماذج ليست لتكون هنا سنة أو بديلاً , ولكنها محاولة للهروب من نمط هذه المدنية الغربية وأخلاقها الجشعة . فقد نمى لدى العديد من المفكرين والمؤرخين , مقدار ما أساء به مفكروا اليهود وفلاسفتهم للحياة الغربية , في تدمير الروابط وحل المجتمعات , ووضع المال معيار الحياة الجديدة فقط . وسحق ما عداه.

واستطاع اليهود أن يخرجوا الأفلام السياسية والعقائدية , التي تمجدهم وتهون من غيرهم , فيصورون الإسلام على أنه دين مؤذ ومخيف , ودين رجال بلا خلق ومروءة . ويزيد الحال سوءاً , بعض من يحاول – من العرب – أن يحسن الصورة ؛ فيرمي نفسه عليهم , بشكل بعيد عن احترام النفس والهوية والذات, يتملقهم الفرصة. وكأنه يستجديهم أن يعترفوا به إنساناً من البشر على الأرض . ولكن أنى له – بعد كل الجهود اليهودية – , والواقع العربي المحزن . وقد أشار (صلى الله عليه وسلم) .. أن فتنة بني إسرائيل كانت في النساء . وهكذا هي مكرورة اليوم , ولكن اليهود استطاعوا أن يجعلوها "مشكلة العالم" فتنة الناس .. كل الناس , وكل العالم , وهذه الحروب بين الجنسين , من يوقدها كل يوم في الصحف والمجلات والتلفزيون والمدارس والجامعات , إن هذا الشّرَك , أبعد خطراً مما يخطر , لمن يرى تبسيط المسألة .

ولا أبتعد بك بعيداً في الحديث هنا , فشيء من النقاش , والمزاح , ودراسة الخلل الذي يسئ به الرجال للمرأة .. مطلوب , وصحيح وطبيعي ولم يعش البشر , دون هذه الملاطفات والمعاتبات والسخريات المتبادلة , واللوم أحياناً , ولكن الذي نعيبه هنا – وهو الداء الدوي – أن يستلحقنا غيرنا , وأن نحارب في معركة ليست لنا من بدايتها إلى نهايتها , وأن تفرض علينا المواقف في المعركة , ويفرض علينا السلاح .. فأي قيمة لشعوب تسقط في هذه الأحابيل وأي استقلال ؟

ولأزيد هذه المسألة بياناً وأمثلة ؛ لعل من قومنا من يفتح عينيه على المشكلة , فقد شاهدنا مئات الآلاف من المسلمين يجندون في الجيش البريطاني , من مسلمي الهند وبدو الجزيرة العربية , والأردن , وسوريا , ورأينا العرب المسلمين يجندون في الجيوش البريطانية والفرنسية والإيطالية , يحاربون لمصالح بريطانيا وفرنسا وأسبانيا وإيطاليا , ويموتون في سبيل التراث الفرنسي والبريطاني والإيطالي , مقابل دراهم قليلة , أو مقابل شيء من الزاد لبطونهم , لم يكن ذلك بعيداً , فرجال من رجال هذه الحروب , أحياء اليوم في عالم الناس , فكيف لا تجد رجالاً ونساء متعلمين أو جاهلين , يحاربون في مدارس الفكر الغربي , ويحاربون إسلامهم وفكرتهم , دون وعي منهم . وأنصاف المتعلمين – ممن حصلوا على شهادات غربية أو زاروا أمريكا أو أوروبا عدة سنوات أو أيام – جهلهم فاضح بأنفسهم وبغيرهم , جهلهم بنظم الحضارات وصراع الأفكار .. فاحش , وغرورهم بشهاداتهم كبير , وبكلمات لقطوها – دون عمق – أكبر . وبعضهم لا يزيد عن كونه "وسيلة اختراق" ناجحة لمجتمعه دون وعي منه .

وهل المرأة المسلمة بلا مشكلات؟

المرأة المسلمة إن سارت في الطريق ؛ فستكون الأسوأ حظاً بين الجميع , فلديها ما تنوء به من مشكلات المجتمع الذي تخلف وفارقته الحيوية الحضارية , وأثقلته مشكلات الجهل والعزلة والاستبداد , لقد هدت مشكلاتنا العويصة المرأة والرجل , وألقت على الطرفين سلوك الخوف والتردد , والسطحية والسلبية في الحياة , وذلك هو الاستجابة الطبيعية للإنسان المقهور , والمقهور إذا سنحت له فرصة تفلت وتخلص ؛ لم يحسن التعامل معها , أياً كان جنسه , رجلاً أو امرأة .

غير أنني أشير هنا .. إلى أن لكل مجتمع – نساءً ورجالاً – مشكلاته, وليس بحاجة إلى أن تفد عليه مشكلات الآخرين وأفكارهم . فكيف إذا أرهقنا الإنسان المسلم المجروح , بل المحطم , وحملناه أفكار ومشكلات غيره ؟ بل , وما هي أفكار الآخرين – سوى مشكلات ومحاولات حلول – فننقل مشكلاتهم إلى مجتمعنا , ونطالبه بحلول لمشكلات عويصة على المجتمع الغربي نفسه , غارق فيها بلا نهاية , ونطالب أنفسنا أيضاً , بحل مشكلاتنا!! .

إن هذا لضرب من العبث والسذاجة , وإهلاك للقوى دون جدوى . إن هؤلاء الذين يفترضون , أو يرون أن يحملوا المرأة والرجل , ثقل الغرب والشرق ومشكلات حضارتين , لا يزيدون قومهم إلا خساراً ووبالاً , وستكون المرأة الغربية أخف حملاً لأنها تعاني مشكلة , تكاد أن تكون واحدة , مشكلتها الثقافية أو عقدتها مع ثقافات اليهود – الذين مارسوا دورهم من داخل المجتمع الغربي – فهي تواجه أزمة معروفة , أو شبه معروفة الأسباب والحدود في أذهانهم , أما "المسلمة" فسيكلفها عدوها ما لا تطيق ؛ فلن يتحول المجتمع الإسلامي ليكون نصرانياً , ولن يتبنى فلسفة اليهودية , ولا الحداثة , ولا العلمانية , فتحل مشكلاته – كما يتخيل المتغربون من هناك – بفلسفة الغرب نفسه بعد استيطانها .

بل شهد عصرنا هذا , وأيامنا هذه , على خلاف ما كان يتوقعه المتغربون (الاستلحاقيون) , فمن شاهد صور (النساء العراقيات قبل حرب 1990) ومن شاهدها عام 1999 ؛ يرى الفارق الكبير ! فما كنا نرى صورة امرأة "محجبة" آنذاك .. أما اليوم – وفي زمن قصير جداً – ترى عكس ذلك تماماً . مست أمتنا آلام الغرب , وإفساده وقتله , وتشريده بالمسلمين ؛ فهرب منه من كان يأمل منه خيراً أو تقدماً . عادوا للدين عادوا للإسلام . بل إن شياطين "حزب البعث" نفسه , غادروا ثقافته ؛ لما كان فيها من سموم القومية "الغربية" لا العربية . وعند "صدام" اليوم , درجات الترقي – حسب حفظ القرآن . وكم لله في خلقه عجائب ؟ فهذا وزير عربي , درس في "جامعة القاهرة" في بداية الستينات , ثم عاد لها بعد ثلاثين سنة قال : "عدت لأتذكر تلك الأيام ؛ فكان أشد ما شدهني , تحجب النساء , فقبل ثلاثين سنة كانت – ربما – واحدة فقط .. في كل الكلية , تتحجب , أما اليوم , فيقول : "حتى النصرانيات هل يتحجبن" ؟ إن مخلفات الفكر المهزوم والنفوس المبتورة ؛ ستبقى مادام الغرب قوياً لديه السلاح النووي والإعلامي .. هوليوود وما شابه . ولا نتوقع أن تنقطع فصيلة المهزومين والمستلحقين , ولكن علينا أن لا نغرق في بحر بلا ساحل , وفي معارك ليست لنا .

ملحق إحصائي

يبدو أن هذا الكتاب , مكتوب من قبل إحدى العاملات مع الحركات النسوية المتطرفة , ينحي باللائمة على الرجال في ما وصل له وضع المرأة في العالم , وقد لخصت ما رأيت أن له علاقة بالموضوع , في الأرقام التالية:

الاغتصاب:

1- في أمريكا نسبة "إمكان اغتصاب المرأة" ما بين واحدة إلى خمس , والتقديرات المحافظة , واحدة إلى سبع , أي أنه من بين كل (خمس نساء) إلى (سبع نساء) تكون إحداهن تعرضت للاغتصاب , أو ستتعرض له في حياتها. ص 56

2- عدد المغتصبات اللاتي سجلن حوادث اغتصابهن عند الشرطة في عام 96 كان90430, أما اللاتي لم يسجلن حادثة الاغتصاب فيقدرن بـ 310000 حالة . وسبب عدم الشكوى ؛ اليأس من إمكان الشرطة أن تعرف أو تساعد , وعدم جدوى التقرير, كما أن عدداً كبيراً , لا يحببن أن يسجل عليهن في البوليس ذلك . هناك نوع آخر من الجرائم , وتسمى "الجريمة المسكوت عنها" , وهي تحرش أرباب العمل أو المديرين أو المدرسين بالنساء , الاتي يقعن تحت نفوذ رجال متنفذين, وفي العادة لا تسجل هذه الجرائم ؛ بسبب خوف المرأة على وظيفتها , أو طمعها في تعويض, أو صعوبة الإثبات , وأشهر الحوادث التي كشف عنها - منذ نحو ثلاثة أعوام - فقدت اشتكت إحداهن رجلاً من رجال (الكونجرس) من "أوريجون" , وحين اشتهر أمره سجلت عليه 26 امرأة , شكاوى من هذا النوع , ممن سبق أن عملن معه في الكونجرس وخارجه.

3- عدد حالات الاغتصاب في كندا : المسجلة (20530) وليس هناك إحصاء لغير المسجلات , ولكن في كندا (150) مركزاً لمساعدة المغتصبات اللاتي يأتين لطلب المساعدة , بعد الاغتصاب. ورقم المراكز في (أمريكا) لا تتوفر له إحصائية , وذلك أن منه الرسمي , والتطوعي .. ومن يعرف المجتمع , يعرف مدى انتشار هذه المراكز, فهي خدمة اجتماعية منتشرة في الأحياء , والجامعات .

4- في أستراليا (75) مركزاً لمساعدة المغتصبات , وفي نيوزيلاندا (66)

5- حالات الاغتصاب المسجلة في ألمانيا (5527) - لم تشر الكاتبة لتقدير الأرقام غير المسجلة" .

6- في جنوب إفريقيا (2600) حالة مسجلة , وغير المسجل يقدر بـ386000

7- إسرائيل بها سبعة مراكز لمساعدة المغتصبات

8- بنغلاديش بها مركز واحد

9- روسيا سجل فيها (14000) أما التقدير للحالات فهو من أعلى دول العالم : (700000) .

قتل النساء في الولايات المتحدة:

يقتل كل يوم عشر نساء من قبل الزوج أو الصديق , من هذه الحالات (75%) يتم القتل بعد , أن تترك المرأة صديقها , فينتقم منها بالقتل . أو تطلب الطلاق من زوجها , أو تعصي زوجها. ص 26 في روسيا عام 1995 نصف حالات القتل في روسيا , تمت ضد النساء من قبل أزواجهن , أو أصدقائهن, وفي عام 93 قتل (14000) امرأة , وجرح (54000) جراحات شديدة . ص27

ملاجئ النساء:

في الولايات المتحدة فقط 1400 ملجأ للنساء المضروبات , أو الهاربات من أزواجهن , وهن اللاتي لا يجدن ملجأ عند أهل أو أقارب . ص 26

- في كندا 400 ملجأ
- في ألمانيا 325
- في بريطانيا 300
- في أستراليا 270
- في نيوزيلندا 53
- في هولندا 40
- في استراليا 19
- في ايرلندا 10
- في اليابان 5
- في الباكستان 4
- في تونس 1
- في بنغلاديش

نسبة حالات العنف ضد النساء في المجتمع:

أعلى الأرقام سجلت – وللأسف – في الباكستان80 % ثم تنزتنيا 60 %. ثم اليابان 59 % بنما 54%. أمريكا 28 %. وكندا 27 % نسبة الطلاق في أمريكا كانت في عام (1970 – 42%) ووصلت في 1990 إلى (55%) وفي فرنسا 32 % , وفي بريطانيا 42% . ص 23 وفي السويد إلى 44% , وفي كندا إلى 38% , وتأخر سن الزواج عن عام 1970 في نيوزيلندا , ليزيد ست سنوات , وثلاث سنوات في أمريكا , وعامين في كل من كندا, وبريطانيا . ص 23

حالات الإجهاض:

المواجهات محتدمة بين أنصار الإجهاض وخصومه في أمريكا , ولذلك أثره الكبير ونقاشه العام , حتى على مستوى من يفوز في الانتخابات , قد يساعد على أن يحدد مصيره , موقفه من الإجهاض ؛ فالمحافظون المتدينون , ضده , ويتهمون المجهضين والموافقين بأنهم قتلة للأطفال , والمعارضون يسمون أنفسهم أنصار الاختيار, والأزمة أغلبها حول أطفال من السفاح , وقد اشتدت المواجهات بالسلاح بينهم . وإليك هذه الإحصائية : بين عامي 1990 و1995 تم اغتيال خمسة من العاملين في عيادات الإجهاض , و12 حادثة , محاولة أخرى , و196 حالة تهديد بالقتل , و65 حادثة مسلحة أو تفجير , تمت للعيادات , و30 محاولة غير ناجحة , و 115 تهديداً بالتفجير, و372 محاولة تخريب و إضرار بالعيادات التي تنفذ الإجهاض . ويموت في العالم ما يزيد عن 200000 امرأة , تموت سنوياً ؛ بسبب محاولات الإجهاض غير المسموح به , أغلبهن في آسيا ص 38 – 39 وقد كان شعار أنصار "عدم" الإجهاض .. (أوقفوا القتل) ولكن لما زادت محاولاتهم في قتل الأطباء وتخريب العيادات ؛ بدأت تظهر دعايات ضدهم , وكاريكاتيرات تقول : "أوقفوا القتل أنتم أيضاً" , وهناك أحد هؤلاء الذين فجروا عيادات في "كارولاينا" , لم يزل هارباً – منذ ما يزيد عن عام – وينشر الرعب , هو وأنصاره , ولم يقبض عليه إلى الآن , وهو هارب في الغابات , ويتهم مجموعة من "المتدينين" أنهم يناصرونه .

الإيدز:

في عام 1993 , كان هناك 13000 ألف شخص , يصاب يومياً في العالم . والمتوقع أن يصاب بالإيدز هذا العام 1999 , ما يقدر بـ60 إلى سبعين مليوناً من البشر. ومناطق العالم الإسلامي هي الأقل إصابة به في العالم , فيقدر منطقة المشرق العربي , وإيران , والباكستان , وتركيا , وإسرائيل , والمغرب العربي .. بنحو 76000 في عام 1995 في أمريكا وكندا – رغم التوعية الصحية والإعلامية – ما يزيد عن مليون وثلاثمائة . وأعلى الأرقام في (إفريقيا – جنوب الصحراء) يصل إلى 3 ملايين و360000 .

.htm3/08http://www.almanar.net/issues/

============

ماذا يريدون من المرأة..؟!

مجلة البيان – (ج 149 / ص 62)

أساليب تغريب المرأة وآثارها

محمود كرم سليمان

الحمد لله . تعالى . والصلاة والسلام على رسوله. وبعد:

فإن فساد المرأة فساد للأسرة كلها وللمجتمع بأسره لما له من أثر عميق على الناشئة والشباب، ولعل أبرز ما نراه اليوم هو هذا التخطيط المرسوم بدقة والذي أخذ طريقه إلى المدارس والجامعات فأدى إلى تغريب المرأة وعلمنتها وابتعادها عن دينها.

كما أصبح الإعلام الحديث بجميع ألوانه سلاحاً يفتك بالمرأة ويغريها على الفساد خاصة أنه قد بلغ من الإبداع والتأثير قدراً كبيراً جعل من المستحيل مقاومة إغرائه، وقد اعتمد هذا الإعلام في معظم برامجه ومصنفاته الفنية والإعلانية اعتماداً محورياً على مظهر المرأة ومفاتنها سواء أكان في التلفاز أو الإذاعة أو الصحف والمجلات أو الإنترنت مؤخراً.

ولا شك أن الانحراف الخطير الذي تردت فيه المرأة قد أصبح ظاهرة واضحة في المجتمع تشهد عليه تلك الآثار المستشرية في كافة مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، فضلاً عن خروجه عن مبادئ الدين الصحيح وتعاليمه الأخلاقية والإيمانية.

ولا يخفى على الناظر البصير أن هذه الظاهرة في معظمها هي ثمرة لمخططات الاستعماريين والعلمانيين التي وضعت بهدف إفساد المجتمع وتفريغه من المقومات المستمدة من دينه القويم وتراثه الخالد، وبذلك فَقَدَ قدرته على التماسك أمام ضربات الاستعمار الغربي وأصبح لقمة سائغة له.

وقد توسلت هذه المخططات بعديد من الشعارات الزائفة البراقة التي تتخفى تحت مبدأ مساواة المرأة بالرجل وتحرير المرأة من قيود الدين والعرف.

وإمعاناً في إتمام هذه الخطة الخبيثة تم وضع عملاء من أمثال (مرقص فهمي) الذي أصدر كتاب "المرأة في الشرق" ونادى فيه المرأة إلى رفع الحجاب والاختلاط بمحافل الرجال، وهاجم فيه أحكام الشريعة الإسلامية التي تحرِّم زواج المسلمة بغير المسلم ودعا إلى التمرد على هذه الأحكام.

\ وفي عام 1911م تأسس في مصر "حزب بنت النيل" الذي طالب بتحرير المرأة من الحجاب وتقييد الطلاق وكان من قياداته القديمة درية شفيق، وأمينة السعيد وغيرهما.

\ وفي عام 1913م دعيت هدى شعراوي لحضور مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي بروما، وكان من توصياته: العمل على تعديل قوانين الطلاق لوقفه، ومنع تعدد الزوجات، وتقرير حرية المرأة في السفور والاختلاط.

وأصدر قاسم أمين كتابه: "المرأة الجديدة" الذي نادى فيه بالاتجاه الأعمى إلى تقليد الغرب فكرياً واجتماعياً، وعلى دربه سار سعيد عقل ولويس عوض ولطفي السيد ونجيب محفوظ، وعديد من أعضاء المحفل الماسوني، ومن الشعراء صادق الزهاوي، ونزار قباني وغيرهم.

ومما زاد الطين بلة قيام زعيم وطني بتمزيق النقاب من فوق وجه فتاة مسلمة في أكبر ميدان في مصر، كما أمر زوجته بحرق الحجاب أمام الجمهور.

ومن فضل الله ـ تعالى ـ أن قيَّض للأمة الإسلامية في هذا الوقت علماء مجاهدين وقفوا بكل قواهم لصد هذه المخططات ولتفنيد هذه الدعوات المشبوهة مما كان له أثره في التخفيف من مساوئها.

الآثار التي ترتبت على إفساد المرأة:

أولاً: مؤشرات عامة تظهر عمق ما أصيبت به المرأة والمجتمع:

1- البعد عن الدين: وذلك بعدم معرفتها لعقيدته السمحة وفروضه وسننته وشريعته العادلة وأخلاقه الرشيدة، وكذلك عدم الالتزام بأداء العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج وعمرة وذكر وتلاوة وحفظ للقرآن الكريم واستغفار وحمد لله . تعالى . ودعاء وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

وقد تمرد بعضهن على تعاليم الدين وتنكرن لعقائده وعباداته وأحكامه مخالفات لقول الله . تعالى .:((ومَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ويُقِيمُوا الصَّلاةَ ويُؤْتُوا الزَّكَاةَ وذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ)) [البينة: 5].

2- اتباع الشيطان وهوى النفس: وبذلك تمرغت في أوحال الفسوق والانحلال، وسارت خلف نوازع النفس الأمارة بالسوء، وانطبق عليها قول الله . تعالى .: (($ومَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ)) [القصص: 50]، وأنكرت قوله . تعالى .: ((فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وقُلْنَ قَوْلاً مَّعْروفاً (32) وقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى)) [الأحزاب: 32، 33] وقد ورد عديد من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الصنف من النساء نذكر منها:

عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: "إياكم وخضراءَ الدمن! قالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء"(1).

روى النسائي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية"(2).

وروى كذلك:"لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال"(3).

3- التنكر للآداب الدينية: مثل الحجاب وغض البصر وعدم الاختلاط بالرجال إلا بضوابطها الشرعية؛ فهي لا تقيم وزناً لتعاليم الدين التي تنهى المرأة عن الخروج كاشفة لملابسها الفاضحة، أو متزينة بالجواهر والحلي البراقة، أو متعطرة، أو متحلية بالأصباغ في وجهها خارج بيتها حتى لا تفتن الرجال، وقد روى أبو هريرة قول النبي

صلى الله عليه وسلم: "صنفان من أهل النار: أحدهما نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها"(4).

4 – تضييع الوقت فيما يضر: فالوقت هو الحياة؛ وهذا الصنف من النساء يقتلن وقتهن في السهر في الملاهي التي تغضب الله . تعالى . كمشاهدة الأفلام الخليعة، وفي قراءة الكتب والصحف والروايات التي لا تراعي الآداب والأخلاق القويمة فيما تنشر، وفي مجالس الغيبة والنميمة والتآمر على الفضيلة وإفساد ذات البين، وغير ذلك من الآثام.

5 – مصاحبة أقران السوء: فالصحبة الفاسدة لها أثر كبير في نشر الفساد؛ فهي كعدوى الأمراض ينتشر خطرها بالاختلاط خاصة بين النساء والرجال كما سبق ذكره.

6 – انشغال المرأة بالعمل والاشتراك في النشاط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي على حساب بيتها وأبنائها؛ والإسلام أباح للمرأة أن تعمل إذا ألجأتها الضرورات الاجتماعية إلى العمل لا أن يكون هذا نظاماً عاماً، وعليها حينئذ أن تراعي الشروط التي وضعها الإسلام لإبعاد فتنة المرأة عن الرجل وفتنة الرجل عن المرأة.

وقد أثبتت التجربة الغربية الآثار السلبية لعمل المرأة، ونذكر منها:

في الولايات المتحدة دخل المستشفى أكثر من 5600 طفل في عام واحد متأثرين بضرب أمهاتهم العاملات لهم، ومنهم نسبة كبيرة أصيبوا بعاهات.

في مؤتمر للأطباء عقد في ألمانيا قال الدكتور كلين رئيس أطباء مستشفى النساء: إن الإحصاءات تبين أن من كل ثمانية نساء عاملات تعاني واحدة منهن مرضاً في القلب وفي الجهاز الدموي، ويرجع ذلك . في اعتقاده . إلى الإرهاق غير الطبيعي الذي تعاني منه المرأة العاملة . كما تبين أن الأمراض النسائية التي تتسبب في موت الجنين أو الولادة قبل الأوان قد تعود إلى الوقوف لمدة طويلة أو الجلوس المنحني أمام منضدة العمل أو حمل الأشياء الثقيلة، بالإضافة إلى تضخم البطن والرجلين وأمراض التشوه".

\ توصلت نتائج دراسات أذاعتها وكالات أنباء غربية في 1991/7/17م إلى أنه خلال العامين السابقين هجرت مئات من النساء العاملات في ولاية واشنطن أعمالهن وعدن للبيت.

نشرت مؤسسة الأم التي تأسست عام 8391م في الولايات المتحدة الأمريكية أن أكثر من 15 ألف امرأة انضممن إلى المؤسسة لرعايتهن بعد أن تركن العمل باختيارهن.

في استفتاء نشرته مؤسسة أبحاث السوق عام 1990م، في فرنسا أجري على 2.5 مليون فتاة في مجلة ماري كير كانت هناك نسبة 90% منهن ترغبن العودة إلى البيت لتتجنب التوتر الدائم في العمل ولعدم استطاعتهن رؤية أزواجهن وأطفالهن إلا عند تناول طعام العشاء.

\ وفي الولايات المتحدة 40% من النساء العاملات، وفي السويد 60% منهن، وفي ألمانيا 30%، وفي الاتحاد السوفييتي (سابقاً) 28% يعانين من التوتر والقلق وأن نسبة 76% من المهدئات تصرف للنساء العاملات.

أما في الاتحاد السوفييتي فقد ذكر الرئيس السابق "جورباتشوف" في كتابه عن البروستريكا أن المرأة بعد أن اشتغلت في مجالات الإنتاج والخدمات والبناء وشاركت في النشاط الإبداعي لم يعد لديها وقت للقيام بواجباتها اليومية من أعمال المنزل وتربية الأطفال.

وأضاف قوله: "لقد اكتشفنا أن كثيراً من مشاكلنا في سلوك الأطفال والشباب وفي معنوياتنا وثقافتنا وإنتاجنا تعود جميعاً إلى تدهور العلاقات الأسرية، وهذه نتيجة طبيعية لرغبتنا الملحة والمسوَّغة سياسياً بضرورة مساواة المرأة بالرجل".

\ وفي دول الخليج ظهرت مشكلة من لون آخر فقد زاد عدد المربيات الأجنبيات بسبب عدم تفرغ الأم لرعاية أطفالها، ولو وضعنا في الاعتبار أن نسبة كبيرة من هؤلاء المربيات غير مسلمات، وأن معظمهن يمارسن عباداتهن الخاصة أمام أطفال المسلمين، وأسوأ من ذلك أنهن يزاولن علاقات جنسية مع أصدقاء في منازل مخدوميهن بالإضافة إلى احتسائهن للخمر وتدخين السجائر بمصاحبة الأطفال،

ومن ذلك ندرك حجم الخطر الذي يهدد الأسرة المسلمة بسبب تحرر المرأة من تعاليم دينها وإهمالها لواجباتها نحو أولادها وبيتها.

ثانياً: مشكلات أصابت الأبناء من الجنسين:

وهذه مشكلات تشاهد في الجيل الجديد منذ الطفولة حتى من الشباب وتشمل مشكلات تربوية ومشكلات تعليمية وثقافية.

فالمرأة الصالحة ذات الدين إذا كانت زوجة ولها أبناء تؤدي واجبها في تربية الأبناء ورعايتهم بما توفره للأسرة من سعادة، فينشأ الأبناء في رعايتها نشأة سليمة بدنياً ونفسياً وثقافياً بحيث يلتزمون بالعقيدة الصحيحة ويمارسون العبادة لله الخالق العظيم على أكمل وجه، ويتمسكون بالأخلاق الحميدة والسلوك السوي والصراط المستقيم والبر والتقوى.

أما النساء المنحرفات فهن محضن لكل فساد، وقدوة سيئة لأبنائهن في كل نواحي الحياة وفي كل أعمارهم منذ طفولتهم؛ فهم لا يكتسبون منهن إلا القيم الفاسدة والعادات السيئة والصفات الذميمة، وهن يتركنهم بدون الرقابة الواجبة ولا التوجيه الرشيد؛ حيث تربيهم الخادمات الجاهلات أو المربيات الأجنبيات فيغرسن فيهم أسوأ الخصال وأرذل القيم؛ ولذلك آثار لا تمحى في أعماق نفوس الأبناء تلازمهم في مستقبل حياتهم مما يكون له نتائج لا شعورية في كل سلوكهم، وقد يؤدي إلى إخفاقهم في الدراسة والعمل بل في تكيفهم مع المجتمع.

أما دور الأم في تعليم أولادها وبناتها خاصة قبل سن التعليم فهو في غاية الأهمية؛ فإن الطفل يخرج إلى الحياة مجرداً عن العلم بأي شيء؛ تأمل قول الله ـ تعالى ـ: (($والل‍َّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ والأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)) [النحل: 78]، والأم هي التي تقوم بتعليم أطفالها استخدام هذه الأجهزة الربانية في الحركة والكلام والأكل والإمساك بالأشياء واللعب، كما يتعلمون من الأم والأب وغيرهم من المصاحبين لهم اللغة، ويعرفون بالسماع أسماءهم التي ينادون بها، ثم يلي ذلك تعلم القراءة والكتابة البسيطة والنطق الصحيح للألفاظ ويحفظون اسم الله ـ تعالى ـ ومبادئ الدين.

وهذا الدور الهام لا يمكن أن تؤديه الأم المنشغلة عن أولادها التي تقضي وقتها خارج بيتها، كما لا تصلح له الأم الجاهلة بأمور دينها ودنياها وبواجباتها نحو أطفالها.

وعندما يجتاز الأطفال هذه المرحلة يكون دور الأم في تحصيل أبنائها العلمي مساعداً لدور المدرسة؛ فهي تعاونهم على أداء واجباتهم الدراسية في المنزل كما تهيئ لهم الأجواء المناسبة في البيت للشعور بالراحة والأمان والحنان والحب مما يكسبهم الثقة في النفس والتفاؤل والثقة في المستقبل، كما تتولى الأم الإجابة على تساؤلات أبنائها في هذه المرحلة التي يكونون فيها دائمي السؤال عن كل ما يخطر على بالهم؛ ويتوقف على مدى صواب إجابات الأم امتلاء عقولهم وقلوبهم بحقائق الحياة وتعرفهم على الفرق بين الحق والباطل والخير والشر والخطأ والصواب.

وأهمية دور الأم في هذه المرحلة في تعليم أبنائها دينهم ومراقبة ممارستهم للعبادات والتزامهم بالسلوك والأخلاق التي يحض عليها الإسلام وتعريفهم تعاليم الدين المتعلقة بالمجتمع وآدابه في كل شيء؛ وذلك استكمالاً لمقررات الدين في المدرسة ومراقبة تطبيقهم لهذه المعارف والآداب. وهناك أمور تحتاجها الفتاة من الأم تختص بها دون الولد تعتمد على علم الأم بها واهتمامها بها بتبليغ بناتها بها في الوقت المناسب وتدريبهن عليها، نذكر منها ما تحتاجه البنت من معلومات عند البلوغ وواجباتها الخاصة في تدبير المنزل وخدمة الأسرة لتعرف حقوق الزوج والأبناء والبيت عندما تتزوج.

وهذه الواجبات السابق ذكرها لا يمكن أن تؤديها الأم الفاسدة، أضف إلى ذلك أن فساد عقيدة الأم يؤدي إلى دفع أولادها نحو الالتحاق بالمدارس الأجنبية ومن ثَمَّ بالثقافة الغربية مما يكون له أثر بالغ في نشأة شخصيتهم غريبة عن مجتمعهم ودينهم.

ثالثاً:مشكلات أصابت الرجال من أزواج وأقارب كما أصابت المجتمع كله:

1- تأثيرها على الزوج:

حيث قد يدفعه فسادها إلى ارتكاب المعاصي وإلى طريق الشيطان والبعد عن الصراط المستقيم، كما أن عدم التزامها بالحجاب وتبرجها أمام الرجال يثير سخط

زوجها وغيرته عليها مما يكون له أثره في ارتكاب الزوج لردود أفعال لجنون الغيرة غير محمودة العواقب.

والمرأة التي لا تحترم الحياة الزوجية تضر بالأسرة وتهدد بتحطيمها بالطلاق أو بإهمال الرجل لبيته أو بالاتجاه إلى زوجة أخرى، أو الهروب إلى المقاهي ودور اللهو؛ وكثيراً ما تكون سبباً في إدمانه للتدخين والمخدرات والمسكرات.

ومشكلة الطلاق في الغرب تعبر عن هذه الظاهرة في بلاد تعيب على الإسلام إباحته للطلاق؛ فقد بلغت نسبة الطلاق إلى عدد الزيجات في السويد 60%، وفي الولايات المتحدة الأمريكية 40%، وفي ألمانيا 30%، وفي الاتحاد السوفييتي 28%، وفي فنلندا 14%. ونذكر هذه الدراسة التي نشرتها مجلة شتيرن من ألمانيا أن ثلثي الراغبات في الطلاق في فرنسا يمارسن عملاً خارج البيت وأن 22% من حالات الطلاق في ألمانيا نتيجة الخيانة الزوجية، و10% منها لأسباب جنسية، و10% منها بسبب الإدمان.

أما في العالم العربي فقد وصلت مشكلة الطلاق إلى حجم غير مألوف مما يحتاج إلى دراسة مستقلة.

ومن المشكلات الاجتماعية عزوف المرأة عن الإنجاب؛ حيث لا ترغب في تحمل متاعب الحمل والوضع؛ وقد يدفعها ذلك إلى الإجهاض، وقد تقصر المرأة العاصية في تلبية حاجات زوجها الجنسية مما يؤدي به إلى الزنا أو الشذوذ.

وقد يؤثر ذلك على صحة الزوج بدنياً ونفسياً، ويجعله عرضة للأمراض الجنسية والنفسية وغيرها.

قد تدفع المرأة إلى انحراف زوجها مالياً لكي يحقق الثراء والكسب الحرام تلبية لمطالبها من الملابس الفاخرة والمجوهرات والسهرات الماجنة والحفلات الصاخبة.

2 – تأثيرها على الرجال من الأقارب والآخرين:

المرأة التي لا تلتزم بتعاليم دينها في الحجاب وعدم الاختلاط بالرجال لها خطر عظيم على مجتمع الرجال، لذلك فقد حرص الإسلام على أن يباعد بين الجنسين إلا بالزواج لما يتبع هذا الاختلاط والتبرج من ضياع للأعراض وخبث للطوايا وفساد للنفوس وتهدم للبيوت وشقاء للأسر.

وقد لوحظ في المجتمعات المختلطة بين الجنسين طراوة في أخلاق الشباب ولين في الرجولة إلى حد الخنوثة والرخاوة.

والمرأة التي تخالط الرجال تتفنن في إبداء زينتها ولا يرضيها إلا أن تثير في نفوسهم الإعجاب بها؛ ولذلك أثره في الإسراف في تكاليف التبرج والزينة المؤدي إلى الخراب والفقر.

ويترتب على ذلك انتشار الفحشاء والزنا والأمراض المصاحبة لها في الدنيا، وفي الآخرة عذاب عظيم لمخالفة تعليم رب العالمين نذكرمنها قول الله . تعالى .: ((قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ويَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ويَحْفَظْنَ فَرُوجَهُنَّ ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ولْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ولا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وتُوبُوا إلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) [النور: 30، 31].

وقوله . تعالى .: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وبَنَاتِكَ ونِسَاءِ المُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ)) [الأحزاب: 95].

وعن عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه . قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه . عز وجل .: "النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه"(5).

وروي عن أبي أمامة . رضي الله عنه . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إياك والخلوة بالنساء! والذي نفسي بيده! ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما، ولأن يزحم رجل خنزيراً ملطَّخاً بالطين خير له من أن يزحم منكبيه منكب امرأة لا تحل له"(6).

أخرج النسائي: قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية وكل عين زانية"(7).

وإثم مخالفة تعاليم الله . تعالى . لا تقف على النساء فقط بل على المخالفين من الرجال؛ ولا يعذرون عند الحساب لا في الدنيا ولا في الآخرة بأنهم كانوا فريسة لفساد النساء ولغواية الشيطان بعد أن حذرهم الله . تعالى ..

3 – تأثيرها على المجتمع كله:

هذه المشكلات التي تهز اليوم أركان الأسرة والمجتمع بشدة كمشكلة الاغتصاب وخطف الفتيات والأطفال غير الشرعيين وأولاد الشوارع كلها من آثار فساد المرأة. وقد ظهر حديثاً ظاهرة انتشار ما يسمى بالزواج العرفي الذي وضع الأسرة أمام مشكلات جديدة تضع غطاءاً يخفي الفساد الاجتماعي الناتج عن انحراف الفتيات ويؤثر على مستقبل الأجيال القادمة.

كما زادت نسبة جرائم الأحداث والتشرد والتسول والأطفال المعاقين وهي نتيجة لتحطم الأسرة الفاسدة وانحراف الزوجين وإهمال الأبناء.

وأخيراً:

هناك مشكلات اقتصادية تؤثر على المجتمع ترتبت على انحراف المرأة العاملة فضلاً عن انخفاض إنتاجيتها؛ فإنها تؤثر على إنتاجية زوجها وأولادها العاملين وتعوق تفوقهم في العمل وتفرغهم للإنتاج؛ ولذلك أثره المدمر على الاقتصاد الوطني.

وختاماً فإن الحمد والفضل لله . تعالى . الذي أنزل للإنسانية كتابه الكريم الذي فيه شفاء لكل أمراضها وعلاج لكل مشكلاتها وهداية لها من الضلال. وقال . عز وجل .: ((يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ ويَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وكِتَابٌ مُّبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ ويُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إلَى النُّورِ بِإذْنِهِ ويَهْدِيهِمْ إلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)) [المائدة: 15، 16]، كما تكفل . عز وجل . بحفظه إلى يوم الدين؛ حيث قال: ((إنا نحن نزّلنا الذّكر وإنا له لحافظون)) [الحجر: 9].

وذلك يبعث الأمل في الإصلاح بالرجوع إلى كتاب الله . تعالى . وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والتمسك بهما والعودة إلى المجتمع الإسلامي الفاضل.

ونسأل الله . تعالى . أن يرزقنا الإيمان ويوفقنا إلى طاعته ذكوراً وإناثاً وبذلك يتحقق صلاح الأمة بأسرها في الدنيا وتنال رضوان الله . تعالى . في الآخرة.

(1) المسند لشهاب، 69/2، وقال ابن الملقن في خلاصة البدر المنير، 971/2 (رواه الواقدي من رواية أبي سعيد الخدري وهو معدود من أفراده، وقد علم ضعفه).

(2) رواه النسائي، ح/6305.

(3) رواه ابن ماجة، ح/ 4981.

(4) رواه مسلم، ح/ 1793.

(5) المعجم الكبير للطبراني، 371/51، والمستدرك للحاكم، 943/4، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره العراقي وضعفه المنذري كما في كشف الخفاء للعجلوني، 734/2.

(6) مسند أحمد، 62/1، والترمذي، 564/4 وصححه الحاكم في المستدرك، 411/1 وابن حبان في صحيحه، 634/01.

(7) رواه الترمذي، ح/ 0172.

================

أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة

موسوعة المقالات والبحوث العلمية - (ج 147 / ص 1)

رئيسي :أحوال العالم الإسلامي :الخميس21 ربيع الآخر 1425هـ - 10يونيو 2004 م

الحمد لله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، أما بعد،،،

فقد أرشد الله إلى تتبع المجرمين، والنظر في طرقهم في هدم هذا الدين، فقال سبحانه:{ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ[55]}[سورة الأنعام]. وأمر الله نبيه أن يجاهد المنافقين، فقال:{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ...[73]}[سورة التوبة]. وقد فضح الله المنافقين في سور كثيرة: في سورة البقرة، وسورة النساء، وفي سورة التوبة التي سميت بالفاضحة، حتى قال بعض الصحابة:'ما زالت سورة التوبة تنزل: {وَمِنْهُمْ...}[سورة التوبة:الآيات:75،61،58،49] حتى ظننا أنها لا تبقي أحداً' .

وفي سورة الأحزاب بيان عن مواقفهم وقت الشدائد، وسمّى الله سورة في كتابه الكريم عن هذه الفئة، وهذه الفئة مهما تخفت فإن الله يظهر ما تضغنه صدورهم، وما تبطنه قلوبهم: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ[29]وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ[30]}[سورة محمد]. فهي فئة مفضوحة، يفضحها الله، ويظهر خباياها ليعرفها الناس، ولا ينخدعوا بها، وكل إناء بما فيه ينضح .

والتعرف على هذه الفئة، وعلى أساليبها وطرقها في محاربة الأمة، ومحاولتها تقويض دعائم الإسلام يعد من الأهمية بمكان، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه:' إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية' . فيظهر أهل الجاهلية من أجل تقويض عرى الإسلام، فلا يقبل منهم أهل الإسلام ذلك؛ لمعرفتهم بهم وبجاهليتهم .

من الدين كشف الستر عن كل كاذب وعن كل بدعي أتى بالعجائب

ولو رجال مؤمنون لهدمت صوامع دين الله من كل جانب

ولهذا كان لابد من دراسة أساليب الفئة العلمانية في تغريب الأمة كلها، والمرأة بوجه خاص؛ لنبتعد عن هذا الشر الذي ينذر كارثة عظيمة على الأمة المحمدية، ولابد أيضاً أن يعلم كل مسلم أن الفئة العلمانية هي الخطر الأكبر المحدق بهذه الأمة، وهو يعمل على تغريب هذه الأمة، وإبعادها عن دينها .

لماذا التركيز على المرأة من قبل الغرب، وأتباعه المستغربين، العلمانيين؟

ذلك لأنهم فطنوا لمكانة المرأة ودورها في صنع الأمة، وتأثيرها على المجتمع؛ ولذلك أيقنوا أنهم متى ما أفسدوا المرأة، ونجحوا في تغريبها وتضليلها، فحينئذ تهون عليهم حصون الإسلام، بل يدخلونها مستسلمة بدون أدنى مقاومة. يقول شياطين اليهود في 'بروتوكولاتهم':'علينا أن نكسب المرأة، ففي أي يوم مدت إلينا يدها ربحنا القضية'.

وقال آخر من ألد أعداء الإسلام:' كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع، فأغرقوها في حب المادة والشهوات' .وهذا صحيح؛ فإن الرجل الواحد إذا نزل في خندق وأخذ يقاوم بسلاحه يصعب اقتحام الخندق عليه حتى يموت، فما بالك بأمة تدافع عن نفسها، فإذا هي غرقت في الشهوات، ومالت عن

دينها، وعن طريق عزها؛ استسلمت للعدو بدون أي مقاومة بل بترحيب وتصفيق حار .

ويقول صاحب كتاب تربية المرأة والحجاب:' إنه لم يبق حائل يحول دون هدم المجتمع الإسلامي في المشرق - لا في مصر وحدها - إلا أن يطرأ على المرأة المسلمة التحويل، بل الفساد الذي عم الرجال في المشرق'.

ما هي العلمانية؟ وما حكم هذه العلمانية ؟

العلمانية في الأصل يراد بها: فصل الدين عن التدخل في تنظيم شئون الحياة، فلا تتدخل الشرائع السماوية في تنظيم المعاملات، ولا في مسائل الاقتصاد، والسياسة، ومسائل الحرب والسلم، ومسائل التربية والتعليم، وهكذا، هذا هو أصل كلمة علمانية عند الغرب، فهي اللادينية، والاعتراف والتعامل مع الشيء المشاهد، ونفى الظواهر الغيبية وتدخلها في صياغة الحياة، ولذا يسمحون بتدين الإنسان الشخصي، أما أن يكون للدين تأثير في تدبير شئون الأمة فلا، ثم انتقل هذا الوباء إلى الأمة المحمدية .

والعلمانية بالمفهوم الإسلامي أعم من ذلك المفهوم الغربي، فلو وجد شخص ينادي بتطبيق شريعة الإسلام كلها إلا مسألة واحدة يرفضها مما أجمع عليه المسلمون، وعلم من الدين بالضرورة، فإنه يكون كافراً مرتداً، فعلى سبيل المثال: لو وجد شخص ينادي بتطبيق الشريعة في كل شيء إلا أنه يقول: يجب في الميراث أن نساوى بين الرجل والمرأة، فإنه بهذا يكون علمانياً في الحكم الشرعي، لأنه رد حكمًا معلومًا من دين الإسلام بالضرورة .

إذاً هذه هي العلمانية في اصطلاحنا حين نتحدث.

وحكمها بهذا الاصطلاح: كفر أكبر مخرج من الإسلام؛ لأنها تكذيب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وهي إشراك بالله ما لم ينزل به سلطاناً، إذ أنها تجعل الحكم في بعض المسائل لغير الله، وفي بعضها لله .

التغريب

أما التغريب: فقد نشأت عند ساسة الغرب بعد فشل بعض الحملات العسكرية فكرة شيطانية، وهي أنه ينبغي أن تكون الجيوش بعيدة عن المواجهات؛ لأنها تثير ردود

فعل عنيفة، وأنه ينبغي عليهم أن يبذلوا الأسباب لتستسلم الأمم المسلمة للثقافة والحضارة الغربية بنفسها طواعية، وبذلك نشأت فكرة التغريب، وأساسها تذويب الشخصية المسلمة في الشخصية الغربية بحيث لا ترى إلا بالمنظور الغربي، ولا تعجب إلا بما يعجب به الغرب، وتبتعد عن قيمها وعقائدها وأخلاقها المستمدة من شريعة الإسلام، وتعتنق هذه الديانة الجديدة التغريبية، وتدخل في عجلة الاستهلاك الاقتصادي التي يروج لها الغرب.

فبرامج التغريب تحاول أن تخدم هدفاً مزدوجاً، فهي تحرس مصالح الاستعمار بتقريب الهوة التي تفصل بينه وبين المسلمين نتيجة لاختلاف القيم، ونتيجة للمرارة التي يحسها المسلم إزاء المحتلين لبلاده ممن يفرض عليه دينه جهادهم، وهي في الوقت نفسه تضعف الرابطة الدينية التي تجمع المسلمين وتفرق جماعتهم التي كانت تلتقي على وحدة القيم الفكرية والثقافية، أو بتعبير أشمل وحدة القيم الحضارية.

فهذا هو التغريب: أي تذويب الأمة المحمدية بحيث تصبح أمة ممسوخة: نسخة أخرى مكررة من الأمة الغربية الكافرة، غير أن هناك فرق فالأمة الغربية هي الأمة القائدة الحاكمة المتصرفة، والأمم الأخرى هي الأمم التابعة الذليلة المنقادة لما يملى عليها، فهذا هو التغريب . وتغريب المرأة المسلمة جزء من مخطط شامل لتغريب الأمة في كل أمورها .

يقول الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله:' وكانت برامج التغريب تقوم على قاعدتين أساسيتين – يعني عند المستعمرين الأولين:

الأولى: اتخاذ الأولياء والأصدقاء من المسلمين، وتمكينهم من السلطة، واستبعاد الخصوم الذين يعارضون مشاريعهم، ووضع العراقيل في طريقهم، وصد الناس عنهم بمختلف السبل .

القاعدة الثانية: التسلط على برامج التعليم، وأجهزة الإعلام والثقافة عن طريق من نصبوه من الأولياء، وتوجيه هذه البرامج بما يخدم أهدافهم، ويدعم صداقتهم' .

مظاهر تغريب المرأة المسلمة:

وهي كثيرة يصعب استقصاؤها، ولكن نذكر من أهمها:

1- الاختلاط في الدراسة وفي العمل: ففي معظم البلدان الدراسة فيها دراسة مختلطة، والأعمال أعمال مختلطة، ولا يكاد يسلم من ذلك إلا من رحم الله، وهذا هو الذي يريده التغريبيون، فإنه كلما تلاقى الرجل والمرأة كلما ثارت الغرائز، وكلما انبعثت الشهوات الكامنة في خفايا النفوس، وكلما وقعت الفواحش، لاسيما مع التبرج، وكثرة المثيرات، وصعوبة الزواج، وضعف الدين، وحين يحصل ما يريده الغرب من تحلل المرأة، تفسد الأسرة وتتحلل، ومن ثم يقضى على المجتمع ويخرب من الداخل، فيكون لقمة سائغة .

وإذا بدأ الاختلاط فلن ينتهي إلا بارتياد المرأة لأماكن الفسق والفجور مع تبرج وعدم حياء، وهذا حصل ولا يزال فأين هذا من قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج مِنْ الْمَسْجِدِ فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلنِّسَاءِ: [اسْتَأْخِرْنَ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ عَلَيْكُنَّ بِحَافَّاتِ الطَّرِيقِ] فَكَانَتْ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ حَتَّى إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ[. رواه أبو داود، وحسنه الألباني في الصحيحة 854 .

2- التبرج والسفور:

والتبرج: أن تظهر المرأة زينتها لمن لا يحل لها أن تظهرها له. والسفور: أن تكشف عن أجزاء من جسمها مما يحرم عليها كشفه لغير محارمها . وهذا التبرج والسفور لا يكاد يخلو منهما بلد من البلدان الإسلامية إلا ما قل وندر، وهذا مظهر خطير جداً على الأمة المسلمة، فبالأمس القريب كانت النساء محتشمات يصدق عليهن لقب: ذوات الخدود. ولم يكن هذا تقليداً اجتماعياً، بل نبع من عبودية الله وطاعته، ولا يخفى أن الحجاب الشرعي هو شعار أصيل للإسلام، ولهذا تقول عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:'يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلَ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ {...وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ...[31]}[سورة النور]. شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا'رواه البخاري. ولهذا كان انتشار الحجاب أو انحساره مقياساً للصحوة الإسلامية في المجتمع ودينونة الناس لله، وكان انتشاره مغيظاً لأولئك المنافقين المبطلين .

3- متابعة صرعات الغرب المسماة بالموضة والأزياء: فتجد أن النساء المسلمات قد أصبحن يقلدن النساء الغربيات وبكل تقبل وتفاخر، ولم يسلم لباس البنات

الصغيرات، إذ تجد أن البنت قد تصل إلى سن الخامسة عشر وهي لا تزال تلبس لباساً قصيراً، وهذه مرحلة أولى من مراحل تغريب ملبسها، فإذا نزع الحياء من البنت سهل استجابتها لما يجدّ، واللباس مظهر مهم من مظاهر تميز المرأة المسلمة، ولهذا حرم التشبه بالكفار لما فيه من قبول لحالهم، وإزالة للحواجز، وتنمية للمودة، وليس مجهولا أن تشابه اللباس يقلل تمييز الخبيث من الطيب، والكفر من الإسلام، فيسهل انتشار الباطل وخفاء أهله .

والموضة مرفوضة من عدة نواحي منها:

أ- التشبه بالكافرات: والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: [مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ]رواه أبو داود وأحمد وهو صحيح. قال ابن تيمية رحمه الله:' والصراط المستقيم: هو أمور باطنة في القلب من اعتقادات وإرادات وغير ذلك، وأمور ظاهرة من أقوال وأفعال، قد تكون عبادات، وقد تكون عادات في الطعام واللباس والنكاح... وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ولابد ارتباط ومناسبة، فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أموراً ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً' اهـ فعلم من هذا خطورة هذا التشبه وتحريمه .

ب - الضرر الاقتصادي للتعلق بالموضة: ومعلوم كم تكلف هذه الموضة من أموال تنقل إلى بلاد الغرب الكافرة .

ج - كثرة التحاسد بين النساء: لأنهن يجذبهن الشكل الجميل، فيتفاخرن ويتحاسدن، ويكذبن، ومن ثم قد تكلف زوجة الرجل قليل المال زوجها ما لا يطيق حتى تساوي مجنونات الموضة.

د- خلوة المرأة بالرجل الأجنبي الذي ليس لها بمحرم: وقد تساهل الناس فيها حتى عدها بعضهم أمراً طبيعياً، فالخلوة المحرمة مظهر من مظاهر التغريب التي وقعت فيها الأمة المسلمة حيث هي من أفعال الكافرين الذين ليس لهم دين يحرم عليهم ذلك، وأما احترام حدود الله فهو من مميزات الأمة المسلمة . والجرأة على الخلوة تجاوز لحد من حدود الله، وخطر عظيم، وقد حرمه الشارع بقوله صلى الله عليه وسلم: [لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ] رواه البخاري ومسلم .

قاعدة مهمة: كل مبطل لابد أن يُلبس باطله بثوب الإصلاح وزخرف القول؛ حتى يروج بين الناس:

لأن الباطل قبيح ومكروه، فحينما يظهر الباطل على حقيقته، ويعرى على صورته، لا تقبله النفوس، ولا ترضى به الفطر السليمة؛ ولذلك يلجأ العلمانيون التغريبيون إلى إلباس طرقهم وأهدافهم وأفكارهم لبوس الإصلاح والحرص على المصلحة وغير ذلك، فالتوظيف المختلط، والتعليم المختلط، كل ذلك بدعوى مصلحة الأمة، وبدعوى تشغيل نصف المجتمع، ولأن فيها مردوداً اقتصادياً، وهذه هي زخارف القول التي يوحيها شياطين الإنس والجن، ويقول الله تعالى:{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ[112]وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ[113]}[سورة الأنعام]. فيخدع به ضعفاء الإيمان، وناقصوا العقول .

ثم إن العلمانيين قد وجدوا عادات في مجتمعات المسلمين ليست من الإسلام، فاستغلوها ووظفوها لينفثوا من خلالها سمومهم، وينفذوا مخططاتهم، ثم أسقطوها على الإسلام، بمعنى أنهم قالوا: إنها من الإسلام فهاجموا الإسلام من خلالها، مثال ذلك: قد تجد بعض المجتمعات المسلمة تظلم المرأة في الميراث، قد تعطي المرأة ميراثها من المنقول من الأموال والمواشي لكنها لا تعطيها حقها من العقار كفعل الجاهلية، قد تجد زوجاً لا يعدل بين زوجاته مخالفاً بذلك أمر الله، فهذه الثغرات يتعلق بها العلمانيون مع أنها ليست من الإسلام في شيء، ولم ينزل الله بها سلطانًا، بل هي في نظر الإسلام: ظلم محرم.

أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة:

أساليبهم كثيرة، والمقصود التذكير بأخطرها، ليحذرها المسلمون، وينكروها، ويعلموا على إفشالها، ولتكون منبهة على غيرها، فمن هذه الأساليب:

1- وسائل الإعلام بمختلف أنواعها: من صحافة، وإذاعة، وتلفاز، وفيلم، ومجلات متخصصة في الأزياء والموضة، ومن مجلات نسائية، وملحقات نسائية، وغير ذلك، فالإعلام يصنع الآراء، ويكيف العقول، ويوجه الرأي العام، خاصة إذا كانت هذه

العقول فارغة لم تحصن بما أنزل الله . أما الصحافة والمجلات، فتجد فيها أمورًا فظيعة منكرة منها فتاة الغلاف، فتاة جميلة عليها أنواع الزينة والأصباغ ثم تسأل في المقابلة معها أسئلة تافهة: هل حدث وأن أحببتي يوماً من الأيام؟ ما هواياتك المفضلة؟ وهل صادقتي شاباً؟ وغير هذا من الكلام الساقط الذي يراد منه إفساد المحصنات العفيفات اللاتي قررن في البيوت، ويملكهن الحياء الذي ربين عليه، فتزيل هذه المجلات الحواجز، والضوابط شيئاً فشيئاً . كما تجد في هذه المجلات الصور الماجنة الخليعة إما بحجة الجمال والرشاقة، أو بحجة تخفيف الوزن والرجيم، أو بحجة ملكات الجمال، أو بحجة أخري مما يمليه الشياطين . ثم تجد فيها من مواضيع الحب والغرام الشيء المهول، وهذا يهدف إلى تهوين أمر الفواحش، وقلب المفاهيم الراسخة، وإحلال مفاهيم جديدة مستغربة بعيدة عما تعرفه هذه الأمة المحمدية، فمن هذه العبارات:

في مجلة سيدتي في عدد 510: قالت من عيوب الزوج العربي [الغيرة] !!! .

في مجلة كل الناس عدد 58: قالت إحدى الكاتبات: ماذا لو قالت امرأة: [هذا الرجل صديقي] !!!.

في مجلة الحسناء عدد 81: الفضيلة والكرامة تعترضان مسيرة النجاح . أ هـ . فعلى هذا مسيرة النجاح لابد فيها من الفحش والدعارة حسب مفهومهم المريض .

مجلة سلوى عدد 1532 [لقاء مع راقصة شابة]، تقول هذه الراقصة: في حياتنا اهتمامات لا داعي لها، ويمكن أن يستغنى عنها، ثم تقول- هذه العبقرية التي جاءت بما عجز عنه الأوائل والأواخر-: كمعامل الأبحاث الذرية لأننا لم نستفد منها شيئاً، يعنى حتى يبقى الأعداء يهددون المسلمين بالأسلحة الذرية . اليهود والهندوس والنصارى والبوذيون - كما تقول - ! سوف نستفيد كثيراً لو أنشأنا مدرسة للرقص الشرقي تتخرج منها راقصة مثقفة لجلب السياح .أهـ . وهكذا تستمر المسيرة لنحارب أعداءنا بالرقص، كما حاربهم جمال عبد الناصر بأغاني أم كلثوم .

في مجلة فرح عدد 43، تقول: الزواج المبكر إرهاق للمرأة، وصداع للرجل .

ولا ننسى مجلة روز اليوسف وهي من أخبث المجلات، ومن أوائل مصادر التغريب النسائي في العالم العربي، في هذه المجلة تجد الخبث والخبائث، وبمجرد أن تأخذ

أحد الأعداد سوف تجد العجب . وكذلك مجلات: [اليقظة، والنهضة، صباح الخير، هي، الرجل، فرح ..... الخ تلك القائمة الطويلة، كما تجد أيضاً داخل هذه المجلات مقالات طبية ونفسية واجتماعية: كأنها تحل مشاكل الفتيات، فتراسلها الفتيات من أنحاء العالم العربي، ثم بعد ذلك يدلها ذلك المتخصص – لكنه ليس متخصصاً في حل المشاكل حقيقة إنما متخصص في التغريب – يدلها على الطرق التي تجعلها تسلك مسالك المستغربات السابقات، كما تجد مقابلات مع الفنانات والممثلات، ومع الغربيات، ومع الداعيات لتحلل المرأة واللاتي يسمين بالداعيات لتحرير المرأة، وتجد فيها الغثاء الذي لا ينتهي، ترهق به المسلمة، ويصدع به المسلم . ثم تجد في هذه المجلات بريد المجلة، أو ركن التعارف من أجل التقريب بين الجنسين، وتلك خطوة لإفساد المجتمعات الإسلامية، وهكذا دواليك .

يقول العلامة محمد بن عثيمين في خطبة قيمة له عن هذه المجلات:' فاقتناء مثل هذه المجلات حرام، وشراؤها حرام، وبيعها حرام، ومكسبها حرام، واهداؤها حرام، وقبولها هدية حرام، وكل ما يعين على نشرها بين المسلمين حرام؛ لأنه من التعاون على الإثم والعدوان'أهـ .

2- ومن وسائل العلمانيين الخطيرة التي يسعون من خلالها إلى تغريب المرأة المسلمة التغلغل في الجانب التعليمي ومحاولة إفساد التعليم: إما بفتح تخصصات لا تناسب المرأة وبالتالي إيجاد سيل هائل من الخريجات لا يكون لهن مجال للعمل، فيحتاج إلى فتح مجالات تتناسب مع هذه التخصصات الجديدة التي هي مملوءة بالرجال، أو بإقرار مناهج بعيدة كل البعد عمّا ينبغي أن يكون عليه تدريس المرأة المسلمة . وفي البلاد العربية من المناهج ما تقشعر له الأبدان، وقد نجد في التعليم المناداة بالمساواة بينها، وبين الرجل في كل شيء، ودفع المرأة إلى المناداة بقضايا تحرير المرأة- كما يسمونها-، وفيها:الاختلاط فمعظم البلاد العربية التعليم فيها مختلط إلا ما قل فالشاب بجانبه فتاة، هذا التعليم المختلط سبب كبير من أسباب تحلل المرأة، ومن ثم من أسباب تغريب المرأة . ولذا فإن أحسن الحلول أن تقوم البلاد الإسلامية بإنشاء جامعات متخصصة للنساء، وقد نادي بذلك بعض الباحثين الباكستانيين في دراسة جميلة جيدة بين فيها أن ذلك أفضل سواء في نسب النجاح،

أو في التفوق في التخصص، أو في إتقان العمل سواء للشباب، أو للشابات في جميع أنواع الدراسة، وقد لا نوافقه في بعض التخصصات التي نرى أن المرأة لا تحتاجها .

3- ومن أساليبهم: التأليف في موضوع المرأة، وإجراء الأبحاث والدراسات التي تُمْلأُ بالتوصيات والمقترحات والحلول في زعمهم لقضايا المرأة ومشاكلها: إحداهن في رسالتها للدكتوراه والتي عنوانها:'التنمية الاقتصادية وأثرها في وضع المرأة في السعودية' تقول- وهي تعد المبادئ الإسلامية التي هي ضد مصلحة المرأة كما تزعم-: إن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، وقوامة الرجل على المرأة، ثم تعد الحجاب من المشاكل التي هي ضد مصلحة المرأة، ثم تشن هجوماً على هيئات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ثم بعد ذلك تنتهي في دراستها أو في رسالتها للدكتوراه إلى التوصيات، ومن توصياتها:

الإقلاع من عمليات الفصل بين الجنسين - يعنى التعليم المختلط الذي ذكرناه سابقاً - .

إنشاء أقسام للنساء في كل مؤسسة حكومية، وإنشاء مصانع للصناعات الخفيفة، وهذه نادي بها آخرون، ونادوا بفتح مجالات دراسة مهنية للمرأة .

ونشرت اليونسكو سبع دراسات مما قدم بعنوان:'الدراسات الاجتماعية عن المرأة في العالم العربي' والذي يقرأ هذا الكتاب يدرك خطورة الأمر، وضخامة كيد الأعداء للمرأة المسلمة .

4- ومن أساليبهم: عقد المؤتمرات النسائية، أو المؤتمرات التي تعالج موضوع المرأة، أو إقامة لقاءات تعالج موضوعاً من المواضيع التي تهم المرأة سواء كان موضوعاً تعليمياً، أو تربوياً، أو غير ذلك: وفي هذه المؤتمرات واللقاءات تطرح دراسات وأفكاراً ومقترحات تغريبية.

وقد عقد المؤتمر الإقليمي الرابع للمرأة في الخليج، والجزيرة العربية في 1976/2/15 م، في إحدى دول الخليج وكان التركيز على ما يسمى بقضية تحرير المرأة وأصدر قرارات منها:

التأكيد على أهمية وضرورة النظر في الكتب والمناهج التربوية عند تناولها لقضية المرأة بما يضمن تغيير النظرة المتخلفة لدورها في الأسرة والعمل، ثم تتابع هذه الدراسة، فتقول: إن القوانين والأنظمة التي كانت تخضع لها الأسرة قبل ألف عام ما تزال تطبق على العلاقات الأسرية في عصرنا الحاضر دون النظر إلى مدى ملائمتها لنا.

ما هي القوانين التي من ألف عام؟ إنها شريعة الإسلام .. فهؤلاء النسوة من نساء الخليج يردن تغيير الشريعة الإسلامية التي تطبق على المرأة من ألف عام .

5- ومن وسائلهم في تغريب المرأة المسلمة: إبتعاثها للخارج: وهذا حصل كثيراً في كثير من بلدان المسلمين، وحينما تذهب امرأة مسلمة إما لم تدرس شيئاً عن الدين كما في بعض البلدان العربية والإسلامية، أو ليس معها محرم، ثم ترمى في ذلك المجتمع المتحلل، فإذا رجعت هذه الفتاة المبتعثة كانت رسول شر للعالم الغربي من أجل تغريب المسلمات، ونقلهن من التمسك بالشرع والخلق الإسلامي إلى التمسك بالمناهج والأفكار والآراء الغربية، كما فعل أسلافها في مصر والكويت.

6-ومن أساليب العلمانيين: التعسف في استخدام المنصب: فقد تجد أحدهم في منصب ما، ثم بعد ذلك يبدأ يصدر قرارات يمنع فيها الحجاب كما حصل في مصر، وفي الكويت، أو يفرض فيها الاختلاط، أو يمنع عقد ندوات ونشاطات إسلامية، أو يفرض فيها اختلاطًا في مجالات معينة، وبالتالي يحصل احتكاك الفتاة بالشاب، ومن ثم يسهل هذا الأمر، وكلما كثر الإمساس قلّ الإحساس، ثم بعد ذلك تتجاوز الحواجز الشرعية، وتبتعد عن حياتها تذوب كما ذاب غيرها .

7- ومن أساليبهم أيضاً: العمل والتوظيف غير المنضبط: إما باختلاط بتوظيف الرجال والنساء سواسية، أو بتوظيف المرأة في غير مجالها، ويكون هذا على طريقة التدرج: بطيء ولكنه أكيد المفعول . وعلى طريقة فرض الأمر الواقع.

8- المشاركة والاختلاط في الأندية التي تكون في المستشفيات أندية ترفيه، أو أندية اجتماعية، أو غير ذلك: بل لقد وصل الفساد ببعضهن إلى المجاهرة بالتدخين أمام الآخرين من الزملاء، وليس ذلك في غرف القهوة والمطاعم فحسب، بل على المكاتب الرسمية .

9- الدعوة إلى إتباع الموضة والأزياء، وإغراق بلاد المسلمين بالألبسة الفاضحة: ومن خططهم إغراق بلاد المسلمين بالألبسة الفاضحة والقصيرة، فأحدنا لا يستطيع أن يجد لابنته الصغيرة لباسًا ساترًا فضفاضًا إلا بشق الأنفس، فعلى التجار المسلمين أن يفرضوا ويشترطوا اللباس المقبول عند المسلمين الذي لا يحمل صوراً، ولا كتابات، وليس بلباس فاضح، ولا بضيق، ولا بكاشف، والشركات الصانعة إنما تريد المال، ولأجله تصنع لك أي شيء تريد، فإذا ترك لها الحبل على الغارب صنعت ما يضر بأخلاق المسلمين .

10- ومن أساليبهم القديمة والتي وجدت في مصر وفي غيرها:إنشاء التنظيمات والجمعيات والاتحادات النسائية: فقد أنشأ الاتحاد النسائي في مصر قديماً جداً على يد هدى شعراوي وذلك بدعم غربي سافر، ثم تبعتها البلاد العربية الأخرى، هذه الاتحادات النسائية والتنظيمات والجمعيات ظاهرها نشر الوعي الثقافي والإصلاح، وتعليم المرأة المهن كالتطريز والخياطة، وغير ذلك، ولكن قد يكون باطنها سمًا زعافًا فتعلم المرأة الأفكار والقيم الغربية الخبيثة التي تنقلها من الفكر الإسلامي النير إلى الفكر المظلم من الغرب الكافر.

11- ومن أخبث أساليبهم وهي التي يثيرونها دائماً على صفحات الجرائد والمجلات وغيرها: التظاهر بالدفاع عن حقوق المرأة، وإثارة قضايا تحرر المرأة خاصة في الأوقات الحساسة التي تواجهها الأمة، وإلقاء الشبهات: فمرة يلقون قضية تحرير المرأة ومساواتها بالرجل، ومرة يبحثون في موضوع التعليم المختلط وتوسيع مجال المشاركة في العمل المختلط وغير ذلك، قد يتم ذلك باسم الدين، وقد يتم ذلك باسم المصلحة، وقد يتم ذلك بعبارات غامضة، وطريقة المنافقين التخفي خلف العبارات الغامضة الموهمة في كثير من الأحيان .

12- ومن أخبث طرقهم ووسائلهم: شن هجوم عنيف على الحجاب والمتحجبات وتمجيد الرذيلة في وسائل الإعلام بأنواعها وفي غيرها أيضاً، سواء كان في المنتديات والأندية الثقافية والأدبية، أو كان في الجلسات الخاصة وفي غيرها.

13- ومن أساليبهم: أيضاً تمجيد الفاجرات من الممثلات، والراقصات، والمغنيات، وغيرهن: فتذكر بأنها النجمة الفلانية، وأنها الشهيرة فلانة، وأنها الرائدة في مجال

كذا، وأنها التي ينبغي أن تحتذي، وأنها القدوة في مجال كذا، وأنها حطمت الرقم القياسي في الألعاب الفلانية، أو الطريقة الفلانية، وهذه الصحف، وهذه الكتابات العلمانية توهم المرأة المسلمة بأن هذا هو الطريق الذي ينبغي أن تسلكه، فتتمنى أن تكون مثلها، وتحاول أن تتشبه بها، ولهذا ضاق صدر أولئك بتلك الفنانات التائبات؛ لأنهن سيمثلن قدوة مضادة لما يريدون .

14–ومن أساليبهم: الترويج للفن والمسرح والسينما.

15– ومن أخبث أساليبهم المنتشرة: استدراج الفتيات المسلمات – خاصة النابغات – للكتابة، أو للتمثيل، أو الإذاعة– لاسيما إذا كن متطلعات للشهرة، أو للمجد: فتدعى هذه الفتاة للكتابة في الصحيفة وتمجد كتاباتها، فتندفع بعض الفتيات المغرورات للكتابة والاتصال بهؤلاء من أجل أن ينشروا لهن ما يكتبن.

16– ومن أساليبهم أيضاً: تربية البنات الصغيرات على الرقص والموسيقى والغناء من خلال المدارس، والمراكز وغيرها، ثم إخراجهن في وسائل الإعلام: فتجد فتيات في عمر الزهور يخرجن للرقص والغناء، وهن يتمايلن وقد لبسن أجمل حلل الزينة، فكيف يا ترى سيكون حال هذه الفتاة إذا كبرت ! إلى أين ستتجه إن لم تتداركها عناية الله ورحمته ؟والتالي يكون ذلك سبباً من أسباب اجتذاب عدد آخر من الفتيات اللاتي يتمنين أن يفعلن مثل هذه التي ظهرت على أنها نجمة، ثم قد تكون في المستقبل مغنية، أو ممثلة شهيرة.

17– ومن وسائلهم إشاعة روح جديدة لدى المرأة المسلمة تمسخ شخصيتها من خلال إنشاء مراكز يسمونها مراكز العلاج الطبيعي للسيدات: وقد قامت مجلة الدعوة بكتابة تقرير عن هذه المراكز في عدد 1328 الصادر في 1412/8/3 هـ، إذ زارت إحدى الكاتبات بعضًا من هذه المراكز، وكتبت تقول: في ظل التغيرات والمستجدات التي تظهر بين وقت وآخر ظهر تغير سلبي وهو افتتاح مراكز تسمى مراكز العلاج الطبيعي للسيدات، والحقيقة أن هذا المركز يخفي ورائه كثيرًا من السلبيات، ثم تمضي الأخت، فتقول: ولمعرفة واقع تلك المراكز وما يدور فيها وما تقدمه لمرتادها قمت بزيارة بعضها، والاتصال بالبعض الآخر منها كأي امرأة أخرى تسأل عنها قبل

الالتحاق بها وذلك في محاولة للوصول للحقائق الكاملة، ومعرفة ما يدور فيها، وخلاصة التقرير:

- انتشار اللباس غير الساتر في هذه المراكز، بل واشتراطه .

- قيام بعض المراكز بتعيين أطباء من الرجال لابد من مرور المتدربات عليهم .

- انتشار الموسيقى في هذه المراكز، ومن شروط بعض المراكز عدم اعتراض المتدربة على ذلك .

- وضع حمامات جماعية للسونا تلبس فيها النساء ملابس داخلية فقط، ويكن مجتمعات داخله .

- انتشار هذه المراكز حتى في الفنادق، والكوافيرات، والمشاغل، وتقديمها كخدمة مشتركة .

وكل هذا نمط جديد لم نعرفه من قبل ولو قامت النساء بعملهن في بيوتهن لما احتجن لهذا.

18- أختم هذه الأساليب بهذا الأسلوب الخطير، وهو إشاعة الحدائق والمطاعم المختلطة للعائلات، والتي انتشرت مؤخراً:

فقد زار بعض الأخوة بعضًا من المطاعم، والحدائق العائلية، والتي فيها محاذير كثيرة، ومن هؤلاء فضيلة الشيخ محمد الفراج، ثم كتبوا تقريراً بينوا فيه ما تخفيه هذه المطاعم المختلطة، وذكروا أن هذه المطاعم يكون فيها اختلاط الشاب بالفتاة، وأنه قد تدخلها المرأة بدون محرم، وجواز المرور بالنسبة للرجل أن يكون معه امرأة سواء كانت خادمة، أو كانت طفلة، أو غير ذلك، وبذلك أصبحت مكاناً صالحاً للمواعيد الخبيثة، ولغير ذلك، ثم بعد ذلك كتب الشيخ عبد الله بن جبرين تأييداً لكلام هؤلاء الأخوة، يقول فيه:' الحمد لله وحده وبعد، رأيت أمثلة مما ذكر في هذا التقرير مما يسترعى الانتباه والمبادرة بالمنع والتحذير' ا.هـ . وقد تكون هذه الحدائق والمطاعم أوجدت بحسن نية، لكنها سبب مهم من أسباب تغريب المرأة؛ إذ أنها تشيع مظاهر التغريب: من اختلاط، أو خلوة بالرجل الأجنبي عن المرأة، ومن فتحها لباب الفواحش والدخول على النساء الشريفات، فيفتن في دينهن وعفتهن مع غلبة الداعي للفحش بسبب كثرة المثيرات و الله المستعان .

من رسالة:' أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة' للشيخ /بشر بن فهد البشر

=============

المخرج من فِتنتَي التغريب والتخريب

موسوعة خطب المنبر - (ج 1 / ص 3400)

عبد الرحمن السديس إمام الحرم

مكة المكرمة

1425/6/6

المسجد الحرام

الخطبة الأولى

أمّا بعد: فأوصيكم . عبادَ الله . ونفسي بتقوى الله عزّ وجلّ، فهي سبيل أهلِ الرشاد، وخير زادٍ يبلّغ لرضا ربّ العِباد، فتزوّدوا منها ليومِ المعاد، واغتنِموا أيامَ العُمر قبل النفاد، وشمِّروا في تحقيقها عن ساعِد الجدِّ والاجتهاد، واحذَروا مسالكَ أهل الغيّ والفسادِ وطرُقَ أهل الباطل والضلال والعِناد، تدخلوا جنَّةً لا يخفى نعيمُها على كلِّ رائحٍ وغاد.

أيّها المسلمون، في زَحمةِ الأحداثِ وتسارُع المتغيّرات وفي خِضمّ تداعياتِ النوازلِ والمستجِدّات وكثرة الأطروحات والتحليلات يَلحظُ المتأمِّلُ الغيورُ غيابًا أو تغييبًا للرؤية الشرعيّة والنظر في فقه السّنَنِ الكونية والاستقراء التّام للأحوال التأريخية والحضارية، حتّى حصل من جرَّاءِ ذلك زللُ أقدام وخَطَلُ أقلام وضلالُ أفهام وتشويشٌ وحيرة عند كثيرٍ من أهل الإسلام وخلطٌ في الأوراق لدى كثير من أرباب الفِكر والثقافة ووسائل الإعلام، ممّا يؤكِّد أهمّيّة المرجعيّة الموحَّدة للأمّة الواحدة، ترتكز في تحقيق أهدافها على الخيّرة صحَّة المعتقد وسلامةِ المنهَج والعناية بمصالح الأمة الكبرى ومقاصِد الشريعة العُظمى، باعتدالٍ في الرؤى وتوازُنٍ في النظر وأسلوبٍ عالٍ في الطرح والحوار، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ [النساء:83].

معاشرَ المسلمين، الكلُّ يدركُ ما تواجهُه أمّتُنا الإسلامية اليومَ من متغيّراتٍ متسارعة، تضاعفت من خلالِها نُذُر الأخطارِ المتصاعدة، متغيّراتٍ وجدت فيها الأمةُ نفسَها

أمامَ نظامٍ عالميّ جديد دون أن تعلمَ موقعَها فيه ومكانَها في خارطته، متغيّراتٍ أصبحَت فيه نداءاتُ مقدَّسات المسلمين وصَرخات الأرض المباركة وأنّاتُ فلسطين واستغاثاتُ الأقصى مهدّدةً بالضياع في دهاليز التيهِ وأنفاق الظُّلَمَ، وغدت حسراتُ أرض الفرات تتحشرجُ في الحلوقِ بين انعدامِ الأمن وضياع الحقوق وتطاوُلِ إرهاب الصّهاينة المعتدين لتنفيذ مؤامراتهم ضِدَّ أولَى القبلتين ومسرَى سَيّدِ الثقلين، في قفزاتٍ متسارعةٍ لتحقيق أحلامهم في إقامةِ دولتهم الكبرى بزعمهم وإقامةِ جدار الفصل العُنصُري، في إذكاءٍ لثقافةِ الصراع والعنصريّة ولغةِ الحِقد والكراهية بين الشعوب، وبدت ملامحُ التحرُّش الشَّرِس على مقدَّرات الأمّةِ وقِيَمها.

حتى بلاد الجزيرة لم تسلَم من أعمال الاستفزاز والاستهداف، فغُرِّرَ ببعض أبنائها، وأصبحوا أدواتٍ تُنفَّذ من خلالِها أعمالُ العُنف والإرهاب والتخريب والإرعاب وسلوك مسالكِ الغلوّ والتكفير والتفجير والتدمير، وآخرين يعيشون حياةَ التفريط والجفاءِ بين مطرقةِ التغريب وسِندان العولمة، في وضعٍ يمثِّل صورةً صارخةً لمقدار التبعيَّة الفكرية والانهزامية الثقافية لدَيهم، مع جرأةٍ عجيبة في المزايدةِ على الشريعة وتزييف الفِكر والوعي الذي يستمدُّ جذورَه من التنكُّر لعقيدة الأمّة ورسالتها التأريخية والسقوط في مباءات التقليدِ ومتاهات التبعيّة واجترار فكرِ الغير بانهزاميةٍ مُفرِطة، يتبعها سعيٌ حثيث لمسخ هويّة المجتمع وتغيير بنيتِه الفكرية ومنظومته الاجتماعية والطّعن في مناهجه الشرعية وأعماله الخيريّة والإغاثيّة والاحتسابيّة والتلاعُب بقضايا المرأة والحجاب، فكأنّ لهم الوصايةَ عليها والمحاماةَ عنها وهم داؤها لا دواؤها، وجعلِها شمّاعةً يعلّقون من خلالها ما يرومون من انسلاخٍ عقديّ وفكريٍّ للأمّة وحلٍّ للنسيج الاجتماعيّ المتميّز فيها، في مشروعَاتِ التغيير وأُطروحات التنوير والتطوير التي يُقصَد بها النيلُ من ثوابتِ الأمة وتغييبُ ثقافتها الشرعية، وهذا الأمرُ ليس بدعًا من الظواهر المعاصرة، فلم يزل أحفادُ عبد الله بن أُبيّ عليهم من الله ما يستحقّون يظهرون ويَتَجدّدون في كلّ زمان، ويلبسون لكلّ عصر لبوسَه، تختلفُ قوالبُهم، وتتَّحِد قلوبُهم في شرحِ عقيدة الأمّة وإغراق سفينتها، وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ [محمد:30].

أمّةَ الإسلام، وإنّ أخشى ما يُخشى أن تشهدَ المرحلة القادمةُ حَربًا ضروسًا على القِيَم الدينيّة والثوابت الشرعية، وسيسقُط القناع ويُماط اللِّثام عن حقيقة ثقافةِ هؤلاء وجذور أولئك، كما يُخشَى أن يكون كلٌّ من تيّار الغلوّ والغلو المضادّ أداةً طيِّعة للأعداءِ المتربِّصين في اختراق سفينة الأمّة وتسويق مشروعاتهم الفكرية والاجتماعية وبسطِ نفوذهم على مراكز الرأي والتأثير في الأمّة تحت مسمّياتٍ برّاقة وشِعاراتٍ خلاَّبة تجعل التدمير والتفجير شهادةً وجهادًا، كما تجعل الفسادَ إصلاحًا، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلا إِنَّهُمْ هُمْ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ [البقرة:11، 12].

ولهذا فإنّ استبانةَ سبيل هؤلاء وأولئك ورصدَ توجُّهاتهم عن طريقِ دراساتٍ واستراتيجيّات تزيل الشُّبَه عن الأجيال اللاحقة يُعَدُّ حفاظًا على الفكر الوسطيّ المعتدِل أمام معاوِل الهدم والتخريب التي تحاول إسقاطَه؛ إما بالتفريط والجفاء أو الإفراط والغلوّ، ممّا يؤكِّد ضرورةَ حماية الأمنِ الفكريّ في الأمّة بتحقيق التعاون بين الجهات العِلميّة والبحثيّة والشرعيّة والأمنيّة والإعلاميّة والتربويّة لصدِّ العدوان الشَّرِس الذي يستهدف بلادَنا في عقيدتها وأمنها وفكرها واقتصادها، لا بدّ من تجفيف منابعِ الإرهاب بنوعَيه والغلوّ والتطرّف بشِقَّيه، وذلك ليس مجرَّدَ ترَفٍ علميٍّ وإعلاميّ، بل هو من الضرورات المهمّة والأولويات الأكيدة التي تحافظ على سفينة الأمّة لتمخر عُبابَها أمام أمواجِ المِحَن وتلاطُم الفِتن؛ لتصلَ إلى برّ الأمان وشاطئ السلامة والاطمئنان، وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ [الأنعام:55].

إخوةَ الإيمان، والسؤالُ المطروح بإلحاح إزاءَ هذه الأوضاع المزرِية هو: كيف نتجاوز سلبياتِ هذه المرحلة ونُعاودُ البناءَ والإعمار؟ أوَلسنا خيرَ أمّةٍ أُخرِجت للناس؟! أوَلسنا أمّةَ الشهادةِ على العالمين؟! أوَلسنا الموعودين بالنصر والتمكين؟! ألم يئن الأوان لتحويل هذه السُّنن الشرعيّة إلى واقعٍ حضاريٍّ فعّال؟! فنحن أمّةٌ لا تعرف التلاشيَ والسُّقوط، ولا يتطرّق إليها اليأسُ والقنوط، فسرعانَ ما تكبو تنهض وتعلو.

إنّه مِن خِلال الوعي بهذه الحقيقةِ بتجديد الثقةِ بالله وقرب نصرِه، ثم إعادة الثقةِ بالنفس وبثِّ أخلاقيات الأمل والتفاؤل والتحصُّن بالرّشد والاعتدال المطلوب للخروج من مرحلة الضّياع التي تكاد تعصِف بالأمَّة خارجَ دائرة العالم الحضاريّة، وبذلك

يجتمع الشّتات ويُلَمّ الشّعث وتُسوَّى الصفوف لتصوغَ الأمةَ في كيان واحدٍ كبير وإن تعـدَّدت منـه الأطيـاف، لتُكـرِّس للتعـاوُن والتكـاتُف والتكامـل، لا للخصـام والجفـاء والتقاتُل، فـي توظيفٍ للطاقات وتنميةٍ للقدرات فـي عصـرِ القوى الكبرى والتكتُّلات العُظمـى، لتسـتوعب طاقـاتِ الأمّـة عامّـة والشـباب خاصّـة وتصـفّ نظامَهـا وتضـبطَ عطاءها وتستثمرَ جهودَها على أحسن وجوهِ الانتفاع للبلاد والعباد.

وإنّ أحدًا لا يرضـى أن تبقـى الأمـةُ مفرّقـةً لا جـامعَ لـه، تتخـبّط فـي مـواطنِ الفتن وتخوض في مواضع المِحَن وتسبح في بحرٍ متلاطِم بلا رُبّانٍ مَهَرة، بل أحيانًا بلا سفينةٍ صالحة، فكيف يكون هذا حالَ أمّةٍ أمرها الله بالتوحيد والوحدة؟! وما الذي يمنع الصـفوفَ مـن التـراسّ والمواقـف مـن الاجتمـاع ونحـن أمّـةُ الأخـوّة والوئـام والتكـاتُف والتعاون والالتئام والتلاحُم والاعتصام؟! إنّنا نريد أن نتجاوزَ مرحلةَ التأطير والتنظير إلــى محطّــةٍ مـن التحـرُّك والإيجابيـة والتفعيـل، انطلاقًـا مـن رؤًى شـرعية لا تـروم المستحيلَ ولا تجافي الواقع، ولكنها تهدف إلى معالجة الأمور على ضوء المقاصدِ الشرعية والضوابط المرعيّة.

إنّ مرجعيَّةً تُعنَى بالقواعدِ والأصول وإن اختلفتِ الفروع وتهتمّ بالكليات وإن تنوّعت الجزئيـات وتُعنـى بالثوابـت والنتـائج والمحكَمـات وإن تباينـتِ الوسـائل والمقدّمات والاجتهادات لهي الفريضةُ الأمَل والمخرجُ الصائب والبلسمُ الناجع والتِّرياق المصَفَّى الذي يقضي على الآراءِ الآحاديّة والفتاوى الفرديّة والنظريّات أحاديّة الجانب، ويجتثّ آراءَ الرويبضةِ ممّن يتكلّمون في أمور الشريعة ويخوضون في أمورِ الحلال والحرام وهم ليسوا منها فـي وِردٍ ولا صَدَر، عبرَ إشاراتٍ صحفية وتلاسُنٍ إعلامـيّ فضـائيّ مُسطَّح، جرَّ الأمةَ إلى هوّةٍ سحيقةٍ من الفرقة والشتات في الرأي والعَجز والوهَن في المواقف.

إنّـه لا اعتصـامَ للأمـة ولا اجتمـاعَ ولا امتنـاع إلا إذا احتمَت بسياج المرجعيّة المعتبرة من الولاية المسلمة والعلماء الربّانيين، فلا بدّ من هبَّةٍ للدين وقومةٍ لله مَثنى وفُرادى، ثم تفكُّرٍ في أساليب وطرائق الصلاح والإصلاح، في صرحٍ من التلاحُم في القلوب قبل القوالـب، لا تُميِّلها الريـاح، ولا تزعزِعها الأعاصير، ولا تنـال منها المعاوِل، بل تضربُ بجذورها وتقوم على أصولها وتُؤتي أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذن ربِّها.

فيا كلَّ مسلمٍ غيور، ويا كلَّ عبدٍ موحِّدٍ، ويا أيّها القادة المسلمون والعلماء المخلصون والدعاةُ الصادقون والشباب الصالحون، لنبادِر جميعًا بوضع البنية التحتيّة وحجَر الزاوية الأرضيّة في سبيل نُصرة دين الله، معتصمين بشرعه، مدركين أنه لا حولَ لنا ولا قوّةَ إلا به، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولن ندركَ غاياتنا إلا بهدايتِه، ولن نُحقّق أهدافنا إلا بتوفيقه ومعونتِه، ولن نخرجَ من المحَنِ والبلايا والنوازل والرزايَا إلا بإعزازِ دينِه والغَيرةِ على محارمِه وتحكيم شريعتِه والوقوف في صفِّ دعاته، فلا موضعَ بعدَ اليوم للتحيُّز والانفِصام، فضلاً عن المناطحة والصِّدام. وإنّ مخالفةَ الجماعةِ والانطلاقَ من رؤًى ضيّقةٍ من التحيُّز والتحزُّب والإعجاب بالرأي وتسفيه الآخر مؤدّاهُ لا مَحالةَ إلى الفشلِ الذَّريع. وإنَّ حقًّا على جميعِ شرائِح الأمّة وأطيافِ المجتمع أن تتحلَّى بالصّدق في الانتماء لدِينها وعقيدتها وغَيرتها على أمنِ بلادها ووطنها، فلم يعُد الأمرُ محتمِلاً للتَّمحُّلات والأساليب الإعلامية المستهلَكة، كما لم يعُد مجالٌ للسكوت والتغاضي والتصنُّع والمجامَلة أمام كلِّ فِكرٍ دخيل ومنهَج وافدٍ هزيل.

إنّنا مُطالبون جميعًا كلٌّ في ثغرِه ودائرةِ اختصاصه . في المسجدِ والأسرة والبيتِ والمدرسة ووسائل الإعلام وقنواتِ التربية والتوجيه . بتحرِّي الصدقِ مع الله في خدمةِ عقيدتنا والدّفاع عن بلادنا، بعيدًا عن المصالح الحزبيّة الضيّقة والمكاسِب الدِّعائية المحدودة، وأن ننَزِّه مقاصِدَنا وألسنتَنا وأقلامنا عن تلك الأساليب الممجوجة التي تعُجّ بها بعض الدواوين والصحُف والقنوات الفضائية والشبكات المعلوماتية والأروقة الانتهازيّة والنفعية، فإنه لم يعُد ثَمَّ مجالٌ لغير الصدق مع الله أوّلاً، ثم مع الرعاةِ ثانيًا، والرعيّة ثالثًا، وأمّتِنا الإسلامية رابعًا، وخامسًا المجتمعات الإنسانية والعالمية التي ترقُب حضارتَنا وتتطلَّع إلى محاسِن ديننا وصلاحِ شريعتنا ونُبل قيَمنا، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ [يوسف:21].

إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ [هود:88].

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعني وإياكم بما فيه من الهدَى والبيان، ورزقنا التمسّك بسنّة المصطفى من ولدِ عدنان. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كلّ ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

ـــ

الخطبة الثانية

الحمدُ لله المرجوِّ عفوُه وثوابه، والمخوفُ مكرُه وعقابُه، أحمده تعالى وأشكره، غمَر قلوبَ أوليائه برَوح رجائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، منّ على عباده بجزيلِ نعمائه وفَيضِ آلائه، وأشهد أنّ نبيّنا محمّدًا عبد الله ورسوله سيّد أنبيائه، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابِه وأصفيائه، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أمّا بعد: فاتقوا الله عباد الله، وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ [البقرة:281].

واعلموا أنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهديِ هديُ محمّد ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وعليكم بالجماعة فإنّ يدَ الله مع الجماعة، ومن شذّ شذّ في النار.

أيّها الإخوة الأحبّة في الله، ها قد انقشعَت بفضلِ الله ومَنِّه سحائبُ الفتنةِ التي مرّت على بلادنا حرسها الله، وتساقطت رموزُ الفتنةِ بحمد الله كما يتساقُط ورقُ الخريف، فهلاّ شكرنا المنعِمَ المتفضِّل سبحانه عند تجدُّد النّعَم وتبدُّدِ النِّقَم؟! هلا تفقّهنا في النصوص ووقفنا بحزمٍ مع النفوس في مراجعاتٍ صادِقة ومحاسباتٍ دقيقة، في تجاوزٍ لمرحلة التشفّي والشَّجب والاستنكار إلى وضعِ الخُطَط والبرامجِ للعمَل والحوار حتى لا يُلدَغَ المؤمِن مِن جحرٍ مرتين؟!

ألا ما أَحوجَ الأمّةَ إلى فِقهِ السّياسة الشّرعيّة على وفق فهمِ الصّحابة الأبرار والسّلَفِ الأخيار، لا على وفق المشاعِر والانفعالات، مع التأكيد على وجوبِ الأخذ بالنصوص متكاملةً وضبط المصطلحاتِ الشرعية على وَفق السّلف رحمهم الله، وأن لا نسنحَ للحماس المتدفّق والعواطِف المشبوبَة أن تجرَّنا إلى شطَطٍ في الفهم وهوًى في الرأي واتخاذ المواقف.

وإلى الذين تشبَّعوا في الفِكر التغريبيّ والفكر التكفيريّ، إلى هؤلاء وأولئك أن يراجعوا أنفسَهم، وأن يصدروا عن علمائهم، فذلك خيرٌ وأجدَى من أن يظلَّ الإنسان أسيرَ فكرةٍ محدودةٍ أو رأيٍ مجرَّد، وليعلموا أنّ المراجعاتِ سنّةٌ محمودةٌ وطريقة مشهودةٌ، سلكها أهل العلم والفضل والبصيرة منذ صَدر التاريخ، فكيف بمن هو دونهم؟! فهلا اعتبرنا بجماعاتٍ اتّخذت ثقافةَ العُنفِ والتغريبِ مسلكًا، فدخَلت نفقًا مظلِمًا، وكان

عاقبة أمرها خسرًا، ثمّ أعلنت بعدَ ذلك تراجُعَها وأسَفَها لذلك الخلَلِ الفكريّ والانحراف المنهجيّ، فهل نستنبِتُ بعدهم في بلادٍ اختصَّها الله بخصائصَ ليست لغيرها مآسيَ وفواجع قد أثمرت ثمارَها المرّة عند غيرنا؟! أوَليس السعيد من وُعِظ بغيره؟!

إنّنا نذكّر من هذا المنبر العالميّ المبارَك الذين لا زالوا يهُمّون أو حتى يتعاطفون أو يسكتون أمام هذه الأفكار الضالة إفراطًا أو تفريطًا أن يعلَموا أيَّ جنايةٍ يجنونها في حقِّ دينهم وأمّتهم وبلادهم، ولذا فإنّ المراجعات واتهامَ الرأي في هذه القضايا العامّة والخطيرة ضرورة قُصوى، فوالله لأن يرجعَ المسلم إلى حقّ ترَكه مهما وصفه الواصفون خيرٌ له من أن يلقَى الله غدًا وقد تلطّخت صفحتُه بدمٍ حَرام سفكَه في غير حِلِّه أو سار على ما لم يَسِر عليه سلفنا الصالح.

لقد تكرّم ولاةُ الأمر بفرصةٍ كافيَة للعفو والمراجعة، وتلك مكرُمة ومنقبةٌ للعُظماء عبرَ التاريخ، فما ملك الأحرارَ كالعفوِ عنهم، فاستجاب من استجاب، وحقُّه علينا الإشَادةُ والتأييد وشفاعةُ الأمةِ أن يجدَ العفو والأمان والصفحَ والغُفران، أمّا من كابر وأصرَّ على ضلالِه فإنما يجني على نفسِه وأُسرته ومجتمعه، وسيجد مغبّةَ استكبارِه عن الحقّ ونتيجةَ إصرارِه على الباطل، فيُندمُ حيثُ لاتَ ساعةَ مندَم، اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً [فاطر:43].

وإنَّ الأملَ في شبابنا وأبنائنا وَهم ولله الحمد والمنّة محلُّ فخارنا واعتزازنا أن يتبيَّنوا قُدّامَهم محلَّ وقع أقدامِهم، وأن يحذروا من وسائل الإثارة والاستفزاز مهما كان مروِّجوها، ولتهنأ بلادُ الحرمين الشريفين حرسَها الله دائمًا بالأمن والأمان والخير والسلامة والاطمئنان، في بُعدٍ عن أسباب الفِتَن وبواعث المِحَن، وما ذلك على الله بعزيز.

ألا وصلّوا وسلِّموا ـ رحمكم الله ـ على خير البرية وهادي البشرية كما أمركم بذلك ربّكم جل وعلا، فقال تعالى قولاً كريمًا: إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [الأحزاب:56].

اللهمّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيّد الأوّلين والآخرين وخاتم الأنبياء وأشرف المرسلين نبيّنا محمد بن عبد الله وعلى آله الطيّبين الطّاهرين...

=============

هموم ثقافية

مجلة البيان - (ج 78 / ص 37

أقوال منسية حول «التغريب»*

د. أحمد إبراهيم خضر

منذ العشرينيات من هذا القرن والباحثون الغربيون المتخصصون منشغلون بقضايا تغريب العالم الإسلامي بعامة ، وما يسمونه بمنطقة الشرق الأوسط بخاصة ولا يكاد يخلو أي كتاب أو أي مقالة تتعرض لحياة المسلمين من إشارة هنا وأخرى هناك لهذا التغريب ، إلى الدرجة التي حدت بهؤلاء الباحثين إلى القول:

«إن مظاهر التغريب عند شعوب الشرق الأوسط مشاهدة تماماً وبدرجة كافية وإنه لمن السهل عليك أن تضع قائمة طويلة توضح لك كيف أن هذه المظاهر التقليدية التي كانت سائدة منذ مائة أو مائة وخمسين عاماً قد اجتاحتها رياح التغيير ، واستبدلتها بقيم أدخلها الغرب».

لم يكن تغريب المسلمين مسألة متروكة لمجرد الاحتكاك بين الثقافتين الإسلامية والغربية، ثم متابعة آثار هذا الاحتكاك على الإسلام والمسلمين، إنما كانت سياسة موجهة ومدروسة تستند إلى تنظير خاص ، يعتمد في جزء كبير منه على تجارب الاحتكاك بين الإسلام والغرب في الماضي ، وعلى تجربة الثورة الصناعية وما تلاها من آثار على البناء الاقتصادي والاجتماعي والتقني الغربي ، ثم على تحليل مسألة اتساع الهوة بين هاتين الثقافتين بعد الثورة الصناعية؛ بسبب الاستقرار الثقافي في بلاد المسلمين، وتلك التراكمات التي أخذت مكانها في الغرب.

نظرية ومكاسب:

استندت عملية تغريب المسلمين إلى ما يسمى بنظرية (تشويش الأحكام القيمية) أو إيقاع الاضطراب في هذه الأحكام ، وتقوم هذه النظرية على الأساس التالي:

«هناك توازن وتوافق بين عناصر ثقافة المجتمع التقليدي المستقر جيداً ، بمعنى أن القيم التي تحكم وتسود هذا المجتمع تتسق وتؤيد واقعه المعاش ؛ ولهذا تتميز ثقافة هذا المجتمع بالتماسك والتوازن الداخلي.

ويمكن للواقع الثقافي أن يعير وأن يستعير عناصر من ثقافة أخرى مخالفة بصورة أكثر سرعة من استعارة القيم الثقافية ، ولهذا يصعب حدوث تغير في القيم في الوقت الذي يسهل فيه حدوث تغير في الواقع.

وعندما يحدث اتصال بين ثقافتين مختلفتين ، فيدخل واقع جديد إلى إحداهما يمكن هنا أن يتحطم التوازن القديم ، وتتغير القيم الثقافية بتغير الواقع الذي كانت تحكمه وإن احتاج الأمر إلى بعض الوقت ، بسبب هذه الصلة العاطفية التي يحيط بها المجتمع ثقافته الخاصة ، ومقاومته لإدخال أي محتويات ثقافية غريبة أو جديدة.

وهذا لا يعني بالطبع أن مكونات الواقع في ثقافة ما يمكن أن تزرع في ثقافة أخرى دون أن تسبب تغيرات في قيمها ، أو أن قيم ثقافة ما يمكن أن تفرض على الثقافة الأخرى دون أن تحدث تغيرات في مكونات هذه الثقافة ؛ لأن التناسق المحكم والاعتماد المتبادل بين مكونات الواقع والقيم الثقافية يجعل من غير الممكن أن تدخل تغيرات في واحدة منها دون أن تحدث تغيرات في الأخرى».

بهذه النظرية دخل الغرب إلى حياة المسلمين ساعياً بمختلف طاقاته الثقافية والعسكرية والاقتصادية والتقنية إلى إدخال واقع جديد يخص ثقافته هو على ثقافة المسلمين؛ ليحطم التوازن القائم بين واقعها وقيمها ، ويغير من قيمها حتى تصبح مناسبة للواقع الجديد الذي أدخله عليها ، ولقد حقق الغرب هنا مكسبين مهمين: أولهما أنه بتحطيمه لهذا التوازن المشار إليه أوجد هوة عميقة بين الإسلام والمسلمين ، ودمر الصلة العاطفية التي تربط المسلمين بإسلامهم والمكسب الآخر: أنه وهو يخترق هذه الهوة ليملأ الفراغ المترتب عليها حرك الأمور بالطريقة التي تمكنه من تحقيق مكاسب مادية ضخمة على حساب هذا الكيان المنهار.

سنقتصر في مقالتنا هذه على عرض وتحليل ثلاثة من عناصر هذا الواقع الجديد الذي أدخله الغرب على حياة المسلمين فدمر التوازن القائم في ثقافتهم.

أولا صنع هيبة الغرب:

لم يكن هذا الواقع موجوداً من قبل ، كانت العلاقة بين المسلمين وغيرهم تقوم على أساس «الإسلام والكفر»وجاء الغرب وأدخل واقعاً جديداً.. فبعد أن تمكن من إيجاد موطئ لأقدامه في بلاد المسلمين، أحاط نفسه وأهله بهالة من الهيبة والاحترام ،

وفرض نفسه على النظام الاجتماعي القائم في بلاد المسلمين، وتقلد الوظائف القيادية، وساهمت حكومات بلاد المسلمين العلمانية في تدعيم هذه الهيبة ؛ بوضع أبناء المستعمر في مواقع قيادية مهمة وسمحت لهم بالحضور إلى مناسبات وطنية وغير وطنية ، لا يدعى إليها عادة إلا كبار رجالات الدولة وعلية القوم فيها.

وزاد الغرب من هيبته في عيون المسلمين بما أدخله عليهم من صناعات وتكنولوجيا ومعرفة في ميادين مهمة انفرد بها ، وكان نتيجة ذلك أن ظهر الغربيون للمسلمين على أنهم هم الأسمى وهم الطبقة العليا.

وهنا تغيرت القيم فأصبح الغرب وأهله هدفاً مرغوباً يسعى بعض المسلمين للانتفاع به ، كما ينتفعون بصناعاته ومنتجاته ، وسهلت هذه الهيبة عند المسلمين طريق محاكاة أسلوب الحياة والسلوك والأخلاقيات والاتجاهات الغربية ، ثم جاء الانهيار الكبير حينما قلد المسلمون الغربيين في فتورهم نحو دينهم وعدم مبالاتهم به وهو عين ما كان يهدف إليه الغرب.

يقول (روفائيل باتاي) أستاذ علم الإنسان في (دوبسيي كوليج) بفيلاديلفيا وجامعة كولومبيا في الخمسينيات من هذا القرن:

«... بينما تكشف لنا البدايات التقنية للتغريب عن هذا النجاح العالمي الذي حققته ، تأتي هناك عوامل أخرى أبرزها (نظام الهيبة الجديد) الذي تسرب الغربيون عن طريقه إلى قطاعات الناس المختلفة ، وتمكنوا من السيطرة والرقابة على الوظائف المهمة ، وفرضوا أنفسهم على النظام الاجتماعي ، وظهروا للناس على أنهم هم الأسمى وهم الطبقة العليا.

ليس من السهل أن نحلل المكونات المتعددة التي تصنع الهيبة الغربية ، لقد كان عنصر القوة هو العنصر الأكثر أهمية في أيام الاستعمار الأوربي ، إلا أن هذا العنصر قد استبدل الآن بمزيج متعدد المكونات: مثل الثروة ، وتملك الآلات والمعدات الغربية ذات الهيبة ، أو المعرفة الخاصة في ميادين ذات أهمية متزايدة كالطب والزراعة وغيرهما ، وشغل مراكز تحظى بالثقة والنفوذ تمنحها الحكومات المحلية للغربيين ، والسماح لهم بالحضور الحر في مناسبات معينة مثلما يسمح تماماً وبدرجة متساوية للقيادات العليا في الدولة. إن الهالة والهيبة التي تحيط

بالغربي غلفت ثقافته تماماً ، فأصبح اكتساب الثقافة الغربية نتيجة لذلك هدفاً مرغوباً فيه اجتماعياً يفوق بدرجة كبيرة الانتفاع المعترف به لمنتجات هذه الثقافة».

وفي معرض حديثه عن تخلي المسلمين عن مناهجهم التقليدية في الطب واتباعهم لمناهج الطب الحديث يقول (باتاي) في وثيقته:

«إن البحث في الأسباب التي أدت إلى التغيرات في الاتجاهات العقلية التي سادت منذ قرون ، لا يجعلنا نرد هذه التغيرات العقلية إلى الاهتداء المفاجئ إلى التفكير الأكثر عقلانية ولكن إلى (الميل للغرب).. من أين أتى هذا الميل؟!

تكمن الإجابة على هذا السؤال في هذه الهيبة للغربيين وثقافتهم ، إن الهيبة التي يتمتع بها كل شيء غربي في عيون شعوب الشرق الأوسط أوجد فيهم نزوعاً إلى محاكاة كل الطرق الغربية ، إنه أدى إلى رغبة خانعة ليس فقط في الحصول على المعدات الغربية ، ولكن رغبة في تقليد السلوك والاتجاهات الغربية كذلك. لقد قبل الطب الغربي ليس لأنه أظهر أفضلية ولكن لأنه طب غربي ، تبنى سكان الشرق الأوسط ازدراء الغرب للممارسات السحرية وغير العلمية ، ليس لأن ذلك له قيمة فحسب ، ولكن لأنه أمر مؤكد جاء به الغرب (المهاب)».

وعن (اللامبالاة) وعدم الاكتراث بالدين التي قلد فيها المسلمون الغرب يقول (باتاي):

«... وهنا ظهر على المسرح (الغربي) المحمل بالهيبة والذي يحتل وضعاً أعلى ويحمل ثقافة تستحضر الرغبة في محاكاتها: أن هؤلاء الأجانب لا ينتمون فقط إلى دين مختلف ، ولكن اتجاهاتهم نحو دينهم المسيحي كانت فاترة فكان من الطبيعي أن يقلد هؤلاء المعجبون بالطرق الغربية من مجموع ما قلدوه الفتور نحو الدين واللامبالاة به ، فأظهروا عدم الاهتمام بدينهم هم».

ثانيا علمنة الأسرة:

ينظر الغربيون إلى الأسرة المسلمة على أنها أسرة ممتدة ، والأسرة الممتدة في المصطلحات الغربية هي الأسرة التي تتكون بنائياً من ثلاثة أجيال أو أكثر ، وتضم الأجداد وأبناءهم غير المتزوجين والمتزوجين (أو بناتهم) وتضم أحفادهم كذلك.

سعى الغربيون نحو علمنة الأسرة المسلمة، وإلى أن تكون الأسرة الغربية وأشكالها الاجتماعية هي النموذج الجديد الذي يجب على المسلمين الاقتداء به. عمل الغرب

على فصل الأسرة المسلمة عن الدين ، وذلك بكسر قبضة الدين من تلك الأسرة الممتدة وتقليص اعتماد الفرد عليها ، والقضاء على تكامله معها وتدمير سلطة الأب على أولاده ، وانفلات الأبناء من الأسرة ؛ حتى ينفلتوا من الجو الديني العام الذي يحيط بالأسرة ، والنظر إلى كل ذلك على أنه ماضٍ يجب أن يرفض.

يقول (باتاي):

«في الوقت الذي كان فيه التأثير المباشر للبعثات التنصيرية على الحياة الدينية في الشرق الأوسط تافهاً ، تميز الغرب بموقفه البارد تجاه الدين لأن الدين في الشرق الأوسط في ظل الظروف التقليدية هو طريقة كلية للحياة: التنظيمات المهنية هي تنظيمات دينية ، ارتداء الزي المحلي أمر يقره الدين الطب والتعليم مهنتان دينيتان ، سلطة الدولة نفسها تقوم على الدين، ليس هناك ترتيب هرمي في الإسلام كما هو في الكنائس المسيحية، وليس هناك قسيس أيضاً ، العديد من سكان الحضر منتظمون في دوائر دينية ، والكثير من العائلات سواء أكانت في الريف أو الحضر تحظى بتأييد المؤسسات الدينية ، أما أكثر المؤسسات التي تمسك بقبضتها على الفرد فهي الأسرة الممتدة ، اعتماد الفرد على أسرته وتكامله معها مسألة عالية الأهمية في ثقافة الشرق الأوسط إلى درجة أنها تعد ثقافة القرابة، الأسرة هنا مؤسسة دينية يعضدها الدين ، أي أن الدين يعضد الأسرة ، وهي بدورها تعضد الدين.

ولما جاء التغريب أحدث انهياراً في السلطة الأبوية ، وحطم الأسرة الممتدة وغيّر نظام الاقتصاد العائلي بسبب حركة الهجرة من القرية إلى المدينة إلى نظام اقتصادي يقوم على علاقات غيرشخصية ، أصبحت الأسرة الغربية وأشكالها الاجتماعية نموذجاً يحتذى به بين الطبقات العليا والوسطى ، ولم يترتب على هذه الأمور مجرد تغير جوهري في طبيعة الحياة الأسرية ذاتها فقط ، وإنما ترتب عليها أهم من ذلك كله وهو (علمنة الأسرة) وابتعادها عن الدين ، فحينما ينفلت الشاب من قبضة أسرته كان يخلف وراءه هذا الجو الديني الهام الذي كان يحيط به فيصبح رفضه لهذا الجو جزءاً من رفضه للماضي ، ولهذه الأسرة التي تحكم قبضتها عليه.

ثالثا الحياد الموجه للمشروعات الاقتصادية والفنية الغربية:

هناك الكثير من المشروعات الاقتصادية والفنية الغربية العاملة في البلاد الإسلامية مهمتها الأساسية استنزاف خيراتها وربطها بالغرب،ولقد حرص الغربيون وهم يدخلون هذا الواقع الجديد إلينا هذه المشروعات على تجنب الخوض المباشر في أي موضوعات تتعلق بالعقيدة الإسلامية ، وتركوا هذه المهمة للبعثات التنصيرية بالرغم من تسليمهم بمحدودية عائدها وللشيوعية لكنهم أي الغربيين أولوا الشيوعية اهتماماً وثقلاً أكبر ، فهي في نظرهم التهديد الحقيقي الخطر على عقيدة المسلمين الذي يمكن أن يطيح بتوازنهم الاجتماعي الثقافي ، وقد تركزت الجهود على إقناع المسلمين بأن الشيوعية لا تتطابق مع الإسلام فقط بل إنها التعبير الحقيقي للشكل النقي من الإسلام في أصوله الأولى! ولا يهم هنا أن يكون نظام الحكم القائم في بلاد المسلمين شيوعياً بقدر ما يهم تدمير بنائهم الاجتماعي الثقافي الكلي.

يقول (با تاي):

«تميز مدخل الغرب في الشرق الأوسط في السنوات الأخيرة بصفة خاصة بالاعتناء الشديد بتجنب الخوض في أي قضايا أيديولوجية ، والتركيز على الناحية الفنية فقط بالنسبة للمشروعات الاقتصادية والفنية وما هو على شاكلتها ، دخلت هذه المشروعات إلى الشرق الأوسط عبر الولايات المتحدة والأمم المتحدة ومعها توجيه أساس بعدم التدخل في القيم والأيديولوجيات الخاصة بالبلاد.

لكن الأمر يختلف بالنسبة للبعثات التنصيرية ، فليس أمر الكف عن التدخل الأيديولوجي موضع حرية اختيار هنا ، إلا أنه يجب أن يوضع في الاعتبار رد فعل المجتمع الإسلامي للمحاولات المكشوفة لتنصيره ، لقد نجحت البعثات التنصيرية في علاج عشرات الآلاف من المسلمين ، كما علمت الآلاف من مرضى الأطفال المسلمين ، وربما أثرت بسلوكياتها ومثلها على النظرة الأخلاقية للعديد من المسلمين، ورغم ذلك فإن الذين تحولوا إلى النصرانية قلة قليلة. إن الدين في الشرق الأوسط يشغل وضعاً محورياً في بنائه ؛ ولهذا يعتبر التنصير عند المسلمين ردة يترتب عليها أن ينفصل المسلم إذا تنصر عن الأسرة والمجتمع والقيم الثقافية ويتعرض لنبذ أصدقائه والمحيطين به ، وأهم من ذلك كله أن اعتناق الإسلام اعتقاداً ثابتاً لا يهتز والنظرة إليه على أنه الدين الحقيقي يعني أن الردة عنه غباء كامل.

رابعا تغريب النخبة:

عمد الغرب بهذا الواقع الجديد إلى ضرب التوازن المستقر الذي أوجده الإسلام بين طبقات المجتمع المختلفة وإلى تمزيق الشرايين الحيوية التي تجري بين الطبقات العليا والدنيا وإيجاد تناقضات بينها ، إلى أن ينتهي الأمر بأن تنظر الطبقة العليا إلى الطبقة الدنيا على أنها جماعة من المتخلفين البدائيين الذين يمثلون ما يسميه الغرب «بالوجه الفقير لثقافة الإسلام التقليدية».

وحتى تتسع الهوة بين هاتين الفئتين عمد الغرب إلى ما يلي:

1- تغريب واحتضان الطبقة العليا التي تملك المال الوفير والفرص المتاحة للسفر والاتصال بالغرب وشراء منتجاته وتبني نمط حياته ، ثم استغلال الدافع الكامن عند الطبقة الدنيا التي تسعى إلى تسلق السلم الاجتماعي لتكون قريبة من الطبقة العليا بإتاحة الفرصة لها لاكتساب الخاصية التي تفردت بها هذه الأخيرة.

2- تدمير الجسر الثقافي الذي يربط بين الفئتين السابقتين بتحويل الطبقة العليا إلى جماعة من المستهلكين الشرهين لكل ما هو مستورد وقادم من الغرب ، بعد أن كانت هذه الطبقة تستخدم أحسن وأجمل وأفضل القوى الثقافية المتوافرة في الأرض الإسلامية ، لقد كان هذا الاستخدام في حد ذاته أساساً من أسس توحد الطبقة العليا في المجتمع مع باقي الطبقات.

لم يكن تغريب الطبقة العليا إلا أحد أوجه سلسلة الواقع الجديد الذي أراد به الغرب ضرب التوازن الاجتماعي المستقر في البلاد الإسلامية، وهناك وجهان آخران: أولهما إيجاد طبقة جديدة من العمال الحضريين المحرومين ، ولقد جندت هذه الطبقة من المدن ومن الريف ؛ لدفع عجلة التصنيع الفجائي والمفروض الذي أدخله الغرب على عالمنا الإسلامي ، لقد عاشت هذه الطبقة ظروفاً صعبة وقاسية ولم يكن المهم أن تعيش هذه الظروف فقط ، وإنما كان المهم أن تحرم من الإشباعات العاطفية والروحية التي يمنحها الدين والأسرة الممتدة لأفرادها. كان تجنيد هذه الطبقة من الريف لتحقيق هدف مهم آخر سعى إليه الغرب وهو إيجاد ما يسمى (بثنائية الريف المدينة) حيث القدر الأكبر للمدينة وكل ما قدم منها ويرمز لها ، مع الحط من قدر الريفيين والعمل على هجرتهم إلى المدينة لتشكيل الطبقة الجديدة وتركيز المهنيين

(الغير مهمين) والمثقفين في المدينة على حساب المهنيين الذين تشتد الحاجة إليهم كالأطباء والمهندسين وغيرهم.

هذا هو الوجه الأول ، أما الوجه الثاني: فقد كان تدعيم الطبقة الوسطى وإضافة فئات أخرى لها تشابه أكثر وأكثر مثيلتها في البلاد الغربية ، ويعهد إليها بمهمة التطوير الثقافي للبلاد لحساب الغرب.

خامسا إدخال الصناعة والتكنولوجيا:

لم يكن التصنيع (الحديث) والتكنولوجيا واقعاً قائماً في بلاد المسلمين فجاء الغرب وأدخلهما عن عمد كواقع جديد بهدف إحداث اضطراب خطير في النسيج المكون لثقافة المسلمين أولاً ، ولضمان تبعية المسلمين له واستنزاف خيراتهم بطريقة عصرية ، لأن الطرق القائمة لا تسعفه في تحقيق هذا الاستنزاف.

دمر الغرب الصناعات المحلية، وقضى على المهن التقليدية، ونشر بضائعه الاستهلاكية ، وأرغم الصنّاع والحرفيين إما على الخروج من الساحة والانضمام إلى ركب العمال الحضريين، أو تعديل خبرتهم الفنية بحيث ينتجون بضائع ذات نمط غربي يعرف الغرب أنها لن تقوى على المنافسة أمام بضائعه التي تستخدم التقنية الحديثة العالية الجودة المعدلة وفقاً لأذواق المسلمين ، ثم نافس الغرب بعد ذلك المشروعات الصناعية القائمة ، وأدخل مناهجه الغربية في إنتاج ما يصنع محلياً.

اعتقد المسلمون أنهم وهم يستخدمون المعدات والتقنية الغربية قد وصلوا إلى مرحلة من التقدم الاجتماعي ، وأن التغير الذي حدث عندهم بسبب هذا الاستخدام تغير محدود لن يؤثر على قيمهم الأساسية ، ولم يدرك المسلمون وهم في وهم هذا التقدم أن الغرب قد وقف بهم عند حد (طريقة الاستخدام) ولم ولن يصل بهم أبداً إلى (طريقة الإنتاج).. لم يكن المسلمون وهم يستخدمون الصناعة والتقنية الغربية يقفون عند الحدود الشرعية التي تحدد لهم الفرق بين الانتفاع بالثقافة وبين التأثر بهذه الثقافة ، في حين أن الغرب كان يعلم تماماً أن استخدام أي عنصر ثقافي غربي لابد وأن يؤدي بالضرورة إلى استخدام عنصر آخر ، وهكذا إلى أن ينتهي الأمر إلى تبني طريقة الحياة الغربية ذاتها.

حال الغرب دون تمكين المسلمين من صناعة الآلات التي توجد فيها باقي الصناعات ، فلم توجد لدينا المصانع التي تصنع الآلات من (موتورات) وخلافه ولم تتوفر لدينا آلات من صناعة البلاد تمكننا من صناعة باقي المصانع ، ولقد أعاق الغرب صناعة الآلات في بلاد المسلمين بحجة أنها تحتاج إلى وقت طويل وأنه لابد لنا من صناعة الحاجات الأساسية ، فانصرف المسلمون إلى الصناعات الاستهلاكية وأصبحت بلادهم سوقاً لمصانع أوربا وأمريكا ، وأرسلت أكثر البعثات إلى الخارج لا لتعلم صناعة الهندسة الثقيلة وصناعة الفولاذ ، ولكن لدراسة الآداب واللغويات والعلوم الإنسانية والاجتماعية التي توسع الهوة بين المسلمين وثقافتهم ، فانصرفت البلاد إلى صناعة المنسوجات والورق وخام الحرير ، وأهملت صناعة الآلات.

وبدلاً من استقدام خبراء صناعة الآلات استقدمت الخادمات والمربيات الأجنبيات ، صاغ الغرب لنا كتبنا خاصة في النمو الاقتصادي ، فجعلنا نعتقد أننا لابد وأن نسير في عدة مراحل وبشروط معينة حتى نصل إلى مرحلة التقدم فأطال أمامنا أمل تسلم زمام رأس الصناعة ومنبعها وهو (صناعة الآلات).

أجبرنا الغرب على شراء المصانع والآلات منه وبثمن باهظ ، وإذا أصيبت الآلات بعطب أو كسر اضطررنا لاستقدام خبرائه لإصلاحها أو استيراد الآلة منه وإلا تعطلت المصانع كلية.

لم تكن لبلاد المسلمين سياسة اقتصادية محددة في أن تكون هذه البلاد (صناعية) بمعنى (أن تصنع الآلات)، ولهذا لم تخلص بلادنا حتى الآن ولم تستغنِ عن الغرب لكنها أصبحت بدلا من ذلك أكثر ارتباطاً به وبمنتجاته وآلاته والأهم من ذلك كله بطريقة الحياة الغربية.

يقول (باتاي):

ما أن وجد الغربيون لأنفسهم قدماً في قلب الشرق الأوسط حتى بدأوا في إظهار (تكنولوجيتهم) ونشر مظاهر معينة منها عمداً وعرضاً بين السكان المحليين. إن المظاهر التكنولوجية للثقافة هو إيسر ما يمكن أن يستعار، وهذا صحيح فقط عند النظر إلى (استخدام) المنتج التكنولوجي وليس (إنتاجه). إنه يصعب عليك أن تصنع مضخة مياه تعمل بمحرك لكنك تستطيع في دقائق قليلة أن تتعلم كيف تستخدمها،

وأن تتعرف على مزاياها التي تفوق استخدامك للأسلوب القديم لرفع المياه عن طريق (الشادوف).

إن قبول سكان الشرق الأوسط للتكنولوجيا الغربية بالإضافة إلى إمكانيات نقلها ووظيفتها الكبرى كمؤشر هام للتقدم ، قد تيسر بواسطة حقيقة مؤداها أنها لا تشغل وضعاً مهماً في ثقافتهم الخاصة.. وبمعنى آخر إن شعوب الشرق الأوسط مثل أصحاب أي ثقافات أخرى لم ترَ أن مجرد التحول إلى استخدام المعدات الغربية يعني أن قيمهم الأساسية سوف تتأثر، بل رأت أنه مجرد تغير ذو أهمية قليلة ، وأخيراً أدركت بعد أن فات الأوان أن قبول أي عنصر ثقافي غربي منفرد يؤدي إلى قبول عناصر أخرى أكثر وأحدث فتكون النتيجة إحداث اضطراب خطير في النسيج الحيوي المكون لثقافتهم التقليدية.

إن مقارنة نمو التصنيع الغربي بتصنيع الشرق الأوسط يبين لنا أن تصنيع الأخير كان محدوداً وفجائياً ، بالإضافة إلى أنه مفروض من الخارج ، ولم ينمو عضوياً في بيئته المحلية ، ولهذا كان من المحتمل أن يصاحب بتوترات قاتلة يترتب عليها انهيار الأشكال التقليدية من التفاعل الاجتماعي الذي تميزه العلاقات الشخصية والأسرية وانتشار المكانات الموجهة قرابياً ، وتحوله إلى الأشكال الغربية من التفاعل الاجتماعي الذي يقوم على العلاقات غير الشخصية».

هذه خمسة عناصر من عناصر هذا الواقع الجديد الذي أدخله الغرب على حياة المسلمين لتغريبهم وتدمير التوازن القائم في ثقافتهم ، وتندرج جهود الغرب هذه تحت قوله عز وجل ((ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفَاراً حسداً من عند أنفسهم من بعدما تبين لهم الحق))(1) ، وتشير الوقائع السابقة إلى أن الغرب قد نجح إلى حد بعيد في جهوده تلك رغم التحذير الذي وجهه الله عز وجل للمسلمين من اتباع سبيل الكافرين كما جاء في قوله تعالى: ((ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم))(2)، وقوله تعالى ((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم))(3) وقوله تعالى: ((لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوآدون من حاد الله ورسوله))(4)... إلى غير ذلك من الآيات.

لكن نجاح الغرب في تغريب المسلمين لم يكن راجعاً إى كفاءة تنظيره المدروس الذي أسماه (تشويش الأحكام القيمية) ، فليس هذا التنظير كما يخيل للبعض بجهد إبداعي خلاق يضيف هيبة أخرى إلى هيبة الغرب الحالية في عيون المسلمين. إن هذا الجهد يتضاءل أمام قاعدة ابن تيمية رحمه الله التي يقول فيها: «إن المشاركة في الهدى الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى موافقة في الأخلاق والأعمال... فإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والموالاة ، فكيف بالمشابهة في أمور دينية.. فإن إفضاء هذا النوع من الموالاة أكثر وأشد والمحبة والموالاة لهم أي اليهود والنصارى تنافي الإيمان»».

ويرجع نجاح الغرب في تغريب المسلمين إلى سببين أساسين:

الأول: أن هذا هو قضاء الله عز وجل النافذ فيما أخبر به رسوله –صلى الله عليه وسلم– مما سبق في علمه ، فقد قال –صلى الله عليه وسلم–: (لتتبعن سنن من قبلكم حذو القذة حتى لو دخلوا مجر الضب لدخلتموه ، قال يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال فمن؟)(5).

الثاني: ضعف إيمان المسلمين: الله سبحانه وتعالى ضمن نصر دينه وحزبه وأوليائه القائمين بدينه علماً وعملاً ، يقول ابن القيم رحمه الله في ذلك: «فإذا ضعف الإيمان صار لعدوهم من السبيل بحسب ما نقص من إيمانهم فهم جعلوا عليهم السبيل بما تركوا من طاعة الله تعالى ، فالمؤمن عزيز غالب مؤيد منصور مَكْفيٌ مدفوع عنه بالذات أين كان ، ولو اجتمع عليه من بأقطارها ، إذا قام بحقيقة الإيمان وواجباته ظاهراً وباطناً.. وقد قال الله تعالى للمؤمنين ((ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين))(6) ، وقال تعالى: ((فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم)) (7).

فهذا الضمان إنما هو بإيمانهم وأعمالهم التي هي جند من جنود الله يحفظهم بها ولا يفردها عنهم ويقتطعها عنهم فيبطلها عليهم كما يتر الكافرين والمنافقين أعمالهم إذا كانت لغيره ولم تكن موافقة لأمره.

الهوامش :

*انظر تفصيلا: RAPHAEL PATAI, THE DYNAMICS OF 9WESTERNIXATION THE MIDDLEEAST JOURNAL, V. .16−1, PP. 1955, WINTER 1NO.

(1)سورة البقرة ، آية 109.

(2)سورة النساء ، آية 115.

(3)سورة المائدة ، آية 51.

(4)سورة المجادلة ، آية 22.

(5)أخرجه الترمذي ، كتاب الفتن ، وابن ماجة ، كتاب الفتن.

(6)سورة آل عمران ، آية 139.

(7)سورة محمد ، آية 35.

============

بأقلامهن

مجلة البيان - (ج 132 / ص 24

دور المرأة المسلمة في مواجهة التغريب

رهام أديب الزعبي

تمر أمتنا الإسلامية في الوقت الحاضر بمرحلة في غاية الخطورة هي محاولة إرساء التغريب في أرضها وإحكام الهيمنة عليها من قِبَلِ أعدائها. والتغريب هنا هو تحويل الثقافة العربية والإسلامية من عقيدة وسلوك، وعادات وتقاليد إلى ثقافة وعادات وتقاليد تابعة للغرب مخالفة تماماً لعقيدتنا وتراثنا الإسلامي، ومن ثم تصبح الهيمنة على أمتنا والسيطرة عليها واحتواؤها سهلاً ميسوراً؛ بحيث تخضع خضوعاً تاماً لما يريده الغرب، الذي يحاول جاهداً دون كلل أو ملل بث أفكاره وثقافته بكل السبل التي يستطيع الدخول من خلالها.

وهذا التغريب قائم على أبحاث ودراسات حشدت لها كل الطاقات والإمكانات لكي تطبق على المسلمين، منها ثقافية وفكرية، ومنها نظم سياسية واقتصادية بعيدة كل البعد عن الإسلام وتشريعاته، مما يؤدي في النهاية بالمجتمع الإسلامي إلى أن يتشبع بالفكر الغربي وثقافته وحضارته المعادية للإسلام، فيقضي على شخصية

المجتمع وولائه لدينه وأمته، ويصبح من السهل قيادته وتنفيذ كل ما يطلب منه. والأمثلة على ذلك كثيرة، ومن أهمها ما يتعلق بشؤون المرأة.

ولما كان للمرأة المسلمة أهمية كبيرة في تربية الأجيال ولها تأثيرها المباشر في تنشئتهم على الإسلام عقيدة وسلوكاً، فقد أعطى أعداء الإسلام أهمية قصوى لمحاولة تغريبها والتركيز عليها؛ وذلك من خلال الدعوات البراقة الكاذبة التي انخدع بها كثير من أبناء وبنات أمتنا... تلك الدعوات المسماة بالتحرر وانتزاع الحقوق، وطلب المساواة بينها وبين الرجل!

فإذا استجابت المرأة المسلمة لدعوتهم تلك فسيؤدي ذلك حتماً إلى إفسادها ثم إلى فساد المجتمع وتدميره بأقصر الطرق وأسرعها؛ لما لها من تأثير فعال في ذلك، مما لا يستطيع أن ينكره عاقل.

ومن المؤسف حقاً أن نجد فئة من نسائنا قد انجذبت وانساقت لتلك الأباطيل، فتبنت أفكارهم المضللة تلك، والدعوة لها، وعشن بتبعية كاملة لهم فكرياً واجتماعياً وسلوكياً، مقلدات المرأة الأوربية تقليداً أعمى دون إدراك أو تفكير بحيث ينطبق عليهن حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قيل: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟)(1).

ولقد غاب عن وعي أولئك النسوة أن الظروف الاجتماعية والقانونية والتاريخية التي واجهت المرأة الأوربية مختلفة تماماً عمّا واجهته المرأة المسلمة؛ فالمرأة هناك تعيش مجتمعاً قائماً على قوانين من وضع البشر وليست شرائع ربانية؛ فكان هناك انتهاك وهضم لحقوق المرأة مما جعلها تثور وتتمرد لتحصل على حقوقها.

أما المرأة المسلمة فقد أعطاها الإسلام حقوقها كاملة منذ أربعة عشر قرناً؛ فيحق لها أن تفخر وترفع رأسها عالياً بتلك الحقوق التي لم تحصل عليها كثير من النساء في أكثر البلدان التي تدعي الحضارة والتقدم إلى الآن.

لقد كرم الإسلام المرأة أحسن تكريم، ورفع مكانتها ووضعها في المكان اللائق بها، ولم يفرق بينها وبين الرجل، بل ساوى بينهما في الحقوق والواجبات، والثواب والعقاب. ولا أدري . والله . ما هي الحقوق التي تطالب بها المرأة المسلمة؟ وقد

أعطاها الإسلام كامل حقوقها الدنيوية والأخروية.. أما الدنيوية: فمنها حق التعلم والعمل، وحق التملك والتصرف بملكها وتجارتها دون تدخل من زوج أو أب. كما أعطاها حق اختيار الزوج؛ وحق الخلع إذا لم توفق بزواجها. ومن حقها أيضاً المحافظة على اسم عائلتها بعد الزواج؛ وذلك بعكس المرأة الأوربية التي تحمل اسم عائلة زوجها بعد الزواج. وأيضاً أُعطيت المسلمة حق الإرث فهي ترث وتورث، يقول ـ تعالى ـ: ((لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ والأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً)) [النساء: 7].

وأما حقوقها ومساواتها مع الرجل في الأجر فقد بينه قوله ـ تعالى ـ: ((فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى)) [آل عمران: 195]. وقوله ـ تعالى ـ: ((إنَّ المُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ والْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)) [الأحزاب: 35]. وبعد ذلك: ماذا تريد المرأة أكثر من هذا؟

وهنا سؤال يطرح نفسه: ما هو المطلوب من المرأة المسلمة أن تفعله؟

المرأة المسلمة اليوم مطالبة أكثر من أي وقت مضى أن تكون سلاحاً في وجه أعدائها؛ وذلك من خلال رفضها لكل الدعوات الكاذبة والخادعة التي ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، متمثلة قوله ـ تعالى ـ: ((قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ(1)لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ)) [الكافرون: 1، 2].

فعلى المرأة المسلمة أن تقف سداً منيعاً إلى جانب الرجل المسلم في وجه ما يخطط للأمة الإسلامية من خلالها، فلا تكون عوناً لأعدائها وأعداء أمتها؛ بل يجب عليها أن تعي وتدرك ما يدور حولها من خطط لإبعادها عن دينها ورسالتها في هذه الحياة وتهميش دورها في بناء مجتمعها الإسلامي، وإشغالها بتوافه الأمور، وإضاعة وقتها في تتبع ما تبثه الفضائيات، وما تنشره المجلات الهابطة من عروض للأزياء وآخر الموديلات من مكياج وعطورات، ومتابعة أخبار الفنانين والفنانات!

إنــه مــن المـؤلم حقـاً أن نـرى إلحــاح الإعــلام المرئــي والمقـروء علــى جعـل تلـك الشخصـيات الفنيـة قـدوة لأخواتنـا وبناتنـا المراهقـات.. ومـا كثـرة استضـافتهن علـى شاشـات التلفزيـون وصـورهن علـى أغلفـة المجـلات وداخلهـا، غيـر تأكيـد علـى ذلـك؛ وكأن الدنيا قد خلت إلا من هؤلاء!

إن أكثـر مـا يغيظ الغـرب هـو تمسـك هـذه الأمـة بـدينها؛ فدعوتهم إلـى تحـرر المـرأة المسلمة والمتمثل عندهم بخلعها الحجاب واختلاطها بالرجال حتى يعم الفساد في المجتمع الإسلامي ما هو إلا دليلاً كبيراً على ما يكنه الغرب لنا من عداء؛ فلن يهنأ لهم بال ولا يستقر لهم حال حتى نترك ديننا ونعيش بتبعية كاملة لهم منفذين رغباتهم وأمانيهم التي لا تنتهي إلا باتباع ملتهم كما أخبرنا به ـ سبحانه وتعالى ـ بقوله: ((وَلَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)) [البقرة: 120].

فالواجـب علـى المـرأة المسـلمة أن تعـود إلـى إسـلامها وتتمسـك بـه بكـل قـوة، وتعـيش تعاليمه كلها منهجاً وسلوكاً، وتطبقها على نفسها أولاً ثم على من هم تحت رعايتها. فلا بد أن تعلم المرأة المسلمة قبل كل شيء أن الإسلام كلّ لا يتجزأ؛ عقيدة، وعبادة، ومـنهج حيـاة؛ فـإذا أرادت أن تأخـذ منـه مـا يطـابق هواهـا وتتـرك مـا يغـايره فـإن هـذا ينقض العقيدة وسلامتها. يقول ـ تعالى ـ: ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)) [الأحزاب: 36]. لذلك يجب عليها أن تلتزم التزاماً كاملاً بما أمرها الشرع من حقوق وواجبات، والبعد عن كل ما نهاها عنه قبل أن يستشري الداء ويزيد البلاء، فيعمنا الله بعقابه في الدنيا من قبل أن نلقاه. كما قال ـ تعالى ـ: ((وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ)) [الأنفال: 25].

ومن الواجب علـى المرأة المسلمة أيضـاً أن تعمل علـى تثقيف نفسها والتسلح بـالعلم الشرعي، وذلك من خلال حضورها لبعض الدروس الشرعية المتاحة في مجتمعها، وسماعها للأشرطة المأمونـة المتوفرة في السوق، وكذلك تلاوتها للقرآن وتدبر آياته وحفظ مـا تيسر منـه، وخصوصـاً آيـات الأحكـام، وكذلك الآيـات الكونيـة، والاطـلاع على كتب التفسير والسيرة حتى يساعدها ذلك على أداء مهمتها في الدعوة لهذا الدين العظيم، ذلك الدين الذي جعلنا خير أمة؛ لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر

كما قال ـ تعالى ـ: ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ)) [آل عمران: 110] فإن وجدت في نفسها الكفاءة والقدرة للدعوة لهذا الدين العظيم في محيط مجتمعها فينبغي ألا تدخر جهداً في ذلك؛ فهذا واجب عليها. فإن لم تستطع فبإمكانها الدعوة بين أقربائها وجيرانها، فإن لم تستطع فيكفيها أن تنشئ أبناءها على العقيدة السمحة، وتربيهم التربية الصالحة، وتبث في نفوسهم حب هذا الدين والولاء له والبراء من أعدائه، وأن تشرح لهم معنى قوله ـ تعالى ـ: ((لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...)) [المجادلة: 22] لأننا اليوم في أمسّ الحاجة لكي يعلم أبناؤنا ما يخططه لنا الغرب الصليبي واليهود الحاقدون ومن شايعهم في محاولتهم الخبيثة لتذويب شخصية شبابنا المسلم في بوتقة الانحراف، وإبعادهم عن هويتهم الإسلامية الصحيحة؛ ففي هذه الظروف التي نراها الآن وتعيشها الأمة الإسلامية وقد تداعت عليها الأمم كما تداعت الأكلة على قصعتها، نرى أمتنا وقد هانت على أعدائها وتكالبوا عليها لتضليل أبنائها ونهب ثرواتها وخيراتها.. فهم كما نرى يصطنعون الأحداث في بلادنا ويضعون لها الحلول.. يخططون وينفذون ما يريدون؛ ففي مثل هذه الظروف يجب أن تتكاتف الأيدي جميعاً.

فلتكن المرأة المسلمة عوناً للرجل تسانده وتشجعه بالدعوة لهذا الدين والذود عنه، فلا تضيع وقتها فيما لا يعود عليها ولا على أمتها بالخير؛ فالعمر هو الوقت، والمسلم سوف يسأل عن عمره فيما أفناه، يقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن رزقه من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به)(2).

فعلى المرأة المسلمة الحذر كل الحذر من أن تقع في شراك أدعياء تحرير المرأة؛ فإنهم يهدفون من وراء ذلك الطعم اصطيادها وتحللها من دينها وقيمها وأخلاقها؛ وحينها تكون ذيلاً لهم وتابعة ذليلة لمناهجهم.

إن الأمر جد خطير؛ فلا بد من تعبئة كل القدرات وتهيئتها وتضافر الجهود وبذل الطاقات من أجل صحوة دينية نسائية صادقة هادفة تقوم على أسس هذا الدين ومبادئه؛ فقد آن الأوان لكي نرد لهذا الدين عزته، وللمؤمنين كرامتهم؛ فنحن أحق

بأنفسنا من التبعية للأجنبي الغريب، بل نحن أحق بقيادة هذا العالم؛ لأن ديننا صالح لكل زمان ومكان، وهو ينشر العدل والأمن والسلام بين البشر وميزانه: ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)) [الحجرات: 13] و (لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى).

فللّه العزة ولرسوله والمؤمنين... ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

الهوامش :

(1) البخاري: كتاب الأنبياء، حديث (50) وكتاب الاعتصام، حديث (14). ومسلم: كتاب العلم، حديث (6).

(2) الترمذي: كتاب القيامة، حديث رقم (1).

==============

ماذا يريدون من المرأة..؟!

مجلة البيان - (ج 149 / ص 62)

أساليب تغريب المرأة وآثارها

محمود كرم سليمان

الحمد لله . تعالى . والصلاة والسلام على رسوله. وبعد:

فإن فساد المرأة فساد للأسرة كلها وللمجتمع بأسره لما له من أثر عميق على الناشئة والشباب، ولعل أبرز ما نراه اليوم هو هذا التخطيط المرسوم بدقة والذي أخذ طريقه إلى المدارس والجامعات فأدى إلى تغريب المرأة وعلمنتها وابتعادها عن دينها.

كما أصبح الإعلام الحديث بجميع ألوانه سلاحاً يفتك بالمرأة ويغريها على الفساد خاصة أنه قد بلغ من الإبداع والتأثير قدراً كبيراً جعل من المستحيل مقاومة إغرائه، وقد اعتمد هذا الإعلام في معظم برامجه ومصنفاته الفنية والإعلانية اعتماداً محورياً على مظهر المرأة ومفاتنها سواء أكان في التلفاز أو الإذاعة أو الصحف والمجلات أو الإنترنت مؤخراً.

ولا شك أن الانحراف الخطير الذي تردت فيه المرأة قد أصبح ظاهرة واضحة في المجتمع تشهد عليه تلك الآثار المستشرية في كافة مناحي الحياة الاجتماعية

والثقافية والاقتصادية والسياسية، فضلاً عن خروجه عن مبادئ الدين الصحيح وتعاليمه الأخلاقية والإيمانية.

ولا يخفى على الناظر البصير أن هذه الظاهرة في معظمها هي ثمرة لمخططات الاستعماريين والعلمانيين التي وضعت بهدف إفساد المجتمع وتفريغه من المقومات المستمدة من دينه القويم وتراثه الخالد، وبذلك فَقَدَ قدرته على التماسك أمام ضربات الاستعمار الغربي وأصبح لقمة سائغة له.

وقد توسلت هذه المخططات بعديد من الشعارات الزائفة البراقة التي تتخفى تحت مبدأ مساواة المرأة بالرجل وتحرير المرأة من قيود الدين والعرف.

وإمعاناً في إتمام هذه الخطة الخبيثة تم وضع عملاء من أمثال (مرقص فهمي) الذي أصدر كتاب "المرأة في الشرق" ونادى فيه المرأة إلى رفع الحجاب والاختلاط بمحافل الرجال، وهاجم فيه أحكام الشريعة الإسلامية التي تحرِّم زواج المسلمة بغير المسلم ودعا إلى التمرد على هذه الأحكام.

\ وفي عام 1911م تأسس في مصر "حزب بنت النيل" الذي طالب بتحرير المرأة من الحجاب وتقييد الطلاق وكان من قياداته القديمة درية شفيق، وأمينة السعيد وغيرهما.

\ وفي عام 1913م دعيت هدى شعراوي لحضور مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي بروما، وكان من توصياته: العمل على تعديل قوانين الطلاق لوقفه، ومنع تعدد الزوجات، وتقرير حرية المرأة في السفور والاختلاط.

وأصدر قاسم أمين كتابه: "المرأة الجديدة" الذي نادى فيه بالاتجاه الأعمى إلى تقليد الغرب فكرياً واجتماعياً، وعلى دربه سار سعيد عقل ولويس عوض ولطفي السيد ونجيب محفوظ، وعديد من أعضاء المحفل الماسوني، ومن الشعراء صادق الزهاوي، ونزار قباني وغيرهم.

ومما زاد الطين بلة قيام زعيم وطني بتمزيق النقاب من فوق وجه فتاة مسلمة في أكبر ميدان في مصر، كما أمر زوجته بحرق الحجاب أمام الجمهور.

ومن فضل الله ـ تعالى ـ أن قيَّض للأمة الإسلامية في هذا الوقت علماء مجاهدين وقفوا بكل قواهم لصد هذه المخططات ولتفنيد هذه الدعوات المشبوهة مما كان له أثره في التخفيف من مساوئها.

الآثار التي ترتبت على إفساد المرأة:

أولاً: مؤشرات عامة تظهر عمق ما أصيبت به المرأة والمجتمع:

1- البعد عن الدين: وذلك بعدم معرفتها لعقيدته السمحة وفروضه وسننه وشريعته العادلة وأخلاقه الرشيدة، وكذلك عدم الالتزام بأداء العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج وعمرة وذكر وتلاوة وحفظ للقرآن الكريم واستغفار وحمد لله ـ تعالى ـ ودعاء وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

وقد تمرد بعضهن على تعاليم الدين وتنكرن لعقائده وعباداته وأحكامه مخالفات لقول الله ـ تعالى ـ:((ومَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ويُقِيمُوا الصَّلاةَ ويُؤْتُوا الزَّكَاةَ وذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ)) [البينة: 5].

2- اتباع الشيطان وهوى النفس: وبذلك تمرغت في أوحال الفسوق والانحلال، وسارت خلف نوازع النفس الأمارة بالسوء، وانطبق عليها قول الله ـ تعالى ـ: (($ومَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ)) [القصص: 50]، وأنكرت قوله ـ تعالى ـ: ((فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وقُلْنَ قَوْلاً مَّعْروفاً (32) وقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى)) [الأحزاب: 32، 33] وقد ورد عديد من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الصنف من النساء نذكر منها:

عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: "إياكم وخضراءَ الدمن! قالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء"(1).

روى النسائي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية"(2).

وروى كذلك:"لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال"(3).

3- التنكر للآداب الدينية: مثل الحجاب وغض البصر وعدم الاختلاط بالرجال إلا بضوابطها الشرعية؛ فهي لا تقيم وزناً لتعاليم الدين التي تنهى المرأة عن الخروج كاشفة لملابسها الفاضحة، أو متزينة بالجواهر والحلي البراقة، أو متعطرة، أو متحلية بالأصباغ في وجهها خارج بيتها حتى لا تفتن الرجال، وقد روى أبو هريرة قول النبي صلى الله عليه وسلم: "صنفان من أهل النار: أحدهما نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها"(4).

4 - تضييع الوقت فيما يضر: فالوقت هو الحياة؛ وهذا الصنف من النساء يقتلن وقتهن في السهر في الملاهي التي تغضب الله . تعالى . كمشاهدة الأفلام الخليعة، وفي قراءة الكتب والصحف والروايات التي لا تراعي الآداب والأخلاق القويمة فيما تنشر، وفي مجالس الغيبة والنميمة والتآمر على الفضيلة وإفساد ذات البين، وغير ذلك من الآثام.

5 - مصاحبة أقران السوء: فالصحبة الفاسدة لها أثر كبير في نشر الفساد؛ فهي كعدوى الأمراض ينتشر خطرها بالاختلاط خاصة بين النساء والرجال كما سبق ذكره.

6 - انشغال المرأة بالعمل والاشتراك في النشاط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي على حساب بيتها وأبنائها؛ والإسلام أباح للمرأة أن تعمل إذا الجأتها الضرورات الاجتماعية إلى العمل لا أن يكون هذا نظاماً عاماً، وعليها حينئذ أن تراعي الشروط التي وضعها الإسلام لإبعاد فتنة المرأة عن الرجل وفتنة الرجل عن المرأة.

وقد أثبتت التجربة الغربية الآثار السلبية لعمل المرأة، ونذكر منها:

في الولايات المتحدة دخل المستشفى أكثر من 5600 طفل في عام واحد متأثرين بضرب أمهاتهم العاملات لهم، ومنهم نسبة كبيرة أصيبوا بعاهات.

في مؤتمر للأطباء عقد في ألمانيا قال الدكتور كلين رئيس أطباء مستشفى النساء: إن الإحصاءات تبين أن من كل ثمانية نساء عاملات تعاني واحدة منهن مرضاً في القلب وفي الجهاز الدموي، ويرجع ذلك . في اعتقاده . إلى الإرهاق غير الطبيعي الذي تعاني منه المرأة العاملة . كما تبين أن الأمراض النسائية التي تتسبب في موت الجنين أو الولادة قبل الأوان قد تعود إلى الوقوف لمدة طويلة أو الجلوس المنحني

أمام منضدة العمل أو حمل الأشياء الثقيلة، بالإضافة إلى تضخم البطن والرجلين وأمراض التشوه".

\ توصلت نتائج دراسات أذاعتها وكالات أنباء غربية في 1991/7/17م إلى أنه خلال العامين السابقين هجرت مئات من النساء العاملات في ولاية واشنطن أعمالهن وعدن للبيت.

نشرت مؤسسة الأم التي تأسست عام 8391م في الولايات المتحدة الأمريكية أن أكثر من 15 ألف امرأة انضممن إلى المؤسسة لرعايتهن بعد أن تركن العمل باختيارهن.

في استفتاء نشرته مؤسسة أبحاث السوق عام 1990م، في فرنسا أجري على 2.5 مليون فتاة في مجلة ماري كير كانت هناك نسبة 90% منهن ترغبن العودة إلى البيت لتتجنب التوتر الدائم في العمل ولعدم استطاعتهن رؤية أزواجهن وأطفالهن إلا عند تناول طعام العشاء.

\ وفي الولايات المتحدة 40% من النساء العاملات، وفي السويد 60% منهن، وفي ألمانيا 30%، وفي الاتحاد السوفييتي (سابقاً) 28% يعانين من التوتر والقلق وأن نسبة 76% من المهدئات تصرف للنساء العاملات.

أما في الاتحاد السوفييتي فقد ذكر الرئيس السابق "جورباتشوف" في كتابه عن البروستريكا أن المرأة بعد أن اشتغلت في مجالات الإنتاج والخدمات والبناء وشاركت في النشاط الإبداعي لم يعد لديها وقت للقيام بواجباتها اليومية من أعمال المنزل وتربية الأطفال.

وأضاف قوله: "لقد اكتشفنا أن كثيراً من مشاكلنا في سلوك الأطفال والشباب وفي معنوياتنا وثقافتنا وإنتاجنا تعود جميعاً إلى تدهور العلاقات الأسرية، وهذه نتيجة طبيعية لرغبتنا الملحة والمسوَّغة سياسياً بضرورة مساواة المرأة بالرجل".

\ وفي دول الخليج ظهرت مشكلة من لون آخر فقد زاد عدد المربيات الأجنبيات بسبب عدم تفرغ الأم لرعاية أطفالها، ولو وضعنا في الاعتبار أن نسبة كبيرة من هؤلاء المربيات غير مسلمات، وأن معظمهن يمارسن عباداتهن الخاصة أمام أطفال المسلمين، وأسوأ من ذلك أنهن يزاولن علاقات جنسية مع أصدقاء في منازل

مخدوميهن بالإضافة إلى احتسائهن للخمر وتدخين السجائر بمصاحبة الأطفال، ومن ذلك ندرك حجم الخطر الذي يهدد الأسرة المسلمة بسبب تحرر المرأة من تعاليم دينها وإهمالها لواجباتها نحو أولادها وبيتها.

ثانياً: مشكلات أصابت الأبناء من الجنسين:

وهذه مشكلات تشاهد في الجيل الجديد منذ الطفولة حتى من الشباب وتشمل مشكلات تربوية ومشكلات تعليمية وثقافية.

فالمرأة الصالحة ذات الدين إذا كانت زوجة ولها أبناء تؤدي واجبها في تربية الأبناء ورعايتهم بما توفره للأسرة من سعادة، فينشأ الأبناء في رعايتها نشأة سليمة بدنياً ونفسياً وثقافياً بحيث يلتزمون بالعقيدة الصحيحة ويمارسون العبادة لله الخالق العظيم على أكمل وجه، ويتمسكون بالأخلاق الحميدة والسلوك السوي والصراط المستقيم والبر والتقوى.

أما النساء المنحرفات فهن محضن لكل فساد، وقدوة سيئة لأبنائهن في كل نواحي الحياة وفي كل أعمارهم منذ طفولتهم؛ فهم لا يكتسبون منهن إلا القيم الفاسدة والعادات السيئة والصفات الذميمة، وهن يتركنهم بدون الرقابة الواجبة ولا التوجيه الرشيد؛ حيث تربيهم الخادمات الجاهلات أو المربيات الأجنبيات فيغرسن فيهم أسوأ الخصال وأرذل القيم؛ ولذلك آثار لا تمحى في أعماق نفوس الأبناء تلازمهم في مستقبل حياتهم مما يكون له نتائج لا شعورية في كل سلوكهم، وقد يؤدي إلى إخفاقهم في الدراسة والعمل بل في تكيفهم مع المجتمع.

أما دور الأم في تعليم أولادها وبناتها خاصة قبل سن التعليم فهو في غاية الأهمية؛ فإن الطفل يخرج إلى الحياة مجرداً عن العلم بأي شيء؛ تأمل قول الله ـ تعالى ـ: (($وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)) [النحل: 78]، والأم هي التي تقوم بتعليم أطفالها استخدام هذه الأجهزة الربانية في الحركة والكلام والأكل والإمساك بالأشياء واللعب، كما يتعلمون من الأم والأب وغيرهم من المصاحبين لهم اللغة، ويعرفون بالسماع أسماءهم التي ينادون بها، ثم يلي ذلك تعلم القراءة والكتابة البسيطة والنطق الصحيح للألفاظ ويحفظون اسم الله ـ تعالى ـ ومبادئ الدين.

وهذا الدور الهام لا يمكن أن تؤديه الأم المنشغلة عن أولادها التي تقضي وقتها خارج بيتها، كما لا تصلح له الأم الجاهلة بأمور دينها ودنياها وبواجباتها نحو أطفالها.

وعندما يجتاز الأطفال هذه المرحلة يكون دور الأم في تحصيل أبنائها العلمي مساعداً لدور المدرسة؛ فهي تعاونهم على أداء واجباتهم الدراسية في المنزل كما تهيئ لهم الأجواء المناسبة في البيت للشعور بالراحة والأمان والحنان والحب مما يكسبهم الثقة في النفس والتفاؤل والثقة في المستقبل، كما تتولى الأم الإجابة على تساؤلات أبنائها في هذه المرحلة التي يكونون فيها دائمي السؤال عن كل ما يخطر على بالهم؛ ويتوقف على مدى صواب إجابات الأم امتلاء عقولهم وقلوبهم بحقائق الحياة وتعرفهم على الفرق بين الحق والباطل والخير والشر والخطأ والصواب.

وأهمية دور الأم في هذه المرحلة في تعليم أبنائها دينهم ومراقبة ممارستهم للعبادات والتزامهم بالسلوك والأخلاق التي يحض عليها الإسلام وتعريفهم تعاليم الدين المتعلقة بالمجتمع وآدابه في كل شيء؛ وذلك استكمالاً لمقررات الدين في المدرسة ومراقبة تطبيقهم لهذه المعارف والآداب. وهناك أمور تحتاجها الفتاة من الأم تختص بها دون الولد تعتمد على علم الأم بها واهتمامها بها بتبليغ بناتها بها في الوقت المناسب وتدريبهن عليها، نذكر منها ما تحتاجه البنت من معلومات عند البلوغ وواجباتها الخاصة في تدبير المنزل وخدمة الأسرة لتعرف حقوق الزوج والأبناء والبيت عندما تتزوج.

وهذه الواجبات السابق ذكرها لا يمكن أن تؤديها الأم الفاسدة، أضف إلى ذلك أن فساد عقيدة الأم يؤدي إلى دفع أولادها نحو الالتحاق بالمدارس الأجنبية ومن ثَمَّ بالثقافة الغربية مما يكون له أثر بالغ في نشأة شخصيتهم غريبة عن مجتمعهم ودينهم.

ثالثاً:مشكلات أصابت الرجال من أزواج وأقارب كما أصابت المجتمع كله:

1- تأثيرها على الزوج:

حيث قد يدفعه فسادها إلى ارتكاب المعاصي وإلى طريق الشيطان والبعد عن الصراط المستقيم، كما أن عدم التزامها بالحجاب وتبرجها أمام الرجال يثير سخط

زوجها وغيرته عليها مما يكون له أثره في ارتكاب الزوج لردود أفعال لجنون الغيرة غير محمودة العواقب.

والمرأة التي لا تحترم الحياة الزوجية تضر بالأسرة وتهدد بتحطيمها بالطلاق أو بإهمال الرجل لبيته أو بالاتجاه إلى زوجة أخرى، أو الهروب إلى المقاهي ودور اللهو؛ وكثيراً ما تكون سبباً في إدمانه للتدخين والمخدرات والمسكرات.

ومشكلة الطلاق في الغرب تعبر عن هذه الظاهرة في بلاد تعيب على الإسلام إباحته للطلاق؛ فقد بلغت نسبة الطلاق إلى عدد الزيجات في السويد 60%، وفي الولايات المتحدة الأمريكية 40%، وفي ألمانيا 30%، وفي الاتحاد السوفييتي 28%، وفي فنلندا 14%. ونذكر هذه الدراسة التي نشرتها مجلة شتيرن من ألمانيا أن ثلثي الراغبات في الطلاق في فرنسا يمارسن عملاً خارج البيت وأن 22% من حالات الطلاق في ألمانيا نتيجة الخيانة الزوجية، و10% منها لأسباب جنسية، و10% منها بسبب الإدمان.

أما في العالم العربي فقد وصلت مشكلة الطلاق إلى حجم غير مألوف مما يحتاج إلى دراسة مستقلة.

ومن المشكلات الاجتماعية عزوف المرأة عن الإنجاب؛ حيث لا ترغب في تحمل متاعب الحمل والوضع؛ وقد يدفعها ذلك إلى الإجهاض، وقد تقصر المرأة العاصية في تلبية حاجات زوجها الجنسية مما يؤدي به إلى الزنا أو الشذوذ.

وقد يؤثر ذلك على صحة الزوج بدنياً ونفسياً، ويجعله عرضة للأمراض الجنسية والنفسية وغيرها.

قد تدفع المرأة إلى انحراف زوجها مالياً لكي يحقق الثراء والكسب الحرام تلبية لمطالبها من الملابس الفاخرة والمجوهرات والسهرات الماجنة والحفلات الصاخبة.

2 – تأثيرها على الرجال من الأقارب والآخرين:

المرأة التي لا تلتزم بتعاليم دينها في الحجاب وعدم الاختلاط بالرجال لها خطر عظيم على مجتمع الرجال، لذلك فقد حرص الإسلام على أن يباعد بين الجنسين إلا بالزواج لما يتبع هذا الاختلاط والتبرج من ضياع للأعراض وخبث للطوايا وفساد للنفوس وتهدم للبيوت وشقاء للأسر.

وقد لوحظ في المجتمعات المختلطة بين الجنسين طراوة في أخلاق الشباب ولين في الرجولة إلى حد الخنوثة والرخاوة.

والمرأة التي تخالط الرجال تتفنن في إبداء زينتها ولا يرضيها إلا أن تثير في نفوسهم الإعجاب بها؛ ولذلك أثره في الإسراف في تكاليف التبرج والزينة المؤدي إلى الخراب والفقر.

ويترتب على ذلك انتشار الفحشاء والزنا والأمراض المصاحبة لها في الدنيا، وفي الآخرة عذاب عظيم لمخالفة تعليم رب العالمين نذكرمنها قول الله . تعالى .: ((قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ويَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ويَحْفَظْنَ فَرُوجَهُنَّ ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ولْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ولا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وتُوبُوا إلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) [النور: 30، 31].

وقوله . تعالى .: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وبَنَاتِكَ ونِسَاءِ المُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ)) [الأحزاب: 95].

وعن عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه . قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه . عز وجل .: "النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه"(5).

وروي عن أبي أمامة . رضي الله عنه . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إياك والخلوة بالنساء! والذي نفسي بيده! ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما، ولأن يزحم رجل خنزيراً ملطَّخاً بالطين خير له من أن يزحم منكبيه منكب امرأة لا تحل له"(6).

أخرج النسائي: قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية وكل عين زانية"(7).

وإثم مخالفة تعاليم الله . تعالى . لا تقف على النساء فقط بل على المخالفين من الرجال؛ ولا يعذرون عند الحساب لا في الدنيا ولا في الآخرة بأنهم كانوا فريسة لفساد النساء ولغواية الشيطان بعد أن حذرهم الله . تعالى ..

3 – تأثيرها على المجتمع كله:

هذه المشكلات التي تهز اليوم أركان الأسرة والمجتمع بشدة كمشكلة الاغتصاب وخطف الفتيات والأطفال غير الشرعيين وأولاد الشوارع كلها من آثار فساد المرأة. وقد ظهر حديثاً ظاهرة انتشار ما يسمى بالزواج العرفي الذي وضع الأسرة أمام مشكلات جديدة تضع غطاءاً يخفي الفساد الاجتماعي الناتج عن انحراف الفتيات ويؤثر على مستقبل الأجيال القادمة.

كما زادت نسبة جرائم الأحداث والتشرد والتسول والأطفال المعاقين وهي نتيجة لتحطم الأسرة الفاسدة وانحراف الزوجين وإهمال الأبناء.

وأخيراً:

هناك مشكلات اقتصادية تؤثر على المجتمع ترتبت على انحراف المرأة العاملة فضلاً عن انخفاض إنتاجيتها؛ فإنها تؤثر على إنتاجية زوجها وأولادها العاملين وتعوق تفوقهم في العمل وتفرغهم للإنتاج؛ ولذلك أثره المدمر على الاقتصاد الوطني.

وختاماً فإن الحمد والفضل لله . تعالى . الذي أنزل للإنسانية كتابه الكريم الذي فيه شفاء لكل أمراضها وعلاج لكل مشكلاتها وهداية لها من الضلال. وقال . عز وجل .: ((يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ ويَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وكِتَابٌ مُّبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ ويُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إلَى النُّورِ بِإذْنِهِ ويَهْدِيهِمْ إلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)) [المائدة: 15، 16]، كما تكفل . عز وجل . بحفظه إلى يوم الدين؛ حيث قال: ((إنا نحن نزّلنا الذّكر وإنا له لحافظون)) [الحجر: 9].

وذلك يبعث الأمل في الإصلاح بالرجوع إلى كتاب الله . تعالى . وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والتمسك بهما والعودة إلى المجتمع الإسلامي الفاضل.

ونسأل الله . تعالى . أن يرزقنا الإيمان ويوفقنا إلى طاعته ذكوراً وإناثاً وبذلك يتحقق صلاح الأمة بأسرها في الدنيا وتنال رضوان الله . تعالى . في الآخرة.

(1) المسند لشهاب، 69/2، وقال ابن الملقن في خلاصة البدر المنير، 971/2 (رواه الواقدي من رواية أبي سعيد الخدري وهو معدود من أفراده، وقد علم ضعفه).

(2) رواه النسائي، ح/6305.

(3) رواه ابن ماجة، ح/ 4981.

(4) رواه مسلم، ح/ 1793.

(5) المعجم الكبير للطبراني، 371/51، والمستدرك للحاكم، 943/4، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره العراقي وضعفه المنذري كما في كشف الخفاء للعجلوني، 734/2.

(6) مسند أحمد، 62/1، والترمذي، 564/4 وصححه الحاكم في المستدرك، 411/1 وابن حبان في صحيحه، 634/01.

(7) رواه الترمذي، ح/ 0172.

==============

التغريب أخطر التحديات في وجه الإسلام

الأستاذ أنور الجندي

هناك محاولة خطيرة تستهدف دائماً معارضة القول بأن هناك: ظاهرة تغريب، وغزو ثقافي، أو محاولة احتواء للفكر الإسلامي، أو سيطرة فكر وافد.

وتحاول هذه المحاولة أن تعتمد على أمرين:

الأمر الأول هو القول: "أين هذه المؤسسة التي تسمى التغريب" ذلك لأن هذه المؤسسة ليست بناءاً مجسماً له دار ولافتة مكتوب عليها مدرسة التغريب أو مؤسسته وذلك هو تساؤل السذج الأغرار قصيري النظر البسطاء الذين يعدهم التغريب أحسن أدواته وأكثرها نفعاً لأنهم يقومون بخدمته دون أجر، وعلى حساب النوايا الطيبة.

والأمر الثاني: هو مداواة التابعين العملاء الذين هم كالحية الرقطاء يخادعون الناس ويخفون حقيقة ولاءهم.

ومع الأسف أن الذين يشككون في التغريب هم من النوع الأول: أولئك الحمقى الذين طبع الله على قلوبهم، وأعمى أبصارهم.

ذلك أن التغريب لم يعد بعد هذا الوقت الطويل موضع تساؤل أو تشكيك. وربما كان كذلك في الثلاثينيات حيث كان يغطي العالم الإسلامي والأمة العربية ظلام كثيف وكانت هناك حقائق كثيرة ما تزال محجوبة، ولعل أهمها: بروتوكولات صهيون التي ظهرت في العالم كله عام 1902 م حتى عام 1952 م تقريباً وإلى ما بعد أن قامت إسرائيل في قلب الأمة العربية.

ولقد كشف هذه الحقيقة دعاة التغريب أنفسهم، ولعل أول وثيقة في هذا المجال هي كتاب (وجهة الإسلام) الذي ألفه هاملتون جب مع جماعة من المستشرقين وأعلن فيه صراحة أن هدف البحث هو معرفة:

"إلى أي حد وصلت حركة تغريب الشرق وما هي العوامل التي تحول دون تحقيق هذا التغريب". وذلك للقضاؤ عليها.

ويمكن لقارئ الكتاب أن يستكشف مناهج التغريب واضحة، كالسهام تندفع في أعماق العيون الضالة والمضللة لتسقط عنها غشاوات الغباء والجهل. وجاء بعد ذلك كثيرون فأشاروا إلى ذلك وأوردوا المصادر والوثائق:

من العرب الدكتوران عمر فروخ والخالدي في كتابهم "التبشير والاستعمار" ومن الغرب: المؤرخ العالمي توينبي في كتابه (العالم والغرب).

وهناك عشرات الأدلة والوثائق التي تضع الحقيقة ناصعة أمام من يريدها لوجه الحق. ولا يمالئ فيها خاصة لأقطاب التغريب ودعاة الجنس وعمالقة الغزو الثقافي.

ومن يتابع كتاب "الغارة على العالم الإسلامي" وهو سابق سبقاً بعيداً لكتاب هاملتون جب وقد ترجمه العلامة محب الدين الخطيب في جريدة المؤيد قبل أن يبدأ هذا القرن بسنوات وكان اسمه الحقيقي واضح الدلالة على الهدف هو: فتح العالم الإسلامي يجد أن القضية أكيدة واضحة وأن مخططاتها منسقة وموزعة على المؤسسات: مؤسسة المدرسة والجامعة عن طريق الإرساليات ومؤسسة الصحافة والثقافة عن طريق الصحيفة والمجلة والكتاب، ثم هناك مؤسسة أخرى أشد خطراً ظهرت من بعد هي مؤسسة القصة والمسرحية والشاشة والإذاعة المسمومة والمرئية.

وليس بعد ذلك دليل على وجود هذه الحقيقة: حقيقة التغريب ولها دعاتها وكتابها المنبثون في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، ولعل من يطالع بعض الاجتماعات

التي عقدت في إحدى دور الصحف الكبرى يجد أن الأمر واضح وجلي وليس في حاجة إلى دليل جديد أمام الإغرار الحمقى، الذين أعماهم حرصهم على أن يكونوا أتباعاً أذلة للأسماء اللاحقة من كتاب الجنس والقصة. وأن يكونوا ثماراً فجة في هذه الشجرة الملعونة التي شاخت وتحطمت.

ولاريب أن من يرى مؤسسات التبشير والاستشراق وما يصدر من شبهات وتحديات يحكم بما لايدع مجالاً للشك بوجود هذه الظاهرة وحركتها الدائبة.

إن مفهوم مصطلح التغريب في عشرات من تعاريفه إنما يعني: خلق عقلية جديدة تعتمد على تصورات الفكر الغربي ومقاييسه لتحاكم الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي من خلالها بهدف سيادة الحضارة الغربية وتسييدها على حضارات الأمم ولاسيما الحضارة الإسلامية.

ولقد ذكر المبشرون والمستشرقون أن هدفهم هو خلق أجيال تحتقر كل مقومات الحياة الإسلامية بل الشرقية وأبعاد العناصر التي تمثل الثقافة الإسلامية عن مراكز التوجيه. ولقد عملت حركة التغريب في موالاة عجيبة ودأب بالغ على تدمير الشخصيات العربية الإسلامية الباهرة وفي مقدمتها الرسول الكريم وصحابته وأبطال الإسلام، ومفكريه كما ركزت على إحياء النماذج الشاذة والإذاعة بها أمثال الحلاج والسهروردي وبشار وابن الراوندي.

ولقد جرت هذه المحاولات من منطلق براق هو الصحف الضخمة والمطبوعات الأنيقة، مع هالة الأسماء وبريق الألقاب وضجيج الشهرة.

واستخدمت أسلوب الأحكام المسبقة، وخلق الافتراضات ثم بناء نظريات على أساسها.

ولقد كان دعاة التغريب هم أكثر الناس إفساداً للمنهج العلمي الذي يدعو إلى التحذير من الحماسة والتقريرية والعاطفة والتعميم فسقطوا في هذه الأخطار وقارفوا هذه المحاذير، وإن واحداً منهم لم يستطع أن يصدع بكلمة الحق والإنصاف، وكانت كتاباتهم جميعاً مشوبة بذلك الاستعلاء والعدوان وعبارة الحقد وأسلوب التعصب.

ولعل من أخطر محاولات التغريب هي محاولة وضع البديل في مواجهة الإصيل، والعمل على تقديم بدائل سريعة ذات مظهر لامع، وتحوطها هالة من الضجيج لكل

فكرة أصيلة في محاولة لتحويل الرأي عنها في ظل طوابع من الإغراء والتزييف. وتحت اسم البحث العلمي والعبارات البراقة الخداعة.

وليست هذه الطريقة جديدة على الفكر الإسلامي، ولكنها سنة لكل العصور، ولعل أبرز ملامح تاريخ الفكر الإسلامي هو ذلك الكفاح الدائب دون هيمنة الفكر الوافد أو العقلية الخارجية التي سلطها عليهم اليونان والهنود والمجوس واليهود، ولقد بدت هذه المقاومة في صورة ملحمة رائعة كان أعلام المسلمين ومفكريهم ونوابغهم جيلاً بعد جيل يقاومون دون السماح لشخصية الإسلام الحضارية والفكرية ذات الطابع المتميز تحت اسم التوحيد أن تذوب أو تتلاشى في شخصية حضارية أخرى.

ولقد ظل المسلمون قادرون على ذلك في مجال الفكر في العصر الحديث بل لعلهم أقدر عليه في مجال الحرب والسلاح، وأن هذا الرفض ليتجلى في أروع صورة في صمود الجزائريين ومقاومتهم فناء شخصيتهم العربية الإسلامية.

ولقد ظل أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث يوالون الدق على الطبول في مواجهة أخطر المحاولات الدائبة المستمرة لتحريف الفكر الإسلامي (أصوله وتعالميه وأحكامه) تارة بالنقص منها وأخرى بالزيادة فيها وثالثة بتأويلها على غير وجهها.

ولقد كان من أكبر الأخطار التي واجهتنا دون إرادة حرة، هي محاولتنا فهم كثير من الأمور من خلال مناهج الغرب ومقاييسه، هذه المناهج والمقاييس التي كونها الغرب من خلال ظروفه الاجتماعية وتحدياته التاريخية وتركيبه النفسي والاجتماعي.

إن هناك حقيقة لا سبيل تجاوزها أو إنكارها هو أن في العالم ثقافتين: إسلامية وغير إسلامية ولا يمكن أن يلتقيا في إطار واحد، يخطئ البعض حين يظن أن "التغريب" هو حمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الغرب، وإنما الحقيقة أن التغريب هو محاولة خلق (دائرة فكر) تهدم إرادة المسلمين والعرب وتنتقص فكرهم وتشيع فيه الشبهات والمثالب، ثم لا تدفعهم إلى أي جانب من جوانب البناء أو النهضة مستمدة من أي فكر آخر.

ومن شأن دائرة هذا الفكر اللقيط، أن تحول بين المسلمين وبين أي حركة أو نهضة، وإنما تمسكهم ليدوروا في هذه الدائرة المغلقة، حتى ينتهوا، وتجعلهم يفكرون من داخل دائرة مادية خالصة، معزولة تماماً عن العقيدة الإيجابية المتكاملة التي علمهم إياها

الإسلام وهداهم إليها منهاجاً للحياة قادراً على التقدم من ناحية وعلى مقاومة الغزو من ناحية أخرى.

وهم منذ ركنوا إلى هذه الدائرة الصماء فقدوا كل قدرة على الحركة الأصيلة، ذلك أن تركيب الفكر التغريبي الوافد، إنما استخدم أعظم ما استخدم تضارب المذاهب الغربية وصراعها وأحيا في نفس الوقت كل ما أنشأته الشعوبية والزندقة والباطنية في الفكر العربي الإسلامي من مفاهيم وشخصيات، لتقيم من هذا كله تلك الدائرة التي تقتل النفس العربية قتلاً وتحول بينها وبين الحياة والحركة والبنالء والتقدم جميعاً في الذل والظلام والدوار حول وهم معلق وشبح كاذب.

ونحن نعرف أن شخصيتنا تستمد قوتها من قيمنا، فإذا انحرفنا عن هذه القيم فقدنا الطريق، وتهنا في البيداء وذلك هو ما قصد إليه التغريب واستطاع أن يحققه إلى حد كبير، ولعل أبرز محاولات التغريب هي الحيلولة دون قيام خط التقاء بينل العناصر والشعوب التي يجمعها فكر واحد في الأصل مصدره القرآن واللغة العربية ومنهج محمد بن عبد الله، وذلك عن طريق استهلاكها في الإقليميات والأمميات والمفاهيم التي تفصل القيم وتمزق العناصر التي وحدها الإسلام في كل متكامل جامع.

فإذا أضفنا إلى هذا محاولة هدم المجتمع وتقويضه بنشر الإباحية عن طريق القصة، وفلسفات الوجودية والهيبية وغيرها عرفنا إلى أي مدى تجرى المحاولة الخطيرة.

بل إن ما ألقي إلى العرب والمسلمين من مفاهيم الحرية والتقدم والديمقراطية والعدل الاجتماعي وغيره، إنما كان في الأصل هو "عطاء" الإسلام للبشرية كلها وللحضارة أساساً، قد أعيد إليها وقد شابه اضطراب كبير وإن غلف بأغلفة براقة لامعة.

ولعل أخطر محاولات التغريب إنما ركزت على تفريغ العقل والقلب العربي الإسلامي من القيم الأساسية المستمدة من التوحيد والأخلاق والإيمان بالله، ودفع هذه القلوب والعقول عارية أمام عاصفة هوجاء تحمل معها السموم والجراثيم عن طريق التعليم والصحافة والكتاب والمسرحية والفيلم والأزياء والملابس.

ومن ثم خرجت هذه المؤسسات جميعاً ذلك الجيل الذي حمل دعوة لالهدم وسار بها تحت اسم التقدم والحضارة وعمد إلى متابعة المستشرقين والمبشرين في تحريف

التاريخ الإسلامي وتشويه مبادئ الإسلام وثقافته وانتقاص الدور الذي لعبه في تاريخ العالم، مع خلق شعور بالنقص في نفوس المسلمين.

وفي عشرات المجالات والقضايا عمل "التغريب": في مجالات التفرقة بين الإسلام والعروبة، وفي النظرة الجزئية، والفصل بين الدين والمجتمع، واللغة والتاريخ، وعن طريق إحياء الروابط القديمة التي أبادها الإسلام وقضى عليها نهائياً.

ثم عمد إلى خلق شبح كريه أسماه القديم والماضي والتاريخ مع أمة واحدة من أمم الشرق والغرب لا تستطيع أن تدعي أنها انفصلت في أي نهضة عن ماضيها وتاريخها.

وأكبر الدعاوي الباطلة التي يثيرها التغريب هي عالمية الثقافة، والحضارة البشرية، ووحدة الفكر البشري وكلها دعوات لها دواخلها وغاياتها المريبة، التي تتمثل في مفهوم واضح هو "تذويب" الفكر العربي الإسلامي و "احتوائه" وصهره في بوتقة الأقوياء المسيطرين أصحاب النفوذ العالمي السياسي المسيطر.

ونحن نعلم أن لكل أمة ثقافتها وقيمها وذاتيتها وفاهيمها وتراثها ومزاجها النفسي الذي شكلته القرون المتطاولة والعقائد والقيم وأنه لا سبيل أن تنصهر إلا الأمم الصعيفة الذليلة، أما الأمة الإسلامية والفكر الإسلامي فإنه من المستحيل أن ينصهر أو يذوب في أي معدة مهما كانت، ذلك لأنه أعمق جذوراً وأقوى قوة من كل قوى الأرض.

يمكن أن توصف حركة الغزو الثقافي الحديثة التي بدأت تعمل في العالم الإسلامي منذ سيطرة الاستعمار الغربي، أنها امتداد متطور لهذه الحركة التي يحمل لواءها خصوم الإسلام وأعداؤه في كل عصر لإخراجه من قيمه ولإتاحة الفرص للغزو الأجنبي في السيطرة والاستعمار.

وقد ارتبطت حركة الغزو الفكري "التغريب" بالاستعمار ارتباطاً عضوياً وليس ذلك شكلياً إن حركة "تغريب الشرق" هي دعوة كاملة لها نظمها وأهدافها ودعائمها ولها قادتها الذين يقومون بالإشراف عليها. وهي حلقة من مخطط واسع في تأكيد الاستعمار ودعمه قوامها عمل استعماري فكري بعيد المدى قصد به القضاء على معالم شخصية هذه الأمة وتحويلها إلى صورة غربية الملامح لتخليصها من القيم

والمثل والتراث الذي يتصل بها والذي كان عاملاً على تكوينها خلال الأجيال الطويلة فقد كان الاستعمار يفهم أنه بعد أن سيطر على العالم الإسلامي بجيوشه وقواه العسكرية ونفوذه السياسي لابد يوماً أن ينسحب فكان لابد من وضع مخطط دقيق لإبقاء نفوذه في المناطق التي احتلها وكان لابد له أن يبقى حتى تتكون له طلائع تخلفه من أهل الأقطار نفسها، يؤمنون بفكره، ويسيرون في اتجاهه، ويخدمون مصالحه يكونهم عن طريق التعليم في مدارسه، ووفق أهدافه، وتكون أمانتهم له أكثر من أمانتهم لأوطانهم.

وليس كل من تثقف بالغرب، أو اتصل بالمستشرقين ودوائر الفكر الغربي كذلك. وليس كل من اتصل بالغرب وآمن به استمر على إيمانه، فإن الحقائق لا تلبث أن تتكشف عن زيف الاستعمار ومغالطته، فلا يلبث الأمر أن يظهر أن هناك خداعاً قوامه كلمات براقة، وشعارات تقول بتنوير الشعوب وتمدينها وتدعو إلى الحرية أو الإخاء أو المساواة أو ما شابه ذلك، ثم لا تلبث الأحداث أو تثبت تعصب الغرب وتناقضه، وائتماره بهذه الأمة وفرض سلطانه بالحديد والنار، هناك تتحول الأفكار عنه ويكفر به من كان قد خدع يوماً.

ولسنا في هذا الرأي نذهب إلى الغض من شأن الفكر الغربي أو نصرف وجوهنا عنه بل على العكس من ذلك، نحن لا نراه فكراً غريباً وإنما نراه فكراً إنسانياً في الأساس وأن انحرف في بعض مفاهيمه ونحن لا نقفل أبوابنا أمام الثقافات العالمية شرقية وغربية فقد شاركنا فيها، وكان لنا دورنا الكبير في بناء هذه الحضارة، دورنا غير المنكور عند المنصفين من كتاب الغرب ومفكريه.

ولكننا قبل أن نفتح الأبواب لكل الثقافات لابد أن نكون من متانة الاستعداد النفسي والذهني والروحي بحيث لا تبتلعنا ثقافات الأمم ولا تحولنا وجهة غير طريقنا، ولا تفسد معالم شخصيتنا الأساسية الواضحة.

فلقد نقلت أوربا ثقافتنا الإسلامية وأقامت عليها أسس حاضرتها ومع ذلك لم يتحجول وجهها عربياً أو إسلامياً أو شرقياً.

كذلك نحن، أمة مقوماتها وكيانها ووجهها ذو الملامح الواضحة، فلابد أن يبقى هذا "الأساس" ثم لنأخذ ما نشاء من حضارات الأمم وثقافاتها، وما يزيد شخصيتنا قوة وحياة ويدفعنا إلى الأمما في ركب الحضارة.

ولعل "حركة التغريب" لم تكن قاسية إلا بالنسبة لهذا الأمر فقد كانت صيحتها على لسان دعاتها وأتباعهم من كتابنا، إن الحضارة الغربية كل لا يتجزأ وأنه لابد من أخذها جميعها أو تركها جميعاً وهذا رأي مدخول فيه من الخطأ والاستهانة بالفكر نفسه ما فيه. فما من أمة تستطيع أن تأخذ كل ما عند الأمة الأخرى، ولقد عاشت الأمم تتقارض الحضارات وتقتبس الثقافات دون أن تتحول عن طوابعها الأساسية.

ولقد كان الاستعمار والنفوذ الأجنبي يعرفان أن السيطرة الكاملة على هذه الأمة أمر مستحيل فإن لها من مقومات شخصيتها القويةل الصامدة العنيدة، ومن أسس فكرها العربي الإسلامي القرآني ما يحول دونها ودون الاستسلام أو الركوع أو الخضوع لأي قوة خارجية أجنبية، فكان لابد من الحملة على هذه المقومات للقضاء عليها وتحويل وجه الأمة إلى قيم أخرى تدمر كيانها وتفرض عليها التسليم للقوى الخارجية في أن تسود وتمتد وتتوسع، وبذلك يبقى الاستعمار حياً في صورة أخرى من صور النفوذ الفكري.

إذن فالتغريب هو محاولة "تغيير المفاهيم" في العالم العربي والإسلامي والفصل بين هذه الأمة وبين ماضيها وقيمها، والعمل على تحطيم هذه القيم بالتشكيك فيها وإثارة الشبهات حول الدين واللغة والتاريخ ومعالم الفكر ومفاهيم الآراء والمعتقدات جميعاً.

ولقد صور لورد كرومر منهج هذا العمل الذي اصطنعته فرنسا وإنجلترا وهلوندى في العالم الإسلامي حين قال: "إن بالشبان الذين يتلقون علومهم في إنجلترا وأوربا يفقدون صلتهم الثقافية والروحية بوطنهم، ولا يستطيعون الانتماء في نفس الوقت إلى البلد الذي منحهم ثقافته فيتأرجحون في الوسط ممزقين".

وكان هذا بالطبع هو الهدف من الإرساليات المختلفة التي غزت بلادنا في صورة مدارس وجامعات وفي البعثات الموجهة إلى أوربا وإلى عواصم الدول المختلفة بالذات.

وفي هذا، قال جبران إن الشباب الذي تناول لقمة من العلم في مدرسة أمريكية قد تحول بالطبع إلى معتمد أمريكي، والشاب الذي تجرع رشفة من العلم يسوعية صار سفيراً لفرنسا والشاب الذي لبس قميصاً من نسج مدرسة روسية أصبح ممثلاً لروسيا وكان هذا هو الحق إلى حد كبير، فقد غزا الغرب الشرق، بجحافل من العلماء والمبشرين والمستشرقين والأثريين والصحفيين وشيدت مؤسسات ضخمة في مختلف عواصم العالم الإسلامي لفتح أبوابها لثقافة بلادها. وبدأ هذا النفوذ الفكري يعمل ويسيطر في مجالات المدرسة والجامعة والصحافة، والثقافة والتربية والطب والسينما والإذاعة.

وهكذا كان "التغريب" عملاً خطيراً دقيقاً قوامه الحرب المنظمة للقيم التي عاشت عليها أمتنا، في أسلوب مغلف بالضباب، يحاول أن يثير غمامة كثيفة من التشكيك والتحقير والاستهانة بكل ما لدينا من قيم باسم "القديم" البالي الموروث، ولم تمض سنوات قليلة حتى كان أبرز المسيطرين على "الصحافة" في العالم العربي والإسلامي من هؤلاء المتنكرين لقيمنا الذاهبين مع التغريب فقد كانت الصحف التي تعمل للمبادئ تسقط واحدة بعد أخرى، بينما ظلت الصحف التي تخدم التغريب تقوى وتتوسع. وفي مجال "الترجمة" كان الهدف هو إذاعة القصة المكشوفة والآراء المسمومة، وفي الأدب بث فكر جديد قوامه القصص وفي مجال المدرسة كانت تقدم الكتب التي تنتقص من قدرنا وتصم تاريخنا بالضعف وماضينا بالذلة وسيطر على الجو الفكري كله تيار جديد هدام قوامه الاستهانة بكل القيم وفي مقدمتها الدين والمعنويات، كما فرضت الحضارة على بلادنا أسوأ ثمراتها، لم ترسل لنا إلا تجارة الرقيق الأبيض والكحول ومواد الزينة واللهو بغية تحطيم كيان المجتمع، وبدت في جو مجتمعنا ريح تدعو إلى الرخاوة والمتعة واللذة والتخلص من كل القيود.

ولم تكن هذه الدعوة تهدف إلا إلى تدمير القيم الأساسية لهذه الأمة، قيم المقاومة والصلابة والتصميم وتحويل نظر الأمة عن الجهاد والتضحية والفداء في سبيل الحرية.

كان هدف التغريب واضحاً هو محاولة قتل شخصيتنا، ومحو مقوماتها وتدمير فكرها، وتسميم ينابيع الثقافة فيها.

وفي هذا المجال برزت الدعوة إلى التحرر من طابع العروبة وطابع الدين وجرت الشعارات الجديدة في الارتباط بحضارات البحر الأبيض وبأن مصر جزء من أوربا، وبرزت دعوات الفرعونية في مصر والفينيقية في الشام والأشورية في العراق، وبرزت النعرات القديمة باسم مسيحي ومسلم، وعربي وبربري، وعربي وكردي، وكان الاستعمار هو الذي يحمل لواء هذه الدعوات ويثيرها ويقلب جمرها، ويخرجها من كهوف الماضي ليمنحها الحياة ويجمع حولها بعض أعوانه عن طريق الفكر والكتابة بغية تقسيم الأمة.

ولم يمض وقت طويل حتى اعترف كتاب الغرب بحركة التغريب وجاءوا يبحثون مدى ما وصلت إليه وما حققته من هدف. وقال جب في كتاب "وجهة الإسلام" إن حركة التغريب كانت بعيدة المدى بإنزال الإسلام عن عرشه في الحياة الاجتماعية.

وقد عملت "حركة التغريب" في جملة ميادية، بدأ العمل فيها غربيون نزلوا إلى المعركة قمة، ثم أسلموا مقاليد الأمور من بعد إلى كتاب من العرب والمسلمين، حتى يبعثوا الثقة في نفوس المواطنين إلى الصوت الأليف الذي يجد الصدى، وفي كل ميدان من ميادين العمل كان النفوذ الأجنبي يجد من يعاونه من أبناء الأوطان، وإذا كان هجومه على الدين قاسياً، فإن من المؤسف أن نجد كثيراً ممن حمل لواء هذا الهجوم من الذين ثقفوا أول الأمر ثقافة إسلامية وكانت اللغة والدين في الأغلب هما الميدانان الكبيران للعمل البعيد المدى، وإن كان التغريب لم يترك ميداناً دون أن يوغل فيه ويسممه ويبعث فيه الشك.

وكانت كلمة "حرية الفكر" والتقدمية، ومقاومة الرجعية، والتطور من الكلمات البراقة التي لعبت دوراً كبيراً في خداع الجماهير.

واستطاع التغريب أن يجد المنافذ المرنة الماكرة إلى ما يريد دون أن يصطدم بالعقائد أو يواجه المواقف الحرجة.

وإن كان المبشرون قد هاجموا المقومات صراحة، وقاموا بعملهم في عنف أول الأمر، فإنهم لم يلبثوا أن تحولوا عن هذه الخطة، واختفوا من المسرح، واستبطنوا أهدافهم، وحولوها إلى صورة أخرى أكثر دقة ومكراً. فبرزت أحاديث صورية فيها تمجيد للدين وللغة ولمقومات الأمة فإذا تخدرت أفكار القراء، ووثقوا بالكاتب

وكتاباته، بدأت عملية التشكيك الخفي، المدخول الدقيق، بل إن بعض الكتاب الذين عملوا مع التغريب وهاجموا المقومات الأساسية في أول الأمر ولم يلبثوا بعد قليل أن تحولوا مظهرياً، وخاضوا الحديث في أقدس مقدسات الأمة، عاملين على كسب الثقة الشعبية العامة في هذا المجال، حتى يتأتى لهم من بعد أن يحققوا في الخفاء ما يهدف إليه دعاة التغريب، لقد اختفت المعركة من على المسرح ودخلت إلى الكواليس، وأصبح مجال العمل، هو مناهج التعليم نفسها، أو مقالات الصحف أو فرض المذاهب الفكرية الغربية، وتأكيدها والاختفاء وراءها. وخاصة ما يتصل منها بمقاومة القيم العربية الإسلامية، كالمذاهب المادية والنظريات الفلسفية والنفسية التي تدمر قيم الإنسان وتعريه وتكشفه على نحو يقلل من كرامته، وفي هذا المجال ظهرت عشرات من النظريات والمذاهب والفلسفات المضطربة الذاهبة إلى كل مجال، وكان من شأن إذاعة هذه المذاهب والنظريات إحداث بلبلة فكرية من شأنها أن تقضي على الإيمان بالقمومات الأصلية. وتدفع الفكر العربي الإسلامي في متاهات وتخبطات.

بل إن الخطط التي قدرها الغربيون إزاء موقف المسيحية والكنيسة حين حاولت أن تقف أمام النهضة والحضارة، فقد حاولوا نقلها إلينا مع الفارق البعيد بين موقف الإسلام من الحضارات والنهضات وموقف المسيحية، فلقد كان الإسلام قادراً دائماً على مواجهة كل تطور، وفيه من السماحة والتفتح والاستجابة ما جعله صالحاً لكل زمان ومكان، فكان هذا الاتجاه في نقل موقف الغرب من جمود الكنيسة ليس إلا لوناً من هذه البلبلة الفكرية التي هي قوام دعوة التغريب.

ولم تكن حملات التغريب على القيم والمقومات والتاريخ واللغة والدين في الشرق قائمة على أساس علمي على نحو ما يذهب إليه أسلوب البحث العلمي، وإنما كانت حملات يغلب عليها الهوى والتعصب وتسيطر عليها ريح الحقد والاستعلاء وخلق الفوارق البعيدة بين الجنس الأبيض وغيره من الأجناس مع سيطرة فكرة التفرقة بين أصحاب الحضارة وبين الشعوب التي كان لها دور من قبل في رحمل الحضارة، حين كانت أوربا تعيش في الوحل والظلام، فإذا أضيف إلى هذا ذلك الإصرار العجيب على إنكار فضل العرب والمسلمين على الحضارة على نحو فيه مغالطة

وإنكار لوقائع التاريخ نفسه تبين إلى أي مدى يذهب دعاة التغريب، فآسيا هي المتبربرة، وأوربا هي المتحضرة وليس أكذب ولا أبعد عن الحقيقة ما يحاول الغربيون أن يقولوه في هذا المجال من أن التاريخ والحضارة قد بدأت من أثينا ومرت على روما.. ثم اختفت ألف سنة لتظهر من جديد في حركة النهضة، أما ما قبل النهضة فلا شيء، وفي هذا الرأي ما فيه من الخطأ ومجافاة الحقيقة والواقع.

فإن قبل أثينا كانت حضارات النيل والفرات، وقبل النهضة كان المسلمون والعرب في دورهم الضخم البعيد المدى حين حملوا لواء الحضارة والفكر، وترجموا آثار اليونان وزادوا فيها وأضافوا إليها وحققوا الأسس الكبرى التي قامت عليها الحضارة فيما بعد.

والحق أن حركة تغريب الشرق قامت على المغالطة والتضليل، ومحاولة مسخ القيم والقوميات العربية والإسلامية وإدخال قيم ومقومات جديدة تهدم شخصيتنا وتصيرنا مسخاً لا هو من الشرق ولا هو من الغرب ثم هي بعد ذلك تنكر دورنا وتحاول أن تغض من شأن لغتنا وتاريخنا وتراثنا على نحو لا يصمد أمام البحث العلمي الصحيح، وهو ما تكشف بتوسع في مختلف مجالاته وجوانبه.

استهدف التغريب والغزو الثقافي للإسلام والعالم الإسلامي والأمة العربية هدفاً واضحاً مقصوداً لذاته هو الاستسلام للسيطرة الاستعمارية عن طريق تحلل القيم وتحرريف المفاهيم وإفساد الجذور والأسس التي تقوم عليها الذاتية العربية الإسلامية. وبذلك ينصهر المسلمون والعرب في الغرب وحضارته وثقافته انصهار الذليل التابع، الذي يعجب بها ويوليها وتابعها ويتطلع إلى مصادقتها والتبعية لها تبعية كاملة.

ولاشك أن تحقيق هذا الهدف هو أمر بعيد المنال، بالنسبة لأصالة الإسلام وفكره ومقوماته وجذوره العميقة الضاربة في التربة العربية الإسلامية خلال خمسة عشر قرناً كاملة ومع ذلك فقد عمد الاستعمار إلى تنفيذ مخطط ضخم في سبيل التغريب والغزو الثقافي، قام أساساً على موسيات ضخمة تحمل لواء العمل في مجال التبشير والتعليم والصحافة والاستشراق وكلها تناسق بين خططها وأهدافها لتحقيق غاية واحدة، هذه الغاية هي السيطرة الكاملة على العالم الإسلامي التي عجزت عنها الحروب الصليبية والحيلولة بين الإسلام وأهله وبين القوة والسيطرة والقدرة على الحياة

والحركة تخوفاً من خطر مفزع متوهم يتمثل في انقضاض الإسلام على الحضارة الغربية وإسقاطها.

وقد سار الغزو الثقافي متقدماً حملة الغزو العسكري والسياسي ومرافقاً لحملات الغزو التجاري والاقتصادي، عامداً إلى مهاجمة الإسلام واللغة العربية والقرآن والرسول والتاريخ الإسلامي والقيم الأساسية في مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية.

كما حرص الاتعمار من ناحية أخرى أن ينقل إلى العالم الإسلامي والأمة العربية الجوانب المضطربة من حضارته وفكره، وأغرق الفكر العربي الإسلامي بعشرات مكن حضارته وفكره، وأغرق الفكر العربي الإسلامي بعشرات من التحديات من خلال الفلسفات المتضاربة الإلحادية والإباحية وإذاعتها.

واتصل ذلك بالنظريات ذات المظهر العلمي البراق التي أوجدها الاستعمار ليحاول إقناع الشعوب الملونة بأنهم أقل من الشعوب البيضاء قدرة عقلية، وإن الرجل الأبيض هو الإنسان الذي خصته العناية الإلهية بتحضير الشعوب المتخلفة، وهي نظريات تبين من بعد أنها قد سقطت في بلادها، ولم تجد من يقبلها أو يعتنقها ولكنها نقلت إلى بلادنا لإثارة البلبة والاضطراب ضمن مخطط التغريب المتعدد الأضلاع.

والواقع أن هذه الفلسفات والمذاهب الغربية التي قذف بها الفكر الإسلامي لم تكن قائمة في الغرب على هذا النحو من التعدد في وقت واحد، وإنما جرت خلال فترة طويلة تمتد إلى أكثر من أربعمائة عام منذ عصر النهضة إلى اليوم ولكن التغريب أراد أن يدفع بها مرة واحدة إلى الشرق رغبة في إثارة الاضطرابات والشكوك وزلزلة العقائد ومع ذلك فقد استطاع الفكر الإسلامي وهو في مطالع اليقظة أن يواجه هذا الإعصار في قوة وأن يدحضه ويرده وكاد أن يقضي عليه لولا بقاء النفوذ الأجنبي المؤيد لحركة التغريب المسيطر عن طريق أعوانه وقد تمثلت هذه الحملات في تيارات متعددة أهمها:

إشاعة قضية الأجناس السامية والآرية التي تستهدف الانتقاص من شأن العرب.

مهاجمة لالدين بعامة والإسلام بخاصة واتهامه بأنه سبب التخلف.

انتقاد العرب والمصريين واتهامهم بأنهم ظلوا مستبعدين لليونان والرومان.

إنكار فضل العرب على الحضارة الحديثة.

الحملة على العقائد والقيم.

الدعوة إلى التجزئة والإقليمية وإحياء الدعوات القديمة الفينيقية الفرعونية.

الدعوة إلى ما يسمى ثقافة البحر الأبيض.

إذاعة الفرقة والخصومة بين الأديان والأجناس: البربر والعرب، الدروز والموارنة، المسلمون والمسيحيون، السنة والشيعية.

وقد اصطنع التغريب في سبيل تحقيق أهدافه مؤسسات عدة أهمها "التبشير" وهي مؤسسة ضخمة عمل بها عدد كبير من المسلمين في بلاد الشرق، بإنشاء المدارس والمستشفيات والمعاهد التي اجتذبت أبناء البلاد وفق منهج مرسوم لإخراجهم من الإسلام، وكانت مؤسسة الاستشراق هي المصنع الذي يمد حركة التبشير بالمادة الخام التي تذيعها عن طريق الكتب والصحافة ومعاهد التعليم.

وقد عمد التبشير إلى استغلال الطلاب والمرضى، وتحويل عقائدهم والتأثير في مفاهيمهم وتحطيم معنوياتهم وتنشئة أجيال ممسوخة مبلبلة العقائد، مضطربة الثقافة، منكرة لقيمها وتراثها ولغتها وتاريخها ويمكن القول بأن المستشرقين هم طلائع المبشرين فقد غلب على معظمهم الهوى والتعصب، فلم يطبقوا المذهب العلمي الذي نادوا به في أبحاثهم، وكان جلة المستشرقين على اتصال دائم بوزارات المستعمرات.

وقد استهدف الاستشراق خدمة الاستعمار عن طريق العلم، وأسس جميع النظريات الاستعمارية التي قامت على التهوين من شأن الشرق والعرب والإسلام، وكلها نظريات انخدع بها باحثون أو خدعونا بها ورددوها في مؤلفاتهم، ولعل أهم ما ركز عليه الاستشراق والتبشير هو "الإسلام والنبي محمد"، فلقد أضافوا إلى مفاهيم الإسلام وتاريخ الرسول كثيراً من الافتراءات والإدعاءات الباطلة، وكان مرجليوث، وفنسنك، ولويس شيخو، وهنري لامانس من أشد المستشرقين تعصباً ضد الإسلام ورسوله.

وقد كشف الباحثون المنصفون أخطاء المستشرقين وسوء نواياهم، من أمثال: حسين الهراوي، وعمر فروخ، وشكيب أرسلان، ومحب الدين الخطيب، ورشيد رضا، وقد استهدف مخطط التبشير أهدافاً أساسية واضحة.

أولاً: تشويه الثقافة الإسلامية والتراث العربي والإسلامي.

ثانياً: إفساد الخصائص المعنوية في البلاد العربية والإسلامية.

ثالثاً: خلق تخاذل روحي وشعوري بالنقص.

رابعاً: توسيع شقة الخلاف بين الطوائف والمذاهب وإثارة النزاع بين الأديان.

خامساً: إخضاع العالم الإسلامي والأمة العربية للاستعمار الغربي.

سادساً: إعداد شخصيات عربية تستسلم ولا تقاوم النفوذ الأجنبي.

وقد استطاع التبشير عن طريق التعليم تزييف التاريخ الوطني الإسلامي والعربي والطعن على العرب والإسلام.

ودفع المبشرون أعوانهم وتلاميذهم الذين خرجتهم معاهد الإرساليات إلى الصدارة في مجال الكتابة والصحافة وإثارة الشكوك والاتهامات وإذاعة الإلحاد والإباحة، ورمى اللغة العربية والإسلام بكل نقيصة.

وكان أبرز ما ركز عليه التبشير هو محاولة إخضاع الإسلام لمذاهب الفكر الغربي، وذلك بانتقاص حقيقة الإسلام التي تقوم على أنه عقيدة ونظام اجتماعي في آن واحد.

==============

التغريب في ديار الإسلام

محمد حسن يوسف

عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: لتتبعن سَنَنَ من كان قبلكم، شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!! [1]

قال ابن حجر العسقلاني في شرح هذا الحديث: " ضب ": دويبة معروفة ... والذي يظهر أن التخصيص إنما وقع لجحر الضب لشدة ضيقه ورداءته. ومع ذلك فإنهم – لاقتفائهم آثارهم وإتباعهم طرائقهم – لو دخلوا في مثل هذا الصغير الرديء لتبعوهم [2].

مظاهر التبعية

إن إتباع آثار اليهود والنصارى، ممثلا في اقتفاء آثار الغرب في طرائق معايشهم ومناهج حياتهم، أصبح من الأمور المميزة لحياة المسلمين في هذا الزمان. وتتعدد مظاهر هذه التبعية في أمور شتى، أحاول استعراض أغلبها أو أهمها فيما يلي:

إعطاء أسماء أجنبية للمحال التجارية: فالسائر في الشارع يهوله هذا الكم الخطير من الإعلانات التي تحمل أسماء أجنبية، إما مكتوبة باللغة العربية أو – وهو الأمرّ – مكتوبة باللغة الإنجليزية. واستعرض فيما يلي طائفة لهذه المسميات: فهذا محل للسيارات يطلق على نفسه " الألفي موتورز "! بدلا من أن يقول " الألفي للسيارات ". ومؤسسة تعليمية تُسميّ نفسها " مودرن أكاديمي " بدلا من " الأكاديمية الحديثة ". ومحل تنظيف ملابس اسمه " فاست كلين "!! ولماذا يُسميّ محل تنظيف الملابس نفسه بهذا الاسم؟!! ومحل أدوات كهربائية اسمه " جمال إليكتريك هاوس ". ومحل ألعاب اسمه " Royal Club ". و" ميوزيك سنتر " اسم محل لبيع الشرائط. ومحل " Blue Eyes " لبيع المستلزمات الطبية للعيون. ومحل إنشاءات اسمه " نيو ديزاين ". ومحل أجهزة تبريد اسمه " كول لاين ". ومحل للصرافة اسمه " كونتيننتال للصرافة ". ومحل للتحف يسمي نفسه " رياضكو للتحف " – ولا أدري ماذا تعني " كو " بإضافتها لاسم رياض. إن هذه مجرد أمثلة لأسماء عديدة غيرها تصدم المتجول بالشارع، وتجعله يشعر بأنه في بيئة غربية غير البيئة العربية التي يحيا فيها!!!

ومن مظاهر التغريب التي تصدمك في الشارع، تقليد سلوكيات الغرب وعاداتهم شبرا بشبر وذراعا بذراع. تجد البنت ترتدي الملابس على الموضة الغربية، فتمشي في الشارع شبه عارية. وقلما تجد بنتا بدون أن يصاحبها ولد. فالبنت تمشي متأبطة بذراع الولد، ويتسكعان سويا في الطرقات. وأصبح من النادر رؤية بنت تمشي محتشمة تظهر زيها الإسلامي. بل أصبحت رؤية من ترتدي النقاب أو الخمار ومن يرتدي الجلباب ويطلق لحيته، أصبح ذلك محلا للسخرية والتهكم.

وفي أسلوب الحوار، تجدهم يحاولون إقحام كلمة باللغة الإنجليزية أثناء الحديث، حتى يبدو المتكلم وكأنه " مثقف "!! فلا يخلو الحديث من كلمات مثل " أوكيه " أو " هاي " أو " باي باي " أو " آلو " أو " صباح الخير " ... الخ. وفي ذلك هجران

للغتنا وتقليل من شأنها، خاصة مع وجود البدائل لكل تلك الكلمات والعبارات في ديننا وفي ثقافتنا.

وبعد يوم العمل، تأتي أوقات الفراغ التي يحاولون " قتلها "، فتجدهم أمام شاشات التلفاز يشاهدون المسلسلات أو الأفلام التي تبث القيم الغربية البعيدة أو المنافية للإسلام، أو يتابعون المباريات، والتي غالبا ما تتعارض أوقات إذاعتها مع مواقيت الصلاة، فتجدهم يهدرون الصلاة في سبيل إتمام المشاهدة والمتابعة.

وفي التفكير والسلوك، هيمن النمط الغربي للسلوك على أفراد أمة الإسلام. فتجدهم يغرقون في الديون طويلة الأجل من أجل شراء بيت كبير أو سيارة فارهة أو غير ذلك من الكماليات. ولا يهتمون بما إذا كانت هذه المعاملات تَحْرُم لارتباطها بالربا أم لا. فإذا تكلمت مع أحدهم من أجل التصدق على بعض الفقراء أو غير ذلك من أوجه الجهاد بالمال وجدته يشيح عنك بعيدا مبديا تأففه وتبرمه.

وفي المأكل والمشرب. وضع لنا الإسلام آدابا تنظم طريقة الأكل والشرب. ولكننا هجرناها واستعرنا مفاهيم الغرب عوضا عنها. فانتشرت في شوارعنا ثقافة محلات تقديم الوجبات السريعة والسندوتشات والتي يمشي الناس يأكلونها في الشارع. أو يجلسون في تلك المحال فيأكلون على أنغام الموسيقى الصاخبة والأغاني الهابطة.

كل هذه المظاهر هي مجرد نماذج لما أصاب هويتنا في مقتل. ذلك أن أهم شيء فطن إليه أعداؤنا هو ما تضيفه إلينا هويتنا من عزة وفخار. فكانت محاولاتهم الدءوبة والمتكررة لمسخ تلك الهوية وتشويه صورتها. والآن وبعد وضوح هذه المخططات وآثارها على مجتمعاتنا، فإما أن نظل ملتزمين بهويتنا الإسلامية، وإما أن ننجرف مع التيار فيبتلعنا ونهلك وتكون الهاوية.

خطورة هذا النموذج على أمة الإسلام

إن التقدم له أسباب ومظاهر. لم يتقدم الغرب بسبب أن شعوبه كانت تمشي تأكل في الشارع، أو لأن أولادها كانوا يأخذون بأيدي البنات ويهيمون على وجوههم في النوادي والملاهي، أو لأنهم كانوا يُقحمون كلمات غريبة عنهم في أحاديثهم. وإنما كان التقدم في الغرب لأسباب انتهجوها: تشجيع البحث العلمي، والتزام الأمانة والجدية في المعاملات، وإعطاء كل ذي حق حقه، وتشجيع الموهوبين وإفساح

المجال لهم، والتخلي عن النفاق، والاهتمام بالشباب ... إلى غير ذلك من القيم التي شجعوها وعملوا بها، فكانت سببا في تقدمهم.

فلما تحقق لهم ما يريدون من تقدم، أرادوا أن تكون لهم حضارة وقيم خاصة بهم، فكانت تلك المظاهر التي انتشرت بينهم في المأكل والمشرب والملبس والمعاملات بين البنات والأولاد. ولذلك فإن اقتباس هذه المظاهر دون العمل بالأسباب الدافعة للتقدم هو مجرد وهم وسراب، ولن يجلب تقدم أو يؤدي إلى تنمية.

إن الفرق بين الحضارة الإسلامية وبين غيرها من سائر الحضارات الأخرى، أن الحضارة الإسلامية عُنيت ببناء الفرد أولا بناءً شاملا، ثم بعد ذلك انتقلت إلى العمران المادي. كما أن حضارة الإسلام هي حضارة تقوم على الجانب الوجداني والقيم، ومنها الجمال والسمو. أما الحضارات الأخرى فقد عُنيت بالتشييد المادي وإعمار الحياة في ميادينها المختلفة، لكنها تتجاهل بناء الفرد من داخله، بل وتعجز تماما عن القيام بهذا الدور الذي تفرد به الإسلام دين الفطرة. كما تقوم الحضارات المستحدثة الدخيلة على ثقافة العشوائية، وليس لها جذور. ويتضح ذلك في شكل الملابس والسلوكيات وطريقة الكلام. وللأسف فالشباب عندنا اتخذوا النموذج الغربي " العشوائي " قدوة، واعتبروا الخروج عن القيم إبداعا وموضة.

وإننا إذا أردنا أن ننهض بأمتنا وأن نعيد إليها عزها المسلوب، علينا أن نقتدي بالرسول صلى الله عليه وسلم الذي أحيا الله به موات العرب، وأن نأخذ أنفسنا بالتربية الإيمانية فهي وحدها سبيل التغيير والتحويل [3].

يقول " يوجين روستو " مستشار الرئيس الأمريكي الأسبق جونسون: " يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية. لقد كان الصراع محتدما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة، بصور مختلفة. ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي.

إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا هي جزء مكمل للعالم الغربي: فلسفته، وعقيدته، ونظامه. وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي بفلسفته

وعقيدته المتمثلة في الدين الإسلامي. ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام، وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية، لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها ".

إن روستو يحدد أن هدف الاستعمار في الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية، وأن قيام إسرائيل هو جزء من هذا المخطط. وأن ذلك ليس إلا استمرارا للحرب الصليبية [4].

إن التغريب، في أحد أوجهه، ليس إلا اللباس الثقافي للتصنيع. لكن تغريب العالم الثالث (والذي تتكون معظم دوله من الدول المسلمة) هو أولا، عملية محو للثقافة، بمعنى أنها تدمير بلا قيد ولا شرط للبنيات الاقتصادية والاجتماعية والعقلية التقليدية، لكي لا يقوم مقامها في حينه سوى كومة كبيرة من الخردة، مصيرها إلى الصدأ ... إن هذا الذي يُعرض على سكان العالم الثالث، لكي يحل محل هويتهم الثقافية الضائعة، إنما يتضمن صنع شخصية وطنية عابثة، ذات انتماء خدّاع إلى مجتمع عالمي (هو الغرب) ... إن ضياع الهوية الثقافية الذي ينتج عن ذلك، أمر لا يقبل الجدل، وهذا يساهم بدوره في عدم استقرار الشخصية الوطنية سياسيا واقتصاديا. وما يتبقى بعد ذلك من الإبداع الوطني، يكمن في حالة تبعية إزاء ثقافة تبدو لها أجنبية، وإنها لكذلك [5].

سبل العلاج

? إن أولى خطوات العلاج في سبيل تأصيل هويتنا الإسلامية، هو تمسك الإدارات المحلية والبلدية بعدم إعطاء ترخيص للمحلات إلا إذا كان اسمها عربيا خالصا له معنى في اللغة العربية. ولنا في التجربة الفرنسية أسوة في هذا الموضوع. فقد تشددت فرنسا في عدم استخدام لغات أخرى غير اللغة الفرنسية في جميع المجالات، بل وصل الأمر إلى حد محاولة استخدام اللغة الفرنسية في تطبيقات الحاسب الآلي، حفاظا على الهوية الفرنسية من الضياع أو الاندماج في الثقافة الأمريكية. فيمكن استخدام الأسماء العربية في جميع ميادين الحياة. فتطلق هذه الأسماء على أسماء الشوارع والميادين والمدارس، بل وأسماء الفصول الدراسية في هذه المدارس. فبدلا

من القول فصل ثالثة أول أو فصل ثالثة ثاني مثلا، يمكن أن يكون اسم الفصل خالد بن الوليد أو فصل الشجاعة أو فصل " القدس " ... الخ.

? تخلي الأسر عن الطموح الجامح، وذلك بأن تعيش في حدود إمكانياتها، والتخلي عن مظاهر الاستهلاك الترفي والمظهري والعودة إلى الدين الصحيح بالالتزام بتعاليم الإسلام فيما يتعلق بعدم الجنوح والإغراق في الديون بغير داعٍ.

? وضع خطة للمبعوثين للدراسة بالخارج في دول أوربا الغربية أو الولايات المتحدة وغيرها، بحيث يكون لكل وفد رئيس من الواعظين ممن يستطيع أن يدحر الشبهات التي تلقى في وجه شبابنا أثناء تلقيهم العلوم بالخارج. كما يجب أن يكون من بين شروط الابتعاث للخارج حفظ قدر معين من القرآن، وليكن خمسة أجزاء على الأقل. كما يفضل تنظيم دورة سريعة لمدة ستة أشهر على الأقل لجميع الأفراد الذين وقع عليهم الاختيار للسفر للدراسة بالخارج يتم فيها دراسة علوم الدين والشريعة وبلغة البلد التي سيتم السفر إليها.

? على الإعلام التوقف عن الترويج للنموذج الغربي بكل قيمه الأخلاقية. فكيف تتحول " مغنيات الهبوط "إلى قدوة لفتياتنا؟ كما أننا نرى المذيعات في بعض المحطات الفضائية بغير الاحتشام المطلوب. فعلى كل المؤسسات أن تقنن الحرية داخلها حتى نعود للاعتدال، لأنه الوسيلة الوحيدة لحياة كريمة ومحترمة.

? كما أننا نفتقد لبيوت أزياء واعية باحتياجات الشباب تستطيع أن تعادل بين احتياجات الشباب والموضة والتقاليد وتطوعها حسب ظروف العصر. فنحن في أشد الحاجة إلى مؤسسة كبرى تدرس مطالب الشباب وتصنع لهم ما يرغبون في ارتدائه وبما يتناسب مع حضارتهم وهويتهم. [6]

? الاهتمام داخل الأسرة بحماية الأخلاق. فيجب على الأب أن يعود لدوره الأصلي في قوامة جميع أفراد أسرته. ذلك أن دور الأب انحصر في الآونة الأخيرة دور " الممول " المتمثل في مجرد جلب المال للأسرة، وترك جميع مقدرات الأسرة تدار بعيدا عنه.

? معرفة أهداف أعدائنا ومخططاتهم والعمل على التصدي لها. ذلك أن معرفة أن كل ما يحدث من حولنا إنما هو بتخطيط واعٍ وتدبير مدروس من القوى الغربية

والصهيونية التي لا تريد لراية الإسلام أن ترتفع أبدا، إن معرفة ذلك والوعي به يضعنا جميعا أمام الطريق الصحيح للعلاج.

21 من جمادى الآخرة عام 1425 من الهجرة (الموافق في تقويم النصارى 7 من أغسطس عام 2004).

----

[1] متفق عليه: صحيح البخاري، 3456، و7320، وصحيح مسلم: 2669(6).

[2] فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ/ ابن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية، 1407 هـ. ج: 6، ص: 574.

[3] القدوة منهاج ونماذج، د/ سعيد قابل، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ص: 97.

[4] الإسلام والغرب، د/ عبد الودود شلبي، مكتبة الآداب، 2004. ص ص: 55 – 56.

[5] التغريب: طوفان من الغرب، لواء/ أحمد عبد الوهاب، مكتبة التراث الإسلامي، 1990. ص ص: 13 – 14. نقلا عن: تغريب العالم، سيرج لاتوش، باريس، 1989.

[6] جريدة الأهرام، عدد يوم 2004/7/27.

==============

غول التغريب كسر قيوده

الفضائيات والإنترنت تخلق هوية جديدة للشباب ...

وسائل الإعلام العربية تكرس القيم الغربية، ومسؤولوها لا يملكون رؤية ثقافية ...

البطالة وفشل الأجهزة الرسمية في استيعاب الشباب ساهمت في اندفاعه وراء التقليد الأعمى للغرب ...

الحل في تفعيل المؤسسات الرسمية، وتقديم الدين باعتباره خط الدفاع الأول ...

هل جاءت الفضائيات لنا لتكون نعمة أم نقمة؟

وماذا فعلت بنا شبكة الإنترنت؟ وماذا فعلنا بها؟

وما هو شكل المستقبل في زمن لم يعد يعرف حدودا بين ثقافة وثقافة وخلق وخلق ، بل ودين ودين؟

أسئلة حائرة كثيرة .. ما تزال تطرح نفسها علينا منذ سنوات دون إجابة، ولكن أعراض المرض ما تزال تصدمنا يمينا ويسارا، نلمحها في وجوه شباب لم نعد نقدر على تصنيفه، أهو منّا أم لا يعرفنا.. يحمل تراثنا أم لم يسمع عنه.

الشارع في أي من مجتمعاتنا الإسلامية أصبح لا يعرف الطريق الوسط، دائما هناك فريقان يمشي كل واحد منهما في ضفة من ضفتي الشارع.. فريق أغلق النوافذ والأبواب، عملاً بحكمة توصي بإغلاق كل باب يأتي منه الريح، وفريق آخر، ترك داره، وقرر أن يبيت في العراء نهبًا لعوامل التعرية التي تنحت دينه وخلقه وتراثه ولغته.. وثيابه.

المشاهد متكررة، ويمكن لأي واحد منا أن يمر بنفس التجربة إذا كلف نفسه عناء النزول إلى الشارع والسير على ضفتي الطريق ليرى شبابنا المنقسم على نفسه في موقفه من كل ما هو حديث ووافد في زمن صارت العولمة فيه مرادفة لكلمة التغريب، والثقافة العالمية لا تعبر إلا عن ثقافة الغرب وقيمه.

في جولتنا التي قمنا بها بين شباب مصريين مررنا بأحد المراكز التجارية بمدينة القاهرة .. سألنا إحدى الفتيات عن سر اختيارها لملابسها الغريبة المظهر، والتي يغلب عليها السواد، وشعرها الحليق بصورة هي أشبه بالرجال، مع مكياج صارخ ليس فيه شيء من الألوان المألوفة، مع حلق كبير وضعته في أنفها، فقالت: ما أفعله حرية شخصية، وهذا الحلق يضيف لي شكلا جديدا ومتميزا ولافتا للآخرين.

هل يضفي عليك شيئا من الأنوثة ؟؟ قالت: لم أفكر في ذلك، ولكنني رأيت هذا الزي في أحد أغاني الفيديو كليب الغربية فقررت تقليده.

اللافت للنظر أن نفس الحلق تقريبا، وأزياء لا تقل غرابة رأيناه في أنف شاب في نفس المركز التجاري، وعندما سألناه قال : إنه يشعر أن شكله أفضل مع هذا الحلق الذي يعتبره علامة على الرجولة !!

شاب آخر رأيناه يغطي شعره بطبقة كثيفة من "الجيل"، ويقول عن ذلك : إنه جرب أكثر من تسريحة حتى استقر على تسريحة بطل فيلم "تيتانيك" ليوناردو دي كابريو، وكان لهذه التسريحة دور كبير في جذب الفتيات إليه.

وفي المقابل فإن شابا آخر أقر لنا بأن ميوله صرفته عن ليوناردو دي كابريو ليقلد بدلا منه لاعب كرة القدم البرازيلي رونالدو الذي يحلق شعر رأسه كله، مؤكدا أن هذه "الصلعة" ساهمت هي الأخرى في جذب الفتيات إليه.

فتاة أخرى تقول : إنها تقاطع الراديو لأنه لا يقدم لها إلا الأغاني المملة، وهي تعشق الضجيج والحركة والموسيقى الصاخبة، وخصوصا موسيقى الجاز الأمريكية، وتقول : إنها تحب الأشياء المجنونة وغير التقليدية.

أما وليد مرسي فلا يحب الأفلام العربية، ولكنه يعشق أفلام "الأكشن" الأمريكية المليئة بالمغامرات فهو يستمتع بها جدا، وخصوصا أفلام جيمس بوند ويريد أن يزور أمريكا أو يعيش فيها.

أحد الشباب قال لنا : إنه يجيد أكثر من لغة أجنبية، وساهم عمله في السياحة بالاحتكاك على وجه الخصوص بالسائحين الألمان، وتعرف عن قرب على ثقافتهم وأعجب بها، ولهذا السبب فطالما أراد السفر إلى ألمانيا والعيش هناك بأية وسيلة، ولكن محاولاته المتكررة للسفر تحت غطاء الدراسة باءت بالفشل بعد أن وقفت الأموال حجرة عثرة في طريقه، وكما يقول هذا الشاب: أصبحت أعيش في غربة حقيقة، فأنا أعشق مجتمعا لا أقدر على العيش فيه ولا أنتمي إليه، وأعيش في مجتمع لا أحبه ولا أقدر على الانتماء إليه.

هذه بالطبع ليست كل أشكال التغريب التي يتعرض لها شبابنا من حيث التقليد الأعمى في الملبس وطريقة الكلام وأنماط التفكير الغريبة والتي وفدت إلينا عبر وسائل الإعلام المختلفة، لكن يبقى منها اقتناع الشباب بوجهات نظر غربية في قضايا متعددة مثل مفاهيم الحرية، ودور الأسرة في التوجيه، والدين وأحكامه، ومفاهيم من نوع السلام مع الكيان الصهيوني فضلا عن معرفته بأعدائه.

ولنعبر الآن إلى الجهة الأخرى من الشارع.. هنا فئة من الشباب أغلقوا كل الأبواب في وجه الاحتكاك بالغرب .. النوايا حسنة والارتباط بالثقافة والتراث قوي، ولكن هل يمكن أن يعيشوا في كهف يحميهم عن عيون العالم، ودون احتكاك به.

في المقابل على النقيض من الطرف الأول هناك شباب يفهمون التدين والالتزام على أنه فقط تقصير الثوب وتطويل اللحية والانعزال عن العالم ومقاطعة كل مفرزات الحضارة الحديثة وتقنياتها لأنها من الغرب ... ولا يرون في الغرب إلا الوجه الشيطاني .

..هذان نموذجان يعيشان في مجتمعنا، ولكن فلنسأل أنفسنا ومتخصصينا الآن عن مساحات الصواب والخطأ في علاقتنا بالغرب، والوصفة التي تمكن شبابنا الواقف في مفترق الطريق بين التمسك بالتقاليد والعادات وبين الغزو الثقافي الغربي.

أزمة الهوية

يقول الدكتور السيد عليوة – أستاذ العلوم السياسية بجامعة حلوان – إن الشباب يعاني من أزمة الهوية والتي لها أسباب منها : سرعة التغيير حيث يتغير العالم بصفة عامة بسرعة كبيرة في كل مناحي الحياة، ومن ثم فإن الشباب مصاب ببلبلة وتشتت وعدم قدرة على التكيف مع هذه المتغيرات تكنولوجياً واقتصادياً واجتماعياً.

ومن أسباب أزمة الهوية أيضًا التشتت النفسي بين الهوية والخصوصية وبين الحضارات الغربية وقيمها ورموزها وطريقة حياة الشعوب فيها، وأدى ذلك إلى تنازع في الهويات في ظل الهوية العالمية التي تموج بها المؤثرات الخارجية عبر وسائل الإعلام المختلفة.

ويؤكد د. عليوة على ضرورة اضطلاع المؤسسات داخل الدولة والتي تتمثل في وزارات الشباب وأجهزة الرياضة ووزارات التربية والتعليم وجميع المؤسسات العاملة في مجال الشباب بالإضافة إلى الأحزاب السياسية والجمعيات الخيرية بالدور المنوط بها لغربلة القيم الثقافية الوافدة، ونبذ الضار منها وتصحيح المفاهيم الخاطئة للشباب، بل وتحصينهم ضد الضار منها ووضع الحقائق جميعها أمامهم دون تزييف أو خلط حتى تكتسب هذه المؤسسات ثقة هؤلاء الشباب فيها.

ويتطلب هذا من الدولة إعداد قواعد بيانات حقيقية عن الشباب وقطاعاتهم المختلفة ومستوياتهم التعليمية وتوزيعهم إلى فئات عمرية وتوزيعهم جغرافيا بين الريف والحضر ، وكذلك دعم المنظمات العاملة في مجال خدمة الشباب مثل الأندية الرياضية والجامعات والمؤسسات الثقافية والإعلامية، ولا بد من قياس مدى نجاح هذه المؤسسات، ولا سيما إذا تم السماح لها بالعمل بصورة ديمقراطية في تكوينها وتنظيمها ونشاطها.

العودة للأصول

ويضيف د. شعيب الغباشي مدرس الإعلام بجامعة الأزهر قائلا : إن السبب الرئيسي في انحراف الشباب وتأثرهم بالوافد يرجع إلى غياب التربية الإسلامية والدور التربوي للمدرسة والجامعة ، وفقد وسائل الإعلام لدورها وعدم قيامها بالدور المطلوب فيها من حيث التوجيه والتوعية لهؤلاء الشباب.

وإذا وقفنا أمام وسائل مثل التلفزيون والإذاعة والصحافة نجدها هي التي كرست لهذا الغزو الثقافي المجنون، وهي التي دعت إليه ونادت به عن طريق دعواتها إلى الأفكار الغربية وتبنيها للفلسفات الأوربية بدافع التقدم ومواكبة الحضارة، وسبب ذلك يرجع إلى أن وسائل الإعلام هذه يقوم عليها مسؤولون متغربون، ورصيدهم من الثقافة العربية والإسلامية فقير أو معدوم فعلا، ولذلك فهم يرددون الأفكار الغربية ويدعون إليها حتى لو كانت تحمل جراثيم فتاكة لمجتمعنا الشرقي المسلم.

ويقول: نستطيع أن نقول : إن الأزهر – كمؤسسة دينية ذات ثقل – كان له دور رائد في التوجيه ، لكن خريج الأزهر صار من الضعف المعرفي والثقافي ما يجعله لا يستطيع الإقناع والتوجيه، وانعكس ذلك على جمهور المسلمين الذين يتلقون معلوماتهم وثقافتهم عن هؤلاء الخريجين الذين فقدوا القدرة على النصح ونبذ الثقافات المخربة والمدمرة.

والعلاج – كما يرى الدكتور شعيب الغباشي – يتمثل في العودة الفورية والحاسمة للدين واستلهام عاداتنا وتقاليدنا منه حتى يصلح الميزان ونخرج من هذه التبعية الاجتماعية والروحية بوعي وفهم، وخاصة أن ديننا الحنيف يدعو إلى التقدم والتحضر وليس دين تخلف ورجعية كما يروج له البعض.

آفة التقليد

أما د. إلهام فراج المدرس المساعد بقسم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة القاهرة فترى أن الغزو الثقافي الآن لا يأتي من دولة واحدة، بل يأتي من عدة دول وعدة ثقافات بعكس ما كان سائدا من خلال الثقافة الشيوعية والرأسمالية، حيث كنا نقول هذا شاب شيوعي أو رأسمالي، فالآن أصبحنا لا نستطيع أن نصنف ثقافة الشباب.

والعالم الآن لا يغزونا إلا بالسلبيات من خلال الأفلام والمسلسلات، وهو إعلام موجه وراءه جهاز إعلامي كبير على مستوى عالمي، والشباب الذي لا يقف ليفكر فيما يشاهده يندفع بصورة عشوائية للتقليد لتصبح الأمور أكثر خطورة، لدرجة أنني رأيت للأسف شابا يلبس "إيشارباً" لأنه رأى شابا أجنبيا يلبس هذا الزي، ولا يعرف هذا الشاب أن الأجانب الذين يقلدهم هم مدمنون لنوع خاص من المخدرات تأتي على شكل طوابع كطوابع البريد تلصق على الجبهة، ودور الإيشارب هنا هو إخفاء هذا الطابع المخدر.

والحل ببساطة من وجهة نظرها تقوم به الدول من خلال عمليات إصلاح شاملة للمؤسسات التي يتعرض لها الشباب مثل النوادي الرياضية والإعلام المرئي والمقروء ونشر الأفكار الصحيحة من خلال الاستعانة بخبرات المتخصصين في ذلك.

ومن الحلول الضرورية أيضا لهذه المشكلة القضاء على البطالة التي تستنفذ قدرات الشباب وتجعلهم فريسة لهذا التقليد الأعمى من خلال تضييع أوقاتهم أمام الفضائيات الأجنبية وأمام شاشات الكمبيوتر عبر شبكة الإنترنت.

كما يبقى عامل الدين والتدين أمرا غاية في الخطورة والأهمية لأنه يمثل خط الدفاع الأول في عملية إصلاح الشباب.

عولمة السيطرة

أما الدكتور جمال النجار أستاذ ورئيس قسم الصحافة والإعلام بكلية الدراسات الإسلامية للبنات بجامعة الأزهر فيقول : إنه أعد بحثا حديثا بعنوان "تكنولوجيا الاتصال والغزو الثقافي" الذي يسعى لسلب الآخرين إرادتهم وطمس هويتهم وإيجاد نوع من السيادة الفكرية لحضارة معينة على مختلف الحضارات والثقافات، ويضيف أن الثقافة الأمريكية هي المرشحة للفوز في حلبة هذا الصراع الفكري نتيجة للسبق

الإعلامي الفضائي وتفوقها في مجال التكنولوجيا مما يؤدي إلى تحول مباشر من قبل الشباب إلى القيم الأمريكية.

ويشير د. النجار إلى خطورة البرامج والمسلسلات الأمريكية التي تعرضها التلفزيونات العربية مثل : " دلاس- فالكون كريست- الجريء والجميلات .. الخ " والتي تسعى إلى ترويج قيم ومعايير اجتماعية وأنماط حياتية ومفاهيم ثقافية وسلوكية تخدم وجود ونفوذ الدول الاستعمارية حيث يتم مسخ الثقافات الوطنية وازدراؤها وتشويهها.

ويؤكد د. النجار على ضرورة إعداد كوادر إعلامية قادرة على صنع رسائل إعلامية قوية تسحب البساط من تحت أقدام وسائل الإعلام الأجنبية، وحتى تستطيع جذب شبابنا إليها وغرس القيم والمبادئ الصالحة في نفوسهم وتربيتهم عليها، كما يجب أن تتبنى أجهزتنا الإعلامية قضية الأمن الثقافي التي تحافظ على هويتنا الثقافية وعاداتنا وتقاليدنا الأصيلة

==============

فتياتنا بين التغريب والعفاف

المقدمة (1)

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" (آل عمران:102).

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً" (النساء:1).

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً" (الأحزاب:70، 71).

أما بعد:

فيأيها الإخوة: يطيب لي أن نلتقي في هذه السطور مع موضوع طالما غفل عنه الكثير، موضوع يمس كل فرد في هذه الأمة، فما منا إلا وهو بين أم، أو زوج، أو أخت، أو بنت، أو قريبة، بل كل مسلمة على هذه الأرض لها من وشائج الصلة ما يجعلها مدار اهتمام المسلم، إنه موضوع أمهات المستقبل ومربيات الليوث القادمة، إنه يتحدث عن بناتنا بين العفاف والتغريب.

أيها الإخوة:

أكتب إليكم بقلم المحب المشفق الناصح المنذر. أكتب هذه الكلمات لأسباب عدة أوجزها فيما يلي:

أولاً: نبه المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى خطورة المرأة إذا حادت عن سبيلها وضلت طريقها، ونبه أيضاً إلى أنها ثغرة قد ينفذ منها العدو.

إخوتي: قد يصمد الرجل أمام أعتى عدو وأقواه، يصمد في المعارك والحروب، ولكن هذا الرجل العملاق، هذا الرجل الهمام يفاجأ أنه كثيراً ما ينهار أمام المرأة بمغرياتها وفتنها.

وصدق من قال:

يصرعن ذا الجسم (2) حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا

هي الضلع العوجاء لست تقيمها

أتجمع ضعفاً واقتدارا على الهوى ... وهن أضعف خلق الله أركانا

ألا إن تقويم الضلوع انكسارها أليس غريباً ضعفها واقتدارها

وقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :"ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب للب الرجل الحازم من إحداكن ".

كم من رجل معروف بقوة الشخصية وشدة الشكيمة يعجز الرجال عن إقناعه، يتسلل من يعرف خفايا الأمور إلى إحدى نسائه، أمًّا أو بِنْتا أو زَوْجًا، فيصبح الممنوع ممكناً، والمستحيل معقولاً.

وقضية المرأة وأثرها على الرجل عجيبة، فإن أثرها ذو جانب نفسي، ولذلك نبهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فقال:" اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء " (3).

ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :"ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء" (4) وفي الحديث الذي يرويه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء ".

ولا شك أن هؤلاء النسوة لسن نساء العفاف والطهر والإيمان، فإن هؤلاء النسوة مما يستعان بهن على العصمة من الفتنة، وتاريخنا حافل بأمثال هذه النماذج الشامخة، فما خديجة وعائشة وفاطمة وأسماء، وبقية أمهات المؤمنين، ونساء الصحابة والسلف الصالح إلا أعظم دليل على ذلك، ولنضرب صفحاً عن قصص الشهيرات منهن كأمثال خديجة وغيرها، ولنذكر مثالين: الأول، في عهد الصحابة. والثاني: من القرون التي بعده.

الأول: عن أنس –رضي الله تعالى عنه– قال: خطب أبو طلحة أم سليم، فقالت: إنه لا ينبغي أن أتزوج مشركاً، أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم ينحتها عبد آل فلان، وإنكم لو أشعلتم فيها ناراً لاحترقت؟ قال: فانصرف وفي قلبه ذلك ثم أتاها، وقال: الذي عرضت علي قد قبلت. قال: فما كان لها مهر إلا الإسلام(5). قال ثابت البُناني: فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهراً من أم سليم.

فلله در تلك الأيادي التي ربت أنساً وأمثاله.

---

(1) – أصل هذه الرسالة محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ ناصر العمر، وقد أذن لنا مشكورا بإخراجها، ونشرها، حتى يتم النفع بها.

(2) – بيت جرير , يصرعن ذا اللب.

(3) – رواه مسلم.

(4) – متفق عليه.

(5) – إسناده صحيح، انظر سير أعلام النبلاء 306/2.

الثاني: روى محمد بن سويد الطحان، قال: كنا عند عاصم بن علي (الحافظ المحدث)، ومعنا أبو عبيد وإبراهيم بن أبي الليث وجماعة، وأحمد بن حنبل يضرب،

فجعل عاصم يقول: ألا رجل يقوم معي فنأتي هذا الرجل فنكلمه (أي: المعتصم)، قال: فما يجيبه أحد، ثم قال ابن أبي الليث: أنا أقوم معك. قال: وجاء كتاب ابنتي عاصم من واسط، وفيه: يا أبانا إنه بلغنا أن هذا الرجل (المعتصم) أخذ أحمد بن حنبل فضربه على أن يقول: القرآن مخلوق، فاتق الله ولا تجبه، فو الله لئن يأتينا نعيك أحب إلينا من أن يأتينا أنك أجبت" (1).

فبأمثال هؤلاء والله ملكنا الدنيا، شرقها وغربها.

وكلماتنا ستكون أكثر تركيزاً عن اللاتي تفرقت بهن السبل، وضللن طريقهن، وإلا فالأصل هن نساء العفاف والطهر، والشاذ غيرهن.

ثانياً: تساهل كثير من الناس وغفلتهم عما يجري داخل بيوتهم ومجتمعهم.

من الملاحظ –أيها الإخوة– أن كثيراً من الرجال والقائمين على البيوت فيهم الخير، وفيهم الطيبة والصلاح، ولكنهم يغفلون كثيراً وكثيراً عما يجري داخل بيوتهم، فكم لطمة خد، ولحظات إغماء من الرجال قد جاءت حسرة، ولات ساعة مندم.

ثالثاً: _وهو سبب رئيس_ ما يقوم به العلمانيون والمنافقون، والمستغربون تبعاً لأسيادهم من اليهود والنصارى، من تنفيذ مخططاتهم، وتغريب المرأة، وسلخها عن دينها.

أحبتي في الله:

إن الذي يجري في عالمنا الإسلامي أمر رهيب كما تحدث بذلك العلماء، وأخص منهم الأستاذ الجليل محمد قطب، في كتابه الرائع (واقعنا المعاصر)، الذي بين فيه ما يخطط له اليهود والنصارى، وما ينفذ بأيدي العلمانيين والمنافقين والمستغربين (أمر مدهش)، وكثير من أهل الخير والصلاح من دعاة وطلبة علم غافلون عما يجري، فضلاً عن العامة، ولهذا وصلت الحال في كثير من الدول الإسلامية إلى حال يندى لها الجبين.

رابعاً: هل الواقع الذي نعيشه في مجتمعنا ونراه صباح مساء من حال قضية المرأة هو الواقع الذي كان عليه سلفنا قبل مدة قصيرة ربما تقل (في بعضها) عن عشرين سنة؟

تساءلوا بعقل لا بعاطفة وأجيبوا على أنفسكم!! إن كل عاقل لبيب يعلم أن ذلك المجتمع في عمومه لا يمكن مقارنته، بل ولا تستساغ المقارنة مع مجتمعنا اليوم (2).

إن ما يجري وما نراه أمر كما سأبينه بعد قليل، نخشى والله من عقوبة تعم الصالح والطالح، إلا أن يتداركنا الله برحمته. إن ما يجري وما يرى أمر خطير، كما سأبينه بعد قليل، أخشى أن يجر علينا عقوبة تعم الصالح والطالح، إلا أن يتداركنا الله برحمته.

خامساً: هذا المجتمع –وكل مجتمع قام على الدين ونور الرسالة– هو مجتمع طيب، من هذا البلد انبثق نور الهدى فاستنارت به الأرض بأسرها، فحملته بقية الأمة إلى شرق الأرض وغربها، (وفي تاريخ الأمة) فرسخ في قلوبنا (عقيدة) هي أنه كلما ضعفت علاقة المجتمع بالدين والشرع حل فيه الضعف والهوان والفقر، وكلما أعاد النظر مرة أخرى وزادت صلته بدينه وبعقيدته عاد لقوته، وهيمنته، وسيطرته، وبسط الرحمة على الأرض.

من أجل الحفاظ على مجتمعنا، هذا المجتمع الطيب المبارك، ومن أجل أن تعود بقية مجتمعات الأمة إلى الأصل الذي به منحنا الخيرية. أكتب محذراً هذا المجتمع ومذكراً لإخوتي في المجتمعات الأخرى حتى تتبين لهم سنة الله التي أدركتهم، ومنبهاً لهم أن هذا يصبح مثلاً لحالهم فيما مضى، فمن أدرك طريق الهبوط قد يستدل به على طريق الصعود.

وقبل أن أشرع في الموضوع أود أن أعرِّف التغريب؛ لئلا تضيق الأفهام عند لفظه فتظن أن البلاء من الغرب فقط.

التغريب

هو: مجموعة الأفكار والمفاهيم والممارسات المتلقاة من الكفار، والتي يقصد بها صرف الأمة المسلمة عن دينها.

واشتقاقها من الغرب لغالبية دورهم في هذا المجال، وإلا فالكفر ملة واحدة،

وأنبه –أخي القارئ– إلى أنني سأركز على قضية التغريب تركيزاً رئيساً، وأختصر في قضية العفاف لسببين:

السبب الأول: أن الأصل في مجتمعنا هو العفاف، وكل بيت من بيوتنا –والحمد لله– يدرك معنى العفاف وأبعاده، ولذلك سيكون تعرضي له من باب الاختصار والذكرى والتنبيه.

السبب الثاني: أن الطبيب يذكر لمريضه مواطن المرض، وليس بالضروري أن يذكر مواطن العافية، فإنه إذا شرح لمريضه بأنه مريض ووصف له العلاج، فإذا اقتنع المريض بمرضه ووجد العلاج عند الطبيب فذاك، وإن لم يجد فسيبحث عن العلاج عند غيره.

إخوتي:

مهمتي هنا أن أقنع الكثير ممن يقرأ هذه الأحرف أن المرض يدب في أوصال مجتمعنا، فإذا اقتنع وأدرك هؤلاء وأولئك هذه القضية سهل عليهم –بإذن الله– تلقي العلاج والبحث عنه. هذه مسألة أحببت أن تكون مدخلاً لموضوعنا، فأقول والله المستعان.

مظاهر التغريب

---

(1) – تاريخ بغداد 248/12، 249، وسير أعلام النبلاء 264/9.

(2) – انظر كتابنا مقومات السعادة الزوجية لبيان المعاملة الواجبة لمن قال فيهن قدوتنا صلى الله عليه وسلم (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي).

ما هي مظاهر التغريب التي نراها تنخر في المجتمع المسلم ؟ إنها مظاهر عدة اختصرها وأوجزها فيما يلي:

أولاً: السفور

هذا الأمر أصبح عاديًّا عند كثير من فتياتنا وبناتنا، والالتزام بالحجاب لم يعد كما أمر الله ، بل ولا كما كنا نعهده في بعض مجتمعاتنا.

ألستم ترون معي المشاهد المخزية المتكررة يومياً، إن من يدخل أسواقنا اليوم قد يرى امرأة محجبة كبيرة في السن وبجوارها فتاة متبرجة، (وإن كانت كاسية)، تلبس الثوب الرقيق، الثوب الذي يصف البشرة، تلبس الغطاء الفاتن، ومن هذه يا ترى؟ إن هذه ابنة تلك _سبحان الله_! هذه المرأة كيف كانت، وكيف أصبحت؟ كيف أصبح أمراً

مألوفاً عند هذه المرأة المحافظة المتحجبة أن تسير معها، وأن يكون في بيتها هذه الفتاة الكاسية العارية؟!

لا تتصوروا -أيها الأحبة- أن السفور هو في كشف الوجه فقط -لا- قد يكون كشف الوجه في بعض المجتمعات من أسهل أنواع السفور، وهو خطير ولا شك.

إن السفور أن تغطي المرأة وجهها، ولكنها تمشي وكأنها في صالة عرض لجسمها.

إن السفور أن تلبس الثوب الضيق والعباءة الجذابة منظراً وقصراً، والحجاب الذي يخضع أهل القلوب المريضة.

إن السفور أصبح في كثير من البيوت أمراً غير مستنكر، وهذا ما يزيد الطين بلة _كما يقولون_.

ثانياً: الاختلاط

إن هذا الأمر قد مسخ الفطر، وأفسد الأخلاق في كثير من مجتمعات المسلمين ولا ريب، ففي كثير منها اختلط حابلها بنابلها، وهذه مجتمعات تحتاج إلى نظرة أطول ووقفة أعمق.

ولكن بعضاً ممن لا ينظرون إلى هذا الأمر بشمول يظنون أن الاختلاط لا يكون إلا في المدارس أو الجامعات! أقول لهؤلاء: رويدكم رويدكم، فقد أبعدتم النجعة.

لا شك أن الاختلاط في الجامعات والمدارس جد خطير، ومرحلة متقدمة من المرض، ولكن هناك مجالات أخرى لا تقل خطورة، فالاختلاط في الأسواق أسوأ من الاختلاط في المدارس والجامعات أحياناً، وتجتمع مفاسد الاختلاط في المستشفيات بين الأطباء والطبيبات، بين المرضى والممرضات، بين المريضات والممرضين.

ولا يقل الاختلاط في الحدائق، وبعض الأعراس والمناسبات الاجتماعية، والمطاعم خطورة عن سابقيه.

إن هناك مظاهر كثيرة من الاختلاط تنذر بسخط الجبار -جل جلاله- فإياكم أن تأخذكم الغفلة، وتقولوا: إن الاختلاط تجل عنه مجتمعاتنا.

زعم السفور والاختلاط وسيلة

كذبوا متى كان التعرض للخنا ... للمجد قوم في المجانة أغرقوا

شيئاً تعز به الشعوب وتسبق

ثالثاً: الخلوة

أيها الأحبة:

كم ثلث الشيطان (1) رجلاً وامرأة قد اختليا _سبحان الله_ أيصحب الشيطان فتياتنا؟

نعم، إن هذا الأمر أصبحنا نراه صباح مساء.

ألستم ترون رجالاً قد صحبوا فتيات ونساء في سياراتهم، وواضح من شكل جلوسها وهيئة سائقها أنهما أجنبيان عن بعضهما. إنها صورة من صور الخلوة.

وصورة أخرى؛ إنها بين الخدم والسائقين ونساء البيوت.

أليست هذه خلوة؟ الخلوة هل يرضاها ذو غيرة وشهامة، فضلاً عن أن يكون ذا دين؟ بعض النساء ترفض أن تذهب مع السائق وحدها، بينما تأذن لابنتها أن تخرج مع السائق وحدها.

وهذا -كما قال الأستاذ محمد قطب- امتناع عن الخروج عادة لا عقيدة، لو كان امتناع الأم عقيدة لمنعت ابنتها، ولكنها العادة.

رابعاً: تحديد النسل

هذه الفرية التي بدأت تدب في مجتمعنا، وبدأنا نسمع من جعل تحديد النسل هدفاً من أهدافه.

سبحان الله، سبحان الله!! أسمع وتسمعون أن الرئيس الفرنسي يدعو لزيادة النسل، حتى وإن كان عن طريق غير مشروع، وهي دولة تعدادها بعشرات الملايين، ومساحتها وثرواتها لا تقارن بكثير من بلاد المسلمين.

وإن من زار أماكن صرف العلاج في أي بلد مسلم فسيرى عجباً، إن أقل الذي يعرض تكلفة هو وسائل تحديد النسل، بل إن في بعض هذه البلاد يكون من ضمن المعونات التي تقدمها الدول النصرانية لها كميات هائلة من تلك الوسائل. لماذا؟ لأن أعداءنا هم الذين يصنعونها، وهم الذي يصدرونها إلينا لأغراض في نفوسهم..

ذكرت إحدى الصحف المحلية أن رجلاً اتفق هو وزوجته على الاكتفاء بأولاد ثلاثة أو اثنين، فذهب بها إلى المستشفى لعمل عملية يوقف نسلها، وبعد نجاح العملية ذهب الزوج وأولاده لزيارتها، وبعد أن اطمأنوا على أن العملية قد نجحت خرج هو وأولاده، وفي أحد الشوارع وقع لهم حادث توفي على إثره جميع الأولاد.

وكأني بها عقوبة عاجلة قبل الآجلة، والله يمهل ولا يهمل، وإن في ذلك لعبرة.

خامساً: التغريب في اللباس

هل ما تلبسه كثير من بناتنا ونسائنا هو اللباس الشرعي الذي ارتضاه الله ورسوله لنا؟ أبداً وعزة ربنا.

إنه يخرج من دور الأزياء –وإن شئت فارفع الهمزات وأبدل الياء نونا– أتلك الدور في بلاد المسلمين؟ إنها الدور الباريسية الخليعة، والبيوت اللندنية المنحلة.

---

(1) – إشارة لحديث: "ما خلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما" رواه أحمد والترمذي وصححه شيخنا ابن باز.

والمدهش المحزن أن بعض نسائنا في بعض بلاد المسلمين قد تفصل الأزياء قبل أن تفصل في فرنسا وبريطانيا وغيرها.

إن الأزياء مظهر من مظاهر التغريب ووسيلة من وسائله؛ ولذلك جاء شاعرنا ليقول متحدثاً عن الأزياء وعن اللباس الذي يرى على نساء المسلمين، وأصبح أمراً غير مستنكر حتى لدى بعض الموسومين بالخير، فتراه يلبس بنته إلى حد الركبتين، ويقول: إنها صغيرة:

إن الرماح إذا عدلتها اعتدلت ... ولا تلين إذا كانت من الخشب

ويقول غيره:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا ... على ما كان عوده أبوه

وها هو شاعرنا يقول:

لحد الركبتين تشمرينا

كأن الثوب ظل في صباح

تظنين الرجال بلا شعور ... بربك أي نهر تعبرينا

يزيد تقلصا حيناً فحينا

لأنك ربما لا تشعرينا

إن هذه الأزياء لا تخلو من أمور تجعلها في زاوية الحظر الشرعي، فمثلاً:

التعري الفاضح في بعض هذه الأزياء، ومن أراد التحقق من هذا اللون من ألوان الانحلال فليكاشف مجلات الأزياء ومشاغل الخياطة.

محبة النساء الكافرات والإعجاب بهن، وهذا قادح في كمال عقيدة المسلم والمسلمة.

التشبه باليهود والنصارى وغيرهم، وهذا باب أوسع من أن يبسط.

التشبه بالرجال في اللباس، ولا نزال نسمع بالأزياء الولادية.

هذا فضلاً عن انتهاب ثروات الأمة، وجعل بعض نسائها تلهث وراء هذه الأزياء وتنسى مهمتها الأساس.

سادساً: قضية العادات الاجتماعية

حتى هذه القضية لم تسلم من التغريب، فكثيراً ما يطرق أسماعنا عبارات مثل: أعياد الميلاد للأولاد، وغيرها من الممارسات الدخيلة.

يقول أحد الفضلاء: اتصلت بي امرأة يبدو من حديثها أنها امرأة صالحة، تقول: أنا امرأة ملتزمة أريد أن أقيم حفلاً بمناسبة بلوغ ابني سنة أو سنتين، وهو حفل -كما تقول هي- ملتزم لا محرمات فيه، فما الحكم؟ سبحان الله! من أين جاءتنا هذه العادة، إطفاء شمعة، أو شمعتين، أو ثلاثة، أو عشر.

كثير من العادات والمناسبات محتاجة لأن توزن بميزان الشرع.

سابعاً: قضايا تتعلق بالزواج والتعدد

قضايا الزواج تغيرت وتبدلت، فالزواج الشرعي أدخل عليه ما هو منه براء - الحب قبل الزواج، اختلاء الخاطب بمخطوبته، الخاتم -الدبلة- التي تحفظ عهد الخاطبين -كما يزعمون-، وهناك أمور أخرى تبكي من كان له قلب، وتجعل العقد الشرعي أمراً رسمياً لا غير -والله المستعان- حتى التصورات العامة حول هذا الموضوع لم تسلم، فلا زواج للفتاة إلا بعد الخامسة والعشرين أو أكثر، ولا شاب يتزوج إلا بعد الثلاثين، بدعوى تكوين نفسه.

أما قضية التعدد فهي قضية مؤسفة محزنة، بدأنا نسمع من يناقش وهو متكئ على أريكته، ما رأيك في التعدد؟ _أعوذ بالله_ كيف نبدي رأياً في قضية حسمها القرآن الكريم، وانظر إلى الإجابة، هذا يؤيد، وهذا يعارض، وهذا يؤيد بشروط، وهلم جرا. وتنشر الصحف هذه المناقشات، وهي قضية حسمها القرآن الكريم، والنقاش فيها من

حيث الأصل خطير يخشى على دين من يناقشها، وهناك فرق بين أن نناقش هل فلان يناسبه التعدد أم لا؟ وبين أن نناقش أصل القضية.

ثامناً: عمل المرأة في غير مجالها

وهذا المظهر من مظاهر التغريب التي تتفاوت مجتمعات المسلمين في ابتلائها به، فمن غارق فيها، وعائم يقاوم الغرق.

بدأنا نسمع من يتحدث عن قضية عمل المرأة في المصنع، وامتلاء مدارس البنات، فلماذا لا تعمل في المصنع مع المحافظة على العادات الإسلامية؟! هذه الكلمة التي أصبحت كالطابع تقال في كل مناسبة، وتمرر خلالها كثير من المخططات؛ لأن الخيرين طيبون.

وطيبتهم هنا ليست الطيبة الشرعية، فإنهم إذا سمعوا مثل هذا الكلام اطمأنوا، وإذا علموا أن مصنعاً يريد أن تختلط فيه النساء بالرجال، وقال أهله: نحن نحافظ على عاداتنا وتقاليدنا، ونحافظ على عفة المرأة، أجابوا بالرضا والطمأنينة، فما دامت هي معزولة، فما الذي يمنع.

وكما قال محمد قطب: "بطيء ولكنه أكيد المفعول" خطواتهم في هذه المجالات بطيئة ذكية، "ولكنه أكيد المفعول"،أي: أنه سيغرب المجتمع شاؤوا أم أبوا.

هذه بعض مظاهر التغريب، ولكن ما هي الوسائل التي أوصلت مجتمعاتنا إلى أن تشوه وجهها بتلك المظاهر؟

وسائل التغريب

ما هي الوسائل التي استخدمها الأعداء لتغريب المجتمع الإسلامي ؟

أهي رشاش وبندقية، أم مدفع ودبابة، أم هي حاملة طائرات وصواريخ؟ لو كانت كذلك لكانت أسهل وأهون، ولكن المتربصين بالأمة يعرفون مقوماتها الذاتية –التي تكفل لها بعد حفظ الله وتأييده– النصر في كل معركة مع الباطل. لذا استخدموا ما هو أخطر وأفسد وأشد فتكاً بالفتاة مما ذكر، لقد استخدموا الحرب مع تلك المقومات لدى محاضن الجيل المسلم، فما هي وسائلهم، وكيف كانت نتائجها؟

وسأقتصر في عرضي لها على أهمها:

أولاً: الإعلام

الإعلام يتحمل جريرة ما يجري في قضية تغريب المرأة المسلمة، وسأثبت هذا -بإذن الله- بالأرقام والإحصائيات، عن طريق المسلسلات والأغاني والأفلام، ووسائل الإعلام المقروءة.

أ) الصحف:

وهي نوع من الإعلام ذي الجرعات المنتظمة. أتعلمون كم يدخل إلى سوقنا في الشهر من الصحافة الماجنة التي تغرب المرأة؟ يدخل إليها أكثر من 40 صحيفة أسبوعياً أو شهرياً في غلافها فتاة لا تتكرر أبداً.

وبلغ عدد الصحف التي تدخل إلى سوقنا شهرياً ما يزيد على خمسة ملايين نسخة شهرياً، وعندما ذكرت هذا الرقم في مناسبة جاء من يقول لي: لعل فيه مبالغة و_سبحان الله_! تقع في يدي إحصائية جديدة قبل أيام قلائل، من مؤسسة تصدر مجلات لا تخفى عليكم، ويظهر الرقم كالآتي:

إحدى المجلات التي تصدر عن هذه الشركة -واحدة فقط- وهي مجلة قصد بها تغريب المرأة، توزع شهرياً أربعمائة وأربعين ألف نسخة، والعجيب أن هذه الإحصائية تقول: هذا هو العدد الذي يشترى، لا العدد الذي يوزع، ولها مجلة أخرى توزع ثلاثمائة وثلاثين ألفاً في شهر واحد، من مؤسسة واحدة تصدر مجلتين، توزع قرابة ثمانمائة ألف لفتياتنا.

إذن، اسمحوا لي عندما أذكر لكم -أيها الأحبة- أنه يوزع خمسة ملايين نسخة، فهو رقم متواضع، وأنا متأكد أنه يزيد على هذا الرقم بكثير، ولكنني أتيت بالمؤكد الذي لا يقبل الشك.

من يشتري خمسة ملايين نسخة في شهر واحد؟ أهم غير المسلمين الموجودين بيننا، أم هي العمالة الوافدة من الشرق والغرب؟ إن نسبة من يقرأ العربية بينهم لا تذكر.

فمن الذي يقرؤها ويبتاعها؟ إنهم أبناؤنا وبناتنا.

ب) الأفلام:

أما الأفلام -فالله المستعان- كيف أتحدث عن الأفلام؟ كيف أتحدث عن هذه القضايا؟ واستمعوا إلى الأرقام؛ فإن حديث الأرقام اليوم أبلغ من حديث الألفاظ؛ ولأجل ألا يكون للمبالغة أي مجال.

في البداية انظروا إلى هذا التقرير من اليونسكو -ولقد تعجبت كيف تصدر اليونسكو هذا- تقول: "إن إدخال وسائل إعلام جديدة -وبخاصة التلفزيون- في المجتمعات التقليدية أدى إلى زعزعة عادات ترجع إلى مئات السنين، وممارسات حضارية كرسها الزمن" اليونسكو تعترف أن وسائل الإعلام غربت أمتنا، إذن يكفي هذا التقرير لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

يقول الدكتور حمود البدر: إنه تبين من خلال إحدى الدراسات التي أجريت على خمسمائة فيلم طويل أن موضوع الحب والجريمة والجنس يشكل 72% منها، وتبين من دراسة أخرى حول الجريمة والعنف في 100 فيلم وجود 68% مشهد جريمة أو محاولة قتل، بل وجد في 13 فيلماً فقط 73 مشهدا للجريمة.

ويقول الدكتور نشار -وهو أمريكي الجنسية-: تبين من دراسة مجموعة الأفلام التي تعرض على الأطفال أن 29.6% تتناول موضوعات جنسية -والقائل أمريكي- 27.4% تتناول الجريمة، 15% تدور حول الحب بمعناه الشهواني العصري المكشوف - هذه أفلام للأطفال!!!

ويقول الدكتور هوب أمرولر -وهو أمريكي أيضاً-: إن الأفلام التجارية التي تنتشر في العالم تثير الرغبة الجنسية في موضوعاتها، كما أن المراهقات من الفتيات -وهذا له علاقة مباشرة بموضوعنا- يتعلمن الآداب الجنسية الضارة- من الذي يقول ضارة؟ إنه أمريكي! إذا كانت هذه ضارة في عقل هذا الأمريكي كيف بميزان الشرع، ثم يتابع: وقد ثبت للباحثين أن فنون التقبيل والحب والمغازلة والإثارة الجنسية والتدخين يتعلمها الشباب من خلال السينما والتلفزيون.

جـ- الدعاية:

هذا البلاء الذي امتلأت به صحافتنا وإعلامنا بسبب سوء التعامل معها.

قام الدكتور سمير حسين بإعداد دراسة حول برامج الإعلانات في التلفزيون، كما يراها المشاهد والمعلنون توصل فيها إلى ما يلي:

98.6% من الأطفال يشاهدون الإعلانات بصفة منتظمة، ويطمئن الآباء لهذه التوجهات لدى أبنائهم، وستعلمون الأرقام المدهشة بعد قليل.

96% قالوا: إن هناك إعلانات يحبونها؛ ولذلك تجدهم يحفظون نص الدعاية المعلن عنها.

ولهذا يقول الدكتور محسن الشيخ: من أخطر البرامج المقدمة من خلال الشاشة الصغيرة هي الإعلانات التجارية؛ لأنها قصيرة ومسلية، وتحمل رسالتها بسرعة إلى الأوتار العقلية فتوقظها.

قد تقولون: وما علاقة الإعلانات والدعاية بقضية المرأة؟

تأملوا ما يأتي ففيه الإجابة: نوقشت رسالة ماجستير في دولة عربية مهمة بعنوان (صورة المرأة في إعلانات التلفزيون) اعتمد الباحث فيها على تحليل مضمون 356 إعلاناً تلفزيونياً بلغ إجمالي تكرارها 3409 مرات، أي: تسع مرات خلال 90 يوما فقط. توصل الباحث إلى ما يلي:

1) استخدمت صورة المرأة وصوتها في 300 إعلان من 356 إعلاناً. نسبة رهيبة جداً!

2) 42% من الإعلانات التي ظهرت فيها المرأة لا تخص المرأة، أي: ليست بالضرورة أدوات تجميل أو أزياء، فلا تعجب إذا رأيت دعاية لإطارات سيارات بجوارها امرأة.

3) 76% من الإعلانات اعتمدت على مواصفات خاصة في المرأة، كالجمال والجاذبية.

4) 51% من الإعلانات تعتمد على حركة جسد المرأة.

5) 12% من الإعلانات استخدمت فيها ألفاظ جنسية.

بئست الحال التي تكون فيها المرأة مهانة إلى هذا القدر. هذه هي الصحافة، وهذه هي الأفلام، وتلك هي الدعاية.

ثانياً: التعليم

التعليم!! إذن نحن ضد التعليم -لا، كلا وحاشا- نحن نريد التعليم، ونطالب بالتعليم، ولكننا نطالب بالتعليم الحقيقي، لا التعليم المزيف.

إن التعليم سلاح ذو حدين، إن كان في الخير فهو خير، وإن كان في الشر فهو كذلك.

التعليم الآن: هل هو التعليم الإسلامي في مجتمعنا الإسلامي؟ هل المرأة الآن تدرس في الابتدائية أو المتوسطة أو الثانوية -فضلا عن الجامعة- ما تحتاج إليه في أمور دينها ودنياها؟

ارجعوا إلى مناهج التعليم في العالم الإسلامي؛ لتروا المدهش في هذه القضية، عن طريق التعليم جاءنا الأدب السمج في القصة والمسرحية والقصيدة التي تعني بالحب المبتذل وغيره.

أيها الأحبة:

باسم التعليم عزفت المرأة عن الزواج حتى تكمل تعليمها، أتعلمون أنه في جامعة من جامعاتنا ستة آلاف فتاة، لم يتزوج إلا أربعمائة فتاة.

وباسم التعليم وجد في عينة درست من مائة وعشر فتيات تخرجن من كلية الطب، لم يتزوج منهن إلا إحدى عشرة طبيبة.

قد كنت أرجو أن يقال طبيبة

فقل للتي كانت ترى في قدوة

وكل مناها بعض طفل تضمه ... لقد قيل ماذا نالني من مقالها

هي اليوم بين الناس يرثى لحالها

فهل ممكن أن تشتريه بمالها

هل فتياتنا استخدمن التعليم لتعلم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما يحتجن إليه في حياتهن، أم لقراءة خمسة ملايين صحيفة شهرياً؟ نحن نعرف أن في الأمة خير عظيم في نسائها وفتياتها، ولكننا نتحدث عن أرقام ووقائع ترونها وتبصرونها.

ماذا نرجو من فتاة تعيش خمس سنوات تتعلم الأدب الإنجليزي، وقصص شكسبير، وقصص الحب والغرام؟ ماذا تتوقعون أن تتخرج الفتاة بعد ذلك؟

إن التعليم وسيلة من وسائل التغريب إذا لم يستخدم في مجاله الصحيح، وقضية التعليم قضية طويلة، ولمن أراد المزيد فأحيله على كتاب شيخنا الأستاذ محمد قطب (واقعنا المعاصر)، ولقد صدر فضل المرأة في رسالة مستقلة بعنوان (قضية تحرير المرأة).

ثالثاً: الابتعاث

إذا كان الابتعاث غرب كثيراً من أبنائنا فكيف تتصورون ببناتنا؟ لقد جر الابتعاث على أمتنا الويلات، حتى أصبحنا نرى هياكل نعرفها، ومخابر أجنبية عنا.

وهذه الوسيلة لا تحتاج إلى أرقام، فحقيقتها أكبر من الأرقام، ووضوحها أشد من الشمس في رابعة النهار.

رابعاً: اللباس والأزياء والزينة والعطور

هذه القضية يكفي أن أقرأ فيها هذا النص عليكم: يقول هاري فورد اليهودي: "إن اليهود من أجل تحقيق غاياتهم قد سيطروا على ثلاثة أمور منها الأزياء".

الأزياء يعترف اليهود أنها واحدة من ثلاث وسائل لتغريب فتياتنا.

قضية اللباس، كما قالت شاعرة غيورة:

يا بنت عمي التي حادت بملبسها

آذيت بالملبس المبتور فاطمة

إبليس راض وحزب الله في غضب ... عن المقاييس آذيت المقاييس

بنت النبي كما آذيت بلقيس

على التي فاخرت في حب إبليس

هذه هي الأزياء، وكثير من الأحباب الطيبين لا يتصور أن امرأته أو بنته حين تقف أمام الخياط يبذل لها مادة غربية، يغرب فيها أخلاقها، يقول: ثوب، ماذا فيه؟ نعم، قد لا يكون قصيراً، ولكنه أسوأ من القصير، ثوب عجيب، ضيق مشقق، مفتوح الصدر، قصير الكمين، ماذا تريدون أكثر من ذلك " كاسيات عاريات " العنوهن فإنهن ملعونات لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها.

وأما عن التشبه، فحدث عن البحر ولا حرج، ويكفي في هذا " من تشبه بقوم فهو منهم ".

أما العطور، فكل يوم تأتينا صرعة من صرعات العطور، تبتذل المرأة فيها أيما ابتذال، وتنهب جيوب بناتنا ونسائنا لتنتقل إلى خزائن الناهبين.

إن من تمعن في وسائل الإعلام فسيجد من الدعاية للعطور ما يحيره، ويجعله يتساءل لماذا تفجرت الدعاية للعطور فجأة؟ هل هذا يعني أن وسائل التغريب الأخرى قد سبقته فهو يحاول اللحاق بها أم ماذا؟

خامساً: محلات الكوافير والتجميل

هذه الأماكن من المواضع الغريبة على المجتمع المسلم، فعن القصات لا تسأل، وسل عن أي العاهرات التي تنعت بها هذه القصة لتعلم إلى أين وصل الحال ببعض _وأقول: بعض فتياتنا_.

إن تلك المآسي المنعوتة بالكوافيرات؛ لتوحي لنا إلى أي مدى وصلت حفيدات الفاتحين، وسليلات المجد من الصين إلى الأندلس. يحق لنا أن نبكي بدل الدموع دماً إذا رأينا الفرق بين امرأة تقص ظفائرها لتكون لجاماً لخيل الله المسرجة، وامرأة تقص ظفائرها لتكون أشبه بالغانية.

سادساً: إدمان الخروج من المنزل وتصويره بأنه سجن

تعددت وسائل الخروج من المنزل، حتى كأنه قد حكم على فتياتنا وبناتنا ونسائنا أن تخرج من المنزل.

التي لا تدرس تدرس، والتي لا تدرس تعمل، والتي لا تعمل تخرج إلى المستشفى، والتي لا تخرج إلى المستشفى تخرج إلى السوق، أو تخرج إلى أقربائها، ولا يظن قارئ أننا ندعو إلى أن توضع المرأة خلف أسوار، وتوصد دونها الأبواب، كلا وحاشا، ولكن يجب أن يقتصر الخروج لما لا بد منه، ولقد أرشد الله -جل جلاله- خيرة نساء الأمة -أمهات المؤمنين- "وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى" (الأحزاب: من الآية33).

وكما قال محمد قطب: "صور الأعداء لبناتنا أن البيت سجن، وأن البيت انتقاص من الحرية".

أعرض عليكم مثالاً واحداً فقط يعرف الجميع أن المرأة في الماضي إذا أرادت أن تخرج إلى السوق لا تخرج إلا لضرورة، وإذا خرجت ورأت بعض الرجال انزوت في جانب الطريق إذا كان الطريق ضيقاً، أما الآن فما الذي يحدث؟ الرجل الصالح هو

الذي لا يخرج إلا لضرورة، وإذا خرج وقابلته الفتيات انزوى حتى يخلو له الطريق؛ ولذلك أصبح المرء لا يستطيع أن يخرج بأهله إلى السوق.

إن قضية الأسواق وأوضاعها مأساة من مآسي الأمة.

سابعاً: الاصطياف في الخارج

أصبح السفر إلى الخارج للترفيه والتفرج والسياحة موضة يتسابق فيها كثير من بيوت المسلمين، وما إن يرجع هؤلاء حتى يتسابقون في أيهم أكثر مروراً بالبلدان، وتالله لقد تسابقوا في إضاعة الدين والدنيا.

يخرج الرجل مع بناته فيسلخ حياءهن كما تسلخ الأضحية، وليته عاد بالجلد، ولكنه قد نسيه هناك.

ثامناً: الخدم والسائقون

أعود قليلاً إلى الأرقام:

ذكرت مجلة اليمامة أنه يوجد في بيوتنا سبعمائة وخمسون ألف خادمة، وعدد النساء العاملات في التدريس والطب وغيره ثلاثون ألفا فقط، وهذه دراسة أعدتها إحدى الجامعات.

أيها الأحبة:

إنها دراسة تنسف كل المقارنات، وهي أبلغ من حديث الكلمات.

إنني أخشى أن يتربى جيل تصعب عليه لغة القرآن الكريم، وتلتبس عليه مفاهيمه، فتسأله عن مكة ويجيبك عن مانيلا، وأولادنا هم شباب وفتيات الأمة،

أما السائق -هذا المحرم الجديد- فيقف القلم عن الحديث عن مآسيه.

تاسعاً: محاولة التأثير على المرأة وحديث الذئاب عن حقوقها

يطرح من يلبس لبوس الراعي ويستبطن قلب الذئب مسائل حول حقوق المرأة، فمرة يطرحون قيادة المرأة للسيارة، ومرة قضية الجلوس في البيت، ومرة قضية الحرية، وأخرى حول الزواج قبل التعليم، وخامسة المجتمع يتنفس برئة واحدة، وما علموا أن المرأة في البيت كالدم للجسم، فهي محاضنه، وسادسة نصف المجتمع معطل... إلى آخر الأفكار التي تطرح، ومعروف ماذا يجري بعدها.

عفوية أم تخطيط ؟

إن ما ذكرته لكم لم يأت عفواً، ولم يأت بين عشية وضحاها، إنه مخطط تتقاصر عنده مخططات الحروب وميادين القتال. إنه إفساد وتغريب لأمتنا، وهذه هي الأدلة والبراهين، لا العواطف والتخمين.

يقول اليهود في بروتوكولات حكماء صهيون: "علينا أن نكسب المرأة، ففي أي يوم مدت إلينا يدها ربحنا القضية".

ويقول يهودي آخر: "لا تستقيم حالة الشرق -أي لهم- إلا إذا رفعت الفتاة الحجاب".

هل توقف عند هذا المكر فقط؟ لا. إلا إذا رفعت الفتاة الحجاب عن وجهها وغطت به القرآن الكريم.

وقال أحد قادة الماسونية: "كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع، فأغرقوها في حب المادة والشهوات".

وربما قال قائل: هذا حديث اليهود والنصارى، فما شأننا نحن؟ وللإجابة على هذا التساؤل أقدم بمقطوعة جميلة للمنفلوطي يقول فيها:

"ذهب فلان إلى أوربا، وما ننكر من أمره شيئا، فلبث فيها بضع سنين، ثم عاد وما بقي مما كنا نعرفه منه شيئاً".

واستمعوا إلى هذه الحقيقة التي تزيل ذلك التساؤل.

عقد المؤتمر الإقليمي الرابع للمرأة في الخليج والجزيرة العربية في 15 / 2 / 1986م في إحدى دول الخليج، وكان التركيز على قضية ما يسمى بتحرير المرأة، وهو -والله- استعبادها لشهوات المتنكرين لدينهم وأمتهم، وأصدر بعضاً من القرارات، منها:

1) لا بد من مراجعة قوانين الأحوال الشخصية في ضوء التحولات الاقتصادية والاجتماعية لدول المنطقة، ومحاولة الدفع باتجاه دراسة قانون الأحوال الشخصية العربية الموحد -قانوني علماني-.

سبحان الله! حتى الأحوال الشخصية لا يريدونها على ضوء الإسلام، في حين أن دولاً علمانية أخرى لم تتجرأ على هذا التشريع.

2) التأكيد على أهمية وضرورة النظر في الكتب والمناهج التربوية عند تناولها لقضية المرأة بما يضمن تغيير النظرة المتخلفة لأدوارها في الأسرة والعمل!

أسألكم بالله أيها الإخوة: هل فهمتم من هذه الفقرة غير النظرة الإسلامية؟ وليهنأ حكماء صهيون والمستعمرون بهذه النماذج من أفراخهم.

ثم تتابع هذه الدراسة التي لم تصغها أيد متوضئة بقولها:

إن القوانين والأنظمة التي كانت تخضع لها الأسرة قبل ألف عام لا تزال تطبق على العلاقات الأسرية في عصرنا الحاضر!! دون النظر إلى مدى ملاءمتها لنا!

وهذه العبارة هي التي كشفت اللثام عن قلوبهم المريضة، فما هي الأنظمة والقوانين قبل ألف عام؟ إنها الشريعة الربانية الإسلامية المرفرفة على أرض الله.

وهذه قرارات ليست حبراً على ورق، إنما حبر على عقول.

وتقول نوال السعداوي: إن نجاح تحقيق التنمية الحقيقية في بلادنا العربية يحتاج إلى تحرير ثقافي، ويحتاج إلى تحرير النساء من سيطرة الرجال بمثل ما يحتاج إلى تحرير البلاد العربية من سيطرة الغرب.

إن هذه مخططات وقرارات، ونحن نائمون غافلون عن هذا الميدان. يقول أحد دعاة الاختلاط في جامعة الكويت: ولعل الدرس الأكبر الذي ينبغي الخروج به من هذه التجربة كويتياً وخليجياً أن الوقوف ضد حركة التبديل الاجتماعي هو جهد باطل، وطاقة مبددة، ووقت مهدور، والتاريخ لا يرفق بالذين يرفضون الصعود في معارك القوة.

وأقول: إن الواقع شاهد في معارك القوة هذه، والله المستعان.

إذن، أيها الإخوة: هذه مخططات تجري وتنفذ على أيدي من يدعون الإسلام. يتكلمون بلغتنا، وينتسبون إلى بني جلدتنا، وبعضهم قد يصلي في مساجدنا، مخططات كانت تحاك في الليل، أما الآن فتدار في وضح النهار، وتنفذ أمام الأبصار، وهذه هي القضية وهي قضية خطيرة جداً، وأؤكد أن أساليبهم بطيئة، لكنها أكيدة المفعول.

تساؤل وبيان

أيها الأحبة:

نقول لهؤلاء الذين يدعون إلى تغريب فتياتنا: تعالوا لنتناقش بأدلة الواقع إن كنتم لا تنصاعون إلى نصوص الشريعة.

إنني أسأل كل من يريد أن يغرب فتياتنا: هل هؤلاء النساء في الغرب يعشن في سعادة وراحة وطمأنينة؟

إنني أدع الإجابة لكل ذي لب وعقل نقي من شوائب الفتنة، وذلك بعد أن يقرأ مآسيهم، وأحببت أن يكون الحديث بمنهج مقنع، وأن يشهد شاهد من أهلها.

نشرت مجلة التايم أن ستة ملايين زوجة في أمريكا يتعرضن لحوادث الضرب من جانب الزوج كل عام.

وأن ألفين إلى أربعة آلاف امرأة يتعرضن للضرب الذي يؤدي إلى الموت.

وأن رجال الشرطة يقضون 33% من وقتهم للرد على مكالمات حوادث العنف المنزلي.

ونشر مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي عام 1979م أن 40% من حوادث قتل النساء بسبب المشكلات الأسرية، وأن 25% من محاولات الانتحار التي قد تقدم عليها الزوجات يسبقها نزاع عائلي.

وذكر تقرير للشرطة الأمريكية عام 1978م أن 40% من إصابات رجال الشرطة و20%. من حوادث قتل رجال الشرطة في أوربا وأمريكا تقع بسبب وجودهم في أماكن حدوث نزاع عائلي.

أين السعادة لنساء أوربا وأمريكا؟

إن هناك 75% من نساء ألمانيا يشعرن بالخوف خارج المنزل عند حلول الظلام، وترتفع النسبة في بعض المدن إلى 85%، وقد خصصت بلدية لندن حافلات خاصة بالنساء من الساعة السادسة مساء إلى منتصف الليل بسبب الاعتداء عليهن.

يقول الرئيس الفرنسي السابق ديستان: لقد كشفت وزيرة شؤون المرأة النقاب عن الحقوق المزعومة للمرأة التي طرقت جميع أبواب الرجل، حتى أفسد ذلك المجتمع الفرنسي وفكك عرى الأسرة.

بلغ عدد المواليد غير الشرعيين في بريطانيا عام 1986م مائة وواحداً وأربعين ألف مولود، وهذه هي الإحصائية الرسمية.

نشرت جريدة الشرق الأوسط في 19 / 10 / 1410هـ مقالاً قالت في مقدمته: في أحدث دراسة بريطانية أذيعت أمس عن العلاقات الاجتماعية وظاهرة تصاعد نسبة الطلاق التي بلغت 70% بين النساء البريطانيات.

وعن مفهوم الخيانة الزوجية اعترفت 70% من المشاركات في الدراسة أنهن يدركن عقب الزواج بأشهر قليلة خيانة أزواجهن لهن مع أخريات.

بلغت نسبة الاغتصاب في أمريكا 35% من الجرائم عام 1984م، وهذه الإحصائية المسجلة رسمياً، وأكثر منها لم يصل إلى الشرطة ولم يسجل، أما حالات الرضا فتعد على الأصابع.

أيها الإخوة:

هذه هي الحالة التي يريد المستغربون والعلمانيون والمنافقون أن نصل إليها _أخزاهم الله وأذلهم ورد كيدهم في نحورهم_.

موقف عقلاء وعاقلات الغرب

قبل أن أسرد شيئاً من أقوالهم وأقوالهن أقدم هذه الحادثة: "ذهبت فتاة نمساوية إلى المركز الإسلامي بألمانيا وتبرعت بعشرة آلاف مارك، ورغبت في الزواج من شاب مسلم؛ لأنها تقول: لم يعد لنا ثقة بالرجال النصارى؛ لأنهم يعتدون على النساء".

وتقول الكاتبة آرنون: لأن يشتغل بناتنا في البيوت خوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهن بالمعامل؛ حيث تصبح المرأة ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد، ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهارة.

وتقول إحدى أساتذة الجامعات في بريطانيا وهي تودع طالباتها بعد أن قدمت استقالتها: ها أنا قد بلغت سن الستين من عمري، ووصلت فيها إلى أعلى المراكز، نجحت وتقدمت في كل سنة من سنوات عمري، وحققت عملاً كبيراً في نظر المجتمع، لقد حصلت على شهرة كبيرة، وعلى مال كثير، ولكن هل أنا سعيدة بعد أن حققت كل هذه الانتصارات؟ تجيب هي على نفسها فتقول: لا، إن وظيفة المرأة الوحيدة هي أن تتزوج وتكون أسرة، وأي مجهود تبذله بعد ذلك لا قيمة له في حياتها بالذات.

وتقول الدكتورة –أيبرين–: إن سبب الأزمات العائلية في أمريكا، وسر كثرة الجرائم في المجتمع هو أن الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الأسرة فزاد الدخل وانخفض مستوى الأخلاق، ثم تواصل قولها: إن التجارب أثبتت أن عودة المرأة إلى الحريم (1) هي الطريقة الوحيدة لإنقاذ الجيل الجديد من التدهور الذي يسير فيه.

---

(1) – لفظ أصله إسلامي يعني فصل الرجال عن النساء. وكان كثير الاستخدام في العهد الإسلامي العثماني.

وقال أحد أعضاء الكونجرس الأمريكي: إن المرأة تستطيع أن تخدم الدولة حقاً إذا بقيت في البيت الذي هو كيان الأسرة.

وقالت لاديكون: علموا النساء الابتعاد عن الرجال، أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد.

أما الممثلة والغانية المشهورة بريجيت باردو فقد سألها صحفي: لقد كنت في يوم من الأيام رمزاً للتحرر والفساد.

فأجابته قائلة: هذا صحيح، كنت كذلك، كنت غارقة في الفساد الذي أصبحت في وقت ما رمزاً له، لكن المفارقة أن الناس أحبوني عارية، ورجموني عندما تبت، عندما أشاهد الآن أحد أفلامي السابقة فإنني أبصق على نفسي، وأقفل الجهاز فوراً.

كم كنت سافلة، ثم تواصل قائلة: قمة السعادة للإنسان الزواج، ثم تقول: إذا رأيت امرأة مع رجل ومعها أولاد، أتساءل في سري: لماذا أنا محرومة من مثل هذه النعمة.

فقل للتي كانت ترى في قدوة

وكل مناها بعض طفل تضمه ... هي اليوم بين الناس يرثى لحالها

فهل ممكن أن تشتريه بمالها

أيها الأحبة:

هذا هو التغريب، وهذه وسائله، ونتائجه، ومآله، ولكن ما هو العلاج؟

العلاج

إن العلاج هو شطر العنوان الثاني إنه العفاف.

العفاف الذي توضحه وتبينه الآيات التي تأتي، وفي الاقتصار عليها كفاية، ومن أصدق من الله قيلاً.

يقول _تعالى_ لخيرة نساء الأمة: "وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى" (الأحزاب: من الآية33).

ويقول _تعالى_: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ" (الأحزاب: من الآية59).

ويقول _عز من قائل_: "قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ" (النور: من الآية30)، ثم ينتقل السياق إلى المؤمنات طالبات العفة والصيانة "وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا" (النور: من الآية31).

ويقول الحكيم الخبير: "يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ" (الأحزاب: من الآية32).

ويقول: "وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ" (الأحزاب: من الآية53).

الله أكبر. أطهر لقلوب من؟ إنها قلوب زوجات الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وقلوب خير الأمة، صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف بحالنا؟ وكيف بنسائنا؟ وكيف برجالنا؟! والله المستعان.

قنوات العفاف

أولاً: كلمة إلى المسؤولين

أقول لهم: اتقوا الله أيها المسؤولون، يا من توليتم أمورنا، وصارت الأمة أمانة في أعناقكم، أنتم مسؤولون أمام الله _جل وعلا_: " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" ويقول الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه "إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن".

أيها المسؤولون عن بناتنا، أيها المسؤولون عن إعلامنا، أيها المسئولون عن أمورنا: اتقوا الله فينا، أدوا أمانة الله كما ائتمنكم عليها، وإلا فستتعلق بكم الأمة يوم القيامة، ويقولون: يا رب هؤلاء خانوا الأمانة، فاقتص لنا منهم.

ثانياً: كلمة إلى المصلحين من دعاة وعلماء وطلبة علم

أيها الأحبة: إن مخططات الأعداء وكيد الكائدين أكبر من أن نختلف عليها إلى مسائل لم يفاصل عليها سلف هذه الأمة وخيارها، كما يجب أن نحرص على سلامة المنهج في هذا الشأن وشأننا كله "وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً" (الأنفال: من الآية25).

ثالثا: كلمة إلى المجتمع

إنني أتساءل كيف دخلت كثير من العادات السيئة إلى مجتمعنا، كيف انسقنا وراءها بدون نظر ولا روية؟ المناسبات الدخيلة، والعادات المستهجنة، وما قضية الأسواق المتردية، وما الخدم والسائقون إلا أمثلة على ذلك.

أيها المجتمع:

لا بد أن تحمي نفسك من مؤامرات أعدائك "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ" (الأنفال: من الآية24).

رابعاً: كلمة إلى كل قيم

إنها دعوة لأن يصون كل قيم من تحت يده من زوجة أو بنت أو أخت، أو ممن ولاه الله أمر رعية، فهن –والله– أغلى وأثمن من جواهر الدنيا وكنوزها، والمتربصون بنا كثر: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ" (التحريم: من الآية6).

وأدعوه إلى أن يؤدي حق القوامة التي أودعها الله إياه، وأن يقتنع بأن للمرأة دوراً يجب أن تؤديه في مجتمعها وبيتها، وعليه أن يعدها لذلك.

خامساً: كلمة إلى العفيفة

إلى التي تعلم عظم الأمانة الملقاة عليها، إلى من يقفن على ثغرة من ثغور المسلمين، فالله الله أن يؤتى الإسلام من قبلهن، إلى اللائي ترخص عليهن النفوس والأموال في سبيل الله، وإلى اللاتي ينشدن:

أصون عرضي بمالي لا أدنسه ... لا بارك الله بعد العرض في المال

أقول لك أختي الكريمة: إن هناك واجبات عليك لمواجهة كل المتآمرين ضد دينك وعفافك وكرامتك وحيائك، ومن تلك الواجبات:

أ- العلم الشرعي:

أقول للعفيفات من فتيات الأمة: عليكن بالعلم الذي ينير بصائركن، فما سما رجال ومجاهدو هذه الأمة إلا بوجود قيادات للتموين الداخلي، فحين كان الرجال على الثغور كانت النساء نعم المعلمات لأطفالهن، بل ولقد كان في الأمة قيادات علمية نسوية يشار إليها بالبنان، فما عائشة ولا أم سلمة إلا أمثلة ساطعة على ذلك.

إننا نريد العلم الحقيقي، لا العلم المزيف، نريد العلم بالله وبشرع الله، ونريد اعتناء بسير الصحابيات وسلف هذه الأمة اللاتي يمثلن مشاعل من نور للسائرين على الطريق.

وإنه لمما يعلم أن المرأة تقبل من المرأة؛ لأن كلا منهما تمثل أحاسيس وشعور الأخرى، فإذا تحدثت أو كتبت فالقبول منها أكبر.

ب- العمل بذلك العلم:

إن كل فتاة تعلمت وعلمت وفطنت لمؤامرة الأعداء عليها ثم تنساق وراء تلك المؤامرة ليخشى عليها أن تكون ممن يلحق بها الوعيد لمن لم يعمل بما علم (1). جـ- أن تكون المرأة داعية:

وإن من الواجبات على الفتاة أن تكون داعية في بيتها وفي مجتمعها وفق ضوابط الشرع وأوامره، فكم سمعنا عن منارات يهتدى بها في ليل التغريب من فتيات صالحات ونساء قانتات كن سبباً في صلاح بيوتهن وأخواتهن _وفقهن الله للسداد والصواب_ "وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً_ (فصلت: من الآية33).

وصدق من قال في هذه الأمور السابقة:

والعلم زين وتقوى الله زينته

وحجة الله يا ذا العلم بالغة

تعلم العلم واعمل ما استطعت به

وعلم الناس واقصد نفعهم أبدا

وإن تكن بين قوم لا خلاق لهم

فإن عصوك فراجعهم بلا ضجر ... والمتقون لهم في علمهم شغل

لا المكر ينفع فيها لا ولا الحيل

لا يلهينك عنه اللهو والجدل

إياك إياك أن يعتادك الملل

فأمر عليهم بمعروف إذا جهلوا

واصبر وصابر ولا يحزنك ما فعلوا

د- ممارسة التربية الصالحة:

إن التربية الصالحة ليست كلمات تتلا، ولا عصا ترفع، إنها حياة كاملة فيها اللين والرقة، كما أن فيها الشدة والحزم، وصدق شاعر النيل حين قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعباً طيب الأعراق

نحن نريد الأمهات كخديجة وعائشة وأمهات المؤمنين _رضي الله عنهن أجمعين_، نريد كأم سليم وبنتي عاصم.

نريد من نسائنا أن يعددن أبناء الأمة للجهاد في سبيل الله، ولحمل راية الإسلام مهما واجهوا من متاعب ومصاعب.

وإن الأم التي تبكي وجلاً وخوفاً كلما ذكر الجهاد، لا يمكن أن تخرج يديها مثل أبناء الخنساء.

هـ. القدوة الحسنة:

وإنني أذكر أنه لا تربية بغير قدوة، فإن من تلهث وراء وسائل التغريب ليست أهلاً لأن تكون قدوة لأبناء كابني عفراء اللذين انقضا على أبي جهل كالصقرين، فكانا سبباً في قتله.

و- الوعي بمخططات الأعداء:

إن كل عفيفة تملك علماً لا بد لها من وعي تتقي به -بعد حفظ الله- مخططات أعدائها، وأسأل الله أن أكون قد وفقت لعرض شيء من مخططاتهم، فما الأزياء ولا بعض مظاهر الإعلام إلا حبائل ينصبها أعداؤنا لنا، فلتكوني أختي العفيفة سداً منيعاً ضد هذه المخططات بوعيك والتزامك.

ز- المحافظة على الوقت:

صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيم أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه "

فإن من علمت أنها سيسألها الله عن كل لحظة من لحظات عمرها حري بها أن تقف وقتها على _رضى الله تعالى_، وما ينفعها في دنياها وأخراها.

ح- التخلق بخلق الحياء:

إذا كان الحياء في الرجال جميل فهو في النساء أجمل، فهو التاج الذي تعتز به كل امرأة سوية، وفقدانه هدم لكيان أخلاق المرأة ومسخ لفطرتها.

وإن الواقع ليشهد مظاهر تنم عن خلع هذا التاج عن جبين مجموعة من النساء، فإن من يعلو صوتها في ممرات المستشفيات والأماكن العامة، ومن تزاحم الرجال في أماكنهم لهي بائعة لهذا اللباس.

فالله الله أن تعدمي الخير أيتها العفيفة، فإن الحياء لا يأتي إلا بخير.

الرضا بما أعطاها الله:

أقول لأختي المسلمة: عليك بالرضا بما أعطاك الله، فهو الخالق، وهو العالم بما يصلح لخلقه، وإن هذا الرضا من تمام العبودية له _جل شأنه_.

---

(1) - للاستزادة يراجع كتاب اقتضاء العلم للعمل للحافظ الخطيب البغدادي بتحقيق شيخنا الألباني.

وأكتفي بهاتين الآيتين في هذا الباب ومن أصدق من الله قيلاً: "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً" (الأحزاب:36)، وقول الحكيم الخبير: "وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً" (النساء:32).

وختاماً

إن ما بين هذه السطور من آيات بينات، وأحاديث شريفة، وحقائق جلية، وأرقام واضحة إنما هو عمل أريد به أن أضع الأمة أمام مسؤولياتها؛ لندرك سوياً الخطر المحدق بنا، وأن سنة الله لا تتغير ولا تتبدل حين توجد في الأمة دواعيها.

ومن تفكر في الأمم حوله أدرك أن الذنوب سبب لأخذ الله _تعالى_ وبطشه "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ" (النحل:112).

وقوله _عز من قائل_: "وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً"(الإسراء:16).

وما هذه الوقفات إلا جهد مقل مناه أن يرى أمته قد علت راياتها، واستقامت على طريق الهدى مجتمعاتها.

أليست الأرض أرض الله؟ والعبد عبد الله؟ والشرع شرع الله؟ فلا مكان في أرض الله لعبد الله إلا شرع الله.

اللهم احفظ فتيات المسلمين من كيد الكائدين وتربص المتربصين، واجعلهن بالصحابيات مقتديات، وعن الضلال معرضات، وللكتاب والسنة مقتفيات.

اللهم أقر أعيننا برؤية زرع الإسلام وقد استوى على سوقه، يعجب الزراع لنغيظ به الكفار، إلهنا إله الحق.

ناصر بن سليمان العمر

================

الفتيات السعوديات والابتعاث إلى الخارج

أحاسيسٌ مضطربة...وأنفاسٌ متتابعة...وأحلامٌ كالنجوم هنا وهناك متناثرة....

مشاعرٌ تنتابها وهي تُعد حقائب السفر التي وضعت بداخلها ما يلزمها في تلك الرحلة الطويلة.....رتبت أمورها ، ونسقت المطلوب من أوراقها....وحلمها الكبير يُلامس جنبات قلبها...ويتربع على عرشه.....

كل شيء قد تم ترتيبه، ولم يتبقى إلا أن تودع أهلها....ولا تعلم هل من لقاءٍ ثاني بعد هذا اللقاء أم لا......؟؟؟؟

لكن.....نسيت أن هناك ثَمة أشياء كثيرة لا بُد لها أن تعرفها...وأمورٌ لا بُد أن تفهمها...

ونقاطٌ لا بُد لنا أن نوضحها...لأننّا لها مُحبين...وعليها خائفون..

خطوطٌ مترابطة نحاول أن نفككها معكم في هذه الأسطر... لنقدمها إلى كل فتاة خارج الحدود يراودها تفكيرها من أجل الدراسة....ونسوقها إلى المبتعثات خارج الوطن...

نظراً لما لهذا الموضوع من الأهمية العظمى والخطورة البالغة...كيف لا؟؟ وبعض المبتعثات يسافرن وهن صغيراتٌ لم يتجاوزن العشرين من أعمارهن...!! أفكارهن لم تنضج...وعواطفهن لم تستقر...والتحصين العقائدي والفكري لدى البعض منهن ضعيف.....

تذهب الفتاة إلى هناك....حيث أبوابٌ من الفتن والفساد أمامها مفتوحة...لا رقيب ولا حسيب إلا ما شاء ربي....

أرضٌ غير أرضها...وعادتٌ غير عاداتها...أفكارٌ وثقافة وبيئة ومجتمع وحضارة لم تعهدها من قبل...

- فهل تستسلم الفتاة لتلك الأفكار والاتجاهات والسلوكيات الغربية أم لا...؟؟
- وهل ستستجيب لضغوط الحياة في الثقافة الغربية وتتأثر بها...؟؟
- هل ستحافظ الفتاة على حجابها وحيائها وعفافها كما هي في بلادها...؟؟
- وهل ستكون سفيرةٌ للمرأة المسلمة المتمسكة بتعاليم دينها بكل فخرٍ وعزة..؟

أسئلةٌ كثيرة تتزاحم بين أسطرنا ، وها نحن نبحث عن إجابتها معكم...

مساحة للآراء :-

س1/ لو حصلتِ على بعثة دراسية في الخارج هل تقبلين...ولماذا؟؟ وإذا لم تجد الفتاة المبتعثة محرمٌ يُرافقها...فما الحل في نظرك..؟؟؟؟

سؤالٌ طرحناه على بعض الفتيات فكانت هذه آرائهن....

• مها الدلبحي (أقبل إذا كان التخصص غير متوفر في بلدي ، بشرط وجود المحرم معي ، والسبب زيادة طلب العلم... أما إذا لم يتوفر المحرم فلا ضرورة للذهاب... فالعلم قد تقدم... ونستطيع الدراسة عن طريق الإنترنت)

• هيفاء الشمري (لا أقبل البعثة حتى بوجود المحرم....فيكفيني صوت الأذان في بلدي كيف أتركه.... أما من تريد البعثة ولم تجد محرمٌ يرافقها فلا تذهب...ولن يحصل في الدنيا شيئا إذا لم تذهب!!!!)

• فاطمة الربيعان (أرفض فكرة البعثة.... لأني أخاف أن أتأثر بأخلاق الغرب ، أما إذا لم تجد الفتاة محرم يرافقها فلا تذهب)

• مشاعل (أفضل الدراسة في بلدي، لأن ما سأحصل عليه في الخارج سأحصل عليه في بلدي....أرفض فكرة البعثة بمحرم أو بدون محرم)

• وضحى (لن أقبل بها...لأني لا أستطيع أن أفارق بلدي....ومن لم تجد من يرافقها فالأفضل أن تجلس في منزلها حتى تجد لها محرم أو حتى تتزوج!!)

• ن.هـ طالبة جامعية (لا.. لا أقبل لما رأينا من قبح أفعالهم بالمبتعثين!! فما الذي سنستفيده من قوم يقترفون أبشع القبائح والاضطهاد...أما إذا لم يوجد محرم لا تذهب الفتاة لأننا متمثلون لشرع الإسلام الذي يأمر بأن لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم لما ستجره هذه البعثة من ويلات لا تُحمد عقباها).

• نوره السبيعي (لا أقبل بها إلا إذا كان شيء مصيري...لأن بلادنا فيها الأمن والأمان الذي لن أجده في بلاد العالم الأخرى...إذا لم يوجد محرم فلا تذهب الفتاة لأن المرأة دورها في بيتها أولى)

• العنود الدوسري (أقبل بالبعثة...بشرط أن تكون في البلاد العربية المجاورة..لأن المجتمع هناك سيتقبلني كما أنا في بلدي بعباءتي فلا أكون مُحرجة...وإذا لم تجد الفتاة محرم يرافقها فلا تذهب لأن العادات والتقاليد لا تقبل بذلك فما بالك بالدين!!)

ضيف اللقاء:-

الإبتعاث للخارج...كم من فتاةٍ أشغل تفكيرها....وكم من فتاة أصبح من أحلامها...وكم من فتاة كان الإبتعاث جسر آمالها.....

لذا لنتوقف مع هذه الكلمات الرائعة للشيخ / عبد الله العيادة... داعية ومستشار اجتماعي وأسري ، وموجه في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقصيم فيقول أثابه الله : النفس في هذه الحياة لها رغبات ورغبات.... وهذه الرغبات تتخيل وتترجم حسبما يمنح الله العبد من العقل ، والقدرة على التفكير السليم... وترجمة هذه

الأفكار إلى واقعٍ ملموس محسوس... ومن نجاح الأفكار والطموحات أن تكون ترجمتي لهذه الأفكار منضبطة بالشرع الذي أدين فيه... ومنسجمة مع واقعي الذي أعيشه... فإذا عملت هذا أتت هذه الأفكار ثماراً يانعة... وتذوقت حلاوتها....

أما إذا كانت أفكاري انبهارية... تحدد مسارها الأضواء الكاشفة... والخيالات البراقة.. القادمة من خارج الحدود... فقد أكون فريسة سهلة الاصطياد... ويتبعثر وقتي.. وتمر لحظات الشباب دون أن أتمكن منها، ودون أن أسجل فيها أي نجاح يذكر... وقد تكون لحظة تمر علي لم اقدر أن احسب حسابها... خدعتني فيها لحظة ضعف... فانسقت وراءها... وإذا بي اسقط في بئر لا قرار لها...!! فما أصعب الندم بعد ذلك مثل قول هذه التي اختصرت مأساتها بأبلغ عبارة وأوجزها :

قالت : رن جرس الهاتف .

فأسرعت إليه بلهفة وشوق .

كان هو ... فكنت الضحية ..؟!!

السفر.. والطموح.. والعلم.. والرؤية.. واكتساب الخبرات... رغبات يسيل لها اللعاب... الذكية التي تعرف كيف تحصل عليها بأقل التكاليف.. وأيسر الطرق.. ودون عناء أو جهد.. خاصة إذا كانت الوسائل متوفرة وفي متناول اليد.. وفي بيئة آمنة... بهذا يتحقق ما نصبوا إليه... وهو إخراج جيل من البنيات نفتخر فيهن ليحملن الراية التوعوية والتثقيفية.. وبث الخير ونشر الفضيلة في المحيط النسائي المحاط بسياج العفاف... والذي نحن بأمس الحاجة لأن يبقى متماسكاً قوياً... يقف سداً منيعاً في وجه تيارات التغريب ومحاولات الانسلاخ.. وقلع الثوابت لهذه الأمة.... من هي التي تتدبر ..؟

وأنا اشكر أسرة هذا الموقع الذين أتاحوا لي هذه الفرصة... وأثاروا هذا الموضوع الهام للتحدث عنه... ومحاورة بعض الفتيات عبر مساحته... ممن يفكرن في الابتعاث خارج الحدود... لإيضاح ماهي العواقب والنتائج من جراء هذا السفر.... الذي صار هو الشغل الشاغل لكثير من الشباب والشابات... وصار خيالاً يُداعب أفكارهم وأفكارهن ....

وأنا لا اعترض على السفر بحد ذاته... ولكن بشرط أن يكون وفق أسس وضوابط مستمدة من تعاليم هذا الدين العظيم... الذي من تمسك به سيكون النجاح والفلاح حليفه بإذن الله .....

س1/ (أنا واثقة من نفسي)....كلمة كثيراً ما تُرددها بعض الفتيات لزرع ثقة الغير فيها... وأنها على قدرٍ في تحمل المسؤولية...فهل الثقة بالفتاة تكفي لحفظها مما حولها من فتن؟؟

ج 1 . الثقة هي إحساس مخادع لبعض الناس... يجعله يقدم على فعل معين لم يحسب حسابه بشكل علمي مدروس... فيجعله رهينة لخسارة فادحة...

هناك أشياء يمكن تعويضها إذا خسرناها هذه أمرها يسير...ولكن هناك أشياء لا يمكن تعويضها... وهنا تكمن الخطورة.. أن نخسر ونحن نظن أننا نثق بأنفسنا.. وإننا نتشح برداء الثقة المزيفة.

المرء منا يا أبنتي... لا يعيش لوحده في هذا الكون.. بل يتصارع مع أمواج هائلة من العقبات.. النفس.. الرغبة.. الهوى.. الشيطان.. الناس المحيطون به.. كل هؤلاء يشكلون الحياة معنا.. وقد لا نستطيع أن ننفك عن هذه الأمور.

وأنتِ عندما تقولين أنا واثقة من نفسي هذا صحيح... لكن ألا تملكين حاسية الانبهار وتذوق الجمال ، والطرب للثناء والمديح ..؟ الإجابة ستكون نعم...كلنا كذلك.. نحن نحب من يمدحنا ونطرب له... فمن هنا قد يلدغ الواثق من نفسه.. من مأمنه.....

فهل تثقين بالشيطان ..؟ الذي يوسوس ويزين ويخادع..؟ وهل تثقين بتلك النظرة من ذلك الشاب.... الذي أرسلها محلاة بابتسامة.. وقع معها كلمة إعجاب فقط قائلا: أنا لا أريد شيئا... أنا أريد اثني فقط على هذا الجمال... ألا تطربكِ هذه الكلمات .....؟ إذاً تحمل المسؤولية ممكن.. إذا كنت مُحاطة بسياج يقطع الطريق على هذا المتربص.. وعلى مثل هذه المواقف... والذي يقطع ذلك . بإذن الله . هو التقوى والخوف من الله.. ثم من الإشباع العاطفي.. من مصادره التي شرعها الله.. وهي الإشباع من محيط الأسرة... ثم من الزواج بعد ذلك... لأنكِ ستكونين هناك في مجتمع يعج بالمعروضات التي تبهر عيون الناظرين... وليس هناك رقيب ولا

حسيب... إلا من بقايا ضمير ووازع إيماني.. كالذي جعل الدكتورة (الطويرقي) تبقى على حجابها.. دون الالتفات إلى المكان الذي هي فيه.. ألا يمكن أن تكونين كذلك....؟ فما هو المقياس لذلك....؟

ابنتي.... لا تخدعنكِ هذه الكلمة... كم أوقعت من (غزال شارة اصطادها الذئب بسهم الثقة... فاردها وقد فقدت بصيرتها)

وأسوق لكِ هذه القصة الحقيقية.... حضر إلي رجل قائلا: أرسلت ابنتي للدراسة في فرنسا لوحدها.. لأني قد ربيتها ووثقت بها أيما ثقة... وبعد شهر تعرفت على شاب من بلدنا يدرس معها... وبدأت اللقاءات ، وحل الواجبات ، ثم حدث ما لم يكن بالحسبان... فقد زين الشيطان لهما ، لأنه كان ثالثهما... فقد استضافها يوماً في غرفته.. فوقع الفأس في الرأس .. ثم انخرط الأب في البكاء قائلا: ماذا افعل..؟ وأنا الذي قد وثقت في ابنتي، ثم سألني ماذا أفعل الآن.....؟

وأنا بدوري يا ابنتي أحيل هذا السؤال لكِ....ما رأيكِ..؟

هذه القصة ليست من نسج الخيال... بل واقع حدث..

والابتعاث في حد ذاته أمر لا غبار عليه ، إذا توفرت عناصر النجاح والحماية اللازمة....فالأمة بحاجة إلى بعض التخصصات النادرة .

****

س2/ إبتعاث الفتاة وحدها للخارج للدراسة له أضرار ومساوئ قد يجهلها البعض...هل بالإمكان التطرق لهذه الأضرار؟؟

ج 2 : لا شك أن للابتعاث أضرار... كما أن له فوائد.. ولا بد أن نكون منصفين في هذا كما قال تعالى: (وإذا قلتم فاعدلوا..).

والخلل والأضرار ، قد يشترك فيها المبتعث والبيئة التي سافر إليها ، فان أحسن التعامل والتعاطي معها ، خرج بنتائج تحقق له مقصوده... ولكن إن اعتمد المسافر على عوامل الثقة بالنفس .كما أسلفت .وتغافل عن حجم الأضرار التي ستعترض طريقه فقد يكون فريسة سهلة للضياع .

إذاً.... لزاماً أن نذكر بعض الأضرار التي نبتت كالطحالب هناك... وصارت ملء الأشواك التي تصطاد الغرباء الذين تحيط بهم الغفلة أو السذاجة كما قال حذيفة رضي الله عنه: كان الناس يسألون رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن الخير وكنت اسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه...

ومن هذه الأضرار ما يلي :

• الخطر العقدي:

من أهم ما يملك المسلم هو المعتقد السليم... الذي يجعله يؤدي شعائر دينه على بصيرة وهدى.. تجعل هذه الشعائر تكون مقبولة عند من فرضها سبحانه وتعالى ، لأنها لابد أن تكون موافقة لما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم.... والمسافر إلى تلك البلاد قد يواجه حججاً غُلفت برداء المنطق... فتبدو براقة لأول وهلة.. خاصة أنها قد تُكسى بحلل الدفاع عن المطحونين في بلاد الشرق، لأمر يراد، فتنطلي هذه الحيل على الضعفاء، فيسيروا خلف هذه الأفكار.. فلا يحسوا بأنفسهم إلا وقد تشربوا هذه الأفكار، وطبقوها.. ومن ثم إذا عادوا إلى أوطانهم ، قد يدعون إليها ويدافعون عنها ، فهنا تكون الهلكة!! والتي من أشدها أن يطعن المسلم في ثوابت قد تشربها منذ نعومة أظفاره... ويراها أغلال وسدودا تعود اللحاق في ركب الحضارة. (؟!)

• الخطر القيمي:

المشاهد اليوم أن بلاد الغرب وغيرها قد انسلخوا من القيم التي تجعل الأخلاق هي المنظر السائد في الشارع العام ، فأنت إذا سرت في أي ميدان أو شارع عام تجد المناظر التي تجعل الحليم حيرانا.... فتجد صور النساء قد لاصقت على الجدران وواجهات المحلات التجارية... وهن يعرضن مفاتنهن من اجل التسويق لفيلم أو منتج زراعي أو مبيد حشري... فما هي العلاقة بين هذا المنتج ومفاتن المرأة..؟ أو تجد المناظر المباشرة على الشواطئ أو الحدائق العامة، حيث تجد النساء وهن (يتمرغن) على رمال الشاطئ أو أعشاب الحدائق وهن شبه عرايا....... الخ.

كل ذلك يجعل هذه المناظر تبدو بعد المشاهدة اليومية تكون مألوفة للناظرين... فلا يجدوا حرجا من الدعوة إليها إذا عادوا إلى أوطانهم.. وهذا مسموع ومحسوس، ومشاهد وكما قيل: إذا كثر المساس قل الإحساس....

• الدعوة لحرية الفرد على حساب المجتمع والقيم:

فأنت ترى اليوم كثير ممن ذهبوا لتلك البلاد بدؤوا يدعون لهذا... وهي الدعوة لممارسة الحرية بكل أشكالها... في العبادات والممارسات... والبقية لا تخفى على كل ذي عقل منصف.

• الدعوة إلى التخلص من إطار الأسرة:

بأن تختار الفتاة ما تريد من الأصدقاء... والخروج متى شاءت... وكذلك الزواج ممن تحب على الطريقة الغريبة (؟!) وهذا يأتي من الانبهار الذي خطف عقول كثير من السفهاء، وانجروا خلف هذا الزبد، إلى درجة أن إحداهن تعقد قرانها وبشكل معلن من غربي... ملغية بذلك كل قيم مجتمعها، بسبب هذا الانبهار.. متناسية ما فعله الغرب بقيمنا وهو الهجوم على ديننا ، والهجوم على أوطاننا في وضح النهار.... هذه بعض الآثار ، واعرف أن الكثيرات يعرفن أكثر من ذلك .

****

س3/ يرى البعض أن اعتراض الأهل ورفضهم لفكرة إبتعاث الفتاة للدراسة خارج وطنها يعتبر وأد للفتاة لكن بطريقة أخرى...وحرمانٌ لها من حقها في طلب العلم...فهل هذا صحيح...؟؟

ج 3 . دائما من يريد التخويف من أمر، يقحم عبارات مخيفة من اجل التسويق لمبدأ الخوف.. ليتم له ما يريد.. عندما نسمع مفردة (وأد)، وهي قتل الفتاة وهي صغيرة، بدسها في التراب حتى الموت.. هذا قد طبق في الجاهلية، وجاء الإسلام بنظامه الذي اخرج المرأة من الرق إلى الحرية، وجعلها رقما مهما في جسد الأمة.

أقول : هذه العبارة دائما نسمعها عندما يتعلق الأمر بالمرأة ، من قال إن عدم السماح للسفر للدراسة والابتعاث وأد للفتاة....؟ لا احد يقول بذلك... ولكن لابد أن يكون مع هذه الجوهرة الغالية، حارسا لها من اجل حمايتها من قطاع الطرق

واللصوص... وخير حارس لها هو الزوج.. لقطع الطريق على المتربصين بها، وقد تتعرض الفتاة للفتنة حتى ولو كانت مع محرم لها غير الزوج.
والآن كثير من التخصصات متوفرة في بلدنا والحمد لله.. وإذا كان الأمر هاماً وضرورياً ولا تقوم حياتنا إلا بهذا الأمر الذي ستسافر هذه الفتاة من اجله... هذا ضرورة، والضرورات في شريعتنا لها أحكام... فلا تنطلي عليك يا ابنتي الحيل التي تخدعك... فما أكثر المجالات التي تستطيعي من خلالها تحقيق ذاتك... وطموحاتك دون أن تتعرضي لمشاكل السفر، ونحن لا نعيش يا ابنتي عمرنا مرتين .
****

س4/ قد تقول أحداهن: "أطلب العلم من المهد إلى اللحد...وأنا لم أذهب من أجل الاستجمام والتنزه، وإنما من أجل العلم والاستزادة به......فما تعليقكم على ذلك؟؟
ج 4 ماذا تريد من العلم هناك ..؟ ألا يوجد هذا العلم هنا ..؟ إذا كان لا يوجد فلا بأس... بشرط أن يصطحبك حارس قوى وأمين... فلست رخيصة علينا.
****

س5/ كيف تحافظ الفتاة المسلمة على عقيدتها ونفسها وذاتها وكيانها مما حولها من فتن في تلك البلاد المُبتعثة إليها؟؟
ج 5 . عندما أتمسك بشعائر ديني ، عن حب وقناعة وإخلاص... ثم أمارسها عمليا.. سأكون في مأمن من هجمات الشيطان... الذي يوسوس وينزع، ويدعو إلى الانسلاخ منها... وعليه أكون في مأمن من الهجمات الجائعة من عيون اللصوص.. ومن أهمها أن يكون معي حارسي الشخصي... وهو التحصن بالتمسك بما أمرت به ، مثل التستر والحجاب ، والابتعاد عن مواطن التهلكة ، وتأدية الفرائض في وقتها ، وأكون مع محرمي الذي يحرسني بعد ربي ليل نهار.
أقول إن بليت هذه الفتاة بالسفر... ستكون في خدر، وحراسة آمنة، بإذن الله.
****

س6/ يتساهل البعض في مسألة ضرورة وجود المحرم مع الفتاة المبتعثة.... وأنه لا داعي لوجوده ما دام أنّ الفتاة بالغة عاقلة....ما نصيحتكم لمثل هؤلاء؟؟

ج 6. تأملت كثير من النصوص الشرعية فخرجت بنتيجة.... أن النجاح والفلاح في تطبيقها.. ومنها على وجه الخصوص ، المحرمية للمرأة.... وذلك استجابة لقول رسولنا وقدوتنا، وقرة عيوننا، الذي لا يأمرنا بأمر إلا فيه الخير والصلاح لمن استجاب له... وهو رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم والذي قال: "لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم"... ولا تفهمي من هذا يا أبنتي أن في هذا تعسف لكِ ، وتقيد لحريتك.... أبدا... بل هو شرف لكِ.. فهذا المحرم يكون حارسا لكِ وخادما.... والدليل انك إذا كنت في سفر معه، وأردت شيئا تأكلينه أو تشربينه يأتيك به وأنت جالسة كالملكة في مقعدك.. ماذا يسمى هذا ..؟ ولو لم يكن في هذا التطبيق إلا الامتثال ، لكان فيه الخير العظيم لكِ.

واذكر في يوم من الأيام ، كنت مسافرا في رحلة داخلية في الطائرة... وكان بجوار الكرسي الذي اجلس فيه من الجهة المقابلة... جلست امرأة مع طفل لها، وعندما أقلعت الطائرة، حصل عطل بها، فحصل هرج ومرج في الطائرة.... واخبر قائد الطائر أننا سنغير وجهتنا.

فبكت هذه المرأة...

فقالت لها المضيفة ما بك.؟

قالت: ما معي احد ؟!

ولكن الله سلم.. حيث عادت الطائرة إلى المطار الذي أقلعت منه....ماذا لو اضطرت هذه الطائرة أن تهبط في مطار غير الذي أقلعت منه... ماذا سيكون حال هذه المرأة..؟

إذا المحرم لكِ يا ابنتي هو الحارس الشخصي... ولو تتأملين زعماء العالم... يدربون أقوى الشباب ، ويغدقون عليهم الأموال الطائلة ليكونوا حراسا لهم .

وأنتِ هذا الحارس يخدمك ويطيعك، ويعطيك المال.

****

س7/ هل هناك شروط ينبغي أن تتوفر في المحرم المرافق للفتاة....أم أن أي محرم للفتاة يكفي حتى لو كان شابٌ لم يتجاوز العشرون من عمره المهم أن يكون قد بلغ سن الرشد؟

ج7 . أهم شروط المحرم... أن يكون مثل ما اشترطت بنت شعيب عليه السلام (القوي الأمين) ومن كان قويا وأمينا يستطيع أن يحافظ بعد الله على هذه الجوهرة الثمينة.... وركزي يا أبنتي على: قويٌ وأمين .

****

س8/ خطوطٌ حمراء.....نضعها تحت أمورٌ يجب على الفتاة أن تقف عندها.... ولا تتجاوزها سواء كانت في بلدها أو في بلادٌ أخرى....نرجو من فضيلتكم ذكرها؟؟

ج 8 . إذا كان ثمة خطوط حمراء... أو زرقاء.. لوضعها أمام هذه الجوهرة لتقف عندها، هو خط واحد... لا يراك الله حيث نهاك.. وما أصعب أن نفقد شيئا لا نستطيع رده، ويبقى اثر جرحه لا يندمل، حتى بعد الرحيل عن هذه الدنيا... (احسب انك فهمتي هذه الشفرة يا أبنتي) . وأعظم الألم ، هو الم الندم... لأنه إحساس لا نستطيع إبعاده عن ذاكرتنا .

****

س9/ رسالة توجهها لمن حملت أمتعتها وحقائبها... متوجهةٌ لخارج البلاد من أجل الدراسة؟؟

ج 9- بعدما حملتي حقائبك إلى هناك ، أقول لكِ: يا أبنتي قد لا نلتقي ، وقد لا تعودين... وقد تعودين محملة بأعلى الشهادات... فان كان ذلك في مرضات الله فلك البشرى... وإن كان غير ذلك، ففقي ألف مرة.. وتأملي قبل وأنت تضعين قدمك على سلم الطائرة... أننا مسئولون عن كل لحظة في حياتنا.. وكل فعل يصدر منا ، (فوربك لنسألنهم أجمعين ، عما كانوا يعملون)..... فماذا سنقول ..؟

اسأل الله العلي القدير أن يجعلكِ جوهرة مصانة ، وان يحرسك بالعفاف والطهر والتقوى... وأن لا يجعل الدنيا اكبر همنا ومبلغ علمنا، وان يوفقنا إلى ما يحب ويرضى....إنه سميع مجيب . وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين.

صورة مؤلمة....

يذكر أحد الطلاب في موقع الملتقى السعودي بأمريكا (ملتقى الطلبة السعوديين) هذا الخبر المؤلم... فيقول (فتاة مُبتعثة.... تعرفت على شاب أمريكي...وقد عرض

عليها الزواج...فطلبت منه أن يُسلم...فوعدها بالتفكير في الأمر والرد عليها!! وهذه الفتاة تسأل عن رأي المجتمع هل سيتقبل الفكرة أم لا....؟!!)

للأسف هذا نموذج بسيط لما قد تتعرض له الفتاة هناك بسبب الاختلاط..فتحّكم عواطفها في الأمور بدلاً من عقلها....وهنا تبدأ المشكلة.....!!!

هل تؤيد إبتعاث المرأة للدراسة في الخارج..؟؟

استبيانا طُرح في موقع منتديات مدينة الرياض...فكانت نتيجة التصويت كالتالي:

نعم 38,78%

لا 61,22%

استوقفتنا إجابة أحد الشباب حين قال:" نخاف على الرجل إذا ذهب هناك....نخاف على دينه ، وعلى خُلقه...فما بالك بفتاةٍ ضعيفة..؟؟!! نعاني من مشاكل بعض فتياتنا في الداخل من معاكسات واغتصاب...فكيف لنا بمن هي خارج الوطن..؟!!)

إجابة كانت صريحة وواضحة....ولكن من يفهمها......؟!!

الإبتعاث ومخاطرة:-

"تحدث أستاذ التاريخ في الجامعات الغربية (برنارد لويس).... في كتابه (الغرب والشرق الأوسط) عن أسباب ابتعاد المسلمين عن دينهم وقبولهم معتقدات الغرب....وأثبت بالأدلة والبراهين بأن دعاة التغيير...وطلائع الذين حاربوا الإسلام وحملته...هم من الطلاب الذين عادوا من ديار الغرب مبهورين بالاختلاط والسفور والتبرج والديمقراطية المطلقة.... التي لا يحدها خُلق...ولا يضبطها دين" (1)

فإذا كانوا الرجال تأثروا بما عند الغرب....وهم أنضج فكراً...وأقوى عزماً من النساء...فكيف بالمرأة التي سرعان ما تنبهر بالأضواء اللامعة...والمغريات الفاتنة؟؟!!

ختاماً:-

يا من عزمتي على السفر... تذكري أن هناك أجواءٌ ملوثة....وأخطارٌ متوقعة...وتحررٌ منفتح....ومتاهاتٌ ملتوية....فكوني على حذر...وتذكري بأن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

المراجع

1- مجلة المجتمع العدد 265

==============

كي لا نسقط في الهاوية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فقد أخفق العلمانيون في محاولتهم إقناع الأمة بأفكارهم، واستمروا على اختلاف اتجاهاتهم شراذم قليلة معزولة لا تمت إلى عامة الأمة بِصِلَةٍ، وبعد فترة طويلة اتجهوا إلى تطوير استراتيجيتهم؛ فمن محاولة التأثير على الأفكار إلى محاولة تغيير السلوك والأخلاق وتفكيك الأسرة وإفساد المجتمع وطمس هويته من داخله، والقيام بتفريغ عقول الأمة من قيمها وإغراقها بالشهوات من دون ضابط شرعي أو حاجز أخلاقي.

والمتأمل في واقع الأمة اليوم يلمس نجاحًا كبيرًا تحقق للقوم في هذا الاتجاه، وكان المدخل الكبير والباب العريض الذي ولجوا منه إلى ذلك هو التأثير على المرأة دفاعًا عن حريتها وإرجاعًا لحقوقها المهدرة . فيما زعموا ..

ويعود هذا النجاح إلى أسباب عديدة يمكن إجمالها في جوانب ثلاثة:

الأول: أسباب تعود إلى المرأة والمجتمع، وأهمها:

- الجهل المفرط في أوساط كثير من النساء بقيم الإسلام وأحكامه ومقاصده، وقد زاد من خطورة هذا الأمر عمليات التشويه التي يمارسها العلمانيون تجاه التشريعات الإسلامية المتعلقة بالمرأة عن طريق تناولها بشكل مجزأ يجعلها بعيدة عن التشريعات التي وردت في سياقها، مع إغفال متعمد لبيان مقاصد الإسلام من تشريعها؛ بهدف إظهار قصورها وتجاوز العصر لها ووقوفها حجر عثرة في طريق نيل المرأة لحريتها وحقوقها.

- ظاهرة ضعف الإيمان لدى كثير من النساء نتيجة عدم قيام المؤسسات التربوية في المجتمعات الإسلامية بالدور المنوط بها تجاه هذا الأمر، وتركها الحبل على

الغارب لصواحب السوء وذوي الشهوات ليقوموا عبر الوسائل المختلفة بالسيطرة على عقل المرأة ومشاعرها ومن ثَمَّ تحديد اتجاهاتها وتوجيه ميولها حسب ما يشتهون.

- غفلة كثير من النساء عن حقيقة رسالتهن في الحياة، والدور المنوط بهن في بناء الأمة وصيانتها من عوامل الزيغ والانحراف.

- قيام بعض النساء المترفات بتبني دعوات العلمانيين وبروزهن واجهة لكثير من الأنشطة المقامة، وتوفيرهن للدعم المعنوي والمادي الذي تحتاجه بعض الأنشطة،إضافة إلى تغريرهن بقطاع عريض من النساء اللاتي جرت العادة بقيامهن بتقليد مترفات المجتمع وكبرياته لعظم جهلهن وضعف إيمانهن.

- أن جزءًا كبيرًا من المحافظة الظاهرة لدى كثيرات يعود إلى أعراف قبلية وتقاليد اجتماعية متوافقة مع الشرع دون أن يكون لها بعدٌ إيماني في نفوس كثيرات، ومن المعلوم أن الأعراف والتقاليد ليس لها طابع الثبات بل هي قابلة للتبدل بمرور الوقت خصوصًا متى تغيرت أوضاع المجتمع: علمًا وجهلاً، غنىً وفقرًا، انفتاحًا وانغلاقًا، ويتسارع هذا التغير حين توجد جهات تخطط للتغيير وتستخدم سبلاً ملتوية تحتفي فيها بالقديم . إذا احتفت . معتبرة إياه تراثًا لعصر مضى، وتلمِّع فيها ما تريد نشره وتجعله من متطلبات التقدم وعلامات الرقي والنهضة.

- الانحراف العام والانحطاط الشامل الذي أصاب المجتمع المسلم في كثير من جوانب الحياة المختلفة،والذي بدوره كان له أكبر الأثر في ضعف كثير من النساء وقيامهن بالتفاعل مع الطروحات العلمانية بشكل ظاهر.

الثاني: أسباب تعود إلى العلمانيين، وأهمها:

- عملهم بهدوء وبأساليب خافتة حرصًا على عدم الدخول في مواجهات مكشوفة، وسعيهم إلى تحقيق أغراضهم المشبوهة عن طريق لافتات وشعارات مقبولة، مع الحرص على الاستفادة بأقصى مدى ممكن من بعض أهل العلم وبعض المحسوبين على الدعوة لقبول أعمالهم من قِبَل العامة وتسويغها أمامهم شرعًا من جهة، ولإحداث شرخ في صفوف العلماء والدعاة من جهة أخرى.

- استفادتهم من مرحلة الضعف والهوان التي تمر بها الأمة، ومن قوة الغرب النصراني – حيث يرتبطون به ويعملون على تحقيق مصالحه بصورة فجة – والذي

يضغط بقوة في سبيل فرض حضارته وهيمنة قيمه وشيوع سلوكياته في المنطقة تحت مسميات مختلفة كالعولمة والديموقراطية ودعاوى حقوق الإنسان وحرية المرأة وحرية الاعتقاد إلى آخر القائمة.

- إبرازهم لصور الظلم التي تقع على المرأة في مجتمعاتنا، واتخاذها موضوعاً ومدخلاً للحديث عنها بهدف تحقيق مآربهم وإشاعة السلوكيات والأخلاق التي يروجون لها ويدعون النساء إلى تطبيقها.

- العمل على زعزعة الثقة بين العلماء والدعاة من جهة والمرأة من جهة أخرى بهدف إيجاد فجوة بينها وبين الدين، وذلك عن طريق وصمهم لأهل العلم والدعوة بالتخلف والجمود وعدم عيش الواقع وإدراك متطلبات العصر والوقوف حجر عثرة في طريق نهضة المرأة ورقيها، والتسبب في صور الظلم الحاصلة عليها في بعض مجتمعاتنا الإسلامية.

استهواء المرأة وإغرائها وتزيين ما يشتهون لها عن طريق الاستفادة من بعض الخصائص التي تتمتع بها إجمالاً كقوة العاطفة وسرعة التأثر وضعف الخبرة في مجريات الحياة ومكائدها،وحب التزين والرغبة في الترفيه.

- تحسين صورتهم لدى المرأة وكسب ثقتها عن طريق إقامة بعض المؤسسات الطوعية التي تقدم بعض الأنشطة الاجتماعية والجمعيات التي ترفع عقيرتها بالمطالبة بحقوق المرأة وإنصاف المجتمع لها.

- الاستفادة من الخلاف الفقهي وشذوذات بعض أهل العلم في بعض المسائل الشرعية المتعلقة بالمرأة في محاولة إيجاد مسوغات شرعية لما يدعون المرأة إليه عن طريق التلفيق بين تلك الآراء والأخذ من كل عالم فتواه التي تخدم أهواءهم، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى سعيهم إلى الاستفادة من ذلك في تشويه صورة بعض أهل العلم والدعوة، وزعزعة الثقة بينهم وبين المرأة عن طريق ضرب آراء بعض أهل العلم ببعض، ووصم أصحاب الاجتهادات التي لا تتوافق مع أهوائهم بالتشدد والجمود وإرادة التعسير على المرأة وكبتها والتضييق عليها.

- التدرج في تحقيق أهدافهم؛ فمن المطالبة بحقوق مشروعة هي من صميم قيم الإسلام وتعاليمه إلى مزج ذلك بحقوق تتناقض مع قيم الإسلام إلى العمل على

إحلال قيم الغرب وتقاليده محل قيم الأمة وتقاليدها ومطالبة أفراد المجتمع بتغيير هويتهم للوصول إلى الوضع المرتجى لهم.

– سعيهم إلى الفصل بين ما يزعمون أنه الدين الصحيح الذي يرفعون شعار التمسك به والدفاع عنه، وبين العلماء والدعاة الذين يزعم العلمانيون بأن دعوتهم للمرأة ليست من الدين الصحيح في شيء وإنما هي مجرد تشدد وتحكم في المرأة بأمر لا أصل له في الدين.

– تضخيم أخطاء العلماء والدعاة ونسبة بعض الشنائع زوراً إليهم، والاستفادة من ذلك في عملية التشويه وزيادة الفجوة بينهم وبين بعض نساء المجتمع،وفي المقابل تضخيم العلمانيين لأعمالهم والمنكرات التي يروجونها لتضخيم وزنهم في المجتمع،ولتصوير أن جل النساء معهم، ولتيئيس العلماء والدعاة من إمكانية الإصلاح.

الثالث: أسباب تعود إلى العلماء والدعاة، وأهمها:

– ضعف مستوى الجهود والأنشطة العلمية والدعوية الموجهة للمرأة، وقلتها وعدم كفايتها لسد احتياج الساحة، وذلك يعود في ظني إلى قلة الاهتمام وضعف عملية التخطيط وتشتت الأفكار والجهود وعدم التركيز مما أدى إلى عدم استثمار الطاقات بصورة مرضية.

– عدم وجود طروحات متكاملة لقضية المرأة والقيام بطرح النظرة الشرعية مجزأة مما يفقدها قيمتها ويظهرها . في كثير من الأحيان . بأنها غير صالحة للتطبيق؛ لأنها تتصادم مع جوانب من الواقع المعاش؛ علماً بأن الواقع السيئ للمرأة يرجع إلى عدم أخذها بالتوجيه الشرعي في كافة جوانبه.

– مجاملة بعض العلماء والدعاة للواقع السيئ، ومحاولتهم التعايش مع رغبات بعض أفراد المجتمع المتجهة نحو التغريب، وقيامهم بإصدار الفتاوى المتسقة مع ذلك.

– الرتابة والتقليدية في جل البرامج والأنشطة العلمية والدعوية الموجهة للمرأة، وعدم وجود إبداع أو تجديد فيها مما أدى إلى ضعف التفاعل معها وقلة الإقبال عليها من كثير من النساء.

– عدم أخذ زمام المبادرة في التعامل مع القضايا والأحداث، والتفاعل حسب ردود الأفعال دون أن يكون هناك مشاركة في صنعها أو تأثير في تحديد اتجاهها في غالب الأحيان، وهو مما أفرغ الساحة الاجتماعية أمام العلمانيين، ومكنهم من فعل ما يحلو لهم تخطيطًا وتنفيذًا وتوجيهًا وقطفًا للثمار بما يخدم مصالحهم ويحقق أغراضهم.

– عدم بيان أهل العلم والدعوة لدائرة المباح المتعلق بالمرأة بشكل جيد، وأخذهم لها بالأمثل عن طريق طرحهم للأفكار وتبنيهم للحلول المثلى في كثير من المواقف والقضايا بطريقة يفهم منها بأنها الطرح الشرعي الوحيد في الجانب المتناول.

وقضية الأخذ بالأمثل من الأمور التي لا يطيقها سوى قلة من الصالحات، أما غيرهن من نساء الأمة فقد وسَّع الله عليهن بما أباحه لهن، وواجب العلماء بيانه، وعدم التثريب على من أخذت به ما دامت لم تتعد حدود الله و لم تنتهك محارمه.

– عدم مراعاة بعض الدعاة لتعدد الفتوى ووجود خلاف بين أهل العلم في بعض المسائل الاجتهادية، وقيامهم بمحاولة إلزام المرأة برأي معين مع أنها ليست مكلفة شرعاً إلا بتقليد الأوثق لديها في دينه من أهل العلم لا صاحب رأي أو بلد بعينه.

– حساسية بعض الدعاة المفرطة في التعامل مع المرأة وقضاياها، وانغلاقهم الشديد الذي يمنعهم في أحيان كثيرة من تناول الأمور بموضوعية؛ مما جعل الأمور تتجاوزهم بشكل أدى إلى انفتاح صارخ غير منضبط.

– الخلط بين الأعراف والتقاليد والمنهج، وعدم تمييز بعض العلماء والدعاة بين الأحكام الشرعية المتعلقة بالمرأة والمبنية على نصوص الشرع وقواعده وبين آرائهم التي تكون مبنية على أعراف وتقاليد اجتماعية، ولا ريب في أن لهم الحق كغيرهم من أبناء المجتمع في أن يتخذوا ما يشاؤون من مواقف تجاه أعراف المجتمع وتقاليده التي لا تتعارض مع الشرع، وأن يحاولوا إقناع من يشاؤون بمواقفهم تلك كما يحاول غيرهم، لكن الواجب عليهم إيضاح أن تلك الآراء مردها إلى العرف والتقاليد من غير محاولة إلباسها لباساً شرعياً متكلَّفاً فيه، وأن لكل أحد أن يتخذ الموقف الذي يشاء ما دام رأيه غير متعارض مع الشرع، وهذا بخلاف الأحكام الشرعية الثابتة التي يجب على الناس التزامها كل حسب وسعه وطاقته.

– التعميم: بعض من الدعاة يقومون بمحاربة المشاريع والأنشطة النسوية التي تتضمن بعض المخالفات الشرعية في المجتمع بشكل مطلق بدل محاولة مد جسور التفاهم والثقة مع أصحاب تلك المشاريع وتنمية جوانب الخير لديهم، والقيام بترشيد مناشطهم وتوجيهها الوجهة السليمة، مما يدفع القائمين عليها . من ذوي النفوذ ورجال الأعمال . في أكثر الأوقات إلى استخدام كافة ما يملكون من أوراق لمضي الأمر على ما يريدون.

– هيمنة الأعراف والتقاليد وخوف بعض الدعاة من تجاوزها؛ إلى جانب إغفال بعض المناشط الملائمة للمرأة التي أثبتت نجاحها في مجتمعات أخرى وفسح المجال أمام العلمانيين ليسدوا الفراغ الذي تعاني منه نساء المجتمع من خلال البرامج والأنشطة التي يقيمونها.

– عدم إدراك كثير من العلماء والدعاة لطبيعة التحول الذي حصل في عقلية النساء وسلوكياتهن واحتياجاتهن في وقتنا وحجم ذلك، واستصحابهم لواقع المجتمع في زمن ماض، أو تعميمهم لواقع بيئاتهم الخاصة على البيئة العامة مما جعلهم لا يشعرون بأهمية إعطاء دعوة المرأة أولوية ومزيد عناية.

– إغفال العناية بالجوانب التي فطر الله المرأة على الاهتمام بها كأمر الزينة والجمال، والأمور التي لكثير من النساء تعلق قوي بها في وقتنا كالترفيه بحيث لم يتم تقديم برامج ومشاريع حيوية مباحة في هذا المجال تسد حاجة المرأة وتقطع الطريق على العلمانيين الذين يكثرون من الولوج إلى المرأة عبر هذه البوابة ولا يجدون أدنى منافسة من العلماء والدعاة حيالها.

– ضعف الرصد والمتابعة لجهود العلمانيين وأنشطتهم مع عدم المعرفة بكثير من أعمالهم إلا بعد وقوعها مما يؤخر من مواجهتها ويجعل العلماء والدعاة يتعاملون مع آثارها ويتناسون . في الغالب . أهدافها والأسباب التي هُيِّئت لنجاحها وشجعت القوم على المضي فيها.

– ضعف كثير من العلماء والدعاة في بناء العلاقات وتكوين الصلات والقيام بواجبهتم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله . تعالى . بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، مما هيأ الفرصة للعلمانيين لكسب

كثير من ذوي النفوذ ومثقفي المجتمع ورجال الأعمال لخدمة طروحاتهم ودعم مشاريعهم مع أنهم ليسوا منهم.

الانفصام لدى بعض الدعاة بين النظرية والتطبيق في التعامل مع المرأة فبينما يوجد لدى جلهم إدراك نظري جيد لما يجب أن تكون عليه الأمور، نجد ممارسة سيئة لدى كثيرين تمشياً مع الأوضاع البيئية ورغبة في الراحة وعدم المعاناة في مواجهة شيء من ذلك.

كيف ندافع العلمانيين؟

تعد النجاحات التي حققها العلمانيون في مجال المرأة ثمرة التقصير والغفلة التي عانى منها قطاع كبير من العلماء والدعاة وتيار الصحوة، وعليه فإن المدخل الصحيح للمدافعة يقتضي استشعار الخطر وإدراك ضخامة المسؤولية والتفكير بموضوعية والتنفيذ بجدية للخطوات المراد تحويلها إلى واقع، وما لم يتم ذلك فإن الخطر سيستفحل والخرق سيتسع على الراقع، ولن يجدي عندها كثير من خطوات الحل المؤثرة والمتاحة الآن.

وقبل أن أتطرق إلى ذكر بعض السبل التي يمكن بواسطتها مدافعة القوم وكبح جماحهم أو التخفيف من شرهم، لا بد من ذكر بعض القواعد والمنطلقات التي لا بد من استيعابها قبل الدخول في مواجهة معهم، ومنها:

– لا بد من التوكل التام على الله وصدق اللجوء إليه والاستعانة به والتضرع بين يديه وطلب عونه وتسديده مع الأخذ بالأسباب وإعداد العدة، وذلك لأن من ينصره الله فلا غالب له، ومن يخذله فلا ناصر له كما قال ـ تعالى ـ: (إن ينصركم الله فلا غالب لكم) [آل عمران: 160].

– الاعتناء بالوضوح الإسلامي في الطرح، والمطالبة بجلاء لكافة أفراد المجتمع بتحقيق العبودية الحقة لله ـ تعالى ـ والانقياد التام له والتسليم لشرعه وعدم الخروج عن أمره والتأكيد على الدعاة بعدم إخفاء حقيقة دعوتهم في طروحاتهم سعياً في استصلاح جوانب الانحراف في المجتمع، وإقامةً للحجة على العباد وإبراءاً للذمة أمام الله ـ تعالى ـ.

الحذر من التفلت الشرعي الذي يقع فيه بعض الدعاة أثناء طروحاتهم عن المرأة، ومع إدراك أن الدافع لبعضهم قد يكون الحرص على الدعوة والسعي إلى تقريب الكثيرات إلى الإسلام؛ إلا أنه قد فاتهم تذكُّر أن الانضباط بالشرع شرط لصحة العمل وأن الغاية مهما كانت شريفة لا تسوّغِ الوسيلة، وأن الباري . عز وجل . لا يُتقرب إليه بمعصيته ومخالفة أمره بل بطاعته وامتثال شرعه.

– التوجه إلى التخطيط الجاد والمتكامل في دعوة المرأة وتربيتها، والمبني على إدراك عميق للماضي ومعايشة للحاضر واستشراف للمستقبل، وترك الارتجال والعفوية وسطحية التفكير والتنبه إلى أن ذلك وإن قُبِلَ في أزمنة ماضية فإنه غير مقبول بحال اليوم نظراً لضخامة الاستهداف للمرأة والعمق في التخطيط والدقة في التنفيذ لدى العلمانيين، والحذر من أن ينشغل العلماء والدعاة بردود الأفعال تجاه قضايا وأحداث جزئية يصنعها العلمانيون تتصف بالإثارة والهامشية على حساب قضايا جوهرية سواء في جهة البناء والتربية أم في جهة مواجهة القوم ودفع أخطارهم.

– العمل على طرح مبادرات إصلاحية جذرية تتسم بالعمق والشمول والواقعية بدلاً من الحلول الترقيعية وتجزئة القضايا بشكل يمكن العلمانيين من التلاعب بالأمر والمزايدة فيه بالدعوة إلى إصلاحات جزئية هامشية لها بريق تستغل في تخدير فئات كثيرة من المجتمع وتحييدهم عن الوقوف في صف العلماء والدعاة والذين يسعون إلى القيام بإجراء إصلاحات جوهرية في القضايا والمجالات الأساسية.

– الاعتناء بالقيام بإجراء تقييم شامل لأنشطة الدعاة وبرامجهم المختلفة والموجهة إلى المرأة، ومراجعتها من حيث الكم والكيف، ويتأكد ذلك اليوم نظراً لتغير الاحتياجات وتبدل الأحوال وتطور الإمكانات، وما لم يتم ذلك وتهيأ له الفرص الكفيلة بالنجاح فإن الزمن سيتجاوز أنشطة الدعاة وبرامجهم، ويجعلهم كمن يوصل الرسائل بين البلدان عبر الأقدام والدواب في زمن الأقمار الصناعية و الإنترنت.

– توحيد الصفوف ولمّ الجهود وسعة الصدر لرأي أهل العلم الأثبات المخالف في مسائل الاجتهاد، والتطاوع فيما لا إثم فيه، والمحاورة بالتي هي أحسن، وحسن الظن بالآخرين، والتماس العذر لهم، ومغفرة زلاتهم، والتجاوز عن هفواتهم... من أهم المهمات التي على العلماء والدعاة العناية بها؛ لأن الاختلاف شر والفرقة عذاب،

وتضرر الدعوة من كون بأسها بينها وعدوها من داخلها أعظم عليها جداً من تربص أعدائها بها وكيدهم لها.

-إدراك الدعاة لحقيقة الوضع وأنهم في صراع مع قوم ينتمون إلى جهات تريد اجتثاث قيم الإسلام وأخلاقياته وإحلال قيم وأخلاقيات حضارة أخرى تناقضها مكانها، وعليه فالواجب عليهم طول النفَس وبعد النظر ومحاسبة الذات وإدراك صعوبة الطريق وأن الهدم أسهل من البناء وتهيئة النفْس لتحمل الهزيمة والمواصلة بعدها لأن العاقبة للمتقين، ومعرفة أن الانتصار الحقيقي يكمن في الثبات على المبدأ، أما شيوع المبدأ فالداعية يسعى له ويجد في سبيل ذلك، ولكن ليس من شأنه تحققه، وله أسوة بالأنبياء . عليهم السلام . إذ قتل بعضهم وطرد آخرون، ويأتي النبي يوم القيامة وليس معه أحد، والنبي ومعه سواد كثير قد سد الأفق.

– أهمية أن تتجه برامج الدعاة إلى تربية كافة شرائح النساء في المجتمع والبناء الصحيح لشخصياتهن وبخاصة تلك التي لم تؤثر فيها طروحات العلمانيين بعدُ، أو أن تأثيرهم محدود فيها، وأن تشتمل تلك البرامج على جرعات تحصينية ضد أساليب العلمانيين في الطرح، وذلك لأن الوقاية خير من العلاج وما استدفع الشر بمثل الاستعاذة بالله منه، والتعرف عليه للحذر من التلبس به.

– الإقرار بوقوع صور متعددة من الظلم الواقع على المرأة في مجتمعاتنا بسبب الجهل بالشرع وعدم تطبيقه، وهو ما يجب إفهامه للمرأة التي يريد العلمانيون تشويه صورة الإسلام في ذهنها، والإسلام لا يتحمل نتاج البعد عنه.

– الاعتناء بتحلي صغار شباب الصحوة بصفات الحكمة والصبر والحلم والروية وعدم الاستعجال، والموازنة بين المصالح والمفاسد، والتعامل مع الأحداث بعقل لا بعاطفة مجردة، ومشاورة أهل العلم والخبرة في سبل مدافعة العلمانيين حتى لا تُجَر الصحوة إلى مواقف غير محمودة العواقب، وبخاصة أنه لا توجد لدى (القوم) أي معايير أخلاقية تمنعهم من فعل أي شيء في سبيل تحقيق أغراضهم ومآربهم.

إقامة تعاون إيجابي في المجالات الدعوية والتربوية بين البيئات والمناطق المختلفة يتم بواسطته تبادل الأفكار والخبرات، والبدء في البرامج المختلفة من حيث انتهى الآخرون، وهذا ولا شك سيشجع على مزيد انطلاق، ويوسع دائرة الاختيار أمام

الدعاة ويمنع من هدر الطاقات والإمكانات في إقامة برامج ثبت إخفاقها متى امتلك الدعاة الشجاعة الأدبية للتراجع عن أنشطتهم ذات العائد الدعوي والتربوي الأقل، وتجاوز المألوف مما لا بعد شرعياً له وتحمل الضغوط البيئية الناتجة عن ذلك.

سبل المدافعة:

السبل المقترحة لمدافعة العلمانيين في مجال المرأة كثيرة، ومن أبرزها:

أولاً: سبل تتعلق بالمرأة والمجتمع ومن أبرزها:

العناية بتأهيل المرأة وبناء شخصيتها بناءاً متكاملاً في كافة الجوانب التي تحتاجها و من أبرز ذلك:

أ- تعميق قضية الهوية والانتماء لهذا الدين لديها وتوضيح مقتضيات ذلك ولوازمه كوجوب المحبة الكاملة لله، والانقياد التام لشرعه فيما وافق هوى العبد وفيما خالفه، "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به"(1).

ب - تجلية رسالة المرأة المسلمة في الحياة والدور المنوط بها في عصرنا في سبيل نهضة الأمة ورقيها واستعادتها لعزتها، والسبل المعينة لها على أداء ذلك.

ج - العناية بالجوانب الإيمانية والعبادية لدى المرأة، وتزويدها بالعلم الشرعي، وبخاصة فيما تحتاج إليه ولا يسعها جهله في مراحل حياتها المختلفة.

د - رفع مستوى ثقافة المرأة وتحبيبها بالقراءة وتدريبها على ممارسة التثقيف الذاتي والاستفادة من الوسائل التقنية المتاحة في ذلك.

هـ - رفع مستوى وعي المرأة وإدراكها لواقعها والتغيرات الضخمة الحاصلة فيه، وما يحاك ضد الأمة عموماً والمرأة خصوصاً من مخططات تهدف إلى إبعادها عن دينها، وتهميش دورها في الحياة بشكل يجعلها تعيش في عزلة شعورية عن حاضرها.

و - الرقي باهتمامات المرأة وتعميقها وإبعادها عن السطحية، وتعويدها على الجدية وترتيب الأولويات وعدم الانشغال بالترهات والتوافه.

- تقرير الأحكام الشرعية المتعلقة بالمرأة، نحو: كون الأصل قرارها في البيت، والتزام الحجاب، وعدم إبداء الزينة والتبرج تبرج الجاهلية الأولى، ودعوة المرأة إلى التزامها.

- رصد المشكلات التي تعاني المرأة منها في كافة الجوانب المختلفة، والسعي إلى تلافيها والتقليل من نتائجها السلبية.

- العناية بوقت المرأة وشغله بالمفيد واقتراح السبل الملائمة لتحقيق ذلك(2).

- تقوية البناء الأسري وبخاصة في المجال الدعوي؛ إذ إن للدعوة العائلية أهمية فائقة في تعليم المرأة دينها وتحصينها ضد طروحات العلمانيين ومكائدهم.

- تفعيل دور المرأة في مواجهة مخططات العلمنة الساعية لإفسادها، وتشجيعها على القيام بدعوة بنات جنسها؛ لأنها الأعرف بمجتمعاتهن والأكثر تأثيراً فيهن والأقدر على الاتصال بهن والبيان لهن فيما يخصهن، مع أهمية العناية بجانب التحفيز لها وإيجاد الدوافع لديها لمواصلة نشاطها الدعوي حتى لا تفتر أو تصاب باليأس والإحباط نتيجة طول المسير ومشقته(3).

- مطالبة النساء بالعناية ببيئاتهن الخاصة . أزواجاً وأولاداً . والقيام بالدور المنشود منهن في استصلاحها وإمدادهن بالوسائل والآليات والسبل المناسبة، وخاصة فيما تجهله المرأة مما يناسب في خطابها للرجال من محارمها؛ لأنهن الأكثر دراية بها، والأقدر على توجيهها والتأثير فيها متى استخدمن الحكمة. تفعيل دور الصالحات في المجتمع وإفساح المجال وفتح القنوات والميادين الملائمة أمامهن، ومحاولة إعداد بعض المتميزات . علماً وتفكيراً وسلوكاً . ثم إبرازهن بصفتهن قدوات لنساء المجتمع.

- توعية المجتمع بأهمية دور المرأة في نهضة الأمة ورقيها، ومطالبة أفراده بمؤازرتها والتواصي برفع صور الظلم المختلفة عنها والموجودة في بعض البيئات، وترك اللامبالاة والغفلة والتهميش للمرأة الذي يقع فيه بعض الأفراد، اقتداءاً بنبينا صلى الله عليه وسلم في تعامله مع المرأة.

ثانياً: سبل تتعلق بمجابهة العلمانيين، ومن أهمها:

- إبانة أهداف العلمانيين والتي من أبرزها:

أ – التشكيك بالأصول وإزاحة ثوابت الأمة العقدية وأسسها الفكرية والسلوكية وإحلال حضارة الغرب وقيمه مكانها.

ب – إخراج المرأة عن العبودية لله ـ عز وجل ـ والاستمساك بشرعه، وجعلها مجرد متاع في مسارح الرذيلة وملاهي الخنا ووسائل الإعلان وأوراق الصحف والمجلات وشاشات التلفزة والقنوات الفضائية.

ج – الدعوة إلى التفلت الديني والفوضى الاجتماعية تحت مسمى الحرية والمساواة.

د – إيضاح أن حقيقة الحقوق المزعومة التي يطالبون بإعطائها للمرأة حق الإلحاد والزنا والعري والحمل السفاح والشذوذ الجنسي سالكين طريقة التلميع للوسائل والتزوير للحقائق والإظهار للباطل بمظهر أخاذ.

– تتبع العلمانيين وكشف تاريخهم ودراسة إنتاجهم الفكري ورصد أنشطتهم ووزنها بميزان الشرع وإبانة ما فيها مما يتناقض مع ثوابت الأمة والسعي إلى زعزعتها لكي يتم فضح القوم وكشف انعزالهم عن قيم الإسلام وحضارته، وارتباطهم خدمة وتربية وفكراً وسلوكاً بجهات خارجية معادية تسعى إلى استئصال هوية الأمة وإحلال قيمها مكانها، وذلك من شأنه أن يمكن العلماء والدعاة من نقل الطرف الآخر من مرحلة الهجوم إلى الدفاع.

– تتبع مداخلهم النفسية وأنشطتهم الجاذبة لكثير من النساء والعمل على الحد منها والتخفيف من آثارها وإيجاد بدائل إسلامية عنها.

– العمل على استمالة القريبين فيهم من الحق ودعوتهم والعمل على كسبهم إلى جانب الموقف الشرعي الصحيح.

– تحديد الشبهات التي يثيرونها حول النظام الإسلامي في مجال المرأة مما يتخذونه وسيلة لتشكيك المرأة في دينها وزعزعة عقيدتها، والقيام بتفنيدها(4) والإثبات ـ عقلاً وواقعاً – أن النظام الإسلامي هو الطريق الأمثل لحماية المرأة من الظلم وصيانة المجتمع من الفساد، وإعطاء كل ذي حق حقه.

– بيان حقيقة واقع المرأة في الغرب وكشف ضخامة الأمراض والمشكلات التي تواجهها على كافة الأصعدة(5)، وفي ذلك أعظم تعرية للعلمانيين والذين يطالبون المرأة في مجتمعاتنا بمحاكاة المرأة الغربية والسير على منوالها إن هي أرادت سلوك طريق التقدم والمضي في دروب الحضارة ـ كما زعموا ـ.

ثالثاً: سبل تتعلق بالعلماء والدعاة، ومن أهمها:

–إدراك الواقع إدراكاً جيداً وتحليل جوانب القوة والضعف لدى الطرفين(6)، والاستفادة من ذلك في تحديد أهداف المرحلة والسبل المثلى للمدافعة. إبانة حقيقة النظام الإسلامي في معاملة المرأة، وتجلية محاسنه وإزالة الشبهات التي تثار حوله؛ لأنه لن يدحض الظلام إلا النور كما قال ـ تعالى ـ: (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) [الإسراء: 18].

– إيضاح الاختلاف الجذري بين النظام الإسلامي وواقع المجتمعات الغربية، والذي من أبرزه:

أ – أن الأسرة في النظام الإسلامي تعد اللبنة الأولى في تكوين المجتمع؛ بينما يعد الفرد في الغرب هو الركيزة الأساس.

ب – أن العلاقة بين الجنسين في النظام الإسلامي علاقة تكامل وتلاحم وحرص من كلا الطرفين على مصالح الآخر كحرصه على مصالحه، وطبيعة العلاقة في كثير من أرجاء الغرب اليوم قائمة على التنافس والتنافر بين الجنسين وحرص كل من الطرفين ـ وبخاصة المرأة التي تشعر بالاستضعاف ـ على فرض هيمنته على الآخر.

ج – أن النظام الإسلامي يعطي المرأة حقوقها الشرعية كاملة وفي المقابل يطالبها بالقيام بالواجبات الشرعية التي يفرضها عليها والتي لا تقوم الحياة السوية إلا بها، وفي الغرب نجد أن كثيراً منهم ـ يتبعهم العلمانيون في بلداننا ـ يوهمون المرأة بسعيهم لإعطائها حقوقاً هي في واقع الأمر بوابتهم الرئيسة لاستعبادها واستخدامها استخداماً جسدياً قذراً بعيداً عن مراعاة متطلبات روح المرأة وعقلها وقيم المجتمع وأخلاقياته.

– إقامة لجان ومراكز أبحاث مهمتها العناية بالجوانب الإعلامية وإبراز جهود العلماء والدعاة ـ أفراداً ومؤسسات ـ في قطاع المرأة عموماً والأسرة خصوصاً في الجوانب المختلفة: العلمية، الاجتماعية والصحية، وإعداد المعلومات والإحصائيات عنها، ونشر ذلك بشكل دوري عبر وسائل الإعلام لإظهار ضخامة الجهد المبذول وضآلة ما يقوم به العلمانيون مقارنة بها.

– العناية بالنساء في البيئات الخاصة بالدعاة تعليماً وتربية؛ نظراً لإمكانية التأثير القوي والاتصال المباشر لكي يتم تلافي الإهمال غير المتعمد لها الناتج عن

الانشغال بالبيئة الخارجية وإبراز قدوات نسائية للمرأة ذات عمق في التفكير وجدية في الاهتمامات وقوة في الأخذ بالإسلام.

– تفعيل دور العلماء والواجهات الاجتماعية الخيرة ـ ذكوراً وإناثاً ـ وكافة أفراد المجتمع ومطالبتهم بالقيام بالدور المنشود منهم في مواجهة طروحات العلمانيين ودفع خطرهم، استفادةً منهم من جهة وتوسيعاً لدائرة المعركة من جهة أخرى بدلاً من جعلها كما يريد العلمانيون بينهم وبين الدعاة فقط.

– زيادة المناشط الدعوية والاجتماعية وتحسينها والاعتناء بتناول الموضوعات المختلفة التي تحتاجها المرأة مع الحرص على التجديد في الأساليب والإبداع في الوسائل لضمان تفاعل المرأة معها بشكل أكبر.

– توثيق الصلة بالمثقفين ورجال الأعمال ومد الجسور معهم لترشيد أعمالهم من جهة والحيلولة دون أن تكون عوناً للعلمانيين على إفساد المرأة من جهة أخرى، وللتنسيق معهم في اقتحام مجالات جديدة تحتاجها المرأة كصناعة الترويح والملابس ونحوها وفق الضوابط الشرعية.

– توسيع دائرة الانفتاح الدعوي على كافة مجتمعات النساء: ملتزمات وغير ملتزمات، مثقفات وعاميات، متزوجات وغير متزوجات، أمهات وأخوات وبنات، وعدم قصر النشاط على فئة دون أخرى.

– اقتحام ميادين وقنوات دعوية جديدة في مجال المرأة، ومن أهم ذلك:

أ – قيام العلماء والدعاة بإنشاء جمعيات تنادي بالحقوق الشرعية للمرأة لقطع الطريق على العلمانيين الذين يَلِجُون من هذا الباب لتحقيق مآربهم.

ب –إقامة مراكز أبحاث نسوية خاصة بشؤون المرأة.

ج – إنشاء مؤسسات إنتاج ودور نشر متخصصة بقضايا المرأة ودعوتها.

العمل على تغيير هيكلة تعليم المرأة ليناسب وضعية المرأة ورسالتها في الحياة، والسعي لتطوير المناهج وفتح التخصصات التي تساعدها على القيام بدورها الأساس المنوط بها زوجةً وأماً ومربية.

وختاماً: فلا بد من إدراك أن الخطب جسيم، ويحتاج إلى استعانة صادقة بالله ـ تعالى ـ وعمل جاد، وتضافر قوي لكافة جهود المخلصين؛ وإلا فإن العاقبة ستكون وخيمة

والمصير غير محمود، وعندها سيهيئ الله لدينه جيلاً ينصره ويقوم بأمره، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش:

(1) تاريخ بغداد للخطيب: 963/4، شرح السنة للبغوي: 312/1، وصححه النووي في الأربعين واستبعد ذلك جداً ابن رجب في جامع العلوم والحكم: 493/2، وقال الحافظ في الفتح: 203/31: (أخرجه الحسن بن سفيان وغيره، ورجاله ثقات).

(2) من الأمور الهامة التي ينبغي تحريض المرأة على ممارستها: العبادة والذكر، مدارسة القرآن والأحاديث النبوية، القراءة المبرمجة، الاستماع إلى الأشرطة النافعة، إدارة المشاريع النسوية التعليمية والاجتماعية ودعمها، التعرف على الأرامل والأسر المحتاجة ومساعدتها، تعلم الأعمال المهنية والأنشطتة الملائمة من خياطة وحاسوب وأشغال فنية ومسائل الأمومة والاهتمام بالطفل ونحو ذلك.

(3) من أهم الحوافز التي ينبغي العناية بها: بيان ما أعد الله للداعين للهدى، وإيجاد الشعور بالتحدي ببيان ضخامة الاستهداف العلماني الموجه للمرأة، وذكر نماذج متميزة لبعض داعيات الحق وأخرى لداعيات الضلال.

(4) من أبرز الجوانب التي يكثر القوم من الطعن فيها: أحكام التعدد والميراث والحجاب والخلوة والاختلاط، ومسائل القوامة والولاية والطلاق.

(5) من الأمور التي لا بد للدعاة من الحديث عنها في هذا المجال: نسب العفة والزواج والطلاق والأولاد غير الشرعيين والخيانة الزوجية في الغرب، ومشكلات العنوسة والخروج عن الفطرة والتحرش بالمرأة والأمراض الجنسية والنفسية والتفكك الأسري وواقع الأبناء بعد خروج المرأة للعمل والمعاناة التي تلقاها الفتاة حتى تتزوج هناك، ومسائل النفقة والمعاملة التي تلقاها المرأة الغربية في أطوار حياتها المختلفة: أماً وأختاً وابنةً وزوجةً ومسنةً، متزوجة ومطلقة وأرملة.

(6) من أبرز جوانب قوة العلماء والدعاة: جلاء الحق الذي يدعون إليه، وعمق انتمائهم إليه، والعاطفة في المجتمع نحو الدين، وكراهية أفراده لأعدائه والعاملين

لحساب جهات خارجية تريد تقويضه، والعودة الصادقة لكثيرات من نساء المجتمع نحو الالتزام بالإسلام عقيدة وسلوكاً.

=============

دور المرأة المسلمة في مواجهة التغريب

تمر أمتنا الإسلامية في الوقت الحاضر بمرحلة في غاية الخطورة هي محاولة إرساء التغريب في أرضها وإحكام الهيمنة عليها من قِبَلِ أعدائها. والتغريب هنا هو تحويل الثقافة العربية والإسلامية من عقيدة وسلوك، وعادات وتقاليد إلى ثقافة وعادات وتقاليد تابعة للغرب مخالفة تماماً لعقيدتنا وتراثنا الإسلامي، ومن ثم تصبح الهيمنة على أمتنا والسيطرة عليها واحتواؤها سهلاً ميسوراً؛ بحيث تخضع خضوعاً تاماً لما يريده الغرب، الذي يحاول جاهداً دون كلل أو ملل بث أفكاره وثقافته بكل السبل التي يستطيع الدخول من خلالها.

وهذا التغريب قائم على أبحاث ودراسات حشدت لها كل الطاقات والإمكانات لكي تطبق على المسلمين، منها ثقافية وفكرية، ومنها نظم سياسية واقتصادية بعيدة كل البعد عن الإسلام وتشريعاته، مما يؤدي في النهاية بالمجتمع الإسلامي إلى أن يتشبع بالفكر الغربي وثقافته وحضارته المعادية للإسلام، فيقضي على شخصية المجتمع وولائه لدينه وأمته، ويصبح من السهل قيادته وتنفيذ كل ما يطلب منه. والأمثلة على ذلك كثيرة، ومن أهمها ما يتعلق بشؤون المرأة.

ولما كان للمرأة المسلمة أهمية كبيرة في تربية الأجيال ولها تأثيرها المباشر في تنشئتهم على الإسلام عقيدة وسلوكاً، فقد أعطى أعداء الإسلام أهمية قصوى لمحاولة تغريبها والتركيز عليها؛ وذلك من خلال الدعوات البراقة الكاذبة التي انخدع بها كثير من أبناء وبنات أمتنا... تلك الدعوات المسماة بالتحرر وانتزاع الحقوق، وطلب المساواة بينها وبين الرجل!

فإذا استجابت المرأة المسلمة لدعوتهم تلك فسيؤدي ذلك حتماً إلى إفسادها ثم إلى فساد المجتمع وتدميره بأقصر الطرق وأسرعها؛ لما لها من تأثير فعال في ذلك، مما لا يستطيع أن ينكره عاقل.

ومن المؤسف حقاً أن نجد فئة من نسائنا قد انجذبت وانساقت لتلك الأباطيل، فتبنت أفكارهم المضللة تلك، والدعوة لها، وعشن بتبعية كاملة لهم فكرياً واجتماعياً وسلوكياً، مقلدات المرأة الأوربية تقليداً أعمى دون إدراك أو تفكير بحيث ينطبق عليهن حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قيل: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟)(1).

ولقد غاب عن وعي أولئك النسوة أن الظروف الاجتماعية والقانونية والتاريخية التي واجهت المرأة الأوربية مختلفة تماماً عمّا واجهته المرأة المسلمة؛ فالمرأة هناك تعيش مجتمعاً قائماً على قوانين من وضع البشر وليست شرائع ربانية؛ فكان هناك انتهاك وهضم لحقوق المرأة مما جعلها تثور وتتمرد لتحصل على حقوقها.

أما المرأة المسلمة فقد أعطاها الإسلام حقوقها كاملة منذ أربعة عشر قرناً؛ فيحق لها أن تفخر وترفع رأسها عالياً بتلك الحقوق التي لم تحصل عليها كثير من النساء في أكثر البلدان التي تدعي الحضارة والتقدم إلى الآن.

لقد كرم الإسلام المرأة أحسن تكريم، ورفع مكانتها ووضعها في المكان اللائق بها، ولم يفرق بينها وبين الرجل، بل ساوى بينهما في الحقوق والواجبات، والثواب والعقاب. ولا أدري . والله . ما هي الحقوق التي تطالب بها المرأة المسلمة؟ وقد أعطاها الإسلام كامل حقوقها الدنيوية والأخروية.. أما الدنيوية: فمنها حق التعلم والعمل، وحق التملك والتصرف بملكها وتجارتها دون تدخل من زوج أو أب. كما أعطاها حق اختيار الزوج؛ وحق الخلع إذا لم توفق بزواجها. ومن حقها أيضاً المحافظة على اسم عائلتها بعد الزواج؛ وذلك بعكس المرأة الأوربية التي تحمل اسم عائلة زوجها بعد الزواج. وأيضاً أُعطيت المسلمة حق الإرث فهي ترث وتورث، يقول ـ تعالى .: (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ والأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً) [النساء: 7].

وأما حقوقها ومساواتها مع الرجل في الأجر فقد بينه قوله . تعالى .: ((فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى)) [آل عمران: 195]. وقوله . تعالى .: (إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ والْقَانِتَاتِ

وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) [الأحزاب: 35]. وبعد ذلك: ماذا تريد المرأة أكثر من هذا؟

وهنا سؤال يطرح نفسه: ما هو المطلوب من المرأة المسلمة أن تفعله؟

المرأة المسلمة اليوم مطالبة أكثر من أي وقت مضى أن تكون سلاحاً في وجه أعدائها؛ وذلك من خلال رفضها لكل الدعوات الكاذبة والخادعة التي ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، متمثلة قوله ـ تعالى ـ: (قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ(1)لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) [الكافرون: 1، 2].

فعلى المرأة المسلمة أن تقف سداً منيعاً إلى جانب الرجل المسلم في وجه ما يخطط للأمة الإسلامية من خلالها، فلا تكون عوناً لأعدائها وأعداء أمتها؛ بل يجب عليها أن تعي وتدرك ما يدور حولها من خطط لإبعادها عن دينها ورسالتها في هذه الحياة وتهميش دورها في بناء مجتمعها الإسلامي، وإشغالها بتوافه الأمور، وإضاعة وقتها في تتبع ما تبثه الفضائيات، وما تنشره المجلات الهابطة من عروض للأزياء وآخر الموديلات من مكياج وعطورات، ومتابعة أخبار الفنانين والفنانات!

إنه من المؤلم حقاً أن نرى إلحاح الإعلام المرئي والمقروء على جعل تلك الشخصيات الفنية قدوة لأخواتنا وبناتنا المراهقات.. وما كثرة استضافتهن على شاشات التلفزيون وصورهن على أغلفة المجلات وداخلها، غير تأكيد على ذلك؛ وكأن الدنيا قد خلت إلا من هؤلاء!

إن أكثر ما يغيظ الغرب هو تمسك هذه الأمة بدينها؛ فدعوتهم إلى تحرر المرأة المسلمة والمتمثل عندهم بخلعها الحجاب واختلاطها بالرجال حتى يعم الفساد في المجتمع الإسلامي ما هو إلا دليلاً كبيراً على ما يكنه الغرب لنا من عداء؛ فلن يهنأ لهم بال ولا يستقر لهم حال حتى نترك ديننا ونعيش بتبعية كاملة لهم منفذين رغباتهم وأمانيهم التي لا تنتهي إلا باتباع ملتهم كما أخبرنا به ـ سبحانه وتعالى ـ بقوله: (وَلَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) [البقرة: 120].

فالواجب على المرأة المسلمة أن تعود إلى إسلامها وتتمسك به بكل قوة، وتعيش تعاليمه كلها منهجاً وسلوكاً، وتطبقها على نفسها أولاً ثم على من هم تحت رعايتها. فلا بد أن تعلم المرأة المسلمة قبل كل شيء أن الإسلام كلّ لا يتجزأ؛ عقيدة، وعبادة، ومنهج حياة؛ فإذا أرادت أن تأخذ منه ما يطابق هواها وتترك ما يغايره فإن هذا ينقض العقيدة وسلامتها. يقول . تعالى .: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) [الأحزاب: 36]. لذلك يجب عليها أن تلتزم التزاماً كاملاً بما أمرها الشرع من حقوق وواجبات، والبعد عن كل ما نهاها عنه قبل أن يستشري الداء ويزيد البلاء، فيعمنا الله بعقابه في الدنيا من قبل أن نلقاه. كما قال . تعالى .: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ) [الأنفال: 25].

ومن الواجب على المرأة المسلمة أيضاً أن تعمل على تثقيف نفسها والتسلح بالعلم الشرعي، وذلك من خلال حضورها لبعض الدروس الشرعية المتاحة في مجتمعها، وسماعها للأشرطة المأمونة المتوفرة في السوق، وكذلك تلاوتها للقرآن وتدبر آياته وحفظ ما تيسر منه، وخصوصاً آيات الأحكام، وكذلك الآيات الكونية، والاطلاع على كتب التفسير والسيرة حتى يساعدها ذلك على أداء مهمتها في الدعوة لهذا الدين العظيم، ذلك الدين الذي جعلنا خير أمة؛ لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر كما قال . تعالى .: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ) [آل عمران: 110] فإن وجدت في نفسها الكفاءة والقدرة للدعوة لهذا الدين العظيم في محيط مجتمعها فينبغي ألا تدخر جهداً في ذلك؛ فهذا واجب عليها. فإن لم تستطع فبإمكانها الدعوة بين أقربائها وجيرانها، فإن لم تستطع فيكفيها أن تنشئ أبناءها على العقيدة السمحة، وتربيهم التربية الصالحة، وتبث في نفوسهم حب هذا الدين والولاء له والبراء من أعدائه، وأن تشرح لهم معنى قوله . تعالى .: (لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...) [المجادلة: 22] لأننا اليوم في أمسّ الحاجة لكي يعلم أبناؤنا ما يخططه لنا الغرب الصليبي واليهود الحاقدون ومن شايعهم في محاولتهم الخبيثة لتذويب شخصية شبابنا المسلم في بوتقة الانحراف، وإبعادهم عن هويتهم الإسلامية الصحيحة؛ ففي هذه الظروف التي نراها

الآن وتعيشها الأمة الإسلامية وقد تداعت عليها الأمم كما تداعت الأكلة على قصعتها، نرى أمتنا وقد هانت على أعدائها وتكالبوا عليها لتضليل أبنائها ونهب ثرواتها وخيراتها.. فهم كما نرى يصطنعون الأحداث في بلادنا ويضعون لها الحلول.. يخططون وينفذون ما يريدون؛ ففي مثل هذه الظروف يجب أن تتكاتف الأيدي جميعاً.

فلتكن المرأة المسلمة عوناً للرجل تسانده وتشجعه بالدعوة لهذا الدين والذود عنه، فلا تضيع وقتها فيما لا يعود عليها ولا على أمتها بالخير؛ فالعمر هو الوقت، والمسلم سوف يسأل عن عمره فيما أفناه، يقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن رزقه من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به)(2).

فعلى المرأة المسلمة الحذر كل الحذر من أن تقع في شراك أدعياء تحرير المرأة؛ فإنهم يهدفون من وراء ذلك الطعم اصطيادها وتحللها من دينها وقيمها وأخلاقها؛ وحينها تكون ذيلاً لهم وتابعة ذليلة لمناهجهم.

إن الأمر جد خطير؛ فلا بد من تعبئة كل القدرات وتهيئتها وتضافر الجهود وبذل الطاقات من أجل صحوة دينية نسائية صادقة هادفة تقوم على أسس هذا الدين ومبادئه؛ فقد آن الأوان لكي نرد لهذا الدين عزته، وللمؤمنين كرامتهم؛ فنحن أحق بأنفسنا من التبعية للأجنبي الغريب، بل نحن أحق بقيادة هذا العالم؛ لأن ديننا صالح لكل زمان ومكان، وهو ينشر العدل والأمن والسلام بين البشر وميزانه: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) [الحجرات: 13] و (لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى).

فللّه العزة ولرسوله والمؤمنين... ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

الهوامش :

(1) البخاري: كتاب الأنبياء، حديث (50) وكتاب الاعتصام، حديث (14). ومسلم: كتاب العلم، حديث (6).

(2) الترمذي: كتاب القيامة، حديث رقم (1).

=============

الوجه الآخر

كثيراً ما تثار قضية إنصاف المرأة من الرجل وضرورة الأخذ بحقوقها المسلوبة.. وجميل أن نجد من يثأر لها . ويأخذ بحقها خصوصا ونحن نعلم أنها تحتاج للنصرة في كثير من المواطن والظروف..

لكن العجيب أننا قليلاً ما نسمع من يطالب بإنصاف المرأة من بنات جنسها. فهذه لاشك دعوة من نوع جديد مع أن المجتمع يعيشها ويعاني منها!

فئة ليست بالقليلة من النساء اللاتي يرزحن تحت ظلم المرأة لأختها المرأة..

ولعل من أشنع صور هذا الظلم ما نسمعه بين حين وآخر من فئة من النساء اللاتي يرفعن الخطاب النسوي التغريبي ويطالبن بحقوق هي في الواقع أعباء والتزامات جديدة يثقل بها كاهل المرأة من جديد ومن أمثلتها الدعوة إلى قيادة السيارة أو المشاركة السياسية والتحرر من قوامة الرجل وعدم اشتراط المحرم في السفر...إلخ

تلك الدعاوي الجوفاء التي هي أبعد ما تكون عن المعا ناه الواقعية لكثير من النساء فماذا يمكن أن تقدم هذه الدعاوي أمام تعسف وتشدد بعض الآباء وأولياء الأمور الذين منعوا مولياتهن حق الزواج وردوا الخُطاب حتى تصل الفتاة إلى سن يعزف عنها الرجال أو تزويجها لمن لا ترغبه ؟!

وماذا يمكن أن تقدم هذا الدعاوي لنساء يعانين من سوء معاملة الأزواج وأمام استبدادهم بالرأي والتنصل من المسؤولية وإهمال الزوجة وربما تركها وأولادها تواجه صعاب الحياة وربما طالبها بالنفقة عليه وعلى أولاده أوعضلها لتفتدي نفسها منه بمالها ؟!

وماذا يمكن أن نقدم للمرأة التي أخذ مالها ومنعت حقها في الميراث وسلبت حقها في التصرف في مالها ...؟!

الى غير ذلك من صور التي هي حقوق أولية واهتمامات حقيقية للمرأة !!

إن صور الظلم للمرأة من اختها الكثير ومنها ظلم زوجات الآباء وظلم أم الزوج لزوجة ولدها والعكس..!! وظلم المديرات لمن تحت أيديهن من الموظفات..

صور كثيرة قد لا يعرفها إلا من خالط النساء وعلم ما يدور في واقعهن من ظلم وقهر مصدره غالباً المرأة لأختها !!

فهل آن الأوان أن تخفض الأخت لأختها جناح الرحمة والشفقة التي هي أقرب الناس إليها وأعلمهم بحالها ومعرفة واقعها وهمومها ومعاناتها؟

ومتى تتحد الأصوات النسائية الراشدة ليرفعن راية المطالبة بالأخذ بالحقوق ومنع الظلم ورفض دعاوى التبرج والسفور والتحرير التي هي في الواقع أبواق للإعلام الغربي الآسن؟!!

كذلك فتح مراكزالإستشارات الأسرية ومناقشة قضايا المرأة في وسائل الإعلام وتصعيد هذه القضايا الهامه من خلال الإعلام المرئي والمسموع والمكتوب, لتوعية المجتمع بالحقوق والواجبات وتسهيل مهمة وصول المرأة إلى القضاء عند الإعتداء عليها وإقامة المؤتمرات لمعالجة قضايا المرأة والرد على المغرضين ودعاة التحرير وتكثيف اللقاءات التربوية والثقافية النسائية التي تتبناها جهات موثوقة والأهم من كل ذلك : التركيز على تربية المرأة وتوثيق علاقاتها بربها وتخريج جيل قوي يحمل هم الدين والدعوة حتى توصد الأبواب أمام زحف التغريب والعلمنة في ظل النظام العالمي الجديد .

والله أسأل أن يحفظ نساء المسلمين من الفتن ويثبتهن على الحق ويجعلهن هاديات مهتديات 00آمين.

==============

يا مصلحون : أوصدوا الأبواب أمام زحف التغريب

إنه لمن المستغرب ما نسمعه ونشاهده اليوم من هجمة شرسة على الكل بوجه عام، وعلى المرأة بوجه الخصوص، في هذه البلاد التي أعزها الله وشرفها بكونها مهبط الوحي، منبع الرسالة ومقر الحرمين الشريفين.

غير أن فئة من المستغربين، وأدعياء التحرر والمساواة، لا يريدون لها ذلك، فهم يسعون جاهدين لهتك ستر الفضيلة والحياء بدعوى الحرية والمساواة ورفع الظلم عن المرأة – زعموا – وبالتأمل في دعواتهم وشعاراتهم نجد أن هناك ثغرات استطاعوا الدخول منها إلينا، وهي سلوكات مرفوضة من الدين، وتبدر من بعض ضعاف الإيمان. أذكر أبرزها:

* التعسف والتشدد من بعض الآباء وأولياء الأمور ومنع مولياتهن الزواج ورد الخطاب، حتى تصل الفتاة إلى سن يعزف عنها الشباب الراغب في النكاح، أو تزويجها بمن لا ترغب فيه.

* سوء معاملة الأزواج لزوجاتهن، واستبداد الرجل بالرأي، وعدم مشاركة الزوجة حتى في أخص الخصوصيات كتزويج ابنتها .. أو نحو ذلك.

* عدم العدل لمن تزوج بأخرى، وإهمال الزوجة الأولى بعد الزواج بأخرى، والتنصل من المسؤولية، وتركها وأولادها تواجه صعاب الحياة.

* منع المرأة حقها في الميراث، وخصوصاً في بعض القرى، وفي حين مطالبتها بهذا الحق يتحامل عليها الأولياء، وتقطع من قبلهم.

* تسلط الأولياء على المرأة، وأخذ مالها، ومنعها حق التصرف فيه.

* العضل سواء من ولي المرأة، أو زوجها لتفتدي نفسها دون أن تجد لها نصيراً.

* منع النفقة الواجبة للزوجة على الزوج، ومطالبتها بالنفقة، خصوصاً إن كانت ذات مال.

* الظلم الذي تعانيه كثير من المطلقات بعد وقوع الطلاق من الإضرار بها، ومنعها حق رؤية الأبناء أو الاتصال بهم، أو ترك الأولاد معها بدون نفقة أو رعاية من الأب، بالإضافة إلى ما تجده المرأة المطلقة من سوء معاملة الأهل والأقارب. ومما تجدر الإشارة إليه مقال نشرته جريدة عكاظ في العدد 1266 يوم الجمعة 7 ذوالحجة من عام 1421هـ بعنوان "المطلقات في الأرض" تكلم فيه الكاتب عن تصرف بعض الرجال مع زوجاتهم السابقات، وطلاقهم لهن بعد طول العشرة بدون اعتبار لمعاناتهن وتضحياتهن من أجل هؤلاء الأزواج، ثم تبقى بدون عائل ولا ناصر... ويختم مقاله بقوله: "أعلم أن الزوج غير ملزم بالنفقة على مطلقته، فماذا تعمل هذه المطلقة؟ وإلى أين تلجأ؟ وكيف تعيش؟ ومن ينصرها؟

أسئلة كثيرة تتقافز من مخابئها، وأنا لا أملك أو لا أعرف أي إجابة فقهية لمثل هذه الأسئلة، فقط أتمنى أن أجد إجابة شافية عند مشايخنا الأفاضل حول أولئك الرجال الذين يقذفون بزوجاتهم عند نصف المشوار أو آخره، من غير أن يكون للزوجة أهل أو مأوى أو مجال للاكتساب ...." إلخ.

ولو راجع الكاتب باب النفقات في كتب الفقه لعرف كيف أن الإسلام قد ضمن الحقوق وأوجد التكافل بين جميع أفراد المجتمع (راجع المغني لابن قدامة7/9،257،583/256،582)، فهذه المطلقة لا بد أن تكون أماً أو أختاً أو عمة أو جدة، ومن هنا فالإسلام قد ضمن لها حق النفقة علىولدها أو ولد ولدها أو ابن أخيها... وهكذا، وإن لم يوجد قريب على الإطلاق فهناك "الضمان الاجتماعي" وهذه غالباً حالات شاذة.

ومن هنا أبين موقف الإسلام من مثل هذه الحالات – باختصار – حتى لا يظن ظان أن ذلك من الإسلام، فأما ما يتعلق بتزويج الفتاة فالإسلام اعتبر رضاها فلا تزوج إلا بإذنها، ففي الحديث "لا تنكح البكر حتى تستأذن ولا الثيب حتى تستأمر".

يقول ابن قدامة – رحمه الله –: "أما الثيب فلا نعلم بين أهل العلم خلافاً في أن إذنها الكلام للخبر، ولأن اللسان هو المعبر عما في القلب..." اهـ (493/6)، أما البكر فإذنها صماتها، أي سكوتها كما في الصحيح: "لا تنكح البكر حتى تستأذن، قالوا: يا رسول الله، فكيف إذنها؟قال: أن تسكت" (متفق عليه).

وأما ما يتعلق بسوء معاملة الزوجات فنعلم أن الإسلام قد حث على حسن معاملة الزوجة، وجعل خير الرجال خيرهم لأهله، كما في الحديث: "خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي" (صحيح الجامع:3314).

وفي الحديث: "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم" (رواه الترمذي وابن حبان والحكام وصححوه).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر" أو قال: "غيره".

وما زال – صلى الله عليه وسلم – يوصي بهن خيراً حتى آخر لحظة من حياته فعند موته يوصي بقوله – صلى الله عليه وسلم – "استوصوا بالنساء".

وكان يداعب أهله ويلاعبهن، ويسرب البنات لعائشة – رضي الله عنها – ليلعبن معها، ويستشيرهن في المهمات كما استشار أم سلمة – رضي الله عنها – في صلح الحديبية.

وقد أباح الإسلام التعدد ولكن بشروط منها العدل، والقدرة وحذر من الميل لإحداهن ومنع الحق عن الأخرى، في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "من كان له امرأتان يميل لإحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة أحد شقيه مائل" (رواه النسائي).

كما أن المرأة لها الحق في الميراث كالرجل تماماً، وهذا الحق فرضه الله تعالى لها دون أن يلزمها بحقوق النفقات، فهي تأخذ النصف مما يأخذه الرجل ومع ذلك فعلى الرجل أن ينفق عليها، ومن هنا ألفت النظر إلى تكريم الإسلام للمرأة التي كانت في الجاهلية تورث كسائر المتاع.

كما أن الإسلام أعطاها حق التصرف في مالها ولا يحق لأحد من الأولياء منعها من التصرف، أو التعدي على شيء من مالها ما لم تطب بذلك نفسها.

كما حرم الإسلام العضل، وأصل العضل الحبس والمنع والتضييق، يقال: عضل فلان فلانة عن الأزواج يعضلها عضلاً (انظر لسان العرب 451/11) وهو منعها الزوج ظلماً.

قال تعالى: {وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون} (البقرة:232).

قال ابن جرير – رحمه الله – ويعني بقوله تعالى: {فلا تعْضلُوهُنَّ}: لا تضيقوا عليهن بمنعكم إياهن أيها الأولياء من مراجعة أزواجهن بنكاح جديد. تبتغون بذلك مضارّتهن..." اهـ كلام جامع البيان (487/2).

وأما ما يخص الطلاق فنجد أن الإسلام قد حد من وقوعه بشتى الوسائل، فقال سبحانه: {واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً} (النساء: 34) ولكن عند استحالة صلاح الحياة الزوجية يكون الطلاق حينئذ مخرجاً وحلاً لكلا الطرفين. ومع ذلك يجب على الزوج أن لا يخرجها من بيتها حتى تنتهي العدة، وتجب عليه نفقتها في حالة الطلاق الرجعي، وأما البائن بينونة كبرى ففي وجوب السكن روايتان، ومن

قال بها اشترط: أن يكون معها ذو محرم، وأن تكون في مكان لا يراها، وبينها وبينه باب مغلق.

وأما الأولاد فتجب عليه نفقتهم بإجماع العلماء. ومن شروط صحة الطلاق: أن يقع في طهر لم يجامعها فيه، فيحرم طلاقها وهي حائض.

كما أباح الإسلام الخلع للمرأة في حالة كراهية الزوج وعدم استطاعة العيش معه، ولست الآن بصدد التفصيل في مثل هذه القضايا الفقهية، فالمؤلفات فيها كثيرة جداً، ومن أراد التوسع في ذلك فليراجع الكتب الفقهية التي تناولت مثل هذه الموضوعات.

وأنبه إلى أن مثل هذه الحالات قليلة. وهي سلوكات شاذة تصدر من بعض ضعاف الإيمان، وأما غالبية النساء فهن يعشن معززات مكرمات بجانب الولي الذي هو الزوج أو غيره من أوليائها، قد منحها حبه ورعايته، يحوطها وينفق عليها. وما دعوات هؤلاء القوم إلا خارجة عن محيط ما تعانيه المرأة من هموم، أو هي هموم طائفة من شواذ المجتمع الذين تربوا في خارج هذه البلاد، وتشربت قلوبهم حب أعداء الله تعالى، فأحبوا أن ينقلوا ما تعلموه إلى هذه البلاد.

وإني أتساءل: ماذا عسى المرأة أن تنال من الحقوق إن هي قادت السيارة، وتولت إدارة الشؤون خارج بيتها، ونبذت حجابها، واختلطت بالرجال، وشاركت في الاجتماعات واللجان والمؤتمرات والنوادي، وسافرت بلا محرم هنا وهناك، وتعلمت الفن والرياضة والرقص والغناء والتمثيل، بل وشاركتفي وسائل الإعلام وأبرزت جمالها ومحاسنها للرجال...؟!

لا شك في أن هذه أعباء ومسؤوليات هي في غنى عنها... بل هي شقاء لها وحرمان من الاستقرار والتمتع بواجبات الأمومة ورعاية الأسرة وتهيئة الجو الهادئ والسكن النفسي للزوج والأولاد، ومخالفة لفطرة المرأة وأنوثتها، بل قل لي بربك: من يتولى رعاية وتربية الجيل إذا شغلت الأم بكل هذا؟! وهذه نتيجة حتمية لإخراج جيل ضائع مترف لا هم له سوى الشهوات والملذات والاستغراق في المجون والمخدرات.

يقول فضيلة الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد – حفظه الله –: "ومن أشأم هذه المخاطر وأشدها نفوذاً في تمييع الأمة وإغراقها في شهواتها، وانحلال أخلاقها: سعي دعاة الفتنة، الذين تولوا عن حماية الفضائل الإسلامية في نسائهم ونساء المؤمنين، إلى

مدارج الفتنة، وإشاعة الفاحشة ونشرها، وعدلوا عن حفظ نقاء الأعراض وحراستها إلى زلزلتها عن مكانتها، وفتح أبواب الأطماع في اقتحامها، كل هذا من خلال الدعوات الآثمة، والشعارات المضللة، باسم "حقوق المرأة" و "حريتها" و "مساواتها بالرجل" وهكذا .. لإسقاط الحجاب وخلعه، ونشر التبرج والسفور والعري، والخلاعة، والاختلاط، حتى يقول لسان حال المرأة المتبرجة: "هيت لكم أيها الإباحيون"!! اهـ (حراسة الفضيلة ص908).

ومن هنا أضع بين يدي علمائنا ودعاتنا المصلحين بعض المقترحات لعلها توصد الأبواب أمام زحف التغريب والعلمنة أو كما تسمى في عصرنا "نظرية الخلط" في ظل "النظام العالمي الجديد". ومن هذه المقترحات:

* إنشاء جمعيات خيرية تهتم بمعالجة المشكلات الاجتماعية والأسرية يشرف عليها نخبة من العلماء وذوي الرأي، ويوجد فيها فرع نسوي تشرف عليه الداعيات وطالبات العلم بعد تهيئتهن لهذه المهمات، مع المحافظة على السرية التامة عند معالجة هذه المشكلات.

* توعية المجتمع وعقد دورات للرجال والنساء في كيفية التعامل مع الزوج، ومعرفة حقوق الزوجة وحقوق المرأة على العموم، وواجبات كل طرف .

* تسهيل مهمة وصول المرأة إلى القضاء عند تعدي أحد الأولياء عليها، ولو عن طريق الهاتف والفاكس، وذلك بإيجاد رقم هاتف خاص يستقبل مثل هذه القضايا وسرعة البت فيها؛ حتى يرتدع الأولياء عن التعدي على مولياتهن.

* إقامة مؤتمرات لمعالجة قضايا المرأة، والرد على المغرضين ودعاة التحرير يشارك فيها العلماء والدعاة وعلماء الاجتماع .

* أن ينشط الكتاب والمؤلفون ودور النشر للمشاركة في صد هذا الزحف، من خلال الكتابة في الصحف والمجلات وتأليف الكتب.. والتركيز على رد الشبهات وتفنيدها بأسلوب متين ومنهج علمي وموضوعية بحتة.

* التركيز على تربية المرأة، وتخريج جيل قوي من الداعيات، ومن خلال التركيز على دور التحفيظ النسائية، ومدارس تحفيظ القرآن الكريم، وذلك باختيار الكفاءات

للتدريس والإشراف ووضع المناهج والخطط التربوية، وتوجيه المتميزات، واستغلال الطاقات بإقامة دورات خاصة لهن وإعدادهن للقيادة، وحمل هم الدعوة.

هذا وأسأل الله جل وعلا أن يحفظ نساء المسلمين من التبرج والسفور وأن يثبتنا على الحق، وأن يرزقنا العلم والعمل والإخلاص، إنه سميع مجيد

==============

نقد الفكر الليبرالي (جديد ومزيد).

الحرب على السلفيّة..!

(نقد الفكر "الليبرالي" السعودي)

فئة ضالة جديدة

بقلم/ د. محمد بن عبد العزيز المسند

عضو هيئة التدريس بكلية المعلمين

قسم الدراسات القرآنية

وعضو الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فإنّ من المعلوم أنّ هذه الدولة السعوديّة منذ نشأتها على يد الإمامين الجليلين محمّد بن عبد الوهّاب ومحمّد بن سعود ـ رحمهما الله تعالى ـ قد قامت على العقيدة السلفيّة النقيّة التي كان عليها السلف الصالح منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم.. والإمام محمّد بن عبد الوهّاب رحمه الله لم يأت بجديد فيما دعا إليه، وإنّما جدّد ما اندرس من معالم هذا الدين لا سيّما ما يتعلّق بالتوحيد ونبذ الشرك، فكانت دعوته تحريراً للعقول من الجهل والخرافات والخزعبلات، وجرى على ذلك أتباعه من بعده حكاماً ومحكومين، ولقد تعرّضت هذه الدولة السلفيّة المباركة منذ نشأتها للكثير من الأذى والمواجهات والتحديات من قبل جهات عدّة، لكنّها ـ بفضل الله تعالى ثم بفضل تمسّك أهلها بهذه العقيدة السلفيّة النقية ـ صمدت في وجه أعدائها، وعاودت الظهور كلّما ظنّ أعداؤها أنّها قد زالت إلى الأبد..

وفي أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ثمّ الأحداث التي وقعت في هذه البلاد من تفجيرات آثمة، مع ما صاحب ذلك من وفاة كبار أئمّة هذه الدعوة السلفيّة المعاصرين الذين كان لهم كبير الأثر في حمايتها والذود عنها؛ وجد الأعداء فرصتهم في النيل من هذه الدعوة السلفية ممثّلة في أهلها والقائمين عليها، ولم يكن عدوّها الخارجي بأخطر من عدوّها الداخلي المتمثلّ في بعض أبنائها العاقّين الذين تشرّبوا مبادىء وأفكاراً منحرفة، كان منهم طائفة تبنت الفكر الاعتزالي القديم، وراحت تدعو إليه وتنافح عنه، وترى في السلفيّة عدوّاً لدوداً له، وهم بذلك يسعون إلى إعادة فتنة سلفهم القديمة مع إمام أهل السنة في وقته الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، ولكن بوجه عصري جديد يتماشى مع ما يريده العدو الخارجي المتمكن، هذا الوجه يتلخص في اتهام هذه السلفية النقيّة بأنّها هي مصدر الإرهاب . الذي لم يتم الاتفاق على تعريفه إلى هذه اللحظة .، ومصدّرته، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فجعلوا السلفية المسكينة هي السبب الرئيس في جميع النكبات التي حلّت بالأمّة من تخلّف وتأخر وتفرّق(!)، وأنّه لا سبيل إلى التقدم والازدهار إلا بنبذ هذه السلفية النقية التي تدعو إلى اتّباع منهج السلف الصالح ابتداء من رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم، ومروراً بأئمّة الإسلام العظام كسعيد بن المسيّب وسعيد بن جبير والأئمّة الأربعة وابن تيمية وانتهاء بأئمة السلفية المعاصرين كابن باديس وابن باز وابن عثيمين وغيرهم عليهم جميعاً رحمة الله تعالى، وفي الوقت نفسه راحوا يبشّرون بمشروعهم التغريبي الجديد المتمثّل في إحياء الفكر الاعتزالي العقلاني، بدعوى الإنسانية والتعددية.. وقد رأيت أن أقصر الحديث على هذه الطائفة الاعتزالية دون غيرها لأسباب أهمّها:

1. أنّهم من أبناء جلدتنا اللصيقين، ويتكلّمون بألسنتنا..

2. تمكنهم من بعض وسائل الإعلام المحلية، وإعطاؤهم الضوء الأخضر من قبل القائمين على تلك الوسائل ليقولوا جلّ ما يريدون، وعدم السماح بنشر الردود عليهم إلا بشكل ضئيل جداً.

3. أنّهم يتحدّثون باسم الدين ويلبسّون على الناس بخلط الحقّ بالباطل، وإثارة الشبه القديمة التي أثارها الأعداء من قبل.

4. تمكنهم من بعض المنابر الجامعية في بلادنا، وبلبلة أفكار الطلاب وتشكيكهم في دينهم وعلمائهم بل وفي أقرب الناس إليهم وفي هذا يقول أحدهم . وهو أشدّهم تطرّفاً وبذاءة . في مقال له بعنوان: (نحن والخوارج إلى أين) الرياض: 13709: " ما أؤكّده لطلابي دائماً، ويقع منهم موقع الغرابة أنّ الفكر الخارجي حالة ليست ببعيدة عنا، الحالة الخارجية لها نسبتها الخاصة، وقد تنمو داخل الفرد ببطء دون أن يشعر، وقد تتسرب إليه من أقرب الأقربين، بل قد يكون أقرب الناس إليه . والداه أو إخوته مثلاً . من غلاة الخوارج، ولكنه يستبعد أن يكون هذا القريب الذي يطمئن إليه غاية الاطمئنان من الخوارج الغلاة الذين يقرأ عنهم وعن تكفيرهم ووحشيتهم.. لا يكادون يصدقون هذا، مع أنهم يعرفون تمام المعرفة أن الخوارج القدامى خرجوا من صميم المجتمع... "، بهذه الطريقة الماكرة يشكك الأستاذ الجامعي تلاميذه في والدِيهم وإخوانهم، بل العجيب أن يتحوّل مدرس العربية، إلى أستاذ في العقيدة، ليلقنهم درساً في الفِرَق، وهذا الذي طالما استنكروه في صحفهم، وعدّوه من أسباب تدني التعليم عندنا كما يقول أحدهم في مقال له بعنوان: (دعاة لا معلمون) الوطن: 921.

ثم يقول الأول في مقاله: إن الطلاب لا يكادون يصدقون ما يقوله..!!، وكيف يصدقون هذا الهراء من كاتب يعلمون خبثه وانحرافه العقدي والفكري، وقد قابلت بعض طلابه فأبدوا استياءهم من فكره المنحرف الذي يبثه في قاعة الدرس..

ولقد كنت منذ زمن أتتبع كتاباتهم التي يسوّدون بها الصحف والمجلات، فجمعت منها كمّاً هائلاً مليئاً بالجهالات والمغالطات والتلبيس والدسّ الرخيص، وتقرير العقائد الباطلة، وغير ذلك من أنواع الباطل، وما فاتني منها ربما أضعاف ما جمعته، مما يصعب معه نقد هذا الفكر نقداً شاملاً دقيقاً، إذ يحتاج ذلك إلى مجلدات ضخمة ربما فني العمر قبل الفراغ منها.. ولا أقول ذلك مبالغة وإنّما هي الحقيقة، لذا سأحاول نقد ما تيسر لي من هذا الفكر بحسب ما يتسع له الوقت، وهو كاف . بإذن الله . لفضحه وبيان فساده وخطله..

وسيكون الحديث عنهم في النقاط التالية:

أوّلاً: سماتهم الشكلية الظاهرة..

ثانياً: سماتهم الفكرية والثقافية من خلال كتاباتهم المعلنة..

ولن أحرص على ذكر الأسماء، لأنّ الأسماء تتغيّر وتتبدّل، بخلاف السمات فإنّها ثابتة لا تتغير بتغير الزمان إلا قليلاً، وهذا هو منهج القرآن في الحديث عن مثل هذه الطائفة..

هذا؛ ومن الملاحظ من خلال كتاباتهم أنّهم يتبادلون الأدوار، فبعضهم متخصّص في الطعن في السلفية وتشويهها وتنفير الناس منها، وبعض آخر متخصّص في التقليل من خطورة المذاهب المنحرفة، والأفكار الضالة، بل الدعوة إلى بعضها وتلميعها وخصوصاً الفكر الاعتزالي كما سيأتي بإذن الله، وهكذا، وبعض ثالث متخصّص في النيل من حضارتنا الإسلامية، وتشويهها، والثناء المغالي على الحضارة الغربية، وتمجيدها إلى حدّ الهوس، وهلمّ جرّاً..

أمّا مصادرهم التي ينهلون منها، فهي بعض الكتب الفكريّة لبعض الكُتّاب المنحرفين من تلامذة المستشرقين الحاقدين، ومن أصحاب التوجّهات العلمانية المشبوهة، الذين يجيدون بثّ الشبه، والتشكيك في أصول الدين ومصادره، وتاريخ المسلمين، بطريقة ماكرة، وغير منهجية، قد تخفى على كثير من الشباب الغضّ الذي ليس له حظّ وافر من العلم الشرعي، ومن أبرز هؤلاء المفكّرين، وأكثرهم حضوراً في كتاباتهم: المفكّر المغربي محمّد عابد الجابري، ففي الوقت الذي يطعنون فيه بأئمّة السلف وعلماء الأمّة كما سيأتي؛ نجدهم يسبغون أوصاف التعظيم والتبجيل لهذا المفكر وأمثاله، يقول أحدهم . وهو أشدّهم تطرّفاً . في مقال له بعنوان: (إشكالية العنف الفلسطيني الإسرائيلي) الرياض: 13401: " فلسطين والنهضة العربية، أيّهما الوسيلة، وأيّهما الهدف؟ تاه العربي في هذا السياق وغمّ عليه! وأصبحت الحيرة في هذا من الإشكاليات المزمنة في الوعي العربي ذي البعد الوحدويّ؛ كما يرى ذلك المفكّر المغربيّ الكبير: محمد عابد الجابريّ.. "!!! .

ويقول آخر . وهو أكثرهم حديثاً عن العقائد، وتقرير مذهب الاعتزال . في مقال له بعنوان (غرس المفاهيم من خلال الطرح غير العقلاني) الرياض: 13477: " يرى الدكتور محمد عابد الجابري أنّه لكي يتمّ غرس المفاهيم الحداثية في الذاكرة الجمعية لمجتمع معين مثل مفاهيم الديمقراطية والتسامح وحقوق الإنسان والمجتمع المدني فلا

بدّ من تجذيرها تراثياً.. " ويستمر الكاتب في شرح وجهة نظر الجابري، وعلى الرغم من أنّه أبدى شيئاً من التحفظ المؤدب تجاه تلك الوجهة، إلا أنّه يختم مقاله بقوله: " وهذه على الأقلّ تظلّ مجالاً للتساؤلات التي على المفكّرين الكبار من طراز الجابري بالذات أن يولونها (هكذا) اهتمامهم.."، وأضع تحت كلمتي (طراز) و(بالذات) عدّة خطوط.

وفي مقال آخر بعنوان (النظام المعرفي والهوية الثقافية) الرياض: 13551، يقول الكاتب نفسه: " مفكرون عرب كبار وعلى رأسهم الجابري.. ".

أمّا ترديد أفكار الجابريّ، وحتى ألفاظه ومصطلحاته، فهو كثير في كتاباتهم، ومن ذلك:

- (بنية العقل العربي) من مقال بعنوان: (بائعو الكلام) الرياض: 13490.
- (الإيبيستيمولوجيا، النظام البياني والعرفاني والبرهاني) من مقال بعنوان: (النظام المعرفي والهوية الثقافية) الرياض: 13551.
- (التاريخ السياسي المتدثّر برداء الدين، والمحافظ على أيدلوجيته القبليّة، ومكاسبه الغنائميّة..) من مقال بعنوان: (قراءة في بعض فروع العقائد) الرياض: 13667.
- (المخيال الجمعي) من مقال بعنوان: (مفهوم الحاكمية) الرياض: 13716، وغيرها من العبارات.

بل إنّ أحد كبرائهم . وهو أشدّهم افتتاناً بالحضارة الغربيّة وتمجيدًا لها . صرّح في مقال له بعنوان: (أسباب التباس مفهوم الثقافة) الرياض: 13789 بمنهجهم في التلقّي، يقول: " أمّا التوغّل الفردي في اكتساب المعرفة المقروءة، والتحليق في آفاق المعارف الإنسانيّة؛ فهو من التغيّرات التي طرأت على الحياة البشريّة، وهو عالميّ المصدر، فرديّ الاهتمام، فهو لا يكون جماعياً، ولا يمثّل سياقاً عامّاً، أو نسقًا سائدًا، وإنّما هو عمل فرديّ يقتصر مداه على صاحبه ومن يتأثّرون به، ويستجيبون له [يقصد حزبه الليبراليّ]، وتكون مرجعيّته المعرفيّة من خارج النسق الثقافي المحلّي المغلق(!)، إنّه يعتمد على المصادر المكتوبة الممحصّة(!)، وهي مصادر مجلوبة من خارج الثقافة السائدة "

هذه هي مرجعيّتهم، إنّها مجلوبة من خارج الثقافة السائدة(!) وهي كتب المستشرقين الحاقدين، وأذنابهم من الزنادقة الملحدين، والمفكّرين المنحرفين كما تدلّ على ذلك كتاباتهم!!!.

ثمّ يواصل: " فالفرد المهتّم يكوّن ذاته بذاته منفردًا، ويفتح ذهنه لكلّ المتاح من الإنتاج العالميّ، من الأفكار والمعارف والآداب(!) والفنون حيث يتجاوز الفرد بهذا التحليق(!) الثقافة السائدة تجاوزًا موغلاً(!) معتمدًا في ذلك على التأمّل العميق والاستقصاء الدقيق، والبحث الدائم، والمعايشة المنفردة(!) ".

فهو يرى أنّ مجرّد القراءة الفرديّة، والجهد الفرديّ في التلقّي، ومن مصادر خارج النسق الإسلاميّ المنضبط، هو سرّ التميّز والتثقيف والتقدّم المنشود، وهو إذ يقول ذلك . بهذه السذاجة الغريبة . لا يخاطب جمعًا من المثقّفين والنخب الذين لديهم التمحيص والتمييز بين الغثّ والسمين، والنافع والضارّ، وإنّما يخاطب الناس جميعًا في صحيفة سيّارة، فكيف يصدر مثل هذا من كاتب يعدّ نفسه من نخبة النخبة(!)، وقد حذّر سلفنا الصالح من هذا النوع من التلقّي، وشاعت بينهم المقولة الشهيرة: (من كان شيخه كتابه، كثر خطؤه، وقلّ صوابه)، وهي مقولة صحيحة يؤكّدها الواقع القديم والحديث، فإنّك لا تجد رجلاً تفقّه وتعلّم وتتلمذ على الكتب إلا وتجد له من الأخطاء والشذوذ ما يفوق الحصر.

ثمّ إنّ هؤلاء وهم يتّهمون السلفية بالتقليدية، ويلمزونها بذلك، وهي من أشدّ المذاهب حرصاً على اتّباع الدليل، ونبذ التقليد؛ نراهم يقلّدون هذا الجابري وأمثاله، ويردّدون ذات الأفكار، بل ذات الألفاظ التي يردّدونها، والتي صدرت . أوّل ما صدرت . من المستشرقين الحاقدين، وأخذها عنهم هؤلاء المقلّدون، فعاد الأمر إلى تقليد المستشرقين، وترديد شبههم..، وإذا كان ولا بدّ من التقليد، فتقليد السلف الصالح خير من تقليد المنصّرين، من المستشرقين، وأذنابهم من المفكّرين بعقول غيرهم(!!!).

وبعد، فهذا أوان البدء بالمقصود:

أوّلاً: السمات الظاهرة: فأمّا سماتهم الشكلية الظاهرة . التي يتستّرون بها على أفكارهم .، فأبرزها إعفاء اللحى مع الأخذ منها، أو على حدّ تعبير أحد مشايخنا الأجلاء . اللحى الليبرالية .، حتى إنّ أشدّهم تطرّفاً لو رأيت صورته لحسبته من الصالحين،

بينما كتاباته تمتلىء حقداً وغلاً على الصالحين والمصلحين لا سيما أصحاب المنهج السلفي القويم من الأوّلين والآخرين كما سيأتي.. وليس ذلك خاصّاً بهم، فقد يشترك معهم في ذلك بعض العامّة ممن لا يحمل فكرهم المنحرف..

ومع ذلك، فقد تقتضي مرحلة من المراحل الظهور بغير لحى، فهي ليست ضرورية عندهم..

كما أنّ من سماتهم الظاهرة حضور الجمع والجماعات، مع انتقادهم الشديد . غير الموضوعي . لأئمّة المساجد واحتقارهم وكراهيتهم، إلى درجة الطعن والتشكيك في دينهم أحياناً، والتأليب عليهم، وأحياناً السخرية منهم والتندّر بهم لا سيما إذا خالفوهم في الأفكار المطروحة.. ويظهر ذلك جليّاً في مواقعهم على الأنترنت، فما لا يقدرون على بثه في صحفهم ومجلاتهم بأسمائهم الصريحة، يبثونه عبر تلك المواقع بأسماء مستعارة.. بل إنّ أحدهم . وهو أشدّهم تطرفاً وبذاءة . دعا في مقال له بعنوان: (نحن والخوارج إلى أين) الرياض: 13716، إلى فرض الوصاية على الخطباء . الذين هم في الغالب من طلاب العلم وأساتذة الجامعات . وكتابة الخطب لهم بل حتى الأدعية، فلا يكون لهم دور إلا مجرد قراءة الخطب المكتوبة فقط(!)، هذا مع طنطنة هذا الكاتب وغيره من هذه الفئة على ضرورة رفع الوصاية المفروضة على عامة الناس من قِبل العلماء، والتي تحول بينهم وبين الاقتناع بالأفكار المضللة التي تدعو إليها هذه الفئة الضالة وغيرها، وهذه من أعجب تناقضاتهم كما سيأتي إن شاء الله..

يقول أحدهم . وهو من أكثرهم حديثاً عن السياسة والدعوة إلى الفكر الاعتزالي . في مقال له تفوح منه رائحة العلمنة بعنوان: (التجييش الطائفي على المنابر) الرياض: 13770، . وكلّ من يدعو إلى الدين والعقيدة عندهم فهو طائفي .، يقول: " أدركتني صلاة الجمعة الماضية مع أحد الخطباء ذي الباع الطويل في التسييس المنبري(!) ومنذ قد غادرت مسجده منذ مدّة ليست بالقصيرة عندما أدركت حينها أنني لا أكاد أسمع وأنا منصت لخطبته إلا تحاليل(!) سياسية رديئة المضمون(!) رائجة السوق لدى الخطاب الديماغوغي(!) القابل للتجييش بطبيعته.. " إلى آخر ما ذكر بأسلوبه الركيك المتهالك، أمّا الخطاب الديماغوغي!!! فهذا الذي لم أفهمه إلى هذه الساعة،

ولعلّه مشتق من الدماغ، والله تعالى أعلم، أما (التحاليل)، فذكرتني بالمستشفيات، والدماء المسحوبة للتحليل، ولعله اختار هذا اللفظ لمناسبته للإرهاب وسفك الدماء..

وفي مقال بعنوان: (نجاحات الأمن قدوة كيف نبرر قتلنا المجاني) الوطن: 1156، يلمز أحدهم خطيب العيد الذي صلى خلفه، لأنّه .كما يقول .ذكر أنّ للتطرف وجهين، وجه محسوس وهو الذي يؤدي إلى التفجير والتخريب، والوجه الآخر تطرف فكري وهو تطرف العلمانيين والمنحرفين من كتّاب ومثقفين... وذِكْرُ هذا الوجه الأخير هو الذي أقضّ مضجع هذا الكاتب، واغتاظ منه (كاد المريب أن يقول خذوني)، فما كان منه إلا أن اتهم الخطيب بالتبرير للإرهاب المحسوس، مع أنّه لم يقل ذلك، لكنه الصيد في الماء العكر، والدفاع عن وجودهم، حيث استغلوا الأحداث الأخيرة لتصفية الحساب مع خصومهم التقليديين.

هذه مجمل سماتهم الظاهرة..

أمّا سماتهم الفكرية العامّة التي ظهرت من خلال كتاباتهم المعلنة، فهي كثيرة جداً، أذكرها أوّلاً بإجمال، ثمّ بتفصيل:

أوّلاً: الإجمال:

1. محاربة السلفية.
2. الخلل العقدي الواضح في كتاباتهم.
3. الشكّ في دينهم، وكثرة الحديث عمّا يسمونه بـ (امتلاك الحقيقة المطلقة).
4. العزف على وتر الإنسانية.
5. الدعوة إلى علمنة الحياة، وإقصاء الدين (وهو لبّ مشروعهم الذين يدعون إليه).
6. الإعجاب بمن يسمّونه (الآخر)، ومدحه، وكيل الثناء عليه.
7. الجهل.
8. تنزيل الآيات التي جاءت في حقّ الكفرة من المشركين وأهل الكتاب، على خصومهم المؤمنين من العلماء والدعاة وطلبة العلم!!.
9. عدم قبول النصيحة، والسخرية من الناصحين، والتشهير بهم.
10. المزايدة على حبّ الوطن، وهم أشدّ الناس خطرًا على الوطن.

11. الطعن في أئمّة السلف قديمًا وحديثًا، والتقليل من شأنهم، مع إجلال الزنادقة والملحدين والمارقين والمبتدعة.

12. الغرور والكبر واعتقاد امتلاك الصواب..

13. الهجوم الشديد على المؤسسات الدينية والمناشط الدعوية والأشرطة والكتيّبات النافعة.

هذه بعض سماتهم بإجمال، أمّا التفصيل:

السمة الأولى:

محاربة السلفية

وهذه سمة ظاهرة في كتاباتهم، بل هي أبرز سماتهم، يبدونها أحياناً، ويخفونها أحياناً كثيراً، وليس المراد بالسلفية هنا: المدّعاة من قبل بعض النوابت الذين شوّهوا السلفية الحقّة ما بين إفراط أو تفريط، فهؤلاء أمرهم مكشوف لكل ذي بصيرة، بل العجب إنّ بعضهم قد وضعوا أيديهم في أيدي هؤلاء الاعتزاليين المارقين لمحاربة السلفية الحقّة ممثّلة في أهلها العاملين بها.. ومع هذا فإنّ هؤلاء الاعتزاليين يسخرون منهم، ومن سلفيتهم بل من السلفية كلّها أيّاً كانت، يقول أحدهم . وهو أشدّهم تطرفاً . بأسلوب ماكر لا يخلو من السخرية في مقال له بعنوان: (المعاصرة وتقليدية التقليدي) الرياض: 13366، وعلامات التعجب من عندي: " السلفيات وإن تنوعت، بل وإن وقف بعضها من بعض موقف التضادّ؛ إلا أن الوعي الماضوي(!) يجمعها. إن السباق فيما بينها ليس سباقاً في ميدان الحاضر أو المستقبل، وإنّما هو سباق في ميدان الماضي، والسابق هو الذي يصل . بأقصى سرعة . إلى الماضي السحيق(!).." إلى أن يقول: " وهكذا نجد أنّ كلّ سلفية . أيّاً كان نوعها ودعواها وتمظهرها . تدعم الوعي السلفي(!) وترسّخ للماضوية، وتكافح في سبيل التقليد، بدعوى أنّه الحصن المنيع ضدّ الابتداع، وهي بهذا تقف ضدّ أي حراك تقدّمي، تقف ضدّ التقدّم كوعي(!)، وإن تهادنت معه في هذا الموقف أو ذاك. إنّ هذه الهدنة من قبل السلفي فعل تكتيكي لا يرقى إلى الاستراتيجي ولا يقاربه، حتى في مداه النسبي، لأنّ السلفية . دائماً(!) . في صف الماضي على حساب الحاضر(!) ". والماضي السحيق الذي أشار إليه هذا الكاتب، هو رسول الله r وأصحابه الكرام، إذ إن هذا هو

أقصى ما يرجع إليه السلفي المتبع، فهو تعبير آثم يدلّ على شناعة هذا الفكر التغريبي وقبحه، واستهانته بسلف الأمّة.. وأما اتهام السلفية بأنّها في صف الماضي على حساب الحاضر! فهو محض افتراء وكذب، فلا تعارض بين الماضي السحيق . على حدّ تعبير الكاتب . الذي منتهاه رسول الهدى صلى الله عليه وسلم، وبين الحاضر والمستقبل في الفكر السلفي الصحيح، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها كما دلت على ذلك النصوص الشرعية.

وقبل الحديث عن هذه الحرب القذرة، لا بد من بيان بعض المصطلحات التي تتردد في كتاباتهم، حتى يتفهم القارىء ما يهدفون إليه.

فمن هذه المصطلحات:

• (السلفية التقليدية) ويريدون بها المؤسسات الدينية الرسمية في الدولة التي تتمثّل فيها هذه السلفية، كهيئة كبار العلماء، واللجنة الدائمة للإفتاء، وسائر علمائنا الكبار..

• (الفكر الصحوي) ويريدون به طلبة العلم والدعاة النشطين، وهو الذي يعدونه . كما يقول أحدهم . " النشاط الحركي العصري للسلفية التقليدية وأنّ العلاقة بينهما علاقة عضوية يستحيل تمايزها " الرياض:13436.

• (الإسلام الحركي) أو (الحراك المتأسلم!!)، ويريدون به أيضاً الدعاة النشطين في الدعوة... فهم لا يريدون إسلاماً نشطاً متحرّكاً، وإنّما يريدون إسلاماً جامداً خاملاً لا يتحرك، حتى يتمكنوا من تنفيذ مشروعهم التغريبي دون مقاومة تذكر!!!.

• (الإسلام السياسي) ويريدون به العلماء والدعاة الذين يشاركون في الشأن العام، لا سيما القضايا السياسية، ولهم دور فاعل فيها... وهم يريدون إسلاماً "دراويشياً" لا يفقه شيئاً في القضايا العامة حتى تخلو لهم الساحة..

• (التنميط) ويريدون به تربية الناس على منهج أهل السنة والجماعة، وعقيدة السلف الصالح، وحمايتهم من المذاهب المنحرفة، والعقائد الفاسدة..

• (الأيديولوجيا)، وهو مصطلح وافد غير عربي يتردد كثيراً في كتاباتهم . بل يكاد يكون ترداده سمة لهم . ويريدون به المعتقد الديني أو الثقافي الذي يؤمن به الفرد ويترجمه سلوكاً في الواقع المعاش. والأدلجة عندهم فيما يتعلّق بالسلفية: تشبه

التنميط، فهي دعوة الناس إلى الدين والمعتقد الصحيح وتربيتهم عليه ليكون واقعاً معاشاً، وهذا هو الذي يقضّ مضاجعهم، ويحول بينهم وبين تحقيق مشروعهم التغريبي.

وقد سلك هؤلاء المارقون في حربهم للسلفية مسالك عدّة، من أبرزها:

1. محاولة تشويه السلفية، والتنفير منها، وتصويرها بصورة مقزّزة لصرف الناس عنها، وذلك للتمهيد لطرح مشروعهم التغريبي العفن المتقنّع بقناع العقلانية والتنوير!! وهم وإن كانوا كلّهم يعملون في هذا السياق؛ إلا أنّ أحدهم . وهو أشدّهم تطرّفاً وأكثرهم بذاءة . قد تخصّص في ذلك كما سبق، فلم يترك شتيمة، ولا نقيصة إلا رمى بها هذه السلفية التي يدين بها عامّة أهل هذه البلاد وغيرهم، وكلّ ما تقاطع معها من "الإسلامويين" . كما يعبّرون استهزاء . ولو من بعيد، وحتى لا أكون متجنّياً، فإنّي سأذكر بعض هذه الشتائم، ليعلم القارىء مدى الإسفاف الذي وصلوا إليه، مع دعواتهم المتكرّرة للتسامح مع "الآخر" واحترامه وتقديره!!!. فمن هذه الشتائم:

(السلفية العتيقة) الرياض: 12953، (السلفية التقليدية) الرياض: 13065، (الانغلاق السلفي) الرياض: 13338، (قوى التقليد والجمود والظلام) الرياض: 13485، (قوى التقليد والظلام والإرهاب) الرياض: 13331، (قوى التأسلم) الرياض: 13359، (قوى التخلف والتوحش والانغلاق) الرياض: 13352، (قوى التطرف) الرياض: 13331، (قوى تخلف وتقليد) الرياض: 13331، (التقليدية البلهاء) الرياض: 13065،(التقليدية الميتة) الرياض: 13331 ، (الثقافة الميتة) الرياض: 13072، (الثقافة التي تصنع الغباء) الرياض: 13072، (الثقافة التقليدية البائسة) الرياض: 13065، (ثقافة الانغلاق) الرياض: 13065، (ثقافة تقتل الوعي) الرياض: 13065، (ثقافة التجميع واللا عقل) الرياض: 13072، (ثقافة الموت الوعظية الحمقاء) الرياض: 13072، (ثقافة كسيحة) الرياض: 13156، (الوعي الكسيح) الرياض: 13002، (الوعي المتسطّح الكسيح) الرياض: 13072، (الوعي المأزوم) الرياض: 13380، (وعي غارق في مخلّفات عصور الانحطاط) الرياض: 13156، (القراءة التراثية المبعثرة) الرياض: 13331، (الطرح المتسطّح ثقافياً) الرياض: 13163، (رؤى الانغلاق وتيارات

الكره ودعاة النفي) الرياض: 13128، (براش التنميط والمحافظة والتقليد) الرياض: 13128، (الاحتيال اللا معرفي وجرثومة الوصاية) الرياض: 13065، (الدروشة الوعظية التي تفتقد الحكمة) الرياض: 13072، (الإفلاس المعرفي) الرياض: 13072، (الاستغفال المعرفي) الرياض: 13121، (الترنح المعرفي) الرياض: 13282، (تيار الجمود والارتياب) الرياض: 13282، (الاختطاف الثقافي والاجتماعي) الرياض: 13128، (قصور معرفي حاد) الرياض: 13163، (البلاهة السياسية) الرياض: 13191، (الغباء السياسي) الرياض: ، (ضمور الوعي السياسي) الرياض: 13380، (الجماعات المتأسلمة) الرياض: 13247، (نمطية بلهاء) الرياض: 13338، (المتأسلمون)، (تيارات التأسلم) الرياض: 13282، (فكر الإقصاء والنفي) الرياض: 13282، (اللا وعي بالتاريخ) الرياض: 13002، (الفهم القاصر) الرياض: 13002، (جماهير الغوغاء) الرياض: 13002، (المنزل القديم المتداعي بوحشيته المعتمة) الرياض: 13002، (سيكولوجية البدائي) الرياض: 13002، (خطاب موعظة لا معرفة) الرياض: 12953 ، (ألاعيب الحواة) الرياض: 13436، (ممارسة خرقاء) الرياض: 13436، (الحراك المتأسلم) الرياض: 13478، (الخرافة والتقليد والخداع) الرياض: 13485 ، (طمر الحقائق) الرياض: 13485، (حراك سلبي) الرياض: 13485، (الأيدلوجي المنمط) الرياض: 13499، (المجتمعات المحافظة الأصولية) الرياض: 13499، (حركات الأدلجة) الرياض: 13499 ، (الأدلجة الماكرة) الرياض: 13324 ، (تجهيل الجماهير) الرياض: 13499، (الجماهير البائسة الظامئة) الرياض: 13506، (الجماهير الغائبة المغيّبة) الرياض: 13338، (الحواشي وحواشي الحواشي) الرياض: 13506، (الإسلام الحركي السياسي) الرياض: 13506، (المراهقة الصحوية) الرياض: 13303، (أوهام التقليدية الميتة) الرياض: 13065، (مفرقعات صحوية) الرياض: 13289، (شريط الكاسيت الغبي) الرياض: 13289، (الهراء الإعلامي والسطحية) الرياض: 13289، (المتأسلمون) الرياض: 13303، (الحراك الثقافي المتأسلم) الرياض: 13359، (دعوى النقاء الأخلاقي المزعوم) الرياض: 13331..

هذه بعض الشتائم المقذعة التي قمت بإحصائها من مقالات كاتب واحد منهم فقط، ودون استقصاء تام(!) ويلاحظ على هذه الشتائم ما يلي:

أ- كثرتها، حتّى إنّها لتصل إلى الخمس والستّ في المقال الواحد!!!!، وفي هذا دليل واضح على افتقاد الحجّة الصحيحة المقنعة، فإنّ المبطل إذا عجز عن الإقناع بالحجّة؛ لجأ إلى السباب والشتائم للنيل من خصمه.

نعم؛ قد يضطر الإنسان أحياناً إلى توجيه بعض الشتائم إلى خصمه اللدود، لكن أن تكون بهذه الكثرة المفرطة، ومن أناس " أكاديميين" يدّعون الفكر والعقل المستنير؛ فهو أمر يدعو إلى التأمّل والعجب!!.

ب- تضمنّها العديد من التهم ذات العيار الثقيل بلا دليل ولا برهان صحيح، وما أسهل أن يطلق المرء على خصومه التهم جزافاً بلا بيّنة صحيحة، والتي قد يصل بعضها إلى الإخراج من الدين والإسلام، كقولهم: (المتأسلمون)، (قوى التأسلم) ، (الحراك الثقافي المتأسلم) ونحوها من الشتائم، فالمتأسلم هو الذي يدعي الإسلام وهو ليس كذلك كما يُفهم من هذا الوصف، ولطالما دندن هؤلاء حول خطورة التكفير، والإخراج من الدين، حتى وإن كان بحقّ، فما بالهم يصفون خصومهم المسلمين بالضد من ذلك !!!.

ج- أنّ هذه الشتائم لم تقتصر على أهل العلم والفكر والدعوة من السلفيين من الأوّلين والآخرين، بل تجاوزت ذلك إلى عامّة الناس المقتنعين بهذه العقيدة، والذين يطلقون عليهم وصف (الجماهير): فهم (الجماهير البائسة الظامئة)، و(جماهير الغوغاء)، و(الجماهير المجهّلة)، و(الجماهير الغائبة المغيّبة)، و(المجتمعات المحافظة الأصولية)، لا لشيء إلا لأنّ هذه الجماهير المسلمة اختارت هذه العقيدة النقية، ولم تستجب لدعواتهم التغريبية المضللة، ولن تستجيب بإذن الله تعالى..

د- أنّ الكثير من هذه الأوصاف (الشتائم) هم الأقرب إلى الاتصاف بها، والتخلّق بها لمن تأمل ذلك، لكنهم يقلبون الأمور، ويلبّسون على الناس على قول المثل السائر: (رمتني بدائها وانسلّت)!!.

هـ- أنّ مثل هذه الشتائم لا تصدر إلا من نفس موتورة حاقدة، قد تشبّعت بالشبهات، فاستقرّت فيها وتمكّنت منها، وداء الشبهات أعظم أثراً في النفوس والقلوب من داء الشهوات، فكيف إذا اجتمع الأمران، نسأل الله السلامة والعافية.

والعجيب أنّهم يرون أنّ مثل هذه الشتائم القبيحة التي يسمونها نقداً؛ ضرورية لإيقاظ المجتمع من سباته، وتنويره(!!!)، يقول أحدهم . وهو كبيرهم وأشدّهم افتتاناً بالحضارة الغربية . في مقال له بعنوان: (تخصّص في الطب وأبدع في الفكر والمسرح) الرياض: 13502: " وبذلك أدرك (بريخت) بأنّ مواجهة الطوفان بالنقد الحادّ، والتهكّم الموجع من أهمّ وسائل إيقاظ المجتمع من سباته، وتنويره للمصير المظلم الذي يساق إليه ". وبريخت هذا مبدع عالمي عند الكاتب ترك تخصصه في الطب(!)، واشتغل بالمسرح(!)، وهو حين يذكر قول هذا المبدع(!) لسان قلمه يقول: إياك أعني واسمعي يا جارة، كما يدل على ذلك باقي المقال، ومقالاته الأخرى. وقد فهم تلميذه السابق الرسالة . وبئست التربية .، فأطلق تلك الشتائم والتهكّم الموجع بذلك الكمّ الهائل لمواجهة (طوفان) السلفية، وإيقاظ الفتنة النائمة.. وحتماً سيغرقه هذا الطوفان بإذن الله تعالى.

وأعجب من ذلك أنّ هذا الكاتب نفسه . صاحب الشتائم السابقة . حينما تحدّث عن بعض الكُتّاب المنحرفين في مقال له بعنوان (قراءة الإسلام بين العلمية والإيديولوجيا 2/2) الرياض: 14185 وصفه بوصف هو أجدر أن يوصف به فقال: " لا غرابة في أن تصدر هذه الشتائم عن إنسان مريض يعاني من عقد الاضطهاد، وربما مر بمواقف زادت من تأزمه واضطرابه، أو ربما كان خاضعاً لتربية غير سوية، قادته إلى استخدام هذه اللغة السوقية التي لا تجد من يلوكها إلا في الحواري الخلفية، وعند الحشاشين والقوادين، وإنما العجب أن تحتفي بعض الصحف المحترمة، كأخبار الأدب، وأدب ونقد، ودور النشر العلمية.. بمثل هذا العابث، والذي لا يمتلك سوى هذا الكلام الذي يراه صاحبه علماً. الجهالة من ناحيتين، جهالة أولية، وجهالة جراء عدم إدراك مستوى ضحالة الذات معرفياً ".

وهو في مقاله هذا نصّب نفسه مدافعاً عن الإسلام والدين، وهو الذي كان يكيل الشتائم لأهل الدين كما سبق، ويرميهم بكل نقيصة، فلم يسلم منه حتى الأئمّة الكبار

كابن القيّم وغيره، ولا فرق بين من يطعن في الدين نفسه، ومن يطعن في حملته وأهله، سوى أنّ الأوّل طعن صريح، والثاني خبث مغلّف بتلميح..

وفي مقال له بعنوان (متطرفون في الزمن الليبرالي) الرياض: 14220 دعا فيه صراحة إلى اعتناق الفكر الليبرالي وبشّر فيه بها!!! قال: " والمجتمع الليبرالي مجتمع راشد، يتجاوز هذا السباب الطفولي، وإن اضطر في سياق الخطاب اللاهوتي إلى شيء من ذلك – كحق في التعبير عن الرؤية – فإنه يطرحه في سياق موضوعية صارمة، لا يسمح لها بالإساءة المباشرة إلى أحد ". هذا هو نصّ ما قاله: سباب طفولي في سياق موضوعية صارمة !!! ودون إساءة إلى أحد !! وهل بعد ذلك الكمّ الهائل من الشتائم الطفولية السابقة من إساءة تطال كلّ سلفي موحد في هذه البلاد السلفية ؟. أهذه هي الليبرالية التي يدعون إليها ويبشّرون بها؟..

2. ربط السلفية بالإرهاب . الذي لم يُتفق على تعريفه إلى هذه الساعة . والاستماتة في ذلك، ونسبة بعض المارقين إليها وهو ما يطلقون عليه: (السلفيّة الجهادية).. فكلما خالفهم مخالف، أو حاجّهم محاجّ، أو احتسب عليهم محتسب من أهل الدين والعلم والدعوة رموه بالإرهاب بجرة قلم، والعامة يروون في هذا المقام قصة رمزية طريفة، وهي أن امرأة أراد زوجها أن يتزوج عليها، ففكرت في حيلة لمنعه من الزواج، فما كان منها إلا أن اتصلت برجال الأمن، وذكرت لهم ارتيابها من زوجها، وأن له صلة بـ (الإرهابيين)، وقبيل ليلة الزواج تم القبض عليه بهذه التهمة، واعتذر أهل الزوجة عن تزويجه، وبهذا نجحت الخطة..

يقول أحدهم . وهو مقيم في لندن . في مقال له بعنوان: (الحالة الدينية في السعودية..هل تستمر القاعدة بتجنيد السعوديين) الوطن: 1139 : " ما هي وضعية الحالة الدينية اليوم في السعودية؟.. لا يمكن القول إنّها متسامحة وعصرية، فالأحداث الإرهابية هي نتاج غلو ديني اشترك بعض أفراد المذهبيّة الدينية السلفية السائدة، والأيديولوجيا الصحوية في صنعها في المقام الأوّل بغض النظر عن المسببات الأخرى التي وضعتها في موضع التنفيذ. ومظاهر التشدد الديني التي تلمس كل يوم في خطب الجوامع وأدعية القنوت، والفتاوى المتشددة، والخطاب الديني بمجمله مغرق في التزمت بعيد كل البعد عن حال التسامح واليسر المنتظرة

منه "، وهكذا تطلق التهم جزافاً بلا بيّنة سوى أنّ الذين قاموا بالتفجيرات يستشهدون ببعض أقوال السلف، ولو أننا أخذنا بهذا المنطق المعوج لحكمنا على القرآن نفسه بأنّه سبب الإرهاب، لأنّ الخوارج الأوّلين استدلوا به على مذهبهم، وكذلك سائر الفرق الضالة.

ثم، ومن أجل حلّ هذه الأزمة يرى الكاتب أنّ الحل يكمن في: " تغيير الطريقة التي يـتم التعامـل بهـا مـع الأفكـار والطوائـف أو الأديـان بوصـفها كـافرة أو مبتدعـة أو علمانية، وينبغي أن ينظر إلى نقد وتقييم المناهج والمؤسسات الدينية، وإصلاحها(!) بالطريقة العصرية، والحدّ(!) من تضخّم الأدلجة الإسلاموية.." وهو كلام في غاية الخطورة والضلال، والغلو المضاد، حيث يدعو الكاتب إلى عدم وصف الأديان . ويريد بها بطبيعة الحال أصحابها المتدينين بها اليوم . بالوصف الذي وصفها الله به في كتابه الكريم، ووصفها به رسوله الأمين كما في قوله تعالى: { لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ.. }، وقوله: { لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ..}، وقول النبيّ r: " والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة؛ يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار " أخرجه مسلم. ولا خلاف عند أهل الإسلام في كفر اليهود والنصارى وغيرهم من أصحاب الملل الأخرى، فمن لم يكفرهم فهو مكذب للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. وكذلك يدعو الكاتب إلى عدم تبديع أهل البدع وأهل العلمنة، وفي ذلك مضادة لقول نبينا r: " كل بدعة ضلالة"، وهذا في نظر الكاتب يعدّ إصلاحاً بالطريقة العصرية، وصدق الله إذ يقول: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ }.

ويقول آخر . وهو أشدّهم تطرّفاً . في مقال له بعنوان: (الإنترنت والخطاب الديني) الريـاض: 13247: " .. كمـا أظهـر هـذا الخطـاب [يعنـي خطـاب التطـرّف] أنّ مرجعيّة التطرّف والغلو، ومن ثم الإرهاب، ليس الفكر القطبي، ولا طرح الجماعات المتأسلمة(!) وإنّما مصدر الاستدلال . في الغالب العام .: السلفية التقليدية، بمرجعيّاتها المشهورة التي لها اعتبارها في الخطاب السلفي ".

إذن، السلفية بمرجعياتها المشهورة هي مصدر الإرهاب، فيجب محاربتها، والقضاء عليها، هذا ما يهدف إليه الكاتب. والردّ عليه كالرد على الذي قبله.

أمّا المرجعيات المشهورة فيريدون بها: أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن عبد الوهاب رحمهم الله..، وقد صرّح أحدهم بذلك . وهو أكثرهم تعالماً، وأشدّهم جهلاً . في مقال له بعنوان: (الإنسان والوطن أهمّ من ابن تيمية) الوطن: (965)، زعم فيه . زوراً وبهتاناً . أنّ ابن تيمية هو منظّر الجهاديين، وأنه سبب الإرهاب، معتمداً على نص لابن تيمية مبتور من سياقه، وهو إذ يعيب على من أسماهم بالجهاديين سوء الفهم؛ يقع في الخطأ نفسه وهو لا يشعر.

وأخطر من ذلك، ما سطّره الكاتب الأوّل في مقال له بعنوان: (واحذرهم أن يفتنوك) الرياض: 13128، يتحدّث فيه عمّا أسماه بالفرادة، يقول منظرّاً لهذه الفرادة: " إنّ الأصل في الكائن الإنساني خاصّة هو الاختلاف والتنوّع والتفرّد، وليس التشابه والتماثل كما يحاول دعاة المحافظة والتقليد ترويجه . تطبيقاً . في بيئتنا الاجتماعيّة، وإن ادّعوا تنظيراً غير ذلك".. وهذا كلام مجمل يحتاج إلى تفصيل، فالفرادة إن كانت فيما لا يتعارض مع أصل الدين وثوابته، ونصوصه القاطعة، فهي مطلوبة، وإلا فإنّها ابتداع وخروج عن الدين، وحقّها . لفظاً . أن تكون بالمثنّاة (قرادة)، لكنّ الكاتب تعمد الإطلاق للوصول إلى ما يهدف إليه، لذا فهو يواصل مقاله قائلاً . بعد أن قرّر أنّ إلغاء هذه الفرادة المطلقة جريمة .: " ويبقى السؤال الأهم في هذا الطرح: إذا كان إلغاء معالم التفرد في الإنسان جريمة، فهل تمارس هذه الجريمة في محيطنا الثقافي والاجتماعي؟، وإذا كانت تمارس، فهل هي مقصودة أم أنها جزء من الحراك الاجتماعي التلقائي؟، وعلى أية صورة تمارس هذه الجريمة؟، هل هي فردية أم جريمة منظمة؟، وما مدى انتشارها وذيوعها؟ ومن الفاعل؟، وأين؟، ومتى؟. وإذا كان بعض هذه الأسئلة لا يمكن الإجابة عليها تفصيلاً؛ لهذا السبب أو ذاك، فإن الإجابة العامة التي ينطق بها الواقع (الثقافي/ الاجتماعي) لدينا إجابة لا تدعو للتفاؤل، من حيث الوقوع المتعين لهذه الجريمة المعنوية ".

ثم تبدأ معركته مع السلفية، أو على حدّ تعبيره: (الاتجاه المحافظ التقليدي لدينا)، وهذا هو المقصود، فيقول: " إن ما فعله – ويفعله – الاتجاه المحافظ التقليدي لدينا

إنما هو عملية قتل متعمد لكل معالم الفرادة الطبيعية، إنه في الحقيقة (اغتيال للعقل) على نحو تدريجي، وبأساليب قد لا تكون واضحة في كل الأحيان، وفي كل الحالات. لا أستطيع أن أقول: إن عملية المسخ الاختياري (والقسر في بعض الأحيان) التي يمتزج بها الاجتماعي بالديني (وفق رؤية خاصة يتم تعميمها)، بالثقافي، بالواقعي، وبطريقة لا تبقي أي خيار، لا أظن أن لها مثيلاً على مستوى التجمعات الإنسانية المعاصرة كافة..".

وبعد الطعن في السلفية . خصمه اللدود . بإجمال، يبدأ في التفصيل، فيستعرض المراحل الدراسية جميعها إلى مرحلة الدراسات العليا، فيقرّر أنّ هذه المراحل كلّها عندنا تقضي على هذه الفرادة المزعومة، والسبب أنّها تلتزم بمذهب أهل السنّة والجماعة وسلف الأمّة، أو على حدّ تعبيره: " نمط التربية المستمد من موروث اجتماعي موغل في القدم يبدأ عمله منذ السنوات الأولى للطفولة؛ لكون القائم على التربية الأولى ابناً باراً لثقافة التقليد والمحافظة في الغالب " أو بتعبير آخر له: " أفكار مغرقة في محافظتها وسلفيتها وتزمتها.. "، أو بتعبير ثالث عن النشاط اللا منهجي: " وفق المنطلقات ذات الزوايا الحادة للمنظومة السلفية التقليدية التي تجتهد في التنميط؛ فضلاً عن أن التنميط كامن في البنية العامة للمناهج "..

ثم يتحدث عن المرحلة الجامعية، فيصفها بأنّها: " أكبر (ورشة) للتنميط، وقتل ما أبقته المراحل الأولى من الفرادة العقلية، وترسيخ قيم المحافظة والتقليد، فتمارس بين أروقة الجامعة أكبر عملية اجترار للتراث، بكل ما يحمله من إيجاب وسلب، وبكل ما تعنيه هذه العملية في ذاتها (من حيث هي اجترار) من نكوص إلى وعي قد طواه الزمن في مقبرته الأبدية، ولكننا نأبى إلا نبش تلك القبور، والبحث في تلك العظام النخرة عن مصدر للحياة!.. ". وهو يريد بذلك الأقسام الشرعية في الجامعات ذات التوجه السلفي خصمه اللدود، أمّا كليات الطب والهندسة والعلوم وغيرها، فلا يتحدّث عنها.

ثم يتحدّث عن مرحلة الدراسات العليا، فيصفها بأسلوب مسفّ ينم عن حقد دفين على المنهج السلفي القويم، مدعم بالافتراء والكذب وكيل التهم الجائرة فيقول: " إن الدارس لا يمكن أن يقبل في هذه الدراسات ابتداء، ولا يمكن أن يتقبل فيما بعد، ما

لم يكن ذا مهارة في النسخ، مع قدر لا يستهان به من عدم الأمانة في النقل والاجتزاء؛ لخدمة الفكرة الموروثة في التيار المندغم فيه، فليست الحقيقة هي الغاية، وإنما الإبقاء على ما يؤيده تيار المحافظة من مخلفات القرون الوسطى هو الغاية، وفي سبيلها فليتم الإجهاز على الحقيقة بسيف العلمية!، وبهذا لا يمكن أن يعترف بالدارس باحثاً علمياً في مؤسسات التقليد ما لم يتنكر لبدهيات البحث العلمي. وهذا هو الشرط الأولي لقبوله (باحثاً!) في المنظومة التقليدية ".. إنّها تهم شنيعة، في غاية البشاعة والشناعة لجامعاتنا الإسلامية العريقة التي خرّجت الكثير من العلماء والدعاة والمفكّرين حتى من غير أبناء هذا البلد، ولكن الحقد الدفين يعمي ويصم..

فعين الرضا عن كلّ عيب كليلة كما أنّ عين السخط تبدي المساويا

ثم يدلل هذا الكاتب الموتور على ما ذهب إليه من حقد دفين وفق طريقته السابقة من الافتراء والكذب والتلبيس والألفاظ النابية فيقول: " ومما يدل على مستوى هيمنة هذا النمط الببغاوي في المؤسسات العلمية التي تهيمن عليها الاتجاهات المحافظة، أن الحكم بموضوعية على شخصيات أو تيارات في القديم أو الحديث، بما يخالف رؤية هذه الاتجاهات، وما يسود في أروقتها من مسلمات يودي بصاحبه، ويعرضه للنفي خارج المؤسسة العلمية، فضلاً عن الإقصاء الديني، يشهد على ذلك أن كل دراسة لشخصية أو فكرة أو تيار، تتم في هذه الأقسام تعرف النتيجة فيها سلفا، بل لا يمكن أن تكون النتيجة إلا ما قررته المنظومة في أدبياتها، فمهما حاول (هذا إذا حاول) الباحث الاستقلال فهو لا يستطيع، وموقفه البحثي في النهاية دفاعي عن الأفكار العامة لمؤسسته العلمية التي تحتويه. هذا هو الواقع، وإلا فدلوني على رسالة واحدة طعن(!) صاحبها في فكرة أو شخصية لها وزنها في المنظومة الفكرية لمؤسسته العلمية، أو أثنى على تيار مخالف أو شخصية ليست محل القبول في هذه المؤسسة، فقبلت المؤسسة المحافظة بذلك ".. إنّ هذا الكاتب يريد من الباحث الملتزم بعقيدة أهل السنّة والجماعة أن يطعن في أئمّة السلف أو مذهب السلف، أو يثني على أهل البدع، والفرق الضالة وخاصة المعتزلة(!) ، ويريد من الجامعات الإسلامية أن تفتح المجال لكلّ من أراد ذلك باسم الاستقلال والفرادة كما يزعم، وإلا فإنّ ذلك ضرب من الإقصاء والنفي والقضاء على الفرادة المزعومة، أمّا أن يبتكر الباحث

موضوعاً في تخصّصه . مع التزامه بثوابت الأمة ومنهج أهل السنّة . فذلك ليس من الفرادة في شيء في مفهوم الكاتب، الفرادة عنده هي الخروج عن مذهب السلف، والطعن فيهم .كما يفعل هو مراراً في مقالاته كما سيأتي . ، إنّ هذا لهو عين الضلال وانتكاس المفاهيم..

ثمّ إني أوجه سؤالاً لهذا الكاتب ولن يستطيع الإجابة عليه فأقول: هل صحيفتك التي تكتب فيها، وتهاجم مِنْ على منبرها مذهب السلف الصالح تسمح بمثل ما ذكرت من نقد لفكرة أو شخص ينتمي إليها أو إلى الفكر الذي تتبناه ؟؟ الجواب: لا وألف لا، لأني قد جربت ذلك، وجربّه غيري، فلم نجد إلا الإقصاء والنفي والتجاهل إلا في حدود ضيقة، فهل من معتبر..؟

ثم يواصل الكاتب بذاءته وافتراءاته وشتائمه المعتادة . سأضع تحتها خطاً . قائلاً: "بهذا يتضح أن كل مرحلة علمية، وكل تناغم مع المجتمع في تياره المحافظ خاصة، تفقد المرء جزءاً من فرادته، مما يعني أنه كلما قطع مرحلة من ذلك، وظن أنه قد تحقق له شيء من العلم، فإنه لم يزدد بذلك إلا جهلاً. وبمقدار حظه من هذا التنميط والاختطاف الثقافي والاجتماعي يكون حظه من الجهل المركب؛ لأنه بهذا يفقد التفرد في الرؤى والأفكار، بمقدار ما يندغم في تيارات المحافظة، وبقدر ما يتناغم مع المؤسسات العلمية التي تهيمن المحافظة عليها. ويزداد الأمر سوءا ومأساوية، عندما ندرك أن هذا الاغتيال للفرادة، وهنا التنميط الذي يتم في هذه المراحل العمرية لا يجري لصالح رؤى الانفتاح – مع أن اغتيال الفرادة جريمة، أيا كانت مبرراته – وفي سبيل الرقي بالإنسان، وإنما هو لصالح رؤى الانغلاق، وتيارات الكره، ودعاة نفي الآخر، كل ذلك بالإيحاءات الخاصة للسلفية التقليدية التي لا تني عن إنتاج نفسها كلما أشرفت على الهلاك "..

ويختم مقاله بهذا التحذير: " وأخيراً لا يسعني إلا أن أقول لكل قارئ: احذرهم.. احذرهم (وأنت تعرفهم) أن يفتنوك. قد تكون نجوت منهم كليا أو جزئيا، قد تكون ممن هلك بفتنتهم التي ظاهرها الرحمة، لكن أدرك من نفسك ما يمكن إدراكه، مارس إنسانيتك(!) على أكمل وجه، كن ابن نفسك في كل شيء(!)، حاول قدر الاستطاعة، مهما كلفك ذلك، هذا بالنسبة لك، ولكن، تبقى المهمة الصعبة: استنقاذ

الأجيال الناشئة من براثن التنميط والمحافظة(!) والتقليد، وهي مهمة لابد أن ينهض بها كل (إنسان) لتحقيق أكبر قدر من الفرادة (من الإنسانية)(!) قبل أن تغتال في مهدها ".. وهكذا تصبح المحافظة على العقيدة السلفية النقيّة ـ حسب رأي هذا الكاتب ـ فتنة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، ويحذّر منها في معقلها ومهدها، فإلى الله المشتكى.

أمّا دندنة الكاتب ـ بل سائر المنتمين إلى هذا الفكر الاعتزالي الليبرالي التغريبي ـ حول (الإنسانية) فذلك موضوع آخر سأفرد له سمة مستقلة بإذن الله تعالى.

كما أنّ من الملاحظ أنّ الكاتب(!) جعل عنوان مقالته هذه جزءاً من آية كريمة نزلت في جماعة من اليهود(!)، وهو ها هنا ينزلها على خصومه السلفيين المسلمين المحافظين(!!)، وهذه سمة متكرّرة في مقالات هذا الكاتب وأصحابه، سأفرد لها أيضاً سمة خاصّة بإذن الله تعالى. وهي جريمة نكراء في حقّ كلام الله تعالى، وحقّ إخوانه المسلمين.

وحتى يعرف القاريء حقيقة هذه الفرادة التي تحدث عنها هذه الكاتب وغيره من أصحاب هذا الفكر، وحقيقة موقفهم من عقيدة السلف والعقائد الأخرى المنحرفة وخاصّة المعتزلة؛ أسوق لكم هذه الأقوال لبعضهم:

فهذا أحدهم ـ وهو الكاتب السابق نفسه ـ في مقال له بعنوان (ثقافة تصنع الغباء) الرياض: 13072، وهذا العنوان من جملة شتائمه المعتادة للسلفية، يقول عن السلفية التي يسميها تقليدية بأنّها: " لا تعدو كونها تأويلاً خاصّاً للإسلام، محلّه متاحف الفكر، لا الحراك الاجتماعي "، فهل رأيتم إقصاء ونفياً أشدّ من هذا الإقصاء والنفي؟!!!

والغريب أنّ هذا الكاتب نفسه في مقال له بعنوان: (من التطرف إلى الإرهاب) الرياض: 12953،يصف بعض الأقسام في بعض جامعاتنا أنّها " ما زالت معاقل للفكر الذي ينفي الآخر، وما زالت تقتات على الترسيخ لثقافة الإقصاء ونفي الآخر، وتروج لها في أطروحاتها "، ويريد بهذه الأقسام التي في جامعاتنا ـ كما هو ظاهر ـ: الأقسام الشرعية، والعقدية على وجه الخصوص، ويريد بثقافة الإقصاء والنفي ثقافتنا

الإسلامية السلفية، أمّا الآخر المنفي فهي الفرق الضالة المنحرفة من معتزلة وحرورية ومرجئة وصوفية وغيرها.

ويقول آخر . وهو أكثرهم حديثاً عن العقائد وأكثرهم خلطاً بين النصوص . في مقال له بعنوان: (قراءة في بعض فروع العقائد) الرياض: 13667: " ومما يجدر التنبيه عليه أنّ مصطلح (العقيدة) أمر تواضع عليه العلماء الذين تبنوا مجال البحث في مجال الغيبيات فيما بعد الصدر الأوّل، إذ لم يكن لذلك لمصطلح أساس من النصوص الوحييه سواء من القرآن أو السنة، إذ إنّ المصطلح الأساسي الشرعي الذي جاء به القرآن والسنة النبوية هو مصطلح (الإيمان).. " وكأنّ مصطلح (الديمقراطية) و(الليبرالية) و(الإيبيستيمولوجيا) و(الأيديولوجيا) وغيرها من المصطلحات التي يرددونها في مقالاتهم ليل نهار، لها أصل في الكتاب والسنة !!!

ثمّ يمضي الكاتب في تقريره لحقيقة الإيمان ومن هو المؤمن فيقول: " وهو [أي الإيمان] عبارة عن مفهوم بسيط (هكذا) يرمز إلى ستة أمور، من آمن بها أصبح مسلماً ومؤمناً كامل الإيمان لا يحتاج معه إلى امتحانات قلبية أو مماحكات لفظية، أو حفظ مدونات عقدية لإثبات إيمان المرء ودخوله حظيرة الإسلام "..

وهو كلام خطير يدلّ على جهل فاضح، وانحراف واضح عن المنهج القويم والفهم السليم لدين الإسلام.. فإنّ لفظ الإيمان والإسلام إذا اجتمعا صار لفظ الإيمان مراداً به الاعتقاد الباطن، ولفظ الإسلام العمل الظاهر كالنطق بالشهادتين، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والحج، كما قال الله تعالى عن الأعراب: { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا..} ففرق بين الإيمان والإسلام، وهذا أمر بدهي عند أطفال المسلمين، فمن لم يأت بأركان الإسلام الظاهرة لم يكن مسلماً ولا مؤمناً، حتى وإن ادّعى الإيمان والإسلام، ولهذا قاتل أبو بكر الصديق t مانعي الزكاة، مع أنّهم كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، ولما أنكر عليه عمر t كما جاء في الصحيح، قال له: والله لأقاتلنّ من فرق بين الصلاة والزكاة.. أمّا الامتحان، فقد قال الله تعالى في سورة الممتحنة: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ..}، وهي تسمى (آية الامتحان)، وقد سئل ابن عباس t كيف كان امتحان

رسول الله r النساء؟ قال: كان يمتحنهنّ: بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حباً لله ولرسوله.. وهذا خلاف ما قرره الكاتب، بل إنّ ما قرّره هو مذهب المرجئة القائلين بأنّ الإيمان مجرّد الاعتقاد بالقلب، وأنّ العمل غير داخل في مسمّى الإيمان، وأنّه لا يضر مع الإيمان ذنب.. فكلّ من ادّعى الإيمان . حسب زعمهم . صار مؤمناً مسلماً.. وقد صدرت عدة فتاوى من اللجنة الدائمة للإفتاء في هذه البلاد في التحذير من هذا الفكر الإرجائي الخطير.

ثم يقرر الكاتب مذهبه الفاسد مؤكّداً فيقول: " وبالتالي فليس هناك من الوجهة الشرعية(!) ما يعرف بأصول العقائد مقابل فروعها، بل هو أصل واحد هو الإيمان، وكلّ ما جاء بعد ذلك مما أصطلح عليه أصول العقائد وفروعها، وهي التي ألحقت بالعقائد وفقاً لأيديولوجية الجماعة أو المذهب القائلة بها؛ فهي مما تواضع عليه من امتهنوا ما اصطلح عليه لاحقاً بعلم العقائد، ومن الطبيعي أن يضطر الباحث إلى مسايرة هذه المواضعة عند البحث عن أي من مفرداتها بعد أن أصبحت واقعاً تراثياً في حياة المسلمين ".. ، وفي موضع آخر يصفها الكاتب بأنّها: " مماحكات ومجادلات سفسطائية، أدخلت في العقيدة قسراً بمؤثرات أيديولوجية" الرياض: 13561، وهكذا يلغي الكاتب بجرّة قلم كلّ ما قرره سلفنا الصالح من العقائد والأصول المجمع عليها عند أهل السنة والجماعة، مما هو مستمد من الكتاب والسنة الصحيحة، والتي يتميز بها أهل السنة والجماعة عن أهل البدعة ، ليفتح الباب على مصراعيه لكلّ مبتدع وضال ليكونوا جميعاً على درجة واحدة من الإيمان والاعتقاد الصحيح، ولعمر الله إنّ هذا لهو الضلال المبين.

ويقول هذا الكاتب في مقال له آخر بعنوان: (الخوف من النقد) الرياض: 13509، بعد أنّ قرر حق (الآخر)(!) في الاختلاف من زاوية عدم احتكار الحقيقة من جانب واحد . يريد مذهب السلف .: " هنا أجد أنّه من المناسب القول بضرورة إعادة النظر في المناهج التعليمية، خاصّة المناهج الجامعية في الأقسام التي تدرّس العقديات والمذاهب بحيث يجعلها تؤسّس لنظرة تسامحية تنطلق من إبراز أهداف ومنطلقات الفرق المخالفة عندما أرست قواعد مذهبها . خاصّة الفرق الإسلاميّة

الماضية المنظور لها على أنّها مخالفة . بدلاً من تكريس وضع منهجي ينظر لها على أنّها ذات أهداف خاصّة لهدم الإسلام وتقويض بنيانه، بحيث تتأسس المخرجات التعليمية البشرية على التعامل مع حقّ وحيد ورأي فريد هو ما تلقنه إياه تلك المناهج كحقّ حصري لمبادىء مذهبه وقواعد مرجعيته " يريد مذهب أهل السنة والجماعة، ثم يذكر المذهب الاعتزالي على وجه الخصوص ويدافع عنه، وهذا هو مربط الفرس عنده، لتقرير مذهب الاعتزال، فيقول: " ومن ثم فإنّ الحاجة ماسّة لتأسيسٍ جديد لأقسام العقيدة والمذاهب في الجامعات لتأسيس طلابها على النظرة المجردة(!) للمذاهب والفرق المخالفة عن طريق وضع مناهج تؤسس هي الأخرى للدراسة التاريخية المجرّدة باستصحاب كامل لتاريخ نشأة تلك الفرق وأهمها الظروف السياسية التي صاحبت نشأتها وتأسيسها مذهبياً، بدل أن تقدّم للطالب باعتبارها فرقاً ضالة هالكة في مقابل فرقة ناجية وحيدة.."، وهكذا يريدون تمييع العقيدة السلفية الصحيحة، باسم التجرّد والفرادة. وتلميع الفرق الضالة المنحرفة، ومن ضمنها المعتزلة والرافضة والخوارج وغيرها من الفرق التي شوهت الدين، وآذى أصحابها عباد الله المؤمنين، ويلاحظ فيما ختم الكاتب مقاله ملاحظتين، إحداهما: التفسير السياسي للتاريخ والأحداث بشكل عام، وسأتحدث عن هذه المسألة بإذن الله في فصل مستقل. والثانية: التعريض بالحديث النبوي الشريف، حديث الفرقة الناجية، والاعتراض عليه(!)، بحجّة أنّه يخالف العقل، وهذا بناء على مذهبهم العقلي الفاسد.

وفي مقال آخر للكاتب نفسه بعنوان: (أصالة التعدد في الطبيعة البشرية) الرياض: 13160، يحاول الكاتب تأصيل مبدأ الاختلاف بين الناس (التعددية) وأنّها {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ.. }، ويستدل بالآية الكريمة الأخرى: { لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم }، واستشهاده بهاتين الآيتين على ما ذهب إليه خطأ فادح يدل على جهل فاضح، فأمّا الآية الأولى فإن من المعلوم . بلا خلاف أعلمه . أنّ المراد بالفطرة: الإسلام وليس الاختلاف، كما جاء في الحديث الشريف: " كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرّانه أو يمجّسانه..".. وأمّا الآية الثانية فهي في سياق الحديث عن اليهود، ولا علاقة بالاختلاف الذي بين الفرق المنتسبة إلى الإسلام، بل

إنّ نصوص الكتاب تدل على عكس ما أراد الكاتب تأصيله، فالله تعالى يقول: { وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }، وقوله تعالى: { وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ.. }، فجعل الرحمة في مقابل الاختلاف، فدل ذلك على أنّ الاختلاف ليس برحمة، بل هو شرّ ونقمة، وإن كان الله قد أراده كوناً، لا شرعاً، وأنّ الحقّ واحد لا يتعدد، وتأويل الآيات على غير ما جاءت له سمة بارزة من سمات أصحاب هذا الفكر الاعتزالي كما سيأتي في مبحث جهلهم.

ثمّ يواصل الكاتب جهله فيقول مقلداً للجابري: " كان فيروس الضيق قد تحدد سلفاً في الفكر العربي حيث دشّن الخوارج ومباينوهم في الطرف القصيّ من المعادلة (الأمويون وشيعتهم) مبدأ ثنائية القيم الذي يقول عنه المفكر المغربي محمد عابد الجابري إنّه مبدأ (إمّا وإمّا) ولا مجال لحطّ الركاب بينهما، إمّا مع وإّما ضدّ، إمّا مسلماً وإمّا كافراً، وإمّا ناجياً وإمّا هالكاً، وإمّا مقتفياً وإمّا مبتدعاً.."

إنّ هذه الثنائية التي ذكرها مقلداً الجابري، قد نصّ الله عليها في كتابه الكريم، فقال سبحانه: { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ.. }، وقال سبحانه: { إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً }، فهي ذات الثنائية (إمّا وإمّا).. والذي أراده الجابري ولم يتفطّن له الكاتب أو تفطّن له ووافق عليه، هو تقرير مذهب الاعتزال القائل بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين (لا مؤمن ولا كافر)، ولهذا قال: (ولا مجال لحطّ الركاب بينهما)، وهو تقرير في غاية الخفاء والخبث، ويشبه فعل صاحب تفسير الكشّاف المعتزلي في تقريره لمذهب الاعتزال في تفسيره، حتى قال البلقيني رحمه الله: " استخرجت من الكشّاف اعتزاليات بالمناقيش ".. وهذا يحدث في صحيفة سيّارة تصدر في بلاد التوحيد التي قامت على العقيدة السلفية النقيّة، وفي ظني أنّ ولاة أمرنا . وفقهم الله لطاعته . لو تنبهوا لذلك لما رضوا به..

ولا يكتفي الكاتب بذلك، بل يختم مقاله بتوجيه بعض الشتائم، والانتقاص لأهل السنة وسلف الأمّة، ويضيف إلى ذلك بعض النصوص الحديثية، بطريقة فاضحة لا تدلّ على مقصوده، وما أقبح الجهل والتعالم إذا اجتمعا..

يقول . وتأمّلوا ما تحته خط .: " إنّ أكبر مشكلة واجهت الفكر العربي الإسلامي حين مواجهته مشكلة التعددية، وبالذات من النصف الأوّل من القرن الثالث الهجري، وهي

ظن أولئك المتحذلقين والمتقوقعين حول فهومهم الخاصّة أنّهم بنفيهم وإقصائهم لخصومهم إنّما هم آخذون بحجزهم عن النار، وهؤلاء المخالفون ما فتئوا يتفلّتون منهم ويقعون فيها في تصنيف حصري لحقّ النجاة لفهوم بعينها دون بقيّة الأفهام المباينة والمقاربة... ".

فهو يعدّ تصدي سلفنا الصالح لأصحاب الفرق الضالة، والردّ عليهم، أكبر مشكلة واجهت الفكر العربي الإسلامي، ويخصّ النصف الأوّل من القرن الثالث الهجري، لأنّه وقت نشوء فرقة المعتزلة التي جنّد نفسه للدفاع عنها، ويلاحظ شتائمه التي وصف بها أهل السنة وسلف الأمّة: (المتحذلقين المتقوقعين حول فهومهم الخاصّة)، والتهم التي وجهها (النفي والإقصاء للخصوم)، والتعريض بالحديث النبوي الشريف الذي يُشبّه فيه النبي r المتهافتين على الباطل .كهذا الكاتب وأمثاله . كالفراش المتهافت على النار.. وتعريضٌ آخر بحديث الفرقة الناجية الوحيدة دون سائر فرق الضلال، ويصف ذلك ساخراً بلفظ سوقي فضائي بأنّه: (تصنيف حصري لحقّ النجاة لفهوم بعينها دون بقية الأفهام..) ويريد بذلك فهم السلف الصالح!!!، فما حكم من استهزأ بالنصوص الشرعية ؟!.

ثم يستشهد على ما ذهب إليه من التعددية بقوله: " ومن ثمّ يتساءل الإنسان كيف حاص أولئك [يعني السلف الصالح] عن حياض المنهج النبويّ الكريم حين كان r يقرّ أصحابه على تباين أفهامهم لما كان يلقي عليهم من نصوص (قصّة الصلاة في بني قريظة مثلاً) وعن مسار الصحابة بعده على هذا المنهج المتفرّد في قراءة النصوص، وامتثال مكنوناتها (اختلاف عمر بن الخطّاب وأبي بكر حول الكيفية التي ينبغي بواسطتها مجابهة مانعي الزكاة فكلاهما انطلق في تفسيره من ذات النصّ) .. " ا. هـ واستشهاد الكاتب بهاتين الواقعتين فيه جهل عظيم، وتلبيس واضح، وبعد كبير جداً عما أراد التوصل إليه، وهذه هي طريقة هذا الفكر الاعتزالي في التعامل مع النصوص، فأمّا الحادثة الأولى، فهي اختلاف في مسألة فقهية فرعية لا تعلّق لها بمسألة الاعتقاد والإيمان، لذا أقرّ النبي r الفريقين على اجتهادهما.. ومثل هذا الاختلاف لم يزل موجوداً عند أهل السنة حتى وقتنا الحاضر، وليس فيه تثريب إذا صدر من مؤهل.. وأمّا اختلاف عمر مع الصديق y في قضية مانعي الزكاة، فهو

ليس اختلافاً، وإنّما هو إشكال وقع في نفس عمر، فما لبث أن زال بعد ذلك وحصل الاتفاق على ذلك الأصل، والكاتب . للتلبيس . لم يذكر تمام القصّة، وهو قول عمر بعد أن زال عنه الإشكال: " فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنّه الحقّ "، فأين في هذين الحادثتين ما يدلّ على ما أراد أن يقرره الكاتب من التعددية في أصول الدين والإيمان والاعتقاد ؟!!

ومن قبيل هذا الخلط والتلبيس المتعمّد بين الأصول والفروع، يذكر أحدهم . وهو أشدّهم تطرّفاً وخبثاً . في مقال له بعنوان (المعاصرة وتقليدية التقليدي) الرياض: 13366، بعد الخلط المتعمّد بين السلفية الحقّة ، والسلفية المدّعاة أنّ " السلف لم يتفقوا إلا على القليل(!)، واختلفوا على الكثير، فعن أيّهم يأخذ ؟ " يعني السلفي، ثم يذكر مسألة واحدة . واحدة فقط . اختلف فيها السلف، وهي خروج الحسين بن عليّ على الحاكم، ومخالفة بعض الصحابة له في هذا الخروج رضي الله عنهم جميعاً، وهذا الاختلاف ليس في أصل المسألة، وإنّما هو في بعض تطبيقاتها مع ما صاحب تلك الحادثة من ظروف وملابسات خاصّة، والقول بأنّ السلف لم يتفقوا إلا على القليل . من مسائل الاعتقاد . قول في غاية التجني والجهل بأحوال السلف ومنهجهم وعقيدتهم، وهو من أعظم التلبيس على عامة الناس، بل المعروف عند صغار أهل العلم، أنّ السلف الصالح في مسائل الاعتقاد الكبرى لم يختلفوا إلا في مسألة واحدة أو مسألتين، وبعض العلماء يعدها من قبيل الخلاف اللفظي لا الحقيقي، وإنّما وقع الخلاف بينهم في الفروع.

وفي سياق الحديث عن الفرق الضالة، يتباكى أحدهم على إقصاء تلك الفرق المارقة بل . وحتى الإلحادية منها(!) . في مقال له بعنوان (تلاشي الفكر العربي) الوطن: 980، فيقول: " نحن حتى اليوم(!) لم نقف على قراءة صحيحة للقضايا الكبرى أو حتّى الصغرى(!) في فكرنا، ولا للحركات الدينية التي مارست أشكالاً متعدّدة من حركات النقد للموروث بطريقة أو بأخرى، سواء الحركات الإلحادية أو الصوفية أو المعتزلية أو حتى الحركات الشعرية، فمن التجنّي إقصاء كلّ هذا الموروث وعدم الإفادة منه(!!!)..."، ولا أدري ما الذي يريد بالقراءة الصحيحة التي لم نقف عليها حتى اليوم، ووقف عليها هو وأضرابه؟! وليست القضايا الكبرى فقط، بل حتى

الصغرى !!!!. كما لا أدري ما الذي سنفيده من الحركات الإلحادية، والصوفية والمعتزلية الضالة ؟!!.

3. الطعن في مذهب السلف، والتندّر به، وكيل التهم له بلا حساب..

ففي مقال بعنوان: (التاريخ وأزمة الفكر الإسلامي) الرياض: 13688، كتب أحدهم . وهو أشدّهم تطرّفاً . مقالاً تحدّث فيه عن مسألة عقدية، وهي الكف عما شجر بين الأصحاب، وترك الخوض في ذلك، لأن الله U أثنى عليهم جميعاً، فهم ما بين مجتهد مصيب فله أجران، ومجتهد مخطيء فله أجر واحد، وهذا مما اتفق عليه أهل السنة والجماعة، ولذا يذكر في كتب العقائد، وقد عدّ الكاتب هذه العقيدة المتفق عليها عقبة تقف . حسب زعمه . دون تحقيق الحدّ الأدنى من الموضوعية العلمية(!)، ثم يقول بأسلوب ماكر خفي: " دراسة طبيعة الفكر الديني، وتتبع مراحل تشكله في فتراته الحاسمة تواجه الرفض في مجتمعات تقليدية لا تزال تستعصي على العلمية، وتتماهى مع الأسطرة(!)، بل والخرافة بوعي منها بهذا التماهي وما يتضمنه من مدلولات في الفكر والواقع أو بلا وعي. وهذا الرفض إما أن يكون رفضاً للدراسة ذاتها أي للمراجعة الفاحصة باعتبارها تتناول ميداناً مقدّساً لا يجوز الاقتراب منه، وإما أن يكون رفضاً للآلية (المنهج النقدي) التي تجري مقاربة الموضوع بواسطتها، وفي أكثر الأحيان يجتمع السببان كمبرر للرفض"، أستاذ اللغة العربية، وصاحب الفكر الاعتزالي المنحرف، الحاقد على منهج السلف، يريد أن يخضع تاريخ الصحابة الأطهار y للفحص والمراجعة!!!، أمّا الآلية التي يريد أن يسلكها فهي آلية شيخه الجابري تلميذ المستشرقين والتي تتلخص في انتقاء بعض الصور القاتمة من بعض المصادر المشبوهة التي لا تميز بين الغث والسمين، وجعلها مناطاً للأحكام والنتائج، هذه هي الموضوعية التي يتحدّث عنها(!).

ثم يقول: " لا شيء يزعج البنى التقليدية الراسخة في الأعماق الوجدانية [يريد عقيدة أهل السنة] سوى إعادة فحص الحدث التاريخي، والنظر إليه من خلال أبعاد أخرى(!) غير التي اعتادت التقليدية أن تقدمه بها "، إنه يريد منا أن نسلك منهجاً آخر غير منهج أهل السنة والجماعة في تقرير العقائد، ليفتح الباب على مصراعيه لكل مبتدع وحاقد وموتور ليقرر ما يريد، وتالله ذلك هو الضلال البعيد..

ثم يواصل: " مما يعني أن الأشخاص (الذوات المقدسة صراحة أو ضمناً) ستكون على المحك، ولن تبقى كما هي عليه من قبل في تراتبيتها التي تتغيا الفكرة . براجماتياً(!) . في النهاية "، وهذا هو مربط الفرس عنده: النيل من الصحابة، على حد قول أهل الاعتزال: (هم رجال ونحن رجال) وشتان بين أولئك الرجال وهؤلاء أشباه الرجال ولا رجال..

ثم يضرب مثالاً للذوات التي يصفها بالمقدّسة بالخلفاء الراشدين y ومذهب أهل السنة في ذلك أن التفاضل بينهم على حسب ترتيبهم في الخلافة، لكنّ هذا الكاتب لا يروق له ذلك، ويعده أمراً مبيتاً في الضمائر قبل وجوده(!!!)، يقول: " جرى الحدث التاريخي فيما يخص السلطة على التراتبية المعروفة بالنسبة للخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين، ومع أنه . أي الترتيب التاريخي للخلفاء . كان حدثاً تاريخياً مجرداً إلا أنه قد جرى تحميله معنى دينياً في تراتبية الأفضلية لهؤلاء، وهنا يظهر أثر الحدث التاريخي الواقعي . بأقصى حدود الواقعية الصريحة . على الفكري، وكيف جرى ضمه إلى مجمل المنظومة العقائدية بوصفه معبراً عن مضمر عقائدي كان موجوداً قبل وجوده المتعين في الواقع "، فهو لجهله . أو خبثه . يرى أن ترتيب الخلفاء كان حدثاً تاريخياً مجرداً..!! ولم يكن الأمر كذلك، بل إن الصحابة y اجتهدوا في تعيين الأفضل، بدليل أنهم توقفوا طويلاً بعد موت عمر t أيهما الأحق والأفضل عثمان أم علي، وكان عبد الرحمن ابن عوف t يطوف حتى على العذارى في خدورهن يسألهن حتى انتهى الأمر إلى تقديم عثمان t. ولهذا يقول أحد السلف: " من فضل علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار "، فكيف يقال إن ترتيب الخلفاء الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة كان حدثاً تاريخياً مجرداً ؟! لكنه الجهل والهوى، وإذا كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي، فإنهم لم يختلفوا في أبي بكر وعمر..
.

ولا يفوته في مقاله هذا أن يعرج على الصحابي الجليل، وكاتب الوحي معاوية t ويتهمه ببعض التهم الجائرة التي تنال من عدالته ونزاهته بناء على ما قرره سابقاً من الفحص والمراجعة(!)، ثم في نهاية مقاله يتباكى على مذهبه الاعتزالي العقلاني فيقول: " لا شك أن هذا يفسر كيف أن تيار العقلانية لا يظهر في مكان من العالم

الإسلامي إلا ريثما يندثر، لا يتم هذا بقرار سلطوي في الغالب، وإنما بإرادة جماهيرية لا تزال تتدثر بلحاف الخرافة الصريحة أو الخرافة التي تؤسس على هذا القول أو ذاك "، وشتم الجماهير سمة بارزة من سماتهم كلما عجزوا عن بث فكرهم المنحرف، وستستمر الجماهير المسلمة التي تتدثر بلحاف أهل السنة والجماعة في رفض هذا الفكر الضال الذي ينال من ثوابتها وعقيدتها الراسخة ورموزها الشامخة ولو كره أدعياء العقلانية والتنوير بل التزوير.

وتقريراً لهذه العقيدة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله . في الواسطية: " ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله y كما وصفهم الله في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}[الحشر:10]، وطاعة النبي r في قوله: " لا تسبّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"، ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم .." إلى أن قال: " ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويقولون إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغُيّر عن وجهه، والصحيح أنهم معذورون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم.. " إلى آخر ما ذكر.

هذا مثال واحد على طعنهم في عقيدة السلف والتشكيك فيها بطريقة ماكرة خفية، لا تخلو من مسلك التقية، مع ما فيها من التصريح ببعض ما تكنه نفوسهم، ومع هذا فهم يشتكون من عدم تمكنهم من قول كل ما يريدون. كفانا الله شرهم.

وفي مقال بعنوان: (هيمنة الخرافة) الرياض: 13566، يسخر آخر . وكان تكفيرياً فصار مرجئاً(!) . من عقيدة من عقائد أهل السنة والجماعة، وهي إثبات كرامات الأولياء، . وهي عقيدة ثابتة بالكتاب والسنة .، فيعدّها من الخرافة، ثم يقرر(!!) أنّ الخرافة والعقل ضدان لا يجتمعان!! ولا أدري أي عقل يقصد، فعقله يرى أنها خرافة، وعقول أئمة أهل السنة والجماعة بناء على ما جاء في الكتاب والسنة يرون أنها

عقيدة ثابتة، فإلى أي عقل نتحاكم ؟ ثم يخلط الكاتب . وهذه عادتهم في الخلط والتلبيس . بين هذه العقيدة الثابتة وبين بعض الاجتهادات البشرية من بعض المجاهدين أو بعض المنحرفين فكرياً، وهذا الخلط منهج فاسد يدل إما على الجهل الفاضح، وإما على الهوى الواضح، للتوصل إلى أغراض في نفس الكاتب..

وتقريراً لهذه العقيدة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله . في الواسطية: " ومن أصول أهل السنة: التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات.. "..

السمة الثانية:

الخلل العقدي الواضح في كتاباتهم

وذلك ناتج عن تلوث المصادر الفكرية التي ينهلون منها، وهل تلد الحيّة إلا الحية!..وقد سبق شيء من انحرافاتهم العقدية، ويضاف إليها:

1. نسبة الإعطاء والمنح والضرب للطبيعة(!)..

يقول أحدهم في مقال له بعنوان: (الثقافة والإرهاب علاقة تضادّ) الرياض: 13772، عازفاً على وتر الإرهاب والإنسانية: " والإرهاب تنكّر للبعد الإنساني في الإنسان، ومحاولة جنونية للرجوع إلى ما قبل الفطري والإنساني، أي أنّه محاولة رجعية ليست للقضاء على مكتسبات الأنسنة(!) فحسب، بل وللقضاء على ما منحته الطبيعة فطرياً للإنسان "، وسيأتي الحديث عن موضوع الأنسنة لاحقاً بإذن الله تعالى.

وفي مقال له بعنوان: (المرأة من الأيديولوجيا إلى الإنسان) الرياض: 13758، يكرر هذا الخلل العقدي مع عزفه المعتاد على وتر الإنسانية، وشتم السلفية، يقول: " ربّما كان من قدر المرأة لدينا أن تواجه أكثر من سور منيع يحول بينها وبين الحصول على أقلّ القليل من حقوقها الفطرية، تلك الحقوق التي منحتها إياها الطبيعة ابتداء.. "، وهكذا تصبح الطبيعة الجامدة هي المانحة ابتداء(!!!)، أليس هذا هو منطق الإلحاد ؟.

وفي السياق نفسه يقول آخر في مقال له بعنوان: (إعصار كاترينا وعصارة الكره) الرياض: 13607، وهو يتحدّث عن الإعصار الذي ضرب أمريكا: " ما ذنب أطفال

وشيوخ وعجائز وأبرياء ضربتهم قوى الطبيعة(!) حتى غدوا كأنهم أعجاز نخل خاوية أن نحملهم وزر حكوماتهم في أخف المبررات(!) أو نربط بين ما حل بهم وبين ما مارسوا فيه حقهم المضمون(!) من رب العالمين في اختيار المعتقد الذي يريدونه في أسوأ المبررات..."، فربنا جل وعلا يقول: { ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ }[سبأ:17]، والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً، والكاتب يقول: لا تسمعوا لكلام الله بل إنّ الضارب والمهلك هي قوى الطبيعة!!!. أمّا الكفر الذي هو ظلم للنفس قبل أن يكون جريمة يستحق صاحبها العذاب، فهو عند الكاتب حق مضمون من رب العالمين لأولئك الكفرة..!! فأي خلل أعظم من هذا الخلل العقدي الصارخ.

ثم يضيف إلى هذه الخلل خللاً آخر أطم فيقول: " لماذا لا نجيد إلا التشفّي والتمني بالمزيد بعد أن قصرت بنا الثقافة المنغلقة عن إشاعة ثقافة العون والمساعدة المنبثقة من روح الأخوّة الإنسانية التي تشكل أصلاً من أصول الإنسان العظيم الإسلام في صفائه ونقائه وعزته وإنسانيته قبل أن تختطفه قوى الظلام والكراهية لتجعل منه أيديولوجية ساخطة على العالم كله.." ، والأخوّة الإنسانية التي يتحدث عنها سيأتي الحديث عنها بشكل مفصل بإذن الله، أمّا التشفي فلا أعلم قوماً أشدّ تشفياً من هؤلاء القوم، لا سيما مع خصومهم السلفيين، وقد رأينا قمة هذا التشفي في حادثة حريق الرئاسة، نثراً وشعراً ورسماً، وبكائيات عجيبة لوفاة بضع فتيات من آثار التدافع والهلع، لا بسبب الحريق.. ولم يقتصر الأمر على هذا بل حاولوا الزج بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه القضية زوراً وبهتاناً، وبطريقة قذرة، لولا تصريحات المسؤولين المبرئة للهيئة.. ثم هم ينكرون تشفي (بعض) المسلمين المظلومين الذين فقدوا الكثير من أولادهم وأعزائهم والكثير من أموالهم وممتلكاتهم بسبب الجبروت الأمريكي المدمر في كثير من بلاد المسلمين.. ثم أي أخوّة إنسانية مع قوم يمتهنون المصحف الشريف في سجونهم، ويسخرون من سيد الخلق وخاتم المرسلين عليه من ربه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

2. الدفاع عن القبوريين وأصحاب المذاهب الكفرية..

ففي مقال له بعنوان: (نحن والخوارج إلى أين) الرياض: 13716، يقول الكاتب السابق، بعد أن قرر أن مرجعية من وصفهم بالخوارج هي السلفية (التقليدية): "إننا

نريد أن نعرف من هؤلاء الخوارج القعدة هل نحن أي كدولة ومجتمع في نظرهم مسلمون أم لا؟ "

إلى أن يقول: " أنا هنا لا أقصد موقفهم من عموم المجتمعات الإسلامية، لأنها في تصنيفهم العام غير المفصّل كافرة إمّا لأنها لا تحكم بما أنزل الله أو تسكت عن الحاكم في هذا الأمر وإمّا لأنها بدعية أو مذهبية أو قبورية أو حزبية.. إلخ هذا الهراء وإما لا تنكر كل ذلك "..

والقبوريّون هم عبّاد القبور، المعظّمون لها بالذبح والنذر والسجود وغير ذلك من أنواع الشرك الأكبر، وهؤلاء لا شكّ في كفرهم، والكاتب يجعل ذلك من الهراء، وهذا خلل كبير في الاعتقاد، فإنّه إذا كان تكفير المسلم الموحّد لا يجوز، فكذلك عدم تكفير الكافر هو أيضاً لا يجوز، وهو تطرّف مضادّ للتطرف الأوّل الذي أراد أن يحذّر منه..

وأمّا حديثه عن الدولة والمجتمع، وتمسّحه بذلك، فهو من باب التقيّة التي يشتركون فيها مع الرافضة، وذلك أنّهم أصلاً لا يرون شرعية هذه الدولة السلفيّة (الوهابيّة في نظرهم) لأنّها غير ديموقراطية، أي غير منتخبة من الشعب، وهم يسعون لتحقيق مشروعهم التغريبي الغربي إلى إزاحة هذه الدولة، لإقامة دولتهم (الإنسانية) المرتقبة التي لا دين لها ولا مذهب ولا طعم ولا لون ولا رائحة.!!!.

وأمّا المجتمع الذي يزعمون تكفيره من قبل الخوارج القعدة، فهو المجتمع الذي استعصى عليهم ولذا فهم يرمونه . على سبيل الشتم . بالتجهيل، أو على حدّ تعبيرهم كما سبق: (الجماهير البائسة الظامئة)، و(جماهير الغوغاء)، و(الجماهير المجهّلة)، و(الجماهير الغائبة المغيّبة)، و(المجتمعات المحافظة الأصولية)، وهي الآن بعد هذه الشتائم أصبحت متّهمة بالكفر من قِبَل من يزعمون أنّهم قد اختطفوها، فأيّ تناقض بعد هذا التناقض الحادّ ؟!!.

3. الخلل في مفهوم الولاء والبراء..

وقد كتب أحدهم . وهو أكثرهم حديثاً عن العقائد وأشدّهم جهلاً . مقالاً بعنوان: (فلسفة الولاء والبراء في الإسلام) الرياض: 13546، وقرر مفهوماً غريباً للولاء والبراء، يفرّغه من مضمونه الشرعي الذي أراده الله U ، بل يضادّه ويخالفه، يقول: " وهو

يشي بعلاقات سلمية قوامها الصلة والإحسان والبرّ ودعم ممكنات السلام الاجتماعي الذي أتى الإسلام ليجعلها الأصل في حياة الناس قبل أن تختطفها جماعات الإسلام السياسي لتجعل بدلاً منها العنف والقتل والدمار هو الأساس في علاقة الإسلام بغير من الديانات الأخرى افتئاتاً على الله تعالى ورسوله ومكراً للسوء ولا يحيق المكر السيّء إلا بأهله ".. فهو يخلط بجهل فاضح بين عقيدة الولاء والبراء التي قوامها ولبّها وروحها: الحب والبغض وموالاة المسلم أيّاً كان، والتبرّي من الكافر ومعاداته أيّاً كان، وبين معاملة الكفّار والتفريق بين من كان منهم محارباً، ومن كان منهم مسالماً.. وبغض الكافر ومعاداته كما قال الله عن الخليل إبراهيم u: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }[الممتحنة:4]، فنحن نبغض الكافر ونعاديه بقلوبنا من أجل كفره، لكن ذلك لا يمنعنا من بره إذا كان قريباً مسالماً كالوالدين ونحوهما، وكذلك لا نظلمه بل نقسط إليه، ونحسن معاملته ترغيباً له في ديننا، ومن أجل إنقاذه من الكفر الذي هو فيه، بل إنّ عقيدة الولاء والبراء لا تختص بالكافر، بل تشمل حتى العاصي، فنبغضه لمعصيته، لكن نحبه من وجه آخر لما عنده من الإيمان والإسلام، فمن لم يبغض الكافر لكفره، والعاصي لمعصيته، فلديه خلل في هذه العقيدة العظيمة، وما تأخر المسلمون، ولا تسلط عليهم العدو، إلا لتخليهم عن هذه العقيدة، أو اختلال مفهومها لديهم.

ولم يقف الأمر عند هؤلاء على مجرد الاختلال في المفهوم، بل تجاوزه إلى ما هو أعظم من ذلك، ألا وهو إلغاء هذه العقيدة من أصلها(!)، يقول أحدهم في مقال له بعنوان: (الخطاب الديني وضرورة التجديد) الجزيرة: 11595، عن مفهوم الولاء والبراء: "هذا المفهوم كان في الماضي، وفي زمن عدم وجود (الدولة) بمعناها وشكلها الحالي، ضرورة احترازية، ودفاعية وقائية مهمة، فقد كان بمثابة آلية عالية الفعالية آنذاك لمنع ما يمكن أن نسميه بلغة اليوم (منع اختراق مجتمعاتنا من الآخر) في حقبة كان الصراع والتطاحن فيها بين الأمم والثقافات هو السمة الطاغية على

العلاقات الدولية، أما اليوم فقد تغير الوضع حيث أصبح التعاون بين الأمم(!!!) وتكريس كل ما من شأنه إثراء هذا التعاون، هو الثقافة السائدة بين شعوب الدنيا، لهذا فإن التغير النوعي في العلاقات الدولية الذي نعايشه اليوم كان يجب أن يتبعه تغير مواكب في مفهومنا للولاء والبراء بالشكل الذي يحافظ على فعالية هذا المفهوم.."، وقد ذكرني قوله (ضرورة احترازية ودفاعية وقائية) بالحرب الاستباقية الوقائية التي دشّنها (الآخر) في ظل التعاون الدولي بين الأمم(!) دفاعاً عن نفسه، ولو كان ذلك مبنياً على استخبارات خاطئة أو مبالغ فيها، وهي ليست مجرّد عقيدة في القلب، أو بغض باللسان، وإنما حرب بالأسلحة المدمرة وربما المحرمة دولياً التي لا تفرق بين المحارب والمدني، ويبدو أن مفهوم هذه العقيدة قد انتقل إلى ذلك الآخر في حين غفلة منا، فكان علينا التخلي عنه.. أما التعاون بين الأمم! فصحيح لكنه ضد الإسلام وأهله، كما في فلسطين والعراق وأفغانستان وغيرها مما يطمع فيه (الآخر)..

ويستشهد الكاتب المذكور على ما ذهب إليه من تعطيل مفهوم الولاء والبراء، بقول كبيرهم الجابري الذي يقول: " إذا تعارضت المصلحة مع النصّ، روعيت المصلحة(!) باعتبار أنّ المصلحة هي السبب في ورود النصّ، واعتبار المصلحة قد يكون تارة في اتّجاه، وتارة في اتّجاه مخالف(!)".

فتأمّلوا هذا القول العجيب الذي يفترض تعارض المصلحة مع النصّ، ثمّ من الذي يحدّد المصلحة ؟، وكيف يكون اعتبار المصلحة تارة في اتّجاه، وتارة في اتّجاه مخالف؟ فما قيمة الدين حينئذ، إذا كانت ثوابته عرضة للاعتداء والإلغاء بحجّة المصلحة المزعومة ؟.. نعم قد يتخلّى المسلم عن عقيدة الولاء والبراء ظاهراً في حالات استثنائية خاصّة جداً، لكنّها تبقى عقيدة قلبية لا يجوز له أن يتخلّى عنها: { مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }[النحل:106].

4. الثناء على الفرق الضالّة، وخصوصاً المعتزلة . التي تتّخذ من السلفية خصماً تقليدياً لها . والدفاع عنها، بل الدعوة إليها !!...

ففي مقال بعنوان: (الخوف من النقد) الرياض: 13509، كتب أحدهم يستنكر فزع خصومه السلفيين عند شتم مذهب السلف، وكيل التهم للسلفية بلا حساب ولا برهان، والذي يعدّونه من النقد!!. ويقرّر بفهم مغلوط ومنقوص للآية الكريمة: {وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ }[هود:118]، أنّ الاختلاف بين البشر أمر جبلّي قد فُطر عليه البشر، وليس بمذموم، ولو أتمّ الآية لتبين له خطأ ما ذهب إليه، فإنّ الله قال بعدها: {إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }[هود:119]، فجعل الله الاختلاف مقابل الرحمة. وقوله: (ولذلك خلقهم) قيل للاختلاف. وقيل للرحمة. وقيل للأمرين: فريق في الجنّة وفريق في السعير، وهو الصحيح. ولذا ختم الآية بتوعّد الكافرين من الجنّ والإنس بنار جهنّم، ولم يعذرهم بكفرهم بحجّة أنّ الاختلاف أمر جبلّي فطريّ كما يقول هذا الكاتب الجاهل، ويدلّ على أنّ الأصل هو الاجتماع والاتفاق على التوحيد والإيمان الصحيح قوله تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً..}[البقرة:213]، وقد روي عن ابن عباس t أنّ الناس قبل نوح كانوا على التوحيد عشرة قرون، ثم حدث الاختلاف والتفرق بعد أن زين الشيطان لقوم نوح عبادة الأصنام وتعظيم الصور..فكان نوح u هو أوّل الرسل لمحو الشرك.

ثم يقرر هذا الكاتب " حق الآخر (الكافر)(!) في الاختلاف من زاوية عدم احتكار الحقيقة من جانب واحد!! أياً كان هذا الجانب... "..

ثم يقول مدافعاً عن المذهب الاعتزالي . وهذا هو مربط الفرس لديه .: " هنا أجد أنّه من المناسب القول بضرورة إعادة النظر في المناهج الجامعية في الأقسام التي تدرس العقديات والمذاهب بحيث يجعلها تؤسس لنظرة تسامحية تنطلق من إبراز أهداف ومنطلقات الفرق المخالفة عندما أرست قواعد مذهبها . خاصة الفرق الإسلامية الماضية المنظور لها على أنها مخالفة . بدلاً من تكريس وضع منهجي يُنظر لها على أنها ذات أهداف خاصة لهدم الإسلام وتقويض بنيانه بحيث تتأسس المخرجات التعليمية البشرية على التعامل مع حق وحيد ورأي فريد هو ما تلقنه إياه تلك المناهج كحق حصري لمباديء مذهبه وقواعد مرجعيته "، وبعد هذا التلميح غير المليح، ينتقل إلى التصريح فيقول: " المذهب الاعتزالي مثلاً عندما أسس للنظرة العقلية في الإشراقات(!) المبكرة من تألق الحضارة الإسلامية كان له هدف نبيل

واضح وهو محاربة الهجمة الشعوبية على الإسلام آنذاك المتخذة من مذهب الشك أساساً لإتيان بنيان الإسلام من قواعده، فكان أن قام المعتزلة بالتأسيس للمذهب العقلي القاضي بتقديم العقل(!!!!) على النقل كسلاح مماثل ووحيد لردّ تلك الهجمة على الإسلام... " إلى آخر ما ذكر من التلبيس وقلب الحقائق، فأما الشك الذي يتحدث عنه فهم أهله والداعون إليه كما سبق من دندنتهم حول أنّ أحداً ما . أيّاً كان دينه ومذهبه . لا يمتلك الحقيقة المطلقة، فأي شك بعد هذا الشك ؟!، وأما تقديم العقل على النقل فهو الضلال المبين، فكيف تكون السيئة حسنة يُمدح صاحبها ؟!، إن هذا من انقلاب المفاهيم..

ثم يختم مقاله بالتعريض بالحديث الشريف . حديث الافتراق والفرقة الناجية .، وهو مخالف للعقل عندهم(!)، فيقول: " ومن ثم فإن الحاجة ماسّة لتأسيس جديد لأقسام العقيدة والمذاهب في الجامعات لتأسيس طلابها على النظرة المجرّدة(!) للمذاهب والفرق المخالفة عن طريق وضع مناهج تؤسس هي الأخرى للدراسة التاريخية المجرّدة(!) باستصحاب كامل لتأريخ نشأة تلك الفرق وأهمها الظروف السياسية التي صاحبت نشأتها وتأسيسها مذهبياً بدل أن تقدم للطالب باعتبارها فرقاً ضالة هالكة في مقابل فرقة ناجية وحيدة... "، أما التفسير السياسي للتاريخ والأحداث، واستبعاد الدين والعقيدة كمؤثّر رئيس، فذلك من أبرز سماتهم كما سيأتي، للتوصّل إلى ما يهدفون إليه من العلمنة.

وفي مقال لهذا الكاتب بعنوان: (العقل قبل ورود السمع) الرياض: 13688، الذي هو أصل من أصول المعتزلة، يثني الكاتب على هذا الأصل، الذي يعلي من شأن الفلسفة والمنطق وعلم الكلام المذموم، ويصف موقف السلف من ذلك بالركام الظلامي الراكد على ثقافتنا منذ قرون... أمّا تراجع بعض كبار أساطين الفلاسفة عنها، وتسجيل اعترافاتهم في ذمّها، وأنّها لا تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، فيعدّه الكاتب في مقال له ساخر بعنوان: (التراجعات المذهبية) الرياض: 13572، مجرّد دعوى لا حقيقة لها، وأنّ ما قالوه، معظمه منحول عليهم، ولا يخفى ما في قوله هذا من اتّهام للسلف بالكذب والافتراء على أولئك المتراجعين، ودفاع عن تلك الفلسفة البائسة العقيمة باعتراف أساطينها.

وفـي هذا السياق يقول أحدهم فـي مقال لـه بعنوان: (تعميق التعددية الفكرية... تأسيس لتطور المجتمعات) الوطن: 2305، مثنياً على مذهب الاعتزال، ولامزاً مذهب السلف: " ويزخر تاريخنا القديم بمدارسَ فكرية متعددة شاركت في زمانها في حراكٍ فكري ثقافي في قضايا فلسفية متعددة كثيرة شغلت تلك المدارس بالتأليف والردود, وأفرز ذلك الحراك الفكري الثقافي مدرسةً فلسفيةً عقلية وهي فكر الاعتزال بيد أننا لم نستفد من تلك المدرسة العقلية التي كانت تُحاكي عقل الإنسان ولم نحاول أن نبرز الأدوات والوسائل التي كانت أساساً لتلك المدرسة, بل قد أُبرزت تلك المدرسة على أنها ضارة وغير نافعة وهذه إشكاليةُ فكرٍ تفردَ بمجتمعٍ فأصبح يملي عليه ما يجوز التفكير فيه وما لا يجوز وساهم في ترسيخ منظور ومنهج واحد تدرسُ من خلاله تلك المدارس الفكرية العقلية التي تزخرُ بالثقافة, فهل سوف تتغير طريقة طرحنا للمدارس الفكرية المتعددة كي نوظفها في خدمة الحراك الفكري الثقافي لكي يمارسه أفراد مجتمعنا ويتفاعلوا معه والذي هو مطلب أساسي للإصلاح والتطوير أم إننا سوف نبني سداً يحول بين عقولنا وآليات تفعيلها كي تبقى على القديم ؟ وكيف سوف نغير طريقة طرحنا؟ ومتى؟".

أنّها دعوة صريحة إلى تبنّي مذهب الاعتزال ، ونبذ منهج السلف الذي يصفه بأنّه (فكر تفرّد بمجتمع)، فهو لا يفرّق بين الفكر والعقيدة التي لا مجال للمساومة عليها، بل إنّه يعدّ الأخذ بمذهب الاعتزال المنحرف مطلباً أساسياً للإصلاح والتطوير !!!!!..

5. الدعوة إلى نقد الثوابت(!) والتشكيك فيها، والتي يعبّرون عنها تارة بالمسلّمات، وتارة بالحتميات، وتارة بالمعرفة الأولى... الخ ..وهي دعوة خطيرة تكشف عن حقيقة ما يطرحونه من فكر..

يقول أحدهم . وهو كبيرهم وأشدّهم افتتاناً بالغرب . في مقال له بعنوان: (ظهور الفكر النقدي شرارة الانطلاق الحضاري) الرياض: 14083: " إن إخفاق العرب والمسلمين في تحقيق الإفلات من قبضة التخلف وعجزهم عن إحراز النهوض وعدم القدرة على التفاهم وغياب تبادل الاحترام واستمرار التمركزات المتنافرة بين الأقطاب المختلفة داخل الأمة والاحتكام إلى القوة والعجز عن الاتفاق عند أي اختلاف ان هذه كلها

وغيرها من المعضلات المزمنة تعود بشكل أساسي إلى حرمانهم من آليات النقد التي كانت المفتاح الذي اهتدت إليه بعض الأمم وأحسنت استخدامه فحقق لها الوئام المنتظم والتكامل المكتظ والنمو المطرد ومكنها من الازدهار المتجدد.. أجل إن النقد للأفكار والرؤى والأوضاع والأعراف والتقاليد والمواضعات والمسلّمات هو محرك الحضارة وهو صانع التقدم في كل مجالات الفكر والفعل وهو الشرارة التي فجرت طاقات الإنسان وصنعت له أمجاد الفكر والعلم ووفرت له أسباب الازدهار فالأمم التي اعتمدت هذه الآلية الرائعة حققت طموحاتها وأنجزت إثبات ذاتها ووقفت شامخة بين الشعوب في سباقات الفكر والفعل أما الأمم التي أخمدت هذا المحرك الأكبر أو تجهله أو لا تحسن استخدامه فقد بقيت عاجزة عن مبارحة خنادق التخلف بل بقيت رافضة بأن تتجاوز هذه الخنادق لأن حرمانها من النقد والمراجعة حرمها من اكتشاف نقائصها كما حرمها من التعرف على ما في الدنيا من آفاق وبدائل فبقيت تتوهم أنها الأفضل والأرقى وظلت رهينة هذا الوهم .."

فهو قد ساوى بين الأفكار والرؤى والأوضاع والأعراف والتقاليد.. وبين المسلّمات التي هي الثوابت، ولم يستثن من ذلك شيئاً.. فكلّها يجب أن تكون خاضعة للنقد حسب رأيه، وهو يستشهد على ذلك بالحضارة اليونانية ووريثتها الحضارة الغربية حسب تعبيره، فيساوي بين دينهم وثوابتهم المحرّفة الباطلة، وثوابتنا وديننا الصحيح الذي لا يقبل النقد، بل يعدّ هذا التفريق بين الدينين وثوابتهما ضرباً لما أسماه بامتلاك الحقيقة المطلقة، بمعنى أنّك حين تعتقد أيها المسلم بأنّ دين الإسلام هو وحده الحقّ وما سواه باطل، فإنّك حينئذ تدّعي امتلاك الحقيقة المطلقة!!! هذا ما يفهم من إطلاقه حيث يقول: "ولكن لن ندرك عظمة هذا السبق المذهل الا إذا تذكرنا أن أصعب معضلة واجهت الإنسانية وسببت لها الفظائع والشرور وعرقلت مسيرتها الحضارية هي الانغلاق الثقافي الناتج عن توهم الكمال واعتقاد كل طرف من المختلفين أنه هو وحده الذي يملك الحقيقة النهائية المطلقة وأن كل الأطراف الأخرى غارقة في الأباطيل والحماقات والعمى والضلال وانحلال الأخلاق وأن كل المخالفين يستحقون الاقصاء والاستئصال لأنهم في نظره خطر على الحقيقة وعلى الوجود ولأن هذا الوهم يجري من الناس مجرى الدم ومحتجب عن الوعي خصوصاً في الثقافات

المغلقة [ويقصد بها ثقافتنا] فإنه قد بقي ويبقى محصنا عن أضواء العقل وغير متأثر بفتوحات العلم ومحمياً من عمليات التحليل والفحص والمراجعة فتوهّم الانفراد بامتلاك الحقيقة يؤدي إلى الانغلاق الثقافي ومعاداة كل المغايرين وتوهّم الخطر من أي مخالف . إن ادعاءات كل طرف سواء بين الأمم المختلفة أو بين المذاهب والطوائف والاتجاهات داخل الأمة الواحدة بأنه وحده يملك الحقيقة المطلقة وأن الآخر ليس لديه سوى الضلال والعمى كانت وما زالت من أقوى أسباب البؤس الإنساني والفرقة والاقتتال والعداوات وحجب الحقائق وتزييف الوقائع وإفساد الأخلاق وملء النفوس بالأحقاد وتلويث العقول وإعاقة المعرفة وعرقلة الحضارة ومنع الانسجام الإنساني لذلك كان تأسيس الفكر النقدي وتقويض أوهام الانفراد بامتلاك الحقيقة النهائية المطلقة من أعظم الاختراقات الإنسانية.."

وهذا الكلام تضمن حقّاً وباطلاً، وخلطاً عجيباً يدلّ على غبش في التصور، أو ضلال في الفكر، وسيأتي قريباً إن شاء الله الحديث عما يسمّى بامتلاك الحقيقة المطلقة..

ويقول آخر . وهو أشدّهم تطرّفاً وبذاءة . في مقال له بعنوان: (الإرادة الإنسانية.. المستقبل يصنعه الإنسان) الرياض: 14073، هاجم فيه ما أسماه بالحتميات التي هي الثوابت، يقول: " لا أريد أن أتحيز إلى تهميش الحتميات؛ بقدر ما أريد التأكيد على قدرة الإرادة الإنسانية على تجاوزها، والتحرر منها؛ مع الإقرار بنسبية هذا التحرر. بل إن حضورها الطاغي أحيانا هو ما يبعث روح التحدي إزاءها، ويجعل من التحرر منها تحقيقا لتحرر الإرادة الإنسانية مما سوى الإنساني ".

فهو يرى في مقاله الطويل الذي يكتنفه الغموض أنّ الحتميات التي هي الثوابت . ويعني بها ثوابتنا نحن لكنّه لم يجرؤ على تسمية الأشياء بأسمائها . هي العائق عن تحقيق التقدّم والإرادة الإنسانية، في الوقت الذي يثني فيه على الإنسان الغربي الذي يمثل في نظره مقدمة الوعي الإنساني، ومثال الإرادة الحرة الواعية بذاتها. لأنّه الإنسان الأقل خضوعا للحتميات، والأشد تحررا من أسرها !!!!!. إنّها قمّة الانهزامية والتبعية والانحراف الفكري، أو بتعبير بعض الفضلاء: (الأدمغة المفخخة).

وفي مقال بعنوان: (ثقافة معاقة)(!) الوطن: 2252 كتبت إحداهنّ داعية إلى الشك في الثوابت، والتشكيك فيها، تقول بكلّ جرأة: " يقال إن الفرد قد حقق هويته عندما تكون سلوكياته العملية في جميع جوانب حياته نتاجاً لمفاهيم وقناعات اختبرت صحتها بعقلية حرة مستقلة ولم تكن نتاج وراثة أو برمجة بطريقة الترديد الببغائي لما يقوله الوالدان والمدرسة ووسائل الإعلام كالمسجد والتلفزيون والكتيبات، وليصل الإنسان لهذا المستوى فلابد أن يمر بمرحلتين الأولى وفيها يتم وضع كل ما تم تلقينه إياه في فترة طفولة الفكر وهي مرحلة الطفولة وحتى نهاية المراهقة موضع الشك والاختبار دون النظر إلى ما يسميه مجتمعه أعرافاً أو ثوابت فيبدأ المراهق بالتساؤل حول مصداقية التعليمات التي جاءت من قبل الكبار وتشكيكه فيها بالبحث والقراءة والاستطلاع بهدف الغربلة والتصحيح فيدخل سن الشباب وقد كوّن فكره المستقل الذي يعكس ما يدل عليه ثم يظهر الالتزام بالمعرفة الجديدة وتطبيقها عملياً كمؤشر ملموس على تحقق الهوية ".

فهي تدعو الشاب الغض بعد سنّ المراهقة أن يختبر قناعاته . حتى الثوابت(!) . بعقلية حرة مستقلة كما تقول(!!!) وهي لا تعلّم أنّ ثوابتنا لا سيما العقدية لا تخضع للعقل، ولا مدخل للعقل فيها، فهي تعتمد على الإيمان والتسليم المطلق { الذين يؤمنون بالغيب }[البقرة: 2]، ولو كانت الكاتبة تتحدث عن مجتمع غير مجتمعنا، ثوابته من وضع البشر لكان لكلامها وجاهة، أمّا وهي تتحدّث عن مجتمعنا السلفي المسلم بمناهجه النقية التي تولّى إعدادها علماء أجلاء، فلا وجه لهذه النزعة التشكيكية المتلقّاة من الغرب الكافر الذي لا ثوابت له سوى ما وضعه البشر..

ثم كيف لشاب غضّ في مقتبل العمر أن يختبر تلك القناعات والثوابت التي وضعها له علماؤه ومشايخه، وهي مما اتفق عليه سلف الأمة منذ عهد الصحابة إلى يومنا هذا ؟!!

ثم تقول: " وقد يظن أي معاق الهوية أن الأخلاق والقيم والمبادئ غير قابلة للتطور ويجب أن تبقى ثابتة وأننا نعني بهذا المقال التأثير على شبابنا ودفعه للتخلي عن قيمنا وأخلاقنا العظيمة ونقول له بل هي قابلة للتطور والتحسن ويجب أن تعامل بمرونة أكثر وسأعطي مثالاً على نمو المبادئ وتطورها ففي ثقافتنا الإسلامية

الجميلة كنا من رواد الدعوة لحقوق العبيد ولتضييق موارد الاستعباد ثم تطور هذا المفهوم الأخلاقي على يد الثقافة الغربية لمستوى أعلى فمنع استعباد الإنسان والاتجار به أساسا ومن هذا المنطلق يمكن حتى أن نطور مفاهيمنا حول حقوق المرأة والطفل ".

وهو كلام خطير يدلّ على جهل فاضح، وانهزامية بائسة، فديننا ولله الحمد قد أكمله الله وأتمّه { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً }[المائدة: 3] فلسنا بحاجة لنطور ثوابتنا وقيمنا عن طريق أمم لا قيم لها ولا أخلاق أصلاً إلا الأخلاق التجارية إن صحّ التعبير، والمثال الذي ضربته دليل صارخ على جهلها فإنّ إلغاء الرقّ الذي أقرّه الإسلام ليس تطويراً وإنّما هو مضادة لحكم الله وشرعه، فالرق باق ما توفّرت أسبابه، وقولها: (ثم تطور هذا المفهوم الأخلاقي على يد الثقافة الغربية لمستوى أعلى فمنع استعباد الإنسان والاتجار به أساساً) كلام خطير حيث جعلت هذا النقض لحكم الله مستوى أعلى مما شرعه الله وأقرّه.. فجعلت حكم الطاغوت أعلى من حكم الله، ولا أظنّها لجهلها تدرك ذلك، فإلى الله المشتكى من جهل هؤلاء وجرأتهم وتعالمهم..

ثم أي استعباد أعظم مما تفعله الدول الكبرى اليوم من استعباد الدول والشعوب وإذلالها والضغط عليها لتنفيذ أجنداتها، والسير في ركابها، والاستيلاء على ثرواتها ومقدّراتها ؟!! ومن يخالف ذلك فإنّ مصيره إلى الإقصاء والإبعاد والاتهام بالإرهاب، وتسليط المرتزقة عليه وغير ذلك من الأساليب الماكرة.

وتختم مقالها بما لا يقل خطورة عما سبق، فتقول: " وأخيرا تحت شعار حماية ثقافتنا خوفا من المتربصين وهذا الخوف الذي ينادي إلى التقهقر ومحاولة إحياء عصر ما قبل ألف سنة بحذافيره وهذا الفكر خلق مجتمعات بأكملها معاقة الهوية وجعل عقولنا راكدة متوقفة عن العطاء نعيش عالة ولا نساهم في أي إضافة للمجتمعات لا تقنيا ولا ثقافيا بالرغم من أننا نشكل خمس سكان العالم ".

فتأملوا قولها: (إحياء عصر ما قبل ألف سنة) وهو عصر النبيّ . صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه والتابعين، أي القرون الأولى المفضّلة التي قال عنها النبيّ . صلّى الله عليه وسلّم .: ((خير القرون قرني، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم..)) وجعلت

إحياء مثل هذا العصر المجيد سبباً من أسباب خلق مجتمعات بأكملها معاقة الهوية... ألا يعدّ هذا الكلام من الكفر الصريح، أم أنّ هذه الكاتبة تردّد ببغائية ما لا تدرك معناه ؟!

وفي ذات السياق يقول أحدهم في مقال له بعنوان: (التفكير في المعرفة الأولى) الوطن: 2259: "يعتبر كثير من الباحثين في الفكر العلمي، باشلار من أبرزهم، أن المعرفة الناتجة عن التجربة الأولى، أي الاتصال الأول بالموضوع، تعتبر عائقا معرفيا أمام الحصول على معرفة علمية موضوعية. وبالتالي فإن المعرفة العلمية الحقيقية تأتي لتواجه وتتجاوز هذه المعرفة الأولى ".

إلى أن يقول: " هذا المفهوم يمكن توسعته أيضا إلى معارفنا الأولى عن الكون والحياة والأفكار والثقافات وعن أنفسنا ومحيطنا الصغير والكبير. خصوصا أن أغلب معارفنا في هذا الإطار اكتسبناها ونحن صغار في فترات التعلم الأولى. تعلمنا في البيت وفي المدرسة ومن خلال التفاعل الاجتماعي أشياء كثيرة. تعتبر كلها معارف أولى تبقى متأثرة بثقتنا بمن علمنا إياها وبالهالة التي لهم عندنا...."

إلى أن يقول: " يمكن سحب هذا الفهم على المعرفة الأولى التي اكتسبناها في المدرسة من المعلم وتلك التي اكتسبناها من إمام المسجد وتستمر حتى إلى المعرفة الأولى التي تحصلنا عليها من الجامعة أو أي مصدر معرفي آخر ". وهذا هو مربط الفرس عندهم: المعلم، المسجد....

وهكذا تستمر الدعوة إلى التشكيك في ثوابتنا ومسلّماتنا الشرعية بحجّة النقد والتمحيص، وهم يقيسون مجتمعنا المسلم على المجتمعات العلمانية الكافرة التي لا ثوابت لها إلا ما صنعه البشر كما سبق ضاربين بثوابتنا الشرعية عرض الحائط.

ويبدو أنّهم بدأوا في تطبيق ما يدعون إليه، فهذا أحدهم في مقال له بعنوان (الأمن الفكري والركض في الطريق الآخر!!) الوطن: 2322، يطعن في مذهب أهل السنّة والجماعة، ويقرر الفكر الليبرالي المنحرف فهو يرى أنّ الأمن الفكري هو : " أن يفكر جملة الناس وأفرادهم تفكيرا لا يؤدي إلى إيقاع الخطر بالمجتمع ".

ثم يقرر " إن هناك رؤيتين مختلفتين في تحقيق هذا الهدف. الأولى تقول إن الفكر الآمن هو الفكر "السلمي". بمعنى الفكر الذي يطرح آراءه وأفكاره بطريقة سلمية دون أن يلزم أحد بها أو يفرضها بالقوّة " وهذه هي الرؤية الليبرالية التي يريد أن يقررها .

ويواصل: " الرؤية الثانية ترى أن الفكر الآمن هو الفكر الذي يسير في الطريق المحددة سلفاً. طريقة يرى أصحاب هذه الرؤية أنها هي السليمة قطعا وبالتالي فإن تحقيق الأمن للفكر يكون في السير على هذه الطريقة وكل ما يخرج عنها يعتبر فكرا خطرا ويهدد الأمن الفكري ". وهذه هي الرؤية السلفية الصحيحة، وهي التي يريد أن ينقضها، ولذا يقول: " شتّان بين الرؤيتين فكل منهما تنطلق من أساس فكري ورؤية للإنسان والحياة تختلف عن الأخرى. الرؤية الأولى التي ترى الأمان الفكري يكمن وينبع من التفكير السلمي بدون إضافة أي قيد آخر على هذا التفكير تنطلق من مبدأ حرية التفكير غير المحدودة إلا بكونها سلمية. حرية التفكير التي هي حق أولي للإنسان وشكل من أشكال تحقيق وجوده الحقيقي في الحياة. هذه الحرية هي منطلق وطريق كل الإنجاز البشري وأفكار التقدم والتحرر على مدار التاريخ. كل الفلاسفة والمصلحين على مدى التاريخ انطلقوا من هذا الحق حين كانوا يواجهون بمعارضة شديدة من مجتمعاتهم في البدايات. صحيح أن الكثير منهم انقلب على هذا المبدأ بعد أن استقر لأفكارهم الأمر إلى أن المبدأ الأول كما شملهم يفترض أن يشمل من بعدهم بالتأكيد . الرؤية الثانية تنطلق من أن فكرة أن الحق معروف سلفاً، في جملة آراء جماعة ما " يقصد أهل السنة والجماعة، ثم يواصل: "وبالتالي فإنه لا يسع أحد أن يخرج عن هذا الفكر وإلا اعتبر مباشرة خارجاً عن الحق".

ثم يقول ساخراً: " لا تهتم هذه الرؤية بحرية الفكر، ولا تعتد بها، بل تحاربها بقدر ما تستطيع، وتعتبرها سبباً من أسباب الدمار والبلاء. ولذا فعلى الناس استمرار الاتباع للحق، الذي هو حق محدد عندهم في جملة من الأقوال والآراء وفي ما وافقها فقط .."

وحرية الفكر عند هؤلاء تعني حرية الكفر، والسخرية بالدين وأهله، والتشكيك في الثوابت كما سبق..!! أما الحقّ المحدّد في جملة من الأقوال والآراء . حسب وصفه . فواضح أنّه يريد به مذهب السلف، وهل هناك حقّ غيره عندنا ؟.

وفي مقال بعنوان (لا إجحاف) الوطن: 2322، كتبت إحدى الكاتبات من أصحاب هذا الفكر . وهي التي سبق قريباً أنها طالبت بالشكّ في الثوابت . تنتقد وبصراحة وقحة بعض الثوابت المتعلّقة بالمرأة، والتي وردت فيها نصوص صحيحة وصريحة، وقد خلطتها مع بعض القضايا الأخرى التي هي محل اجتهاد، ومن هذه الثوابت التي انتقدتها وأنكرتها . وسأذكرها بالنصّ الذي ذكرته .:

" ممنوعة من السفر بدون إذن، ممنوعة من استئجار غرفة بفندق بدون إذن، ممنوعة من إلحاق أبنائها في المدرسة التي تحب بدون إذن، ممنوعة من استخراج جواز سفر بدون إذن، ممنوعة من الخروج من المنزل بدون إذن، ممنوعة من الخروج من الدوام (للمعلمات والطالبات) دون إذن، ممنوعة من الالتحاق بالعمل بدون إذن، ممنوعة من استئجار منزل وحدها بدون إذن، ممنوعة من الاستفادة من البعثات الخارجية بدون إذن، ممنوعة من تزويج نفسها بدون إذن، ممنوعة من التوقف عن الإنجاب بعملية بدون إذن، ممنوعة من الخروج من المستشفى إذا نومت فيه بدون ولي لاستلامها، ممنوعة من دخول الإدارات الحكومية ومقابلة المسؤولين بدون ولي، ممنوعة من الامتناع عن فراش الزوجية بدون عذر، ممنوعة من طلب الطلاق بدون عذر ودفع غرامة، ممنوعة من اللحاق بأطفالها إذا أخذهم طليقها خارج البلاد دون إذن وليها، ممنوعة من تزويج بناتها دون إذن، ممنوعة من الوقوف في محل بيع أو مقهى هي تملكه، ممنوعة من استلام مناصب تنفيذية عليا في القطاع الخاص والحكومي، ممنوعة من لقاء وفد لعقد صفقة عمل، محرم عليها الركوب مع سائق وحدها، محرم عليها العمل في المكان المختلط، محرم عليها إغضاب زوجها، وأخيراً صوتها عورة لا يجب أن يظهر للملأ لتبقى قضيتها طي الكتمان.. ".

ويلاحظ أنّ أغلب ما ذكرته يدور حول أخذ الإذن من الزوج أو الولي في الخروج والسفر ونحوه، والاختلاط والخلوة المحرّمة، وقد وردت في ذلك نصوص شرعية صحيحة، فهذه الكاتبة . أصلحها الله . تريد من نسائنا أن يخرجن من بيوتهن، بل يسافرن حيث شئن ويتزوجن من شئن دون إذن من أوليائهنّ، ومعلوم شرعاً وعقلاً وذوقاً وأدباً في أي تجمّع، أو مؤسسة، أو إدارة حكومة أو أهلية، أنّ الموظّف لا يخرج من عمله إلا بإذن، وإلا لأصبح الأمر فوضى وتسيب، فكيف بمؤسسة الأسرة

التي هي المحضن الأوّل للتربية والتعليم.. فهل تريد هذه الكاتبة من نسائنا أن يكن فوضويات متسيبات بلا رقيب ولا حسيب ؟! وإذا كانت هي ترى نفسها مثقفة وواعية، فهل كل النساء والفتيات كذلك؟!.

أما الاختلاط بين الجنسين . وأعني به الاختلاط المقصود . فهو أم البلايا ومقدمة الرزايا، فهو المقدمة للخلوة المحرمة المنتهية بالمآسي العظيمة، ولدي قصص مفجعة لضحايا الاختلاط من الجنسين، ولولا خشية الإطالة والخروج عن المقصود من هذه الدراسة، لذكرت شيئاً من ذلك، والعاقل اللبيب ينظر ويتأمل.

والعجيب أنّ بعض نساء الغرب العاقلات أكثر وعياً وإنصافاً للمرأة المسلمة، من هذه الكاتبة المنتسبة إلى الإسلام.. ففي مقابلة أجرتها مجلة الوطن العربي (العدد 314) مع امرأة فرنسية متخصصة في الفن الإسلامي قالت: " وجدتُ المرأة العربية (المسلمة) محترمة ومقدرة داخل بيتها أكثر من الأوروبية ، وأعتقد أن الزوجة والأم العربيتين تعيشان سعادة تفوق سعادتنا.."

ثم توجه نصحها للمرأة المسلمة قائلة: " لا تأخذي من العائلة الأوروبية مثالاً لك، لأنّ عائلاتنا هي أنموذج رديء لا يصلح مثالاً يحتذى ".

وفي مقابلة أجرتها مجلة صدى الأسبوع مع فتاة إنجليزية أعلنت إسلامها، كان من الأمور التي دفعتها أن تترك النصرانية وتدخل الإسلام: الأسرة المسلمة ومكانة المرأة، قالت: " المرأة المسلمة دائماً في حماية ورعاية، تجد من يعيلها أينما حلت، وهي جزء هام من المجتمع الإسلامي، جو عائلي تفتقده الكثير من الأسر الغربية.."

.

والخلاصة أنّ ما تدعو إليه هذه الكاتبة حث نسائنا وبناتنا على التمرّد على أوليائهنّ، وأن يخرجن بلا حسيب ولا رقيب، وينزعن جلباب الحياء بلبس اللباس غير الساتر، ويرفعن أصواتهن في المجامع، ويختلطن بالرجال ليكن فريسة للذئاب البشرية، ولو غضب أولياؤهن، حيث إنّ الكاتبة أباحت لهن ذلك.. هذا ما يُفهم من مقالها، فما الذي بقي من الثوابت في قضايا المرأة ؟ وهل سيقف هؤلاء في نقدهم عند مثل هذه الثوابت الجزئية، أم سيتعدّى الأمر إلى الثوابت الأخرى ؟

السمة الثالثة:

الشكّ في دينهم، وكثرة الحديث عمّا يسمونه بـ (امتلاك الحقيقة المطلقة) وأنّ أحداً من الناس ـ كائناً من كان ـ لا يمتلك هذه الحقيقة، وهم لا يفرقون عن عمد بين أمور الاعتقاد (الثوابت)، وبين غيرها من الأمور الخاضعة للنظر والاجتهاد، بل ظاهر كلامهم ينصرف إلى هذه الثوابت للتوصّل إلى مرادهم، وهو التشكيك في مذهب أهل السنّة والجماعة، أو ما يطلقون عليه: (السلفية التقليدية)، فلا أحد عندهم يمتلك الحقيقة المطلقة حتى في أصول الدين وأمور الاعتقاد التي أجمع عليها سلف الأمّة منذ فجر الإسلام، وإلى وقتنا الحاضر، فالمسلم الموحد، واليهودي، والنصراني، والمبتدع، كلّهم سواء من ناحية الحقيقة، لا حقّ لأحد منهم ـ حسب زعم هؤلاء ـ في امتلاكها(!) وهذا هو حالهم على الحقيقة، فهم حائرون تائهون مرتابون، أمّا نحن ـ ولله الحمد والمنّة ـ فليس لدينا شك في ديننا وعقيدتنا، فنحن مطمئنون موقنون. إمامنا في ذلك رسولنا الكريم الذي قال الله له: { فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ }.

وفيما يلي بعض أقوالهم في هذه القضية التي أقلقتهم، وأقضّت مضاجعهم، وحالت بينهم وبين تحقيق مشروعهم التغريبي:

تقول إحدى الكاتبات في مقال لها بعنوان (النزعة الإنسانية) الجزيرة: 11966 " تتميز التوجهات الفكرية المحافظة والمغلقة على نفسها، بالجمود والتشدد وعدم الرغبة في أيّ نوع من أنواع الاتصال مع المغاير أو المختلف، يرافق هذا شعور متأصل بالرعب والتهديد من العالم الخارجي، على اعتبار أنّ هذا العالم هو غابة من الشرّ والفساد والعهر.. حتى تصبح حالة من التيبس داخل طهرانية وأوهام بامتلاك الحقيقة المطلقة دون العالمين.."، ولا أدري عن أي مجتمع محافظ تتحدث ـ وهي بالتأكيد تتحدث مجتمعنا السلفي المسلم المحافظ، لكنها لا تجرؤ على التصريح ـ، فهل يوجد اليوم مجتمع ليس لديه الرغبة في أيّ نوع من أنواع الاتصال مع المغاير والمختلف، يبدو أنّ الكاتبة تتحدث عن بعض مجتمعات مجاهل أفريقيا، أو الواق واق.. أمّا أوهام امتلاك الحقيقة المطلقة دون العالمين فهو الشاهد من هذا النقل التغريبي الواضح.

ويقول آخر في مقال له بعنوان: (النظام المعرفي والهوية الثقافية) الرياض: 13551: "..العنف ومن ثم التطرف ينتج غالباً من اعتقاد المجتمع عموماً (وهو ما يربى أفراده عليه بالطبع) بأنّه مالك خطام الحقيقة المطلقة في نظرته للناس والكون والحياة، ومن ثم فلا يجد سبيلاً لأداء مهمته في الحياة سوى إجبار الناس المخالفين على عدم إهلاك أنفسهم، وردهم لحياض الحقيقة المطلقة "..

وهكذا ينبغي للناس . كما يريد الكاتب . ألا تكون لديهم عقيدة ثابتة راسخة يقينية، يربيهم عليها علماؤهم، ليظلوا في ريبهم يترددون.

ويوضّح هذا الكاتب ما أجمله في هذا المقال في مقال آخر له بعنوان: (الخوف من النقد) الرياض: 13509، فيقول: " يعتضد ذلك السلوك المبني على تضعضع الحجّة [ويقصد به الرعب عند الطعن في الأصول ونقدها] بانعدام التربية . كجزء من الحالة الثقافية المعاشة . على مراعاة حقّ الآخر في الاختلاف من زاوية عدم احتكار الحقيقة من جانب واحد، أيّاً كان هذا الجانب، سواء أكان فرداً أو جماعة أو هيئة أو مذهباً أو خلافه.. "، فلا فرق . على رأي الكاتب . بين مذهب أهل السنة والجماعة، وغيره من المذاهب الأخرى المنحرفة، وكلّ ذلك توطئة وتميداً للتبشير بفكرهم الليبرالي الاعتزالي التغريبي.

ويقول آخر . وكان تكفيرياً فصار مرجئاً . في مقال له بعنوان: (أيضاً في الطائفية) الرياض: 13503، وهو يساوي بين أهل السنة وبين الرافضة: "وكانت تنشأ في الإسلام [أي الفرقة والاختلاف] جرّاء صراعات مريرة بين الطوائف والفرق المتصارعة على النصّ الديني، يغذّيها الوهم الزائف بامتلاك الحقيقة.."، وهكذا أصبح التمسك بمذهب أهل السنة والجماعة وهم زائف بامتلاك الحقيقة!!!.

وفي هذا السياق يقول أشدّهم تطرّفاً وبذاءة في مقال له بعنوان: (التفكير.. وإشكالية الوصاية) الرياض: 13065: " وإذا عرفنا أنّ (التفرّد) في الفكر وفي الممارسة المادية، هو المتعين السلوكي لمعنى الحريّة، وأنّ الحرية هي جوهر المعنى الإنساني، وأنّ كلّ إنسان يولد . على الفطرة . حرّاً؛ أدركنا حجم الجناية التي ترتكبها الثقافة التقليدية البائسة في سعيها الحثيث لقولبة الأفراد وقسرهم على رؤى متشابهة إلى حد التطابق بإلزامهم بأقوال ختمت . زوراً . بختم المطلق الإيماني والثابت اليقيني،

كي يتنازلوا . طائعين . عن (فرديتهم/ إنسانيتهم/ وجودهم) في سبيل أوهام التقليدية الميتة، وأشباحها الآتية من عصور الظلام والانحطاط ".. والثقافة التقليدية البائسة وأوهامها الميتة وأشباحها الآتية من عصور الظلام والانحطاط يريد بها السلفية التي يسمها بالتقليدية كما صرّح بذلك في المقال نفسه، بل إنّه ضرب مثلاً على ذلك بحادثة قتل الجعد بن درهم الذي أعلن كفره وإلحاده وتكذيبه للقرآن فقتله الوالي آنذاك خالد القسري حداً لردته، فينبري هذا الكاتب مدافعاً عنه، فيقول" ولعلّه ليس من قبيل المصادفة أن يتغنى التقليدي في هذا الزمن الراهن بكل ما شهده ذلك الصراع التاريخي من قمع لمظاهر الاختلاف والمغايرة(!)، ويترحم على القاتل ويلعن المقتول، ويتمنى أمثالها قرابين ترضي مرضه السادي، ولا يزال التقليدي [يعني السني السلفي] يطرب كلما سمع أو تذكر قصّة الطاغية الذي ضحى يوم عيد الأضحى بـ (إنسان) بدل أضحيته في أوائل القرن الثاني الهجري ".. وهكذا يتحوّل من يقيم حدود الله إلى طاغية، ويتحوّل الطاغية المرتدّ المكذب للقرآن وللرسول r إلى (إنسان) مسكين يستحق الشفقة، ويصبح إقامة الحد الشرعي جريمة، وقمع لمظاهر الاختلاف والمغايرة !!!!!! إنّ هذا لعمر الله قلب للحقائق، بل هي ردة يجب أن يستتاب منها هذا الكاتب.

وليته اكتفى بذلك، بل يواصل بذاءته ساخراً من الإمام الرباني ابن القيم رحمه الله وسائر علمائنا السلفيين بعده، وتلامذتهم، واصفاً إياهم جميعاً بالسفهاء(!!) فيقولً: " وأصبحت هذه الجريمة منقبة للقاتل يمتدح بها عبر القرون بحيث لا يخجل أحدهم . وكان على علم . أن يمتدحه في نونيته التي قالها بعد الجريمة بستة قرون فيقول: (لله درك من أخي قربان)، ويردده من خلفه السفهاء(!) وأشباه السفهاء(!) على مرور الأيام ".. فهل بعد هذا التطرّف من تطرّف، وهل بعد هذا الإرهاب الفكري من إرهاب ؟!!.

والعجيب أنّ أسياده الغربيين وعملاءهم من الباطنية فعلوا مثل ما فعل القسري حين أعدموا صدّام حسين شنقاً في يوم عيد الأضحى . مع الاختلاف الشاسع في أسباب الإعدام ودوافعه . ومع أنّ الغرب كان هو الداعم الرئيس لمعظم جرائم صدّام، والمبارك لها!! إلا أنّ هذا الكاتب البائس لم يساو بين الجلادَين في الحالتين، وكذلك

لم يساو بين الضحيتين في حكمه البائس أيضاً، بل راح يكيل الشتائم لصدّام ويجرّده حتى من الخصال التي اتفق الناس عليها حتى جلادوه، أمّا الجلاد والقاتل الحقيقي فقد عمي عنه هذا الكاتب، ولم يشر إليه ولا مجرّد إشارة، مع الفارق الكبير . كما أسلفت . بين الحادثتين.. !

السمة الرابعة:

العزف على وتر الإنسانية

وذلك في مقابل الأخوّة الإيمانية، وأخوّة العقيدة، وهذا بناء على ما قرّروه سابقاً من أنّ أحداً لا يمتلك الحقيقة المطلقة ! وقد كتب أحدهم مقالاً بعنوان: (الإنسانية والطائفية: صراع الأضداد) الرياض: 13754، يؤصّل فيه هذه النزعة الإنسانية شرعاً(!!) في جرأة متناهية حسب فهمه للنصوص ومقاصدها(!!) . وبئسما ما فهم .، فيذكر إن الإسلام "جاء أوّلاً لتفكيك العصبية القبلية التي كانت سائدة عند العرب في الجاهلية، وعندما خلخل الأساس المعرفي القيمي التي تقوم عليه العصبية الجاهلية؛ قام بتجذير أساس قيمي جديد قوامه { أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } وهي نقلة نوعية متطورة . كما يقول . على طريق أنسنة(!) العلاقات في المجتمع العربي على أنقاض العصبية القبلية وما شاكلها من مقومات الطائفية(!)، ولأنّ القرآن كنص مؤسس لاجتماع جديد لا يستطيع وفقاً لقوانين الاجتماع البشري من جهة، ووفقاً لحركته ضمن جدلية التأثر بالواقع والتأثير فيه أن ينقل مجتمعاً غارقاً في قبليته كالمجتمع العربي القديم من أقصى قيمة سلبية . كما هي العصبية القبلية . إلى أقصى قيمة إيجابية . كما هي الإنسانية المطلقة فقد بدأ باستبدال الأخوة التي تقوم على العصبية القبلية بالأخوّة التي تقوم على الرابطة العقدية من جنس { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ }، ومن جنس: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ } ولكنها ليست تجسيداً نهائياً لأنموذج العلاقة التي يجب أن تحتذيها المجتمعات، بل إنّها لا تعدو أن تكون خطوة على طريق الأنسنة الشاملة ليس إلا، يؤيّد ذلك قوله تعالى { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ } وأيضاً {يا أيها الناس إنا خلقناكم من نفس واحدة }(1) " انتهى كلامه بنصّه، وهو كلام في غاية الخطورة والجهل والجرأة على النصوص الشرعية، حيث جعل النصّ المكيّ المتقدّم ناسخاً للنصّ المدني المتأخّر،

وهذا لا يصحّ شرعاً ولا عقلاً، بل هو دليل على غاية الجهل والعبث بالنصوص الشرعية، لتقرير النزعة الإنسانية في مقابل الأخوة الإيمانية والرابطة العقدية التي يصنفها هذا الجاهل بأنّها من ضروب الطائفية(!!!).

وفي هذا السياق يقول أحدهم . وهو أشدّهم تطرّفاً وحقداً على السلفية . موضحاً ولكن بعبارات تمويهية في مقال له بعنوان: (ما بعد الكائن النمطي) الرياض: 13499: " فقدان المشروعية الإنسانية يتم عندما يتقدّم سؤال الهويّة . أيّة هويّة . على سؤال الإنسان، أي على حساب الإنسان.. عندما يبدأ التنميط بإيديولوجيا الهوية ينتهي الإنسان الفرد المحقق للمعنى الإنساني، ومن ثم ينتهي الإنسان "، فهو يرى أنّ إثبات الهوية، . ويؤكد ذلك بقوله: (أية هوية) حتى تشمل الهوية الإسلامية والسلفية على وجه الخصوص كما نص على ذلك في بقية مقاله . يكون على حساب الإنسان!! وهذه . عنده . بداية ما يسميه بالتنميط بإيديولوجيا الهوية، أي أن يكون للمسلم هوية وعقيدة تميّزه عن غيره، فذلك عنده يعني نهاية الإنسان..

ويؤكّد ذلك بقوله: " المجتمعات المحافظة . والمنتجة للأصولية بالضرورة . مجتمعات نمطية يشكل التنميط جوهر حراكها المعلن وغير المعلن، من حيث كونها ترتكز على وحدة القيم الصادرة عن وحدة الرؤية والمرجعية.. ".. فمن هي يا ترى هذه المجتمعات المحافظة والمنتجة للأصولية بالضرورة؟! وماذا يقصد بالأصولية؟ لا شك أنّه يقصد مجتمعنا السعودي المحافظ، بعقيدته السلفية الأصيلة، ومرجعيته المعتبرة، وقد أوضح ذلك فيما بعد من مقاله هذا بمن وصفهم بـ " رموز التنميط الذين كانت تدور عليهم حراك الأيديولوجيا المحلية " وزعم أن هذه الرموز أصبحت . بعد الانفتاح الإعلامي الهائل . فضيحة إعلامية بعد أن وضعت على المحكّ في مواجهة رموز المعرفة الحداثية التي واجهها . وانتصر عليها في الماضي . بالأدلجة وبتجهيل الجماهير لا بالحوار المعرفي الجاد.. وهكذا تصبح رموز الحداثة المارقة رموزاً معرفية(!!)، أمّا الرموز الإسلامية بمرجعيتها الشرعية المعتبرة فهي تنميطية مؤدلِجة مجهلّة للجماهير !!!

وفي مقال آخر له بعنوان: (تأملات في الغضب الإسلامي) الرياض: 13744، وذلك في أعقاب استهزاء الدنمارك بالرسول الكريم يقول: " يخيّل إليك . أحياناً . أنّ

بعض أطياف الإسلامويّة(!) مبتهجة بالحدث لما تراه من تقاطع كثير من الأصوات الغاضبة مع شعاراتها، وإذا كنا لا بد أن نغضب . مهما استخدم غضبنا لغير ما نأمل ونريد؛ فإننا لا بد أن نكون حذرين غاية الحذر في لغة الإدانة التي نختارها، كيلا نسهم في الحشد والتجييش لفصائل ليست من خياراتنا الحضارية(!)، بل تقف . من خلال مجمل مضامينها . على الضد من المنحى الإنساني الذي تجتمع عليه قوى التقدّم والتحرّر الإنساني(!) "..فهو لم ينس خصومه الذي ينعتهم استهزاء بالإسلامويين حتى في هذه النازلة الكارثية التي لم يسبق أن اجتمع المسلمون اليوم جميعا مثل اجتماعهم عليها ، كما لا ينسى أن يبشّر بمشروعهم التغريبي ذي المنحى الإنساني(!) الذي تجتمع عليه قوى التقدّم والتحرر الإنساني، في مقابل قوى التقليد والظلام والإرهاب والتأسلم والتخلف والتوحش والانغلاق والتطرف، وهي الأوصاف الذي أسبغها كما سبق على السلفية وكل ما تقاطع معها من الحركات الإسلامية ولو من بعيد. أمّا قوى التقدّم والتحرّر الإنساني عنده فهي القوى الحاملة للواء الحداثة . لا بوصفها منهجاً أدبياً فقط .كما يصفها في مقال له بعنوان: (المرأة والحداثة) الرياض: 13457: فيقول: " نزل خطاب الحداثة إلى الواقع كخطاب نهضة واعدة، نهضة تتمركز حول الإنسان(!)، وتعنى بكل ما تقاطع مع البعد الإنساني، من مساواة(!) وتحرير، وديمقراطية.. الخ، وهذا الإنساني في خطاب الحداثة يعني . بالضرورة . أنه خطاب مهموم بالمسألة النسوية بوصفها إشكالاً يلازم المجتمعات التقليدية التي تسعى الحداثة لتقويضها(!!!) "، فهو يصرّح بأنّ الحداثة تسعى إلى تقويض المجتمعات التي يصفها بالتقليدية، ويريد بذلك .كما تدل عليه سائر مقالاته . المجتمعات المسلمة المحافظة، وخاصّة السلفية منها كمجتمعنا، لكن هؤلاء الكتّاب على عادتهم لا يجرؤن على التصريح وتسمية الأشياء بأسمائها الحقيقية.

وفي مقال له بعنوان: (إشكالية العنف الفلسطيني الإسرائيلي) الرياض: 13401، يكثر من العزف على هذا الوتر . وتر الإنسانية . فهو يقرّر أوّلاً أنّ الصراع بين الطرفين ليس صراعاً عقدياً، ويَسِمُ من يعتقد ذلك بأنّه متطرّف: يقول: " المتطرّفون من هنا (العرب والمسلمون) ، ومن هناك (الإسرائيليون) يفترضون الصراع الدائر

الآن صراعاً عقائدياً، لا مجرّد وقائع سياسية تقوم على دعاوى عقائدية ".. ولم يحدثنا الكاتب عن سبب اختيار اليهود لدولة فلسطين (أرض الميعاد) دون غيرها من بقاع الأرض، ولا عن هيكل سليمان . عليه السلام . الذي يراد بناؤه على أنقاض المسجد الأقصى، فكل ذلك في نظره ليس شأناً عقائدياً، والحقيقة أنّ اليهود أنفسهم هم الذين ألقوا في روع المسلمين أنّ هذا الصراع ليس عقائدياً ليأمنوا جيشان العقيدة في نفوس المسلمين، وليعزلوا الفلسطينيين المسلمين عن باقي المسلمين!

ثم يهزأ بالأحاديث الشريفة التي تُحدّث عن نهاية هذا الصراع، ومنها الحديث الذي أخرجه الشيخان عن أبي هريرة t أن رسول الله r قال: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله) ولعلّ هذا الحديث لا تقبله عقولهم المريضة لأنّ فيه نطق الحجر، وهذا أمر مخالف للعقل عندهم، فيقول: " إنّهم يرونه صراعاً لا في لحظته الراهنة فحسب، وإنّما هو كذلك منذ البداية وحتى النهاية "..!!

ثم يبدأ العزف على وتر الإنسانية ساخراً ببعض النصوص الأخرى التي تفصّل في هذا الصراع، فيقول: " النهاية عقائدية كما يراها مَن هنا ومَن هناك، وهي ذات ملامح تفصيلية في ضمير الغيب الآتي، ملامح تلتهم إمكانيات الرؤية الواقعية الآنية، وتحدد خيارات الحوار(!) والحراك. إنّها رؤية إيمانية قطعية عند كلا الطرفين ومن ثم يصعب الحلّ تحت هذا السقف أو ذاك، فلا خيار للإنسان.. يتم تصوّر ما هو كائن وما سيكون بواسطة تفكير غيبي يلغي الفاعلية الإنسانية أو يكاد، ويؤطّر ما بقي منها لينتهي في مضمار الإلغاء.."، وهكذا يساوي بين الرؤية الإيمانية القطعية عند الطرفين، فلا فرق عنده بين ما يعتقده المسلمون حسب نصوص الكتاب والسنة التي تكفّل الله بحفظها، وبين ما يعتقده اليهود حسب نصوص توراتهم المحرّفة، ثم هو لا يفرّق أيضاً بين الفلسطيني المسلم صاحب الحقّ والأرض المغتصبة، وبين اليهودي الكافر المحتلّ الذي يمارس أبشع أنواع الإرهاب ضدّ الفلسطيني المسلم الأعزل، بل يرى أن لا ثوابت في هذه القضية أصلاً في ميدان الفعل السياسي، فيقول: " إنّ لدى الفلسطيني ثوابت! كما أنّ لدى الإسرائيلي ثوابت. وثوابت هذا تتناقض . واقعياً . مع ثوابت ذاك، لكنها ثوابت في التصور لا في الواقع، لأن الواقع . وهو ميدان الفعل

السياسي . لا ثوابت له، ومن هنا فأية جراحة فكرية إنسانية لبنية التصور، كفيلة بأن تمهد للحل السلمي ، ليس الواقع صلداً كما يتصوّره كثير منا، أو كما يريدونه أن يكون، بل هو مفتوح على كافة الاحتمالات، شرط أن تتفتح لها الأذهان!!! ".

وبعد أن ساوى بين الطرفين، أخذ يتباكى على ضحايا هذا الصراع، ولو كانوا من اليهود الغاصبين المحتلين، ويصفهم بالأبرياء عازفاً على وتر الإنسانية، مع أنّ الشعب اليهودي كلّه مجند ضد الفلسطيني المسلم صاحب الأرض، يقول: " للأسف نحن لم ننظر إلى العنف نظرة محايدة، بوصفه ظاهرة لا إنسانية، تطال الإنسان، أيّاً كان هذا الإنسان، سواء كان فلسطينياً أو إسرائيلياً. ضحايا العنف في معظم الأحيان من الأبرياء(!!!) وحتى ما سوى ذلك، فإنه يبقي خلفه مآسي تطال أبرياء لا محالة. يجب ألا يغيب عن الوعي أن لهؤلاء وهؤلاء أمهات وأبناء وأزواج وأحباب تكاد قلوبهم تتفطر حزناً وألماً بعد كل مشهد من مشاهد العنف، تلك المشاهد التي ليست مقصورة على طرف دون آخر. هل انغرس في وعينا أن الإنسان هو الإنسان على هذا الطرف من أطراف الصراع أو ذاك، مهما حاول أحدهما قصر الإنساني عليه ؟! ما لم يكن هناك إحساس عميق ومشترك بالمأساة التي تطال الإنسان من كلا الطرفين؛ فستبقى دائرة العنف اللا إنسانية تدور رحاها دون توقف ".

ولم يفته في هذا المقام أن يعرض بحركات المقاومة الإسلامية في فلسطين . على عادته في لمز كل ما هو إسلامي .، فيقول: " لا شك أن الأيديولوجيا حاضرة بقوة في هذا العنف المتبادل(!)، بدليل أن العنف في طرفي الصراع يصدر بالدرجة الأولى من المحاضن الأيديولوجية، وكلما تضخمت الأيديولوجيا زادت حدة العنف، زادت فعلاً وتهديداً "..

ثم ينكر على المثقفين على امتداد العالم العربي والإسلامي الوقوف مع المقاومة الفلسطينية وتأييدها فيقول: " تزداد المسألة قتامة حين نرى الطلائع الثقافية والفكرية على امتداد العالم العربي والإسلامي تبارك هذا العنف(!) بل وتهتف له، إلا فيما ندر مما يعدّ نشازاً في سياق العنف الذي تباركه جماعات اليقين(!) ، بل أصبح هذا الصوت النادر . المنطوي على تصورات إنسانية . موضع اتهام وتخوين ".. وصدق من قال: كاد المريب أن يقول خذوني!! أمّا جماعات اليقين التي يسخر منها فهي

الواثقة بوعد الله بقتل اليهود ونطق الحجر والشجر لصالح المسلمين كما صحّت بذلك الأخبار، وليسمّ الكاتب ذلك ما يسميه، فإن وعد الله آت لا مرية فيه... هذا وإنّ مما يلاحظ في مقال هذا الكاتب . مع طوله . أنّه لم يصف المحتل بالوصف الشرعي الذي وصفه الله به وهو اليهودي، وإنّما يصفه بالإسرائيلي، ولذلك دلالته العقدية التي تدل على فكر هذا الكاتب، ونظرته العلمانية (الإنسانية) لهذا الصراع التي أفصح عن شيء منها في هذا المقال.

بل إنّ هذا الكاتب نفسه كتب مقالاً بعنوان: (المستقبل لهذا الإنسان) الرياض: 13779، وهو يريد بهذا العنوان . عن خبث وإلحاد . معارضة كتاب سيّد قطب . رحمه الله . (المستقبل لهذا الدين)، فانظر كيف جعل الإنسان بدلاً من الدين، بناء على ما قرّروه من تقديم الأخوّة الإنسانيّة على الأخوّة الإيمانية الدينية، وقد انتهى في هذا المقال إلى أنّ الإيمان بالإنسان . لا بالدين والعقيدة . هو المنتصر دائمًا(!!!).

وأخطر ممّا سبق وأشدّ وضوحاً ما سطّره أحدهم . وكان تكفيرياً ثم تحوّل بمقدار 180درجة إلى مرجيء غالٍ . في مقال له بعنوان: (كثيراً من الإنسانية قليلاً من الرهبانية) الرياض: 12928: يقول وهو يقرر مذهب الإرجاء: " إنّ الله يكفيه منّا أن نحمل الشعلة في قلوبنا، أن نكون دائماً على أهبّة الاستعداد للعكوف بمحرابه لنقدّم شيئاً (لعياله) لعباده، فهو غنيّ عن عبادتنا(!)".. فهو يزعم . مفترياً على الله . أنّ مجرّد حمل الإيمان في القلب كاف عند الله، دون الإتيان بالشعائر التعبدية المعروفة من صلاة وصيام وحج.. الخ

ويؤكّد ذلك فيقول: " الرسول r يذكر أنّ رجلاً دخل الجنّة لم يعمل خيراً ولا حسنة في حياته، وارتكب الكثير من الذنوب، ومع ذلك دخل الجنّة، لأنّهم وجدوا له بطاقة يعلن فيها صادقاً مخلصاً عن حبّه له وإيمان به: (لا إله إلا الله) ".. هذه هو فهمه لكلمة (لا إله إلا الله)، وتالله لقد كان أبو جهل ومشركو قريش أعلم منه بهذه الكلمة، فلو أنّ مجرّد الإيمان بها في القلب كاف في دخول الجنّة، لما وقفت قريش بخيلها ورجلها في وجه رسول الله r، ولقالتها وظلت على شركها وطقوسها، ثم كيف يكون المرء صادقاً مخلصاً وهو لم يعمل بمقتضى هذه الكلمة، إلا أن يكون قد منعه مانع، أو حال بينه وبين العمل حائل، كمن أسلم ثم مات قبل أن يعمل ونحو ذلك، وعلى

هذا يحمل الحديث المذكور، أمّا أن يطلق هذا الحكم، فهو أمر في غاية الخطورة، إذ فيه ترغيب للناس على ترك فرائض الإسلام من صلاة وصيام والاكتفاء بمجرد ترديد هذه الكلمة دون عمل، وهذا هو مذهب الإرجاء..

ثم يختم حديثه . وهذا هو الشاهد . فيقول: " لتعلموا أنّ ديناً لا يسعى لسعادة الإنسان لحفظ مصالحه الحقيقية، ليس إلا وبالاً، وتذكروا قول النبيّ محمّد r: (إنّ هدم الكعبة أهون عند الله من سفك دم مؤمن) كلّ المؤمنين من كلّ الأديان: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً..}، الإيمان عندي هو كثير من الإنسانية، قليل من الرهبانية، ربما يكون لحياتنا طعم آخر ".. ولا شكّ أنّ الدين الذي لا يسعى لسعادة الإنسان فهو وبال، ولكن ما الحل إذا رفض الإنسان هذا الدين، وأصرّ على دين باطل منسوخ محرّف يسعى لشقائه؟ ويبدو أنّ عدوى التحريف قد انتقلت إلى الكاتب نفسه فحرّف الحديث الشريف، كما حرّف معنى الآية الكريمة.. فأمّا الحديث فلفظه الصحيح: ".. أهون عند الله من سفك دم مسلم "، والكاتب حرّفها إلى (مؤمن) لتشمل جميع المؤمنين بزعمه من الأديان الأخرى ممّن أدرك النبيّ الخاتم، ثمّ راح يؤكّد تحريفه مستشهداً بالآية الشريفة التي لم يفهم معناها الصحيح، فإنّ المقصود بها من آمن بالله من الطوائف المذكورة في زمن نبيّهم قبل بعثة نبينا r،وليس بعد البعثة، وسبب نزول الآية يبيّن معناها، فقد نزلت في أصحاب سلمان الفارسي t، فإنّه لما قدم على رسول الله r جعل يخبر عن عبادة أصحابه واجتهادهم وقال: يا رسول الله، كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك ويشهدون أنّك تبعث نبياً، فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال رسول الله r: " يا سلمان، هم من أهل النار "، فأنزل الله: {إنّ الذين آمنوا والذين هادوا..} وتلا إلى قوله: { ولا هم يحزنون }. (أسباب النزول للواحدي ص 13)، فتبين من سبب النزول أنّ الآية نزلت في قوم من أهل الكتاب قبل مبعث النبيّ، كانوا يؤمنون بمبعثه، ويشهدون أنّه رسول من عند الله، لكنّهم لم يدركوه، فأين هؤلاء من قوم أدركوا بعثته، بل راحوا يسخرون منه r، ويصورونه في رسوم ساخرة بأنّه إرهابي، أو امرأة، ويتواطئون على ذلك غير مبالين بمشاعر الملايين من أتباعه؟!!!

أمّا مرجعيّة هذه الإنسانية عندهم، فيبيّنها أحدهم . وهو مقيم في لندن(!) . في مقال له بعنوان تفوح منه رائحة العلمنة والسخرية وهو: (الإسلام السياسي وتجديد الأحكام السلطانية) الوطن: 1188، يقول: " إنّ الأخذ بالمفاهيم الإنسانيّة يجب أن يكون على أساس عقلي في المقام الأوّل، بعيداً عن كلّ الاعتبارات المتعلّقة بالنصوص(!) " وليس هذا التأصيل بغريب عليهم إذا كانوا يطمحون إلى إحلال الإنسانية محلّ الرابطة الدينية، وتحطيم عقيدة الولاء والبراء.

السمة الخامسة

. وهي لب مشروعهم الذي يبشرون به .:

الدعوة إلى علمنة الحياة

وإقصاء الدين بحيث لا يكون له أي سلطان على مناحي الحياة المختلفة، ومن هذا المنطلق فإنّهم يهزؤون من فكرة أسلمة العلوم . أي صبغها بالصبغة الإسلامية بعد تنقيتها من الشوائب الكفرية والإلحادية .، ويقللون جداً من شأن الإعجاز العلمي في الكتاب والسنّة، ويرفضون أن يكون (الإسلام هو الحلّ)، ويحاربون كل من يرفع هذا الشعار، بل ويفسّرون التاريخ والأحداث بشكل عامّ تفسيراً سياسياً بمعزل عن الدين، وفيما يلي شواهد من أقوالهم على كلّ ما سبق:

يقول أحدهم في مقال له تفوح منه رائحة العلمانية بعنوان: (ممارسة السياسة شأن مدني خالص) الرياض: 13756: " من نافلة القول أنّ مثل هذه الشمولية لا تختصّ بها قومية معينة، أو دين بعينه، ولكنّ العبرة تكمن في النهاية في قدرة المجتمع من خلال تجاوز مرحلة تزييف وعيه، ومن ثم عبور ذلك الوهم الأيديولوجي عبر الإيمان المطلق بنسبيّة السياسة ووضعيتها، ومن ثم تعرضها للتغير والتبدل وفقاً لقوانين الاجتماع البشري وليس ثباتها المتوهم وفقاً لما يعرف بمفهوم الحقّ الإلهي في الحكم.." فالكاتب هنا يشير أوّلاً إلى ضرورة إقصاء الدين عن السياسة، وأنّ هذا الإقصاء لا يختصّ بدين بعينه، فيشمل حتى الإسلام، فلا يحقّ لأحد كائناً من كان أن يزعم أنّ ديناً بعينه هو الحلّ(!)، أمّا مفهوم الحقّ الإلهي في الحكم، فيريد به قول الله تعالى: { إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ..} فيرى أنّه وهم لا بدّ من تجاوزه(!)، أو على حدّ تعبيره في المقال نفسه: " إنزالها [إي السياسة] من السماء إلى الأرض "..

ثم لا يفوته في آخر المقال أن يعرّج على بعض خصومه التقليديين من الإسلاميين، الذين يرفعون شعار (الإسلام هو الحلّ) فيسخر منهم بحجج واهية لا تخلو من مغالطات وجهالات، ثم يختم المقال بطامّة كبرى من طاماته فيقول: "ويبقى القول بأنّه لا خيار في مجال السياسة الإسلاميّة إلا استخدام المنطق الذي أعلنه الرسول r في وجه مؤسلمي السياسة عندما أعلنها مدويّة بقوله (أنتم أعلم بشؤون دنياكم) وهو منطق مدني على أيّة حال.. " إنّه . لعمر الله . عبث بالنصوص، واعتداء على حرمة الدين، ومقام سيد المرسلين، فهل ترك النبيّ r السياسة لغيره واعتكف في مسجده، أم أنّه أقام دولة الإسلام، وجيّش الجيوش، وفتح الفتوح، وساس الأمة، أم أنّه . عليه الصلاة والسلام . كما صوّره الكاتب يقول خلاف ما يفعل ؟!!، وهل قوله r " أنتم أعلم بأمور دنياكم " مراد به أمور السياسة وشؤون الأمّة، أم المراد قضية عين في أمر دنيوي خالص لا علاقة له بالسياسة العامّة كما يدل على ذلك سبب الحديث؟.. إنّها مهزلة يجب إيقافها ومحاسبة أصحابها احتراماً لديننا وعقيدتنا..

أمّا المجتمع المدني الذي يدندنون حوله كثيراً، ويعدونه النموذج الأمثل للدولة الحديثة، فيصفه أحدهم . وهو متخصّص في الكتابة السياسية . في مقال له بعنوان: (الخطاب الديني هل يستمرّ كعائق في الحرب على الإرهاب) الوطن: 1160، بأنّه: " مجتمع مدني رحب، ليس هناك مساحة لأوصاف من قبيل: (كافر)، أو (مبتدع)، أو (علماني)، أو غير ذلك(!).."، هذا هو المجتمع المدني الذي يريدونه، والذي لا يقوم إلا على أنقاض التوحيد، وعقيدة الولاء والبراء التي وصفها النبيّ r بأنّها أوثق عرى الإيمان، وكأنّهم لم يقرأوا قوله الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ }، ولكنّ هؤلاء القوم لا يعقلون، وإن كانوا يدّعون العقلانية.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية 398/1: " قيل لعمر بن الخطاب t إن ههنا غلاماً من أهل الحيرة (أي نصراني) حافظ كاتب فلو اتخذته كاتباً، فقال: قد اتخذتُ إذاً بطانة من دون المؤمنين.." قال ابن كثير رحمه الله: " ففي هذا الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة

التي فيها استطالة على المسلمين واطّلاع على دواخل أمورهم التي يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب ".. هذه في مجرد الكتابة، فكيف بغيرها من شؤون الدولة ؟!! وهو أيضاً في الذمي الذي يدفع الجزية وهو صاغر، فكيف بمن يرى أنّه مساو لك في جميع الحقوق والواجبات في ظل مجتمعهم المدني المزعوم.

وفي سياق العلمنة يقول الكاتب نفسه في مقال له بعنوان: (الحالة الدينية في السعودية..) الوطن: 1139: وهو يتحدث عن التفجيرات الأخيرة " هل كان هذا بسبب ذنوبنا حسبما يخبرنا رجال الدين(!) نعم، ولكن الذنب هذه المرة هو التطرّف الديني والغلو المتضخم(!) في ثقافة المجتمع. الذنب هو في القبول بصبغ الحياة الاجتماعية كلّها بصبغة الأيديولوجيا الإسلامية، والإصرار على إقحام الدين في شؤون الدنيا لإعاقة الحداثة "، إنّ إقحام الدين . حسب تعبيره . في شؤون الدنيا لإعاقة الحداثة المارقة ذنب عند هذا الكاتب، وهكذا تصبح العلمنة وإقصاء الدين عن شؤون الحياة حسنة يُدعى إليها.

ويقول آخر . وهو أشدّهم تطرّفاً وبذاءة . في مقال له بعنوان: (الإرهاب من الفكر الخارجي إلى السلوك القرمطي) الرياض: 13436: " ليس صحيحاً ما يروّج له الإسلامويّ(!) من أنّ الزجّ بالدين في كلّ صغيرة وكبيرة هو عنوان التدين الحقيقي، أو أنّ ممارسه والمتحمّس له من أفراد المجتمع هو الأكثر تديّناً من غيره ".. إلى أن يقول: " تحييد الديني في الوقائع المدنية(!) التي ليس فيها حكم شرعي صريح، أمر ضروري لئلا تمنح القداسة إلا للديني الخالص الذي نصّ عليه الشرع الحنيف.."..

أنّها علمنة خفية، تتدثر بلباس العلمية، ولو أنّا أخذنا بقول هذا الكاتب، واقتصرنا على ما فيه نصّ صريح، لما بقي لنا من ديننا إلا القليل، وهذا ما يريده أهل العلمنة.. وإنّ من المعروف لدى صغار طلبة العلم، أنّ الشريعة جاءت بكليات تندرج تحتها جميع الجزئيات، فلم ينصّ الله تعالى على كل جزئية بعينها، إذ إنّ ذلك يطول ولا يكاد ينتهي، مع ما يستجدّ من الجزئيات التي لم تكن قد وجدت عند نزول النصّ، ومهمة العالم أن يرجع هذه الجزئيات إلى كلياتها، ليبين حكمها، وما من قضية ولا مسألة إلا وفي كتاب الله وسنة رسوله r بيان لها، إمّا بالنصّ الصريح، وإمّا بالتلميح

من خلال الكليات المذكورة، قال تعالى : { ما فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ }، وقال تعالى { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً }.
ويقول الكاتب نفسه في مقال له بعنوان: (ما بعد الأيديولوجيا.. العقد الاجتماعي) الرياض: 13702 بعد أن شتم السلفيّة أو ما أسماه بالوعي السلفي(!): " لا بدّ من التأكيد على مدنية حراكنا الاجتماعي، وأنّ العقد الذي يجب الالتفاف حوله هو العقد الاجتماعي المدني الذي يضمن التساوي في الحقوق والواجبات، لا طائفية، ولا مذهبية ولا مناطقية ولا جنسوية... لا بدّ أن ينغرس في أعماق كل مواطن أن الجميع متساوون جميعاً دون تعنصر من أي نوع، ولكل بعد ذلك خصوصياته التي يراها ويختارها، دون فرضها على الآخرين، ودون الإخلال بمبدأ المساواة المقدّس ".. فالكاتب يريد مجتمعاً بلا هوية ولا دين، يريد دولة لا دين لها، ولا فرق فيها بين المسلم والكافر .كما صرح بذلك غيره من أصحاب هذا الفكر .، ولا فرق فيها بين الموحّد والمشرك، وصاحب السنة وصاحب البدعة، بل لا فرق فيها بين الرجل والمرأة كما صرّح بذلك بقوله: " وخاصة التمييز الجنسي ضد المرأة في أي صورة كان ". ويضيف إلى ذلك (المناطقية) ليعزف على وتر حسّاس يثير الطائفية التي يحذر منها..
ثم يقول بعد ذلك: " لأجل ذلك؛ يجب أن تكون الخصوصية . أيّاً كان نوعها . بعد ذلك المقدّس وليس قبله، وإلا بقينا رهن صراع لا ينتهي.. لا بد أن يدرك المؤدلج أنّ العقد الاجتماعي المدني لا يمنحه أكثر من حريّة إبداء الرأي (المؤدّب) في سلوك الآخر، وبعد ذلك فليس على أحد بمسيطر ".. فالمقدس لديه هو هذا العقد الاجتماعي العلماني المزعوم، أمّا الدين والتوحيد فليس ذلك بمقدّس عنده، وإنّما هو مجرّد خصوصية تخص كل فرد على حدة، وليته يخبرنا ما الذي جعل رسول الهدى r يعاني في مكة وأصحابه ثلاثة عشر عاماً، ويصبرون على البطش والأذى والتعذيب والتشريد، وقد عرضت قريش عليه كلّ ما يريد مقابل تخلّيه عن دينه وعقيدته ودعوته، والتعايش السلمي معهم، مع الكف عن عيب آلهتهم، فيأبى حتى يقيم دولة الإسلام والتوحيد في المدينة، ومن ثم يعلن الجهاد على المشركين لرفع راية التوحيد خفّاقة، وإزالة كل مظهر من مظاهر الشرك، ولم يكتف بذلك بل يجهّز قبل

وفاته جيشاً ضخماً لمحاربة الروم في الشام، وإخضاعهم لدين الله الحقّ ؟!.. سيقول هذا الكاتب وأمثاله: إنّ الزمن تغيّر، ولم يعد دين الرسول الكريم صالحاً لهذا الزمن، وهذه هي الطامة الكبرى والفجيعة العظمى التي حلّت ببعض أبنائنا، ليعتنقوا هذا الفكر المنحرف..

أمّا قوله: (حرية إبداء الرأي المؤدب(!))، فذلك واضح جداً في أدبه الجم مع خصومه السلفيين والسلفية خاصة، فهو لم يترك شتيمة إلا رماها بها كما سبق (انظر ص 14)، فإذا كان هذا هو الأدب الذي يدعو إليه، فعلى الأدب السلام..

وفي هذا السياق نراهم يدافعون عن العلمنة، ويغضبون من ذكرها على سبيل الاتهام، مع أنّهم لا يتورعون عن كيل التهم جزافاً لخصومهم التقليديين (السلفيين خاصّة والإسلاميين بشكل عام)..

يقول أحدهم في مقال له بعنوان: (العلمانية تهمة جاهزة لكل من اختلف معهم) الجزيرة: 12022: " لا أدافع عن العلمانية، لأنني أعتقد اعتقاداً جازماً بأنّ العلمانية على اعتبار أنّها (فصل الدين عن السياسة) مصطلح (وافد) إلينا من الخارج، وله دلالات فكرية وحمولات تاريخية تجعل من تطبيقه على غير المجتمعات (المسيحية) أمر لا بد من التوقف عنده، والتعامل معه بحذر..''، هكذا ينفي التهمة عن نفسه، وعن زملائه الذين يقررون كثيراً في كتاباتهم .كما سبق شيء من ذلك قريباً .ضرورة تحييد الديني عن المدني كما يقولون، وهو بهذا التعميم ينطبق عليه المثل القائل (كاد المريب أن يقول خذوني).

ويقول آخر في مقال له بعنوان: (الإسلاميون والمشاركة السياسية.. الحزب المسيحي الديمقراطي الألماني) الوطن: : " أثناء وجودي في ألمانيا الشهر الماضي كان على مقربة من جامعة أيرلنجن حيث أتردد: مكتب حزبي للاتحاد المسيحي الديمقراطي الألماني. لقد ترددت بعض الشيء في دخول المقرّ سذاجة مني لتوهمي أنّه يشبه تلك التجمعات الإسلامويّة المتشددة الموجودة في بعض البلاد العربية، المليئة بالكتيبات والأشرطة الصوتية الصاخبة التي تتحدث عن الحكم بغير ما أنزل الله، وعفن العلمانية التي يتبارى نوابها في المطالبة بإيقاف الكاتب فلان، أو محاكمة السياسي علان، أو حتى في أوقات الاستراحة السياسية يتم التصعيد في البرلمان

ضد راقصة أو مغنية بحجّة حماية الأخلاق ومراقبة الذوق العام.." ثم راح بعد ذلك يكيل الثناء لذلك الحزب النصراني الكافر، ويصفه بالحزب الناجح، ويدافع عن تسميته بالحزب المسيحي (نسبة إلى المسيح u) في دولة تدعي العلمانية ...!!!! إلى آخر ما ذكر.. ويلاحظ في ما نقلته من هذا المقال سخريته من إخوانه المسلمين المحتسبين الذين يتحدثون عن قضايا شرعية كالحكم بغير ما أنزل الله، وعفن العلمانية، والمطالبة بإيقاف الكتّاب المنحرفين ومحاكمتهم، ومحاربة العفن الفني من رقص وغناء ماجن.. كلّ ذلك يسخر منه الكاتب، ويعدّه تشدداً، فهذا هو مفهوم التشدد عندهم، في الوقت الذي يثني فيه على حزب نصراني زاره للمرّة الأولى، فراح يكيل له عبارات الثناء.. إنّها قلوب مريضة، غطتها ظلمات الشهوات والشبهات، فلم تعد ترى الأشياء على حقيقتها، نعوذ بالله من الخذلان.

أمّا تفسير الأحداث التاريخية والصراعات العقدية تفسيراً سياسياً (علمانياً) فهو ديدنهم للتقليل من شأن الدين والعقيدة، وقد كتب أحدهم مقالاً بعنوان: (خدعوك فقالوا نجد والشرك !!) الرياض: 1423، قرر فيه بصفاقة عجيبة أنّ دعوة الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إنما كانت صراعاً مريراً حول السلطة والسياسة، وليست ضد الدين. حيث كانت الحالة الأمنية قبل قيام الدولة السعودية . كما يزعم . تعيش في تأزم وتناحر وتصارع وقد وحُدت بحمده تعالى تحت كيان واحد. بينما كانت الحالة الدينية على مذهب أهل السنة والجماعة ولم يدخل نجداً ما ذكر عنها ابن غنام وغيره من وجود الخرافات والشركيات المنتشرة في جنباتها..!!! هذا ملخّص ما ذكره.وهكذا بجرّة قلم يبطل هذا الأفّاك الأثيم كلّ جهود الشيخ في محاربة الشرك ومظاهره التي كانت منتشرة في نجد، ورسائل الشيخ تنضح بالكثير من هذه الجهود التي يراها الأعمى قبل البصير، لكن هؤلاء عميت بصائرهم، مع سلامة أبصارهم إلا إذا كان يتهم الشيخ بالكذب فتلك طامة آخرى أعظم وأطم.. ثم إنّ السياسة جزء لا يتجزأ من الدين كما سبق، فالفصل بينهما كالفصل بين الروح والجسد، لكنّ هؤلاء المتعلمنين لا يفقهون.

ولم يسلم من هذا التفسير العلماني السقيم حتى إئمّة السلف، فبمثل هذا التفسير فسّروا فتنة خلق القرآن التي تعرّض لها أئمّة السلف وعلى رأسهم الإمام أحمد بن

حنبل رحمه الله، حيث ذكروا أنّ الأمر لا يعدوا أن يكون صراعاً سياسياً محضاً بين أهل الحديث وأهل الاعتزال على السلطة، وليس للدين ولا للعقيدة شأن بهذا الصراع إلا من باب ذرّ الرماد في العيون كما يزعمون.. المهم عندهم ألا يكون للدين ولا للعقيدة سلطان على الحياة، لأنّ ذلك يزعجهم كثيراً، وهذا هو الذي يسعى إليه أعداء الإسلام من اليهود والنصارى لإخماد جذوة الإيمان والعقيدة في نفوس المسلمين، ومن ثم يسهل التغلّب عليهم واختراقهم، وما هذه الفئة المارقة إلا بمثابة الطابور الخامس لهؤلاء الأعداء كما سبق، كفانا الله شرّهم.

وأختم الحديث عن هذه السمة بطامة أخرى أتى بها أحدهم . وهو كاتب له روايات أفتى عدد من علمائنا بكفر ما في بعضها .، يقرر هذا الكاتب في مقال له بعنوان: (من خطاب التدمير إلى خطاب التعمير) الشرق الأوسط: 8952 ، أنّ: " منطق الدولة الحديثة متناقض مع منطق الدين " ثم يوضح ذلك قائلاً: " منطق الدولة محدود ومحدد، ومنطق الدين هو المطلق ذاته، وتأتي الكارثة للدولة والدين معاً حين محاولة الدمج بين منطقين لا يلتقيان، وهنا تكمن معضلة الإسلامويّة(!) المعاصرة وجوداً لا عقلاً .."..

وعلى الرغم من العلمنة الواضحة فيما ذكر، مع الجهل الفاضح بدين الإسلام وحقيقته؛ إلا أنّه يحاول أن ينفي هذه التهمة عن نفسه على طريقة (كاد المريب أن يقول خذوني) فيقول: " قد يقول قائل هنا: إذن فهي دعوة للعلمانية!، والحقيقة أنّ القضية لا علاقة لها بعلمانية أو أصوليّة إذا كانت الغاية هي البحث عن جواب يخرجنا من المأزق أو المآزق التي نحن فيها .." وهكذا بكل بساطة ينفي التهمة الساطعة كالشمس عن نفسه إذ الغاية عنده تبرر الوسيلة، ولو كانت هذه الوسيلة هي الإساءة إلى ديننا وانتقاصه، والافتراء على نبينا r ليرضى عنّا أعداؤنا !!.

السمة السادسة:

الإعجاب بمن يسمّونه (الآخر)

وحبّه، وكيل الثناء عليه بغير حساب، والدعوة إلى احتذائه حتى في ثقافته وأخلاقه، ويريدون بالآخر في الغالب: الغربي الكافر صاحب الحضارة الماديّة، والعقل الفلسفي، وهذا الإعجاب نتاج طبعي للهزيمة النفسيّة، والصدمة الحضارية التي

أصابتهم، وعقدة النقص التي تلازم قلوبهم المظلمة الممتلئة بالشهوات والشبهات، ونحن لسنا ضدّ الاستفادة من علوم الآخرين فيما لا يتعارض مع ديننا وعقيدتنا، لكنّ هؤلاء فهموا الحضارة فهماً ناقصاً مغلوطاً، فاختزلوها في صناعة طائرة أو سيارة أو صاروخ، أو أيّ آله من الآلات الحديثة، أو في بناء ناطحات سحاب، أو تقدم طبي أو تقني، وكلّها أمور مادية يمكن لأيّ أمّة وأيّ شعب اللحاق بها والوصول إليها إذا تهيأت له الظروف المناسبة، وسلم من هيمنة هذا الآخر وجبروته وكيده..

إنّ الحضارة الحقيقية هي التي تجمع بين التقدّم المادي التقني، والسمو الروحي والأخلاقي، وهذا الأخير هو ما تفتقده الحضارة الغربية المعاصرة التي بلغت الحضيض في تردّي الأخلاق وموت الروح، فهي كما وصفها سيد قطب رحمه الله: كطائر ضخم، أحد جناحيه كبير يرفرف في السماء، والآخر مهيض كسير لا يكاد يقوى على الحركة، فماذا سيكون حاله سوى التخبط وإيذاء من حوله، وهذا هو حال الحضارة الغربية اليوم حيث إنّها . مع ما فيها من الجوانب الإيجابية المضيئة . نشرت الخراب والدمار، ونشرت معه أسوأ الأخلاق من تفسخ وعري وفساد أخلاقي.

وليس الغرب ملوماً في إقصاء الدين عن الحياة، فقد كان الدين الذي يدينون به محرّفاً، يحارب التقدّم المادي النافع، ويقتل المبدعين والنابغين في العلوم الطبيعية التي لا تتعارض مع ثوابت الدين الصحيح، ولذا فإنّه لا خلاص للبشرية اليوم، ولا سبيل لها إلى الوصول إلى الحضارة الحقّة المكتملة التي تجمع بين التقدّم المادي التقني، والسمو الأخلاقي والروحي إلا بأن تعتنق هذا الدين الحقّ (الإسلام) الذي تكفّل الله بحفظ مصادره، وجعله الدين الوحيد الذي لا يُقبل سواه، قال تعالى: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ }[آل عمران: 85].

وفي هذا السياق يحاول أحدهم بجهل فاضح أن يؤصّل لهذه المسألة تأصيلاً شرعياً(!!)، فيزعم في مقال له بعنوان (المقاومة الفكرية للإرهاب) الرياض: 13561، أنّ الأصل في الولاء والبراء " موالاة (الكافر) المسالم الموادع مهما كانت ديانته"، وفي مقال آخر له بعنوان: (فلسفة الولاء والبراء في الإسلام) الرياض: 13546، أتى بما هو أطم، فيقول: " والرسول r عندما أرسل صحابته

الأول إبان الفترة المكية إلى الحبشة اتقاء لشر قريش قال لهم إنّ فيها . يعني الحبشة . ملكاً لا يظلم عنده أحد، ولم يبرر إرساله لصحابته بإسلام المجتمع الحبشي بدليل أن ذلك المجتمع ظل حتى وفاة النجاشي نصرانياً خالصاً مما يؤكد(!) أن الولاء حين ينصب على العلاقة مع الآخر فهو يدشن لموالاة المسالم والبراءة من المعتدي بغض النظر عما يدين الله به وهذه العلاقة السلمية . الأهلية منها والدولية . المبنية على الولاء للمسالم والبراء من المعتدي منظمة بشكل واضح لا لبس فيه في القرآن الكريم إذ يقول تعالى في الآية الثامنة من سورة الممتحنة: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }[الممتحنة:8]، وهي إشارة إلى موالاة الآخر(!) المسالم الملتزم بشروط العلاقة السلمية ببرّه والقسط إليه.. " إلى أن يقول: " هذا هو المسار الصحيح(!) لمفهوم الولاء والبراء المتكيف مع أصول الإسلام وغاياته العظام(!) " إلى آخر ما ذكر، وأنا أتحدّى هذا الكاتب وغيره أن يأتي بنص واحد من كتاب الله أو سنة رسوله r يدعو إلى موالاة الكفار أياً كانوا، بل إن نصوص الكتاب والسنة تحذر من موالاة الكفار بإطلاق كما في قوله تعالى: {لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ }[آل عمران:28]، وقوله في سياق الحديث عن المنافقين: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً }[النساء:144]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }[المائدة:51]، بل في السورة نفسها التي استشهد الكاتب بآية منها قال الله تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }[الممتحنة:4]، والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً، وذلك أنّ مقتضى الموالاة: المحبة والنصرة، وذلك لا يصدر من مؤمن لكافر على الإطلاق، وإنّما الذي أذن الله فيه تجاه الكافر المسالم: البر والعدل كما

قال تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }[الممتحنة:8]، ويوضح معنى الآية سبب نزولها، فقد أخرج البخاري عن أسماء بنت أبي بكر y، قالت: أتتني أمي راغبة، فسألت النبيّ r : أأصلها؟ قال: " نعم " فأنزل الله فيها: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ }. فإذا كان للمسلم أب كافر أو قريب أو جار ونحو ذلك، ولم يكن محارباً، فلا حرج على المسلم أن يحسن إليه ويبره ولا يظلمه، لكن أن يحبه وينصره أو يفضله على إخوانه المسلمين مهما كانوا عاصين، فذلك خلل عقدي عظيم، وهذا هو حال هذه الفئة الضالة، كما سبق قريباً من تفضيل أحدهم الحزب المسيحي الديموقراطي الألماني على من أسماهم تهكماً بـ (الإسلامويين) المتشددين الذين يتحدثون عن عفن العلمانية، ويطالبون بمحاكمة الكتّاب المنحرفين فكرياً !!!.

ثم هل الكافر الذي (يوالونه) الآن مسالم حقّاً، أم أنّه يقتل المسلمين بالأسلحة المحرمة دولياً، ويسخر من نبي الإسلام في رسوم سخيفة ماجنة ؟؟؟؟، بل ويهين المصحف في معتقلات غير شرعية ولا قانونية.. فأين عقول هؤلاء؟!!!.

وبمناسبة ذكر الآخر (الكافر) يلاحظ في مقال هذا الكاتب الذي امتد من أعلى الصفحة إلى أسفلها بما يزيد عن نصف المتر أنّه لم يذكر لفظ (الكافر) بتاتاً بناء على مذهبهم في ضرورة التخلي عن هذا المصطلح الشرعي الأصيل الذي امتلأ به القرآن والسنة، والعدول عنه إلى ألفاظ مثل: (الآخر)، و (غير المسلم)، وما شابه ذلك حتى لا يغضب هذا الآخر، بل بعضهم (يتوّرع) عن اعتقاد كفر اليهود والنصارى، ويعدهم مؤمنين و(إخوة) لنا في الإنسانية(!)، كما مر سابقاً.

أمّا قضية النجاشي، والهجرة إلى الحبشة، فلا علاقة لها بموضوع الولاء والبراء. وذكرها في هذا المقام من الخلط العجيب، فإنّ المسلم إذا لم يتمكن من إظهار دينه في بلد فله أن يهاجر إلى بلد آخر يتمكن فيه من إظهار دينه، وهذا قبل أن تقوم للإسلام دولة تحكم بشرع الله، فإذا قامت الدولة فلا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، كما قال الصادق المصدوق r، فما علاقة ذلك بالولاء والبراء ؟!!.

ويقول آخر . وهو من أصحاب التحولات الإنفراجية . في مقال له في غاية السذاجة بعنوان: (نحن وأمريكا والديموقراطية) الشرق الأوسط: 9212 مدافعاً عن الآخر

الكافر: ".. الغرب حينما يدعم الديموقراطية، ويفكر في وضع هذا الجزء من العالم، فليس ذلك من قبيل التبشير أو الاهتداء بروح الأم تيريزا، قدر أنها مصلحة غربية جوهرية تكمن في إنقاذ الشرق الأوسط المتعثر(!!!) "، وعلى الرغم من أن الآخر النصراني ممثلاً في زعيمه صرّح بأنّ الحرب على العالم الإسلامي حرب صليبية، إلا أنّ هؤلاء (العقلانيين) لا يزالون أشدّ إخلاصاً للآخر من الآخر نفسه، حيث يعدونه في سذاجة واضحة (جبهة إنقاذ) للشرق المتعثر!!!!.

ولم يكتف هذا الكاتب بالثناء على (الآخر) وديمقراطيته المزعومة، بل راح ينتقص دينه الحق (الإسلام) ومبدأ الشورى المذكور في القرآن، يقول: " طُرحت فكرة الشورى كبديل أصيل عن الديموقراطية، ولكن اتّضح(!) أنها تختلف اختلافاً فلسفياً ومفارقاً للديموقراطية، فرفضت من الإسلاميين الأصلاء(!)، والليبراليين الخلصاء(!)، أمّا الأخيرون فبحجة أنّ الشورى أبعد ما تكون عن العقد الاجتماعي والمشاركة الشعبية الواسعة، فهي ليست إلا تدبير أهل الحلّ والعقد، وهم طبقة ضيقة من كبار القوم والملأ.." إلى آخر ما ذكر.

السمة السابعة

الجهل

فعلى الرغم من أنّهم أشدّ الناس تعالماً وادّعاءً لفهم النصوص ومقاصد الشريعة، ورميهم العلماء وطلاب العلم السلفيين بالضدّ من ذلك!!؛ إلا أنّهم أكثر الناس جهلاً بالنصوص وبالمقاصد وبالناسخ والمنسوخ والعام والخاصّ والمطلق والمقيّد من نصوص الشريعة، كما تشهد بذلك كتاباتهم، والسر في ذلك أنّ معظمهم ليسوا من أهل التخصّص الشرعي، فإذا انضاف إلى ذلك الهوى وتمكن الشبهات من قلوبهم؛ كانت الطامة أكبر، وفيما يلي بعض الأمثلة على جهلهم بالنصوص الشرعيّة:

1. في مقال لأحدهم بعنوان: (الذين يجلدون المختلفين معهم في الرأي بإطلاق التهم) الرياض: 13698، يقول: " أُعطي الرسول r جوامع الكلم، وهي ميزة خصّه الله تعالى بها من بين سائر الأنبياء والمرسلين u، فهو r يقول الكلمة أو اللفظة الواحدة لتكون جامعة لمعاني ومتطلبات موضوع بأكمله، ومن بين ما أخبر به r في ألفاظ قصيرة، لكنّها حملت معاني عظاماً، قوله r : (الدين المعاملة).. ".. ثمّ بنى

مقاله على ما زعم أنّه حديث، وجزم بنسبته إلى رسول الله r !! وهو ليس بحديث، وإن اشتهر على ألسنة العامّة، بل إنّ معناه في غاية البطلان لمن تأمّله بعقل منضبط بالشرع، لا بعقل منفلت كعقول هؤلاء الزاعمين بأنّهم عقلانيون، فإنّ مقتضى هذا الحديث المزعوم أنّ الكافر إذا كان حسن المعاملة فهو مسلم ومتدين، والمسلم إذا كان سيء المعاملة ليس بمسلم، لأنّ المقصود بالدين هنا هو الإسلام كما قال تعالى: { إنّ الدين عند الله الإسلام }، وقد ثبت في صحيح مسلم في كتاب الإيمان، عن عائشة t قالت: قلت: يا رسول الله، ابن جدعان؛ كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه ؟ قال: " لا ينفعه. إنّه لم يقل يوماً: ربّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين ". فلم ينفعه حسن خلقه، وإحسانه للناس مع كفره.

2. وفي مقال آخر بعنوان فضائي: (الحوار الوطني: سيرة وانفتحت) الرياض: 13702، يقول الكاتب نفسه: " من غير المجدي وفقاً لمعطيات العمران البشري أن تقسر شخصاً على رؤية معينة، لمجرّد أنّك تعتقد بصوابها، فهذا الآخر الذي تودّ قسره على رؤيتك يملك من الأدلّة والطرائق الحكمية(!) ما يستطيع بها نفي صوابية ما تعتقده حتى وإن كنت لا تؤمن بمرجعيته الدلالية بنفس الوقت الذي لا يعترف فيه هو أيضاً بمرجعيتك في استنباط أدلة تصويبك لرؤيتك، وإذا كان الله تعالى يأمر نبيّه الكريم بأن يعتزل مقام مشركي قريش حين يخوضون في آيات الله تعالى حتى يصرفوا حديثهم إلى جانب آخر، ولم يأمره بحربهم أو قسرهم على رؤيته ممثلاً بقوله تعالى: { وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره... } أفلا نترك نحن غيرنا أحراراً ...".. فاستدلاله بهذه الآية في غاية البطلان، ودليل على جهله الفاضح . أو تجاهله . لنصوص الشريعة، والمراحل التي مرّت بها الدعوة، فماذا يصنع هذا الكاتب بمثل قوله تعالى في سورة التوبة: { فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كلّ مرصد.. }، وقوله في السورة نفسها: {قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ }، وقوله r :" أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله.. " الحديث، وقوله: " لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحقّ أطراً " أي تقسروهم

عليه قسراً، يعني العصاة، فضلاً عن المبتدعة.. وليس في دين الله تعارض، ولكنّ الواجب أن تنزل النصوص منازلها، فاعتزال المشركين كان في العهد المكي، وأما آيات القتال والأطر على الحقّ ففي العهد المدني، وبهذا يتبين جهل هؤلاء بمدلولات النصوص مجتمعة، فكيف يؤتمنون على توجيه الناس في صحف سيّارة !!!!!.

3. وفي مقال بعنوان: (هل الحضارة الإسلامية حضارة شاملة ؟) الجزيرة: 11980، كتب أحدهم . وهو وللأسف الشديد من سلالة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله !!! . مقللاً من شأن الحضارة الإسلامية يقول: " الثقافة الإسلامية ثقافة فقه ولغة، وليست ثقافة كشف واختراع وابتكار على مستوى المنجزات الدنيوية.." إلى أن يقول: " وهذا ما نلحظه بوضوح من خلال القراءة لكبار العلماء الدينيين المسلمين، فالإمام ابن تيمية رحمه الله . مثلاً . اتّخذ موقفاً مناهضاً بشدّة لعلم الكيمياء.." إلى آخر ما ذكر، وهو دليل على جهل فاضح، لأنّه ظن أنّ الكيمياء التي ذكرها ابن تيمية رحمه الله هي الكيمياء المعروفة اليوم، وليس الأمر كذلك، فالكيمياء التي ذكرها شيخ الإسلام نوع من الغشّ، وصناعة ذهب مغشوش يشبه الذهب الذي خلقه الله، وبيعه على الناس على أنّه ذهب خالص، ولذا قال الشيخ رحمه الله: " وأهل الكيمياء من أعظم الناس غشاً، ولهذا لا يُظهرون للناس إذا عاملوهم أنّ هذا من الكيمياء، ولو أظهروا للناس ذلك لم يشتروه منهم.. " إلى آخر ما ذكره رحمه الله.

4. وفي مقال بعنوان: (فلا يلومنّ إلا نفسه.. فلسفة جديدة) الوطن: 1173، كتب أحدهم . وهو طبيب يكثر من الحديث عن الدين والعبث بالآيات . كتب بعد أن ساق الحديث القدسي (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي) يقول: " وما يدفعني إلى سرد هذا الحديث فكرة التمعت في ذهني أن أفعل ما فعله النووي، فهذا الرجل جمع أربعين حديثاً اشتهرت باسمه، وهي رياض الصالحين..".. وهذا جهل فاضح، فهو يظن لجهله أنّ كتيب الأربعين النووية الصغير، هو نفسه كتاب رياض الصالحين المجلّد الضخم، وكلاهما للإمام النووي رحمه الله، وصغار طلاب العلم يعرفون الفرق بينهما.

5. وفي مقال بعنوان (ذكريات غير صحوية وحديث عن الثبات والتحوّل) الرياض: 12722، كتب أحدهم منظرّاً . وكان من هواة التكفير والتفجير ثم أصبح من غلاة

المرجئة . يقول: " وقد نسمع أحياناً وصف الآخرين بالفسق أيضاً. وفي القرآن الكريم لم يأت وصف الفسق إلا في حقّ الكفّار والمشركين كما في سورة السجدة، غير أنها في فترة متأخّرة جرى التوسّع في استخدام لفظ الفاسق على المسلم الذي يأتي بعض المخالفات الشرعية.."... وهذا جهل فاضح، وجرأة على كلام الله تعالى، وقد يعجب هذا الكاتب إذا علم أنّ وصف الفسق جاء في القرآن الكريم في حقّ أحد أصحاب رسول الله r وهو الوليد بن عقبة t، كما في قوله تعالى في سورة الحجرات: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ }، وذلك باتّفاق المفسّرين. ولكنّ الجهل داء لا دواء له.

6. وفي نفس المقال يقول هذا الكاتب: " لبس جوارب اليدين أصبح اليوم دلالة على عفّة المرأة، وشدّة تديّنها، في وقت سابق لم تكن النساء تعرف ذلك.. " وهذا من جهله، فقد كان هذا معروفاً في زمن النبوّة، فقد صحّ عنه r أنّه قال: " لا تنتقب المحرمة، ولا تلبس القفازين "، ففيه دليل بيّن على أنّ الصحابيات كن يلبسن القفازين لكمال الستر، وإنّما نهين عن ذلك وقت الإحرام.

هذا غيض من فيض من جهلهم بالنصوص الشرعيّة، وكيفية تعاملهم معها، ومع كلام الأئمة، ولو ذهبت أستقصي جهلهم، من خلال كتاباتهم لطال بي الأمر..

والعجيب أنّهم على الرغم من جهلهم الواضح الذي سبق الكثير منه؛ إلا أنّهم يزعمون أنّهم أكثر فهماً للإسلام ممّن شابت لحاهم في تعلّم العلم الشرعي، ومزاحمة العلماء بالركب، بل أكثر فهماً للإسلام حتى من العلماء الكبار، مع أنّ جلّ أصحاب هذا الفكر قد عاشوا ردحاً من الزمن في بلاد الغرب لتعلّم تخصّصات غير شرعية قد تكون مفيدة في مجالها لكنها لا تؤهل صاحبها للحديث عن الأمور الشرعية الدقيقة.. وفي هذا السياق كتب أحدهم . وهو رئيس تحرير إحدى صحفهم . في مقال له بعنوان: (الأسهم تقول إنّهم أقليّة محدودة) الرياض: 13770 يقول: " نحن جميعاً مسلمون.. بل إنّ معظم الليبراليين هم أكثر فهماً للإسلام وسعياً لحلّ مشاكله وتقديمه بصورته الحضارية للعالم الأجنبي..!! " قال ذلك في أعقاب تصدي بعض العلماء له في محاضرة أقيمت في فعاليات معرض الكتاب الدولي بالرياض.. والليبراليون يعني بهم نفسه وزمرته.

بل إنّ أحدهم . وهو أشدّهم تطرّفاً . كتب مقالاً بعنوان: (الجهل كخطاب: مقاربة أولية لنماذج وصور واقعية !!) الرياض: 14136، رمى فيه جامعاتنا الإسلامية بأنّها معاقل لتفريخ الجهل وإنتاجه، يقول: " إن هذا يتم في نطاق المؤسسات العلمية، أو التي تدعي ذلك، حيث يتم استيراد آليات البحث العلمي، بل أحدثها، ووضعها في خدمة خطاب الجهل. وجراء ذلك، تعتمد الأطروحات، وتناقش في أجواء تشي بالعلمية، بينما هي تستخدم في تعزيز مستوى أعلى وأشد تعقيداً من الجهل الذي لا بد من تفكيكه من زوايا كثيرة، ليس أقلها كشف زيف ادعاء العلمية)!!! ".

وكان سبب هذا الهجوم وهذا التجهيل الجماعي لمؤسساتنا العلمية، أنّ بعض الأساتذة الغيورين حذّر من بعض الكتب المنحرفة فكرياً، وطالب بمنعها في معرض الكتاب وغيره، حيث يقول الكاتب: " لم نستطع أن نفهم كيف ينادي أستاذ جامعي، قضى عقوداً من عمره في القراءة، بضرورة منع هذا الكتاب أو ذاك. لن نستطيع أن نفهم؛ كيف يسمح له ضميره (العلمي!) بمصادرة حق الآخرين في الاختيار القرائي، ما لم نع أن بنيته الذهنية – رغم جامعيتها وقرائيتها – تكونت عبر خطاب الجهل. يحدث هذا، بينما رجل الشارع الذي ليس لديه أدنى اهتمام قرائي، يفتح فاه متعجبا، كيف يكون الكتاب محظوراً، وكيف تكون المعرفة محرمة!. وهذا دليل على أن رجل الشارع أقل جهلاً من ذلك المشتبك منذ عقود مع خطاب الجهل)!!! " وهكذا يجعل رجل الشارع مقياساً للحكم، ولا أدري كيف يصنع بحديث عمر الخطّاب . رضي الله عنه . لمّا رأى معه النبيّ . صلّى الله عليه وسلّم . كتاباً أصابه من بعض أهل الكتاب، قال له مغضباً: "أمتهوّكون فيها يا ابن الخطّاب ؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية.. "، أخرجه أحمد وغيره وهو حسن بشواهده، فإذا كان هذا مع عمر الفاروق الذي أجرى الله الحقّ على لسانه؛ فكيف بغيره من الشباب والمراهقين ومن ليس عنده حصانة شرعية كافية!! .

وسيأتي المزيد حول هذه المسألة في مبحث خاص بإذن الله تعالى.

السمة الثامنة:

تنزيل الآيات التي جاءت في حقّ الكفرة من المشركين وأهل الكتاب والمنافقين، على خصومهم المؤمنين من العلماء والدعاة وطلبة العلم:

وقد سلك هذا المسلك أشدّهم تطرّفاً وحقداً على السلفية، ففي مقال له بعنوان: (التفكير وإشكالية الوصاية) الرياض: 13065، شتم فيه السلفية عدة شتائم، يقول: " إنّ ما نراه في الخطاب التقليدي . السائد ثقافياً على المستوى الشعبوي(!) خاصّة . من محاولة التقليدية البلهاء . المتلبّسة بصيانة الأعراف والتقاليد و.. الخ . فرض الوصاية على أعين الناس، وعلى آذانهم، وألسنتهم وأقلامهم ليس بدعاً في سلوك المنظومة التقليدية أياً كانت طبيعتها، فهي . دائماً . تسعى لتعطيل هذه الحواس التي هي نوافذ العقل، ومنها يستمد العقل مادته وتجتهد في لتقنيتها في أتباعها بفرض الوصاية عليها ليصبح الناس . إذا تعطلت لديهم فاعلية هذه الحواس ومن ثم تعطل العقل . كالأنعام بل هم أضل وهذه الحال شعر الأيديولوجي التقليدي أو لم يشعر منتهى الأماني لديه ". فهو يرى أن تحصين الناس من الأفكار المضللة، وحمايتهم منها، ضرب من ضروب الوصاية، ويرى أن ترك الناس بلا تحصين كافٍ ليعتنقوا مثل أفكاره المنحرفة التي يدعو إليها، ويدافع عنها، لذا فهو يرى أنّ : " مفردات من نوع (الإرشاد/ التوجيه/ الرعاية الفكرية/ الأمن الفكري/ التحصين ضد الأفكار الهدامة/ مروجي الشبهات/ التغريب/ البرامج الهابطة/ العهر الفضائي) " مفردات تستخدمها الثقافة التقليدية (السلفية) في وقوفها ضد الفكر الحديث (يعني فكره العفن) وصدق والله، فهو تحصين ضد الأفكار الهدامة ومروجي الشبهات من أمثاله، وهذا هو سر عدائه للسلفية..

والشاهد هنا من مقاله تنزيل الآية التي وردت في الكفار وهي قوله تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ }[الأعراف:179]، وقد أنزلها في الناس السلفيين الذين يفرض عليهم السلفي (التقليدي) . كما يزعم هذا الكاتب . وصايته، وسيأتي المزيد من الحديث عن الوصاية لاحقاً بإذن الله تعالى..

وفي مقال له بعنوان: (واحذرهم أن يفتنوك) الرياض: 13128، وهو جزء من آية في سورة المائدة، نزلت في اليهود وأذنابهم من المنافقين، وقد أنزلها في خصومه السلفيين، في مقال شتم فيه السلفية على عادته، وقد سبق الحديث عن هذا المقال..

وفي مقال له بعنوان: (من صور التطرف والاعتدال) الرياض: 13282، سخر فيه من بعض مناصحيه من السلفيين، إضافة إلى شتم السلفية، والثناء على رموز التغريب؛ لم يكتف بآية واحدة، بل ثنّى بآيتين، إحداهما قوله تعالى: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ }[البقرة:15]، اقتصر على آخرها، وقد أنزلها في ما يراه ضحايا للمدرسة السلفية، وأطلق عليهم (الأبرياء المذنبون) حيث يجري توظيفهم من حيث لا يشعرون(!)، يقول: " في الغالب لا يكون التوظيف مباشراً ومقصوداً، بل تفعل المنظومة التي يجري الترويج لها فعلها بقوة الدفع الذاتي فيها، دون أن يشعر بنوها أنهم في طغيانهم يعمهون "(!).

ثم يختم مقاله باتهام الناصح له بالتكفير فضلاً عن بذيء السباب(!)، على الرغم من أنه في هذا المقال يصف الصحوة الإسلامية بالمتأسلمة أو ما أسماه بـ (تيارات التأسلم) و(تيار الجمود والارتياب)، وهي تهمة تعني عدم الإسلام الحقيقي.

أما السباب؛ فقد ضمّن مقاله هذا عدداً لا بأس به من الشتائم للسلفية، إضافة إلى تهم الإرهاب وغيره، فضلاً عما في سائر مقالاته من السباب البذيء ليس للأشخاص فحسب، بل للمذهب والمعتقد، وبعد أن اتهم ناصحه بالتكفير والإرهاب(!) راح ينزل عليه آية نزلت في المنافقين، يقول: " أَتَذَكّر كل هذا وأقول: صدق الله العظيم القائل: {لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ }[التوبة:57] "، وهكذا يرمي كل من اختلف معه تارة بالآيات التي نزلت في الكفار، وتارة بالآيات التي نزلت في المنافقين، ثم يرميهم بتهم التكفير والإرهاب(!!!!)، فأي إرهاب فكري أعظم من هذا الإرهاب.

وفي مقال له بعنوان: (ما بعد المعركة الخاسرة) الرياض: 13303، شتم فيه السلفية على عادته، وتشفّى مما حدث في الفلّوجة من قتل ودمار، وسبب هذا التشفّي أنّ الفلّوجة تعدّ معقل السلفيّة في العراق، ثمّ أنزل عليهم آية نزلت في المنافقين بأسلوب تهكّمي ساخر، يقول: " انتهت معركة الفلّوجة، معركة خاسرة بلا ريب، انتهت معركة. ومعارك أخرى غيرها على صورتها (صورة طبق الأصل) في الانتظار ما دامت بيانات الحماس الديني والقومي تشعل أوارها، ومؤتمرات الأحزاب الحالمة تنفخ فيها بالكثير من غبائها التاريخي المجيد!. الإسلاموي(!) والقومي

كلاهما نسي التاريخ خاصّة إذا ما كان تاريخ هزائم وعبر، مع أنّه تاريخ ليس بالبعيد، إنهم يفتنون في كلّ عام مرّة أو مرّتين ثمّ لا يتوبون ولا هم يذكّرون "(!!)، وهذه آية من سورة التوبة نزلت في المنافقين.

وفي مقال له بعنوان: (الاتصال والانفصال بين الديني والمدني) الرياض: 13324، تفوح منه رائحة العلمنة، يذكر فيه إشكالية العلاقة بين الديني والمدني عنده هو، وعلى عادته في شتم خصومه وتنزيل الآيات التي في الكفار عليهم، يقول: " حلُّ الإشكال يتمّ من خلال الوعي بدرجة تعقيده، لا بتبسيطه أو تجاهله في سبيل الأدلجة الماكرة بأصحابها قبل أن تمكر بغيرهم، وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال " وهذه آية من سورة إبراهيم نزلت في المشركين !!!.

وفي مقال له بعنوان: (المرأة من الأيديولوجيا إلى الإنسان) الرياض: 13758، وعلى عادته قام بشتم السلفية، وعدّها (الخصم الأيديولوجي الشرس) للمرأة، ثمّ أنزل عليها آية نزلت في حقّ الكفار، يقول: " قبل استفحال الأيديولوجيا المتأسلمة (ويعني بها الصحوة الإسلامية المباركة) كانت المجتمعات على براءتها الأولى (يعني الجهل والغفلة) صحيح أنها كانت محكومة بأعراف وتقاليد تحدّ من حريّة الإنسان، وترسم له كثيراً من الخطوط التي قد لا يرضاها، لكنّها . على كلّ حال . كانت بريئة من الارتياب الذي يقود إلى التزمّت(!) وإلى خلق مسارات للمجتمع ما أنزل الله بها من سلطان [ليته ذكر بعض هذه المسارات] وليست إلا من اتباع الظنّ، والظنّ لا يغني عن الحقّ شيئاً "..

وهكذا يشبّه هذه الصحوة المباركة التي قامت برعاية علمائنا الكبار من أمثال الإمام عبد العزيز ابن باز والعلامة محمّد العثيمين وغيرهما من الأموات والأحياء؛ بحال المشركين الذين قال الله فيهم:{إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى * وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً }[النجم: 27، 28]، ألا يعدّ هذا ضرباً من ضروب التكفير، أو في أقل الأحوال: التضليل الذي ينهون عنه من أجل إقامة مجتمعهم المدني المزعوم؟!!!.

والعجيب أنّ أحدهم كتب مقالاً في الجريدة نفسها بعنوان: (الشيخ السعدي وميتافيزقيا اللغة) الرياض: 13058، اتهم فيه الشيخ العلامة المفسّر عبد الرحمن

ابن ناصر السعديّ . رحمه الله . بإنزال الآيات الواردة في أذى المشركين والكفار للمؤمنين الصالحين، على قومه الذين ثاروا عليه وآذوه، وعدّ الكاتب ذلك معضلة، وأنّ الشيخ . رحمه الله . أخطأ طريق الإصلاح(!!!).. أمّا عنوان كتاب الشيخ السعديّ الذي انتقده هذا الكاتب النكرة فهو: (الإيضاحات السلفية لبعض المنكرات والخرافات الوثنية المنتشرة في قضاء الظفير)، ويلاحظ من خلال هذا العنوان أنّ القوم الذين أنزل الشيخ السعدي عليهم الآيات ذوو خرافات وثنية، أي أنّهم أهل شرك وخرافة، ولو أنّ هذا الكاتب بدلاً من التنقيب في كتب الأئمّة الأعلام، واتّهامهم بما هم منه براء؛ نظر إلى كتابات زميله في الصحيفة الذي نقلتُ بعض مقالاته آنفاً، وهو يقوم في القرن الحادي والعشرين بتنزيل الآيات التي نزلت في الكفّار والمنافقين على المختلفين معه من أصحاب العقيدة السلفية؛ لو أنّه نظر إلى هذه الكتابات، لوجد فيها ضالّته التي أراد إنكارها، إن كان هذا هو مراده حقّاً، لكنّه عمي عن الجذع في عينه وعين زميله البذيء، وأبصر الذرة في عين غيره، بل أبصر الوهم، فيا لله العجب كيف يفكّر هؤلاء، وكيف يحكمون !!.

والأعجب من ذلك أنّ الكاتب الأوّل نفسه في مقال له بعنوان (الوحدة الاستراتيجية في التحالف الإرهابي) الرياض: 13856، اتّهم بعض علمائنا الأجلاء بأنّهم ينزلون الآيات التي نزلت في المنافقين على أناس يعترفون بأنّهم أبناء مجتمعنا(!!) ثمّ يقول: " نسمع ونقرأ مثل هذا، ثمّ نسأل من أين يأتي التكفير.."، وهو الذي ما فتىء في مقالات كثيرة ينزل الآيات التي نزلت في المشركين واليهود على هؤلاء العلماء الأجلاء وغيرهم من عامّة السلفيين، فالحمد لله الذي جعله يحكم على نفسه بأنّه تكفيريّ جلد، بل خارجيّ كما ذكر في مقال له بعنوان (بيانات التطرّف وبيان الاعتدال) الرياض: 13863، بأنّ هذه الصفة من صفات الخوارج المارقين، ولا شكّ بأنّ هذه الفئة الليبرالية الاعتزالية الضالّة، خارجة مارقة عن جماعة المسلمين في هذا البلد السلفي الأمين.

السمة التاسعة:

عدم قبول النصيحة، والسخرية من الناصحين، وبغضهم، والتشهير بهم

بل وصلت الوقاحة بأحدهم . وهو أشدّهم تطرّفاً . إلى التندّر بأشكالهم وخَلْقهم الذي هو خلق الله . عزّ وجلّ .!!

ففي مقال له بعنوان: (من صور التطرّف والاعتدال) الرياض: 13282 ذكر فيه صورًا عدّة لمن ناصحوه، فسخر في إحداها من رجل فاضل حذّره من عميل الفكر الغربيّ طه حسين (أعمى البصر والبصيرة). وفي صورة أخرى سخر فيها من قريب له ناصحه(!) . وهو شيخ فاضل وأستاذ في العقيدة . بل أظهر الرحمة والشفقة عليه(!) لأنّه كما يقول: " ضحيّة ثلاثين عامًا من الاشتغال على الصراع العقديّ ". وهكذا يصبح المشتغل بتصحيح العقيدة، وكشف فرق الضلال ضحيّة، ولا أدري ضحيّة ماذا؟!! ثمّ واصل سخريته باتّهام شيخ العقيدة بالتكفير، وبذيء السباب، وهو الذي ما فتىء يسب ويشتم السلفية وأئمّة السلف في صحيفة سيّارة!!

ثمّ يواصل في الجزء الثاني من مقاله (من صور التطرّف والاعتدال) الرياض: 13289 السخرية من الناصحين فيذكر قصّته مع أستاذ العقيدة في جامعته الذي زاره في البيت لمناصحته، وأطال عنده الجلوس، وهو لم يقرأ كتاباته . الرواية من طرف واحد .، إلى أن قال: " ولولا رقّة في أخلاقه، وسماحة تندى بها ملامحه (لم تكن سماحة، وإنّما كانت بلادة وبلهًا وخمولاً) لطردته غير آبه.. "، بهذه البذاءة يصف علنًا من جاء يناصحه سرًا ويحذّره من كتاباته البذيئة، وأفكاره المنحرفة.

ولم يكتف بذلك، بل واصل سخريته واستهزاءه ذاكرًا أنّ اللقاء استمرّ ساعات طويلة، وصف ما تمّ فيها بأنّه " من الهراء الميّت الذي لا طعم ولا رائحة له، ولم يكن للكلام من دور فيها إلا تحسين العلاقات الثنائية بين الطرفين عاطفيّاً لا فكريًا..".

ثمّ يضيف ساخرًا . وما أقبحها من سخرية .: " وكنت في تلك الأثناء وأنا أنظر إليه، لا أستمع إليه، بقدر ما أتأمّل مقدار ما تحمله تلك العيون الخاملة، والأهداب الذابلة، والجفون المسترخية، من معاني الغباء والبلادة والخمول التي تكاد لكثافتها أن تمتدّ بعدواها إلى متأمّلها، بل والجماد حولها "!!!! فهل ثمّة بذاءة ووقاحة أعظم من هذه البذاءة والوقاحة، وفي صحيفة سيّارة؟ لا أظنّ.

ثمّ ختم هذه الصورة باتّهام هذا الأستاذ الناصح بالتكفير، وهي تهمة جاهزة لكلّ من أقدم على نصح هذا الكاتب، وتحذيره من مغبّة ما يكتب، ومن أمن العقوبة، أساء الأدب.

وفي مقال ساخر لأحدهم بعنوان (حرّاس الله !!) الوطن: 293، . والسخرية بادية من العنوان . سخر فيه من أحد مناصحيه، بعد أن نشر هذا الكاتب النصيحة على الملأ، ثمّ عقّب على هذه النصيحة قائلاً بسخرية سمجة سخيفة: " يا رب ليس لنا إلا أنت، نحتمي بك سبحانك من (حرّاسك)..".

وعلى عادتهم في قلب الحقائق والتلبيس على الناس وإلقاء التهم جزافاً، فقد اتّهم مناصحه بالحكم على نواياه وما في قلبه قائلاً: " ولكنّ (حرّاسك) يؤذون قلوبنا حين يدّعون معرفة ما فيها، وكأنّهم أنت والعياذ بالله ممّا يصفون.. "، مع العلم بأنّ هذا الكاتب قد كتب عدّة مقالات تهجّم فيها على المحاكم الشرعيّة، وسخر فيها من الحجاب!! والناس ليس لهم إلا الظاهر، أمّا ما في القلوب فعلمه عند الله تعالى.

وفي مقال لأحدهم بعنوان: (الفرق بين العادة والعبادة) الرياض: 13883، سخر فيه من شابّ ناصحه، يقول هذا الكاتب: " بينما كنت أيمّم وجهي شطر باب المسجد هامًّا بالخروج منه بعد انقضاء إحدى الصلوات؛ اندفع إليّ شابّ حدث لا يكاد يتجاوز الثامنة عشرة من عمره، وبدأ في إبداء نصائحه لي تجاه ما يراه أخطاء وقعت بها أثناء قضاء ما فاتني من الصلاة، وهي في الحقيقة لم تكن أخطاء بقدر ما صوّرت له ذهنيته الآحاديّة أنّها كذلك..". وهكذا نجد أنّ التهم عند هؤلاء جاهزة لإلصاقها بالناصحين، فبدلاً من تقبّل النصيحة بصدر رحب، وشكر الناصحين عليها، نراهم يسخرون منهم علنًا في صحف سيّارة، ويرمونهم بالتهم الجائرة. وحتى لو كان هذا الناصح مخطئاً أو مستعجلاً، كان الواجب تشجيعه على هذه الروح الناصحة، المشفقة على الغير، وتعليمه الطريقة المثلى للنصح، بدلاً من السخرية به، وكيل التهم له، انتصارًا للنفس.

السمة العاشرة:

التناقض الصارخ فيما يأمرون به وينهون عنه

وهو نتاج طبعي للتخبط، واختلال المنهج، والبعد عن منهج الحقّ، فكلمّا كان المرء قريباً من منهج الحقّ؛ كان أقلّ تناقضاً في أقواله وأفعاله، والعكس صحيح: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً }[النساء: 82].

ومن ذلك:

1. أنّهم ينهون عن التضليل والتبديع والتفسيق، وهم يفعلون ذلك، فيبدّعون العلماء والدعاة وطلاب العلم الذين هم على منهج السلف، وقد كتب أحدهم مقالاً نشره في أحد مواقع الأنترنت المشبوهة، وتواطأت الصحف المحليّة على نشره، وكان عنوان المقال (الصحوية والصحويون!!) الجزيرة: 12318، شكّك فيه بالصحوة الإسلامية المباركة، وضمّنه الكثير من المغالطات والافتراءات والتهم والنقولات المبتسرة، وفاحت منه رائحة العلمنة، خلص فيه إلى ما نصّه: " ممّا تقدّم يتّضح لنا بجلاء أنّ الصحوة هي التي فجّرت منابع الإرهاب، وأنّ أدلجة المذهب السنّي أدلجة سياسية محضة هي قلب الصحوة النابض، وأنّ فكرة التنظيم – الكهنوت هو الوسيلة، وهو أسّ البلاد، وأنّ استثمار قضايا المرأة السعوديّة هو استثمار سياسي بحت، وأنّ مذهب أهل السنّة والجماعة شيء، والصحوة في جوهرها وأهدافها شيء آخر ".

وهكذا بجرّة قلم يحكم الكاتب الصحفيّ(!) على قطاع كبير من مجتمعنا يمثّل الأغلبيّة من العلماء والدعاة والصالحين ومن يثق بهم من سائر أبناء مجتمعنا، وهم عامّة الناس، بل على مجموعات كبيرة في العالم أجمع تفتخر بانتمائها إلى هذه الصحوة ولله الحمد، يحكم عليهم بأنّهم ليسوا على مذهب أهل السنّة والجماعة، وإنّما هم شيء آخر، أي ضلاّل مبتدعة، ولعمر الله إنّ هذا لشيء عجيب، وقلب واضح للحقائق المبينة، فالذين ينافحون عن مذهب أهل السنّة والجماعة وسلف الأمّة أصبحوا اليوم ليسوا من أهل السنّة والجماعة، أمّا الذين يطعنون في مذهب أهل السّنّة والجماعة وسلف الأمّة كابن تيمية الذي قال عنه هذا الكاتب .كذباً وزوراً . إنّه يحرّم الكيمياء المعروفة اليوم(!) والذين يبالغون في الثناء على الغرب، فهم الهداة المهتدون، وهم أهل السنّة عند هذا الكاتب، فأيّ تناقض بعد هذا التناقض.

2.

البحث لما يكتمل.....

(1) صـواب الآيـة: (يـا أيها النـاس اتقوا ربّكم الـذي خلقكـم مـن نفس واحـدة..) [النساء: 1].

=================

دور الشباب المسلم تجاه المد التغريبي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

ففي هذا الزمان، علت صيحات منبوذة، وأفكار ممقوتة، تدعو بكل قوة وإصرار إلى اللحاق بركاب الغرب، من أجل إدراك الحضارة العظيمة – كما يزعمون – وكان من لوازم تلك النداءات: التخلي عن القيم والأخلاق، والتنازل عن العقيدة، وجعل الدين هشَّاً لا هوية له، وإنما جسدٌ بلا روح، بل أن بعضهم قد تطاول به الأمر، إلى أن ينسلخ من الروح والجسد، ليُصبح بلا ماهية.

و مع هذه الصيحات، كان على الأمة أن تتخذ الموقف الجاد، وتباشر العمل، في رد هذا العدوان، دفاعاً عن الشريعة، وحماية للتوحيد، وإزهاقاً للباطلِ وأهله، فكان الدور مشتركاً بين العلماء، وكلٌ بحسب طاقته ووسعه – على تفاوتٍ بينهم في ذلك – ولهذا أحببت أن أشارك في بعض ما يتعلق بالشباب من دور، على المدى القريب والبعيد، واخترت بعض الخطوات، التي تحتاج إلى توفيق الله أولاً، ثم الصبر والمصابرة على تحقيق تلك الأهداف، والتي ليست إلا مطيَّة للهدف الأكبر في هذه القضية، فإليكم هذه الخطوات في دور الشباب في مواجهة المد التغريبي:

أولا: الثبات والاستسلام لله:

لما أسلم عمر رضي الله عنه وأرضاه قال المشركون: صبأت؟!، فقال عمر: "كذبتم! ولكني أسلمت وصدَّقت" فثاروا إليه، فما زال يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم، وأعيى من التعب فقعد، فقاموا على رأسه وهو يقول: "افعلوا ما بدا لكم! أحلف بالله أن لو كنا ثلاثمائة لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا".

كل هذا يحدث بعد إسلامه بلحظات!.

ولك أن تتأمل حين جاءه أبو سفيان وهو من أشراف قومه ليشفع له عمر الفاروق عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في شد عقد الحديبية، فقال له معلناً البراءة من

أعداء الله: " أنا أشفع لكم؟! والله الذي لا إله إلا هو لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به".

اجهر بصوتك أمام كل معاند: (إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ).

يجب أن يكون الشاب المسلم واثقاً بالمبادئ التي يحملها بين جوانحه، راسخاً في أفكاره رسوخ الجبال الراسيات، يستشعر دائماً معنى العبودية لله والانقياد له، ويعرض كل ما يستجد له على دينه فما خالف الدين نبذه ولو كان من أقرب الأقربين قال تعالى: (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا).

إنّ مجرد الاتباع لا يكفى، بل إن الغاية هي الاطمئنان إلى العقيدة والسعي الحثيث للتأثير لا التأثر، وبهذا تكون القوة.

إننا في هذه الأيام نرى ونسمع في كل يوم من يدعو إلى تنحية كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، بتصريح أو تلميح!. وذلك من خلال دعواتٍ يُظهرها حثالةٌ من العملاء، ممن يدينون بالولاء لأسيادهم في الغرب والشرق!.

فأين هم من الصدّيق رضي الله عنه وأرضاه إذ يقول: "لست تاركاً شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت من أمره شيئاً أن أزيغ ".

(فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

و لما أشار بعض المسلمين على أبي بكر رضي الله عنه بأن لا يبعث جيش أسامة لاحتياجه إليه، قال: "والله لو أن الطير تخطفني، وأن السباع من حول المدينة، وأن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين؛ ما رددتُ جيشاً وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا حللتُ لواءً عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله لو لم يبقَ في القُرَى غيري لأنفذته، أفأطيعه حياً وأعصيه ميتاً!".

فأنفذ رضي الله عنه جيش أسامة، ثم أعلنها حرباً على المرتدين، فقيل له: "إنهم يقولون: لا إله إلا الله، قال: والله لأقاتلنَّ من فرق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عَناقاً أو عِقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه".

وهكذا نصر الله به دينه، فرضي الله عنه وأرضاه.

لقد أسلم ذلك الجيل، واستسلم وانقاد لحكم الله بلا خيار: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ). وبلا تنطع في البحث عن الحكمة والعلة؛ لأن ذلك ينافي التسليم والانقياد: (لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ). وبلا حرج في النفس عند تطبيق النص الشرعي، يقول تعالى: (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً).

ولئن أخذنا نحن يميناً أو شمالاً لقد ضللنا ضلالاً بعيداً.

لم يكن هذا التسليم والانقياد مقصوراً على الرجال فحسب، بل كان للنساء فيه حظ وافر، وضربن بهذا أروع الأمثلة في الانقياد والاستسلام والثبات دون اكتراث لما يحدث في واقعهن، وهذا يتجلى حينما يختلط الرجال والنساء في الطرق عند الخروج من المسجد، فيقول صلى الله عليه وسلم كما ثبت في سنن أبي داوُد: "استأخرن؛ عليكن بحافَات الطريق". فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من شدة لصوقها به.

ثانياً: العلم الشرعي:

العلم، العلم. وأخص به العلوم الشرعية، ومن أهمها علمُ التوحيد الذي من أجله بعث الله الرسل إلى الناس قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ).

إنك لو تأملت حال الغزو الذي تُحاك خططه بالليل والنهار من الأعداء في الداخل والخارج لوجدتَ مدارَه على أمرٍ واحد، وكله يدور في فلك الإطاحة بالثوابت، التي هي سر البقاء، عن عمر رضي الله عنه أنه قال "إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله هذا". رواه الحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين.

نعم، هذا هو السر!. فكلما كان الناس إلى الله أقرب كانوا على أعدائهم أظهر وأغلب.

ولنتأمل في حال السهام الموجهةِ إلى صدورنا ومنابع عزتنا:

سهم موجهٌ إلى حلقات التحفيظ، أي (القرآن) الذي رفعنا الله به.

وسهمٌ يستهدف العقيدة الصافية.

وسهم يروم ذروة سنام الإسلام، وهو الجهاد في سبيل الله.

وسهمٌ مصوّب نحو الولاء والبراء، تلك المنزلة التي ضرب فيها الأنبياء والصحابة والسلف الصالح أروع الأمثلة، وقد خلّد القرآن شيئاً من ذكرهم لنسير على خطاهم، صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين ورضي الله عنهم.

وسهم آخر يتجه صوب المرأة، والتي يصلح المجتمع بصلاحها، فهي كالقلب للجسد، فكما أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، فإن منزلة المرأة في مجتمعها يتوقع منه هذه النتيجة: فإذا صلحت صلح المجتمع كله، وإذا فسدت فسد المجتمع كله، وهذا بالأخص في شأن الأم.

إن الحوارات المؤتمرات والمنتديات التي نرى العدو يسعى حثيثاً لإقامتها هنا وهناك باسم الثقافة والفكر والتواصل بين الحضارات ليست إلا فكرية الاسم عقدية المحتوى في غالبها.

و من هنا تأتي أهمية دراسة كتب العقيدة على منهج السلف الصالح رحمهم الله.

واليوم هاهم دعاة هذا المنهج المنحرف يحذرون العالم من الفِرقة والطائفة المارقة في نظرهم وهي الوهابية كما يسمونها، حيث ألصقوا بدعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب التهم والأباطيل والافتراءات والأقاويل، لأنهم يعلمون أن العقيدة الصافية الناصعة تشكل خطراً عليهم.

وخلاصة القول: إنّ العلم الشرعي هو السلاح، فلنتسلّح به لكي لا ننخدع بمقوله كل فاجر مارق.

روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان". [رواه أحمد في مسنده وابن حبان].

ثالثا: الدعوة إلى الله:

والله ما كان الغرب أو الشرق ليثور على البلدان الاسلامية لولا انتشار هذا النور المبين والسراج الوهاج – وهي الدعوة السلفية – في العالم.

فحينما أصبح الإسلام يشكل خطراً عليهم، تعالت صيحات الحاقدين منهم على الإسلام، وتنادوا بوقف المد الإسلامي الذي بدأ ينتزع منهم هيبتهم: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ).

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسيره: "والمقصود من أهل الكتب والعلم تمييز الحق من الباطل، وإظهار الحق ليهتدي بذلك المهتدون، ويرجع الضالون، وتقوم الحجة على المعاندين، لأن الله فصّل آياته، وأوضح بيناته، ليميز الحق من الباطل، ولتستبين سبيل المهتدين من سبيل المجرمين، فمن عمل بهذا من أهل العلم فهو من خلفاء الرسل وهداة الأمم". أ.هـ

إذاً فكلٌ بحسب ما حباه الله من إمكانات، وما آتاه من قدرات، ولا عذر لنا في التقاعس عن نصرة دين الله تعالى والدعوة إليه، وأمم الأرض تنتظر منا إيصال الرسالة الربانية، ونشر هذا الخير العميم والكنز العظيم، والدلالة على الصراط المستقيم.

رابعاً: اليقين بالحق:

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "لا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها كما قال تعالى: (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)".

قال بعض المفسرين: "هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة".

فلا يضق صدرك بما ترى وتسمع ولا تأبه كثيراً بما يقوله المرجفون المنافقون لأن الله تعالى يقول: (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ).

ولا شك في أن وعد الله بالنصر واقع قاطع جازم: (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا). وكلمة الله قائمة سابقة (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُم الْغَالِبُونَ). وهذه حقيقة ثابتة، فلله الحمد.

خامساً: صفاء مصدر التلقي لدى المسلم:

إن على المسلم أن يتلقى من الدستور الذي ارتضاه الله له، وهو أكمل دستور وأصفى منبع وأعذب منهل قال تعالى: (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ).

وهذا هو الثبات الحقيقي وهو الانتصار الذي هو مطلب كل إنسان، فحقيقة الانتصار أن تموت وأنت على مبادئك دون مساومة، ودون تنازل أو تراجع عن الحق.

ثبت عند البخاري من حديث عبدِ الله بن سَلامٍ قال: "رأيتُ كأني في روضةٍ، ووسَط الروضةِ عمودٌ، في أعلى العمود عروةٌ، فقيل لي: ارقهْ، قلت لا أستطيع، فأَتاني وصيفٌ فرفعَ ثيابي فرقيتُ، فاستمسكتُ بالعروة، فانتبهتُ وأنا مستمسكٌ بها. فقَصَصْتها على النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال: تلك الروضة روضة الإسلام، وذلك العمودُ عمودُ الإسلام، وتلك العروةُ العروةُ الوُثْقى لا تزال مستمسكاً بالإسلام حتى تموت".

اللهم ثبتنا على الحق حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا.

لقد حرصت الشريعة كل الحرص أن تُبعد أبناءها عمّا يزعزع هذا المبدأ، ويهز تلك الحقيقة، ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت في أصحابه هذا الأمر حتى بعد إيمانهم بسنوات، تأكيداً منه صلى الله عليه وسلم على ضرورة استصحابه، بل كان يأطرهم عليه، ويحذرهم من مصادر التلقي الأخرى.

روى الإمام أحمد في مسنده والدارمي في سننه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: "أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسخة من التوراة، فقال: يا رسول الله! هذه نسخة من التوراة، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل عمر يقرأ، ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم- يتمعّر ويتغيّر، فقال أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه: ثكلتك الثواكل يا ابن الخطاب! ألا ترى ما لوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!.".

وفي رواية: "أن عبد الله بن زيد قال: أمسخ الله عقلك! ألا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!، فنظر عمر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً،

وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، فقال صلى الله عليه وسلم: أَمُتَهَوِّكون فيها يا بن الخطاب؟! أَلَمْ آتكم بها بيضاء نقية؟! والذي نفسي بيده! لو بدا لكم موسى فتبعتموه وتركتموني لضللتم سواء السبيل، والله لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني".

سادسا: الالتفاف حول العلماء الربانيين:

لأنهم أفقه الأمة، وأبرّهم قلوباً وأعمقهم علماً وأصلحهم تصوراً، فلا نجاة للأمة إلا بهم إذا أنهم ورثة الأنبياء، والعلماء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنّما ورَّثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر.

إنّ العالم الرباني هو خير ما يُرجع إليه عند تلاطم أمواج الفتن، والتباس الحق بالباطل لما يحمله من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم.

إن العلماء يُبصرون مالا يُبصره طلاب العلم وعامة الناس، بل أنهم يُبصرون ما يخفى على كثيرٍ من كبار طلاب العلم.

وللعلماء مواقف في الشدائد وقف التاريخ متعجباً لها وخلّدها في جبين صفحاته، علماء عاملون دعاة مخلصون، ربانيون راسخون لقد كان علماء الإسلام في المحن من أشد الناس ثباتاً على الدين وأقوى تمسكاً بالسنة، فالمواقف ليست إلا جرعاً تزيد في صلابتهم وقوَّتهم.

سأل الشافعيَّ رجلٌ عن مسألة، فأفتاه بقول النبي صلى الله عليه وسلم، قال له: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا، فقال الرجل: أتقول بهذا؟! فارتَعَدَ الإمام الشافعي، واصفر لونه، وقال: "أرأيت في وسطي زناراً؟! أرأيتني خرجت من كنيسة؟! ويحك! أيُّ أرض تقلني، وأي سماء تظلني إن رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً لم أقل به؟! نعم! أقول به وعلى الرأس والعينين، متى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً ولم آخذ به، فأشهدكم أيها الناس- أن عقلي قد ذهب."

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً).

قال بعض المفسرين: "أولو الأمر هم العلماء والامراء".

وفي تفسير قوله تعالى: (وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ). قال السعدي رحمه الله: "أي يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة". أ.هـ

ولأن العلماء فهموا مراد الله ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم كما فهمه السلف الصالح، فهم أقوى الناس ثباتاً على هذا الدّين.

وللأسف ينادي بعض المنافقين التغريبيين اليوم بدعوة جديدة وهي أن نبقي النصوص كما هي، وأن نرجع إليها، لكن بفهمنا بما يوافق مقتضيات العصر – بزعمهم – لا بفهم أسلافنا، وهذه دعوة خبيثة.

إذا أردت أن تنظر إلى مكانة أمةٍ ما بين الشعوب فانظر إلى مكانةِ علمائها في المجتمع الذي يعيشونه.

لقد أصبح كثيرٌ من السفهاء من أمم الشرق والغرب، بل ممن هم بين ظهرانينا، أصبح كثيرٌ منهم يُجترئ على الثلب والطعن في علماء الأمّة، ونرى من الجهلاء انشغالاً بأخطائهم، وهذا إذا سلّمنا أنها أخطاء فقد تكون غير ذلك.

فكثير من الجهلة اليوم يُبيحون لأنفسهم الثلب في عالمٍ ما لأنه أخطأ!. وفي النهاية قد نجد المسألة التي جزم هذا الجاهل بأنها خطأ، ليست إلا مسألة خلافية أخذ الشيخ فيها بقول مرجوح. ومَن يسلم من هذا؟!.

ومما يؤسف له أن أهل البدع والخلل العقدي يُكنون لأئمتهم ومشايخهم الولاء والحب، وبعض أهل السنة إذا أتت المصيبة يبدأون بعلمائهم وقادتهم فيهاجمونهم، وهذا مما يندى له الجبين.

سابعاً: الاستعداد العلمي والإيماني لصدِّ التغريب:

لا أنصح الشباب بالخوض في النقاشات الفكرية في سنٍ مبكرة، وهذا أمرٌ انتشر في الآونة الأخيرة.

فقد نجد شاباً ضعيفاً من ناحية الرصيد العلمي، أو حتى بلا رصيدٍ من علم، نجده يحاول التصدّي لمثل هذه القضايا، فيستمع لهذه الشُبَهِ التي تُلقى في قلبه فتبقى منها رواسب تجتمع ثم تتراكم في قلبه شيئاً فشيئاً، حتى تأتي ساعة لا يجد إلا أن يخضع

لمثل هذه الأفكار والآراء. وكم من رجل فاق الناس علماً وتقوى، فإذا به في طرفة عين ينكص على عقبيه، ويتخذ هواه إلهاً من دون الله، و الله المستعان.

لقد أصبحت المجالس اليوم كأنها منتديات للمضرّة، يُطرح فيها الغث والسمين، فيتفرق الناس، وقد اكتسبوا ما يضرهم في دينهم ودنياهم، وما يحبط عملهم في أخراهم، فالحجة هي السلاح في مثل هذه المواضع، ومن لا حجة لديه فكأنما دخل معركةً بلا سلاح، فهو هالكٌ لا محالة.

و كم تأثر متأثر نتيجة جهله وإقدامه على مثل هذه الأمور من دون مشورة أو علم، فضلَّ وأضل.

و أخيراً:

هذا جهدي، فما كان من صواب فمن الله، وما كان من زلل أو خطأ فمن نفسي والشيطان.

أسأل المولى القدير بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يُعز الإسلام والمسلمين، وأن يُمكّن لعباده الصالحين في الأرض، وأن يُصلح أحوالنا، إنه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

و صلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

==============

المرأة المسلمة والتحديات المعاصرة بين حديث القرآن والواقع (1- 3)

فإنّ هناك نماذج من التحديات التي تتعرض لها المجتمعات المسلمة في هذا العصر، وهناك أفكارٌ تُطرح وتمثّل تلوثاً فكرياً خطير الأثر على مجتمعات المسلمين، ذلك أن الإنسان مجهز لاستقبال المؤثرات من حوله والإنفعال بها والاستجابة لها، وكمّا أنّه مستعد بحسب تكوينه الذاتي للرقي والارتفاع، فإنه مستعد كذلك لأن ينحطّ إلى أدنى من دركات الحيوان البهيم، يقول الله تعالى فيمن حادوا عن طريق الهدى وتنكبوا الصراط المستقيم: (أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلّ). الأعراف 179.

ومن العوامل المؤثرة في ارتفاع أو هبوط الإنسان ما يتلقى من تربية، وما تشيع البيئة حوله من مؤثرات، وما يشتغل به، ويوجه عبره غرائزه.

ومن أخطر ما يواجهنا في هذا العصر هذه الملوثات الفكرية التي تشكّك في الدين، وتهز الثوابت، وتفسد الأخلاق، وتنشر الرذيلة عبر وسائل الاتصال في وقتنا الحاضر، والتي أُسئ استخدامها أيما إساءة.

وما الحديث عن قضية المرأة التي تثار هنا وهناك، والمطالبة بحريتها المزعومة ونفيها عن أسباب الصيانة إلا أحد الأبواب الواسعة لإشاعة الرذيلة في المجتمع.

المرأة أمام التحديات:

إنّ المرأة تمثّل ثغراً من ثغور الفضيلة؛ ففي حفظها حفظٌ للفضيلة، وصيانة للنشء، وفي إفسادها إفسادٌ وتضييعٌ للمجتمع.

وإن مما يؤسف له أن كثيراً من هذه الدعوات صار يحمل لواءها بعضُ أبناء المسلمين، وهذا نتيجة للغزو المبكر لبلاد المسلمين، والذي سعى منذ البداية إلى تخريج جيل بعيد عن الدين، قد أُشربَ الولاء للغرب وقيمه وأنماط حياته، وذلك عن طريق المدارس الأجنبية (التنصيرية) التي تفتح في بلاد المسلمين.

جاء في تقرير إحدى اللجان التابعة للمؤتمر التبشيري الذي عقد عام 1910م:

"إن معاهد التعليم الثانوية التي أسسها الأوروبيون كان لها تأثيراً على حل المسألة الشرقية يرجح على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول أوروبا كلها".

وفي هذه المدارس تخرجت أجيال من أبناء المسلمين أو بالأحرى من متعلميهم ومثقفيهم متأثرة بضرب هذا الغزو المنظم، متطلعة إلى الأفق الغربي تستلهمه الرشد وترى فيه النموذج والمثل الأعلى، وتتشرب في نهم أنماط حياته سلوكاً وفكراً، بلا فحص، ولا بصيرة، ولا رأي سديد" .

وإذا أضفنا إلى ذلك البعثات التي كانت تتقاطر على الدول الأوروبية من أبناء المسلمين الذين يستكملون تعليمهم العالي، كانت هذه نهاية المطاف في الإجهاز على بقايا الإسلام في نفوسهم وطباع الشرق وعاداته، حيث لا يرجعون في الغالب إلا وقد تأثروا بوجهة الغرب وفلسفته، وبذلك أصبحوا رصيداً في حساب أعداء الإسلام بالسلوك والتربية والعادات الجديدة.

وقاسم أمين يُعدُّ واحداً من رواد تحرير المرأة في مصر، وهو نموذج لهذا الغزو، يقول د. عبدالستار فتح الله: "قاسم أمين كان نموذجاً لما يمكن للغزو الفكري وللتعليم

الأجنبي أن يفعلاه في النفوس من خلع ولائها لأصلها، وفصل مشاعرها عن ظروف أمتها".

والتعليم كان أحد أخطر ميادين الغزو الفكري وأعمقها أثراً، إلا أن ميادين الغزو الفكري تعددت بأسلحته المتنوعة: "الفكرة والكلمة، والرأي والحيلة، والشبهات والنظريات، وخلابة المنطق، وبراعة العرض، وشدة الجدل، ولدادة الخصومة، وتحريف الكلام عن مواضعه" والقصة والصورة والقيم.

ولقد كان لهذا الغزو من الآثار السيئة في زعزعة المسلمين عن دينهم ما لم يستطعه الغزو العسكري على مدى قرون عديدة. وقال سبحانه: (وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ).البقرة 217 .

ومعنى الفتنة في الآية على ما نقل القرطبي عن الجمهور: "فتنة المسلمين عن دينهم حتى يهلكوا". "وكان المشركون يفتنون المسلمين عن دينهم بإلقاء الشبهات وبما علم من الإيذاء والتعذيب" .

ولهذا عقّب تعالى على هذا بقاعدة تمثل قانوناً من قوانين الصراع بين الإسلام والجاهلية على مر العصور فقال تعالى: (وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا).البقرة217.

والقتال المذكور هنا عام يراد به ما وقع فعلاً من أساليب المشركين في محاولة صد المسلمين عن دينهم بالتعذيب والإيذاء أو التضييق عليهم في أرزاقهم أو تشريدهم في البلاد أو ضربهم بالشبهات وأنواع التشكيك، وما هو محقّق الوقوع في الغد القريب من الحرب المسلحة التي شنها المشركون على المسلمين بعد نزول الآيات، ثم ما يشابه ذلك ويشاكله إلى يوم القيامة .

فهذه التحديات التي يُجابه بها المسلمون في هذا العصر طرف من المعركة التي تركت آثار في بلاد المسلمين.

بعض آثار التحديات التي تواجه المرأة المسلمة:

وسأقف هنا مع بعض الآثار البارزة لتلك التحديات:

1- فقدان الهوية:

لكل أمة شخصيتها المميزة التي تتفرد بها عن غيرها، وهذه الشخصية تنبع من العقيدة التي تدين بها الأمة وما يتبع ذلك من خلق ومنهج وسلوك. وكل أمة واعية تحرص على هذا التفرد، وتنأى بنفسها عن أن تكون عرضة لفقد عناصر تميزها، وأن تصير تابعاً ذليلاً لغيرها.

والغزو الفكري وعملية التغريب هدفها أن تستسلم الأمة المسلمة للثقافة والحضارة الغربية، فتذوب الشخصية المسلمة وتقبل الفناء والتلاشي في بوتقة أعدائها "بحيث لا ترى إلا بالمنظور الغربي، ولا تعجب إلا بما يعجب به الغرب، ولا تعتنق من الأفكار والمناهج إلا ما هو مستورد من الغرب، وتبتعد عن قيمها وعقائدها وأخلاقها المستمدة من شريعة الإسلام وتتنق هذه الديانة الجديد التغريبية" .

والناظر إلى حال المجتمعات المسلمة يجد وللأسف أن عملية التغريب والغزو الفكري الموجه إلى المجتمعات المسلمة نجحت إلى حد بعيد في محو ملامح تلك الشخصية والعبث بمقوماتها.

والناظر في حال المرأة المسلمة – خاصة – مربية الأجيال وحصن الفضيلة يروعه "فقدان المرأة المسلمة لهويتها الإسلامية وتمييز شخصيتها، وسحب قدر كبير من انتمائها لدينها" . حتى ضمر الفارق في الاهتمامات والممارسات في كثير من بلاد المسلمين بين المرأة المسلمة والمرأة الغربية . ولو أردنا أن نعقد مقارنة بين الملامح البارزة لشخصية المرأة المسلمة في ضوء الضوابط الشرعية، وبين ما آل إليه حال المرأة المسلمة في كثير من بلاد المسلمين لهالنا الفرق وبعد الشقة بين المثال والواقع.

فشعار المرأة المسلمة الظاهر هو الحجاب بالصفة التي حددها الشرع، يقول الله تعالى: (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ). النور 31.

وهذا أمر من الله لنساء المؤمنين أن يلقين بالخمار إلقاءاً محكماً على المواضع المكشوفة؛ وهي الرأس والوجه والعنق والنحر والصدر، خلافاً لما كان عليه نساء الجاهلية من سدل الخمار من ورائها وتكشف ما هو قدامها.

ونهاها تعالى – لكمال الاستتار – عن الضرب بالارجل حتى لا يصوّت ما عليها من حلى فتعلم زينتاه بذلك فيكون سبباً للفتنة بها. قال تعالى: (وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ

لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنّ). النور: 31. ونهاها الله تعالى عن التبرج فقال سبحانه: (وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى).الأحزاب 33.

والتبرج يكون بعدة أمور:

• يكون التبرج بخلع الحجاب، وإظهار المرأة شيئاً من بدنها أمام الرجال الأجانب عنها.

• ويكون التبرج بأن تبدي المرأة شيئاً من زينتها المكتسبة.

• ويكون التبرج بتثنّى المرأة في مشيتها وتبخترها وترقّلها وتكسّرها أمام الرجال.

• ويكون التبرج بالخضوع بالقول والملاينة بالكلام.

• ويكون التبرج بالاختلاط بالرجال وملامسة أبدانهن أبدان الرجال، بالمصافحة والتزاحم في المراكب والممرات الضيقة ونحوها .

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الخلوة والسفر بغير محرم: "لا يخلونّ أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم" . "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم لها" .

فما نصيب المرأة المسلمة من هذه الضوابط التي أوجبها الله تعالى عليها؟!.

إن أكثر النساء المسلمات بعيدات كل البعد عما شرع الله تعالى وأوجب عليهن.

لقد صارت المرأة تخرج في كثير من بلاد المسلمين حاسرة الرأس، مكشوفة الصدر والساقين، متزينة متعطرة متبرجة، تخالط الرجال، وتزاحمهم في كل مكان وميدان.

بل قد بلغ ببعضهن النأي عن أوامر الله سبحانه والإمعان في تقليد المرأة الغربية الكافرة إلى حدّ العري على الشواطئ بلا حياء، والأعتى من ذلك والأمرُّ أن بعض النساء تفخر بهذه التبعية والانسلاخ عن أوامر الله وتعدّه تقدماً ومدنية، تقول إحداهن – وهي فتاة تركية – في بعض الموانئ الإنجليزية: "إننا نعيش اليوم مثل نساءكم الإنجليزيات، نلبس أحدث الأزياء الأوروبية، ونرقص وندخن ونسافر ونتنقل بغير أزواجنا".

ومن لم تصل إلى هذه الدرجة ولا يزال المكر بها في أول الطريق فقد تدخلت الموضة في عباءتها وحجابها حتى أفقدتها غايتها من الستر والحشمة "وأصبحت العباءة رمز لإبداء الزينة وإظهار الفتنة وإبراز المفاتن والمحاسن. فهناك تفنن في

إدخال بعض النقوش والزخارف والتطريزات، وهناك شفافية في نوع القماش وظهور ألوان متعددة على جوانب العباءة وأطرافها، وهكذا أصبحت العباءة رمزاً للموضة والفتنة" . وهذا التدرج في الإخلال بشروط الحجاب طريق إلى نزع الحجاب كما حدث في كثير من بلاد المسلمين، حتى انسلخت المرأة عن دينها وفقدت هويتها الإسلامية.

سئل حذيفة رضي الله عنه: "في يوم واحد تركت بنو إسرائيل دينهم؟! قال: لا، ولكنهم كانوا إذا أمروا بشيء تركوه، وإذا نهوا عن شيء ركبوه حتى انسلخوا عن دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه).

===============

تعب السعداء والأشقياء

الخطبة الأولى

الحمد الذي يعطي من سأله، ولا يخيب من أمّله، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ الذي كرمه ربه ونصره، وآزره حين أرسله، صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن سار على دربه واقتفي عمله وسلم تسليماً، أما بعد.

فاتقوا الله أيها المسلمون:

حقيقة لا يماري فيها أحد، قررها الواحد الأحد، وعنوانها (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ).

إنها حقيقة مهمّة لا بد أن ندركها، فالحياة الدنيا لا بد فيها من التعب والجهد، يستوي في ذلك المؤمن والكافر، والكبير والصغير، والذكر والأنثى، والغني والفقير، وسائر طبقات الناس، فكل منهم له نصيب من التعب والكَبَد.

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ): في مكابدة ومشاقة وجهد وكد، وكفاح وكدح: (يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ...).

فمنذ اللحظة الأولى للإنسان يبدأ الجهد الأشق والكَبَد الأمر، وكل خطوة بعد ذلك كَبَد وكل حركة بعد ذلك كَبَد، وعند بروز الإنسان كَبَد، وعند انتصاب القامة كَبَد، وعند الخطو الثابت كَبَد، وعند التعلم كَبَد، وعند التفكّر كَبَد، وفي كل تجربة جديدة كَبَد؛ كتجربة الحبو والمشي، ثم تفترق الطرق وتتنوع المشاق؛ فهذا يكدح بعضلاته،

وهذا يكدح بفكره وهذا يكدح بروحه، وهذا يكدح للقمة العيش، وخرقه الكساء، وهذا يكدح ليجعل الألف ألوفاً، وهذا يكدح لملك أو جاه، وهذا يكدح في سبيل الله، وهذا يكدح لشهوة ونزوة، وهذا يكدح لعقيدة ودعوة، وهذا يكدح إلى النار، وذاك يكدح إلى الجنة، والكل يحمل حمله ويصعد الطريق كادحاً إلى ربه فيلقاه، وهناك يكون الكَبَد الأكبر للأشقياء، وتكون الراحة الكبرى للسعداء.

"كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها"، كل الناس يشتغلون ويتعبون – ولكن النتائج والمآلات تختلف، فغادٍ في طاعة الله، تعب في عبادة الله، صرف جهده وهمه في سبيل مرضاة الله، فهذا قد اعتق نفسه. وآخر غادٍ في معصية الله، موبق نفسه بمعصية الله، مهلكها بانتهاك الحرمات والمحرمات، فهذا قد أهلك نفسه وأوبقها.

حقيقة لا تغفل عنها: إذا كنت تتعب في طاعة الله فلا تظنن غيرك في المعصية مرتاحاً، لا يبذل جهداً ولا كداً، فكل ما تراه من تعب السعداء في طاعة ربهم فاعلم أن الأشقياء يتعبون أضعاف أضعافه في المعصية: (إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لاَ يَرْجُونَ).

إن الكَبَد طبيعة هذه الحياة الدنيا، تختلف أشكاله وأسبابه، ولكنه هو الكَبَد في النهاية، فأخسر الخاسرين هو من يعاني كَبَد الحياة الدنيا لينتهي إلى الكَبَد الأشق الأمر في الأخرى، وأفلح الفالحين من يكدح في الطريق إلى ربه ليلقاه بمؤهلات تنهي عنه كَبَد الحياة، وتنتهي به إلى الراحة الكبرى في ظلال رحمة الله.

كل في هذه الحياة يغدو ويتعب، وكل يسعى ويشقى، وكل يعمل على شاكلته: (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى). والجزاء مختلف، فليس الخير كالشر، و ليس الهدى كالضلال، و ليس الصلاح كالفساد، وليس من أعطى واتقى كمن بخل واستغنى وليس من صدق وآمن كمن كذب وتولى، وإن لكلٍ طريقاً، ولكل مصيراً ولكل جزاء وفاقاً.

(إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى). مختلف في حقيقته، مختلف في بواعثه، مختلف في اتجاهه، مختلف في نتائجه، والناس في هذه الأرض تختلف طبائعهم و تختلف مشاربهم و تختلف تصوراتهم، و تختلف اهتماماتهم، هذه حقيقة.

والحقيقة الأخرى بأنه (لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ). (أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُونَ). وأن "من جعل الآخرة همه جمع الله له شمله وجعل

غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة، و من كانت الدنيا همه فرق الله عليه شمله، و جعل فقره بين عينيه، و لم يأته من الدنيا إلا ما كتب له منها".

كلٌّ في هذه الحياة يتعب وينصب ويهتم ويغتم، وإنما الهموم على قدر الهمم، فئة في بيت الله تركع مع الراكعين وتذكر الله مع الذاكرين، وأخرى في الشوارع جلوساً في الزوايا، أو دوراناً في الأحياء، فكلا الفئتين تتعب ولكن شتان ما بينهما.

شباب في حلقات القرآن عاكفون على حفظه وتلاوته، حابسون أنفسهم في بيت الله، و آخرون وفي نفس الوقت يمضون أوقاتهم في دوران وجولان وتفحيط وتفريط، فأي الفريقين أهدى إن كنتم تعلمون. (أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ).

فئة تستثمر جوّالاتها فهي ناصبة في توجيه رسائل هادفة، و نصائح مؤثرة وبث مقاطع نافعة، وفئة تقلب الصور الساقطة وترسل الرسائل الهابطة، فتبوء بإثمها وإثم من تأثر بها وضل بسببها: (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ).؟!

لسان شغل بذكر الله وتلاوة كتابه والدعوة إليه، وآخر يفري في أعراض المسلمين، و كلاهما متعب: (أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ).

قوم يشدون الرحال و يبذلون الأموال ويجهدون الحال دعوةً إلى الله و نصحاً للعباد و محاربة للفساد، وإخراجاً للتائهين من الظلمات إلى النور. وأخرى تبذل جهدها وتنفق أموالها لتصد عن سبيل الله وتنشر الفساد، وتشيع الفاحشة، وتبث الخنا، و كلا الفريقين يتعب، لكن: (هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ).

ما أعظم الفرق بين واقف يصلي، وواقف يتحدث في الشارع!.

ما أعظم الفرق بين من يسهر ويتجافى جنبه عن المضاجع يدعو ربه خوفاً وطمعاً، وبين من يسهر ويمضي ليله في إيذاء العباد وورود موارد الفساد!.

ما أعظم الفرق بين شباب يجاهدون في سبيل الله ويرابطون في الثغور دفاعاً عن الأمة وحرماتها، وشباب تتعلق آمالهم بغانية وزانية ومرقص وحانة!.

ما أعظم الفرق بين من يجلس في المسجد انتظاراً للصلاة وذلكم الرباط، وبين جالس في بيته عاكف على شاشات الفساد وأفلام السفالة والهبوط.

ألا ما أعظم الفرق بين تعب السعداء وتعب الأشقياء التعساء.

ما أعظم الفرق بين من يكدحون ويتعبون في الدنيا ليستريحوا في الآخرة، لأنهم يدركون أن الدنيا كَبَد، ولا راحة للمؤمن إلا عند أول قدم يضعها في الجنة.

وبين قوم يكدحون وينصبون في الدنيا ليلاقوا كدحاً وتعباً أشد في الآخرة: (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى).

فئة عملت و نصبت فلم تحمد العمل ولم ترض العاقبة ولم تجد إلا الوبال والخسارة، فزادت مضضاً وتعباً، فهي عاملة ناصبة؛ عملت لغير الله، ونصبت في غير سبيله، عملت لنفسها ولأولادها وتعبت لدنياها وأطماعها، ثم وجدت عاقبة العمل و الكد، وجدته في الدنيا شقوة لغير زاد، ووجدته في الآخرة سواداً يؤدي إلى العذاب، وهي تواجه النهاية مواجهة الذليل ومع هذا الذل العذاب والألم: (تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً).

و على الجانب الآخر: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ). حين ترى رضا الله عنها وليس أروح للقلب من أن يطمئن إلى الخير ويرضى عاقبته، ثم يراها ممثلة في رضا الله الكريم وفي النعيم: (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً).

إن السعداء يتعبون والأشقياء كذلك، ولكن تعب السعداء تعب في طاعة الله ومرضاته، فهم يحصلون على أجر من الله ومغفرة و رضوان، قال صلى الله عليه وسلم: "رأيت ربي عز وجل في المنام في أحسن صورة، فقال لي: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟! قلت: الله تعالى أعلم! قال: فوضع الرب تبارك وتعالى يده بين كتفي حتى وجدت بردها في صدري، ثم قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟!. فعلمتُ ما بين السماء والأرض، فقلت: يختصمون في الكفارات، والدرجات، والدعوات، فقال: وما الكفارات؟! فقال: نقل الأقدام إلى الجمعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء على المكروهات...".

فهذه أمور لها مشقة على النفس وتعب، ولكن جعل الله عز وجل فيها كفارة للذنوب.

تعب السعداء: إما تكفير معصية أو رفع درجة كما في الحديث: "من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطوتاه إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة " (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ). " ما يصيب المسلم من

نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه ".

أما تعب الأشقياء فتكثير لذنوبهم ومزيد إثم لهم (فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ). (إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ).

تعب السعداء مُجازَون عليه وإن كان مجرد همّ: "مَنْ همّ بحسنةٍ فلم يعملها كُتبت له حسنة، ومن همّ بحسنة فعملها كتبت له عشراً إلى سبعمائة ضعف...".

تعب السعداء مثابون عليه وإن لم يعملوه لعذر إذا مرض: " إذا مرض العبد أو سافر كُتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً".

تعب السعداء تصحبه لذة و سرور في القلب يجده المؤمن في الدنيا قبل الآخرة مما يؤدي إلى زوال هذا التعب وتحوله إلى نعيم وراحة ولذة وسرور كما قال أحد السلف: "جاهدت نفسي على قيام الليل عشرين سنة وتلذذت به عشرين سنة أخرى".

تعب السعداء يعقبه اطمئنان النفس وراحة القلب: (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى). (الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ).

تعب السعداء أدرك ثماره في الدنيا قائل السلف: "لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم لجالدونا عليه بالسيوف".

إنه تعب يثمر سعادة وانشراحاً، لأنه تعب في طاعة الخالق سبحانه، أما تعب الأشقياء فتعب يعقبه الشقاء والكَبَد و التعب لأنه في معصية الله.

الشقي يشعر أن تعبه في معصية الله، فإذا انتهى من لذته وذهب شعوره بها بقيت الحسرة في قلبه وأورثه التعب هماً وحزناً.

إن أهنأ عيشة قضيتها ...ذهبت لذاتها و الإثم حل

.تعب الأشقياء تعب يعقبه الضيق و الضنك: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى). شعور بتأنيب الضمير، شعور بالقلق من آثار الذنب، شعور بالخوف من مصيبة وعقاب على النفس والمال و الأهل والولد. شعور بالذل والانهزامية ويأبى الله إلا أن يذل من عصاه. تخوّف من الأمراض والفضائح و(إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ).

تفنى اللذات ممن ذاق صفوتها ...من الحرام و يبقى الإثم و العار

تعب السعداء مؤقت ينتهي بفراق هذه الحياة حين يجد الإنسان عند الموت من التثبيت والبشرى بحياة النعيم الدائم: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ). ثم الجزاء الأعظم حيث: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، و هناك تنسى المتاعب وتتلاشى المصاعب، وينقطع النصب والهم والحزن.

أما الأشقياء فهم على شقاوتهم وتعبهم في الدنيا، يجدون عند الموت من النذر والعلامات على شقاوتهم ما يجعلهم يموتون شرَّ ميتة، ثم يجدون في قبورهم وفي الآخرة من التعب والعناء أضعاف ما لاقوه في الدنيا.

و في الحديث: "يؤتى يوم القيامة بأشد أهل الدنيا بؤساً من أهل الجنة فيصبغ في النعيم صبغة، ثم يقال له: يا ابن آدم، هل رأيت شراً قط؟! هل مر بك بؤس قط؟! فيقول: لا والله يا رب، ما رأيت شراً قط، ولا مرّ بي شدة قط؟! ويؤتى بأشد أهل الدنيا نعيماً من أهل النار فيصبغ في العذاب صبغة، ثم يقال له: يا ابن آدم، هل رأيت خيراً قط؟! هل مر بك نعيم قط؟! فيقول: لا و الله يا رب، ما رأيت خيراً قط، و لا مر بي نعيم قط".

إن السعداء يدركون أن الحياة الدنيا مهما تطل فهي قصيرة، وأن عناء السعداء وتعبهم مهما اشتد فهو محتمل في سبيل الله ما دامت نهايته الموت وعاقبته الفوز والنعيم المقيم، ومن هنا فالسعداء يستقلون كل تعب لقوه في الدنيا في ذات الله حينما يجدون ثوابه و جزاءه: "لو أن رجلاً يجر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت هرماً في سبيل الله لحقره يوم القيامة".

تعب السعداء يصحبه من توفيق الله عز وجل وتيسيره ما ينسي الشقاء والعناء؛ فالسعداء تكفّل الله عزّ وجل بدفع كربتهم وإزالة غربتهم.

كم لاقى رسول الله من التعب والعناء في سبيل دعوته، فقيض الله له من ينصره ويؤازره، وكم لاقى دعاة الإسلام من العنت والنصب وكيد الخصوم فنصرهم الله وأيدهم بنصره، وإننا نجد في واقعنا أن كل تعب يبذله الإنسان في سبيل الله فإنه يلقى

جزاءه عاجلاً غير آجل، ويقيض الله للعامل من يعينه وينصره ويذهب عنه آثار الهمّ والتعب.

تعب السعداء يصحبه في هذه الدنيا لطف من الله عز وجل بأن يقيض لك من المؤمنين أو غيرهم من يكون لك عوناً على ما تلقاه من جهد و تعب، أما تعب الأشقياء فعناء مسلوب من التوفيق والنصر الإلهي، فإنّ الله عز وجل يسلط بعضهم على بعض، ويسلط عليهم من المؤمنين من يكون سبباً في شقائهم وعذابهم: (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ...).

أما الفرق الأكبر فهو ما يلقاه السعداء في قبورهم من النعيم، ثم يلقونه في الآخرة من السعادة والسرور وألوان اللذة مما لا يخطر على بال، وأعظم ذلك النظر إلى وجه الله عز وجل: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ).

أما الأشقياء الذين سخروا جهدهم وتعبهم في معصية ربهم، فإن عناءهم لا ينقضي و حسرتهم لا تنقطع، فهم محرومون من النعيم، و يقاسون من ألوان العذاب ما يقاسون حتى إنهم يطلبون أقل المطالب: (وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذَابِ). (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ).

هذا هو الفرق الأعظم: (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ) حينئذ تهون عند السعداء كل التضحيات، وتهون كل متاعب الدنيا مهما عظمت ما دامت نهايتها سعادة لا تنقضي ونعيماً لا يزول.

هذا هو الفرق بين السعداء الذين تعبوا في مرضاة ربهم وطاعته، فهم سعيدون في الدنيا بطاعة الله وبلذة المناجاة وبالأنس بقرب الله، سعيدون بما يلقون من الأذى في سبيل الله، وبما يجدون من التعب في طاعة الله، سعيدون بكل معاني السعادة، سعيدون عند الموت بالبشرى، سعيدون في قبورهم بما يلقون من النعيم، سعيدون عند البعث، سعداء بعد الحساب، و هذا هو جزاء المؤمنين الذين قرروا أن يقضوا حياتهم على وفق ما يرضي الله عز وجل وإن تعبوا ونصبوا وحرموا أنفسهم من اللذات.

أما الأشقياء فقد شقوا في الدنيا بالتعب في معصية الله، أشقياء في أجسامهم، في قلوبهم، أشقياء عند موتهم، في قبورهم، عند البعث، عند الحساب، وبعد الحساب: (جَزَاء وِفَاقاً). (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ).

هذا هو الفرق بين تعب السعداء وتعب الأشقياء، فإنّ الذي يكدح للأمر الجليل ليس كالذي يكدح للأمر الحقير، فليس مثله طمأنينة بال وارتياحاً للبذل واسترواحاً بالتضحية، فالذي يكدح وهو طليق من أثقال الطين أو للانطلاق من هذه الأثقال ليس كالذي يكدح ليغوص في الوحل ويلصق بالأرض. والذي يموت في سبيل دعوة ليس كالذي يموت في سبيل شهوة ونزوة: (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ).(فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ).

نسأل الله تعالى أن يسخرنا لطاعته وأن يستعملنا في مرضاته وأقول هذا القول، واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة السلام على من لا نبي بعده. أما بعد:

وثمة فرق حاسم بين تعب السعداء و تعب الأشقياء نلحظه من خلال قراءة التاريخ و مشاهدة الواقع.

تعب السعداء تحفه عناية الله وتوفيقه وبركاته، فالسعداء في معية الله، ومن كان الله معه كان التوفيق والتسديد يلاحقه.

انظر إلى أعمال الصالحين وميادين الخير ومجالات البر والإصلاح، قليل مقدارها، عظيمة آثارها.

يدخل الداعية إلى مدينة أو قرية فما يفارقها حتى يُخرجَ جماً من أهلها من الظلمات إلى النور رغم قلة إمكاناته و عف قدراته.

انظر إلى الحلقات القرآنية و لدور النسائية كم نفع الله بها؟! وكم خرّجت من حفظة و حافظات وصالحين و صالحات؟! رغم قصر عمرها، وقلّة مواردها، ورغم الحملة الجائرة عليها لتشويه سمعتها وتحجيم دورها.

انظر إلى جمعيات البر وهيئات الإغاثة ومستودعات البر؛ كم استفاد منها من بائس و كم تعفف بها من فقير وكم فرج بها من مكروب؟!.

انظر إلى جهود الدعاة في أدغال أفريقيا يسلم على أيديهم الآلاف بجهد قليل و مال يسير و زمن قصير؟!.

انظر إلى جهود المصلحين، كم استقام على أيديهم من منحرف؟! و كم صلح بجهودهم من فساد؟! رغم ضراوة الخصوم وشدة مكر الأعداء واشتداد الغرائز وهيجان الشهوات.

إنه تعب السعداء، تظهر آثاره وتتجلى ثماره في الوجود فيسعد به العاملون ويتحول العناء إلى هناء، ويصبح التعب لذة و حبوراً.

أما الأشقياء فيكدحون ويتعبون، (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ).

لقد كانت غايتهم من إنفاق أموالهم الصد عن سبيل الله، فسيخسرون أموالهم، ثم تصير نفقتهم ندامة عليهم، وكما قال ابن جرير؛ أموالهم تذهب و لا يظفرون بما يأملون ويطمعون فيه من إطفاء نور الله وإعلاء كلمة الكفر على كلمة الله، لأن الله معل كلمته وجاعل كلمة الكفر هي السفلى، ثم يغلبهم المؤمنون، ثم إلى جهنم يحشرون، فأعظم بها من حسرة وندامة لمن عاش منهم ومن هلك، أما الحي فخرُب ماله، وذهب باطلاً في غير نفع ورجع مغلوباً مقهوراً محروماً مسلوباً، وأما الهالك فقتل وسلب وعجل به إلى نار الله يخلد فيها.

تأمل حال الذين يحاربون الدعوة ويضعون العقبات لمواجهة الدعاة، ويقفون حجر عثرة أمام معالم الخير ومواطن الإصلاح ستجدهم من أتعس الناس وأكثرهم شقاوة.

ترى أحدهم يلهث ويلهث حتى لا تظهر للدعوة كلمة أو ترتفع لها راية، يسهر ليله و يشقي نهاره وينفق ماله في الكيد و المكر لعله ينجح في وأد كلمة خير أو يفلح في نشر رذيلة تبعد الناس عن حياض الفضيلة.

إن من الناس من يستغل كل إمكاناته العقلية وقدراته المالية في تزيين الباطل وتلميعه بشتى ألوان الزينة والإغراء، يريد إضلال الناس وتجهيلهم وإبعادهم عن الهدى، ومن ثَمّ فإن وجهه يتمعّر وجهه غضباً حينما يرى كلمة الحق قد أينعت وآتت

أكلها، فلا يهدأ له بال أو يطمئن له حال حتى يفسد تلك الثمار بكل تشنج واضطراب.

مساكين هؤلاء القوم فإن الحسرة تحيط بهم من كل مكان!.

مساكين هؤلاء القوم يظنون أنهم بكلمة عوراء، أو عصا غليظة، أو جحور مظلمة سوف يقضون على شجرة التوحيد، ويقطعون أغصان الفضيلة، وما دروا أن الله متم نوره و مظهر دينه، و ناصر أولياءه.

مساكين هؤلاء القوم الذين اغتروا بجبروتهم، وانتفشوا بغرورهم، و ما دروا أن الله يدافع عن الذين آمنوا، وأن الزبد يذهب جفاء وأن الباطل كان زهوقا.

ألا فليعلم دعاة التغريب وأرباب الشهوات وحملة راية الفساد أن تعبهم ستعقبه الحسرة، وأن سعيهم في تباب.

و بعد أيها المسلمون:

و بعد أن أدركنا فصل ما بين السعداء في تعبهم والأشقياء في نصبهم، من بعد هذا: (يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ).

أيها الإنسان إنك تقطع رحلة حياتك على الأرض كادحاً تحمل عبئك، وتجهد جهدك و تشق طريقك لتصل في النهاية إلى ربك بعد الكد و الكدح والجهاد.

أيها الإنسان:

إنك كادح حتى في متاعك، إن لم يكن جهد بدن و كد عمل فهو جهد تفكير وكد مشاعر، الواجد والمحروم سواء.

أيها الإنسان:

إنك لا تجد الراحة في الأرض أبداً، إنما الراحة هناك لمن يقوم لها بالطاعة والاستسلام، التعب واحد في الأرض، والكدح واحد، وإن اختلف لونه وطعمه، أما العاقبة فمختلفة عندما تصل إلى ربك، فواحدٌ إلى عناء دونه عناء الأرض، وواحد إلى نعيم يمسح عنه آلام الأرض فكأنه لم يكدح ولم يكدّ.

يا أيها الإنسان:

ألا فاختر لنفسك ما يليق بعقلك وإنسانيتك، اختر لنفسك الراحة من الكدح عندما تلقاه.

يا أيها الإنسان:

اجعل كدك وكدحك وتعبك فيما يرضي ربك لكي تحاسب حساباً يسيراً، وتنقلب إلى أهلك مسروراً.

و احذر أن تكون من الوجوه الخاشعة العاملة الناصبة التي تصلى ناراً حامية، والتي تدعوا ثبوراً، لأنها عملت لغير الله ونصبت في غير سبيل الله، ثم وجدت عاقبة العمل والتعب، وجدته في الدنيا شقوة لغير زاد، ووجدته في الآخرة سواداً يؤدي إلى العذاب.

اللهم اجعل سعينا في مرضاتك، و كدحنا موصلاً إلى جناتك.

اللهم صلي و سلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

==============

المرأة المسلمة والتحديات المعاصرة بين حديث القرآن والواقع (1- 3)

فإنّ هناك نماذج من التحديات التي تتعرض لها المجتمعات المسلمة في هذا العصر، وهناك أفكارٌ تُطرح وتمثّل تلوثاً فكرياً خطير الأثر على مجتمعات المسلمين، ذلك أن الإنسان مجهز لاستقبال المؤثرات من حوله والإنفعال بها والاستجابة لها، وكمّا أنّه مستعد بحسب تكوينه الذاتي للرقي والارتفاع، فإنه مستعد كذلك لأن ينحطّ إلى أدنى من دركات الحيوان البهيم، يقول الله تعالى فيمن حادوا عن طريق الهدى وتنكبوا الصراط المستقيم: (أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلّ). الأعراف 179.

ومن العوامل المؤثرة في ارتفاع أو هبوط الإنسان ما يتلقى من تربية، وما تشيع البيئة حوله من مؤثرات، وما يشتغل به، ويوجه عبره غرائزه.

ومن أخطر ما يواجهنا في هذا العصر هذه الملوثات الفكرية التي تشكّك في الدين، وتهز الثوابت، وتفسد الأخلاق، وتنشر الرذيلة عبر وسائل الاتصال في وقتنا الحاضر، والتي أُسئ استخدامها أيما إساءة.

وما الحديث عن قضية المرأة التي تثار هنا وهناك، والمطالبة بحريتها المزعومة ونفيها عن أسباب الصيانة إلا أحد الأبواب الواسعة لإشاعة الرذيلة في المجتمع.

المرأة أمام التحديات:

إنّ المرأة تمثّل ثغراً من ثغور الفضيلة؛ ففي حفظها حفظٌ للفضيلة، وصيانة للنشء، وفي إفسادها إفسادٌ وتضييعٌ للمجتمع.

وإن مما يؤسف له أن كثيراً من هذه الدعوات صار يحمل لواءها بعضُ أبناء المسلمين، وهذا نتيجة للغزو المبكر لبلاد المسلمين، والذي سعى منذ البداية إلى تخريج جيل بعيد عن الدين، قد أُشربَ الولاء للغرب وقيمه وأنماط حياته، وذلك عن طريق المدارس الأجنبية (التنصيرية) التي تفتح في بلاد المسلمين.

جاء في تقرير إحدى اللجان التابعة للمؤتمر التبشيري الذي عقد عام 1910م:

"إن معاهد التعليم الثانوية التي أسسها الأوروبيون كان لها تأثيراً على حل المسألة الشرقية يرجح على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول أوروبا كلها".

وفي هذه المدارس تخرجت أجيال من أبناء المسلمين أو بالأحرى من متعلميهم ومثقفيهم متأثرة بضرب هذا الغزو المنظم، متطلعة إلى الأفق الغربي تستلهمه الرشد وترى فيه النموذج والمثل الأعلى، وتتشرب في نهم أنماط حياته سلوكاً وفكراً، بلا فحص، ولا بصيرة، ولا رأي سديد" .

وإذا أضفنا إلى ذلك البعثات التي كانت تتقاطر على الدول الأوروبية من أبناء المسلمين الذين يستكملون تعليمهم العالي، كانت هذه نهاية المطاف في الإجهاز على بقايا الإسلام في نفوسهم وطباع الشرق وعاداته، حيث لا يرجعون في الغالب إلا وقد تأثروا بوجهة الغرب وفلسفته، وبذلك أصبحوا رصيداً في حساب أعداء الإسلام بالسلوك والتربية والعادات الجديدة.

وقاسم أمين يُعدُّ واحداً من رواد تحرير المرأة في مصر، وهو نموذج لهذا الغزو، يقول د. عبدالستار فتح الله: "قاسم أمين كان نموذجاً لما يمكن للغزو الفكري وللتعليم الأجنبي أن يفعلاه في النفوس من خلع ولائها لأصلها، وفصل مشاعرها عن ظروف أمتها".

والتعليم كان أحد أخطر ميادين الغزو الفكري وأعمقها أثراً، إلا أن ميادين الغزو الفكري تعددت بأسلحته المتنوعة: "الفكرة والكلمة، والرأي والحيلة، والشبهات والنظريات، وخلابة المنطق، وبراعة العرض، وشدة الجدل، ولدادة الخصومة، وتحريف الكلام عن مواضعه" والقصة والصورة والقيم.

ولقد كان لهذا الغزو من الآثار السيئة في زعزعة المسلمين عن دينهم ما لم يستطعه الغزو العسكري على مدى قرون عديدة. وقال سبحانه: (وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ).البقرة 217 .

ومعنى الفتنة في الآية على ما نقل القرطبي عن الجمهور: "فتنة المسلمين عن دينهم حتى يهلكوا". "وكان المشركون يفتنون المسلمين عن دينهم بإلقاء الشبهات وبما علم من الإيذاء والتعذيب" .

ولهذا عقّب تعالى على هذا بقاعدة تمثل قانوناً من قوانين الصراع بين الإسلام والجاهلية على مر العصور فقال تعالى: (وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا).البقرة217.

والقتال المذكور هنا عام يراد به ما وقع فعلاً من أساليب المشركين في محاولة صد المسلمين عن دينهم بالتعذيب والإيذاء أو التضييق عليهم في أرزاقهم أو تشريدهم في البلاد أو ضربهم بالشبهات وأنواع التشكيك، وما هو محقّق الوقوع في الغد القريب من الحرب المسلحة التي شنها المشركون على المسلمين بعد نزول الآيات، ثم ما يشابه ذلك ويشاكله إلى يوم القيامة .

فهذه التحديات التي يُجابه بها المسلمون في هذا العصر طرف من المعركة التي تركت آثار في بلاد المسلمين.

بعض آثار التحديات التي تواجه المرأة المسلمة:

وسأقف هنا مع بعض الآثار البارزة لتلك التحديات:

1- فقدان الهوية:

لكل أمة شخصيتها المميزة التي تتفرد بها عن غيرها، وهذه الشخصية تنبع من العقيدة التي تدين بها الأمة وما يتبع ذلك من خلق ومنهج وسلوك. وكل أمة واعية تحرص على هذا التفرد، وتنأى بنفسها عن أن تكون عرضة لفقد عناصر تميزها، وأن تصير تابعاً ذليلاً لغيرها.

والغزو الفكري وعملية التغريب هدفها أن تستسلم الأمة المسلمة للثقافة والحضارة الغربية، فتذوب الشخصية المسلمة وتقبل الفناء والتلاشي في بوتقة أعدائها "بحيث لا ترى إلا بالمنظور الغربي، ولا تعجب إلا بما يعجب به الغرب، ولا تعتنق من الأفكار

والمناهج إلا ما هو مستورد من الغرب، وتبتعد عن قيمها وعقائدها وأخلاقها المستمدة من شريعة الإسلام وتتنق هذه الديانة الجديد التغريبية" .

والناظر إلى حال المجتمعات المسلمة يجد وللأسف أن عملية التغريب والغزو الفكري الموجه إلى المجتمعات المسلمة نجحت إلى حد بعيد في محو ملامح تلك الشخصية والعبث بمقوماتها.

والناظر في حال المرأة المسلمة – خاصة – مربية الأجيال وحصن الفضيلة يروعه "فقدان المرأة المسلمة لهويتها الإسلامية وتمييز شخصيتها، وسحب قدر كبير من انتمائها لدينها" . حتى ضمر الفارق في الاهتمامات والممارسات في كثير من بلاد المسلمين بين المرأة المسلمة والمرأة الغربية . ولو أردنا أن نعقد مقارنة بين الملامح البارزة لشخصية المرأة المسلمة في ضوء الضوابط الشرعية، وبين ما آل إليه حال المرأة المسلمة في كثير من بلاد المسلمين لهالنا الفرق وبعد الشقة بين المثال والواقع.

فشعار المرأة المسلمة الظاهر هو الحجاب بالصفة التي حددها الشرع، يقول الله تعالى: (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ). النور 31.

وهذا أمر من الله لنساء المؤمنين أن يلقين بالخمار إلقاءاً محكماً على المواضع المكشوفة؛ وهي الرأس والوجه والعنق والنحر والصدر، خلافاً لما كان عليه نساء الجاهلية من سدل الخمار من ورائها وتكشف ما هو قدامها.

ونهاها تعالى – لكمال الاستتار – عن الضرب بالارجل حتى لا يصوّت ما عليها من حلى فتعلم زينتاه بذلك فيكون سبباً للفتنة بها. قال تعالى: (وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنّ). النور: 31. ونهاها الله تعالى عن التبرج فقال سبحانه: (وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى).الأحزاب 33.

والتبرج يكون بعدة أمور:

- يكون التبرج بخلع الحجاب، وإظهار المرأة شيئاً من بدنها أمام الرجال الأجانب عنها.
- ويكون التبرج بأن تبدي المرأة شيئاً من زينتها المكتسبة.
- ويكون التبرج بتثنّى المرأة في مشيتها وتبخترها وترفّلها وتكسّرها أمام الرجال.

• ويكون التبرج بالخضوع بالقول والملاينة بالكلام.

• ويكون التبرج بالاختلاط بالرجال وملامسة أبدانهن أبدان الرجال، بالمصافحة والتزاحم في المراكب والممرات الضيقة ونحوها .

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الخلوة والسفر بغير محرم: "لا يخلونّ أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم" . "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم لها" .

فما نصيب المرأة المسلمة من هذه الضوابط التي أوجبها الله تعالى عليها؟!.

إن أكثر النساء المسلمات بعيدات كل البعد عما شرع الله تعالى وأوجب عليهن.

لقد صارت المرأة تخرج في كثير من بلاد المسلمين حاسرة الرأس، مكشوفة الصدر والساقين، متزينة متعطرة متبرجة، تخالط الرجال، وتزاحمهم في كل مكان وميدان.

بل قد بلغ ببعضهن النأي عن أوامر الله سبحانه والإمعان في تقليد المرأة الغربية الكافرة إلى حدّ العري على الشواطئ بلا حياء، والأعتى من ذلك والأمرُّ أن بعض النساء تفخر بهذه التبعية والانسلاخ عن أوامر الله وتعدّه تقدماً ومدنية، تقول إحداهن – وهي فتاة تركية – في بعض الموانئ الإنجليزية: "إننا نعيش اليوم مثل نساءكم الإنجليزيات، نلبس أحدث الأزياء الأوروبية، ونرقص وندخن ونسافر ونتنقل بغير أزواجنا".

ومن لم تصل إلى هذه الدرجة ولا يزال المكر بها في أول الطريق فقد تدخلت الموضة في عباءتها وحجابها حتى أفقدتها غايتها من الستر والحشمة "وأصبحت العباءة رمز لإبداء الزينة وإظهار الفتنة وإبراز المفاتن والمحاسن. فهناك تفنن في إدخال بعض النقوش والزخارف والتطريزات، وهناك شفافية في نوع القماش وظهور ألوان متعددة على جوانب العباءة وأطرافها، وهكذا أصبحت العباءة رمزاً للموضة والفتنة" . وهذا التدرج في الإخلال بشروط الحجاب طريق إلى نزع الحجاب كما حدث في كثير من بلاد المسلمين، حتى انسلخت المرأة عن دينها وفقدت هويتها الإسلامية.

سئل حذيفة رضي اله عنه: "في يوم واحد تركت بنو إسرائيل دينهم؟! قال: لا، ولكنهم كانوا إذا أمروا بشيء تركوه، وإذا نهوا عن شيء ركبوه حتى انسلخوا عن دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه).

==============

حرب العقائد والدرس المستفاد

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، له العزة والكبرياء، يحكم مايشاء ويختار، والذين يمارون في عزته أو يتشككون في قدرته أولئك هم الحاسرون.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يديل أمما من الناس على أمم تارة، وقد تكون هذه الإدالة بداية النهاية.ويمتحن آخرين فيسلط عليهم أعداءهم، وقد يجعل الله في ثنايا المحن منحا إلهية، وقد يكون بداية النصير المؤزر على إثر الهزيمة الساحقة.وأشهد أن محمدا عبده ورسوله جاهد في الله حق جهاده وناله وأصحابه من ألوان الأذى من أعدائه مالم يستكينوا معه أو ييأسوا ومازالوا يتضرعون حتى كان النصر والفتح المبين... اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطاهرين وارض اللهم عن الصحابة أجمعين وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا.اتقوا الله معاشر المسلمين، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم، فأصبحتم بنعمته إخوانا { يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا } .إخوة الإسلام : المتتبع لتاريخ العلاقات مابين الغرب وشعوب الإسلام يلاحظ حقدا مريرا يملأ صدور الغرب حتى درجة الجنون، يصاحب هذا الحقد خوف رهيب من الإسلام والمسلمين. وهذا الحقد وذلك الخوف! ليس مجرد إحساس نفسي لا ظل له ولا أثر في الوجود، وإنما من أهم العوامل التي تبني وتبلور عليها مواقف الحضارة الغربية من الشعوب المسلمة سياسيا واقتصاديا وإعلاميا وسائر جوانب الحياة ا لأخرى.

ولم تعد هذه المقولة مجازفة يطلقها المسلمون... 4، كلا والواقع ينطق والحقائق تشهد، والستار الوهمي يزاح، وكما شهدت أرض البوسنة والهرسك اليوم أبشع جريمة،

وأسوأ كارثة في التاريخ المعاصر.. سفكت فيها دماء الأبرياء، أغتصبت النساء، وفصل بين الأبناء والآباء، مات الألأف من الأطفال وحيل بينهم وبين الرضاع.. ولم تنتهي الكارثة رغم سوئها عند هذا الحد فالهوية المسلمة يراد طمسها.. والأرض الخاصة لابد من تقسيمها والملأ يأتمرون ويخططون والسادة يباركون، والمنظمات والهيئات الدولية تحمي وتشرف على المخطط الآثم وتضطلع بمسؤوليتها في الجريمة النكراء، ويلف الصمت أمما أو دولا أخرى لها نصيبها في المغنم أو يكفيها أن يوأد الإسلام المتململ، وتنهى- ولو إلى حين- هذه الصحوة الإسلامية المتجددة.ودونك مذابح المسلمين في الشيشان والطاجيك، وبورما، وتايلند، وكشمير، والفلبين، وفلسطين والعراق وغيرها. وكأن من بنود النظام العالمي الجديد السماح لأي دولة تريد الاستقلال وتقرير حق المصير، أما الإسلام وأما المسلمون فيستثنون من هذه القاعدة ولابد من اضطهادهم والتضييق عليهم وعدم تمكينهم.إنها حرب العقائد بكل ما تحمله الكلمة من معاني ومضامين، وممارسة الاستعمار، ولكن بثوب جديد، وميدان المعركة خير دليل على كشف المؤامرة، وبيان هوية المقاتلين، والتصريحات بعدم السماح لدولة ترفع شعار الإسلام في أوربا لم تعد خافية، والجهود لمحاصر؟ هذه النبتة الإسلامية مسؤولية مشتركة حتى ولو كانوا من بني جلدتهم.أيها المؤمنون وإن من السذاجة والتغفيل أن نتصور حرب العقائد وليدة اليوم، وأن عدواة الغرب لنا معاشر المسلمين نبتت هذه الأيام. كلا.. فالتخطيط قديم، والنية للعداء مبيتة، والتصريحات قديمة وإن رغمت أنوف المخدوعين، وهاكم البينة وإليكم الدليل، يقول (أيو جين روستو) رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية... ومستشار الرئيس جونسن لشؤون الشرق الأوسط حتى عام 1967 م: (يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية، لقد كان الصراع محتدما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة.. إلى أن يقول: إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي، فلسفته، وعقيدته، ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي ولاتستطيع أمريكا إلا أن تقف

هـذا الموقـف فـي الصـف المعـادي للإسـلام وإلـى جانـب العـالم الغربـي والدولـة الصـهيونية، لأنهـا إن فعلـت عكـس ذلـك فإنهـا تتنكـر للغتهـا وفلسـفتها وثقافتهـا ومؤسساتها). فهل بعد هذا من صراحة؟ .إذا كانت هذه سياسة أمريكا فقبلها أوربا وقد قال مسؤول في وزارة الخارجية الفرنسية عام 1952 م- وليت المسلمين يعون ما يقوله الآخرون عنهتم. يقول هذا المسؤول: ليست الشيوعية خطرا على أوربا فيما يبدو لي، إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديدا مباشرا وعنيفا هو الخطر الإسلامي. فالمسلمون عالم مستقل كل الإستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الخاص بهم، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة، فهم جديرون أن يقيموا قواعد عالم جديد دون حاجـة إلـى إذابـة شخصـيتهم الحضـارية والروحيـة فـي الحضـارة الغربيـة، فـإذا تهيأت لهم أسباب الإنتاج الصناعي في نطاقه الواسع- هكذا يقول الكاتب من وجهة نظره المادية، وإلا فهناك أسباب أخرى لانطلاقة المسلمين الكبرى- انطلقوا في العالم يحملون تراثهم الحضاري الثمين، وانتشروا في الأرض يزيلون منها قواعد الحضارة الغربية، ويقذفون برسالتها إلى متاحف التاريخ... إلى أن يقول الكاتب: إن العالم الإسلامي عملاق مقيد، عملاق لم يكتشف نفسه حتى الآن اكتشافا تاما، فهو حائر، وهو قلق، وهو كارة لانحطاطه وتخلفه، وراغب رغبة يخالطها الكسل والفوضى في مستقبل أحسن وحرية أوفر... إلى آخر ماقال .إخوة الإسلام هذه التصريحات الجلية بالعداوة من جانب، وبالتخوف من الإسلام القادم من جانب آخر إذا انضم إليها الواقع المشهود بتآمر الغرب ووحشيته وتآمره على الإسلام والمسلمين في أرض البوسنة والهرسك مثلا باتت سهاما موجعة وضربة قاصمة للعلمانيين في ديار المسلمين أولئك الذين ما فتأوا ينافحون عن الغرب ومؤسساته ويوهمون أمتهم أن الدول المتحضرة لم تغد تقيم للدين وزنا في سياستها وبرامج تخطيطها، وينبغي- حسب نظرتهم الهزيلة- أن يبقى الدين علاقة شخصية بين الفرد وخالقه، لاعلاقة له بتنظيم أمور الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية وا لاعلامية وسواها. أجل لقد واتت الفرصة لكل مخدوع بشعار العلمنة والتغريب أن يكشف القناع عن عينيه، وأن يسمح لأذنيه بسماع مالم يكن يسمح به من قبل، وستتكشف له الحقائق دون غموض، وهذه راعية العلمنة ومصدرة أفكارها تؤوب إلى ديانتها وإن كانت محرفة،

وتتخذ من الدين والمعتقد منطلقا أساسيا لسياستها، وتبقي العلمنة شعارا أجوف تخدع به المساكين، وتصدره بضاعة مزجاة لمن لازال في قلبه مرض من
أبناء المسلمين، وإذا سقطت العلمانية وأفلس العلمانيون في ديار الغرب، فلا تسأل عن مصيرها في ديار المسلمين، وربك يحكم مايشاء ويختار، فبالأمس سقطت الشيوعية الشرقية وأذنابها داخل يحميها، واليوم تتهاوى العلمانية الغربية ومؤلسساتها وغدا وبعد غد ستتهاوى بإذن الله كل نحلة ضالة، وسينفضح كل نظام مزور مهما خدع الأبصار برهة من الزمن. ويبقى دين الإسلام دين الله في الأرض منسجما مع نظام الكون كله، ويبقى المسلمون يسبحون بحمد ربهم، ويشاركون غيرهم من مخلوقات الله تسبيحهم. ووعد الله حق، ولكن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وانصتوا لعلكم ترحمون لقوله تعالى {إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور، أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله... ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور} .نفعني الله وإياكم بهدي القرآن، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين أحمده تعالى وأشكره ولايحمد على مكروه سواه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد أيها المسلمون فطالما تحدث الغرب ومؤسساته وأذنابه عن الأصولية الإسلامية وعن تطرف المسلمين وتعصبهم وخطرهم، وهاهي الأحداث تكشف بجلاء أين مكمن التطرف وأين يكون العداء، فالغرب لايكتفي برفع شعار الدين راية لحروبهم ومساعداتهم، ولا ينتهي عند حد الدفاع عن الصليب مقابل الهلال، بل- ولفرط تطرفهم- يصرون على الدفاع عن مذاهب النصرانية المتنافرة، ويتفقون على اقتسام الغنيمة بين فصائل الكاثوليك

والبروتستانت، والأرثوذكس، ففي الوقت ا لذي تساند (المانيا) وأوربا ا لكاثوليكية (الكروات) يبقى (الصرب) في حماية من روسيا واليابان وبقية الدول التي لاتدين بالكاثوليكية. فهل بعد هذا التطرف من تطرف، وحروب اليوم تذكرنا بالحروب الصليبية السابقة فأين المعجبون بالغرب والمروجون لشعاراته الوهمية من الديمقراطية والحرية والعدالة. وحقوق الإنسان أتراهم اليوم يعيدون حساباتهم، ويعلنون انخداعهم فيما مضى، فينصحون لأنفسهم، ويصدقون مع أمتهم، أم تراهم يراوغون ويخادعون ولاتزال عقدة الشعور بالنقص تصاحبهم، والفتنة بالفكر المستورد تطاردهم.

أيها الإخوة المؤمنون وبرغم فداحة ماتسمعون من جرائم تقشعر لهولها الأبدان من أمم الكفر على شعوب الإسلام فالحقيقة الغائبة أكبر، والمخطط أعتى وأقسى، وكل يوم تكشف لنا حقائق وإحصاءات لم تتكشف بالأمس، لن يكون آخرها اكتشاف قبور جماعية لمايقرب من ثلاثة آلاف مسلم ومسلمة من شعب البوسنة ردموا فيها بالجرافات في الأحداث المؤلمة الأخيرة، وأمثال هذه الأحداث تؤكد لنا استمرار العداوة بين المسلمين وأهل الكتاب التي أخبرنا عنها ربنا بقوله {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم... }، وتذكرنا بعدم اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، كما قال تعالى {يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق }.. إلى قوله تعالى {وودوا لو تكفرون }.أمة الإسلام.. ومع الصمت والتخاذل والقعود عن نصرة المسلمين المستضعفين فلن تقف العداوة عند هذا الحد. فالهدف اقتلاع الإسلام من جذوره، والمخطط يشمل المسلمين كلهم، وما أجمل ماقيل (فبعد أن ينجز الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس مهمتهم في أوربا لابد وأن يتطلعوا عبر البحر الأبيض المتوسط صوب أراضي المسلمين ليكملوا مايقوم به اليهود) .فهل نعي حقيقة المؤامرة وحجمها، وهل نتخذ من أساليب الوقاية وأسبابها مانحفظ به على أنفسنا وعقيدتنا ولكن هل نتجاوز مجرد الحديث إلى ما بعده من دروس وعبر، وهل نتجاوز مرحلة البكاء والعويل إلى مرحلة الجد والاستعداد للمستقبل القريب، فنتعاون جميعا وبكل ما أوتينا من قوة للوقوف صفا واحدا في وجه العدو الحقيقي لنا، هل نتجاوز الخلافات الوهمية التي يصنعها المغرضون، هل نتجاوز الحدود المرسومة من قبل المستعمرين

لتقطيع أوصال الأمة وإشغالها عن قضاياها المهمة والمصيرية، هل نعود عودة صادقة لكتاب ربنا وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وكتابنا أصدق الكتب المنزلة، ونبينا خاتم المرسلين، في وقت عاد فيه الآخرون إلى كتبهم المحرفة ودياناتهم المنسوخة؟ هل نحافظ على طاقاتنا؟. إن عالم اليوم لامكان فيه لمن يعيش بدون هوية، وإذ تشبث اليهودي والنصراني والبوذي وسواهم بعقائدهم أفيليق بنا معاشر المسلمين أن نعيش هملا نقتات على موائد الآخرين، ونستطعم منهم وكأننا حفنة من المساكين... أين العزة بالإسلام..، أين الغيرة للقرآن وأين نضع خيريتنا وشهادتنا على الأمم بنص القرآن{كنتم خير أمة أخرجت للناس} {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس..} .أن من واجبنا أن ندعم كل مبادرة خيرة صادقة للتضامن مع شعب البوسنة والهرسك، على أن لايتوقف هذا الدعم، وذلك التضامن حتى ينتصر المضطهدون، ويفضح المعتدون، وأن يشمل هذا الدعم والمساندة بقية المسلمين المضطهدين في أنحاء الأرض. إن على وسائل الإعلام بقنواتها المختلفة وفي عالمنا الإسلامي كله، مسؤولية توعية الشعوب بحقيقة المؤامرة، وشراسة الهجمة، والهدف من وراء اللعبة، ولاينبغي أن نقل مصداقية إعلام عن إعلام الغرب حين يشوهون صورتنا ونحن المسلمون المضطهدون ويلهبون مشاعر شعوبهم ضدنا وهم الكفرة المعتدون؟. ومع ذلك كله فينبغي أن لانقف عن حدود التوعية المبرمجة لقضايانا مع أهميتها، ولانكتفي بمجرد المساندة المالية للمضطهدين مع مسيس الحاجة إليها، بل لابد من التفكير بربط علاقات ثقافية مع الشعوب المسلمة يحكمها الإسلام، ولابد من إقامة علاقات اقتصادية مع الشعوب المسلمة لايكون الربح المادي هدفها، بل تهدف إلى إيجاد فرص اقتصادية يستغني بها المسلمون عن استجداء الآخرين. ولابد من تعاون عسكري جاد في محيط الأمة المسلمة، تتقلل منه في البداية عن معونات الأمم الأخرى وتستغني به مستقبلا عن أي صفقة أخرى لاتعطى حتى تؤخذ تنازلات تقايضها، أو تعطى صراحة لفتة وتحرم أخرى كما يجري اليوم مع المسلمين البوسنة و الصرب النصارى.وحين نصدق مع ربنا، ونتمثل إسلامنا فلن يضرنا كيد الكائدين {إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم

رويدا } ولن يستطيعوا إطفاء نور الإسلام {يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون} . والله غالب على أمره.

=============

الحب في الله والبغض في الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد .

فإن الحب في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان ، وتحقيقه في واقعنا هو المقياس الشرعي السديد تجاه الناس بشتى أنواعهم ، والحب في الله والبغض في الله هو الحصن الحصين لعقائد المسلمين وأخلاقهم أمام تيارات التذويب والمسخ كزمالة الأديان والنظام العالمي الجديد والعولمة ونحوها .

ومسائل هذا الموضوع كثيرة ومتعددة ، وقد عُني العلماء قديماً وحديثاً بتحريرها وتقريرها ، لكن ثمت مسائل مهمة – في نظري – تحتاج إلى مزيد بحث وتحقيق وإظهار .

منها : أن الحبّ في الله تعالى والبغض في الله متفرع عن حب الله تعالى ، فهو من لوازمه ومقتضياته ، فلا يمكن أن يتحقق هذا الأصل إلا بتحقيق عبادة الله تعالى وحبّه ، فكلما ازداد الشخص عبادة لله تعالى وحده ازداد تحقيقاً للحبّ في الله ، والبغض في الله ، كما هو ظاهر في قصة الخليل إبراهيم عليه السلام ، وهو أظهر في سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

ومنها: أن الحبّ في الله والبغض في الله له لوازم ومقتضيات ، فلازم الحب في الله : الولاء ، ولازم البغض في الله : البراء ، فالحب والبغض أمر باطن في القلب ، والولاء والبراء أمر ظاهر كالنصح للمسلمين ونصرتهم والذب عنهم ومواساتهم ، والهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ، وترك التشبه بالكفار ، ومخالفتهم ، وعدم الركون والثقة بهم ، فإذا انتفى اللازم – الولاء والبراء – انتفى الملزوم – الحب

والبغض – هذا التلازم بين الحب والبغض ، وبين الولاء والبراء يتسق مع التلازم بين الظاهر والباطن في الإيمان .

ومنها : أن الحب في الله والبغض في الله من أعظم أسباب إظهار دين الإسلام ، وكف أذى المشركين ، بل إن تحقيقه سبب في إسلام الكافرين ، وهاك بعض الأحداث التي تقرر ذلك ، فقد ساق شيخ الإسلام ابن تيمية جملة مما ذكره الواقدي في معازيه وغيره .

فمن ذلك أن اليهود خافت وذلت من يوم قتل رئيسهم كعب بن الأشراف على يد محمد بن مسلمة – رضي الله عنه – [1]

ويقول شيخ الإسلام : (وكان عدد من المشركين يكفون عن أشياء مما يؤذي المسلمين خشية هجاء حسان بن ثابت ، حتى إن كعب بن الأشراف لما ذهب إلى مكة كان كلما نزل عند أهل بيت هجاهم حسان بقصيدة ، فيخرجونه من عندهم ، حتى لم يبق بمكة من يؤويه) [2]

ولما قتل مُحيَّصة – رضي الله عنه – ذلك اليهودي فزجره أخوه حويصة ، قال مُحيَّصة : (والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربتُ عنقك فقال حويصة : والله إن ديناً بلغ منك هذا لعَجَبُ ن ثم أسلم حويصة) [3]

ولعل هذه الرسالة المختصرة تحقق شيئاً من هذا الأصل الكبير عموماً ، وتظهر جملة من المسائل المذكورة خصوصاً ، وبالله التوفيق .

المبحث الأول

أهمية الموضوع

قال المصطفى– صلى الله عليه وسلم– : ((أوثق عرى الإيمان : الحب في الله والبغض في الله)) وفي حديث آخر قال– صلى الله عليه وسلم– : ((من أحق في الله وأبغض في الله وأعطى لله ومنع لله ؛ فقد استكمل الإيمان)) [4] إذاً الحب في الله والبغض في الله ليس إيماناً فحسب ، بل هو آكد وأوثق عُرى الإيمان ، فحري بنا أن نحرص على هذا الأمر .

كان– صلى الله عليه وسلم– يبايع على هذا الأمر العظيم ، فقد جاء عن جرير بن عبد الله البجلي– رضي الله عنه– أنه قال : أتيت النبي– صلى الله عليه وسلم– وهو

يبايع فقلت : يا رسول الله ، أبسط يدك حتى أبايعك ، واشترط عليّ وأنت أعلم . فقال : ((أبايعك على أن تعبد الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتُناصح المسلمين ، وتفارق المشركين)) [5] .

هذا هو الشاهد ، فهو- صلى الله عليه وسلم- بايع جرير بن عبد الله على أن يناصح المسلمين وهذا هو الحب في الله ، ويفارق المشركين وهذا هو البغض في الله , تفارق المشركين بقلبك وقالبك . بقلبك بأن تبغضهم وتعاديهم كما سيأتي مفصلاً إن شاء الله ، وتفارقهم بجسدك كما سيأتي الإشارة إلى الهجرة وهي الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام إذا لم يكن الشخص مستطيعاً أن يظهر دينه في بلاد الكفر وكان قادراً على الهجرة ؛ فإذا اجتمع الأمران تعيّن عليه الهجرة والانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام .

جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- لما سأل الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن آيات الإسلام ، فقال الرسول- صلى الله عليه وسلم- : ((أن تقول أسلمت وجهي لله عز وجل وتخليت، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ثم قال : " كل مسلم على مسلم حرام أخوان نصيران ، لا يقبل الله عز وجل من مشرك بعد ما أسلم عملاً أو يفارق المشركين إلى المسلمين)) [6]

فتأمل رحمك الله كيف أنه صلى الله عليه جعل ذلك شرطاً في قبول العمل ، ولا شك أن هذا مقتضٍ البغض في الله لأعداء الله عز وجل من الكافرين والمرتدين . قال شيخ العلامة سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله عليهم- : (فهل يتم الدين أو يقام علمُ الجهاد أو علمُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله والبغض في الله ، والمعاداة في الله والموالاة في الله ، ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة ومحبة من غيرعداوة ولا بغضاء لم يكن فرقاناً بين الحق والباطل ، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) [7]

الحب في الله والبغض في الله من مكملات حب الله عز وجل وحب الرسول صلى الله عليه وسلم فإن حب الله وحب الرسول من أعظم الفرائض والواجبات وآكدها ، وفي المقابل فإن بغض رسوله أو بغض شيء مما جاء عن الله أو صحّ عن رسول الله فهو من أنواع الردة والخروج عن الملة .

الناظر إلى واقع المسلمين الآن يجد أنهم قد ضيّعوا هذا الأصل ، فربما كان الحب من أجل شهوات فيتحابون من أجل المال ، ويتباغضون من أجل المال ، ويتحابون من أجل القبيلة والعشيرة ويتباغضون من أجلها ، فإذا كان الشخص من قبيلتهم أحبوه ولو كان كافراً ولو كان تاركاً للصلاة مثلاً ، والشخص يبغضونه إن لم يكن منهم أو من عشيرتهم ولو كان أفضل الناس صلاحاً و تقي ، وربما حصل الحب من أجل وطن أو من أجل قومية ، وكل ذلك لا يجدي على أهله شيئاً ، ولا تنفع هذه الصلاة وتلك المودات ؛ فلا يُبتغى بها وجه الله ولا قيمة لها عند الله .
وقد أشار إلى هذا ابن عباس حبر هذه الأمة وترجمان القرآن فيما معناه : [" من أحب في الله وأبغض في الله ، ووالى في الله وعادى في الله ؛ فإنما تُنال ولاية الله بذلك "] أي إذا أردت أن تكون ولياً من أولياء الله عليك بهذا الأمر .
ثم قال ابن عباس : [" ولن تجد أحدٌ طعمَ الإيمان إلا بذلك ، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس لأجل الدنيا ، وذلك لا يُجدي على أهله شيئاً "] وصدق- رضي الله عنه- ،فهذا في كتاب الله عز وجل ، قال تعالى : ((إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ)) (البقرة:166) .

قال ابن عباس ومجاهد : (المراد بالأسباب هنا : المودات والصلات التي ليست لأجل الله تعالى) ز
لماذا ؟ لأن الحب في الله والبغض في الله يراد به وجه الله ،والله تعالى هو الباقي سبحانه الدائم ، فلهذا ما كان لله يبقى ، أما ما لم يكن لله فهو يضمحل، فالشخص الذي يحب آخر من أجل الدنيا هذه الرابطة تنتهي وتفني وتتقطع وتجد أن هؤلاء يتعادون .
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- : (والناس إذا تعاونوا على الإثم والعدوان أبغض بعضهم بعضاً، وإن كانوا فعلوا بتراضيهم).
قال طاووس : (ما اجتمع رجلان على غير ذات الله إلاَّ تفرقا عن تقال، إلى أن قال : فالمخالة إذا كانت على غير مصلحة الاثنين كانت عاقبتها عداوة ، وإنما تكون على مصلحتها إذا كانت في ذات الله) [8] .

وهذا واقع ؛ فنجد الذين يجتمعون على شر أو فساد – مثلاً – سرعان ما يتعادون وربما فضح بعضهم الآخر .

قال أبو الوفاء بن عقيل (513هـ) رحمه الله : (إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك ، وإنما انظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة) .

ثم قال رحمه الله : (عاش ابن الراوندي والمعري عليهم لعائن الله ينظمون وينثرون كفراً ، عاشوا سنين وعُظمت قبورهم واشتريت تصانيفهم ، وهذا يدل على برودة الدين في القلب) .

والآن أيها الإخوة تجدون كثيراً من المجلات والصحف والمؤلفات الساقطة التي تحارب دين الله عز وجل ؛ ومع ذلك ترى الكثير من أهل الصلاة قد انكبوا على شرائها أو الاشتراك فيها .

نحن في زمان حصل فيه تلبيس وقلب للمفاهيم ؛ فتجد بعض الناس إذا تحدث عن الحب في الله والبغض في الله قال : هذا يؤدي إلى نفرة الناس ، يؤدي إلى كراهية الناس لدين الله عز وجل .

وهذا الفهم مصيبة ، فالناس يقون في المداهنة والتنازلات في دين الله عز وجل باسم السماحة ، ولا شك أن هذا من التلبيس، فالحب في الله والبغض في الله ينبغي أن يتحقق ، وينبغي أن يكون ظاهراً ؛ لأن هذا أمر فرضه الله علينا ، ولهذا يقول ابن القيم– رحمه الله– عن مكائد النفس الأمارة بالسوء : [" إنَّ النفس الأمارة بالسوء تُرى صاحبها صورة الصدق وجهاد من خرج عن دينه وأمره في قالب الانتصاب لعداوة الخلق وأذاهم وحربهم ، وأنه يعرض نفسه للبلاء ما لا يطيق ، وأنه يصير غرضاً لسهام الطاعنين وأمثال ذلك من الشبه "] [9]

فبعض الناس يقول : لو أحببنا هذا الشخص في الله وأبغضنا فلاناً الكافر أو المرتد لأدّى هذا إلى العداوة وإلى أنه يناصبنا العداء . وهذا من مكائد الشيطان ، فعلى الإنسان أن يحقق ما أمر الله به وهو سبحانه يتولى عباده بحفظه كما قال تعالى : ((أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ))

(الزمر:36) وقال عز وجل : ((وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً)) (الطلاق:3) .

المبحث الثاني

معنى الحب في الله والبغض في الله

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه (قاعدة في المحبة) : (أصل الموالاة هي المحبة كما أن أصل المعادة البغض ، فإنَّ التحاب يوجب التقارب والاتفاق ، والتباغض يوجب التباعد والاختلاف) [10]

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن- رحمة الله عليهم- : (أصل الموالاة : الحب ، وأصل المعاداة : البغض ، وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة ؛ كالنصرة والأنس والمعاونة وكالجهاد والهجرة ونحو ذلك من الأعمال) [11] .

وسئل الإمام أحمد- رحمه الله- عن الحب في الله ، فقال : (ألا تُحبه لطمع في ديناه) [12]

فمن خلال أقوال هؤلاء الأئمة ونحوهم يتبيّن لنا أن الحب والبغض أمر قلبي ، فالحب محله القلب ، والبغض محله القلب، لكن لا بد لهذا العمل القلبي أن يظهر على الجوارح ، فلا يأتي شخصٌ يقول : أنا أبغض فلاناً في الله ثم تجد الأنس والانبساط والزيارة والنصرة والتأييد لمن أبغضه في الله ! فأين البغض في الله . ... فلا بد أن يظهر على الجوارح ، فلو أبغضنا مثلاً أعداء الله من النصارى ومن اليهود فهذا البغض محلهُ القلب لكن يظهر على الجوارح من عدم بدئهم بالسلام – مثلاً – كما قال- صلى الله عليه وسلم- : ((لا تبدءوا اليهود والنصارى باليهود بالسلام)) أو من خلال عدم المشاركة في أعيادهم ؛ لأن هذه المشاركة من التعاون على الإثم والعدوان ، والله يقول : ((وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ)) (المائدة: من الآية2)

وكذلك الحب في الله ، فإذا أحببنا عباد الله الصالحين وأحببنا الأنبياء والصحابة وغيرهم من أولياء الله تعالى ، فهذا الحب في القلب لكن له لوازم وله مقتضيات تظهر على اللسان وعلى الجوارح ، فإذا أحببنا أهل الإسلام أفشينا السلام كما قال عليه الصلاة والسلام : ((ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام

بينكم)) كذلك النصيحة فعند ما أرى أخاً لي من أهل الإسلام يُقصر في الصلاة كأن يخل بأركانها أو واجباتها فأنصحه فهذا من مقتضى الحب في الله ، فإذا عُدم ذلك فهذا يدل على ضعف الإيمان، فلو وجدنا رجلاً يقول : أنا أحب المؤمنين لكنه لا يسلّم عليهم ، ولا يزور مريضهم ، ولا يتبع جنائزهم ، ولا ينصح لهم ، ولا يشفق عليهم ؛ فهذا الحب لا شك أن فيه دخن ونقص لا بد أن يتداركه العبد .

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي في فتاويه ((إن الله عقد الأخوة والموالاة والمحبة بين المؤمنين كلهم ، ونهى عن موالاة الكافرين كلهم من يهود ونصارى ومجوس ومشركين وملحدين ومارقين وغيرهم من ثبت في الكتاب والسنة الحكم بكفرهم . وهذا الأصل متفق عليه بين المسلمين . وكل مؤمن موحد تارك لجميع المكفرات الشرعية فإنه تجب محبته وموالاته ونصرته ، وكل من كان بخلاف ذلك فإن يجب التقرب إلى الله ببغضه ومعاداته وجهاده باللسان واليد بحسب القدرة ، فالولاء والبراء تابع للحب والبغض ، والحب والغض هو الأصل ، وأصل الإيمان أن تحبّ في الله أنبياءه وأتباعهم ، وأن تبغض في الله أعداءه وأعداء رسله)) [13]

وقد بيّن أهلُ العلم أن المؤمن تحبُ محبته وإن أساء إليك ، والكافر يجب بغضه وعداوته وإن أحسن إليك .

فالمسلم وإن قصّر في حقك وظلمك فيبغض على قدر المظلمة ؛ لكن يبقى حق الإسلام وحق النصرة وحق الولاية .

ماذا يجب علينا تجاه المسلمين من خلطوا عملاً صالحاً وأخر سيئاً ، فهم ليسوا من أولياء الله الصالحين ، وليسوا من أعداء الله الكافرين ؟

الواجب في حقهم أن نحبهم ونواليهم بقد طاعتهم وصلاحهم ، وفي نفس الوقت نبغضهم على قدر معصيتهم وذنبهم .

فمثلاً : جارك الذي يشهد الصلوات الخمس عليك أن تحبه لهذا الأمر، لكن لو كان هذا الجار يسمع ما حرم الله من الأغاني مثلاً، أو يتعاطى الربا فعليك أن تبغضه على قدر معصيته ، وكلما ازداد الرجل طاعة ازددنا له حبّاً ، وكلما زاد معصية ازددنا له بغضاً .

وقد يقول قائل : وكيف يجتمع الحب والبغض في شخص واحد ؟ كيف أحب الشخص من جانب وأبغضه من جانب ؟

أقول : هذا ميسر ، فهذا الأب ربما ضرب ابنه وآلمه تأديباً وزجراً ، ومع ذلك يبقى الأصل أن الأب يحب ابنه محبة جبلية . فيجتمع الأمران .

وكذلك المعلم مع تلاميذه أو الرجل مع زوجته إذا زجرها أو هجرها إذا كان الأمر يقتضي ذلك لكن يبقى الأصل في ذلك محبتها والميل إليها . فإذا كان الشخص يجتمع في إيمان مع ارتكاب محرمات أو ترك واجبات – مما لا ينافي الإيمان بالكلية – فإن إيمانه يقتضي حبّه ونصرته ، وعصيانه يقتضي عداوته وبغضه – على حسب عصيانه .

ومما يبيّن هذا الأمر ما جاء في هدى النبي صلى الله عليه وسلم فقد حقق عليه السلام الأمرين ، والدليل ذاك الرجل الذي يشرب الخمر في عهد رسول الله– صلى الله عليه وسلم– واسمه عبد الله ، وكان كثيراً ما يؤتى به فيجلد ، فأتي به في أحد المرات فقال أحد الحاضرين : لعنه الله ما أكثر ما يُؤتى به ، فقال عليه السلام : ((لا تلعنه ، أما علمت أنَّه يحب الله ورسوله)) أو كما ورد في الحديث – فمقتضى العداوة والبغضاء أن أقام عليه الحد فجلده ، وفي نفس الوقت أيضاً مقتضى الحب والولاء له أن دافع عنه– عليه الصلاة والسلام– فقال : ((لا تلعنه))

معاودة الكافرين :

هذه المسألة تغيب في هذا الزمان بسبب جهل الناس وتكالب قوى الكفر على إلغاء الولاء والبراء وإلغاء ما يسمى بالفوارق الدينية .

قال الشيخ حمد بن عتيق (ت 1301هـ) : [" فأما معاداة الكفار والمشركين فاعلم أنَّ الله أوجب ذلك وأكد إيجابه ، وحرّم موالاتهم وشدد فيه ، حتى أنه ليس في كتاب الله حكم فيه من الأدلة أكثر وأبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده "] .

وقال في موضع آخر : " وهنا نكتة بديعة في قوله : ((إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ)) (الممتحنة: من الآية4) وهي أن الله قدم البراءة من المشركين العابدين غير الله ، على البراءة من الأوثان المعبودة من دون الله ، لأن الأول أهم

من الثاني ، فإنه قد يتبرأ من الأوثان ، ولا يتبرأ ممن عبدها ، فلا يكون آتياً بالواجب عليه ، وأما إذا تبرأ من المشركين ، فإن هذا يستلزم البراءة من معبوداتهم " [14]

فإذا علم هذا تبين خطأ وانحراف كثير من الناس عند ما يقولون : نتبرأ من الكفر ونتبرأ من عقيدة التثليث عند النصارى ونتبرأ من الصليب ، لكن عند ما تقول لهم تبرؤوا من النصارى . يقولون : لا نتبرأ منهم ولا نواليهم .

لوازم الحب في الله والبغض في الله .

أشرنا إلى أن الحب في الله والبغض في الله عملان قلبيان لكن لهذا الحب لوازم مثل : النصح للمسلمين ، والإشفاق عليهم ، الدعاء لهم ، والسلام ، وزيارة مريضهم ، وتشييع جنائزهم ، وتفقد أحوالهم .

أما لوازم البغض فمنها : ألا نبتدئهم بالسلام ، والهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ، وعدم التشبه بهم ، وعدم مشاركتهم في الأعياد – كما هو مبسوط في موضعه .

المبحث الثالث

أحوال السلف الصالح في تحقيق عقيدة الولاء والبراء

يقول أبو الدرداءِ– رضي الله عنه– : (ما أنصف إخواننا الأغنياء، يحبوننا في الله ويفارقوننا في الدنيا، إذا لقيته قال : أحبكَ يا أبا الدرداء ، فإذا احتجت إليه في شيءٍ امتنع مني) [15]

ويقول أيوب السيختياني– رحمه الله– : " إنَّه ليبلغني عن الرجل من أهل السنة أنَّه مات، فكأنما فقدتُ بعض أعضائي " .

وكان أحمد بن حنبل– رحمه الله– إمام أهل السنة، [إذا نظر إلى نصراني أغمض عينيه ، فقيل له في ذلك، فقال– رحمه الله– : (لا أقدرُ أن أنظر إلى من افترى على الله وكذب عليه) [16] .

فانظر – يا رعاك الله – كيف كان تعظيم الله وتوقيره في قلب الإمام أحمد يجعله لا يطيق النظر إلى من افترى على الله وكذب عليه ، وأي افتراء أعظم من مقالة النصارى أن لله ولد – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – قال عمر بن الخطاب في شان النصارى : " أهينوهم ولا تظلموهم ، فإنهم سبُّوا الله تعالى أعظم المسبة " .

وهذا بهلول بن راشد– رحمه الله– من أصحاب مالك بن أنس– رحمه الله– دفع إلى بعض أصحابه دينارين ليشتري به زيتاً ، فذُكر للرجل أن عند نصراني زيتاً أعذب ما يوجد . فانطلق إليه الرجل بالدينارين وأخبر النصراني أنه يريد زيتاً عذباً لبهلول بن راشد ، فقال النصراني : نتقرب إلى الله تعالى بخدمة بهلول كما تتقربون أنتم إلى الله بخدمته . وأعطاه بالدينارين من الزيت ما يعطى بأربعة دنانير، ثم أقبل الرجل إلى بهلول وأخبره الخبر، فقال بهلول : قضيت حاجةً فاض لي الأخرى ، رُدَّ علىّ الدينارين فقال : لم ؟ قال: تذّكرت قول الله تعالى : ((لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)) (المجادلة: من الآية22) .
فخشيت أن آكل زيت النصراني فأجد له في قلبي مودة فأكون ممن حاد الله ورسوله على عرض من الدنيا يسير [17]
وسئل الإمام أحمد عن جار رافضي ؟ فقال : (لا تسلم عليه ، وإذا سلم لا يُرد عليه) [18] .
وكان ابن رجاءٍ من الحنابلة، يهجرُ من باع لرافضي كفنه ، أو غسله ، أو حمله [19]
ولما كان العزُّ بن عبد السلام في دمشق، وقعَ فيها غلاءٌ فاحش، حتى صارت البساتينُ تباع بالثمن القليل ، فأعطتهُ زوجته ذهباً وقالت : اشرِ لنا بستاناً نصيّف فيه، فأخذ الذهبَ وباعهُ، وتصدق بثمنه، فقالت: يا سيدي اشتريت لنا ؟ قال : نعم بستاناً في الجنة. إنّي وجدتُ الناس في شدةٍ، فتصدقتُ بثمنه، فقالت المرأة : جزاك الله خيراً [20]
وهذا محمد بن عبدوس المالكي، من علماءِ المالكية، كان في غايةِ النصحِ والإشفاقِ على المسلمين، ففي أحدَ المرات ذهبَ إلى أحدِ أصحابه وعليه جُبَّةَ صوف، وكانت ليلةً شاتيةً، فقال له : ما نمتُ الليلةَ غمّاً لفقراءِ أمة محمد ، ثم قال : هذه مائةُ دينار ذهباً، غلةُ ضيعتي هذا العام، أحذر أن تُمسي وعندك منها شيء وانصرف .
دخل أبو الوليد الطرطوشي– رحمه الله– على الخليفة في مصر، فوجدَ عنده وزيراً راهباً نصرانياً، قد سلّم إليه القيادة، وكان يأخذُ برأيهِ، فقال الطرطوشي:
يا أيها الملك الذي جودهُ يطلبهُ القاصدُ والراغب

إنَّ الذي شرفت من أجله يزعمُ هذا أنَّه كاذب [21]
فعندئذٍ اشتد غضبُ الخليفة، فأمرَ بالراهبِ فسُحبَ وضُرب ، وأقبل على الشيخِ فأكرمهُ وعظَّمهُ بعد ما كان قد عزم على إيذائه .
يقول القرافي معلقاً على هذه القصة : " لما استحضر الخليفةُ تكذيب الراهبِ للرسول– صلى الله عليه وسلم– وهو سببُ شرفه ، وشرفَ آبائهِ وأهل الأرض ، بعثهُ ذلك عن البعدِ عن السكونِ إليه والمودة، وأبعدهُ عن منازلِ العزِّ إلى ما يليقُ به من الذلِ والصغار [22]
المبحث الرابع
تنبيهات
علينا أن نفرق بين بغض الكفار ومعاداتهم، وبين البرِ والاقساط ، فبعض الناس يخلطُ بين الأمرين، فيجعل البرَ والعدل مع الكفار محبةً لهم ، وعكسَ بعضُ الناس المسألة، فربما ظلمَ الكافر باسم العداوة له .
فالمتعين أن نبغض الكفار ؛ لأنَّ الله أمرنا أن نبغضهم، ولكن لا نظلمهم، فقد قال تعالى : ((لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)) (الممتحنة:8)
وقال تعالى في الحديث القدسي : ((يا عبادي ، إنِّي حرمتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)) .
يقولُ القرافي في كتابه (الفروق) لما فرقَ بين مسألةِ بُغضهم، ومراعاةُ البرِ والإقساط قال : " وسرُّ الفرق أنَّ عقد الذمة يوجبُ حقوقاً علينا لهم ؛ لأنَّهم في جوارنا ، فيتعين علينا برُّهم في كل أمرٍ لا يكونُ ظاهرهُ يدل على مودةٍ في القلب، ولا تعظيمِ شعائرِ الكفر، فمتى أدَّى إلى أحد هذينِ، امتنع وصار من قبل ما نهى عنه في الآية " [23]
بعض الناس يقول : نحن إذا بغضنا النصارى وعاديناهم – مثلاً – هذا يُؤدي إلى نفرتهم عن الإسلام وبغضهم له .
وليس الأمرُ كذلك ، فإنَّ الله تعالى أرحمُ الراحمين ، وهو سُبحانه وتعالى أحكمُ الحاكمين، حيثُ شرعَ بُغض الكفارِ وعداوتهم ، فلا يتوهم أن تحقيق شعيرةِ البراءةِ من الكافرين يؤولُ إلى النفرة عن الإسلام ، بل إنَّ الالتزامَ بهذه الشعيرة – وسائر شعائرِ

الإسلام – سببٌ في ظهورِ الإسلام وقبوله، كما وقعَ في القرون المفضلة ، " جاء في سيرةِ ابن هشام أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– قال : ((من ظفر به من رجال يهود فاقتلوه)) فوثب مُحيصةَ بن مسعودِ على ابن سُنَيْنَة ، رجلٌ من تجارِ اليهود يبايعهم ، فقلتهُ، وكان حويصة بن مسعود إذ ذاك لم يسلم ، وكان أسنّ من محيصة ، فلما قتلهُ جعل حويصةُ يضربهُ ويقول : أي عدوَّ الله أقتلته ؟ أما والله لربَّ شحمٍ في بطنك من ماله ، قال محيصة : فقلتُ له : واللهِ لقد أمرني بقتلهِ من لو أمرني بقتلكَ لضربتُ عُنُقك ، قال : فو الله إن كان لأوّل إسلام حويصة ، قال : آلله لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني ؟ قال نعم ، والله لو أمرني بضربِ عنقك لضربتها، قال : والله إنَّ ديناً بلغَ بك هذا لَعجَبٌ ، فأسلم حويصة " [24]

وها نحنُ نرى الكثير من المسلمين – في هذا العصر – وقد ارتموا في أحضانِ الكفار ، وأحبُّوهم وداهنوهم ، ولم يكن ذلك سبباً في إسلامهم ، بل امتهن الكفارُ أولئك القوم ، وزادوا عتوّاً ونفوراً عن الإسلام وأهله .

وأمرٌ آخر : أنَّ تحقيق هذا الأصلِ سببٌ في إسلامهم، كما كان اليهودُ والنصارى يدفعون الجزية للمسلمين عن صغارٍ وذلة، فكان هذا سبباً في أن ينظروا إلى الإسلام، ويسلموا من أجلِ أن تسقط عنهم الجزية .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (مثل الآصارِ والأغلالِ التي على أهلِ الكتاب ، وإذلالَ المسلمين لهم، وأخذ الجزية منهم ، فهذه قد تكونُ داعياً له إلى أن ينظرَ في اعتقادهِ، هل هو حقٌّ أو باطل، حتى يتبينَ له الحق ، قد يكونُ مُرغباً له في اعتقادٍ يخرج به من هذا البلاء ، وكذلك قهرَ المسلمين عدوهم بالأسرِ، يدعوهم للنظرِ في محاسن الإسلام) [25]

البعضُ يقول : إنَّ الكفار تغيّروا، فليسوا كالكفار الأوائل ، نقولُ : هذا غير صحيح، فالكفارُ هم الكفار، وهم أعداؤنا في القديم والحديث ، والله تعالى ذكر في ذلك حكماً عاماً فقال : ((لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلّاً وَلا ذِمَّةً)) (التوبة: من الآية10) وقال : عز وجل : ((كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلّاً وَلا ذِمَّةً)) (التوبة: من الآية8) .

البعضُ يحبُ في الله، ويبغضُ في الله، لكن تكونُ هناك شائبة، فعند ما يتفقدُ نفسهُ يجدها تحبُّ لأجل دنيا أو تبغض لأجل دنيا.

مثال: رجلٌ يقول: أنا أبغضُ فلاناً النصراني في الله، لكن عند ما تبحث في أصلِ البغض تجدهُ يبغضهُ لأجل حظٍ أو أثرةٍ. فينبغي أن يمحصَ الحبُّ في الله والبغضُ في الله، بأن يكون خالصاً لله وحده .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- : (من أحبَّ إنساناً لكونهِ يعطيهِ فما أحب إلاَّ العطاء ، ومن قال إنَّهُ يحبُ من يعطيهِ لله فهذا كذبٌ ومحالٌ وزورٌ من القول ، وكذلك من أحبَّ إنساناً لكونه ينصرهُ إنما أحب النصر لا الناصر ، وهذا كله من اتباع ما تهوى الأنفس ، فإنَّه لم يحب في الحقيقة إلاَّ ما يصلُ إليه من جلب منفعةٍ أو دفع مضرةٍ ، فهو إنما أحبَّ تلك المنفعة ودفع المضرة ، وليس هذا حباً لله ولا لذاته المحبوب ، وعلى هذا تجري عامةُ محبة الخلقِ بعضهم مع بعض ، لا يُثابون عليه في الآخرة ولا ينفعهم ، بل رُبما أدَّى هذا للنفاقِ والمداهنةِ، فكانوا في الآخرة من الأخلاءِ الذين بعضهم لبعض عدو إلاَّ المتقين . وإنما ينفعهم في الآخرة الحبُّ في الله ولله وحده. وأمَّا من يرجو النفعَ والضر من شخصٍ ثُمَّ يزعمُ أنَّهُ يحبهُ لله، فهذا من دسائسِ النفوسِ ونفاقِ الأقوال "] [26]

المبحث الخامس

التحذير من مشاركة الكافرين في أعيادهم

إن الكثيرين من المسلمين الذين ابتلوا بمخالطة الكفار سواء في بلاد الكفر أو في أعمال ربما شاركوا الكفار في أعيادهم البدعية ، إما في حفلاتهم أو في التهنئة ، وهذا أمر خطير جداً ، فمشاركة الكفار في أعيادهم لا شك في تحريمها على أقل الأحوال وربما أفضت إلى الكفر بالله عز وجل . وقد تحدث أهل العلم عن ذلك وحذروا وأنذروا .

قال تعالى في وصف عباد الرحمن : ((وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ)) (الفرقان: من الآية72)) والزور كما قال بعض المفسرين هو : أعياد المشركين .

والرسول- صلى الله عليه وسلم- لما قدم إلى المدينة وجد أنهم يلعبون ، فسال عن ذلك فقالوا هذا يومان كنا نلعب في الجاهلية فقال- صلى الله عليه وسلم- : ((قد أبدلكم الله خيراً من ذلك عيد الفطر وعيد الأضحى)) [27]

وكذلك ما جاء في الشروط العمرية التي اشترطها عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - على أهل الذمة وهو ألا يظهروا أعيادهم ؛ لأن الأعياد من جملة العبادات ، فكما لا يجوز أن يظهروا صليبهم ونحو ذلك أيضاً لا يجوز أن يظهروا أعيادهم .

ولهذا تجد أهل العلم في غاية التحذير من هذا الأمر حتى إن بعض علماء الأحناف قال : " من أهدى لمجوسي بيضة في يوم النيروز فقد كفر " .

يقول ابن القيم رحمه الله (في أحكام أهل الذمة) : (وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق ؛ مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم فيقول : عيد مبارك عليك ، أو تهنأ بهذا العيد ونحوه ، فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات ، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب بل ذلك أعظم إثمناً عند الله وأشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس ونحوها . وكثير مما لا قدر للدين عندهم يقع في ذلك ولا يدري قبل ما فعل . فمن هنأ عبداً بمعصية أو بدعة أو كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه) [28]

المبحث السادس

آثار وثمار الحب في الله والبغض في الله

تحقيق أوثق عرى الإيمان كما قال صلى الله عليه وسلم : ((أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله)) .

تذوق حلاوة الإيمان كما جاء في حديث أنس مرفوعاً : ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان " وذكر منها صلى الله عليه وسلم " أن يحب المرء لا يحبه إلا لله)) [29]

أن من حقق هذا الأصل يرجى أن ينال الوعد الكريم في الحديث : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله " وذكر صلى الله عليه وسلم : " رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه " .

نيل ولاية الله ، فالعبد لا يكون وليا لله إلا إذا حقق ذلك كما مرّ معنا في قول ابن عباس :[" من أحب في الله وأبغض في الله ، ووالى في الله وعادى في الله ؛ فإنما تنال ولاية الله بذلك "] . وقال الله تعالى في الحديث القدسي : ((وما تقرب عبدي

بشيء أحب إلى مما افترضته عليه ، ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه))
.
السلامة من الفتنة والدليل قوله تعالى : ((وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)) (لأنفال:73)
قال ابن كثير في تفسيره : " أي تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت فتنة في الناس ، وهو التباس واختلاط المؤمنين بالكافرين ، فيقع في الناس فساد كبير منتشر عريض طويل " [30]
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " فلا تزول الفتنة عن القلب إلا إذا كان دين العبد كله لله عز وجل ، فيكون حبه لله ولما يحبه لله وبغضه لله ولما يبغضه لله ، وكذلك موالته ومعاداته " [31]
حصول النعم والخيرات والرخاء ، والدليل قوله تعالى عن الخليل عليه السلام : ((فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلّاً جَعَلْنَا نَبِيّاً ، وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً)) (مريم:49 ، 50) . فهذه النعم العديدة ما تحققت لإبراهيم عليه السلام إلا بعد ما حقق هذا الأصل ، فهذا ظاهر أن اعتزال الكفار سبب لهذه النعم كلها ولهذا الثناء الجميل [32]
خاتمة
وفي ختام هذا الموضوع أؤكد على ضرورة العناية بهذا الأصل علماً وعملاً والتواصي بتحقيقه وتربية الأمة على ذلك ، وأن يجتهد في ببان لوازم الحب في الله بين المسلمين ومظاهره ، وتطبيق تلك اللوازم في حياة المسلمين مثل : تعليم الجاهل ، وتنبيه الغافل ، وإحياء التكافل بين أهل الإسلام ، والتعاون على البر والتقوى ، ونصرة المسلمين وتفريج كُربهم ، والأخذ على أيدي سفهائهم .
كما يجب الحذر من موالاة الكفار بشتى صورها ومظاهرها ، مثل نصرة الكفار وتأييدهم أو محبتهم ، أو الركون إليهم ، أو تقريبهم ، أو التعويل عليهم أو إكرامهم أو اتباع أهوائهم .
إن عقيدة الولاء والبراء هي أكبر ضمان في حفظ الأمة من الذوبان والانجراف في تيار الأمم الكافرة ، لا سيما في هذا الزمان الذي صار العالم قرية واحدة ، فظهرت

أنواع المؤثرات والاتصالات كالفضائيات وشبكات (الانترنت) ونحوها ، فإن عقيدة الولاء والبراء أعظم حاجز في درء الفتن والسلامة من فتن التغريب والتنصير وسائر الشبهات والشهوات ، ألا ترى أصحاب هذه العقيدة الراسخة – أعنى الولاء والبراء – أنهم أعظم الناس استعلاء بإيمانهم ، وأظهر النفوس عزة كما هو ظاهر في سير الأنبياء عليهم السلام والصحابة رضي الله عنهم والأئمة من بعدهم .

إن أصحاب هذه العقيدة لا يرد عليهم بأي حال من الأحوال الانبهار بالكفار أو التشبه بهم أو الإعجاب بأخلاقهم وأفكارهم ، فأنى للأعلى أن يتشبه بالأدنى !

فأما الذين خلت قلوبهم من هذا الولاء والبراء فهم أصحاب أهواء متبعة وشهوات مستبعدة ، فتراهم ينظرون إلى الكفار بكل استحسان وإكبار كما ينظر الطفل الصغير إلى أبيه ، ألا ترى أولئك الشباب الذين أشربوا حب الكرة وغفلوا عن شعيرة الولاء والبراء أنهم من أجل الكرة يحبون ويوالون ، ومن أجلها يبغضون ويعادون ، فهذا لاعب أو مدرب لفريقهم فهم يحبونه حبّاً جمّاً ،وربما حملوه على أعناقهم ، وتنافسوا في التودد له وإكرامه والاحتفاء به ، وذاك الآخر ليس من فريقهم فربما أبغضوه وكرهوه أشد من اليهود والنصارى !

تأمل حال هؤلاء المنهزمين وانظر حال السلف الصالح الذين كانوا يُعلّمون أولادهم حبّ الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وتأمل حال أبناء السلف الصالح الذين كانوا يرمون جنازة بشر المرسي المبتدع بالحجارة [33]

نسأل الله أن يبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعته ، ويذل فيه أهل معصيته ، والله المستعان .

[1] الصارم المسلول (152/2)

[2] الصارم المسلول (390/2)

[3] الصارم المسلول (185/2)

[4] أخرجه أحمد والحاكم وابن أبي شيبة في الإيمان وحسنه الألباني .

[5] أخرجه أحمد والنسائي والبيهقي وصححه الألباني .

[6] أخرجه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

[7] أوثق عرى الإيمان (ص 38) .

[8] مجموع الفتاوى (128/15، 129)

[9] كتاب الروح (ص 392) .

[10] قاعدة في المحبة (ص 387)

[11] الدرر السنية (157/2) .

[12] طبقات الحنابلة (57/1) .

[13] الفتاوى السعدية (98/1) .

[14] النجاة والفكاك (ص 22)

[15] الزهد لابن المبارك (ص 232)

[16] طبقات الحنابلة (12/1)

[17] ترتيب المدارك للقاضي عياض (337/1)

[18] طبقات الحنابلة (14/2)

[19] طبقات الحنابلة (57/2) /

[20] طبقات الشافعية للسبكي (214)

[21] الذي شرفت من أجله هو النبي صلى الله عليه وسلم

[22] الفروق (16/3)

[23] الفروق (14/3)

[24] سيرة ابن هشام (821/2)

[25] جامع الرسائل (238/3)

[26] جامع الرسائل (2/ 256)

[27] أخرجه أحمد وأبو داود .

[28] أحكام أهل الذمة (205/1)

[29] أخرجاه .

[30] تفسير ابن كثير (216/2)

[31] الفتاوى (10 /601)

[32] انظر منهاج الصواب (ص 52)

[33] السنة للخلال (114/5) .

===============

الأندية الرياضية النسائية

ومشاركة المرأة في الدورات الأولمبية

فقد اطلعت على ما نشر في عدد من الصحف حول المطالبة بالأندية الرياضية النسائية، وأن تكون تابعة للرئاسة العامة للشباب ، وأن يكون لها المشاركة في الدوري الرياضي النسائي في كرة القدم والسلة والفروسية والتنس وغيرها ، وأن مجلس الشورى سيناقش مشاركة المرأة في الدورات الأولمبية القادمة (عام 2010) . وقد ذيلت كثير من هذه المطالب بقولهم : "وفق الضوابط الشرعية" . أو : " ولا يوجد مانع شرعي من مشاركة المرأة". ورأيت أن من الواجب الشرعي بيان الحق في هذه المسألة في الآتي :

أولاً : أن إنشاء النوادي النسائية ومشاركة المرأة في الدورات الرياضية المحلية أو الأولمبية محرم شرعاً ؛ فمشاركتها من أعظم وسائل مشروع إفساد المرأة ، ضمن مخطط دعاة التغريب في إبعاد شريعة الله تعالى عن الهيمنة في بلادنا . فكيف يرضى المؤمن أن يكون معيناً لهم في تطبيع المجتمع على تقبل هذا الانحراف

المفسدة الثانية : أن مشاركة المرأة فيما ذكر ينافي القرار في البيت الذي أمرها الله تعالى به إلا لحاجة ، والدوري الرياضي ليس بحاجة شرعية . قال الله تعالى : { وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى }(الأحزاب 33). وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان " أخرجه الترمذي بسند صحيح . والشاهد في قوله فإذا خرجت ، وهو يفيد أن أول ما يتحقق به ستر العورة هو القرار وعدم الخروج . والمنافقون تعتريهم حالة من القلق والتوتر حين سماعهم لهذه الآية وهذا الحديث .

المفسدة الثالثة : أن مشاركة المرأة فيما ذكر يلزم منه ترك الجلباب الشرعي الذي أمر الله تعالى به في كتابه العزيز ، والجلباب هو الذي يسمى بالعباءة أو الملاءة التي توضع على الرأس. قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً } (الأحزاب 59). وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : " لَمَّا نَزَلَتْ (يُدْنِينَ

عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) خَرَجَ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِهِنَّ الْغِرْبَانَ مِنَ الْأَكْسِيَةِ " أخرجه أبوداود بسند صحيح .

المفسدة الرابعة : أن من لوازم مشاركتها غالباً ، وقوعها في الاختلاط المحرم بالرجال ، والأدلة على تحريم الاختلاط كثيرة جداً ، ومنها :

1. حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إياكم والدخول على النساء . فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله أفرأيت الحمو ؟ قال : الحمو الموت" متفق عليه .

2. حديث ابن عمر رضي الله عنهما – في تحديد باب للمسجد مختص بالنساء – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لو تركنا هذا الباب للنساء . قال نافع : فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات " أخرجه أبو داود بسند صحيح .

3. وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : " أن النساء في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كن إذا سلمن من المكتوبة قمن وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صلى من الرجال ما شاء الله فإذا قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قام الرجال " أخرجه البخاري . قال ابن شهاب (وهو الزهري) : "فأرى والله أعلم أن مكثه لكي ينفذ النساء قبل أن يدركهن من انصرف من القوم" . وفي رواية للبخاري تعليقاً بصيغة الجزم أنها قالت :" كان يسلم فينصرفُ النساء ، فيدخلن بيوتهن من قبل أن ينصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ".

ثانياً : تذييل المطالبة بمشاركة المرأة في الدورات الأولمبية بقولهم : وفق الضوابط الشرعية ، ونحوها من العبارات : نوع من الاستهزاء بالشريعة . وينطلي ذلك على البسطاء والسذج من الناس .

ثالثاً : لا يجوز عرض هذا الموضوع للتصويت في مجلس الشورى ؛ لأن التصويت إنما يكون في المباحات أما موضوع الأندية النسائية ومشاركة المرأة في الدوري الرياضي الأولمبي أو المحلي فهو محرم شرعاً لما فيه ذلك من المحاذير الشرعية الظاهرة . والأمر المحرم شرعاً لا يجوز عرضه للتصويت في مجلس الشورى ولا غيره وإلا لكان تشريعاً من دون الله . ولو فرضنا أن المسألة محل اختلاف بين أهل الاختصاص الشرعي ، فلابد من تحريرها ومعرفة الراجح فيها بالدليل من خلال

عرضها على ذوي التخصص الشرعي كهيئة كبار العلماء ، أو اللجنة الدائمة للإفتاء ، أو المجمع الفقهي ، أو الأقسام الفقهية في الكليات الشرعية فإذا ثبت حله جاز التصويت عليه . ومن الخطأ البين أن يكون المقرر للحكم الشرعي هم عوام الناس من كتاب الصحف أو غيرهم . وعليه فإن عرض هذا الموضوع في مجلس الشورى مخالف للشرع ، ومخالف كذلك لنظام مجلس الشورى .

رابعاً : أدعو كل من خطت يده ، أو نطق بلسانه في نصرة مطالب دعاة الفساد والتغريب أو مناوأة العلماء والمصلحين ، أو الاستهزاء بالدين ، إلى التوبة إلى الله تعالى ، وباب التوبة مفتوح حتى للمنافقين . وأن يتأملوا قول الله جل وعلا : {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً (145) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً (146) مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً}(النساء147).

خامساً : استعمل بعض المطالبين بتغريب المرأة وسيلة الضغط على المجتمع السعودي بدعواهم أن اللجنة الأولمبية تشترط مشاركة المرأة السعودية لانضمام المملكة للدوري الأولمبي لعام (2010) . فلو فرضنا جدلاً صحة هذا الخبر فإنه ليس مسوغاً لمشاركة المرأة ، وإني لأتعجب من أقوام يقبلون بضياع الأعراض ، وترك أوامر الله تعالى في مقابل المشاركة في الأولمبياد .

سادساً : كل مسلمة رغبت أو دعيت إلى ناد أو دوري رياضي ، فلتحذر كل الحذر من المشاركة ، وألا تكون طُعماً يَصطادون به وآلةً يستعملونها في معصية الله ورسوله ، وعليها أن تقدم الخوف من الله جل وعلا على رغبات النفوس ، قال الله تعالى :{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً} (الأحزاب36). أسأل الله تعالى أن يحفظنا وأن يحفظ علينا بلادنا ونساءنا بالإسلام والحمد لله رب العالمين.

قاله وكتبه : د. يوسف بن عبدالله الأحمد .

أستاذ الفقه المساعد بجامعة الإمام

1428/3/13هـ .

ص ب 156616 الرياض 11778
هاتف وناسوخ 01/4307275

=============

المرأة وكيد الأعداء

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي خلق خلقه أطوارا، وصرفهم في أطوار التخليق كيف شاء عزة واقتدارا، وأرسل الرسل إلى المكلفين إعذاراً منه وإنذارا، فأتم على من اتبع سبيلهم نعمته السابغة، وأقام بهم على من خالف منهجهم حجته البالغة، فنصب الدليل، وأنار السبيل، وأزاح العلل، وقطع المعاذير، وأقام الحجة، وأوضح المحجة، وقال: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ}وأرسل رسله مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، فقبل نعمة الهداية، من سبقت له سابقة السعادة، وتلقاها بيمين، وردها من غلبت عليه الشقاوة، ولم يرفع بها رأساً بين العالمين، فسبحان من أفاض على عباده النعمة، وكتب على نفسه الرحمة. أحمده والتوفيق للحمد من مننه، وأشكره والشكر كفيل بالمزيد من فضله وكرمه، وأستغفره وأتوب إليه، من الذنوب التي توجب زوال نعمه، وحلول نقمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمةً قامت بها الأرض والسماوات، وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أسست الملة، ونصبت القبلة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وبها أمر الله سبحانه جميع العباد، وهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، وحجته على عباده، وأمينه على وحيه، أرسله رحمة للعالمين، وقدوة للناس أجمعين، ومحجة للسالكين، وحجة على المعاندين، مشمراً في ذات الله تعالى، لا يرده عنه راد، فلم يزل يصده عنه صاد، فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها، وتألفت القلوب بعد شتاتها، وامتلأت به الأرض نوراً وابتهاجاً، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فصلى الله وملائكته والصالحون من عباده عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد.

عباد الله:

لقد جاء الإسلام إلى هذه المعمورة، والشرك قد خيم، والجهل قد استحكم، والمجتمعات يسودها الفوضى، والناس يظلم بعضهم بعضاً، جاء الإسلام ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ناسخاً للأديان كلها، {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً}مقرراً أنه لا دين حق إلا هو {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ }؛ ذلك لأنه دين الكمال {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}ففيه العقائد الفطرية، التي يوافقها العقل الصحيح، وتسمو بالإنسان عن الخضوع والعبودية لغير خالقه ورازقه، ومالك ضره ونفعه، وموته وحياته، فلا إله غيره ولا رب سواه. وفي الإسلام جماع الأخلاق الفاضلة، التي تهذب النفوس، وتطهرها من كل دنس، فلا يستطيع أحد مهما بلغ علمه، وعظم أمره، أن يجد فيها مطعنا، ينفس فيها عن حقده وضغنه، إلا ارتد عليه سهمه، وأصاب كيده نحره

كناطح صخرة يوماً ليوهنها ... فلم يضرها وأوها قرنه الوعل

عباد الله:

إن أهل العقل والعلم، ليسوا بمغرورين ولا مبالغين، في تصور أن وراء كل حدث مؤامرة، ولا من المتوهمين أن خلف كل حديث تآمرة. ولكنهم في الوقت ذاته لن يكونوا من أولئك الذين يسلمون القياد، ويرخون الزمام، لتقودهم أفكار فاسدة، أو تضلهم دعوات ماكرة، أو يسيروا خلف كل ناعقة. وأعداء الإسلام يستغلون كل حدث، ليوظفوه في إصابة الأمة في مقتل. ومن ذلك ما يكاد للمرأة في كل وقت وحين، وفي كل مناسبة وحادثة، وإن المستعرض لهذه القضية، يجد بدايتها على أيدي غير المسلمين،الذين خططوا في خفاء، ونفذوا في دهاء، وجندوا من أبناء هذه الأمة، من فقد اعتزازه بعقيدته، وتمسكه بدينه، وانتماءه لأمته، فصنعوا منهم أبطالاً، وخلعوا عليهم ألقاباً، ليخدعوا بهم المغفلين، ويفتنوا بأقوالهم الجاهلين، ويصدوا بهم الناس عن هذا الدين.

ألقاب مملكة في غير موضعها ... كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

وقد لقي المسلمون من كيدهم، وأصابهم من مكرهم، ما أوقع بهم كل فتنة دهماء {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ }ويكشف الله جل وعلا عن حقيقتهم بقوله: {وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً }

يريدون أن يميل المسلمون ميلا عظيما، عن المنهج القويم، والصراط المستقيم، في تنظيم الأسر، وتطهير المجتمع، وتحديد وظيفة كل من الرجل والمرأة، يريدون أن يطلقوا بينهم الغرائز، من كل قيد وعقال، يريدون أن ينتشر الفساد الجنسي المحموم، بلا حاجز ولا رادع، ذلك الفساد الذي لا يقر معه قلب، ولا يطمئن معه بيت، ولا يسلم معه عرض، ولا تقوم معه أسرة، يريدون أن يعود الآدميون قطعاناً من البهائم، ينزو فيها الذكران على الإناث، باسم الحرية، وليست إلا شهوة واستعباد، وباسم الإصلاح و ليس إلا الفساد والإفساد. لقد كانوا يبذلون جهدهم لرد المجتمع المسلم إلى الجاهلية، وهو ما تسطره الأقلام الهابطة، وتبثه الأجهزة الموجهة، وتدسه الأفكار الهدامة. فاتق الله يا عبد الله { وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ }اللهم احفظ علينا ديننا.

الخطبة الثانية:

الحمد لله معز من أطاعه واتقاه، ومذل من خالف أمره وعصاه، الذي وفق أهل طاعته للعمل بلا إله إلا الله، وحقق على أهل معصيته ما قدره عليهم وقضاه، أحمده سبحانه على حلو نعمه ومر بلواه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا رب سواه، ولا نعبد إلا إياه، وأشهد أن نبينا محمداً، عبده ورسوله النبوة، فطوبى لمن والاه وتولاه.

أما بعد:

فيا عباد الله: إن ما وصل إليه الأمر، في بعض بلدان المسلمين، من التفسخ والتبذل، لم يحدث دفعة واحدة، وإنما بدأ بدايات بسيطة، خطط لها ودبر، وتداعت لنصرتها وسائل إعلامهم، ووزعوا الأدوار فيما بينهم، فهذا يطرح، وذاك يؤيد، والثالث يحكي الإجماع، يتظاهرون بأنهم للمجتمع من الفساد منقذون، وعلى الاقتصاد حريصون،، وأن غيرهم عاجزون، وأنهم في ذلك مصلحون {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ.... } حتى آل الأمر إلى ما آل إليه، فعصفت رياح التغيير، وموجة التغريب بالمجتمع، وتعالت أصوات أهل العلمنة، ودعاة التحرير، وأنشبوا أظفارهم في جسد الأمة، فأكثروا فيها من الجراحات، وكلما خمدت نار فتنة أشعلوا فتيلها، بتصعيد إعلامي، من أقلام مأجورة، وجرأة غير معهودة، فخذوا حذركم، واتقوا الله

تعالى في أنفسكم، واستقيموا على طاعة ربكم، واشكروا الله على نعمائه عليكم، وعالجوا الأمر بكل وسيلة ممكنة، على ضوء ما دل عليه كتاب ربكم، وسنة نبيكم ، " من رأى منكم منكراً ..." واستشيروا في ذلك من رسخت في العلم قدمه، وعلا في(الخير كعبه، واحذروا مكائد الأعداء، فإنهم لا يبالون في أي أودية الهلاك ألقوكم، ولنعلم جميعا أن ما أصابنا من فتن، إنما هو بسبب ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ... } فعلينا يا عباد الله أن نتوب إلى الله تعالى توبة نصوحا، وأن نطرح بين يديه، مظهرين الفاقة والحاجة إليه، وأن نلح إليه بالدعاء والتضرع بأن يصلح ولاة أمرنا، وأن يرزقنا وإياهم البطانة الصالحة الناصحة، وأن يجنبهم بطانة السوء.فاللهم احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام راقدين، ولا تشمت بنا الأعداء ولا الحاسدين،اللهم احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا، وعن شمائلنا، ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك، أن نغتال من تحتنا، اللهم من أراد الإسلام والمسلمين بسوء، فأشغله بنفسه، واجعل كيده في نحره، واجعل تدبيره تدميراً عليه، اللهم من أراد نساءنا بتبرج وسفور، ومن خطط لاختلاطهن بالرجال، ومن كاد لنزعهن الحجاب، اللهم فأخرس لسانه، وشل يده، وأعم بصره، وعرضه للمصائب، واجعله عبرة للمعتبرين. اللهم واستر على نساء المسلمين.

==============

أورام البناء الثقافي

فحين تنبض الثقافة بهمّ الأمة، وحين تمدّ الأمة الثقافة بمقومات صمودها وعوامل بقائها وأصالة منبتها ونبل مخبرها، وإذا توثَّقت العلاقة بين الطرفين؛ كان ذلك مدعاة لسيادتهما جميعاً، وإذا تهاوت تلك العلاقة فلا بقاء لواحدة دون الأخرى. وحينما يكون للأمة رسالة يحملها مثقفوها عبر أقنية الاتصال لإبلاغها دعوة للخير للعالم أجمع، يعيشون آنذاك حالة من الهمّ والقلق لأجلها. وإذا انتفى ذلك وفضل المثقفون سلك طريق غير معبَّد وأسلوب غير ممهَّد وطريقة ومنهج مرسوم بالعبثية والمصلحة الفردية، عند ذاك يظهر الخلل بين الجذر والساق، بين الأمة والثقافة، فلا الساق بقادر على السمو والعلو، ولا الجذر يستطيع وهبه مقومات شموخه، وتغدو العلاقة

حالة من العقوق. وفي هذه الوريقات أضع مبضع الجراح على ورم البناء الثقافي، مستحثة المثقفين والمثقفات لمهمة استئصاله قبل أن يتشعَّب فيهلك الجسم الواهن.

الورم الأول: الفجوة الواسعة بين المثقف المحلي ومطالب ورغبات وهموم وتطور المجتمع، والمعنى المقصود: اتساع المسافة الزمنية بين المراحل التاريخية للتطور الثقافي، وهو أمرٌ قد يُلبس بعض المثقفين التهمة حين يقفزون قفزات واسعة متجاهلين المراحل التي يمرّ بها المجتمع دون وعي بأنَّ قفزاتهم قد تبعد بهم عن أرض الواقع.

الورم الثاني: ضعف الجانب الإبداعي لدى المثقف المحلي، حتى غدت التكرارية والتلقي من الآخرين سمت بعض المثقفين.

الورم الثالث: انتفاء الهمّ الثقافي الذي يدافع عنه المثقف ويسعى لإجلائه، فقد يدور في دائرة من النرجسية والخيالية أو العبثية أو الحداثية وما بعدها، وهذا الانتفاء يجعل مساهمات المثقف هزيلة ضعيفة لا تصمد أمام تيارات العولمة وأعاصير التغريب.

الورم الرابع: وضع حدود بين الثقافة العربية والإسلامية، وهي حدود تدلُّ على ضيق أفق واضعيها في فهمهم الشامل لمفهوم الثقافة الإسلامية؛ ممَّا يؤدي إلى تهميش الأصول الثابتة التي ترتكز عليها الثقافة الإسلامية، وبالتالي تحييد قضية الولاء والبراء.

الورم الخامس: استلهام تجارب وثقافات الآخرين دون غربلة لما ينالنا ويمسّ ثوابتنا، ويدخل في ذلك أيضاً المحاور الثقافية التي يدور حولها النص والمصطلحات والجمل التي تعارض أسسنا وقيمنا.

الورم السادس: سعى بعض المثقفين إلى الإيهام بأنَّ هناك خطاباً أنثوياً خاصاً مع ما يجرّه ذلك من رفض لصيغ الأمر والنهي الواردة في الشرع، والتي يدخل في محتواها الجنسين؛ إذ طالما ـ في فهمهم ـ أنَّ للأنثى خطاباً يوجه لها، فهي غير ملزمة بالخطاب الآخر، وفي ذلك نكسة وعصيان.

الورم السابع: شعور بعض المثقفين أنَّ العادات والتقاليد عنصر كبح لإبداعاتهم، ولهذا فهم يستغلون الفرص للخروج من إطاراتها إلى عوالم أوسع ومجالات أفسح

للتقليد والالتحاق بركب الآخر، حتى وإن قاده ذاك الآخر إلى مصير منبوذ، فلا هو ابن أمته، ولم يشأ الآخر أن يتبناه.

الورم الثامن: عدم إدراك بعض المثقفين للحدود التي يجب أن يقفوا عندها في محاولاتهم التجديدية وكتاباتهم الأدبية والتاريخية، بل وحتى العلمية، فهناك حدود لا تمس وثوابت لا تجس، يجب أن يقفوا عندها؛ فالذات الإلهية والعبادات والقرآن وسيرة الرسول وتراجم الصحابة والتابعين وعاداتنا الأصيلة ولغتنا العربية ليست مجالات للتغيير والتبديل والعبث.

الورم التاسع: حصر مفهوم الثقافة بالدراسات الأدبية والنقدية والتاريخية، واعتقاد ذلك يُحجم مفهوم الثقافة ويضيّق أفق المثقف الذي هو إنسان مبدع.

الورم العاشر: المثقف مجدد، وهو إذا حمل همّ بيئته كان مفجراً لآمالهم معالجاً لأولادهم. وكثير من المثقفين لا يكونوا مماثلين للنابغة الجعدي أو الذبياني، وإنَّما تبدأ سيرهم الثقافية في صغرهم، فتتولاهم أسرهم رعاية واستنباتاً ورياً حتى تنهض هاماتهم الثقافية وتسمو سوقهم الإبداعية الإيجابية، ولا يتأتى ذلك إلا إذا أدركت أسرهم أنَّ مجتمعاً بلا ثقافة إيجابية أو مثقفين إيجابيين، سيستسلمون بلا وعي تحت وقع الإعجاب بالآخر.

الورم الحادي عشر: استعجال كثير من المبتدئين نشر إنتاجهم دون وعي لمدى نضجهم وكفاءتهم، ومن ثم قد تتلقاهم وسائل الإعلام بالدعاية والتلميع دون أن يكون ذاك المثقف قد حوى تجربة ثرة تمكنه أن يعرضها حيث يشمخ مغزاها ويسمو معناها مثلما يعلو إطارها اللفظي وبناؤها الشكلي.

الورم الثاني عشر: تجاوز بعض المثقفين أطر مجتمعهم، متناسين أنَّ الثقافة نتاج عقول الأمة، وهي أعظم راسم للهوية ومحدد للبناء المستقبل. وبمعنى أدق: كثير من المثقفين يتناسون أنَّ تمايز الثقافات يعني تمايز الأمم، وهو أمرٌ ينعكس على تمايز وجودها على الخارطة التاريخية.

الورم الثالث عشر: سعى بعض المثقفين إلى العالمية ولو على حساب غموض تصرفهم وأطروحاتهم وعروضهم، فيفضلون كونهم في هوامش مجتمعهم على أن تكون نصوصهم الثقافية في هوامش العالم، مما يعكس وجود فجوة هائلة بينهم وبين

الجماهير، فلا هم الذين أخذوا بيد الجماهير إلى العالمية وفق ثوابت وأصول، ولا هم الذين استطاعوا أن يدخلوا العالمية تحت مظلة ثقافية واضحة قادرة على الصمود. يقول شوقي عبدالأمير: "أنا لا أعترض أن يُقال عن شعري إنَّه شعري نخبوي؛ لأنَّه لديَّ هم في القصيدة، وحتى يواكب هذا الهم أي قارئ يجب أن يكون لديّ حقيبة معينة. أنا لا أعتقد أنَّ مهمتي كشاعر هو تحميس الجماهير أو إرضاؤهم، ولا أظن أنَّ الهدف العميق للشعر هو مواكبة الشعب بكل شيعاته وطوائفه بأحاسيسهم اليومية وعواطفهم المباشرة، هذا صعب في مشروعي الشعري الذي الهدف منه تأسيس رؤيا جديدة للعالم.. نحن مطالبون بأن نأخذ بعين الاعتبار بكتابة نص جديد، وإلا سنظل على هامش العالم، فالشاعر إما أن يقع على هامش المجتمع الذي هو فيه، أو يقع النص الشعري على هامش العالم، أنا أفضل أن أشتغل في هامش المجتمع من أجل نصّ شعري يقع في قلب السؤال الحضاري لا العكس" اهـ. (نقلاً عن: مجلة اليمامة، ع1592 ص265،266). وبعد، فإذا كان ذلك حصيلة فحص مبدئي للبناء الثقافي لجعله صامداً أمام محاولات فرض العولمة الثقافية، فإنني أخلص إلى بعض التوصيات:

* من الضرورة أن يولد المثقف في مجتمع ويرضع من مجتمعه وتنبثق أفكاره منه، وحيث تكون علاقته بالمجتمعات الأخرى والثقافات المغايرة علاقة احتكاك وصقل، لا ذوبان.

* من وظائف المثقف أن يجدِّد نفسه ويكثر من الإطلاع، وأن يُدعم بين جوانحه موضوعاً يُسير أطروحاته ومناقشاته، على أن ينبع ذلك الموضوع من حاجات بيئته.

* مثلما يدافع ساسة فرنسا وبريطانيا عن الثقافتين الفرنسية والإنجليزية من ذوبان بعضهما في بعض؛ يجب أن يقف مثقفونا نفس الموقف من الثقافة الإسلامية، بل إنَّ الأمر يجب أن يتعدى الدفاع إلى عرضها كنموذج خلاص من الضحالة الفكرية التي تفرق العالم، كيف وهي تحوي من مقومات الصمود ما لم يتوفر لغيرها، ومن المتوقع إذا دفعها أبناؤها إلى جدار العولمة أن تكون اللبنة الظاهرة فيه؟

* ضرورة أن يدرك المثقفون عامة، وأصحاب النظريات الثقافية خاصة، أنَّ لهم أن يمارسوا إبداعاتهم التجديدية في كل شيء إلا الثوابت.

* علـى المسـارعين إلـى العالميـة أن يـدركوا أنَّ الأدب الإنجليـزي العـالمي لـم يكـن عالمياً، إلا بعـد أن ذاب فـي المحليـة الإنجليزيـة، والأدب الفرنسـي العـالمي لـم يكـن عالمياً إلا بعد أن خرج من بوتقة اللغة الفرنسية، أو ليس حرياً بنا أن ندخل العالمية تحت مظلة الثقافة الإسلامية؟

وحفظ الله أمتنا.

===============

المسلمون والإدالة عليهم

الخطبة الأولى

الحمد لله العليم الخبير ؛ شَرَع لعباده من الدِّين أحسنه ، واختَار لهم من الشَّرائع أكملها ، فأكمل لهم دينهم ، وأتمَّ عليهم نعمتَه ، ورضيَ لهم الإسلامَ دينا ، نحمده على ما شرعَ وأوجبَ ، ونشكرهُ على ما أعطى وأنعم ، وأشهدُ ألاَّ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدهُ لا شريكَ له ؛ خلقَ فأتقنَ الخلقَ ، وحكمَ فأحسنَ الحكمَ {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} وقوله تعالى {أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} وأشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسوله ؛ أنصحُ الخلقِ للخلق ، وأتقاهُم لله تعالى ، لا خير إلاَّ دلَّنا عليه ، وأمرنا به ، ولا شر إلاَّ حذَّرنا منه، ونَهانا عنه ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ؛ أسرَع هذه الأمة استجابة للأوامر الربَّانيَّة ، وأشدِّهم التزاماً بالأحكام الشرعيَّة ، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين.

أما بعد :

فاتَّقوا الله – أيُّها النَّاس – وأطيعُوه ، واعمَلوا في دنياكم ما يَكون زاداً لكم في أُخراكم ، واعلموا أنَّ الدنيا إلى زَوال ، وأنَّ الآخرةَ هيَ دارُ القرَار ، وأنَّ الموتَ حق ، وأنَّ السَّاعة آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنَّ الله يبعثُ من في القُبور {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ }

أيها الناس:

من دلائِل صِدقِ إيمانِ العَبد ، وسلامةِ قلبِه لله تعالى: الإستسلام لأمرِه سبحانه في الأُمور كلِّها ، وتعظيم نُصوص الشَّريعَة ، والوُقُوف عِندها ، وتقديمِها على أقوال الرِّجال مهما كانوا {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ

بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ }

وإنَّما تقع الرِّدة والضَّلال ، ويتأصَّل الزَّيغ والنِّفَاق في قلبِ العبد إذا عارَض شرع اللهِ تعَالى ؛ تقليداً لغيرِهِ ، أو لرأيٍ أحدثه ، مُتبعاً فيه هَواه ، مُعرضاً عنْ شرعِ الله سبحانه {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }ومع عظيم الأسى ، وشديد الأسف فإنَّ الإعلام المُعاصر في أكثر فضائِياته وإذاعاته ، وصُحُفِه ومَجلاَّته ، يُربِّي المتلقين عنه على التَّمرُّد على أوامِر الله تعالى ، وانتِهاك حُرُماته والإجتِراء على شريعتِه ، في كثير من القضَايا التي يلقيها على النَّاس من سِياسيَّة واقتِصاديَّة ، واجْتماعيَّة وثقافيَّة ، ولا سيَّما إذا كان الحديث عنِ المرأة وقضَاياها.لقدِ اعتاد المتلقون عنِ الإعلام وبشكلٍ يومي ، بل وفي كلِّ ساعة ولحظَة ، اعتادوا على مُشاهدة سُفور النِّساء ، وظُهُورِهنّ بأبَهى حُلَّة ، وأَجمَل زِينَة ، مُتكشِّفَات مُبتسِمات ، مُختلِطات بالرِّجال ، تجلِس المرأة بجِوار الرجل وتُمازِحه وتُضاحِكه ، أمَام ملايين المُشاهِدين والمُشاهِدات ، ولا هيَ قريبتُه ، ولا هو محرم لها ، وليس بينهما رباط إلاَّ رِباط الإعلام والشَّيطَان ، ولا يكاد يخلو برنامج أو فقرة من رجل وامرأة في الأخبار والحِوار والرِّياضة والسِّياسة ، والأزيَاء والطَّبخ ، بل حتَّى برامِج الأطفَال لا بُد فيها من فتى وفتاة ، وهذه الصورة المُتكرِّرة في كُلِّ لحظَة تَهُون هذا المُنكر العَظيم في نُفُوس المُشَاهدين ، وتُحَوِّلُهُ مِن مَعصِية وعَيب إلى لا شَيء ؛ وتِلك واللهِ مِن الفِتَن التي يُرقِّق بعضُها بعضاً كما جاء في الحديث ، واعتياد النَّاس لهذه المَشاهد الآثِمة يجعل إنكارهم لها ، وانصرَافهم عنها ضعيفاً جداً ، بل لرُبَّما أنكَر أكثرهم على من ينكرها ، أو ينكر على من يُشَاهدها ، فانقلبت مِن كونِها مُنكراً وباطلاً إلى معروف وحق لا يجوز أنْ يُجَادَل فيه أحد.وهذا التَّهوين للمُنكَر بالفِعل والصُّورة الذي يتَكرَّر في كُلِّ سَاعة ولَحظة ، يُصاحِبه تسويغ له بالكلمة والمَقالة ؛ فينبري أجهلِ النَّاس بالشَّريعة ، وأضعف الخلق ديانة لمناقشة مسائل الحِجَاب والسُّفُور والخَلوَة والإختِلاط ، وسَفَر المَرأة بِلا مَحَرم ، وليس نِقاشهم عِلمِياً موضوعياً لإحقاق حق ، وإبطَال باطِل ، وإنَّما هو نسف للشَّريعة ، وإبطَال للقُرآن والسُنَّة ، والِغَاء لما سَارت عليه الأُمَّة المُسلمَة في قُرونشها السَّالفة ، وإحلال للقوانين والعَادات

الغَربية محل شريعة الله تعالى في التَّعظيم والطَّاعة والإمتِثال باسم الإنفِتاح والرُّقي والتَّقدُّم.ومِن آثار هذا التجييش الإعلامي للباطل ، ونشر تلك الرَّذائِل على أوسع نطاق نرى تَغَيُّراً مستمراً في كثيرٍ منَ بُيوتِ المُسلمين ، يَتجلَّى في مَظاهر عِدَّة ، وأخلاقٍ بدِيلة لم يكُن المُسلمُون يعرفونَها قبل هذا الغَزو الإعلامي ، من التَّساهل بالحِجَاب ، وسَفَر الفتاة للدِّراسَة بِلاَ مَحَرَم ، ومُزَاحمة المرأة للرِّجال في العمل ، واختلاطِها بِهِم في كَثير مِنَ المجالات والأعمال ، بلا خجل ولا حياء ، وأهل الفساد يوسعون دائرة الإفساد ليجتاح الأمة بأكملها ، ويأتي على البيوت والأسر كلها ، وإذا لم يسع المسلمون لإيقاف هذه الأمراض التي تفتك بالمجتمعات ، ولم يأخذوا على أيدي دعاة الرذيلة وناشري الفساد ؛ فإنه سيأتي اليوم الذي يفقد فيه الرجل سلطانه على نسائه وبناته ، فيخرجن متى أردن ، ويصاحبن من شئن ، ويفعلن ما يحلو لهن ، كما وقع في كثير من بلاد المسلمين التي غزاها شياطين الإنس بأفكارهم ، ودمروها بمشاريعهم التغريبية التخريبية ، وحينها لا ينفع ندم ولا بكاء على عفة فقدت ، وقد كانت من قبل تستصرخ أهل الغيرة ولا مجيب لها ، ونعيذ بالله تعالى بلادنا وبلاد المسلمين إن يحل بها ذلك.إنَّ الخطَأ خطأ ولو كثر الواقعون فيه ، وإنَّ المنكر لا ينقلب إلى معروف بمجرد انتشاره ، وهكذا الباطل يبقى باطلا ولو زينه المزورون بزخرف القول ، وروجوه بالدعاية ، والواجب على أهل الإسلام إنكار المنكر ولو كان المتجافي عنه غريبا في الناس، كما يجب عليهم إحقاق الحق ولو أعرض عنه أكثر الناس ، فانتشار الباطل وانتشاء أهله ، وغربة الحق وضعف حملته لا يسوغ السكوت والتخاذل. وإلا غرق المجتمع كله في حمأة الباطل ، وطوفان الرذائل. واختلاط المرأة بالرجال هي القضية الأساس التي يسعى المفسدون لنشرها في المجتمع ، ويستميتون في إقناع الناس بها ، ويوجدون لها المسوغات ، ويجعلونها من الضرورات ، ويعزون كل بلاء في الأمة وتخلف وانحطاط إلى ما ساد من عزل المرأة عن الرجل في التعليم والعمل وغير ذلك. ويعلم المفسدون في الأرض أنهم إن نجحوا في نشر الاختلاط وقهر الناس عليه بقوة القرارات الدولية ، والتَّخويف بالدوّل المستكبرَة ، واستغلالِ نفوذِهم في بلادِ المسلمين ، والتفافشهم على أصحابِ القرارَات والتوصيات

، مما يجعلهم قادرين على إلجاء الناس إليه عمليا في العمل والدراسة ، وفرضه بقوة النظام
– وهو ما يسعون إليه بجد وقوة – فإن ما بعد الاختلاط من الإفساد يكون أهون ، والنساء إليه أسرع كالخلوة المحرمة ، وسفر المرأة بلا محرم ، وسفورها وتبرجها ، وعرض زينتها وغير ذلك من الإثم والضلال ، وانتهاك حرمات الكبير المتعال. ولن يوقف ذلك إلا إنكار الناس عليهم ، ورفضهم لمشاريعهم التغريبية ، وكشف خططهم ومآربهم لعامة الناس ، والأمر يعني الجميع ، ولا يختص بأحد دون أحد ، ومن حق الناس أن يسعوا إلى ما فيه حفظ بيوتهم وأسرهم ، وبناتهم ونسائهم من أسباب الفساد والانحراف ، وأن يأخذوا على أيدي المفسدين والمفسدات ، من أتباع الغرب وعباد الشهوات. ومن نظر في شريعة الله تعالى يجد أنها أوصدت كل الأبواب المؤدية إلى الإختلاط ، وسدت الذرائع لذلك ، وحمت المجتمع من الفاحشة والرذيلة بتشريعات ربانية تبقي على المجتمع عفته وطهارته ونقاءه ، واستقامة أسره ، وصلاح بيوته ما دام أفراده قائمين بأمر الله تعالى ، ممتثلين لشرعه ، مستسلمين لنصوص الكتاب والسنة ، ولم يسمحوا للمفسدين أن ينخروا ذلك السياج الرباني بين الرِّجال والنِّساء. يقول الله تعالى قوله سبحانه : { وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ } وهذا الخطاب الرباني لأطهر هذه الأمة قلوبا وهم الصحابة رضي الله عنهم ، وفي أعف النساء وهن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، فما بالكم بمن هم دونهم من الرجال ، ودونهن من النساء ؟ { وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ} فالخالق الرازق سبحانه يأمر في كتابه بالحجاب بين الرجال والنساء والمفسدون يريدون تحطيمه وإزالته. وفي خطاب رباني آخر {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ} ثم قال سبحانه{وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ } فلو كان الاختلاط سائغا في الشرع لكان في هذه الأوامر الربانية تكليف بما لا يطاق ؛ إذ كيف تختلط المرأة بالرجل ، وتجلس بجواره في العمل أو الدراسة ، ولا ينظر كل واحد منهما للآخر وهما يتبادلان الأعمال والأوراق والدروس. وذكر النبي عليه الصلاة والسلام أن من حق الطريق: غض البصر ، فإذا كان غض البصر واجبا على الرجال إذا مرت بمجلسهم في الطريق امرأة ، فكيف يسوغ

للمزورين أن يزعموا أن شريعة الله تعالى لا تمانع من اختلاط الرجال بالنساء. وفي حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام: (إياكم والدخول على النساء) رواه الشيخان. فكيف إذا بالمكث عندهن وأمامهن وبجوارهن في ساعات العمل كل يوم. بل إن النبي صلى الله عليه وسلم عمل على منع الاختلاط في الطريق أثناء الخروج من المسجد ، وما هو إلا لحظات ، وعقب عبادة عظيمة ، والرجال فيه والنساء من المصلين والمصليات ، وهم وهن أقرب للتقوى ، وأبعد عن الريبة ، فكيف بغير ذلك ؟ روت أم سلمة رضي الله عنها: (أنَّ النِّساء في عهدِ رسولِ الله صلَّى الله عليهِ وسلَّم كنَّ إذا سلَّمن من الصَّلاة قمنَّ وثبت رسولُ اللهِ صلَّى اللهِ عليهِ وسلَّم ومن صلَّى من الرِّجال ما شاءَ الله فإذا قامَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهِ عليهِ وسلَّم قامَ الرِّجال) رواه البخاري والنسائي. وذات مرة وقع في الخروج من المسجد اختلاط غير مقصود فبادر عليه الصلاة والسلام إلى إنكاره ، وأوصى بما يزيله؛ كما روى أبو أسيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء: استأخرن فأنه ليس لكن أن تحققن الطريق عليكن بحافات الطريق فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به) رواه أبو داود. وفي المسجد منع النبي صلى الله عليه وسلم الاختلاط ؛ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(خير صفوفَ الرِّجالِ أولها وشرّها آخرهَا وخيرَ صفوف النِّساء آخرهَا وشرّها أولها) رواه مسلم. والمسجد أجل مكان وأشرفه ، والقلوب فيه متعلقة بالله تعالى، بعيدة عن الفساد والشر ، ومع ذلك حسمت فيه مادة الشر ، وسدت فيه ذرائع الفساد. وفي الطواف بالبيت وهو من أجل العبادات وأشرفها منع الاختلاط ؛ كما أخبر التابعي الجليل عطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى أن النساء فيه لم يكن يخالطن الرجال وقال:(كانت عائشَة رضيَ اللهُ عنها تطوفُ حجرة من الرِّجال لا تخالطُهم)رواه البخاري. ولما وقع في عهد عمر رضي الله عنه شيء من اختلاط الرِّجال بالنِّساء في الطَّواف نهى أنْ يطوفَ الرِّجال معَ النِّساء ، فرأى رجلاً معهنّ فضربه بالدرّة. تلك هي شريعَة اللهِ تعالَى في قضيةِ الإختلاط التي يسعى المُنافقون والشَّهوانيون لإقناع النَّاس أنَّ الإختلاط لا يعارضُ الدِّين ، وأنَّه من أسباب

الرُّقي والتَّقدُّم ، كذبوا والله وضلُّوا وأضلُّوا. أفبعدَ هذه النصوص المحكمة الواضحة يليق بالمؤمنين والمؤمنات أن يصدقوا أكاذيبهم ، ويرضوا بمشاريعهم ويستسلموا لإفسادهم ، وإخراجهم لنساء المسلمين وبناتهم ،

وقتلهم لحيائهن وإحصانهن وعفافهن ، ويتركوهم ينخروا في المجتمع ، ولا ينكرون ذلك عليهم؟! وقد استبان لهم الحق بأدلته ، وبان لهم الباطل بدجله وعورته ، وماذا بعد الحق إلا الضلال.أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ , وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً , يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً}. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه ، ونشكره على فضله وإنعامه ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نرجو بها النجاة يوم لقائه ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله تعالى وأطيعوه{وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ }.

أيها الناس:

عزل الرِّجال عنِ النِّساء ، واختصاصهنّ بأعمالِ المنزل وحضانة الأطفال ، واختصاص الرِّجال بالعمل والإكتساب هي الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها ، وسارت عليها البشريَّة طوال تاريخها في الشَّرق والغرب ، وعند سائر الأمم ، قبل أن تأتي الحضارة المعاصرة بهذا الضَّلال ومن قرأ تواريخ الحضارات والأمم السَّالِفة أيقن بحقيقة ذلك.ونزلت شرائِع الله تعالى على أنبيائِه ورسله عليهم السَّلام بما يوافِق هذه الفطرَة ، وقد أجمعت الشَّرائع كلها حفظ النَّسل من الإختلاط ، وعلى حفظ المجتمعات من الفساد والإنحلال ؛ ولذا كان الزِّنى محرماً على لسان كل المرسلين عليهم السلام، ويجمع كل العقلاء من البشر على أن الإختلاط أكبر سبب للزِّنى ، كما يجمع البشر على أنَّ الزِّنى سبب للأمراض والطَّواعين التي تفتك بالنَّاس ،

والواقع يدل على هذه الحقائِق. ولا يماري في شيء من ذلك إلاَّ جاهل أو مكابر ، فمن دعا للاختلاط ورضيه فهو يدعو للزِّنى وانتشار الفواحش ، وهو يدعو كذلك لنشر الطَّاعون في النَّاس ، وإهلاكِهم به ، شاء ذلك أم أبى ؛ إذ إنَّ هذه الأمراض الخبيثة هي نتاج دعوته الخبيثة.وإن تعجب فعجب لأناس يدعون للإختلاط ، وينشرون الرَّذيلة في النَّاس ، ثمَّ يحذرون من انتشار مرض الإيدز ، فهل هم صادقون في تحذيرهم ؟ وهل يعقلون ما يقولون وما يفعلون؟ وهل هم إلاَّ كمَن يسقي الإنسان سماً ثم يصيح به محذراً إيّاه أنْ يموت ممَّا سقاه. إنَّه لن تجدي المُؤتمرات والنَّدوات والتَّوعية الصِّحيَّة والاجتماعيَّة في التَّخفيف من الأمراض المستعصية ، النَّاجمَة عن الممارسات الجنسيّة المُحرَّمة إذا كان المفسدون يخلطون بين الرجال والنساء ، ويوسعون دائرة الإختلاط يوما بعد يوم ؛ وينشرون في إعلامهم ما يسعر الشَّهوات ، ويدعو إلى الرَّذيلة؛ ولذا نوصيهم ألاَّ يكذبوا على النَّاس ويخدعوهم ، ويحذروهم من انتشار الإيدز ؛ لأنَّهم أكبر سبب من أسبابه حين شرعوا للإختلاط ، وأفسدوا الإعلام ، وفرضوا على الناس آراءهم الفكرية الشهوانية. يقول العلاَّمة ابن القيم رحمه الله تعالى : ولا ريب أنَّ تمكين النِّساء من اختلاطهنّ بالرِّجال أصل كل بليَّة وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامَّة، كما أنَّه من أسباب فساد أمور العامَّة والخاصَّة.. وهو من أسباب الموت العام والطَّواعين المهلكة. ولمَّا اختلط البغايا بعسكر موسى عليه السلام، وفشت فيهم الفاحشة أرسل الله عليهم الطاعون فمات في يوم واحد سبعون ألفاً، والقصة مشهورة في كتب التفسير ، فمن أعظم أسباب الموت العام: كثرة الزنا بسبب تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال، والمشي بينهم متبرجات متجملات. وكلام ابن القيم رحمه الله تعالى لا يعجب أهل الشر والفساد ، ودعاة الرذيلة والانحلال ؛ لأنهم مستعبدون في أفكارهم لما يمليه عليهم أهل الحضارة المعاصرة ، ومشربون بحب كتابات الغربيين ، فلا بأس من نقل شيء من أقوال الغربيين من باب قول الله تعالى {وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ } وحيث إنَّ المفسدين يزعمون أنَّهم بمشاريعهم التغريبية التخريبية ينصرون المرأة ويدافعون عن حقوقها في الاختلاط والفساد فإنني سأنقل بعض أقوال النساء الغربيات حتى نعرف رأيهن في الاختلاط وقد جربنه ، وسبقن نساء العالمين إليه ،

ولسن متهمات بأنهن مؤدلجات أو متطرفات ، أو يعشن عصور الظلام والحريم كما يقول المنافقون والمنافقات. تقول الصحفية الأمريكية هيليان ستانبري (أنصحكم بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم ، امنعوا الاختلاط ، وقيدوا حرية الفتاة ، بل ارجعوا لعصر الحجاب ، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوربا وأمريكا ، امنعوا الاختلاط ، فقد عانينا منه في أمريكا الكثير ، لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعًا مليئًا بكل صور الإباحية والخلاعة ، إنَّ ضحايا الإختلاط يملأون السُجون ، إنَّ الإختلاط في المجتمع الأمريكي والأوروبِّي قد هدّد الأسرة وزلزَل القيَم والأخلاَق).وتقول كاتبة أخرى: إنَّه لعارٌ على بلادِ الإنجليز أنْ تجعل بناتها مثلاً للرَّذائِل بكثرةِ مخالطةِ الرِّجال . وفي بريطانيا حذَّرت الكاتبة الإنجليزية " الليدي كوك " من أخطار وأضرار اختلاط النِّساء بالرِّجال فقالت: على قدر كثرة الإختلاط تكون كثرة أولاد الزِّنى وقالت: علموهنَّ الإبتعاد عنِ الرِّجال.فهل يبقى لدعاة الإختلاَط والفسَاد قول وقد عارضوا شريعةَ اللهِ تعالَى ، وخالفوا الفطرَة التي فطرَ الله النَّاس عليها، وكذبوا على النَّاس فزوَّروا الحقائِق ، وأخفوا النَّتائِج المخزية للإختلاط في البِلاد التي اكتوت بذلك. حمَى الله تعالى بلادنا وبلاد المسلمين من المفسدين والمفسدات ، والمنافقين والمنافقات ، وردهم على أعقابهم خاسرين ، إنَّه سميع قريب.اللهم صل على محمد وعلى آل محمد....

==============

الإختلاط بوابة الشرور

الخطبة الأولى

أيها الأخوة في الله :

سأحلق بكم في هذه اللحظات ..خارج هذه البلاد ..في رحلة سياحية حول العالم ..لنرى من آيات الله تعالى ..ما يكون لنا عبرة ومدكرا..وآية ومعتبرا .. يقول الله تعالى {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ } دولاً غربية ..وأخرى إسلامية ..زرناها ..حتى يكون الحكم في قضيتنا واضحا ..كوضوح الشمس في رابعة النهار ..إنها قضية يستميت دعاة التغريب في بلادنا للمطالبة بها ، وفرضها علينا ..بكل الأساليب ، ومختلف الوسائل ، إنها قضية خطيرة بدأت

تنتشر في المجتمع ..كانتشار النار في الهشيم ، إنها قضية الاختلاط بين الرجال والنساء .. وحتى لا يحصل اللباس في الموضوع لابد ندرك جميعاً أن اللقاء الذي يحصل بين الجنسين لقضاء حاجة سريعة كسؤال عابر عن متاع أو استفتاء أو بيع و شراء ، فهذا غير داخل في حديثنا اليوم ..إذا توفرت الشروط الشرعية في لقاء المرأة مع الرجل الأجنبي عنها . إذن سيكون الحديث عن الاختلاط المباشر بين الرجال والنساء غير المحارم مع إمكان التحرز منه وعدم الوقوع فيه ،كالذي يحصل في قاعات الدراسة والعمل في الشركات والمؤسسات والمؤتمرات والندوات .

أيها الأخوة في الله :

قد كنا نتساءل ..هل يمكن أن يكون هناك اختلاط برئ ؟ وهل التجربة التي مرت بها تلك الدول الغربية والإسلامية كانت ناجحة ؟ تقول الصحفية الأمريكية " هِيليان ستانبري" في كشف تجربة المجتمع الغربي للاختلاط بين الرجال والنساء (.. امنعوا الاختلاط ، فقد عانينا منه في أمريكا الكثير ، لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعًا مليئًا بكل صور الإباحية والخلاعة ، إن ضحايا الاختلاط يملئون السجون ، إن الاختلاط في المجتمع الأمريكي والأوروبي ، قد هدد الأسرة وزلزل القيم والأخلاق " .. نعم أيها المسلمون إن للاختلاط آثاره المدمرة ..وأخطاره الموجعة ..ولعلي أعرض لكم نماذج يسيرة من آثاره .. واترك المجال للحقائق و الأرقام هي التي تتكلم ..وتُدلي بدلوها ..وأنت الذي تحكم..

أولاً : للاختلاط آثاره الخطيرة على التعليم ..فقد نشرت مجلة (المصور) بتاريخ 30مارس 1956 استفتاء أجرته بين طلبة الجامعات المصرية وطالباتها ..جاءت نتيجته أن خمسة وستين % منهم قرروا أن تفكيرهم في الجنس الآخر أثناء الاختلاط يؤثر على دراستهم ، إذ أن ثلاثة أرباع وقت فراغهم يضيع بحثاً عن الحب واللهو ، لذلك يرون إنشاء جامعات خاصة بالبنات) وتقول (أسماء فهمي) من مصر على إثر رجوعها من أمريكا ..: (إن الأمريكيين يرون الآن أن الاختلاط يشغل الفتيات عن الجد والنشاط العلمي بالملابس والزينة وما إلى ذلك ، مما لا يفكرون فيه عندما يفتقدون الفتيان) وهذا رد منطقي لأولئك الأقوام الذين يطالبون أن نسير مع الغرب

حذو القذة بالقذة ، فها هو الشعب الأمريكي المتقدم في نظرهم يبدي رأيه في الاختلاط ..فهل يا ترى يقبلونه أم أنه الهوى يعمي ويُصم ؟!!

أيها المسلمون :

هذه بعض المواقف التي تحكي واقع الطلاب والطالبات في المدارس المختلطة : تقول طالبة بكلية الحقوق : إن زميلها الفتى يقضي هذه المرحلة من التعليم مفكراً في جد واهتمام في أقرب طريق لعقد صفقات تعارف مع الطالبات تبرأ منها الزمالة العلمية الحقة ..وقد طلب أحدهم مرة كراسة محاضراتها بدعوى حاجته لنقل ما فاته من الدروس ، ففوجئت به وهو يعيدها إليها وقد دس بين أوراقها رسالة غرام عابث رخيص ..وقالت طالبة أخرى في كلية الآداب :إن بعض زملائها في الكلية لم يأتوا لطلب العلم ، وإنما أتوا ليطلبوا القرب من الطالبات فهم يتأنقون إلى حد مبتذل ويمضغون اللبان ويستعرضون أمام زميلاتهم لغزو قلوبهن !! و أناحت طالبتان أخريان باللائمة على زميلاتهن اللاتي يلطخن وجوههن بمواد الزينة ، وهن في طريقهن إلى الجامعة ، ويرتدين من الملابس الضيقة والخفيفة ما لا يتناسب مع قدسية العلم ، ويحرصن على إحاطة أنفسهن بأكبر مجموعة من الزملاء المعجبين المغرمين ، وقالت السادسة : إنه مما يؤسف له أن بيننا زملاء ما يزالون . رغم أنهم في الجامعة . أطفالاً فهم يطاردون زميلاتهم إلى بيوتهن ، وينشدون من قصائد الحب والغزل ما لا يرضاه الذوق والخلق !! وهذه المواقف إنما هي إجابة واقعية للذين يقولون الاختلاط يزيل الشعور بعدم الثقة بين الرجل والمرأة ، أو الذين يقولون إن عزل الطلاب عن الطالبات تزمت ورجعية ..يقول محمد الوسمي رحمه الله : (ذات يوم شاهدت رتلاً من السيارات يواصل سيره إلى مكان معين ، فسألت عن هذه السيارات وهدفها ، فعرفت أنها رحلة جامعية مختلطة ، ركبت سيارتي وتبعت القافلة ،ومازلت أتابعها حتى وصلت إلى نويصيب ، وهنا شاهدت شيئا مؤسفاً ومحزنا ، فقد رأيت الطلبة والطالبات مثنى مثنى ، أي أن كل طالبة وطالب يبتعدان عن محط القافلة ، وينفردان ببعضهما في مكان ناء ..سألت السائق فقال : هذا شيء عادي ويحدث كل مرة) فأين الذين يقولون : إن التعليم من شأنه أن يرتفع بعقل المرأة والرجل عن مستوى عبث الغرائز ولهو العواطف !! ها هي التجربة تحكي واقعاً مريراً

ليس من طلاب وطالبات المرحلة الثانوية ، بل المرحلة الجامعية بل وما بعد الجامعة من أساتذة الجامعات ومثقفي المجتمع ورموزه !!!

ثانياً : أما آثار الاختلاط على الأعراض ..فقد تسبب في كثرة الفواحش والتحرشات الجنسية ..وتزايد حالات الإجهاض ..وكثرة أولاد الزنى .. وبالتالي انتشار الأمراض الفتاكة .. والتي فتكت بحياة وصحة الكثير من الفتيان والفتيات ..يقول "جورج رائيلي" : (والسبب الآخر الخطير الذي عمت لأجله الفوضى الجنسية في المجتمع أن النساء لا يزلن يتهافتن على الأشغال التجارية ووظائف المكاتب والحرف المختلفة ، حيث تسنح لهن فرص الاختلاط بالرجال صباح مساء ، وقد حط ذلك من المستوى الخلقي في الرجال والنساء) وقد حذرت الكاتبة الإنجليزية " الليدي كوك " من أخطاره وأضراره .. حيث كتبت محذرة في جريدة (ألايكو): (على قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنى ، وهاهنا البلاء العظيم على المرأة ..لقد دلنا الإحصاء على البلاء الناتج من حمل الزنى يتعاظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال ..) .

ثالثاً : ومن آثار الاختلاط على الأسرة ..ضياع الأبناء ، وكثرة العوانس ، وفقدان الثقة بين الأزواج ، وانتشار الطلاق : وقد بيَّن الدكتور "سوليفان "هذا بقوله : (إن السبب الحقيقي في جميع مفاسد أوروبا وفي انحلالها بهذه السرعة هو إهمال النساء للشؤون العائلية المنزلية ، ومزاولتهن الوظائف والأعمال اللائقة بالرجال في المصانع والمعامل والمكاتب جنبا إلى جنب) .ومن القصص التي حصلت ما ذكره أحدهم قائلاً : (بعد عامين من زواجي ألحّت علي زوجتي بأن تعمل من أجل حياة أفضل ، رفضت في بادئ الأمر وعملت مربية في أحد معاهد دمشق براتب بسيط جداً ، وبعد عام ركب الغرور رأسها ، طالبت أن تعمل في الوزارات أو في المؤسسات ، قنعت بذلك لثقتي بأخلاقها وشدة حرصها على سمعتها وكرامتها ولأنها أم لطفل صغير . ولم تمض بضعة أشهر على عملها في مؤسسة ما حتى حدثت المأساة الخطيرة التي لم تكن في حسباني .. ماذا حدث ؟ حدث أن طارت الزوجة مع زميل لها في العمل عندما زين لها فكرة الهرب وسلب رشدها بمعسول الكلام فكان له ما أراد) فهل أدركتم خطورة الاختلاط ..وأثره في هدم الحب والوئام بين الزوجين ؟!!

رابعاً : ومن آثار الاختلاط كذلك : فقدان الراحة النفسية ، والسعادة القلبية : وفي المقابل تنتشر الأمراض النفسية بين الفتيان والفتيات ..وبين الفتيات أكثر خاصة إذا كانت الفتاة غير جميلة ..تقول فتاة أمريكية تبلغ من العمر خمسة عشر عاماً : إنها تحب مدرسة الفتيات فقط التي تدرس فيها. وتضيف قائلة : كنا نشعر بالخوف عندما كان معنا أولاد... كان علينا أن نرتدي ملابس جميلة ونظهر أنيقات... إننا نشعر بالراحة أكثر الآن بوجودنا في محيط كله بنات..ونشرت مجلة الأحد اللبنانية رسالة من أنثى افتتحتها واختتمتها بهذه العبارة : (ليتني لم أكن أنثى) وقالت خلال سطورها : ..إنني مضطرة لمسايرة بنات جنسي ، ولأكسب إعجاب الرجال ، أن أطلي وجهي بالأحمر والأبيض والأسود ، وإذا ما كنت في مجتمع رجالي حاولت أن أتقمص الشخصية التي تروقهم ،فأنا حينا رصينة هادئة ، وطوراً لعوب مغناج ، وآونة أخرى ساذجة غريرة ، وفي أحيان كثيرة أتصنع الهبل كل ذلك في سبيل أن أحوز إعجاب كل طائفة من الرجال.ولذا أعجز عن تخطيط شخصيتي أو فهم نفسيتي ، ليتني لم أكن أنثى ..إذن لانطلقت في هذا العالم الواسع أمشي على هواي وألبس على هواي وأتحدث على هواي) أفليس هذا الذي تعترف به هذه الفتاة العصرية من حيرة وضياع هو نتيجة طبيعية لخروج المرأة عن فطرتها وانصرافها عن وظيفتها ، واهتمامها بغشيان مجتمعات الرجال ، وإنشاء صداقات معهم للظفر بإعجاب كل واحد منهم ، على اختلاف الأهواء والأمزجة في نفوس الرجال ؟!! هذه أيها الأخوة بعض آثار الاختلاط ..والسؤال بعد هذا العرض ..هل يحتاج العقلاء إلى أدلة لتحريم الاختلاط بعد أن عرفوا بعض آثاره الفتاكة ..لقد زرنا في جولتنا هذه .. دولاً غربية ..وأخرى إسلامية ..ووجدنا أن الاختلاط سبب لهم هذه الآثار القاتلة ..ولم يحصدوا منه سوى الضياع والانحلال .. فهل نحتاج الآن إلى الاستدلال بحرمة الاختلاط من الأدلة الشرعية ..فضلاً أن نظن أن الشريعة لن تحرم أمراً هذه بعض أضراره وأخطاره ..بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

الخطبة الثانية

أيها المسلمون :

لقد توافرت النصوص الشرعية في الحرص على تباعد الرجال عن النساء درءً للفتنة ..فقد جاءت الأدلة الشرعية بالأمر بقرار المرأة في بيتها وألا تخرج إلا لحاجة ولو كانت الشريعة ترغب في كثرة لقاء الرجال بالنساء لما جاء الأمر بقرارها في بيتها ..كما جاءت الشريعة بالنهي عن الدخول على النساء كقوله صلى الله عليه وسلم : (إياكم والدخول على النساء) ولو كانت الشريعة ترغب في كثرة اللقاء بينهما لما جاء النهي عن الدخول على النساء ..ولماذا لم تُلزم الشريعةُ المرأةَ ما يلزم الرجل من الواجبات الاجتماعية ،فعلى سبيل المثال : أجمع العلماء على أن صلاة الجمعة لا تجب على المرأة ، ولا يجب عليها الجهاد في سبيل الله ، وأسقط عنها الشرع النفقة ..وكل هذه الأعمال تحتاج إلى الخروج من المنزل وكثرة احتكاكها بالرجال ..وهذا يبين حرص الشريعة على بعد الجنسين عن بعضهما وقد جاء أيها المسلمون الأمر بتخصيص باب خاص للنساء في المسجد ، فيا ترى لماذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، فلو كان صلى الله عليه وسلم يرغب في كثرة احتكاك الطرفين بعضهما ببعض لما أمر بذلك ولجعلهما يخرجان من باب واحد ..ثم أيها المؤمنون لماذا جاءت الأدلة بالأمر بغض البصر ..فيا ترى.. كيف يغض بصره من كان يعمل في مكتب فيه موظفة ؟ أو في مستشفى فيه طبيبة أو ممرضة ؟ ولماذا فضلت الشريعة صلاة المرأة في بيتها على صلاة الجماعة بل تفضيل صلاتها في بيتها على صلاتها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أن الصلاة فيه مضاعفة !! وكيف نجمع بين نفسين تميل بعضهما إلى بعض ؟!! والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) . ويا ترى ما الداعي لأن يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتريث الرجال في الانصراف من المسجد حتى تخرج النساء ..و لو كان الأمر مستويا في الشريعة هل كان يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يتريث الرجال لتتصرف النساء ؟!! ولو كان الاختلاط سائغاً ..لماذا جعل خير صفوف النساء آخرها وشرها أولها وخير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها ..ألا يدل ذلك على تأكيد الشريعة انفصال الرجال عن النساء ؟!! يقول الإمام النووي رحمه الله : (وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال

لبعدهن من مخالطة الرجال ورؤيتهم وتعلق القلب بهم ثم رؤية حركاتهم وسماع كلامهم ونحو ذلك وذم أول صفوفهن لعكس ذلك والله أعلم) .

أيها المؤمنون :

لقد تتابعت أقوال العلماء في بيان حرمة الاختلاط وضرره العظيم على المجتمع يقول الحسن البصري رحمه الله : (إن اجتماع الرجال والنساء لبدعة) ويقول الشيخ العلامة بكر بن عبدالله أبو زيد . حفظه الله وشفاه . : (حُرِّم الاختلاط، سواء في التعليم، أم العمل، والمؤتمرات، والندوات، والاجتماعات العامة والخاصة، وغيرها؛ لما يترتب عليه من هتك الأعراض ومرض القلوب، وخطرات النفس، وخنوثة الرجال، واسترجال النساء، وزوال الحياء، وتقلص العفة والحشمة، وانعدام الغيرة.).ومن هنا يتبين أن هناك صورا كثيرة من صور الاختلاط أفتى العلماء بحرمتها فمن تلك الصور : الاختلاط في دور التعليم كالمدارس والجامعات والمعاهد والدروس الخصوصية في البيوت ، واختلاط الخدم بالنساء في البيوت ، أو اختلاط الخادمات بأهل البيت . أعني الذكور ..و الاختلاط في الوظائف وأماكن العمل ..كالمستشفيات والمصانع والمؤسسات ونحوها ..والاختلاط في المحاضرات الطبيبة أو المؤتمرات أو المنتديات الاقتصادية ونحوها ..والاختلاط في المناسبات والزيارات بين الجيران والأعراس والحفلات ..ويتساهل أقوام بهذه الصورة مع أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما قيل له : أفرأيت الحمو يا رسول الله ؟ قال : الحمو الموت) والاختلاط في أماكن الترفيه والمتنزهات والمطاعم والتي تسمى اليوم بالأماكن العائلية وأخيرا اختلاط الأولاد الذكور والإناث . ولو كانوا إخوة . بعد التمييز في المضاجع ، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتفريق بينهم في المضاجع .

أيها المسلمون :

لم يسكت دعاة التغريب في محاولة مستميتة للتلبيس على الأمة في جواز الاختلاط ..وأخذوا يثيرون الشبه تلو الشبه لمحاولة إقناع الناس بأن الاختلاط أمر لا غضاضة فيه ..ويتلبسون بالدين أحيانا لتحقيق مصالحهم الإبليسية ..فمما قالوه : إن واقع المسلمين منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا يؤدون الصلاة في مسجد واحد.. الرجل والمرأة.. ولذلك فإن التعليم لابد أن يكون في مكان واحد. ونقول رداً

عليهم ..لقد أجمع العلماء على أن ما كان سبباً للفتنة وانتشار الفساد فإنه يكون محرماً شرعاً ، وقد شهد الواقع والعقل على أن اجتماع الطلاب والطالبات في المدارس من أكبر أسباب الفتنة ولذلك فهو محرم وقد حكى الإجماع شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره . ومن الشبه ثانياً : الحديث الذي جاء فيه أن رجلاً من الأنصار ضيف ضيفاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأدخلت المرأة الطعام عليهما وقال لها : تعالي فأطفئي السراج ..فيفهم من الحديث أن المرأة دخلت على الضيف وجلست معه وأكلت وهذا هو الاختلاط ولو كان حراماً لنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما جرى كما أخبره عن إيثارهما وكرمهما مما يدل على جواز الاختلاط . والجواب : أن هذه القصة حدثت قبل نزول الحجاب و تحريم الاختلاط ، وذلك أن هذه القصة كانت سبباً لنزول قوله تعالى {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}وهي آية من سورة الحشر ، وسورة الحشر نزلت في بني النضير ، وقد أجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم على أكثر الأقوال في سنة أربع ، وآيات الحجاب نزلت في السنة الخامسة ..فيكون أمر هذه القصة كله قبل نزول أحكام الحجاب . ومن الشبه أيضا : قالوا لو كان الاختلاط ممنوعاً لما سمح النبي صلى الله عليه وسلم بالاختلاط بالطواف بالبيت الحرام . والجواب : من قال إن الاختلاط في الطواف جائز أصلا ..إن ما يفعله الناس اليوم خطأ واضح وقد قدمت حلول ومقترحات ، ولذا كانت عائشة رضي الله عنها تطوف في ناحية من الرجال لا تخالطهم كما في صحيح البخاري ..وكانت النساء تطوف بالليل وقبل الطواف يُخرج الرجال ثم يبدأن الطواف ..( ) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (روى الفاكهي من طريق زائدة عن إبراهيم النخعي قال : نهى عمر أن يطوف الرجال مع النساء ، قال : فرأى رجلاً معهن فضربه بالدرة" ..أرأيتم كيف كان السلف الصالح يحرصون على عدم الاختلاط حتى في أماكن العبادة والتي هي من أبعد الأماكن ريبة فكيف بغيرها ؟!!

أيها المسلمون :

إنني ومن على منبر محمد صلى الله عليه وسلم أناشد كل مسلم غيور أن يسعى قدر المستطاع لإزالة ظاهرة الاختلاط من المجتمع ..ويمنع من استفحالها ..سواء

كان ذلك في المستشفيات أو المؤسسات أو المطاعم أو المدارس العالمية أو إدارات البنوك أو غيرها ..فالشرع ونظام البلد يمنع من ذلك ولله الحمد والمنة ..فنحن نعيش في سفينة واحدة والاختلاط سبب من أسباب غرقها ..فليجتهد كل واحد منكم في إنقاذ السفينة من الغرق ..

اللهم جنب المسلمين فتنة الاختلاط بما تشاء يا سميع الدعاء

================

اختلاط النساء بالرجال الحكم والأدلة1

الخطبة الأولى

الحمد لله العليم الخبير ؛ شَرَع لعباده من الدِّين أحسنه ، واختار لهم من الشَّرائع أكملها ، فأكمل لهم دينهم ، وأتمَّ عليهم نعمتَه ، ورضيَ لهم الإسلامَ دينا ، نحمده على ما شرعَ وأوجبَ ، ونشكرهُ على ما أعطى وأنعم ، وأشهدُ ألاَّ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدهُ لا شريكَ له ؛ خلقَ فأتقنَ الخلقَ ، وحكمَ فأحسنَ الحكمَ {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} وقوله تعالى {أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} وأشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسوله ؛ أنصحُ الخلقِ للخلق ، وأتقاهُم لله تعالى ، لا خير إلاَّ دلَّنا عليه ، وأمرنا به ، ولا شر إلاَّ حذَّرنا منه، ونَهانا عنه ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ؛ أسرَعِ هذه الأمة استجابة للأوامر الربَّانيَّة ، وأشدِّهم التزاماً بالأحكام الشرعيَّة ، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين.

أما بعد :

فاتَّقوا الله – أيُّها النَّاس – وأطيعُوه ، واعمَلوا في دنياكم ما يَكون زاداً لكم في أُخراكم ، واعلموا أنَّ الدنيا إلى زَوال ، وأنَّ الآخرةَ هيَ دارُ القرَار ، وأنَّ الموتَ حق ، وأنَّ السَّاعة آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنَّ الله يبعثُ من في القُبور {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ }

أيها الناس:

من دلائِل صِدقِ إيمانِ العَبد ، وسلامةِ قلبِه لله تعالى: الإستسلام لأمرِه سبحانه في الأُمور كلِّها ، وتعظيم نُصوص الشَّريعَة ، والوُقُوف عِندها ، وتقديمِها على أقوال الرِّجال مهما كانوا {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ

بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ }

وإنَّما تقع الرِّدة والضَّلال ، ويتأصَّل الزَّيغ والنِّفَاق في قلبِ العبد إذا عارَض شرع اللهِ تعَالى ؛ تقليداً لغيرِهِ ، أو لرأيٍ أحدثه ، مُتبعاً فيه هَواه ، مُعرضاً عنْ شرعِ الله سبحانه {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }ومع عظيم الأسى ، وشديد الأسف فإنَّ الإعلام المُعاصر في أكثر فضائِياته وإذاعاته ، وصُحُفِه ومَجلاَّته ، يُربِّي المتلقين عنه على التَّمرُّد على أوامِر الله تعالى ، وانتِهاك حُرُماته والإجتِراء على شريعتِه ، في كثير من القضَايا التي يلقيها على النَّاس من سِياسيَّة واقتِصاديَّة ، واجْتماعيَّة وثقافيَّة ، ولا سيَّما إذا كان الحديث عنِ المرأة وقضَاياها .لقدِ اعتاد المتلقون عنِ الإعلام وبشكلٍ يومي ، بل وفي كلِّ ساعة ولحظَة ، اعتادوا على مُشاهدة سُفور النِّساء ، وظُهُورِهنّ بأبَهى حُلَّة ، وأَجمَل زِينَة ، مُتكشِّفَات مُبتسِمات ، مُختلِطات بالرِّجال ، تجلِس المرأة بجِوار الرجل وتُمازِحه وتُضاحِكه ، أمَّام ملايين المُشاهِدين والمُشاهِدات ، ولا هيَ قريبتُه ، ولا هو محرم لها ، وليس بينهما رباط إلاَّ رِباط الإعلام والشَّيطَان ، ولا يكاد يخلو برنامج أو فقرة من رجل وامرأة في الأخبار والحِوار والرِّياضة والسِّياسة ، والأزيَاء والطَّبخ ، بل حتَّى برامِج الأطفَال لا بُد فيها من فتى وفتاة ، وهذه الصورة المُتكرِّرة في كُلِّ لحظَة تَهُون هذا المُنكر العَظيم في نُفُوس المُشَاهدين ، وتُحَوِّلُهُ مِن مَعصِية وعَيب إلى لا شَيء ؛ وتِلك والله مِن الفِتَن التي يُرقِّق بعضُها بعضاً كما جاء في الحديث ، واعتِياد النَّاس لهذه المَشاهد الآثِمة يجعل إنكارهم لها ، وانصرَافهم عنها ضعيفاً جداً ، بل لرُبَّما أنكَر أكثرهم على من ينكرها ، أو ينكر على من يُشَاهدها ، فانقلبت مِن كونِها مُنكراً وباطلاً إلى معروف وحق لا يجوز أنْ يُجَادَل فيه أحد.وهذا التَّهوين للمُنكَر بالفِعل والصُّورة الذي يتَكرَّر في كُلِّ سَاعة ولَحظة ، يُصاحِبه تسويغ له بالكلمة والمَقالة ؛ فينبري أجهلِ النَّاس بالشَّريعة ، وأضعف الخلق ديانة لمناقشة مسائل الحِجَاب والسُّفُور والخَلوَة والإختِلاط ، وسَفَر المَرأة بِلا مَحَرم ، وليس نِقاشهم عِلمِياً موضوعياً لإحقاق حق ، وإبطَال باطِل ، وإنَّما هو نسف للشَّريعة ، وإبطَال للقُرآن والسُنَّة ، والغَاء لما سَارت عليه الأُمَّة المُسلمَة في قُرونشها السَّالفة ، وإحلال للقوانين والعَادات

الغَربية محل شريعة الله تعالى في التَّعظيم والطَّاعة والإمتِثال باسم الإنفِتاح والرُّقي والتَّقدُّم.ومِن آثار هذا التجييش الإعلامي للباطل ، ونشر تلك الرَّذائِل على أوسع نطاق نرى تَغَيُّراً مستمراً في كثيرٍ منَ بُيوتِ المُسلمين ، يَتجلَّى في مَ◌َظاهر عِدَّة ، وأخلاقِ بدِيلة لم يكُن المُسلمُون يعرفونَها قبل هذا الغَزو الإعلامي ، من التَّساهل بالحِجَاب ، وسَفَر الفتاة للدِّراسَة بِلاَ مَحَرَم ، ومُزَاحمة المرأة للرِّجال في العمل ، واختلاطِها بِهِم في كَثير مِنَ المجالات والأعمال ، بلا خجل ولا حياء ، وأهل الفساد يوسعون دائرة الإفساد ليجتاح الأمة بأكملها ، ويأتي على البيوت والأسر كلها ، وإذا لم يسع المسلمون لإيقاف هذه الأمراض التي تفتك بالمجتمعات ، ولم يأخذوا على أيدي دعاة الرذيلة وناشري الفساد ؛ فإنه سيأتي اليوم الذي يفقد فيه الرجل سلطانه على نسائه وبناته ، فيخرجن متى أردن ، ويصاحبن من شئن ، ويفعلن ما يحلو لهن ، كما وقع في كثير من بلاد المسلمين التي غزاها شياطين الإنس بأفكارهم ، ودمروها بمشاريعهم التغريبية التخريبية ، وحينها لا ينفع ندم ولا بكاء على عفة فقدت ، وقد كانت من قبل تستصرخ أهل الغيرة ولا مجيب لها ، ونعيذ بالله تعالى بلادنا وبلاد المسلمين إن يحل بها ذلك.إنَّ الخطَأ خطأ ولو كثر الواقعون فيه ، وإنَّ المنكر لا ينقلب إلى معروف بمجرد انتشاره ، وهكذا الباطل يبقى باطلا ولو زينه المزورون بزخرف القول ، وروجوه بالدعاية ، والواجب على أهل الإسلام إنكار المنكر ولو كان المتجافي عنه غريبا في الناس، كما يجب عليهم إحقاق الحق ولو أعرض عنه أكثر الناس ، فانتشار الباطل وانتشاء أهله ، وغربة الحق وضعف حملته لا يسوغ السكوت والتخاذل. وإلا غرق المجتمع كله في حمأة الباطل ، وطوفان الرذائل. واختلاط المرأة بالرجال هي القضية الأساس التي يسعى المفسدون لنشرها في المجتمع ، ويستميتون في إقناع الناس بها ، ويوجدون لها المسوغات ، ويجعلونها من الضرورات ، ويعزون كل بلاء في الأمة وتخلف وانحطاط إلى ما ساد من عزل المرأة عن الرجل في التعليم والعمل وغير ذلك. ويعلم المفسدون في الأرض أنهم إن نجحوا في نشر الاختلاط وقهر الناس عليه بقوة القرارات الدولية ، والتَّخويف بالدّول المستكبرَة ، واستغلالِ نفوذِهم في بلادِ المسلمين ، والتفافشهم على أصحابِ القرارَات والتوصيات

، مما يجعلهم قادرين على إلجاء الناس إليه عمليا في العمل والدراسة ، وفرضه بقوة النظام

– وهو ما يسعون إليه بجد وقوة – فإن ما بعد الاختلاط من الإفساد يكون أهون ، والنساء إليه أسرع كالخلوة المحرمة ، وسفر المرأة بلا محرم ، وسفورها وتبرجها ، وعرض زينتها وغير ذلك من الإثم والضلال ، وانتهاك حرمات الكبير المتعال. ولن يوقف ذلك إلا إنكار الناس عليهم ، ورفضهم لمشاريعهم التغريبية ، وكشف خططهم ومآربهم لعامة الناس ، والأمر يعني الجميع ، ولا يختص بأحد دون أحد ، ومن حق الناس أن يسعوا إلى ما فيه حفظ بيوتهم وأسرهم ، وبناتهم ونسائهم من أسباب الفساد والانحراف ، وأن يأخذوا على أيدي المفسدين والمفسدات ، من أتباع الغرب وعباد الشهوات. ومن نظر في شريعة الله تعالى يجد أنها أوصدت كل الأبواب المؤدية إلى الإختلاط ، وسدت الذرائع لذلك ، وحمت المجتمع من الفاحشة والرذيلة بتشريعات ربانية تبقي على المجتمع عفته وطهارته ونقاءه ، واستقامة أسره ، وصلاح بيوته ما دام أفراده قائمين بأمر الله تعالى ، ممتثلين لشرعه ، مستسلمين لنصوص الكتاب والسنة ، ولم يسمحوا للمفسدين أن ينخروا ذلك السياج الرباني بين الرِّجال والنِّساء. يقول الله تعالى قوله سبحانه : { وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ } وهذا الخطاب الرباني لأطهر هذه الأمة قلوبا وهم الصحابة رضي الله عنهم ، وفي أعف النساء وهن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، فما بالكم بمن هم دونهم من الرجال ، ودونهن من النساء ؟ { وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ} فالخالق الرازق سبحانه يأمر في كتابه بالحجاب بين الرجال والنساء والمفسدون يريدون تحطيمه وإزالته. وفي خطاب رباني آخر {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ} ثم قال سبحانه{وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ } فلو كان الاختلاط سائغا في الشرع لكان في هذه الأوامر الربانية تكليف بما لا يطاق ؛ إذ كيف تختلط المرأة بالرجل ، وتجلس بجواره في العمل أو الدراسة ، ولا ينظر كل واحد منهما للآخر وهما يتبادلان الأعمال والأوراق والدروس. وذكر النبي عليه الصلاة والسلام أن من حق الطريق: غض البصر ، فإذا كان غض البصر واجبا على الرجال إذا مرت بمجلسهم في الطريق امرأة ، فكيف يسوغ

للمزورين أن يزعموا أن شريعة الله تعالى لا تمانع من اختلاط الرجال بالنساء. وفي حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام: (إياكم والدخول على النساء) رواه الشيخان. فكيف إذا بالمكث عندهن وأمامهن وبجوارهن في ساعات العمل كل يوم. بل إن النبي صلى الله عليه وسلم عمل على منع الاختلاط في الطريق أثناء الخروج من المسجد ، وما هو إلا لحظات ، وعقب عبادة عظيمة ، والرجال فيه والنساء من المصلين والمصليات ، وهم وهن أقرب للتقوى ، وأبعد عن الريبة ، فكيف بغير ذلك ؟ روت أم سلمة رضي الله عنها: (أنَّ النِّساء في عهدِ رسولِ الله صلَّى الله عليهِ وسلَّم كنَّ إذا سلَّمن من الصَّلاة قمنَّ وثبت رسولُ اللهِ صلَّى اللهِ عليهِ وسلَّم ومن صلَّى من الرِّجال ما شاءَ الله فإذا قامَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهِ عليهِ وسلَّم قامَ الرِّجال) رواه البخاري والنسائي. وذات مرة وقع في الخروج من المسجد اختلاط غير مقصود فبادر عليه الصلاة والسلام إلى إنكاره ، وأوصى بما يزيله؛ كما روى أبو أسيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء: استأخرن فأنه ليس لكن أن تحققن الطريق عليكن بحافات الطريق فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به) رواه أبو داود. وفي المسجد منع النبي صلى الله عليه وسلم الاختلاط ؛ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(خير صفوفَ الرِّجالِ أولها وشرّها آخرهَا وخيرَ صفوف النِّساء آخرهَا وشرّها أولها) رواه مسلم. والمسجد أجل مكان وأشرفه ، والقلوب فيه متعلقة بالله تعالى، بعيدة عن الفساد والشر ، ومع ذلك حسمت فيه مادة الشر ، وسدت فيه ذرائع الفساد. وفي الطواف بالبيت وهو من أجل العبادات وأشرفها منع الاختلاط ؛ كما أخبر التابعي الجليل عطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى أن النساء فيه لم يكن يخالطن الرجال وقال:(كانت عائشَة رضيَ اللهُ عنها تطوفُ حجرة من الرِّجال لا تخالطُهم)رواه البخاري. ولما وقع في عهد عمر رضي الله عنه شيء من اختلاط الرِّجال بالنِّساء في الطَّواف نهى أنْ يطوفَ الرِّجال معَ النِّساء ، فرأى رجلاً معهنّ فضربه بالدرّة.

تلك هي شريعَة اللهِ تعالَى في قضيةِ الإختلاط التي يسعى المُنافقون والشَّهوانيون لإقناع النَّاس أنَّ الإختلاط لا يعارضُ الدِّين ، وأنَّه من أسباب الرُّقي والتَّقدُّم ، كذبوا والله وضلُّوا وأضلُّوا. أفبعدَ هذه النصوص المحكمة الواضحة يليق بالمؤمنين والمؤمنات أن يصدقوا أكاذيبهم ، ويرضوا بمشاريعهم ويستسلموا لإفسادهم ، وإخراجهم لنساء المسلمين وبناتهم ، وقتلهم لحيائهن وإحصانهن وعفافهن ، ويتركوهم ينخروا في المجتمع ، ولا ينكرون ذلك عليهم؟! وقد استبان لهم الحق بأدلته ، وبان لهم الباطل بدجله وعورته ، وماذا بعد الحق إلا الضلال.أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ , وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً , يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً}.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه ، ونشكره على فضله وإنعامه ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نرجو بها النجاة يوم لقائه ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله تعالى وأطيعوه{وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ }.

أيها الناس:

عزل الرِّجال عنِ النِّساء ، واختصاصهنّ بأعمالِ المنزل وحضانة الأطفال ، واختصاص الرِّجال بالعمل والإكتساب هي الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها ، وسارت عليها البشريَّة طوال تاريخها في الشَّرق والغرب ، وعند سائر الأمم ، قبل أن تأتي الحضارة المعاصرة بهذا الضَّلال ومن قرأ تواريخ الحضارات والأمم السَّالِفة أيقن بحقيقة ذلك.ونزلت شرائِع الله تعالى على أنبيائِه ورسله عليهم السَّلام بما يوافِق هذه الفطرَة ، وقد أجمعت الشَّرائع كلها حفظ النَّسل من الإختلاط ، وعلى حفظ المجتمعات من الفساد والإنحلال ؛ ولذا كان الزِّنى محرماً على لسان كل المرسلين

عليهم السلام، ويجمع كل العقلاء من البشر على أن الإختلاط أكبر سبب للزِّنى ، كما يجمع البشر على أنَّ الزِّنى سبب للأمراض والطَّواعين التي تفتك بالنَّاس ، والواقع يدل على هذه الحقائِق. ولا يماري في شيء من ذلك إلاَّ جاهل أو مكابر ، فمن دعا للاختلاط ورضيه فهو يدعو للزِّنى وانتشار الفواحش ، وهو يدعو كذلك لنشر الطَّاعون في النَّاس ، وإهلاكِهم به ، شاء ذلك أم أبى ؛ إذ إنَّ هذه الأمراض الخبيثة هي نتاج دعوته الخبيثة.وإن تعجب فعجب لأناس يدعون للإختلاط ، وينشرون الرَّذيلة في النَّاس ، ثمَّ يحذرون من انتشار مرض الإيدز ، فهل هم صادقون في تحذيرهم ؟ وهل يعقلون ما يقولون وما يفعلون؟ وهل هم إلاَّ كمَن يسقي الإنسان سماً ثم يصيح به محذراً إيّاه أنْ يموت ممَّا سقاه. إنَّه لن تجدي المُؤتمرات والنَّدوات والتَّوعية الصِّحيَّة والاجتماعيَّة في التَّخفيف من الأمراض المستعصية ، النَّاجمَة عن الممارسات الجنسيّة المُحرَّمة إذا كان المفسدون يخلطون بين الرجال والنساء ، ويوسعون دائرة الإختلاط يوما بعد يوم ؛ وينشرون في إعلامهم ما يسعر الشَّهوات ، ويدعو إلى الرَّذيلة؛ ولذا نوصيهم ألاَّ يكذبوا على النَّاس ويخدعوهم ، ويحذروهم من انتشار الإيدز ؛ لأنَّهم أكبر سبب من أسبابه حين شرعوا للإختلاط ، وأفسدوا الإعلام ، وفرضوا على الناس آراءهم الفكرية الشهوانية. يقول العلاَّمة ابن القيم رحمه الله تعالى : ولا ريب أنَّ تمكين النِّساء من اختلاطهنّ بالرِّجال أصل كل بليَّة وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامَّة، كما أنَّه من أسباب فساد أمور العامَّة والخاصَّة.. وهو من أسباب الموت العام والطَّواعين المهلكة. ولمَّا اختلط البغايا بعسكر موسى عليه السلام، وفشت فيهم الفاحشة أرسل الله عليهم الطاعون فمات في يوم واحد سبعون ألفاً، والقصة مشهورة في كتب التفسير ، فمن أعظم أسباب الموت العام: كثرة الزنا بسبب تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال، والمشي بينهم متبرجات متجملات. وكلام ابن القيم رحمه الله تعالى لا يعجب أهل الشر والفساد ، ودعاة الرذيلة والانحلال ؛ لأنهم مستعبدون في أفكارهم لما يمليه عليهم أهل الحضارة المعاصرة ، ومشربون بحب كتابات الغربيين ، فلا بأس من نقل شيء من أقوال الغربيين من باب قول الله تعالى {وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ } وحيث إنَّ المفسدين يزعمون أنَّهم بمشاريعهم التغريبية التخريبية ينصرون

المرأة ويدافعون عن حقوقها في الاختلاط والفساد فإنني سأنقل بعض أقوال النساء الغربيات حتى نعرف رأيهن في الاختلاط وقد جربنه ، وسبقن نساء العالمين إليه ، ولسن متهمات بأنهن مؤدلجات أو متطرفات ، أو يعشن عصور الظلام والحريم كما يقول المنافقون والمنافقات.

تقول الصحفية الأمريكية هيليان ستانبري (أنصحكم بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم ، امنعوا الاختلاط ، وقيدوا حرية الفتاة ، بل ارجعوا لعصر الحجاب ، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوربا وأمريكا ، امنعوا الاختلاط ، فقد عانينا منه في أمريكا الكثير ، لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعًا مليئًا بكل صور الإباحية والخلاعة ، إنَّ ضحايا الإختلاط يملأون السُجون ، إنَّ الإختلاط في المجتمع الأمريكي والأوروبِّي قد هدّد الأسرة وزلزَل القيَم والأخلاَق).

وتقول كاتبة أخرى: إنَّه لعارٌ على بلادِ الإنجليز أنْ تجعل بناتها مثلاً للرَّذائِل بكثرةِ مخالطةِ الرِّجال . وفي بريطانيا حذَّرت الكاتبة الإنجليزية " الليدي كوك " من أخطار وأضرار اختلاط النِّساء بالرِّجال فقالت: على قدر كثرة الإختلاط تكون كثرة أولاد الزّنى وقالت: علموهنَّ الإبتعاد عنِ الرّجال.

فهل يبقى لدعاة الإختلاَط والفسَاد قول وقد عارضوا شريعةَ اللهِ تعالَى ، وخالفوا الفطرَة التي فطرَ الله النَّاس عليها، وكذبوا على النَّاس فزوَّروا الحقائِق ، وأخفوا النَّتائِج المخزية للإختلاط في البِلاد التي اكتوت بذلك.

حمَى الله تعالى بلادنا وبلاد المسلمين من المفسدين والمفسدات ، والمنافقين والمنافقات ، وردهم على أعقابهم خاسرين ، إنَّه سميع قريب.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد....

==============

نقد مقال قراءة في الذِّهنية السلفيَّة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد : فقد نشرت مجلة البيان في عددها (156) قضية للمناقشة بعنوان : « قراءة في الذهنية السلفية » للكاتب الأستاذ نواف الجديمي ، وقد أحسن الكاتب في اهتمامه بالنقد الذاتي لمناشط السلفيين ، فهذا النقد ومحاسبة النفس أمر متقرر شرعاً والحوار

العلمي الجاد وسيلة من وسائل البناء والتصحيح ، كما أحسنت مجلة البيان في قبولها لهذا النقد الذي يتوجه إليها ابتداءاً . وثمة تعقيبات على بعض ما نشره الأخ الكاتب نواف – وفقه الله للصالحات– أسوقها على النحو الآتي :

أولاً : ذكر الكاتب أن هذه المآخذ والإشكاليات تسود غالب الاتجاهات السلفية المعاصرة ، وهذا تعميم خاطئ ؛ فالكاتب لم يحدد هذه المعاصرة لا زمناً ولا مكاناً ولا حالاً ، ولا سيما أن الكاتب أشار إلى قصور استقرائه ومحدودية تجربته .

ثانياً : ذكر الكاتب الفاضل ثلاث ملحوظات رئيسة في قراءته للذهنية السلفية ، وأحسب أن هذه الملحوظات توجد بنسب متفاوتة في التيارات الإسلامية الأخرى ، وتخصيص السلفيين بها لا يخلو من نقد ومراجعة ، وخاصة أنه قد يشعر القارئ بأن الكاتب يرى بأن هذا ممَّا تفرّد به السلفيون دون غيرهم .. !

ثالثاً : قرر الكاتب أن التيار السلفي دائماً ما يركز على دائرة المعلومات ويهمل دائرة الأفكار ، وأن السلفيين يهتمون بالحفظ ويهملون الفكر ، وأن من حفظ الكتب الستة فله شأن عندهم دون من تضلع في أصول الفقه . وأحسب أنه لا يخفى على الكاتب الفاضل أهمية حفظ نصوص الوحيين ، وأن ذلك مطلوب شرعاً ؛ فقد تواتر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : « نضّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها ؛ فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » [1] وهذا لفظ الترمذي من حديث ابن مسعود – رضي الله عنه – ، لا سيما أن العرب قد خُصوا بالحفظ ، وهذه الأمة موصوفة بأن إنجيلها في صدورها . وكما قال الخليل بن أحمد – رحمه الله – : ليس بعلم ما حوى القِمَطْرُ ما العلم إلا ما حواه الصدرولماذا يفترض الكاتب أن حفظ السلفيين للمعلومات كحفظ الحاسب ؟ وهذا قياس مع الفارق لمن له أدنى فكر وتأمل ! وها هو ابن عباس – رضي الله – عنهما وقد طُبع على الحفظ كان يكره كتابة العلم ، ومع ذلك فقد كان له من الإشراقات والفتوحات في التفسير ما لا يحصى ، كما كان صاحب مناظرات قوية مع الخوارج ونحوهم من أهل الأهواء ، فما كان هذا الحفظ إلا سبيلاً لنشر العلم و « المعلومات » الأصيلة ، وإفحام المخالفين ، وحل المعضلات . فلا إشكال في حفظ النصوص الشرعية ، لكن

الإشكالية أن يقتصر على الحفظ مجرداً عن الفهم والفقه ، ولو أن الكاتب عني بهذه الإشكالية ، وطالب بإيجاد برامج عملية لاستنهاض الفهم وتنمية ملكات التفكير والتجديد والإبداع لكان أليق وأنسب . ولما هوّن الكاتب من شأن المعلومات هوّل من شأن الأفكار ، وأقول للكاتب : لماذا هذه التفرقة والانفصام بين المعلومات والأفكار ؟ وهل يمكن أن تتأتى الأفكار إلا بمعلومات ، ولا سيما أن كل إنسان حارث ومفكر ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « أصدق الأسماء حارث و همام » ؟ [2] . ثم ألا ترى معي أن الأفكار المجردة عن المعلومات الراسخة تؤدي إلى الخلط والاضطراب ؟! فالمعلومات والأفكار متلازمة لا ينبغي الفصل بينها . فالمعلومات أساس الأفكار، والأفكار ثمرة المعلومات . ولعل مقصود الكاتب أن بعض السلفيين أهملوا كتب الفكر واشتغلوا بالكتب الشرعية ، وأحسب أن العناية بكتب الفكر كانت في مرحلة سابقة ، عندما كانت الاشتراكية والقومية ونحوها من المذاهب المادية التي تشكك في الإسلام وتطعن في الغيبيات رائجة في حقبة زمنية ماضية حيث ظهر – ولله الحمد – من كتابات المفكرين الإسلاميين من يذبّ عن دين الإسلام ويفنّد شبهات الخصوم ، كما هو ظاهر في كتب سيد قطب و المودودي – رحمهما الله تعالى – و محمد قطب ونحوهم . فكانت كتب الفكر الإسلامي الأصيل ضرورية تجاه تلك الأفكار المنحرفة ، وكما فعل من قبل شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عندما واجه تلك الأفكار الفلسفية والكلامية والصوفية باللغة والأسلوب الذي يفهمه أولئك ، فأظهر الحجة عليهم وكشف ضلالاتهم ، ومن المناسب أن نورد ما يقرر ذلك من كلامه – رحمه الله – : « ولا ريب أن الألفاظ في المخاطبات تكون بحسب الحاجات ، كالسلاح في المحاربات ، فإذا كان عدو المسلمين في تحصنهم وتسلحهم على صفة غير الصفة التي كانت عليها فارس و الروم ، كان جهادهم بحسب ما توجبه الشريعة التي مبناها على تحري ما هو لله أطوع وللعبد أنفع ، وهو الأصلح في الدنيا والآخرة ... إلخ » [3] . وأحسب أن هذه الصحوة المباركة قد ارتقت – نضجاً وعلماً – بدءاً من الكتب

الفكرية الأصيلة في تقرير الثقة بالإسلام والرد على أعداء الإسلام إلى الاشتغال بالعلوم الشرعية في تقرير منهج السلف الصالح والرد على المبتدعة إلى غير ذلك ؛

فما كان للسلفيين أن يحقروا الكتب الفكرية الإسلامية الأصيلة وهم يقررون قبول الحق من كل شخص ولو كان كافراً ، وها هو العلاَّمة ابن باز – رحمه الله يقرأ كتاب (النظرية السياسية) للمودودي رحمه الله مقرراً له [4] ، وها هو العلاَّمة الألباني – رحمه الله – يورد كلاماً طويلاً لسيد قطب – رحمه الله – في مقدمة كتابه (مختصر العلو) للذهبي .

رابعاً : ادعى الكاتب أن السلفيين لا يعرفون جملة من المذاهب الفكرية كالقومية العربية والماركسية والبعث العربي .. وأما آخر النظريات الفكرية فإن غالب النخب السلفية لم يسمعوا بأسمائها فضلاً عن دراستها ، هكذا قال الكاتب – هداه الله – . ويبدو أن الكاتب كان يتحدث عن هذا المأخذ وقد انقدح في ذهنه نمط محدد من السلفيين ، وليس من العدل أن يُحكم على جميع السلفيين أو غالبهم من خلال الحكم على طائفة منسوبة إليهم ، وإلا فكيف غاب عن الكاتب جهود الأستاذ محمد رشيد رضا الإصلاحية ضد الأفكار المنحرفة ؟ وأين جهود العلاَّمة عبد الرحمن السعدي تجاه الملاحدة كما في رسالتيه : « انتصار الحق في الرد على الملاحدة » و « الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين » ؟ بل كتبَ الشيخ السعدي لمحمد رشيد رضا رسالة يؤكد عليه أن تُعنى مجلة المنار بالردّ على الملحدين . وأين إنجازات سيد ومحمد قطب في مواجهة التغريب والمذاهب المادية ومشكلات الحضارة ؟ وأين مؤلفات الدكتور محمد محمد حسين – رحمه الله – في الرد على المذاهب الأدبية والفكرية كما في مؤلفاته أمثال : (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) ، و (حصوننا مهددة من الداخل) ، و (الإسلام والحضارة الغربية) ؟ وأين مواقف العلماء تجاه الغزو التشريعي والتشكيك في تحكيم الشريعة مثل ما كتبه الشيخ أحمد شاكر ، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، والعلاَّمة محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، والشيخ عبد الرحمن الدوسري – رحمهم الله – ؟ [5] . وتأمل ما سطره العلاَّمة السعدي (ت 1376هـ) في الرد على تلك الدعوى : « قد عُلِمَ من قواعد الدين أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وأن الوسائل لها أحكام المقاصد ولا يخفى أنه لا يتم التحرز من أضرار الأمم الأجنبية والتوقي لشرورها إلا بالوقوف على مقاصدهم ودرس أحوالهم وسياساتهم ، وخصوصاً السياسة الموجهة منهم

للمسلمين ؛ فإن السياسة الدولية قد أسست على المكر والخداع وعدم الوفاء واستعباد الأمم الضعيفة بكل وسائل الاستعباد ؛ فجهل المسلمين بها نقص كبير وضرر خطير ، ومعرفتها والوقوف على مقاصدها وغاياتها التي ترمي إليها نفع عظيم ، وفيه دفع للشر أو تخفيفه ، وبه يعرف المسلمون كيف يقابلون كل خطر » [6] . ولا يزال باحثو أهل السنة وعلماؤها – في هذه السنوات الأخيرة – يسطرون الكتب والرسائل العلمية تجاه جملة من الأفكار الوافدة [7] . لا شك أننا – معشرَ السلفيين – نعترف بتقصير وإهمال تجاه جملة من النوازل الفكرية المستجدة ، ولا يخفى أن ثمة فرقاً بين الاعتراف بهذا التقصير وبين أن يظن أن السلفيين إنما تركوها تديناً بهذا الترك والإهمال . وأحسب أن هذا التقصير ليس خاصاً بالسلفيين وحدهم ، بل هو مشكلة قائمة عند معظم التيارات الإسلامية ! وأما انتقاد الكاتب السلفيين لعدم دراستهم الديمقراطية ، والدراسات البنكية ، وعلم النفس .. ! فأقول : وهل يتعين على السلفيين أن يدرسوا كل القضايا النازلة ولا سيما أنها قد درسها غيرهم وبطريقة صحيحة [8] ، والحق ضالة المؤمن ؟ أم يريد الباحث أن تؤلف مؤلفات عن موقف أهل السنة من الديمقراطية ؟ وما الفرق بين هذا العنوان وبين : موقف الإسلام من الديمقراطية ؟ ولا سيما أن ثمة كتابات ومؤلفات في هذا الصدد ، وأما الدراسات البنكيةوالبدائل الشرعية فهي موجودة ، ولكن هل ترك لنا عقيل من دار ؟ وعلى كلٍّ فيبدو أن الكاتب يحتاج إلى مراجعة لنتاج أهل السنة قبل أن يصدر هذه الأحكام . كما أن جملة من الإشكالات الواردة جاءت كرد فعل من الكاتب تجاه بعض الممارسات الخاطئة لفصائل من أهل السنة ، كما أن بعض إشكالاته قد عالجها بما يقابل تلك الإشكالات ؛ والانحراف انحراف على كل حال ، والخطأ لا يعالج بالخطأ مثل كلامه عن عداء الكفار للمسلمين ورغبته في تحريره واقعاً دون مجازفة ، مع أن من بدهيات هذا الدين أن عداء الكفار للمسلمين أصل ثابت ومحكم ، وما قد يقع خلاف الأصل فهو لمصالح وملابسات لا تشكك في هذا الأصل . وأما عقدة المؤامرة عند السلفيين فقد توجد مبالغة عند بعضهم ، لكن هذه « العقدة » ، لم تكن ردة فعل تجاه السذاجة وحسن الظن بالأعداء عند الكثير من المسلمين ، بل كانت

حصيلة أحداث ووقائع ، ومع ذلك كله فلا حاجة إلى تهويل المؤامرة أو تهوينها .
ختاماً : ينبغي التأكيد على أن الحوار الجاد والنقد العلمي البناء مطلب مهم من المطالب الشرعية التي يجب التأكيد عليها ، والتعاون في إشاعتها ، ولهذا أشكر للأخ نواف حرصه على النقد والتصحيح ، وأرجو أن يتسع صدره لنقد النقد ؛ وهذا هو حسن الظن به إن شاء الله تعالى . نسأل الله تعالى أن يهدينا وسائر إخواننا صراطه المستقيم .

---

(1) أخرجه أحمد ، (225/3) ، والترمذي في كتاب العلم ، ح/7 .
(2) أخرجه أحمد ، ح/ 18258 .
(3) مجموع الفتاوى ، 107/4 .
(4) ذكر الشيخ مسعود الندوي (ت 1373هـ) لقاءه بالشيخ ابن باز سنة 1368هـ وأن الشيخ ابن باز أفاده بأنه قرأ كتاب (النظرية السياسية) للمودودي ، وأبدى الشيخ ابن باز اعتراضه على قول المودودي في الآية الكريمة : { وَأَنزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ} (الحديد : 25) بأن معنى الحديد هنا القوة السياسية ثم قال الشيخ : يمكن أن يكون الأصل قوة أساسية ثم جاءت الترجمة « قوة سياسية » ، فقال الشيخ مسعود : في الأصل قوة سياسية والمترجم التزم الأصل فقال ابن باز : حسناً، هذا أمر يسير ، لا أثر له على كتابه الأصلي انظر كتاب (شهور في ديار العرب) لمسعود الندوي ، ص50 .
(5) قد يظن بعض القراء أن ثمة تساهلاً في إطلاق السلفية على بعض المذكورين ك « محمد رشيد رضا ، وسيد قطب » – رحمة الله عليهم – ، ولا يخفى أن الأستاذ محمد رشيد رضا لا يخلو من نزعة صوفية سابقة ، كما أن عنده لوثة عقلانية ، كما أن سيد – رحمه الله – لا ينفك عن بعض الهنات اليسيرة التي صوبها بعض العلماء ونبهوا عليها ولم يغمطوا للرجل حقه ، وفي الجملة فإن المآخذ على هذين العلمين لا تخرجهما عن دائرة أهل السنة ، فلم تكن مخالفتهما فيما أحسب لقاعدة أو أصل كلي من قواعد الدين وأصوله ، كما حرر هذه المسألة الإمام الشاطبي في الاعتصام .
(6) رسالة وجوب التعاون بين المسلمين ، ص : 13 .

(7) انظر مثلاً : العلمانية ، للحوالي ، ومصادر المعرفة في الإسلام ، لعبد الله القرني ، والانحراف العقدي في الأدب العربي المعاصر ، لسعيد الغامدي وغيرها كثير .

(8) درس بعض باحثي أهل السنة الديمقراطية كما في كتاب الثوابت والمتغيرات ، للصاوي وبنود وسراب الديمقراطية ، للرحال ، وغير ذلك .

=================

مقتل حاكم العراق

الخطبة الأولى

الحمد لله العلي الأعلى؛ خلق فسوى، وقدر فهدى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، نحمده على نعمه التي لا تحصى، ونشكره على فضله الذي لا ينسى، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ قسم الدين بين عباده فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، وقسم بينهم الدنيا فيؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله؛ اصطفاه الله تعالى على العالمين نذيرا وبشيرا، وجعله سراجا منيرا، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه؛ قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل؛ فإن الدنيا مهما طالت زالت، ومهما أزهرت أغبرت، وكم من عزيز تجرع ذلها! وكم من غني ذاق فقرها! ولا يبقى للعبد منها إلا ما عمل فيها {يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور، إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير}.

أيها الناس: مضى عيد المسلمين الكبير بعد أن وقفت جموع منهم على صعيد عرفة يقيمون ذكر الله تعالى، ويعظمون شعائره، يباهي بهم ربهم عز وجل ملائكته، فهو سبحانه من شرع لهم دينهم،ورضي منهم عملهم، فأدوا لله تعالى نسكهم، في لباس واحد، ومكان واحد، وشعار واحد.

وفي يوم العيد الأكبر ذبح المسلمون ذبائحهم، وتقربوا لله تعالى بهداياهم وضحاياهم، قائلين: بسم الله والله أكبر، اللهم إن هذا منك ولك، فما أعظمها من عبادات، وما أجلها من شعائر، تأخذ بالقلوب، وتسيل الدموع؛ فرحا بالله تعالى وبالاجتماع على ذكره وشكره وحسن عبادته، فهنيئا لكم أيها المسلمون ما هديتم إليه من الشرائع، وما قام في قلوبكم من تعظيم الشعائر، واشكروا الله تعالى إذ هداكم، وسلوه الثبات على دينكم.

وخلال هذه الأيام المباركة التي باركها الله تعالى بأن جعلها أفضل أيام السنة، وقضى بأن العمل الصالح فيها أفضل من العمل في غيرها، واختصها بشعيرتي الحج والأضحية، في تلك الأيام المباركة كانت أمة النصارى الضالة تحتفل بعيد ميلاد المسيح عليه السلام وعيد رأس السنة الميلادية في جملة من الشعائر الشركية،والمراسم الشهوانية،التي تشبع غرائزهم ولا تصلح قلوبهم، وترضي شيطانهم، وتسخط ربهم عليهم، ولا تزيدهم إلا ضلالا على ضلالهم،وبعدا عن مناهج الأنبياء وشرائعهم.

وقد تابعهم في ضلالهم هذا جملة من المسلمين، يفرحون بأعياد الضالين، ويشدون رحالهم إليها، ويبحثون عنها في مظانها..يعبون من شهواتها، ويتمتعون بزخارفها، ويهنئ بعضهم بعضا بها، في حين أنهم يضجرون من أعياد المسلمين، فيعطلون شرائعها، ولا يعظمون شعائرها، فنعوذ بالله تعالى من الضلال بعد الهدى، ومن الغفلة والهوى.

ولئن شهدت الأيام الماضية المباركة فرح المسلمين بأعيادهم الشرعية، واحتفل فيها النصارى بأعيادهم الكفرية؛ فإن الأمة الصفوية الباطنية قد خالفت عموم المسلمين في العيد الكبير فأخروه عن العيد الشرعي؛ إمعانا في المخالفة، وقصدا لترسيخ البدعة، وخرقا لإجماع الأمة، ثم عمدوا إلى عيد المسلمين الأكبر فقتلوا فيه حاكم العراق؛ ليؤكدوا لأهل السنة حكمهم لمدينة السلام وما حولها، التي كانوا يحلمون بحكمها منذ القرن السابع لما أسقط أجدادهم بخيانة ابن العلقمي الرافضي خلافة بني العباس تحت أقدام المغول. فعلوا ذلك وهم يرددون الشعارات الطائفية البغيضة التي تنم عن تعصبهم لمذهبهم الضال، وتشي بمدى حقدهم على أهل الإسلام، وتدل على

أنهم قوم بهت غدر، يظهرون الضعف والوداعة حتى إذا تمكنوا لم يرقبوا في مؤمن إلا ولا ذمة، وما يفعلونه بأبناء العراق من التعذيب والحرق وتشويه الأجساد وتمزيقها لم يفعله إخوانهم من الصهاينة والصليبيين كأنهم بقتلهم لحاكم العراق الأسير في العيد الكبير يوصلون رسالة مهمة لعموم المسلمين يقولون لهم فيها: أنتم تفرحون بعيدكم، ونحن نأمر وننهى في مدينتكم مدينة السلام، وقد خرجنا عن تقيتنا، وأعلنا شعارنا الطائفي حال قتلنا لزعيم من زعمائكم، وحوّلنا الإعلام من الاهتمام بحجكم إلى مواقع إهانتكم، ومواضع ذلكم، فما أنتم قائلون؟ وماذا ستفعلون؟ وما أنتم إلا عاجزون. حتى إن كاتبا غربيا أثر فيه المشهد وتوقيته فقال:إنه عندما يظهر دكتاتور عرف بوحشيته الاستثنائية وهو يموت بطريقة مشرفة وبشجاعة نادرة على أيدي مجموعة من السفاحين, قطاع الطرق, المقنعين, فإن ذلك يمنحه بكل تأكيد تاج الشهداء.إلى أن قال:من الواضح أن ما أراده المالكي هو بعث رسالة متعمدة إلى سنة العراق مفادها أن الشيعة هم الأسياد الآن, مما يحول الحكومة العراقية الحالية, التي كان هدفها توحيد العراقيين, إلى مجرد عصبة طائفية مصممة على جعل السنة الأقلية التي تدفع ثمن كل القمع الذي مارسه نظام صدام بحق الشيعة .

لقد التقت الرغبة اليمينية الإنجيلية مع الحقد الصفوي الباطني، على هدف واحد وهو هزيمة روح المقاومة عند السنة ومن ثم البدء بتشكيل المنطقة وكتابة تاريخ يخطه المنتصرون.

إن مشروع تركيع الشرق الإسلامي لا يمكن أن يطبق دون إجهاز على النفوس المقاومة للظلم والاستعمار والتغريب والتشييع،والذي يحدث في العراق هو تجهيز للمنطقة بكاملها إن على مستوى العنف والقتل والدمار الذي وصل إلى مستوى القاع وليس بعد القاع إلا رمي ركائز الشرق الأوسط الجديد، أو على مستوى السياسات العامة، أو على مستوى التهيئة النفسية. واختيار هذا الموعد لإعدام صدام هو آخر بالونات الاختبار للتأكد من أن التخدير قد جرى في شرايين أبناء المنطقة، وأنهم لم يعودوا يشعرون بالألم فما لجرح بميت إيلام.رد الله تعالى كيدهم عليهم، وحفظ المسلمين من شرهم ومكرهم.

أيها الإخوة: وما أن وقع هذا الحدث الكبير في عالم السياسة، ونقلت وسائل الإعلام إعدام حاكم العراق إلا وتحول اهتمام الناس إليه، وكثرت أقاويلهم فيه، وخصصت برامج إعلامية تحكي سيرة الزعيم المقتول، وعقدت مناظرات لأجله، وسودت صفحات في حياته وأعماله، واختلف الناس فيه اختلافا كثيرا، وضاع العامة في خضم هذا الاختلاف.

فطائفة رأوا في الزعيم المقتول رمزا من رموز الأمة، وعلما من أعلامها، مدافعا عن قضاياها، حريصا على مصالحها، حاميا لبيضتها، وما قصده صهاينة اليهود والنصارى إلا لأنه أعظم خطر عليهم، وما تشفى فيه الفرس الصفويون وأذنابهم إلا لأنه كان السد المنيع دون مشاريعهم التوسعية، ويرى هذا الفريق من الناس أن إعدامه هو إعدام للنظام العربي برمته، وهو رسالة لكل من يقف حائلا دون المشاريع الصهيونية أو المشاريع الباطنية الصفوية بأنه سيلقى نفس المصير، وبالغ كثير منهم فجعلوه شهيد الأمة الذي لن يتوحد العراق بعده، ولا خير في الأمة عقبه، وعدوه في مصاف قادة الإسلام العظماء، وتألى بعضهم على الله تعالى فحكم له بالشهادة والجنة.

وفي كلام هؤلاء حق وباطل، والأمة العاجزة المظلومة تتعلق بأي رمز تراه قد تحدى أعداء الأمة في العلن، ولو كان فيه حيدة عن منهجها ورسالتها، وفي زمن الذل تتعلق القلوب بمن فيهم عزة، وحال انتشار الخوف والجبن يحب الناس الشجاع فيهم، وتعميهم شجاعته وعزته عما فيه من خلل وقصور.

في مقابل هذا الفريق فريق آخر لم يروا في حاكم العراق إلا خائنا لأمته، ممالئا لأعدائها، سفاكا لدمائها، غشوما في حكمها، قوته على شعبه لا على أعدائه، وسياساته الخرقاء، وتصرفاته الرعناء جرت المنطقة إلى ويلات لا عافية منها، ووطنت للصليبيين والصهاينة مواضع أقدام من العسير زحزحتها، ويعزو هذا الفريق من الناس كل بلاء الأمة إليه، ويجزمون بأنه الصفحة السوداء الوحيدة في بلاد الرافدين، ولا يرون له حسنة واحدة، ويعدون تغيره في آخر فترة حكمه، واتجاهه لبناء المساجد، وتوسيع الدعوة إلى الله تعالى، والعناية بالقرآن وحفظه، يعدون ذلك انتهازية لجمع الناس عليه بعد ضجرهم من الحصار، ومساومة منه للغرب، واستخدام الدين

سلاحا يهددهم به، ويرون أن ثباته في محاكمته، واصطحابه لمصحفه، ومحافظته على الصلاة في سجنه، ما هو إلا عمل البائس اليائس الذي فقد كل شيء فركن إلى الدين ليخدع الناس، ويكسب تعاطفهم، وتألى بعضهم على الله تعالى فزعموا أن الله تعالى لا يغفر له، وأن جهنم مأواه، وأن نطقه لشهادة الحق قبل موته لا ينفعه، وأن إيمانه كإيمان فرعون حال غرغرته. وكما أن في حكم الفريق الأول حق وباطل ففي ما حكاه هؤلاء حق وباطل.

وبين هذين الرأيين المتباينين أراء أخرى كثيرة مشرقة ومغربة، يضيع كثير من الحق في ثناياها، ويضرب الباطل أوتاده فيها.

والذي ينبغي أن يعلمه كل مسلم أن الله تعالى لا يطالب عامة الناس بالحكم على عباده ومآلاتهم؛ لأن الحكم فيهم إلى الله تعالى، وليسوا مكلفين بالخوض فيما لا يعلمونه من أحوال الرجال، فمن تكلم فيهم وجب ألا يتكلم إلا بعلم وعدل، وأن يتحرى الحق فيما يقول ولو كان ثقيل الوطأة على نفسه، وأن يخلص في حكمه وقوله لله تعالى، لا يبتغي بذلك عرضا من الدنيا،ولا يريد نصر طائفة أو حزب، أو النكاية والشماتة بآخرين، واضعا نصب عينيه قول الله تعالى {يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون} وقوله سبحانه {وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى}.

لقد مرت بحاكم العراق أطوار وأحوال جعلت الناس يختلفون فيه، ويحتارون في أمره، فهو ربان حزب البعث الكافر بالله تعالى، المؤمن بالعروبة، وهو فارضه على أفراد شعبه، وما بلغ الحكم إلا على سيل من الدماء، وأكوام من الجثث، ثم لما حكم الناس أمعن في ظلمهم، وأسكت أصواتهم، وسار سيرة فرعون {ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد} وكانت جريمته الشنعاء بخيانته لجيرانه، واجتياح بلادهم، واستحلال دمائهم ونسائهم، مما أوجد المعاذير للدول المحتلة أن تضع أقدامها، وتنصب قواعدها في منطقة حرمت منها.فجرى عليه ما جرى من الحرب والحصار، فتغير عقب ذلك وقوّى الدين وأهله، والله تعالى وحده أعلم بنيته، وليس للناس إلا الحكم على ظاهره، ثم ازداد تمسكه بدينه عقب أسره، فما فارقه مصحفه بشهادة

أعدائه قبل أصحابه، وظهر اعتزازه بدينه أثناء محاكمته حتى أحرج قضاة الزور بثباته وعزته، ثم كانت الخاتمه الحسنة برباطة جأشه والحبل على رقبته، ونطقه بالشهادتين قبل شنقه {ومن كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة} فنرجو له بنطقه للشهادتين المغفرة والجنة، ولا نجزم له بذلك، فلا يعلم ما في قلبه إلا الله تعالى، ولا نجعل ماضيه الأسود حائلا بينه وبين قبول التوبة؛ فقد قبل الله تعالى توبة من هم أكثر كفرا وإجراما منه، فنقلهم الله تعالى بتوبتهم من كفار فجرة إلى مؤمنين بررة، كمسلمة الفتح من قريش الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاربوه وعذبوا أصحابه.

وقبل سبحانه توبة من قتل مئة نفس وهاجر تائبا إلى قرية مسلمة ، فقبضت روحه قبل بلوغها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فوسعته رحمة الله تعالى، فتولته ملائكة الرحمة.

وغفر الله تعالى لرجل أسرف على نفسه، فأمر أن يحرق جسده بعد موته، وأن ينثر رماده فتذروه الرياح، فلا يجمعه الله تعالى، فشك في قدرته سبحانه على جمعه، ولكن ما حمله على ما فعل إلا خوفه منه عز وجل، فغلب خوفه من الله تعالى شكه في قدرته سبحانه فغفر الله تعالى له (فقال الله تعالى له لما جمعه: ما حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتك يا رب، فغفر له بذلك) رواه الشيخان.

ولعل ما أصاب حاكم العراق من عظيم الابتلاء بخسارة عرشه، وقتل بنيه وبنيهم ، وتشريد أسرته، وسجنه ومحاكمته وقتله، مع توبته ونطقه للشهادتين، لعل ذلك مكفرا لما مضى من ذنوبه.

وأما حقوق العباد ودماؤهم، وظلمه لهم فالحكم فيها للعلي الكبير، وسيقف هو وخصومه يوم القيامة أمام حكم عدل للقصاص، واستيفاء الحقوق، ولا يظلم ربك أحدا.

والواجب على المسلم الذي شاهد هذا المشهد أن يفرح بتوبة جبار العراق حين تاب، وبنطقه للشهادتين، ولا يكون كرهه لطغيانه وأفعاله السيئة مانعا له من الفرح بتوبته، أو يتمنى أنه مات على الكفر أو ختم له بخاتمة السوء؛ فإن من لوازم ذلك محبة

الكفر في بعض المواضع، وإرادته من بعض الأشخاص، نعوذ بالله تعالى من الجهل والهوى.

وقد فرح النبي صلى الله عليه وسلم بتوبة مسلمة الفتح رغم أذاهم له ولأصحابه رضي الله عنهم، وفرح عليه الصلاة والسلام بتوبة الغلام اليهودي الذي زاره وهو في سياقة الموت فدعاه للإسلام فأسلم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول (الحمد لله الذي أنقذه من النار) رواه البخاري.

وهكذا يجب على المؤمن أن يفرح بإيمان الكافر، وتوبة العاصي، ويتمنى أن يختم بالحسنى لكل الناس.كما يجب عليه أن يتوخى العدل في أحكامه وأقواله، ويتجرد من الهوى في حكمه، ولا يحكم إلا بعلم، ولا يقول في الرجال بالظن؛ فإن الله تعالى سائله يوم القيامة عن أقواله وأفعاله(ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ....

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدا طيبا كثيرا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله –عباد الله- وخذوا مما ترون من أحداث عبرا؛ فإن السعيد من اعتبر بغيره.

أيها المسلمون: في ضجة هذا الحدث الكبير بمقتل زعيم من زعماء العرب كانت له صولات وجولات يهتم كثير من الناس بذات الحدث، وينشغلون بمجرياته وتفاصيله عن دروسه وعبره، فيكون الحدث مع أهميته عديم الفائدة بالنسبة لهم، وكم مرت بالناس من أحداث قلّ في الناس من استفاد منها، بسبب الجهل والغفلة، وكثرة الشهوات والملهيات. ودروس هذا الحدث الجديد كثيرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد؛ فمما يستفاد منه: أن عاقبة الظلم وخيمة، ونهاية الظالمين أليمة، ولعل ما أصاب حاكم العراق عقوبة له على ظلمه أيام سطوته وجبروته، ولربما رفع مظلوم يديه إلى ربه في حبيب قتله أزلامه فاستجاب الله تعالى دعوته، فجرى عليه ما

جرى، ولما نكب البرامكة في دولة الرشيد العباسي قال جعفر بن يحيى لأبيه وهم في القيود والحبس: يا أبت، بعد الأمر والنهى والأموال العظيمة أصارنا الدهر إلى القيود ولبس الصوف والحبس؟ فقال له أبوه: يا بني، دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله تعالى عنها.

وفي التاريخ القديم والمعاصر عبر في مصارع الظالمين..تأملوا مصرع فرعون وأبي جهل وأبي بن خلف وأبي طاهر القرمطي، وفي التاريخ المعاصر ماذا كانت نهاية هتلر النازي، وموسوليني الفاشي، وشاه إيران، وطاغية رومانيا تشاوشسكوا، وطاغية الصرب ميليسوفتش، وغيرهم كثير. لقد طغوا وتجبروا وظلموا ثم أذاقهم الله تعالى الذل في الدنيا. لقد زالوا كأن لم يكونوا، ويا ويلهم من مظالم تنتظرهم. فحري بكل من ولاه الله تعالى ولاية كبيرة أو صغيرة ألا يغتر بسلطته وقوته، وأن يتوخى العدل في رعيته، وأن يأخذ من سير الظالمين ومصارعهم أعظم العظة والعبرة. وعلى كل عاقل ألا يغتر بالدنيا وزهرتها؛ فإن تقلباتها كثيرة، وكم من عزيز ذاق ذلها! وكم من غني أوجعه فقرها! ولقد مرت أيام على حاكم العراق ظهر فيها مزهوا أمام الشاشات والجموع تحف بموكبه، وتطأ عقبه، وتهتف له، تمنى أثناءها كثير من الناس مكانته، وحلموا بأمواله وقصوره ورفاهيته، ولو علموا نهايته لما تمنى واحد منهم سلطانه، ولا غبطه على ما هو فيه من النعيم لعلمه بالبؤس الذي بعده، ولا حسده على عز يعقبه ذل وأي ذل. وقد روى أنس رضي الله عنه فقال: (كانت ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى العضباء وكانت لا تسبق فجاء أعرابي على قعود له فسبقها فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا: سبقت العضباء! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن حقا على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه) رواه البخاري. ثم تأملوا إلى حكمة الله تعالى فيما يقدره على العباد مما يظنونه شرا لهم، وفيه من الخير ما لا يعلمونه، فإنه يغلب على ظننا أن حاكم العراق لما اكتملت له الدنيا كان بعيدا عن الله تعالى، محاربا لأوليائه، ممالئا لأعدائه، قد أسكرته السلطة عن تذكر ربه سبحانه وتعالى، وأغفله الملك عن معرفة دينه، ولو خير وقتها أن يموت على حاله أو يفقد ملكه لاختار الموت. ولكن الله تعالى قضى عليه ما لم يختر فكان خيرا له؛ إذ كان فيما حاق به من عقوبات وابتلاءات مع الإمداد له في عمره، وعدم تمكن أعدائه من

قتله في أول أمره فرصة لمراجعة نفسه، وتفقد قلبه، فتغير حاله في الهزيمة والحصار ثم في الأسر والذل عن حاله في الملك والعز. وهكذا فإن العبد قد يصاب في نفسه أو ولده أو ماله فيكون ذلك سببا ليقظته من رقدته، وتنبيهه حال غفلته، فيعود إلى الله تعالى فيختم له بخير عمله، وقد كره من قبل قدر الله تعالى عليه، وقضاءه فيه، فكان ما اختاره الله تعالى له خيرا مما يختار هو لنفسه، فاعرفوا حكمة الله تعالى في عقوباته وابتلاءاته، وتأملوا رحمته سبحانه ولطفه بعباده؛ إذ يجري لهم الخير العظيم من أبواب يظنها العباد شرا محضا، وربنا جل جلاله لا يخلق شرا محضا، والخير بيديه، والشر ليس إليه، سبحانه وبحمده، وتبارك اسمه، وتعالى جده، ولا إله غيره.

وصلوا وسلموا على نبيكم....

==============

هل صار الولاء والبراء محرجاً ؟

لا يزال التغيير "المُرتجل" في مناهِج المواد الشَّرعيَّة بالتَّعليم العام محَل استنكَار النَّاصحين وأهل الإختصَاص، ولنْ أتحدَّث في هذه المَقالة عن هذه الإرتجاليَّة المكشوفة في هذا التَّبديل و"الكِتمان" ومُصادمتِها لمشروعات قائِمة لتطوير المَناهِج في وزارة التَّربية والتَّعليم، كما لن أتحدَّث عن الهدْر المالي الواقع بسبب هذا التصرف، فقد استنزفت ملايين الريالات في كُتب قد طُبِعت ووصلت مستودعات إدارات التعليم، ولن أتحدَّث عما يُورثه هذا الحذف من تأكيد وترسيخ نظرة الغرب – وأذنابهم – أن المناهج السابقة تصنع "الإرهاب" و"التَّفجير"! سيكون حديثي في هذه المقالة عن موضوع الولاء والبراء، وهل صار أمراً محرجاً يُستحيى من تعليمه وتدريسه فضلاً عن تطبيقه وتحقيقه؟

لقد بُلينا – في هذه الأيام – بأقوام يتوارون خجلاً من إيراده وتقريره، وربما تأوّلوا بانهزامية ظاهرة وتأويلات مستكره.

إنَّ الحب والبغض أمر فطري لا انفكاك عنه، فكل إنسان سواءً كان برّاً أو فاجراً مؤمناً أو كافراً لديه هذه الغريزة الفطرية والنزعة البشرية من مشاعر الحب والبغض، وهذا أمر معلوم مشاهد، فالكافر يحب ويبغض، كما أن المؤمن يحب ويبغض، لكن الكافر يحب كل ما يهواه فقد يحب الكفر والفجور والاستبداد والخمر والظلم، وأما أهل

الإيمان فهم يحبون ما يحبه الله تعالى من الإيمان والتوحيد والعدل والعفاف، كما يبغضون كل ما يبغضه الله _تعالى_ من شرك وظلم وفواحش.

فهؤلاء الذين يتباكون على مشاعر الكراهية والعداء، ويطالبون بإزالتها واستئصالها، حقاً إنهم لا يخالفون الثوابت الشرعية فحسب، بل يصادمون الفطرة الإنسانية ويخالفون الطبيعة البشرية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "أصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة، كما أن البغض والكراهة أصل كل ترك" (جامع الرسائل، قاعدة في المحبة 193/2).

ويقول في موضع آخر: "إذا كانت المحبة والإرادة أصل كل عمل وحركة.. عُلِم أنَّ المحبَّة والإرادة أصل كل دين، سواء كان ديناً صالحاً أو ديناً فاسداً". (المرجع السابق 217/2، 218).

إنَّ الحبَّ في الله والبغض في الله ولوازمهما من الولاء والبراء ليس إيماناً فحسب، بل هو أوثق عُرى الإيمان كما ثبت في الحديث عن رسول الله _صلى الله عليه وسلم_، وعقيدة الولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين من الفرائض الشرعية المعلومة من الدين بالضرورة، كما أن الولاء والبراء من أعظم الضمانات وأقوى الحصون في حفظ الناشئة من الإنحدار في مهاوي التغريب ومفاسد الانفتاح الإعلامي والعالمي.

ألا فليتق الله _تعالى_ أرباب تبديل المناهج والعامدين إلى إقصاء شعرة الولاء والبراء، وليتذكّروا أنهم موقوفون بين يدي الله _تعالى_ وسائلهم عما صنعوه.

ويُقال لأرباب اللجان "المبدِّلة": أبلغ بكم العجز وقصور العلم ألا تجدوا طريقة ملائمة في تدريس الولاء والبراء وتقريبه للناشئة؟

أو تظنون أن الولاء والبراء لا ينفك عن الإرهاب والتفجير؟ – فذلك ظن السوء – فإما أن يحذف الموضوع كله، أو يبقى الولاء والبراء بما لا انفكاك عنه كما توهمتم..!

قد كان يسوغ لكم أن تختاروا أمراً ثالثاً به يزول المحذور المتوقع والإشكال المتوهم، وهي أشبه ما تكون بضوابط وتنبيهات في هذا الموضوع، وقد أشار فضيلة الشيخ صالح الفوزان إلى المداراة مثلاً.

ويمكن أن يلحق بتلك الضوابط الفرق بين عداوة الكافرين وبين البر والإقساط، وأن عداوتهم لا تنافي العدل والبرّ معهم، كما حرّره القرافي في الفروق.

كما أن من الضوابط المهمة: التفريق بين حال القوة لأهل الإسلام، وبين حال ضعفهم ففي القوة لهم أن يبادروا بالجهاد لأعداء الله _تعالى_، وفي حال الضعف لهم أن يأخذوا بآيات الصبر والصفح والعفو كما قرره ابن تيمية في (الصارم المسلول413/2). وكما يُنهى عن التشبه بهم ويغلّظ على من فعل ذلك، لكن قد يجوز ذلك في حال غلبة وقوع الضرر منهم كما وضحه ابن تيمية في (الإقتضاء).

كما أن تقرير مسائل الولاء والبراء أمر جليل، لكن تطبيقها على الواقع يحتاج إلى مراعاة تحقيق المناط، وكذا تطبيقها على الأفراد يحتاج إلى مراعاة عوارض الأهلية كالجهل والتأوّل ونحوهما.

أحسب أن هذه الضوابط ونحوها أليق وأنسب من هذا الحذف والإقصاء.

وإذا كان أرباب التبديل والكتمان قد خافوا أن يصنع الولاء والبراء تفجيراً وإرهاباً، فقد خرّجت هذه المدارس مئات الألوف من الناشئة ولم يكونوا إرهابيين ولا مفجّرين، ولو فرضنا – جدلاً – أن واحداً من تلك الألوف المؤلفة قد درس الولاء والبراء وساء فهمه ثم أعقب ذلك إرهاب وتفجير.. أفيسوغ أن تبدّل المناهج لأجل هذا الواحد – المفترض – ونهمل تلك الألوف المؤلفة؟

وهبّ – مرة أخرى – أن شعيرة الولاء والبراء أورثت تفجيراً، أفيجوز أن نعالج الخطأ بالخطأ، وأن نتداوى بالتي هي الداء؟ إن الخطأ يعالج بالصواب والبدعة ترد بالسنة.

إنَّ ما صدر من هذه التصرفات المرتجلة من أجل إقصاء موضوع الولاء والبراء، وما تبعها من هدر مالي ومخالفات نظامية وتجاوزات إدارية، وتكرار في موضوعات.. كل ذلك يكشف عن سوء تدبير وحرمان من التوفيق، ولا غرو في ذلك فإن التأييد والتوفيق والتسديد إنما يناله من حقق هذا الأصل، كما قال _سبحانه_: {لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ} (المجادلة: من الآية22).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في شأن هذه الآية: "فهذا التأييد بروح منه لكل من لم يحب أعداء الرسل وإن كانوا أقاربه، بل يحب من يؤمن بالرسل وإن كانوا أجانب،

ويبغض من لم يؤمن بالرسل وإن كانوا أقارب، وهذه ملة إبراهيم" (الجواب الصحيح 256/1).

ويقول في كتاب آخر: "وليعتبر المعتبر بسيرة نور الدين زنكي، وصلاح الدين، ثم العادل، كيف مكّنهم الله وأيّدهم، وفتح لهم البلاد، وأذلّ لهم الأعداء، لما قاموا من ذلك بما قاموا به، وليعتبر بسيرة من والى النصارى، كيف أذلّه الله _تعالى_ وكبته" (مجموع الفتاوى 143/28).

وأخيراً فإنَّ على الدُّعاة وطُلاَّب العِلم أنْ يعنوا بتقرير وتحقيق هذا الأصل من خلال عدة محاور، منها: الأُخُوة الإيمانيَّة، وسلامَة الصَّدر تجاه أهل الإيمان، وحُقوق المُسلم على أخيه، وأحكام التَّشبه بالكفَّار، وصور موالاة الكفَّار وأحكامها، ومفاسد الدعوة إلى تقارب الأديان أو ما يسمى بالإعتراف بالتَّعددية المذهبية الفكرية، فلقد كان سلفنا الصالح يجتهدون في إظهار الإسلام والسنة لا سيَّما عند خفائها واندراسها، ومن ذلك أن الإمام سفيان الثوري – رحمه الله – كان يقول: "إذا كنتَ بالشام فاذكر مناقب عليّ، وإذا كنتَ بالكوفة فاذكر مناقب أبي بكر وعمر" أخرجه أبو نعيم في (الحلية. (260/7

حيث غلب النصب – بغض عليّ رضي الله عنه – على بلاد الشام آنذاك، كما ظهر التشيع في الكوفة.

ورُئي عمر بن مرّة الجملي بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بمحافظتي على الصلوات في مواقيتها، وحبّي علي بن أبي طالب، "فهذا حافظ على هاتين السنتين حين ظهر خلافهما، فغفر الله له بذلك، وهكذا شأن من تمسّك بالسنة إذا ظهرت البدعة" (منهاج السنة النبوية 239/8).

وأظهر الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – في بغداد تحريم النبيذ من غير العنب مما يسكر كثيره، فألّف كتاب الأشربة، حتى إن الرجل يدخل بغداد، فيقول: هل فيها من يحرم النبيذ؟ فيقولون: لا، إلا أحمد بن حنبل. (انظر نظرية العقد لابن تيمية ص84).

اللهم اجعلنا سلماً لأوليائك حرباً على أعدائك، وبالله التوفيق.

=============

الإختلاط فساد وانحطاط

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جلَّت قدرته وعظمت حكمته وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كملت نعمته ووسعت كل شيء رحمته ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المحمودة سيرته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد.

فيا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين أغمِض عينيك وأصم أذنيك واصرف قلبك عما يتفوّه به المجرمون ويسطِّره الكَتَبة الكاذبون من رموز النفاق وأرباب العلمنة وغلمان الأهواء أدعياء العقلنة من مصادمة للحقائق ومعارضة لحكمة الخالق ولبس للحق بالباطل وكتم للحق وتزيين للباطل كي تميل الأمة ميلاً عظيماً0

لا تُطِع الكافرين والمنافقين ودَع أذاهم وتوكَّل على الله ، وقف هيبة واستسلاماً وخضوعاً وانقياداً بقلبك وجوارحك لحقائق القرآن الذي أنزله من هو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير وتقبل بتصديق ويقين كلام سيد المرسلين الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

استمع إلى حقائق القرآن والسنة واقبلها غير متردد ولا متحرج {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ} الأحزاب 36

استمع إلى الحقائق التي تكلَّم بها رب العالمين {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً }النساء 122

{وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ }المائدة50 ،وأعلنها خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم ولن تجد لسنته مثلاً ولا بديلاً.

اسمعها وارضَ بها ولا يستخفنَّك الذين لا يوقنون.

الحقيقة الأولى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ} الأحزاب 33

إنَّ البيت هو مثابة المرأة التي تجد فيها نفسها على حقيقتها كما أرادها الله تعالى غير مشوَّهة ولا منحرفة ولا مُلوَّثة ولا مكدودة في غير وظيفتها التي هيَّأها الله لها بالفِطرة.

وإن الأم المكدودة بالعمل للكسب المرهقة بمقتضيات العمل لا يمكن أن تهب للبيت جوه وعطره ، ولا يمكن أن تمنح الطفولة النابتة فيه حقها ورعايتها،

وإنَّ خروج المرأة لتعمل كارثة على البيت قد تبيحها الضرورة ، أما أن يتطوع الناس بها وهم قادرون على اجتنابها فتلك هي النكسة التي تصيب الأرواح والضمائر والعقول في عصور الإنتكاس والضلال

فأما خروج المرأة لغير العمل ...خروجها للاختلاط وأماكن الملاهي والتسكُّع في النوادي و المجتمعات وحضور الحفلات والمهرجانات فذلك هو الإرتكاس في الحماة الذي يرد البشر إلى مراتع الحيوان.

لقد كان النساء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرجن للصلاة غير ممنوعات شرعاً ولكن كان في زمن عفّة وتقوى وكانت المرأة تخرج إلى الصلاة متلفعة لا يعرفها أحد ولا يبرز من مفاتنها شيء ..ومع هذا فقد كرهت عائشة رضي الله عنها لهن أن يخرجن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم 0

في الصحيحين أن عائشة رضي الله عنها قالت : كان نساء المؤمنين يشهدن الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرجعن متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس ، وفي الصحيحين أنها قالت :(لو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن من المساجد كما منعت نساء بني إسرائيل) فماذا أحدث النساء في عهد عائشة ؟ وماذا كان يُمكن أن يحدثن حتى ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مانعهن من الصلاة ؟ . ماذا بالقياس إلى ما نراه في هذه الأيام حيث الخروج لاإلى الصلاة بل لمخالطة الرجال وإبداء الزينة وإثارة الفتنة .

أما الحقيقة الثانية: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ }الأحزاب53

هكذا يقول اللطيف الخبير. أما المنافق الحقير فينعق : نصف المجتمع معطل والمجتمع يتنفس برئة واحدة0

فلا يقل أحد غير ما قال الله ، لا يقل أحد إن الاختلاط وإزالة الحجاب والترخص في الحديث واللقاء والجلوس والمشاركة بين الجنسين أطهر للقلوب وأعف للضمائر وأعون على تصريف الغريزة المكبوتة وعلى إشعار الجنسين بالأدب وترقيق المشاعر والسلوك إلى آخر ما يقوله نفر من خلق الله الضعاف المهازل الجهَّال المحجوبين 0

لا يقل أحد شيئاً من هذا والله يقول {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ}الأحزاب53 يقول هذا عن نساء النبي الطاهرات أمهات المؤمنين وعن رجال

الصدر الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن لا تتطاول إليهم وإليهن الأعناق ...وحين يقول الله قولاً ويقول خلق من خلقه قولاً فالقول لله سبحانه وكل قول آخر هراء لا يردده إلا من يجرؤ على القول بأن العبيد الفانين أعلم بالنفس البشرية من الخالق الباقي الذي خلق هؤلاء العبيد

والواقع العملي الملموس يهتف بصدق الله وكذب المدعين غير ما يقوله الله والتجارب المعروضة اليوم في العالم مصدقة لما نقول وهي في البلاد التي بلغ الاختلاط الحر فيها أقصاه أظهر في هذا وأقطع من كل دليل وأمريكا أول هذه البلاد التي آتى الاختلاط فيها أبشع الثمار.

والحقيقة الثالثة: {إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ}الأحزاب32 من هنَّ اللَّواتي يحذرهن الله هذا التحذير ؟ إنهنَّ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأمهات المؤمنين اللاتي لا يطمع فيهن طامع ولا يرف عليهن خاطر مريض ، وفي أي عهد يكون هذا التحذير؟ في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد الصفوة المختارة من البشريَّة ولكن الله الذي خلق الرجال والنساء يعلم أن في صوت المرأة حين تخضع بالقول وتترقق في اللفظ ما يثير الطمع في قلوب ويهيج الفتنة في قلوب وإن القلوب المريضة موجودة في كل عهد وفي كل بيئة وتجاه كل امرأة ولو كانت هي زوج النبي الكريم وأُم المؤمنين ، فكيف بهذا المجتمع الذي نعيش فيه اليوم في عصرنا الذي هاجت فيها الفتن وثارت الشهوات... كيف بنا في هذا الجو الذي كل شيء فيه يثير الفتة ويُهيِّج الشهوة ويُنبه الغريزة ؟ كيف بنا في هذا العصر في هذا الجو ونساء يتكسَّرن في نبراتهن ويتميَّعن في أصواتهن ؟

هل بعد هذا نجد مبرراً أن تقرأ المرأة أمام الرجال وتلقي كلمة أمام الرجال وتخاطب الرجال خاضعة في القول فيطمع فيها مرضى القلوب ويتغنى بجمال صوتها ضعاف النفوس. هذه هي الحقيقة لكن أرباب الشهوات لا يفقهون.

والحقيقة الرابعة: يعلنها (صلى الله عليه وسلم) قائلاً :"المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون بروحة ربها وهي في قعر بيتها"وقال:"ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء"، وحينما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق قال للنساء:"استأخرن

فليس لكُنَّ أن تَحقُقْن الطريق عليكن بحافات الطريق"فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به ... فواعجباً من زمن أصبحت فيه النساء يمشين بكل زهو وتبختر أمام الرجال 0

وحرصاً منه صلى الله عليه وسلم على هذا المبدأ فقد أفرد باباً خاصاً للنساء يدخلن منه للمسجد ويخرجن منه لا يخالطهن ولا يشاركهن فيه الرجال ..ومن ذلك تشريعه للرجال أن لا يخرجوا فور التسليم من الصلاة إذا كان في الصفوف الأخيرة نساء حتى يخرجن وينصرفن إلى دورهن قبل الرجال. فقد كان صلى الله عليه وسلم إذا سلم مكث قليلاً وكانوا يرون أن ذلك كيماًينفذ النساء قبل الرجال 0

إنَّه في أقدس الأماكن وفي أطهر الأعمال وهي الصلاة كان الإسلام يحرص على انفصال النساء عن الرجال كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم :(خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وشر صفوف النساء أولها وخيرها آخرها) وهذا ابن عباس رضي الله عنه يقول شهدت العيد مع النبي صلى الله عليه وسلم ولولا مكاني من الصغر ما شهدته حتى أتى العلم الذي عند دار كثير بن الصلت فصلى ثم خطب ثم أتى النساء ومعه بلال فوعظهن وذكّرهن 0

قال بن حجر : قوله : ثم أتى النساء يشعر بأن النساء كنَّ على حِدة من الرجال غير مُختلطات بهم ، وقوله : ومعه بلال فيه أن الأدب في مخاطبة النساء في الموعظة أو الحكم أن لا يحضر من الرجال إلا من تدعو الحاجة إليه من شاهد ونحوه فالله المستعان من هذا الزمان.

بل قد حرصت الصحابيات على عدم الاختلاط حتى في أشد المساجد زحاماً وفي أشد الأوقات زحاماً في موسم الحج بالمسجد الحرام.

جاء في البخاري :كانت عائشة رضي الله عنها تطوف حجرة من الرجال لا تخالطهم ودخلت على عائشة رضى الله عنها مولاة لها فقالت لها: يا أم المؤمنين طفت بالبيت سبعاً واستلمت الركن مرتين أو ثلاثاً، فقال لها عائشة : لا آجرك الله، لا آجرك الله، تدافعين الرجال ؟ ، ألا كبرت ومررت ، ونهى عمر أن يطوف الرجال مع النساء ، فرأى رجالاً معهن فضربه بالدرة 0

هذه هي الحقيقة يعلنها صلى الله عليه وسلم في مقاله وفعاله ويقرر فيها للأمة أن الأنثى هي أنثى مهما استرجلت ، والجمل هو جمل مهما استنوق وأن العواطف والهواتف في أجسادهما تشدهما شطراً إلى شطر مهما كان الجو الذي يسودهما مفعماً بجد أو هزل، وبفرح أو ترح ، وإنما يخفف من ذلك الشد أو يستره الحياء والدين وما أقلهما في عالم الاختلاط.

وأما الحقيقة الخامسة: فقد نطق بها الواقع وشهد عليها شاهد من أهلها قد أثبتت الإحصائيات المعلنة أن نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية الأمريكية بلغت في إحدى المدن 48% ودلت الإحصاءات في أحد الأعوام على أن 120000 طفل أنجبتهم فتيات بصورة غير شرعية لا تزيد أعمارهن عن العشرين وأن كثيرات منهن من طالبات الكليات والجامعات.

وهذه كاتبة إنجليزية تشعر بالخطر فتقول: إن الاختلاط يألفه الرجال ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا وهنا البلاء العظيم على المرأة ..ثم تقول : أما آن لنا أن نبحث عما يخفف إذا لم نقل عما يزيل هذه المصائب العائدة بالعار على المدينة الغربية أما آن لنا أن نتخذ طرقاً تمنع قتل الآلاف من الأطفال الذين لا ذنب لهم بل الذنب على الرجل الذي أغرى المرأة المجبولة على رقة القلب ... ثم قالت : أيها الوالدان لا يغرنَّكم دريهمات تكسبها بناتكم باشتغالهن في المعامل ونحوها ومصيرهن إلى ما ذكرنا علموهنَّ الابتعاد عن الرجال وأخبروهنَّ بعاقبة الكيد الكامن لهنَّ بالمرصاد. ثم تقول :لقد دلتنا الإحصاءات على أنَّ البلاء الناتج من حمل الزنا يعظم ويتفاقم حين يكثر اختلاط النساء بالرجال. ولقد أدت بنا هذه الحال إلى حد من الدناءة لم يكن تصورها في الإمكان وهذا غاية الهبوط في المدينة) اهـ كلامها.

إنَّ الاختلاط داء ووباء وشر وبلاء بكل صوره ومظاهره ... اختلاط الذكور والإناث في المضاجع ولو كانوا إخوة ...اتَّخاذ الخدم الرجال واختلاطهم بالنساء وحصول الخلوة بهم ...اتَّخاذ الخادمات بلا محرم ... استقبال المرأة أقارب زوجها الأجانب ، الاختلاط في دور التعليم والجامعات ، الاختلاط في الوظائف والأندية والمواصلات والمستشفيات والزيارات وحفلات الأعراس ، الاختلاط في الأعياد والمهرجانات

والمناسبات ، الاختلاط في الأماكن الترفيهية والحدائق والأسواق ، حيث في أجواء التسوق والترفيه وتسكع بعض الشباب اللاهث وراء المتعة تحدث ظاهرة خطيرة وهي ظاهرة التعرُّف السريع والإعجاب من النظرة الأولى التي تعقبها خطوات الانحراف.

الاختلاط بكل أشكاله محرم وتعدٍ على حدود الله وانتهاك لمحارمه {وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }البقرة229الاختلاط بكل صوره نتائج مرللدعوات الآثمة التي ينفثها أرباب الشهوات في كتاباتهم وزواياهم وينادون من خلالها بالمساواة بين الذكر والأنثى في كل شيء اعتراضاً منهم على فطرة الله ومخالفة لهديه وشريعته0

لقد وُلدت هذه الدعوى جُرأة عند المرأة في إقدامها على غشيان مجتمعات الرجال والاتصال بهم ومحادثتهم بل ومغازلتهم بلا تحفظ ولا حياء ... وولدت هذه الدعوى الظالمة جُرأة عند المرأة فأقدمت على تأليف الجمعيات النسوية واللِّجان النسائية وإصدار الصحف والمجلات وإعلان المسيرات لا في سبيل إصلاح ما فسد من شؤونهنّ وتقويم ماعوجَّ من سلوكهنَّ وإنَّما في سبيل المُطالبة بحق المرأة بالمساواة مع الرجل... تخرج كما يخرج ..وتلبس كما يلبس بل أفضح مما يلبس وتصادق من تشاء وتعمل ما تريد وتغشى الأندية العامة كما يغشاها الرجال وتنادي بتبني قضايا سياسيَّة أو اقتصاديَّة أو بيئية ليس من شأنهن أن يتصدَّين لها وليس في قدرتهنَّ الفكرية والعملية أن يفلحنَّ في حلِّها ومعالجتها ..وإنَّما النيَّة الخفية من وراء ذلك هي أن يتكشَّفن ويبدين زينتهن ولتذكرهن الصحف وتردد الإذاعات أسماءهن بأنهن المتحضرات المتحررات.وليتهن إذ فعلن ذلك كان حفلهن مستقلاً عن الرجال 0

إن جعبة الباحثين والدارسين لمستنقع الاختلاط حافلة بالمآسي المخزية والفضائح المشينة التي تمثل صفعة قوية في وجه كل من يجادل في الحق بعدما تبين ..وإن الإحصائيات الواقعية في كل البلاد التي شاع فيها الاختلاط ناطقة بل صارخة بخطر الاختلاط على الدين والدنيا ..لخصها العلامة أحمد وفيق العثماني عندما سأله بعض الساسة الأوربيين : لماذا تبقى نساؤكم محتجبات في بيوتهن مدى حياتهن من غير أن يخالطن الرجال ويغشين مجامعهم ؟ فأجاب في الحال قائلاً: (لأنهن لا يرغبن أن يلدن من غير أزواجهن) ولما وقعت فتنة الاختلاط من جامعة مصرية كان ما كان من حوادث يندى لها الجبين ولما سُئل عميد قلة الأدب العربي

طه حسين عن رأيه في هذا قال: (لابد من ضحايا) ولكنه لم يبين بماذا تكون الضحية ؟ وفي سبيل ماذا لابد من ضحايا وأي ثمرة يمكن أن تكون أغلى وأثمن من أعراض المسلمين ؟ 0

والآن نعلن وبكل قوة ونجزم بحقيقة لا مراء فيها وهي أنك إذا وقفت على جريمة فيها نهش العرض وذبح العفاف وأهدر الشرف ثم فتشت عن الخيوط الأولى التي نسجت هذه الجريمة وسهلت سبيلها فإنك حتماً ستجد أن هناك ثغرة حصلت في الأسلاك الشائكة التي وضعتها الشريعة بين الرجال والنساء ومن خلال هذه الثغرة دخل الشيطان وصدق الله {وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً }النساء27أقول هذا القول ..

الخطبة الثانية

أما بعد،،، إنَّنا وكأي أمة مسلمة وكغيرنا من مجتمعات المسلمين يوجد من بيننا دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ، إنَّهم قوم من بني جلدتِنا ويعيشون بين أظهرِنا ويتكلَّمون بألسنتنا يلبسون لباس الإصلاح ويزينون باطلهم بدثار الصلاح {أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ }البقرة12إنهم أرباب الشهوات ودعاة الشبهات المتهوكون في أودية الباطل أولئك المنهزمون الذين لم يجدوا سبيلاً لرفع رؤوسهم إلا بالتقليد المطلق لكل غربي فهو المحور الذي يدورون فيه واستعلوا بانهزاميَّتهم وتطاولوا بسقوطهم وعدَّوا ذلك باباً من أبواب التَّزين يتبخترون به على غيرهم

إنَّهم فئة تمتد جذورهم الفكرية في فكر أعداء الإسلام تشرب منه وتستمد من تعاليمه ومناهجه ...يدعون الإيمان والإسلام ويزعمون أنَّهم على الهدى والصلاح فإذا ما تكشفت خبيئتهم وجدنا نُفوساً مريضة أسَّرها الهوى وغلبت عليها الشهوات وأحاطت بها الشكوك والشُبُهات يقول قائلهم: كان الرعيل الأول – ويعني بهم دعاة تحرير المرأة – قناديل تغوص ذبالاتها بدرجة أو بأخرى في الفكر الغربي المتقدم..

إن هذه الفئة بكتاباتها وأقوالها وطرحها تسعى إلى جر الأمة لمستنقع الاختلاط ووحل الانحطاط الذي غاصت فيه المسلمات في بلاد أخرى فجنت منه المصاب والعلقم.

إن المأزق الذي يتساقط فيه هؤلاء يوماً بعد يوم هو أنهم لايملكون مشروعاً حضارياً جاداً لنهضة الأمة وإنما غاية ما يملكون أنَّهم يريدون أن يزجوا الأمة في المُستنقع الغربي الآسن ليكون أبناؤها عبيداً يتمرغون تحت أعتابهم 0

حينما رأوا هذه البلاد تعتز بدينها وتحافظ على قيمها ويقف أهلها بإيمانهم وشرفهم صخرة تتحطَّم عليها أفكارهم ورأوا أن ولاة أمرها يؤكِّدون في كلماتهم وقراراتهم على خُطورة الاختلاط ومنعه بدءاً بالكلمة المشهورة للملك عبدالعزيز رحمه الله ...

حينما رأوا ذلك التميز سعوا إلى جر الأمة لويلات الاختلاط عبر سياسة تكسير الموجة وبشعارات برَّاقة وتحت رايات مشبوهة ... تارة تحت مسمى الاقتصاد وتارة تحت غطاء المعارض الثقافية وأخرى تحت ستار حماية البيئة ورابعة بستار الاختراع والمخترعين. ومرة عبر مهرجان الزهور وهكذا إلى أن تتقبل الأمة فكرة الاختلاط وتخضع للأمر الواقع .. ولا بأس عندهم أن تظهر المرأة متحجبة تارة ومتكشفة تارة أخرى حسب البيئة والمجتمع ...وإذا نجحوا في مرحلة تقدموا إلى غيرها إلى أن تتحول الأمة في النهاية إلى مُستنقع من الفساد والانحلال 0. هذا في الوقت الذي ترتفع فيها صيحات العُقلاء في الغرب والشرق منادية المرأة بالعودة إلى بيتها والحِفاظ على كرامتها وفي الوقت الذي تتجه فيه الدول الغربية إلى حماية أخلاقها فأنشأت مستشفيات خاصة بالنساء ومواصلات خاصة بالنساء ومنحت منحت مزايا للمرأة التي تعكف على تربية أولادها0

رُبَّ قائلٍ : ما هذا التهويل وتلك الإثارة ، ولماذا هذه المُبالغة وكأن نساءنا سيظهرن على الشواطىء عرايا أو أن المسارح سُتنصَب في الزوايا ؟

ولهؤلاء أقول : ولِمَ لا يُمكِن أن يكون الأمر كذلك ؟ أولم يخبرنا ربنا أن للشيطان خطوات وحذرنا منها {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ}النور 21

أوليس الاختلاط أصبح أمراً واقعاً في كثير من ميادين حياتنا ؟ فهل كان مجتمعنا كذلك قبل سنوات، أليس من نسائنا من تمردن على الفطرة وخلعن جلباب الحياء فنافسن الرجال في قيادة الطائرات وسباق الفروسية والعمل في الشركات والظهور مع الكبراء متبرجات ؟ أوليس الاختلاط واقعا في المستشفيات والمستوصفات وفي وسائل الإعلام وفي الحدائق والمتنزهات وفي بعض الشركات ؟ بل وفي الأجواء على

الطـائرات ؟ . فكيـف حـدث هـذا ؟ ألـيس بخطـوات خطـوات ؟ أفلـيس إذا تواصـلت الخطوات بلا إنكار ولا استنكار سنصل إلى ما يشتهون ؟

أولم تقرأوا كتاب (تحرير المرأة) والذي يصور المرأة في بلاد مسلمة كانت أكثر تحشماً وتستراً منا فمازالت يد التغريب تعمل حتى سقطت النساء في درك الاختلاط والانحطاط الخُلقِي الذي تسمعون به وربما تُبصرون ..ألا فلتعلموا أن فصول تلك المسرحية تطبق اليوم حذو القذة بالقذة فخذوا حذركم فوالله إن رضينا وسكتنا فسنجد أنفسنا يوماً ما في الدرك الذي سقط فيه غيرنا غارقين في الوحل الذي غرق فيه من حولنا.

إن السعي إلى فرض الاختلاط في مجتمعنا أو الدعوة إليه أو الرضا أو السكوت عليه هو سعي لجر الأمة إلى السقوط والانهيار حينما تخسر أعظم مقوماتها وهي الدين والأخلاق والمثل 0

وإن من يسعى لهذه النتيجة فهو ظالم لنفسه وأمته 0

إننا نناشد المسؤولين المخلصين في بلادنا والغيورين على دينهم وقرآنهم والحريصين على أمن بلادهم أن يقفوا في وجه هذه التيارات ويصدوها فبلادنا أمانة في أعناقهم فليتقوا الله في هذه الأمانة 0

وننادي دُعاة الاختلاط والانحطاط : رُويدكم يا أدعياء التقدم والتحضر.. رُويدكم فقد طفح الصاع وطفح الكيل وجاوزتم حدكم وخرجتم عن طوركم ..من أنتم حتى تطاولوا السماء بأعناقكم ..ومن أنتم حتى تنازعوا الله في حكمه ؟ أنتم تقولون قولاً والله يقول قولاً وقولكم مصادمة لقول الله ...أفتريدون أن نصدق كلامكم ونتبع أهواءكم ونُخالف قول ربنا ؟ تالله لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم

إننا ننادي دُعاة الاختلاط من كان جاهلاً بآثار دعوته ونتائجها أن يستغفر ربه ويتقي الله في مقولاته وممارساته قبل أن يأتي يوم يرى فيه نتائج دعوته في أقرب الناس إليه ...يراه في أخواته أو زوجته أو بناته ..ونقول لهم إنَّ المسلم الحقيقي لن يسكتَ ولن يصمت لأنَّه يُدرك تمام الإدراك أن حضارته في إسلامه واستقراره في التزامه وعظمته بإيمانه ..فهو يرفض كل دعوة تصادم إسلامه ويُناهِض كل فِكرة تُعارض التزامه.

إنَّ الشخصية المسلمة ستقف لكم بالمرصاد لأنَّها تُدرك أهداف الدعوات الهابطة وألوان المشاعر المتردية 0

وإننا لنناشد كل مسلم ومسلمة في بلادنا بأن يقف أمام تيار اختلاط ..ندعوه إلى أن يكون أصيلاً وقوياً فلا يتقاعس عن المواجهة بالتي هي أحسن وإنَّ الساكت أمام هذا الخطر شيطان أخرس وسيحمل إثمه وإثم الأجيال القادمة إن فسدت {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ }الأنفال51 وإنَّ على علماء الأمة ودُعاتها ووُجهائها الكفل الأعظم في مواجهة تيار التغريب باحياء شعار (الدين النصيحة ، لله ولرسوله وللأئمة المسلمين وعامتهم) 0

وأمام هذه الموجة القاتلة من ريح التغيير وأعاصير التدمير فإنَّ على الدُعاة وعلى الأولياء والآباء مسئولية ودوراً سأسطره في جمعة أخرى بإذن الله

وختاماً: يا فتاة هذه البلاد وربِّ السماء والأرض إني لكِ من الناصحين ..اقرأى حتى لا تنخدعي واحذري قبل أن تقعي ولا تكرري المأساة التي تورطت بها أختك في بلاد مسلمة وهي الآن تعود إلى رشدها وتؤدب إلى عقلها بعد أن ذاقت مرارة التحرر من عُبودية الله وتجرَّعت ذل العبودية لعباد الله وانكشف لها زيف المفسدين فخذي العبرة من الساقطين السابقين ولا تكوني عبرة للاحقين..

ويقيننا : أن قرون الوعول النفاقية ستتحطم على صخرة الإيمان والثبات والوعي والإدراك ، وإن الله لا يصلح عمل المفسدين.

اللهم صل وسلم على النبي المختار صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً ...

============

#مناهجنا تغيير أم تغريب

عبدالرحمن بن عبدالعزيز العقل * 1424/8/18

2003/10/14

يفدح المصاب ويزداد البلاء على هذه الأمة، وتشتد طوارق الإحن عليها، وتمتد سحائب الفتن على أجيالها، وتتراكم أجواء التمحيص لأبنائها حين يكون خصامها في مسلّماتها، ونزالها في ثوابتها وأصولها.

"إن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضاً، وتجيء فتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة؛ فيقول المؤمن هذه هذه" [أخرجه مسلم في الأمارة عن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما–].

إن أعظم فتنة، وأقسى زلزلة تواجه الجيل الصاعد في هذا العصر، زلزلة الثوابت، وتشكيك شرائح من منهزمي هذه الأمة في معاقد عزها، ومقاعد ثبوتها وبقائها.

ويقبح الأمر أكثر، وتتصاعد الظلمة وتمتد حين يترجم هؤلاء ما لديهم إلى واقع ملموس، ووضع محسوس، وحين يتخطون التنظير بالأقوال إلى التنفيذ بالأفعال، وهذا ما صدم به هؤلاء المجتمع السعودي في هذه الأيام حينما اجترؤوا على خطوة كبيرة نحو الوراء في مناهج التعليم، بهدف غربلة المجتمع، وبت الصلة بين ناشئته وبين أصولهم وعقائدهم.

إنها الخطوة الجريئة الكبيرة للتمهيد لمشروع أكبر، وهو تغريب الأفكار، وصياغة الإسلام على النظر الأمريكي وهيكلة المجتمع على ما تهواه الأم الحنون.

إنه تحقيق مطلب في سلسلة مطالب تنادي بها هذه الأم.

ورغم النداءات المتعددة من النصحة –قديماً وحديثاً– في التأني والتريث؛ إلا أن القاضي في مجلس الكونجرس قد أصدر حكمه سريعاً، فقطعت جهيزة قول كل خطيب.

ولكن أغلقوا الأسماع عنا ......
وأبدوا ضدنا عقداً دفينة
وأنذرناهم الطوفان لكن ......
أبوا إلا حمى الأسس الحصينة
فلما أن قطعنا بعض شوط ......
إذا بالبعض يخرق في السفينة
نهرناهم عن التخريب لكن ......
أجابوا إن فعلتهم جميلة
فماذا يصنع الإنسان فيهم ......

إذا كانت نصائحنا مهينة؟

فلله الشكاية في غريب ......

يرى طرق السلامة ضد دينه

جاء في تقرير اللجنة الأمريكية المكلفة من مجلس الكونجرس بدراسة وفحص أكثر من تسعين كتاباً مقرراً في مختلف المراحل الدراسية في السعودية، جاء من ضمن فقرات التقرير:

1) إن التعليم السعودي يقوم على الإسلام، والدراسات الإسلامية تشكل جزءاً رئيساً في هذه المقررات حتى الكتب العلمية تشير إلى الإسلام.

2) السعوديون يقولون: إن الإسلام هو أساس الدولة والمجتمع والقضاء والتعليم والحياة اليومية.

3) إنهم يصفون المسيحيين واليهود بأنهم كفار، وأنهم أعداء الإسلام.

4) المناهج السعودية لا تعترف بأي حق لليهود في فلسطين وأرض إسرائيل.

5) في المناهج السعودية تركيز على فصل النساء عن الرجال، وحجاب المرأة.

6) هناك آيات قرآنية كثيرة عن حجاب المرأة، وأهمية الالتزام به، وما تقوم به بعض النساء من كشف أجسامهن لرجال غرباء هو ذنب كبير.

7) حديث نبوي أثار كثيراً من النقاش عن اليهود، يقول:"لن يأتي يوم القيامة حتى يقاتل المسلمون اليهود.. حتى يختفي وراء شجر أو حجر" [انظر مجلة البيان العدد (188) 1424/4هـ].

هذه هي نظرة هؤلاء إلينا وإلى مناهجنا، إنها مساومة وقحة على ديننا وعقيدتنا، إنهم ينزعجون حتى من ذكر الإسلام في مناهجنا.

أيها الأحبة:

هذه بعض الملامح التي تدل على معالم التغيير الأمريكي الجديد الذي يصب لصالح اليهود أولاً، والنصارى ثانياً، ولن يكون هو نهاية المطالب، ولا غاية الرضا عند هؤلاء وأولئك، فحتى لو أُعطوا كل ما يطلبون من التغيير؛ فلن يرضوا بذلك، أو يقنعوا به، لأنه لا حد للجشع اليهودي، ولا سقف للمطالب الصليبية.

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) (ودوا لو تكفرون كما كفروا) (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا).

إن مما يؤسف له كثيراً أن عدداً من النخب الثقافية والإدارية في مجتمعنا لديه الاستعداد التام –خوفاً أو طمعاً– لقبول خطة الأمركة التعليمية، ولا مانع لديه لقبول مشروع التغيير كاملاً أو مجزَّءاً.

إن المرحلة القادمة حرجة وفظيعة بكل المقاييس، وربما شهدت معركة ضارية على ديننا وبلادنا، وعلى قيمنا وثوابتنا، وسيكشف كثير ممن يسمون أنفسهم بـ (الليبراليين) عن حقيقة ثقافتهم، وجذورهم، ونحسب أن هذا التيار سيكون الأداة الطيعة الذي سيستخدمه العدو في اختراق الأمة، وتسويق مشاريع الثقافة الأمريكية، وبسط هيمنتها على مراكز الرأي ومصادر التأثير.

وباسم الإصلاح والتطوير ونحوها من الكلمات الجذابة والمصطلحات البراقة، يرفع هؤلاء لواء الإفساد ومشروع التغريب والتخريب.

وليس هذا بدعاً من هؤلاء المتغربين والمتأمركين، فلقد قال الله عن أسلافهم من قبل:(وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون* ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون).

إن قضية تغيير المناهج التعليمية في المنطقة الإسلامية لم تفتر أبداً منذ معاهدة (كامب ديفيد)، مروراً باتفاقيات مدريد؛ إلا أن هذه القضية اشتد الإلحاح عليها بله التهديد لأجلها في هذه الأيام، بعد أن طفت على السطح زمناً.

ازدادت هذه القضية زخماًَ، وصعد شأنها بعد أحداث سبتمبر الشهيرة، وذلك من خلال الربط الأمريكي بين المناهج التعليمية المقررة في عدد من الدول الإسلامية –وبالأخص السعودية– وبين ما تسميه الولايات المتحدة إرهاباً.

لقد رأى هؤلاء وأعوانهم من المتأمركين المنهزمين فرصة سانحة في هذه الظروف لإجراء عمليات تغيير واسعة في المنطقة خاصة في أمر المناهج.

قال المنصِّر المشهور (تكلي):"يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني، لأن كثيراً من المسلمين قد تزعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية، وتعلموا اللغات الأجنبية".

وقديماً قال زعيم المنصِّرين (زويمر) مهنئاً تلامذته المنصرين:"لقد قبضنا في هذه الحقبة من ثلث القرن التاسع عشر على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية، وإنكم أعددتم نشئاً في ديار الإسلام لا يعرف الصلة بالله، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده الاستعمار المسيحي، لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يعرف هِمّة في دنياه إلا في الشهوات؛ فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، إنه يجود بكل شيء للوصول إلى الشهوات" [انظر:" مخطط تدمير الإسلام" لنبيل المحيش، وأيضاً "قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله" لجلال العالم].

هذا ما يريده هؤلاء لأجيالنا الإسلامية، وهم المستهدفون المعنيون بكل هذه المشاريع المرسومة والخطط المدروسة منذ أمد بعيد.

أيها الأحبة في الله:

إن الباعث لأمركة المناهج والداعي لغربلتها كما يريد أسياد أمريكا هو أنها أذنبت وأجرمت جرماً واحداً، إنه (جرم تدريس الإسلام، وتعليم القرآن وسنة النبي –صلى الله عليه وسلم–).

إن جريرة المناهج في بلادنا عند الأسياد والأذناب، أنها تعلم عقيدة الولاء والبراء التي جاء بها القرآن العزيز، وتغرس بغض الكافرين وحب المؤمنين.

هذه المناهج، بهذا البناء والغراس، هي التي فرخت الإرهاب كما يقوله هؤلاء، وهي التي ولدت العنف وبثت التطرف وأنشأت الغلو كما يقول أولئك.

أما المناهج الإسرائيلية المتشددة التي يتربى عليها أبناء يهود؛ فهذه لا تزداد مع الأيام إلا قوة، ولا مع الصراعات إلا تماسكاً وثباتاً وتطوراً إلى الأشد؛ لأنها لا تولد إرهاباً ولا عنفاً عند القوم.

جاء في أول كتاب "حول أدبيات التعليم والثقافة العبرية" للبروفسور أوميركوهين – أستاذ التربية في جامعة حيفا– موضوعاً بعنوان "وجوه قبيحة" يركز فيه مؤلفه على مسألة الصراع العربي الإسرائيلي في أدب الناشئة، واعترف فيه أنه حتى نهاية عام 1984م لم تتغير النظرة المشوهة إزاء الإنسان العربي؛ فالنظرة عدائية، ولم تحل محلها نظرة احترام أو قيم".

وقد تأثر الأدب الصهيوني الطفولي بالفكر الصهيوني العنصري القائم على القومية العرقية، والموغل في الاستعلاء المغلف بمفاهيم وتعاليم توراتية وتلمودية.

وقد شرعت القيادة الصيهونية بتسخير أحلامها وتجنيد طاقاتها الفكرية لصياغة أدب جديد يلائم المرحلة القادمة ويرتكز على جانبين:

1) الجانب الاستعلائي العرقي.

2) الجانب الاستيطاني الاستعماري.

فأما الجانب الأول؛ فيعتبر الأدباء فيه أن فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، وشعبها ليست له هوية، وأن سكانها بدو متوحشون، احتلوا البلاد وخربوها؛ لذا يجب أن يعودوا إلى الصحراء، وأن يستولي اليهود على الأرض، لذا فالحرب قائمة بين العرب واليهود إلى أن يتم طرد العرب الذين صوروا بأقبح الصور، على أنهم قطاع طرق قذرون، ثيابهم رثة، ويمشون وهم حفاة على الأقدام.

أما الجانب الثاني الاستيطاني الاستعماري؛ فينظر فيه إلى العرب والمسلمين على أنهم أشجار بلا جذور يتحتم اقتلاعها عاجلاً أو آجلاً، وأنهم عصابات سرعان ما يهربون من الأرض، وهذا عندهم دليل على عدم الانتماء إلى الأرض التي يعيشون فيها، لذا فإنهم مجرد لصوص يسرقون المياه من أرض الأمة العبرانية.

وهناك العديد من القصص التي أُلفت للأطفال اليهود، هدفُها غسيل أذهان أطفال اليهود، وتصوير المسلم والعربي بأنه قاتل مخادع، وبأن الجندي اليهودي مسالم لا يحب الدم والقتل، وإنما دفعه لذلك المسلم المتعطش للدماء والقتل. كما يُصورون المسلم للطفل اليهودي بأنه يمارس تجارة الجنس التي تنتهي عند التهريب والتخريب وخطف الطائرات. [انظر "مناهج التعليم الإسرائيلية والصراع العربي الإسرائيلي"، إعداد مركز دراسات الشرق الأوسط، الأردن، ومجلة البيان 190 جمادى الآخرة 1424 هـ].

هكذا يربون ناشئتهم في ظل هذه الظروف الحرجة، والصراعات الحادة، ونحن نتوارى بديننا من القوم، ونستحي من بيان عقيدتنا؛ بل نحرفها أو نحذفها لإرضاء القوم.

مصاب جلل أن يخجل بعض قومنا من عقيدة الولاء والبراء التي جاء بها كتاب ربنا وسنة نبينا -صلى الله عليه وسلم-. إننا حين نستجيب لمطالب القوم، ونرضخ لهم

بما يريدون بسبب قوة مطرقتهم، نصدق التهمة ضدنا بأن عقيدتنا تفرخ الإرهاب، وسيظلون يتهمون ونحن نغير حتى لا يبقى لنا من ديننا شيء (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا).

إننا حين نلبي مطامحهم بسبب استفزازاتهم؛ فنغير مناهجنا لا عن قناعة منا إنما لإقناعهم، سنظل أذلاء تابعين مقهورين.

ومن يتهيب صعود الجبال ... ...

يعش أبد الدهر بين الحفر

يجب أن نصرخ بعقيدتنا بكل عزة وافتخار، ونرفع ألويتنا في كل الوهاد والبحار، (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون).

إن هذه المطالب، وهذه التغييرات الجديدة لن تزيد –بإذن الله– أهل الحق إلا قوة في دينهم، ومعرفة أكثر بعدوهم ويقيناً أعظم بوعد ربهم، (لن يضروكم إلا أذى..) ومع كل هذا الإصرار من عدونا، إلا أنا أكثر إصراراً وأقوى سنداً، وأشد إلحاحاً، وأعظم تجلداً مع البلوى (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) إننا ورغم لحوق فئام من أمتنا بركاب عدونا، وانهزامهم في أحلك الظروف وأقساها، لن نلين ولن ننثني، وسنظل جبهة قوية متماسكة لمقاومة كل رياح التغيير والتغريب، ومواجهة كل مشاريع العلمنة والأمركة.

إننا في هذه المرحلة الخانقة الحرجة أحوج ما نكون للتماسك صفاً ملتئماً واحداً ضد الهجمات التغريبية الصليبية القادمة هجمة على الإسلام ورسول الإسلام، وهجمة على المبادئ والمثل والأخلاق، وهجمة على المرأة والأسرة والبيت المسلم، وهجمة أخطر وأكبر على المناهج والتعليم كما سبق آنفاً.

إننا في ظل هذه الهجمة نطالب بتعزيز المناهج وتقويتها، وربطها بالإسلام أكثر مما هي عليه، نعم نطالب بتطويرها إلى الأحسن، وتجديد أساليب عرضها، والتفنن في صياغتها وشرحها. ومن المفارقات أن التعليم الديني في دولة يهود يعزز في كل فترة، ويسير وفق خط بياني قد رُسم له منذ قيام دولة يهود، لا يخطئ هذا الخط

مساره قدر أنملة؛ بل يتقدم على الخط المرسوم بقفزات تطويرية تضمن للدولة اللقيطة التفوق العلمي والتقني على مجموع الدول العربية.

هذا ما يحصل للتعليم الديني في المناهج المدرسية الإسرائيلية، في زمن يُطالَب فيه المسلمون بتصفية المدارس الدينية، وتقليص –بل حذف– كثير من ثوابت الإسلام وأصوله.

ماذا يُراد بأمة الإسلام ... ...
من ثلة مأجورة الأقلام
وهبوا الولاء وحبَّهم لعدوهم ... ...
وتلطخوا بالحقد والإجرام
ما إن تحدق فتنة حتى يُروا ... ...
ما بين رائش سهمه أو رام
هم أثخنونا من وراء ظهورنا ... ...
وتكشفوا في أحلك الأيام
يا أمة الإسلام أين مصيرنا ... ...
نمنا، وأمسى القوم غير نيام
ها هم يكيدون(المناهج)جهرة ... ...
ويجففون منابع الإسلام
يتكففون رضى العدو وما جنوا ... ...
غير الإهانة منه والإرغام
والله لن ترضى اليهود ولا النصا ... ...
رى عن (مناهجنا) مدى الأعوام
حتى نوافقهم ونتبع دينهم ... ...
ونسير خلف ضلالهم بخطام
يا أمتي صبراً فلن نصل العلا ... ...
إلا على صرح من الآلام
وتحمل الأعباء أجدر بالفتى ... ...

من أنّة الشكوى والاستسلام

ومن القنوط إذا أحاط به الأسى ... ...

ومن الهروب لشرفة الأحلام

يا أمتي ليس الدواء بدمعة ... ...

نشكو بها من جرأة الأقزام

لكن بعزم صادق وإرادة ... ...

نقفو بها آثار خير إمام

ونرد كيد المبطلين بنحرهم ... ...

ونعيدهم لعدالة الإسلام

والله خيرٌ حافظاً وموفقاً ... ...

أعظم به من خالق علام

وصلى الله وسلم علي نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* الاستاذ بقسم السنة بجامعة الإمام محمد بن سعود الاسل

==============

الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان

الحمد لله الذي هدانا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، فأكمله سبحانه لنا وأتمه، وأتم به علينا النعمة، ورضيه لنا ديناً، وجعلنا من أهله وجعله خاتماً لكل الدين وناسخاً لجميع الشرائع قبله، وبعث به خاتم أنبيائه ورسله محمداً صلى الله عليه وسلم، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره: ((أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)) (آل عمران: 38)) .
وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، وصفوته من خلقه، وخيرته من بريته، وأمينه على وحيه، أما بعدُ،،، ففي الوقت الذي يجري فيه صريف الأقلام الجهادية من علماء المسلمين في شتى فجاج أرض الله، بالدعوة إلى الله، والتبصير في الدين، ومواجهة موجات الإلحاد والزندقة، ورد دعاوى الجاهلية القديمة والمعاصرة: القومية، البعثية، الماركسية، العلمنة، الحداثة وصد عاديات التغريب والانحراف، والغزو بجميع أنواعه وضروبه، وأشكاله؛ بدت محنة أخرى في

ظاهرة هي أبشع الظواهر المعادية للإسلام والمسلمين؛ لإفساد نزعة التدين بالإسلام، والدخول فيه، وتذويب شخصيته في معترك الديانات، ومطاردة التيار الإسلامي، وكبت طلائعه المؤمنة، وسحب أهله عنه إلى ردةٍ شاملة.

وكل ذلك يجري على سنن الصراع والتقابل والتدافع، كما قال الله تعالى: ((وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا)) (البقرة:217).

وقوله سبحانه: ((وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً)) (النساء:89) وذلك فيما جهرت به اليهود والنصارى، من الدعوة الجادة إلى: 'نظرية الخلط بين الإسلام وبين ما هم عليه من دين محرف منسوخ وزرع خلاياهم في أعماق الإسلام في كل صقع ودار، وصهر المسلمين معهم في قالب واحد: فلا ولاء، ولا براء، ولا تقسيم للملأ إلى مسلم وكافر أبداً، ولا لتعبدات الخلائق إلى حق وباطل. ونصبوا لذلك مجموعة من الشعارات، وعقدوا له المؤتمرات، والندوات، والجمعيات، والجماعات، إلى آخر ما هنالك من مخططات.. وهم في الوقت نفسه في جد ودأب في نشر التنصير، وتوسيع دائرته، والدعوة إليه، واستغلال مناطق الفقر، والحاجة، والجهل، وبعث النشرات عبر صناديق البريد. من هنا اشتد السؤال من أهل الإسلام عن هذه ' النظرية ' التي حلت بهم: ما الباعث لها؟ وما الغاية التي ترمي إليها؟ وما مدى مصداقية شعاراتها؟ وعن حكم الإسلام فيها، وحكم الاستجابة لها من المسلمين، وحكم من أجاب فيها، وحكم من دعا إليها، ومهد السبيل لتسليكها بين المسلمين، ونشرها في ديارهم، ونثر من أجلها وسائل التغريب، وأسباب التهويد، والتنصير في صفوف المسلمين؟ . حتى بلغت الحال ببعضهم إلى فكرة : ' طبع القرآن الكريم، والتوراة والإنجيل في غلاف واحد ؟ وحتى بلغ الخلط والدمج مبلغه ببناء : ' مسجد، وكنيسة، ومعبد ' في محل واحد، في: ' رحاب الجامعات ' و ' المطارات ' و ' الساحات العامة ' ؟ فما جوابكم يا علماء الإسلام ؟؟ آثار هذه النظرية على الإسلام والمسلمين : اقتحام العقبة، وكسر حاجز الهيبة من المسلمين من وجه، وكسر حاجز النفرة من الكافرين من وجه آخر . قدم ' البابا ' نفسه إلى العالم بأنه القائد الروحي للأديان جميعاً، وأنه حامل رسالة : ' السلام العالمي ' للبشرية . أن ' البابا ' اعتبر يوم: 27 / 10 أكتوبر عام 1986 م عيداً لكل الأديان، وأول يوم من شهر يناير،

هو: ' يوم التآخي ' . اتخاذ نشيد، يردده الجميع، أسموه: ' نشيد الإله الواحد: رب، وأب ' . انتشر في العالم عقد المؤتمرات لهذه النظرية، وانعقاد الجمعيات، وتأليف الجماعات الداعية لوحدة الأديان، وإقامة الأندية، والندوات . أنه فضلاً عن مشاركة بعض من المنتسبين إلى الإسلام في هذه اللقاءات - على أراضي الدول الكافرة - في المؤتمرات، والندوات، والجمعيات وإقامة الصلوات المشتركة، فإنه ما كادت شعارات هذه النظرية تلوح في الأفق، وتصل إلى الأسماع، إلا وقد تسربت إلى ديار الإسلام؛ فطاشت بها أحلام، وعملت من أجلها أقلام، وانطلقت بالدعوة إليها ألسن من بعد أخرى، وعلى الدعوة بها سدة المؤتمرات الدولية، والنوادي الرسمية والأهلية . وكان منها: في: ' مؤتمر شرم الشيخ بمصر ' في شهر شوال عام 1416، تركيز كلمات بعض أصحاب الفخامة !!!! من المسلمين !!!! على الصفة الجامعة بين المؤتمرين، وهي:' الإبراهيمية ' وهو مؤتمر يجمع لفيفاً من المسلمين، واليهود، والنصارى، والشيوعيين . ومنها أنه بتاريخ: 1416 / 10 / 10 . أعلن بعضهم عن إصدار كتاب يجمع بين دفتيه: القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل ' . وفي بعض الآفاق صدر قرار رسمي بجواز تسمية مواليد المسلمين، بأسماء اليهود المختصة بهم؛ وذلك إثر تسمية مواليد المسلمين باسم: ' رابين ' . وهكذا ينتشر عقد التهويد، والتنصير، بنشر شعاراتهم بين المسلمين، ومشاركة المسلمين لهم في أفراحهم، وأعيادهم، وإعلان صداقتهم، والحفاوة بهم، وتتبع خطواتهم وتقليدهم، وكسر حاجز النفرة منهم بذلك، وبتطبيع العلاقات معهم .. وهكذا في سلسلة يجر بعضها بعضاً في الحياة المعاصرة .

هذه خلاصة ما جهرت به اليهود، والنصارى، في مجال نظرية توحيد ديانتهم مع دين الإسلام، وهي بهذا الوصف، من مستجدات عصرنا؛ باختراع شعاراتها، وتبني اليهود، والنصارى لها على مستوى الكنائس، والمعابد، وإدخالها ساحة السياسة على ألسنة الحكام، والتتابع الحثيث بعقد المؤتمرات، والجمعيات، والجماعات، والندوات ؛ لبلورتها، وإدخالها الحياة العملية فعلاً . وتلصصهم ديار المسلمين لها، من منظور: ' النظام الدولي الجديد ' . مستهدفين- قبل هيمنة ديانتهم- إيجاد ردة شاملة عند المسلمين عن الإسلام . وكان منشور الجهر بها، وإعلانها، على لسان النصراني

المتلصص إلى الإسلام: روجيه جارودي، فعقد لهذه الدعوة : ' المؤتمر الإبراهيمي ' ثم توالت الأحداث كما أسلفت في صدر هذه المقدمة . ولا يعزب عن البال، وجود مبادرات نشطة جداً من اليهود والنصارى، في الدعوة إلى : ' الحوار بين أهل الديان ' وباسم ' تبادل الحضارات والثقافات ' و ' بناء حضارة إنسانية موحدة ' و ' وبناء مسجد، وكنيسة، ومعبد ' في محل واحد، وبخاصة في رحاب الجامعات وفي المطارات . وكان من مداخل السوء المبطنة لتمهيد السبيل إلى هذه النظرية، وإفساد الديانة: إجراء الدراسات المقارنة في الشرعيات، بين الأديان الثلاثة، ومن هنا يتبارى كل في محاولة إظهار دينه على الدين كله، فتذوب وحدة الدين الإسلامي، وتميزه، وتسمن الشبه، وتستسلم لها القلوب الضعيفة. حكم الدعوة إلى توحيد الأديان: إن الدعوة إلى توحيد دين الإسلام الحق الناسخ لما قبله من الشرائع، مع ما عليه اليهود والنصارى من دين دائر كل منهما بين النسخ والتحريف؛ هي أكبر مكيدة عُرفت لمواجهة الإسلام والمسلمين اجتمعت عليها كلمة اليهود والنصارى بجامع علتهم المشتركة: ' بغض الإسلام والمسلمين ' . فهي في حكم الإسلام: دعوة بدعية، ضالة كفرية، خطة مأثم لهم، ودعوة لهم إلى ردة شاملة عن الإسلام؛ لأنها: تصطدم مع بدهيات الاعتقاد. وتنتهك حرمة الرسل والرسالات. وتبطل صدق القرآن، ونسخه ما قبله من الكتب. وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع. وتبطل ختم نبوة محمد والرسالة المحمدية – عليه الصلاة والسلام – . فهي نظرية مرفوضة شرعاً، محرمة قطعاً بجميع أدلة التشريع في الإسلام من كتاب وسنة، وإجماع، وما ينطوي تحت ذلك من دليل، وبرهان . لهذا: فلا يجوز لمسلم يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً، الاستجابة لها، ولا الدخول في مؤتمراتها، وندواتها، واجتماعاتها، وجمعياتها، ولا الانتماء إلى محافلها، بل يجب نبذها، ومنابذتها، والحذر منها، والتحذير من عواقبها، واحتساب الطعن فيها، والتنفير منها، وإظهار الرفض لها، وطردها عن ديار المسلمين، وعزلها عن شعورهم ومشاعرهم، والقضاء عليها، ونفيها، وتغريبها إلى غربها، وحجرها في صدر قائلها، ويجب على الوالي المسلم إقامة حد الردة على أصحابها، بعد وجود أسبابها، وانتفاء موانعها، حماية للدين، وردعاً للعابثين، وطاعة لله، ولرسوله – صلى الله عليه وسلم – وإقامة

للشرع المطهر . وأن هذه الفكرة إن حظيت بقبول من يهود، ونصارى، فهم جديرون بذلك؛ لأنهم لا يستندون إلى شرع منزل مؤبد، بل دينهم: إما باطل محرف، وإما حق منسوخ بالإسلام. أما المسلمون: فلا والله، لا يجوز لهم بحال الانتماء إلى هذه الفكرة؛ لانتمائهم إلى شرع منزل مؤبد، كله حق، وصدق، وعدل، ورحمة . وليعلم كل مسلم عن حقيقة هذه الدعوة: أنها فلسفية النزعة، سياسية النشأة، إلحادية الغاية، تبرز في لباس جديد؛ لأخذ ثأرهم من المسلمين: عقيدة، وأرضاً، وملكاً، فهي تستهدف الإسلام والمسلمين في:

1- إيجاد مرحلة التشويش على الإسلام، والبلبلة في المسلمين، وشحنهم بسيل من الشبهات، والشهوات؛ ليعيش المسلم بين نفس نافرة، ونفس حاضرة .

2- قصر المد الإسلامي، واحتوائه .

3- تأتي على الإسلام من القواعد، مستهدفة إبرام القضاء على الإسلام واندراسه، ووهن المسلمين، ونزع الإيمان من قلوبهم، وَوَأدِه .

4- حل الرابطة الإسلامية بين العالم الإسلامي في شتى بقاعه؛ لإحلال الأخوة البلدية اللعينة: ' أخوة اليهود والنصارى ' .

5- كف أقلام المسلمين، وألسنتهم عن تكفير اليهود والنصارى وغيرهم، ممن كفرهم الله، وكفرهم رسوله صلى الله عليه وسلم - إن لم يؤمنوا بهذا الإسلام، ويتركوا ما سواه من الأديان- .

6- وتستهدف إبطال أحكام الإسلام المفروضة على المسلمين أمام الكافرين من اليهود والنصارى وغيرهم من أمم الكفر ممن لم يؤمن بهذا الإسلام، ويترك ما سواه من الأديان .

7- وتستهدف كف المسلمين عن ذروة سنام الإسلام: الجهاد في سبيل الله، ومنه: جهاد الكتابيين، ومقاتلتهم على الإسلام، وفرض الجزية عليهم إن لم يسلموا .

والله سبحانه وتعالى يقول: ((قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)) (التوبة: 29) .

وكم في مجاهدة الكافرين، أعداء الله، ورسوله، والمؤمنين، من ' إرهاب ' لهم، وإدخال للرعب في قلوبهم، فينتصر به الإسلام، ويذل به أعداؤه، ويشف الله به صدور قوم مؤمنين، والله تعالى يقول: ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)) (الأنفال: 60) .

فوا عجباً من تفريط المسلمين، بهذه القوة الشرعية ؛ لظهور تفريطهم في مواقفهم المتهالكة: موقف: اغتيال الجهاد، ووأده . وموقف: تأويل الجهاد للدفاع، لا للاستسلام على كلمة الإسلام، أو الجزية- إن لم يسلموا- . موقف: تلقيب الجهاد باسم: ' الإرهاب ' للتنفير منه؛ حتى بلغت الحال بالمسلمين إلى تآكل موقفهم في فرض الجزية على الكافرين في تاريخهم اللاحق !!!

8- وتستهدف هدم قاعدة الإسلام، وأصله: ' الولاء والبراء ' و ' الحب والبغض في الله '، فترمي هذه النظرية الماكرة إلى كسر حاجز براءة المسلمين من الكافرين، ومفاصلتهم، والتدين بإعلان بغضهم وعداوتهم، والبعد عن موالاتهم، وتوليهم، ومودتهم، وصداقتهم .

9- وتستهدف صياغة الفكر بروح العداء للدين في ثوب وحدة الأديان، وتفسيخ العالم الإسلامي من ديانته، وعزل شريعته في القرآن والسنة عن الحياة، حينئذ يسهل تسريحه في مجاهل الفكر، والأخلاقيات الهدامة، مفرغاً من كل مقوماته، فلا يترشح لقيادة أو سيادة، وجعل المسلم في محطة التلقي لِمَا عليه أعداؤه، وأعداء دينه، وحينئذٍ يصلون إلى خسة الغاية: القفز إلى السلطة العالمية بلا مقاوم .

10- وتستهدف إسقاط جوهر الإسلام، واستعلائه، وظهوره وتميزه، بجعل دين الإسلام المحكم المحفوظ من التحريف والتبديل، في مرتبة متساوية مع غيره من كل دين محرف منسوخ، بل مع العقائد الوثنية الأخرى .

11- وترمي إلى تمهيد السبيل: ' للتبشير بالتنصير ' والتقديم لذلك بكسر الحواجز لدى المسلمين، وإخماد توقعات المقاومة من المسلمين؛ لسبق تعبئتهم بالاسترخاء، والتبلد .

12- ثم غاية الغايات: بسط جناح الكفرة من اليهود، والنصارى، والشيوعيين، وغيرهم على العالم بأسره، والتهامه، وعلى العالم الإسلامي بخاصة، وعلى الشرق

الأوسط بوجه خاص، وعلى قلب العالم الإسلامي، وعاصمته: ' الجزيرة العربية ' بوجه أخص، في أقوى مخطط تتكالب فيه أمم الكفر وتتحرك من خلاله؛ لغزو شامل ضد الإسلام والمسلمين بشتى أنواع النفوذ: الفكري، والثقافي، والاقتصادي، والسياسي، وإقامة سوق مشترك، لا تحكمه دولة الإسلام، ولا سمع فيه، ولا طاعة لخلق فاضل ولا فضيلة، ولا كسب حلال، فيفشو الربا، وتنتشر المفسدات، وتدجن الضمائر، والعقول، وتشتد القوى الخبيثة ضد أي فطرة سليمة، وشريعة مستقيمة .
وما ' مؤتمر السكان والتنمية ' المعقود بالقاهرة في : 29 / 3 / 1415 و ' المؤتمر العالمي للمرأة ' المعقود في بكين عام 1416 . إلا طروحات لإنفاذ هذه الغايات البهيمية . هذا بعض ما تستهدفه هذه النظيرة الآثمة، وإن من شدة الابتلاء، أن يستقبل نزر من المسلمين، ولفيف من المنتسبين إلى الإسلام هذه ' النظرية ' ويركضوا وراءها إلى ما يُعقد لها من مؤتمرات، ونحوها، وتعلو أصواتهم بها، مسابقين هؤلاء الكفرة إلى دعوتهم الفاجرة، وخطتهم الماكرة، حتى فاه بعض المنتسبين إلى الإسلام بفكرته الآثمة:' إصدار كتاب يجمع بين دفتيه:' القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل ' . إن هذه الدعوة بجذورها، وشعاراتها، ومفرداتها، هي من أشد ما ابتلي به المسلمون في عصرنا هذا، وهي أكفر آحاد:' نظرية الخلط بين الإسلام والكفر، والحق والباطل، والهدى والضلالة، والمعروف والمنكر، والسنة والبدعة، والطاعة والمعصية ' . وهذه الدعوة الآثمة، والمكيدة المهولة، قد اجتمعت فيها بلايا التحريف، والانتحال، وفاسد التأويل، وإن أمة الإسلام، لن تجتمع على ضلالة، ولا يزال فيها – بحمد الله – طائفة ظاهرة على الحق، حتى تقوم الساعة، من أهل العلم والقرآن، تنفي عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وصد العاديات عن دين الإسلام . ومن حذر فقد بشر . هذا جواب على سبيل الإجمال يطوّق هذه النظرية الخطرة ويكشف مخططاتها القريبة، والبعيدة في الهدم، والتدمير، وقفزهم إلى السلطة بلا مقاوم .
وخلاصته: ' أن دعوة المسلم إلى توحيد دين الإسلام مع غيره من الشرائع والأديان الدائرة بين التحريف والنسخ بشريعة الإسلام: ردة ظاهرة، وكفر صريح ؛ لما تعلنه من نقض جريء للإسلام أصلاً، وفرعاً، واعتقاداً، وعملاً، وهذا إجماع لا يجوز أن

يكون محل خلاف بين أهل الإسلام ' . وإنها دخول معركة جديدة مع عباد الصليب، ومع أشد الناس عداوة للذين آمنوا . فالأمر جد وما هو بالهزل .

مختصر من رسالة : الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان للشيخ/ بكر أبو زيد

=============

#لماذا فشل مشروع النهضة التغريبي ؟

د. محمد مورو 1426/1/17

2005/02/26

بعد عشرات السنين من اندلاع حركة التحرير الوطني في العالمين العربي والإسلامي ودول العالم الثالث عموماً، وبعد سلسلة من التجارب والمحاولات لتحقيق وبناء النهضة، اكتشفت الجميع قادة ومفكرين أن مشروع النهضة التغريبي، أي الذي استند على وسائل وأساليب وأفكار مستمدة من الشرق أو الغرب قد وصل إلى طريق مسدود، وأنه لم يحقق أياً من أهدافه المرجوة.

وكان من الطبيعي أن يطرح السؤال نفسه، وهو لماذا فشل مشروع النهضة التغريبي ووصل إلى هذا المستوى من الانهيار واللاجدوى؟! وفي رأينا أن هذا المشروع النهضوي الذي استند إلى أ فكار الحضارة الغربية وأساليبها والذي تجاهل خاصية الذات الحضارية لبلادنا كان من الطبيعي والمؤكد أن يصل إلى طريق مسدود؛ لأنه افتقد إلى المقومات البديهية لأية نهضة، ولأنه تجاهل العديد من الحقائق العلمية حول عملية النهضة.

السياق الحضاري

إذا افترضا حسن النية في هؤلاء الذين قادوا محاولات النهضة في بلادنا في تاريخنا المعاصر فإننا نجدهم قد وقعوا في خطأ علمي فادح حينما تعاملوا مع منهجية التغيير بمعزل عن السياق الحضاري لها؛ لأنه في الواقع لا منهج هناك مجرداً من مقولاته ونماذجه؛ لأنه تشكل في أحشاء النماذج التي عالجها واكتسى باللحم من خلال الموضوعات التي ولّدها، والمنهج يقوم ويتشكل عبر عملية معقدة من خلال نمط مجتمعي محدّد مما يحدّد له مبادئه ومقولاته ونماذجه فالمنهج الأوروبي في

النهضة تكوّن عبر تاريخ النمط الحضاري الأوروبي، وبالتالي فإن هؤلاء الذين أخذوا منهج التغيير الأوروبي، حتى لو رفضوا نظرياً المقولات الفلسفية الحضارية الأوروبية، إنما هم في الحقيقة يخدعون أنفسهم؛ لأن هذا المنهج خرج من خلال منظومة حضارية شاملة منهجاً ونماذج ومقولات وبالتالي فإن هذا النهج اكتسى وأخذ هذا الطابع الحضاري المميز له، ولكل حضارة شخصيتها المتميزة، ويكاد يكون هؤلاء الداعون إلى ما يسمى بالتطعيم الحضاري يتناسون حقيقة علمية معروفة وهي أن التطعيم في علم النبات مثلاً لا ينجح إلا بين النباتات المتقاربة عائلياً، وبديهي أن التطعيم والتلقيح بين الحضارة الإسلامية القائمة على التوحيد والعدل والحرية ورجاء الآخرة والحضارة الغربية القائمة على الوثنية، والمنفعة اللا أخلاقية والقهر والنهب أمر غير ممكن عملياً وموضوعياً.

إن الذين حاولوا بناء نهضة على أسس منهجية غربية لم يدركوا حقيقة موضوعية هامة، وهي أنهم لا يطبقون هذا المنهج في الفراغ، بل إن شعوباً عاشت تجربة حيّة من الإسلام لفترة طويلة جداً، إننا أمام حضارة إسلامية عريقة متميزة وثرية، حضارة تمتلك أصلاً نظرياً إلهياً، وتمتلك ثروة من التطبيقات الاجتماعية الهائلة من خلال ما حدث طوال التاريخ الإسلامي من علاقات وحالات سياسية واقتصادية واجتماعية ارتبطت بالنص الإسلامي أو حادت عنه وواجهت هذه الحضارة مشكلات في كافة الميادين، وترتّب على تلك المشكلات فقه وثقافة وإجابات نظرية وتطبيقية في مختلف الفروع والمجالات الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية، فضلاً عن ميادين العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية.

وهكذا فإن القفز على هذا الواقع بكل أوجه الصحة والخطأ والإنجاز، والقصور فيه سبب فجوة هائلة في الوعي والسلوك على حد سواء، وإهدار كل الأساسات فوق التربة أو تحتها، بحيث كان علينا أن نسير منذ البداية وفقاً للمنهج الأوروبي، ناهيك عن أننا نسير في الطريق الخطأ، الأمر الذي يستلزم مئات السنين زمنياً هذا إذا أمكن إخلاء الواقع من الوجدان والتراث الإسلامي وهو مستحيل قطعاً.

إن علم الاجتماع قد أكد على حقيقة بديهية لم يراعِها دعاة النهضة التغريبية وهي أن المنهج العلمي في أساسه أنماط اجتماعية معينة ينبغي أن يتم بمنهج هذه الأنماط

ذاتها وليس بمنهج مغاير، وإلا فإن الأخطاء ستكون بالجملة أي أنه لا يمكن استقرار عملية النهضة والتنمية في مجتمعاتنا بمنهج مستمد من نمط الحضارة الأوروبية مثلاً، وبالتالي فإن شرط النهضة هنا هو أن تقرأ الواقع قراءة صحيحة، وشرط الصحة هنا أن تكون القراءة من خلال منهج نابع من هذا النمط الحضاري الذي نحن بصدده، وليس من خارجه.

غياب البعد الثقافي

محاولات النهضة الحديثة في بلادنا تواكبت مع عملية التحرر الوطني منذ الاستعمار ولا شك أن الصراع مع الاستعمار صراع سياسي واقتصادي وعسكري فلا شك أن الغرب الاستعماري قد استعمل ضدنا أقسى الوسائل العسكرية وأبشعها لتحقيق عملية القهر والنهب، وكذلك لم يتورّع عن استعمال كل الوسائل السياسية والاقتصادية في تحقيق أهدافه، وبالتالي كان من الطبيعي أن تشن حركات التحرر الوطني الحرب ضد الاستعمار عسكرياً وسياسياً واقتصادياً.

ولكن البعد الثقافي لتلك المواجهة كان غائباً، وكأن هذا هو السبب بالتحديد في فشل مشروع النهضة بعد رحيل الاستعمار، بل الوصول إلى طريق مسدود أهدر كل المكاسب التي تحققت في المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية للمواجهة، بل أقسى من ذلك وأمر أصبحنا مهددين بعودة الاستعمار بجيوشه وأساطيله كالمسابق وبآليات أكثر تعقيداً وأكثر كفاءة.

إن البعد الثقافي للمواجهة كان يعني ضرورة تصفية الرواسب الثقافية الاستعمارية حكومياً وشعبياً، لأن هذا البعد الثقافي مرتبط بتحطيم أو بناء المكونات العقدية والفكرية والحضارية والأنماط المعيشية والإنتاجية وأشكال العلاقات الجماعية والفردية وتحطيمها يعني هدم القلعة من الداخل ومسخ الشخصية وجعلها في حالة عدم قدرة على الصمود والمواجهة فضلاً عن تحقيق مشروع النهضة، أما بناؤها بصورة صحيحة فيعني التماسك الفردي والجماعي، والقدرة على المواجهة . والقدرة على تحقيق الذات الحضارية وتحقيق مشروع النهضة بالتالي.

التغريب أدّى إلى الاستبداد

ما حدث بسبب التغريب يمكن أن نشبّهه بنوع من الانفصال الشبكي بين الشعوب والنخبة الحاكمة، فأصبحت الشعوب بمعزل حقيقي عن عملية النهضة ولم تستطع النخبة السياسية أو الفكرية بحكم محدوديّتها أن تنجز عملية النهضة. إن الشعوب كانت وما زالت تحمل الوجدان الإسلامي، كانت وما زالت معبأة بالتراث ومفعمة بالعقيدة، ولا يمكن القضاء على هذا الوجدان أو طريقة التفكير بسهولة، وبالتالي فإن فرض مشروع نهضوي غير قائم على وجدان الجماهير وعقيدتها وحسّها الثقافي وتراثها التاريخي يجعل تلك الجماهير لا تفهم هذا المشروع، ولا تتحمس له أو ترفضه وتعاديه أو يحدث لها نوع من ازدواج الشخصية أو انفصامها، وبالتالي يعود إلى سلسلة من الأخطاء والخطايا تجعل مشروع النهضة في مهب الريح، وإذا كانت النخبة المغتربة جادة في محاولة تحقيق نهضة على أساس تغريبي فإن رفض الجماهير لهذا المشروع النهضوي التغريبي أو عدم حماسها له يجعل تلك النخبة تحاول أن تجبر الجماهير على الانخراط والحماس في هذا المشروع، وبما أن التركيبة الثقافية والوجدانية للجماهير لا تستجيب للتحريض الإعلامي النخبوي بهذا الصدد، فإن النخبة الحاكمة تجد نفسها لاجئة في النهاية إلى قمع الجماهير والاستبداد بها وإجبارها بالقهر على الانخراط في هذا المشروع وبالطبع تبدأ المسألة من هذه الزاوية وتنتهي إلى أن يصبح الاستبداد والقهر سمة أساسية للحكم التغريبي، بمعنى أن يصبح للاستبداد لبنته الخاصة والذاتية حتى بصرف النظر عن مشروع النهضة التغريبي أي أن التغريب يوجد الاستبداد خلقاً.

كلمة في مسألة العلوم الطبيعية

من الأشياء التي يتشدق بها دعاة مشروع النهضة التغريبي، أنهم يستهدفون الحصول على العلوم الطبيعية أو التقنية من خلال مشروعهم التغريبي المرتبط بالمنهج التغريبي في النهضة والمنفتح على الحضارة الأوروبية التي أنجزت تقدماً علمياً باهراً.

وينبغي هنا أن نضع الكثير من النقاط فوق الكثير من الحروف في هذه القضية الخطيرة.

ينبغي أن نعرف أن العلوم الطبيعية تنقسم إلى قسمين، قسم خاص بالحقائق العلمية، والمكتشفات العلمية، وقسم خاص بتوجيه هذه العلوم في اتجاه معين، أي لإنتاج سلعة ضرورية أو كمالية مثلاً، للقضاء على مرض أو لنشر مرض، أي لإنتاج أدوات تسعد الإنسان وتساهم في راحته أو لإنتاج أسلحة الدمار الشامل، لإصلاح البيئة والمحافظة عليها أو لتخريبها وتلويثها.

أي أن هناك شقاً علمياً وشقاً قيمياً، والشق العلمي تراث إنساني يجب الاستفادة به وليس تراثاً أوروبياً، ولكن الشق القيمي للمسألة أي توجيه العلوم في اتجاه معين تراث حضاري أي خاص بتوجه وقيم كل حضارة، والحضارة الإسلامية مثلاً عندما كانت متقدمة علمياً كانت توجه هذه العلوم لإسعاد الإنسان وتلبية حاجات كل البشر، بل وكانت تسعى سعياً لنشر العلوم ولا تحجبها عن الآخرين، لأن حبس العلم جريمة في الشريعة الإسلامية الغراء، أما الحضارة الأخرى ولظلمها، حجبت هذا العلم عن الشعوب الأخرى، بل وأصدرت القوانين التي تجرّم حصول الآخرين على تلك العلوم مثل قضية الدكتور مهندس عبد القادر حلمي مثلاً، بل وتغتال العلماء في البلاد الأخرى حتى لا تحدث نهضة علمية فيها كاغتيال الدكتور المشد مثلاً".

إذاً فالعلم كحقائق ومعرفة تراث إنساني ساهمت فيه كل الحضارات والمجتمعات بل إن النهضة العلمية الأوروبية الحديثة استفادت من العلوم والمعارف الإسلامية في تحقيق تقدمها المعاصر، وبالتالي فإن الحصول على العلوم واكتسابها ليس قاصراً على المشروع النهضوي التغريبي، بل العكس هو الصحيح؛ فالحصول على العلم هدف أي مشروع نهضوي إسلامي، أما الشق القيمي في العلوم فهذا أمر مرفوض، أي الشق المرتبط بكيفية استخدام هذه العلوم.

والعجب هنا، أن مشروع النهضة التغريبي فشل حتى في الحصول على هذه العلوم لسبب بسيط هو أن الحضارة الغربية ترفض إعطاء العلوم للآخرين عن طيب خاطر، وما دام المشروع النهضوي التغريبي مشروع غير تصادمي مع الحضارة الغربية أي متعاون ومهادن لها، فهو لن يحصل على هذه العلوم بل الصحيح أن المشروع الإسلامي للنهضة هو القادر على الحصول عليها؛ لأنه سينتزعها انتزاعاً ثم يستطيع أن يهضمها حضارياً بمعنى أن يوجّهها التوجيه المتفق مع قيمه الحضارية.

==========

موجة التقليد والتشبه وأصالة المسلمين وصحوتهم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلي وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعلى آل محمد الطيبين، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فأوصي نفسي وإياكم معاشر المسلمين بتقوى الله استجابة لأمر ربكم ((يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)) (التوبة:119)

((يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)) (آل عمران:102).

إخوة الإسلام : ومع ظاهرة التدين العالمية التي لم تعد قصراً على المسلمين وحدهم تجتاح العالم الإسلامي موجةٌ من التقليد الأبله والتشبه المذموم، ويكادُ أفرادٌ وجماعاتٌ من المسلمين أن يفقدوا هويتهم الإسلامية، وتذوب شخصياتُهم في شخصيات الآخرين فالهيئة يُداخلها التشبهُ بالكافرين إذ يُحلق ما حقُّهُ الإعفاءُ ويُعفى ما حقه الإحفاء في الشرع المطهر، قال عليه الصلاة والسلام: ((أَعْفُوا اللِّحَى، وجزوا الشَّوَارِبَ ، وَغَيِّرُوا شَيْبَكُمْ وَلا تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ وَالنَّصَارَى))[1].

والملبسُ يطغى عليه الإسبالُ المحرم، أو تبدوا لقصرهِ العورةُ المأمور بسترها، أو يُفصَّلُ على هيئة لباس غير المسلمين فتدعو المشابهة شكلاً إلى عدم المخالفة في الأمور الأخرى، والزينة فيها تعدٍ وتجاوزٌ فالذهبُ يتختم به بعض أبناء المسلمين، ومعلومٌ نصوصُ الشرع في تحريم لبس الذهب للرجال وإباحته للنساء بشكل عام، وفيما يخص التختم: ((رَأَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خَاتَماً مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ وَطَرَحَهُ وَقَال : يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ ، فَقِيل لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خُذْ خَاتِمَكَ انْتَفِعْ بِهِ ، قَال : لا وَاللهِ لا آخُذُهُ أَبَداً وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم))[2].

وهكذا يكون التأسي وكذلك يكون الإتباع .

والأمرُ أدهى وأمر .. وفي مضمار التميع وغياب العزّة والهوية الإسلامية حين يُحتفي بالكفار ويُقدّر الفُجَّار ويُستهانُ بالمسلمين ويُتهم الأخيار ، وكل ذلك خلافُ هدي الإسلام، قال عليه الصلاة والسلام : ((لا تَبْدَءُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى بِالسَّلامِ ، وَإِذَا لقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي الطَّرِيقِ فَاضْطَرُّوهُ إِلى أَضْيَقِهِ))[3].

وأخطرُ من ذلك مشاركتهم في أعيادهم وحضورُ احتفالاتهم وتهانيهم بمناسباتهم التي لم يُنْزِل الله بها من سلطان، قال تعالى في صفات عباد الرحمن :((وَالذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ)) (الفرقان: من الآية72).

قال مجاهدٌ والربيعُ بن أنسٍ والقاضي أبو يعلى والضحاك –في تفسيرها– : إنها أعيادُ المشركين [4].

وعن أنس رضي الله عنه قال: ((قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم (المَدِينَةَ) وَلهُمْ يَوْمَانِ يَلعَبُونَ فِيهِمَا ، فَقَال : مَا هَذَانِ اليَوْمَانِ؟ قَالُوا : كُنَّا نَلعَبُ فِيهِمَا فِي الجَاهِلِيَّةِ ، فَقَال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ اللهَ قَدْ أَبْدَلكُمْ بِهِمَا خَيْراً مِنْهُمَا يَوْمَ الأَضْحَى وَيَوْمَ الفِطْرِ))(رواه أبو داود وأحمد والنسائي على شرط مسلم) [5]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – يرحمه الله–: ((والمحذورُ في أعياد أهل الكتابين التي نقرّهم عليها أشدُّ من المحذور في أعياد الجاهلية التي لا نقرهم عليها، فإن الأمة قد حُذِّروا مشابهة اليهود والنصارى وأُخبروا أن سيفعلُ قومٌ منهم هذا المحذور بخلاف دين الجاهلية فإنه لا يعود إلاّ في آخر الدهر عند اخترامِ أنفسِ المؤمنين عموماً، ولو لم يكن أشدَّ منه فإنه مثلُه على ما لا يخفى، إذ الشرُّ الذي له فاعلٌ موجود يُخافُ على الناس منه أكثرُ من شرٍّ لا مُقتضى له قوي)) [6]

أما الفاروق عمرُ رضي الله عنه فقد قال: ((إياكم ورطانة الأعاجم، وأن تدخلوا على المشركين يومَ عيدهم في كنائسهم فإن السخطة تنْزل عليهم))[7].

وفي سبيل التشبه الظاهري بالكافرين تأكلُ وتشربُ فئامٌ من المسلمين بالشمال وكأن الأمر عادةٌ من العوائد ليس فيها ملام، والمصطفى صلى الله عليه وسلم يُحذر من هذا ويقول: ((لا تَأْكُلُوا بِالشِّمَالِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِالشِّمَالِ)) [8].

وتُستبدل تحيةُ الإسلام (السلامُ عليكم) بأنواع من التحايا لا تبلغُ في كمالها ولا في حسنها مبلغَ تحيةِ أهلِ الإسلام هذا فضلاً عن أجر هذه، ووزر تلك إذا قُصد بها التشبهُ بالكافرين بل ويُنهى المسلمون عن مشابهة غير المسلمين في هيئة السلام .

أمة الإسلام : ومع خطورة هذه المشابهات الظاهرية ومثيلاتها وما فيها من تبعية للكفار، فالأمرُ أعظمُ وأخطرُ حين يتجاوز ذلك إلى التشبه في الباطن، فلا يقف الأمرُ عند حدود المحسوسات مع خطورتها بل ويشمل المعنويات، ويأتي على القيم وأنماط التفكير، ويشيع التقليدُ في القضايا الخطرة، وجوانب الحياة الأساسية، فثمة مسلمون يفكرون بعقلية غير إسلامية، وثمة كُتابٌ منتسبون إلى الإسلام وكتابتهم ليست من الإسلام في شيء !!

وما أخطرَ التعليم حين تجري مناهجهُ في بلاد المسلمين على وفق مناهج غير المسلمين، فتنشأ ناشئة المسلمين ضائعة الهوية مسلوخة العقيدة الحقة مفتونةً بقيم وحضارات الكافرين .

وليس أقلَّ خطراً منه الإعلامُ حين تُسير قنواتهُ المختلفة محاكيةً لإعلام غير المسلمين، فتضيُع الحقيقة وتُرتهنُ الكلمة الصادقة، ويروجُ الخداعُ والنفاق، ويغيبُ فيه الدفاعُ عن قضايا المسلمين، ويُمجد من لا يستحق التمجيد، وتسوّدُ الصفحات بتوافه الأمور وسواقط الأخبار، وما أعظم الخطبُ في مجال الاقتصاد إذا نسي المسلمون أو تناسوا زواجر القرآن عن أكل المال الحرام فساد الربا وانتشر الاحتكار ومورس القمار وكان الغشُّ في البيع والشراء، وشابه المسلمون الكفار في سياساتهم الاقتصادية المحرمة، وأعلنوا الحرب صراحةً مع الله إذ لم يسمحوا بانتشار الاقتصاد الإسلامي النَزيه أو ضيقوا عليه الخناق وكم هو مصابٌ إذا نحيت شريعةُ السماء عن الحكم في الأرض واستبدلت بالقوانين البشرية المستوردة من الكافرين .

وما أشدَّ البلية حين يُقلّدُ المسلمون غيرهم في بناء المساجد والقباب على القبور أو يُطاف بها أو يستشفع بأصحابها، وتلك من عوائد اليهود والنصارى التي نُهي عنها المسلمون قال عليه الصلاة والسلام : ((لعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)) [9]

وفي الحديث الآخر: ((أَلا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلا فَلا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ))[10].

عباد الله : ولم تكن المرأة المسلمة بمعزل عن هذا التقليد الأبله والتشبّه المذموم وإن شابك شكٌّ فألق نظرةً فاحصةً على عدد من حواضر العالم الإسلامي، ومسيرة المرأة ونمطِ حياتها، وسيهولك الأمر في الشكل والهندام وسيقضُّ مضجعك الاختلاطُ المحموم، والسفورُ المستهتر وتنفطر أكبادُ الغيورين لركض المرأة وراء أحدث الموديلات والموضات، ومسارعتِها الخطا لتقليد الكافرات، وأصبحت المرأة هدفاً لتوصيات المؤتمرات العالمية وضحية تخطيط المنظمات المعادية، ولم يعد في الأمر سرٌّ أو استحيا، وكأن المسلمين كلٌّ مباحٌ ورعايا سائبة يحتاجون إلى رعاةٍ وتُفرض عليهم الوصايةُ، ويتنازع الغربُ والشرقُ في الإشراف على برامجهم وتصدير البضائع إليهم ؟!

أجل لقد صدقت فينا معاشر المسلمين نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم حين قال: ((لتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْراً شِبْراً ، وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ حَتَّى لوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ، قُلنَا يَا رَسُول اللهِ : اليَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ قَال : فَمَنْ)) [11]

يا ويح أمة محمد صلى الله عليه وسلم كيف استساغت التبعية بعد القيادة ؟ وكيف رضيت بمحاكاة التائهين وهي المؤهلةُ لإصلاح فساد الأمم أجمعين ؟ وكيف قبلت أن تشهد عليها الأممُ بذلِّ التبعية وضحالة التفكير، وضعف الانتماء، والارتماء في أحضانِ الآخرين، وهي الأمةُ الوسطُ التي جعلها الله شاهدةً على الناس بمحكم التنْزيل: ((وَكَذَلِكَ جَعَلنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَليْكُمْ شَهِيداً)) (البقرة: من الآية143).

وتستمر عدالتُها وتقبل شهادتُها على الأمم المكذبة يوم الدين تأملوا هذا النصَّ وما فيه من العبرة لعلكم تذكرون، أخرج الإمام البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالى : هَل بَلغْتَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ أَيْ رَبِّ ، فَيَقُولُ لأُمَّتِهِ : هَل بَلغَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : لا مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ مَنْ يَشْهَدُ لكَ : فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم وَأُمَّتُهُ فَتشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلغَ وَهُوَ قَوْلُهُ جَل ذِكْرُهُ : ((وَكَذَلِكَ جَعَلنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلى النَّاسِ))))[12].

فهل تدركُ الأمةُ حقيقة موقعها وطبيعة تميزها، وضخامة دورها وتفيء إلى أصالتها وتعتّز بقيمها ؟

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((وَلا تَرْكَنُوا إِلى الذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ)) (هود:113).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ربِّ العالمين أحمده تعالى وأشكره وهو للحمد أهل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسوله وخيرته من خلقه، اللهم صلِ وسلم عليه وعلى سائر المرسلين .

أما بعد : فعباد الله: فحتى تتضح الصورةُ وتتبين الحكمةُ من مخالفة أصحاب الجحيم، وعدم التشبه بالكافرين أسوق لكم عدداً من أدلةِ الكتاب والسنةِ ومدلولاتِها في النهي والتحذير من ذلك، إذ كان ذلك من تكاليف هذه العقيدة الربانية التي نديِنُ بها ونؤمن بمنْزلها .

يقول تعالى مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم ليبلغ أمته: ((ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الذِينَ لا يَعْلَمُونَ* إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ)) (الجاثية:18-19).

يقول في تفسيرها شيخُ الإسلام ابنُ تيمية – رحمه الله -: ((جعل اللهُ محمداً صلى الله عليه وسلم على شريعة من الأمرِ شرعها له وأمره باتباعها ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، ويدخل في الذين لا يعلمون كلُّ من خالف شريعتَه، وأهواءهم: هي ما يهوونه ولو فرض أن الفعل ليس من اتباع أهوائهم فلا ريب أن مخالفتهم في ذلك أحسمُ لمادة متابعتهم في أهوائهم، وأعونُ على حصولِ مرضاةِ الله في تركها [13]

وقال تعالى: ((وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا

نَصِيرٍ))(البقرة:120).

فانظر كيف قال في الخبر ((ملتهم)) وقال في النهي: ((أهواءهم)) لأن القوم لا يرضون إلا باتباع الملةِ مطلقاً، والزجرُ وقع عن اتباع أهوائهم في قليل أو كثير [14]
معاشر المسلمين : وتأملوا في حادثة تغيير القبلة حينما هاجر النبيُ صلى الله عليه وسلم وصحبهُ من المدينة – وكان بها يهود – وتوجيه القرآن للمسلمين في قوله تعالى: ((وَلَئِنْ أَتَيْتَ الذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لمِنَ الظَّالِمِينَ)) إلى قوله تعالى: ((وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ...) (البقرة: 145–150).
فلقد استمر النبيُ صلى الله عليه وسلم في الاتجاه بصلاته نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً)) [15]
ولاشك أن هذا التوجيه لقي رغبةً وترحيباً من اليهود إذ يوافقهم النبيُ صلى الله عليه وسلم في قبلتهم، وربما استغلوا ذلك وقالوا: (يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا) [16]
وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتطلع إلى الوحي ويرغب التوجه إلى الكعبة عودة إلى قبلة إبراهيم عليه السلام، ورغبةً في تميز المسلمين بقبلتهم عن اليهود، فنَزل الوحيُّ مبيناً هذه الرغبة ومحقاً للحق ومستجيباً لنبيه ومميزاً للمسلمين عن غيرهم وكاشفاً لأهواء واعتراض السفهاء من الناس: ((قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ليَعْلمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ)) (البقرة:144).
قال غيرُ واحد من السلف في حكمة تغير القبلة : لئلا يحتج عليكم اليهودُ بالموافقةُ في القبلة فيقولوا: قد وافقونا في قبلتنا فيوشكُ أن يوافقونا في ديننا فقطع الله بمخالفتهم في القبلة هذه الحجة، قال العلماء: ((وهذا المعنى ثابتٌ في كل مخالفة وموافقة فإن

الكافر إذا أُتبع في شيء من أمره كان له من الحجة مثل ما كان – أو قريبٌ مما كان – لليهود من الحجة في القبلة)) [17].

ولم يقف الأمر عند حدود النهي بل أشارت آياتُ القرآن وأحاديثُ المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى أن من اتبع الكافرين وقلدهم فهو منهم ومصيرُهم مصيرهم قال تعالى: ((وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُول مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً)) (النساء:115).

((يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ))(المائدة:51).

وقال عليه الصلاةُ والسلام: ((من تشبه بقوم فهو منهم)) [18]،

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((إسناده جيد، وأقلُّ أحواله أنه يقتضي تحريم التشبّهِ بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبّهِ بهم كما في قوله تعالى: ((وَمَنْ يَتَوَلهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ)).

إخوة الإيمان : إن من لوازم العقيدة الحقة الولاء والبراء، ويكون الولاءُ للمؤمنين والبراءُ من الكافرين، قال تعالى: ((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالذِينَ آمَنُوا)) (المائدة: من الآية55).

ولا حجة لمن قال: إن الولاء في القلب ولا تضرُ المشابهة في الظاهر مع الكره لهم باطناً .

قال شيخ الإسلام في كتابه القيم: ((اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم،وهو كتاب قيمٌ نافعٌ في هذا الباب: والموالاةُ والمودة وإن كانت متعلقةً بالقلب، لكن المخالفة في الظاهر أعونُ على مقاطعة الكافرين ومباينهم)) . [19].

إلى أن قال: ولهذا كان السلف رضي الله عنهم يستدلون بهذه الآيات على ترك الاستعانة بالكافرين في الولايات، فروى الإمامُ أحمدُ بإسناد صحيح عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قلت لعمر رضي الله عنه : إن لي كاتباً نصرانياً، قال مالك: قاتلك الله، أما سمعتَ الله يقول: ((يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)) (المائدة:51).

ألا اتخذت حنيفاً ؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين: لي كتابتهُ وله دينهُ، قال (عمر): لا أكـرمهم إذ أهـانهم الله ولا أعـزّهم إذا ذلهـم الله، ولا أدنـيهم إذ أقصـاهم الله [20]، وأشار المحقق إلى عدم وجوده له في المسند (أبي موسى).

ويقول ابن القيم – رحمه الله – : ((إن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن التشبه بأهل الكتاب في أحاديث كثيرة، وسرُّ ذلك إن المشابهة في الهدْي الظاهر ذريعةٌ إلى الموافقة في القصد والعمل)) [21]

معاشر المسلمين : والنصوص في هذا كثيرة، وتعليلاتُ العلماء في النهي عن التشبه بالكـافرين مقنعـة ومبسـوطةٌ ومـن رام المزيـد فليرجـع إليهـا فـي مظانهـا، وإنمـا أردت الذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد .

ومـع هـذه الموجـة العارمـة فـي التشـبه بالكـافرين فـي عالمنـا الإسـلامي فـي معظـم مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والعلمية والإعلامية وسلوكيات الناس وعوائدهم الاجتماعيـة إلا أن مـن الإنصـاف أن نقـول: إن هـذه وتلـك مـن ركـام الماضـي ومـن مخلفات الاستعمار والمستعمرين، ولئن بقي في المسلمين من لا يزال سادراً في غيِّه مخدوعاً بمشابهة الكافرين وتقليدهم وموالاتهم، فثمة صحوةٌ إسلاميةٌ نشطةٌ تسري في أوساط المسلمين، وثمـة وعـي وشـعور بـالعزة الإيمانيـة لـدى الشـعوب المسلمة تنتظم الرجال والنساء، لقد بدأ الإسلام يستيقظ في النفوس وبات واضحاً تململ المسلمين من واقعهم المشين وكرههم لأعداء الدين ومعرفتهم بمخططات المستعمرين، ولم تقف حدودُ هذه الصحوة عند قطر دون آخر، ولم تكن في العرب دون العجم، ولا في الشرق دون الغرب، إنها شمسُ الحقيقة بدأ إشراقها وسيعم الخافقين بإذن الله نورُها.

ليس هذا كلاماً عاطفياً يقال، ولا مجرد أحلام لا يرى الناسُ لها مقاماً بل هي الحقيقة يشهد بها العدوُّ قبل الصديق، ويتآمر الكافرون ويخططون لاقتلاع الشجرة قبل أن توتي ثمارها... فتعقد المؤتمرات، وتفتح الملفات وتقترح الوسائل والخطط لمكافحة ما يسمى بالإرهاب والتطرف والأصولية، ونـورُ الله قـادمٌ لا محالـة، والإسلام الحقُّ هو الديانة المؤهلة لقيادة العالم قيادةً عادلة، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ولو كره المشركون .

ومن أواخر ما سمع العالمُ ما يحدث اليوم في تركيا ربيبة الاستعمار، ورائدةُ العلمنة في ديار المسلمين، والتي مكث المجرمون في تغيير هويتها ردحاً من الزمن، حتى أعلن استبدال العربية بحروف لاتينية، ومنع الحجاب رسمياً، وأعلنت القوانين الكافرة لتحكم في البلاد قسراً... ومع هذا التغريب والتحدي السافر، بقي الإسلامُ محفوظاً في قلوب الأتراك المسلمين، وبقيت الأصالة رصيداً مدفوناً في الصدور، حتى إذا أُتيحت الفرصة تفاجأ العالمُ كلُّه بالتصويت لحكم الإسلام، وفوز حزب الرفاة الإسلامي وسحقه للأحزاب العلمانية الأخرى، وعادت العلمانية تندب حظّها، والكفارُ العلمانيون يجرون أذيال الهزيمة وتهاوي الصنم الوهمي، وأُحبطت القوى العالمية وزادت من تخوفها من الإسلام والمسلمين، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون اللهم هيئ للمسلمين من أمرهم رشداً، اللهم وأجمع كلمتهم على الحقّ والهدى، اللهم عليك بأعداء الدين اللهم وأحصهم عدداً وأقتلهم بدداً ولا تبقِ على الأرض منهم أحداً، هذا وصلوا وسلموا على المبعوث رحمة للعالمين .

[1] رواه أحمد بسند صحيح (صحيح الجامع الصغير 352/1).

[2] أخرجه مسلم (2090)، جامع الأصول 716/4).

[3] رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي، انظر: صحيح الجامع الصغير 128/6).

[4] ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ص181

[5] أبو داود كتاب الصلاة 675ح 1134، الولاء والبراء للقحطاني / 331 .

[6] الاقتضاء 435/1–436 .

[7] رواه أبو الشيخ الأصبهاني، والبيهقي بإسناد صحيح، الولاء والبراء 332، والاقتضاء 428/1 بدون لفظة: "فإن السخطة تنْزل عليهم .

[8] رواه ابن ماجة بسند صحيح، صحيح الجامع الصغير 126/6

[9] رواه مسلم 377/1، الاقتضاء 298/1 .

[10] رواه مسلم، السابق 297/1

[11] رواه البخاري 300/13 ح7320، ومسلم 2054/4، ح2669 .

[12] الصحيح مع الفتح 371/6

[13] اقتضاء الصراط المستقيم 85/1، 86 .

[14] الاقتضاء 87/1 .

[15] صحيح البخاري مع الفتح 95/1، ومسلم 374/1، السيرة النبوية الصحيحة للعمري 349/2

[16] نسبه العمري إلى مجاهد ومال إلى تصحيحه، السيرة النبوية الصحيحة 351/2

[17] ابن تيمية الاقتضاء 88/1 .

[18] رواه أحمدُ وأبو داود .

[19] 1 / 163.

[20] الاقتضاء 164/1، 165

[21] إعلام الموقعين 140/3 .

================

#الصحوة الإسلامية: الأسباب والحقيقة

د. غازي التوبة 1428/3/20

2007/04/08

أطلق الدارسون اسم "الصحوة الإسلامية" على عدة أفعال ومظاهر إسلامية برزت في السبعينيات من القرن العشرين، وارتبطت بالتدين بشكل عام من مثل: ارتداء المرأة المسلمة الحجاب، وإعمار الشباب للمساجد، وظهور بنوك إسلامية، ومؤسسات تجارية لاربويّة، وانتشار الكتاب الإسلامي، وظهور جمعيات إسلامية تقود العمل الخيري في آسيا وإفريقية، والإقبال على التصويت للإسلاميين في الانتخابات البرلمانية في أكثر من بلد عربي وإسلامي، مما أدّى إلى إشغالهم عدداً كبيراً من مقاعد البرلمانات الخ. . . ولم تقتصر الصحوة على بلد واحد أو منطقة واحدة، بل شملت بلداناً متعددة ذات ظروف تاريخية مختلفة تمتد من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، منها: تركيا، الأردن، مصر، فلسطين، تونس، الجزائر، السعودية، الكويت الخ. . . وأعاد أولئك الدارسون تلك الظاهرة إلى عدة أسباب منها:

1- نكسة حزيران 1967م:

ذكر بعض الدارسين أنّ الصحوة الإسلامية جاءت نتيجة هزيمة العرب في مواجهة اليهود سنة 1967م، وعلّلوا ذلك بأنّ الشعوب تلجأ إلى القيم الغيبية لمواجهة

الانتكاسات وللتهرب من الواقع المرير، ومن الذين روّجوا لهذا التحليل حسين أحمد أمين في عدد من مقالاته. لكن هذا التعليل غير صحيح؛ لأنّ هناك بلاداً قد ظهرت فيها صحوة إسلامية ولا علاقة لها نهائياً بالنكسة مثل تركيا وتونس، ولكننا يمكن أن نقبل القول بأنّ نكسة حزيران 1967م كان لها دور في توقيت ظهور الصحوة، وذلك لاضطرار الحكام إلى تخفيف قبضتهم عن الشعوب الإسلامية بسبب هزيمتهم أمام اليهود، واضطرارهم إلى السماح بهامش من الحرية مما جعل الشعوب تستفيد من هذا الهامش وتعبّر عن الحقيقة الكامنة في داخلها ووجدانها.

2- حاجة بعض الحكام لمواجهة التيارات اليسارية:

علّل بعض الدارسين اليساريين وجود الصحوة الإسلامية بأنها ثمرة إطلاق الحكام ليد الإسلاميين في العمل السياسي من أجل مواجهة الحركات اليسارية، وأشاروا بهذا الصدد إلى إطلاق أنور السادات يد الحركة الطلابية في مصر لمواجهة الشيوعيين واليساريين من أتباع جمال عبد الناصر في الجامعات المصرية بعد عام 1970م، وأشاروا كذلك إلى سماح بورقيبة للإسلاميين بالعمل في تونس من أجل الحد من نفوذ التيار الشيوعي هناك.

إنّ هذا الكلام الذي يقوله اليساريون قابل للنقاش، ولا يسلّم به على إطلاقه، ولكن لنفترض جدلاً صحة ما يقوله اليساريون، فهذا يعني أنّ الحكام أرادوا الاستفادة من ظاهرة موجودة، ولم يُوجدوا هذه الظاهرة، وهذا ما نريد أن نصل إليه، وهو أنّ الصحوة الإسلامية حقيقة منبثقة عن واقع حياة المجتمع المسلم ومرتبطة به، وذات جذور وأصول بعيدة وليست من صنع الحكام.

3- الظروف الاقتصادية السيئة:

أشار كثير من الدارسين وبالذات الغربيين إلى أنّ الصحوة الإسلامية ثمرة الظروف الاقتصادية السيئة التي تمر بها بعض بلدان العالم الإسلامي، وأنّ القيادات الإسلامية تستغل الظروف الاقتصادية السيئة للزج بالشباب في "أتون الأصولية"، ومما ينفي زعم أولئك الدارسين أنّ الصحوة الإسلامية لم يقتصر انتشارها على البلدان التي تعاني أزمات اقتصادية، بل امتد انتشارها إلى البلدان المستقرة والمزدهرة

اقتصادياً مثل الخليج العربي بعامّة والكويت بخاصة، وربما كان العامل الاقتصادي سبباً في تسريع انتشارها، لكنه لم يكن عاملاً أساسياً في إيجادها بحال من الأحوال.

4- الثورة الإيرانية:

عزا بعض الدارسين انبثاق الصحوة الإسلامية إلى قيام الثورة الإيرانية في طهران عام 1979م، وإلى تأثيرها الإعلامي في محيطها الإسلامي، لكن نسي أولئك الدارسون أنّ الثورة الإيرانية شيعية المذهب، لذلك فمن الصعب أن يكون لها تأثير في محيط سني المذهب، وبخاصة إذا علمنا أنّ الصحوة الإسلامية قامت في بلاد سنية المذهب، وإذا كان لابد لنا من الإقرار بالتأثر والتأثير فهو أنّ الثورة الإيرانية حركت مشاعر المسلمين، وأذكت أملهم بإمكانية الانتصار، ودفعتهم إلى حلبة التنافس والتسابق مع إخوانهم الآخرين.

5- انتشار المد الأصولي:

رصد بعض الدارسين أصولية متنامية خلال الفترة الماضية على مستوى الكون لدى جميع الأديان اليهودية والكاثوليكية والهندوسية والبوذية الخ. . . وعلّلوا تلك الظاهرة الأصولية بسقوط الاتحاد السوفييتي الذي يقوم على الإلحاد والذي هو خصم لكل الأديان، واعتبروا الصحوة الإسلامية جزءاً من تلك الظاهرة، لكن نسي الدارسون أنّ الصحوة الإسلامية غير الأصولية الإسلامية، فلكل ظاهرة سماتها المستقلة المختلفة عن الأخرى، وإذا قبلنا التعليل السابق لظهور الأصولية الإسلامية فيجب أن نبحث عن تعليل آخر لظهور الصحوة الإسلامية طالما أنهما في حقيقة الأمر ظاهرتان متمايزتان مختلفتان.

والآن بعد أن فندنا الأسباب التي توهم بعض الدارسين أنها كانت وراء الصحوة الإسلامية، فما أسبابها الحقيقية إذن؟ وما ماهيتها؟ لكي نرد على السؤال السابق لابد من استعراض الظروف التاريخية والسياسية والاجتماعية والفكرية التي سبقت الصحوة الإسلامية.

كانت الحضارة الغربية هو التحدي الأكبر الذي واجه الخلافة العثمانية في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وانتهى الصراع بسقوط الخلافة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى، وبتفكيك ولاياتها وسقوط معظمها في قبضة الانتدابين:

البريطاني والفرنسي، وارتفعت أصوات تنادي بالتغريب من أجل التخلص من التخلف الحضاري ومن أجل اللحاق بالحضارة الغربية، وكان كمال أتاتورك أبرز من حمل لواء التغريب، فألغى الخلافة وأعلن النظام العلماني الذي يقتضي فصل الدين عن الدولة نهائياً، وألغى الشريعة الإسلامية، وأعلن الأذان باللغة التركية، وكتب اللغة التركية بالحرف اللاتيني بعد أن كانت تُكتب بالحرف العربي، وأوجب السفور وألغى كل التشريعات الإسلامية المتعلقة بالأسرة الخ. . .

ذلك ما قام به كمال أتاتورك على الجانب التركي من الخلافة العثمانية، أما الجانب العربي فقد قاد الفكر القومي الأمة فيه، واعتبر اللغة والتاريخ عاملي تكوين الأمة العربية، وتنكّر للدين الإسلامي، ولم يعتبره عاملاً من عوامل تكوينها، وكان ساطع الحصري أبرز من رسخ ذلك الفكر القومي العربي الذي يقوم على العلمانية في كل من العراق وسورية بعد أن احتل مراكز تربوية وعلمية راقية فيهما.

وكانت نتيجة المعطيات السابقة جميعها أنّ القيادات القومية العربية جعلت الحضارة الغربية قدوتها ومثالها، وشرعت في تغريب الإنسان والمجتمع العربيين، فأحلت الرابطة القومية محل الرابطة الدينية، ونقلت التشريعات الغربية وقوانينها في كل مجالات الحياة التجارية والزراعية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية الخ. . . ولم تستثن من ذلك إلاّ قوانين محدودة تتعلق بالأحوال الشخصية كالزواج والطلاق، ونقلت النموذج السياسي الغربي دون أدنى تغيير أو مراعاة لأية ظروف خاصة، ونسخت النظام الاقتصادي الغربي القائم على النظام الربوي بكل شروره وآثامه، ونشرت الآداب والفنون الغربية من مسرح وسينما وتمثيل ورسم ونحت الخ. . . وقد أدى كل ذلك إلى اصطراع عنيف بين النموذج الغربي وبين النموذج الحضاري التاريخي لأمتنا الذي عرفته لقرون طويلة.

أما مصر فقد كان صوت التغريب فيها بعد الحرب العالمية الأولى أعلى من صوته في مثيلاتها العربيات، فقد اعتبر حزب الوفد الذي قاد ثورة 1919م أنّ الشعب المصري أمة فرعونية مكتفية بذاتها، وقد دعا الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي إثر استقلال مصر عام 1936م في كتاب "مستقبل الثقافة في مصر" إلى أخذ الحضارة الغربية كاملة في كل مجال: حلوها ومرها، واعتبر ذلك الطريق الوحيد

للرقي وللالتحاق بركب الحضارة البشرية، وقد شهدت مصر بين الحربين العالميتين معارك فكرية صاخبة كان القصد منها خلخلة البناء النفسي للشعب المصري وتهيئته للتغريب الكامل من مثل المعركة التي أثارها علي عبد الرازق في كتابه "الإسلام وأصول الحكم" نافياً وجود حكم يتطلبه الإسلام، ومن مثل المعركة التي أثارها طه حسين في كتابه "في الشعر الجاهلي" والتي أنكر فيها وجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وأنكر قصة بنائهما للكعبة، واعتبر تلك القصة أسطورة اخترعتها قريش لإثبات الصلة بين اليهود والعرب وأقرها الإسلام لإثبات الصلة بين القرآن والتوراة، وقد أثارت تلك المعارك الأزهر الشريف فحاكم الكاتبين وأعدم الكتابين، ومما يلحق بتلك المعارك الفكرية الصارخة الدعوة إلى كتابة اللغة العربية بالأحرف اللاتينية وإلى تغيير قواعد النحو والإملاء والحجة في كل ذلك التيسير.

ثم جاء جمال عبد الناصر إلى الحكم في عام 1952م ونقل مصر من مرحلة القومية الفرعونية إلى القومية العربية، واعتمد في البداية طرح ساطع الحصري القومي العلماني، ثم انتقل عبد الناصر إلى المرحلة الاشتراكية في الستينيات، وقد استمرت مصر ماضية في أمر التغريب، ولكنّ تغريبها هذه المرة مستمد من الشق السوفييتي الاشتراكي، لذلك حكمت المجتمع التطبيقات الاشتراكية من مثل تأميم وسائل الإنتاج، وقيادة العمال والفلاحين، والصراع الطبقي، والعنف الثوري الخ. . .

ثم سارت عدة دول عربية على نهج مصر القومي الاشتراكي ومنها: السودان، والجزائر، اليمن...الخ

والسؤال الآن بعد هذا الاستعراض الموجز لمحاولات التغريب: ماذا كانت نتيجة محاولات القيادات القومية لتغريب بلادنا منذ الحرب العالمية الأولى؟ هل نجحت في ذلك؟ هل أصبحت قيم الغرب وعاداته وتقاليده ونظمه السياسية والاجتماعية والاقتصادية متجذرة في حياة الأمة وجزءاً من كيانها؟ لا لم تصبح بدليل الصحوة الإسلامية التي قامت في مختلف أنحاء العالم العربي من تركيا إلى سورية إلى الأردن إلى مصر إلى تونس إلى الجزائر الخ. . . والتي جاءت لتعلن إخفاق التيار القومي في تغريب الأمة، وقد استندت الصحوة الإسلامية في محاربتها محاولة التغريب تلك إلى الوحدة الثقافية التي تمثّلت في مفاهيم مستمدة من أحكام الحلال

والحرام والواجب والمندوب المطروحة في كتب الشريعة الإسلامية، وظهرت في تقاليد وعادات وأعراف مستندة إلى سيرة الرسول (، وبانت في سلوكيات معتمدة على قيم الإسلام وأخلاقه وتوجيهاته، وتجلّت في أفكار مأخوذة من عقائد الإسلام ومبادئه، وقامت على أشواق وأذواق مرتبطة بحديث القرآن عن الجنة والنار... الخ

وقد شكل القرآن الكريم والسنة المشرفة أساس الوحدة الثقافية لأمتنا، فهما قد أعطيا المسلمين تصوراً واحداً عن الكون والحياة والإنسان، ورسما لهم أهدافاً واحدة تزاوج بين التطلع إلى الآخرة وإعمار الدنيا، وحدّدا لهم قيماً واحدة تقوم على التطهر والتزكي، وأوجبا عليهم واجبات واحدة تعود على الفرد والمجتمع بالخير في الدنيا قبل الآخرة، وأفعما قلوبهم بتعظيم الله ورجائه وحبّه مما أورثهم غنى نفسياً وامتلاءً معنوياً تجسد في أوقاف بلغت ثلث ثروة العالم الإسلامي، ووجّها عقولهم إلى التفكر والتدبر والأخذ بالتجريب والابتعاد عن الأوهام والظنون مما جعلهم يبتكرون مخترعات تغني الحياة البشرية في مختلف العلوم والمجالات: كالفيزياء والكيمياء والميكانيكا والرياضيات والطب والفلك والصيدلة... الخ

لقد شكلت الوحدة الثقافية التي استندت إليها الصحوة الإسلامية في إفشالها التغريب أبرز مظهر من مظاهر الأمة الواحدة في وقتنا الحاضر بعد أن نجح أعداء الأمة في تمزيق مظاهر الوحدة الأخرى: السياسي والاقتصادي منها، وقد تبين أنّ هذه الوحدة الثقافية أقوى وأعصى على التذويب والتغييب والتفتيت مما يتصورون.

لقد جاءت الصحوة الإسلامية تعبيراً عن رفض الأمة للتغريب من جهة، وقامت استناداً على الوحدة الثقافية للأمة من جهة ثانية.

============

#أكذوبة حقوق الإنسان

عبد الله السهلي* 1428/3/8

2007/03/27

في تقديري لم يبلغ تسلّط وظلم الإنسان لأخيه الإنسان عبر التاريخ كله كما بلغ في زماننا هذا! وإن من المفارقات الغريبة التنادي لحماية حقوق الإنسان.. ممن؟!! إنه من الإنسان ذاته؛ فهو الخصم والضحية! فيك الخصام وأنت الخصم والحكمُ!!

وعلى الرغم من محاولات بعض الليبراليين تشريع الأنسنة! إلاّ أن مصطلح (الإنسانية) لم يعد يحمل بالضرورة معاني الرحمة والشفقة والتعاطف! بل قد نطلق الإنسانية ونعني بها القتل والحرب والدمار! وعلينا أن نبحث عن مصطلح آخر نعلّق عليه آمالنا! وبعيداً عن جدلية الأصل في الطبيعة البشرية فإن المتنبي قد حسم الموضوع بشكل واضح وصريح:

والظلمُ من شيم النفوسِ فإنْ تجدْ ذا عفةٍ فلِعلّةٍ لا يظلمُ!

وهذا بلا شك نتاج طبيعي لضعف جذوة الإيمان في النفوس أو اضمحلالها، وإن من المفارقات أن مصطلح (حقوق الإنسان) يُعدّ الآن من أكثر المصطلحات تداولاً في الوقت الذي يُعدّ عصرنا أكثر العصور انحطاطاً في مجال حقوق الإنسان! الأمر الذي يحتم علينا قراءة الأحداث والمصطلحات بعيداً عن صخب الآلة الإعلامية الغربية التي باتت تطحننا، وتلقي بنا في أتونها شئنا أم أبينا!!

إن الغرب وأمريكا على وجه الخصوص ترغمنا على التعاطي مع نسبية مصطلحاتها! بل نسبية عقليتها وبراجميتها ومكافيليتها ! وعلينا أن نراوح في فلك فكرها رغم أنوفنا!

إن القضية يمكن إجمالها في مؤداها الأخير أنها قضية قوي وضعيف، قوي يملي مصطلحاته ومضامينها، وضعيف يردّد ما يريد الأقوياء!

إن من الواجب علينا – مفكرين وساسة وحقوقيين– أكثر من أي وقت مضى الانعتاق من المنظومة الغربية لحقوق الإنسان؛ لأنها باختصار جاءت ردة فعلٍ لعقود من الصراع في أوروبا، صراع الإنسان مع الإنسان وصراع الإنسان مع الطبيعة، ولذا تجد فلسفة الصراع جزءاً من كينونة الغربي يجسدها بشكل صريح الفن والتمثيل، بل حتى الرسوم الكرتونية لديهم! هذه الثقافة ألقت بظلالها على عالمنا الإسلامي، ولذا قد تسمع من يقول: "إن الحقوق لا تُمنح بل تُنتزع انتزاعاً"، وهي عبارة تمثل بجلاء مجتمع الصراع، صراع الكل ضد الكل أو مجتمع الإيمان؛ فإن هناك ثنائية الحق والواجب في جوٍ من المسؤولية والمراقبة الذاتية التي لا يعرفها الغرب!

ولذا فإن من الأهمية بمكان معرفة الأسس والمنطلقات الفلسفية والفكرية للبنية العقلية للغرب، والتي تراوح بين الصراع والنفعية والتعاقدية وبطبيعة الحال استبعاد الإيمان

وإقصائه، بل بمعنى أدق إلغاؤه من الحس الغربي تماماً، الإيمان الكفيل بإيقاد جذوة الخيرية داخل النفس البشرية.

وفي المقابل فإن المسلمين يملكون – على المستوى النظري والعقدي – منظومة حقوقية لا تضاهيها منظومة على وجه الأرض، وإن من الظلم الواضح محاكمة المسلمين في هذا من خلال أحوال العالم الإسلامي الذي هو نتاج سنوات وعقود من الظلم والاستعمار (وإن شئت أبدل العينَ حاءً) والتغريب والتسلط الغربي الممنهج، باختصار نتاج للمؤامرة التي يحاول البعض إلغاء نظريتها (بل مكر الليل والنهار) والتي يجب ألاّ تقعدنا عن العمل (الجانب السلبي لنظرية المؤامرة).

ومع الأسف فإن كثيراً من المحاولات المؤسسية والمؤتمرات في هذا المجال مجال حقوق الإنسان بما فيها مؤتمر القاهرة 1411هـ قد استبطنت النموذج الغربي بشكل أو بآخر ونظمت على منواله دون التنبه إلى الاختلاف الجذري في الأسس والمنطلقات، إن علينا أن نوضح للعالم بأسره منظومتنا القيمية الحقوقية بعيداً عن الهلامية، وبعيداً عن منهج التوفيق والتلفيق تحت ذرائع المشترك الإنساني أو غيره! وهذا الأمر يتطلب عملاً مؤسسياً وفريقاً بحثياً يضم بين جنبيه علماء الشريعة والفقه والحقوقيين والسياسية الشرعية وتخصصات أخرى. وعند ذاك لا بأس إن كان هناك قدر من المشترك الإنساني، وثمة فرقٌ بين أن نقول: نحن نشابهكم في أمور، وبين أن نقول هذه منظومتنا وأنتم تشابهوننا في أمور .

وهنا ملمح مهم وهو ضرورة التجرد والحيادية في عرض الإسلام، أو أياً من تشريعاته بعيداً عن الذات أو العادات الاجتماعية الصرفة، وعرضه للغرب كما هو مهما تناءت المسافة بينه وبين الفكرة الغربية الوضعية – وهذه الجزئية بالذات – هي عنصر التميز والجذب للغربي عكس ما يعتقده (هواة التلفيق) من أن تمييع القضايا والفكر الإسلامي حتى يكون ظلاً مشوهاً للفكر الغربي أنه عنصر جذبٍ لهم .

وبعد.

هل ما زلنا نصدق أكذوبة حقوق الإنسان!

* باحث وأكاديمي

==============

أيصبح العدو اللدود صديقاً حميماً!

اشتق لفظ التطبيع (Normalizaion) (من الكلمة الإنكليزية) (Normal) بمعنى العادي أو المعتاد أو المتعارف عليه ، وفي مختار الصحاح (الطبع هو السجية جبل عليها الإنسان)، وفي المعجم الوسيط (تطبع بكذا أي تخلّق به ، وطبّعه على كذا أي عوّده إياه) ، ولا توجد مادة تطبيع في المعاجم العربية لأنها محدثة ، فالمعنى الحالي مأخوذ من ترجمة هذه الكلمة عن لفظة إنكليزية تم تداولها أخيراً خاصةً بعد اتفاقيات كامب ديفيد، لكن يمكن تصور المعنى من كلمة التطبيع من حيث المبدأ أنه (هو العودة بالأشياء إلى سابق عهدها وطبيعتها).

حقيقة التطبيع مع اليهود : " أنه يشمل (كل اتفاق رسمي أو غير رسمي أو تبادل تجاري أو ثقافي أو تعاون اقتصادي مع إسرائيليين رسميين أو غير رسميين) ويهدف إلى (إعادة صياغة العقل والوعي العربي والإسلامي بحيث يتم تجريده من عقيدته وتاريخه ومحو ذاكرته خاصة فيما يتعلق باليهود، وإعادة صياغتها بشكل يقبل ويرضى بما يفرضه اليهود) ومآله: الاستسلام غير المشروط للأمر الواقع والاعتراف بالكيان الصهيوني الغاصب للأرض كدولة ذات شرعية، وتحويل علاقات الصراع بينها وبين البلدان العربية والإسلامية إلى علاقات طبيعية وتحويل آليات الصراع إلى آليات تطبيع " (ورقة لحسين عبيدات ألقيت في المؤتمر العام العاشر للصحفيين العرب عام 2004 م) .

وبذلك يتضح أن المقصود بالتطبيع هو سلام دائم وليس عبارة عن هدنة مؤقتة ومسالمة يركن إليها المسلمون لضعفهم في زمن معين – كما يعتقد بعض من يقولون بجواز التطبيع – باعتبار أنه صُلحٌ أو سِلمٌ جنح له العدو، ولا يخفى أن هناك فرقاً شاسعاً بين اتفاقيات التطبيع وبين أحكام الهدنة والصلح التي ذكرها العلماء، وأهون ما يمكن أن يقال عن هذه الاتفاقيات أنها صلح دائم مع عدو محتل لأرض المسلمين غاصب لمقدساتهم وهذا محرم باتفاق المسلمين ، وقد قال جمع من علماء المسلمين أن الصلح الدائم مع اليهود لا يجوز شرعاً لما فيه من إقرار الغاصب على الاستمرار في غصبه والاعتراف بحقية يده على ما أغتصبه وتمكين المعتدي من البقاء على عدوانه ، وقد أكدت الفتوى الصادرة من رابطة علماء فلسطين عدم جواز التطبيع مع

دولـة الاحـتلال الصـهيوني، موضـحة أنـه 'إذا اسـتوطن أحـد مـن الأعـداء أرض المسلمين، فلا يجوز أن يقره على هذا الاستيطان أحد من المسلمين، وأن التطبيع بمثابة إقرار من المسلم المطبع لعدوان العدو واحتلالـه،وجاء فـي فتوى الرابطـة أن 'الواجب الديني علـى كل مسلم نصرة إخوانـه ومعاونتهم علـى إخراج الأعداء من أرضهم، وعدم التطبيع مع الأعداء أبداً؛ لأن التطبيع مع الغاصب خذلان لأصحاب الحقوق وضرر بالغ بهم، فأين التعاون بين المسلمين على الأعداء إذا طبع المسلم مع عدو أخيه ومغتصب أرضه وقاتل بنيه' (موقع حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين على شبكة الإنترنت).

وأخطر ما في التطبيع الذي يراد إقراره هو أنه في حقيقته صورة من صور الولاء ، الذي يمكن أن ينتهي إلى التولي ، والولاء والتولي لا يجوز إلا للمسلم، قال الله تعالى .: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ)) (لممتحنة:1).

ولعلنا نتأمل أقوال بعض زعماء الصهاينة ونظرتهم إلى العلاقة التي يرغبون بإقامتها مع المسلمين ، " يقول اليهودي هركابي (الأب الروحي لرابين) : لابد من إدماج العرب في المشروع الصهيوني وتوظيفهم لخدمته، وهذا ممكن من خلال التعامل السياسي (وليس العسكري) مع العرب، لأنهم قوم لا يتحلون بالمثابرة والصبر والدأب وسرعان ما يدب فيهم الملل والضجر والاختلاف ، ويسلمون أمورهم حتى لأعدائهم في سبيل الغلبة في معاركهم وخلافاتهم الداخلية كتاب (لا للتطبيع د. عبدالله النفيسي)، ويقول شيمون بيريز : إن البقاء مستحيل لدينين لن يلتقيا ولن يتصالحا، وأنه لا يمكن أن يتحقق السلام في المنطقة ما دام الإسلام شاهراً سيفه ولن نطمئن على مستقبلنا حتى يغمد الإسلام سيفه إلى الأبد ، وفي مؤتمر التسامح الذي عقد قبل عدة سنوات في المغرب العربي قال ديفيد ليفي وزير خارجية العدو حينها(إنه من أجل أن يقوم التسامح بيننا وبين العرب والمسلمين ، فلا بد من استئصال جذور الإرهاب , وإن من جذور الإرهاب سورة البقرة من القران) .

ثانياً :إستراتيجية اليهود وخططهم في التطبيع

هناك بعض المعالم التي تبين سياسة الكيان الصهيوني للوصول إلى رحلة التطبيع -:

1- القضم ثم الهضم هي إستراتيجية الكيان الصهيوني ، ففي السنين الماضية احتلت أجزاء من بلاد المسلمين فتحتاج إلى وقت لهضمها وخلال هذا الوقت يتم الاستعداد لجولة أخرى يتم فيها التهام جزء آخر من بلاد الإسلام .

2- أصبح من المعتاد أن تبدأ الاتصالات سرية أولا بين المندوبين والوسطاء ، ثم تنتقل إلى المسئولين فالزعماء للترتيب لإعلان بداية المفاوضات العلنية للتضليل ، وهي قد انتهت سراً قبل الإعلان ، وما جرى قبل زيارة السادات لفلسطين من اتصالات سرية بدأت في 1977/9م ، وما كشفه موشي ديان في كتابه " أيبقى السيف الحكم " ، وكشفته العديد من الكتب والمذكرات لزعماء يهود ومنها كتاب (تواطؤ عبر الأردن : ليوسي ميلمان ودان رفيف) من حقائق كثيرة لهو دليل واضح على ذلك .

3- تكوين رابطة الشرق أوسطية التي تربط بين دول المنطقة أجمع باسم الشرق الأوسط وتنبذ الانتماء للإسلام أو العروبة وهذا مشروع اليهودي (شيمون بيريز) الذي طرحه في كتابه " الشرق الأوسط الجديد " عام 1993 م ، ثم طور خطابه في عام 1995 م فذكر بأن الشرق الأوسط بحاجة إلى تبني مواقف ليندمج مع العالم الجديد ، ونصح العرب بتطبيق سياسة اقتصاد السوق علماً بأن الكيان الصهيوني يقيد سياسة السوق ، ومن المعلوم أن اقتصاد السوق الذي ينادي به بيريز هو الطريق اليسير لسيطرة الكيان الصهيوني والصهيونية العالمية ورؤوس الأموال الأمريكية على الاقتصاديات العربية ، ثم اسُتنسخ هذا الطرح مع بعض الإضافات والتعديلات في المشروع الأمريكي المسمى (الشرق الأوسط الكبير) الذي من أبرز عناصره :

- إقامة أمن إقليمي جديد بدلا من الأمن القومي العربي ويتضمن ذلك إقامة مناورات مشتركة عربية - غربية - إسرائيلية لضمان تطبيع العلاقات وكسر التعبئة النفسية وإضعاف روح الاستعداد المعنوي للمواجهة.

- طبيعة هذا المشروع سياسية في الأصل لكنه يعرض بقالب اقتصادي حيث يوصف بأنه مشروع اقتصادي أو كما يجري اختزاله أحياناً بـ " سوق شرق أوسطية.
4- التطبيع وسيلة فاعلة لليهود تهيىء لهم الفرصة لدعم المنافقين والمفسدين لأداء دورهم داخل مجتمعاتهم بشكل يدفع كثيراً من المسلمين إلى الهزيمة النفسية والشعور باليأس من الإصلاح .
5- من أبرز أهداف اليهود سعيهم إلى عزل الدول العربية بعضها عن بعض وخاصة في المفاوضات ليحققوا أطماعهم الخاصة ، فيخسر العرب الكثير من قوتهم بسبب فرقتهم وتفرقهم .
6- أن تصبح جامعات اليهود ومراكز أبحاثهم ودراساتهم مرجعية علمية للمنطقة بأسرها، بحيث تؤسّس للمشروع الصهيوني، الموجّه لتدمير الثقافة والهويّة الحضارية الإسلامية للمنطقة العربية بأكملها، وإحداث التفكيك والفوضى في داخل كل بلد عربي.
ثالثاً: مراحل التطبيع
المرحلة الأولى: قبل عام 1967 م (اللقاءات السرية) :
كانت بدايات مراحل التطبيع الأولى تتمثل في قدر من التواصل السياسي الذي يتحرك عبر الاتصالات السرية بين بعض الدول العربية والكيان الصهيوني ، كالاتصالات التي كانت قائمة بين المغرب والكيان الصهيوني وبينه والأردن ، وبعضها قبل حرب 1967م ، وما كشفه كتاب (تواطؤ عبر الأردن) ، يكفي في بيان المقصود حيث فيه توثيق للعلاقات السرية التي كانت قائمة بين الكيان الصهيوني والأردن ومن ذلك التوقيع على مسودة اتفاق في عام 1950 م تضمن : عدم الاعتداء بين الجانبين لمدة خمس سنوات وتشكيل لجان مشتركة بهدف التوصل إلى تسوية شاملة بين الطرفين ، وقد برز هذا اللون من التطبيع منذ الاحتلال العسكري الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة في يونيو 1967م، وذلك إثر توافق النظام العربي الرسمي بعد اعتراف مصر، ومن ثم سوريا بالقرار الدولي رقم 242 المتضمن أن الكيان الصهيوني قد وجد ليبقى، وأنه ما من سبيل إلى إزالته، لكن هذا التوجّه بدا أكثر وضوحاً بعد عام 1974م عندما انضمت منظمة التحرير الفلسطينية

إلى السرب العربي، واعترفت بالقرار المذكور ولم يكن خافياً بالطبع ذلك الترابط بين اعتراف المنظمة بالقرار الدولي وبين الاعتراف بها ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني في مؤتمر الرباط عام 1974م، بل بدأت مشاريع اتصالات سرية مع الكيان الصهيوني من خلال ما عُرف بالاتصالات مع التقدميين الإسرائيليين، أو اليسار الإسرائيلي ، وكان من أبرزها اللقاءات المتتابعة للملك حسين مع اليهود في عامي 75 – 1976م حيث بلغت ستة لقاءات ، وذلك لشعور الملك بخسارته لجزء مما كان يملكه بعد الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ولخوفه من اتفاق وشيك بين مصر و الكيان الصهيوني .

المرحلة الثانية : مرحلة توقيع معاهدة كامب ديفيد وتداعياتها عام1979م (كسر الحاجز النفسي):

زار فيها السادات فلسطين المحتلة عام 1977م ، والتقى بقادة اليهود فيها وألقى خطاباً في الكنيست الإسرائيلي ، ثم ما لبثت المفاوضات أن تسارعت حتى تمخضت عن توقيع معاهدة كامب ديفيد برعاية أمريكية وذلك عام 1979م ، وتم عزل مصر عن بقية الدول العربية بهذه المعاهدة المنفردة ، وسيأتي مزيد من التفاصيل عن هذه المرحلة لاحقاً .

المرحلة الثالثة: مرحلة أوسلو عام1993م...(الهرولة السريعة) :

جاءت مرحلة مدريد بعد حرب الخليج الثانية ثم أوسلو لتطلق حصان التطبيع العربي الإسرائيلي من عقاله خاصة مع الطرف المباشر وهم الفلسطينيون؛ فما هي سوى عشرة شهور، وتحديداً في شهر يوليو 1994م، حتى وقع الأردن اتفاقية (وادي عربة), وما أن حدث ذلك حتى انطلق مسلسل سريع من الهرولة العربية صوب تل أبيب؛ من موريتانيا إلى المغرب صاحب العلاقات التاريخية مع تل أبيب، إلى تونس وبقية الدول العربية .

المرحلة الرابعة: مرحلة ما بعد مؤتمر الإسكندرية عام 1995م (التهدئة التكتيكية) :

أدركت الدول العربية المحورية، وعلى رأسها السعودية , ومصر، وسوريا أن موجة الهرولة العربية صوب تل أبيب تؤذن بإنجاح مشروع (شيمون بيريز) الشرق أوسطي

القائم على فكرة التمدد السياسي والاقتصادي الإسرائيلي في المنطقة من خلال السوق الشرق أوسطية بلا ثمن, وأن إسرائيل تتجاهل النوايا العربية في التطبيع بالحد الأدنى من الحقوق ، وفي هذه الأجواء جاء مؤتمر القمة الذي عقد في الإسكندرية مطلع عام 1995م لتهدئة الهرولة تجاه الكيان الصهيوني ، وبدأت موجة من الضغوط التكتيكية على الدول العربية المطبعة والمتجهة للتطبيع كي تهدئ جماح التطبيع، وهو ما استجابت إليه معظم الدول في واقع الحال؛ إذ بقيت العلاقات الدبلوماسية في حدها الأدنى غالب الأحيان ، غير أن الأهم من ذلك كله هو ما يتعلق بسير المفاوضات؛ فقد كانت استراتيجية الدول الثلاث تقول: إن مسيرة التطبيع يجب أن تتزامن مع سير المفاوضات؛ إذ من دون الوصول إلى تسوية حقيقية لا يمكن الحديث عن تطبيع مع الكيان الصهيوني ، وقد جاءت مسيرة المفاوضات الأولية من خلال جملة الاتفاقات التي تلت (أوسلو) لتؤكد أن نوايا الكيان الصهيوني بالتسوية بعيدة جداً، وهو ما تأكد بعد ذلك في قمة كامب ديفيد صيف عام 2000م، وهي القمة التي أكدت صعوبة التسوية مع مطالب إسرائيلية لا يقبل بها أحد في الساحة الفلسطينية والعربية.

المرحلة الخامسة: مرحلة تصاعد انتفاضة الأقصى واشتداد المقاومة المسلحة(تكافؤ القوى):

جاءت انتفاضة الأقصى بعد ثلاثة شهور من القمة كامب ديفيد ثم تصاعدت واستمرت وفي أجوائها تصاعدت المقاومة المسلحة لتحصر في زمن قياسي جهود التطبيع التي بذلت طوال سبع أو تسع سنوات في أضيق نطاق ، وبدأت مرحلة جديدة في الخطاب الرسمي العربي حيال الكيان الصهيوني تقوم على هذه الرؤية للتطبيع، حتى أن الدولتين المرتبطتين باتفاقيات سلام مع الكيان الصهيوني ولهما علاقات دبلوماسية معها وهما مصر والأردن قد اضطرتا إلى سحب سفيريهما من تل أبيب تحت وطأة الضغوط الشعبية والرسمية والتكتيك السياسي.

المرحلة السادسة: مرحلة ما بعد قتل عرفات واحتلال أمريكا للعراق (الهرولة الجماعية) :

يمكن التأريخ لهذه المرحلة بمقتل الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات نهاية عام 2004م، وموافقة حركة فتح على تعيين (محمود عباس) خلفاً له، و هو المعروف بمناهضته لبرنامج المقاومة الذي تبنته حركة حماس والجهاد وفصائل فلسطينية أخرى ، أو يمكن التأريخ لها باحتلال العراق، على اعتبار أن ذلك الحدث هو الذي مهّد لمرحلة الرعب بالنسبة للنظام العربي الرسمي الذي شكّل وقوفه خلف (محمود عباس) سبباً أساسياً في إنهاء مرحلة انتفاضة الأقصى، وإعلان التعامل مع التسوية بلغة جماعية جديدة، على رغم عدم توفر أي أفق حقيقي لها في المنطقة بوجود شارون والمحافظين الجدد على رأس السلطة في الكيان الصهيوني والولايات المتحدة ، وفي هذه الأجواء جاءت المبادرة العربية للتطبيع الجماعي .

رابعاً :نماذج من بنود اتفاقيات التطبيع السابقة بين العرب والكيان الصهيوني :

أ- كامب ديفيد الأولى (التطبيع بين مصر و الكيان الصهيوني 1979م)

" نصّت المادة الثالثة من اتفاقيات كامب ديفيد تحت عنوان العلاقات الثقافية على ما يلي:

1- يتفق الطرفان على إقامة علاقات دبلوماسية وتبادل السفراء عقب الانسحاب المرحلي .

2- يتّفق الطرفان على أنّ التبادل الثقافي في كافّة الميادين أمر مرغوب فيه، وعلى أن يدخلا في مفاوضات في أقرب وقت ممكن، وفي موعد لا يتجاوز ستّة أشهر بعد الانسحاب المرحلي، بغية عقد اتفاق ثقافي.

3- كما نصّت المادة الخامسة الفقرة الثانية على تعاون الطرفين على إنماء السلام والاستقرار والتنمية في المنطقة ويوافق كل منهما على النظر في المقترحات التي قد يرى الطرف الآخر التقدم بها تحقيقا لهذا الغرض. (من كتاب مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية).

ومع ذلك كله فإنه أثناء زيارة (بيغن) - رئيس وزراء الكيان الصهيوني الهالك - لمصر في 25/8/ 1981م ، أعرب عن استيائه البالغ من استمرار الطلبة في مصر بدراسة كتب التاريخ التي تتحدث عن "اغتصاب إسرائيل لفلسطين" وكتب التربية الإسلامية التي تحتوي على آيات من القرآن الكريم تندّد باليهود وتلعنهم ولعله يقصد

مثل قوله تعالى : ((لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ)) (سورة المائدة: 82)، وقد أشارت الصحف إلى أنّ السادات استجاب على الفور لطلب "صديقه بيغن"، فأصدر أوامره للمختصين في وزارة التربية بإعادة النظر في المناهج الدراسية بما يتلاءم مع طلبات بيغن .

ب- وادي عربة (التطبيع بين الأردن و الكيان الصهيوني 1994 م)

لا يخفى إهتمام اليهود بالجانب الثقافي لما له من أثر كبير في مسيرة التطبيع، فهم في معاهدة كامب ديفيد قد طالبوا بأمور عديدة ، ثم تطورت مطالباتهم في اتفاقية (وادي عربة) على النحو التالي :

- «انطلاقاً من رغبة الطرفين في إزالة كافة حالات التمييز التي تراكمت عبر فترات الصراع؛ فإنهما يعترفان بضرورة التبادل الثقافي والعلمي في كافة الحقول، ويتفقان على إقامة علاقات ثقافية طبيعية بينهما».

- وجاء في المادة الحادية عشرة: «يسعى الطرفان إلى تعزيز التفاهم المتبادل فيما بينهما والتسامح القائم على ما لديهما من القيم «التاريخية» المشتركة، وبموجب ذلك فإنهما يتعهدان بما يلي:

أ - الامتناع عن القيام ببث الدعايات المعادية القائمة على التعصب والتمييز، واتخاذ كافة الإجراءات القانونية والإدارية الممكنة التي من شأنها منع انتشار مثل هذه الدعايات؛ وذلك من قِبَل أي تنظيم أو فرد موجود في المناطق التابعة لأي منهما.

ب - القيام بأسرع وقت ممكن بإلغاء كافة ما من شأنه الإشارة إلى الجوانب المعادية، وتلك التي تعكس التعصب والتمييز، والعبارات العدائية في نصوص «التشريعات» الخاصة بكل منهما.

خامساً: من وسائل التطبيع

من أخطر وسائل التطبيع ، التطبيع الثقافي ومن أهم ما يرتكز عليه:-

1- الاهتمام بعينة من الكتاب والصحفيين والأكاديميين، وفتح المنابر لهم، وتوفير فرص تدفعهم إلى مناصب سياسية واجتماعية متقدمة حتى وإن كانت مؤهلاتهم

الحقيقية متواضعة وضعيفة، أو من خلال جمعيات أهلية عربية تدعم مشروع التسوية، وتدفع باتجاه التطبيع كجمعية بذور السلام غير الحكومية التي تأسست عام 1993م ، إثر اتفاق أوسلو بين الفلسطينيين والكيان الصهيوني .

2- إيجاد أنصار للتطبيع مع دعمهم وإبرازهم من خلال المنظمات الممولة أمريكياً وأوروبياً تحت لافتات متعددة ومتنوعة مثل منظمات الدفاع عن حقوق المرأة ومنظمات الدفاع عن حقوق الانسان داخل المجتمع العربي ليقوموا بالأدوار التالية:

* الطعن في الإسلام وإدعاء عدم صلاحية الشريعة للتطبيق ، وضرورة علمنة المجتمعات العربية والإسلامية وتبديل أحكام الشريعة ومحاصرة دعاة الإسلام واتهامهم بالتطرف والإرهاب والظلامية ...الخ .

* القول إن النص القرآني يجوز التعامل معه كنص تاريخي أو الهجوم على كل تفسير صحيح للإسلام وبشكل خاص الآيات القرآنية التي تتعلق بالجهاد أو بالمواريث أو غيرها.

* الدعوة إلى كل ما يثير الاضطراب داخل المجتمعات الإسلامية والعربية بإثارة المسائل العرقية والطائفية والأقليات ، وإبراز الحضارات السابقة للإسلام كالفرعونية والفينيقية ونحو ذلك.

3- الترويج لما يسمى بثقافة السلام ، الذي وجد طريقه إلى العديد من الكتابات والأفكار التي طرحت في العديد من المؤتمرات والملتقيات الدولية والعربية العامة، وكذلك الندوات والحوارات عبر القنوات الفضائية ، والتي تدعو إلى نسيان التاريخ – تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي – وإلغاء ذاكرة الأمة .

4- التهوين من فتاوى العلماء حتى علماء المؤسسات الرسمية خاصة السنية، للتقليل من أهمية المرجعية العلمية في معظم البلاد العربية والإسلامية ، فترى اليوم كثيراً من الدول العربية والإسلامية ، تفتقد المرجعية العلمية ، بينما تنمى المرجعية العلمية المتميعة والمبتدعة .

5- ممارسة ضغوط على الدول التي لا تتجاوب مع التطبيع بالسرعة المطلوبة فقد حث أعضاء الكونغرس الأمريكي إدارة الرئيس جورج بوش على رفض التوقيع على اتفاق يسمح للسعودية بالانضمام إلى منظمة التجارة العالمية حتى تنسحب من

المقاطعة العربية لإسرائيل وأكدوا أنه يتعين على الولايات المتحدة الإصرار على تحقيق تقدم في أربعة ميادين رئيسة قبل تقديم مساعدتها للرياض للانضمام إلى منظمة التجارة العالمية ، ووضعوا على رأس هذه الميادين إنهاء المقاطعة السعودية للكيان الصهيوني.

6 – تشويه صورة الجهاد والمجاهدين المقاومين للاحتلال في نفوس الشعوب المسلمة والسعي لإيقاف الدعم عنهم ونبزهم بالارهاب.

7 – استخدام طوائف من عرب أراضي ثمانية وأربعين الذين هم داخل الخط الأخضر للترويج للتطبيع كما هي خطة (عزمي بشارة) التي عرضها على الكنيست الإسرائيلي والتي قدمها كمشروع لدولة المواطنين والتي يدعو فيها إلى المساواة بين الفلسطينيين والصهاينة وهو لا يعني سوى إضفاء شرعية نهائية على اغتصاب فلسطين بشرط الاعتراف بحقوق الفلسطيني في المواطنة.

فالمقصود من كل هذه الوسائل إيجاد تيار عريض يقوم أفراده بدور الطابور الخامس القابع خلف خطوط الدفاع في الأمة ، حيث أنهم يضربون في صميم عقيدة الأمة وملامح هويتها على جميع الصعد ، لجعل الإنسان العربي المسلم مجرد إنسان بلا هوية ، يسهل تشكيل عقله على هوى المحتل ، وقد كان تمويل أمثال هؤلاء يجري في مصر وفق أنماط من الرسمية أو وفق حالات مقننة ، حيث كانت الأموال تصل إليهم عبر وزارة الشئون الاجتماعية وخصماً من المعونة الأمريكية المقدمة للحكومة المصرية ، إلى أن تطور الأمر بعد احتلال العراق وأخذ مدى أبعد حيث أصبحت السفارة الأمريكية في القاهرة هي التي تتولى مباشرة عملية تسليم الأموال في الاحتفالات التي تدعى إليها مختلف أجهزة الإعلام ، ليجري توزيع ما يزيد على 40 مليون دولار سنوياً .

سادساً : من فعاليات التطبيع

ضمن إطار العمل المستمر لدعاة التطبيع من الصهاينة والأمريكيين والعرب من أجل استحداث مؤسّسات وهيئات وجماعات وملتقيات تصب في المشروع التطبيعي ، تكوّنت "مؤسّسة المبادرة من أجل السلام والتعاون في الشرق الأوسط" في سبتمبر 1991م، وهي تضمّ نخبة من الشخصيات الأمريكية و الصهيونية والعربية, ويترأسها

"جون ماركس" بصفته من الخبراء الأمريكيّن في شؤون المنطقة على مدى العقود الأربعة الماضية, ويعمل في إطار مؤسّسة المبادرة" خمسة وعشرون شخصاً من الأمريكيين والعرب والإسرائيليين، وتعدّ أحد المطابخ الرئيسة في طرح الأفكار والتصوّرات الممّهدة لتأسيس "نظام الشرق أوسطي" على أنقاض النظام العربي، يقوم اليهود فيها بدور القيادة وتتمحور حول مصالحهم وإستراتيجيتهم شبكة التفاعلات الإقليمية الجديدة وقد برزت أخبار هذه "المؤسّسة" إثر خلوتهم السرّية السادسة التي عقدت في مراكش بالمغرب (في الفترة من 18-22 مارس 1994م)، حيث اعترف المجتمعون أن هدف اجتماعاتهم هو إعداد الجماهير العربية لقبول "السلام" بشروطه الحالية أي فرض هذا "السلام" طوعاً بإرادتها، أو رغماً عنها عن طريق تزييف وعي الناس وإرادتهم المقاومة للعدوان والاستيطان والعنصرية الصهيونية، ولتحقيق برنامجها، قررت المجموعة القيام بإجراءات وتحركات واسعة، تتمثّل خطوطُها العامة بما يلي:

- ينبغي إحداث تحولات في التوجهات والإدراك في الشرق الأوسط إذا أريد للمنطقة الانتقال من ثقافة المواجهة والحرب إلى ثقافة السلام.

- يمكن للإعلام أن يلعب دوراً أساسياً في بناء السلام لتجاوز القيود الحكومية والثقافية السائدة، التي تضع عقبات مانعة أمام تقدم السلام.

ثم عُقدت في سبتمبر من عام 1994 م ، "خلوة أنقرة" التي أشرفت عليها ونظمت أعمالها وأسماء المدعوّين إليها وموّلتها المؤسّسة الأمريكية الصهيونية المعروفة بـ "مشروع البحث عن أرضية مشتركة" وقد استمرت أعمالها لثلاثة أيام تحت شعار "نحو ثقافة سلام بالشرق الأوسط"، وقد بدأت بتنفيذ برنامج العمل المستقبلي، الذي كانت أقرته في الاجتماع السادس بمراكش (مارس 1994م)، مجموعة العمل الأساسية في إطار "المبادرة" من أجل السلام والتعاون في الشرق الأوسط، وقد ساهم بدور واضح في "خلوة أنقرة" ، "مركز تاتي ستينمتيز الإسرائيلي لأبحاث السلام" في تل أبيب، الذي يترأسه "شمعون شامير" (الذي كان مديراً للمركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة)، ومؤسّسة "وقف الأمل" التركيّة بأنقرة وجمعية إعلام العالم بباريس، إضافة إلى تسعة صحفيين عرب .

وقد أجمع المشاركون على ضرورة اتخاذ الخطوات التالية:

- ينبغي على صحف المنطقة نشر مقالات وزوايا دائمة من دول أخرى، وقد قبل أكثر من صحفي عربي دعوة المساهمة في كتابة مقالات في الصحف (الإسرائيلية).

- أن يتم ترجمة وتوزيع المقالات الرئيسة التي تصدر في الصحف (الإسرائيلية)، التي لا يسمح بدخولها إلى الدول العربية من قبل المشاركين، كما يتم ترجمة وتوزيع المقالات الرئيسة، التي تصدر في الصحف الأخرى التي لا تتوافر (للإسرائيليين)، والهدف من ذلك هو رفع مستوى العلاقات وتقويتها بين الصحفيين العرب و(الإسرائيليين).

- ينبغي على الصحفيين المشاركين من دول مختلفة أن يكتبوا مقالات مشتركة، وهذا من شأنه أن يجعلهم يتبنّوا ذات الأفكار والمفاهيم، وقد وافقت (ر.د) مراسلة صحيفة "الحياة" مشاركة صحفي (إسرائيلي) في كتابة مقالات مشتركة.

- أعلن المشاركون عن تشكيل شبكة مهنية لصحافة الشرق الأوسط، ودعوا إلى ضرورة توسيعها والنشر عنها، لضمّ أكبر عدد ممكن من الصحفيين العرب و(الإسرائيليين) وغيرهم إليها، وتقديم إرشادات حول أية مقالات يريدون كتابتها.

من آثار التطبيع :-

أولاً: فلسطين

1 - الجانب السياسي :

من أبرز المبادئ اليهودية في إدارة الصراع مع الفلسطينيين العمل على عدم تمكينهم من إقامة دولة فلسطينية مستقلة ، لأن إقامتها يعني وجود منافس حول الشرعية المرتبطة بالأرض التي يعيش عليها اليهود ، وأخطر من ذلك سياسة استيعاب الشعب الفلسطيني عن طريق :

- استيعاب الفرد معنوياً وحضارياً سواء بإيجاد الاحترام والانتماء العربي أو بإيجاد الإعجاب بالحضارة اليهودية .

- تشجيع زواج العربي باليهودية وخاصة الشرقية مع مخالفة ذلك لمبادئ النقاء اليهودي ولكن ذلك قد يؤدي في الأمد البعيد إلى إضعاف العنصر الفلسطيني .

– الاستئصال العضوي وله وسائل متعددة كالقتل أو الطرد أو التشجيع على الهجرة الدائمة .

وإذا نظرنا إلى فصائل المقاومة الفلسطينية ، فإنها تجد نفسها في مأزق، كلما وجدت الدول العربية تهرول باتجاه الكيان الصهيوني غير عابئة بما تجره هذه الهرولة من تنسيق أمني عالٍ مع الكيان الصهيوني في المجال الأمني والإستخباراتي خصوصاً ، مما يضرها وهذا بدوره يقطع كثيراً من طرق الإمداد للمقاومة الفلسطينية، سواء العسكرية أو التموينية، كما تقلل مساحة الوجود للفصائل الفلسطينية على التراب العربي، ومن ثم يقطع سبيل التواصل بين الخارج والداخل لهذه الفصائل 2 – الجانب الاجتماعي :–

سعى اليهود للتقليل من تكاثر المسلمين في فلسطين (عام 1948م) خاصة وبقية الأراضي المحتلة بوسائل متعددة كنشر الأمراض الجنسية وترويج مواد استهلاكية وأدوية تؤدي إلى العقم ، وقد صرح وزير الصحة الفلسطيني السابق عبد العزيز شاهين عن اكتشاف ما يقارب العشرين طناً من علكة لبان تسبب العقم كانت توزع داخل فلسطين المحتلة .

3 – الجانب الاقتصادي :

منذ العام 1967م بدأ اليهود باستخدام العملة اليهودية في المناطق المحتلة وتحويل أفرع البنوك العربية إلى بنوك يهودية وفتح باب التبادل التجاري بين المناطق المحتلة و الكيان الصهيوني وتشجيع زراعة المحاصيل الزراعية التي يحتاجها الكيان الصهيوني للاستهلاك المحلي أو قيامه بتصديرها إلى أوربا وتنشيط إدماج العمالة العربية في قوة العمل اليهودية لتوثيق الامتزاج الاقتصادي ولكن بشروط قاسية حيث يعمل العربي ساعات أكثر من اليهودي ويأخذ أجراً يماثل نصف أجر العامل اليهودي الذي يؤدي العمل نفسه ، إضافة إلى تعرض بعض العمال العرب إلى اعتداءات عنصرية من رجال الشرطة أو رجال سلاح الحدود اليهود بل وحتى من العمال اليهود ،ومع استمرار مسلسل الحصار والاجتياح اليهودي للمدن الفلسطينية تزايد عدد الأسر الفقيرة إما بسبب مقتل عائلها أو اعتقاله ، وكان من نتيجة ذلك سيطرة اقتصادية يهودية شبه كاملة على الضفة وقطاع غزة ، بلغ فيه حجم التعامل

الاقتصادي مع اليهود 83% وحقق اليهود من ورائها سوقاً يفوق حجم سوقه مع مجموع الدول الأفريقية ، وبعد بدء مسلسل المفاوضات بين السلطة والكيان الصهيوني ظهر منذ البداية الاهتمام الأميركي . الصهيوني بالمضمون الاقتصادي للعملية السلمية، حيث تم التركيز بشكل خاص على ضرورة البدء بإقامة تكتل اقتصادي يدمج اقتصاد الكيان الصهيوني واقتصاد الأردن والاقتصاد الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة، ولقد بادرت مدرسة جون كيندي في جامعة هارفارد إلى دعوة اقتصاديين أكاديميين من فلسطين والأردن والكيان الصهيوني ليعملوا تحت أشراف اقتصاديين أميركيين على تحديد مستقبل التعاون الاقتصادي بين بلدانهم وعقد ذلك المؤتمر قبل توقيع اتفاق أوسلو، وتم بعد ذلك اعتماد الكثير من توصياته في الاتفاقية الاقتصادية بين الكيان الصهيوني ومنظمة التحرير التي وقعت في باريس العام 1994 م .

وقد كان الفلسطينيون قد وعدوا عند توقيع اتفاقية أوسلو بتحسن الأوضاع الاقتصادية والمعيشية ولكن الواقع الحالي يشهد بما يعانيه ساكني مسرى الأنبياء من فقر وحاجة لا يعلمها إلا اللطيف الخبير .

ثانياً : مصر

1 – الجانب السياسي :

تم عزل مصر عن محيطها العربي فلم يكن لها دور في أحداث عظام وقعت بعد توقيعها لاتفاقية (كامب ديفيد) كتدمير المفاعل النووي العراقي وقمع اليهود للمقاومة الفلسطينية واللبنانية بشراسة ودعمهم لإثيوبيا ولحركة التمرد في جنوب السودان وغيرها من الأحداث ، أما على الصعيد الداخلي فقد كشفت المخابرات المصرية عدداً من شبكات التجسّس (الإسرائيلية)، أغلبها على صلة مباشرة بسفارة "إسرائيل" منها –على سبيل المثال– الشبكة التي كانت برئاسة المستشار العسكري (الإسرائيلي) بالسفارة، والتي كشفت في أوائل أغسطس 1985م ، وكانت تضم عدداً من أعضاء البعثة الدبلوماسية (الإسرائيلية)، وبعض الباحثين "بالمركز الأكاديمي الإسرائيلي"، وأمريكيين يعملان بهيئة المعونة الأمريكية، وسويدياً يعمل وسيطاً في صفقات الأسلحة، وثلاثة مصريين، وكانت هذه الشبكة تستخدم محطة لاسلكية

متطورة داخل سفارة العدو، لتبليغ رسالة يومية عن أحوال مصر، بينما يتم نقل التقارير والأفلام والصور والخرائط إلى (إسرائيل) عبر الحقيبة الدبلوماسية، وكذلك قام ضباط "الموساد" بالسفارة (الإسرائيلية) بالقاهرة، بتجنيد عدد من الطلاب عن طريق بعض أقاربهم العاملين بالسفارة، وتشجيعهم على السفر إلى (إسرائيل) ، حصل مقابلها أقاربهم على مكافآت مجزية نظير تجنيدهم!!.

وهناك قضية (الإسرائيليين) الأربعة الذين كانوا يحملون جوازات سفر إنجليزية مزوّرة، وتم ضبطهم عند خروجهم من إحدى نقاط المراقبة الخاصة بقوة حفظ السلام في جنوب سيناء، وبحوزتهم حقيبة تضم 7 وثائق شفرية و19 شريطاً ميكرو فيلماً للمنشآت المصرية في سيناء ونُظم تسليحها.(المركز الفلسطيني للإعلام على شبكة الانترنت يوم 30 مايو 2005م) .

2 –الجانب الثقافي

نشر المركز الفلسطيني للإعلام على شبكة الانترنت يوم 30 مايو 2005م ، بحثاً بعنوان مراكز الأبحاث والمؤسسات العاملة في خدمة التطبيع والإستراتيجية الصهيونية ، وهذه مقاطع من البحث :–

]ضمن الإطار التطبيعي أقيمت في مصر ستّ وثلاثون مؤسّسة علمية أمريكية، وثقافية "إسرائيلية"، مثّلت وتمثّل مظلّة رسميّة لاختراق الشخصية العربية، والتجسّس على قطاعات المجتمع كافّة ، ومن ذلك –مثلاً– النشاط الذي يقوم به "مركز البحوث السياسية" في كلية الاقتصاد جامعة القاهرة، الذي يجري كثيراً من الأبحاث بتمويل من "مؤسّسة فورد"، وكذلك نشاط "مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية في الأهرام"، و"معهد التخطيط القومي" وغيرها من المؤسّسات العلمية ، وبغية اختراق العقل العربي وعناصر المجتمع العربي أُنشئ في مصر عام 1982 م "المركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة"، الذي لعب ويلعب دوراً خطيراً في مجال التمهيد للتطبيع، ونظراً لكونه الأخطر في ميدان إستراتيجية العدو على الأصعدة الأمنية والثقافية والعلمية، فقد توالى على إدارته عدد من أبرز المتخصصين في الدراسات الشرقية والعربية، الذين يرتبطون بعلاقات عضويّة مع أجهزة المخابرات (الإسرائيلية) ، ومع مراكز التخطيط الاستراتيجي في الكيان الصهيوني حيث ركّز المركز جهوده

خلال فترة ماضية للحصول على معلومات عن طلبة كليات العلوم والهندسة في جامعات مصر، لمعرفة آخر ما توصل إليه الطلبة النابغون من اختراعات جديدة، فاختير عشرة اختراعات وضعها "مدير المركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة" تحت المجهر، ووجّه بشأنها رسالة إلى السفير الإسرائيلي بالقاهرة كتب فيها:
بناء على تعليماتكم بإحضار ملفّات كاملة عن آخر اختراعات الشباب المصريين أرسلنا لكم عشرة ملفات عن اختراعات في مجال الزراعة وتحلية المياه والبلاستيك والكمبيوتر وإطارات العربات، ونودّ أن ننبهكم أنّ معظم هذه الاختراعات قمنا بتجربتها وفحصها جيداً، وهي تعد من أحدث ما توصل إليه العلم ، فأرسل السفير الإسرائيلي بالموافقة على شراء أربعة اختراعات وبأسرع وقت، أحدها جهاز لتحلية مياه البحر لطالب في كلية الهندسة، و الثاني جهاز لإنتاج سماد يعيد خصوبة الأرض، ويحول الأرض المالحة إلى أرض صالحة للزراعة، لطالب في كلية الزراعة ، وهو الوحيد الذي قابل السفير الإسرائيلي في اليوم التالي ليعرض اختراعه ، فعرض عليه السفر ، وتجربة الاختراع ذاته بطريقة عملية، شاملة تكاليف الإقامة ومكافأة لكل يوم يقضيه في الكيان الصهيوني ، إضافة إلى حق شراء الاختراع نفسه ومدة الإقامة ثلاث سنوات، وسافر بالفعل بعدما وضع ثمن الاختراع في البنك الأمريكي المصري .
والمؤسّسات والهيئات الأمريكية، التي تمثّل بؤراً تطبيعية في جسد المجتمع المصري لا حصر لها، وسوف نقدّم هنا أكثر هذه المؤسّسات والهيئات شهرة وأكثرها خطراً وهي:
1- الجامعة الأمريكية في القاهرة .
2- المركز الثقافي الأمريكي في مصر .
3- مؤسسة فورد : يرى باحثون منصفون أنها من أخطر مؤسسات التغريب العالمي الأمريكية ، وقد انفردت بتمويل (أبحاث ودراسات الشرق الأوسط) وعبر هذه المؤسسة تقوم (وكالة التنمية الأمريكية: (aid بتخصيص حوالي مائة مليون دولار سنوياً لمركز البحث العلمي والجامعات المصرية منذ نهاية السبعينات وحتى اليوم .

4- مؤسّسة راند الأمريكية وهي مؤسسة دراسات وأبحاث تقدم توصياتها للحكومة الأمريكية.

5- معهد ماساشوستس وفروعه في القاهرة ومعهد "ام-أي-تي" (في مبنى جامعة القاهرة).

6- الأكاديمية الدولية لبحوث السلام.

7- مشروع ترابط الجامعات المصرية الأمريكية ومقره المجلس الأعلى للجامعات في القاهرة. (تبلغ ميزانيته السنوية 27 مليون دولار تقدّمها المخابرات الأمريكية).

8- "مركز البحوث الأمريكي" بالقاهرة، ويتركّز نشاطه في مجال الدراسات الاجتماعية، إلى جانب البحوث الاقتصادية والتاريخية والأثرية.. ويحظى بعضويته الشرفية "الزمالة" عدد من الأساتذة المصريين ومزدوجي الجنسية أمريكي/ مصري، وأمريكي/إسرائيلي , كما ينشط في مجال البحوث المشتركة والمموّلة، وفيما يلي بعض عناوين البحوث والدراسات التي أجراها هذا المركز:

-بحث فاليري هوفمان: "الحياة الدينية للمرأة المسلمة في مصر المعاصرة".

-دراسة ليوناردو بايندر حول "حرية الفكر الإسلامي في مصر المعاصرة".

-دراسة آرثر كريس عن: "الجهاد الإسلامي والاتجاهات الفكرية المختلفة".

ومنذ منتصف الثمانينات كثّف "مركز البحوث الأمريكي" نشاطه في مجال التطبيع والتجسّس العلمي على المجتمع المصري وتمثّل ذلك في عشرات الأبحاث المموّلة ومنها :

دراسة عن العادات والتقاليد المتوارثة للأسرة المصرية، الموالد الشعبية المصرية، تقصي ظاهرة التطرف في الحياة المصرية الحديثة، الإسلام والثورة.. إلخ.

9- هيئة المعونة الأمريكية: استطاعت تمويل مشروع بحثي، أُنجز بالتعاون بين عدد من الجامعات الأمريكية، والجامعات المصرية، شمل أكثر من 500 دراسة بحثية برصيد 60 مليون دولار، وتناولت كل شيء في مصر من الصناعات الاستراتيجية، مثل: صناعة الحديد، والصلب، مروراً بمناهج التعليم والتربية وموقع الدين فيها، وانتهاء بسياسة مصر الخارجية تجاه (إسرائيل)، والتطبيع معها، وقد اشترك في هذا المشروع أكثر من 2007 من الباحثين المصريين، وأكثر من 500 أمريكي، وقد

كُتبت جميع هذه الدراسات باللغة الإنجليزية، وحصلت (هيئة المعونة الأمريكية) على نسخ منها، وعلى جميع المعطيات والأرقام والاستنتاجات التي توصل إليها الباحثون إلى الحدّ الذي دفع بعض الباحثين المصريين إلى القول: إن «كمية المعلومات التي حصلت عليها هذه المؤسّسات تفوق ما تعرفه القيادة السياسية، وتفوق ما يعرفه علماؤنا» [

وقد أوردت صحيفة «السياسي» القاهرية في عددها 1993/5/25م تحت عنوان بارز «اليهود والأمريكان... هل اندسوا في تطوير مناهجنا الدراسية؟» بعض المعلومات البالغة الدلالة إذ نشرت الفقرات المحذوفة من المناهج، مشيرة إلى أن «العملية التطويرية للمناهج التعليمية المصرية» قام بها 29 أستاذاً ومستشاراً أمريكياً، بينهم عدد كبير من اليهود بتمويل من المعونة الأمريكية لمصر، وبينت الصحيفة أيضا : أن وزارة التعليم المصرية ألغت كتاب «صور من تاريخ مصر الإسلامية» للصف الخامس الابتدائي، وقررت بدلاً عنه كتاب «تاريخ الفراعنة»؛ بغية غرس محبة الحضارة الفرعونية عوضاً عن الحضارة العربية الإسلامية ، كما ألغي كتاب «الدولة الإسلامية العربية وحضارتها» للصف الثاني الثانوي، وتقرر عوضاً عنه كتاب «تاريخ أوروبا في القرون الوسطى» مع تحريف كتب التاريخ العربي، وتاريخ الحضارة الإسلامية.

3 –الجانب الاجتماعي :

* ازدياد أعداد المصابين بمرض السرطان بسبب الكثير مما يتم استيراده من الكيان الصهيوني .

* انتشار المخدرات بشكل كبير بين فئات المجتمع كلها .

* السماح بدخول اليهوديات بأعداد كبيرة بزعم تنشيط السياحة فقمن بنشر الأمراض واقترنت الكثير منهن بشباب مصريين حتى بلغ عدد الزيجات أكثر من عشرين ألفا زواجاً مختلطاً.

* ظهور جماعات منحرفة من الشباب تحمل عقائد باطلة كمن يتسمون بعبدة الشيطان .

4– الجانب الاقتصادي :

يعد هذا الجانب من أبرز الجوانب التي يحرص عليها اليهود لأهميته ، وقد وقعوا مع مصر على اتفاقية الكويز :(QIZ: qualifying industrial zones) في 2004/12 م، لإقامة المناطق الصناعية (في طور التأهيل) ، وهذه الاتفاقية هي تطبيق للقسم التاسع من اتفاقية التجارة الحرة بين أمريكا والكيان الصهيوني المبرمة عام 1985 م ، وهي ليست اتفاقية مستقلة بين حكومتين من الناحية الفعلية فقد وافق الكونجرس الأمريكي على إعطاء الرئيس الأمريكي الإذن بالسماح لمصر والأردن بتصدير منتجاتهما إلى أمريكا دون دفع رسوم جمركية بشرط احتوائها على مكون إسرائيلي بنسبة 7,11 % كحد أدنى ، وهي تشمل كل الصناعات والسلع ، وقد تم في مصر استبعاد أهم المناطق الصناعية التي تنتج الملابس الجاهزة كمدينة المحلة الكبرى (قلعة النسيج في مصر) ومدينة 6 أكتوبر والتي يوجد فيها أكثر من 200 مصنع وغيرها من الأماكن فلا تشملها الاتفاقية ، ويتضح من هذا الاستبعاد مراعاة مصالح خاصة لبعض رجال الأعمال ، واتفاقية الكويز تناقض اتفاقية التجارة الدولية (الجات) والتي تؤكد على عدم وضع شروط تفصيلية لبعض الدول دون البعض الآخر ، وكذلك هي مخالفة للقانون والدستور المصري لأنها حفظت في مجلس الشعب دون عرضها للنقاش، بل لم تنشر إلى الآن ؟

ومن أبرز الآثار السلبية لهذه الاتفاقية أنها لم تحدد الحد الأقصى للمكونات الإسرائيلية الداخلة في المنتجات ، وهي ستساهم في زيادة الكساد للمصانع المصرية وستمكن اليهود من اختراق منظومة المعلومات الخاصة بالصناعة المصرية وستدخل غالب الأرباح الناتجة منها للخزينة اليهودية وستتسبب في هروب رؤوس الأموال العربية وستقضي على حلم السوق العربية المشتركة ، وكذلك فإنها ستمكن بقية الدول العربية من إظهار التطبيع بعد أن كانت تستخفي به، وما سيتبع ذلك من انسحاب الدول المنضمة إلى اتفاقية الكويز من اتفاقية المقاطعة العربية للكيان الصهيوني ، مثلما فعلت الأردن التي أعلنت انسحابها بعد التوقيع على الاتفاقية نفسها قبل مصر.

ومن أبرز المستجدات في الجانب الاقتصادي ، قيام شركة (EMG) الصهيونية – المصرية المشتركة بالتوقيع على صفقة لشراء الغاز الطبيعي مع وزير البترول

المصري (سامح فهمي) وشركتين حكوميتين تعملان في مجال الغاز في مصر حيث سيتم سنوياً شراء 7 ملايين متر مكعب من الغاز الطبيعي المصري ولمدة عشرين عاما بقيمة 5,2 مليار دولار تقريبا ثم بيعه بعد ذلك إلى شركة الكهرباء (الإسرائيلية) ، وذكرت مصادر رسمية في مجال الطاقة بالكيان الصهيوني : إن كمية الغاز المتبقية سيتم بيعها لتركيا واليونان ودول أوربية أخرى ، وقالت تلك المصادر : إن نسبة الغاز التي ستنقل لشركة الكهرباء الإسرائيلية تصل إلى1,7 مليون متر مكعب في العام الواحد وتقوم شركة(EMG) حالياً بإجراء مفاوضات مع شركات(إسرائيلية) أخرى لبيع كميات من الغاز المصري لها ، والشركة يمتلك رجل الأعمال الإسرائيلي (يوسي ميمان) نسبة 25% ويمتلك رجل الأعمال المصري (حسين سالم) نسبة 65% أما الحكومة المصرية فتمتلك 10% فقط من أسهم الشركة .

وكذلك نقل موقع (مفكرة الإسلام) على شبكة الانترنت الخبر التالي : كشف موقع صهيوني أن الرئيس المصري (حسني مبارك) أبلغ (شيمون بيريز) نائب رئيس الحكومة (الإسرائيلية) بموافقته على إقامة منطقة زراعية مشتركة على الحدود المصرية- الصهيونية وذكر موقع (القناة السابعة) العبري الإخباري أن (بيريز) أجرى اتصالاً هاتفياً برئيس مجلس مدينة (رامات هناجف) بصحراء النقب وأبلغه موافقة الرئيس مبارك على مشروع مشترك لتطوير المنطقة الحدودية بين مصر و(إسرائيل) وإقامة مشروع زراعي على مستوى عالٍ يندرج ضمن مشاريع التعاون الإقليمي المشتركة ، وقال (موشيه برائيل) مراسل الموقع : إن الرئيس مبارك وافق كذلك على مشروع تقدم به مجلس مدينة (رامات هناجف) يقضي بإقامة معبر سياحي لاستقبال السائحين بالقرب من معبر (نيتساناه) الحدودي بين مصر و(إسرائيل) .

وأخيراً لا يخفى ما يعيشه الناس في مصر من أزمات اقتصادية خانقة متتالية وصل فيها معدل البطالة إلى 5,10 % والدين الخارجي إلى أكثر من 30 مليار دولار وبلغ الدين الداخلي ما يزيد على 300 مليار جنيه .

ثالثاً :- الأردن

الجانب السياسي :

" كانت اللقاءات بين الملك حسين واليهود مستمرة عن طريق الوسطاء منذ العام 1950 م ، ثم تطورت حتى بدأ اليهود يبلغون الملك حسين بمحاولات اغتياله (1958 م) عن طريق بريطانيا، وفي عام 1960 م اغتيل رئيس الوزراء الأردني المجالي وكان المستهدف هو الملك حسين ، وكانت أصابع الاتهام تتجه إلى سوريا فقام الملك حسين بنقل جزء من قواته المرابطة على حدوده مع فلسطين إلى حدوده مع سوريا وأكد على اليهود بعدم استغلال ذلك ، ولكنه عدل عن الفكرة فيما بعد، ثم كان اللقاء الأول للملك حسين مع المدير العام لوزارة الخارجية الإسرائيلية في سبتمبر عام 1963 م ، ثم تتابعت اللقاءات إلى أن التقى الملك حسين مع موشي ديان في لندن عام 1977 م " من كتاب (تواطؤ عبر الأردن)، ولا يخفي مقولة الملك حسين عندما أدخل اليهود في قائمة المؤمنين حيث قال في خطابه يوم 15\11\1994 م :" إن السلام المعقود مع إسرائيل سيكون سلاما تنعم به الأجيال من العباد المؤمنين من نسل إبراهيم, ويؤدي إلى علاقات الإخوة بين المؤمنين الذين جعل الله لهم القدس محج أنظارهم جميعا.

الجانب الاقتصادي :

بعد أن وقع الأردن على (اتفاقية الكويز) مع الكيان الصهيوني عام 2003 م ، هبط الميزان التجاري الأردني مع الكيان الصهيوني من 24 مليون دولار عام 1999 م إلى عجز بقيمة 26 مليون دولار عام 2003 م وقد تسببت هذه الاتفاقية بخسارة كبيرة لكثير من مصانع المواد الكهربائية وزيادة نسبة البطالة أيضا ، ويمكن رصد عينة من ممارسات التطبيع التجاري والصناعي بين الجانبين خلال الأعوام الماضية :

* يعمل الإسرائيليون على الاستفادة من رخص الأيدي العاملة الأردنية لزيادة إنتاجهم وخفض كلفة الإنتاج ، وذلك عبر نقل مصانعهم إلى الأردن ، أو اتخاذ مصانع وكيلة لهم في المناطق الصناعية .

* تهتم هذه المصانع بالاستفادة من الانفتاح الأردني الواسع على الدول العربية لترويج بعض منتجاتها في دول لا تقيم علاقات اقتصادية مع الكيان الصهيوني بوصف هذه البضائع أردنية المنشأ والإنتاج .

* من المشاريع الهامة التي نجح الإسرائيليون في إقامتها :

* تمكنت شركة " شتراوس " الإسرائيلية المتخصصة في صناعة منتجات الألبان من نقل جزء من صناعاتها إلى الأردن في منتصف عام 1998م ، وقد خطط لتصدير الكثير من الإنتاج إلى الدول العربية ، غير أن الشركة تعاني من صعوبات كبيرة في تسويق منتجاتها حيث اكتشف عدد من التجار مصدر الألبان الذي تصلهم منه ، مما جعل السوق الرئيسي لها هو الدول العربية بوصفها منتجات أردنية .

* خرّجت كلية " شنكر"الإسرائيلية لتعليم مهنة الحياكة وفنون الموضة وإنتاج الملابس الجاهزة خمسة عشر عاملا أردنيا على نفقة مؤسسات إسرائيلية بهدف إلحاقهم بالمصانع الإسرائيلية التي أقيمت في الأردن .

وقبل فترة وجيزة أعلن رسمياً عن تطوير الاتفاق التجاري الذي يربط بين الكيان الصهيوني والأردن، ما يعطي مزيداً من الفرص للتعاون فيما بينهما للتصدير المشترك لأوربا ، فقد أجرت صحيفة (هارتس) العبرية حواراً مع مسئول التجارة بالإتحاد الأوربي (بيتر مندلسون) حيث أكد أن هذا الاتفاق الذي وقعه الاتحاد الأوربي مع الأردن و الكيان الصهيوني لم يكن رد فعل متأخر لاتفاق (الكويز) الموقع مع الولايات المتحدة ، وقال :إن التعاون معهما بدأ قبل تنفيذ هذا الاتفاق ، وعن إمكانية التوقيع على اتفاق مماثل بين مصر والكيان الصهيوني قال المسئول الأوربي : إنه يتمنى دخول مصر تلك المنظومة التجارية ، كما أشار إلى أن الإتحاد الأوربي يبدي اهتماماً خاصاً باتفاق التجارة الحالي بين الكيان الصهيوني والسلطة الفلسطينية ، وأنه معني باستمراره في قطاع غزة بعد الانسحاب الإسرائيلي منه حيث أن مسئولي الاتحاد الأوربي يرون أن هذا الاتفاق إذا تم وقفه سيؤدي إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية في القطاع ، كما سيضر بمحادثات السلام بين الكيان الصهيوني والفلسطينيين حسب رأيهم .

وأخيرا فالشعب الأردني المسلم والذي ظلت قيادته متمسكة بتعهداتها للعدو الصهيوني لا يزال يئن من شدة الحاجة والفاقة ، وأرضه تحوي من الخيرات والثروات الشيء الكثير ، حتى وصل الحال " بحاملي درجة الدكتوراه – العاطلين عن العمل – أن يسيروا في مظاهرات في شوارع عمان " (تقرير بثته فضائية الجزيرة).

رابعاً:- موريتانيا

وضع موريتانيا الجغرافي وثقلها السياسي الهش جعلها دومًا بعيدة عن الصراع العربي والإسلامي مع الكيان الصهيوني , إلا أن نظام معاوية ولد الطايع (المخلوع) مد جسور العلاقة مع الكيان الصهيوني, وجعل من بلاده أول بلد عربي خارج دول الطوق يكسر حاجز التطبيع مع الصهاينة, ليكون ثالث نظام عربي بعد مصر والأردن يقيم علاقات دبلوماسية كاملة مع الكيان الصهيوني ، ولعلنا نقول: إن علاقات موريتانيا مع الكيان الصهيوني تفوقت واتسمت بدفء مستمر لم تشهده علاقات الكيان مع أية دولة عربية أخرى, ففي نوفمبر 1995 م وقعت موريتانيا اتفاقًا تعترف فيه بالكيان الصهيوني وتقيم علاقات معها، و في أكتوبر 1998م زار وزير الشؤون الخارجية والتعاون الموريتاني الكيان الصهيوني ؛ حيث عقد محادثات مع رئيس الوزراء الصهيوني السابق بنيامين نتانياهو، ثم أقامت موريتانيا علاقات دبلوماسية كاملة مع الكيان الصهيوني في أكتوبر 1999م, وفي ذات العام تواردت الأنباء عن سماح النظام الموريتاني بدفن نفايات نووية من الكيان الصهيوني في البلاد في صفقة لم يتم الكشف عن جميع أبعادها، وقد زار وزير الخارجية ولد عبدي الكيان الصهيوني في مايو 2001م اجتمع خلالها مع رئيس الوزراء الصهيوني أرييل شارون ووزير خارجيته شيمون بيريز ، و في أبريل 2002م قاومت الحكومة الموريتانية الضغوط لقطع علاقاتها الدبلوماسية مع الكيان الصهيوني ، بسبب حملته العسكرية الإجرامية على الفلسطينيين في الضفة الغربية, مع أن مصر قد اضطرت تحت الضغوط الشعبية إلى سحب سفيرها من الكيان الصهيوني وتبعتها في ذلك الأردن، و في مايو 2005 م أجرى وزير الخارجية الصهيوني سيلفان شالوم محادثات مع مسؤولين بارزين في الحكومة الموريتانية.

خامساً :- المغرب

يمثل النظام المغربي حالة فريدة في التطبيع من خلال أدواره التاريخية في تسهيل الاتصالات الإسرائيلية – العربية بالمنطقة ،منذ بداية الستينات حيث كان يعمل على تهجير المغاربة اليهود إلى الكيان الصهيوني مقابل رسوم مالية بالدولار ، ويشكل حجم الجالية اليهودية الكبير وسيلة تواصل دائم بين الجانبين ، حيث يوجد حوالي مليون يهودي مغربي بالكيان الصهيوني و300 ألف يهودي مقيم بالمغرب ، وهو أكبر عدد لطائفة يهودية في دولة عربية، كما يوجد في المغرب عدة جمعيات يهودية تعمل في مجال التطبيع مع الكيان الصهيوني كجمعية هوية وحواراالتي تأسست عام 1974 م ، والتجمع العالمي لليهودية الذي تأسس عام 1985م ، والمركز العالمي للأبحاث حول اليهود المغاربة الذي تأسس عام 1995 م ، ثم الاتحاد العالمي لليهود المغاربة الذي تأسس في 3 مايو 1999م.

وقد قام النظام المغربي بدور كبير في اتفاقية (كامب ديفيد) ، ففي اللقاء التمهيدي بين الحسن الثاني وموشي ديان – وزير الخارجية الإسرائيلي آنذاك – الذي سأل الملك متعجباً عن كيفية عمله كمنسق بين الكيان الصهيوني والدول العربية ، أجاب الملك بكل سهولة : (أتعرف أنه لو علم بوجودك هنا فلن يطيح هذا العمل بي عن العرش والسبب شعبيتي الكبيرة بين اليهود)، ثم تلا ذلك عدد من الاجتماعات بين (موشي ديان) و حسن التهامي (أحد ضباط ثورة يوليو وأمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي) مبعوث الرئيس السادات في مدينة (أفران) بالمغرب سنة 1977 م .

وأخيراً لا يخفى ماأعلنته غالب دول الجامعة العربية بما فيها بعض دول الخليج عدم التزامها بالمقاطعة الاقتصادية للكيان اليهودي وذلك عام 1994م، إلا أن بعضها ما زال ملتزماً بشئ يسير منها، وهذه المقاطعة هي التي كبدت اليهود بين عامي 1948م إلى 2004م، ما يقرب من مائة مليار دولار، وما وصفته الصحافة الأميركية بهدف (إعادة تأهيل الكيان الصهيوني عالميا The International Rehabilitating of "Israel") وهو هدف يتطلب تحقيق أمرين: الأول إنهاء المقاطعة العربية للكيان الصهيوني ، والثاني إشاعة جو يطمئن الشركات العالمية إلى إن السلام في الشرق الأوسط أصبح حقيقة لا رجوع عنها حتى تقبل على الاستثمار في الكيان الصهيوني ، ففي ثلاث سنوات تقريبا تم تحقيق هدف إعادة

تأهيل الكيان الصهيوني عالميا، على ثلاثة محاور: المحور الأول إقامة علاقات دبلوماسية مع بلدان كانت لا تقيم علاقات مع الكيان الصهيوني بسبب الصراع العربي . الصهيوني ، وخلال عام واحد بعد توقيع اتفاقية أوسلو، أقام الكيان الصهيوني علاقات دبلوماسية مع 20 دولة، وبعد ذلك استمر يقيم علاقات مع بلدان أخرى، وكان واضحا أن الكيان الصهيوني يولي بلدان جنوب شرقي آسيا اهتماما خاصا ، أما المحور الثاني فهو أن البلاد التي كانت تلتزم قوانين المقاطعة العربية للكيان الصهيوني أخذت تفتح أسواقها للبضائع الصهيونية ، وتقيم مع الكيان الصهيوني مشاريع مشتركة، وعلى سبيل المثال زادت الصادرات من الكيان الصهيوني للبلدان الأسيوية بعد سنة واحدة من اتفاق أوسلو بمقدار 23 في المائة وأصبحت تعادل حوالي 13 في المائة من مجمل الصادرات الصهيونية بعدما كانت اقل من 8 في المائة ولقد ازداد حجم التبادل التجاري بين الكيان الصهيوني وكوريا الجنوبية حوالي 50 في المائة ما بين 1994 . 1996م ، كما أصبحت الصين مستوردا رئيسيا للسلاح والتكنولوجيا الصهيونية، وكذلك فان الشركات الآتية قامت ببناء مصانع أو مراكز لها في الكيان الصهيوني بعد العام 1994م : Intel General Motors, Westinghouse, Mottorola, Salmon, Cablet Wireless, Daimler Brewze, Siemens, Brothers, ولقد أتت هذه الشركات إلى الكيان الصهيوني لأنها ترى في اقتصاد الكيان الصهيوني شريكا في التمويل والاستثمار والبحث العلمي، وهي لا تقيم مصانعها في الكيان الصهيوني من اجل سوقه المحلي ، ولكن لأنها تستخدم سوق الكيان الصهيوني بوابة لأسواق الشرق الأقصى أولاً، وأسواق الشرق الأوسط ثانياً، وهكذا بينما كان حجم الاستثمارات الأجنبية في الكيان الصهيوني عام 1991م لا يتعدى 400 مليون دولار، أصبح عام 1996م حوالي 2.9 بليون دولار ، وهذا يعني أن حجم الاستثمار الأجنبي في الكيان الصهيوني في العام 1996م ، كان حوالي أربعة أضعاف حجمه في مصر" (مجلة الوسط 1-5-2000م).

سابعاً : مبادرات التطبيع الجديدة:

أ - خارطة الطريق

إن هذه المبادرة ليست معاهدة رسمية ، بل هي خطة عملٍ تتطلّب من السلطة الفلسطينية ومن دولة الكيان القيام بأعمالٍ عدةٍ في المجالات الأمنية و الإنسانية من أجل تهدئة الأوضاع و تحسين عوامل الثقة بين الطرفين من أجل العودة إلى المفاوضات ، وتتكوّن خارطة الطريق من ثلاث مراحل رئيسة :

المرحلة الأولى : استتباب الأمن للكيان الصهيوني بالقضاء على من يسمونهم بـ (الإرهابيين) – المقاومة الفلسطينية – حيث تعلن السلطة الفلسطينية عدم شرعية المقاومة و تعتبر المقاومين (إرهابيين) خارجين عن القانون يجب محاربتهم و اجتثاثهم بالقوة من المجتمع الفلسطيني و القضاء عليهم كلية , وعليها كذلك أن تمنع و توقف جميع مظاهر التحريض ضد الكيان في أجهزة الإعلام و خطب المساجد و المناهج الدراسية التي ستُبدل إلى منهاجٍ جديدٍ شبيهٍ بالمنهاج الأميركي المُصمّم لمدارس العراق , و تشمل هذه المرحلة أيضاً إصلاحاتٍ جذريةٍ في جميع المؤسسات الحكومية الفلسطينية لكي تتعاون تماماً مع الكيان الصهيوني في جميع مجالات الأمن (أمن الكيان الصهيوني) , و بعد أن تقوم السلطة الفلسطينية بجميع هذه الأعمال تقوم دولة الكيان بتقديم التسهيلات الإنسانية المعيشية للفلسطينيين و تفكيك مستوطنات ما بعد 28 أيلول 2000م و تجميد عمليات اغتصاب الأراضي و بناء المستعمرات عليها .

المرحلة الثانية : قيام دولة فلسطينية في غضون عامين أي عام 2005 م ، قابلة للاستمرار و للنمو حسب تصوّر الرئيس الأميركي جورج بوش ، وهانحن في بداية عام 2006 م ولم ترى هذه الدولة النور بعد !! .

المرحلة الثالثة : و تعتبر المرحلة النهائية للصراع الفلسطيني الصهيوني حيث يقوم الطرفان بالمفاوضات النهائية من أجل إحلال سلامٍ شاملٍ في المنطقة .

ب – المبادرة العربية

هذه المبادرة في الأصل مبادرة سعودية (مبادرة الأمير عبد الله بن عبد العزيز عندما كان ولياً للعهد) ثم سميت بالمبادرة العربية بعد أن تبنتها قمة بيروت وهذه المبادرة لم تأخذ مجمل الحقوق الفلسطينية بعين الاعتبار بل حصرت الحقوق في الانسحاب الإسرائيلي من الضفة والقطاع إلى حدود عام 1967 م وفي الدولة الفلسطينية،

ونلاحظ كذلك أن الكيان الصهيوني عندما رحب بهذه المبادرة لم يأخذ منها إلا جانب التطبيع والاعتراف العربي الذي سيحصل عليه، أما ما يترتب عليها من التزامات، وهو الانسحاب الكامل والاعتراف بالدولة المستقلة لم يشر إليه الترحيب اليهودي بل عندما أشار إليه ، قال إن ذلك يأتي عبر المفاوضات ، ومن أبرز بنود هذه المبادرة :-

* إقامة علاقات كاملة بين الكيان الصهيوني وكل الدول العربية الأعضاء بالجامعة العربية .

* العمل طبقاً لأسس وبنود قرارات مجلس الأمن الدولي أرقام 242، 425،338 .

* الالتزام بالقرار 194 لمجلس الأمن خاصة فيما يتعلق بحق عودة اللاجئين الفلسطينيين منذ عام 1948 م .

* ضرورة توافر ضمانات كتابية أمريكية لنجاح المبادرة والتزام الكيان الصهيوني في حالة قبولها .

* تحديد وضع القدس باعتبارها أراضي عربية احتلت صباح يوم 5 يونيو 1967م، وبهذا ينطبق عليه قرارات مجلس الأمن الداعية لانسحاب إسرائيل الكامل إلى حدود 4 يونيو 1967 م .

* اعتبار الحدود الدولية هي الحدود التي كانت على أرض الواقع يوم 4 يونيو 1967م.

* تطبيق مبدأ الأرض مقابل السلام وهو ما جاءت به قرارات مؤتمر مدريد للسلام 1991 م .

وقد اعتبر "شيمون بيريز" وزير الخارجية الإسرائيلي المبادرة "مرنة" بشأن القدس، ومواضيع أخرى، وقال لشبكة "فرانس - 2" التلفزيونية ، الأربعاء 26-2-2002م: إن تقاسم المدينة المقدسة سوف يتضمن الإبقاء على مواقع إسرائيلية في القدس الشرقية، حيث ستبقى بعض القطاعات بين يدي إسرائيل , وأضاف أن الحلول التي تطرحها المبادرة تقوم على "تبادل أراض" بين الإسرائيليين والفلسطينيين، مع اعترافها في الوقت نفسه بأن وضع المستوطنات اليهودية يشكِّل واقعًا من الصعب جدًّا تغييره, واستبعد إجراء أي "اتصال مباشر" مع المسئولين السعوديين في الوقت الراهن,وكانت

صحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية قد نشرت في 26-2-2002م: إن المبادرة السعودية تنطوي على أهمية كبيرة لإسرائيل، تتمثل في اعتراف 22 دولة أعضاء في الجامعة العربية بها، وإقامة علاقات كاملة معها.

وقد قيل أن المبادرة تأتي في سياق تفاهم أمريكي – عربي في صورة مقايضة بين القضية الفلسطينية والعراق؛ بحيث توافق الدول العربية على إطاحة النظام العراقي في بغداد عبر غزو على غرار غزو أفغانستان مقابل تهدئة الأوضاع في فلسطين، وإقامة الدولة الفلسطينية ، وربما لهذا تم التركيز في هذه المبادرة على فكرة (التطبيع الشامل) وتنبع أهميتها كذلك من أنها صادرة عن أهم دولة إسلامية تحتضن المقدسات الإسلامية، وأكبر مصدر للنفط؛ وذلك بغرض إغراء الصهاينة، ودفعهم لتقديم أقصى تنازلات ممكنة، وبعد هذه الأطروحات كلها أكد بوش في خطابه للعالم بخصوص القضية الفلسطينية في 6 / 2002م، على أن :

* الاحتلال باق و إسرائيل تدافع عن نفسها وهي وأفعالها تحت المظلة الأمريكية .
* العراق دولة تشجع على الإرهاب .
* على سورية التزامات بخصوص الحرب على الإرهاب وعليها القيام بها .
* على الدول العربية إنجاز التطبيع الكامل مع إسرائيل.

جـ – المبادرة الأردنية

قدمت هذه المبادرة إلى قمة الجزائر الأخيرة ، ولقد وصفت القمة بأنها قمة الهرولة نحو التطبيع، خاصة بعد موافقة وزراء الخارجية في الاجتماعات التحضيرية على المبادرة الأردنية، وهي المبادرة التي تنظر إليها أوساط عربية على أنها دعوة إلى الاستسلام وفتح العواصم العربية من دون قيد أو شرط أمام المسئولين الصهاينة، الذين ردوا على مبادرة السلام العربية التي صدرت عن قمة بيروت باجتياح الضفة الغربية، فيما سمي عملية 'السور الواقي'.

والمثير في الأمر حقًا هو تزامن إعلان الأردن عن المبادرة بعد لقاءات خاصة بين العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني ورئيس وزراء الاحتلال الصهيوني شارون، كما كانت قبيل لقاء الملك عبد الله الثاني بالرئيس الأمريكي بوش في واشنطن، والأكثر إثارة هو الإعلان عن عدم مشاركة العاهل الأردني في القمة.

ولكن هذه المبادرة أجهضت ونتيجة لذلك اتهم وزير الخارجية الإسرائيلي سيلفان شالوم كلاً من سوريا والجزائر والأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى بإعاقة المبادرة التي طرحتها الأردن على قمة الجزائر الأخيرة، وقال شالوم إن هذه المبادرة كانت تحظى بتأييد إسرائيل ، وأظهرت أمريكا عدم رضاها عن القمة من خلال تصريحات رسمية انتقدت القمة العربية، وبالطبع لم تؤسس انتقادها على رفض القمة للتطبيع المجاني مع الكيان الصهيوني ، وإنما لجأت إلى نقطة الضعف التقليدية في النظام العربي، مشيرة إلى أن القمة فشلت في التوجه نحو المزيد من الديمقراطية والحرية في الشرق الأوسط!.

ومن جانبه أعلن العاهل الأردني أن ما أثير حول المبادرة الأردنية هو مجرد «سوء فهم» للنوايا الأردنية، و«حادث مؤسف» في سلسلة الأحداث المؤسفة التي ارتبطت بالدبلوماسية الأردنية في الآونة الأخيرة.

ثامناً : آخر تطورات التطبيع :

إن المؤشرات الجديدة تتمثل فيما صرح به وزير الخارجية «الصهيوني» سيلفان شالوم، من أن هناك عشر دول عربية سوف تقيم علاقات دبلوماسية مع الكيان الصهيوني في وقت قريب ، وهو تصريح يَلْقى مصداقية . للأسف . مما جرى، ومما أعلن عنه رسمياً في الفترة الأخيرة، ومما تناقلته وسائل الإعلام وسط صمت، أو رفض علني رسمي – وهي السياسة المعتمدة دوماً في جسّ النبض لقرارات بدء التطبيع من قِبَل الأجهزة الرسمية العربية – عن لقاءات وزيارات علنية، وأخرى سرية .

ولعلنا نستعرض ما يجري في بعض الدول العربية من ممارسات تدل على قربها من التطبيع:

الجزائر :–

في أثناء تشييع جنازة الحسن الثاني بالرباط في يوليو 1999 م ، صافح الرئيس الجزائري بو تفليقة ، أيهود باراك رئيس وزراء الكيان الصهيوني السابق ، كما صرح بوتفليقة للصحافة مراراً بوجود آفاق واسعة للتعاون الاقتصادي بين الجزائر و الكيان الصهيوني وبأنه لا يشعر بأي عداء تجاهها ، وعلى هامش مؤتمر حوض الأبيض

المتوسط المنعقد في أكتوبر 1999 م التقى بو تفليقة بشيمون بيريز وبوزير الأمن الداخلي للكيان الصهيوني شلومو بنعمي ، ودعماً لهذه الإشارات أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية عن مشروع إنشاء محطة للتصنت في جنوب الجزائر تابعة لوكالة الأمن الوطني الأمريكية ، تهدف إلى التقاط كل المكالمات الهاتفية وشبكة المعلومات وكل وسائل الاتصال الالكترونية وتحليل معلوماتها لأغراض أمنية،كما تعتزم إقامة قاعدة عسكرية أمريكية في جنوب الجزائر .

تونس :-

استغل الموساد الوجود المكثف لليهود التونسيين الذين يتمتعون بحقوق المواطنة التونسية فورط بعضهم في جمع معلومات عن منظمة التحرير الفلسطينية ونشاطها العسكري والسياسي وقد اعتقلت السلطات التونسية اثنين من هؤلاء وأطلقت سراحهما بعد تدخل حاخام اليهود الأكبر في تونس لدى الرئيس التونسي زين العابدين بن علي ، ومن الشخصيات الفلسطينية المهمة التي جرى اعتقالها في تونس الرجل الثاني في سفارة فلسطين في تونس عدنان ياسين الذي كلف من قبل الموساد الإسرائيلي بجمع معلومات عن مسودات محمود عباس- أبومازن- وذلك قبل لقاء جرى بين أبو مازن وشيمون بيريز في القاهرة ، وقد تفاجأ أبو مازن بأن شيمون بيريز كان على إطلاع كامل بتفاصيل الأطروحات الفلسطينية المتعلقة باتفاق غزة أريحا أولاً ، وفي 29 يوليو 2001 م تم تعيين بن عامي رئيساً جديداً لمكتب الاتصال الإسرائيلي بالعاصمة التونسية خلفاً لـ شالوم كوهن وكلاهما من أصل مغربي ، وتأتي دعوة شارون لزيارة تونس التي خرقت السقف العربي ، لا سيما في محطاته غير ذات الصلة المباشرة بالصراع ، دليلا واضحا على قرب إعلان التطبيع بين البلدين .

ومن الجدير بالذكر أنه قبل زمن الإصلاح الأمريكي المزعوم الذي نعيشه هذه الأيام ، كانت الولايات المتحدة تلعب ذات اللعبة وإن على نحو مختلف عن الوقت الراهن ، إذ كانت تمارس بعض الضغوط الرامية إلى الابتزاز من خلال بعض المؤسسات المعنية بحقوق الإنسان، في وقت كانت فيه تونس تتصدر التقارير بانتهاكها المستمر لكل ما له علاقة بحقوق الإنسان ، لكنها كانت تبيع مواقفها على الإدارة الأمريكية بشكل من الأشكال من خلال مقولة أنها الدولة الأفضل في ميدان محاربة الأصولية

، بل إنها تقدم نموذجاً في النجاح من دون التورط في الدم كما جرى في الجزائر ومصر ، بل وصل الحال حد التباهي بالقدرة على الحد من ظاهرة التدين في الشارع التونسي ، من خلال المنع القسري للمظاهر الإسلامية مثل الحجاب في المدارس والجامعات فضلاً عن أماكن العمل الرسمي .

العراق:

هناك في بلاد الرافدين تجري تطورات خطيرة ، تتمثل في وصول عدد الشركات الصهيونية العاملة إلى أكثر من مائة شركة تعمل في مجالات متنوعة كالأمن والأعمال التجارية وغيرها ، وسط دلالات على أن مخطط عودة خط البترول القديم من العراق إلى حيفا عبر الأردن بات تنفيذه مسألة وقت ترتبط بهدوء أو ضعف عمليات المقاومة العراقية ، بالإضافة إلى النشاط المسعور لجهاز الموساد في تنفيذ أعمال الاغتيالات لرموز أهل السنة وعلماء الطبيعة وشراء المباني والأراضي والتنسيق مع بعض الرافضة في كثير من هذه الأعمال .

اليمن :

أما في اليمن فتجري عمليات تطبيع تتوسع باضطراد، تحت عنوان منح اليهود اليمنيين تسهيلات واسعة.

البحرين :

نقلت مصادر صحفية عن وزير الخارجية البحريني الشيخ محمد بن مبارك آل خليفة قوله : إن البحرين قررت إلغاء الحظر على الواردات من البضائع الإسرائيلية، بعد أن وقعت اتفاقا للتجارة الحرة مع الولايات المتحدة، وأوردت صحيفة "الرأي العام" الكويتية في مقال نشرته في عددها يوم 2005/9/21 م ،عن الشيخ محمد قوله ـ في نيويورك ـ : "نعم.. اتخذنا بالفعل هذا القرار، وهناك اتفاقية تجارة حرة وقعتها البحرين والولايات المتحدة، واتفاقيات التجارة الحرة لا تطبق قرارات المقاطعة" مشيراً إلى المقاطعة العربية للكيان الصهيوني السارية منذ عقود.

باكستان :

أثر لقاء وزير خارجية الكيان الصهيوني شالوم مع نظيره الباكستاني في تركيا ، فقد شكر شالوم الرئيس الباكستاني على دعم السلام بين "إسرائيل" والعالم الإسلامي

مؤكداً بأن هذا اللقاء الأول بين البلدين سيمهد المستقبل للسلام وسيكون لمصلحة جميع شعوب المنطقة وأضاف:"لقائي مع نظيري الباكستاني هام جداً كونه مع وزير دولة إسلامية كبيرة، ثم أضاف قائلاً: لدينا اتصالات سرية مع كل الدول العربية، ونأمل أن تصبح علنية قريباً"، وأن تساعد العلاقات الآخذة بالتوطد بين الدولة العبرية ونظام برويز مشرف في باكستان في تبادل المعلومات بينها وبين المخابرات الباكستانية، وذلك من أجل تكثيف الحرب ضد تنظيم القاعدة !.

تركيا :

يشير المراقبون إلى أهمية الدور الذي لعبته تركيا في أن تكون جسراً للحوار بين باكستان والدولة اليهودية في أول محادثات علنية تجري على الإطلاق بين البلدين مما يدعم موقعها الاستراتيجي المميز، ويؤهلها للعب دور أكبر حيوية في المنطقة ، وكانت صحيفة ميللى جازيت التركية الإسلامية قد انتقدت حكومة حزب العدالة والتنمية برئاسة رجب طيب إردوغان مؤكدة أن هذه الحكومة مستمرة في تأدية دورها والمهام المكلفة بها في إطار مشروع الشرق الأوسط الكبير بهدف خدمة المصالح "الإسرائيلية" في المنطقة مشيرة إلى أن أنقرة وفى هذا الإطار وبتعليمات من إردوغان شخصياً قامت باستضافة اللقاء الباكستاني الإسرائيلي في اسطنبول ، وشددت الصحيفة على أن إردوغان يقترب يوماً بعد يوم من "إسرائيل" جراء ممارسات اللوبي اليهودي الأمريكي مما جعله يتحرك للقيام بدور الوساطة بين باكستان و"إسرائيل" واصفة ما تعيشه العلاقات التركية "الإسرائيلية" هذه الأيام بأنه شهر عسل غير مسبوق.

وقد نشر المركز الفلسطيني للإعلام مقالاً للدكتور (رفعت سيد أحمد) قال فيه :

إن التقارير والوثائق الرسمية تقول إن عدة دول عربية قامت خلال عام 2004م (عام زيادة القتل الصهيوني للفلسطينيين) بإجراء عمليات تبادل تجارى مع الكيان الصهيوني بلغت قيمتها 193 مليوناً و960 ألف دولار إما مباشرة أو عن طريق دول أخرى ، وهذه الدول جاءت وفقاً للترتيب التالي:

1- المملكة الأردنية الهاشمية بقيمة إجمالية لحجم التبادل التجاري مع الكيان الصهيوني 131 مليوناً 200 ألف دولار وكانت الواردات بقيمة 86 مليوناً و700 ألف دولار.

2- مصر بإجمالي 48 مليوناً و610 آلاف دولار، وواردات بقيمة 26 مليوناً و500 ألف دولار.

3 - المملكة المغربية بلغ إجمالي قيمة التبادل التجاري 7 ملايين و840 ألف دولار ،الواردات فبلغت 6 ملايين و700 ألف دولار.

4- جيبوتي بإجمالي مليون و270 ألف دولار، وكانت الواردات بقيمة مليون و100 ألف دولار.

5- المملكة العربية السعودية بإجمالي مليون و270 ألف دولار وكانت الواردات قيمتها مليون و100 ألف دولار.

6- دولة الإمارات العربية المتحدة بإجمالي 904 ألف دولار وكانت الواردات بقيمة 900 ألف دولار.

7- لبنان بإجمالي 802 الف دولار وكانت الواردات بقيمة 800 ألف دولار.

8- الجزائر بإجمالي 501 الف دولار وكانت الواردات بقيمة 500 ألف دولار.

9- العراق بإجمالي 502 ألف دولار وكانت الواردات بقيمة 500 ألف دولار.

ونتيجة لذلك نجد " أن مؤسسة الحكم الإسرائيلية تعدّ أن تطبيع الدول العربية لعلاقاتها معها سيدفع الفلسطينيين لتخفيض سقف توقعاتهم، وسيمثل أداة ضغط على قيادة السلطة للتقارب مع التصور الإسرائيلي للتسوية، وتشير دوائر صنع القرار العبرية إلى أن هناك الكثير من المؤشرات على ممارسة الدول العربية الضغط على قيادة السلطة من أجل تغيير الكثير من المواقف "التقليدية" المتعلقة بالتصور لتسوية الصراع، لا سيما في مجال دفع السلطة للتنازل بشكل مباشر أو غير مباشر عن حق العودة للاجئين ، وهاهو مدير عام وزارة الخارجية الإسرائيلي (جاك بورسو) يعبر عن ذلك بشكل صريح فيقول: إن هناك بعض الدول العربية تبدي استعداداً لقبول توطين اللاجئين الفلسطينيين، وإضافة إلى ذلك فقد صرح (دوف فايسغلاس كبير مستشاري شارون) بأن تل أبيب ستطرح على الدول العربية -وبتدخل أمريكي

فاعل- القيام بإعادة تأهيل مخيمات اللاجئين في قطاع غزة والضفة الغربية وتحويلها إلى أماكن سكن ثابتة ومستقرة، وذلك بتمويل دول الخليج العربي " (بتصرف من مقال لصالح النعامي : موقع الإسلام اليوم).

تاسعاً : مقترحات وبرامج لمقاومة التطبيع :

1- إن النصر من عند الله وحده، وأنه لا يستحقه إلا المؤمنون حقًا، قال تعالى: ((وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) (الأنفال: 10).

وقال تعالى:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)) (محمد: 7)، وقال تعالى: ((وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)) (الروم: 47(، وأول الطريق إلى النصر على الأعداء هو الانتصار على النفس في معركة الشهوات والشبهات، وأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وأنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم ينكشف إلا بتوبة، وأن ذنوب الأمة أخوف عليها من عدوها، وأن تقوى الله من أعظم العدة في الحرب، ومن أقوى المكيدة على العدو، وأن كل خطيئة ترتكب في أرض الإسلام فهي حبل من الناس يمد به العدو بمزيد من القوة .

2- إن هذه الأمة منصورة ومرحومة، و العاقبة لها بإذن الله، و لا تزال طائفة منها قائمة على أمر الله لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله، و قد مرت عبر التاريخ بأطوار من الضعف والانحطاط أعظم مما تمر به هذه الأيام، وقد خرجت من كل ذلك، واستعادت عافيتها، واستأنفت مسيرتها.

3- الاهتمام البالغ بتزكية الأنفس، وتربية الناشئة على الإيمان والجهاد، وحمايتهم من غوائل التغريب والعلمنة، فإن المعركة طويلة الأمد ، وقد لا تحسم على يد هذا الجيل، فيجب إعداد العدة لمثل هذا الامتداد على مستوى الزمان كما نعد له على مستوى المكان!

4- الاتحاد والائتلاف: فالتنازع والاختلاف هو بريد الفشل وذهاب الريح، وإن نصر الله لا يتنزل على شيع متنازعة متناحرة، وقد قال تعالى: ((وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)) (الأنفال: 46).

5- التأكيد الدائم على أن القضية الفلسطينية قضية إسلامية، وتخليصها - على الأقل في نفوس المؤمنين بالله واليوم الآخر- من الأقنعة العلمانية، والنزاعات العرقية أو الإقليمية.

وختاماً:

إن المتأمل للواقع اليوم في أرض مسرى محمد صلى الله عليه وسلم يرى البشائر تترى على الأمة من هناك على يد فئة قليلة العدد والعدة ولكنها كبيرة بما تملكه من قلوب مؤمنة واثقة بعون الله تعالى ورعايته – نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحدا – فقد أثمرت تضحياتهم على مدى سنين قليلة ومن خلال عشرات العمليات وسقوط مئات القتلى من يهود ، أن تنادى إخوان القردة والخنازير أن احموا أنفسكم وأقيموا الجدار الفاصل ، فصدق عليهم قول القوي العزيز : ((لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ)) (الحشر :14) ، ثم ها هم وبعد إقامة جزء كبير من الجدار العازل يخربون بيوتهم بأيديهم في مستوطنات قطاع غزة و يخرجون منها أذلة صاغرين ، فيتذكر المؤمن قول مولاه عز وجل : ((هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ))(الحشر2) ، ولا يخفى أن هذا الانسحاب وإن كان محدود المساحة لكنه عميق الدلالة على أهمية الجهاد في سبيل الله وعظم نتائجه ، وقد كانت عدد من الدول العربية قد طالبت اليهود بالانسحاب من قطاع غزة وعلى مدى عقود جرت فيها عشرات اللقاءات لكنها لم تظفر من ذلك بشيء ، ولنتأمل ما ذكرته صحيفة "يديعوت أحرونوت " اليهودية في 22-9-2005 م ، عندما أكدت على حقيقة هامة فقالت :' نحن لم نقض على حماس بقوة القنابل، ولن نقوم بالانتصارعليها بقوة الحواجز المانعة ، وآخر البشائر هو فوز حركة حماس الذي فاجأت به العالم في انتخابات المجلس التشريعي وسعيها لتكوين الحكومة الفلسطينية القادمة التي نرجو العليم الخبير أن يجعلها جالبة لنصر من الله وفتح قريب، وهذا الفوز هو دليل على تعطش الأمة للإسلام وأهله ، و والله

إن هذه آية وعبرة رآها العالم أجمع، فهل يعتبر المسلمون حكاما ومحكومين أن المستقبل لهذه الأمة، ما استقامت على أمر الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأنها لا تؤتى إلا من قبل نفسها، وأن ذنوبها أخوف عليها من أعدائها، وأنها قد وعدت بأن تبقى طائفة منها مستقيمة على أمر الله، لا يضرها من خالفها أو خذلها حتى يأتي أمر الله، وأن هذه الطائفة المنصورة هي التي يقوِّم الله بها اعوجاج الأمة ، ولهذا فإننا نقول لإخواننا في أرض الإسراء والمعراج: إن نصر الله قريب، ولينصرن الله من ينصره ،فاصبرواوصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون

==============

#أزمة الهدر الفقهي

إبراهيم السكران* 1428/2/23

2007/03/13

طوال تاريخ التراث لم يواجه الفقه الإسلامي تحدياً كالذي يواجهه اليوم أمام أسواق المال، وأعمال المصارف، وأنماط التمويل، ومشتقات الائتمان، وأنظمة النقد، وصيغ الاستثمار ونحوها من أشكال الحداثة الاقتصادية المعقدة، ولقد شاع بين كثير من الباحثين المعاصرين استعمال مصطلح (النوازل) في التعبير عن هذه المتغيرات.

وفي تقديري أن إسقاط مصطلح النوازل على هذه الحالة الجديدة يعتبر توظيفاً غير دقيق، ذلك أنه لا يعكس حجم وطبيعة هذه المعطيات الجديدة؛ فالأفق الدلالي لمصطلح النوازل يوحي بمجرد وقائع حادثة تقفز بين فينة وأخرى على هوامش الكتلة الفقهية الفروعية الراسخة والمستقرة، كما هو المعهود في تاريخ التراث الإسلامي المديد، أما في واقع اليوم فالشأن قد اختلف تماماً، ذلك أننا لسنا أمام مجموعة فروع حادثة تزور طاولة الفقيه غباً بقدر ما إننا أمام منظومة اقتصادية جديدة ذات منتجات متدفقة، وتبدلات متسارعة، وتحولات محمومة، وعلاقات مركبة بحيث أصبح الجديد هو الأصل والتقليدي هو الاستثناء.

ومهما شعر المتابع بتعقيد الصورة الاقتصادية المعاصرة في مقابل أزمة (الهدر الفقهي) في البرامج التقليدية للعلوم الشرعية، فإنه لا يمكن أن يتجاهل جهود بعض الرواد من الفقهاء المعاصرين الذين أصروا على خوض غمار هذه المعطيات

الجديدة، والاجتهاد في محاولة تقديم أدق تصور شرعي يحقق المراد الإلهي، عبر المشاركة الجادة والمتواصلة في ندوات المصرفية الإسلامية، والمجامع الفقهية، واللجان الشرعية لأعمال المصارف، والمجلات العلمية المتخصصة، والأطروحات الفقهية، والرسائل الأكاديمية المتميزة، وغيرها من القنوات المعنية بالمشكلات الفعلية في حياة المجتمع المسلم، فإلى أولئك وحدهم يعود الفضل الأساسي – بعد الله– في تنمية فقه المعاملات المالية، والدأب على تطويره.

ومهما تطارحنا من نقد حول واقع فقه المعاملات المالية المعاصرة فإن ذلك ينبغي ألاّ ينسينا واجبات الوفاء لأولئك الآباء المؤسسين الذين ضحّوا براحتهم الشخصية، وقاوموا كثيراً من ارتباطاتهم الاجتماعية وضغوطات الحياة المادية من أجل أن يقدموا للمجتمع المسلم منظوراً يبني إمكانياته الاقتصادية والاستثمارية في ظل الاطمئنان الشرعي.

ومع ذلك كله لا تزال في طريق علم (فقه المعاملات المالية) الكثير من الخطوات والمهام الضرورية لاستكمال مسيرة التنمية الفقهية، فبادئ ذي بدء لقد حان الوقت لكي يقرر هذا الفرع الفقهي أن يستقل عن الشجرة الفقهية العامة، كما استقل من قبله علم الفرائض، وعلم القضاء، وعلم السياسة الشرعية وغيرها من الفروع التي احتفلت باستقلالها المبكر في تاريخ الفقه الإسلامي، احتراماً لخصوصيتها وحاجتها للمعالجة المتخصصة.

فقد أصبحت خصوصية فقه المعاملات المالية النابعة من تعقد علاقاته بالعلوم الأخرى كالاقتصاد والمحاسبة والقانون التجاري والإدارة وغيرها من العلوم ذات الصلة أكبر من أن تحتملها فصول معدودة في مدونة الفقه الإسلامي، ويستحيل على الفقيه المعاصر أن يكون مبدعاً في فقه المعاملات المالية طالما أن دراسته لهذا الفرع لا تزال تقتصر على بضع محطات متواضعة في رحلته الفقهية الشاسعة والمنهكة والممتدة من (باب المياه) إلى (باب الإقرار).

لقد أزف الوقت – إن لم يكن قد تأخر كثيراً– لكي يصبح فقه المعاملات المالية تخصصاً مستقلاً يُزوَّد المتدرب فيه بكامل التقنيات المعرفية التي يحتاجها من العلوم الإنسانية الحديثة، وبشكل خاص المفاهيم الأساسية في الاقتصاد والمحاسبة والقانون

التجاري والإدارة، بالإضافة إلى الكليات الفقهية والقواعد الأصولية والمبادئ المقاصدية، وتاريخ التشريع ذات المساس المباشر بهذا العلم، بحيث تصبح هذه الوحدة الفقهية مجهزة بكامل المعدات العلمية اللازمة بشكل منظم.

كم هو مؤلم أن تكون كثير من كليات الشريعة والتي من المفترض أن يكون تخصصها الدقيق هو الفقه الإسلامي لا تزود طلابها بمنهج مستقل للمعاملات المالية المعاصرة، فيصطدم الطالب غير المؤهل بنظم الحياة الاقتصادية المعقدة غير قادر على الربط بين النماذج التراثية التي تعلمها والصيغ الحديثة التي يواجهها إلاّ من خلال جهود شخصية خارج البرنامج الرسمي، كثيراً ما تكون متعثرة وغير منظمة.

وإذا اتفقنا أن أزمة الهدر الفقهي لا تعود إلى عامل واحد بل ترتبط بشبكة من العوامل الاجتماعية والسياسية والمعرفية، فإنه لا شك أن من أهم المشكلات التي ساهمت في تكريس أزمة الهدر الفقهي مشكلة (تكلف المغايرة) النابعة من القلق غير الطبيعي من توافق بعض الأحكام الشرعية مع صيغ الاقتصاد الغربي؛ فبدلاً من تركيز الجهد الفقهي في تحليل الخيارات الشرعية الممكنة والمتاحة في ضوء واقعنا ونسيجنا الفقهي الخاص، ينجرف كثير من الباحثين في تصوير الفقه الإسلامي للبرهنة على وجود (اقتصاد إسلامي) والواقع أنه ليس من معايير الحقائق الشرعية تناقضها مع الخبرة البشرية، بل على العكس من ذلك فإن من القرائن الدالة على رجحان الاجتهاد الفقهي تأييده واعتضاده بنتائج الخبرة البشرية.

ومن جانب آخر فإن عدم قدرة الفقهاء المعاصرين على إنشاء قاعدة بيانات فقهية كان أحد أهم مصادر الهدر الفقهي؛ إذ افتقد البحث الفقهي القنوات الخاصة التي تضمن تدفق النتائج الفقهية إلى أوعية منظمة بما يمكنها من تحقيق عنصر التراكم، وانعكاساً لهذا الغياب تستمر أزمة تكرار الجهود والدوران في حلقة مفرغة بما يحرم فقه المعاملات المالية من أحد أهم شروط نمو المعرفة.

كما يعاني الفقيه اليوم من غياب الإمكانيات التي تتيح له التعرف على الدراسات السابقة على الإشكالية محل اهتمامه، وكم هو محزن حين يبذل الفقيه جهداً في استيعاب الدراسات الفقهية في الموضوع محل اهتمامه ثم يتفاجأ بأنها جميعاً أعادت

بحث الموضوع من خط البداية الأول، ولم يحاول أحد منها أن يواصل شوط البحث من حيث توقف الآخرون. يا ترى كيف سيكون حال الخبرة الفقهية لو أُتيح لنتائج الباحث الأول أن يناقشها، ويعمقها الباحث الثاني، وهكذا دواليك؟

كما أن من أهم مصادر أزمة الهدر الفقهي استنفاد جهود المجامع المتخصصة في دراسة التطبيقات الجزئية الصغيرة عبر التعسف في تعليب المعاملات المستجدة داخل الأوعية الفقهية التقليدية، وقسرها على تقمّص أشكال العقود التراثية فتخرج كثير من البحوث بصورة كسيحة تشي بحجم التكلف الهش، في مقابل إهمال بناء (منظومة القواعد المرجعية) الحاكمة لهذا العلم.

إن المجامع المتخصصة بحاجة –أكثر من أي وقت مضى– إلى أن تبلور للشريحة المستهدفة من مصرفيين ومستثمرين ونحوهم دليل إجراءات منظم، لا ينجرف في ملاحقة الجزئيات وخلافياتها، بل يكرس بشكل أساسي لتنظيم (معايير المعاملات الشرعية) بحيث يحتوي هذا الدليل القياسي على أسس مفاتيح البطلان وقواعد تنظيم الحقوق والالتزامات والمبادئ الأساسية للآثار العقدية، وبمعنى آخر الإجابة عن الأسئلة الثلاثة التالية: ما موانع صحة المعاملة؟ وما هي حقوقك؟ وما هي واجباتك؟ دون إغراق في تفصيلات الخلاف الفقهي بحيث يتمكن الفرد غير المتخصص من استيعاب القواعد الفقهية العامة التي تمنحه الاطمئنان الشرعي في إدارة استثماراته الشخصية ومشاريعه الخاصة، ويكون اعتماد هذا الدليل من المجامع المتخصصة مادة متاحة لبرامج التدريب الشرعي.

ويعود جزء من الهشاشة الفقهية في بعض المعالجات الفقهية المعاصرة المطروحة اليوم في القنوات الفضائية والمجلات الالكترونية إلى إشكالية معرفية في قلب منهج الاستدلال الفقهي، حيث يفتي كثير من المتصدّرين للفتيا في المسائل المعروضة عليهم بناء على مفاهيم إجمالية مطورة استقرت في أذهانهم حول القواعد العامة للمعاملات، كقاعدة الربا أو قاعدة الغرر أو قاعدة الضمان ونحوها، وهذه المفاهيم الإجمالية مأخوذة من الفهم المدرسي المباشر للنصوص الشرعية العامة دون استيعاب تحليلي لتصرفات الشارع التطبيقية في التعامل مع هذه القواعد العامة، ودون استخلاص لكافة القرائن العملية من مجمل السياق التشريعي في عصر النبوة،

كما يقول الإمام ابن تيمية: "ومن طرد القياس الذي انعقد في نفسه، غير ناظر إلى ما يعارض علته من المانع الراجح، أفسد كثيراً من أمر الدين وضاق عليه عقله ودينه" [مجموع الفتاوى لابن تيمية 51/29].

ولنضرب على ذلك مثلاً: فحين يأتي النص العام بالنهي عن الميسر، وأنه قد (نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الغرر) والغرر هو مجهول الحال أو المآل، فإن كثيراً من المتعاطين لفقه المعاملات اليوم كلما رأى مخاطرة في عقد مستجد ناشئة من جهالة الحال أو المآل هجم عليها بإسقاط النصوص العامة في حظر الغرر والميسر.

بيد أن دراسة التعامل النبوي التطبيقي مع عنصر الجهالة والمخاطرة يكشف أن هذا الفهم المجمل لمفهوم الغرر يتعارض مع مراد الشارع، فلم يرد الشارع بحال أن يحسم كل أنواع الغرر والجهالة بهذا الإطلاق الموهوم، فسيرته العلمية والتطبيقية تكشفت عن تشريع أربعة مستويات مختلفة من الغرر؛ إذ أجاز الشارع الغرر في غير عقود المعاوضات كما في هبة المجهول، وأجاز الشارع الغرر اليسير كما في بيع أساسات الدار، وأجاز الشارع الغرر التبعي كما في بيع الثمرة التي لم يبد صلاحها مضمومة إلى الأصل، وأجاز الشارع الغرر المحتاج إليه كما في بيع المغيبات.

وتكمن خطورة هذا المنهج المعتمد على عمومات النصوص دون استيعاب لتصرفات الشارع التطبيقية في أنه يندرج تحت آفة من آفات أحبار اليهود التي نهى الله فقهاء المسلمين عن سلوكها، وهي آفة (تبعيض الكتاب) عبر أخذ بعض نصوصه وترك بعضها الآخر كما قال تعالى في سورة البقرة "أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض".

وعلى صعيد آخر.. يخطئ كثيراً أولئك المثقفون المأخوذون بالسياقات الفكرية والفلسفية ممن يستهترون بعلم الفقه الإسلامي، وأن الأمر لا يحتاج كل هذه الجهود على أساس أن الدين واضح ميسر لا يحتمل كل هذا التعقيد الذي يحدث، وفي تقديري أن هناك خلطاً لمصدر التعقيد نشأ بسبب الفهم المجمل الذي يعوزه التفصيل لمكونات الإجابة الفقهية، فالواقع أن أية إجابة فقهية هي مزيج من عنصرين أساسيين هما: قاعدة وواقعة، فأما القواعد الشرعية فهي ميسرة بينة محكمة بمقتضى

النص القطعي (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وأما الوقائع فهي تزداد تعقيداً مع التطور المذهل في الحياة الإنسانية، وهذا يعني أن فقه المعاملات المالية ليس علماً شائكاً بسبب وعورة قواعد الوحي الإلهي – حاشا وكلا– ولكن بسبب حجم وطبيعة المعطيات والوقائع الاستثمارية الحديثة، فالتعقيد في الوقائع لا في القواعد.

وفي إطار محاولات الفقهاء الرواد في التواصل مع العلوم الحديثة ذات الصلة بفقه المعاملات المالية بخصوص تصوير العقود والوقائع المستجدة وتوضيح صيغ علاقاتها المؤثرة على الحكم الشرعي يلاحظ المتابع موقفاً مترعاً بالمفارقة في تحديد وزن العلوم الحديثة التي يمكن الاستفادة منها في هذا المجال.

فقد تم في هذا السياق بناء تواصل إيجابي معقول مع الاقتصاد الحديث، وتبادل للخبرات مع رجالات الاقتصاد من خلال استكتابهم في المجامع الفقهية، والاستناد إلى نتائجهم العلمية، وترجمة دراساتهم الأجنبية في تنام مستمر وملحوظ لمرجعية الاقتصاديين في الوعي الفقهي المعاصر، في مقابل القطيعة والنفور المذهل مع خبراء التشريعات التجارية والمالية الحديثة، على الرغم من أن خبراء التشريع من شُرّاح القانون ونحوهم في المجتمعات المتقدمة هم الوجه الحقيقي المقابل للفقهاء في المجتمع المسلم، بما يعني أن إمكانية استفادة الفقيه في تصوير العقود والمعاملات المعاصرة من خبراء القانون التجاري الحديث أكبر بكثير من إمكانية الاستفادة من خبراء الاقتصاد الحديث بسبب وحدة الوظيفة والهموم المشتركة بين علمي الفقه والقانون، في مقابل التفاوت الواسع بين وظيفة الفقه ووظيفة الاقتصاد، فوظيفة علم القانون دراسة تنظيم العلاقات الحقوقية بين أفراد المجتمع، أما وظيفة علم الاقتصاد فهي دراسة سلوك الإنسان في إدارة الموارد النادرة لإشباع حاجاته.

ولنضرب على ذلك مثلاً: فحين يدرس علم الاقتصاد موضوع (العمليات البنكية) من خلال مادة النقود والبنوك فإنه يدرسها بهدف تحقيق أكبر معدل تنافسي للعائد بصفتها أحد موارد التمويل وتوزيع الائتمان، أما علم القانون فحين يدرس هذه (العمليات البنكية) من خلال مادة القانون التجاري فليس معنياً بالبحث عن أنجع الوسائل لتعظيم الربح، ولكنه معني بدراسة الالتزامات والآثار الحقوقية الناشئة عن هذه العمليات عبر تحليل عناصر العقود والعلاقات بين العاقدين.

ويبرز أثر هذا الاختلاف جلياً في سائر الموضوعات المدروسة في العمليات البنكية بين العلمين، فمثلاً يدرس علم الاقتصاد عقد (الخزانة الحديدية) باعتباره أحد آليات تحقيق الأمان للعميل بما يستقطب المزيد من الأصول، بينما في دراسة فقهاء القانون لهذا العقد يذهب الجهد الأساسي لمناقشة تكييف هذا العقد: هل هو عقد وديعة باعتبار عنصر الحفظ؟ أم هو عقد إيجار باعتبار شراء المنفعة؟ أم هو عقد قرض باعتبار حرية التصرف؟

ويتضح للفقيه أن المدخل الذي يتناول علم القانون موضوعاته من خلاله أقرب إلى علم الفقه وأشبه ببينته المعرفية من المدخل الذي يسلكه علم الاقتصاد، بسبب تركيز علم القانون وإبرازه لذات العناصر والعلاقات التي يستهدفها علم الفقه، ولذا فهو أجدى وأكثر عائدة في تصوير العقود والوقائع المستجدة.

فالمفترض في فقهاء المعاملات المالية المعاصرة اليوم أن يتجاوزوا تلك الحساسيات التاريخية مع علم القانون، والتي نشأت في ظل مناخ من التوترات السياسية أججتها حالة الاحتجاج الشعبي ضد القسر الإمبريالي في تغريب التشريعات.

بمعنى أنه يجب على الفقهاء المعاصرين أن يعيدوا علم القانون إلى صورته الطبيعية المتوازنة من حيث كونه علماً وضعياً فيه ما يخدم الفقه الإسلامي، وفيه ما يتعارض معه، فما الذي يجعل علم الاقتصاد الوضعي ذا الصبغة الرأسمالية والمنشأ الغربي يجوز التواصل النقدي معه والتفاعل الإيجابي مع المختصين فيه، بينما يحرم هذا التواصل النقدي والتفاعل الإيجابي مع علم القانون الحديث؟ فواقع الأمر أن كلا هذين العلمين من حيث التصور الشرعي الطبيعي يقفان في ذات الخانة، وهي خانة (العلوم الوضعية) المرتبطة بالخبرة البشرية، والخاضعة للفحص الشرعي، فيؤخذ منها ويرد طبقاً للقاعدة العامة في الموقف من العلوم الوضعية، أي بحسب التوافق والتعارض مع أصول الشريعة.

وفي هذا السياق يجب أن نعترف وبمرارة أن علم (الاقتصاد الإسلامي) ابتعد كثيراً عن وظيفته الحقيقية، فبدلاً من أن يكون رجل الاقتصاد الإسلامي مشغولاً بالإبداع في دراسة وتحليل وتفسير ومعالجة علاقات الناتج القومي والإنفاق الحكومي، والسياسات النقدية، ومعدلات التضخم، واستراتيجيات إدارة الطلب، وقيود التجارة

الدولية، واختناقات الائتمان الإسلامي، والحلول التمويلية، وسائر عناصر الظاهرة الاقتصادية في ظل الإطار الإسلامي، تحوّل كثير من الاقتصاديين الإسلاميين عن المشاركة الفعلية في جوهر علم الاقتصاد، وانشغلوا بدور فقهي يختلف تماماً عن دورهم الأساسي، وهو التصدر لـ (فتاوى المعاملات) مع تقديم خلاصات اقتصادية يسيرة على هامش فتاواهم يتم اختصارها من المصادر المدرسية الغربية.

وما لم يتم تدارك الأمر وفرز الحدود الفاصلة بين العلوم الإسلامية والتفريق الواضح بين الدور الاقتصادي والفقهي والقانوني فإن المجتمع المسلم سيظل يعاني من علاقة التبعية بالإبداع الاقتصادي الغربي، ومن أخطر انعكاسات هذه الصيغة من صيغ العلاقة الثقافية بالآخر تسلل الشلل الفكري إلى إمكانيات الإنتاج، والإصابة بعقم الإبداع، نتيجة الاعتماد على جاهزية المنتجات الغربية، وترسيخ عاهات الإنقماع النفسي في قلب الثقافة الاجتماعية.

وعلى أية حال فإن استقلال الإبداع لا يعني التوتر مع منتجات الحداثة الاقتصادية المعاصرة، ولا يعني أن يكون الفقيه مهجوساً بحمل النصوص والتعسف في تصويرها كنقيض للاقتصاد الغربي، ذلك أن القيام بأمانة البيان للناس وحمل رسالة الفقه الإسلامي النبيلة ليس مرتبطاً بمخالفة خبرات الإنسان، بل مرتبط بشكل أساس بتقديم أدق منظور فقهي يستوعب مراد الشارع ومقاصده العامة التي يحبها الله ويرضاها ويتغياها في أحكامه؛ كالعدل، والقيام بالقسط، ورعاية المصالح، ورفع الحرج، وإزالة الضرر، واعتبار العرف، وإظهار الدين ونحوها من الغايات الإلهية الشريفة.

---

* محامي وباحث إسلامي سعود

================

#التسلح بالإعلام والسينما!

سارة الراجحي 1427/11/20

2006/12/11

حينما نتساءل: كيف لقلة من اليهود التغلغل والسيطرة على العالم خاصة أمريكا..؟ سنجد أن الكاتب والصحفي الإسرائيلي (إسرائيل آدم شامير) قد أجابنا في كتابه

(الجنة.. دراسة في الكابالا) بقوله: "ليس لليهود عباقرة يتميزون بشيء لا يوجد عند الآخرين حتى تمكنوا من توجيه الفكر الغربي، بل هم قوم عاديون، نجحوا في جعل برنامج عملهم برنامجاً عالمياً يتبناه الأوروبيون والأمريكيون..".

ثم يقدم نماذج لذلك النجاح، ومن ذلك أنه في الحرب العالمية الثانية أُلقيت قنبلة نووية على اليابان فمسحت من الخريطة مدينتين كبيرتين هما هيروشيما وناجازاكي، وتعرض اليهود في ذات الوقت لمحرقة على يد الزعيم الألماني النازي هتلر، غير أن الإعلام ركز أكثر على اليهود، ولم يركز على اليابانيين الغابرين في لمح البصر .. وهذا ملموس بالفعل، فلقد اشتهر فيلم (هيروشيما هي حبي)، غير أنه لا يوازي شهرة فلم مثل (لائحة شنايدلر) الذي طمره و غيره، و حصد العديد من جوائز الأوسكار.. وذلك وغيره لأن اليهود سيطروا على وسائل الإعلام والسينما، فتمكنوا من تحويل الناس إلى بهائم مدجّنة على حد تعبير الكاتب شامير..!

والمتتبع لتاريخ اليهود يجد أنهم لم يكونوا سوى قلة محتقرة حينما حذر الرئيس الأمريكي (فرانكلين) منهم في أحد خطاباته: "أينما حل اليهود هبط المستوى الأخلاقي والشرف التجاري. فقد ظلوا دائماً في عزلة، لا يندمجون في أية أمة، يدفعهم الشعور بالاضطهاد إلى خنق الأمم اقتصادياً، كما حدث في أسبانيا والبرتغال. فإذا لم تُقصِهم الولايات المتحدة عن دستورها، فسنراهم في أقل من مائة عام يقتحمون هذه البلاد لكي يسيطروا عليها، ويدمروها، ويغيروا نظام الحكم الذي سالت من أجله دماؤنا ..."

وقد حدث ..!

كانوا يرفلون في التخلف والمهانة، لكنهم بسبب أنشطتهم في"الجيتو"، وفي المسرح "اليديشي" أقبلوا على العمل في مجالات الاستعراض و التمثيل، وبالتالي استقطاب الجمهور من العامة، وشيئاً فشيئاً ظهرت الشركات المتخصصة في هذا المجال، والتي لا تزال إلى الآن تحت سيطرتهم وأبرزها: "فوكس للقرن العشرين- يونيفرسال- جولدن- وارنر- بارامونت- كولومبيا..." وغيرها.. والتي استطاعت على مر العقود الدفاع عن قضايا الصهيونية على الرغم من عدم عدالتها ونزاهتها وتقديمها كقضايا إنسانية تستدر تعاطف المتلقي، إضافة إلى نشر الروح القومية بين يهود العالم، مع

تبرعاتها السخية، لتي حصدتها من جيوب المشاهدين بمن فيهم العرب والمسلمون، عبر مراحل تراعي السير وفق الخط التاريخي و السياسي، وبالتالي المساهمة في صنع الأحداث.. فمثلاً اعتمدت في البدء على قصص التوراة لترسخ فكرة أرض الميعاد، وبعد وعد بلفور صارت قضيتها التهجير إلى هذه الأرض.. وبعد حرب 48 أخذت السينما تبث فكرة ضرورة الاقتناع بإسرائيل ونسيان فلسطين.. وتوالت الأفلام التي تحمل فكرة حق اليهودي في استعادة ما سُلب منه، إضافة إلى أفلام (الأوشنينز) و (الهولوكوست) والتي قُدّمت في قالب إنساني.. مع بث فكرة عن اليهود توهم أنهم أكثر الأشخاص ذكاء وعلماً وإنجازاً وإنسانية بعكس العرب الذين يمتلكون الأموال و لا يعرفون كيف ينفقونها إلاّ في الملذات و الإرهاب.. مما جعلهم يكسبون تعاطف الكثير معهم والدفاع عنهم، وتقبل وجودهم وأحقيتهم في فلسطين، وأن ما يجري هناك من اجتياحات حق شرعي في مكافحة إرهاب حجارة الأطفال العرب..!

هذا التغلغل اليهودي عدّه نعوم تشومسكي وإدوارد هيرمان في كتابهما "صناعة الإجماع" أول كابح للإعلام الأمريكي: "فالإعلام الأمريكي ملك لحفنة قليلة من رجال الإعلام الأثرياء والشركات العملاقة، ومهما تكن الحرية التي ينعم بها قانونياً فهو لا يستطيع أن يبث ما يؤثر سلباً على مصالح مالكيه".. فالسكوت عن نقد إسرائيل مسوّغ بملكية اليهود لأهم وسائل الإعلام، مع حاجتهم إلى الدعاية، والخوف من اتهام معاداة السامية الذي تُسنّ لأجله قوانين صارمة، وغير ذلك..

إن التفوق في المعلومات لم يعد مهماً بقدر أهمية السيطرة على المعلومات والتحكم في تقديمها للآخرين وفق المصالح والأيدلوجيا الخاصة بالمُرسِل.. وهذا ما يحدث الآن في عصر الإعلام والعولمة، واللذين كانا غرماً علينا، غنيمة لغيرنا في الغالب.. فهم قد سيطروا على الإعلام بنوعيه المباشر وغير المباشر.. المباشر الذي يصوغ الخبر ويقدمه لك مباشرة أياً كانت صورته، عبر قنوات الأخبار العالمية مثلاً – وهذه القنوات الآن غالباً إما أن تكون تحت سيطرة اليهود مباشرة، أو تكون تحت سيطرتهم بطريقة غير مباشرة – و الإعلام غير المباشر الذي يخفى علينا كثيراً كونه إعلاماً؛ لأنه يبدو كبرامج عادية حيادية لا تهدف لشيء.. إنما هي في حقيقتها

ضمن خطة متكاملة تهدف إلى إيجاد حالة لا انتماء وبلادة و ضعف المخزون المعرفي، وبالتالي التهيئة لتمرير الأفكار.. وهاهو إعلامهم يتدفق علينا بإذهال وتنوع سواء في التقارير الإخبارية أو البرامج الوثائقية والحوارية، أو الصحف والمجلات، أو الأفلام، وغيرها..

لقد تأخرنا في امتلاك هذه الأدوات، وحينما توفر شيء منها، فغالباً ما سخرها أصحابها النفعيون لنخر مجتمعاتنا بالتافه والساقط والهادم، ولكم أن تقارنوا بين أشهر برامج تلفزيون الواقع لدينا في العالم العربي ومدى ما بثه من إسفاف وإلهاء وميوعة، وبين أحد برامج الواقع الإسرائيلية الذي هدف إلى تلميع صورة الكيان الإسرائيلي عبر اختيار عدد من الشباب والفتيات والمنافسة بينهم لاكتساب مهارات ذلك، من خلال مناقشة قضاياهم حول العالم، ومن ثم ترشيح السفير الذي يجيد إيصال صورة جيدة لبلده وحشد التأييد لها..! ولكم أيضاً أن تقارنوا بين الأفلام التي سُخرت لخدمة الكيان الصهيوني، وبين الأفلام العربية التي تفننت في خدش مجتمعاتنا وقيمنا، ولم تقدم شيئاً إيجابياً يُذكر، فضلاً عن إمكانية الاتكاء عليها في حمل همومنا و قضايانا..!

الإعلام أصبح أقوى من الجيوش، و تلك الشاشة الفاتنة، لها تأثيرها و وزنها، و بإمكانها أن تمحو أو تشوه خلال ساعة ما استغرق البيت والمعلم بناءه خلال أشهر؛ فهي ليست مجرد أداة ترفيه بل أداة توجيه وبث فكري وعقدي سواء كان ذلك ظاهراً أو مستتراً .. فلماذا نعجز عن استغلالها كما فعل اليهود..؟ ولماذا نبتعد بحجة تردي الأمر الواقع، و نستسلم له و ننوح عليه بدلاً من التصارع مع الباطل، وتقديم البديل وإصلاح الواقع..؟! لماذا لا تمتد أيادي حملة هم الأمة إليها بدلاً من الاكتفاء بالوسائل التقليدية التي لا تستطيع مجاراة (رتم) هذا العصر..؟! لماذا لا نمزج بين الفنان المتدين في فنه و رجل الدعوة المتفنن في دعوته..؟

إن اختزال و تصنيف هذه القضية في خانة التحريم ببساطة جعلنا نفقد الكثير، خاصة وأن جزءاً كبيراً من الواقع يعيش خارج نطاق هذا الإفتاء.. وحينما نتجاوز حدود النقاش في حكمها إلى حدود المطالبة باستغلالها لصالحنا لا يعني هذا أننا نخرج عن ثوابت الدين، ما دمنا نؤكد على مسألة الضوابط العقدية والأخلاقية، وعدم

إطلاق يد من يقوم عليها كيفما اتفق.. وبالتالي تحويلها من غرم علينا إلى غنم لنا ..

لذلك أعود وأقول بأننا نعيش فقراً فنياً حقيقياً في الإنتاج كماً ونوعاً، على الرغم من توفر روافد هذا الإنتاج، وهي القضايا الإنسانية العادلة، والقيم الرفيعة السامية، والإرث الثقافي والحضاري.. والذي يحتاج إلى من يصوغه ويقدمه باحتراف، عبر استثارة وجدانية كمنفذ ضوء على الحقيقة المتوارية أو التي تحتاج إلى تعزيز، دلاً من الاتكاء على البرامج الحوارية والإلقائية المباشرة،خاصة وأن الكثير منها يعاني من الضعف والخفوت إما مضموناً أو أسلوباً.. أما القدرة على استثارة وجدان الآخرين وتقديم التجارب الإنسانية فإنه يفتح أقصى تخوم النفس، و يستنطق الحقائق التجريدية والرموز، ويسكب حولها الدلائل، أي أنه يحدث تفاعلاً عميقاً بين الوجدان وبين الرؤية العقلية، وبالتالي تحدث رؤية مغايرة للصورة السابقة حتى التي قد تكون نمطية راسخة من الصعب إعادة تشكيلها، و من ثم يتغير التقدير و التعامل مستقبلاً..

إن علينا اجتراح آليات تستمد وقودها من نسقنا العقدي و الاجتماعي والثقافي الذي يفرز قضايا تحتاج إلى نوع من التوإم ومحايثة المتغير .. خاصة وأن لدينا معيناً لا ينضب من هذه القضايا والتجارب الإنسانية، التي من الممكن استغلالها لضخ الحقائق، كما فعل المخرج العقاد – رحمه الله – في فلم "عمر المختار".. حينما حرّر هذه الشخصية الرائعة و "الكاريزمية" من إسار جمود التاريخ و تصوره المجرد عند كثير من الأجيال إلى شخصية مُجسدة مفعمة بالجهاد و التفاصيل الإنسانية والعميقة لا يفتر لمعانها..

لدينا رسالة عظيمة تحتاج البلاغ .. لدينا فلسطين، والشيشان، والعراق، والنيجر.. لدينا صلاح الدين، وابن تاشفين، والدرة، وإيمان حجو.. لدينا جدار العزل والاستعمار والاحتلال، لدينا الأقليات والأسرى، لدينا الفقر والأمية والبطالة ونهب الثروات والتغريب.. لدينا عمق التاريخ و أصالة التراث، لدينا العبق المشبع بالقيم والجمال.. لدينا الكثير الكثير.. في حين يعاني الغرب واليهود من قلة تلك الروافد، ومع ذلك يستمر إنتاجهم ولو بأفلام الرعب والخيال العلمي و"الأكشن".. ونحن نتفرج بعناية..!

إننا بحاجة إلى إعلام و فن يعكس التصور الإسلامي، و سينما جادة ومؤثرة توظف لصالح قضايانا ومصالحنا المشتركة وتحدّ من تأثير الفن و السينما الغربية التي تنخر في جسدنا منذ أمد.. بحاجة إلى جيل من الكتاب والمخرجين الذين يقدمون القضايا من منطلق إسلامي صحيح و وفق الضوابط، ولديهم القدرة على المزج بين الرقي القيمي والإبداع الفني، عبر لغة تأثيرية، تستنفر حواس المتلقي و تؤثر على سلوكه و آرائه و مواقفه ، فلا يمكنه العودة كما كان، فثمة لغة حرّضت مشاعره وفكره وتساؤله..

و في هذا العصر الذي تنبض عروقه بالصور واللغة التأثيرية بكثافة، علينا مداهمة التواءاتها - العصيّة والطيّعة في آن - عبر العمل الدائب والجاد وذي البصيرة لملء أوعيتها بما يخدم الإسلام، و يحقق أهدافه ومقاصده، و يخدم المسلمين ويساهم في إعداد أجيال لها هوية كاملة ومتوازنة، و يحقق الانتماء إلى أمتنا و وشد الوشائج فيها و نبذ الفرقة، و يشكل رأي عام فاضل ومنضبط، و يعزز الفضائل ويمجدها، ويجسم الأخطاء ويُجنّبها، مع احترام مستوى المتلقي وذائقته..

والفن مهما كان جامحاً وهلامياً ومدفوعاً بالشغف إلى الخروج عن المألوف لإحداث الجذب، إلاّ أنه من الممكن استدراجه وتطويعه عبر استجلاب المفاهيم و القيم الضالعة في السمو لتندغم فيه وتنصهر معه، فيحدث- ولو جزئياً - تحقق المقاصد وبلوغ المرامي وإحداث التوازن بين ثنائية الثوابت والمتغيرات التي نعيش في كنفها.. لذلك نهيب بالمؤسسات والمنظمات والقنوات الإسلامية تبني هكذا مشاريع عبر التخطيط والتأليف والاستعانة بالخبرات و الإشراف والتمويل والحوافز، وسيأتي الجني و الأرباح - بأنواعها - تبعاً بمشيئة الله

==============

#أزمة الحجاب.. على يد وزير الثقافة المصري

د . ليلى بيومي 1427/11/6

2006/11/27

الأزمة التي أثارها فاروق حسني وزير الثقافة المصري، لم تكن مفاجئة للمتابعين للشأنين الثقافي والإسلامي. فالهجوم على الإسلاميين، بصفة عامة، ليس مستهجنًا على المستوى المصري الرسمي، وكذلك على المستويين الثقافي والإعلامي.

القضية بشكل أو آخر، تختزل الصراع الثقافي وصراع الهوية بين النموذج الإسلامي الأصيل والنموذج العلماني الغربي الذي وفد إلى عالمنا العربي والإسلامي مع قدوم الاستعمار الغربي في العصر الحديث.

وقد بدأت عملية "علمنة" المجتمع المصري وتغريبه على يد محمد علي، الذي كان منبهرًا انبهارًا كاملاً بالثقافة الغربية والمدنية الغربية.

ومنذ عهد محمد علي ترسّخت العلمانية في المجتمع المصري، وأصبحنا نرى إنتاجًا ثقافيًا وأدبيًا يحذو حذو الغرب، ويدير ظهره للهوية الإسلامية والتراث الإسلامي، وليته وقف عند هذا الحد فقط؛ بل أصبح همه الأساسي هو الهجوم على التيار الإسلامي ورموزه ومشروعه.

ولقد كانت البعثات العلمية وسيلة من وسائل الدولة المصرية، منذ عهد محمد علي وحتى الآن، لمتابعة الحضارة الغربية وإنجازاتها. وكان فاروق حسني هو واحد من هؤلاء المبتعثين، ثم أصبح ملحقًا ثقافيًا في روما، فاطلع على الثقافة الغربية وانهزم أمامها؛ لأنه لم يكن محصنًا بالثقافة العربية الإسلامية بشكل كاف.

وما حدث لفاروق حسني حدث للكثيرين غيره من روّاد الثقافة، مثل قاسم أمين وأحمد لطفي السيد وطه حسين وهدى شعراوي.. الخ.

نصف علماني ونصف إسلامي

ولقد وجد المسؤولون المصريون على امتداد التاريخ المعاصر أنفسهم في معضلة ليست سهلة. فهم من ناحية يعرضون أنفسهم على أنهم بلد الأزهر والريادة للعالمين العربي والإسلامي، وهذا يستلزم احترامًا معينًا لثوابت الدين والشريعة، وفي نفس الوقت هم خاضعون أيضًا للتراث المصري الذي أسسه محمد علي، والذي يؤكد على علمانية الدولة، أي الفصل بين الدين والدولة.

وقد اتزن ميزان الدولة المصرية عند هذا الحد الدقيق بين النقيضين (الإسلام والعلمانية). وهكذا فإن علمانية مصر ليست هي العلمانية المتطرفة كما هو الحال

في تركيا أو تونس، ولكنها علمانية من النوع المخفف، الذي لا يخاصم الشريعة الإسلامية، ولا الرموز الإسلامية بشكل عام.

وما فعله فاروق حسني هو توريط للدولة المصرية ونقلها من حالة العلمانية المخففة إلى حالة العلمانية المتطرفة التي تسخر من الرمز الإسلامي (الحجاب) وتستهزئ به على الرغم من أنه ثابت بالقرآن والسنة، ولا مجال للتشكيك فيه.

كما أن نساء مصر، في غالبيتهن، يرتدين الحجاب (وإن بدرجات متفاوتة وأزياء مختلفة) ليس انطلاقًا من انتماء لتيار إسلامي أو آخر، ولكن لأن هذا الزي أصبح مكافئًا للزي الوطني، الذي يؤكد الهوية الوطنية للنساء المصريات.

ولذلك لم يكن مستغربًا أن يشن نواب الحزب الوطني (الذي هو حزب الحكومة التي ينتمي إليها الوزير) في البرلمان هجومًا كاسحًا على فاروق حسني بصفته تجاوز الخطوط الحمراء التي ما كان له أن يتجاوزها. لدرجة أن الدكتور زكريا عزمي رئيس ديوان رئيس الجمهورية، والسيد كمال الشاذلي الوزير السابق والقيادي البارز في الحزب الوطني؛ شنّا هجومًا عنيفًا على الوزير، وأكّدا أن زوجتيهما وبناتهما محجبات، ومعظم نساء مصر محجبات، وما كان ينبغي للوزير أن يقع في هذه السقطة التي تجعل الحزب والحكومة في مواجهة مباشرة مع القاعدة العريضة من الجماهير المصرية من مختلف الفئات الاجتماعية والسياسية.

إحراج الدولة

وهكذا وجدت الدولة نفسها في حالة حرج بالغ سببها لها وزير ثقافتها.. خاصة بعد أن وصف المشايخ بأن الواحد منهم "بتلاتة مليم". وفي هذا استخفاف بالمشايخ الذين هم القادة الحقيقيون للمجتمع المصري الذي يكن لهم احترامًا كبيرًا.

الحرج الذي أصاب الدولة المصرية كان حرجًا على المستوى العربي والإسلامي .. فكيف لمصر بعد ذلك أن تتباهى بأنها بلد الأزهر والحصن المنيع الذي يدافع عن المصالح العربية والإسلامية؟

ثم إن الوزير فاروق حسني فعل فعلته بلا أي مسوّغ .. فلم يكن هناك ما يستدعي ذلك، وليس من كياسة الوزراء أن يصدموا الناس في رموزهم الدينية وثوابتهم الشرعية

بمثل هذه الفجاجة. لو كانت الدولة تخوض حربًا معينة ضد الإسلاميين لقلنا إن الوزير يقوم بدوره في هذه الحرب.. فأين هذه الحرب؟

ثم إن الوزير لا بد أن يتصف بالذكاء في اختيار ألفاظه، وهو ما غاب عن فاروق حسني. خلاصة القول: إن الوزير الذي استمر (19) عامًا في الوزارة، وهو مقرب بشدة من مؤسسة الرئاسة ارتكب الجرم الذي لا يُغتفر.

هناك الآن عدة سيناريوهات للخروج من المأزق الذي سبّبه فاروق حسني للنظام:

فإما أن يسحب البرلمان الثقة من الوزير وبالتالي يجبره على الاستقالة.. وهو احتمال ممكن ولكنه ليس سهلاً.. بل مستبعدًا لأن الرئيس مبارك لا يؤيد هذا الاتجاه، ولا يميل إليه بل يعارضه. وإما أن تجبر رئاسة الجمهورية الوزير على هذه الاستقالة.. وإما أن يصدر قرار بالإقالة بدون انتظار أن يقدم الوزير استقالته.

بين زكي بدر وفاروق حسني

هناك وجه شبه كبير بين ما حدث لوزير الداخلية الأسبق زكي بدر وما يحدث الآن لفاروق حسني. فزكي بدر استمر لسنوات طويلة يهاجم التيارات الإسلامية على اختلاف مشاربها، ويصف قادتها بأشنع الصفات.. ومع ذلك كانت الدولة تشجعه ويعجبها ما يقوم به. ولكن ذات مرة نسى زكي بدر نفسه في أحد الاجتماعات الخاصة، وراح يسب ويلعن الرموز السياسية والثقافية والإعلامية من مختلف الاتجاهات العلمانية واليسارية والقومية والليبرالية، وقام أحد الصحفيين بجريدة "الشعب" بتسجيل كلام الوزير، ونشرته الجريدة في خبطة صحفية كبيرة، فتمت إقالة الوزير بعد ساعات من نشر كلامه في ذلك الاجتماع.

الخطيئة التي وقع فيها زكي بدر هي أنه وسّع دائرة الهجوم، واستهدف اتجاهات أخرى غير الإسلاميين. وكذلك فعل فاروق حسني، فهو لم يهاجم الإسلاميين كتيارات تمارس العمل السياسي أو الثقافي، وإنما استهزأ برمز إسلامي تواترت به نصوص الدين، ويحظى باحترام بالغ في نفوس كافة المصريين على اختلاف مشاربهم وليس الإسلاميين فقط.

المشكلة ليست فاروق حسني

المشكلة إذًا ليست في فاروق حسني ولا فيما قاله، وإنما المشكلة هي في الإطار الفكري العلماني الذي أصبحت له أرضية وجذور لا يُستهان بها في مصر، وأصبح محضنًا يحتضن الكثيرين غير فاروق حسني، الذي لن يكون آخرهم.

إنني لم أستغرب ما قاله الوزير، ولم يقلقني، وإنما أقلقني ما قاله رموز التيار العلماني من مساندة للوزير فيما نطق به (بالحق أو بالباطل). فهؤلاء يعدّون الوزير في مهمة مقدسة دفاعًا عن "حرية التعبير"، التي هي في اعتقادهم حرية الإساءة للثوابت والمقدسات، كما أنها في الوقت نفسه حرية التفلّت من الدين.

تصريحات وزير الثقافة المصري عن الحجاب إذًا ليست شاذة على الأرضية العلمانية، والدليل على ذلك أن كثيرًا من الإعلاميين المتنفذين في وسائل الإعلام المصرية وبعض المثقفين يعتبرون الحجاب ظاهرة "وهّابية"، وانتشاره "وباء" يهدد مستقبل النساء، وهم مع ما قاله الوزير قلبًا وقالبًا، سواء كان هذا رأيه الشخصي أو رؤيته كمسؤول في الدولة، فالحجاب (في رأيهم) نبتة زرعها الرئيس الراحل أنور السادات في سبعينيات القرن الماضي. ويتمادى هؤلاء في غيّهم قائلين إن فرائض الإسلام خمسة ليس من بينها الحجاب، ولا النقاب وعندما فُرض الحجاب كان ذلك على نساء النبي والمؤمنات المعاصرات له فقط.

ويذهب الخيال والكذب ببعضهم حين يزعم أن الحجاب يشكل اعتداءً على مستقبلهن، وأن هناك من يدفع أموالاً لكل من ترتدي الحجاب.

وكلها افتراءات علمانية بغيضة.. الواقع يكذبها وحجاب الفتيات في المدارس والشوارع يؤكد أن الصحوة الإسلامية نبْت ربانيّ، الله وحده يرعاها، ويتكفل بحمايتها وصدق الله القائل: (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً)

=============

#الاجتهاد والتجديد .. هل من مزيد؟!

سارة الراجحي 1427/9/6

2006/09/28

يتهيّب الكثيرون من "التجديد"، ويجعلون منه مصطلحاً مرادفاً للتغريب أحياناً، و حينما ينادي بعض المصلحين المخلصين بضرورة التجديد في الفقه الإسلامي مثلاً أو في الخطاب الدعوي، أو في قضايا المرأة .. نجد أن هناك من يعترض، ويقابل ذلك بالتشكيك؛ ظاناً أنه ليس بالإمكان أفضل مما كان .. عبر نزعة استصحابية تشكل عقدة الحفاظ على العادة والمألوف وبناء حاجز أمام كل جديد، حتى وإن كان هو الأصيل الذي ينبغي الاتكاء عليه!

و إذا كان التجديد هو إعادة الشيء الذي بلي وقدم وتشوهت سماته الأصلية إلى حالته الأولى .. فهذا يعني أنه يرادف الأصالة لا أن يعارضها؛ لأن الأصالة تعني تأكيد الهوية و العودة إلى الأصول والثوابت والمرتكزات التي تنبثق منها الأمور، وهذا يفسر لنا قول الرسول صلى الله عليه وسلم:"إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد دينها" رواه أبو داود .. أي أن هذا المجدد لا يبتكر ديناً أو يبدله، إنما يحيي ويصلح أمور المسلمين وعلاقتهم بدينهم، مقوّماً ما انحرف، ومظهراً ما اندرس.. بالإضافة إلى أن عملية التجديد مستمرة، وليست متوقفة عند أشخاص معينين نظن أن الزمان لن يجود بمثلهم.. كما أنه يتضمن الدعوة إلى التجديد عبر اجتهاد المسلمين؛ لأن السماء لا تمطر مجددين..!

لذلك نحن بحاجة إلى التمييز وعدم الخلط بين التجديد الذي يُعدّ جزءاً حيوياً من ديننا، و بين التجديد بمفهومه الغربي الذي يغلب عليه مجاوزته للماضي وانسلاخه منه، والذي ينظر بمنظور الفلسفة "البراغماتية" التي ترفض القيم المطلقة وثباتها، وتتخذ الواقع ونجاح التطبيق مقياساً للحق وصدق الفكرة.. فالتجديد الذي نحن بصدده يعود للأصول ولا يهدرها، ولا يعتمد الواقع مقياساً للحق والصواب، بل يتحرى فيه الوسائل التي ينزل عليها القيم ليرتقي ويرتبط بها.. أي أنه يقرر القيم والمبادئ الثابتة، ويربط بينها وبين واقع العصر عبر منهجية مقاصدية في فهم النصوص، كما كان في عصر الرسول والصحابة، وكما فعل أئمة المجتهدين.. فكل مشروع نريده أن ينهض ويتحضر لا بد أن يتوغل في الأصالة بنفس درجة توغله في الحداثة.. وإلاّ كان مجرد قديم مقلد، أو غريب مستجلب.

و تجدر الإشارة إلى أن الدين به الثابت والمتغير، فلابد من التفرقة بين القطعيات والظنيات، والأصول والفروع، والأهداف والوسائل.. لأن القطعيات والأصول والأهداف ثابتة، لا مجال للتجديد فيها، أما الظنيات والفروع والوسائل فهذه تحظى بمساحة كبيرة من المرونة و قابلية الاجتهاد البشري، وهذا الذي أكسب ديننا صلاحيته لكل زمان ومكان، فالنصوص متناهية، والأحداث والوقائع والقضايا غير متناهية، لا سيما في عصرنا.. فلا بد من الاجتهاد والتجديد الذي يستدعي الأحكام والحلول الشرعية المناسبة لخضم أحداث عصرنا..

إن محاكاة الماضي المطلقة وتقديس التراث بكل أشكاله وإشكالياته يكون حجر عثرة أمام مهمة الاجتهاد، ويشكل برزخاً بين التجديد والأصالة الحقيقية، يفصل روابط الامتداد والتفاعل والحيوية، و يوثق روابط الجمود والإمعية والغياب عن مستجدات الحياة.. ولا يعني هذا إهمال التراث بالكلية وطرحه جانباً – لا يُقصد به القرآن والسنة فهما فوق التراث – بل يعني فهم هذا التراث وإعمال النص والعقل فيه لا مجرد حمله وحفظه والتسليم به، حتى لا يقع الانفصال والجمود وتعطيل البحث والتمحيص.. بل يقع الإحياء والانتفاع والاستئناس به .. فهو إحدى لبنات التجديد ..

و يجدر التنويه هنا إلى ضرورة التفرقة بين كلام الله – عز وجل – ورسوله – صلى الله عليه وسلم – و بين كلام بقية البشر؛ لأن البعض يجعل اجتهادات بعض العلماء السابقين كالوحي المنزل من السماء أو كالمسّلمات، فيتوّهم بعضهم الآخر أن تجاوزها هو تجاوز للدين نفسه.. فتقع العداوات والخصومات فيها.. وصارت كالعملاق الذي تتضاءل أمامه أي اجتهادات جديدة، يرمي بعضهم أصحابها بما لا يليق بهم، موهمين الآخرين بأن ثمة معركة بينهم وبين الدين أو الأئمة الأعلام .. بينما اجتهادات الأئمة الأعلام هي في حقيقتها استنباطات تحتمل الصواب والخطأ، و ليست حكم الله، بل الأقرب إليه ظناً، لهم أجران إن أصابوا، وأجر إن أخطؤوا، كما هو الحال تماماً مع الجُدد، وكما أكدّ على ذلك الأئمة أنفسهم حيث ذموا التقليد وندّدوا بمن يدع النظر .. فقد كان الإمام أحمد مثلاً يوصي أصحابه:"لا تقلّدوني ولا مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري، وخذوا من حيث أخذوا".

نحن بحاجة إلى فهم أهمية التحرر من قيد التقليد والتقديس، واستبداله بالتقدير و الاجتهاد و التجديد .. كي تستهدي عقولنا بهدي الله، وكي تتناغم الشريعة الغراء مع حركة الزمن عبر تطبيق عملي شامل، لا مجرد صندوق من الشعارات نستعين به عند التنظير، وحتى نكون في المنتصف بين اجترار الماضي وتوهم العيش فيه وتقديس التراث بلا مراعاة للواقع وفقهه، وبين الانبهار بالغرب ومحاكاتهم وتقديس حضارتهم بلا مراعاة لأصول الدين.. ونكون بعيداً عن النظرة الأحادية هنا وهناك التي عادة ما تكون قاصرة ومنحازة ..

و بحاجة إلى اجتهادات فردية وجماعية عبر مؤسسات وجمعيات فقهية يقوم عليها علماء أجلاء من مختلف البلدان الإسلامية مشهود لهم بالعلم والفقه وسلامة الرأي والمنهج، يمتلكون أدوات التجديد وضبطه، ليحركوا بها فكرنا وعلومنا الراكدة، ويشرفوا على البحوث العلمية التي تستند إلى الكتاب والسنة، وتراعي الطريقة والعقلية المناسبة لطبيعة عصرنا، يُستفاد فيها من معطيات العصر ووسائل البحث الجديدة، ليبلوروا ويشيعوا "الأصالة المعاصرة" و "المعاصرة الأصيلة"، بعيداً عن وطأة التناقضات التي تفرزها بعض التيارات والتوجهات الفكرية.

===============

#هيئاتنا الدعويّة الخليجيّة: آن أوان فضائيّاتكم الدعويّة

عبد العزيز محمد قاسم * 1427/11/1

2006/11/22

زرت بلاد المغرب مع أستاذي د.عبدالقادر طاش –يرحمه الله– مع بدايات قناة (اقرأ) الفضائية قبل أكثر من سبعة أعوام، وانطبعت صورٌ اجتماعية عديدة في ذهني ونحن نتجول في أزقتها ونرتاد بعض مقاهيها في أويقات الراحة، وبالطبع كانت الصورة تغريبية بالكامل جرّاء الاستعمار الفرنسي الطويل لتلك البلاد. وتسنّى لي زيارتها قبل عام تقريباً، وألفيت كثيراً من التغيير الايجابي نحو التدين والحمد لله، وكنت أسأل بعض المغاربة عن سبب فُشُوّ ظاهرة الحجاب بين الفتيات، والإقبال الكبير للشباب على المساجد، فكان الجواب الذي ينتصب عالياً أينما يمّمت بسؤالي:

إنها الفضائيات الإسلامية والدعاة الجدد أمثال: عمرو خالد ومحمد العوضي وطارق السويدان وعايض القرني.

وقبل شهرين كانت لي زيارة إلى تونس، وكنت حريصاً على ولوج المساجد هناك وأداء الصلوات بها، لفرضية ذلك بالطبع ولولعي بمشاهدة الطقوس التي تسبق أداء الصلاة، أو تلك التي تُؤدّى بعد التسليم، وخصوصاً أنني إزاء مالكية لا يتوافر لمثلي معرفة دقائق مذهبهم، وبالطبع تبدّدت من أول زيارة أوهام مسألة الدخول بالبطاقات للمساجد التي راجت في أوساطنا الإسلامية؛ فتلك كانت فِرية غير صحيحة إطلاقاً، وكنت سعيداً جداً وأنا أرى شباباً غضاً يملؤون المساجد ويواظبون على الجماعة، خلاف ما اعتدناه من حرص كبار السن فقط على اعتياد المساجد. وتستلفتك مناظر الفتيات اللواتي يلتزمن الحجاب الشرعي، وإن كانت نسبتهن أقل مقارنة بما رأيته في المغرب مثلاً، إلا أنني أجزم بأن سنوات قليلات ستمضي، وسنرى جموع هذه الفتيات كأخواتها في مصر.

ما فعله الاستعمار الفرنسي في تغيير هوية دول المغرب العربي ليس سهلاً بالتأكيد، ونحمد لكل أولئك الذين حافظوا على عروبة وإسلام تلك الدول، ووجدتني وأنا إزاء المدن الساحلية السياحية المليئة بمناظر التغريب، أتمتم بيني وبين نفسي كلمات الكاتب الأميركي (باتريك بيوكانان): "إن قوة العقيدة الإسلامية لمدهشة حقاً.. لقد قاومت العقيدة الإسلامية قرنين من الهزيمة والمذلة؛ إذ هُزمت الخلافة العثمانية، وصمدت تلك العقيدة أجيالاً تحت الحكم الغربي، وتغلبت على مسيرة التغريب في مصر والعراق وليبيا وإثيوبيا وإيران.. لقد تغلّب الإسلام بسهولة على المدّ الشيوعي والناصرية القومية، والآن يصارع القوة العالمية الجديدة". وزاد يقيني بمقولة الكاتب والسياسي الأمريكي وأنا أتجول في أروقة جامع الزيتونة في العاصمة تونس، وصلّيت في محرابها، وقد جثمت عليّ صور شيخ المؤرخين ومؤسس علم الاجتماع العلاّمة ابن خلدون الذي كان يلقي دروسه في هذا المسجد حيناً من الزمن، ويفخر به التوانسة كثيراً، وقد أقاموا له نصباً كبيراً في أهمّ شارع بالعاصمة.

الحقيقة أنني رأيت تأثير هذه الفضائيات والدعاة الجدد في الشارع التونسي والحمد لله، مما ألحّ عليّ سؤالات واقتراحات ما فتئت تؤرقني حيال تفعيل دور هذه

الفضائيات، وعن سبب إحجام الدعوة في امتطاء هذه التقنية الخارقة التي تخترق الحدود والجغرافيا والحواجز التي تقيمها الأنظمة السياسية على اختلاف توجهاتها.

في تصوّري المتواضع بأنه آن الأوان لأن تنقلب الهيئات الخيرية والدعوية في بلادنا الخليجية على طرقها التقليدية في الدعوة، من أمثال كفالة معلم وكفالة داعية وطبع كتاب ومطويات، على خيرية ذلك كله، إلاّ أنها تبقى وسائل قديمة تشوبها كثيرٌ من المآخذ. لا بدّ على هيئاتنا الدعوية الموقرة من امتطاء الأقنية الفضائية بشكل جديد، وإيلاء هذه التقنية حقها من العناية والاهتمام، وأنا أوجه دعوتي لدعاة عمالقة لهم قدم راسخة وفكر مستنير من أمثال د.عبدالله التركي ود.صالح الوهيبي ود.عبدالوهاب نور ولي ود.عدنان باشا ود.عبدالحميد الزامل ليتلمسوا عينية امتطاء هذه الوسائل في الدعوة إلى الله.

أفلا يَسَعُ هيئاتنا الدعوية الكبيرة من أمثال رابطة العالم الإسلامي والندوة العالمية للشباب وجمعية الإصلاح الكويتية منها والبحرينية والوقف الإسلامي وهيئة الإغاثة، بل حتى وزارة الشؤون الإسلامية، أن تكون لديهم أقنية فضائية دعوية خاصة بهم، لاسيما أن أكلافها المادية لم تعد كبيرة مقارنة ببداياتها، إضافة إلى أنها قناة أمينة موصلة للأدبيات المعتدلة والمنهج الوسطي الذي نروم تقديمه للعالم، بدون أن نُرتهن لجهة ما، أو نتحمل أخطاء داعية منفر أو متعصب أو غالٍ، فالمواد التي نبثها توافق وسطية واعتدال هذه الدولة التي ننتمي ونفخر..

مثل هذا المشروع يحتاج إلى تنسيق بين الهيئات الدعوية وتكامل في أدوارها وتخصص في نوعية جمهورها المخاطب، فلا بدّ ابتداء من أن يتداعى مسؤولو هذه الهيئات مع فاعلي الخير من المتبرعين ليجلسوا مع أهل المهنة من الإعلاميين كي يبلوروا المشروع وينسّقوا الأدوار، قطعاً لآفة وثلمة كبيرة في العمل الدعوي وهو داء التكرار الذي يضيع الجهود عبثاً ويقلب الأولويات رأساً على عقب. نحتاج فعلاً إلى أن تتخصص كل هيئة في جانب ما كي تعمّ الدعوة والخير على أوسع نطاق جغرافي، فلو تخصصت الندوة العالمية مثلاً في بلاد المغرب العربي، وأنشأت فضائية باللغة العربية والفرنسية وجلبت من أهل تلك البلاد ودعاتها من يتحدث لهم، ويفتيهم بالمذهب المالكي الذي يتمذهبون به، وتبقى كل المواد الإعلامية التي تبث

دعوية عامة، تدعو الناس للتدين بشقه الواسع ولمبادئ الإسلام العامة. وبذات الطريقة لو تخصصت الرابطة تجاه الجاليات المسلمة في الغرب تخاطبها، وتخاطب أجيالها التي تذوب في تلك المجتمعات باللغة الانجليزية، فيما تتخصص جمعية الإصلاح الكويتية في إفريقية، والوقف الإسلامي في آسيا والجمهوريات الإسلامية، وتخاطب أهل تلك البلاد باللغة الروسية وتراعي مذهبهم الحنفي، وهكذا دواليك..ثقوا أيها السادة أننا –وبدعم أحبتنا من فاعلي الخير وحضور المهنيين المحترفيين من الإعلاميين– لنختصر كثيراً من الوقت والجهد، ونرى النتائج المبهرة لعمل دعوي منظم، وسنجنّب هيئاتنا الخيرية والدعوية ما يرميها به راعي البقر الأمريكي من الإرهاب وتمويله؛ لأننا ضمنا سلامة المنهج الذي نقدمه أمام سمع العالم وبصره من دون أن يفتري علينا أحد.

أيها السادة، إن استخدم غيرنا هذه الفضائيات لترويج الإباحية والمنكر، فدعونا نوجهها إلى بثّ القيم والفضيلة والخير للقلوب العطشى والأرواح الضامئة إلى نفحة إيمان وتدين، يقدمها داعية ربانيّ أوتي الحكمة وفصْل الخطاب.

* مدير تحرير صحيفة(المدينة) السعودية

مشرف ملحق(الرسالة) الإسلامية

===============

علوم الشريعة في الجامعات: الواقع والآفاق (*)

أ. د. عماد الدين خليل 1427/6/6

2006/07/02

[1]

يمكن أن تكون البداية: الحالة النفسية والاجتماعية والوظيفية لطلبة علوم الشريعة وخرّيجيها في القرنين الأخيرين بوجه التقريب، مقارنة بالحالة نفسها في عصور ازدهار الحضارة الإسلامية.

كان المعني بالعلوم الشرعية، أو الفقيه، يقود الحياة، ثم ما لبث أن انسحب إلى هامش الحياة، فأصبحت تقوده بضغط الضرورات النفسية والاجتماعية والوظيفية.

وكان يملك عقلاً ابتكارياً متوقّداً، يقدر في لحظة على تكييف هذه المفردة أو تلك وفق مقاصد الشريعة، فيعين على تمكين الخبرة الإسلامية من التواصل والاستمرار بالالتحام بالحياة، ثم ما لبث أن فقد هذا التألق، أو تعمد أن يطفئه استجابة لحالة اجتماعية يحكمها تقليد السابقين واتباع خطى الآباء والأجداد، وتعيّن على نسج خيوطها الكالحة ضغوط السلطة الاستعمارية

(الخارجية) تارة، والمحلية (الداخلية) تارة أخرى، وهي الضغوط التي استهدفت عزل الشريعة عن الحياة، ونسف الجسور المقامة بين الطرفين، بما فيها "الفقيه" الذي أُريد له ألاّ يشارك في عملية التغيير أو الصياغة أو إعادة تعديل الوقفة، وأن يتحول إلى واعظ، أو خطيب جمعة تقليدي، أو مدرّس دين ولغة عربية يتلقى في معظم الأحوال أجره الشهري من الحكومات.

وإذْ تعمد أن يكون الأجر زهيداً لا يكاد يسدّ الرمق، وكان العالم أو الفقيه غير قادر على أي حرفة إضافية تعينه على الارتقاء بمستواه المعاشي صوب الحد الأدنى من سوّيته المعقولة، انعكس ذلك كله عليه ، فأصبح مسحوقاً ، ممتهناً ، ضعيفاً لا يملك في معظم الأحيان " الشخصية " الآسرة القوية المؤثرة التي تمكنه من أداء دوره المطلوب.

لقد رأينا جميعاً هذا بأم أعيننا .. ثمة حالات استثنائية بكل تأكيد، ولكنه الاستثناء الذي يعزز القاعدة ولا ينفيها.

يحدثنا الأستاذ (محمد قطب) في كتابه (واقعنا المعاصر) عن اللعبة التي مارستها السلطات الاستعمارية في مصر مع خريجي الشريعة واللغة العربية (كنموذج لما جرى في معظم ديار المسلمين يومها). وكيف أعانها عليها، بمرور الوقت، قوم آخرون من سكنة ديار المسلمين أنفسهم والمحسوبين عليهم، وآل الأمر إلى أن يصير "العالم" أو مدرس الشريعة والعربية، أضحوكة بين الناس، يُتسلّى بها حتى في عروض السينما والإذاعة والتلفاز.

"تولى المستر دنلوب . القسيس الذي عينه كرومر مستشاراً لوزارة المعارف . مهام منصبه ، وكان في يده السلطة الفعلية الكاملة في وزارة المعارف المصرية الإسلامية

(وحين يكون القسيس على رأس السلطة في وزارة التعليم، فما الذي يُتوقع أن يكون من أمر التعليم ؟)

"جاء دنلوب ليضرب الأزهر . موطن الخطر على كنيسة المسيح . ولكن بغير حماقة نابليون التي كانت سبباً في استثارة المسلمين.

" ترك دنلوب الأزهر على ما هو عليه لم يتعرض له على الإطلاق، ولكنه . على الأسلوب البطيء الأكيد المفعول . فتح مدارس جديدة تعلم (العلوم الدنيوية) ولا تعلّم الدين إلاّ تعليماً هامشياً هو في ذاته جزء من خطة إخراج المسلمين من الإسلام.

" ... لقد كان المتخرج من هذه المدارس . بعد أربع سنوات فقط . يُعيّن فور تخرجه في دواوين الحكومة (براتب ذي قوة شرائية عالية) أما خريج الأزهر الذي يقضي في الدراسة عشرين سنة من عمره في بعض الأحيان فلا يجد عملاً، وإن وجد عملاً في إقامة الشعائر في المسجد فبمائة وعشرين قرشاً، تكفي للحياة نعم ، ولكنها حياة ذليلة ضئيلة بالنسبة لخريج المدرسة الابتدائية الذي يعمل في الديوان!

" لقد كان الانتساب إلى الأزهر فيما مضى شرفاً تتسابق إليه الأسر .. أما في عهد دنلوب فلم يعد يذهب إلى الأزهر إلا الفقراء الذين يعجزون عن دفع مصروفات المدارس الحديثة ، وفي الوقت ذاته ينالون جزاء فقرهم ضياعاً في المجتمع وهواناً فيه.

" .. أما المناهج التي وضعها دنلوب في مدارسه (فقد استهدفت اغتيال وتشويه اللغة العربية والدين والتاريخ) إذ كان الراتب الذي يتقاضاه المدرسون من أصحاب المؤهلات العليا اثني عشر جنيهاً، إلا مدرس اللغة العربية وحده يتقاضى أربعة جنيهات. وكان لهذا الوضع انعكاساته ولا شك في داخل المدرسة أو في المجتمع على اتساعه. فأما في داخل المدرسة فلم يعد مدرس اللغة العربية هو المقدم بل أصبح في ذيل القافلة يتقدمه المدرسون جميعاً . بل حتى فراش المدرسة أحياناً . ومن ثم لم تعد له كلمة في المدرسة ، فلا هو يُستشار في شؤونها، ولا هو يشارك في شيء من إدارتها، ولم يعد له كذلك عند التلاميذ احترام .. بينما يحظى مدرس الإنجليزية بالذات بأكبر قدر من التوقير والاحترام .. أما في المجتمع فهو أشد ضياعاً منه في المدرسة . بسبب انحدار راتبه . ويصبح مادة دائمة للسخرية يتحدث

الناس عن جهله وتخلفه وضيق أفقه وفقره وانحطاط مستواه الاجتماعي والفكري .. وحين يصبح مدرس اللغة العربية في هذا الوضع المهين الذي لا يبعث على الاحترام فإن وضعه يؤثر حتماً على المادة التي يدرّسها. وقد كان هذا هو الهدف المقصود من وراء ذلك التدبير الخبيث.

" .. أما درس الدين في مناهج دنلوب فلا يقل سوءاً إن لم يكن الأسوأ. فمدرس الدين هو نفسه مدرس اللغة العربية الذي وضعه دنلوب في ذلك الوضع المزري المهين ، ولكن يزيد عليه أن أكبر المدرسين سناً هو الذي يوكل إليه تدريس الدين .. وزيد على ذلك أن حصة الدين توضع في نهاية الجدول المدرسي .. فيتلقاها التلاميذ وهم في حالة الضجر والإعياء .. ينتظرون دق الجرس لينفلتوا إلى الشوارع والبيوت، ويتلقونه من مدرس عجوز فانٍ يسعل، ويتفل ويتحرك في تراخٍ ظاهر، فيقترن درس الدين في نفوسهم بالعجز والفناء والضجر والرغبة في الانفلات، فوق أنه درس ميت في طريقة تدريسه، فهو مجموعة من النصوص تُلقى لتُحفظ حفظاً وتُستظهر، بلا حركة ولا حياة ولا روح!

" .. ولكي تعلم أنها خطة مقصودة لتنفير التلاميذ من الدين، فلتعلم أن الدين في المدارس التبشيرية التي يؤمها التلاميذ المسلمون لا يقتصر على درس الدين المسيحي (الذي تخصص له الساعات الأولى ويُحاط بالنشاط والفرح والبهجة) بل هو روح تُلقى إلى التلاميذ في كل مناسبة، في أثناء الدروس واللعب والوقوف في الصف والانصراف من المدرسة، ومن ثم يكون ذا أثر عميق في نفوس التلاميذ، ولا يكون درس الدين المتخصص رقعة في الثوب متنافرة معه، وغير متناسقة (كما هو الحال مع الدين الإسلامي) بل قطعة طبيعية مع نسيج الثوب متناسقة معه ومزينة له.

" وزيادة في النكاية لدرس الدين (الإسلامي) فقد وضعه المنهج الدنلوبي ضمن المواد الإضافية التي تُحذف في جدول الصيف المختصر الذي يقتصر على المواد الرئيسية، فيُحذَف منه الدين والرسم والأشغال اليدوية والألعاب الرياضية، وهكذا يصبح في حس التلاميذ مادة هامشية ليس لها اعتبار ".

في محاضرة عن " قيمة التاريخ " ألقيتها في الموصل قبل عدة سنوات أشرت إلى ما يمكن اعتباره إحساساً بالنقص "مركب نقص" يعاني منه طلبة أقسام التاريخ تجاه الفروع المعرفية الأخرى: إنسانية وصرفة وتطبيقية، بينما نجد هؤلاء الطلبة في جامعات العالم المتقدم يتمتعون بأعلى وتائر الثقة والطموح والاعتقاد بأنهم يمضون للتخصص في واحد من أكثر فروع المعرفة الإنسانية أهمية وفاعلية، ونحن نعرف جيداً كيف أن العديد من قادة الغرب وساسته ومفكريه والمهيمنين على مفاصل الحياة الحساسة فيه هم من خريجي التاريخ.

الحالة نفسها تنطبق . بدرجة أو أخرى . على طلبة علوم الشريعة، بل إننا قد نجد بعضهم ينحدر باتجاه وضعية من الإحساس بالامتهان النفسي والاجتماعي لم يأذن بهما الله ورسوله لعلماء هذه الأمة ودارسي علومها الشرعية.

وقد يقتضي الأمر أن نقف لحظات عند مسألة (الزي) التي أُرغم طلبة العلوم الشرعية وخريجوها على البقاء تحت معطفه، في مساحات واسعة من عالمنا الإسلامي الفسيح.

والزي المتميز، إذا أردنا الحق، سلاح ذو حدين، قد يكون إيجابياً في حالة، وقد ينقلب إلى النقائض السلبية في حالة أخرى .. وفقهاؤنا زمن فاعليتهم ما كانوا يتميزون بلباس خاص، اللهم إلا بجزئيات متفرقة، قد تتعلق بالعمامة حيناً، وبالرداء حيناً آخر، ولكنهم في كل الأحوال ما كان يفصلهم عن مجتمعهم زي محدد بتفاصيله كافة، يجعلهم فئة متميزة بين الناس .. كانوا ملتحمين مع الحياة والناس في كل شيء، بما في ذلك تقاليد الملابس والأزياء، وهم . يومها . حتى لو تميزوا بهذه، فإن تميّزهم ما كان يحول بينهم وبين الاندماج في شبكة العلاقات الاجتماعية حيث تنمحي فواصل "التغريب" بينهم وبين سائر الناس.

أما في القرون الأخيرة فإن الفقيه، وقد أريد له أن ينسحب من الحياة، أن يبعد أكثر فأكثر عن الالتحام الفعّال بالمجتمع، فإن تميزه على مستوى اللباس يصير رمزاً للعزلة والتغرب، فإذا ما انضاف إليه ضعف القدرة المالية على تحسينه وتجميله والاضطرار . بالتالي . للتعامل معه بعيداً عن المطالب الجمالية، كما هو الحال لدى علماء الطوائف الأخرى، أدركنا كيف يصير الزي . أحياناً . حلقة أخرى من حلقات

اللعبة الماكرة التي أُريد لها أن تمضي بعلمائنا إلى هدفها المرسوم،÷ فتزيدهم دماراً نفسياً واجتماعياً وتفقدهم . بالتالي . أي قدر من الاحترام وأي قدرة جادة على التغيير أو تسلم مواقع قيادية فاعلة.

نحن . إذن . قبالة حالة نفسية . اجتماعية . وظيفية تتطلب العلاج والتجاوز وإيجاد البدائل المناسبة لعالم متغير .. عالم تشاء إرادة الله سبحانه الذي لا رادّ لقضائه أن تشتعل فيه على مدى البصر، في مشارق الأرض ومغاربها، قناديل الصحوة الإسلامية المباركة التي تتطلب ترشيداً، من أجل ألاّ تنعطف بها السبل وتضل الطريق بين الإفراط والتفريط .. بين تشدّد لا يشكمه ويعيده إلى الجادة إلاّ العلم الشرعي المنضبط الصحيح، وتسيّب لا يكفه عن الترهّل والارتجال الكيفي إلا العلم الشرعي المنضبط الصحيح. وفي الحالتين لابد من عودة الفقيه، أو العالم، إلى قلب الحياة وتسلمه كرة أخرى مواقع الريادة والقيادة .. لابد من التحقق بأقصى وتائر الفاعلية والتألق من أجل تحقيق الهدف الملح، قبل أن يفلت الزمام وتتشرذم الصحوة المدهشة، ونفقد جميعاً القدرة على توظيفها تاريخياً من أجل تنفيذ المشروع الحضاري الإسلامي الذي آن له أن ينزل إلى الحياة لكي يجيب . كما يقول جارودي . على كل الأسئلة الكبيرة التي تؤرّق الإنسان في العصر الراهن، ويقدم البديل المناسب بعد انهيار جل النظم والايديولوجيات الشمولية الوضعية التي لم تعرف الله.

وإذا كان الاستعمار يوماً . قد مارس دوره الماكر في لعبة تجهيل العالم وإفقاره وتعجيزه وتغريبه، ومضى أكثر لكي يعزله تماماً عن الحياة و "يفصله" على الصورة التي يريد فما يلبث أن يصير "حالة" يتندّر بها المتندّرون، فإن هذا "المؤثر" السيء قد غادر بلادنا في نهاية الأمر، فلسنا ملزمين بالاستمرار على تقاليده، ولابد من التداعي لتعديل الوقفة الجانحة التي صنعناها بأيدينا . أولاً . ما في هذا شك ، ثم جاء الاستعمار لكي يزيدها انحرافاً وجنوحاً.

[2]

ابتداءً لابد من إعادة النظر في مسألة وجود كليات أو معاهد للشريعة منعزلة عن السياقات الأكاديمية. ألا يمكن . مثلاً . أن تخترق "موضوعات" أو "مفردات" علوم الشريعة سائر الكليات والمعاهد المعنية بالعلوم الإنسانية، أو أن تؤسس أقساماً أو

فروعاً لها في تلك الكليات والمعاهد لكسر العزلة، وتحقيق التحام أكثر بين مقاصد الشريعة وبين سائر المعارف الإنسانية: كالإدارة والاقتصاد، والقانون والسياسة، والنفس والاجتماع ، والجغرافيا والتاريخ ،

واللغة والآداب والفنون .. فيكون هذا فرصة مناسبة للتحقق أكثر فأكثر بإسلامية المعرفة، أو على الأقل، تنفيذ بداية صحيحة قد تؤول، مهما طال الوقت، إلى نتائجها المنطقية المتوخّاة

في التعامل مع سائر المفردات المعرفية، في شتى التخصصات، من خلال الثوابت الإسلامية نفسها؟

قد يعترض على هذا بضرورة أن يكون هناك . في نسيج الأنشطة الجامعية . مؤسسات أكاديمية مستقلة لعلوم الشريعة، من أجل تخريج المتخصصين في هذا الفرع المعرفي بالذات الذي قد تلحق به، قدر ما يسمح به المجال، موضوعات معرفية أخرى، في هذا الحقل أو ذاك، ولكن تبقى مهمة هذه المؤسسات منح الشهادة في علوم الشريعة وليس في أية علوم أخرى.

وهذا حق، وهو ضرورة من ضرورات التخصص العلمي، ولكن هل يمنع هذا من تنفيذ صيغة مضافة تتمثل في مغادرة العلوم الشرعية لمؤسساتها التخصصية والتحامها مع الفروع والأقسام والمعاهد والكليات الإنسانية، بل وحتى العلمية الصرفة والتطبيقية، لتحقيق هدفين ملحّين: أولهما: ذلك الذي أشرنا إليه قبل لحظات من محاولة وضع التأسيسات الأولى لإسلامية المعرفة التي لن تتحقق ما لم يتم اللقاء بين النمطين المعرفيين، فيصير الوحي والوجود معاً، مصدرين لصياغة المفردات ؟ وثانيهما: كسر حاجز العزلة بين علوم الشريعة والحياة، وإعادة الدم إلى شرايينها المتصلبة، ومنحها الحيوية والمرونة التي تمكنها من التموضع في قلب العصر لا بعيداً عنه.

قد يعترض . أيضاً . بالقول: إن ساعات الفروع والأقسام الإنسانية لا تسمح باستضافة العلوم الشرعية، أو بأن مادة " الثقافة الإسلامية " أصبحت البديل المناسب للقاء بين الطرفين.

وهذا حق كذلك، لكن تبقى هنالك تساؤلات في هذا السياق قد تخطئ وقد تصيب: إن

"ساعات" الفروع والأقسام الإنسانية ليست قدراً نهائياً لا فكاك منه، ولطالما جرى تكييفها واستبدالها وإعادة جدولتها في العديد من الكليات لتحقيق غرض أشد إلحاحاً، ومن ثم فإنه ليس مستحيلاً . إذا كنا جادين في إيجاد مواقع مناسبة لعلوم الشريعة في الكليات الإنسانية . أن نعيد الترتيب فيما يعطي لهذه العلوم الفرصة المناسبة في خارطة الموضوعات المقررة على مدى سنوات الدراسة الجامعية.

وبالنسبة للثقافة الإسلامية فانها حققت ولا ريب قدراً طيباً لدى استضافتها في المعاهد والكليات المختلفة، ولكنه . على أي حال . ليس القدر المطلوب، لأنها لم تتجاوز . في معظم الأحيان . ساعة أو ساعتين أو ثلاثاً، في الأسبوع، لا تكاد تغطي سوى جوانب محدودة من فكر الإسلام وثقافته، فضلاً عن معارفه الشرعية، ويتم فيها التعامل ركضاً، على سطح الظواهر والمفردات، دونما أيّ قدر من التعمق والإيغال. ويتخرج طالب القانون أو السياسة أو الإدارة أو الاقتصاد أو الآداب.. إلى آخره وهو لا يملك عن الإسلام سوى شذرات وقطوف وخطوط عامة في أحسن الأحوال.

إن مادة "الثقافة الإسلامية" ضرورية لتكوين بعض الأطر الفكرية الأصيلة في عقل الطالب الجامعي، لكن هذا وحده لا يكفي إذا أردنا ان يكون القانوني والاقتصادي والإداري والمؤرخ والأديب متوافقين في نبضهم ومعرفتهم وأنشطتهم التخصصية مع مطالب هذا الدين ومقاصد شريعته.

قد يكون هذا حلم، أو هدف بعيد المنال، ولكن الأعمال الكبيرة تبدأ دائماً بالحلم .. بالطموح إلى الأهداف البعيدة .. ورحلة الألف ميل . كما يقول المثل . تبدأ بخطوة واحدة.

من ناحية أخرى، فإن على المعاهد والكليات المعنية بعلوم الشريعة، أن تتقبل بدورها استضافة أكبر قدر ممكن من موضوعات المعرفة الإنسانية المذكورة، من أجل تمكين طلبة هذه المعاهد والكليات من المعارف المعاصرة في أحدث كشوفها ومعطياتها، ومنحهم الخلفيات الكافية عنها، الأمر الذي يتمخّض ولا ريب عن جملة نتائج، منها . على سبيل المثال . الإعانة على إزالة حواجز العزلة والتغريب بين الشريعة والمعرفة، وبينها وبين الحياة.

ومنها جعل خريجي هذه المؤسسات أكثر حيوية وقدرة على الخطاب، ووضعهم، بتمكينهم من معارف العصر، في قلب العصر، قديرين على النقد والمقارنة والتمحيص .. قديرين . أيضاً . على إيصال مطالب المعرفة الشرعية، والتحقّق بمقاصدها، في ضوء تناقضات وإحباطات المعطيات المعرفية الوضعية، وعلى إسهام أكثر فعالية في صياغة المشروع الحضاري الإسلامي البديل.

ان هذا سيقدم . بدوره . ثمرة أخرى .. تجاوز الإحساس بالنقص الذي أشرنا إليه، والذي هيمن على أجيال المعنيين بالعلوم الشرعية عبر القرنين الأخيرين، والتحقق بالثقة والاعتزاز بالذات، في وتائرها المعقولة التي تتجاوز بهؤلاء الخريجين حالات العقم والشلل وعدم القدرة على الإبداع والإحسان والابتكار.

لقد آن الأوان لتجاوز الاستسلام لتقاليد منهجية قادمة من عصور عتيقة هي غير عصرنا، محملة بموضوعات ومفردات لم تعد تصلح للقرن الحادي والعشرين، واستبدالها بمناهج أكثر مرونة، تملك القدرة على استضافة واستيعاب المعارف الحديثة، وتمكّن المتعاملين معها من تجاوز العزلة والتغرب والانقطاع، إلى تنفيذ حوار فعّال مع تحديات العصر وهمومه المعرفية والثقافية، والإعانة . بالتالي . على بلورة وصياغة المشروع الحضاري المرتجى.

وفي السياق نفسه يُستحسن أن نكون حذرين من الانسياق وراء التقسيمات التقليدية لأجدادنا أنفسهم، وهم يتحدثون عن علوم "نقلية" وأخرى "عقلية"، وكأن هناك جداراً فاصلاً بين العلمين.

ويتساءل المرء: ألم يدخل الإسلام لكي يصوغ العلوم العقلية، ويتوغل في جزئياتها ومسالكها برؤيته المتميزة وتحليله الخاص؟ ويتساءل . كذلك .: ألم تكن العلوم النقلية نفسها عقلية بمعنى من المعاني، أي بكونها استجابة ناجحة متفردة لمطالب العقل البشري في هذا الفرع المعرفي أو ذاك؟

إننا بحاجة إلى التريث قليلاً ونحن نتعامل مع التقسيمات والمصطلحات، وأن نتجاوز الكثير منها . إذا اقتضى الأمر . لكي ننحت ونصوغ مفرداتنا المنسجمة ورؤيتنا العقدية المتميزة.

إن الحلقات الإسلامية لا تزال تعاني من ثنائية يمكن لمؤسسات علوم الشريعة أن تعين على تجاوزها: ففي أحد الطرفين يقف إسلاميون متمرسون بالمعرفة المعاصرة، ولا يكادون يعرفون شيئاً عن علوم الشريعة، وفي الطرف الآخر يقف إسلاميون متمرسون بعلوم الشريعة، ولكنهم لا يكادون يعرفون شيئاً عن العلوم والمعارف الحديثة.

والخندق عميق، والهوة محزنة ولا ريب، والنتائج السيئة لهذا الانفصال، أو الثنائية، تنسحب على مساحات واسعة من الجهد الإسلامي المعاصر الذي يلتحم بالحياة الثقافية والمعرفية دونما عمق فقهي، أو يمضي بالايغال في هذا العمق حيناً آخر، بعيداً عن مجرى الصراع الفكري المتشكل قبالته صباح مساء.

ولقد أوقعت هذه الثنائية، الطرفين، في "مطبات" عديدة، قد يقود تراكمها إلى تشكل إرث من الأخطاء التي يصعب تداركها ما لم نسارع بإيجاد الحل المناسب .. بالتحقق بتقارب بين الطرفين من خلال بذل جهود استثنائية والاتفاق على منهج أكثر توازناً يضع في حساباته قطبي المسالة .. حيث يصير التعامل الأكاديمي مع علوم الشريعة فرصة طيبة لتحقيق الوفاق.

[3]

وما من ريب في أن فقه الحياة التي أراد لنا هذا الدين أن نعيد صياغتها وفق مقاصده، وأن نمسك بزمام قيادتها كي لا يعبث بمقدراتها المضلّون عن سبيل الله، ويميل بها الذين يتبعون الشهوات والأهواء والظنون الميل العظيم الذي حذّر منه كتاب الله.. إن فقه الحياة هذا ليس حالة بسيطة ذات وجه واحد، وإنما هو حالة مركبة ذات وجوه شتى. فهناك الفقه الشرعي الذي يتعامل مع الجزئيات والكليات، أي مع مفردات الشريعة في هذا الجانب أو ذاك، ومع مقاصدها الكبرى التي تجعل المعطيات الفقهية تصب في هدفها الكبير ذي الفضاء الواسع سعة الحياة نفسها.

هناك الفقه الدعوي الذي يمنح الناس في كل زمان ومكان القناعة بأحقية هذه الشريعة في حكم الحياة وقيادتها.

وهناك ، فضلاً عن هذا وذاك، الفقه الحضاري الذي يعيد تشكيل الحياة وفق مقاصد الشريعة في ضوء إدراكه لقوانين الحركة التاريخية، وسنن الله في الخلق والعالم والوجود، وعلى هدى رؤية مقارنة نافذة لخرائط العالم الحضارية، من أجل صياغة مشروعه الحضاري المتميز والتحقق في الوقت نفسه بصيغ مناسبة في التعامل مع الحضارات الأخرى أخذاً وعطاء.

إن الفقه الحضاري، كما أنه عمل في التاريخ للبحث عن أصول وقوانين التشكل الحضاري، فهو عمل في صميم العصر ، وتطلع للمشاركة في المصير البشري من خلال صياغة المشروع الحضاري البديل الذي يستمد حيثياته ويتلقى توجيهاته من مقاصد الشريعة وآلياتها الفقهية، والذي يجاهد من أجل التجذر في الأرض والانتشار فيها بقوة الفقه الدعوي وآلياته الفاعلة.

والآن، فإن إحدى مشاكل المناهج الجامعية بصدد علوم الشريعة أنها تعطي طلابها الفقه الشرعي، وتمضي معهم في الفقه الدعوي إلى منتصف الطريق، ولكنها لا تكاد تعطيهم شيئاً عن الفقه الحضاري. فها هي ذي الحلقة الضعيفة في "عقل" خريجي المعاهد الشرعية والتي تساعد بدورها على حفر الخنادق وتعميق الهوة بين الشريعة والحياة، وتعين على تأكيد تلك الثنائية المقيتة التي عزلت، ولا تزال حشود الخريجين عن الدخول في نسيج الحياة، وإعادة صياغتها، فضلاً عن تسلم مراكز القيادة فيها والشهادة عليها.

ومما يرتبط بهذا، ذلك الغموض الملحوظ، وعدم التحديد بصدد المصطلح الحضاري، فإن المثقف المسلم، والمتخصص في العلوم الشرعية على السواء، لا يكاد يفقه شيئاً عن مفردات كالحضارة والمدنية والعمران والثقافة والمعرفة والنظم والفكر والعلوم والآداب والفنون .. إلى آخره ..

ويزيد الأمر إرباكاً ذلك الخطأ المنهجي الذي يهيمن على طرائق تدريس الحضارة الإسلامية في معظم معاهد وجامعات البلدان العربية والإسلامية، حيث تفكك هذه الحضارة إلى سياقات منفصلة كالنظم، والفكر، والعلوم، والنشاط الاقتصادي أو العمراني .. إلى آخره، تعطي كل منها في سنة أو بعض سنة، بحيث إن الطالب

يتخرج وهو لا يكاد يفقه شيئاً عن الملامح الأساسية للحضارة الإسلامية، وشروط تشكلها ونموها، وعوامل انكماشها وجمودها، وانهيارها في نهاية الأمر.

إن تقطيع جسد هذه الحضارة، وتقديمها للطالب مزقاً وتفاريق، سيفقدها شخصيتها المتميزة وملامحها المتفردة التي تمنحها الخصوصية بين الحضارات، فتصير مجرد أنشطة ثقافية أو معرفية أو مدنية في هذا المجال أو ذاك، قد تتميز ببعض الخصائص، لكنها لا تعكس التصور النهائي لرؤية المنتمين إليها للحياة والعالم والوجود. وهكذا تصير دراسة الحضارة الإسلامية . في نهاية الأمر . لهاثاً وراء مبسوّغات الجزية، ودفاعاً عن موقف الإسلام من فرضها على أهل الكتاب، وركضاً وراء قوائم الضرائب "اللا شرعية" ومتابعة للمحتسب، وهو يتجوّل في الأسواق لمعاقبة المخالفين.. كما تصير استعراضاً وصفياً صرفاً لمنظومة الدواوين التي لا أول لها، ولا آخر، وللصراع على منصب الوزارة، وللترتيبات الأمنية والعسكرية للشرطة والجيش. كما تغدو . في السياق العلمي . تصنيفاً فجاً للعلوم النقلية والعقلية، وإحصاءً رتيباً للمدونات التي كتبها الأجداد.. وفي سياق العمران يلقن الطلاب وصفاً مادياً مملاً لمفردات الريازة وقياساتها وأحجامها بعيداً عن الخلفيات الرؤيوية التي وضعت لمساتها عليها وقدمتها للعالم، وهي تحمل خطاباً معمارياً عز نظيره بين الثقافات.

ويتخرج الطالب الجامعي، وهو لا يكاد يملك معرفة معمقة بخصائص حضارته الإسلامية، وبالمكونات التي تميزها عن الحضارات الأخرى، فضلاً عن أنه يتخرج وهو لا يملك الاعتزاز بهذه الحضارة، بما أن النشاط التدريسي في التاريخ والحضارة ينطوي . بالضرورة . على بعد تربوي، لكن هذا البعد يتفكك ويغيب من خلال الخطيئة المنهجية التي لا تكاد تمنح الطالب أي ملمح يجعله يتشبث بتراثه الحضاري، باعتباره أقرب إلى مطامح الإنسان ومهماته الأساسية في العالم. بل إننا قد نصل في نهاية الأمر إلى نتائج معاكسة تتمثل في رفض حشود الخريجين لتراثهم الحضاري، وإنكاره، وإعلان التمرد عليه، والاندفاع . في المقابل . باتجاه إغراءات الحضارات الأخرى وإغواء بريقها الظاهري الخادع، وبخاصة الحضارة الغربية. وبهذا يصير تدريس الحضارة الإسلامية سلاحاً نشهره ضد أنفسنا لتدمير الثقة بمقومات حضارتنا وبقدرتها على الاستعادة والفاعلية في صميم العصر، وفي مشاركاتها المحتملة في

صياغة المصير، كما يؤكد العديد من المفكرين والباحثين والمستشرقين الغربيين. وللأسف فإن هؤلاء القادمين من خارج دائرة الإسلام كانوا أكثر قدرة، بسبب من رؤيتهم المنهجية الشمولية، على متابعة خصائص الحضارة الإسلامية وصيرورتها والتأشير على عناصر تميزها وتفوقها، وهم الذين أكدوا على أن بصمات الإسلام ونسقه (الموحد) يمضيان لكي يطبعا كل خلية من خلايا هذه الحضارة، ويشكلا كل صغيرة أو كبيرة في معمارها الواسع المتشعب.

وما من شك في أن العقل الغربي تفوق علينا في منهج الدراسة الحضارية، كواحدة من حلقات تفوقه الراهن، وليست محاولة المؤرخ البريطاني المعاصر (أرنولد توينبي) في مؤلفه المعروف (دراسة في التاريخ) بعيدة عن الأذهان. إنه يتعامل مع الحضارات البضع وعشرين التي درسها عبر استقرائه للتاريخ البشري كما لو كانت كل واحدة منها تحمل شخصية متميزة، وملامح متفردة، وخصوصيات تفرقها عن الحضارات الأخرى، ونسغاً يجري في عروقها هو غيره في الحضارات الأخرى.

ونحن اليوم؛ إذ ندرس حضارتنا في المعاهد والجامعات بأمس الحاجة إلى منهج قريب من هذا، يسعى لأن يتعامل مع هذه الحضارة كشخصية أو تكوين متميز: بدءاً وصيرورة ونمواً وانكماشاً وفناء. فإذا تذكرنا أن حضارتنا هذه لم تتشكل من العدم، ولم تلمّ شتاتها بطريقة ميكانيكية من هذه الحضارة أو تلك فتكون عالة عليها، وأنها إنما نشأت بتأثيرات إسلامية، ووفق شبكة شروط وتأسيسات محددة صاغها هذا الدين، وأنها تكوّنت في رحم إسلامي، وليس في أي رحم آخر، وأن بصمات كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- على حجيراتها وخلاياها ونبضها من الأمور التي لا يكاد ينكرها باحث جاد.. إذا عرفنا هذا كله أدركنا كم تكون جنايتنا على طلبتنا بتقديم هذه الحضارة مزقاً وتفاريق، وبنوع من فك الارتباط الساذج أو الخبيث الذي يتعمد التعامل معها، كما لو لم يكن للتأثيرات الإسلامية في تكوينها أي حضور ملحوظ، اللهم إلاّ في خانة ما يُسمّى بالعلوم النقلية المعتقلة في المصنفات العتيقة والبعيدة عن تشكيل الحياة والنزول إلى المؤسسة والشارع والمدرسة والبيت.

إن تحديات الحضارة الغربية المعاصرة، ومطالب المشروع الحضاري البديل، يقتضيان . كما ألمحنا . إجابة كونية بمستوى المشكلة، ولن يكون ذلك دون المزيد من الإيغال في حلقة الفقه الحضاري المتجذر في التاريخ والعقيدة على السواء.

إن مبدأ (التوحيد) المحرر، الذي هو نسغ حضارتنا وجوهرها ومغزاها، والقاسم المشترك لمفرداتها كافة، يقف قبالة كل الصنميات والطاغوتيات والحتميات التاريخية والمادية التي حكمت العقل والوجدان الغربي طويلاً، والذي يجد نفسه اللحظة، مسوقاً لأن يبحث عن الجواب.. عن صيغة للتحرر من الضغوط والخروج من المأزق .. وأيضاً للتحقق بالتوازن الضائع في حياته بين المادة والروح، والذي لن يعثر عليه إلا في إطار هذا الدين.

إن الفقه الحضاري يستدعي دراسة علمية منهجية متأنية لتاريخنا الحضاري من أجل استمداد مؤشرات العمل في الحاضر والمستقبل، وهي . كما هو واضح . ليست مسألة ترفيه، ولا حتى أكاديمية صرفة، وإنما هي مسألة (حيوية) بكل معنى الكلمة، لأن حلقة كهذه معنية باستخلاص البدائل التي يمكن أن نتقدم بها إلى العالم في سياق مشروع حضاري يشارك في صياغة المستقبل. فضلاً عن أن فقهاً كهذا يمنحنا صورة عن مصداقية تحول الشريعة وتأسيساتها التصورية والاعتقادية إلى واقع تاريخي متحقق في الزمن والمكان، أي في التاريخ، كما أنه سيعرفنا على عوامل الانهيار الحضاري التي ساقتنا إلى المواقع المتخلفة في خارطة العالم، عندما أخذ أجدادنا يقلدون بدلاً من أن يبدعوا، وعندما هيمنت الروح الإرجائية التي فصلت الإيمان عن مقتضياته العملية، وعندما ساد الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي، وعندما لم تلتفت القيادات الإسلامية المتأخرة . كالمماليك والعثمانيين .. ودول الطوائف . إلى مغزى إلحاح القرآن الكريم على التحقق بالقوة، ولم تول الاهتمام الكافي لتحديات التكنولوجيا، وبخاصة تكنولوجيا السلاح .. إلى آخره ..

ولطالما درّسنا طلبتنا بإسهاب حيناً، وإيجاز حيناً آخر، عوامل سقوط هذه الدولة أو تلك من دول الإسلام كالأمويين والعباسيين والفاطميين والعثمانيين.. إلى آخره .. لكننا لم نحاول . إلا نادراً . أن نقف طويلاً عند ظاهرة انهيار الحضارة الإسلامية نفسها . في سياقها التاريخي . بعيدا عن الأطر السياسية المحددة، لمتابعة عوامل

الشلل المتشعبة والتأشير عليها بقدر من العمق والوضوح، فيما يمكن أن يقدم لنا خبرة بالغة الأهمية تتمثل في إمكان النهوض من جديد في ضوء فهم وإدراك العوامل التي قادتنا عبر قرون طويلة، إلى التدهور والانهيار.. إننا إذا استطعنا أن نحدد الأسباب، وتمكنا ـ بعدها ـ من استجاشة قدراتنا الإيمانية وتحفيز نقاط الارتكاز في تصورنا، من أجل تجاوز هذه الأسباب، نكون قد وضعنا خطواتنا في الطريق الصحيح، وعرفنا كيف ننسج حيثيات المشروع الحضاري في ضوء وعي كهذا يسعى للمضي إلى الهدف بأكبر قدر من التحرر من عوامل الشد والإعاقة والتعطيل.

إن هذه الحلقة تحمل ـ ولا ريب ـ أهميتها الأكاديمية في سياق دراسة الحضارات، ولكنها في تجربتنا المعاصرة، تحمل ـ فوق هذا ـ قيمة مضافة لأنها ستعيننا على بناء مشروعنا الحضاري بأكبر قدر من الوعي والاستبصار، وإن معاهدنا وأقسامنا المعنية بعلوم الشريعة لهي المنوطة ـ أكثر من غيرها بناءً على ذلك كله ـ بالتأصيل الإسلامي

للدراسة الحضارية وبصياغة منهج ملائم لتحقيق ذلك، قبالة محاولات الدارسين من خارج دائرة الإسلام، سواء كانوا مستشرقين أو مسيحيين أو ماديين، وبالإفادة منها في الوقت نفسه .. وإن هذا لن يتأتى إلا بإعطاء المساحة المناسبة للدراسات التاريخية والحضارية في هذه المعاهد والأقسام.

[4]

هناك ـ بكل تأكيد ـ نقص في محاولة توظيف بعض الحلقات الجامعية للارتفاع بوتائر العمل إلى مستويات أعلى.

بعض هذه الحلقات قد وظف بالفعل ولكن في حدوده الدنيا وبصيغ مترعة بالشروخ والأخطاء (وربما الكسل العقلي)، وحلقات أخرى لم تمسها يد في هذه الجامعة أو تلك. وفي كلتا الحالتين فإن المطلوب هو الإفادة من كل الفرص المتاحة لتخرج عالم الشريعة الأقدر أكاديمياً والأكثر فاعلية وقدرة على الابتكار والعطاء.

هناك ـ على سبيل المثال ـ (البحث الخاص) أو (بحث التخرج) الذي يكلّف به طلبة المرحلة الأخيرة من البكالوريوس (الليسانس) على مدى عام دراسي بأكمله، ويشرف

عليه ـ في الغالب ـ أستاذ المادة الأقرب في تخصصه الدقيق، إلى الموضوع مجال البحث.

إن البحث الخاص هذا، فرصة جيدة، في حالة الاختيار الجيد لموضوعاته، لتحقيق تلاحم أكثر مع المعرفة المعاصرة والحياة، ولجعل علوم الشريعة تغادر رفوف المكتبات العتيقة، وتنفض عنها التراب، تتحرك وتنبض وتتنفس في قلب العصر، مقدمة الشاهد "العلمي" على قدرتها التي لا يأسرها زمن أو مكان، على متابعة المتغيرات والشهادة عليها.

والمسألة قد لا تكلف كثيراً، فبمجرد أن يبذل الأستاذ جهداً مخلصاً لترتيب منظومة من موضوعات البحث الخاص في بدء كل عام دراسي، وتوزيعها على طلبة المرحلة المنتهية وفق توجهاتهم ورغباتهم وقدراتهم المعرفية قدر الإمكان، ثم متابعة عملهم أولاً بأول، من أجل أن تأتي بحوثهم بشكل أكثر احكاماً وإبداعاً، بمجرد أن يتحقق هذا وذاك، فإن حصيلة طيبة قد تتمخض عنه متمثلة بحشود من البحوث التي تمرّن خريج العلوم الشرعية على البحث، وتمنحه الدربة المنهجية الكافية، والتي تقدم ـ في الوقت نفسه ـ نويّات أو مشاريع بحوث قد ترفد المكتبة الإسلامية أو تعدها بمزيد من العطاء.

والذي يحدث ـ في كثير من الأحيان ـ اعتبار البحث الخاص، مفردة اعتيادية في مناهج المعاهد والكليات، كأية مفردة أخرى، قد لا تقتضي وقفة خاصة أو جهداً مضافاً أو اهتماماً كبيراً، وبالتالي فان التعامل معها سيتحرك عند سفوحه الدنيا، فلا يبدع ولا يعلم ولا يبتكر ولا يضيف جديداً. بل قد تنعكس الحالة أحياناً لما هو أسوأ من هذا وهي تأكيد عقلية التقليد والاجترار، والتعلق بتقاليد عصور تجاوزها التاريخ، بل ـ ربما ـ تعميق "النفرة" في نفسية الطالب إزاء كل ما يتعلق بعلوم الشريعة واندفاعه ـ في المقابل ـ صوب ما يعتبره تحققاً أكثر مع الحياة التي يعيشها بعقله ووجدانه بعيداً عن مطالب الشريعة ومقتضياتها.

وبموازاة هذا، وفي حلقة تالية، أكثر أهمية، لم يحسن التعامل مع مرحلة (الدراسات العليا : الدبلوم العالي والماجستير والدكتوراه) ولم توظف هذه الفرصة الفريدة للتعامل مع موضوعات غير تقليدية تعين على تحقيق الهدف المنشود.

وها هنا أيضاً يتحتم "الإحسان" في اختيار الموضوعات المناسبة لهذه الرسائل، وتوضيح مسوغاتها، وترتيب خططها، بما يجعل الطالب أقدر على التعامل معها وفق منهج أكثر دقة وإحكاماً.

ويتذكر المرء في هذا السياق ما فعلته وتفعله مؤسسة (كالمعهد العالمي للفكر الإسلامي) من وضع منظومة بحوث للدراسات العليا: بعناوينها، ومفرداتها، وخططها، ومسوغاتها، ومستوياتها الأكاديمية، بين أيدي الباحثين، ليس هذا فحسب، بل الإعانة . أحياناً . على اختيارها وتنفيذها، ونشرها في نهاية الأمر من أجل دعم أهداف المعهد وتوجهاته المعرفية.

(نشرت مجلة المسلم المعاصر . في القاهرة . في بعض أعدادها لوحات بهذه الموضوعات).

فلا يكفي . في هذه المرحلة . أن نترك الطالب يختار موضوعه، فقد يكون هذا الموضوع تكراراً لما سبق وإن عولج أكثر من مرة، وقد يكون غير مناسب، كمشروع عمل لمرحلة الماجستير أو الدكتوراه ، وقد يأتي . وهذا هو الأهم . بنتائج معاكسة قد تدفع الطالب، والقاريء معاً، إلى تأكيد العزلة والانفصام بين الشريعة والحياة.

ولا يتطلب الأمر أكثر من بذل اهتمام أكبر في مسألة الاختيار، وأن يدخل الأساتذة المشرفون الذين يفترض فيهم الإخلاص والعلم والجدية في مجال تخصصهم، بشكل أكثر فاعلية في إعانة الطالب على العثور على الموضوع المناسب، والأخذ بيده قدر الإمكان، من أجل تنفيذ رسالة ذات مستوى عالٍ من الأداء منهجاً ومضموناً.

هناك ضرورة تنمية الخبرات التدريسية لطلبة الشريعة، قبيل تخرجهم، وتعميق قدرتهم على الخطاب الإسلامي، من خلال الدورات التدريبية، والاستفادة من علوم النفس والتربية وأصول التدريس، ومنحهم الفرصة " التطبيقية " المناسبة في التدريس في المتوسطات والثانويات، أسوة بما تفعله كليات التربية التي تبذل جهداً "مضافاً" على المطالب الأكاديمية، من خلال منح طلبتها المعرفة والخبرة والآليات التي تمكنهم من أن يكونوا "مدرّسين" أكفاء. وقد ينضاف إلى الخبرة التدريسية بالنسبة لطلبة العلوم الشرعية، الخبرة الخطابية التي يمكن أن تحفز وتمنح الدربة الكافية من خلال فرص التطبيق عبر سني الدراسة الجامعية.

هناك . أيضاً . ضرورة تحفيز كليات الشريعة ومعاهدها على صياغة وتنفيذ برامج عمل مؤسسية تضعها في قلب العصر، وتزيد من فاعليتها وتدفعها إدارة وأساتذة وخريجين إلى المواقع القيادية المؤثرة في المجتمع.

لقد أخذ هذا التقليد، الذي يتحرك تحت شعار "الجامعة والمجتمع"، ينتشر أكثر فأكثر على مستوى العديد من الكليات والأقسام العلمية عبر العقود الأخيرة، فصرنا نجد مكاتب أو مؤسسات استشارية في هذا القسم أو ذاك من كليات الهندسة، أو العلوم، أو الطب، أو الزراعة، أو القانون، أو الإدارة، أو الاقتصاد، أو السياسة، أو حتى التربية والآداب. وأصبحت هذه المكاتب تحقق . بمرور الوقت . أكثر من هدف. ففضلاً عن الالتحام أكثر بالمجتمع والحياة، وفضلاً عن منح الفرصة للكفاءات الميدانية للتنفيذ، والإضافة، والاكتشاف والإبداع، فإن هذه الممارسات تجيء بمثابة فرصة مضافة لتعميق القدرات التخصصية والمعرفية للتدريسيين، وربما لطلبتهم كذلك. هذا إلى أن ممارسات كهذه تدرّ دخلاً موفوراً يعين الأقسام والكليات، والإدارة الجامعية في نهاية الأمر، على توظيف هذا المردود لمزيد من العطاء والإبداع.

لماذا تظل معاهد الشريعة وكلياتها، في معظم الأحيان، بمعزل عن هذا كله، في الوقت الذي يتحتم أن تكون الأكثر إفادة من هذه التجربة بسبب من كثرة القنوات التي تصل بينها وبين المجتمع الذي طالما انتظر الإشارة من علمائه وفقهائه لكي يعدلوا وقفته هنا، ويعينوه على المضي هناك وفق أكثر الصيغ التزاماً بمطالب هذا الدين؟

لا يسمح المجال للاستفاضة، فلابد . إذن . من الاكتفاء بالتأشير على بعض الحلقات الممكنة في ممارسة كهذه من مثل: النشر، مشاريع التأليف المشترك، التحقيق والفهرسة، الأعمال الموسوعية، الحلقات الدراسية، الندوات والمؤتمرات، الإنتاج الفني والإعلامي، إقامة الجسور وتوسيع التعامل مع المؤسسات المعنية بالمعرفة الإسلامية، المشاركة الفعالة في أنشطة أسلمة المعرفة وصياغة حيثيات المشروع الحضاري.

سأقف لحظات عند إحدى الحلقات كمقترح للعمل يمنح كليات الشريعة ومعاهدها فرصة ميدانية للتحقق، ويدفعها باتجاه مزيد من الالتحام بالحياة الاجتماعية وبالواقع اليومي لجماهير المسلمين.

يتضمن المقترح إصدار دورية أو سلسلة كتب ميّسرة في الفقه تعالج المسائل المعاصرة والمستجدة، فضلاً عن القضايا الثابتة، وتعتمد أسلوباً حديثاً في اللغة ونهجاً يسعى لتوحيد المواقف في الحالات الخلافية الحادة التي تحّير المسلم وتربكه.

إن المسلم المعاصر عندما تجابهه معضلة ما يلجأ إلى هذا الكتاب الفقهي أو ذاك، وقد يطلب العون في أبواب المجلات المعروفة بـ "فتاوى فقهية" لكنه لا يلبث أن يجد نفسه بين الحين والحين إزاء لغة سقيمة في الخطاب الفقهي، وإجابات أو مواقف شتى وليست إجابة واحدة أو موقفاً محدداً فيقع في دائرة الحيرة والإرباك.

إنها اللغة السقيمة القادمة من القرون الوسطى، والخلافيات التي قد تصل حد التناقض الكامل، بحيث أنها ترجع بالمسلم . أحياناً . إلى نقطة الصفر كرة أخرى.

يمكن تسمية المحاولة المقترحة بالمورد أو الدليل الفقهي للمسلم المعاصر، أو المنهاج الفقهي، أو كتاب الجيب الفقهي لمفردات المسلم اليومية .. أو غيرها من التسميات.

المهم أن تبذل مؤسسات التعليم المعنية بالعلوم الشرعية جهداً حيوياً في تقديم البدائل الفقهية الواضحة المحددة لعدد من مفردات الحياة والسلوك، وبخاصة تلك القضايا الملحة التي

لم يصدر فيها بعد رأي واضح محدد (من مثل شروط الزكاة في زمن تحول النشاط المالي والاقتصادي إلى شبكة معقدة من المعطيات التي تنطوي على عشرات الحالات، وهي جميعاً تنتظر الجواب الفقهي .. ومن مثل قضايا الزواج والأحوال الشخصية، والتعليم والعمل الوظيفي، وعمل المرأة والمساحة المتاحة لها للتحرك في الحياة العامة، وشروط الحجاب ..

إلى آخره ..).

إن المحاولة ترتبط ولا شك بمسألة فتح باب الاجتهاد أو توسيع قنواته؛ فلابد . أولاً . من تنفيذ جهد عملي وآخر دراسي لإضاءة هذه المسألة، وقد يجيء الدليل المقترح محاولة عملية لاختبار إمكان تحقيق تغطية فقهية لأهم المستجدات.

ويُستحسن من أجل نجاح المحاولة أن يقتصر الدليل، أول الأمر، على مسائل محددة، وربما مسألة واحدة كالزكاة لكي تكون أشبه بجهد تجريبي لغرض اختبار مدى نجاحه وانتشاره، وبعدها يمكن التحول لإصدار جزء آخر يعالج مسألة أخرى كقضية الزواج، أو العمل الوظيفي، أو دور المرأة .. الخ.

على المستوى الفني يمكن أن ينفذ المشروع بصيغة دورية أو مجلة فصلية تمضي أعدادها لتغطية المفردات الملحة واحدة إثر أخرى، أو بصيغة كتاب ذي أجزاء متتالية يختص كل جزء بموضوع ما، ويتم توزيع المفردات على عدد من خيرة الفقهاء الذين يجمعون بين الإلمام بالعلوم الشرعية وبين الانفتاح على الثقافة المعاصرة وتحدياتها.

ويمكن . كذلك . من أجل كسب الوقت ولأغراض إعلامية، فتح ملف في واحد أو أكثر من المجلات الإسلامية المعنية بالموضوع، تطرح فيه . أي في الملف . كل المسائل المنهجية والفكرية والفنية التي يتطلبها المشروع، وقد تمضي المجلة للبدء في معالجة إحدى المفردات ووضع الحلول الفقهية لجوانبها كافة ثم التحوّل إلى مفردة أخرى، لكي تتشكل في نهاية الأمر بدايات جادة للدليل المقترح.

وقد يكون في سياق جهد كهذا، القيام بمحاولة ببليوغرافية لحصر وفهرسة جل الجهود الدراسية التي عالجت المسائل الفقهية من خلال رسائل الدراسات العليا، أو بشكل مستقل.. في المؤلفات المستقلة، أو على صفحات الدوريات المتخصصة، أو في إصدارات المؤسسات الشرعية والفقهية والقضائية والتشريعية ..

وقد يكون مهماً . كذلك . وضع منظومة من الموضوعات الملحة مع المسوغات والخطط البحثية التفصيلية المرسومة بعناية، لكي تكون بمثابة حقل للاختيار بالنسبة لطلبة الدراسات العليا (الدبلوم والماجستير والدكتوراه)، ويستحسن توزيع كراريس مستقلة بهذه الموضوعات ومسوغاتها وخططها على المعاهد والجامعات والمؤسسات المعنية بالدراسات العليا في مجال الفقه والعلوم الشرعية.

إن معضلات العصر الحديث ومستجداته تمثل تحدياً ملحاً للعقل المسلم، وهي بمثابة اختبار لقدرته على الفاعلية في صميم العصر من خلال اعتماد وتحكيم الأصول الإسلامية: القرآن والسنة والسوابق الفقهية، وأن الاستجابة لهذا التحدي لا تحقق فقط إجابة على العديد من الأسئلة الملحة في معترك الحياة، وإنما تؤكد . على المستويين العقدي والحضاري . قدرة هذا الدين على إعادة صياغة الحياة في كل زمن ومكان وفق تصوراته المتميزة، وهي مسألة ترتبط . مرة أخرى . أشد الارتباط بالمشروع الحضاري الذي يتوخاه المسلم الجاد بمواجهة، أو كبدي ، عن كل الإخفاقات التي شهدتها القرون الأخيرة بسبب من الممارسات الإسلامية الخاطئة نفسها، أو بتأثير من ضغوط الغير، وغزوه الفكري، والحضاري بوجه عام.

إن الاجتهاد جزء أصيل من الالتزام، فالمسلم . فرداً وجماعة . لا يكفيه أن يصلي ويصوم ويحج إلى بيت الله الحرام .. ولا يكفيه أن ينفذ مقولات عقيدته وشريعته في واقع حياته اليومي .. لا يكفيه أن يثور ويقاتل ويستشهد .. هذه كلها جوانب من التزامه بالعقيدة التي آثر الانتماء إليها، ولكن ثمة ما لا يقل عنها أهمية، وإن كان من قبيل (فرض الكفاية) الذي قد تتحمل تنفيذه هذه الجماعة أو تلك من المسلمين: حمل المعطيات الإسلامية بالفعل الاجتهادي إلى آفاق الزمن والمكان .. تحكيمها في صيرورة الحركة التاريخية .. وضعها في مركز الشاهد على كل صغيرة وكبيرة .. تمكينها من ممارسة إلزامها الدائم في كل تجربة وكل مرحلة .. جعل (الإسلامية) الحكم والهادي والموجه والدليل الذي يعلّم ويرشد .. بل يبني ويصوغ بالمادة الإسلامية الأصيلة كل ما يقوم على ساحة الحياة من عمارات ومؤسسات، وكل ما يمارس فيها من أنشطة وفاعليات ..

حتى مدننا وشوارعنا ودورنا وأماكن ترفيهنا، يتحتم أن (نجتهد) في أن تكون امتداداً لرؤيتنا الإسلامية، لفكرنا ووجداننا الإيماني، وذوقنا الذي يميل دائماً إلى أن يربط المنظور بالغيب، والتراب بالحركة، والأرض بالسماء.

وإذا كانت المنائر الممتدة إلى السماء إشارة على قدرة الفنان المسلم على تصميم المفردة المعمارية التي تعبّر عن تصوره للعالم والحياة والوجود، فإن حياتنا المعاصرة كلها يتحتم إن تنبثق فيها (الإشارات) التي تجتهد أن تحمل دلالتها على كل ما هو

إسلامي، وأن يتغلغل الالتزام الديني في سداها ولحمتها، ويكون نولها الذي يمنح نسيجها هذا الشكل أو ذاك.

إن الاجتهاد هو . بشكل من الأشكال . حماية للتشريع الإسلامي من التيبس والتسيب، وهذه مسألة بديهية، ولكن ثقل الواقع كاد يطمس عليها. إننا منذ قرون لا نمارس الاجتهاد .. فكأننا قد اخترنا أسلوب العمل بصيغة بديهية مضادة لا يمكن قبولها: ترك الممارسة الإسلامية تصاب بتصلب الشرايين أو بالرخاوة والتوسع والإنفلات.

إن الإسلام حركة باتجاه (التوافق) مع سنن الوجود والعالم، وإيقاع الكون والطبيعة، فأحرى به أن يكون متحققاً بالوفاق مع نفسه، أي بعبارة أدق: أن يكون كل تعبير إسلامي، في هذا الجانب أو ذاك من الحياة، وإزاء هذه القضية أو تلك من قضايا الوجود والعالم، يحمل إيقاعه المتوحد مع سائر التعابير عن الجوانب الأخرى من الحياة والقضايا المتنوعة في الوجود.

نسيج وحده، هكذا يجب أن ينزل الفعل الإسلامي المتفرد، المتميز، إلى العالم .. إيقاع متوحد، وتوافق منظور، وتناغم شامل بين كل جزئيات الفعل وأطرافه. فإن لم يعن الفعل الاجتهادي على تحقيق هذا التوحد والتوافق والتناغم بين المعطيات والتعابير الإسلامية وبينها وبين العالم، فمن يتولى هذه المهمة؟ ألا يخشى أن يؤول الأمر بالممارسة إلى التشتت والتصادم والتغاير، فتفقد شخصيتها وسماتها؟

إن الاجتهاد . بهذا المعنى . تنفيذ لمهمة مزدوجة: الحفاظ على هندسة الإسلام نفسه، من جهة، وتحقيق انطباقه على الواقع التاريخي . من جهة أخرى . أي على بعدي الزمن والمكان. ولن يكون ذلك إلا لصالح الإنسان ومكانته المتفردة في العالم.

قد يقول قائل: إن جهداً كبيراً كالموسوعة الفقهية التي نفذت أقسام منها في الكويت عبر العقود الأخيرة، يمكن أن يكون كفاءً لمطلب كهذا. والجواب أن عملاً كذاك يمكن أن ينحو منحى أكاديمياً ينطوي على المعطيات الفقهية بمفرداتها كافة، ويشكل على المستوى الكمي ثقلاً كبيراً، قد يبعد به . بشكل أو آخر . عن أن يكون دليل عمل يومي (عملي) يعين المسلم بيسر وسهولة على وضع اليد على الأجوبة المناسبة لمعضلات حياته اليومية، فضلاً عن أن المطلوب بالدرجة الأولى ليس حصراً للمعطى الفقهي على إطلاقه، وإنما متابعة للمستجدات على وجه الخصوص ..

لتعقيدات الحياة الجديدة .. للمطالب المتراكمة التي تزداد ثقلاً يوماً بعد يوم.. للمتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتقنية التي لا تكاد تستقر على حال إلا لتتجاوزه إلى صيغ أخرى. إن متابعة كهذه ضرورية حتى على مستوى وسائل الترفيه التي تشكل إحدى انفجارات العصر، والتي تتطلب أكثر من فتوى تنير سبل التعامل معها دونما إفراط ولا تفريط، وبعيداً عن حدي العزلة والاندماج اللذين يقودان الممارسة الإسلامية إلى الشلل أو الجنوح.

ثمة . فضلاً عن هذا وذاك . ضرورة إغناء الخبرات المعرفية والتخصصية لأساتذة علوم الشريعة من خلال التوسع في تنفيذ نظام الأساتذة الزائرين، ذهاباً وإياباً (أي استدعاء أساتذة من أقسام وكليات أخرى لإلقاء محاضرات في أروقة الشريعة، وإرسال أساتذة الشريعة إلى الأقسام والكليات الأخرى للاحتكاك ببيئات تدريسية ومعرفية متنوعة)، وهذا سيمنح التدريسيين والطلبة معاً خبرات أكثر تنوعاً وخصباً على مستوى الأداء التدريسي من جهة، وإغناء التخصص وتعميقه من جهة أخرى.

هذا التبادل المعرفي لن يكون بالضرورة في سياق العلوم الشرعية وحدها، بل يُفضل أن يخرج إلى نطاق العلوم الإنسانية عامة، لتحقيق ما سبق وأن ألمحت إليه هذه الورقات من ضرورة تنفيذ حوار فعّال بين علوم الشريعة وسائر العلوم الإنسانية لتحقيق التحام أكثر بمطالب العصر ومقتضياته، واستجابة أشد فاعلية وتنوعاً وخصباً لمشاكله وتحدياته.

ولابد . أخيراً . من الإشارة إلى تجربة الجامعات والمعاهد الإسلامية التي بدأت منذ فترة ليست بالبعيدة، في هذا البلد أو ذاك، في تنفيذ مناهج أكثر حداثة في التعامل مع

علوم الشريعة وتدريسها، فكسرت طوق العزلة، والتحمت أكثر بمطالب العصر وقدرت على توظيف معارفه وتقنياته لتقريب أهدافها، وحققت الوفاق الضائع بين المعرفة الشرعية والمعرفة الإنسانية، وسعت . ولا تزال . لإقامة الجسور المقطوعة بين الفقيه والمفكر من أجل أن تضع الفقيه في قلب الحياة، وتمنح المفكر المسلم خبرة بالمعرفة الشرعية تعينه على التأصيل وتحميه من غوائل الارتجال والجنوح.

لا يستطيع المرء أن يكون مبالغاً في التفاؤل، ولكن رحلة الألف ميل . كما يقول المثل . تبدأ بخطوة واحدة، ويكفي هذه الجامعات أنها وضعت خطواتها الأولى على الطريق ونفذّت شيئاً من المأمول، وهو كثير، ولكن ما لا يُدرك كلّه لا يُترك جلّه.

ومهما يكن من أمر فإن جامعات كهذه تمثل فرصة للاستفادة من الخبرة قد تعين سائر المعاهد والجامعات الأخرى، إذا أحسنت التعامل معها وأقامت بينها وبينها الجسور، على تعديل وقفتها الخاطئة وإغناء خبراتها التدريسية والأكاديمية، وتمكينها في نهاية الأمر من تجاوز عزلتها، والنزول إلى قلب الحياة للإعانة على إعادة صياغتها بما يريده الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم، لا بما يرسمه لها الكهنة والوضّاعون وأرباب الظنون والمصالح والأهواء.

(*) بحث مقدّم إلى مؤتمر (علوم الشريعة في الجامعات: الواقع والطموح) الذي عقده المعهد العالمي

للفكر الإسلامي وجمعية الدراسات والبحوث الإسلامية والجامعات الأردنية في عمان في الفترة ما بين

23 . 25 آب 1994 م.

=================

#الإعلام الإسلامي: الممارسة .. بين النظرية والواقع

د. محمد الحضيف 1427/5/2

2006/05/29

مدخل:

ظل هاجس الأسلمة، يلحّ على الإسلاميين منذ نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، على يد الرواد، من زعماء التجديد والإصلاح، من أمثال محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وحسن البنا، وآخرين. الاستعمار الأوروبي لمعظم البلاد العربية، عبر الاحتلال العسكري، والهيمنة السياسية، أفرز آثاراً تغريبية على مجمل نواحي الحياة، وبشكلٍ خاص.. الجوانب الاجتماعية والثقافية.

أدت سيطرة مظاهر الحياة الغربية، على المشهد الثقافي والاجتماعي في العالم العربي، والقطيعة شبه الكاملة مع التراث، من حيث هو محدّد للهوّية، ومعبّر عن

أسلوب حياة الناس.. إلى دفع كثير من القيادات الفكرية، والرموز الثقافية، إلى التفكير الجاد، بطرح (بدائل) إسلامية. كانت هناك دعوات لأسلمة النظام السياسي، والمعاملات المالية والاقتصادية.. والثقافة، فظهرت الكتابات، التي تؤصّل دور الإسلام في السياسة، وبرزت أيضاً .. الدعوة إلى إسلاميّة المعرفة، وكذلك أسلمة الأدب.. وهكذا في فترة لاحقة، اتخذت هذه الدعوات، شكل العمل المؤسّسي، فنشأت الأحزاب السياسية، والبنوك، والمؤسسات التعليمية، وقامت رابطة للأدب الإسلامي.. بالإضافة إلى مؤسسات إعلامية، تَرَكّزَ نشاطها في البداية، على إنتاج وتوزيع دروس ومحاضرات، في الشريط المسموع (الكاسيت)، ومحاولات ضعيفة، لإنتاج أعمال (درامية) على الفيديو.

إشكالية المصطلح:

مثل غيره من الأنشطة الإنسانية، واجهت محاولات أسلمة العمل الإعلامي عقبة فنية، لها علاقة بتحديد الجانب التطبيقي للمصطلح .. ونطاق عمله. المشكلة التي واجهت مصطلح (الإعلام الإسلامي)، لم تقف عند تعريف ماهية النشاط وطبيعة الممارسة، بل تعدتها كذلك إلى وضع آلية لتطبيق المصطلح نفسه، ووضعه موضع التنفيذ .. بسبب تعقد النشاط الإعلامي، وتجاوزه مفهوم الممارسة الإعلامية البسيطة المتمثلة بمحاضر يتحدث من خلال شريط كاسيت.

منذ البداية .. واجه المهتمون بأسلمة الإعلام معضلتين: العنصر البشري، ومضمون الرسالة الإعلامية. السؤال الأساس .. كان:

من الذي (يمثل) الإعلام الإسلامي؟ هل يجب أن يكون (شيخاً) .. أو شخصاً محسوباً على المؤسسة الدينية بالضرورة؟

تحوُّل النشاط الإعلامي إلى صناعة معقدة .. متجاوزاً المفهوم البدائي الأول للإعلام، جعل تحقيق هذا الشرط أمراً مستحيلاً. أدرك الداعون إلى الأسلمة أنه لا يمكن توفر (شيخ) في كل نشاط إعلامي، وأنه إن كان هذا ممكناً، في البرنامج الحواري مثلاً، فإنه يصعب تحقيقه في الدراما.

مأزق العنصر البشري المؤهل، قاد .. كنتيجة حتمية، إلى التركيز على مضمون الرسالة الإعلامية. أصبحت هناك قناعة أن الجمهور يهتم ويتأثر بـ (الرسالة)، بدرجة

أكبر، وأن (المؤدّي)، أو الناقل للرسالة، يأتي بالدرجة الثانية. لكنْ .. ثمة سؤال آخر، أنتجته القناعة الجديدة:

ما هي الرسالة الإعلامية، التي يمكن أن يُعَبّرَ عنها، بأنها (إعلام إسلامي)؟

هل هي النصوص القرآنية الكريمة وتفاسيرها، والأحاديث الشريفة وشروحاتها .. و (تمثيل) السلوكيات المرتبطة بهما، من خلال فن من فنون الإعلام؟ أم أن الإعلام الإسلامي: هو كل ما دخل في دائرة (الأخلاقي)، الذي أقره الإسلام، وحضّ عليه .. كما ورد في الأثر، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" .. الجدل حول هذه المسألة، خَلُصَ إلى نتيجة مفادها أن الإعلام الإسلامي:

هو كل قول أو ممارسة إعلامية، منضبطة بضوابط الشريعة، دون أن يكون هناك (نص ديني) يأمر بها مباشرة.

مفهوم الإعلام (النقي):

أحدث الانفجار الإعلامي.. الفضائي منه على وجه الخصوص، رد فعل سلبي، لدى شريحة اجتماعية كبيرة. في غضون فترة قصيرة، امتلأ الفضاء العربي بالعشرات من قنوات الأفلام والموسيقى، التي لا تخضع لأي معيار أخلاقي، بل تعتمد فقط على الإثارة ودغدغة الغرائز. البث الفضائي المنفلت من أي ضابط أخلاقي سبب صدمة للتيار المحافظ العريض، في الشارع العربي.

الشكوى من (غربة) الإعلام العربي عن المجتمعات العربية، وانتهاجه منحى (تغريبياً)، بعيداً عن ثقافة المجتمعات العربية، وهوية الأمة.. لم تعد مقتصرة على (الإسلاميين). المشاهد العربي، المحافظ بطبيعته، شعر كذلك، بخطورة ما تبثه تلك الفضائيات، على النسق الأخلاقي للمجتمع، وبآثاره المدمرة على الشباب من الجنسين، وتهديده لتماسك الأسرة.

الواقع (الملوث) للفضائيات العربية، والإعلام العربي بشكل عام.. من وجهة نظر الشريحة المحافظة، واشتمال مضامينه، و (الرسائل الإعلامية) التي يبثها على الكثير من التجاوزات غير الأخلاقية، رفع درجة الاستياء .. وزاد من وتيرة الدعوة

لإعـلام (نظيـف) وَبنّـاء constructive، أو مـا صـار يُطلـق عليـه، لـدى بعـض (السوسيولوجيين)، والإعلاميين.. بـ (الإعلام النقي) .

الإعـلام النقـي ، كمـا يسـميه الـداعون إليـه .. لـيس معنيـاً بالأسـلمة، بمفهومهـا (المؤدلج)، وهو ما يدافع عنه المهتمون به، والداعون إليه.. ضد دعوى من يتصدى لأسلمة الإعلام، ويشكّكون بنوايا الداعين للأسلمة، بدعوى الحزبية والأدلجة. ينطلق مفهوم الإعلام النقي من مبدأ أن الفضائيات العربية، بوضعها الحالي تمارس تأثيراً سيئاً، واعتداءً منظماً، على منظومة الأخلاق العربية الإسلامية، وتسهم في تسطيح اهتمامات الإنسان العربي، وإعاقة نمّوه الثقافي، والاجتماعي، والسياسي، إضافةً إلى تغييبه عن واقعه. إن الاحتجاج على ما تبثه الفضائيات العربية، والتحذير من خطرها على الدين والهوية .. كما يرى الداعون إلى إعلام عربي نقي، أمر مشروع، وله ما يسوّغه من واقع تلك الفضائيات.

الفضائيات الإسلامية:

حرية الاختيار Freedom of choice :

بعيداً عن جدل المصطلح، وأسلمة الإعلام، ومفهوم الإعلام النقي، يجب الإقرار ابتداءً، أن انطلاق البث الإعلامي الإسلامي قد حقق قيمة عليا .. هي مبدأ (حق الاختيار) للإنسان العربي.

من المتفق عليه أنه لا يمكن الحديث عن إعلام (حقيقي)، يعكس نبض الشارع، وتوجهات الناس، إلا في بيئة (ديمقراطية) حرّة، تكفل حق التعبير .. وحق اختيار مصدر المعلومات، الذي يعرّض الإنسان نفسه له. لقد صارت حرية الاختيار والتعبير، بعد البث الفضائي الإسلامي حقيقة قائمة، وحقاً أصيلاً للمشاهد العربي، المحافظ منه على وجه التحديد. أصبح بوسع ذلك المشاهد أن يختار نوع (الشاشة)، التي يجلس أمامها، والرسالة الإعلامية التي يستقبلها.

الإطار النظري Theoretical Framework :

تقوم العملية الاتصالية Communication Process، على عناصر أربعة: المرسل (SENDER)، والرسالة MESSAGE ، والقناة CHANNEL ، والمستقبل RECIEVER.

يمكن تفسير وفهم عمل الإعلام الإسلامي.. الفضائي منه تحديداً، من خلال إطار نظري يقوم على نظرّيتين لهما علاقة بعنصرين من عناصر العملية الاتصالية. الأولى لها علاقة بالمرسل (SENDER)، أو المؤسسة الإعلامية، والثانية مرتبطة بالمستَقْبِل .. أو الجمهور (RECIEVER).

النظرية الأولى:

نظرية المسؤولية الاجتماعية Social Responsibility Theory

إذا كانت نظرية الحرية قد ظهرت كرد فعل على تعسف النظم الشمولية، ومصادرتها لحق التعبير، من خلال ما عُرف في الوسط الإعلامي .. بنظرية السلطة Authority Theory، فإن نظرية المسؤولية الاجتماعية، ولدت بسبب الاستخدام الخاطئ لمفهوم الحرية، في وسائل الإعلام .. ذلك الذي مهدت له نظرية الحرية سوء الاستخدام لمفهوم الحرية، سواء كان من قبل ملاّك تلك الوسائل أو من قبل (الإعلاميين) أنفسهم. لقد أفرطت نظرية الحرية Freedom Theory في إعلاء حرية الفرد على حساب مصلحة المجتمع، وبالغت في منح الفرد الحق في التنصل والتحرر من أي مسؤولية اجتماعية، أو قيمة أخلاقية في ظل هذه النظرية، ومع تحول الإعلام إلى صناعة صار يُنظر إلى كل شيء، على أنه (سلعة) .. حتى المبادئ والقيم، وأصبح جني المال هدفاً بحد ذاته، ولم يعد للجشع الفردي حدود.

في مقابل ذلك، ترى نظرية المسؤولية الاجتماعية، أن للفرد حقاً، وللمجتمع أيضاً حقوقاً، بوصفه مجموعة أفراد لهم حقوقهم، وينخرطون في الوقت نفسه، في (مؤسسات) اجتماعية، تسعى لخدمة الصالح العام .. وتحتاج لذلك، إلى حماية من نزوات الأفراد، وتسلط الرغبات الفردية. على المستوى الإعلامي سعت نظرية المسؤولية الاجتماعية للحد من تحكم الرغبات الشخصية، وتأثير الآراء الفردية في نسق الحياة العامة للجماعة .. و لتحقيق توازن بين حرية التعبير، ومصلحة المجتمع: "حريتك تنتهي، حيث تبدأ حقوق الآخرين". تبدو معادلة دقيقة .. لكن الشعور بالمسؤولية الاجتماعية، هو الذي يحققها. إعلامياً: المؤسسة الإعلامية، تضطلع بمهام و وظائف اجتماعية جوهرية في حياة الناس.. ولها دور تربوي

وتثقيفي، وليست مجرّد منبر لفرد، أو مجموعة أفراد، يمارسون من خلاله رغباتهم، عبر سطوة رأس المال.

وجد القائمون على الإعلام الإسلامي، أن نظرية المسؤولية الاجتماعية، هي الأقرب لتمثيل الفكرة الإسلامية إعلامياً، والأكثر تعبيراً عن مفهوم الإعلام، الذي يحمل رسالة، وملتزم أخلاقياً.. وهو ما يسعون لتطبيقه في عالم الواقع لكبح جماح الانفلات الأخلاقي. وهي كذلك النظرية التي يمكن من خلالها تحقيق الصالح العام، ولجم طغيان الأهواء الفردية.

النظرية الثانية:

نظرية الاستخدامات والإشباع Uses and Gratification Theory

مع ازدهار صناعة الإعلام، اعتمد بعض العاملين في مجال الإعلام، على هذه النظرية، لتسويغ السياسة الإعلامية التي ينتهجونها .. إنتاجاً وممارسة. تقوم النظرية على تفسير سلوك الجمهور تجاه وسائل الإعلام، على أساس من استخدام الأفراد للوسائل، وما يحققه استخدامهم لها من إشباع نفسي وفكري.

جاءت هذه النظرية لتقلب المعادلة كما يقال. كان الجزء الكبير من بحوث الإعلام، والدراسات، يتناول تأثير وسائل الإعلام في الجمهور، عبر (الرسائل) الإعلامية، ويركز على:

ماذا (يصنع الإعلام) بالناس؟

نظرية الاستخدامات والإشباع، طرحت السؤال بشكل معاكس:

ماذا (يصنع الناس) بوسائل الإعلام؟

بناء على النظرية، فإن اهتمامات أفراد الجمهور، وعادات المشاهدة عندهم، والغرض الذي يعرضون أنفسهم لوسائل الإعلام من أجله، هو الذي يحدد ما يُنْتَجْ .. أو يُعْرَضْ في وسائل الإعلام. الزعم كان، أن المؤسسات الإعلامية، ووسائل الإعلام، لا (تتعمد) إنتاج وبث مواد إعلامية بعينها. إنها فقط .. (تساير) رغبة المشاهد وميوله، الذي يطلب هذا النوع من البرامج، ويستخدم وسائل الإعلام للحصول عليها.. ليتحقق له الإشباع.

مفهوم نظرية الاستخدامات والإشباع، هو الذي روّج فيما يبدو لمقولة شعبية سادت في الأوساط الإعلامية العربية .. وهي : "الجمهور عاوز كده" ! كانت هذه العبارة تُقال، في سياق (الدفاع) عن موجة من البرامج الهابطة والمسفة، غمرت، وما زالت تغمر وسائل الإعلام العربية.

أثبتت تجربة الإعلام الإسلامي، وتنامي الشريحة المهتمة به، من خلال توظيف نظرية الاستخدامات والإشباع أن المشاهد العربي ليس مجرد كائن غرائزي .. يلهث خلف الترفيه الرخيص، والإثارة العارية. أثبتت كذلك، زيف مقولة إن "الجمهور عاوز كده". إنه لمّا امتلك حق الاختيار، استخدم الوسيلة الإعلامية، في تحقيق إشباع نفسي وفكري، سامٍ ومتحضر .. بعيداً عن سطوة الغريزة، وبرامج التسطيح الفكري، وعروض الترفيه الهابطة التافهة.

المعيار الأخلاقي:

يحكم العمل الإعلامي، من منظور إسلامي، معايير أخلاقية صارمة. القاعدة العامة التي تحكم أي نشاط بشري، على أساس من هذا المنظور هي:

الممارسة ليست غاية بحد ذاتها، بل بما تحققه من (فضيلة) Virtue. كما أن الممارسة نفسها.. إذا كانت صحيحة، تُعدّ نوعاً من العمل الصالح Good Deed، الذي ينال المسلم بسببه، الأجر من الله.

الفضيلة هنا، معنى عام .. لكل ما دعت إليه الشريعة، وما تراه حسناً، من قول أو فعل. وهي كذلك .. أي الفضيلة، هَدَف وغَايةَ العمل الإعلامي الإسلامي، لكن هذه الغاية، لا تُحقّق بأي وسيلة. هذه الرؤية للعمل الإعلامي خضعت لنقاشات طويلة، وتبلورت عن معيار أخلاقي، يحدد طبيعة عمل الوسيلة الإعلامية، وشكل الممارسة الإعلامية. تمحور مفهوم المعيار الأخلاقي .. بشكل رئيس حول مسألتين لهما علاقة بالوسيلة الإعلامية.. من حيث هي (قناة) medium، ومن حيث هي (رسالة) message. هاتان المسألتان هما: المرأة والفن.

المرأة:

تحتل قضية المرأة .. الصدارة في أي مسألة خلافية بين الإسلاميين وغيرهم. لا يمكن فهم أصل الخلاف .. الذي يؤدي إلى سوء الفهم دون معرفة موقع المرأة في

الشريعة الإسلامية، ورؤيتها للدور الذي تضطلع به في الأسرة والمجتمع المسلم .. ثم مفهوم الحلال والحرام، في العلاقة بين الرجل والمرأة.

لا ينظر الإسلام إلى المرأة –بعكس ما يظنه كثيرون– على أنها كائن أقل من الرجل، وعضو منتقص الحقوق. في واقع الأمر، تمنح الشريعة الإسلامية المرأة كثيراً من الحقوق في الحياة العامة. بل إنها في بعض الجوانب لها من الحقوق أكثر مما للرجل.

تثير حماية الإسلام للمرأة، والضوابط التي يضعها للحيلولة دون استغلالها علامات استفهام كبيرة. شرح العلاقة بين الرجل والمرأة، والأسئلة التي تثيرها طبيعة دور كل منهما.. كما قرره الإسلام لا يمكن الإجابة عنها، من خلال عزوها إلى نسبية ثقافية، تصوغ تلك العلاقة، وتحدد ذلك الدور. قاعدة الحلال والحرام في الإسلام لا تخضع لمفهوم النسبية الثقافية، بل تأخذ الأحكام وفق هذه القاعدة أبعاداً قطعية نهائية بحيث لا يمكن الالتفاف عليها تحت أي مسوّغ.

العلاقة بين الرجل والمرأة، واضحة الحدود والمعالم، مثلما أن دور المرأة في المجتمع واضح ومحدد. سوء الفهم ، حول موقف الإسلام من المرأة، والدور الذي حدده لها ناشئ من عملية إسقاط مفردات نظام ثقافي مغاير، على مجتمعات إسلامية تشكلت وفق ثقافة لا تقبل تمييع الحدود بين الجنسين، ولا تسمح بتداخل أدوارهما.

واقع المرأة –على الأغلب– في وسائل الإعلام حالياً، ينطلق من فلسفة صناعة الإعلام القائمة في معظمها على استغلال المرأة فيما يشد الرجل إليها.. وهو تحديداً جسدها. توظيف المحسوس لدى المرأة لجذب الرجل.. يرفضه الإسلام؛ لأنه يلغي كينونة المرأة، ويحوّلها إلى (شيء) Subject، ويزدري قيمتها الإنسانية. حدود الحلال

والحرام، كما يقررها الإسلام، تمنع إيجاد أوضاع تشجع على استغلال المرأة، أو تدفعها لتجاوز الحدود، التي وُضعت لحمايتها .. تحت أي ذريعة. الإسلام كذلك، قرر شكل وإطار العلاقات بين الرجل والمرأة، ومستوى الاتصال والتواصل بينهما .. وحدد بشكل قاطع دور كل واحد منهما. على أساس من ذلك لا يمكن (افتراض) علاقة من أي نوع بينهما، غير ما هو محدد أساساً، ولا اختلاق أدوار، غير التي

رسمت لكل منهما .. ابتداء. لأنه لا مكان لعلاقة (متخيّلة) ، ولا لأدوار (مفترضة) .. في مسائل الحلال والحرام.

برزت (مشكلة) المرأة في وسائل الإعلام العربية، حين نظر لطبيعة مشاركتها، وفق منظور ثقافي دخيل، وعندما تم (تَشْيِيئهَا) .. وفق ذلك المنظور، فصار يمكن عرضها، ضمن سلوك استهلاكي. فهي يجب أن تظهر بشكل وهيئة مقبولة .. للرجل. وهي كذلك، يجب أن تكون ضمن (رسالة إعلامية)، تشتمل على إغراء بمتابعتها، من قبل الرجال. المرأة في الإعلام الإسلامي، غير مقبول أن يتم تحويلها إلى شيء، أو (سلعة) .. يحكمها قانون العرض والطلب. ظهور المرأة في الإعلام الإسلامي، محكوم بالضوابط العامة للشريعة، التي تحدد دورها في الحياة اليومية. مثلما أنه لا يمكن وجود ممارسة (مفترضة) للمرأة في الحياة العامة، غير ما قررته الشريعة لها، فإنه كذلك، لا يمكن الحديث عن (ممارسة إعلامية) للمرأة، في ظل ظروف وأوضاع.. غير تلك التي تمارسها في حياتها اليومية، المنضبطة بأحكام الشريعة. هذا الواقع، وضع حدوداً وضوابط ، على عمل المرأة، وظهورها في وسائل الإعلام. تتسع هذه الحدود وتضيق ، بقدر ما تقترب المرأة، أو تبتعد.. عن أحكام الإسلام.

الإعلام الإسلامي أيضاً، بوصفه نشاطاً بشرياً لأفراد مسلمين، محكوم بقاعدة الحلال والحرام .. التي يؤمن بها أولئك الأفراد.. ولا يستطيع أن يخرج عليها، ليظل يحمل صفة الإعلام الإسلامي، ويبقى القائمون عليه، يوصفون بأنهم مسلمون ملتزمون في ممارستهم الإعلامية، بما في ذلك رؤيتهم لدور المرأة في الإعلام.

الفن:

الفن للفن.. أو الفن للرسالة ..؟

النقاش ما زال قائماً .. وسيبقى ، حول مسألة أن للفن قيمة قائمة بذاتها، خارج أي سياق ثقافي. يجادل الذين يؤمنون بمبدأ "الفن للفن" .. أن الفن يجب ألاّ يخضع لأي قيد أخلاقي، وأن يكون معبراً عمّا يسمىّ (الحقيقة) الإنسانية، في شكلها الأول. بناء على رأي هؤلاء، الأديان، والقوانين الأخلاقية التي يضعها الإنسان، أشياء محدثة وليست قديمة، تنطلق في تقييد الفن بضوابط أخلاقية .. بدافع من طبيعتها

المؤدلجة. الفن.. على ضوء هذه الرؤية، هو المعبّر عن روح الإبداع التي لا تعترف بحدود ولا قيود من أي نوع. أدلجة الفن بإخضاعه للمعايير الأخلاقية– كما يقولون– يؤدي إلى خنق الإبداع . النحات مثلاً .. برأيهم، الذي ينحت جسداً عارياً، يعرض إبداعاً و(فناً) Art، وليس معنياً بمفهوم (الإباحية) Pornography، الذي ترفضه المعايير والضوابط الأخلاقية. إنه يقدم (رسالة) جمالية.. ليس أكثر. يضيف هؤلاء كذلك، أن المعيار الأخلاقي نسبي، يختلف من ثقافة لثقافة، ومن فرد لآخر، داخل الثقافة الواحدة.

مبدأ الفن لأجل الفن، فتح الباب لممارسات، وسلوكيات كثيرة فيها تجاوز لمسلمات أخلاقية واجتماعية .. كلها صار يدرجها أصحابها تحت مفهوم الفن.

في الإعلام الظاهرة كانت أوضح؛ إذ انتهكت كثيراً من القطعيات الدينية والأعراف الاجتماعية، وتم التعدي على محرمات دينية، أو التقليل من رموز مقدسة.. باسم الفن والإبداع.

مقابل الفن لأجل الفن وُجدت دعوة: الفن للرسالة. يؤمن أصحاب هذه الرؤية بالقيمة الجمالية للفن.. وأن الجمال قيمة أخلاقية بحد ذاته. لكن أنصار هذا الاتجاه يرون أن الفن إذا تجرّد من رسالته الأخلاقية، واتكأ على الذائقة الفطرية فقط في تقديم الجمال.. يهبط إلى مستوى العرض الغريزي، الذي لم تهذبه الأخلاق التي جاءت بها الرسالات السماوية، أو دَعتْ إليها الفلسفات الأخلاقية. الفن بوصفه عملاً إبداعياً، ليس فعلاً مجرداً من أي قيمة. كل عمل يحمل رسالة، وكل رسالة تنطوي على قيمة. الترفيه مثلاً .. رسالة إعلامية، وممارسة تشتمل في جوهرها على إبداع، وفي ثناياها يوجد ثمّة (قيمة). إذاً .. لا يوجد ترفيه بريء، ولا توجد (رسالة) لا تحمل قيمة. كل رسالة إعلامية تحتوي بالضرورة – ضمن أشياء أخرى– على مجموعة قيم Value-Loaded Messages.

هذه الفلسفة هي ما يقوم عليه مبدأ: الفن من أجل الرسالة. القائمون على الإعلام الإسلامي، يصفونه بأنه (إعلام رسالي) . ضمن هذا الوصف، كل أنشطة الإعلام يجب أن تحمل في طياتها رسالة. هذه الرسالة.. هي في جوهرها رسالة الإسلام.. أو رسالة من (رسائل) الإسلام. الفن .. بصفته أحد أهم الممارسات الإعلامية، سواء

كان دراما، أو ترفيه، لا يخرج.. من وجهة النظر الإسلامية، عن هذه القاعدة: "الفن من أجل الرسالة". الرسالة الإعلامية الإسلامية كذلك، لابد أن تُؤَدّى من خلال الوسائل المشروعة. قاعدة الحلال والحرام لا تغيب، بل تحكم مضمون الرسالة .. (القيمة التي تحملها)، مثلما تحكم الوسيلة التي تنقل الرسالة. الوسيلة هنا، ليست فقط الوسيط Medium، الذي يحمل الرسالة، بل كذلك الآلية التي يتم التعبير عن الرسالة من خلالها، سواء كان نصاً Text، أو صورة Picture. معالجة قضية تتناول دور المرأة في المجتمع مثلاً، لا تتم من منظور الإعلام الإسلامي من خلال سيناريو، يشتمل على (نص) و (صورة) ، لعلاقة متخيّلة (دراميا)، بين رجل وامرأة .. لا يمت أحدهما للآخر بصلة.

سؤال الهوية:

مسألة (الهوية)، هي أبرز ما تثيره دعوات الأسلمة، وما لفتت النظر إليه تجربة الإعلام الإسلامي، من خلال البث الفضائي. هناك ملمحان في هذه المسألة. الملمح الأول، له صلة بالدين والمنظومة الأخلاقية، والثاني له علاقة باللغة. تتعرض الأمة لخطر استلاب حضاري، يتهدد هويتها. يحدث هذا، من خلال ممارسة إعلامية، ساهمت في إضعاف صلة الأجيال العربية بدينهم.. وتمردهم على نظامه الأخلاقي، عبر بث فضائي مكثف، فيه تجاوز كثير وكبير، لكل ما هو ثابت وأخلاقي. صنعت تلك الفضائيات كذلك، قطيعة بين تلك الأجيال، ولغتها الأم.. من خلال طغيان العاميات المحلية الهجينة، واللغة الأجنبية على اللسان العربي. أورث هذا الواقع وضعاً قريباً من حال فقدان الهوية Miss of identity، بسبب آثاره السلبية على الدين واللغة.

الدين والمنظومة الأخلاقية:

انعزل الإسلام في الفضائيات العربية، في برنامج (ديني) أسبوعي أو يومي، لشيخ يجلس أمام الكاميرا، يتحدث ساعة من الزمن، في شؤون لا علاقة للناس بها. إلى جانب البرنامج الديني، تمتلئ ساعات البث الأخرى، التي قد تمتد إلى أكثر من (20) ساعة، بكل ما هو غير ديني، وأحياناً (غير إسلامي). إبتداء من الأفلام الأجنبية المترجمة، أو المدبلجة، وانتهاء بأغاني (الفيديو كليب). تمتلىء هذه الأفلام

بكثير مما يناقض الإسلام فكرياً وأخلاقياً.. وأحياناً يسخر من بعض قيمه وتعاليمه. بل إن بعض هذه الأفلام .. خاصةً الأفلام المترجمة والمدبلجة تعبر عن موقف ضدّي، لمباديء الإسلام حين تروج لأسلوب حياة يصادم الأخلاق العربية الإسلامية في أساسها، مثل العرض (المحايد) للمشاهد المخلة، والعلاقات المحرمة، والخيانة الزوجية، ونكاح المحارم. أغاني الفيديو كليب التي أصبح لها قنوات عربية، مستقلة بذاتها، ليست إلا عرضاً رخيصاً ومباشراً لأجساد النساء، ولمشاهد جنسية فاضحة .. وتهييجاً فجاً وساقطاً، لغرائز الشباب.

إضعاف الوازع الديني، وانتهاك المحرمات، الذي أصبح سمة لازمة، لغالب البث الفضائي العربي .. احياناً بذرائع سياسية، باسم تجفيف منابع التطرف- أوجد حالاً من فقدان الهوية، وأفرز وضعاً أخلاقياً هشاً، تفشت في ظله الجريمة الأخلاقية. لقد تشكلت، بفعل هذه الفضائيات (ثقافة) موازية .. غير جوهرية، على خصام مع جوهر الثقافة الأصلية. لم يعد معظم الشباب العربي، على وجه الخصوص، يعبر في سلوكه.. عن ثقافة عربية شرقية .. محافظة، فضلاً عن أن تكون إسلامية. كما أن (القيم) الغربية التي اكتسبها، من تعرضه للفضائيات العربية، لم تجعله يتحلى بصفات الشخصية الغربية (الجادة)، التي حققت إنجازات، على الصعيد الفكري والتقني. التحلل الأخلاقي للمجتمعات الغربية وآثاره على النظام الأسري، والنسق الاجتماعي.. إضافة إلى تفشي الأمراض، الناتجة عن العلاقات الجنسية المحرمة، أصبح أكثر مظاهر الحضارة الغربية حضوراً، في المجتمعات العربية.

المهتمون بالإعلام الإسلامي، بعد مطالعات عميقة، لتأثير وسائل الإعلام على الجمهور .. مما ورد في الدراسات الكثيرة والمكثفة، التي أجريت في المجتمعات الغربية نفسها .. أدركوا الدور المدمّر لوسائل الإعلام، بما تبثه من رسائل إعلامية، على المتلقي العربي، خصوصاً ثوابته وقيمه الدينية. لم يعد قولاً جزافاً، الحديث عن وجود غربة حقيقية عن تعاليم الدين في أوساط الشعوب العربية.. ساهمت الفضائيات العربية، بشكل كبير فيها. بل إن هذا الواقع أفضى إلى نشوء تيارات شبابية متطرفة نزعت إلى العنف للتصدي لما تعتقد أنه عملية تدمير مقصودة لمنظومة الأمة الأخلاقية، وتهديد لوجودها. هذه الحقيقة هي ما دفع بعض الجهات والأفراد، لتبني

عمل إعلامي إسلامي مؤسساتي، يأخذ على عاتقة المحافظة على هوية الأمة، ويصون أبرز مقومات وجودها .. وذلك بحماية دينها ومنظومتها الأخلاقية، من هجمة (ثقافة) الفضائيات العربية.

اللغة:

اللغة وعاء الحضارة، وأَحَد أهمّ مظاهر الهوية، وهي كذلك، عنوان شخصية الأمة .. ومن أهم أسباب وحدتها. حوت اللغة العربية ميراث الأمة الحضاري، وساهمت في حفظ وحدتها الفكرية والجغرافية لقرون طويلة. تتراجع اللغة العربية الآن، بشكل كبير، على ألسنة أبنائها، أمام سيطرة اللهجات العامية المحلية، ومنافسة لغة هجين.. خليط من بعض كلمات عربية، وكثير من مفردات إنجليزية. تساهم الفضائيات العربية بشكل رئيس في تكريس هذا الوضع الكارثي للغة العربية؛ إذ تكاد تكون كل البرامج الناطقة بـ (العربية)، تتحدث بهذه العاميّات، أو باللغة الهجين. يستوي في ذلك .. البرنامج الاجتماعي، أو السياسي. أما الدراما (العربية) فكلها بلا استثناء ناطقة بالعامية.

على الرغم من أن العالم العربي ينتظم سياسياً في جامعة الدول العربية، التي تؤكد انتماء شعوبه إلى قومية واحدة ولسان واحد، إلا أن غَلَبَةْ العاميّات، يجعل التواصل بين الشعوب العربية، أمراً صعباً ومتعذراً . كان متوقعاً أن تؤدّي الفضائيات العربية، بوصفها إعلاماً جماهيرياً Mass Communication، دوراً جوهرياً.. في توحيد الشعوب العربية، وتعزيز تواصلها بتقليص العامية، ونشر اللغة العربية؛ إذ معلوم .. أن وحدة اللغة، تساهم في عملية دمج الشعوب الناطقة بها، وتعمل على صياغتها في وحدة قومية واحدة National Integration. لكن الذي حدث خلاف ذلك: تكريس العامية، وتقليل فرص التواصل والتفاهم.

يسعى الإعلام الإسلامي، باستخدامه اللغة العربية الفصحى، عبر البث الفضائي، لإعادة الاعتبار للغة العربية، من أجل حفظ هوية الأمة، والسعي لوحدتها .. وتعزيز تواصل شعوبها.

جدل المهني والديني:

اصطدمت المحاولات لتأسيس إعلام إسلامي .. في البداية بآراء فقهية، تحفظت كثيراً، على استخدام بعض تقنيات الممارسة المهنية الإعلامية، وعلى التوسع في استخدام تقنيات أخرى. المدرسة الفقهية الإسلامية بمذاهبها الأربعة فوجئت بالعملية الإعلامية، وتطوراتها المتسارعة، وبالدور الجوهري والحيوي، الذي صارت وسائل الإعلام .. بعد أن تحوّلت إلى صناعة، تقوم به في المجتمعات. وجد الفقهاء، ورجال الفكر الإسلامي أنفسهم أمام ظاهرة لا يمكن تجاهلها، فضْلاً عن رفضها. كما أن الموقف السلبي، الذي لا يتفاعل مع حدث بمثل هذه الضخامة، ويعيد تكييفه، ضمن النسق الحضاري الخاص به، ومقومات الثقافة المحلية، يؤدي إلى نتائج خطيرة، تنسحب آثارها على الدور الحضاري للأمة، وعلى تماسك النظام الاجتماعي والأخلاقي للمجتمع، وتنعكس آثاره السلبية على سلوك الأفراد. أبرزَ تقْنيتَينْ مهنيّتين إعلاميّتين، ثار حولهما جدل فقهي هما: الصورة والموسيقى.

الصورة:

لم ينل شيء من الوعيد والنكير، في أدبيات الفقه الإسلامي، بعد القَطْعيّات المحرمة، تحريماً أبدياً، مثل ذلك الذي ناله التصوير. منذ البداية.. اتخذ الإسلام موقفاً حاداً ورافضاً للتصوير. فَهْمُ التوحيد، الذي يقوم عليه أصل الاعتقاد في الإسلام، يساعد في معرفة الموقف الحدي، الذي اتخذه التشريع الإسلامي، من الصورة والتصوير. يقف التوحيد نقيضاً للشرك، الذي هو إشراك الله سبحانه في العبادة بصيغ شتى، لكنه في أظهر أشكاله، يتمثل بالوثنية، التي تقوم على عبادة (الصور) والتماثيل.

العلاقة الظاهرة بين التماثيل وبين الأصنام، والوثنية وطقوسها الشركية، خلق ارتباطاً لا شعورياً، وعلاقة غير ظاهرة، بين (الصورة) والأصنام، بوصفها ذريعة إلى (الشرك). اعتمدت الآراء الفقهية التي قالت بتحريم التصوير على أحاديث صريحة عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– فيها تحريم للتصوير، ووعيد للمصورين. الموقف الفقهي الصارم، في تحريم التصوير على إطلاقه، منع طويلاً .. أي مشاركة فاعلة للإسلاميين في العملية الإعلامية. هجمة الفضائيات العربية التي ملأت السماء العربية بقنوات .. تبث كل ما يهدد الأمة في دينها، ولغتها، وهويتها، جعل القيادات الفكرية الإسلامية تطلق صيحات التحذير حول خطورة (الغياب) عن مجال

حيوي كهذا. استشعار الخطر حيال واقع الفضائيات العربية، دفع بعض الفقهاء، إلى القول بأن مناط التحريم في التصوير، هو العلاقة المباشرة، بين الشرك وعبادة التماثيل، التي هي شكل من أشكال التصوير. هذا الرأي حرّض الفقهاء، لإعادة النظر في حكم التصوير، وَقَصْر تحريم التصوير، على المجسّم منه فقط، مثل النحت وصناعة التماثيل. مَثّل هذا الاجتهاد الفقهي، تطوراً غير مسبوق، في النظر إلى قضية التصوير. بناءً على ذلك، اعتبر التصوير الفوتوغرافي، وكذلك التصوير التلفزيوني، غير داخلين في التصوير المحرم، والمنهيّ عنه.

حَسْمُ مسألة التصوير فقهياً فتح الباب لتجاوز أهم العقبات الفقهية والمهنية أمام قيام عمل إعلامي إسلامي حديث. مع ثورة الاتصال ودخول العالم العربي تجربة البث الفضائي ظهرت تجارب فضائية (إسلامية) أخذت مكانها في الفضاء العربي، واقتطعت حصة لا بأس بها، من جمهور الفضائيات العربية.

الموسيقا:

هناك أحاديث شريفة، عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– تنص صراحة على تحريم الموسيقى. جاء ذلك تحديداً ضمن أحاديث نبوية تحرم الغناء وآلات الطرب التي وصفتها الأحاديث بـ (المعازف). العلماء الذين خرجوا على الإجماع بتحريم الغناء، والموسيقى التي تصاحبه، اشترطوا للتحريم أن يكون الغناء فاحشاً .. كلمةً وأداءً. هذا الرأي لم يلق قبولاً لدى جمهور علماء المسلمين؛ فظل الرفض للغناء قائماً، وبقي الموقف من الموسيقا، موضع جدل.

الجدل حول الموسيقا زاد واتسع مع نمو وسائل الإعلام، وازدياد استخدام الموسيقى في تلك الوسائل .. في غير الغناء . تطور الوضع بعد ذلك، حتى صارت الموسيقى تستخدم في أمور أخرى غير وسائل الإعلام. الجدل تطور، واتخذ شكل الخلاف على المصطلح، وصار السؤال: هل هي موسيقا music، أم مؤثرات صوتية Sound Effects ..؟

أصبحت المؤثرات الصوتية، جزءاً أساسياً من تقنيات العمل الإعلامي، مثل الإضاءة، والصورة، و (الجرافيكس) . مع تطور تقنية الصوتيات الحديثة، التي تستخدم الكمبيوتر في مزج الأصوات، لم تعد الآلات الموسيقية وحدها هي وسيلة

إنتاج المؤثرات الصوتية. التقدم التقني في إنتاج المؤثرات الصوتية، جعل الجدل الفقهي القديم حول الموسيقا، محل نقاش، وموضع نظر.

اعتبر المهتمون بالإعلام الإسلامي، تقنية إنتاج المؤثر الصوتي، فتحاً كبيراً في أسلمة العمل الإعلامي، وممارسته بطريقة مهنية حديثة. صار هناك كلام عن (بديل صوتي) للموسيقى، يتم مزجه الكترونياً، من مجموع أصوات تُستقى من الطبيعة، ويقوم بدور المؤثر الصوتي الفقهاء اعتبروا ذلك حلاً (شرعياً) .. ومثل ذلك انطلاقة مهنية للعمل الإعلامي الفضائي الإسلامي، وتجاوزاً لمشكلة أخرى، اقترنت بالتصوير.. وظلت فترة طويلة عقبة تحول دون مشاركة فاعلة للإسلاميين، في النشاط الإعلامي.

خاتمة:

تمثل تجربة القنوات الإسلامية، عملاً جديداً ومختلفاً، بكل المقاييس. جدّة التجربة واختلافها ليس في مهنية العمل، أو في استخدام تقنية جديدة .. خاصة بها، غير موجودة عند غيرها من القنوات. التفرد كان في (الثورة) النوعية، التي أحدثتها القنوات الإسلامية، في مجال البث الفضائي. في وقت لم تلتزم القنوات الفضائية الأخرى، بأي ضابط يحكم طبيعة البث ونوعه، إلا ما كان له علاقة بالتنظيمات (القانونية) في البلد الذي تعمل فيه .. وضعت القنوات الإسلامية معايير صارمة .. أخلاقياً ومهنياً، تحكم سياستها في البث. الحرية غير الملتزمة بقيود من أي نوع أعطى الفضائيات غير الإسلامية هامشاً كبيراً جداً للعمل. في المقابل .. المعايير والضوابط الأخلاقية للقنوات الإسلامية ضيقت هامش العمل لديها، وحدّت من استخدامها لكل ما هو (متاح)، في مجال العمل التلفزيوني .. مما يمكن أن (يجذب) المشاهدين، بمختلف شرائحهم، كما هو حال الفضائيات الأخرى.

أمْرٌ آخر يُحسب للقنوات الفضائية الإسلامية أنها نجحت في امتحان وإثبات مبدأ "التعرض الاختياري" Selective Exposure، كأحد أهم الفروض التي تفسر عملية اكتساب المعلوماتInformation Acquirement ، ومن ثمّ التفاعل معها. وفق هذه الفرضية، فإن الفرد يختار أن يعرّض نفسه لمصدر معلومات (معين)، ويتفاعل معه، ويتأثر بما فيه من معلومات .. ويكتسبها، على أساس من احتياجه. هذه

النتيجة، تؤكد الحاجة لتوسيع هامش الاختيار أمام المشاهد العربي، بتشجيع قيام قنوات جادة، تسهم في الارتقاء بالوعي والثقافة، كما أنها -كذلك- تدحض الزعم بربط تنامي السلوك المحافظ، والصحوة الدينية، في أوساط المجتمعات العربية، بنفوذ أفراد .. أو مجموعات غامضة، تمارس ضغوطاً على الناس، لإقناعهم بأفكارها. التعرض الاختياري، قرار شخصي بحت، يتم بمعزل عن أي نفوذ لطرف خارجي.

إذا كانت أبرز الملامح النوعية لتجربة القنوات الإسلامية قدرتُها على تقديم مضمون جاد، واستقطاب جمهور يهتم به .. في ظل أنماط متعددة لسلوك إعلامي استهلاكي، يعتمد على الإثارة .. بمختلف أشكالها، فإنه يجب الإقرار أن تجربة القنوات الإسلامية، لا تخلو من قصور مهني... حداثة التجربة، ونقص الكوادر المدربة، من أهم الأسباب، وغياب الرؤية أحياناً .. سبب آخر مهم. لا يمكن الادّعاء كذلك أن كل (الأهداف) التي تقول القنوات الفضائية الإسلامية إنها وضعتها، جزءاً من سياستها، بوصفها إعلاماً إسلامياً .. قد تحققت. استخدام العامية في تلك القنوات، ما زال موجوداً، وإن كان بنسبة أقل من غيرها من القنوات. بعض القنوات الإسلامية كذلك لم تستطع أن تتخلص من الطابع المحلّي للبلد الذي تبث منه، خصوصاً الاهتمام بالأحداث والفعاليات القُطْريّة، على حساب قضايا الأمة والأحداث العالمية. كما تسود هيمنة الطابع الشخصي .. لمالكيها، أو القائمين عليها، فتؤثر على السمة العامة لبرامجها، وعلى مستواها المهني.

==============

#أدعياء التنوير والعيش في الظلام

عبدالله الزايدي 1427/4/24

2006/05/22

يصف دعاة التنوير ذواتهم بالتقدمية ومواكبة العصر والتطورية، وينعون على غيرهم -خصوصاً خصومهم التقليديين (الإسلاميين)- تعلقهم بالقديم وارتباطهم التراثي، وانشدادهم للماضي، وخصومتهم للمجتمع، وفي ذات الوقت نجد هؤلاء الدعاة يقعون -وبصورة أشد- فيما يتهمون به خصومهم.

وحتى لايكون الأمر دعاوى لا تستند إلى البرهان، نقف مع أحد أبرز دعاة التنوير في بلادنا المملكة العربية السعودية، الذي يعده العديد من المتابعين أبرز وأعمق منظري الفكر التنويري كما يصفونه، وهو أكثر من كتب عن التنوير محبذاً وداعياً، ومنافحاً من خلال مقالات عدة في إحدى أبرز الصحف السعودية:

فنجد أبرز سمات فكره التنويري واضحة في كتاباته، وهي سمات تتناقض مع دعاوى التقدمية التي يبشر بها، ويمكن إيجازها على النحو التالي، مستندة إلى شواهدها من مقالاته المنشورة:

أولاً: الانشداد للماضي الأوروبي الذي مضى عليه أربعة قرون، وتجاوزه الواقع الأوروبي بمراحل، ولا يزال التنويري الكبير يحلم بتلك الفترة، ويعمّم أثرها على كل الإنسانية، حتى على المجتمع المسلم الذي لم يخرج من الظلمات إلى النور في رؤية التنويري إلاّ بفكر التنوير الأوروبي؟! فيقول:

1 –لم ينهض التنوير الأوروبي المجيد، الذي أخرج الإنسانية من ظلمات الجهل والتخلف والانحطاط، إلى نور العلم والتقدم والمدنية الإنسانية، إلاّ على إيمان راسخ وعميق بهذا الإنسان، إيمان متفائل، يتكئ على فعاليات عقلية، ومعطيات تجريبية من عالم الوقائع المادية، ولكنه – قبل ذلك وبعده – يكاد يكون عقيدة كلية، تستولي على مشاعر أولئك الفلاسفة العظام، في عصر النهضة الأوروبية.

2 – كما لم يأت التنوير الأوروبي من فراغ؛ فإنه – كذلك – لم يقم في فراغ. لقد كان الوقع المظلم لأوروبا في القرون الوسطى هو الباعث أو المسوّغ لطرح سؤال التنوير الذي أخرج أوروبا من الظلمات إلى النور. ولا يزال التراث التنويري، يمد العالم أجمع بنفحات من الحياة، يصعب أن تعيش بدونها؛ على الرغم من بعض صور العقوق له، حتى من أبنائه، وعلى الرغم من القراءات التي المتجاوزة من جهة، والمضادة لنهائيات القيم التنويرية من جهة أخرى.

3– اجترار مصطلحات الفكر الماركسي ومفرداته الخطابية نحو الخصوم: الظلامية، الرجعية.

على الرغم من مزاعم التنويري بالحداثة والتقدم إلاّ أنه موغل في التخلف واجترار مفردات الخطاب الشيوعي أيام الستينيات؛ فهو يصف مخالفيه بالرجعية والتخلف

فيقول: هناك – أيضاً – من يستفيد معنوياً من هيمنة الوعي التقليدي الرجعي. القيمة المعنوية لسدنة الرجعية مرتبطة ببقائها – ومن المعلوم أن مصطلح سدنة الرجعية أحد أبرز المصطلحات الشيوعية شيوعاً في الأوساط العربية في فترة الستينيات.

4- العداء المطلق للآخر (الإسلامي) وثقافته؛ ففي كتابات هذا الكاتب عداء شديد للثقافة الإسلامية، يتضح جلياً في مفردات السباب التي يوجهها لهذه الثقافة؛ فهو يصف ثقافة المجتمع المسلم الذي يعيش فيه بأبشع الأوصاف، فهي(ثقافة الغباء)، و (ثقافة الموت)، و (الثقافة الآتية من عصور الانحطاط)، و (الثقافة البائسة).

وهذه الشتائم لثقافة المجتمع المسلم الذي يعيش الكاتب فيه بجسده، ويغترب عنه بفكره تتكرر في أكثر من مقال، بل تتردّد أحياناً في المقال الواحد.

5 – تأكيد حالة الصراع الدائم مع المجتمع والاغتراب عنه، والاستعلاء عليه، ووصفه بالجهل والظلامية والخصومة معه ومع ثقافته، والدعوة للصراع مع المجتمع والقوى النافذة فيه، والتي تقف موقف التوجّس من دعوته، في نفس الوقت الذي يهاجم فيه أعلام الدعاة بأوصافهم بزعم أنهم يثيرون ثقافة الصراع في المجتمع، فمن أقواله الغريبة في هذا السياق:

أ) وكلّما تكشف الواقع عن روح ظلامية رجعية كان إحساس الفاعل التنويري بأهمية دوره التاريخي إحساساً عميقاً؛ يدعوه إلى (الجهاد) في سبيل التنوير، حتى النفس الأخير.

ب) هناك من لا يريد أن تظهر العلاقة بين التقليدي والتنويري على أنها علاقة صراع، وإنما يريدها علاقة حوار وتكامل. هذا حلم جميل. لكن طبيعة الوعي التنويري التقدمي، لا يمكن أن تكون في علاقة سلام مع الوعي التقليدي الرجعي الذي يحاول الرجوع بالأمة إلى الوراء. كل مفردة من مفردات التنوير الإنساني، ستجد لها ما يضادها من مفردات السلفية التقليدية التي تقف على الضدّ من الإنسان.

ج) التحوّلات الاجتماعية لا تسير بمنطق الأحلام الجميلة، بل هي إلى منطق الصراع أقرب. لن يرضى التنويري بالانسياق إلى غياهب الظلامية التقليدية، وكلّما تكشّف الواقع عن روح ظلامية رجعية؛ كلما كان إحساس الفاعل التنويري بأهمية

دوره التاريخي إحساساً عميقاً يدعوه إلى (الجهاد في سبيل التنوير، حتى النفس الأخير).

4 -التيار التقليدي قادر على الإضرار بنا مادياً ومعنوياً. لكن يجب أن تكون هذه القدرة حافزاً لنا للقيام بأي شيء لمواجهة هذه الظلامية القاهرة. والواجب أن تكون علاقتنا بقوة التيار التقليدي غير تقليدية. أي كلّما أحسسنا بتنامي قدرته على الإضرار بنا، فلا بد أن نكون أشد صراحة وجذرية في مواجهته، وليس أن نخضع لهيمنته ونفوذه.

6- التحامل على المخالفين له، وتشويه حقيقة موقفهم، وافتعال أسباب غير حقيقية للخلاف.

7- استبعاد البعد العقدي الديني لخصومهم الفكريين وقصر الأسباب على السبب المادي (التفسير المادي للتاريخ)، ويتضح ذلك في النصوص التالية:

1 - هناك من يستفيد مادياً من ضمور الفاعلية التنويرية وتضخم النفوذ التقليدي. أي أن موقعه في بنية المجتمع، وامتدادات المصالح الخاصة، تجبره على الوقوف في الصف التقليدي.

2 - هناك - أيضاً - من يستفيد معنوياً من هيمنة الوعي التقليدي الرجعي. القيمة المعنوية لسدنة الرجعية مرتبطة ببقائها. نحن نعرف أن هناك مؤسسات قائمة على ترويج هذا الخطاب، بل وأقسام (علمية!) جامعية، تمنح الشهادات العليا، بدرجة الولاء لهذا الخطاب التقليدي، وهؤلاء سيكونون في المهمش الاجتماعي في حال تنامي المد التنويري، وستصل قيمتهم الاعتبارية إلى درجة الصفر، بل ربما كانت المراجعة المعرفية التنويرية كفيلة بمحاكمتهم - معرفياً - على جنايتهم في حق الأمة.

8- اجترار مقولات ثبت بطلانها:

من المزاعم التي كان يلوكها دعاة التغريب من العلمانيين والشيوعيين في أواسط القرن الماضي، دعوى التشابه بين وضع علماء الشريعة ورجال الدين في أوروبا، وأن علماء الدين الإسلامي يتماثلون في مسؤولياتهم وأعمالهم مع رجال الكهنوت

الأوروبي، وهذه مزاعم فجة وغير علمية، ومع ذلك يأبى داعية التنوير الكبير إلا أن يلوكها في ترداد ساذج لمقولة مزورة للحقيقة، فيقول:

"لقد أدرك رواد التنوير العربي منذ أيام الطهطاوي وإلى هذه الساعة، أن التشابه كبير جداً – على الرغم من الفروقات الثانوية – بين الحالة الأوروبية في القرون الوسطى وحالة المسلمين اليوم. أدرك رواد التنوير العربي أن المسلمين لم يخرجوا – بعد – من قرونهم الوسطى التي تمتد لما يناهز عشرة القرون، وأن عصور الظلام الإسلامية لم تكن أحسن حالاً – بمعيار الوعي الكلي – من عصور أوروبا المظلمة ذات النفس الكنسي".

9- الاعتراف بأن للتنوير أهدافاً غير التقدم المادي، وهو الهدف التغريبي.

على الرغم من إلحاح التنويريين –كما يسمون أنفسهم– بأن التنوير يستهدف النهوض بالأمة، والانبعاث الحضاري، وتحقيق التقدم المادي، فإن داعية التنوير يعترف بأن بلادنا استطاعت أن تحقق إنجازاً تنموياً مادياً لايُستهان به، ولذلك لم تكن هناك حاجة للتنوير في بعده الثقافي في الرأي العام المحلي، ومع ذلك يصر على الحاجة إليه؟! مما يؤكد أن هدفهم من التنوير ليس التقدم المادي الذي يمكن حدوثه بمعزل عن هذا الفكر، بل يريدون نقل الفكر التنويري الغربي المعادي للثقافة المهيمنة على المجتمع وهي الثقافة الإسلامية، يقول الكاتب:

"لهذا لم يكن المجال للتنوير – في بعده الثقافي – مفتوحاً، بالقدر الذي يكفي لصناعة وعي حديث، يستطيع أن يعمل بالتوازي مع الحركة التنموية في بعدها المادي، وشبه المادي، وساعد على الزهد في التنوير ما أتت به الطفرة المادية من قدرة كبيرة على تحقيق منجزات تنموية لا يُستهان بها. وهذا المنجز المادي أوهم الوعي العام أن لا حاجة إلى التنوير، وأن الانبعاث الحضاري يتحقق، على الرغم من التمسك بالوعي التقليدي".

وحسب هذا الوهم فلا مسوّغ للمغامرة بتبني المشروع التنويري في أبعاده الثقافية.

===============

#الحد الأدنى للحياة السليمة

أ. ياسر بن علي الشهري 1427/4/11

2006/05/09

الدوائر الغربية المخطّطة للعولمة مفزوعة من نسب الإنجاب العالية في البلدان الإسلامية -الحالية والمتوقعة- حتى عام 2020م، وتؤكد أن المجتمعات الإسلامية مجتمعات شابة، بشبكات وعلاقات أسرية ودينية قوية، وهي بذلك مجتمعات تتجه نحو امتلاك القوة البشرية (الطاقة الأهم للحياة)، وفي الوقت الذي تشير فيه تقديراتهم إلى الانعكاسات الكامنة في النمو السكاني والروابط الأسرية على نهضة المجتمعات الإسلامية، تؤكد على الآثار المهددة للمجتمعات الغربية في هذا الجانب.

إن المنطلق الاجتماعي الإسلامي يقوم على الموقع المحوري للأسرة في سد الثغرات الاجتماعية التي تحدث نتيجة إهمال مؤسسات المجتمع الأخرى لأدوارها أو تقصيرها في القيام بها، وتتركز مهمتها في إحياء الروابط الاجتماعية، عندما تحيط الأخطار بالمجتمع وتتغلغل في حياته اليومية.

من هنا انطلق أحفاد فرويد إلى توظيف الأقلام الصحفية والحملات الإعلامية لإعلان الحرب على الأسرة (ضمن إستراتيجية إشاعة الفوضى في العالم الإسلامي)، واعتبارها من إرث "العصر الحجري"، وأنها أكبر العقبات في طريق السعادة الفردية، وهي مقولات تمثل اتجاهات ثقافية وفكرية جعلت من الأسرة "ساحة حرب" بين أفرادها مهمتها "توريث البؤس" من خلال الإنجاب!

كنا نسمع قبل سنوات معدودة أن على الأجيال الشابة أن تنصاع لقيم المجتمع والأجيال التي تكبرها، وكان من يتلمس الأعذار للشباب فريداً من نوعه ومن حيث موضوعه. فما الذي تغير الآن؟

في السنوات القريبة الماضية تحوّل الأمر، وتسارع المطالبون بالسير خلف الشباب، وانتشر الحديث عن هذا الموضوع، وما يتصل به انتشاراً واسعاً. فقد أصبحت الأسرة في نظرهم تابعة للشباب، وعمدوا إلى تشويه العلاقة بين الأجيال، وإلى قلب الهرم الإداري في داخل الأسر.

إن الأطروحات والحلول المرافقة لمشروع تغريب الشباب المسلم، والدخول بهم إلى أسوار منظومة المفاهيم والتصورات المضطربة التي مزجها لهم الإعلام الفضائي خلال العقد والنصف الماضي؛ تنطلق من مناقشة مواضيع الشباب من خلال منظور

اقتصادي مادي محض، مع طرح الحلول في صيغ مادية يتم العمل على تسويقها لتكون مألوفة في الثقافة المرئية، من خلال تبني النماذج الفاقدة للقيم الأصيلة، أو من خلال صور تغري على الانجراف دون خشية من العقوبة.

إن هذا العمل الإعلامي المتواصل له جذوره الاجتماعية والفكرية، فالمحور الأول والأخير الذي يستهدفونه هو تدمير الأسرة، وتغيير مكانتها والنظرة إليها، وما يتفرع عن ذلك من قيم ومعايير وتصرفات سلوكية اجتماعية يتم إخضاعها للعوامل المادية، بدلاً من أن تكون حافزاً للتقدم المادي أو ضابطاً له.

وعلى صعيد الآثار فقد تغير مستوى متوسط الأعمار بالنسبة للمتزوجين وأصبحت حالة فريدة أن يتزوج الشاب المقتدر وهو في العشرين، بينما باتت غالبية الزيجات متأخرة من حيث متوسط الأعمار، وبتكاليف باهظة و"بروتوكولات" تشير إلى انهزامية الأسرة الجديدة على العتبة الأولى لتحديات الحياة.

وتزايد العزوف عن الإنجاب، تعبيراً عن حالة الإنسان العصري كفرد أناني يعمل لتحقيق مصلحته على حساب الآخرين بأي ثمن، وعن حالة مجتمع يفقد قيمه العظيمة بشكل تدريجي ويتجه نحو الفردية، حتى سمعنا عمّن لا يريد إنجاب أطفال يعلل ذلك بأسباب مادية، أو الرغبة في الاستمتاع بالحياة، أو الاستقلالية.

الأطروحات "الفوضويّة" الراهنة تخطط لثورة جنسية تقوم على أنقاض الأسرة التي تؤدي دور المحتضن للمشاعر والمنظم لعملية إنفاقها، كما يؤكد ذلك احتواء الرسول –صلى الله عليه وسلم– للشاب "الثائر جنسياً" الذي جاء يستأذن في الزنا، وتمت السيطرة عليه من خلال إحياء المعاني الأسرية والجماعية في تفكيره.

يجب على العلماء والدعاة والإعلاميين والمعلمين أن يبرهنوا للأجيال الناشئة أن العلاقة بينهم وبين أسرهم ليست علاقة صراع وتصادم، وأن يربطوا مصالحهم بمصالح أسرهم، وأن يشوّهوا صور الحياة الفردية، ويستدعوا النماذج والقصص والأحداث التي تكشف ذلك.

يجب أن يُوجّه النصح، ويُسلّط النقد على دعاة الحياة "على انفراد" وضحاياها من النماذج "المنفردة" التي تعيش وفق شعار "البقاء للأقوى"، وأن يُفضح أعداء (مشاعر الحياة الأسرية): التضامن والمحبة والإيثار وتكامل الأدوار.

كما يجب كشف محاولاتهم التنظيرية التي تستهدف وضع المجتمع على طرفي معادلة النجاح أو الأسرة، أي إما النجاح في الكسب المادي أو التفرغ لتحمل أعباء الأسرة ونفقاتها، والمطالبة بإقصاء هذه الأقلام والأصوات عن ساحات التفكير والحل والعقد لأمور المجتمع.

وكما يؤكد الألماني (فرانك شرماخر) مؤلف كتاب (الحد الأدنى) أن قدرة الألمان على الخروج من مخلفات الدمار الشامل نتيجة الحرب العالمية الثانية، وإنقاذ أنفسهم مجتمعاً وأفراداً في وقت واحد لم يكن سببه ما يُوصف بالمعجزة الاقتصادية، وإنما هي في الواقع معجزة اجتماعية، ومن خلال مفهوم الأسرة الذي ساد حتى السبعينيات من القرن الماضي.

ويقول: "وضْعنا الراهن يستدعي تحوّلاً اندماجياً اجتماعياً كالذي كان عام 1945، فعلى ألمانيا اليوم أيضاً إعادة بناء نفسها، ولكن نقطة الانهيار الآن هي الأسرة، المؤسسة التي وجدت آنذاك القوة الأساسية لإعادة إنشاء البلد. ألا يمكن أن يتحقق الآن مثل الذي تحقق بالأمس؟".

وليسمح لي القاري الكريم أن أستمر في النقل من (شرماخر) الذي يقول ما لم يقل به كثير من أبناء المسلمين العاقين لدينهم وقيمهم، حيث يقول: "كان من أبرز ما أظهرت دراسة العلاقات الاجتماعية عن الثورة الجنسية التي أباحت المحرمات السابقة؛ أن علاقة "الحب" أصبحت مفقودة، ففُقد أساس الحرص على الأسرة والإنجاب، واستبدل المجتمع بالمتعة الجنسية وحدها التي تدمر كل شيء، وقد أسهم في ذلك: عروض التلفزة والمسرح وغيرها من العروض الثقافية والفنية التي لم تعد تقدم الأسرة أنموذجاً يؤثر إيجابياً على المشاهدين، بل أصبح النموذج الأول فيها هو الفرد دون "أسرة" فنحن جميعاً، لا سيما أطفالنا، نشهد كل يوم، كل مساء، نماذج لا نهاية لها عن صداقات وهمية، وأزمات وهمية، وزيجات وهمية.. والمثير للقلق هو الازدياد الملحوظ في عدد من يحاولون تقليد هذه الصور الوهمية".

إن بداية الانهيار دائما تنطلق من انقلاب فكري عند جيل يغفل إنجازات الجيل السابق بإمكاناته وقدراته، ويتحرك بمنطلقات فردية أنانية تؤدي إلى انخفاض مستوى

العلاقة بين الأجيال. فهل ننتظر العواقب حتى نغير من حالنا؟ وهل نستسلم لتهمة التقليدية فنتخلى عن الحد الأدنى للحياة السليمة؟

إن العناية ببقاء المرأة قدر الإمكان في بيتها ينطلق من كونها أساس "الكيان الأساسي" للتنظيم الاجتماعي؛ فهي راعية ومديرة المؤسسة الأهم في النظام الاجتماعي(الأسرة)، الحد الأدنى للحياة الاجتماعية السليمة، وهي –المرأة- الأقدر على تحقيق التوازن الاجتماعي والعاطفي، من خلال دورها ومكانها ومكانتها، على صعيد كيان الأسرة، وعلى صعيد إعادة تنظيم العلاقات الاجتماعية.

يُعوّل على المسلمة في عالمنا المعاصر أن تبادر للردّ بقوة –وبصوت مسموع- على كل من يهدّد مملكتها، وأن تتخذ قرارها بحماية عقول وأفئدة الناشئة في أسرتها من الحملات الإعلامية المدمرة للحياة الأسرية، والمسوقة لقيم الفردية والمادية؛ فقد عجز كثير من الذكور عن ذلك! وعملوا على تعميم عجزهم!

==============

صور من الصمود والإباء

أيها المسلمون : لقد شاهدتم ما فعل يهود بغزة الأبية ..طائرات ودبابات .. صواريخ وراجمات..أجسام تمزقت ..وأشلاء تناثرت ..إن غزة الأبية اليوم ..تنطق لو كان لها لسان ، تستصرخ في نفوس المسلمين النخوة الإسلامية ، وتبعث في نفوس المسلمين عزة المسلمين،وتستثير في قلوب البشر عاطفة البشر ، في غزة الأبية الآن أمهات ثاكلات ، و زوجات مفجوعات ، و يتامى من صبية وبنات !! في غزة الأبية الآن .. قلوب متصدعة ، ودموع منهمرة ، وبيوت مخربة!! ومع ذلك فبشائر النصر لائحة ..وميادين العزة قائمة ..وسوق الجهاد رائجة .

أيها المسلمون : طالما تحدثنا عن بطولة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم التي لا تملها النفوس ولا تمجها الآذان ، ولكن سأحدثكم اليوم عن بطولات المقاومين الشرفاء . والأبطال الفضلاء من أبناء فلسطين الأبية .. فيا ترى بأي موقف نبدأ رحلتنا ..وبأي حادثة نفتح مسيرتنا .. دعونا نفتحها بالصغار كي يتأدب الكبار من أمثالنا ، ودعونا نستفتح بالبنات الصغيرات كي يفيق أمثالنا من سكرتهم ، ويستيقظوا من غفلتهم ، فهذه طفلة فلسطينية في العاشرة من عمرها ، تدعى ريم الرياشي ،

جاءت إلى أحد القادة تطلب منه ماذا ؟ هل تطلب منه لعبة تلعب بها ؟ كلا ؛ هل تطلب منه حلوى تملأ بطنها منها ؟ كلا ؛ لقد طلبت منه أن يسمح لها بإقامة عملية استشهادية تقتل فيها أحفاد القردة والخنازير !! فيا الله ..فتاة صغيرة هذا هو همها .. وتلك هي طلبتها ، فردها الرجل ظناً منه أنه حماس الصغار ..يتلاشى مع مرور الأيام ..كما يحصل معنا نحن الكبار .. فإذ بها تأتيه بعد أسبوع ..مكررة نفس الطلب ..ولا تزال عزيمتها ماضية ..وهمتها عالية ..حتى مرت الأيام ..وأصبحت الصغيرة كبيرة ..وتزوجت وصار لها ولدان وهي لا تزال تصر على تنفيذ حاجتها – حتى احتاج المرابطون فتاة استشهادية ..فقال ذلك القائد ..هي عندي !! فسأل عنها حتى عرف منزلها ..وأخبرها بالأمر ففرحت بذلك أيما فرح ، واستبشرت بذلك أيما استبشار ..وكأنها تُزف في ليلة عرس .. فلا إله إلا الله على تلك النفوس الكريمة !! جاء الأسبوع الذي حدد لإجراء العملية ..فاستأذنت زوجها للتفرغ للعبادة في أيامها الأخيرة ، فأذن لها .. وفي يوم الأربعاء موعد اللقاء اتُصل بها وتجهزت ..وفي أثناء سيرها لتنفيذ العملية ..حصل ظرف طارئ .. فاعتذر منها إلى الأسبوع الذي بعده – وهي لا تزال على موقفها صموداً واستبسالاً .. وفي آخر أربعاء من حياتها . رحمها الله . جاءت مع زوجها في سيارته إلى مكان الحادث وهي ترضع جنينها الصغير ؛ الرضعة الأخيرة في هذه الحياة ..وما أصعبها من لحظات ..وما أحرجها من ساعات ..فلما وصلت إلى مكان العملية ودعت زوجها وقبلت صبيانها ..وقالت لزوجها بكل قوة وشجاعة ..اللقاء بيننا في الجنة بإذن الله تعالى ، وانصرفت إلى نقطة تفتيش يهودية ، فما أن دخلت مع جهاز الإنذار إلا وقد ارتفعت أصوات التحذير والإنذار !! فاجتمع ستة نفر من الصهاينة للإمساك بها ، فلما رأتهم قد أقدموا إليها .قالت لأخت لها فلسطينية كبيرة ..اهربي من المكان ، فأسرعت هاربة .. وهنا جاءت ساعة الصفر فأطلقتها ضاربة أروع الأمثلة في الشجاعة والبسالة

وإذا كانت النفوس كبارا *** تعبت في مرادها الأجسام

فرحمك الله يا ريم وجعلك مع زوجك وأولادك في الجنة .

قارن يا رعاك الله بين هذه الصورة الرائعة ..وصورة بعض نساء المسلمين اليوم، يا ترى ما هي القضايا التي شغلت بالهن ؟!وما الأمور التي أقضت مضاجعهن ؟!! لا

أريد التفصيل فالإجمال هنا مطلوب لأن واقعنا مر مذاقه ولا حول ولا قوة إلا بالله .. فأين نحن من هؤلاء ..

لا تعرضن بذكرهم في ذكرنا **** ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

وعندما بدأت الانتفاضة الأولى ..شارك فيها الجميع ..الصغار والكبار ..الرجال والنساء ..فهذا رجل فلسطيني تجاوز عمره الستين عاما .. عندما كانت الحجارة سلاحاً لهم ولا تزال ..كان ينقل الماء عبر دراجته ..إلى أبطال الحجارة..الذين لم يجدوا إلا الحجر يقاتلون به يهود ..فليقاتلوا به ..فكان ذاك المسن .. يروح ويغدو ، ذاهباً وراجعاً ، يحضر الماء للأبطال ..يحتسب الأجر والثواب من الله في الإعانة ولو بإحضار الماء للمجاهدين الشرفاء ..فأين نحن من هؤلاء ؟!!

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

أيها المسلمون : لقد كنا نسمع عن قصة حنظلة بن عامر غسيل الملائكة ونقرؤها في كتب السير ونحن الآن نسمعها نابعة من أرض فلسطين الأبية .. فهذا شاب في الثامنة عشرة من عمره يدعى بلال بن الشيخ نزار ريان يدخل على زوجته في ليلة عرسه ويبيت معها .. يقول والده فسمعت الصارخ قبل بزوغ الفجر من تلك الليلة ..ينادي.. حيّ على الجهاد ..معلناً اقتحام اليهود على شمال غزة ..فلبست ملابسي وأخذت سلاحي ..وترددت في طرق الباب على ولدي ليخرج للقتال وهو في أول ليلة من زواجه ..ولكني عزمت على ذلك وطرقته ..فردت عليّ زوجته قائلة.. لقد انطلق لعزه وكرامته !! فلا إله إلا الله ..في ليلة عرسه يترك زوجته الحسناء ..يتركها في ليلة تُعد في عرف الناس ..من أجمل ليالي العمر ، ومع ذلك ..يخرج مسرعاً ..دون غسل ..تاركاً خلف ظهره زهرة تفوح عطرا ..لأنه أدرك أن ما عند الله هو خير وأبقى ..وأدرك أن هناك جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

تهون الحياة وُكلٌّ يهوون ولكنَّ إسلامنا لا يهون !

إذا ما أرادوا لنا أن نميل عن النهج قلنا لهم مستحيل

هو الدين عصمتنا في الحياة وليس لنا من سبيل سواه

فإسلامنا نبضنا والعيون على رَغم ما يمكر الماكرون

إلى الدين فالموت أولى بنا ولسنا نفرط في ديننا

وأقول كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الحمد لله الذي جعل في زماننا مثل حنظلة بن عامر رضي الله عنه !! فأين نحن من هؤلاء ؟!!

أيها المسلمون : هل تعلمون بماذا أوصت نعيمة عابد .. ولدها..وفلذة كبدها ..وريحانة فؤادها ..هل أوصته بأن يغادر فلسطين الأبية ..كي يُساكن الكفار ..للسياحة والدراسة ..كلا ..بل بعثته لليهود ..لا ليكون عميلا لهم ..يبث أفكارهم في صفوف المسلمين ..بل بعثته ليؤدب يهود ..وتقول له ..عندما تقابلهم ..(لا ترتعد أمام العدو ، و لا تهدر الرصاص ..ثم قالت : (و رسالتي للأمهات الصهيونيات لا ترسلن أبناءكن للموت في معركة خاسرة) ..لقد ذكرتني نعيمة بالخنساء ..وهي ترسل أبناءها للمعركة وتقول لهم : (يا بنيّ: إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والله الذي لا الله إلا هو، إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم أبناء امرأة واحدة ما هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، اعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، وجللت نارا على أوراقها ، فتيمموا وطيسها ، وجالدوا رسيسها، وتظفروا بالغنم والكرامة، في دار الخلد والمقامة ..وفي الصباح الباكر كانوا في مقدمة الصفوف ينفذون وصية الأم الحكيمة، ولما بلغها خبرهم قالت كلماتها المأثورة التي كتبها التاريخ الإسلامي بحروف من نور، وعاشت على جبين الزمان على مدار الأيام والأعوام)الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم جميعا في سبيل الله ونصرة دينه وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة) .

فأين نحن من هؤلاء ..إن إخواننا هناك يضربون أروع الأمثلة في الصبر والمصابرة .. في مجالدة الأعداء ..وقتال الألداء ..يحتسبون الأجر والثواب من الله تعالى ، فأين نحن من هؤلاء ؟!! اشتكت زوجة أحد القادة إلى زوجة أخينا الكريم ..من سوء حال بيتها وأنه لا يوجد فيه من أساسيات المنزل فضلا عن محاسن الدنيا شيء ..وتقول لعل زوجك يؤثر عليه فيكلمه في الاهتمام ببيته وترميمه ..يقول صاحبنا فكلمته استجابة لهذه المرأة..فقال لي يا فلان ..لا أريد أن أحسن بيتي..حتى يكون السجن عندي كأنه قصر بالنسبة لبيتي الذي أسكنه .. فيا لله .. على تلك الأرواح الطاهرة !!

يا أمة الإسلام بشرى *** لن يطول بك الهوان

قد لاح فجرك باسما *** فلترقبي ذاك الزمان

نعم النصر قادم بإذن الله تعالى..ما دام عندنا أناس يعيشون بتلك النفوس العالية .. والهمم السامية ... ((الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)) (الحج : 41) .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

الخطبة الثانية

أيها المسلمون : إن إخواننا في مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيشون حياة أخرى ..حياة كلها جهاد واستشهاد ..حياة كلها تضحية و فداء ..فهم يتقلبون في صور الجهاد المتنوعة ..وأشكاله المتعددة ..فعلى شدة الحصار الاقتصادي والضرب العسكري ؛ إلا أنهم صابرون محتسبون ..يقتسمون أموالهم القليلة فيما بينهم ويصدق عليهم قول الله تعالى ((وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) (الحشر : 9) . فالمرأة الفلسطينية تجود بأغلى ما تملك ..وهو ذهبها وحليها التي تتزين به أمام زوجها ..تنفقه في سبيل الله تعالى لسد جوعة الجائعين ..وكسوة المساكين ..ورعاية الأرامل واليتامى والمعوزين ..

لقد تكيف الشعب الفلسطيني مع حياة الجهاد ضد يهود ..وعرفوا أنه لن يكون هناك نصر بلا إيمان ..ولن يكون هناك نصر بلا تضحيات وابتلاءات ..ولن يكون هناك نصر بلا صبر على البلاء .. ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ)) (البقرة : 214) .

ومن هنا نتساءل أيها المسلمون ..ونحن نعيش اليوم حربا بصورة أخرى ..وقتالا مستميتاً من قبل أعداء لا يقلون خطرا من يهود بل هم العدو الحقيقي كما قال الله ((هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)) (المنافقون : 4) .

فأهل النفاق في بلادنا ..ارتفعت رؤوسهم ..لا رفعها الله ..وتعالت أصواتهم ..قطعها الله ..وكثرت مطالباتهم ..لا كثرها الله ..في تغريب المجتمع ..مستغلين أحداث الأمة الكبار ..وهكذا هم دائماً ..كفنا الله شرهم بما يشاء ..والسؤال الذي يطرح نفسه بنفسه ..لقد جاد إخواننا في فلسطين بكل ما يستطيعون في الدفاع عن دينهم ومقدساتهم وأعراضهم ..فماذا قدمنا نحن في جهاد المنافقين ؟!! هم جادوا بأرواحهم من أجل دينهم ..ونحن لا يتطلب الأمر أرواحاً ..ومع ذلك نرى تقاعس بعضنا عن مقاومتهم ، والحد من شرهم ؛ لقد فعل إخواننا في دفع الأعداء عنهم الغالي والنفيس ..وبذلوا أموالهم ..وسخروا جهودهم وأوقاتهم ..فماذا قدمنا نحن لحماية ديننا من أهل الفساد والإفساد ..هل أقمنا صحيفة تنشر الفضيلة ..وتحارب الرذيلة ..بل هل قاطعنا وسائلهم التي ينفثون سمومهم من خلالها !!..هل أقمنا قنوات فضائية تدعو إلى الله على بصيرة ..لقد قدمنا دراسات لإقامة قناة فضائية ..لبعض تجارنا الكرام..والسؤال الذي دائماً يُطرح أمامنا ..كم إرادات هذا المشروع ؟!! كم الأرباح والمكاسب المالية ؟!! ونسي هؤلاء ما يدفعه أصحاب القنوات الفضائية الفاسدة من الملايين في نشر فسادهم وباطلهم ؟!! ونحن معاشر أهل السنة ..لا نساهم إلا بمقابل مالي و مضمون ..فلا حول ولا قوة إلا بالله !! وحسبنا الله ونعم الوكيل ..عجباً لجلد الفاجر ..وعجز المؤمن .

ويا ترى أيها المسلمون : هل أقمنا مؤسسات لرعاية المطلقات والأرامل وقضاء حوائجهن كي لا تستغل حاجاتهن في مآرب فاسدة ؟!! هل فتحنا مكاتب للمحاماة للدفاع عن المظلومين والمظلومات الذين لا يستطيعون أخذ حقوقهم بسبب ضعفهم وقلة حيلتهم ؟!! هل اجتهدنا في محاربة مظاهر التبرج والسفور في بلادنا ؟!! هل أقمنا المستشفيات النسائية والرجالية التي تحفظ عورات المسلمين ؟!! هل بادر الغيورون في إنشاء الجامعات الأهلية لحفظ أبناء المسلمين وبناتهم من موجات التغريب والتي تحصل الآن من بعض الجامعات الأهلية ؟!!

إنني ومن على منبر محمد صلى الله عليه وسلم ..أناشد كل غيور على دينه..أناشد كل مؤمن ..أن يبذل ما يستطيع في نصرة هذا الدين ..بقلمه ..بفكره ..بجهده ..بماله ..بجاهه ..بمنصبه ..بكل ما يملك ..لتصبح قضية الدين ..هي القضية التي

نعيش من أجلها ..ونحيا من أجلها ..وكفى جريا وراء سراب الحياة وملذاتها ..والدنيا ومفاتنها ..فيا رب استعملنا في طاعتك ..واجعلنا من أنصار دينك ..يا رب العالمين .

==============

#إعلام (النخر الخفيّ)

د. محمد بن سعود البشر 1427/3/13

2006/04/11

لست دومًا من المتشائمين، ولا يفرحني أن أكون من طائفة المحبطين، ولا المنتمين إلى فرق الناقدين، بيد أن الأجواء التي يفرضها علينا إعلامنا تجعلنا نتنفس هواءً لا ينتمي إلى مناخنا، وتجبرنا على المسير في غير تضاريسنا، وترسم لنا –قسرًا– طريقًا يقتلنا الظمأ، والماء فوق ظهورنا محمول.

هذه حالنا مع الإعلام، يصيبنا بالدّوار والغثيان، ويخنق أنفاسنا بلبوس ليس لنا، ولا يقابل هذا الطوفان إلا نزر قليل من إعلام يحاول المقاومة ليكون (البديل).

إعلامنا تتنازعه أهواء شتى، بعضها مُقولب يرمي إلى هدف وغاية، والآخر يقتلنا بالجمود الذي لا حراك فيه.

الأول: تغريبي، يجاهد في انتزاع الهوية، أو تشويه ملامحها.

والثاني: إعلام مرتزق أبله، همه الانتشار والثراء، لا يحمل رسالة، ولا يُسفر عن مبدأ. أصحابه كبائع الصحف، يرتزق منها ولا يفقه مضامينها. باطنه أجوف، كميّت الأحياء، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا.

الأشد وطأة علينا (الإعلام التغريبي)؛ لأنه الأكثر، والأخطر، يتسلل إلينا جهرة أو لواذًا، إذا هدأت الرقابة المجتمعية عليه، أطل بوجهه ورشق بالحجارة. وإذا تصدّت له أصوات الغيارى والناصحين تدثّر برداء (النقد) و (حرية الرأي)، و(حق المخالف)، أو خنس تحت الجدار ليبدأ مهمة (النخر الخفيّ) ويترقّب تصدّع البناء.

في جواب لسؤال: متى تنشطون؟

قال أحدهم:

إذا هدأ (المدّ المشيخيّ)، إشارة للعلماء!!

ينشطون إذا سكت العلماء عن فجورهم، ويخنسون إذا ارتفع صوت العلماء في التصدي لهم، وكشف باطلهم.

الذي نأمله ونرجوه:

أن يبقى صوت العلماء مجلجلاً بالحق، كاشفًا أهواء المرجفين، الجاثمين على إعلامنا، المقصين لثقافتنا، المستهزئين بقيمنا، الحاقدين على منهجنا.

نأمل ذلك ونرجوه؛ لأنهم العلماء.

الذين إذا علا صوتهم.

خنست أصوات العلمنة والزندقة والتغريب.. فلا تحسّ منهم من أحد أو تسمع لمثلهم ركزًا.

===========

#لماذا المنهج؟ (1 . 2)

أ. د. عماد الدين خليل 1427/1/20

2006/02/19

إن مسألة اعتماد منهج عمل دقيق، أو برنامج مرسوم، يجب أن تأخذ مكانة متقدمة في سلم الأولويات، ليس فقط بالنسبة للنشاط التاريخي، ولكن بالنسبة للفكر الإسلامي المعاصر عموماً من أجل أن يمضي إلى أهدافه بأكبر قدر من التركيز، والاقتصاد في الجهد، وتجاوز التكرار، وتغطية المواضيع الملّحة وفق تسلسلها في الأهمية.

منهج، أو برنامج عمل، واضح الأبعاد، محدّد المفردات، بيّن الملامح، مثبّت الأهداف، من أجل حماية أنشطتنا الثقافية كافة من الارتجال والفوضى، وربما التناقض والارتطام.

إن القوم في عالم الغرب يغزوننا اليوم بأكثر من سلاح، وإن (المنهج) الذي يستهدي بمقولاته ونظمه معظم المفكرين، أفراداً ومؤسسات، لهو واحد من أشد هذه الأسلحة مضاءً في تمكينهم من التفوق علينا وفرض فكرهم في ساحاتنا الثقافية كافة.

هم منهجيون في كثير من أفعالهم وممارساتهم، بغض النظر عن مدى سلامة هذا المنهج وصدق مفرداته وصواب أهدافه التي يتوخاها.. منهجيون وهم يتحاورون ويتناقشون .. منهجيون وهم يكتبون ويبحثون ويؤلفون .. منهجيون وهم يدرسون

ويقـرؤون ويطــالعون .. إن المـنهج بالنسـبة للمثقـف الغربــي يعنــي ضــرورة مــن الضرورات الفكريـة، بل بداهة من البداهات، وبدونـه لن تكون الحركـة الفكريـة بأكثر من فوضى لا يضبطها نظام، وتخبّط لا يستهدي بهدف، ومسيرة عمياء لا تملك معالم الطريق ..

ونحـن، إلاّ قلّـة مـن المفكـرين، علـى النقـيض مـن هـذا فـي الكثيـر مـن أفعالنـا وممارسـاتنا.. بـلا مـنهج فـي حوارنـا ومناقشـاتنا.. بـلا مـنهج فـي كتاباتنـا وأبحاثنـا وتآليفنا.. بلا منهج في دراساتنا وقراءاتنا ومطالعاتنا .. وأنشطتنا الثقافية بعامة ..

لكأن الرؤيـة المنهجيـة التـي منحنـا إياهـا كتـاب الله وسنة رسوله عليه السلام( ) قد غابـت عنـا، وأفلتـت مقولاتهـا مـن بـين أيـدينا، وتلقفهـا القـوم كمـا تلقفـوا الكثيـر مـن معطياتنا الثقافية فذكروها ونسيناها، والتزموا بها وتركناها، وتحققوا بحضورها الدائم، وغبنا نحن عنها، أو غابت هي عنا، فكان هذا الذي كان ..

ولكـأن الخطـط الخمسـية التـي قبسـناها عـنهم فـي أنشـطتنا الاقتصـادية هـي الخطـط الوحيدة التي يمكن أن تُؤخذ عنهم من أجل وضع مناهج عمل لممارساتنا الاقتصادية تتضمن المفردات، ووحدات الزمن المطلوبة، والأهداف، في سياق إستراتيجية بعيدة المدى، قد تتحقق بعد عشر من الخطط الخمسية أو عشرين ..

أليس ثمة مجالات أخرى، غير الاقتصاد، أو مع الاقتصاد، يجب أن يُبرمج لها، وأن تُوضـع لهـا الخطـط والمنـاهج الزمنيـة المحددة، الصـارمة، لكـي تصـبّ . علـى هـدى وبينة . في بحر الأهداف الإستراتيجية لمسارنا الثقافي؟

إن اعتماد المنهج في أنشطتنا الفكرية، ليس اقتباساً عن حضارة الغرب بقدر ما هو رجوع إلى الجذور والتقاليد الأصيلة التي صنعناها نحن على هدى كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ومعطيات أتباع هذا الدين زمن تألقهم الحضاري..

وإن حيثيات الصراع الراهن مع الحضارة الغربية تتطلب . فيما تتطلب . أن يكون لنا منهج عمل فكري يمكننا– من خلال النظم الصارمة التي يلزمنا بها– من الأخذ بتلابيب القدرة على الفاعلية والتحقق بالريادة والكشف والابتكار والإضافة والإغناء..

أن نكون . باختصار . أنداداً للفكر الغربي، قديرين على أن ندخل معه في حوارٍ يومي.. وأن نتفوق عليه ..

إن العقيدة التي نملكها، والمضامين الثقافية التي تخلّقت عبر تاريخنا الطويل في مناخ هذه العقيدة، تعلو، بمسافات لا يمكن قياسها، على عقائدهم وفلسفاتهم ورؤاهم ومضامينهم الثقافية.. هم يقولون هذا مراراً ويؤكدونه تكراراً، قبل أن نقوله نحن ونؤكده، وبعده ..

والذي يعوزنا هو المنهج.. هو طرائق العمل الإستراتيجي المبرمج المنظم المرسوم.. وحينذاك فقط يمكن أن نطمح، ليس فقط إلى تأصيل ذاتنا الثقافية وتحصينها ضد عوامل التفكك والغياب والدمار.. بل على التفوق على ثقافة الخصم واحتوائها، باطراح دمها الأزرق الفاسد والتمثل بدمها القاني النظيف ..

إن المنهج يعني -في نهاية التحلي- حشد الطاقات وتجميعها والتنسيق بين معطياتها لكي تصب في الهدف الواحد، فتكون أغنى فاعلية وأكثر قدرة على التجدد والإبداع والعطاء..

وغن غياب المنهج يعني . بالضرورة . بعثرة الطاقات وتفتيتها وإحداث التصادم بينها .. فلا تكون . بعد . جديرة بالإضافة والفاعلية والعطاء ..

لقد أكد القرآن الكريم والرسول عليه السلام هذا المعنى أكثر من مرة.. وحذرنا نبينا – صلى الله عليه وسلم- من أن الذئب لا يأكل من الغنم إلا الشياه القاصية..

إن العدسة (المفرقة) تبعثر حزمة الضوء فتفقد قدرتها على الإحراق، أما العدسة (اللامّة) فتعرف كيف تجمع الخيوط لكي تمضي بها إلى البؤرة التي تحرق وتضيء ..

إن (المنهج) هو هذه العدسة اللامّة.. وبدونه لن يكون بمقدور آلاف الكتب التي تطرحها مطابعنا سنة بعد سنة أن تمنحنا (النار) التي نحن بأمس الحاجة إليها في صراعنا الراهن..

تحرق الضلالات والخرافات والأوهام .. وتضيء الطريق للمدلجين..

( ) أنظر الفصل الأول من كتاب (حول إعادة تشكيل العقل المسلم) للمؤلف للاطلاع على خصائص التصور المنهجي الذي طرحه القرآن الكري

هذا على مستوى الفكر الإسلامي عامة.. أما على مستوى الفكر التاريخي والكتابة

في حقل التاريخ الإسلامي، فإن المنهج يغدو ضربة لازب .. إذا ما أردنا بحق أن نستعيد معطيات هذا التاريخ ونجعلها أكثر قدرة على التكشف والوضوح، وأشد قرباً من البيئة التي تخلّقت فيها، وأعمق انسجاماً مع المناخ الذي تنفست فيه واستوت على سوقها.. ضربة لازب لأكثر من سبب:

أولاً: غياب الهدف وانعدام الرؤية للكثير من مؤلفاتنا التاريخية القديمة والحديثة.. أي على مستوى المصادر والمراجع على السواء، يقابل ذلك فوضى وارتجال وتخبط، كانت تعاني منها . ولا تزال . الكثير من هذه المؤلفات.

ثانياً: غياب الحسّ النقدي، أو عدم حضوره بشكل مؤكد، في معظم الأعمال التاريخية، على خلاف ما كان يحدث في ساحة المعارف الأخرى وبخاصة الحديث والمنطق والفلسفة .. إلى آخره.. يقابل ذلك استسلام عجيب وصل ببعض المؤرخين الكبار أنفسهم حدّ تقبل الكذب والخرافات والأضاليل والأوهام.

ثالثاً: طغيان النزعة (التجميعية) التي دفعت بعض المؤرخين القدماء وعدداً من المؤرخين المحدثين إلى تحقيق نوع من التوسع الكمي الذي يُقبل، من أجل تحقيق تضخّمه المنشود، كل خبر أو رواية .. ويجيء ذلك على حساب نوعية الإنجاز التاريخي ومنهجيته وقدرته على التركيز والاختزال.

رابعاً: فقدان الأسلوب التركيبي الذي يعرف كيف يجمع الوقائع التاريخية ذات النسغ الواحد والمسار المتوحد، في نسيج تركيبي يمكن المؤرخ من إضاءة ملامحه وتعميق خطوطها وقسماتها، ومنحها المعنى والمغزى المستمد من خامة النسيج نفسه .. بدلاً من ذلك التداخل المهوّش بين الوقائع، والتقاطع بين أنماطها المتباينة، حيث يصعب على المرء أن يتبين الخطوط المميزة لهذا الحشد من التجارب التاريخية أو ذاك.

خامساً: تعرض المعطيات التاريخية لسيلٍ لا يرحم من التأثيرات (الذاتية) على حساب

(الموضوع)، أو من خلال الموضوع الذي اتخذ مركباً لعبور الأهواء والظنون والمصالح والتحزبات .. الأمر الذي غيّر من مكونات الواقعة التاريخية من جهة، وأضاف إليها . من جهة أخرى . الكثير الكثير مما لم يكن من صلب تكوينها.. فكان

ذلك التزوير والتزييف الذي غطى على مجرى الرواية التاريخية في كثير من مساحاته.

سادساً: غياب المؤسسات التي تأخذ على عاتقها مهمة تعضيد التأليف التاريخي وتوجيهه ووضع أولوياته، على خلاف ما كان يحدث في بعض حقول المعارف الإنسانية الأخرى، وبخاصة الفلسفة والجغرافيا.

سابعاً: انطفاء آخر شمعات الفكر التاريخي في قرون الظلام الحضاري الذي لّف عالم الإسلام قبيل انبثاق الفجر الجديد.. وظهور ذلك الانقطاع المحزن في حقل الإنجاز التاريخي، وتلك الهوة العميقة بين معطيات الأجداد والأحفاد، والتي لعبت دوراً سلبياً ولا ريب في تمكين الفكر التاريخي من مواصلة مسيرة النضج والاكتمال.

ثامناً: السبق الزمني الذي مارسه الغربيون في أعقاب هذا الانقطاع، فأخذوا بذلك زمام المبادرة في التعامل مع تاريخنا الإسلامي كشفاً وإضاءة وتحقيقاً ونقداً وتركيباً .. ولكن بمناهجهم وأساليبهم وطرائقهم التي ألحقت بمعطياتنا التاريخية كسوراً وشروخاً وتناقضات ليس من السهولة إزالة آثارها المدمرة، دون اعتماد منهج أصيل قدير على حمل الأمانة والقيام بالمهمة الصعبة.

تاسعاً: غياب الرؤية الإسلامية الأصيلة لدى معظم أبناء الجيل الأول والثاني من المؤرخين المسلمين المحدثين أنفسهم .. فلم يكونوا في حقيقة الأمر سوى امتداد للمدرسة الاستشراقية الغربية، ولم يفعلوا سوى أن أضافوا إلى الكسور التي أحدثتها في مسار التاريخ الإسلامي كسوراً .. والرؤية الإسلامية هي المفتاح الذي لابدّ منه لدخول ساحة التاريخ الإسلامي، وبدونه لن يتحقق دخول مشروع.

عاشراً: ظهور المدرسة المادية التاريخية وانتشارها وكسبها الكثير من الأتباع والمعجبين، ومحاولة إقحام مقولاتها الصارمة، الفجة، في مجرى تاريخنا الإسلامي نقداً وتركيباً ..

وثمة أسباب أخرى كثيرة، أقل أهمية، تجعل من حضور منهج للفكر والنشاط التاريخيين ضرورة ملحة ..

والآن فإن محاولات عديدة، لحسن الحظ، شهدتها العقود الأخيرة من هذا القرن، استهدفت التحقق بالمنهجية المنشودة.. على مستوى الأفراد والمؤسسات، وهذا يدل

على تزايد الوعي التاريخي الذي كان يعاني في الفترة السابقة من التسطح والضحالة والغياب.

إلا أن معظم تلك المحاولات لم تأت بطائل، فما أن مضت خطوات حتى توقفت وأعلنت، بلسان الحال أو بلسان المقال، عجزها عن مواصلة الطريق: مؤسسات حكومية، وقيادات فكرية، وجامعات عربية، ومنظمات ثقافية، وتجمعات تخصصية، وأفراد متفرقون هنا وهناك .. كلهم دعوا إلى (المنهج) .. وإلى ما أسموه إعادة كتابة التاريخ .. وقاموا ببعض المحاولات الأولية وطرحوا بعض الإضاءات.. وليس ثمة أكثر من هذا.. ومضت الدعوة إلى اعتماد المنهج وإلى إعادة كتابة التاريخ تصدر من هنا أو هناك، ملحة في الطلب، مؤكدة القول .. وهي دعوة تؤكد . مهما كانت النيات التي تختبئ وراءها . حضور الوعي التاريخي، وتكشفه وانتشاره .. وتعزّز الوجهة العلمية القائلة بأن اكتشاف قدرات أمة من الأمم وتمكينها من (المعاصرة) و (الحركة) صوب المستقبل، والاستجابة للتحديات، والتفوق عليها، لا يتحقق إلا بالرجوع إلى التاريخ وكشف النقاب عن معطياته وملامحه ومؤشراته .. الأمر الذي لم يكن، في النصف الأول من القرن الماضي، على هذه الدرجة من الوضوح والتأكيد، يوم كان يُرى في الالتفات صوب الماضي، على أثر الصدمة الحضارية الغربية، نوع من الانتحار الزمني في عصر سباق الحضارات، وكان يُرى فيه نزوع رجعي ، وغياب عن العصر ، وعرقلة للتوجه المستقبلي..

ويوم أن كانت ذيول المدرسة المادية التاريخية تطرح بفجاجة وسخف مقولتها الخاطئة بضرورة تجاوز التوجه التاريخي، وقطع الجذور، وإلغاء مقولات المسيرة، والانطلاق من نقطة الصفر الزمنية صوب المستقبل!!

اليوم، غابت هذه الرؤى التي ينفيها العلم بحقائق الأشياء .. واليوم اختنقت تلك الأصوات التي لم تكن تملك سبباً للبقاء والاستمرار ..

واليوم تحل محل هذا وذاك تلك الدعوات الملحة التي تصدر . كما رأينا . عن العديد من مراكز الثقل والتوجيه والفاعلية: أكاديمياً وعقائدياً وسياسياً.. الأمر الذي يؤكد حضور

(التاريخ) في نسيج وجودنا الحاضر وحتمية اعتماد مكوناته في لحمة هذا النسيج وسداه، حيث لا يكف النول عن الذهاب والإياب ..

ترى . يتساءل المرء .: لماذا لم تستطع أية محاولة من هذه المحاولات أن تواصل الطريق وأن تحقق هدفها المنشود؟

إن الدعوة إلى التحقق بالمنهج وإلى إعادة كتابة التاريخ، أو . بعبارة أدق . إعادة عرضه وتحليله، ليست طريقاً مسدوداً.. فلماذا كان هذا الذي كان؟

ثمة أسباب عديدة وقفت . ولا تزال . في طريق هذا الهدف، ونحن إن عرفناها جيداً فكأننا نكون قد عرفنا مواطن الداء فسهل علينا انتقاء الدواء ..

فمن هذه الأسباب، على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: عدم وضوح الرؤية بالنسبة لطبيعة العمل. فمن قائل بضرورة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي كله من أقصاه إلى أقصاه، واعتماد بنية جديدة لوقائعه وصيرورته ترفض بالكلية ما قدمه مؤرخنا القديم، ومن قائل بضرورة اعتماد صيغة انتقائية تأخذ بهذا وترفض ذاك، ومن قائل بضرورة إعادة تفسير وتحليل معطيات هذا التاريخ بدلاً من إعادة تركيبه.. وآخرون لا يعرفون على وجه الدقة واليقين ما الذي يقصدونه بالعمل المنشود؛ لأن الضباب يلّف تصورهم فلا يتيح لهم الفرصة لاستبانة ملامح الطريق ..

ثانياً: ومما يرتبط بهذا، غياب المنهج وضعف القدرة على التخطيط.. فقد تتضح الرؤية أحياناً، وتتحدد طبيعة العمل، وتتكشف أبعاده .. لكن أسلوب العمل وطرائقه.. المنهج . بعبارة أخرى . غير متحقق.. ونحن قوم . ولنقلها بصراحة . نعاني ضعفاً في قدراتنا التخطيطية، ليس هنا مجال استعراض أسبابه، ولشد ما ينعكس هذا الضعف على عدم طرح برنامج عمل محدد الخطوات، مكتمل المفردات، مثبت الأهداف والغايات.

ثالثاً: ونحن قوم نعاني . كذلك . من فقدان الروح الجماعية التي علمنا إياها هذا الدين وربانا عليها وألزمنا بها، ولكنا تخلينا عن الكثير من مقولاتها ومواضعاتها، وتجمدت تقاليدنا على صيغ فردية قد تبلغ حد الأثرة والأنانية في كثير من الأحيان، فتمحو

القدرة على التوجه الجماعي الذي تتكامل فيه الطاقات، وتتضافر القدرات، ويتدفق العطاء لكي يصب في الهدف الواحد ..

والمشاريع الكبيرة في ميادين العقيدة أو الفكر أو العمران والاقتصاد، لهي بأمس الحاجة إلى هذه الروح الجماعية التي يعرف الغربيون كيف يعتمدون عليها لتحقيق الأعاجيب والمعجزات في ميادين الإنجاز .. وإعادة عرض التاريخ الإسلامي، أو تحليله، عمل كبير .. ويوم نتحقق ثانية بروح الفريق، كما أراد لنا الإسلام أن نكون، يوم نتجاوز الفرديات والحساسيات والأنانيات صوب ما هو أكبر وأشمل .. حينذاك نستطيع أن نضع خطواتنا على الطريق ..

رابعاً: غياب التوحد في الرؤية .. فليس بمقدور فريق من المؤرخين يتجه بعضهم يميناً ويمضي بعضهم الآخر شمالاً، أن يحققوا الهدف المنشود.. وكيف سيكون العمل، الذي يفترض أن يتوحد نسيجه، كيف سيكون إذا كان بعض النسّاجين ليبرالياً، وكان بعضهم الآخر مادياً وكان بعضهم الثالث إثنّياً، وكان بعضهم الرابع إقليمياً، وكان بعضهم الخامس مصلحياً؟ كيف يتحقق مشروع يُراد منه تقديم تحليل متوحّد لمجرى التاريخ الإسلامي، إذا كانت بعض مساحاته منسوجة بالقطن وأخرى بالصوف وثالثة بالديولين ورابعة بالحرير؟

إنه لأمر مستحيل .. بل هو مدعاة للسخرية يقيناً.

خامساً: وثمة ما يُراد أحياناً بمشروع كهذا: احتواؤه عقيدياً وتوظيفه من أجل هذه الأيديولوجية أو تلك .. وهذا نقيض الموضوعية .. والموضوعية شرط حاسم من شروط البحث العلمي الجاد .. ثم إن محاولات كهذه قد تملك المال والقدرة، ولكنها لا تملك النفس الطويل الذي يمكنها من المضي في الطريق حتى نهايته .. ذلك أنها رهينة بظروف مرحلية ومتغيرات زمنية.. وسرعان ما تتوقف بتحوّل صيغ معادلات الظروف المرحلية والمتغيرات الزمنية.

سادساً: وقد يرتبط بهذا انعدام النية الصادقة وتحويل الدعوة إلى عمل دعائي صرف .. والأعمال بالنيات . كما يقول رسولنا عليه السلام . ولكل امرى ما نوى .. وإذا طال الطريق بين النية والفعل، بسبب ضخامة العمل وانفساح المدى، فلا تُؤتمن العواقب، وربما يُكتفى بالمظاهر السريعة الخادعة بدلاً من الجوهر المخبوء، صعب المنال..

سابعاً: وقد تلعب الحواجز الجغرافية والسياسية بين مؤرخي عالم الإسلام، والتي يتزايد بمرور الأيام، دورها في إعاقة المهمة وعرقلة مضيّها إلى الهدف المرتجى .. فكلما تنادى حشد من المؤرخين.. هنا .. وهناك .. وهنالك، لتنفيذ هذا المطلب الملح، وجدوا

في طريقهم من الأسلاك الشائكة والعقابيل، ما يجعل تحركهم صعباً قاسياً ومهمتهم مستحيلة، فيكفون عن الإدلاج فيما لا بادرة ضوء فيه، ويعودون من حيث جاؤوا.

ثامناً: يرتبط بهذا . أحياناً . نقص ملحوظ في الاختصاصات وعدم تكاملها أحياناً .. فهي

قد تتزايد في جانب ما وتشح في جانب آخر.. تبرز وتطغى في هذه المرحلة وتنزوي وتذوى في مرحلة أخرى.. والأعمال الجماعية، ما لم تتحقق بالتوازن والتكامل والتغطية لكافة الجوانب والمساحات، فلن يُرجى تنفيذها.. وإعادة كتابة التاريخ الإسلامي، أو عرضه وتحليله مشروع كبير، فما لم تتبنه وتدعمه مؤسسة قديرة على لمّ الطاقات وتوفير الاختصاصات المتكاملة وتوازنها .. باء بالفشل المحتوم .. ولهذا كان هذا الإخفاق المحتوم مصير عدد من المحاولات التي لا تملك دعماً يمكنها من التكامل .. وسيكون ..

تاسعاً: وما يُقال عن هذا يمكن أن يُقال عن قلة الامكانات المادية والفنية لكل مشروع يدّعي القدرة على العمل بعيداً عن الدعم والإسناد .. والإمكانات المادية والفنية ضرورة من ضرورات المشاريع الفكرية الكبيرة، وإلا كنا كمن يرجو من ماكنة ضخّ لا تتجاوز العشرين حصاناً أن تسقي مزرعة تمتد مسافاتها إلى مئات الأفدنة وألوفها ..

عاشراً: وثمة أخيراً . وليس آخراً . ذلك الإحساس المتزايد بالإحباط، والذي يتراكم إثر إخفاق كل محاولة، وإخفاق كل مشروع بعد أن يمضي خطوات فحسب في الطريق .. وهو إحساس ذو تأثير سيئ غاية السوء، يوحي فيما يوحي بخطأ الفكرة واستحالة تحققها، ويكبّل الإرادة المسلمة من الداخل بالغلّ الذي يشلّها عن التهيؤ، وشحن الطاقة، والانطلاق لتنفيذ الأعمال الكبيرة.

وما لم نتداع لإنقاذ الدعوة من مزيد من الورطات والمطّبات والإخفاق، فإن الإحساس بالاحباط سينتزع المبادرة من أيدينا وسيسلمنا إلى الشلل المحتوم.

وبالتحقق بالبدائل في مقابل هذا كله يمكن أن نضع خطواتنا على الطريق ونمضي بجدّ إلى هدفنا المنشود.

أن تكون رؤيتنا لطبيعة العمل على قدر كبير من النقاء والتكشف والوضوح، وأن نملك منهجاً سليماً للعمل، وقدرات ذكية على البرمجة والتخطيط .. وأن تنمو في سلوكنا وتتغلغل في دمنا وشراييننا روح الفريق كما أراد لنا ديننا أن نكون، هنالك حيث تذوب المصالح الخاصة والتوجهات الفردية والحساسيات الذاتية والأنانيات، وحيث تكون روح الجماعة وحدها هي المؤشر والدليل.

كذلك يتوجب أن تتوحد رؤيتنا، وأن يمسك بها قاسم عقديّ مشترك يمنعها من التفتت والتناقض والتصادم والارتطام، يمنعها من أن يضرب بعضها بعضاً، وينفي بعضها بعضاً.. منطلق واحد وتوجه واحد ونسيج واحد في العطاء تركيباً وتحليلاً ..

أن يمسك العمل بتلابيب الموضوعية من بدء المسيرة حتى منتهاها.. إن الموضوعية هنا تعني (العلمية) وبدونها لن تتأتى النتائج المرجوة منبثقة عن رحم التاريخ نفسه، كما تخلقت وقائعها في الزمن والمكان .. لا كما يُراد لها أن تكون.

والنية المخلصة الصادقة، من وراء العمل، أمر ضروري، بل هي ضربة لازب إذا ما أريد للمحاولة أن تكون شجرة مباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين. وإلا فليس ثمة إلا الشجرة الخبيثة التي ما لها من قرار، تعصف بها ذات اليمين وذات الشمال رياح التشريق والتغريب، وتتقاذفها عواصف الأهواء والنزعات والميول.

أما زوال الحواجز الجغرافية والسياسية فهو أمر يبدو للوهلة الأولى مستحيلاً، ولكننا إذا ما تذكرنا أننا في عصر السرعة، والاختزال، والاتصالات الخاطفة، والآلات الحاسبة، والمواصلات السريعة، والتيسيرات المدنية التي تتزايد طرداً بمرور الأيام.. وأننا في عصر الإنترنت والتواصل الثقافي والإعلامي اليومي، دقيقة بدقيقة وساعة بساعة، أدركنا أن المعادلة قد لا تكون في غير صالحنا، وأن هنالك من القدرات والإمكانات ما يمكن توظيفه لضرب الحواجز وقطع الأسلاك الشائكة وإزالة المتاريس

.. هنالك حيث يمكن أن يلتقي بعضنا ببعض، وأن نعمل سوية كفريق واحد يتداعى لاعبوه المتمرسون من كل مكان من أجل تحقيق الفوز بأي ثمن كان!!

ومسألة تكامل الاختصاصات وتحقيق التغطية المتوازنة الشاملة لكافة مساحات المشروع، أمر ليس صعب المنال، ونحن في عصر (الأكاديمية) إذ يزداد الخريجون المتخصصون، سنة بعد سنة، ويوماً بعد يوم، بمعدل متواليات هندسية وليست حسابية على أية حال.. صحيح أن هذا التدفق الأكاديمي قد يطرح كميات لا تتضمن قدراً طيباً من التميز النوعي، إلا أنها . على أية حال . فرصة طيبة لتزايد العناصر الممتازة القديرة على الفعل الصادق والتنفيذ الذكي المرسوم.

أما قلة الإمكانات المادية والفنية فهي –ولا ريب– أقل الموانع شأناً؛ لأن إيجاد الشروط المادية الفنية وتوظيفها لخدمة المشروع، أمر سهل المنال يسير التحقيق في بلاد تملك الكثير وتقدر على استيراد الكثير ..

ويوم أن تتحقق هذه البدائل الإيجابية، وتوضع اللمسات الأولى، وتنطلق الخطوات على الطريق مغذّة السير صوب الهدف.. يومها لن يكون ثمة إحساس بالإحباط يشل الفاعلية ويكبل الخطا عن الانطلاق .. على العكس فإن الإنجاز الذي ستنفذه المحاولة سيحقق نوعاً من التسارع في القدرة على الفعل .. هنالك حيث تُختصر المسافات، وتُختزل حيثيات الزمان والمكان..

==============

#الصدام الجنسي للحضارات!

محمد أبو رمان 1427/1/7

2006/02/06

يمثل "الإصلاح الثقافي" أحد الأبعاد الرئيسة في الدعوات الأميركية إلى إصلاح العالم العربي، والتي شهدت طفرة حقيقية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. وفي الوقت الذي نجد فيه تفصيلاً وشرحاً وافياً لمعاني ومؤشرات الإصلاح السياسي والاقتصادي المطلوب، فإن المقصود بالإصلاح الثقافي مازال ضبابياً، وتعتريه حالة من الغموض والاختلاف حتى داخل الأوساط الثقافية والسياسية الأميركية.

بعض الرؤى الأميركية تقرأ الإصلاح الثقافي من خلال الدعوة إلى إصلاح المناهج التربوية، وتطوير الخطاب الديني، وتصحيح إدراكات المسلمين فيما يتعلق بالجهاد و"الآخر"، والقبول بالديمقراطية والتعددية ومبدأ التعايش الديني والحضاري. وتتوافق هذه الرؤى في خطوطها العامة مع نظيرتها لدى التيار الثقافي العام في العالم العربي والإسلامي، والذي يرى أن المجتمعات العربية والإسلامية اليوم تحتاج إلى إصلاح ديني–ثقافي، يؤدي وظيفة حقيقية في انتقال المجتمعات من حالة التخلف والركود إلى النهضة والإصلاح. كما أن الإصلاح الثقافي ضرورة تفرضها مؤشرات الواقع الإسلامي الذي يكتوي بعلامات التراجع الثقافي والمعرفي، وازدهار بعض الحركات المتشددة، وغياب دور المراكز البحثية والعلمية في التخطيط والمعرفة المؤثرة في المجتمعات العربية. وقد أتت تقارير التنمية الإنسانية العربية، ولا سيما التقرير الأول حول حالة المعرفة العربية، لتؤكد الملاحظات السابقة.

إلاّ أن هناك رؤية أميركية أخرى للإصلاح الثقافي المطلوب، تتبناها بعض مراكز الخبرة والرأي في الولايات المتحدة. وفي تقديري، فإن هذه الرؤية تعكس بدرجة أدق النظرة المركزية الغربية للآخر، وتستبطن المنظور الحقيقي للمثقف الأميركي تجاه الآخر. وهو ما يفسر الحديث الأميركي المتكرر حول قضية حقوق المرأة، وحقوق المثليين الجنسية، والعلاقات الجنسية قبل الزواج، والتعددية الثقافية في العالم الثالث، بدرجة تفوق كثيراً ما هو معمول به في أعتى الديموقراطيات الغربية.

ومن أبرز الدراسات التي تكشف عن هذا المنظور دراسة الخبير الأميركي أنغلهارت في مجلة السياسة الخارجية (Foreign Policy)، (أكتوبر 2003)، وهي من المجلات المعتبرة في الولايات المتحدة. تحمل دراسة أنغلهارت عنواناً معبراً عن مضمونها الفكري والسياسي، وهو "الصدام الحقيقي للحضارات". إذ يرى أنغلهارت أنّ الصدام الحقيقي للحضارات ليس بين القيم الثقافية السياسية، بل بين القيم الجنسية!

وتقوم الفكرة الرئيسة للدراسة على أنّ صمويل هانتنجتون في أطروحته "صدام الحضارات" يصيب نصف الحقيقة المتمثل بأنّ الثقافة باتت أمرًا مهماً بالنسبة للشعوب في العالم، وأنّ الصراع العالمي –في المرحلة القادمة– يكمن في الجانب الثقافي. إلاّ أن المشكلة ليست، كما يظن هانتنجتون، مرتبطة بالقيم السياسية في

العالم الإسلامي، فنتائج الاستطلاعات العالمية تظهر أن الديموقراطية وحقوق الإنسان والحريات العامة أصبحت قيماً مرغوبًا فيها، ومطلوبة بشكل كبير في المجتمعات المسلمة، وهكذا فإن المشكلة الحقيقية تتمثل في المعتقدات الأساسية لهذه المجتمعات المرتبطة بالثقافة الاجتماعية.

ولإثبات مقولته، يحلل أنغلهارت استطلاعات رأي واسعة أُجريت داخل المجتمعات الإسلامية، ليصل إلى أنّ الشعوب المسلمة أقل تسامحًا تجاه المساواة بين الجنسين، وحقوق المرأة، والعلاقات الجنسية، وحقوق المثليين؛ وبعبارة أخرى، فإن الصدام الحقيقي للحضارات هو صدام حول المفاهيم الجنسية التي تعكس التباين القيمي الحقيقي في المعتقدات الأساسية بين الشعوب العربية والغربية.

إذن، "المشكلة الثقافية" في العالم العربي والإسلامي تكمن، وفقا لتيار كبير داخل الفكر السياسي الأميركي، في القيم الاجتماعية والثقافية، وبالتالي فإن المطلوب هو إيجاد حالة ثقافية ممسوخة، قائمة على المحاكاة الكاملة للنموذج الثقافي الغربي. لكن السؤال هو: أي نموذج؟ فإذا كان أنغلهارت يتحدث عن عدم تسامح تجاه المثليين جنسياً، والعلاقات الجنسية قبل الزواج، فإن أحد العوامل الرئيسة التي ساهمت في انتصار الرئيس بوش في معركته الانتخابية الأخيرة هو رفض المحافظين الجدد لـ"الزواج المثلي"، وتأكيدهم على القيم الدينية المحافظة للمجتمع الأمريكي، بينما تنطلق أصوات نخبة من الكتاب في العالم العربي تطالب بإصلاح ثقافي على طريقة أنغلهارت!

للأسف الشديد، فإن النموذج الثقافي المرحّب به، والذي يلقى قبولاً لدى تيار واسع من المثقفين والكتاب والسياسيين الأمريكيين هو "النموذج التغريبي"، الذي يندفع بعيداً في محاكاة الثقافة الغربية في المجتمعات العربية والإسلامية. وأي جانب من الثقافة الغربية؟! المظاهر السطحية التي ترتبط بقيم اجتماعية ونمط ثقافي استهلاكي لا يلتفت أبداً إلى الجانب الإنتاجي من هذه الثقافة، ولا حتى إلى دور الدين في المجتمع، ولا إلى معاني نحن أحوج ما نكون إليها اليوم: المؤسسية، والحفاظ على الوقت، وتقديس العمل والجهد، والمنطق العلمي في التعامل مع الأمور، والمعايير الموضوعية في التقييم والإنجاز... الخ. فالغرب- لدى فئة من الشباب العربي

الملحقين بالثقافة الغربية على طريقة أنغلهارت- لا يزيد عن وجبات سريعة، وموضات اجتماعية، وحياة استهلاكية مبتذلة!

ما تجدر ملاحظته في هذا السياق، هو أن الفكر الإسلامي في عصر النهضة، في بدايات القرن المنصرم، كان سباقاً إلى الدعوة إلى إصلاح ثقافي-ديني في العالم العربي، وإلى الإفادة من الحضارة الغربية، لكن في الجانب الإبداعي المفيد الذي يحرك العقول ويدفعها إلى الإنتاج والعطاء، وهو ما تحتاج أن تتعلمه المجتمعات العربية بالفعل من الغرب.

نعم، ثمة ضرورة للإصلاح الديني والثقافي في العالم العربي، لكن في سياق محترم يقوم على فكر إسلامي مستنير، ينطلق من الإسلام وقيمه الإنسانية، ومن الخصوصية الحضارية والثقافية، التي لا تعني اضطهاداً للمرأة، أو الأقليات، أو حتى الحريات الدينية؛ لكنها لا تعني، في الوقت ذاته، انسلاخ المجتمعات الإسلامية عن قيمها وثقافته

==============

#معركة الشريعة الإسلامية في مصر

د. محمد مورو 1426/12/7

2006/01/07

تتجمع في الأفق ملامح معركة فكرية وسياسية ودينية حول مرجعية الشريعة الإسلامية كمصدر أساس للتشريع في مصر، ومن المعروف أن المادة الثانية من الدستور المصري الحالي تنص على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيس للدستور، وهذه المادة تحديداً من المتوقع أن يثور جدل كبير بشأنها من قبل المفكرين والسياسيين والعلماء وأطراف القوى السياسية في مصر؛ فضلاً عن جماهير الشعب المصري التي عادة ما تعزف عن المشاركة السياسية، ولكن بخصوص مسألة الشريعة الإسلامية فإن الأمر سيبدو مختلفاً جداً، لأن حرارة الوجدان الإسلامي في مصر لدى قطاعات الشعب المصري بكل طوائفه عالية جداً "يبلغ عدد المسلمين في مصر حوالي 94 % من السكان وفقاً لإحصائيات الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء".

الذين يريدون تحريك الجدل حول تلك المادة الثانية من الدستور، ومن ثم تحريك سحب سوداء حولها، هم من العلمانيين من كل الاتجاهات "الليبرالية والقومية واليسارية" وقطاع هام من المسيحيين "أرثوذكس وكاثوليك وبروتستانت"، ومن المعروف أن أغلبية المسيحيين في مصر من الأرثوذكس".

ولكن يجب أن نفرق هنا بين عدد من الملاحظات حول العلمانيين والمسيحيين؛ فالعلمانيون في معظمهم يعادون الشريعة الإسلامية؛ لأنهم ينطلقون من مفاهيم تغريبية ترى أن فصل الدين عن الدولة هو القاعدة الأصلية، وأن مرجعية الشريعة الإسلامية أمر لا يتفق مع المساواة في المواطنة، ولا يتفق مع روح العصر، ولا مع قيم العولمة، ولا مع التطور الديمقراطي المزعوم، ويجب أيضاً أن نفرق هنا بين أنواع العلمانيين؛ فالليبراليون واليساريون بحكم تكوينهم الفكري غالباً ما يكونون علمانيين، أما القوميون فمعظمهم غير علمانيين، ومن ثم فإن العلمانيين منهم هم فقط الذين يريدون إلغاء تلك المادة من الدستور، أما غير العلمانيين من القوميين فيعتبرون الشريعة الإسلامية إحدى ركائز القومية العربية، أما غير المسلمين فالمسألة بالنسبة لهم مُركّبة، فهناك من المسيحيين المصريين من يتمسك بالشريعة الإسلامية باعتبار أن ذلك جزء من تراثهم الحضاري، فهم على حد قول السياسي المسيحي المصري المعروف مكرم عبيد "مسيحيون دنياً. مسلمون وطناً"، وقد كتب الأستاذ رفيق حبيب وهو ابن قس مصري معروف، ومفكر مرموق يدافع عن الشريعة الإسلامية تحت عنوان "الأقباط والشريعة الإسلامية . آفاق عربية 18 شعبان 1426 هـ ، 22 من سبتمبر 2005 م"، وفي الحقيقة فإن بحثاً أجراه المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة عام 1985 تحت إشراف الدكتور أحمد المجذوب رئيس المركز في ذلك الوقت أفاد أن 98 % من المسلمين و 68 % من المسيحيين يوافقون على تطبيق الشريعة الإسلامية؛ بل والحدود الإسلامية". وهكذا فإن مطلب الشريعة الإسلامية كمرجعية هو مطلب مصري عام، وصحيح أن أقباط 1985غير أقباط 2005 فقد مرت كثير من المياه تحت الجسر، وتغيرت أمور كثيرة بسبب الاستقطاب الطائفي، إلا أن القدر المتيقن منه أن هناك نسبة لا بأس بها من المسيحيين المصريين لا تزال على موقفها من مرجعية الشريعة الإسلامية.

وفي الحقيقة فإنه من الممكن أن نقول ببساطة: إن الذين يقفون مع المشروع الوطني المناهض لأمريكا وإسرائيل من إسلاميين وقوميين بل ويساريين ومسيحيين هم مع مرجعية الشريعة على أساس أن الشريعة الإسلامية هنا تحقق نوعاً من الممانعة الحضارية، وتحقق نوعاً من الاستقلال، وتعني عدم الخضوع الحضاري والتشريعي والثقافي للحضارة الغربية والأمريكية والصهيونية، وأن الذين يقفون مع المشروع الأمريكي الصهيوني من كل الاتجاهات السياسية هم ضد مرجعية الشريعة الإسلامية لعكس الأسباب السابقة.

الذين يدعون الآن إلى فتح موضوع المادة الثانية من الدستور هم في الحقيقة يركبون موجة موجودة بالفعل حول ضرورة تغيير الدستور في مصر؛ لأن به مواد مقيدة للحريات أو لا تتلاءم مع العصر، وأن من الضروري إصدار دستور أكثر تسامحاً وأكثر احتراماً للحريات ..الخ، وهذا كلام صحيح يحظى باستجابة واسعة، ولكن الغريب أن يتم دس السم في العسل، بالمطالبة . أو حتى الكلام عن المادة الأولى والمادة الثانية من الدستور، المادة الأولى تنص على أن الإسلام هو دين الدولة الرسمي، وهذه مادة من العبث الاقتراب منها، أما المادة الثانية فالمعركة تدور حولها، وهي تنص على أن "الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيس للتشريع" بدعوى أن فيها نوعاً من التمييز ضد غير المسلمين، مع أن الشريعة الإسلامية ذاتها تعطي الحق لغير المسلم للتحاكم إلى قانونه الخاص "في الأحوال الشخصية مثلاً كما هو معمول به في مصر"، إلا إذا طلب هو غير ذلك، وبدهي أن مطلب مرجعية الشريعة هو مطلب شعبي عام، لا تصل قضية أخرى إلى القدر الذي يتمتع به من التأييد، ومن ثم فإن الليبرالية والديمقراطية -إن كانوا كذلك حقاً- فإن عليهم احترام اختيار الشعب، فإذا كانت الشريعة واجب شرعي بالنسبة للمسلم ليست موضع مناقشة، فإنها -حتى بمقاييس الليبرالية- مطلب شعبي، وما دام الشعب في رأيهم مصدر السلطات فلماذا لا يحترمون تلك الرغبة الشعبية.

الدعوة حتى الآن تسير باستحياء، فقد طالب بها عدد من العلمانيين، ولمح إليها البابا شنودة بابا الأرثوذكس الذي طالما أعلن الصيام والاحتجاج من قبل كلما ظهر الحديث عن تطبيق تلك المادة من الدستور وتفعيلها، وصرح بها بابا الكاثوليك في

مصر الأب يوحنا قلته. الذي طلب صراحة إلغاء تلك المادة، وما لم تكن هناك وقفة من علماء الأزهر، والقوى السياسية الإسلامية، والمفكرين والساسة الإسلاميين، ومن جماهير الشعب المصري لإظهار أن الكلام حول تلك المادة هو خط أحمر لا ينبغي الاقتراب منه؛ فإن من المتوقع أن تتسع الحملة؛ بل يمكن أن تنجح من خلال دسها في مسألة التغيير المطلوب للدستور المصري، أو وضع دستور يحقق مطالب الناس في التأسيس للتغيير السياسي لتأسيس نظام سياسي جديد يمنع الاستبداد ويسمح بالعمل السياسي الحر، والتداول السلمي للسلطة، وهذه مطالب شعبية يمكن أن يُدسّ داخلها تجاهل مرجعية الشريعة أو تغيير المادة الثانية من الدستور، مع الأخذ في الاعتبار أن النظام السياسي المصري ذاته يمكن أن يتجاوب مع هذه الخطة المريبة تحت ضغط القوى الخارجية كالولايات المتحدة الأمريكية أو الاتحاد الأوروبي، أو جماعات الضغط الدولية "أقباط المهجر . تجمعات الشواذ، التجمعات النسوية المريبة ...الخ".

وفي الحقيقة فإن منطق دعاة المرجعية الإسلامية منطقهم متماسك؛ فهو أولاً مطلب شعبي عام، وليس فيه تمييز؛ لأننا لو سألنا مثلاً المسيحيين المطالبين بإلغاء المادة الثانية من الدستور أو إلغاء مرجعية الشريعة الإسلامية كمصدر للتشريع هل يقبل هو ذاته أن يخضع للزواج المدني بعيداً عن الكنيسة أو أن يقيم علاقاته الأسرية والاجتماعية بمعزل عن الدين لرفض فوراً، فهل يعني ذلك أن تتخلى الأغلبية عن شريعتها فيكون ذلك ديمقراطياً، وتتمسك الأقلية بشريعتها الدينية في نفس الوقت.

وكذلك فإن الداعين إلى المرجعية الإسلامية هم دعاة استقلال وطني وتميز حضاري، وهو أمر مطلوب ومرغوب في ظل التحدي الصهيوني الأمريكي، ولعل دراسة تاريخ تسلل التشريع الأجنبي إلى مصر يؤكد هذه الحقيقة، فقد بدأ هذا التسلل مع النفوذ الاستعماري بدءاً من عام 1840 حين هُزم محمد علي، وأصبح للدول الأوروبية نفوذ في مصر ثم زحف الامتيازات الأجنبية والمحاكم المختلطة والأجنبية والقنصلية، ثم تسلل مدارس التعليم القانوني الأجنبي في عصر سعيد وإسماعيل، ثم مع الاحتلال الإنجليزي ثم الاحتكام تماماً إلى القانون الغربي وإزاحة القوانين الإسلامية تماماً، وهكذا فإنه تم استنبات التشريع الأجنبي في البيئة المصرية عملياً

ونظرياً وتعليمياً بفعل الضغط والنفوذ الأوروبي وظلامته الأولى من الأفّاكين والمرابين والمقامرين والموردين، وما زالت المدارس العلمانية التي تطالب بإلغاء مرجعية الشريعة الإسلامية تحقق نفس الخطة لأسيادها الغربيين، وما زالت المرجعية الإسلامية هي مطلب حركة التحرر الوطني المصري منذ بدايتها وحتى الآن، بدءاً من الأفغاني والنديم ومصطفى كامل ومحمد فريد، وانتهاء بكل حركات المقاومة المصرية ضد إسرائيل وأمريكا والتغريب والصهيونية.

=============

#الإعلامي الذي نحتاج

د. محمد بن سعود البشر 1426/11/18

2005/12/20

طفرة كمية كبيرة حقّقها الإعلام العربي خلال السنوات القليلة الماضية؛ إذ تزايدت أعداد القنوات التلفازيّة والإذاعات والصحف والمجلات؛ إلا أن هذا التطور الكمّي لم يرافقه تطوّر كيفي أو نوعي نتطلع جميعاً إليه، وذلك لعدة أسباب:

في مقدمتها ضعف إمكانات كثير من العاملين في الحقل الإعلامي وهو الضعف الذي يدركه بجلاء كثير من عامة الجمهور العربي، فضلاً عن المختصين والنخب الثقافية والفكرية. و على الرغم من التزايد الكبير في أعداد وسائل الإعلام والإعلاميين فإن المتميزين منهم ما زالوا قلة يمكن حصرها بسهولة.

فما هي صفات أو مواصفات الإعلامي الذي نحتاج إليه في هذا العصر؟ وما هي مؤهلاته واهتماماته؟

أصناف الإعلاميين الموجودين في الساحة الآن ثلاثة: الإعلامي الحرفي، وهو الذي يمارس العمل الإعلامي بأسلوب وظيفي روتيني، مثلما يمارس أي موظف مهما كانت وظيفته، دون رغبة أو قدرة على الإبداع والتميز، هذا الحرفي لا يعي أن للإعلام رسالة، وما أكثر هؤلاء الحرفيين في وسائل إعلامنا! يؤكد ذلك كثير من المواد التي تُنشر في الصحف أو تُبث في التلفاز والإذاعة.

والصنف الثاني هو الإعلامي التبعي، وهذا النوع من الإعلاميين يجمع بين المهنية وضبابية الرؤية، أو مسلوب الهوية أحياناً أخرى، هذا الغثّ الإعلامي هو الذي يسيّر

كثيراً من مؤسسات الإعلام العربي، وأتباعه هم الذين ابتليت بهم الأمة، وفتحوا عليها منافذ للشر في وقت هي أحوج ما تكون إلى الثبات على المبدأ والمحافظة على الهوية، وصيانة المحددات القيمة القيميّة للمجتمع في مواجهة التغريب الإعلامي الذي تتعرض له مجتمعات المسلمين.

أما الصنف الثالث فهو الإعلامي المهني الذي يعي أن الإعلام مهنة ذات رسالة، يمنحه هذا الوعي رؤية واضحة، وقدرة دائمة على تطوير ذاته وتنمية إمكاناته.

إن إحساس هذا الإعلامي المهني برسالته ووعيه بها، هو ما يدفعه طواعية لامتلاك كل ما من شأنه الارتقاء بمهنيّته، وبالتالي قدرته على أداء رسالته، فهو مشغول بتثقيف نفسه، مهموم بواقع أمته، متألم لقضاياها الناجزة، وهذا هو الإعلامي الذي نريد ونحتاج.

=============

الخليط الإعتزالي ونقدهم للأصول

أمة الإسلام مجموعة على كلمة واحدة وهي كلمة التوحيد، ولكن أعداء الله لا يهنئ لهم بال، ولا يقر لهم قرار، حتى يلبسوا عليهم دينهم، ويضلوهم عن طريق ربهم .

هذا التلبيس بدأ من العصر الأول، ذلك العصر المفضل بلسان النبي صلى الله عليه وسلم، فمنه خرج رؤوس لبعض أهل البدع، وتتابُع تلك البدع ينذر بخطر داهم على الأمة .

من تلك البدع التي ظهر رأسها، وافترقت عن أهل السنة ،ونازعت في بعض المسائل، المعتزلة، أولئك المعتزلة قد اغتر بهم كثير من المسلمين، وهذا الاغترار قد يكون له حقيقته وله سببه ، وذلك أن واصل بن عطاء رأس المعتزلة وزعيمهم كان طالبا من طلاب الحسن البصري، فاختلف في القصة المشهوره هو والحسن في مسألة في العقيدة ،فاعتزل حلقة الحسن، فسموا معتزلة ،فهو له حظ من العلم الشرعي فكان يسخر ذلك العلم في ترويج بدعته ،وتلبيس الحق على الناس، فلا ملامة على الجاهل من تأثره لعظمة العلم الشرعي في قلوب الناس هذا في القديم.

ولكن في الحديث خلف المعتزلة موجودون متوافرون متوارثون لبدعتهم، غير أن الأسباب التي ساعدت واصل بن عطاء لم تكن لهؤلاء المعاصرين من المعتزلة، فكان الخلط فيهم في أصول الاعتزال كثير .

وقد تجد من أتباعهم من يتكلم بكلام يلومه أصحابه لجهله بطريقته التي يسير عليها والتي يجب أن يكون ملتزما فيها.

فليس سرا أن كثيرا من الطرح العقلاني المعاصر سلسلة لما سبق، وأن الطرح العلماني يناصره في أكثر المسائل ، وإن كان من الناس من لا يفرق بينهما وكأن التلازم موجود عنده بينهم .

والمعتزلي الحديث لا يحتاج إلى كثير جهد ولا إلى خلفية سابقة، لا ،وإنما عليه شيء واحد فقط، وهو أن يتكلم باسم الإسلام بعقله، فيخلط ويلبط وهنيئا للمتندر به .

فمن تكلم فيما لا يحسن، أتى كما قيل بالعجائب.

ولربما فرق إنسان بين منهج المعتزلة وبين عقيدتهم، فأين أصوله الثابتة في الاستدلال ؟ ولكن مما يؤلم السني أن يرى طرح هؤلاء المعتزلة وتركيزهم على نقض عرى الدين عروة عروة ، والسير على طريقة تسقط الإسلام بالتتابع .

تجد هؤلاء المعتزلة يتعلقون ويناقشون ويتكلمون في أصول الدين وفي أصول الفقه..فلماذا الأصول هي المرادة بالحرب فقط ؟؟!!

أما منا قشتهم وبدعتهم في أصول الدين وخلطهم فيها فشهرتها تغني عن التنبيه عليها، كمسألة التحسين والتقبيح العقليين، ومسألة العدل وغيرها.

ولكن الطرح المعاصر للمعتزلة أغلبه يدور على أصول الفقه، فلا تعجب من تلك الدعوى الكلية، المطالبة بتجديد أصول الفقه، وكأن الأصول تتغير ! أي شيء يكون للأصول من تعريفها إذا كانت تتغير.

دعوى فجة ومشتهرة، يرمى بها أهل السنة بأنهم جموديون على قديمهم، ويمثلون بأمثلة من الأخطاء في التطبيق الأصولي الذي قد يكون أهل السنة قد أخطؤوا فيه، وخطأ في التطبيق ليس خطأ في الأصل، والمناداة بإحياء التطبيق الأصولي على الواقع تطبيقا معاصرا أولى لسد الباب عليهم .

ما سبق حكم منهم على الأصول بالجملة .

وأما حين البداية في الدخول فترى أن قاعدة سد الذرائع شرقوا بها وغصوا، وداروا حولها وأجلبوا بخيلهم ورجلهم عليها، فقُصدت لأجل ما يترتب على إسقاطها من أحكام، فأي أصل يسقط، ففروعه له تبع، فإسقاط هذا الأصل أولى في نظرهم من أن يتكلموا في جواز قيادة المرأة للسيارة، بل جهلتهم هم الذين يتطرقون إلى مباشرة مثل هذا العرض ،وكبارهم فقهاء في الإسقاط، فمتى ما أسقط الإنسان حكم قيادة المرأة للسيارة سيحتاج إلى أن يأتي إلى غطاء الوجه والحجاب وهكذا، فيتعب نفسه في تتبع الفروع، فالأصل أولى بالنقض .

فالإختلاط وعدم المفاصلة بين المسلمين والكفار، والتغريب الشامل وغيرها ،مما يدندنون عليه داخل تحت ذلك .

والمرأة ركن من أركان المساومة والنقاش، والمحاولة في الوصول إليها أساس عندهم، فلا بأس أيضا أن يناقشوا مسألة القوامة، فالمرأة القديمة التي كانت كالمتاع في السابق جاهلة مهانة و...و..هذه ليست كالعصرية التي صار لها المصنع والمتجر، وصار لها الشهادات العلمية العالية والتعليم المتواصل، أيعقل أن تكون قوامة الرجل على المرأة القديمة كقوامة الرجل على المرأة الحديثة.

وهكذا.. حتى في مسائل النكاح والولاية صار النقاش .

ولن تنتهي المساومة في الأصول إلى أن يسقطوا الدين كله، وأحيانا قد يكون الإنسان منهم مؤدبا! فيتكلم في قاعدة تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان، فيحاول أن يدخل من هذا الطريق، وما علم المسكين حتى وإن كان يسمى فقيها، أن تغير الفتوى لا يعني تغير الحكم.

أصول دين المسلم يلعب بها، ويحاول إسقاطها، وتلك هي المواجهة.

والأدهى من ذلك والأمر أن يسمى بعضهم بالإسلاميين

=============

#الكتابة... لقهر المجتمع!!

أ. ياسر بن علي الشهري 1426/11/12

2005/12/14

عندما تكون الكتابة لُعبة فكرية؛ يفقد المجتمع جزءاً من قدراته المعرفية والأدبية، ويُزيف إطار الوعي ومدار الممارسة الثقافة التي يعايشها الإنسان في واقعه الاجتماعي، وتختلط المشكلات الصغيرة والإشكاليات الكبيرة، ويخسر –المجتمع– التسمية الدقيقة للمعطيات والظواهر والعلاقات التي تؤثر فيه ويتفاعل معها.

هنا تصبح الكتابة أداة من أدوات القهر الاجتماعي، وتُجيّر فاعليّتها لتزوير الواقع وتزييف الوعي بطبيعته، وتستخدمها الأقلية لتصوير أغلبيتها، دون وعي بالقيم التي تصادمها وفداحة تعميمها بهلاك المجتمع بأكمله.

إن الجهود التي تستهدف المجتمعات المسلمة لا تكفي لتحديث –تغريب– وتفتيت المجتمعات التي يزداد تأصلها وتجذرها في الإسلام، مما تطلب توسعاً في وسائل الهدم عبر الفن والأدب والإعلام بكل الوسائل الحديثة والتقليدية.

كثير مما يُكتب لنا اليوم يمثل مجالاً لدراسة صور رق واستعباد الهوى والشهوات التي يقبع تحتها كثير من الكتاب ظناً منهم أنما يمارسون حريتهم في البوح عن المستور، فهناك استدعاء لصور "معينة" وإقحامها في مجتمعاتنا، أو تضخيم لصور نشاز؛ لتشويه الصورة العامة للمجتمع ونفي صورة المثالية التي يسعى الإسلام بأصحابه إلى بلوغها. مع إهمال متعمد لشخصية الفرد المسلم، ولشخصية المجتمع التي تمثل مجالاً للإبداع الأدبي المتجرد من الهوى والشهوة.

إن رفض المنهجية الذبابية لا يعني عدم الاعتراف بالنقص ووجود الخلل، إنما يرفض العقلاء إقامة الكتابة على استهداف الخلل وانصباب الاهتمام على ثقوب النسق العام للمجتمع، أو أن تُستهدف صورة الجماعة المسلمة التي يتبنى أفراد المجتمع قيمها ومعارفها واتجاهاتها وسلوكياتها، أو يتم الإيهام بثقافة وقيم جديدة دونها، أو أن يُعمّق التناقض في البيئة الاجتماعية، أو يُغيّب دور الفرد –الاجتماعي– المطلوب ليساير جماعته ويتوافق ويندمج في الحياة.

وكذلك فإن رفض تضخيم الخطأ ليس رفضاً للواقع المَعيش، وليس عدم إدراك بالمتغيرات، إنه حفاظ على المفاهيم، ونبذ للمغالطات والتناقضات، ومحاولة للإبقاء على البون الشاسع بين الطبقات والمذاهب والتيارات التي تحاول فرض أفكارها ومعاييرها وقيمها على المجتمع الذي يملك الحق المنزّه والصريح –القرآن والسنة–

وليعي –المجتمع– أنه خير لكثير من الناس أن يصمتوا إذا لم يخلّصوا أنفسهم من آفتي "الهوى والجهل".

الذين يفسرون تزايد هذه الأعمال بأنها حالة طبيعية تبعاً لحداثة العالم الذي نعيش فيه، وأنها صورة من صور تهديد التقدم لثقافتنا وعجزنا عن الممانعة، يجب أن يعلموا أن الخطورة ليست فيما تقدمه التكنولوجيا من الفرص والمميزات وما يتبعها من المتغيرات، وإنما الخطورة في ربط تعاطي المجتمعات المسلمة للتطورات التقنية؛ برفض الثابت وطمس التاريخ والتخلي عن القيم والأخلاق، وفق منطق التحايل على الواقع الذي يحوّل الثابت تابعاً للمتغير، ويعطي المتغير سمات وخصائص لا يملكها وهو مؤشر لأزمة عميقة يعاني منها التفكير العقلاني، وعجزه النظري والمنهجي عن فهم تماسك المجتمع الإسلامي وأسبابه.

العمل الإعلامي والفني والأدبي –أيا كان شكله– أصله الكلمة، وليس الشهوة (الشهرة، الإفساد) والكلمة مرتبطة بالمصلحة العامة، وهي حالة تتطلب سلامة التفكير قبل التعبير، وتعميم الصور الذهنية والأفكار الشخصية هلاك لصاحبها قبل المجتمع.

إن على مثقفي المجتمع مهمة كشف المحاولات البائسة و"المنهجية الذبابية" التي تنتج الأدب والفن بعيداً عن قيم المجتمع وسياقه الثقافي والفكري، وعليهم تثقيف المجتمع بأساليب ومعايير كشفها؛ لحفظ الذوق العام، دون الإلتفات لمن يقلل من شأن الرفض والإقصاء وتقييم الأعمال في زمن الانفتاح.

إن واقعنا الإسلامي واضح الأطر متسع الأفق لن يُغمر أو يتم تجاوزه بسهولة مهما كانت سمات الواقع الافتراضي المغاير؛ لأن قيمه وأخلاقياته لم تقم على العقل البشري؛ إنما قامت على مفاهيم ربانية جعلت من ابن الخطاب ثاني رجل في الإسلام، وحوّلت جاهليته رصيداً من الثوب الثوابت، وصار الشيطان هارباً من طريقه.

ورفض الباطل لا يرتبط بإمكاناته، فقد اعتادت المجتمعات المسلمة على رفض المحاولات الفكرية والسياسية "الجريئة" التي تصادم ثوابتها، فضلاً عن المحاولات

الأدبية –الجريئة على الثوابت– التي لا تُذكر في مقابل محاولات أضخم كان عاقبتها الرفض والاستهجان.

ويبقى المؤهل دائماً للتعبير عن حاجات المجتمع المسلم وتلبيتها مهما تغيرت الأجيال والطموحات والهوايات؛ هو الذي يدرك طبيعة علاقة المجتمع بالخالق، ومكانة الدين في قيادة وتوجيه مسيرته وضمان رفاهيته المتوازنة بين الروح والعقل والجسد، أو بمعنى آخر يدرك الثوابت والمتغيرات وعلاقتهما بالزمان والمكان وحجم كل منهما، والمستقل منهما –الذي لا يخضع للتغير– والتابع.

وإذا ما عقل الناس ما نملكه من الثوابت فلسنا نخشى الانفتاح في المجتمع المسلم، فكلما زادت المعلومات وتنوعت أشكال التواصل داخلياً وخارجياً كلما اغتنت الأفكار وترسخت القناعات، وضاقت الهوة وتعمّقت الألفة بين الفرد ومحيطه من العائلي إلى الأممي –(إياك نعبد وإياك نستعين)–، وتكاثرت أشكال البحث عن تحقيق صلاح المجتمع ودمج الذات في همومه وتطلعاته –(اهدنا الصراط المستقيم)– والارتباط برموزه –(صراط الذين أنعمت عليهم)– ورفض الانقلاب والانتكاس والخروج عليه– (غير المغضوب عليهم ولا الضالين)–.

وهذا بعينه هو المجتمع الراقي الذي يملك أول الدواء وآخره فيربي الناس على أن تكون بواطنهم كظواهرهم، ويربط بين مكوّناتهم الروحية والعقلية والجسدية، وهي حالة ليست بالافتراضية؛ لأن شروطها متوفرة في المجتمع الرباني الذي يتحرك في إطار الإسلام.

وشروط المحافظة ليست شروطاً مصطنعة "دوركايمية"؛ إنها أعمال تعبّدية ومحل ثواب وعقاب، هدفها الحفاظ على الصورة العامة للمجتمع في صورته الناصعة التي تكتمل بتراكم عدد كبير من الأعمال والممارسات التعبّدية –مسؤوليات وواجبات ومسنونات ومستحبات– في المجال الاجتماعي على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، فتكثر القدوات، وتُرعى الأمانات، ويُؤمر بالمعروف، ويُنهى عن المنكر، ويُخشى من المجاهرة، فتظهر الصورة ناصعة جميلة؛ لتمثل مجتمع الهدى والرشاد (كنتم خير أمة).

============

#في علم الاستغراب: قراءة في كتاب (مقدمات الاستتباع) (2/2)

د. بدران بن الحسن 1426/8/14

2005/09/18

في الحلقة الأولى من هذا المقال تناولنا أهم المحاور التي ركّز عليها كتاب (مقدمات الاستتباع) من خلال التصدير والمقدمة، وفي هذه الحلقة نتناول أهم النقاط الواردة في بقية الفصول.

ففي الفصل الأول من الكتاب تناول الكاتب مظاهر نشوء النظام الغربي مركزاً على كيفية اشتغال القوانين الجديدة التي تحكمت في الحملات التبشيرية والمهام التي كُلّفت بها لغزو ما سُمّيَ بالشرق وتشويه صورته، ثم أبرز كيف انخرطت الدول الغربية، لحل مسائلها السياسية الداخلية، في الحملات التوسّعيّة ما قبل الاستعمارية فيما وراء البحار، ثم كيف أسهمت في إضعاف الإمبراطورية العثمانية –التي كانت تشكل تحدّياً سافراً للغرب آنذاك– وترسيخ الانشقاقات الطائفية والعرقية والقبلية والإقليمية بين الجماعات المتعايشة في ظلها.

وفي خمس نقاط يتناول النشوء والنماء الذي سار عليه النظام الغربي؛

ففي النقطة الأولى يتناول عملية التداخل بين السلطة الدينية للكنيسة مع الغزوات التجارية (المركنتيلية)؛ إذ ستتبلور (أيديولوجيا) تجعل من الربح قاعدة لـ"التقدم"، ومن المبادلة الحرة أداة أكثر فعّالية وضمانة لـ"الحضارة"، وذلك حين تحوّلت التجارة عند التجار وأصحاب المصارف إلى "فضيلة"، والمال إلى "صنم" بوصفهما شرطين أساسيين لضمان "النجاح" في الحياة العملية. (ص 28).

وفي مسار تشريع اللاهوت للناسوت "المركنتيلي" اضطرت كل الكنائس أن تتكيّف مع التنمية الخارجية للروح التجارية أو التشجيع لها، ثم الأخذ بالعقلية الصناعية... لقد أوجدت الرأسمالية روحها الخاصة، ووضعت الكنائس أمام ضرورة الاندماج بالقانون الطبيعي (للدولة–الأمة) (ص35–36).

وفي النقطتين الثانية والثالثة: تناول الصراع الذي حدث بين الكنائس على الشرق ودخول البروتستانت (protestant) حلبة المنافسة لما كان للمراسلين الكاثوليك من نشاط مكثف، وفي خِضَمّ هذا الصراع كان نشر "الإيمان المسيحي" يجري من خلال

ثلاث قنوات: الصحافة والإرساليات ثم الطباعة لكونها وسيلة فعّالة لنشر الأفكار. (ص45).

أما النقطة الرابعة فيتناول فيها اشتداد الهيمنة الأوروبية على الشرق الأوسط في مختلف المجالات في الثلاثينيات من القرن التاسع عشر، بخاصة في عهد محمد علي باشا إثر الشروع في "التنظيمات" الإصلاحية عام 1839م.

وقد قدم المؤلف في هذا السياق حشداً من المعلومات عن الإرساليات الغربية وعن أنشطتها المتشعبة والفعالة بين أهل الشرق، مبيناً ارتباطاتها المباشرة بإستراتيجيات الدول الغربية.

وأما في النقطة الخامسة فقد تطرق الباحث إلى النتائج الضارة التي سبّبتها الإرساليات الأجنبية بمختلف أنشطتها سواء للمسلمين أو للمسيحيين الشرقيين أو غيرهم؛ إذ في إطار التوسع الاستعماري وترسيخ دعائم السيطرة الأوروبية في وعي الأهالي، خاصة باحتواء الأقليات الدينية والمذهبية والإثنية، ثم استقطابها، ثم عزلها وجعلها معادية لقيمها ومحيطها الديني الثقافي والحضاري.

وكانت أهم هذه النتائج الضارة تتمثل في: تأصيل الطائفية، وتفاقم الصراع بين الجماعات، وغرس المشروعين الانفصاليين الماروني، واليهودي.

فمن أجل تأصيل الطائفية، أنشأ النظام الغربي قاعدة للطائفية بزرعه لفكرة "الدولة – الأمة" (nation-state) المجسّد للطائفية نظاماً اجتماعياً، وقد رُبِطت هذه الدولة عمودياً بدول المركز وبعجلتها الاقتصادية، وقام بتلغيم القواسم المشتركة، ووسّع هوة الفوارق الاجتماعية، وأثار النزعات الطائفية بين الجماعات الدينية والمذهبية والعرقية.

أما فيما يخص تفاقم الصراع بين الجماعات، فهو على ضربين: صراع بين الجماعات الدينية والمذهبية والعرقية، وصراع من مستوى آخر، وهو صراع النخبة المستغربة مع الأغلبية الشعبية.

لقد لاحظنا سابقاً ضمن إستراتيجية التغلغل التبشيري، أن كل القوى الاستعمارية حاولت أن تدعم بطريقة منفردة أو مشتركة، جماعة على حساب جماعة أو جماعات أخرى، متعايشة سابقاً في ظل الخلافة العثمانية، من أجل مد هيمنتها وتكريسها على

الخلافة العثمانية وتفكيكها، ثم الوصول إلى اصطناع دويلات مبنية على قواعد عرقية وطائفية وقبلية وإقليمية وجهورية. لكن المشروعين الذين استأثرا أكثر من غيرهما باهتمام القنصليات الأجنبية، في القرن التاسع عشر، هما إنشاء كيانين لليهود الأوروبيين والآخر للمسيحيين المحليين، وبالتحديد الموارنة، ليكونا بمنزلة حصنين متقدّمين للمركزية الغربية في الشرق الأوسط، ومنطلقين للمرافعة عن "العالم الحر".

وفي الفصل الثاني المُعنون "من السيطرة على الطبيعة إلى السيطرة على البشر" قام الكاتب بتحليل الكيفية التي تمّت بها بلورة مفاهيم المركزية العرقية الغربية، وكيف تضافرت هذه المفاهيم مع حملات التبشير باسم "العقل" و"العقلانية" أو "الموضوعية العلمية".

ولإبراز المعايير والقيم والعادات الذهنية التي تسكن الخطاب التاريخي المتعالي للنظام الغربي الصاعد، قام الباحث بمقاربة تلمس المقدمات والعناصر الإجرائية المنظمة و "المعقلنة" التي مكنت هذا النظام من تدعيم أسس الاستشراق، كعنصر مكتمل لهيمنته، وتبيان كيفية المحاججات "العقلانية" التي سمحت له بفرض ثقافته على الشعوب المهمشة وخاصة بعد "عصر الأنوار".

هذه المقاربة تناولها في عناصر أربعة: مصادر الخطاب الكوني في منعطف القرنين السادس عشر والسابع عشر، والعرقية المركزية الكامنة في الخطاب الكوني، والحروب بوصفها صمّام أمان "للدولة-الأمة"، ثم استغلال أسطورة "الإنسان المتوحش الطيب".

فالمثقفون في أوروبا في بداية عصر النهضة انكبوا على استنطاق أنفسهم حول الأسباب التي تم إنشاؤها عن طريق الملاحظة الحسية من أجل توسّع الحد الأقصى من فضاء السيطرة على الطبيعة. ومع توسّع التجارة، وظهور علم (الأنثروبولوجيا)، وُلدت شبكة مؤسّسية من المعارف السياسية و(الأيديولوجية)، فمكيافيلي عندما اكتشف التاريخ الروماني بحث فيه عن القوانين الأبدية لسيطرة البشر بعضهم على بعض، في كتابه "الأمير"، وظهرت نظرته في العصر التالي مع مذهب "المصلحة العليا للدولة" التي ما كان لها أن تقوم لولا تبرير وسائل السيطرة الوحشية...،

فمكيافيلي بمبدأ "الغاية تبرر الوسيلة" الذي كان خلاصة كتابه أسس للغزو الاستعماري وأخلاقه النفعية.
أما (هوبز) فقد دفع بهذا المفهوم إلى الحد الأقصى، واعتبر الحرية ليس شيئاً غير غياب كل ما يحول دون الحركة، كما أعلن أن على الدولة أن تضع الكنيسة والدين في خدمتها، ثم (كوندورسيه)، و(ديكارت) الذي قدم حججاً (للإيديولوجية) الكاثوليكية وشجّعها على تكييف لاهوتها مع التقدم والارتقاء الثقافي العقلاني بوجه كوني.
ومع (هيجل) كشف الخطاب الكوني للغرب عن عرقيته المركزية الكامنة، ذلك أن هيجل لكي يدعم خطابه ويتفادى تحديد نفسه فقط بخطاب كوني متعارف عليه في عصره لجأ إلى التاريخ اليوناني الذي يعده المنطلق العام للتاريخ الإنساني برمته، وهو في أطروحته ينطلق من شقين: في الشق الأول يشيد بالتاريخ الغربي مرجعاً واحداً جديراً بالاعتبار. أما الشق الثاني فيحط من شأن تاريخ الحضارات المسماة بالشرقية ويعدها مرحلة زائلة.
فالجدلية الفكرية عند (هيجل) لا تتجاوز حدود الغرب، وكل فكر خارج هذه الحدود موسوم بالظلامية والاستبداد وانعدام الحرية والتاريخ.
هذه التعميمات تحوّلت إلى بداهات تعزز خطاب المركزية الغربية عن طريق "العلوم الإنسانية"، في إطار التطوّرية الداروينية- السبنسرية، والوضعية الأوغيست-كونتية، والمادية التاريخية (ص 77-80).
ضمن هذا المنظور العام ستغدو كل المسوغات العقلانية ناجزة لشن الحملات والحروب على هذه الأمم الموسومة ب"غير المتحضرة" وقد أصبحت، لاحقاً، حقاً قانونياً ومطلباً حيوياً "للدولة-الأمة "الغربية.
ولإنقاذ المجتمع المدني الغربي من الركود والموت يقترح (هيجل) سلسلة من العلاجات تنطوي على القيام بالحرب والاستعمار. فالحرب لها الفضل في إعادة بناء التجانس الوطني تجاه التهديد المقبل من الخارج، والاستعمار سيسمح للدور الغنية بالتخلص من غير المرغوب فيهم.
أما أسطورة "الإنسان المتوحش الطيب" الموروثة عن العصور الوسطى وعصر النهضة فقد رسخت في الأذهان على شكل استيهامات غرائبية حتى بات الاستعمار

يُعدّ عملاً إنسانياً يسوّغ غزو الشعوب "الوحشية" و "الكسولة"، أي: العاجزة عن الإنتاج واستغلال الثروات الطبيعية. الأمر الذي يثير شهوة التوسع والهيمنة عند الغزاة.

أما الفصل الثالث فقد تناول فيها الاستشراق و(أيديولوجية) الهيمنة: فلكي تضفي الدوائر الاستعمارية على (أيديولوجيتها) التوسعية صبغة قانونية وعقلانية كان عليها أن تقدم علومها في مجال الإنسان بصفة علوم حيادية عالمية شبيهة بالعلوم الطبيعية... ولم تتردّد "العلوم الإنسانية" في توظيف أسطورة الإنسان المتوحش" بما يخدم مصالح دولها. والقصد ليس تجريده من مزاياه الفكرية فحسب، إنما هو تأسيس خطاب علمي مخصص للآخرين يبرز للمركزية العرقية الغربية زعزعة ثقة الشعوب الشرقية بذاتها وبمعاييرها وتدمير مجتمعاتها وعوامل الاستمرارية عندها، ولعل هذا ما جعل العلماء -على الرغم من اختلاف مشاربهم (الأيديولوجية)- يجمعون على إسقاط أحكام معيارية مسبقة الصنع على الشرق وإلصاق كل النعوت السلبية به: من قبيل الاستبداد، والتأخر، والكسل، واللاعقلانية، واللاتاريخية.

من أجل "البحث عن آدم جديد" للأوروبي الأبيض والمتفوق والعنصري، عمل الاستشراق على خطين: الوعي اللغوي بمنظار أوروبا ومقاييسها، والميل إلى التجزئة والتفريع وإعادة التجزئة لمباحثه دون أن يغير من رأيه حول الشرق.

أما الحتمية العرقية التي نهجها علماء اللسانيات والسلالات فقد أدّت إلى جعل العرق صنماً محركاً للتاريخ على يد (شارك كونت)، و(فيكتور دوليل)، و(غوبينو) الذي يرى أن العرق الأبيض يظهر فيه بوضوح الجمال والذكاء والقوة، ويمتلك عنصرين أساسيين لكل حضارة هما: دين وتاريخ، فضلاً عن اجتماعيته المتحضرة، وتفاوته وتوسّعه عن طريق الغزو (ص 95).

أما (أرنست رينان) فيرى أن العرق السامي يُعدّ شكلاً منحطاً ذا تركيب أدنى من الطبيعة الإنسانية بالمعنى الأخلاقي والبيولوجي (ص 96)، يستثنى اليهود بإدراجهم في دائرة المركزية العرقية الغربية بدعوى أن العرق "الإسرائيلي" قدم للعالم أكبر الخدمات العظيمة (ص 97).

والخط نفسه سار عليه (كوفييه)، و(سانت فانسان)، و(كاتروفاج)، و(دوبلاج) في فرنسا و(توما أرنولد)، و(كنوكس) و(داروين) و(سبنسر) في بريطانيا ثم في الولايات المتحدة على يد (ميرتون)، و(جيرون)، و(نوت) من دعاة الأشكال المتطرفة للنظرية العنصرية المعادية للسود، وبلغ الخطاب العرقي العنصري على يد علماء الأناسة الألمان ابتداء من القرن التاسع عشر حداً متطرفاً مع مبدأ تفوّق العرق الجرماني.

وتحت قيادة هذا الخطاب "العلمي" المسيطر والمؤسس في القرن التاسع عشر تحالفت الدولة الممركزة الدستورية، والعلم، والجيش، والصناعة والكنيسة لتوزيع الأدوار وتقاسم المهمات ضمن إستراتيجية منظمة، تراوحت مهماتها حسب الظروف، بين مطاردة السكان المحليين وتهميشهم وبين تسخيرهم وتصفيتهم. كل ذلك باسم الحضارة والحرية وحقوق الإنسان، وتقدم الإنسانية.

هذا التقدم: (الاستعمار والتحضير) نظر له كل فلاسفة أوروبا من (أوغست كونت)، و(هيجل)، إلى المدرسة الماركسية التي لم تفلت من الأسطورة الخاصة بالتقدم الأحادي والحتمي للإنسانية، ولم ينقطعا معرفياً ولا إيديولوجياً مع ثوابتهما الداعية إلى رسالة حضارية في الشرق، وفي الحقيقة ما قامت به الماركسية في أدبياتها حول الشرق كان امتداداً للمدرسة الاستشراقية (الليبرالية).

وخلاصة الكلام حول الاستشراق و(أيديولوجية) الهيمنة التي أنتجتها أن ما يريده المنظرون والمستشرقون هو وضع شعوب الشرق أمام خيارين لا ثالث لهما: إما الرضوخ النهائي لمنطق الغرب، وإما أنها ستظل تعتبر، من قبل الخارج، محكومة بعدم قدرتها على مواجهة الحياة.

وأما في الفصل الأخير فقد تناول المؤلف "حملة بونابرت على مصر" التي هي نموذج تطبيقي للأدوات والترميزات والتصوّرات الغرائبية التي يحملها الغرب نحو الشرق.

إذ الحملة على مصر –حسب رأي الكاتب– لم تكن ثمرة مشروع عرضي هدفه محاولة بث التفرقة العرقية بين المماليك والمصريين من جهة، وبين العرب والعثمانيين من جهة ثانية باسم الإسلام، ثم تعميق الشقاق والصراع الاجتماعي ما

بين الأديان والمذاهب باسم تقديم حلول علمانية زمنية مستمدة من مبادئ عصر الأنوار، للأقليات الدينية والمذهبية.

استخدم نابليون مجموعات من النخب المحلية لضمان سريان أوامره، وعمل على تأييد المارونيين، واستعطف اليهود ودعاهم إلى النهوض لتحقيق مطالبهم واستغلال الفرصة للعودة إلى أرض الميعاد.

ورغم أن احتلال بونابرت لمصر باء بالفشل على الصعيد العسكري، إلا أن آثاره لا تزال حتى اليوم تسيطر على منظوراتنا الثقافية والسياسية، ولقد انقسمت غالبية النخب المحلية المحدثة إزاء هذه الحملة إلى اتجاهين:

الأول: رأى فيها منعطفاً حاسماً في تشكل تاريخهم الحديث، لكونها كانت مبعثاً على "النهضة العربية" بفعل آليات المثاقفة مع الآخر الغربي.

أما الثاني: فيتمثل في التوفيق ما بين العلوم الحديثة المستجلبة والتراث العربي الإسلامي، وذلك بتطويعه للنموذج الغربي.

ولا يزال الصراع يدور بشكل سحالي دون نقاط مضيئة حول الأسس المشتركة لتحقيق النهضة.

في الخاتمة يناقش الباحث فكرة تجاوز الغرب لمقولاته المعرفية، غير أن الباحث – وأظنه محقاً في ذلك– يرى ألاّ نستعجل ونعمم الحكم على غالبية (الأنثروبولوجيين) والمؤرخين والمستشرقين بأنهم قد قطعوا، من حيث المضمون، مع مركزية النظام الغربي لكونهم انتقدوه أو انتقدوا مظاهره.

ذلك لأن عملية القطيعة تستدعي إعادة نظر جذرية في العديد من المسلمات الغرائبية والاستيهامية الثاوية في النظام المعرفي الغربي المؤسسي، ولا يكفي أن تطلق صفة القطيعة حتى يسلم آلياً بكل أشكال التطبيقات المعرفية، وما تتضمنه من إسقاطات ماسخة على شعوب الشرق وثقافاته.

إن أي ترويج اعتباطي لمفهوم القطيعة –دون قيام نوع من علاقة المحاورة المتفاعلة بين الغربي والطرف الآخر– يُعدّ إضافة أيديولوجية إلى جملة ما هو سائد.

وفي الختام:

هذا وإن الكتاب مليء بالأفكار يحتاج إليه كل مثقف يريد لنفسه أن يتفاعل إيجابياً مع الغرب المهيمن بخيله ورجله وأفكاره وإنتاجه، ذلك أنه يبحث في الجذور المعرفية التي أسست للخطاب الغربي المستعلي، ويقوم بالحفر في عمق مدلولات الخطاب ليبرزها، ويناقش "حقلاً معرفياً" يحتاج إلى ارتياد الكثير من ذوي البصائر وأولي الألباب، حتى يؤسس التعامل مع الغرب على علم، وتُختصر الكثير من المعارك الوهمية، وتُقتصد الجهود، والله أعلم.

لماذا علم الاستغراب؟

من المسائل الشائكة في عالم أفكارنا كيفية التعرف على الغرب ومعرفة أنساقه الفكرية وتجربته الحضارية وخصائصه التي تميزه عن غيره من الكيانات الحضارية. ولذلك تواجهنا مجموعة من الأسئلة التي تحتاج إلى إجابات علمية دقيقة تساهم في فهم الغرب وتوفير آليات منهجية للتعامل معه.

وهنا يُثار تساؤل عن كيفية ضبط العلاقة مع الغرب؛ إذ إن الإشعاع العالمي الشامل الذي تتمتع به ثقافة الغرب، هو الذي جعلنا في موقف ينبغي أن نحدد الصلة به، وخاصة أن ما يفيض علينا وعلى غيرنا من الأمم والشعوب من إنجازاته الحضارية ومن فوضاه الحالية جعل منه مشكلة عالمية، ينبغي أن نحللها وأن نتفهمها في صلاتها بالعالم كله وبالعالم الإسلامي بوجه خاص.

وهنا يأتي ما يمكن أن نسميه علم الاستغراب كما ذهب إلى ذلك الأستاذ حسن حنفي وغيره من المهتمين بالتأسيس لعلم يقوم على دراسة الغرب. وهذا لا يجعل العالم الإسلامي تابعًا في حلوله للغرب -كما يعتقد كثير من التغريبيين أو غيرهم من دعاة الأصالة الإسلامية- وإنما يتطلب منا أن نعرف التجارب الحضارية المختلفة لنتحقق من مدى نسبيتها ومدى قابليتها للنقل والاستفادة.

فإذا ما أدرك العالم الإسلامي أن الظاهرة الحضارية الغربية مسألة نسبية، فسيكون من السهل عليه أن يعرف أوجه النقص فيها، كما سيعرف عظمتها الحقيقية، وبهذا تصبح الصلات مع العالم الغربي أكثر خصوبة، ويسمح ذلك للنخبة المسلمة أن تمتلك نموذجها الخاص، تنسج عليه فكرها ونشاطها. فالأمر يتعلق بكيفية تنظيم العلاقة، وعدم الوقوع في الاضطراب كلما تعلق الأمر بالغرب.

فالعالم الإسلامي منذ بداية الجهود التجديدية الحديثة يضطرب، كلما تعلق الأمر بالغرب، غير أنه لم يعد بذلك البريق الذي كان عليه منذ قرن تقريباً، ولم يعد له ما كان يتمتع به من تأثير ساحر، وجاذبية ظفر بها على عهد أتاتورك مثلاً، فالعالم الغربي صار حافلاً بالفوضى، ولم يعد المسلم الباحث عن تنظيم نفسه وإعادة بناء حضارته الإسلامية يجد في الغرب نموذجًا يحتذيه، بقدر ما يجد فيه نتائج تجربة هائلة ذات قيمة لا تقدر، على الرغم مما تحتوي من أخطاء.

فالغرب تجربة حضارية تُعدّ درسًا خطيرًا ومهماً لفهم مصائر الشعوب والحضارات، فهي تجربة مفيدة لإعادة دراسة حركة البناء الحضاري، وحركة التاريخ، ولبناء الفكر الإسلامي على أسسه الأصيلة، وتحقيق الوعي السنني، الذي ينسجم مع البعد الكوني لحركة التاريخ، ذلك البعد الذي يسبغ على حركة انتقال الحضارة قانونًا أزليًا أشار إليه القرآن في قوله تعالى: (وتلك الأيام نداولها بين الناس)[آل عمران:140].

فالتأمل في هذه التجربة التي صادفت أعظم ما تصادفه عبقرية الإنسان من نجاح، وأخطر ما باءت به من إخفاق، وإدراك الأحداث من الوجهين كليهما، ضرورة ملحة للعالم الإسلامي في وقفته الحالية؛ إذ هو يحاول أن يفهم مشكلاته فهمًا واقعيًا، وأن يقوّم أسباب نهضته كما يقوّم أسباب فوضاه تقويمًا موضوعيًا.

وحتى تُنظّم هذه العلاقات، ويُستفاد من هذه التجربة البشرية، ويُدرك مغزى التاريخ، لا بد من فهم هذا الغرب في عمقه، وتحديد خصائصه، ومعرفة ما يتميز به من إيجابيات وسلبيات، حتى لا تكون معرفتنا به سطحية مبتسرة، وأفكارنا عنه عامة، وغير نابعة من اطلاع متأمل، وبالتالي يكون وعينا به مشوهًا أو جزئيًا.

ولقد أضاع المسلمون كثيراً من الوقت منبهرين بما حققه الغرب، دون أن يتأملوا ويدركوا سر حركة التاريخ في الغرب، فنرى كثيراً من الباحثين والمفكرين المسلمين بمختلف انتماءاتهم يجهلون حقيقة الحياة الغربية والحضارة الغربية بالرغم من أنهم يعرفونها نظرياً، كما أنهم ما زالوا يجهلون تاريخ حضارتها. وإنه بدون معرفة حركة تاريخ هذه الحضارة والمنطق الداخلي الذي يحكمها، فإننا لم ندرك سر قوتها ولا مكامن ضعفها، ولم نعرف كيف تكوّنت، وكيف أنها في طريق التحلّل والزوال لِما اشتملت عليه من ألوان التناقض، وضروب التعارض مع القوانين الإنسانية.

وإذا كانت المائة سنة الأخيرة قد تميزت بتقريب المسافات، واتجاه البشرية نحو التوحّد، في مصيرها، وفي علاقاتها، فإن المثقف المسلم نفسه ملزم بأن ينظر إلى الأشياء من زاويتها الإنسانية الرحبة، ويرتقي إلى إطار الحضور العالمي، وعيًا وإنجازًا، حتى يدرك دوره الخاص ودور ثقافته في هذا الإطار العالمي؛ إذ لا يمكن أن نطرح مشاكلنا في زمن العولمة والكونية، دون أن نأخذ في الاعتبار كل المعطيات السياسية والجغرافية والإستراتيجية.

وتحديد الصلة بالغرب وبغيره من الكيانات الحضارية، يعطينا تحديدين مهمين في إنجاز مشروعنا التجديدي:

التحديد الأول: هو التحديد السلبي، وذلك من خلال إدراك نسبية الظواهر الغربية، ومعرفة أوجه النقص فيها وأوجه العظمة الحقيقية.

أما التحديد الثاني: فهو التحديد الإيجابي، من خلال تحديد ما يمكن أن نساهم به في ترشيد الحضارة الإنسانية وهدايتها.

وهذا في حد ذاته ينضج ثقافتنا ويعطيها توجهًا عالميًا، فمن المفيد قطعًا أن ننظر إلى حركة التاريخ والواقع من زاوية عالمية لنكتسب بذلك وعياً عالمياً، فإذا أدركنا مشكلاتنا في هذا المستوى، فإننا سندرك -لا محالة- حقيقة الدور الذي يُناط بنا في حضارة القرن الحادي والعشرين.

ما هو منظور علم الاستغراب؟

إن مسألة تحديد النسق أو المنظور الذي من خلاله نتناول القضايا ومناقشة المشكلات المختلفة من الأهمية بمكان. ذلك أن تحديد المنظور يمكّن الباحث أو الدارس من الإحاطة بالمسألة، وامتلاك القدرة على إدراك مختلف أبعادها، وكذلك إمكانية صياغة حلول متناسقة قائمة على منهج واضح.

وبعبارة أخرى فإن منظور رؤية الأشياء هو الذي يحدد المنهج المقتضي للاتباع وتناول تفاصيل المسائل. وفي هذا السياق فإن النظر إلى مسألة ما من منظور فقهي -مثلاً- يؤدي إلى اعتماد منهج يختلف بالضرورة عن المنهج الذي يعتمد على منظور كلامي أو ثقافي أو حضاري أو سياسي.

وتحديد المنظور الذي من خلاله نعالج المسائل يسهل مهمتين للدارس؛ من حيث الاتساق في صياغة المنهج المراد اتباعه لعلاج المسألة موضوع البحث، ومن حيث القدرة على نقد مدى علمية المنهج المتبع في حل قضية ما ومدى اتساقه مع نفسه واتساقه مع الحقيقة الخارجية.

ويمكن القول: إنه بتحديدنا للمنظور، وبالتالي تحديدنا للمنهج المنبني عليه يمكن معرفة مدى شمولية ودقة واستيعاب هذا المنظور أو ذاك لمختلف الأبعاد، ومدى قدرة المنهج المنبني عليه على علاج المشكلات المختلفة للقضية أو الظاهرة أو المسألة موضوع البحث والدراسة.

والكتاب الذي بين أيدينا يُعدّ حلقة مهمة في بناء منظور ومنهجية للتعامل مع الآخر الغربي، ذلك أنه يبحث في جذور الغرب الثقافية والمعرفية التي شكّلت -ولا تزال- تعامُلَه مع غيره، كما يظهر الكتاب الاستعدادات الثقافية التي مكنت الغرب من أن يبلور، بوساطتها صورة عن ذاته، ويشكل صورة مشوهة للآخر لتأكيد ذاته، والتمركز المستعلي على غيره. ويتناول مصادر خطاب السيطرة على البشر بعد السيطرة على الطبيعة، ثم الاستشراق، وأيديولوجية الهيمنة.

محتوى الكتاب

يقع الكتاب في (160) صفحة من القطع المتوسط، متضمناً تصديراً للدكتور طه جابر العلواني، ومقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

في التصدير أشار الدكتور العلواني إلى أن عنوان الكتاب "الاستتباع" يستدعي إلى الذاكرة مجموعة من المفاهيم والمصطلحات سادت في أوساط مثقفي الأمة منذ منتصف القرن الماضي، مثل: الاستعمار، والاستشراق، والاستغراب، والاستكبار، ... النظام العالمي الجديد والإرهاب، والأصولية، والظلامية ونحوها.

والكتاب يستدعي هذه المفاهيم لأنه يعالج "حقلاً معرفياً" واسعاً يتصل بكل هذه المفاهيم. وهذا الكتاب يتناول الغرب بتحليل بنائه وأطره المنهجية، ومسلماته المعرفية (الإبستمولوجية) وفلسفته ونظرياته وقواعده المعرفية، وينقّب عن كيفية تحول الغرب إلى المركزية في رؤيته لذاته وتهميشه للآخرين، بل واستتباعهم.

ويشير إلى الطريقة التي تناول بها العقل المسلم ظاهرة الاستشراق، وأنها كانت دون مستوى الإحاطة بالظاهرة، وانعدام الاهتمام بتحليل البنى المعرفية والأطر المنهجية للاستشراق بوصفه حقلاً معرفياً نشأ في إطار العلم الغربي وفلسفته ونظرياته وأسسه المعرفية، وكان موضوعه الآخر غير الغربي، مستمراً في الشرق المسلم، وأن هذا الحقل المعرفي قد أسس لنفسه علوماً لبناء شبكات في الشرق المسلم، وأن هذا الحقل المعرفي قد أسس لنفسه علوماً لبناء شبكات المفاهيم الجديدة والمنظومات المعرفية المؤطرة في فلسفته (التصدير، 10).

في المقدمة يشير المؤلف إلى عدة أفكار مهمة في سياق معالجته للموضوع، أهمها:

- التناول الاجتزائي للاستشراق: فيرى الباحث أن الكتابات حول الاستشراق ونتائجه منذ عقدين من الزمن ونيف، وقع معظمها ضحية منظورات اجتزائية لم تضع الاستشراق ضمن النسق المعرفي المؤسسي العام للحضارة الغربية، فهو ليس ظاهرة موازية للنسق المعرفي المؤسسي الغربي المهيمن ولا منقطعة عنه أو عرضية فيه، إنما على العكس استمدت جذورها من هذا النسق بكل مكوناته المعرفية والمذهبية، نسجت خيوطها في كنفه، وتشكّل جزءاً أساسياً في إنشاء نموذج (الدولة-الأمة) في الغرب.

- طرق الاستعمار في بسط الهيمنة: إذ لم يلجأ الاستعمار -في فرض هيمنته ونمط إنتاجه وإملاء شروطه، بوصفها حقيقة وحيدة لازدهار الحضارة- دائماً إلى سياسة النهب الخالص وسياسة المدفع السافرة، إنما اعتمد على أساليب أخرى أيضاً في مرحلة ما قبل الاستعمار المباشر، وذلك عن طريق الاتفاقيات التجارية والعسكرية والعلمية مع حكام دول الأطراف وتكوين أنصار وزبائن مفتونين بمبادئه وقيمه ومؤسساته في المجتمعات المحلية، والتسلل إلى الضمائر وتطويعها وتسخيرها لصالحه.

- عقدة التفوق الغربي التي تحكم الغرب؛ إذ لكي يستأثر بزمام المبادرة في معالجة التاريخ العالمي يرفض الاعتراف بالقيم والرموز الخاصة بالثقافات المغايرة، أو بفكرة تاريخ متعدد، ويلجأ إلى تقطيع مجتمعات الأطراف إلى شرائح وكيانات قبلية وطائفية، أو عرقية وإقليمية، ويحوّل تواريخ الشعوب إلى أصفار على هامش

الحضارة، لا قيمة لها إلا بقدر اندماجها في دائرة السوق المتمم لحاجات إنتاجية المركز الأوروبي.

– الجذور الأيديولوجية والمعرفية للغرب: فالجذور الأيديولوجية للغرب ونظريته المعرفية تأسست ابتداءً من عصر النهضة، ومشروع الغرب يتجه نحو تطوير قيم أخلاقية جديدة متحررة شيئا فشيئاً من الدين لصالح نظرية جديدة عن المعرفة، ممثلة في أولوية المعرفة الموضوعية المستمدة من مجالي التجريب والرياضيات.

– ذهنية الصراع والسيطرة على الطبيعة والإنسان التي تحكم الغرب في تعامله مع الشرق، ضمن تراتبية تنطوي على إقامة فوارق جوهرية ثابتة بينه وبين سكان الشرق، وجعل نفسه وصياً وحيداً في تقرير مصائرهم تحت شعار تحرير الوثنيين والكفار "الوحوش" أو "الهمج" من "الظلامية" و"العبودية".

بمقتضى هذه الاستراتيجية راح الغرب يُساوي نفسه مع التاريخ، وله وحده الاستحواذ على مواقع النجاح، ولو على حساب ثقافات وتواريخ الشعوب الأخرى ومحوها.

– نشأة (الأنثروبولوجيا) الغربية: فالغرب أنشأ هذا العلم لدراسة إنسان ما وراء البحار بمناهج جديدة تهدف إلى عزله عن كل الظروف الاجتماعية التاريخية، ونكران ما يمثله من قيم ثقافية مغايرة. وحسب منظور (الأنثروبولوجيا) الغربية لم يعد ثمة شيء عقلاني، بالمعنى الحرفي سوى النظرية (الأنثروبولوجيا) "الإنسانية" عن ثقافة الشعوب التي اصطلح على تسميتها "بالبدائية" أو "الوحشية"، ولم يعد هناك من ثقافة سوى ثقافتهم من وجهة نظرهم هذه.

وإذا تم الاعتراف بعظمة حضارات (الغير) فبمقدار استجابتها لمصالح وترميزات المركزية الغربية. (ص 19 – 21).

– (إيديولوجيا) الفتح، والتسويغ لخطاب السيطرة: إن الخطاب المسيطر والمؤسس في القرن التاسع عشر، تحالف تحت قيادته الدولة المركزية الدستورية والعلم، والجيش والصناعة والكنيسة حاملة رسالة التبشير، لتوزيع المهام وتقاسم النفوذ ضمن إستراتيجية منظمة روّج لها رواد (أيديولوجيا) الفتح أمثال مونتسكيو وهيجيل وماركس وواتيفوغل.

============

خواطر فكرية مبعثرة

الحلقة الأولى (1)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده، أمّا بعد:

فهذه خواطر مبعثرة، في موضوعات شتّى، ليس بينها رابط يربطها سوى أنّها جالت في الذهن يومًا ما، ولا تحتمل مقالة كاملة فضلاً عن كتاب، فرأيت أن أبعثرها هنا نصحًا للأمّة، فما كان منها من صواب فهو من الله وحده لا شريك له، وما كان منها من خطأ فهو من نفسي ومن الشيطان، والله المستعان.

* ما يسمّى بـ (زواج الفرند) وإن كان مقصود من اقترحه صحيحاً شرعاً، إلا أنّ تسميته بهذا الاسم – في نظري – خطأ من وجهين:

– أحدهما: أنّ كلمة الفرند . بغض النظر عن معناها . كلمة أجنبية. وفي لغتنا العربية ما يغني عن مثل هذه الكلمات الأجنبية.

– والوجه الثاني: أنّ هذه التسمية موهمة، قد يفسّرها بعض الناس بالزواج العرفي، أو غيره من الأنكحة الباطلة المحرّمة، وقد نهى الشارع عن مثل هذه العبارات الموهمة.

* أقترح على دار الإفتاء، أو وزارة الشؤون الإسلامية، أو الحسبة تفريغ باحثين أَكْفَاء لمتابعة ما ينشر في الصحف المحلية وغيرها من وسائل الإعلام المختلفة، لشكر من يستحقّ الشكر، وتفنيد ما يحتاج إلى تفنيد، فالجهود الفردية وحدها في هذا المجال لا تكفي.

* يحتجّ بعض الناس على إباحة بعض الأمور بأنّ تحريمها لم يرد نصّاً في القرآن الكريم، وهذه حجّة باطلة لا تصدر إلا من جاهل، أو ملبّس، فإنّ من المعلوم أنّ القرآن الكريم لم يرد فيه تحريم كلّ محرّم بعينه، وإنّما تضمّن القرآن كليّات كبرى يندرج تحتها جزئيات كثيرة لا تحصى، بعضها وقع وبعضها ربّما لم يقع إلى هذه الساعة، ومهمّة العلماء الراسخين ردّ هذه الجزئيات إلى قواعدها الكليّة.

* الذين يجعلون الدولة الدينية في مقابل ما يسمّى بالدولة المدنية هم لا يعرفون حقيقة الإسلام، فدين الإسلام دين شامل مهيمن على جميع نواحي الحياة ولو كره أهل العلمنة، فإذا كانت الدولة المدنية تعني إقصاء الدين، والمساواة بين الكافر والمسلم، والسنّي والمبتدع، فهي دولة علمانية مارقة، أمّا إن كانت تخضع للدين

وتأتمر بأمره . وهذا هو الواجب .، فهي لا تعدو أن تكون دينية، وإن اعتنت بمصالح الناس الدنيوية.

* الفئة التي تسمّي نفسها (ليبرالية) لا تجيد إلا النقد والجدل، إن بحقّ . وهو قليل . وإن بباطل، مع تعالم سمج ظاهر، حتى إنّك لو كتبت آيات محكمات من القرآن على غير ما هي عليه في المصحف، وعرضتها على أحدهم دون أن يدري أنّها من المصحف؛ لراح ينتقدها ويجادلك في زيفها بزعمه، وصدق نبينا . صلّى الله عليه وسلّم .: "ما ضلّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل "..

* يقول بعض المفتونين: إنّ الاختلاط بين الجنسين يهذّب الغرائز، ويكبح جماح الشهوة، ويرشّدها!! والحقّ أنّه يقضي على الشهوة أو يضعفها، فيجعل الرجال أشباه رجال ولا رجال، لا يجيدون سوى التحرّش الظاهر، فلا يجدون ما يجده المسلم المحافظ البعيد عن مخالطة النساء الأجنبيات من القوّة والمتعة مع أزواجهم، وهذا أمر مجرّب، وما أحسن ما قيل: (كثرة الإمساس تميت الإحساس).

* إنّ ممّا يحتجّ به المنهزمون فكريّاً من أبناء جلدتنا للتقليل من شأن حضارتنا الإسلامية المجيدة وإعلاء شأن الحظيرة الغربية: قولهم إنّ المبرّزين من العلماء في الطب وغيره في الحضارة الإسلامية كابن سيناء وغيره قد حُكم عليهم بالكفر والزندقة والمروق من الدين، فهي حضارة دينية.. والجواب عن ذلك من وجوه:

- أحدها: أنّ هذا ليس على إطلاقه، فهناك علماء أجلاء في الطب والرياضيات . وهم كثر . لا يُذكرون إلا بالخير، وهؤلاء الذين حُكم عليهم بالزندقة هم قليل من أولئك الكثير.

- الثاني: أنّ هؤلاء الذين حُكم عليهم بالزندقة لم يُحكم عليهم بذلك لبروزهم في العلوم الطبيعية، وإنّما حُكم عليهم لإلحادهم وانحرافهم العقدي، ولا تلازم بين الأمرين.

- الثالث: أنّ الفضل في بروز هؤلاء ليس لهم على الحضارة الإسلامية، بل للحضارة الإسلامية عليهم، فهي التي أبرزتهم، ولو عاشوا في بلاد الغرب المتخلّفة آنذاك لكانوا نسياً منسياً، ولم يكن لهم شأن يُذكر.

- الرابع: أنّ الحضارة الإسلامية - مع حكمها على هؤلاء بالزندقة - استفادت من علومهم الطبيعية التي توصّلوا إليها، وبنت عليها علوماً أخرى، مع نبذها لعلومهم العقدية المنحرفة، وهذه قمّة العدل والإنصاف.

* من الحجج التي يحتجّ بها دعاة التغريب والمفتونين بالحظيرة الغربية: قولهم إذا كنتم تكرهون الغرب فاستغنوا عن منتجاته التقنية!! وهي حجّة سمجة سخيفة، والجواب عنها من وجوه:

- أحدها: أنّ ما وصل إليه الغرب اليوم من التقدّم التقني المادّي ليس نتاجه وحده، وإنّما هو نتاج جهود تراكمية للحضارات السابقة، ومنها الحضارة الإسلامية، وعلى سبيل المثال: الطيران، كان صاحب فكرته الأولى: العربي المسلم المشهور عبّاس بن فرناس، وقس على ذلك مخترعات أخرى.

- الثاني : أنّ دول الغرب لم تنفرد بهذا التقدّم التقني، بل شاركها دول أخرى وثنية وإسلامية، وباتت تنافسها تنافساً محموماً، بل تفوقها في كثير من الأمور، ويمكننا الاستغناء بهذه الدول عن الغرب.

- الثالث: أننا لو استغنينا عن منتجات الغرب المادية - ونحن قادرون - فإنّ المتضرّر الوحيد هو الغرب نفسه إذ جلّ اقتصاده إنّما يقوم على تسويق هذه المنتجات، ونحن لو استخدمنا هذا السلاح - سلاح المقاطعة - لتمكنّا من تركيع الغرب المتغطرس لإرادتنا، وهزيمته بلا أسلحة ولا حروب مدمّرة.

* في العشر الأواخر من رمضان، وفي صلاة التهجّد، يقلّ المصلّين في المساجد، وتعلو أصوات الأئمّة في هدأة الليل وتتشابك! لذا أقترح على الجهات المعنيّة قصر صلاة التهجّد على الجوامع فقط دون سائر المساجد، وفي ذلك عدّة مصالح، فمنها:

- تكثير الجماعات في الجوامع بدلاً من تفرّقهم في جميع المساجد.

- التقليل من أصوات الأئمّة المنطلقة من مكبّرات الصوت، فبدلاً من انطلاقها من كل مسجد، يقتصر على الجوامع فقط.

- التخفيف على أئمّة المساجد، فبدلاً من قيام كلّ إمام وحده بصلاة التهجّد، مع ما في ذلك من المشقّة؛ يتعاون عدد من الأئمّة في مسجد واحد، مع ما في ذلك أيضاً من إزالة السآمة من الاستماع إلى صوت إمام واحد.

* الاقتصاد في الكهرباء في تلك الليالي الشريفة، فبدلاً من تشغيل طاقات جميع المساجد من المكيفات والإضاءة، يُقتصر على الجوامع فقط

=============

#الموالون للأجنبي.. أنتم أشد رهبة عليهم..!

د. محمد بن سعود البشر 1426/4/30

2005/06/07

يواجه العالم الإسلامي اليوم موجات متتابعة من العصف الثقافي والسياسي والاجتماعي الذي يستهدف خلخلة البناء، وزلزلة المعتقد والتشكيك في الثوابت، بعضها سافر في المواجهة، والآخر مغلف بدعاوى ظاهرها فيه الرحمة، وباطنها من قبله العذاب.

وليس هذا بغريب في تاريخنا الإسلامي، لكن ما يجعل هذه الموجات التغريبية أشد وطأة علينا اليوم هو قدرتها البارعة واستخدامها الذكي في توظيف نفر من بني جلدتنا ليكونوا أدوات للأجنبي، يبلّغون رسالته، ويستميتون في الدفاع عنها، ويقاتلون بكرة وعشياً لتحقيق غاياتها.

يُسخّرون أسماءهم، ويوظّفون منافذ التأثير عبر الصحافة والأثير للترويج لعقائد المستعمر وتسويق فكر المحتل.

في كل يوم لهم وسيلة.. وفي كل آنٍ لهم قضية.. من يتابع توقيت الزمان، ويحلل بعمق مضامين الرأي يجد أنهم يعملون –بجَلَد الفاسق– لتنفيذ إستراتيجيّة الاختراق من الداخل!!

هؤلاء الذين في قلوبهم مرض قويت شوكتهم بدعم المحتل، وكثر عددهم في مساحات كثيرة من عالمنا الإسلامي، وعلا صوتهم وصراخهم في المؤسسات الإعلاميّة التي تميّعت في الهُويّة، فلم تعد تفرّق –مع هؤلاء– بين حق وباطل، بل ربما شرعت لهم الأبواب على مصاريعها، لتوافق الهوى وتطابق التوجّه، حتى ولو كان ذلك على حساب ثوابت الدين والوطن!!

ولئن كانت مواجهة هؤلاء، وتعريتهم، وكشف زيغهم وأباطيلهم واجبة فيما مضى، فإنها اليوم آكد في الوجوب، ولم يعد لذي دين وعقل وعلم وغيرة أن ينتبذ مكاناً قصياً يرقب المشهد ولا يراغم في تغييره بقدر استطاعته.

والصدارة في المواجهة اليوم للنخب التي تحمل الهم، وتدرك حجم المسؤولية، وخطورة الموقف.

وإن من ضعف الإيمان أن تنفر من كل بلد إسلامي فرقة تلاحق نتاج المستغربين – أدوات المستعمر المحتل– تجمعه، وتحلله، وتربط أوله بآخره، ووسائله بمقاصده، ثم تعلنه، وتطلب مقاضاته ومحاكمته، أو –في أقل حالاته– الردّ عليه، وإعلام الملأ به؛ فهؤلاء لم يعد لهم رادع من دين، ولا حياء من مجتمع.. ولن يتوقف تهافت أطروحاتهم وأساليب ولائهم لثقافة الأجنبي إلا المخلصين من أبناء الأمة "لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله".

=============

#ما بعد الجماعات

د. محمد العبدة 1426/4/18

2005/05/26

مدخل:

ليس هذا المقال دعوة لإلغاء الجماعات الإسلامية الموجودة على الساحة اليوم، ولا لتجاوزها إنكاراً لجهودها، ولكن للمحافظة على مكتسباتها والتقدم بها نحو بنية تحقق المزيد من العمل والمزيد من الأمل، التقدم نحو مرحلة تستطيع هذه الجماعات أن تجترح الحلول للمشكلات القائمة، وأن تتجدد في الأهداف المرحلية ومعرفة الواقع (1).

القضية اليوم ليست قضية جماعات، وإنما قضية أمة لم يعد لها كلمة مسموعة، وليس لها ثقل سياسي تفرضه على الآخرين، ولا نتكلم هنا عن الغايات والنوايا(ونرجو أن تكون سليمة) ولكن نتكلم عن الوسائل والمراحل والنظر إلى المستجدات والتحديات، والتجديد في الفكر والهيكلية. إن وجود تجمعات وجمعيات داخل جسم الأمة الإسلامية ليس أمراً غريباً أومستحدثاً، بل قد يكون واجباً في بعض الظروف،

وذلك عندما تحدث تحوّلات كبرى وتُقام دول وتسقط أخرى. وأصل وجود مثل هذه التجمعات شيء مطلوب داخل المجتمع، قال تعالى : (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) [آل عمران:104] وقال تعالى: (وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) [الأعراف:159] والتعاون على البر والتقوى مأمورٌ به شرعاً.

وتكون التجمعات أحياناً من الأمور الفطرية، فكما أن في الإنسان غريزة حفظ الذات، فكذلك عنده غريزة حب التجمع وحب الانتماء والشعور الجماعي في حدود الأسرة أو القبيلة أو الحزب ... الخ. ومن هنا جاء تأسيس الجمعيات والجماعات بعد سقوط الدولة العثمانية، وبعد تقسيم العالم العربي وفقدان المرجعية السياسية، ومحاولات التشويه والتغريب الذي تعرّض لها المسلمون عن طريق الاستشراق والتبشير والمدارس الأجنبية، فكان رد الفعل تأسيس الجماعات دفعاً لهذا البلاء النازل، وفوائد الجمعيات كثيرة جداً، خاصةً عندما يتسنى لها الثبات على مشروعها مدة طويلة مما لايفي به عمر الفرد. وقد وُجد في المجتمع الإسلامي زمن الدولة العباسية والدولة العثمانية تجمعات كانت تساعد المستضعفين في المدن، وكانوا يسمون في بغداد بـ(الفتوة) وفي دمشق بـ(الأحداث)، هذا عدا عن وجود التجمعات المهنية؛ إذ يكون لكل مهنة رئيس يشرف على أفرادها ويفض الخصومات فيما بينهم ويعلم المنتسبين الجدد. يقول ابن تيمية –رحمه الله– عن التجمعات وشرعيتها (فمن تكفل بأمر طائفة فإنه يُقال له: هو زعيم، فإن كان قد تكفل بخير كان محموداً على ذلك، وإن كان شراً كان مذموماً على ذلك، وإن كان أهل الحزب مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله – صلى الله عليه وسلم– من غير زيادة أو نقصان فهم مؤمنون لهم مالهم وعليهم ما عليهم، وإن كانوا قد زادوا ونقصوا، مثل التعصب لمن دخل حزبهم بالحق والباطل، والإعراض عمّن لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق أو الباطل فهذا من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم)(2) .

واقع الجماعات والاخطاء التي وقعت فيها :

لاشك أن الجماعات– وخاصةً الكبرى منها المعروفة– قد أدت دوراً إيجابياً قلَّ أو كثر، وأوجدت مناخاً إسلامياً عامَّاً، وأوجدت –بفضل الله– أجيالاً من الشباب المسلم

يتفهمون الإسلام، ويعملون من أجله، ويستعدون للتضحية في سبيله، هذا مما لا خلاف فيه، وليس حديثنا اليوم عن الإيجابيات فهي معروفة.

سارت هذه الجماعات في طرق ودروبٍ طويلة وشائكة، أصابت وأخطات، ونشأت من خلال الأحداث محاولات للمعالجة ولكنها كانت جزئية ومحدودة الأثر، كان لكل جماعة من هذه الجماعات منهجه ورؤيته للأحداث، وتظهر مدى اقترابه أو ابتعاده عن الثوابت والأصول، وكان لكل جماعة أهداف مرحلية قد تكون حققت بعضها وأخفقت في البعض الآخر، ولكن عندما انتهت هذه الأهداف وجدت نفسها أمام جدار مسدود، ومع الزمن أُصيبت بالجمود والتكلّس والتصلّب وخاصة في الهيكلية التي هي من معوّقات الانتقال إلى مرحلة أفضل وأقوى. لقد تغيّرت الظروف، وسقطت إمبراطوريات ودول، وجاءت ثورة المعلومات، وجاءت (العولمة) سيئة الذكر وكبرت التحديات، ولكن طرائق وأساليب الجماعات في التربية والإعداد والنظرة إلى الحاضر والمستقبل لم تتغير كثيراً.

هناك مبررات تستدعي هذا الانتقال والتحوّل، مبررات من داخل الجماعات، هناك أخطاء وأمراض مزمنة لا فكاك منها إلا بالانتقال إلى حال أخرى، ومن هذه الأخطاء:

1-الحزبية:

إنني أعتقد أن طريقة تأسيس الجماعات والهيكلية التي بُنيت عليها (وكانت في زمن وظروف معينة)، هذه الطريقة تحمل في داخلها جراثيم الحزبية، سواء قلّت أو كثرت؛ لأن الجماعة عندما انفصلت عن جسم الأمة، ولم تحاول بعدئذٍ تجديد نفسها والارتباط بجمهور الأمة مرة ثانية، وإقامة المؤسسات الفكرية والعلمية لاستيعاب القدرات والأذكياء، فلابد أن ينشأ مرض الحزبية، وهو مرض عضال، أضر كثيراً بالجماعات الإسلامية وفرقها وأضعفها؛ لأن الفرد عندما يكون داخل مجموعة صغيرة، ويُقال له: منهجنا هو الأصوب، فسيكون إنساناً منغلقاً متعصباً لجماعته، لا يقبل بسهولة ما عند الآخرين، والطريقة الحزبية تكون دائماً لاهثة وراء كسب الناس، فإن لم ينصتوا إليها تقوقعت على نفسها واتهمت الآخرين. وفي الطريقة الحزبية يقفز أنصاف المتعلمين ليبعدوا المؤسسين الأوائل، ويتظاهرون بالحماس الزائد للوصول

إلى المناصب، وقد يكون خارج هذه الحلقات الضيقة من هو أكثر تقًى وعلماً، ولكن لأنه لم يلتزم بالجماعة فلا يُستفاد منه، ويضغط المتعالمون الذين يظنون أن بانتسابهم إلى الجماعة وتغنيهم بشعاراتها وقراءة كتبها يرتفعون إلى درجة الفكر والمفكرين (ومن ملاحظات علوم الإدارة في الشركات التي فقدت المرونة أن الابتكارات تأتي غالباً من أشخاص لا يعملون في الشركة أو من أولئك الذين تعدّهم الشركة غير منضبطين بأنظمتها) (3).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ليس لأحد أن يعلق الحمد والذم، والحب والبغض، بغير الأسماء التي علق الله بها ذلك، فمن كان مؤمناً وجبت موالاته من أي صنف كان، ومن كان كافراً وجبت معاداته من أي صنف كان، والذي يبني محبته وبغضه ومعاداته ونصرته على الانتساب لأسماء معينة أو مذهب معين أو جماعة أو حرفة فهذا من أمور الجاهلية المفرقة بين الأمة)(4) .

2- القيادة:

ربما لا يشك أحد بأن هناك مشكلة في القيادة، وربما يتذكر الدعاة والقراء شعار مجلة الفتح لصاحبها محب الدين الخطيب رحمه الله (المسلمون إلى خير ولكن المشكلة في القيادة) فما جذور هذه المشكلة التي تظهر خاصةً عندما يذهب المؤسس الأول أو عندما يغيب عالم كبير؟. إن غياب الممارسة الحقيقية للشورى، وغياب الممارسة العملية للإدارة والقيادة من قبل الصف الثاني، وعدم التأسيس لهذا الجيل هو أحد هذه الأسباب، فالقيادة ليست موهبة فقط، بل يمكن أن تأتي بالتعليم والممارسة مع وجود العناصر الأخرى الضرورية. ومن الأسباب أن المجتمعات الإسلامية -وبسبب تخلفها الحضاري- لا تزال تحلم بالرجل الأوحد والبطل الملهم الذي تتركز كل الأمور بيده، ويُطلب منه أن يحل كل المشاكل، فمثل هذا الشخص . إن وجد . وأرضى غرور الناس، ولكنه لا يستطيع في الواقع أن يقوم بشيء كبير.

إن القيادة عندما تتحمل الأعباء الكثيرة، ولا يتهيأ لها العوامل المساعدة من الأفكاروالأشياء، فربما تسير مرحلة وفترة معينة يكون فيها نشاط، وفيها عمل وإنتاج، ولكنها ستتوقف بعدئذ ثم ينكفئ العاملون على أنفسهم، وتتحول الاهتمامات إلى شؤون أكاديمية بحتة.

والملاحظ أنه لا يوجد في البرامج التربوية شيء من المقارنة والنقد، ولا توجد هذه الصلة العميقة بين القيادة والأجيال الجديدة، ومن المؤسف أن تجري الأمور على الشكل التالي:

الذي يتقرب من المسؤول أو على الأقل يسكت، فهو المرضي عنه ويصعد إلى أعلى المسؤوليات، وأما الذي يناقش ويسأل فهو(مشاغب) غير منضبط، ولا يفهم السرية والعمل الحركي ويجب أن يُفصل!!

ومن التأملات العميقة في طبيعة الاجتماع الإنساني لمؤرخنا الكبير ابن خلدون، أن بعض الدول بعد أن يستقر بها الحال تبدأ بإبعاد من شاركوا وساهموا في التأسيس حتى لا يكون لهم منَّة ودالَّة على الدولة، وتأتي بأناس بعيدين لا حول لهم ولا طول، ينفذون ما تريده الدولة، وبعض الجماعات تفعل مثل هذا.

إن بعض القيادات لا يحبون الظهور العلني، ولكنهم يريدون التحكم في الدعوة من وراء ستار، فيضعون واجهة ضعيفة هي القيادة في الظاهر وأمام أعين الناس، وهكذا تفعل بعض الطغم العسكرية في البلاد المتخلفة.

وفي كثير من الأحيان كان المعيار في تفوق فلان ليكون قائداً وزعيماً (مدى الحياة) هو تفوقه في الخطابة، وعندما تكون الأمة في حالة تخلّف فإنها تسحرها الكلمة الخلابة والصوت العالي.

3-المنهج:

لم تستطع الجماعات الإسلامية تطوير مدرسة تربوية واعية بتحديات العصر ومشكلات الواقع، قادرة على إنزال (آيات الكتاب) على الواقع القائم، ولم تبلور مشروعاً نهضوياً متكاملاً، وما قامت به من دروس علمية وتربية خاصة لإيجاد الشباب الصالح، فهذا شيء لا ينكر بل يشكر، وهو عمل جيد، ولكنه لا يكفي لمشروع كبير، وبعض الجماعات التزمت بالعموميات في المنهج العلمي والعقدي حرصاً على تجميع أكبر عدد من الأنصار، سواء كانت أفكارهم صحيحة أم فيها انحراف عن المنهج القويم.

وبسبب الاضطراب وعدم الوضوح في المنهج، دخل البعض في معارك سياسية قبل أوانها، وكانت نتائجها وخيمة، وكانت ردة الفعل إما الابتعاد كلياً عن الشؤون العامة

أو الدخول بفكر وعقل ذرائعي ليس له حدود ولا ضوابط. ومازال العمل الإسلامي ومؤسساته يسيرون على نظرية (إذا صلح الفرد صلحت الأمة) وهي مقولة تُذكر وكأنها بديهية من البديهيات، وظاهرها صحيح ولكن فيها تبسيط لقضية كبيرة. وكانت نتيجة هذه النظرية أن وجد عدد غير قليل من الأفراد الصالحين، ولكن ليس لديهم فقه (بناء الأمم) فالبناء المرصوص ليس حجارة، وإنما هو حجارة مصقولة مشدودة بالإسمنت والحديد، وحسب قوانين هندسية تتعلق بعمق الأساس وسمك الجدار... وهناك عوائق ومؤثرات ثقافية واجتماعية تعيق الفرد إذا لم يوضع ضمن مشروع متكامل.

ومن الاضطراب في المنهج رفع الشعارات الكبيرة التي يصعب تحقيقها في الواقع وتحول الوسائل إلى غايات، فالجماعة بنظمها ومؤسساتها هي وسيلة للعطاء، وخميرة للنهوض، ولكن هذه النظم تحوّلت إلى غاية يجب الحفاظ عليها ولو بالانغلاق عن الأمة، وعدم الاستفادة مما عند الآخرين، فكل شيء يجب أن يقبل باسم (التنظيم) والمصلحة. مع أن حفظ الدين والعقيدة أهم من حفظ الجماعة وحفظ النفس والمال، والدليل قصة موسى عليه السلام حين قال لأخيه هارون: (اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) ولما رجع موسى عليه السلام وجد قومه يعبدون العجل، فقال مخاطباً هارون عليه السلام: (مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلاَّ تَتَّبِعَنِ، أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ؟ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) [طه: 92-94].

قال الشيخ الطاهر بن عاشور: (هذا اجتهاد من هارون في سياسة الأمة؛ إذ تعارضت عنده مصلحتان: مصلحة حفظ العقيدة ومصلحة حفظ الجماعة من الهرج، وحفظ الأنفس والأموال فرجح الثانية، وكان اجتهاده مرجوحاً، لأن حفظ الأصل الأصيل للشريعة أهم من حفظ الأصول المتفرعة، لأن مصلحة صلاح الاعتقاد هي أم المصالح التي بها صلاح الاجتماع.....) (5).

ومن الاضطراب في المنهج أو النقص فيه، ما يُلاحظ من معالجة أعراض المرض وعدم معالجة جذوره، فالوعظ والإرشاد يتجه دائماً إلى مشاكل سطحية تظهر في

تصرفات أفراد المجتمع، ولكن لا يُنظر إلى الأسباب العميقة التي أوصلت المجتمع إلى هذه المشاكل أوهذا التفلت الأخلاقي.

بعض التجمعات الإسلامية الصغيرة تمثل حالة اغتراب وانسحاب من الواقع ربما لأن المجتمعات الإسلامية مصابة بحالة (الشح) العلمي أو الخيري.

4-التجدد:

من أخطر الأمور التي تواجه المجتمعات أو الجماعات أن يسيطر الجمود الذهني عليها؛ فلا تعود هذه الجماعات عندها القابلية للتجدد والتحسين، عندها تسيطر مقولات وقوالب لا تناسب الواقع، أوتسيطر عادات وتقاليد يصعب تركها. والنهوض الحضاري لا بد له من قدرة على تحقيق التوازن بين الثوابت والمتغيرات، وإلا فقدت الجماعة المرونة والحيوية. أعرف أناساً يردّدون كلام مؤسسي الدعوة أو بعض المفكرين الذين عاشوا قبل عقود من الزمن، وكأن كلامهم منزل، ويبدو من حال هذا الذي يردّد كلامهم أنه لم يقرأ شيئاً جديداً منذ عشرين سنة، ولم يطلع على فكرٍ أوعلم، ولم يوسّع من ثقافته أو يمارس عملية الانفصال والاتصال، الانفصال عن مفاهيم وأشكال وأطر وتنظيمات عفا عليها الزمن، واتصال بالثوابت والعلم والمستجدات وكيفية بناء الأمم. فهناك تحديات كبيرة لا ينفع معها اللجوء إلى النظم والهياكل التي لا تصلح للعمل من خلالها. وهذا لا يعني أنه لم يقع تجديد أبداً، بل كانت محاولات ولكنها جزئية، ولم تستطع التجدد المتكامل، ولذلك نرى ونسمع بين كل فترةٍ وأخرى انسحاب مفكر أو مثقف من الجماعة الفلانية لأن طبيعة تكوينها ونظمها لا تساعد في . الغالب . على استيعاب أهل الفكر والعلم، ولا تساعد على تهيئة كل الأجواء المناسبة لأداء دورهم، وهكذا تخسر الجماعات صفوة المجتمع. ومن العجيب أن بعض هذه الجماعات تستمر في التعيّش على سمعة هؤلاء المفكرين أو العلماء، وفي الوقت نفسه تحذر أعضاءها من أفكارهم وقراءة كتبهم!

ربما كان استمرار بعض هذه الجماعات يعود إلى أنها تسير بالدفعة الأولى، فعندما يكون المؤسس قوياً ومخلصاً يعطي العمل دفعة قوية، ولكنها مع الأيام تضعف وتهرم بسبب عدم التجدد.

إن تطلعات المسلمين وحركة التاريخ لا تنتظر أمثال هؤلاء (المحنطين) الذين يعيشون على أمجاد فتراتٍ معينة من الزمن الماضي.

5-عندما تكون النتائج ضعيفة

رغم الجهود الكبيرة التي بُذلت وتُبذل خلال عقود من الزمن، فلا بد أن في الأمر شيئاً، لابد من وجود خلل ما في الوسائل أو المراحل، وأما مقولة نحن عملنا وليس من الضروري أن تقع النتائج، فهذه حيلةٌ نفسية لإرضاء الذات، لأن الله سبحانه وتعالى وعد بالنصر والتمكين للذين ينصرونه، وربما يؤجل هذا النصر لأسباب، وربما تكون هزائم وانتصارات، أما ألاّ يكون هناك انتصارات، فهذا يحتاج إلى مراجعة شاملة وصريحة، للمنهج وطرق التربية، ومراجعة شاملة لصدق النوايا وأعمال القلوب والأخلاق المطلوبة.

ماذا نريد؟!

بعد هذا الجمود أو الفتور الذي نلحظه، وشعور الجميع بأنه لا أحد يستطيع وحده أن يقوم بالمهمة الكبرى، ألا يجب أن ننتقل إلى مرحلة أقوى وأكبر؟ مرحلة تُزال فيها هذه السدود التي صُنعت، وهذه الجدران العالية التي بُنيت، ويتحول العمل الإسلامي إلى تيار يعتمد على مؤسسات ذات خبرة فقهية وثقافية وسياسية واقتصادية. يشارك هذا التيار في صنع الأحداث، حتى لا يُنظر إلى المسلمين على أنهم من المستضعفين الذين تفكر كل جهة حاقدة في تحجيمهم وضربهم.

لماذا لا يتحول العمل الإسلامي إلى تيارشعبي، الكل يحمل هم الإسلام، حتى لا تبقى الدولة جسماً منفصلاً عن الأمة، جسماً يشعر الفرد ازاءها وكأنه ذرة رمل تطحنها آلة جبارة؟!

إن العلاقة بين الجماعة والأمة هي كالعلاقة بين الشجرة والتربة، وانقطاع الصلة بينهما سيكون من بعده اليبوسة، قلت لأحد الأخوة وكان يكلمني عن ضعف الموارد المالية عند الجماعات، قلت له: عندنا ثروة بشرية. لماذا لا نسخرها في سبيل الأهداف السامية التي نحملها؟ عندنا شباب ذكي متعلم، أينما توجهه يأت بخير. لماذا لا ندفع هؤلاء الشباب لخوض معركة الحياة ؟ معركة الحق والباطل، ففي هذا العصر الذي تطرح فيه مسالة (العولمة)، لا بد أن تكون المبادرات كبيرة وغير

مبعثرة. يقول المفكر الجزائري مالك بن نبي: "إن رجل الشعب يمارس الأفكار بقلبه وعقله معاً، بينما لا يقرأ (المثقف) عندنا إلا بعقله، فرجل الشعب يتمتع بالبداهة الصادقة" (6). ويلاحظ أحد المفكرين أن "الجماعات عاملت المجتمع الإسلامي على أنه متلقٍ للخطاب النهضوي، ولم يُعامل على أنه يمكن أن يكون فاعلاً في التعبئة لذلك الخطاب.."(7). ويرى الشيخ طاهر الجزائري "أنه لا بد من تثقيف (العامة)؛ لأنهم برأيه أطوع للحق من كثير من المنتفعين بالدين، خاصةً إذا تتبع المصلح الحكمة في دعوتهم وأعطاهم من العلم ما تطيقه عقولهم.

عندما يعطي تصرف الجماعة انطباعاً بأنها هي المسؤولة عن الإسلام، فهذا يجعل بقية المسلمين يركنون إلى شيءٍ من الراحة والكسل وعدم تحمل المسؤولية، ومن الأمور التي تساعد على تشكيل هذا التيار العريض:

1- الاهتمام بالجمعيات والمؤسسات المدنية بشتى أنواعها سواء أكانت خيرية أو علمية أو اجتماعية أو اقتصادية، فهذه كلها قوى للوطن وللأمة ومنابع حياة لها.

2- الاستفادة من الكيان القبلي كمؤسسة اجتماعية فطرية: والإسلام كما هو معلوم، لم يحطّم التنظيم القبلي، بل رشَّده ودمجه في نطاق الأمة، وطهّره من المفاهيم الجاهلية. (والجماعات الإسلامية لم تستفد من هذا الكيان، ربما للشعارات الكبيرة التي رفعتها (الوحدة الإسلامية..) أو كرد فعل على الدعوات القومية) (8).

3- جمعيات العلماء:

وهم أهل العلم والخبرة الذين ينظرون في مصالح المسلمين ويصدرون عن تشاور، وهم يجتهدون في النوازل المعاصرة، حتى لا تتحول الاجتهادات الفردية إلى فوضى علمية، فالخلافات بين أولي الألباب مهما اشتدت تظل محكومة بأخلاق أهل العلم وتسامحهم بينما نجد في العقلية الحزبية إذا ما حصل خلاف فإن الكبار يوجهون الصغار لممارسة أبشع ألوان الأذى والضرر للخصوم، مع تتبع العورات، وتفجر المؤامرات داخل الجماعة الواحدة. لا بد للمسلمين من هيئة تنظر في أمورهم، مع علمنا أنه ليس أحدٌ بعد الرسول -صلى الله عليه وسلم- من يدّعي له العصمة، ولكن في عمل المؤسسة يحصل النقاش وتبادل الآراء، وفي النظام الحزبي لا أحد يناقش أفكار الزعيم، والقرآن الكريم يوجه لهذه المكانة لهؤلاء: (فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ

مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ((122) . والأمة إذا فقدت قيادتها الربانية فإنها تتعرض لشياطين الإنس ليجتالوها عن عقيدتها وهويتها، وإذا كان لا بد من تكامل بين أهل العلم وأهل الثروة، فالقيادة يجب أن تكون لأهل العلم.

4- الاهتمام بالثروة البشرية: وخاصة (أولي الألباب) والاذكياء من الشباب الذين يطورون النظريات التربوية، ويقودون المؤسسات، وهكذا كان جيل الصحابة، الذين أكرم الله بهم نبيه -صلى الله عليه وسلم- فقد كانوا أذكياء نابهين عقلاء، فلما جاء الاسلام كانوا كما قال تعالى: (نورٌ على نور) .1- حدثني أحد الأخوة الثقات أن أحد شيوخ هذه الجماعات طلب من القيادة اجتماعاً لبحث مشكلة كانت قد انتهت وانتهى أصحابها، فقال له شاب : يا شيخ كأنك لم تقرأ في القرآن قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع الجن ؟

2 - الرسائل والمسائل 161/1

3 - بشير شكيب الجابري : القيادة والتغيير /53

4 - الفتاوى، مجمل اعتقاد السلف 342/3.

5 -انظر: أحمد الريسوني (نظرية التقريب والتغليب) /381 .

6 - في مهب المعركة /187 .

7 - عبد المجيد النجار: عوامل الشهود الحضاري 287/2 .

8 - المصدر السابق 287/2.

===============

#أفلام الكارتون .. نظرة فاحصة (1)

د. خالد بن سعود الحليبي 1426/3/9

2005/04/18

وُجّهت ضربات عديدة إلى مقاتل المجتمع المسلم بقصد تغريبه عن دينه، وتجهيله بحقيقته، ومسخه إلى مجتمع مفتوح على كل الثقافات دون احتفاظ بشخصيته المتميزة، بحيث يكون بدون هُوِيّة يعتنقها، أو يدافع عنها، ولم تكن كل تلك الضربات عسكرية، بل إن بعضها نوع غريب وخبيث، بطيء التغيير، ولكنه يصل إلى العظم،

استهدف به أعداؤنا فئات عدة من مجتمعات المسلمين، مثل الشباب والنساء،ولكنهم لم يتركوا . أيضا . فئة عزيزة على نفوسنا جميعاً، تمثل مستقبلنا الواعد، وأمانينا الجميلة، فئة هي أكثر استعداداً لقبول كل جديد، والتغير السريع، إنها فئة (الأطفال)، تلك الفئة العمرية التي تتعامل مع ما حولها ببراءة، مقتصرة على التلقي واكتناز المعلومات، لتحويلها إلى سلوك عملي، يحدّد كثيراً من منحنيات حياتهم بعد البلوغ.

إننا إذا كنا نظن أن الخطر الغربي عسكري محض، فذلك خطأ تاريخي جسيم، وغفلة حضارية خطيرة، فإن التأثير على القيم، وتغيير الشعوب من الداخل أكثر خطورة من التغيير بالتهديد العسكري؛ لأن التهديد العسكري سرعان ما ينهار، وتنتفض عليه الشعوب الحرة، ولكن الخطورة في التأثير الذي يبرز في أثواب التسلية والترفيه، حيث يسري السمّ مع العسل، يقول الفيلسوف الوجودي (البيركامي): (على اتساع خمس قارات خلال السنوات المقبلة سوف ينشب صراع لا نهاية له بين العنف وبين الإقناع الودي ... ومن هنا سيكون السبيل المشرف الوحيد هو رهن كل شيء في مغامرة حاسمة مؤداها أن الكلمات أقوى من الطلقات).

لقد علم أعداؤنا أن غالب الأطفال في عالمنا اليوم يتلقون ثقافتهم . وبخاصة قبل المدرسة . من التلفاز، بحيث تشكل تلك الثقافة الخارجية 96% من مؤثرات الثقافة في حياتهم، وغالبها من أفلام الرسوم المتحركة،أو ما يُسمّى أفلام الكارتون، يليها برامج الأطفال الأخرى، والمسلسلات والأفلام وأمثالها. حتى أصبح لتلك الأفلام الكارتونية قنوات خاصة تبث طوال اليوم، في قالب فني جذاب متطور، وأنطقوها بلغتنا، فالتصق بها أطفال المسلمين التصاقاً مخيفاً، أثّر على تشكيل عقيدتهم وعقولهم وبناء شخصياتهم، إلى جانب التأثير السلبي على صحتهم العضوية والنفسية.

الرسوم المتحركة خطر غير مدرك.

إن أفلام الكارتون قنابل تتفجر كل يوم في شاشاتنا الصغيرة دون وعي منا أو متابعة ، فهي لا تزال بريئة في أعيننا، مجرد تسلية، وأشد الأمراض فتكاً ما يغفل عنه صاحبه، وأشد الأعداء توغّلاً وإضراراً، ذاك الذي يبدو لك بعيني صديق حبيب، وهو يحفر الخندق، ويطعن الظهر. ومن عادتنا ألا نتنبه لأمر حتى يبلغ ذروته، بل بلغت

الغفلة بإحدى الأمهات حين سُئلت عن علاقة أولادها بأفلام الكارتون أن تصرح بأنها لا تعلم عن أولادها شيئاً(1)، وأخرى تتمنى أن ترتاح من أولادها وضجيجهم، ولو أن تلقيهم في الشارع!! فأينها من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا" رواه البخاري.

لقد أشغلت هذه الرسوم المتحركة أطفال المسلمين أيما إشغال .. فما عادوا يطيقون أن يستغنوا عنها، ولو يوماً واحداً دون أن يشاهدوها، بل فضلوها حتى على مرافقة الآباء والأمهات في النزهات والحفلات، حتى أكلت أوقاتهم، وبدّدت طاقاتهم، وشلّت تفكيرهم، وزاحمت أوقاتهم في مراجعة الدروس، وحفظ كتاب الله، فضلاً عن أن يجلسوا مع أهليهم جلسة صافية، ليتلقوا منهم الأدب والدين والخلق، وقد اشتكت من ذلك عدد من الأمهات الواعيات حتى قالت إحداهن: "إن جهاز التلفاز يرتفع صوته بشكل غير مقبول أثناء عرض مسلسل أبطال الديجتال، ويمتنع أبنائي (6 – 9) سنوات أثناء مشاهدته عن الأكل أو مجرد الردّ على أي سؤال، أنا مستاءة جداً ولا حول لي ولا قوة، وأرجو أن أجد الحل للتخلص منه"، وتقول أم أخرى: "إن أبنائي يتابعون المسلسل أكثر من مرة في اليوم، وبمجرد انتهائه يبدأ الشجار والعنف بينهم تقليداً لحركات أبطال الديجتال" (2).

ويؤكد أحد الباحثين أن الأطفال يشاهدون تلك الأفلام "لمدة قد تصل إلى عشرة آلاف ساعة بنهاية المرحلة الدراسية (المتوسطة) فقط .. وهذا ما أثبتته البحوث والدراسات من خلال الواقع المعيش".

أخي المسلم .. يكفي أن تعلم أن الرسوم المتحركة ما هي إلا حكاية عن واقع رسمها من عقائد وأخلاق يعترف بها، ويتعامل بها؛ كما يثبته علماء الاجتماع، فإذا علمت بأن70% من هذه الأفلام تنتج في الولايات المتحدة الأمريكية ، علمت مدى خطورة نقل خزايا المجتمعات الغربية وعريها وسقوطها الأخلاقي والديني إلى أذهان أطفالنا؛ مما يدخلهم في دوامة الصراع بين ما يرون وما يعيشون من مُثُل وقيم، وأفكار وحضارات؛ مما يجعلهم في حيرة وتذبذب، كل ذلك ونحن نظن أنهم يستمتعون بما يشاهدون وحسب.

إن هذه الرسوم . كما يقول المختصون . تشغل قلوب فلذات أكبادنا، وتصوغ خيالهم وعقولهم وتفكيرهم، وتشوّه عقائدهم وثقافاتهم بعيداً عن تقييمنا الدقيق، بل ربما يكون إدمانهم على مشاهدتها تحت رعاية منا، ومشاركة في معظم الأحيان. وننسى أنها من أبرز العوامل التي تؤدي إلى انحراف الطفل، وتبلّد ذكائه، وتمييع خلقه؛فأفلام الكارتون سريعة التأثير؛ لما لها من متعة ولذة. والطفل سريع التأثر؛ لأنه يعيش مرحلة التشكل واكتساب المعرفة مما حوله، وما تعرضه الفضائيات منها لا يعتمد على حقائق ثابتة، وإنما على خرافات وأساطير ومشاهد غرائزية، وتشكيك في المعتقدات لا يجوز الاعتماد عليها . بحال من الأحوال . في تنشئة أطفالنا، وتربيتهم.والعجيب أن يتغافل الآباء والأمهات عن هذه الحقيقة، ويديرون لها ظهورهم كأنهم لا يعلمون ذلك كله؛ بحجّة تحقيق الهدوء في المنزل، بتخدير الطفل أمام الشاشة، حتى قال أحدهم: "فور صدور أية حركة تنبئ عن استمرار طفلي في اللعب والصراخ، أدير التلفاز على إحدى القنوات، لا إرادياً أجد طفلي ممدداً على الأرض وبصره إلى التلفاز، في حالة أشبه ما تكون بالتنويم المغناطيسي".

ربما كان هناك من سيقول لمن يدق أجراس الحذر من هذه الأفلام: تلك مبالغات منفوخة، وخوف متوتر لا داعي لهما؛ فالمسألة مسألة تسلية وحسب، ولكنها الحقيقة التي نضعها بين أيديكم لعدد من المختصين الذين أبدوا رأيهم بحياد شديد وموضوعية، وعدد من الآباء والكتاب الذين رأوا بأعينهم، وقالوا بألسنتهم.

إنني اليوم أبلغ ما رأيت وجوب تبليغه، وأبرئ ذمتي بأن أشارك في كشف الآثار الصارخة، التي يمكن رصدها بكل سهولة في أي مسلسلات كارتونية غير موجهة تربوياً ولا شرعياً.

وفي الحلقة القادمة –بإذن الله– سأتابع الآثار السلبية على أطفالنا من جراء تعلّقهم بأفلام الرسوم المتحركة غير الموجهة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(1) كيف غزا أبطال الديجتال عقول أبنائنا ؟ ولدي ، العدد 45 ، أغسطس 2002م ، ص : 23 .

(2) المصدر السابق .

============

أفلام الكارتون .. نظرة فاحصة (2)

الآثار السلبيّة للرسوم المتحركة على أطفالنا

د. خالد بن سعود الحليبي 1426/3/23

2005/05/02

تعالوا أيها الآباء ويا أيتها الأمهات نتعرف على بعض الآثار السلبية للرسوم المتحركة على أطفالنا:

وأولها: زعزعة عقيدة الطفل في الله:وإليك هذا المشهد الذي بثته قناة فضائية واسعة الانتشار، وهو مشهد ((يوجه الأطفال توجيهاً معاكساً في أساس من أسس ديننا وحياتنا؛ فعدم نزول المطر، والجدب والقحط، قضية تربط المسلم بالخالق، والسنة النبوية المطهرة، تبني في كيان الطفل المسلم من خلال صلاة الاستسقاء التوجه إلى الله تعالى. وفي هذا المسلسل تظهر الشخصيات الكارتونية وهي تقف في الغابة تنتظر سقوط المطر، فيتقدم كبيرهم قائلاً: لا ينزل المطر إلا بالغناء، فهيّا نغني، وتبدأ شخصيات المسلسل تغني أغنية سقوط المطر، يصاحبها الرقص والأدوات الموسيقيّة:

هيا اضربي يا عاصفة كي يسقط المطر هيا اضربي لتغمري الجميع بالمطر مطر
مطر مطر يا منزل المطر مطر مطر نريد شيئاً واحداً مطر مطر مطر

وعندما لم ينزل المطر يتساءل أحدهم: لماذا لم تمطر السماء؟ فيجيب آخر: لعلها مشغولة بالبحث عن أمنا الطبيعة.

نعوذ بالله من هذا الشرك الذي يُلقّن لأبنائنا ونحن غافلون عنهم، فرحون بأنهم هدؤوا بين يدي التلفاز؛ لنفرغ نحن عنهم لأمور لن تكون أهم من سلامة أولادنا من الانحراف في عقائدهم وأخلاقهم.

وكذلك ما يحصل في برنامج (ميكي ماوس) هذا الفأر الأمريكي الذي يوهم أطفالنا . في بعض حلقاته . بأنه يعيش في الفضاء .. ويكون له تأثير واضح على البراكين والأمطار فيستطيع أن يوقف البركان!! وينزل المطر ويوقف الرياح!! ويساعد الآخرين، والسؤال الذي قد يتبادر إلى الذهن: لماذا يجعل هذا الفأر في السماء؟!! ولماذا يُصوّر على أن له قوة في أن يتحكم بالظواهر الأرضية؟!

وتشير باحثة إلى أن هذا البرنامج يحمل ظاهره مغالطة علمية وواقعية واضحة، وهو وجود فأر يطير وخلاصة هذا المسلسل عبارة عن تأكيد للقوى الخيالية الخارقة الجبارة (الخرافية) التي تقف مع المضطر وتنقذه في أحلك الظروف وأشدّها حرجاً، فهذه القوة الخرافية هي الرجاء والأمل في الخلاص، ومثل هذه الأفكار من شأنها أن تهزّ عقيدة الطفل هزاً عنيفاً فتنحي عن ذهنه الصغير قرب الله من عبده، وإجابته له حين يدعو، وعون الله عز وجل له (1).

وأما مسلسل السندباد وهو عربي المضمون والشخصيات، ولكنه مليء بالعقائد الفاسدة والخرافات، فمرة نرى السندباد يخر ساجداً أمام والي بغداد والسجود لغير الله لا يجوز في ديننا الإسلامي، ومرة يستعين بصاحب المصباح وهو الجني الأزرق لكي يحقق له مطالبه، فأين التوكل على الله والاستعانة به، ومرة يسجد تحت قدمي الجنيّ الكبير الذي يخرج من الماء والصحراء ويتوسل إليه ألاّ يقتله، أين الاستعانة بالله وطلب العون منه، وانظر إلى الجواري والفتيات وهن يتراقصن في القصور وسندباد ورفاقه يأكلون ويغنون، فماذا يتعلم الأطفال من هذا العرض؟ ليس إلا الفحش وسوء الأدب والاستعانة بالشعوذة والكهنة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: « مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)) رواه الإمام أحمد رحمه الله.

ونرى في فلم آخر رجلاً ضخماً فوق السحاب يمتلك دجاجة تبيض ذهباً، ورجلاً ضخماً آخر في فيلم آخر يصب الماء على السحاب فينزل المطر.

والله إنها لتلميحات خبيثة.. أهدافها واضحة للجميع.. لا تتطلب إجهاداً ذهنياً لمعرفتها.

وهذا كثير جداً في تلك الرسوم..ومن الأخطاء العقدية المنتشرة في تلك البرامج: الانحناء للغير .. حتى تكون الهيئة أقرب ما تكون للسجود والركوع، والانحناء في الشرع محرم كما نص على ذلك حديث أَنَس بْن مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحَدُنَا يَلْقَى صَدِيقَهُ أَيَنْحَنِي لَهُ؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَا)) الحديث رواه الإمام أحمد. وهذا نجده كثيراً جداً في هذه الأفلام، ومنه ما يكون في البرنامج الشهير (الكابتن ماجد) فعند نهاية المباراة يقوم أعضاء الفريقين بالانحناء

لبعض بشكل أشبه ما يكون بالركوع للصلاة.. كتعبير للمحبة والصفاء.. وهو ما يحصل . على سبيل المثال في برنامج (النمر المقنع) من وضع مماثل للسجود. ومثل هذا المنظر قد يقوم الطفل بتقليده دون وعي بعد نهاية مباراة يلعبها مع أصدقائه.

وفي مسلسل (كاسبر) الكارتوني الشهير الذي أذكره جيداً في طفولتي، لاحظت الأستاذة مها النويصر مجموعة من المخالفات العقدية، وهي تراقب أولادها وهم يشاهدونه ويتعلقون به، مثل: الاعتقاد بوجود أشباح الموتى بيننا تأكل وتشرب وتتعامل مع الأحياء في تمثيل سيئ لعالم البرزخ، وأنهم في مرح ولعب دون جزاء ولا حساب. وأن الإنسان قادر على الإحياء والإماتة، وأن روح الإنسان الطيب تصبح ملكاً. نجد ذلك في مشهد فتاة ورثت قصراً عن أبيها مليئاً بالأشباح فتحضر المختصين لطردهم، وكان مع أحدهم ابنته الصغيرة التي يظهر لها الشبح الصغير المحبوب (كاسبر)، ويصبح صديقها، ثم يريها آلة صنعها صاحب القصر تعيد الروح للشبح فيعود للحياة، ويموت والد الطفلة خلال بحثه، فيعطيها كاسبر سائل الحياة فيعود حياً، وفي حفلة تقيمها الطفلة تأتي أمها من عالم الأرواح لتقدم نفخة من روحها ليكون (كاسبر) حبيباً جميلاً لمدة ساعات؛ لأنه ساعد الطفلة، ثم يتراقصان على أنغام الموسيقى، ثم يعود شبحا (2).

كل ذلك وأطفالنا ساهمون في قبضة هؤلاء الأشباح.

ومنه أيضا ما تتبادله الشخصيات الكارتونية من عبارات مخلة بالعقيدة، مثل: (أعتمد عليك)، و(هذا بفضلك يا صديقي العزيز)، أو حتى أحياناً حين ينزل المطر: (ألم تجد وقتاً أفضل من هذا لتنزل فيه؟) وفي برنامج صفر صفر واحد يقول أبطال الفيلم: إن نظامهم يسيطر على كل المجرات في الكون ما خلا المجموعة الشمسية.

وقد يُشار إلى بعض تعاليم الديانات الأخرى:فتجد فتاة تطلب الانضمام للكنيسة، كما تجد مشاهد لتعلم العادات الدينية النصرانية، أو إظهار الراهب ومعه الصليب وإلباس المنضم ذلك الصليب، أو حتى إظهار الصليب في غير تلك المواطن كأن يظهر رجل قوي وشجاع ، ثم يخرج من داخل ثيابه الصليب ويقبله، ويبدأ المعركة.

وانظر إلى لينا وهي تصلي في حال الشدة وصلاتها عبارة عن أن تضم يديها إلى بعضهما ثم تغمض عينيها وتنظر إلى أعلى، وهي صلاة النصارى فتتعلم المسلمة الصغيرة هذا في حين أنها تجهل صلاتها.

وظهور شجرة أعياد الميلاد المسيحية(الكريسماس)، والاحتفال بأعيادهم، وكذلك الدعاء قبل الأكل بضم اليدين وأصوات أجراس الكنيسة.

واشتمالها على السحر :وهذا كثير جداً ..فهم يصورون السحر على أن حكمه يختلف حسب المقصد من استعماله.. كيف ذلك؟فمرة يصورون الساحر أو الساحرة رجلاً كان أم امرأة قد ملأهما الشر والبغضاء والحسد، يحققون بالسحر ما يصبون إليه من طموحات شخصية على حساب الآخرين..كما في برنامج (السنافر)، الذي يتمثل في الرجل الشرير شرشبيل. وأحياناً يصورون الساحر بأنه رجل طيب محبّ للخير لجميع الناس، يساعد المظلومين كما في السنافر أيضاً، ويمثل بزعيم القرية أو كما في برنامج (سندريلا) والتي تصور فيها امرأة ساحرة طيبة، تساعد سندريلا على حضور حفلة الملك و الاستمتاع بالرقص!! وغير ذلك ..

وبلغ تأثير مثل هذه المشاهد أن الأطفال يردّدون كثيراً من عباراتهم، بشكل نخاف فيه أن يطلب أبناؤنا تعلم السحر، أو على الأقل أن يحبّوا الساحر الذي بالغوا في تصوير طيبته لهم. حتى سألت طفلة أمها: "هل الساحرات طيبات؟" فتساءلت الأم: ما سر هذا السؤال؟ وكيف تكون الساحرة طيبة؟ أجابت الطفلة: "لأنها أحضرت الحذاء لسندريلا" ولا نقول إلا اللهم سلم، اللهم سلم ..

ويضاف إلى ذلك الاستهانة بالمحرّمات ، وخلطها بالمباحات،ففي حلقة واحدة من حلقات (سنان) وهي (33)، رصدت الباحثة طيبة اليحيى سبعاً وثلاثين مخالفة شرعية، وفي حلقة واحدة من مسلسلة (السنافر) وهي الحلقة التاسعة، رصدت أكثر من أربعين مخالفة شرعية (3).

وفي حلقة جديدة أتابع معكم أيها الغيورون هذه المصائب المطلية بالترفيه، المنصب كالرصاص المذاب على رؤوس وعواطف وعقائد أولادنا حماهم الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

============

#مذاهب الناس في الانتخابات

د. إبراهيم الناصر 1426/2/10

2005/03/20

من المُتّفق عليه أن هناك قواسم مشتركة بين البشر تجعلهم يتوافقون على كثير من مُخرجات العقول، هذه المُخرجات عبارة عن قيم مدنيّة معروفة في كل الأمم والمِلل وهي جزء من المشترك الإنساني.

والتجارب البشرية حال نضوجها هي مصدر مهم لتطوير حياة الإنسان، خاصة إذا كانت فيما تركه الدين للعقل البشري المتجرّد، وهو العفو حسب مصطلح الشّرع، وإنما جاءت الشرائع بضبطها وتهذيبها من الانحراف.

والاستفتاءات (الانتخابات) في أصلها دون ما طرأ عليها أو علق بها من ثقافات الممارسين؛ لتقرير ما يُجمع عليه الناس أو أغلبهم هي من هذا النوع، وفي حياة العرب القديمة نماذج لهذا الأصل وفي سيرة المصطفى -عليه الصلاة والسلام- وخلفائه الراشدين كذلك، ففي بيعة العقبة الثانية طلب عليه الصلاة والسلام من الأنصار ترشيح نقيب لكل عشيرة، وبعد مقتل الفاروق -رضي الله عنه- أجرى عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- استفتاء كان نتيجته تولي عثمان بن عفان خلافة المسلمين، وعندما يتعذر الإجماع في تقرير الحكم الشرعي الفقهي العام يكون الاعتبار لاجتهاد الأغلبية؛ ففي المجامع الفقهيّة اليوم والهيئات العلمية الشرعيّة يصدر الموقف الشرعي أو الفتوى العامة برأي الأغلبيّة، حتى تقرير المذهب في المدارس الفقهيّة المشهورة يتم في كثير من الأحيان بالرأي الغالب أي برأي الأغلبية، فمثلا المذهب لدى الحنابلة المتوسطين(المرحلة الوسيطة للمذهب) هو ما اتفق عليه الشيخان أبو البركات المجد بن تيمية صاحب المحرّر، وأبو محمد ابن قدامة صاحب المغني، فإن اختلفا فالمذهب من يوافقه القاضي أبو يعلى الحنبلي، والمتأخرون منهم يقرّرون المذهب فيما اتفق عليه المرداوي في التنقيح، والفتوحي في المنتهى، والحجاوي في الإقناع فإن اختلفوا، فما اتفق عليه اثنان منهم، وقول الجمهور في كتب الخلاف العالي الذي يترجح على غيره في الغالب عند أهل العلم هو رأي ثلاثة من الأئمة الأربعة للمذاهب الفقهية السائدة، وفي جميع هذه الأمثلة

نلحظ أن هنـاك تقاربـاً بـين المسـتفتَين (بفـتح التـاء) مـن حيـث العدالـة والعلـم، أي الصفات المعتبرة لتحقيق مقصد الاستفتاء، وهو أشبه ما يكون بضابط المشروعيّة للاستفتاء.

وفي عالمنا المعاصر برزت الانتخابات كعنوان على الديمقراطية الغربيّة، ورمز لآلية تحقيقها، والديمقراطية الغربية هي أحدث ما توصّلت إليه مسيرة الحداثة الغربية بعد صراعات وحروب وثورات أنهت عصور الاستبداد وحكومات الإقطاع، وكان مما دعم الاستبداد في تاريخ أوروبا الكنائس النصرانية التي كان عليها قساوسة يدينون بالنصرانية المحرّفة؛ إذ دعموا الظلم والاستبداد، ووقفوا في وجه العلم والتطور حتى انتهت المعركة بهزيمة الاستبداد، ومن يقف معه وهي الكنيسة الممثلة للدين المحرّف؛ فقامت الحداثة الغربيّة المعاصرة على أساس استبعاد الدين وقيمه وثوابته من الحياة، وهذا موقف أصلي غير قابل للإصلاح تشكّل موقف هذه الحضارة على أساسه، فصارت حضارة علمانية تستبعد الدين – أي دين – في أصل تكوينها وتستبعده من كل فعالياتها، أو على الأقل لا تأبه به، ومبدأ آخر قامت على أساسه هذه الحداثة الغربية كرد فعل للاستبداد هو الحرية، وانبثق من هذا المبدأ قضية الحقوق (حقوق الإنسان)، وقضية المساواة، وعدم التمييز الذي يتعارض في كثير من الأحيان مع مبدأ العدل الذي قامت عليه الأديان السماوية، وكذلك قضية الديمقراطية وآلياتها، كل ذلك في ظل فكرة العلمانية المستبعدة لاعتبار قيم الدين في كل هذه المبادئ والقضايا.

ولذا فإن الأسس الفكرية التي قامت عليها هذه الحضارة، وما انبثق عن هذه الأسس من قيم شكّلت مذهباً وشريعةً (إيديولوجية) مخالفة لشريعة الإسلام ومذهبه، وإقامة الدين وتحقيق التوحيد هو في مباينة هذه الحضارة فيما هو من مكوّنات وقيم هذه الإيديولوجية، والديمقراطية هي إحدى منجزات هذه الحضارة المادّية اللادينيّة، وهي عبارة عن فلسفة وآليات وممارسات، فلسفتها تقوم على أساس حرية الناس في اختيار النظام العام الذي يحكمهم، والدستور الذي ينظمهم والقانون الذي يقضي بينهم، وهو ما يُسمّى دستورياً بسيادة الشعب، الذي هو الثابت، وما عداه متغير مناقضاً بذلك مبدأ سيادة الشريعة في الإسلام، أمّا آليّة الديمقراطيّة فهي الانتخابات بصيغتها

الغربية التي لا تميز بين بَرّ وفاجر، ولا بين عدل وفاسق ترشُّحاً وترشيحاً، مخالفة طريقة الإسلام في اشتراط العدالة والكفاية في العمال والولاة، وأما الممارسة فهي قائمة على مبدأ حرية المرشَّح، والمترشِّح في ركوب وسائل عديدة ولو كانت مخالفة لتحقيق الفوز، هذه الديمقراطية بمكوناتها الثلاثة عُولمت إلى معظم بلدان العالم بسبب هيمنة الحضارة المنتجة لها، وبسبب أن البديل في الواقع لها هو الاستبداد الظالم والإقطاعية السياسية، فهي أخفّ الضررين عند كثير من أبناء الشعوب المحكومة بأنظمة استبدادية.

والناس في الموقف من الديمقراطية على مذاهب أربعة:

الأول:القبول المطلق لها؛ فلسفةً وآلياتٍ وممارسةً وهو موقف تيارات الإصلاح التغريبية في عالمنا الإسلامي وجميع الأحزاب والتيارات العلمانية.

الثاني:رفض الديمقراطية فلسفةً وقبولها آليةً وممارسةً، وعلى هذا الموقف معظم التيارات الإسلامية السياسية، ومنها بعض المدارس المنتمية لمدرسة الإخوان المسلمين والمتأثرة بها وبعض التيارات السلفيّة.

الثالث : رفض الديمقراطية فلسفةً وآليةً وقبولها ممارسةً – بضوابط – باعتبار أنها حاجة عامة تنزل منزلة الضرورة حسب القاعدة الفقهيّة المشهورة، أي أن أصحاب هذا الموقف يمارسون هذه الآليّة لا باعتبار جوازها، وإنما باعتبار الضرر الذي يحصل بالإعراض عنها، وهو موقف وسط بين الموقف السابق والموقف اللاحق، وعلى هذا الموقف بعض مدارس التيار السلفي العلمي.

الرابع:رفض الديمقراطية فلسفة وآلية وممارسة؛ باعتبار أن هذه الفلسفة مبدأ يعطي البشر حق الله في التشريع حسب دساتير معظم البلاد الإسلامية، وأن الآلية ذريعة إلى تحقيق هذه الفلسفة، وعلى هذا الموقف بعض التيارات الدعوية خاصة المتأثرة بمدرسة سيد قطب الفكريّة.

هذه أهم المواقف التي تظهر في الساحة الفكرية السياسية للنخب الفاعلة في المجتمعات الإسلامية حول الديمقراطية؛ فلسفة وآليات وممارسة، فإذا استبعدنا الموقف الأول لظهور بطلانه، وافترضنا أن أصحاب الموقف الثاني أو جلّهم عند التحقيق سيؤول موقفهم إلى الموقف الثالث، نستطيع أن نقول بأن الموقفين الأخيرين

هما الأبرز داخل التيارات الإسلامية والمدارس الدعوية، وهما موقفان اجتهاديان مقبولان تجاه الديمقراطية خاصة في المجتمعات التي لا تسود فيها الشريعة، وهكذا موقف أبرز الرموز العلمية المعاصرة؛ فالشيخ ابن باز أقرب إلى الموقف الثالث، والشيخ الألباني أقرب إلى الموقف الرابع، ولاستكمال الصورة أقول: إن الممارسة الانتخابية تجري لثلاثة أنواع من المجالس في الغالب هي:

1- المجالس النيابية (البرلمانات)، ومعظم الأدبيات التي شكلت المواقف الأربعة السابقة تتجه إلى هذا النوع من الانتخابات بالدرجة الأولى، ويمكن أن نقول عنها: إنها انتخابات عامة لشأن عام.

2- المجالس البلدية وما شاكلها، وهي انتخابات عامة لشأن متخصص.

3- الهيئات المهنية: كهيئة المهندسين وهيئة الأطباء والغرف التجارية ونحوها وهي انتخابات خاصة لشأن متخصص.

فالإشكالية الشرعية في هذه المجالس تكون بقدر ما يكون فيها من صلاحيات تشريعية يمكن أن تعارض أحكام الشريعة الإسلامية في الدرجة الأولى، وبمقدار ما يكون فيها من تنظيمات تكون ذريعة لمخالفات شرعية، أو لا يعتبر بها تحقيق مقاصد الشارع من قبل أعضاء يجهلون أحكام الشريعة، أو يتهاونون بها جاءت بهم الانتخابات بصيغتها الغربية، ولذلك فإن المجالس المسؤولة عن الشأن العام كالمجالس النيابية هي أهم هذه المجالس وأخطرها، وتقلّ هذه الأهمية كلما كانت مهمة المجلس شأناً متخصصاً، وأما الانتخابات بصيغتها الغربية فإشكاليّتها أنها قد تأتي بمن لا يتوفر فيه الحد الأدنى من شروط مَن يمثل الأمة، وصفات مَن يتولى الوظيفة، وبما تحمله من تجاوزات شرعيّة أثناء الممارسة، ويظهر هذا عندما تكون انتخابات عامة أكثر منها عندما تكون خاصة، ولذا فإن الإشكال الشرعي أكثر ما يكون ظهوراً عندما تكون انتخابات عامة لشأن عام منها عندما تكون خاصة لشأن متخصّص، وفيما يخصّ الانتخابات التي جرت في السعودية للمجالس البلدية، فهي من النوع الثاني أي انتخابات عامة لشأن متخصص، وحتى نتصور الواقع لدينا لا بد أن نعلم أن المجالس البلدية التي تجري لها انتخابات عامة في التجربة البشرية على أنواع ثلاثة:

1- مجالس بلدية مهمتها الحكم المحلي في المدينة كما في الولايات المتحدة، وهي تشبه شكلاً مجالس المناطق في نظام مجالس المناطق في السعودية.

2- مجالس بلدية يقع تحت مسؤوليتها جميع الخدمات في المدينة أو المنطقة كما هي في معظم البلدان التي تجري انتخابات بلدية.

3- مجالس بلدية مسؤوليتها نطاق مسؤولية البلديات المسؤولة عن جزء من الخدمات، وليس جميع الخدمات، وهي صورة المجالس البلدية التي تمّ انتخاب نصف أعضائها في السعودية، فإذا علمنا أننا نتكلم عن النوع الثالث من المجالس ندرك أن الأثر السلبي المترتّب على تشكيل هذه المجالس بواسطة آلية متأثرة بثقافة منتجيها سيكون أخفّ؛ لأنها محدودة الميدان وهي مجالس تُعنى بقضايا فنية خدميّة في الغالب، وهذا الكلام لا يُقلّل من التنبّه لبعض الجوانب التنظيميّة(التشريعيّة) التي ستكون من مسؤوليتها مثل: فرض الرسوم والتنظيمات المتعلقة بخدمات الترفيه للرجال والنساء، وكذلك المتعلقة بالأراضي، واحتكارها باعتبار أنها حاجة من حوائج الإنسان الأساسية، وهو المسكن، وأمثال ذلك فإن هذه مجالات يجب على المجالس ألا تخالف فيه أمراً شرعياً أو تسنّ نظاماً يكون ذريعة إلى محرّم، وينبغي على المجتمع عامة والمحتسبين خاصة مراقبة هذه المجالس والاحتساب عليها عند المخالفة

============

#شموع دافئة .. لمشاعر باردة

د.مسفر بن علي القحطاني * 1425/10/27

2004/12/10

قبل أسابيع قليلة حلّ علينا فصل الشتاء ضيفاً عزيزاً طالما انتظرناه وهو بعيد، واشتقنا إليه ونحن نمسح عرق الصيف الملتهب .. وكم بحث عنه البعض في أصقاع الأرض خلال إجازة الصيف هروباً من لهيب شمس النهار ورطوبة جوّ الليل .. وها نحن هذه الأيام نستقبله لمّا حضر بالفرار إلى الأسواق والاستنجاد بالمعاطف والثياب الثقيلة؛ صداً لهجوم رياحه الباردة وقرصات ليله اللاذعة..وقد يدور في خلد البعض الحنين لأجواء الصيف، فعدو الأمس أصبح صديق اليوم..وكل ذلك من

أجل البحث عن الدفء..تلك النعمة العظيمة والمنحة الجزيلة التي لا يعرف قدرها إلا من حُرِمها...غير أن المتأمّل في واقعنا اليوم يجد أن هناك نوعاً من الناس قد حُرم ذلك الدفء ليس لأن جسده عُرضة للبرد بل لأن قلبه وعواطفه وإحساسه بالغير قد أُصيبت بنزلة بردٍ؛ فلم تعد أنواع التدفئات أو المضادات تكفيه، أو تبعث في روحه ووجدانه حياة الدفء من جديد، وهذا المرض الشتوي قد لازم كثيراً من الناس في جميع فصول حياتهم، وأعراضه المزمنة تظهر بغير خفاء على أحوالهم ومواقفهم تجاه مجتمعهم وأمتهم. منها على سبيل المثال:

البرود القاتل في علاقاتنا الاجتماعية، وصلتنا لأرحامنا التي أصبحت في هذا الزمن طقوساً رسميّة خالية من دفء العاطفة وحرارة المحبة الصادقة، وانقطعت حبال الودّ إلا من خلال الأثير أو البريد، وربما يأتي دورها وتسفّها رياح التغريب وماديّة الحياة لتجعلها ذكريات تتّندر بها أجيالنا القادمة، أو تتنهد شوقاً لماضيها القريب؟!

وأما عوارضه الأخرى فذلك البرود القلبي تجاه ما يحصل لإخواننا المسلمين في كل مكان من مصائب ونكبات وكوارث ومجاعات حتى أصبحت صور النساء الباكيات والأطفال الأبرياء وهم يفترشون الأرض ويلتحفون السماء في شتاء قارس، يزداد مرارة مع ألم الجوع وقهر الحرب وصقيع الثلج، ولا يحرك فينا شعور الأخ لأخيه، وكأن المشاهد والمآسي أفلام للتسلية وأحاديث "للمؤانسة"، فهل تنسى كغيرها من المآسي في سكرة حرب الإرهاب واحتفالات عيد الميلاد؟

إن أعراض هذا المرض قد ساعد أيضاً في انتشار الفيروس القاتل الذي بدأ يدبُّ في نفوس الشباب والأجيال القادمة، وهو داء البرود النفسي والخمول الفكري، وعدم الحرص على الإنتاج والإنجاز وبلوغ الأهداف، والرضا بالعيش الهيّن والسعي وراء الأفكار الرخيصة والموضات الفارغة.

وكأنّ الهمم والعقول قد التحفت تحت أطباق من المعاطف الوثيرة لتعلن بياتاً شتوياً لا أمد لانقضائه ولا نهاية لامتداده .. فهذه العوارض السابقة للبرود القلبي والوجداني قد يوجد لها في قائمة الدواء علاج من خلال طب إحياء المشاعر والعواطف الصادقة، ومن داخل محراب الإيمان الدافئ المشتعل بشموع الرحمة والمودة والصدق مع الله، لعلنا ننجو من صقيع ذلك الشتاء، ومن قرصات برده اللاذعة قبل أن يموت فينا

الإحساس .. فحينها لا صيفاً عرفنا ولا شتاء!!* رئيس قسم الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الملك فهد للبترول والمعادن

============

#الحاجة إلى معرفة الحضارة الغربية

د. بدران بن الحسن 1425/9/18

2004/11/01

يتساءل كثير من المثقفين عن كيفية ضبط العلاقة بالغرب المعاصر، ذلك أن هذا الإشعاع العالمي الشامل الذي تتمتع به ثقافة الغرب، هو الذي جعلنا في موقف ينبغي أن نحدد الصلة بالغرب، وخاصة أن ما يفيض علينا وعلى غيرنا من الأمم والشعوب من إنجازاته الحضارية ومن فوضاه الحالية جعل منه مشكلة عالمية، ينبغي أن نحللها وأن نتفهمها في صلاتها بالمشكلة الإنسانية عامة، وبالتالي بالمشكلة الإسلامية.

وهذا لا يجعل العالم الإسلامي تابعًا في حلوله للغرب كما يعتقد كثير من التغريبيين أو غيرهم من دعاة الأصالة الإسلامية، وإنما يتطلب منا أن نعرف التجارب الحضارية المختلفة لنتحقق من مدى نسبيتها ومدى قابليتها للنقل والاستفادة.

فإذا ما أدرك العالم الإسلامي أن الظاهرة الحضارية الغربية مسألة نسبية، فسيكون من السهل عليه أن يعرف أوجه النقص فيها، كما سيعرف عظمتها الحقيقية، وبهذا تصبح الصلات مع العالم الغربي أكثر خصوبة، ويسمح ذلك للنخبة المسلمة أن تمتلك نموذجها الخاص، تنسج عليه فكرها ونشاطها. فالأمر يتعلق بكيفية تنظيم العلاقة وعدم الوقوع في الاضطراب كلما تعلق الأمر بالغرب.

فالعالم الإسلامي منذ بداية الجهود التجديدية الحديثة يضطرب، كلما تعلق الأمر بالغرب، غير أنه لم يعد بذلك البريق الذي كان عليه منذ قرن تقريباً، ولم يعد له ما كان يتمتع به من تأثير ساحر، وجاذبية ظفر بها على عهد أتاتورك مثلاً؛ فالعالم الغربي صار حافلاً بالفوضى، ولم يعد المسلم الباحث عن تنظيم نفسه وإعادة بناء حضارته الإسلامية يجد في الغرب نموذجًا يحتذيه، بقدر ما يجد فيه نتائج تجربة هائلة ذات قيمة لا تقدر، على الرغم مما تحوي من أخطاء.

فالغرب تجربة حضارية تعد درسًا خطيرًا ومهمًّا لفهم مصائر الشعوب والحضارات، فهي تجربة مفيدة لإعادة دراسة حركة البناء الحضاري، وحركة التاريخ، ولبناء الفكر الإسلامي على أسسه الأصيلة، وتحقيق الوعي السنني، الذي ينسجم مع البعد الكوني لحركة التاريخ، ذلك البعد الذي يسبغ على حركة انتقال الحضارة قانونًا أزليًا أشار إليه القرآن في قوله تعالى: (وتلك الأيام نداولها بين الناس)[آل عمران:140].

فالتأمل في هذه التجربة التي صادفت أعظم ما تصادفه عبقرية الإنسان من نجاح، وأخطر ما باءت به من إخفاق، وإدراك الأحداث من الوجهين كليهما، ضرورة ملحة للعالم الإسلامي في وقفته الحالية، إذ هو يحاول أن يفهم مشكلاته فهمًا واقعيًا، وأن يقوّم أسباب نهضته كما يقوّم أسباب فوضاه تقويمًا موضوعيًا.

وحتى تنظم هذه العلاقات، ويستفاد من هذه التجربة البشرية، ويدرك مغزى التاريخ، لا بد من فهم هذا الغرب في عمقه، وتحديد خصائصه، ومعرفة ما يتميز به من إيجابيات وسلبيات، حتى لا تكون معرفتنا به سطحية مبتسرة، وأفكارنا عنه عامة وغير نابعة من إطلاع متأمل، وبالتالي يكون وعينا به مشوهًا أو جزئيًا.

ولقد أضاع المسلمون كثيراً من الوقت منبهرين بما حققه الغرب، دون أن يتأملوا ويدركوا سر حركة التاريخ في الغرب، فنرى كثيراً من الباحثين والمفكرين المسلمين بمختلف انتماءاتهم يجهلون حقيقة الحياة الغربية والحضارة الغربية بالرغم من أنهم يعرفونها نظرياً، كما أنهم ما زالوا يجهلون تاريخ حضارتها. وإنه بدون معرفة حركة تاريخ هذه الحضارة والمنطق الداخلي الذي يحكمها؛ فإننا لم ندرك سر قوتها ولا مكامن ضعفها، ولم نعرف كيف تكونت، وكيف أنها في طريق التحلل والزوال لما اشتملت عليه من ألوان التناقض، وضروب التعارض مع القوانين الإنسانية.

وإذا كانت المائة سنة الأخيرة قد تميزت بتقريب المسافات، واتجاه البشرية نحو التوحد، في مصيرها، وفي علاقاتها؛ فإن المثقف المسلم نفسه ملزم بأن ينظر إلى الأشياء من زاويتها الإنسانية الرحبة، ويرتقي إلى إطار الحضور العالمي، وعيًا وإنجازًا، حتى يدرك دوره الخاص ودور ثقافته في هذا الإطار العالمي، إذ لا يمكن أن نطرح مشاكلنا في زمن العولمة والكونية، دون أن نأخذ في الاعتبار كل المعطيات السياسية والجغرافية والاستراتيجية.

وتحديد الصلة بالغرب وبغيره من الكيانات الحضارية، يعطينا تحديدين مهمين في إنجاز مشروعنا التجديدي: التحديد الأول؛ هو التحديد السلبي، وذلك من خلال إدراك نسبية الظواهر الغربية، ومعرفة أوجه النقص فيها وأوجه العظمة الحقيقية. أما التحديد الثاني؛ فهو التحديد الإيجابي، من خلال تحديد ما يمكن أن نسهم به في ترشيد الحضارة الإنسانية وهدايتها.

وهذا في حد ذاته ينضج ثقافتنا ويعطيها توجهًا عالميًا؛ فمن المفيد –قطعًا– أن ننظر إلى حركة التاريخ والواقع من زاوية عالمية لنكتسب بذلك وعياً عالمياً؛ فإذا أدركنا مشكلاتنا في هذا المستوى، فإننا سندرك لا محالة حقيقة الدور الذي يناط بنا في حضارة القرن الواحد والعشرين.

وعلينا أن ندرك وحدة المشكلة الإنسانية التي تنبثق عن المصير المشترك الذي آل إليه وصب فيه القرن العشرون وبدأ به القرن الواحد والعشرون. إن فكرة وحدة التاريخ الإنساني في هذه المرحلة التاريخية تتطلب منا الخروج من العزلة الجغرافية السياسية والعزلة الفكرية الثقافية لنخرج بأفكارنا وثقافتنا إلى إطار عالمي نقدم فيه مساهمتنا الحضارية المتميزة القائمة على رؤية توحيدية إسلامية من أجل صالح البشرية.

كما ينبغي أن ننظر بتوازن للأشياء وللأفكار، والتخلص من الثقافة الحدية التي ترى في الغرب إما طاهر مقدس (كما هو شأن العلمانيين من أبناء المسلمين)، وإما دنس حقير (كما هو شأن الإسلاميين من أبناء المسلمين). ومن بين الأمور التي ينبغي التوازن في النظر إليها هي الحضارة الغربية التي تبسط هيمنتها على العالم؛ فأحكامنا على هذه الحضارة –سلباً أو إيجاباً– إنما هي ناتجة عن مطالعات مبتورة.

فأفكارنا عن الحضارة الغربية تصدر عن ذلك الحكم المبتسر، وعن تلك العلاقة السطحية –الوظيفية أو التجارية– بيننا وبينها. وهذا مرض متجذر في ذاتنا منذ قرون مضت، حينما صار الفكر الإسلامي عاجزًا عن إدراك حقيقة الظواهر، فلم يعد يرى منها سوى قشرتها، وأصبح عاجزًا عن فهم القرآن؛ فاكتفى باستظهاره، حتى إذا انهالت منتجات الحضارة الغربية على بلاده اكتفى بمعرفة فائدتها إجمالاً، دون أن يفكر في نقدها، وتفهمها، وغاب عن وعيه أنه إذا كانت الأشياء قابلة للاستعمال، فإن قيم هذه الأشياء قابلة للمناقشة.

ومن ثم وجدنا أنفسنا لا نكترث بمعرفة كيف تم إبداع الأشياء؛ بل نقنع بمعرفة طرق الحصول عليها، فاستحكم فينا ذهان السهولة، وهكذا كانت المرحلة الأولى من مراحل تجديد العالم الإسلامي، مرحلة تقتني أشكالاً دون أن تلم بروحها، فأدى هذا الوضع إلى تطور في الكم، زاد في كمية الحاجات دون أن يعمل على زيادة وسائل تحقيقها، فانتشر الغرام بكل ما هو مستحدث، وكان الأولى التفريق بين عمق الحضارة ومظاهرها السطحية

============

#الأزمة الدعويّة: إداريّة أكثر منها منهجيّة (2/1)

د. أحمد العمير 1425/8/21

2004/10/05

مقدمة:

اختلفت تقديرات المهتمين بالشأن الدعويّ المحلي لخطورة الأحداث المتسارعة الداخلية والخارجية، وتأثيراتها على مسيرة الدعوة ومكتسباتها التي حققتها خلال العقود الأخيرة بفضل الله ورحمته. كما تباعدت تصوّراتهم حول آليات تقليل سلبيات هذه التطورات، وطرق استثمار فرص الكسب فيها. فمنهم المكتفي بتفاؤله، ومنهم المتشائم المحبَط، وبين الطرفين مراحل وتباينات.

فأما الأول فمصيب مقصّر، ذلك أن تفاؤله سنة الأنبياء وثمرة اليقين بوعد الله، لكنه لا يوصل لشيء إذا لم تصحبه شجاعة ومبادرة ومدافعة مع تعاون وتطاوع وحسن إعداد، والتي هي سنن نبوية كذلك. فضلاً عن أن التفاؤل بلا خطط عملية ملموسة ولا حركة متنامية قد يخيّب آمال الجموع، وقد يترك انطباعاً خاطئاً بالضعف والتراجع لدى الخصوم، ويزيد من جرأتهم على المصلحين.

وأما الثاني فمخطئ معذور، وخطؤه بيّن ظاهر، غير أن تقصير "الجميع" في فهم الأزمة وإدراك مسؤوليتنا المباشرة عن بعض أجزائها، وضعف وتبعثر جهود المجاهدة والمدافعة: يبرّر له شعوره النفسي بالاستياء والإحباط الذي قلّ أن يسلم منه بشر يعيش هذه الظروف.

وأصحاب التفاؤل غير الفعّال قد يجادلون –أصلاً- في وجود الأزمة، انطلاقاً من سعة انتشار وبيان العلم الشرعي في هذا العصر، وإقبال الناس وتأثرهم برسالة الإصلاح بفضل الله ورحمته ثم بجهود الدعوة المتواصلة. وقناعتهم بأن خطط الخصوم والأعداء مهما تعاظمت وتوالت فينبغي ألا تكون مؤثرة في مسيرة الإصلاح. لكنهم يُلقون باللائمة في حدوث العوائق على تقصير الأفراد وتفريطهم أو تهوراتهم، وعلى التحولات المنهجيّة والتغيّرات عند البعض الآخر. ويطالبون فقط بالصبر والاستقامة حتى يتحقق النصر، وهنا حديثهم ينصبّ على الاستقامة الفرديّة، وليست الجماعيّة.

بينما نجد أن الطرف الآخر المستاء والمتألّم من وضع الدعوة الراهن ومستقبل المشروع الإسلاميّ بعامة، لا يختلفون مع المتفائلين في مبرّرات تفاؤلهم، لكنهم يتسائلون عن دقة وصحة القراءة المطروحة للواقع الدعويّ. فمع هذه المبشّرات وتلك الجهود والنتائج، ألا يمكن أن نكون متلبسين بأخطاء متنوعة قد تكون هي السبب الأهمّ في وقوع "الأزمة" – وهي الصّفة التي يصرّون على وصف الواقع الراهن بها – ؟، وليس التفريط ولا التهور ولا التحولات المنهجيّة وحدها!. بل منهم من يرى أن هذه الأخطاء قد تكون هي التي أفضت إلى هذه التحوّلات وتلك التهوّرات وساهمت في تضخيمها وانتشارها.

وهذه المقالة تمثل محاولة لبسط رأي الشريحة المستاءة، والتي يبدو أن نسبتها آخذة في التزايد. تم جمعها من خلال الإنصات المتفهم لبعض أفرادها، والقراءة المتأملة لانتقاداتها المبثوثة على الملأ مؤخراً بعد أن كانت همساً وفي دوائر مغلقة. وسيكون دور المقالة العرض والتعليق الاستقرائي للأحداث والأفكار والمواقف والتوجهات ذات العلاقة. وهذا ليس حديثاً باسم هذه الشريحة ولا نيابة عنها – وإن كان الكاتب لا ينفي تقبّله وتبنّيه للعديد مما فيها–، لكنها محاولة لإيصال بعضٍ من ملاحظاتها الجديرة بالتداول، ودعوة للتأمل فيها، وتبادل الرأي حولها، سعياً للخروج من "الأزمة" وتسديداً للمسيرة، واحتراماً لكل صاحب رؤية لا تعدم أن يكون فيها حظٌ من الحق والصواب. فنحن أمة يسعى بحاجتها أدناها، وقد يحمل المُبلِّغون فيها الفقه إلى مَن هو أوعى وأفقه منهم، أخذاً بقوله صلى الله عليه وسلم: (بلّغوا عني ولو آية، فربّ

مبلَّغ أوعى من سامع، وربّ حامل فقه إلى مَنْ هو أفقه منه)، وقد يكون ذلكم في المسألة الجزئيّة أو التطبيقات الواقعيّة، ولا يلزم أن يكون على الإطلاق.

أولاً: مظاهر الأزمة:

مع الاعتراف بفضل الله ورحمته، والتحدث بنعمه الظاهرة والباطنة على رجال الدعوة في هذا البلد، لا ينبغي أن نتوقف عن تلمس ومعالجة موانع النصر الذاتية (قل هو من عند أنفسكم) التي قد نقع فيها أفراداً وجماعات. والمعاصي الفرديّة تقف على رأس هذه الموانع، غير أن الخطأ الجماعي والتخطيطي لا يقل فداحة، إذا كان غير مبرَّرٍ ولا مستندٍ على استدلالات علميّة صحيحة، ولا على وسائل شرعيّة مطلوبة للاجتهاد الجماعي.

وهذا هو جوهر الأزمة التي نتحدث عنها، والتي امتدت لفترة ليست بالقصيرة، وفيما يلي عرض لبعض مظاهرها، مع تفصيل متفاوت بحسب ما يفرضه الغرض من عرضها.

1- تجاهل الأخطاء التاريخية:

لا يُتوقّع أبداً من أي حركة بشريّة – لا تدّعي العصمة – أن تسلم من الأخطاء. والاعتراف بالأخطاء –التي يثبت التاريخ المشاهد دورها في أزمة ما– يعتبر ركيزة هامّة في علاج أي أزمة. والمطلوب من أي حركة جادّة في التغيير والإصلاح أن تُعنى بدراسة مسيرتها وتشخيص أخطائها والعمل على تفاديها والتقليل من آثارها. ومع كل هذا، نجد أن أبرز مظاهر الأزمة لدينا يتضح في الإعراض عن دراسة الأخطاء فضلاً عن الاعتراف بها ومحاولة علاجها.

وللتمثيل المهم نتحدث عما تمّ التعارف – دعوياً– على تسميته بمرحلة " الخطاب العام "، والذي استفاد من أزمة الخليج الثانية – وإن كان قد بدأ قبلها– وانبنى على فكرة توسيع دائرة الدعوة، ومحاولة إعادة الجميع لجوهر الهوية الإسلاميّة، وتذكيرهم بالمسلمات المهدّدة. فهذه المرحلة رغم الزّخم الكبير الذي صاحبها، تكاد تكون قد تلاشت بصورتها الأساسية مع المحاصرة الأمنية التي واكبت فورتها ودفعتها نحو انحدار خطها البياني. فأصبحنا –باستسلامنا لهذا التلاشي– إما أن نكون غير

مقتنعين بها من الأساس، وهذا غير وارد، أو أن نكون غير متفقين حقيقة على تفاصيلها وغير متوقعين لحدة انعكاساتها، وهذا هو الأغلب والأكثر إيلاماً.

لكن لكونها التجربة الجماهيريّة الأولى للدعوة المعاصرة في هذا البلد، فلم يكن من المستغرب أن تقع في الخطأ. إنما المدهش والمحيّر أن تمرّ التجربة دون استفادة ودون مراجعة للخطوات التالية على ضوئها، وهذا يمثل خطأً أكبر وأبلغ.

وفيما يلي سرد لبعض أخطاء تلك المرحلة:

- تضخيم الرمز، دون التأكيد عملياً وليس نظرياً على حق تخطئته ومراجعته بالبرهان والحجة مع الاحترام والأدب المشاع بين المسلمين عموماً ولمثله من باب أولى. وليس من المبالغة في شيء لو قلنا: إنّ هذه القضية بالتحديد طالت حتى المواقف العلميّة الشرعيّة، فالاجتهاد الفقهيّ لأحد الرموز في مسألة فقهيّة محدّدة يتعامل معه الآخرون بحرج شديد في العلن، وإن اختلفوا معه في الدوائر العلميّة الخاصة. لا لشيء إلا للمحافظة على مكانة الرمز، وتناسينا تماماً المحافظة على حق التداول العلميّ الرصين بالحجة والدليل، وأغفلنا تشجيع الردود والاختلافات العلميّة والتي هي من أبرز مزايا هذا الدين، حتى وقعنا في التضخيم للرمز، وسلبيّات التبعيّة المذمومة له. بل أوقعنا ذلك في تناقضات وحرج علمي نجني مرارته أمام الناس اليوم، ولك أن تتأمل ما يقع في فتاوى لباس وزينة المرأة، أو حدود التعامل مع الإعلام، لترى حجم التغير فيها.

وكان بإمكان موقف واحد يُعلن فيه للعموم اختلاف الأغلبيّة أو البعض مع هذا الاجتهاد أو ذاك، أن يفعل الأفاعيل في موازنة الاجتهادات. بل كان المفترض أن نحفظ للعالم الواحد حقّه في مخالفة الجمهور ما كان مستخدماً للمنهجيّة العلميّة الصحيحة، وعلى هذا سار الصحابة وسلف الأمة رضوان الله عليهم أجمعين.

- صناعة الرمز قامت - في بعض جوانبها- على قدرات ذاتية أفادت من الظروف المرحليّة للدعوة. ولم تقم على وحدة بناء جماعيّة توصل الرمز لمكانته بطريقة تراكميّة وموضوعيّة، وتفرض عليه نظامياً أو أدبياً التحاور والتواصل معها. ولا على قناعات مشتركة محرّرة ومفصّلة بين الرمز والأوساط العلميّة المحيطة به، تلزمه -

وبدوافع ذاتية– لاحترامها وتبني اجتهاداتها والرجوع لأمر الشورى فيها (مما فسر التباينات فيما بعد).

– اجتهادات الرمز في التعبئة الجماهيرية العالية والشحن النفسي للجموع الحديثة العهد بالهداية، قد تكون مقبولة سياسياً في ذروة مشروع إصلاح سياسي، وفي بيئة تتقبل أو تم تهيئتها لذلك، أما فيما عدا ذلك فهي خطأ. ورغم تنبّه البعض لذلك في حينه، لم يكن الوسط الدعويّ بالقادر على إلزام الرمز بالتخفيف من شحن الجماهير، ولا على الترشيد من تأثير الجماهير عليه (...!!). مما يوحي بأن تلك المرحلة في تفاصيلها كانت اجتهادات فردية عفوية، ولم يواكبها دراسات تفصيلية ولا آليات قرار جماعيّة وحيويّة. ومما يؤكد هذا الانطباع، وقوع الشلل الواضح الذي تعرضت له أغلب الأنشطة التي نشأت في ظل مرحلة الخطاب العام، إلى أن ختمت تلك المرحلة بالمحافظة فقط على المكتسبات الدعويّة والتربويّة القديمة، وهذا في عرف المدافعة السياسيّة خطأ قاتل. فلا يُقبل أن تخطو خطوات نوعّية أكبر من عناصر قوتك الحقيقيّة، إلا أن تكون قد حسبتها بدقة، ودرست ردود أفعال الطرف الآخر المتوقعة تجاهها، ووضعت في حساباتك أن تتراجع عن بعضها –لا كلّها– عند الضرورة، ثم تكمل بقية الخطوات كما هي أو تغير فيها، وتبني عليها غيرها بعد أن تهدأ العاصفة.

– ضعف قراءة الواقع المحيط وتقدير حجم ونفوذ دوائر القوة فيه، والمبالغة في تقدير عناصر القوة والتأثير الذاتية أو حجم وتأثير الجماهيرية العاطفية، أسهم كذلك في الانعكاسات التي واجهت تلك المرحلة. والغريب أن بعض الرموز والشخصيات عادت بعد المحاصرة الأمنية لتعيد الحسابات بالكامل في هذه التقديرات. مما يؤكد مرةً أخرى أن القناعات والرّؤى كانت فرديّة، وهاهي اليوم تتغير بفرديّة مماثلة.

– الخلط بين معايير الدعوة الثابتة ومتطلبات التعامل مع الظروف الزمانيّة والمكانيّة المتغيرة. فالتصلّب في اتباع طرق ووسائل إصلاح، ودعوة تاريخيّة ناسبت فترة معينة، لا ينفع في فترة زمنيّة مختلفة ومتشابكة ومعقدة المصالح والتداخلات. وللتمثيل فقط نشير للخلط المنتشر في حينها – ولا يزال– بين مطلب التربية الجادة للأفراد ومطلب إقامة مؤسسات الشأن العام والأنشطة والبرامج المفتوحة. فهذه

المؤسسات نحتاجها بإلحاح لهذا العصر، وهي تمثل نوعاً من أنواع الجهاد الميداني الذي يجب أن يتربى عليه الأفراد دون أن تهتزّ مستوياتهم، ودون أن يشعروا بتناقض بين النظريّة والتطبيق.

– التركيز على العلم الشرعيّ بطريقة أوحت عملياً بهامشيّة غيره من العلوم المعاصرة لدى الأفراد، والاستمرار في بطء المبادرة الجماعيّة للانخراط في مستجدات العصر والإفادة من مجالاته المختلفة. حتى تفاجأنا أننا خارج السرب تماماً على المستوى العالم، في المجالات السياسيّة والاقتصاديّة والقانونيّة والإعلاميّة والإداريّة، التي نعيش قصوراً كبيراً في تبنّيها بصفة جماعيّة وغفلة ملموسة عن بناء مؤسساتها المتخصصة والمؤثرة، وتردُّداً في توجيه الموهوبين وأصحاب القدرات نحوها. واكتفينا فقط بتوجيه الانتقادات لوضع الأجهزة الرسميّة، أو توجيه النصائح والمواعظ للعاملين الخيّرين في هذه الأجهزة، بعد أن أصبحت هذه المجالات مملوكة بدرجة كبيرة لأصحاب التوجهات الأخرى.

– التأثر بالبيئة المحليّة والتقوقع في إطارها، رغم الادّعاء بمتابعة اجتهادات البيئات الأخرى والتفاعل معها والاستفادة منها. والمتغيّرات الأخيرة أظهرت كم نحن غارقون في سلبيات البيئة المحليّة وخاضعون لعيوبها وقيودها. والحقيقة أن القضايا الخارجيّة التي تفاعلت معها الدعوة المحليّة كالمسألة الأفغانيّة أو الجزائريّة مثلاً، قد فرضت نفسها علينا، ولم نتواصل معها ونستفد منها ابتداءً، بل كنا نتعامل معها بفوقيّة وأستاذيّة وحين تكشفت الحقائق تبيّن أننا لا نقلّ عنها أخطاءً وسلبيات أو تأثراً بالبيئات. والواقع الملموس اليوم يؤكد أن فصائل الجهاد الفلسطيني تمتلك الكثير من الدروس والتجارب والخبرات، ويشهد بنجاحها في التحرّر من ضغط الواقع الفلسطينيّ الرسميّ والفئويّ الذي كان يحاصرها ويقيدها لسنين طويلة، وهي بذلك تثبت إمكانيّة التحرّر من الضغوط البيئيّة المتواصلة، وتقيم الحجّة على مَن أخفق في ذلك، وتلزمه بالاستفادة من طريقتها.

2– الشعور بالفراغ القيادي والضعف العام:

وهذا أيضاً من الأدواء القاتلة لأي حركة تغيير أو إصلاح جماهيريّة، وخصوصاً بعد مرحلة انتشار وظهور خطاب؛ إذ من المفترض المحافظة على حريّة حركة القيادة

العلميّة التوجيهيّة وفاعليّتها، ونفوذها مهما تعاظمت العوائق، قبل البدء بتوسيع الخطاب. وألاّ يُخلط بينها وبين القيادات التنفيذيّة، التي قد تظهر وقد تختفي، وقد تتراجع وتتغير. وإذا تكالبت العقبات بصورة غير متوقعة بعد التوسّع، فسيكون إبقاء القيادة العلميّة التوجيهيّة بعيدة عن الخصومات اليوميّة، وقادرة على التأثير بالجماهير وإيجاد أجواء الاستجابة لها بنزاهتها العلميّة، وتجرّدها وإخلاصها للمبدأ- ضرورة من الضرورات كي يستمر وهج الرسالة ولا يتوقف – بإذن الله – عند إيقاف هذه القيادة التنفيذيّة أوتلك، أو منع هذا البرنامج أو ذاك.

والأزمة لدينا أن القيادات العلميّة جمعت بين الدور الإشرافيّ التوجيهيّ والدور التنفيذيّ، أو بين رسم السياسات واتخاذ وتنفيذ القرارات. وحين عرّضها هذا الجمع للمحاصرة، تراجع حضورها بشكل ملحوظ، وتُركت الجموع دون توجيه بعد التواصل شبه اليومي فيما سبق. فنشأ عن ذلك فراغ قياديّ على المستوى العلميّ والتوجيهيّ العام، استغله الخصوم بتسريع برامجهم التغريبيّة وبمحاصرة البرامج الإسلاميّة.

ولعل نموذج الشيخ أحمد ياسين رحمه الله، وأثره في حركة حماس وغيرها من حركات المقاومة الفلسطينية، يوضّح بجلاء ذلك النوع من القيادة العلميّة التوجيهيّة، والمستمرة الأثر رغم الإعاقة والسجن وستتواصل -بإذن الله- بعد الشهادة. ومن ذكاء وفطنة إخواننا هناك أنهم لم يسمّوا من يشغل دوره من بين القيادات العمليّة التنفيذيّة.

3- الاقتصار على دوائر الدعوة التقليدية:

التركيز على القطاعات التعليميّة ومساجد الأحياء والمؤسسات الإغاثيّة الخارجيّة، وما يرتبط بها من مشاريع، هو السمة البارزة للدعوة المحليّة. وهذا ليس تقليلاً من نفع وخيريّة هذه الدوائر، ولكن المعطيات القريبة والبعيدة كانت تدفع وبإلحاح للبحث عن دوائر جديدة تناسب طبيعة هذا العصر وتتفاعل مع تطوّراته. كما أن الفرص كانت متاحة، لكننا مضينا في التردّد والمبالغة في التحوّط وبطء الحركة والمبادرة.

ومن المفارقات العجيبة، أن العديد من شباب الدعوة الذين سافروا إلى الخارج للدراسات العليا، وحرصوا على مواصلة رسالتهم الدعويّة، صُدموا بالفارق الكبير بين تنوع وعلنية وحيويّة وانفتاح البرامج الدعويّة في تلك الدول وبين ما تربّوا عليه. وحصل لديهم صراع نفسي انتهى ببعضهم للانقطاع عن العمل المنظّم، وبالبعض

الآخر لفقد القناعة بما كان عليه والتردّد فيه. بطبيعة الحال، الدعوة في تلك الدول هي حصيلة تلاقح عدة تجارب من مدارس دعويّة مختلفة، ونتيجة تأثر بنمط الأنشطة الاجتماعيّة العامة في الدول الغربيّة، لكنها لا تخلو من إيجابيات. ومن حق أولئك الشباب أن يقولوا: إن دعوتنا المحليّة هي أيضاً حبيسة البيئة التي نشأت فيها وتقولبت فيها، وكان من المفترض أن تتحرر منها، وتنفتح على الآخرين وتستفيد مما لديهم وتتعرّف على عيوبها من خلالهم، ومن ثَمّ تبتكر وسائل ودوائر جديدة، وتتحصل على الأسبقيّة بنقلها إلى البيئة المحافظة بضوابطها وقيودها التي تحرص عليها، ولا تنتظر حتى تفرض عليها من غيرها –وبالطريقة التي لا تريدها– كما هو حاصل الآن. والمصيبة أن هذا التحفظ التقليديّ والانغلاق النسبيّ في أنشطة الدعوة المعتادة، والذي كان دافعه الحرص على جودة التربية وجديتها، أصبح مدخلاً كبيراً على الدعوة مع المتغيّرات الأخيرة، مما يؤكد الخطأ في هذه الدرجة من الانغلاق، وهذا الشحّ في تنوّع الأنشطة، وانفتاحها على المجتمع.

4- المبالغة في الترفّع عن الواقع، واستهداف النخبة:

بعد المحاصرة الأمنية التالية لمرحلة الخطاب العام، عادت الدعوة للفكرة القديمة التي طرحها بعض مفكّريها المعاصرين، والتي تقضي بأن الوسيلة الأسلم للإصلاح تتلخّص في "صناعة قلّة تنقذ الموقف"، فتمحورت الجهود على اصطفاء النخبة، واستهدافهم في شتى القطاعات. ومع التقدير الشديد لتلك الشخصيّات الفكريّة ومسيرتها العلميّة، إلا أن تعقيدات هذا العصر وتداخل مجالاته وتشابك مصالحه، تجعل نجاح هذه الطريقة أمراً صعباً في هذه الظروف، وإن كانت قد نجحت في فترات ماضية.

والواقع الملموس يشهد بأن القلّة المتوفرة اليوم في العديد من المجالات، لم تستطع أن تُحدث تأثيراً يُذكر، إن لم نقل: إنّها هي التي تأثرت بالواقع الضاغط المحيط بها، أو أنها استسلمت – مغلوبة على أمرها – لتوجّهه العام، ولمصالح وأهواء المتنفذين فيه. هل يرجع ذلك لعيوب ذاتية في هذه القلة؟ قد يكون، ولو صح فهو يشي قبل كل شيء بفشل برامج الإعداد لهم؛ غير أن عصر الاتصالات الواسعة الذي نعيشه وطبيعة ثقافاته المتحررة ومجتمعاته المنفتحة ودوله وأنظمته المتداخلة المصالح،

يقتضـي التفاعـل والتواصـل مـع كـل الطاقـات والتخصصـات، ومـع كـل الأنشـطة والمؤسسـات وكـل المسـؤولين والمـدراء فـي محاولـة حثيثـة لتغييـر القناعـات، وإخـراج الرؤيـة الإسـلاميّة من الإقصـاء العملـيّ الـذي وضـعت فيـه. ينبغي التنسيق مـع كـل المعتزين بالهويّة الإسلاميّة وغير المناوئين لها، والاتفاق معهم على جوهر الرسالة الدعويّـة، ولفت أنظـارهم للتحـديات التـي تتعـرض لهـا، وواجبنـا جميعـاً فـي التكـاتف لتغيير الواقع.

5- معضلة نقل الرؤية والتصور إلى الواقع:

امتداداً للمظهر السابق من مظاهر الأزمة، لا بد من التنبه إلى أن مسؤولية نقل الرؤية الشرعيّة الراجحة والتصور الإسلاميّ الصحيح لما يجب أن يكون عليه واقع المسلمين اليوم، من مرحلة التنظير والتدليل التي أجادت الدعوة في بلورتها ونشرها، إلى مرحلة التطبيق العمليّ الملموس، لا يمكن أن تنفرد بها قلة أو نخبة، وسيكون من الإجحاف والظلم تكليفهم لوحدهم بهذه المسؤوليّة.

وهذه المعضلة بالتحديد هي مفترق الطرق للعديد من الدعوات المعاصرة، فالعجز والخلل والارتباك يتضح بأجلى صوره عند تحول هذه الدعوات إلى البرامج العمليّة الواسعة للتغيّير، وكأنها تحسب أن دورها ينتهي بالإحياء العلميّ والتأصيل النظريّ، بينما هو في الحقيقة لا يبدأ إلا مع الإحياء العمليّ للحق والعدل والسُنّة، ومع الخطوات والجهود الميدانيّة لنقل الواقع مما هو عليه من مخالفات إلى الرؤية الإسلاميّة الصحيحة. وما تفعله قبل ذلك ليس إلا بعثاً وتجديداً لعلمٍ سبقها إليه من كان قبلها. ونوعية وحكمة ذلك الإحياء العمليّ وتلك الخطوات والجهود هي المحك للنجاح أوالفشل في مهمة التغيير، وليس حجم العوائق المحيطة.

والدعوة المحليّة ليست بدعاً في ذلك، ومعضلة التغيير العمليّ هي أبرز ما تواجهه، رغم قلة البحوث والدراسات لذلك. وعجز النخبة يعود بالدرجة الأولى لانعدام الرؤية الاستراتيجيّة للتغيير عند عموم الأوساط الإسلاميّة. فالنخبة مهما أوتيت من قدرات لا يمكن أن تعمل بدون إيجاد أجواء دعم ومساندة واسعة، وبرامج تفعيل ومتابعة لجهود تغيير القناعات والترويج للرؤية الإسلاميّة الصحيحة. وهذا سيقتضي وجود

علاقات عامة فعالة وحركة ميدانيّة حية بين كافة الطبقات، ومهارات عالية في التواصل مع الناس والصبر على أذاهم.

بينما واقع الأزمة اليوم، يشهد بأن القلة المعوّل عليهم – بعد الله تبارك وتعالى – لا يجيدون في الأغلب سوى مهارات كسب أعداد جديدة للدعوة –وعلى استحياء– داخل أجهزة ومؤسسات المجتمع، حتى يصبحوا أرقاماً متزايدة غير مؤثّرة ومغلوبة على أمرها. بينما هي لا تتنبه – إن لم تكن لا تجيد – للتعامل مع أصحاب القرار والمؤثّرين في هذه الأجهزة.

6- الإعراض عن أنشطة الاحتساب العام والدفاع عن الحقوق:

لئن كانت الدعوة المحليّة بفصائلها المختلفة قد نجحت بالتأصيل النظريّ والعلميّ للاحتساب على الحاكم وإداراته الرسمية، وسبقت غيرها من أصحاب التوجّهات الأخرى في هذا المجال، وتحمّلت في سبيل ذلك الكثير؛ إلا أنها – وبكل صراحة – أخفقت وتأخرت في تطبيقات ذلك العمليّة. مما أفسح المجال لاجتهادات غير مضبوطة وغير محسوبة النتائج جرّت على غيرها الكثير من التبعات، وأوجدت مستنداً لأجهزة السلطة المختلفة للمحاصرة وتشويه الصّورة.

ومظهر الأزمة هنا، أن الدعوة تأخرت وتردّدت عن السعي المتدرج المؤيّد بالاستدلال الصحيح، وعن انتهاج السبيل الأسلم والأفضل والأكثر قبولاً لظروف وواقع البلد. ولا بد من توقع التضييق والإساءة والأذى والاستعداد لتحمّل كل ذلك دون تراجع.

وغاب عن الساحة معلم مهم لأيّ حركة دعويّة إصلاحيّة، ألا وهو رفع الظلم أنّى كانت صوره، ورد الحقوق المنتهكة والمغصوبة ومحاربة الفساد الماليّ والإداريّ، وليس فقط الأخلاقيّ. وكان بالإمكان تحقيق شيء من ذلك عبر التدرّج، وعبر كسب بعض الأطراف الموجودة داخل السلطة والمتذمرة من هذه الأوضاع، بشرط أن تكون الجهود هنا شرعيّة وباسم الجميع ولصالح الجميع، وليس باسم حزب أو تيار معين.

7- تبايُن الاجتهادات:

لم يعد سراً وجود التباين بين القيادات العلميّة ورجالات الجيل الأول من كيان الدعوة. ومع أن الأحداث العالميّة والمحليّة قد زادت من هذا التباين، إلا أن بذوره كانت موجودة من قبل، ولم تحسن الأوساط الدعويّة طوال مسيرتها المعاصرة أن

تضع حلولاً عمليّة لتحرير هذه التباينات والتقريب بينها، أو العمل على تفهمها، وخلق أجواء التعاون والتنسيق فيما بينها، رغم أن ما يجمع هذه القيادات أكبر بكثير مما يفرّقها. والحقيقة أن التأمل المتجرّد في هذا التباين يوصل للملاحظات التالية:

– كل طرف معه جانب من الحق يتشبث به ويجادل من أجله، حتى وإن اختلط بجوانب أخرى من الخطأ لازمة له. وعادة ما يمثل ذلك رمزاً أو أكثر، ومَن يلتقي معهم من القيادات المؤثّرة، ويمتنعوا تبعاً لذلك عن التنسيق مع الآخرين حتى يُقِرّوا لهم بالحق الذي هم عليه، ويحترموا اجتهادهم فيه دون اتهامات. وقد يشترطون تبعيّة الآخرين لهم في هذا "الحق" الذي يظهر لهم، قبل أي خطوة ملموسة للتنسيق. وبطبيعة الحال هذه الوضعيّة غير مقبول استمرارها من طبقة القيادات، رغم العلم ببشريّتهم وتأثرهم بمن حولهم، لكن المقصود هنا أنها تستمر لافتقاد آليات حل حقيقيّ يحفظ حق كل طرف وأهليّته ومكانته ويؤلف بين القناعات المختلفة.

– تراكم الأخطاء ومظاهر الأزمة الدعويّة السابق ذكر بعضها، دون توجه حقيقيّ وفعّال للإصلاح والتعديل، وامتلاك الطرف الأكثر تحفّظاً في آليات وأساليب الدعوة للتأثير والنفوذ داخل الوسط الدعويّ؛ كل ذلك زاد من تغير القناعات وتباين الاجتهادات مع توالي الأحداث والمتغيرات التي تحتاج لحيويّة وتفاعل سريع، ومبادرات تقتنص الفرص التي لا تتكرر بسهولة، ولا تحتمل التأخير.

– تغير قراءات موازين الكسب والخسارة تبعاً لتغير القناعات، وتعدّد المؤثرات على القادة محلياً وخارجياً؛ إذ مع افتقار الطبقة القياديّة لآليات التداول الشوريّ الحقيقيّ الذي يسمح بنقاش القضايا المهمة بكل وضوح وتجرّد، أدّى إلى تضخم هذا التغير في تقدير موازين الكسب والخسارة وتبدل القناعات، وأسهم في ظهور بعض الخطوات الجديدة على الساحة والتي أوضحت بجلاء قدرة أصحابها على التأثير، ووجود من يقتنع بطرحهم ويرغب في توسيع دائرة قناعتهم وسحب الآخرين إليها. حتى وصل الأمر إلى تجاذب مكشوف.

8- العجز عن استيعاب المستجدات:

وهذا الملحظ -هو قطعاً- نتيجة طبيعية للمظاهر السابقة. إذ رغم أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر قد فاجأت الدول قبل الحركات، إلا أن قدرتنا على استيعاب هذه

المفاجأة واحتواء تأثيراتها على الساحة وعلى الصورة العامة عن الدعوة التربويّة لدى الجماهير، كان دون المتوقع. والمشكلة الأبرز في هذا الحدث الذي يتبناه أصحاب المشروع "الجهادي" (...) هو أنه وضع المشروع الدعويّ التربويّ والطويل المدى على المحك، وعرضّه لتحدٍ حقيقيّ. وأعطى انطباعاً عاماً بأن فشل المشروع الدعويّ التربويّ هو الذي أفسح المجال للاجتهادات الجهاديّة غير المحسوبة النتائج. كما أنه أحرج الجميع بتناول قضايا حساسة لم يكن في الحسبان أبداً الحديث عنها. فحصل الاضطراب ولم ننجح في احتوائه وتوجيهه والإفادة منه بالصورة الأمثل، مع توفر فرصة كبيرة لذلك.

9- ارتباك الصفوف:

وهذه نتيجة حتميّة للتباين بين القيادات وظهور الفراغ الملموس في القيادة التوجيهيّة المؤثرة والقادرة على التوحيد والتفعيل، سواءً على المستوى الفرديّ أو الجماعيّ. ومظاهر هذا الارتباك واضحة للعيان، وتتلمسها في هذا المجلس أو تلك العبارة. ويزيد من تفاقمها الحضور – المتهور– للتيار الجهاديّ، وتراجع الدعوة التربويّة على المستوى الجماهيريّ العام أمام هجمات التغريب والعلمنة، وضعف مشروعها أمام نفوذ ونجاح خصومها.

10- جال دعوة وحسبة ودولة:

من المفارقات، التي قد تفسرها الضغوط المتتالية من الخصوم، والشعور بالهزيمة مع الفراغ القياديّ، لكنها لا تبررها أبداً، إصرار الجميع على الخوض في قضايا الشأن العام. فأصبحت كوادر الدعوة على مختلف مستوياتها تشعر بالأزمة وتبادر –على سجيتها– للمساهمة في الحل. وأحياناً تجد من يؤيدها باعتبار الحاجة لتفعيل الطاقات. وهذا مظهر من مظاهر الأزمة، وعامل من العوامل الخطيرة لتفاقمها. فالدولة وشؤونها والتعاطي مع رجالها ومؤسساتها تحتاج عناصر منتقاة ومؤهلة بعناية.

11- صناعة المواهب ثم تكبيلها:

وهذه مأساة بحد ذاتها، حين ترى المواهب الفرديّة المتعدّدة التي تزخر بها الساحة الدعويّة ثم لا تتمكن من استثمارها وتنميتها، ولا تتمكن من إيجاد فرص ومشاريع

وبرامج دعويّة تنطلق من ملكات وقدرات هذه المواهب وتستوعبها. والسبب هو التحفظ التقليديّ عند صاحب القرار الدعويّ على بعض هذه المواهب وأفكارها المتعدية. وهذا في تقديري هو الفشل بعينه. فالنجاح هو في كسب هذه النماذج وحسن الاستماع لها، واستمرار قناعتها بالمشروع الدعويّ وتفاعلها معه، وليس افتعال مشكلة معها، والتضييق عليها حتى تهرب بعيداً عنا. والموهوبون بطبعهم مشاكسون، والحل الأسهل لمشكلتهم عند المسؤول التقليدي يكمن في التخلص منهم، والإبقاء على المسالمين الطيّعين. في حين أننا نردّد كثيراً أهمية تربية القادة وليس الأتباع، ولا أدري كيف نصنع القادة من الطيّعين!؟.

12- مَنْ يقيّم مَنْ؟:

وهذه معضلة مزمنة مرتبطة بالقضية السابقة ومسبّبة لها، أسهمت في خسارة الدعوة للعديد من الشخصيات المبدعة والمؤثرة. وما لم يتم علاجها بأسرع وقت فسيستمر الهدر. ومردها في تقديري (شخصنة) التقويم بدلاً من (منهجته) وموضوعيته، والذي ينشأ بطبيعة الحال عن إطالة مدة المسؤول وعدم إشعاره بمتابعته هو أيضاً. وكل ذلك ينشأ بسبب انغلاق العمل الدعويّ جزئياً أو كلياً. والحل الحقيقي يتمثل في انفتاح العمل ما أمكن، لكن بشرط (مأسسة) هذا العمل، ووضع الضوابط الدقيقة له، وتقليل الحظوظ النفسيّة والعيوب البشريّة من خلال فرق العمل المترابطة والأنظمة المؤسساتيّة الشوريّة حقاً وواقعاً، لا ظاهراً وشكلاً عبر مؤسسات صوريّة تكرس الفرديّة أو الشلليّة.

13- تضخيم المسؤولية الفرديّة، ونسيان المسؤوليّة الجماعيّة:

ومع المثالية العالية في التعامل مع الأفراد، ونقص المراعاة لظروف الزمان والمكان التي يعيشها الناس اليوم، نجد التضخيم الزائد لمسؤولية الأفراد عن الأزمة القائمة، والحديث المتكررعن الأخطاء والمعاصي الفرديّة ومظاهر الضعف والقصور والفتور والتغيّر والتحوّل و...، إلى ما هنالك من هذه المفردات. لكننا لا نجد أبداً أي إشارة للأخطاء الجماعيّة التي يتحملها الجميع دون استثناء، ولا نجد الحديث عن مسؤوليّة الرموز والقيادات العلميّة والفكريّة، أو التنفيذيّة وما تتحمّله من تبعة مباشرة عما آلت إليه الأمور الدعويّة مؤخراً.

والحقيقة البشريّة الثابتة، تؤكد أن عطاء الأفراد وجهودهم وتضحياتهم ترتكز بشكل كبير على البيئة العمليّة الجماعيّة التي توفر لهم أجواء البذل والتفاعل والسعي المتواصل. والضعف الذي يعتريهم مع توفر هذه البيئة يتحملون هم مسؤوليته بالكامل، ولكن عند تفكك وضعف هذه البيئة يصبح تحميلهم المسؤوليّة دون غيرهم نوعاً من التعدّي والجفاء.

ومن الجانب الآخر، فلو أدرك هؤلاء الأفراد طبيعة هذه الرسالة، وطبيعة الدور المطلوب منهم ومن القادة والرموز، لما قبلوا هذا الواقع المتأزّم ولطالبوا بالحركة والمدافعة. بل سيكون من حقهم لو طالبوا – بالوسيلة الشرعيّة الصحيحة – بتغيير القيادات البطيئة المتردّدة إلى الفعّالة المتحركة، فلا مُحاباة في هذه الرسالة كما تقضي بذلك أدبيات الدعوة. وحيث لم يحصل شيء من ذلك فلا بدّ أن نتساءل عن نتائج المسيرة الدعويّة من أصلها.

توصيف الأزمة:

مما سبق يتضح أن الأزمة متعدّدة الجوانب والأطراف، ومن الخطأ حصرها في جانب واحد أو مظهر واحد. غير أن السّمة الغالبة التي نستطيع تلمّسها في كل المظاهر السابقة، ويحق لنا وصف الأزمة كلها بها دون تردّد، هي سمة الأخطاء الإداريّة والقياديّة والجماعيّة العامة.

والحلّ الحقيقي لها ينبغي أن يكون إدارياً، ولا يمكن أن تنجح الحلول بدون هذا المحور.

==============

#لماذا نخافُ النّقد؟

محمد صلاح الدين 1425/7/2

2004/08/18

إنّ النقد كمفهوم معاصر، هو في مصطلحنا الإسلاميّ وثقافتنا الشّرعيّة، جزء من مفهوم أكبر وأشمل وأكرم هو الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي جعله الله عزّ وجل رسالة الأمة، ومناط فلاحها وذلك في قوله تعالى (وَلْتَكُنْ

مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [آل عمران:104] .

لكم مشكلة هذه المفاهيم العصريّة، التي جلبتها إلى مجتمعاتنا الإسلاميّة موجات الاستغراب والتغريب، وأفسحت لها في ثقافتنا ظروف الهزيمة والانحطاط، إنّها تظلّ (مهما طال أمد مكوثها في مجتمعاتنا) مبتوتة الصّلة بمرجعيّة الوحي والنّبوة، شديدة الانفصام عن منهج الشّرع ومقاصده وآدابه، وهي بكل ذلك محرومة من عمق الامتثال لأمر الله عزّ وجل في ضمير المرء المسلم.

لا جرم إذن أنْ تشيع لهذه المفاهيم صور نمطيّة مشوّهة تجعلها أقرب إلى السلب منها إلى الإيجاب، وتقدّمها على أنّها وسيلة للهدم وليس للبناء، بل وأنْ تُستخدم بهذا المعنى السلبيّ في كثير من الأحيان.

كيف يمكن تغيير هذه الصورة النمطية؟! لا بدّ من الاتفاق أولاً على أنّ استيراد المفاهيم والمصطلحات من ثقافات أجنبيّة، واقتباس القيم من مجتمعات وموروثات غربيّة، عمليّة فاشلة في أيّ مجتمع عربيّ مسلم؛ لأنّ هذه المفاهيم والقيم المستوردة، ستظلّ نوعًا من الترف والثقافة النخبويّة، المحصورة في الفئة، ومن ثم فهي تبقى مبتوتة الصّلة بسواد الناس، وتظلّ عرضة للتشويه والصور النمطيّة والممارسات السّلبيّة.

إنّ القيم الثقافيّة والاجتماعيّة والسياسيّة هي تعبير عن هُوِيّة المجتمع وذاتيّته، لا يمكن أنْ تنبع من جوهر معتقداته الدينيّة وعمق موروثة الثقافيّ، كما لا يمكن أنْ تصبح جزءًا من فكره وسلوكه إلا من خلال ممارسته العمليّة، وإلا فستظلّ طافية على السطح دون جذور عميقة، معرّضة دومًا للتشويه والعبث والاقتلاع.

لا سبيل إذن لتغيير الصور النمطية السّلبيّة للنقد والمساءلة في مجتمعاتنا المسلمة، وترشيد ممارسته وتعميق مفاهيمه، إلا بالعودة الصادقة لمصطلحاتنا الإسلاميّة ومفاهيمنا القرآنيّة والالتزام بأمر الله إلى كل أجيال المؤمنين إلى يوم الدّين (...وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ)[آل عمران: من الآية79]

ليس من شك أنّ الخوف من النقد إنّما هو نتاج عوامل ذاتيّة داخل الفرد نفسه؛ فالإنسان بطبعه يرتاح للثناء والإطراء وينفر من النّقد وتعداد العيوب والأخطاء، كما

أنّ كراهية النّقد والنّفور من أهله هو نتاج البيئة المحيطة بالأفراد، وأنّ العاملين يتكاملان في زرع هذا الخوف من ممارسة النقد في قلوب الناس ويحولان دون تقبله.

ومن هنا اتّجهت نصوص الكتاب والسّنة الشّريفة، وفروض الدين إلى توطئة أكتف الناس مجتمعًا وأفرادًا للجهر بالحقّ وتقبل تكاليف، وجَعَلَ الإسلامُ الأمرَ بالمعروف والنّهي عن المنكر، أي النقد المرتبط بمرجعيّة الوحي والنّبوة الملتزم بمقاصد الشريعة ومنهجها وآدابها المنطلق من خلوص النيّة وابتغاء وجه الله والدار الآخرة، مهمّة الأمة وواجب كل مسلم ومسلمة.

ومن هنا أقسم المولى عز وجل بالنفس اللوّامة، تكريمًا للنفس الناقدة التي تزن أعمالها وتعترف بتقصيرها وأخطائها وتقيم على الدوام وتقوم سلوكها.

ولقد عاب الله على بني إسرائيل اختفاء التناهي عن المنكر بينهم، ولعنهم سبحانه ذلك في قول الحق عز وجل :(لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)[المائدة: 78و 79].

كما ندّد المولى عز وجل بخلوّ مجتمعات سابقة من إنكار الفساد وجعل ذلك سببًا لهلاكهم في قوله سبحانه (فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ) [هود:116]

وليس من شك أنّ البيئة المحيطة بالمرء هي العامل الأكثر تأثيرًا في صياغة نفسيته وتشكيل مواقفه، وذلك أرجع القرآن الكريم سجود ملكة بلقيس للشمس من دون الله رجاحة عقلها واكتمال رأيها إلى البيئة التي نشأت فيها، وذلك في قوله عز وجل: (وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ) [النمل:43].

إنّ أبرز ما تعتزّ به الديمقراطيّات المعاصرة، أنّها تؤسّس ما يسمّى "بالمجتمع المفتوح"، أي المجتمع الشديد الشّفافية الذي يقوم على الحِوار، وتتوفر فيه للناس جميعًا حرّية النّقد والمساءلة، وليس ينكر عاقل منصف أنّ القرآن الكريم قد أقام في مجتمع النّبوة الأول، أكرم مثال عرفه العالم للمجتمع المفتوح، وأنبل تطبيق شهدته الإنسانيّة لحقّ المساءلة والنّقد وأرشد ممارسة لحرّية الرّأي.

وأكتفي في هذا المقام بنماذج ثلاثة من الكتاب العزيز.
أوّلها- من سورة النساء حيث أقدم أحد الأنصار وهو عبد الله بن الأبيرق على سرقة درع لأحد المهاجرين، ثم تحايل لإلصاق التّهمة بيهوديّ، واستعان ببني قومه الذين ذهبوا لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه مؤكّدين أنّ الرّجل من صالح المؤمنين، وأنّهم يبرّئونه من السّرقة، وقد تقبّل المصطفى صلوات الله وسلامه عليه شهادتهم وأدان اليهوديّ بالسرقة.
وتنزل الوحي ببراءة اليهوديّ، وعتاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والتنديد بما فعله السارق وقومه من ادّعاء بالباطل، واتّهام لليهود بغير الحقّ، والدّفاع عن السارق، وهو الخوّان الأثيم.
الأنموذج الثاني- من سورة الأنفال، لمّا تقبّل المصطفى صلوات الله وسلامه عليه رأي القائلين بقبول الفداء من أسرى بدر، فتنزّل العتاب الربانيّ الشديد للجميع (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [الأنفال:67و68]
الأنموذج الثالث- من سورة النور عن قصة الإفك الذي تناول أم المؤمنين عائشة ومس بيت النّبوة فتنزّل الوحي الإلهيّ بالتّقريع لأصحاب الإفك، والعتاب الشديد لجماعة المؤمنين، وتلقينهم ما يجب أنْ يكونوا عليه من حُسن الظنّ وأدب التثبّت قبل أنْ يُطلقوا ألسنتهم بما لا يعلمون.
لقد أرادت آيات الوحي الإلهيّ تأكيد شفافيّة المجتمع النبويّ، وتعليم الأمّة أنّه لا يوجد أحد هو فوق المساءلة أو أكبر من النقد، وأنّ هذه الوقائع المؤسفة ستكون خبرًا لهم إذا تعلّموا دروسها واستوعبوا العِبرة منها.
واجب المؤسّسات الدينيّة والتربويّة والإعلاميّة والرسميّة أنْ تقدّم للناس الصورة المُثلى للنّقد المنطلق من خلوص النيّة الملتزم بأدب الخِطاب المبتغي وجه الله والدّار الآخرة، وأنْ تكون هي خير قدوة في الشّفافية وممارسة النّقد الذاتيّ وتقبّله، وتعميق كّل ما أوضحه الشّرع من آدابه ومقاصده، والله وليّ التّوفيق.
===========

#مُحاوَلةُ احتلالِ العقلِ المسلمِ

عباس المناصرة 1425/6/19

2004/08/05

جاءت الدّولة العثمانيّة بعد حالة الانحطاط والإنهاك العام الذي أصاب المجتمع الإسلامي، وكانت أهمّ فضائل الدولة العثمانيّة أنها جمعت الوطن العربي في كيان موحّد، بعد أنْ مزّقته دول العسكر المنشقة عن الدولة العباسيّة، كما أنها حمت الوطن العربيّ لعدّة قرون من محاولات التمدّد والانفجار السّكاني الاستيطانيّ الأوروبي، الذي ألقى بثِقْله الاستيطاني إلى البلاد الجديدة المكتشفة (أمريكا الشمالية والجنوبية واستراليا وجنوب أفريقيا) إلا أنّ الطبيعة العسكريّة للدولة العثمانيّة جعلها تهمل البناء الحضاريّ والعلميّ والثقافيّ حتى وصل في أواخر أيامها إلى مرحلة التخلّف والفقر والأميّة التي عزلت المسلمين عن اللغة العربيّة، وعن مرجعيّتهم الفكريّة (القرآن والسنة) كما أنها أنهكت قوى المجتمع الإسلاميّ البشرية والماديّة، وامتصتها لصالح الجيش العثمانّي وحروبه الخارجيّة، والأغرب من ذلك أنّ هذه الدّولة في قرنها الأخير، لم تكن تشعر بأدنى مسؤوليّة تجاه مواطنيها؛ فأهملت الأمن، والعدل، والعلم، والثقافة، والمرافق، والخدمات وتركتهم تحت ظلم الولاة ونظام الالتزام، وتعاملت مع المواطنين كالبقرة الحلوب التي تدرّ لها (الجنود والمال والإنتاج) الذي يغذّي جيشها، وهكذا جنت الدولة العثمانيّة على نفسها وعلى المجتمع الإسلاميّ حين شاخت، ومرضت وأمرضت معها المجتمع الإسلاميّ بكامله، وجعلته لقمة سائغة أمام الاستعمار الأوروبيّ، الذي كان يتربّص بها الدوائر، وينتظر لحظات انهيارها.

وهكذا أفاق العقل المسلم بعد الاحتلال المغوليّ والصليبيّ على احتلال جديد من خلال طلائعه الثقافيّة التي تسبق جيوشه لتعهد إلى احتلال الأوطان والأدمغة معاً.

(فمنذ أواسط القرن الثامن عشر الميلاديّ والعالم الإسلاميّ كله مُخَلّع النوافذ والأبواب في وجه الفكر الغربيّ والنهج الغربيّ والثقافة الغربيّة، والعلم الغربيّ والحضارة الغربيّة والفنون والآداب والتقاليد الغربيّة بدرجات متفاوتة، فمنذ أنْ بدأ الغربيّون ينشئون كنائسهم التنصيريّة وبجوارها أو بداخلها مدارسهم التعليميّة في

بيروت والقاهرة وبغداد والموصل والإسكندريّة واسطنبول وغيرها من حواضر المسلمين، والحصون الفكريّة والثقافيّة الإسلاميّة المتبقّية لدى هذه الأمة تتهاوى واحدًا بعد الآخر، والأجيال المسلمة تتعرض لعمليّة استلاب فكريّ وثقافيّ هائل، انتهت بأنْ أصبحت جميع معارفنا النظريّة غربيّة مائة بالمائة في قالب وإطار غربيّين! وقد شمل ذلك الفكر، والمنهج، والمصدر، والفلسفة المعرفيّة: موضوعاتها، وأهدافها، وغاياتها... وأصبحت الشخصيّة الإسلاميّة مائعة الملامح؛ لأنّ رؤيتنا للحياة أصبحت تشكّل من خلال نظريّات: علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم التربية، والنظريات السياسية، والتشريعات، والنظريات النقدية، كما صنعها العقل الغربيّ في بيئاته وخصوصيّاته وأمراضه.

فأصبحنا نعيش حالة من الانفصام النّكد، نفكّر ونحلّل بطريقة غربيّة، ونعبد الله على الطريقة الإسلاميّة. أصابنا الذهول والانبهار، ومارسنا الانفتاح حتى الانبطاح، ولم نميّز حكمتنا من فلسفة غيرنا، رمينا بمرجعيّة الحكمة، وأخذنا بمرجعيّة الفلسفة، فأخذت تشكل لنا عقولَنا وأذواقَنا وشرائعَنا، وأصبحت عقولنا مناطق نفوذ للثقافة الغربيّة، كما هو حال أوطاننا، لقد وصف شاعر كبير حال الأمة بقوله:

1- لقد أصبحوا حانة الأجنبيّ يضاجعهم
في خلايا الدّماغ.

2- أمامكَ رومٌ وخلفكَ روم
وفي الجنبِ روم
وفي كتبِ الجامعاتِ
وفي أسرّة زوجاتِنا والبنات

وقد حقق الغرب هذا كله في مرحلة الاستعمار والتّبعيّة، أما الآن وفي عهد الاستعمار الجميل (العولمة) فهو لا يرضى منا بالانفتاح الذي حقّق له احتلال الأوطان والأدمغة، بل يريد استكمال المعركة مع آخر حصون العقل المسلم وهي القلوب؛ ليفرّغها من المشاعر المضادّة والمُعادية له، وليملأها بقبول الكفر والإثم عن رضا وتسليم؛ لأنه لا يأمن على وجوده في الأوطان والأدمغة، وقلوبنا تلعنه في الصباح والمساء.

هو يريد منا تفريغ هذه المشاعر من قلوبنا واستبدالها (بمتعة التّلذّذ بالتبعيّة) الكاملة والذوبان الكامل في حضارته، حتى يمضغنا ويتمثّلنا كغذاء جديد لذلك العقل الفلسفيّ الكافر، كما هضم المسيحيّة من قبل ،وتمثلها وجرّدها من حقائق التوحيد التي لا تناسبه، قال تعالى : ()وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) [البقرة: 120]

لقد زُيّن مصطلح الانفتاح في مرحلة الاستعمار والتبعيّة من قبل دعاته المبهورين، فربطوه بالمرونة والوعي والعلم والتبادل الحضاريّ، مع أنّه لم يحقّق للأمة سوى التضليل الذي جعلها تقبل بالاستلاب، لأنّه في الأصل انفتاح قسريّ إجباريّ.

واتّضح لنا أنّ الانفتاح كان مصطلحًا عائمًا ومضللاً لم يخدم الأمّة، ولم يُبَصّرها بعواقب القبول بثقافة عدوّها، لأنّه فُرِض على الأمّة قسرًا ، ورغم كل الشروط التي حاولت أنْ تُقنّن له، أو تضبطه، إلا أنّه لم يُستثمر إلا استثمارًا سلبيًّا في تغريب الأمّة ومحاولة اقتلاعها من جذورها.

وتبيّن أنّه لم يعد مصطلحًا سليمًا، ولا دقيقًا في وصف علاقتنا مع الآخرين، ولذلك نحن بحاجة إلى إهماله وتجاوزه واستبداله بمصطلح جديد، يكون أكثر دقة في تبصير الأمة وهدايتها في التعامل مع الآخرين.

ونرى أنّ مصطلح الامتصاص أو (امتصاص الخبرة) أكثر دقّة منه في تبصير الأمّة، وحمايتها من حالة الاستغفال التي وُضع لها مصطلح الانفتاح.

ولا تزال ألسنة منا تلوك مصطلح الانفتاح بعلم أو بجهل وتسوّقه، وتحاول أنْ تستر عورته بآية أو حديث، وكم ظُلم الحديث الشّريف "الحكمة ضالّة المؤمن" رواه الترمذي وابن ماجة . وهو يكرّر من تلك الألسنة، ليدفع بالأمة إلى قبول ثقافة الاستعمار والتبعيّة، ومع أنّه كلمة حق، إلا أنّه أُريد به خدمة الباطل وأهله.

تحت الرّكام

وهكذا شكّلت الهجمات الثقافيّة التي وقعت في العصر العباسيّ، والهجمات العسكريّة (الحروب الصليبيّة وهجوم التّتار) وعصور الانحطاط، وما تبعها من هجمات ثقافيّة وعسكريّة للاستعمار الأوروبيّ والصهيونيّ في العصر الحديث، مجموعة من الانهيارات والأثقال والعقبات والمثبّطات والأشواك التي ينوء تحتها العقل المسلم، بل

إنّ هذا العقل يعيش تحت رُكام كثيف من هذه المرجعيّات المخالفة، ومن أمشاج الثّقافات المعادية التي ألغت تميّزه، وحجبت عنه نور الحياة الإسلاميّة الصّحيحة.

أما الجانب الثقافّي والنقديّ – وهو موضوع اهتمامنا– فقد نشأ النقد العربّي في العصر العباسيّ تحت مرجعيّة واحدة تحكمت في خطوطه العريضة وتأسيس مقولاته، وهي عائدة للعقل الفلسفيّ، عندما اخترق العقل المسلم مرّتين: الأولى في العصر العباسي، والمرة الثانية في عصر الاستعمار والتبعيّة والانفتاح، ومعنى ذلك أنّه في المرتين خضع لمؤثرات الثقافة الأوروبيّة: الثقافة اليونارومانيّة (اليونانيّة الرومانيّة) والثقافة الأوروبيّة الحديثة.

هل معنى هذا أن نغلق أبواب عقولنا نندب حظّنا؟ لا، ليس هذا ما نقصده، ولكنّ السؤال الجادّ الذي يجب أنْ نشغل أنفسنا في البحث عن إجابته، هو كيف ننتشل هذا العقل من وسط الركام الذي يكاد يغرقه ويفسده؟ حتى ينفض عن نفسه هذا الركام ويعود إلى مرجعيّته وتميّزه من جديد.

تفكيك الركام:

أ–في البداية دعونا نفكرْ في طبيعة هذا الرّكام الذي يغمر عقولنا ذواتنا؛ لنتعرف على تجرِبة عدوّنا، من خلال مناهج عقله، فنعرف كيف يفكر هذا العدو؟ حتى نستطيع أنْ نفكّك هذا الرّكام عن وعينا.

وأظنّ أنّ النجاح في هذه المهمة سيتم – بإذن الله– إذا حقّقنا بعض الشروط الموضوعيّة، ومنها: ألا يدفعنا الاستعجال إلى النّهضة إلى التمسّك بالنهضة الموهومة التي تصنعها ثقافة الاستلاب والتبعيّة، وألا يقع في رُوعنا خوف من حصول فراغ علميّ إنْ نحن أوقفنا التعامل مع تلك الثّقافة، وأنْ نتأكّد من رغبتنا في العودة إلى مرجعيّتنا، والإيمان بها والانتماء الحقيقيّ لها، وأنْ نتخلّص من عُقدة الانبهار بالغالب؛ لأنّ المبهور محبٌّ أعمى، لا يملك التّمييز بين حكمته وفلسفة غيره، قال صلى الله عليه وسلم :"حبّك الشيء يُعْمي ويُصِمّ" رواه أبو داود وأحمد.

وبعد هذا يمكننا أنْ نوجز الخطوط العريضة لثقافة عدوّنا، من خلال التعرّف على فكره ومرجعيّته، التي تتحكم في تكوين عقله الفلسفيّ الحرّ، والتي يمكن أنْ نلخّصها من خلال المسار التالي:

1-العقل الفلسفيّ هو عقل الإنسان الكافر، الذي يتّكل على نفسه وقدراته الإنسانيّة، ويرفض أنْ يأخذ بمرجعيّة الوحي، ويعتبر عقله المرجعيّة الأولى والأخيرة في تفسير الحياة.

فهو عقل علمانيّ (دنيويّ) تكوّن من الخبرات التراكميّة للثقافة الأوروبيّة (الفلسفة اليونانيّة، والثقافة الرومانيّة، والمسيحيّة التي هضمها الفكر الروماني وأعاد تمثّلها بما يتناسب مع وثنيّته، بعد أنْ أفرغها من عقائد التوحيد، والفلسفات الأوروبيّة الحديثة التي عاصرت الثورة الصناعيّة أو ظهرت بعدها إلى عصرنا، والتي يمكن اختزالها في الثالوث المعاصر: (العلمانيّة: الديمقراطيّة، العولمة) وما يتبعها من أنظمة اقتصاديّة كالرأسماليّة والاشتراكيّة.

2-ينظر العقل الفلسفيّ إلى الأُلوهيّة نظْرة المنكر أو المهمل لها، ويعتبرها من صناعة عقل الإنسان ووهمه، ويفسر ذلك من خلال نظريّة (الطوطم وتطوّر الأديان) وهو في أحسن الأحوال يعتبرها قضيّة فرديّة غير ملزمة للمجتمع، وعندهم من يقول: إنّ الله خلق الكون، ولم يعد يكترث له.

3-هو عقل يعتمد على الفرضيّات واختبارها، ولا يؤمن إلا بالمحسوس، فإذا عجز عن التفسير لجأ إلى أسلوب الإهمال أو الإنكار، وهكذا أنكرت الفلسفات الماديّة عالم الغيب؛ لأنّها عجزت عن تفسيره، ويأتي تعريف (اليونسكو) للمعرفة ليؤكّد ذلك بقوله: (المعرفة كل علم معلوم خضع للحس والتجربة) وغيره يعتبره من عالم الخُرافات.

4-عقيدة العقل الفلسفيّ الكافر: هي عقيدة الحريّة المطلقة للإنسان، ولذلك هو عقل متقلب ملول، لا يقرّ له قَرار، ولا يؤمن بالثوابت ويجمع بين (العلمي والرمزي والخرافي) ويؤمن بالإشباع الحرّ لحاجات الإنسان، دون شروط إلا ما اختاره الإنسان لنفسه. ويؤمن بالغلبة والقوّة والصّراع من أجل تحقيق هذا الإشباع ليس له كابح سوى إشباع رغائبه وهوى نفسه

===============

#البرامج المعربة وصناعة نجوم الضياع

ماجد بن عبد الرحمن الفريان * 1425/1/25

2004/03/16

إن من أبرز مراكز التحدي التي تواجه الأمة بمكوناتها الحضارية، ما أتيح لها في هذه الأزمنة المتأخرة من تقنية البث الفضائي، وهو في حقيقته نعمة لو استغل في الخير، ولكنَّ نظرةً سريعة في تحركات هذه الفضائيات يتيح لنا معرفةً واضحةً لحقيقة الاتجاه الذي تسير فيه، وهو اتجاه يصطدم في جانب كبير منه مع توجهات الأمة، وقيمها، وثوابتها، ولو لم توقظ في ضميرك إلا خلية واحدة لاكتشفت أن كثيرًا مما يبث عبر الفضاء العربي إنما هو تأكيد للتفاهة، وتكريس للتبعية للغرب، وقد كنا نظن أن الغزو الثقافي سيأتي على يد غيرنا من أعدائنا الذين يتربصون بنا في الخارج، وإذا نحن نفاجأ –مع كل أسف– بما لم يكن في الحسبان، وهو أن التسابق في عالم الإفساد بما فيه إفساد القيم والأخلاق جاء من قنوات عربية صرفة!!، ولا أدل على ذلك من هذه الموجة العارمة من البرامج الغربية المعرّبة والتي تهدف كما يقولون إلى صناعة النجوم، وتنسب إلى تلفزيون الواقع، والتي لا تحتاج إلى إعداد، ولا تحضير، وإنما تعتمد اعتمادًا كليًّا على مخاطبة الغرائز، والعواطف، واستنهاض الفضول لدى المشاهد، وذلك من خلال تسليط البث على لحظات اختلاء محرم بين رجال ونساءٍ يجمعهم صفة التفاهة، وعدم البراءة، يقوم اجتماعهم من أوله إلى آخره على الفوضى الأخلاقية، والتحلل من روابط الإسلام، والقيم والعادات والتقاليد التي نشأت وتربت المجتمعات العربية عليها، ثم وضعوا أرقامًا للهواتف ليتصل بهم الشباب، والشابات ليصوتوا على أفضل نموذج من هؤلاء النجوم في عالم الضياع، وهذا أمر مهم جدًّا عند صاحب القناة لأنه يحقق له الهدف الآخر من هذه البرامج، وهو المال.

الأهداف من وراء هذه البرامج:

أول ما يجب أن نعرفه هو أن هذه البرامج لا علاقة لها من ناحية الأهداف لا بصناعة النجوم، ولا باكتشاف المواهب، ولا غير ذلك، وليس لها إلا هدفان رئيسان عند من يقوم بعرضها وتسويقها:

الهدف الأول: لا أجد في بيانه عبارة أبلغ، ولا أروع، ولا أخصر من عبارة القرآن، وهو: إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، إن الإنسان لو أعمل ذرة واحدة من عقله لاكتشف أن الهدف الرئيسي من هذه البرامج هو إشاعة الفاحشة في المؤمنين، وإرادة

الميل لأمة سارت في منهجها على صراط مستقيم، وليس شيءٌ أدل على ذلك من مناخ الاختلاط بين أولئك الشباب الذي حرصت عليه هذه القنوات، ثم تشجيعُهم على التفاعل البيني، وكسر الحواجز، ثم يضيفون على ذلك الملابس الفاتنة للفتيات، مع التشجيع وغض الطرف عن حالات الالتماس الصريح بين هؤلاء المختلطين، بالضم، والقبلات، والنظرات، والغمزات، والضحكات.. ثم النقل الفضائي الموجه على مدار الساعة، وهذه الأمور لا تدع مجالاً للشك في أن الأمر ما هو إلا إشاعة للفاحشة في الذين آمنوا، وليس هناك أهداف مجردة، وإنما هو مشروع تقويضي لمكتسبات الأمة يمثل فيها أولئك الشباب المشارك الطُّعمَ، والشباب المشاهد الهدف.

الهدف الثاني: تحقيق المكاسب المالية الكبيرة، والسريعة بأعمال غير مكلفة دنيويًا، وإن كانت تكلفهم كثيرًا عندما يقفون عند رب عظيم نهى عن الإفساد في الأرض بعد إصلاحها، وضاعف العقوبة على دعاة الضلال.

وأما كيف يحققون هذه المكاسب؟ فعن طريق فتح اعتماد خطوط الهاتف في كل دولة والحصول على الأرقام، وبعدها يتم اقتسام عوائد المكالمات بين فاتح اعتماد الخط وهو القناة، وبين مقدم الخط وهو شركة الاتصالات، وهكذا تفنن أصحاب هذه الفضائيات في الطريقة التي ينظفون بها جيوب الجمهور، ولا عزاء للمتصلين المغفلين والذين يدفعون فواتير هواتفهم لهذه القنوات.

والذي يدلك على صحة هذه الكلام الحرص المستميت من هذه القنوات أن توجد أفرادًا من كل الدول ليناصر التافهون من كل دولة صاحبهم وتضمن أكبر عدد ممكن من الاتصالات التي تعود عليها بالربح الوفير.

إن ما نشهده اليوم من الولادات المتتالية لأمثال هذه البرامج، في وقت تشهد الأمة فيه مواجهة تاريخية مع أعدائها، يعتبر دليلاً صارخًا على خيانةٍ جليةٍ من بعض القائمين على هذه الفضائيات، وما هي إلا طعنة غادرة، توجه للشعوب العربية من الخلف، وإذا كان اليهود يعبدون المال ويتاجرون في المحرمات دون اهتمام بالمتضررين ولو كانوا من أهلهم، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر كما في الصحيحين أن في الأمة المحمدية من سيتشبه بأهل الكتاب في كل شيء، حتى ولو كان العقلاء يتنزهون منه، بل حتى ولو ترك الآدميون من أهل الكتاب بيوتهم

العامرة، وقصورهم الفارهة، وسكنوا جحر ضب لوجد في أمة محمد من يحاكيهم في سكنى جحر الضب، بل قال صلى الله عليه وسلم في رواية الحاكم "وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه" وما هذه البرامج الهابطة إلا مصداقًا لما أخبر به المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، وهي محض تقليد مقيت للإعلام الغربي، والذي يشتكي منه عقلاؤهم ومفكروهم فكيف بأمة الفضيلة والعفاف.

مخاطر هذه البرامج:

أولاً: إن هذه الفضائيات غزت كثيرًا من البيوت، وهذه البرامج اكتسبت من المشاهدين من الجنسين شيئًا كبيرًا، فوجب التحذير منها، ذلك أنها مدار الحديث عند كثير من الشباب، وجمع غفير من الفتيات؛ بل إن الكثير من المعلمات والمديرات والمسؤولات يعانين من هذه الظاهرة المنتشرة بين الطالبات، وكل واحدة تروي القصص الكثيرة عن الطالبات، ولذا وجب التنبيه والتحذير.

ثانيًا : هذه البرامج تعتمد على أسلوب سحق الفضيلة والأخلاق الكريمة في نفوس الشباب والبنات، وتهدم المفاهيم الصحيحة عندهم، وتزيل حاجز النفرة بين المرأة والرجل الأجنبي عنها، وهي تختزن رسالة إعلامية موجهة بعناية، وهدفها الرئيس تنمية الاندماج بين الجنسين، وإشعار النشء أن لا إشكال في بناء العلاقات والصداقات بين الجنسين، وأن قضية تحسس الفتيات من الفتيان وطقوس الفصل بين الجنسين، والحدود في علاقاتهم هي أمور لا صحة لها، ومع كثرة مشاهدة الشباب والفتيات لهذه الرسالة الإعلامية الخطيرة يألفونها، ثم قليلاً قليلاً يعتاد المشاهدون على رؤية الحرام, ويعايشونه لحظة بلحظة، ورويدًا رويدًا حتى يعتادوا العيش بنفس الطريقة التي تقدم لهم، وهم بهذه الطريقة السافلة يجعلون الشباب والفتيات يقولون في أنفسهم: كل هذه القبل، والرقصات، والضم، والاختلاء الآثم والمشاهد الفضائحية على مرأى ومسمع من العالم أجمع وعلى الهواء مباشرة .. ومع هذا يصوت الناس لهم ويشجعهونهم فما بالنا نحن لا نفعل مثلهم ولو سرًّا؟ لماذا لا نقلد حياتهم الرومانسية!?، وهكذا يسعون لتتفيه الشباب وتفسيقهم، والفتاة تتعلم أصول العهر والفجور بالمجان، وعلى الهواء مباشرة، وهكذا تنحر كل فضيلة في المجتمع، ولا يبقى من القيم والمثل الكريمة إلا الشعارات الجوفاء، يقدم هذا وبمساعدة من بعض

الآباء لمجتمعٍ يعلِّم بنياته منذ نعومة أظفارهن أن نظر الرجل إلى المرأة وخلوته بها حرام، ثم ترى هذه البنت المسكينة هذا السيل الجارف من الفساد !!

ثالثًا: تعتمد هذه البرامج على أسلوب التتفيه والتخدير لطاقاتٍ تستطيع بالإيمان أن تعمل الكثير، وتسعى لتغييب عقول بهدايتها تنفع مجتمعها الكثير، وأي جيل سيتخرج لنا في المستقبل إذا ربيناه على الليالي الحمراء، وعودناه على مسابقات الرقة، ونجومية التعري؟!!، كيف يراد لهذا الجيل أن يحرر الأقصى.. وأن يطرد الغزاة؟!!

إن هذه الفضائيات تربي شبابنا وفتياتنا ليكونوا قنواتٍ لعبور العدو، وأدواتٍ لخدمته، تريد أن تخرج تافهين يشتاقون لمن يمسك بخطامهم، لن يناصروا قضية، ولن يطلبوا حقًّا، ولن يحفظوا شرفًا ... سيتربى على مثل هذه البرامج حتمًا جيلٌ يسلم للعدو مفاتيح الحصون الأخيرة للإسلام ..ويرحب به في دياره وعند أهله وشرفه كما فعل أشياعهم من قبل!! جيل يدافع عن أمته بلبس الجلود، ومصاحبة العلوج، ويتترس بالكريمات والدهانات..ماذا ترجو منه؟!! ألا وا أسفا على الدين ..ووا أسفا على الرجولة إذا تركنا هذا العهر يدخل بيوتنا.

رابعًا: هذه البرامج تجعل هؤلاء النجوم قدوات يتأثر بها الشباب فتتخلخل المثل العليا عند أجيالنا، وهذا يحصل شئنا أم أبينا عند أبنائنا إذا شاهدوا قناة كاملة تنقل نقلاً مباشرًا لإقامة مختلطة لمجموعة من النساء وأشباه الرجال، وتنقل بالصوت والصورة سلوكهم الرخيص غير الهادف، وغير البريء، وأكلهم ونومهم وكل شيء في حياتهم، إلا في دورة المياه فتنقل صوتهم فقط، وهكذا كأنها في بنك مركزي تنتقل بين الغرف لتنقل تصرفاتهم، فإذا شاهد الإنسانُ الغرُّ هذه العناية بهؤلاء الأفراد سيظن أنهم جاؤوا من كوكب آخر، وأن لهم مزية تجعلهم يستحقون هذا، فيحاكونهم ويعجبون بهم، وهكذا ينشرون الفساد في المجتمعات، والشريط الإخباري أسفل الشاشة يعزز هذا الإفساد فهو يحمل رسائل غرام لا تقل مجونًا عما تحمله الكاميرا، وإذا كانت هذه البرامج تبث من أجل صنع النجوم؛ فمن حقنا أن نتساءل ما هذه النجومية التي يريدون؟ ما هي ميزة هؤلاء؟ هل حرروا بلدًا؟ أم اخترعوا برنامجًا يسهل معيشة الناس؟ أم اكتشفوا دواءً لمرض الإيدز أو السكر؟ أم هم علماء في الفلك أو الجيولوجيا؟ أم لهم ميزة في العلم والدعوة ؟ أم ماذا؟ ما هي نجوميتهم التي يسوَّق

لها؟ هل يعقل أن تكون النجومية عند العرب والمسلمين محصورة في السخف وقلة الحياء؟ هل نحن في حاجة إلى زيادة نجوم الضياع؟ من حقنا أن نعرف! ومن حقنا أن نستنكر هذا التتفيه لعقول الشباب وهذا التسخيف لاهتماماتهم.

خامسًا:دعم بعض دوائر التوجيه في بعض البلدان العربية لمثل هذه البرامج لإشغال الشعوب عن قضاياها الحقيقية، شعوبٌ ومؤسسات تستنفر جهدها ووقتها ومالها.. لإنجاح مراهق أو مراهقة في الغناء, وفي إثبات أنه الأكثر (بسالةً) في الصمود حتى آخر السباق! وتحتفل البلاد التي يقترب (نجومها) من التصفيات, وتبدو كأنما تُهيئ نفسها لإطلاق قمرٍ فضائي في مداره, أو كأنها ستهدي للأمة قائدًا ربانيًا، أو فاتحًا عظيمًا!

مراهقون ومراهقات يرقصون على ضفاف نشرات الأخبار المثقلة بالاحتلالات والشهداء, وكلما سقط منهم واحد في التصفيات بكت عليه الأمة كما لم تبكِ سقوط بغداد!

سادسًاأنها كما تفسد الشباب مفسدتها أيضًا بالغة على الفتيات، وتقدَّم شيءٌ من ذلك لكني أنقل للقارئ الكريم رسالة فتاة وجهتها لكاتبٍ غيور قال في عنوان مقاله أنها تخنث الشباب فأبلغته؛ أن الفتيات أشد ضررًا... تقول: إنا فتاة أبلغ السابعة عشرة من عمري، استمعت من زميلاتي في الثانوية عن برنامج يعرضون فيه مجموعة من الفتيات والشباب يجلسون معًا في مكان واحد ليل نهار, وقالت لي صديقتي: يا فلانة أنت دائمًا تقولين ما أعرف أكلم شابًا.. ما أعرف كيف أبدأ معه.. أشعر برهبة من إقامة علاقة مع أحدهم.. والآن يا صديقتي تابعي هذا البرنامج لكي تتعلمي منه فنون العلاقات الشبابية..! ركزي في هذا البرنامج جيدًا لمدة يومين فقط، وستكتشفين أن الرهبة والخوف والحياء الذي يتملكك من إقامة علاقة مع الشباب ما هي إلا رهبة التخلف.. وما حياؤك إلا عبارة عن عقدة نفسية..! انتظرت أن أخرج من المدرسة بفارغ الصبر في ذلك اليوم, ولما وصلت البيت جلست ليس لي شغل سوى مشاهدة ما يحصل على الهواء مباشرة .. (ووصفت ما لا يليق ذكره).. وأصبحت بعد أيام فقط من متابعتي لهم على الهواء أشعر بأنني فعلاً فتاة متخلفة ومحرومة من الحياة الرومانسية المليئة بالحب ودفء المشاعر.. ثم أصبحت أتمنى في كل لحظة أن

أكون مكان أولئك الفتيات لأحظى بالجلوس ساعات طوال مع المشارك الفلاني في هذا البرنامج الرائع"، وتبين لها الوضع بحمد الله بعدما قرأت مقال هذا الكاتب الغيور جزاه الله خيرًا (1).

فتاة أخرى في الثانية عشر من عمرها صرخت في وجه أبيها تريد الزواج !! صدم الأب من ذلك !! فما الذي دفعها إلى هذا الفعل؟؟

إنه هذا البرنامج الذي تتابعه. . . .لقد كانت هذه الفتاة إحدى ضحايا هذه البرامج الرذيلة..

ووالله إن الإنسان ليحزن مما يرى من تفاعل الناس مع هذه البرامج . أكل هذا يحصل من أحفاد الصحابة؟ وأبناء المؤمنين ، عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: « كان رسول الله يصلي الفجر فيشهد معه نساء متلفعات بمروطهن ثم يرجعن إلى بيوتهن ما يعرفهن أحد من الغلس »، وقالت: « لو رأى رسول الله من النساء ما رأينا لمنعهن من المساجد، كما منعت بنو إسرائيل نساءها». وعن عائشة –رضي الله عنها– قالت: « كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات مع رسول الله ، فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها على وجهها من رأسها فإذا جاوزنا كشفناه"، هذه هي مُثُل العفة والطهر والنقاء تُركت اليوم إلى غيرها، واستبدل شباب الإسلام وفتياته الذي هو أدني بالذي هو خير، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

مدافعة هذه الظاهرة وعلاجها :

يتساءل البعض وما هو الحل؟ وكيف نوقف هذا الغزو الجارف والذي يدخل بيوتنا دون استئذان؟ والعلاج نذكره في النقاط التالية:

أولاً:الوعي بهذه الظواهر المؤلمة، ونتائجها، وأخطارها المؤلمة على أمة الإسلام.

ثانيًا:القيام بالواجب الشرعي بإنكار هذه المنكرات في أنفسنا وفي بيوتنا ومع من حولنا، إنها مسؤولية الأب مع أولاده، والأخ مع إخوانه، والطالب مع زملائه، والجار مع جيرانه.

ثالثًا: تنقية بيوتنا ومنازلنا منها، والحذر من استدراج الشيطان لنا باسم الثقافة والوعي، أو الغفلة عن أولادنا بحجة أن التربية لا تتحقق بالمنع والحجز، وأن

الأصلح لهم أن يعرفوا الخير من الشر، فلا نحن حميناهم من المفاسد، ولا فقهناهم بالخير والشر.

نعم فكلنا راع وكلنا مسؤول عن رعيته، لا بد أن نتقي الله فيمن تحت أيدينا، لا بد أن نعلم أنها أمانة عظيمة، تذكر يومًا تكون فيه في أمس الحاجة إلى مثقال ذرة من حسنة، فإذا بك تسأل عن أسباب فساد أبنائك وبناتك، يوم يتعلقون بك يوم القيامة ويأخذون بتلابيبك يقولون: يا رب لقد أضاع الأمانة، يا رب كان سببًا في انحرافنا، يا رب كان سببًا في ضياعنا، وذلك كله بسبب ما جلبته لهم من وسائل ترفيه وتسلية محرمة، وأنت . يا أيها الأب . لا تستطيع أن تدافع عن نفسك، فأقرب الناس لك هم خصماؤك، هم الذين يبحثون عن مثقال ذرة من حسنة ليأخذوها منك كي ينجوا من عذاب الله، فتلتفت يمينك فلا ترى إلا النار، وتلتفت شمالك فلا ترى إلا النار (يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ، وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ، كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى، نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) نسأل الله العافية

وأنتم أيها الشباب والشابات، اتقوا الله –تبارك وتعالى– واعتصموا بكتابه وبسنة نبيه، واعلموا أنكم مستهدفون من أعداء الأمة، وأن هدفكم في هذه الحياة أسمى مما يراد بكم، فأعيدوا النظر مرتين، وارجعوا البصر كرتين، وإياكم ثم إياكم أن يكون قدوتكم هؤلاء الذين ما لهم من خلاق، فقدوتنا جميعًا محمّد –صلى الله عليه وسلم–، والمرءُ يحشر مع من أحب، حشرنا الله وإياكم في زمرته وتحت لوائه.

رابعًا:إن هذه البرامج ليست إلا حلقة من سلسلة طويلة تستهدف تغريب مجتمعاتنا، وتوجه سهامها نحو ناشئتنا، مما يجعل مسؤولية التربية مسؤولية جسيمة، إنها لن تتحقق بمجرد أن نشعر بأنها مهمة، ولا بمجرد أن نتحدث عنها في مجالسنا، إن انفتاح مجتمعاتنا على هذا العالم بما فيه يجعل الأسرة المسلمة أمام تحديات جسام، فاستنساخ التجارب السابقة، أو تكرار ما فعله معنا آباؤنا لم يعد كافيًا، إننا بحاجة لأن نتعلم فنون التربية، وبحاجة لأن نتملك القدرة على إقناع أولادنا وعلى حوارهم والتأثير عليهم، وبحاجة لأن نمتلك القدرة على كسب قلوبهم وعقولهم.

وهذا يفرض علينا أن نقرأ ونسمع ونتحاور ونتباحث في أمور التربية وسنبقى مع ذلك نحتاج إلى المزيد.

خامسًا:أين دور مدارسنا؟ وأين رسالة معلمينا ومعلماتنا؟ إن ضخامة التحديات وتعاظم المخاطر يفرض علينا أن نتجاوز الوقوف عند لوم المدرسة على التقصير، ونتجاوز الحديث عن الدور الغائب للمعلمين والمعلمات لنشعر أن هذه المسؤولية مسؤوليتنا جميعًا، فالمعلمون إخواننا وأولادنا وجيراننا، والمعلمات لم يفدن إلينا من كوكب آخر، لنتجاوز مرحلة التلاوم إلى العمل الإيجابي وأن يأخذ بعضنا بيد بعض للنهوض بهذه المهمة.

سادسًا:لا بد من التفكير في برامج تواجه هذا العفن وتشغل أولادنا عن متابعة السوء، برامج إعلامية جادة، وبرامج ترفيهية محافظة، في الحي، والمدرسة، ووسائل الإعلام، ولن تنجح هذه البدائل إن كانت باهتة لا تغري الناشئة بمتابعتها والتفاعل معها.

وهي مهمة يشترك فيها التربويون، والإعلاميون، وأصحاب المال، وأصحاب القرار.

سابعًا:لا بد من تطوير الخطاب الدعوي الموجه للناشئة وتنويع أدواته والسعي لتجاوز النمطية والأداء الممل، ونحيي هنا ما قام به أحد الدعاة من تقديم برنامج دعوي منافس لهذه البرامج؛ فنسأل الله له ولمن سار على هذا الطريق السداد والتوفيق.

ثامنًا:إن هذا يؤكد خطورة الإعلام في تشكيل مستقبل الأمة وتوجيه ناشئتها، وهذا يفرض علينا أن نسعى جميعًا لتنقية إعلامنا وجعله معبرًا عن هوية الأمة ورسالتها، كما يفرض علينا البحث عن حلول عملية لتقليل أثر هذا الغزو الذي يخترق أسوار بيوتنا، وإن النتائج المرة لهذا العفن والإفساد تبرر اتخاذ قرارات جريئة في حجب هذه البرامج السيئة، وفي تنادي رجال القرار في الأمة لتدارس هذه الأزمات بجدية.

كما أنها تفرض علينا السعي الجاد لتعزيز دور الإعلام الإسلامي النقي، من خلال دعم القنوات القائمة، والسعي لإنتاج المزيد.

أيليق بهذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس أن تملك عشرات القنوات التافهة، بينما القنوات الجادة التي تعبر عن رسالتها لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة؟!

إننا نملك قدرات في الإنتاج المرئي والمقروء وفي الإخراج والكتابة وفي التقنية والأدوات، وأموالاً هائلة، أفلا يمكن توظيف جزء من هذه الإمكانات لإنتاج ما يربي

أولادنا وناشئتنا؟ أفلا يمكن توظيف جزء من الأموال التي تهدر في الترفيه والسياحة، وفي الترف والتباهي؟ أفلا يمكن توظيف جزء من ذلك في خدمة قضايا الأمة الجادة؟!

عسى أن يكون ذلك قريبًا.(*) معيد في قسم الفقه (كلية الشريعة بالرياض).

(1) هو محمد المليفي في صحيفة السياسة الكويتية

==============

#ومضى عام

أ.د.ناصر بن سليمان العمر 1425/1/4

2004/02/24

وما يعلق بالذاكرة كثير وكثير، فالأحداث تتسارع، وقل أن يمر يوم لا تكون فيه أحداث وأحداث، يرقق بعضها بعضًا، وينسي بعضها بعضًا.

فصرت إذا أصابتني سهام ... ...

تكسرت النصال على النصال

ولكني أجمل فأقول:

ونحن نستقبل عامًا هجريًّا جديدًا تذكرت مثل هذا الوقت قبل عام وتراءت أمامي أمور عدة منها:

1- لحظات الترقب التي كان يعيشها العالم وهو يتطلع إلى ما يمكن أن يتخذه صدام من قرارات لمواجهة الأزمة التي يعاني منها العراق بسبب التهديدات الغربية والأمريكية على وجه الخصوص، ومرّت الأيام فإذا هو يزيد الأمور تعقيدًا بقراراته المرتجلة، ودعاوى البطولة الوهمية التي أعادتنا إلى بطولات حزيران (67م) المزيفة وما جرَّته على الأمة من ويلات، وما بين التاريخين أكثر من ثلاثين سنة جرى فيها أحداث عظام، ومصائب جسام، تؤكد ما تعيشه الأمة من بلاء وشقاء وانفصام، كل هذا يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الأمة بحاجة إلى الأمن والطمأنينة والسلام، ولن يتحقق ذلك إلا بالإسلام وصدق الإيمان، تحقيقًا لقوله تعالى: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون).

وتذكرت أيضًا ما كنا نخشاه من فتن تكاد أن تنزل ببلادنا – بلاد الحرمين – بدعوى الإصلاح، ومواجهة ما تعيشه البلاد من مظاهر الفساد، والرد على ما يقوم به العلمانيون للزج بنا في أتون التغريب والمحنة.

وبدأت تلك الأحداث على أيدي شباب لم يدركوا عاقبة سوء فعلهم، وما يجرُّونه على البلاد والعباد، وها نحن نعيش ونجني ثمرة تلك التخبطات التي يقودها الفريقان: العلمانيون، والشباب المتحمسون وكل يدعي الإصلاح، والإصلاح منهم بعيد، بل هو الإفساد وقد جرت سنة الله في الأزل بما أنزله في الكتاب (إن الله لا يصلح عمل المفسدين).

وتذكرت ما تخطط له أمريكا، وما جرّت العالم إليه في أفغانستان والعراق، وإذا الأمور تعود عليها وعلى حلفائها بأسوأ مما أرادت الهروب منه، وإذا هي – والحمد لله – تتجرع من الكأس الذي أرادت تسقيها غيرها، وهذه سنة الله (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)، (إنهم يكيدون كيدًا* وأكيد كيدًا* فمهل الكافرين أمهلهم رويدًا)، (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً) والله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.

وأخيرًا رأيت رأي العين، والنظر من خلال نافذة هذه الأحداث، وغيرها مثلما يجري في فلسطين، أن الأمة تسير نحو مستقبل مشرق واعد، ولكن دون ذلك ابتلاء واختبار، (وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين).

إن الرؤية العاجلة، والنظرة القصيرة قد تدل على خلاف ذلك، ولكن من يتأمل في السنن الكونية، ويرى من خلال الموازين الإيمانية؛ يدرك بما لا يدع مجالاً للشك صدق تلك الرؤية التفاؤلية، فها هي الأمة عادت إلى ذروة سنام الإسلام – الجهاد – ليخرجها من أزماتها، ويعيد إليها مجدها وسؤددها، وما يجري في العراق وفلسطين وغيرها خير شاهد ودليل، وسقطت شعارات طالما ضللت الأمة، كالقومية والشيوعية والشعوبية وغيرها من الشعارات، التي لم تزد الأمة إلا بلاء ونكالاً وتفرقًا وضعفًا وتشرذمًا.

وأخيرًا الطريق طويل وشاق، ولكنه يوصل –بإذن الله– إلى النهاية السعيدة، والسيادة الرشيدة، متى صدقنا الله ونبذنا الفرقة والخلاف، وتغلبنا على بنيات الطريق. فأبشروا

وأمِّلوا وجِدُّوا واجتهدوا، واعلموا أن العاقبة للمتقين، (وكان حقًّا علينا نصر المؤمنين)، (ولكنكم تستعجلون).

===========

#وطنيون بلا وطنية

د.إبراهيم بن صالح العمر * 1424/6/23

2003/08/21

منذ أن خلق الله البشرية، وبزغ على هذه البسيطة فجر الإنسانية وصراع الحق والباطل وسنة التدافع بينهما هو همُّ الإنسان الأول على اختلاف مشربه، وتنوع مسلكه. حزبٌ منهم سيطر على بُنْية تفكيره الوسطية المنبثقة من خالق النفس ومربيها والعليم بأسرارها وما يصلحها، فكانوا حيث شرع الله وقوفاً عند حدوده، سائرين في فلك شرعه يبتغون الأمن في الدارين (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن)، وينشدون السلامة من العطب في الحياتين (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة)، بينما حزب آخر تفرق شيعاً وأحزاباً (كل حزب بما لديهم فرحون) مفرّطون تارةً ومفْرِطون أخرى، حتى غدا أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– كفاراً عند بعضهم؛ بل ومنهم العشرة المبشرين بالجنة يحل قتلهم و قتالهم وسفك دمائهم. هذا المنهج الذي اكتوينا بناره، والذي أباح لنفسه الإفساد في الأرض وإرهاب عباد الله والمستأمنين من قبلهم، بل شرع لنفسه التقرب إلى الله بذلك وهو في غاية الضلال والإضلال، ولا ينافسه في ذلك سوى من يريد الفتنة والصد عن دين الله، وإحياءها باستعداء ولاة الأمر على رموز الصحوة وقادة الشباب ورواد العمل الإسلامي، متناسين ليس فقط جهدهم ومشاركتهم في بناء الأمن الفكري لهذا البلد، بل متناسين أنهم أول من اكتوى بنارالمفرطين تكفيراً وتبديعاً. إنه حينما تستغل الأزمات والحوادث الجسام التي تمر بها الأمم والشعوب، كما وقع في بلادنا لأهداف ذاتية وغايات أقرب إلى الدونية حتى لو كان الضحية النسق الأمني والتنظيم الاجتماعي؛ فإن تبني شعارات الدفاع عن الوطن وادعاء الوطنية يبقى محل نظر، إذ الكل يدعي شغفاً بليلى ولكن بتلك الفعال لا ينال ذلك. ليس المهم هو الاسم ولا الدعوى ورفع الصوت فالكل على هذا قادر، البر منهم والفاجر، لكن البينة على

المدعي في ذلك وصدق الفعال. إن مما يزيد من هول فاجعة ما حدث أقلامٌ موتورة وأفئدة موبوءة تطنطن بالوطنية وتؤذن بالحمية، والوطن منها براء وحِماه عنها بعيد. لم يكن لها في نشأة هذا البلد ولا وحدته ولا تلاحم قبائله وتراص أطرافه أي دور؛ بل نشأت طحالب ظِلِّ قناصة للفرص، تعيش على الاستعداء تارة، وعلى التشنين تارة، وعلى تتبع الزلات وتكبير الهفوات تارةً أخرى، مستغلةً موقعها التحريري في صحفنا الوطنية لتنشر ما تريد وتمنع ما تشاء، ناسيةً بل متناسيةً فضل أهل الفضل في ترميم الجبهة الداخلية و شموخ حماة البلد أهل الرأي والسدد. ولهذا لا تجد قلوب هؤلاء الذين أهلكهم هم التغريب وأعياهم تدين البلاد والعباد أبغض من دعاة ودعوات النهضة والإصلاح التي توقظ الغافلين وتقيم القاعدين، وليس أحب إلى قلوبهم من أن تكتم الأفواه غير أفواههم وتصادر الحقوق غير حقوقهم، وتبقى الأمة مغيبة عن شرعها وأسباب نهضتها وقوتها.

في البرنامج الإذاعي اليهودي للدكتورة (لورا) ذائع الصيت فجع الأمريكيون بمستوى حضاري يسمح بحرق البنات؛ لئلا ينظر الرجال لوجوههن والذي نقلته الدكتورة (لورا) عن إحدى الصحف المحلية، وفجعتُ تبعاً لذلك كغيري من المسلمين هناك، كيف يساء لهذا البلد من قبل أهله؟ وكيف يتأتى للبعض ويهنأ بتحقيق مآربه والتنفيس عما يكن في صدره بالإساءة والتشهير بوطنه وأمته ويعمل على تقديم مادة إعلامية ساخرة لأعداء الأمة للنيل من هذا الوطن وشعبه وحكومته؟!. وفي المقابل وعندما يعلن ناطق بيتهم الأبيض بمطالبة حكومة السعودية بالاعتماد على الحل الأمني تتلقفه تلك الصحف في صفحات الرأي والخبر والرسم الساخر؛ بل يتعداه لصفحات الدعاية والإعلان مستعدية ولاة الأمر ومطالبة بعدم المجاملة في الموقوفين، ومقررة مع الخروج على الثوابت ثبات الخروج عما هو ثابت، تاركاً للقارئ الرجوع للإعلان وتفسير ماذا يراد. و وأيم الله ما هذه الوطنية الحقة، فماذا إذاً تكون؟ إن الذاتية والأنانية وعبادة الذات مرض قديم وخمرة أسكرت نفراً من الكتاب والصحفيين فدارت برؤوسهم وأدارت تبعاً لذلك معارك فكرية، فإذا الكيان يتقطع وإذا الإصلاح يراوح مكانه، وإذا الضحية النمو المنشود والتنمية المستهدفة، فهل من إعادة لترتيب عقلنا من جديد؟.

إن استغلال الأحداث العصيبة والمحن التي تمر بها جماعة المسلمين استغلالاً دونياً والتحريش وإفساد ذات بينهم هَمٌّ شيطاني، وقلما يحدث ذلك إلا من معسكر لم يكتمل نظامه أو يتأكد ولاؤه، وما لم يرتفع الكتاب والإعلاميون لمستويات الأحداث، ويدركوا جدية الموقف بدلاً من الرسوم الكاريكاتورية الساخرة، ويتخلوا عن الأهداف الدونية؛ فإن النتائج لن تكون في مصلحة الجماعة والوطن بحال، وفي التنزيل (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً).

إن استقراءً سريعاً لأحوال أمتنا في كثير من الأحقاب يوجب على العقلاء من ولاة الأمر والعلماء والدعاة والفضلاء والساسة والمربين الأخذ على يد خراق السفينة وكسار مجاديفها، وإغلاق الباب إلى الأبد في وجوه المتعطلين المنتهزين، والأخذ بوسائل سلامة الفكر وإصلاح الذات وتشجيع النقد البناء، سدد الله الخطى، وبارك في العلم والعمل.

* كاتب سعودي

=============

#أين الثقافة في ملتقى المثقفين العرب؟!

د. محمد مورو * 1424/5/20

2003/07/20

إذا كان المثقف – أو من المفروض أن يكون – هو ضمير المجتمع، وهو بمثابة زرقاء اليمامة يرى المخاطر المحيطة بقومه قبل حدوثها بوقت كاف لتداركها، أي قبل أن يراها الناس العاديون.

وعليه بالطبع أن يحذر من تلك المخاطر، ويقوم بواجبه التحريضي لمواجهتها، وتحصين مواقع قومه الثقافية حتى لا تهزم من داخلها...

أما إذا انهزم المثقف، أو خان أو تخلى عن واجبه؛ فإن الخسارة تكون كبيرة جداً، لأن الهزيمة الثقافية مقدمة بالطبع لهزيمة عسكرية وسياسية وحضارية.

وإذا كان (جان بول سارتر) يقول: إن مهمة المثقفين الأولى هي إزعاج السلطات والطغاة، فأي طغيان أكثر من الطغيان الأمريكي والإسرائيلي؟ وأي سلطة أبشع من السلطات التي تنفذ الأجندة الأمريكية؟! فإذا تحول المثقفون أنفسهم إلى أبواق للقيم الأمريكية، ومبررين ومبشرين للأجندة الأمريكية؛ فهذه هي الكارثة بعينها.

هذا الكلام بمناسبة ما قيل وما صدر وما حدث فيما سمي بمؤتمر الثقافة العربية الذي انعقد أوائل شهر "يوليو" 2003 في القاهرة بدعوة من المجلس الأعلى للثقافة في مصر تحت عنوان " نحو خطاب ثقافي جديد، من تحديات الحاضر إلى أفاق المستقبل"، وقد حضره حوالي مئة مثقف عربي ومصري، تم استدعاؤهم للحضور فجأة وبدون مقدمات، مما أثار حفيظة أمثال الأديب الجزائري (الطاهر وطار)، الذي وصف المسألة بأنها نوع من الاستدعاء البوليسي لأداء مهمة محددة سلفاً، الأمر الذي يوحي بوجود أجندة مسبقة على هوى الأمريكان، أو لذر الرماد في عيونهم إذا أخذنا بالتفسير البريء.

تجاهل ثقافة المقاومة

انعقد المؤتمر للبحث عن خطاب ثقافي عربي جديد، ولا أحد بالطبع ضد التجديد، ولكن التجديد غير التغريب، غير التخريب، معنى أن يكون التجديد من الداخل وعن طريق هضم المواد المضافة، وليس إلصاقها أو قطع الشجرة من جذورها، وزرع شجرة جديدة سترفضها التربة حتماً.

فالتجديد عملية مستمرة وشاقة من الداخل، وليست مجرد قص ولصق، وإذا كان لابد من تجديد؛ فإن التجديد إزاحة تلك الوجوه الثقافية العربية المسيطرة على الساحة والمتورطة مع السلطات المستبدة، أو الدالفة في دم مثقفين آخرين، دفعوا حياتهم أو أعمارهم ثمناً لمواقفهم، وهكذا فإن فاقد الشيء لا يعطيه، وهذا كان العيب القاتل في مثل هذا المؤتمر الذي ترعاه مؤسسة رسمية مصرية "تمنح وتمنع طبعاً".

مجرد القراءة في عناوين الندوات أو الموائد المستديرة التي عقدت في إطار المؤتمر يحدد الهدف من المسألة، كانت العناوين: "حرية الإبداع"، "تجديد الخطاب الديني"، "النظام الإقليمي العربي والنظام العالمي"، المشروع الثقافي العربي المستقبلي"، "الثقافة العربية في عصر مجتمع المعرفة"، مع ملاحظة غياب عناوين، مثل: "ثقافة

المقاومـة"، "المواجهـة الثقافيـة للمشـروع الأمريكـي والإسـرائيلي"، "دور المثقـف فـي التحريض علـى مواجهة الاحتلال"، وهـي عنـاوين ضـرورية ومشروعة في زمن يقوم فيه الإسـرائيليون بالقتل والقهر لشعبنا فـي فلسطين يومياً، وعلـى مدى السـاعة، ولا يمكـن لمثقـف أن يتجاهـل ذلـك، وكـذلك الوجـود الاحتلالـي الأمريكـي فـي العـراق، والقواعد الأمريكية في عدد كبير من الدول العربية، مع ملاحظة تجاهل ذلك؛ نجد أن عناوين ومحاور الحوار كلها تدور في إطار الأجندة الأمريكية التي بشر بها (كولن باول)، وباتت معروفة ومشهورة، وحتى لو كان ذلك خطأ غير مقصود، أو أن تلك هي مطالب المثقفين العرب قبل أن تظهر أجندة باول، بمعنى أن باول تبنى خطاب ومطالب المثقفين العرب، أو أراد أن يحرقها بتبنيه لهـا؛ فكان من الضـروري مراعاة الظرف الذي تمر بـه الأمـة الآن، وأن تتجـه الأطروحـات حول تلك العنـاوين ذاتهـا، اتجاهاً يدعم مقاومـة الاحتلال الأمريكي والإسرائيلي، فيكون تجديد الخطـاب الديني باتجاه التأكيد علـى الجهاد والصمود والمواجهـة ورفض الاحتلال، باعتبارها واجبات شرعية، وأن يكون المشروع الثقافي العربـي مشروع المقاومـة، وأن تكون المعرفة في خدمة قضايا النضال، والانفتاح على العالم في اتجاه التحالف مع القطاعات الكبرى فـي الشعوب المتضـررة مـن العولمـة والأمركـة وهكـذا...، ولكـن الاتجـاه كـان تفكيكيـاً وعسكرياً على طول الخط، اللهم إلا من بعض الاستنارات القليلة التي لا تشكل تياراً أو ظاهرة وتم تحجيمها وتهميشها.

وهكـذا جـاءت المـداخلات والأبحـاث إمـا مـن بـاب كلمـات حق يـراد بهـا باطـل، أو كلمـات حق فـي غيـر مجالهـا ولا زمانهـا ولا مكانهـا، أو هجـوم صـريح واضـح علـى الهوية والدين والمقاومـة والثوابت والدعوة للانبطـاح أمـام الأخـر الأمريكـي والصـهيوني تحديداً، أو غيرها من الأمور المريبة.

أعمدة ثقافية مستبدة

ومرة أخرى نقول: جاء بالمؤتمر بعض الأمور الهامشية الإيجابية، حتـى لا نُتهم بأننا لا نرى إلا الأشياء السوداء، وهذا بدهي، لأنـه ليس هناك شـيء سـاقط 100% حتـى ولـو مـن بـاب ورق التـوت المهـم هـو التوجـه الرئيسـي والمحصـلة أو المجرى الرئيسـي للمـؤتمر، وبـدهي أن توصـيات المـؤتمر جـاء بهـا بعـض الأشـياء الصـحيحة؛ ولكـن

ضاعت في متاهة الدعوة إلى هدم الذات والقضاء على الهوية وتدمير الدين والتخلي عن الثوابت.

على كل حال فمن الأشياء الجيدة في المؤتمر نقد السلطات المستبدة، ولكن القائمين على المؤتمر وكثير من الحضور هم أنفسهم الأعمدة الثقافية لتلك السلطات المستبدة! فهل تناسوا ذلك؟!.

أم أنهم جاؤوا كنوع من تبييض وجوه السلطة –المصرية– مثلاً، أو تنفيس عن أسئلة باتت مشرعة وبقوة في الشارع العربي، أو إحداث نوع من المناهضة الثقافية تعفي السلطة من عبء مواجهة أسئلة المرحلة؟.

أم نوع من الخاطبة –بلا طلب للأسف– للآخر الأمريكي والإسرائيلي؟

أم بالونة اختبار لأفكار يراد تطبيقها، فيكون المؤتمر فرصة لإطلاقها، ومن ثم معرفة رد الفعل عليها؟.

أضاليل وافتراءات

في مؤتمر الثقافة العربية في القاهرة –قلب العروبة والإسلام– جاءت أطروحات مثل: أن الفقه الإسلامي هو سبب الإرهاب، المطالبة بعدم الالتزام بفقهاء السنة الأربعة، حذف كلمة الكفار من المصطلح الإسلامي (كيف يكون ذلك إلا بتغيير القرآن ذاته؟!)؛ لأن كلمة الكفار فيها عنصرية، تغيير آية "كنتم خير أمة أخرجت للناس"؛ لأن بها دعوة للاستعلاء، الدعوة إلى تدخل الغرب وأمريكا في تجديد الخطاب الديني؛ لأننا لن نستطيع أن نفعل ذلك بأنفسنا.

واللافت للنظر أن المؤتمر اهتم أيما اهتمام بضرورة عدم معاداة الآخر، واعتبار ذلك محصلة للتعليم الديني في رأي البعض وآيات القرآن الكريم في رأي البعض الآخر، والغريب أن هؤلاء يتناسون أننا نحن الذين نتعرض لعنف وكراهية وتزمت الآخر الأمريكي والإسرائيلي!.

فمن الذي ينهب من؟!، ومن الذي يحتل من؟!، وهل لنا 2/1 مليون جندي مثلا يحتل بلادهم؟!، وهل فلسطين هي التي اغتصبت أمريكا مثلا؟!، وهل تنتشر قوات بلادنا وجنودنا في 60 دولة حول العالم مثلما تفعل أمريكا؟!، من الذي حدثت له المذابح طوال السنوات الماضية؟! وكذا الدعوة إلى تعاون الحضارات، وليس صراع

الحضارات... فمن الذي يفرض الصراع، ومن يرسل القوات والطائرات وحاملات الطائرات وصواريخ كروز على من؟!

وفي النهاية؛ فإن التجديد بالضرورة لا يعني الانبطاح !!

* رئيس تحرير مجلة المختار الإسلامي

===============

#مفارقات في مسألة الإسلام والعنف

جمال سلطان 1424/4/16

2003/06/16

المفارقة المدهشة والمؤسفة هذه الأيام فيما يتعلق بموضوع العنف وعلاقته بالدعوة الإسلامية أنه بينما بدأت الفعاليات السياسية والثقافية الغربية –الأمريكية والأوربية– تفرق بإلحاح وصرامة بين الإسلام وبين الحركات التي تمارس العنف، وهو إلحاح لوحظ تزايده مؤخراً ، مع زيادة التأكيد على أن الصراع ليس مع الإسلام وحضارته وثقافته وعقائده وشرائعه، وإنما الصراع مع الحركات التي تمارس "الإرهاب". أقول: بينما يحدث ذلك في الغرب "المسيحي"؛ نجد اللهجة بين المثقفين العلمانيين والمتغربين في العالم العربي "الإسلامي" تتزايد باتجاه اتهام الإسلام ودعاته وعقيدته وشريعته بأنه الرافد الأساس في وقائع العنف، وبالتالي يطالب هؤلاء "الحكماء" العرب بالضرب بيد من حديد على كل نشاطات الإسلام الدعوية والأخلاقية والفكرية وحتى العبادية ، ويصل الأمر إلى طلب مطاردة الآيات والأحاديث التي يدرسها الطلاب في المدارس والمعاهد، ومطاردة حتى المؤسسات الرسمية التي تقوم على جانب من جوانب حماية قيم الإسلام أو علومه، فتعرضت هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المملكة السعودية لهجمة منظمة من العلمانيين والمتغربين، وكذلك تعرض الأزهر في مصر لحملات عاتية تتهمه بالجمود ودعم الفكر "الغيبي" الذي يولد العنف والإرهاب.

المؤسف أن بعض الممارسات وصلت إلى حد الهستيريا ، مثلما حدث في موريتانيا، حيث أقدمت السلطات على اعتقال جميع أعضاء هيئة التدريس في المعهد العلمي الديني الرئيسي في نواكشوط ، وهو معهد تشرف عليه مؤسسات علمية خليجية

رسمية ذات احترام وسمعة أكاديمية وعلمية لا يرقى إليها الشك، وأعترف بأني ضحكت في البداية من فرط الجنون الذي حدث!.

يمكن تصور أن تعتقل أستاذاً أو مدرساً أو اثنين لأسباب مهما كان تكلفها وهشاشتها، أما أن يقدم "عاقل" على اعتقال "جميع" أعضاء هيئة التدريس في مؤسسة علمية، فهذا ضرب من الجنون الحقيقي، بطبيعة الحال هناك حكومات ومنظمات تنصيرية ترصد هذا الخطاب الغوغائي الجديد في الإعلام العربي وبعض مؤسساته الثقافية المتغربة، وهناك قلق قديم من تنامي الدعوة الإسلامية في أكثر من مكان في عالم اليوم، وهناك تقارير شائعة تتحدث عن أن الإسلام هو أوسع الديانات انتشاراً في الأرض الآن، وهذه فرصة تاريخية لضرب هذه الدعوة في مقتل، ووقف انتشار القرآن في جنبات الأرض؛ لأنه ما أسهل أن توصم كل لحية الآن بالإرهاب، وما أيسر أن تصف كل نقاب بأنه "خيمة إرهاب" وهكذا. ولم يكن ما فعلته " كمبوديا " في الأسبوع الماضي هو آخر هذه الجرائم، عندما شنت حملة مطاردة للدعاة المسلمين، وتهديد كل من دخل في الإسلام من الكمبوديين بأن سيف الاتهام بالإرهاب مسلط على رأسه، وقد قامت الحكومة بالفعل باعتقال العديد من الدعاة والمشايخ، وترحيل آخرين، وترويع المئات من المسلمين، حيث بدأ الإسلام في الانتشار على نطاق واسع في السنوات الأخيرة.

هناك بلاد تم تفريغها بالفعل ، مثل ألبانيا ، حيث أصبحت الآن مرتعاً خصباً لعشرات المنظمات التنصيرية، التي تحظى بدعم مؤسسات رسمية وشخصيات نافذة في المجتمع الغربي، من ضمنها: منظمات اليمين المسيحي الأمريكي الذي ينفق هناك مئات الملايين من الدولارات؛ لتصفية "الجيب الإسلامي" في خاصرة أوربا المسيحية. هذه الجرائم المتتالية يتم دعمها الآن من قبل "الأبواق" العلمانية والمتغربة والمنحرفة والمستهترة في العالم العربي، والمؤسف أكثر؛ أن أعلى الأصوات الآن في هذه "المؤامرة" تأتي من منطقة الخليج العربي، ثم انضاف إليهم مؤخراً مخلفات الماركسيين والمتفرنسين في المغرب بعد أحداث الدار البيضاء، والمؤسف أكثر أن مثل هذا الاعتداء على الإسلام وشريعته وقيمه، والمطالبة بحصار كل صوت إسلامي؛ إنما يصدر تحت ادعاءات بالغيرة على الإسلام وصورته في الغرب، رغم

أن هؤلاء هم آخر من يمكن تصور الحديث عن الإسلام أو الغيرة عليه من قبلهم، ومنهم –صحافيون ومثقفون– كانوا يباهون باحتساء الخمر علانية في نهار رمضان في لندن، ابتهاجا بقدوم "الشهر الكريم"، والشهود أحياء يرزقون!.

إن هناك محاولات غير أخلاقية من قبل البعض لاستثمار حوادث العنف (المدانة شرعاً وواقعاً)؛ لكي تتم تصفية حسابات قديمة مع الإحياء الإسلامي والصحوة الإسلامية، وتصفية بعض المؤسسات الدينية النشطة، والتي مارست دوراً رائعاً في العقود الماضية حماية للإسلام وقيمه وأمنه الاجتماعي، فضلا عن تصفية حسابات مع الدعاة والعلماء الذين سبق وتصدوا للمنحرفين دينياً وفكرياً وأخلاقياً، وكشفوهم أمام الأمة، وهناك تحريض علني يومياً –وفي تصاعد مستمر، وكأنه مزاد بين صحف وشخصيات– للحكومات لإعلان الحرب على الدعوة الإسلامية، ومطاردة الدعاة إلى الله؛ بدعوى محاربة الإرهاب، وتجفيف منابعه، رغم أن من يقولون هذا الكلام هم أول من يعرف أن مثل هذا التحريض هو السبيل الأرخص والأكثر نجاعة لخدمة الإرهاب، وتقديم العون الأدبي والنفسي والفكري لسلوكه الخاطئ.

هذا التحريض هو محاولة شيطانية لحرق الدار كلها، وإشعال الحرائق في ديار المسلمين، ومن ثم على جميع العقلاء في هذه الأمة أن تتضافر جهودهم للتصدي لهؤلاء الانتهازيين والمخربين والطابور الخامس الخفي للإرهاب ذاته، هؤلاء الذين لا تطرف لهم عين وهم يحاولون إشعال الحرائق في ما بين الحكومات وملايين الشباب المسلم الذي لا يعرف إرهاباً ولا يؤمن بعنف، فقط لكي يقف هؤلاء المتغربون المخربون على أطلال الخرائب كالبوم والغربان، ضامنين اتساع مكاسبهم الشخصية أدبياً وسياسياً وإعلامياً ومالياً، على حساب كل شيء وأي شيء، ومقدمين أنفسهم كخط دفاع أول للحكومات ضد "الإرهاب الإسلامي"، الذين هم – في الحقيقة والواقع – داعموه وممدوه بكل مثيرات الفتن والنيران.

إن الحقيقة التي يؤكدها الواقع والتجربة أن التطرف يغذي بعضه بعضاً، فتنامي التطرف العلماني والتغريبي في مجتمع؛ يولد تطرفاً مقابلاً في الجانب الديني، ولا توجد تجربة واحدة من التجارب المريرة التي مرت بها بعض البلدان في العقود الأخيرة كان فيها لهذا الفريق العلماني المتغرب دور في علاج مشكلات الغلو

الإسلامي؛ بل كان دورهم أشبه بمن يصب المزيد من الزيت على النار، لتزداد توهجاً واشتعالاً، وإنما حوصر العنف، وجففت منابعه بجهود الدعاة والعلماء، والخطاب الوسطي المعتدل، وكلما اتسعت مساحة العطاء والتأثير للخطاب الإسلامي المعتدل في المؤسسات الثقافية والدينية والإعلامية؛ كلما ضاقت المساحات المتاحة لأصوات التطرف والغلو، وحرمت المد الفكري والأدبي والإنساني حتى تلاشت أو أوشكت.

هذا هو الدرس الذي نحتاجه في هذه التحدي الجديد، قبل أن تجرفنا الأمواج بعيداً عن شاطئ الأمن والأمان والسلام الاجتماعي

=============

#منظومة الأمن الخماسية

عبد الله المبرد 1424/4/10

2003/06/10

الأمن الذي تتسابق الأمم إلى بسطه، وتتفاخر الحضارات باستقراره وضبطه لا يعني سلامة الأرواح والأموال فحسب؛ بل هو أعمق من ذلك وأشمل، حيث يعني توفير الطمأنينة للنفوس، وزوال الخوف، وعدم توقع المكروه. فالأمن في حقيقته تحرير للنفس والعقل والروح، وإطلاق لطاقات الإنسان، تخمد معه كل أسباب الخوف، وتموت بواعث القلق والترقب، وعلى قدر النجاح في تحقيقه ينمو الفكر، وتتفاعل الثقافة، وتروج التجارة، ويشيد العمران، وتزدهر المصانع والمزارع، وتسلك السبل، وتتقارب المسافات. وعلى قدر الإخفاق فيه؛ تجري الأمور عكس ذلك، وتتعرض كل منجزات الإنسان للانهيار والذبول بعد أن تصاب نفسه بالشلل، ويصاب عقله بالجمود.

ولأن الإسلام نزل ختاماً للأديان، وجاء ليمثل درجة النضج للحضارات الإنسانية، وليصوغ حياة الناس على نموذج يحقق لهم السعادة في حياتهم، وبعد مماتهم، فقد جاء هذا الدين حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه. فالأمن يسير مع الإسلام حيث سار كظل الشيء، ويحل حيث يحل، ويرحل حين يرحل.

وإذا كان القضاء على أسباب الخوف يعد من أكبر التحديات التي تواجه الأمم، فتختلف الاستراتيجيات في مقاومته والقضاء عليه؛ فالإسلام -كما هو منهجه- يعالج المشكلة بشمولية وتكامل، وسمو وتفوق، وبكل دقة ووضوح يحدد العناصر الضرورية التي بسلامتها يتحقق الأمن، ويسميها "الضروريات الخمس": (الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال). فأي تهديد لواحدة من هذه العناصر يُفقد الحياة طعم الأمن، ويجعل المجتمع نهباً للخوف ومضاعفاته، والظلم وتداعياته.

وتتجلى عظمة الإسلام وكماله في تعامله مع هذه المنظومة الخماسية بترابط وتوازن، حيث إن أية تهديد لواحدة منها يعرض بقيتها للانهيار، فهي بمثابة حبات العقد إذا انفرطت واحدة تتابعن خلفها.

والمعضلة الأمنية التي تواجه المجتمعات التي تتجاهل هذا الترابط أنها تتعامل مع هذه العناصر تعاملاً جزئياً انفرادياً، فتخول لنفسها تحت هاجس (الحرية) إهدار واحد من هذه العناصر -كالعقل مثلاً-؛ فتبيح الاعتداء عليه، ولا تمانع من تعطيل بعض الوقت بالمسكرات وغيرها، ثم تتفاجأ بعد ذلك ونتيجة حتمية له ؛بتعرض الدماء والأعراض والدين للتهديد. وتحاول تلك المجتمعات – عبثاً- أن تحافظ على تلك الأربع دون (خامستها)، وهذا التمثيل ينطبق على أي عنصر منها، بمعنى أنه لا أمن لأي منها إذا أُعتُدي على أحدها.

وللأصل الأول منها (الدين) موقعه المحوري بالاعتداء عليه يفصم المنظومة الأمنية، ويجعل الحياة بعدها معترك خوف وظلم وعنف وفوضى، وذلك من جهتين:

الأولى: أن الدين – بصرف النظر عن صحته وبطلانه – يقع من نفوس البشر في حشاشتها، ويجد له في قلوبهم حمية واستعداداً للدفاع عنه؛ بل والموت دونه، وذلك معروف في تجارب المجتمعات البشرية وتاريخها، فلا يطيب الموت (الاختياري) إلا دون الأديان أو ما يقوم مقامها – عند المجتمعات غير المتدينة- من المبادئ والأفكار والمعتقدات.

ومراعاة لهذه الطبيعة البشرية نهى الله- سبحانه وتعالى- عباده عن سب الذين يدعون من دون الله، رغم أنها أوثان وأصنام، ولربما صنع لها السباب قيمة لم تكن لها، ومع ذلك نهى الله عن سبها لأنه يستثير حمية عبدتها، ويهيجهم على العدوان،

ويشكل دون قلوبهم حاجزاً دون قبولهم الحق، أو حتى استعدادهم للحوار والنقاش، فالأفكار –وحدها– هي التي لا تعالج بالعنف والسخرية والتهم والشتائم؛ لأن ذلك يزيدها صلابة، ويكَّون حولها طبقة من الإعراض والصدود النفسي، ويزيد التحامها مع ذات أصحابها، فلا يبقها أمل للانفكاك عنها.

والثانية: أن الدين إذا كان حقاً – وليس غير الإسلام حق– فإنه في ذاته يتضمن نظاماً أمنياً عاقلاً على مستويات متعددة؛ ففيه من المفاهيم والاتجاهات والعقائد ما يربي النفوس السوية على الانضباط الذاتي من خلال (الترغيب والترهيب والتهذيب)، ومن خلال (التكريه) للاعتداء على الأديان والأنفس والأعراض والأموال والعقول؛ بل فيه نهي عن مجرد التخويف والترويع، وأية ممارسة من هذا النوع تعرض إسلام صاحبها للنقصان "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" بل ربما أخرجه ذلك من جماعة المسلمين، وأقصاه عنهم.

ويذهب الإسلام إلى أبعد من ذلك، بحيث يعزز مصادر الأمن، ويوفر الحياة والنماء بالإحسان إلى كل ذي كبد رطبة، وإغاثة الملهوف، وإعانة ذي الحاجة وردِّ الضالة، وغرس الأشجار، وإماطة الأذى عن الطرقات، ونشر الابتسامة والبشاشة، وإفشاء السلام، وتبادل الكلم الطيب ... إلخ.

وإكمالاً لذلك جاء الإسلام بنظام (جزائي تفصيل إجرائي) ويشكل قوة رادعة لمن لا يتجاوب مع المستوى الأول، وهذا النظام يمنح العناصر الخمسة حماية متكافئة وأهمية متقاربة، بحيث يؤدب المعتدي على النفس (بالقصاص)، والمتجرئ على الدين (بحد الردة)، والمعتدي على الأعراض (بالرجم أو الجلد)، والمتطاول على المال (بقطع اليد)، والمستهتر بالعقل (بالجلد) وربما وصل الأمر في كل ذلك إلى القتل (تعزيراً) في سائرها.

الشريعة وحدها هي التي تتقدم بهذا النظام الأمني المتكامل المتقن المترابط. فأي حد من سلطانها، أو انتقاص من صلاحياتها؛ يفضي إلى انهيار منظومة الأمن بكاملها، ويشل قدرتها على بلوغ أهدافها .

فإذا اتضحت هذه الوحدة العضوية بين عناصر الأمن الخمسة، وتجلى فيها موقع الدين المحوري؛ فإن ذلك يعرض علينا أن نتأكد من كفاية الحماية التي وفرناها لهذا

العنصر الرئيس، وأي قصور في هذه الحماية أو غفلة عنها يهدد النظام الأمني بأكمله، ولعل ذلك يفسر لنا الاحتقان الناجم عن الحديث الفج والتفاؤل العشوائي الذي يكوِّن شعوراً في المجتمع بالاستهداف لدينه وأفكاره ومبادئه ومسلماته، والذي يتمثل في المحاولات المحمومة لدحرجة المرأة المسلمة في منحدرات التغريب والاختلاط، والبرامج العبثية التي تستهدف تغيير إيقاع حياتها المحتشمة.

ويتضح في التهجم على المعاهد والجامعات الإسلامية والمؤسسات الدينية، والجمعيات الخيرية والدور والحلق القرآنية، ويتجسد في العبث بالمصطلحات الإسلامية والجرأة على الرموز التاريخية والعلمية للأمة.

وهنا تتضح طبيعة العلاقة بين ظاهرة العنف هذه والاختراقات الظاهرة لسياج الدين، ولعله يتضح أيضاً مدى التهديد الذي تشكله بعض الأقلام المستهترة حين تسخر من خلال المقالة أو الرسم أو القصيدة أو المشهد، أو بربط متعسف بين الدين وكل حادث مشين أو تصرف أرعن، علماً بأن هذا الربط في الغالب لا يجيء علاجا للمشكلة بقدر ماهو تصفية لبقية حسابات أو سالف مواقف، أو تنفيس عن حبيس مشاعر مريضة، وليس رفضا للعنف؛ بل مقاومة للتدين وكل لوازمه وما يتعلق به.

============

#دعاة الانقلاب على مصدر الشرعية

د. أحمد العمير 1424/3/18

2003/05/19

على إثر تسليم بغداد والاحتلال الأمريكي للعراق، بدأت بعض دول المنطقة تتعرض لضغوطات وتفاعلات داخلية وخارجية. وكانت السعودية من ضمن هذه الدول، مما أعاد للذاكرة المقولة الأمريكية التي رددتها مراكز دراساتهم والتي تقول أن العراق هو الهدف القريب والسعودية الهدف الاستراتيجي ومصر هي الجائزة الكبرى من هذه الحرب.

وانسياقاً مع المقولة وتفسيراً لها، نجد أن الأحداث قد تمخضت عن توثيق الصلات الأمريكية ببقية دول الخليج لمستويات أعلى مما كانت عليه من قبل، وتم التغاضي عن السودان، وتنامى التنسيق مع دول المغرب العربي بمافيها ليبيا التي تقدم

التنازلات التي تؤهلها للمرحلة القادمة، كما تم التهويش الدعائي ضد سوريا ولبنان وإيران في نفس الوقت الذي تتزايد فيه صور التنسيق والتعاون التي قد تتطور إذا قبلت هذه الدول بالتنازل عن خيار المقاومة وتوقفت عن شعارات التمرد على المشروع الأمريكي في المنطقة.

في هذا الإطار نستطيع تفهم سر التركيز على السعودية ومصر في المقولة السابقة، لما تمثلانه من ثقل ديني وسكاني وسياسي واقتصادي. والتعبير بأن مصر ستكون الجائزة يوحي بأن انسياقها وتسليمها الشعبي وليس فقط الرسمي سيكون نتيجة طبيعية للانسياق والتحول الشعبي مع الرسمي في السعودية.

وإذا تذكرنا أيضاً مبادرة باول للشراكة الأمريكية الشرق أوسطية، نجد أنها تمحورت في بحثها عن أسباب الكراهية لأمريكا في المنطقة ، على " خطيئتها الوحيدة " ...!! والمتمثلة في حصرها للتعامل والتعاون مع الحكومات وإقصاء وإبعاد الشعوب. ولذلك سيكون الحل – كما تطرح المبادرة – في إلزام الحكومات بإتاحة الفرص للإدارة الأمريكية وسفاراتها للتعامل مباشرة مع الأطراف والشخصيات الفاعلة في مجتمعاتها ومع المنظمات والهيئات غير الحكومية، ولكم أن تتخيلوا أي نوع من الشخصيات والهيئات سيتعامل معها الأمريكان.

تبعاً لذلك تزايد الحديث الإعلامي المكشوف عن لقاءات مع أعضاء السفارة الأمريكية في السعودية، بعد ان كان مجرد التفكير في ذلك سابقاً من المحرمات.

ومحصلة هذه المبادرة أن المطالب الأمريكية للتغيير في هذا البلد والتي تعاظمت بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م ، لن يحتاج الأمريكيون لمتابعتها بأنفسهم، بل ستكون الأطراف المحلية "الوطنية" هي من سيقوم بهذا الدور، وستمارس الضغط المباشر وغير المباشر على صاحب القرار وعلى الأوضاع الاجتماعية لتمرير الأجندة الأمريكية التي تتبناها وتؤيدها هذه الأطراف. وذلك من خلال تملكها لزمام الإعلام في هذا البلد وتملكها للعديد من مفاصل القوة فيه.

ولقد تم تأجيل الخطوات التنفيذية لهذه المبادرة ومايتفرع عنها في الجوانب الدينية والاجتماعية والتعليمية والسياسية، إلى حين الانتهاء من حرب العراق حيث كانت المشاعر والعواطف ملتهبة والنتائج غير محسومة بعد. أما وقد انتهت الحرب

بانتصار أمريكي ظاهري، تم الترويج له بآلة إعلامية ضخمة، فإذاً لابد أن يبدأ التنفيذ.

وبدأت خطواتها في السعودية من خلال حملة إعلامية متناغمة مترابطة على بعض الرموز الدينية في المملكة، ثم توسعت لتشمل التوجه الديني بعمومه ونظام التعليم في هذا البلد وليس الرموز فقط . وأصبح يكمل بعضها بعضاً فالذي لاتستطيع تناوله هذه الجريدة أو القناة أو الإذاعة لحساسيات معينة، تتناوله الأخرى وهكذا حتى شملوا بحملتهم أغلب الوسائل والأجهزة الدينية التي ميزت هذا البلد لسنوات طويلة، تهيئةً للنفوس ربما للتغيير القادم.

في ظل هذه الأجواء أعلنت وزارة الداخلية السعودية في 1424/3/6هـ عن ضبطها لكميات من المتفجرات والأسلحة في منزل بحي أشبيلية شرق الرياض أثناء تعقبها لبعض المطلوبين والذين لاذوا بالفرار، وتم الإعلان عن أسماء وصور تسعة عشر شخصاً من هؤلاء المطلوبين. وبعد خمسة أيام وقعت تفجيرات الرياض الضخمة.

ولقد عاشت السعودية أجواءاً إعلامية شبيهة بما عاشته الولايات المتحدة في أعقاب هجمات الحادي عشر من سبتمبر، مع الاختلاف في الحجم والنتائج. وكانت تداعيات الحدث والحوارات الناشئة عنه ذات خطر كبير.

وفيما يلي تناول لبعض هذه التداعيات من خلال المحاور التالية:

أسئلة حول ظروف الحدث:

ثارت بعد هجمات 11 سبتمبر في أمريكا تكهنات وأسئلة عن كيف دخل هؤلاء المنفذون رغم التحذيرات والتوقعات الاستخباراتية المسبقة. ومن الممكن أن تثار أسئلة أخرى هنا في المملكة :

- كيف يستطيع هؤلاء المنفذون من إدخال هذا الكم الضخم من المتفجرات والاحتفاظ به في مواقع مختلفة داخل المدينة، بل ويتمكنون من تنفيذ عملية التفجير بعد أيام فقط من ضبط كميات ضخمة من المتفجرات والأسلحة.

- كيف يتمكن هؤلاء الملاحقون والمحاصرون من تحديد أهدافهم، ومعرفة تفاصيل هذه المجمعات وأماكن سكن القوات الأمريكية، وتحديد المكان الأكثر تأثيراً في المبنى عند وضع السيارة المفخخة، مما يضطر الأطراف الأمريكية للاعتراف بمهارة

ونوعية التخطيط والتنفيذ. كيف يستطيعون كل ذلك وهم في مثل الحالة المذكورة سابقاً، وتنظيم القاعدة يمر بضغوطات وملاحقات عالمية.

– كيف يمكن الجمع بين العملية النوعية في مجمع شركة فينيل بحي الجنادرية، مع العملية الصاخبة في مجمع الحمراء بحي غرناطة، والمتضمنة لإطلاق نار على السكان!!؟ ودون أن تستهدف أحد من الأمريكان الذين لانعلم إن كانوا يقيمون في هذا المجمع أم لا ؟!

– قيل في البداية أن المنفذين خمسة عشر من التسعة عشر السابقين وأن الحدث وقع في الحادي عشر من ربيع الأول، في مقارنات إيمائية مع أحداث سبتمبر. كما قيل إن جثث تسعة منهم وجدت متفحمة (...). والسؤال كيف استطعنا تحديد عدد الخمسة عشر إذاً، وأين ذهب الستة الباقون وكيف عرفنا وجودهم وعددهم وهربهم إن كانوا هربوا !؟

– عرفت الأجهزة الأمنية في السعودية بأناتها وعدم تعجلها في الأعلان عن أي عملية جنائية أو إرهابية في البلد، فلماذا كان الاختلاف هذه المرة، والتصريح مباشرة باتهام القاعدة والتكهن بأن الخمسة عشر المتهمين هم من التسعة عشر المطلوبين سابقاً، علماً أن أحد هؤلاء قد سلم نفسه وتم الإعلان عن أن دوره ثانوي. فما مبررات هذا الإتهام المباشر والسريع إذاً ، والذي أيضاً أعلنه وزير الخارجية الأمريكي بعد ساعات من الحدث وقبل وصوله للرياض!!؟

خصوصاً أن الموقف السعودي أيام هجمات 11 سبتمبر كان رافضاًَ للاتهامات المباشرة ومطالباً بانتظار الأدلة، بل وحتى بعد شهور من الحدث لم تستبعد الأطراف السعودية وجود أيادي دولية وراء العملية برمتها.

فالسؤال لماذا لانكرر نفس المنهج مع هذه القضية أيضاً !؟ ونستمر في مبدأ عدم إطلاق الاتهامات إلا بعد ثبوت الأدلة.

ردة الفعل تجاه تفجيرات الرياض

رغم اتفاق الأكثرية على رفض هذه الأعمال وشجبها وإدانتها، إلا أن اللافت للنظر هو أن الموقف السعودي اختلف تماماً عما كان عليه أيام هجمات 11 سبتمبر.

كنا نرفض مقولة إما معنا أو مع " الإرهابيين"، فإذا بنا نكررها ذاتها. كنا نعتبر من التجني والظلم إلقاء التهمة والمسؤولية على الدين أو البلد الذي ينتمي إليه المنفذون، واليوم نلقي اللوم ونحمل المسؤولية كل المتدينين في البلد وبنفس الأسلوب. كنا نطالب الأمريكين بالبحث عن الأسباب التي دفعت هؤلاء للقيام بما فعلوه، واليوم نحن لانسمح حتى ولا بمجرد التفكير فضلاً عن الحديث عن شيء من الأسباب، ونعتبر كل ذلك من التبرير الخطير لهذه الأعمال، بل ونعتبر من يقدم هذه الأسباب الموصوفة " بالتبريرات" أنه ممن يحض على هذه التفجيرات ويشجع عليها .

ألا يعتبر هذا من ازدواجية المواقف. أليس الأولى بنا أن نتذكر ما كنا نطالب الأمريكان به ونبدأ بالتفكير العقلاني والمنطقي في هذا الحدث ولماذا يستمر من يتهمون بتنفيذه في تكراره، ماهي دوافعهم وماهي قضيتهم، لما لانرد عليها بالحجج والبراهين حتى نتجاوز عملياتهم ونتفادى تكرارها، بدل الأسلوب الأمريكي في التفكير الذي يروج له من يروج في بلدنا رغم أن فشله في علاج هذه الظاهرة قد ثبت بشكل متكرر.

توسيع الحملة الإعلامية على الدين وأهله

تلك الحملة الإعلامية غير المنصفة وغير الموضوعية، المتجنية على الدين وأهله، والتي بدأت قبل التفجيرات بأسابيع استفحلت وتوسعت وتجرأت بطريقة غير مسبوقة في هذا البلد. وأصبح المجال يفتح لأسماء غير معروفة إلا بعلاقاتها السابقة بالتيار الديني واختلافها معه. فأطلق لها العنان مع رموز التغريب في البلد وخارج البلد ممن يحتكرون وسائل الإعلام ويمثلون جزءاً من الأطراف" الوطنية" التي تستجيب وتتفاعل مع الأجندة الأمريكية لهذا البلد.

هذه الحملة – في تقديري- لاتقل خطورة في تطرفها عن هذه التفجيرات، بل إنها تمثل إرهاباً حقيقياً يفجر نسيج هذا المجتمع وينقلب على مصدر شرعيته. وتفجير الأفكار والقناعات والأخلاق أشد وأنكى أثراً من تفجير الأجساد و المباني.

ولقد تركزت رسائل أرباب هذه الحملة الشعواء في النقاط التالية:

1. بذرة التكفير والتفجير محلية وليست خارجية ولا بتأثيرات خارجية. بل تجرأ بعضهم ونسب ذلك لعلماء الدعوة النجدية ولتراثهم العلمي، الذي لا تزال البلد تعتبره مرجعية لها.
2. الخطاب الديني في البلد بكافة أطيافه هو المسؤول عن هؤلاء وهو المحرض لهم.
3. التعليم الديني الرسمي، في التعليم العام وفي مدارس التحفيظ وحلقات التحفيظ في المساجد والذي لا تزال البلد ترعاه وتدعمه، هو المسؤول عن هذه النتائج.
4. "التيار الديني" انعزالي وغير متسامح وضيق الأفق ولايقبل بالآخر ولايتعاطى مع الأوضاع المحلية فضلاً عن العالمية.

هذه هي رسائلهم المهمة ولاتسأل عن المفردات والصياغات التي نترفع عن الحوار معها، أو الرد عليها. وليس من المبالغة في شيء لو قلنا أن ماسبق يمثل إنقلاباً حقيقياً على مصدر الشرعية والوجود والهوية لهذا البلد، فهل سيستمر البلد في السماح لهؤلاء بهذه الحملة!؟.

كما أنهم روجوا لردة الفعل "الأمريكية" على حدث تفجيرات الرياض والتي أشرنا لها في الفقرة السابقة. لكن المضحك أن بعض كتاب الصحف وبعض ضيوف القنوات خالفوا تقييد الحريات الاجتماعية والفكرية والإعلامية التي فرضتها أمريكا وعاش شعبها بسبب ذلك تغيراً ملفتاً ومعاناة، لكن إدارة الأمن الداخلي الجديدة أقنعت الجميع بأهمية ذلك خصوصاً إذا تبين أن المتضرر منه بالدرجة الأولى هم الأمريكيون المسلمون.!. الإعلاميون لدينا على غير العادة خالفوا هذا التحول الأمريكي الطبيعي في ظل الضغوط الأمنية، وطالبوا بإطلاق الحريات في السعودية ...!!! مما يدعو للسخرية والشفقة فهؤلاء القوم لا يتركون فرصة دون توظيفها لخدمة أهدافهم غير المعلنة، حتى لو أوقعهم ذلك في التناقض . وكأن الحرية قد منعت العمليات الإرهابية عن "بلد الحريات" ، إلا إن كانوا يقصدون إطلاق الحريات لهم وتضييقها على غيرهم كما حصل في أمريكا...!!.

الأزمة التي يواجهها أهل العلم والدعوة

تعرض رموز العلم والدعوة في هذا البلد لضغوطات متتالية من وسائل الإعلام المحلية والمهاجرة ليحددوا موقفهم ويعلنوا شجبهم وإدانتهم للحدث، في نفس الوقت الذي تمتليء فيه هذه الوسائل بحملات التشويه والتجني على هؤلاء الرموز.

وموقف العلماء والدعاة لايأتي ولاينبغي له أن يأتي انفعالياً ومتعجلاً، ولا أن تحركه وسائل الإعلام. وهذا الموقف معروف ومعلن منذ سنوات، فما الحاجة لتكراره الآن خصوصاً إذا تذكرنا أن العلماء ليسوا طرفاً سياسياً حتى يطلب منهم تحديد مواقفهم بأسرع وقت من وقوع الأحداث والتغيرات. بل هم هداة ومسددون لمسار المجتمع ويقدمون توجيهاتهم واجتهاداتهم قبل وبعد الأحداث للالتزام بها ولأخذ العبر والدروس منها. والحفاظ على دورهم ومكانتهم صمام أمان بإذن الله من هذه الشرور.

لكن الأزمة الحقيقية التي يعيشها أهل العلم والدعوة في هذا البلد أعمق بكثير من هذه الضغوطات أو الإساءات من هذه الجهة أو تلك، وفي تقديري أن هذه الأزمة هي أحد أهم الأسباب التي تزيد من تفاقم المشاكل في السعودية، ومنها مشكلة التطرف والغلو وتتركها دون حل حقيقي.

ويمكن تلخيص أبعادها في النقاط التالية :

1. الموقف الرسمي غير القابل لطروحات الشخصيات الدينية بدعوى رفضها لبرامج التحديث والتطوير للبلد وعدم فهمها للمتطلبات الدولية، تلك الدعوة التي يبدأ فيها ويعيد رموز التغريب المتنفذين.

2. التذمر الرسمي من اتساع طيف وتباين مواقف ومطالب ما يوصف "بالتيار الإسلامي" وهو في الحقيقة كيان واسع ممتد يشمل القطاع الأكبر من أهل البلد. في الوقت الذي يشتكي فيه هذا الكيان من دور التعامل الرسمي في خلق هذه الانقسامات وهذا التباين الذي يعقد المسألة.

3. عجز الكيان الإسلامي الواسع في هذا البلد أن يقدم قضيته بشكل واضح ومقنع لصاحب القرار، وأن يتمكن من طرح مطالبه بهدوء وأناة وثبات متصاعد. دون أن يضطر لتقديم التنازلات أو المراجعات إذا كانت تتعارض مع جوهر رسالته ودعوته، ولا أن يتردد في الاستجابة للمراجعات الضرورية والتي لاتؤثر في حقيقة دعوته.

4. الجماهيرية الواسعة التي يحظى بها أهل العلم والدعوة في هذا البلد المحافظ بطبعه، ويشهد بذلك بعض العقلاء في المجتمع الذين يرون على سبيل المثال أن أي انتخابات في هذا البلد ستأتي بهذا "التيار" دون سواه. وهذه الشعبية والجماهيرية هي مايخيف خصومه منه، لكنها في نفس الوقت تخلق أزمة لأهل العلم والدعوة بنوعية المطالب العاطفية الحماسية التي تنادي بها الجماهير دون أن يتاح لهم أي وسيلة جماهيرية واسعة لترشيد المسار وتعديل الاجتهادات.

5. الإقصاء المستمر للكيان الإسلامي وطاقاته وكفاءاته عن أي مشاركة حقيقية في أجهزة البلد القيادية المختلفة، وعن الأخذ برأيه في العديد من أوجه الحياة وسبل الإدارة والتوجيه للمجتمع. في نفس الوقت الذي يتزايد فيه منح الفرص والمراكز لطاقات وكفاءات ما يسمى بالتيار التغريبي الليبرالي.

6. التعامل الانتقائي مع أهل العلم والدعوة، بمعنى أنه حين تكون عجلة المجتمع ووتيرة استقراره تسير بانتظام كما رسم لها، يتم نسيان هؤلاء أو تناسيهم، كما يتم التغاضي عن التيار التغريبي وهو يشن حملات التشويه والاتهام والتجني بحقهم. ثم إذا حدثت الأزمات -كحادث التفجير في الرياض- يطالب أهل العلم والدعوة المستقلون وبإلحاح أن يكون لهم دور ومشاركة لكن بشرط أن يلتزموا بما يرسم لهم من دور وبالحدود المتاحة وفي التوقيت المتاح.

هذا التوظيف الانتقائي تحديداً يمثل أكبر العوائق في طريق أهل العلم والدعوة لو أردنا حقيقةً منهم أن يساهموا في العلاج والإصلاح.

7. هنالك عدد من الأخطاء السياسية والاجتماعية والثقافية والإعلامية والاقتصادية في إدارة الشأن العام للبلد، وأهل العلم والدعوة يحاولون أن يبينوا مواقفهم من هذه الأخطاء ويقدموا مطالب بتعديلها بالوسائل المتاحة لهم، لكن تأخر الاستجابة لها، والاستمرار في التجاوب مع الطروحات والمطالب التغريبية في الشأن العام، هو أيضاً من معالم الأزمة ومما يزيد من الحرج الذي يواجهه أهل العلم والدعوة أمام الناس المنتظرين لدورهم وأثرهم وكلمتهم. كما أنه في نفس الوقت يضاعف من "المبررات" التي ترددها الأطراف التفجيرية وتدعي أنها مبررات.

وبناءاً على هذه الخلفيات، فلن يكون من المبالغة في شيء الإشارة إلى أنه مالم تتغير هذه الأبعاد ويتغير أسلوب التعامل مع الكيان الإسلامي الضخم، ومالم يتمكن هذا الكيان من تغيير وتطوير واقعه ومعالجة ثغراته فلن تهدأ الأمور ولن تستقر الأوضاع.

فكيان بهذا الامتداد التاريخي وبهذه القوة العلمية والحضور الميداني ويعيش في أرض تمثل عرينه الأول ويتحرك في منطقة نفوذه الأساسية لن يكون من السهولة تجاوزه أو تهميشه وأي محاولة في هذا الإطار ستنتهي بالصدامات والأزمات.

وفي نفس السياق لابد من احترام وتفهم إصرار هذا الكيان على العرض الشامل عند نقاش وتناول أحداث التفجيرات وأمثالها، بما يتضمن الخلفيات كلها. فالقضية ليست مجرد الإدانة والرفض والتجريم فحسب. بل المنطق يقضي بالبحث في الأسباب والدوافع حتى لاتتكرر الأحداث.

وسيكون من الخطأ الفادح في هذه المرحلة من تاريخ البلد أن يتم الاستجابة لدعاة الحل من خلال الانقلاب على مصدر الشرعية والهوية والوجود لهذا البلد، فليسوا والله بناصحين للبلد ولامريدين لنجاته.

والمنتظر لحل الأزمة – بعد لطف الله وعنايته- سيكون من أصحاب الشأن في البلد إذا أيقنوا أن مواجهة ضغوط الخارج لاتكون فقط بالاستجابة لها ولا بالتعامل فقط مع أنصار هذه الضغوط في الداخل، ومن الكيان الإسلامي نفسه إذا أيقن أن دوره وحجمه ومشاركته تقاس بما يستطيع هو أن يقنع الآخرين به وبما يثبته هو من صواب وخيرية رسالته وبما يقدمه هو من خطوات وبرامج ومشاريع محلية واسعة الانتشار والقبول يعالج بها أخطاء الماضي ويبشر فيها بمستقبل مختلف بإذن الله.

=============

#حرب العراق..هموم مستقبلية (2/1)

جمال سلطان 1424/2/21

2003/04/23

النهاية المدهشة التي انتهت بها حرب الولايات المتحدة في العراق، بهزيمة سريعة منكرة لصدام حسين ونظامه السياسي وتاريخه الدموي الاستبدادي، أفرزت الكثير من

الدلائل، وجلت العديد من الحقائق التي طمرت في خضم العواطف الإسلامية التي تعصف بالوجدان المسلم كلما واجه آلة التجبر والاستكبار الأمريكية في أي بقعة من ديار المسلمين، والذي يهمنا الآن بعد انقشاع غبار المعارك والخيانات، أن نشير إلى أنه بقدر ما يكون تأمل الأحداث والأسى تجاهها، وتحليل جوانبها المختلفة مطلبا ضروريا ورشيدا، بقدر ما يكون تجاهل المستقبل واستشرافه . على وجه العجلة وبصفة الأولوية للتفكير الإسلامي . خطيئة سوف تورثنا المزيد من المهالك ما لم نتداركها، ومن أجل هذا التوازن بين تأمل ما حدث واستشراف ما وراء الأكمة، كان هذا الجهد . غير المكتمل . الذي تحمله تلكم الورقة .

حقائق

في تقديري أن أولى الحقائق التي ذكرتنا بها الموقعة الأخيرة هي أن صدام حسين صناعة أمريكية في الأساس، هم الذين أتوا به وحموه، وهم الذين أفشلوا كافة الخطط التي قام بها الشعب العراقي وهدفت إلى الخلاص منه، وتآمروا معه ، وللدرجة التي اعترف فيها القادة الأمريكيون –وهم يعانون في جنوب العراق في بداية الحرب– من أن المشكلة في أن الناس غير مقتنعين بمصداقيتنا في خلع صدام، ويرون أننا سنغدر بهم ونتركهم فريسة له كما فعلنا في السابق، والأمريكيون هم الذين وقفوا وراءه بكل ثقلهم عندما دفعوه إلى إعلان الحرب على إيران، وهم الذين زودوه بالسلاح الكيماوي الذي حسم به الحرب وأرغم الإيرانيين على الصلح، وهم الذين أغروه بفعلته الحمقاء عندما غزا الكويت في تصرف عنتري بائس يفتقر إلى أبسط معاني الإحساس بالمسؤولية، ثم وقفت القوات الأمريكية على حدود الكويت رافضة أن تنزل به العقاب رغم أن العالم كله كان معها آنذاك، كما أن التاريخ الحي سجل لنا أن أمريكا وبريطانيا وفرنسا، هم من تستروا على إجرام صدام ودمويته وقمعه الرهيب لشعبه بما في ذلك استعماله أسلحة دمار شامل ضد شعبه، والقصص في هذا الشأن سارت بها الركبان، فلم يعرف العرب في تاريخهم الحديث حاكما في دموية وإجرام صدام حسين وعصابة البعث، كما تشهد على كبره وغطرسته وتجبره " أوثانه " التي زرعها في كل مدينة عراقية تألها على شعبه وبثا للرعب والخوف في قلوبهم من أي معارضة له ولو كانت همسا، والمقلق أن البعض منا نسي أو تناسى كل ذلك،

وافترض أن الرجل تاب وأناب وحمل راية الإسلام من جديد، لمجرد بعض الشعارات التي أتت في لحظة الإحاطة بفرعون " آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين " .

قد يحاول بعضنا الآن أن يقول: إنه لم يكن يدافع عن صدام وإنما عن العراق وأرض الإسلام، وربما كان فينا ذلك الرجل، ولكن ما عايشناه وخبرناه –حتى من نخبة من أهل العلم– كان غير ذلك، لقد خدعنا، ثم باعنا الطاغية وباع بلاده وحضارتها لقوات الاحتلال مقابل أن ينجو بأولاده وعصابته والمليارات التي نهبها، في تواطؤ فاضح مع قوات الاحتلال التي ما زالت تزعم . للتعمية . أنها تبحث عن صدام ومن معه !!، ولو كنا جادين ومبادرين في وقوفنا مع العراق الشعب والحضارة، لكنا وقفنا . مبكرا . ضد هذا الطغيان، وأعلنا راية الجهاد . ولو باللسان . ضد القمع والاستبداد، ولكنا . نحن الإسلاميين . كنا في شغل آخر، نبحث في زلات سيد قطب، وغرائب الألباني، وهفوات بن باز، وعجائب القرضاوي، وأصبح الواحد منا أستاذ عصره في الجرح والتعديل، وملأنا الدنيا ضجيجا فارغا على هذا النحو، ونسينا رسالتنا الحقيقية، والأمانة التي لا تغادر عنق أي واحد منا، لم ننصر مستضعفا، ولم نضرب على يد طاغية ، ولم نرفع راية الحرية، ولم نتقدم طليعة أمة نحو الكرامة الإنسانية التي قررها الحق –تبارك وتعالى– في كتابه " ولقد كرمنا بني آدم "، وأنا هنا أتحدث عن مجمل الحالة وليس عن استثناءات مشرفة هنا أو هناك، لقد تركنا مساحات كبيرة من الفراغ فيما هو خطير وحال، بينما أضعنا أوقاتا وجهودا فيما لم نكلف به، بل تكلفناه .

دروس الموقعة

يأتي في طليعة الدروس المستخلصة من هذه الواقعة، إدراك أن الشعوب هي التي تحمي وجودها وأوطانها طالما التحمت مع قضاياها، وكانت الملاحظة مذهلة أن بعض الشباب العراقي ومعهم شباب إسلامي من بلدان أخرى هم الذين خاضوا المعارك الكبرى في أم قصر والبصرة والناصرية والكوت وغيرها، وكبدوا العدو خسائر فادحة وأذهلوه ببسالتهم وأوقفوا تقدمه طوال ثلاثة أسابيع، بينما جحافل صدام وحرسه الجمهوري سلموا العاصمة إلى الأمريكيين في يومين اثنين دون قتال، فالذين

ينشأون على العبودية لا يصلحون لمعارك التاريخ الكبرى، والذين يدافعون عن " شخص " غير الذين يقاتلون عن دين ووطن، وهذا درس للشعوب، وللنظم الحاكمة أيضا، فإن الشعب يكون داعما لنظامه السياسي عندما يستشعر أنه يعبر . حقيقة . عن اختياره، وهويته، ويحترم حرياته وكرامته، وعندما يشعر " المواطن العادي " أنه شريك حقيقي في صناعة مستقبل بلاده، وأما خرافة أن نظاما مستبدا مجرما يصنع قوة عسكرية مهابة، ويؤسس دولة تحمي الوطن وتؤمن مستقبله، فهذه خرافة سقطت مع سقوط أول أصنام صدام حسين في بغداد، ومن توابع هذه الحقيقة ندرك أن العراق والشعب العراقي لم يهزما، وإنما المهزوم هو نظام صدام حسين الذي سبق له أن أهان العراق وشعبها وهزمهما وأطاح بكرامة الإنسان العراقي، قبل أن يأتي الأمريكان أو غيرهم، إن معركة أمريكا لم تكن أبدا مع الشعب العراقي ، وإنما كانت مع نظام صدام ، وعندما تأتي ساعة المواجهة والمعركة الحقيقية بين الشعب العراقي وأمريكا ، سيرى العالم صورة مختلفة تماما ، ولن تقوى لا أمريكا ولا غيرها على هزيمة إرادة شعب مقاوم، هكذا علمنا التاريخ، وهكذا كان درس أمريكا ذاتها في أكثر من مواجهة على مستوى العالم .

الدرس الثاني : هو ثبوت حاجة الإسلاميين إلى وعي سياسي كبير ومتواصل مع الحدث المحلي والإقليمي والدولي، والوعي السياسي يأتي من أحد طريقين : الممارسة السياسية الفعلية من خلال المنابر السياسية المتاحة كأحزاب أو منتديات سياسية أو جماعات ضغط أو صحف وما شابه ذلك، أو من طريق البحث والدراسة في العلوم السياسية والتاريخ السياسي وما يتصل بها، والحقيقة أن قطاعا كبيرا من الإسلاميين يهلكون وقتا كبيرا في دراسات شرعية متخصصة لا تتمخض عن قيمة عملية لهم، سواء كدعاة أو فقهاء أو علماء أو حتى مفكرين، في حين يتم تجاهل التربية السياسية المناسبة، رغم أنها هي التحدي اليومي الذي يواجه الإسلاميين كقوة سياسية أو شعبية أو حتى تربوية وأهلية، والفراغ الكبير في وعي الإسلاميين السياسي يحرمهم من ترجمة وجودهم القوي جماهيريا إلى مكاسب دعوية وإصلاحية وسياسية محليا ودوليا ، لأن الجهود تصب في عماية أو تهدر في خواء، ولا توجد رؤى وآفاق

متكاملة ومتوازنة تدرك قيمة كل خطوة، فضلا عن موازنات السياسة المحلية والإقليمية والدولية وهذا خطأ كبير .

الدرس الثالث : وهو موصول بما سبق، وهو حاجة العاملين للإسلام إلى جهد مؤسسي واسع ونشط في مختلف أصعدة ما يسمى " بالمجتمع الأهلي "، بدءاً من الجهود الكبيرة والفعالة على صعيد الإعلام بمختلف صوره وأشكاله، مرورا بالمؤسسات الحقوقية التي تنهض بنصرة المستضعفين خاصة من أهل الإسلام بأساليب أكثر عصرية ونفاذا في الواقع الدولي الحالي، فضلا عن مراكز البحث والدراسات الرصينة وذات الإمكانيات العلمية والإنسانية والمادية العالية، والتي تمثل مرجعية للعقل المسلم والجهد المسلم في فهم الواقع واستشراف المستقبل، وبشكل عام فإن معظم قطاعات " الأنشطة المدنية " تمثل نقاط فراغ هائلة في الحالة الإسلامية، مما يجعل العقل الإسلامي إما مغيبا عن حقائق الواقع وتحدياته، أو أسيرا لرؤى ومفاهيم وتوجهات أخرى تتسرب في عقله ووجدانه بخفاء ويسر .

الدرس الرابع : هو ضرورة تحجيم النزعات العاطفية لدى التيار الإسلامي في مواقفه تجاه النوازل الجديدة الحالة بالأمة، ولا أقول تجاوز العاطفة؛ لأنها قيمة إنسانية وشرعية مهمة ودافعة لحيوية أي عمل ونشاط، ولكن المشكلة تأتي من انفراد العاطفة بتشكيل الموقف، وإنما تأملات العقل والخبرة السياسية والدعوية والحسابات الدقيقة للمواقف من شأنها أن توفر الكثير من الطاقات الإسلامية المهدرة، وأن تجعل الجهد الإسلامي أكثر فاعلية وتأثيرا وإثمارا، وفي الموقف الأخير من أحداث العراق، ومع الإعزاز الأمين للموقف الأخلاقي الرائع لبعض الشباب الإسلامي الذي ذهب للقتال في العراق ضد الغزو الأمريكي، والقيمة الرمزية الكبيرة لهذا العمل، إلا أن " القيمة العملية " لم تكن مناسبة ، ولا أقول خاسرة، وربما كانت الحسابات الأصح تجعل توقيت هذا الدعم بعد ذلك وليس قبل الحرب، حيث تتجلي المواقف خاصة وأن النظام الذي يحكم هناك ليس إسلاميا بكل المقاييس، وليس أمينا ولا شريفا بشهادة التاريخ، وربما كان الأمر بحاجة إلى "ضمانات" سياسية تحول دون تحول الشباب الإسلامي إلى " ضحية " لغدر هذا أو ذاك، وربما كانت هناك صيغ أخرى لدعم الشعب العراقي أكثر قيمة مما كان، ولا شك في أن الدور المستقبلي للدعم الإسلامي

للعراق سيكون أهم مما قدم أثناء الحرب، بل ولعله يكون حاسما في تشكيل مستقبل هذا البلد العريق .

إيجابيات الحدث

الذي لا شك فيه أن هذه الأحداث لم تخل من إيجابيات لا ينبغي أن نغفل عنها في خضم تأملنا لمأساة الشعب العراقي ومأساتنا معه، وأهم هذه الإيجابيات على الإطلاق هي خلاص الشعب العراقي والأمة بكاملها من أحد أعتى النظم الديكتاتورية التي عرفتها في تاريخها الحديث، لم يكن صدام حسين والبعث مجرد حكومة مستبدة وظالمة، بل كانت كارثة على العراق والعرب والمسلمين، ولنكن صرحاء، فإن صدام حسين وزمرته كان من المستحيل نزعهم من العراق والمنطقة إلا بهذه الطريقة، رغم كراهيتنا البدهية له، فقد تمكن هذا الطاغية مع ولديه وزمرته من نشب أظافر الجبروت في الجسد العراقي بصورة مخيفة ومروعة، وكان العجز الشعبي عن التغيير واضحا على مدار السنين والمحاولات، وبعض هذا العجز كان بتواطؤ قوى غربية مع نظام صدام ، بمن فيهم الولايات المتحدة، التي طالما تواطأت معه ضد شعبه وجيرانه، إن خلع صدام من أرض العراق هو حدث إيجابي كبير، يمكن للأمة وللشعب العراقي . لو عزمنا وأحسنا التصرف . أن نجعله بداية نهار جديد في العراق يعيده مركز إشعاع علمي وديني وثقافي وحضاري للأمة جميعا، وحتى إذا عجزنا على المستوى السياسي لسنوات مقبلة بفعل الاحتلال الأجنبي والهيمنة الأمريكية، إلا أن مساحات كبيرة من العمل الأهلي والتربوي والدعوي والثقافي والخيري، يمكن أن تغير وجه العراق، وتعيد بناءه إنسانيا من جديد، فهل نحن فاعلون؟ .

أيضا من إيجابيات هذا الحدث هو تحول الولايات المتحدة إلى " منبوذ " العالم الأكبر، على مستوى الشعوب وعلى مستوى الحكومات، ولقد أصبحت الولايات المتحدة لأول مرة في تاريخها تواجه عزلة عالمية مذهلة، صحيح أن الإدارة اليمينية المتعصبة الآن تحاول تجاهلها، إلا أن هذا لا يغير ما يراه العالم كله، وهناك قناعة الآن بأن أمريكا تشكل خطرا على السلام العالمي، وتمثل إدارتها اليمينية المتطرفة الحالية كارثة على مستقبل الإنسانية كلها، وهذا مكسب مهم تتعدد أبعاده، وتتعدد السبل والوسائل والاتجاهات التي يمكن الإفادة منها لصالح قضايانا المصيرية .

معالم مستقبلية :

في استشراف معالم المستقبل ، يكون من الصعوبة بمكان وضع تصور محدد لها ، لأن الحالة ما زالت متحركة وغير واضحة المعالم ، ولكن هناك إشارات متعددة يمكن منها استخلاص بعض هذه المعالم التي هي في طور التشكل ، الإشارة الأولى: هي بداية ظهور ما يمكن تسميته بالمستنقع العراقي الذي ستتورط فيه الحكومة الأمريكية ، وذلك من خلال عمليات عسكرية متقطعة تمثل حرب استنزاف ، اعترفت بها القيادة العسكرية لقوات الاحتلال ، وسط العديد من القتلى والجرحى على مدار الأيام التي أعقبت إعلان انتهاء المواجهات العسكرية الكبرى ، وهذا التطور من شأنه أن يبلور مع الوقت نواة لحركة مقاومة عراقية منظمة ستحيل الوجود الأمريكي هناك إلى جحيم لا يطاق ، وربما كان في الطلب المفاجئ الذي وجهته الإدارة الأمريكية إلى أكثر من ستين دولة في العالم لإرسال قوات لحماية الأمن الداخلي في العراق مؤشر على استشعار الإدارة الأمريكية للصعوبات التي بدت بوادرها في العراق ، ومن أسف أن بعض الدول العربية أبدت استعدادها للمشاركة ؛ كقوات شرطة تحت القيادة الأمريكية .

الإشارة الثانية: هي تبلور وعي شعبي سريع ومفاجئ لدى الشعب العراقي بخطورة الوضع الجديد والإملاءات الأمريكية الفجة في التعيينات الإدارية الجديدة ، وهو الأمر الذي تجلى في تظاهرات عنيفة تحولت إلى مأساة حينما فتحت القوات الأمريكية النار على المتظاهرين فقتلت وأصابت العشرات ، بما يعني أن الأمريكيين بدؤوا يمارسون نفس الدور القمعي الإرهابي الذي كان يمارسه (صدام حسين) ضد شعبه ، وهذا الوضع يؤسس لحشد نفسي شعبي متزايد ضد الوجود الأمريكي يجعل من استمراريته في العراق أمراً مشكوكاً فيه .

الإشارة الثالثة: هي في الإحراجات التي حاصرت المعارضة العراقية القادمة من الخارج مع الدبابات الأمريكية ، وهي إحراجات دفعت بعض رموزهم " مثل)أحمد الشلبي(" إلى إعلان استنكارهم لأي وجود مستقبلي طويل للقوات الأمريكية في العراق ، وهذه التصريحات تكررت عبر آخرين من المعارضة الخارجية ، وسواء قيلت على سبيل النفاق للحالة الشعبية أو كان إدراكا حقيقيا ؛ إلا أن المحصلة واحدة

فـي الحـالتين، وهـي إدراك القـوى السياسـية الجديـدة أن الوجـود الأجنبـي مسـتحيل الاسـتقرار فـي العـراق الجديـد ، وهـذا الأمـر مرشـح لتفجيـر المزيـد مـن التـوترات بـين القوى السياسية . حتى المتأمركة . وبين قوات الاحتلال .

الإشـارة الرابعـة: وتتمثـل فـي التسـريبات الصـحفية المتزايـدة ، وأخطرهـا مـن الصـحافة الروسية ، عن بعض تفاصيل الصفقة الإجرامية بين الإدارة الأمريكية وبين (صدام) وزمرتـه، والتـي أشـرف عليهـا السـفير الروسـي فـي بغـداد وقضـت بتسـليم (صـدام) للعاصمة بدون قتال مقابل ضمانات بتوفير ممر آمن لـه ولأعضـاء حكومتـه وأسرتـه للخروج إلى دولة مجاورة ، ومنها إلى روسيا ، مع ضمانات بعدم الملاحقة الأمنية والماليـة ، وهـي الصفقة التي يتزايد رسوخها الآن في الأوساط السياسية والإعلامية رغم الدجل الأمريكي بالإعلان عن مكافأة لمن يدلي بمعلومات عن (صدام) والقيادة الهاربة ،أو التسريبات السخيفة عن رؤية (صدام) في أحد مساجد بغداد، أو مشاهدة آخرين لـه في بعض أحيائها ، فكل ذلك محاولات دؤوبة للتغطية على " الفضيحة " التـي سـوف تحـرم الأمـريكيين مـن بهجـة انتصـارهم ، وتصـمهم بـالتواطؤ المشـين مـع الطاغية، الذي زعموا أنهم جاؤوا لمعاقبته وتحرير شعب العراق منه ، بينما هم دمروا العراق وشعبه، ثم كافؤوه بضمان خروجه بما اغتصبه من مال الشعب، وتحصينه من المحاكمـة علـى جرائمـه ضـد شـعبه ، وهـذه " الصـفقة " سـوف تزيـد مـن مسـتوى الكراهيـة التـي ستتصـاعد لـدى الشـعب العراقـي ضـد قـوات الاحـتلال، الـذي سيكتشـف أنها تآمرت عليه مع (صدام) وزبانيته .

انعكاسات الوضع الجديد في المنطقة

بـلا شـك فـإن الحـرب علـى العـراق قـد أقضـت مضـاجع العديـد مـن الـنظم السياسـية العربيـة في المنطقة ، وسـوف يكـون لهـا آثارهـا علـى تطـور أوضـاع داخليـة ، فـالحرب بمستوى العنف الذي مارسته القوات الأمريكية تركت انطباعا بأن الخطط التي سبق وأعلنت في أمريكا عن صياغة شرق أوسطي جديد ، والتأسيس لنظم سياسية تقوم على التعددية والديمقراطية واحترام الحريات العامة ونحو ذلك ، إضافة إلى أن تكون غير معادية للولايات المتحدة وإسرائيل ؛ هي خطط جدية وليست مجرد تهويمات أو تهديدات ، ولقد تصاعدت موجة من مطالب المثقفين في عديد من دول المنطقة إلى

ضرورة إجراء النظم السياسية إصلاحات عاجلة تتضمن انفتاح السلطة على شعبها قبل أن يأتي ذلك بقوة الخارج . والحقيقة أن مراكز صنع القرار في الولايات المتحدة قد تبلور لديها . في سعيها إلى إجابة السؤال : لماذا يكرهوننا؟ . قناعة مفادها أن أحد أهم أسباب الكراهية للولايات المتحدة هو دعمها للنظم القمعية في المنطقة ، وهو القمع الذي تذهب ضحيته الشعوب المغلوبة على أمرها ، الأمر الذي يجعل هذه الشعوب تدرك أن " أمريكا " هي شريك أساس في هذا القمع الواقع على الشعوب ، كما أن أحداث 11 سبتمبر تركت انطباعاً لديهم بأن الكبت وانعدام الحريات في الشرق الأوسط والفكر البوليسي لنظم الحكم وانتشار التعذيب على نطاق واسع وانعدام وجود اعتبار لحقوق الإنسان هو الذي ولد دوامات العنف المسلح والذي انتهت " شظاياه " إلى أمريكا ذاتها ، ومن ثم فإن " الشأن الداخلي " في العالم العربي لم يعد بمنأى عن اهتمام الإدارة الأمريكية؛ بل هو أصبح جزءًا من الأمن القومي الأمريكي ، وهذا الكلام أصبح معلناً من خلال أجهزة إعلام وصحف ومجلات متخصصة، فضلا عن تصريحات العديد من المسؤولين الحاليين والسابقين في الإدارة الأمريكية وأجهزتها الأمنية ، والذي لا شك فيه أن مثل هذه التطورات المقلقة للنظم العربية سوف تربكها بصورة كبيرة ، وتضعف مواقفها الداخلية ، وسوف تجعلها تعيد النظر . بدرجة أو أخرى . في علاقاتها مع شعوبها ، وإن كان الأخطر في حالة الضعف هذه هي الانزلاق في تقديم تنازلات سياسية مخجلة ومهينة على مستوى القضايا المصيرية الإقليمية والدولية ، وفي مقدمتها بطبيعة الحال ، قضية فلسطين ، ولكن ؛ حتى هذه التنازلات لو وقعت فإنها لن تنجيهم من الملاحقة الأمريكية ، لأن القناعة الآن هناك أن الشأن الداخلي العربي يحتاج إلى تعديل جذري ، وأنه . كما سبق . أصبح مؤثراً مباشراً على الأمن القومي الأمريكي .

وفيما يخص التهديدات بالعمل العسكري المباشر ضد سوريا أو غيرها ، فهو . في تقدير العديد من الخبراء . أمر مستبعد لاعتبارات عديدة تتعلق بالمشروعية والإجماع الدولي ضده ومخاطر التداعيات في المنطقة التي ستختلف عن الوضع في العراق، فضلا عن القلق من خوض تجربة مقلقة جديدة قد تمثل إحراجا للعسكرية الأمريكية، خاصة وقد واجهوا إحراجات كبيرة في جنوب العراق رغم هشاشة الوضع هناك ،

ولولا الصفقة الغامضة في بغداد لكان من العسير عليهم دخولها دون خسارة الآلاف من الجنود.

فالعمل العسكري غير مطروح " الآن " ولكن تبقى هناك مساحات كبيرة للضغط المؤثر والعنيف ، خاصة مع نظم سياسية لا تملك قوة تماسك شعبي داخلي كافية ، ولا تملك دعماً إقليمياً عملياً وجاداً تستطيع أن تتحصن به .

رؤية مغايرة للموقف الإسلامي

هذه التطورات الجديدة من شأنها أن تفرض على الإسلاميين –بشكل خاص– وعياً جديداً بها، وقدرة عالية على التعامل بحكمة وأفق مستقبلي معها، فإعلان الرفض الكامل لكل ما يطرح من قبل القوى الغربية –بما فيها أمريكا– ليس موقفاً حكيماً، كما أن التصديق الكامل بكل العبارات والرؤى الجميلة التي تعلن عنها الإدارة الأمريكية هو محض سذاجة سياسية، وكذلك الموقف من النظم الرسمية في العالم العربي، إذ إنه من الممكن –بل الراجح– أن تحاول كثير من النظم فتح أبواب التواصل مع التيارات الإسلامية، وكسب ودها لجعلها في صفها ضد الضغوط الأمريكية، بوصف الإسلاميين هم القوة الشعبية والجماهيرية الوحيدة تقريبا في الشارع العربي، وبنفس المنطق نقول أيضا: بأن رفض أية مبادرات سياسية داخلية للإصلاح، وتحسين الأوضاع السياسية والإنسانية في المجتمع من قبل الحكومات هو موقف غير حكيم، وبالمقابل فإن الدعم المطلق والمجاني لموقف هذه النظم –أمام الضغوط الأمريكية أو الأوربية دون أن تقدم على مصالحات عملية مؤسسية مقنعة مع شعوبها– هو سذاجة، وإنما الأمر تحكمه اعتبارات المصالح العامة للمجتمع وهويته ودينه، وكرامة إنسانه وحرياته العامة واستقلال إرادته السياسية محليا ودوليا، وباختصار اضطراري نقول: بأن العواطف وحدها –في هذه اللحظة التاريخية الفارقة– تكون سلوكا أحمق، والعقل والحكمة والوعي السياسي والتاريخي والمستقبلي هو وحده الذي يجعل الأمة تفيد من هذه اللحظة لصالح حاضرها ومستقبلها.

في ما يتعلق بالشأن الإسلامي أيضا، فعلى غير ما يتصور البعض أن الاحتلال الأمريكي الحالي للعراق سيمثل ضغطا على الأوضاع السياسية في المنطقة، فإن الذي لا شك فيه أن تحرر العراق من قبضة (صدام) والبعث سيعيد المجتمع العراقي

–رغما عن الهوى الأمريكي– إلى أمته من جديد، وسوف ينفتح العراق على مختلف التيارات والحركات السياسية في المنطقة، بما في ذلك الحركات الإسلامية المختلفة، وهناك بالفعل –خلال السنوات العشر الأخيرة– إحياء إسلامي كبير في العراق، تعمد النظام البعثي تركه يتفاعل، لإدراكه بالحاجة إليه في مواجهة الضغوط الأمريكية، التي بدأت بالحصار والتهديدات المتوالية بالحرب، والمهم أن عودة المجتمع العراقي إلى أمته ومحيطه العربي والإسلامي سيمثل دعماً كبيراً للدعوة الإسلامية، وإضافة مهمة للمسار الإسلامي على مختلف الأصعدة، فالعراق ثقل فكري وحضاري وأدبي وديني كبير، والدمار الذي أحدثه فيه البعث لن يكون بحجم الدمار الذي أحدثه الاتحاد السوفييتي في الجمهوريات الإسلامية على مدار ثلاثة أرباع القرن، ومع ذلك فهي تعود من جديد إلى الإسلام، وينبغي النظر إلى الوضع الاجتماعي الجديد في العراق من هذه الزاوية، ولا يستغرقنا الشأن السياسي ومراراته وتوازناته عن (العمق الاجتماعي)، وعلى المؤسسات الإسلامية الدعوية والخيرية والثقافية وغيرها المبادرة بسرعة لاصطناع الجسور مع المجتمع العراقي الجديد وملء الفراغ، قبل أن يملأه آخرون بتيارات التغريب والتخريب الثقافي والتربوي والأخلاقي

==============

#الحرب الأمريكية على العراق أسبابها والموقف منها(2/1)

د.عوض القرني 1424/1/9

2003/03/12

إن ما يسمى بمنطقة " الشرق الأوسط " تتعرض لمخاطر جسيمة وتحديات مصيرية، قد تكون أشد خطورة وأبلغ أثراً مما تعرضت له المنطقة في نهاية الحرب العالمية الأولى .

وقد تكون هذه الأحداث هي حجر الزاوية في إعادة رسم وتشكيل خارطة القوى العالمية، ومناطق النفوذ لهذه القوى في العالم خلال القرن القادم .

البداية في حرب الخليج الثانية :

لقد رسمت أمريكا في حرب الخليج الثانية ملامح المستقبل لصالحها ونصبت نفسها زعيمة للعالم بتلك الحرب .

لقد قلتُ في سنة 1411 هـ إن تلك الحرب ليست مفاجئة ولا على غير المتوقع، بل هي حرب يعد لها منذ سنوات بعيدة من خلال العديد من الاحتمالات المتوقعة في نظر مخططي تلك الحرب وقلت في حينها :

إن لهذه الحرب دوافع وأهداف للاعب الرئيس فيها " أمريكا "، أما اللاّعبون الصغار فإنما هم أدوات يُضرب بعضها ببعض، ويُجعل بعضهم طعماً للبعض الآخر.

وأستميح القارئ عذراً لأُذكِّر باختصار بما قلت في حينها، وليقارن القارئ الكريم ذلك بما وقع في النهاية، لقد قلت: إن لأمريكا من هذه الحرب عدة أهداف منها :

1 – ضرب القوة العسكرية العراقية الناشئة التي بنيت بأموال الخليجيين وإشراف أمريكا؛ لئلا تشكل هذه القوة تهديداً مستقبلياً لإسرائيل، بعد أن استنفدت دورها في ضرب إيران وتشغيل مصانع السلاح الغربي .

2 – ضرب القوة الاقتصادية للدول الخليجية، والتي كان لها أبلغ الأثر في دعم البنية التحتية للصحوة الإسلامية على مستوى العالم من مساجد ومراكز ومدارس وجامعات ومجلات وكتاب وشريط وغير ذلك، بالإضافة لما تمثله من دعم لدول المواجهة مع إسرائيل وللشعب الفلسطيني ومن تنمية واعدة لشعوب المنطقة .

3 – وضع بترول المنطقة تحت السيطرة شبه المباشرة للقوات الأمريكية، وهو ما ظلت أمريكا تعمل له منذ عام 1973م، ولم تعد تثق في التفاهمات السياسية أو تعتمد عليها لتأمين إمدادات الطاقة للمدنية الأمريكية .

4 – فرض الصلح بين العرب وإسرائيل بما يحقق الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة ويضمن لها الاستقرار المستقبلي، وتدشين ما سمي بالشرق الأوسط الجديد بديلاً للروابط الدينية والقومية .

5 – إثارة القلاقل في دول المنطقة بين الأنظمة، بإثارة بعضها ضد البعض الآخر وتخويف بعضها من بعض، وبين الأنظمة والشعوب من خلال استفزاز الشعوب بالوجود الأمريكي في المنطقة، ومن خلال الأعباء الاقتصادية المترتبة على الحرب وعلى الوجود العسكري الأمريكي بعد الحرب، مما يؤثر على معيشة الناس وحياتهم .

6 – ضرب الصحوة الإسلامية على امتداد الساحة العالمية والتي كان لمنطقة الخليج الدور الأكبر في دعمها ونشرها، مما سيؤدي إلى ردود فعل عنيفة واستهلاك للجهود في الصراع الداخلي .

وإنني أتساءل بعد هذه السنين هل صدقت هذه التوقعات التي كانت في حينها مدعومة بالوثائق والأدلة والبراهين، والتي استفز القول بها بعض المسبحين بحمد أمريكا، والتي قد تكشف الأيام ضلوعهم الكبير في تنفيذ مخططها .

وها نحن اليوم وجهاً لوجه في مواجهة أمريكا مرة أخرى وفي منطقة الخليج أيضاً ، فما أشبه الليلة بالبارحة .

لقد ترددت كثيراً قبل الكتابة في هذا الموضوع لا يأساً ولا إحباطاً – عياذاً بالله – ولكن لظني أن الأحداث قد أصبحت أكثر من أن تخفى على أحد، حتى فوجئت ببعض طلبة العلم وبعض المثقفين يخوضون فيها خوضاً عجيباً، فرأيت لزاماً أن أدلي بدلوي في هذا الموضوع؛ أداءً للواجب وإسهاماً في بيان الحق، وتثبيتاً للناس ولعل وعسى، وسيكون الحديث من خلال المحاور الآتية :

المحور الأول :

دوافع أمريكا في هذه الحرب

ما فتئت أمريكا تعلن صباح مساء أن هدفها من الحرب هو نزع أسلحة الدمار الشامل في العراق؛ حتى لا يشكل خطراً على جيرانه، لكن كل عاقل في العالم يعلم أن هذه مجرد شماعة تعلق عليها المقاصد الأمريكية الحقيقية ، فالعراق دمرت قوته العسكرية في حرب الخليج، ثم استباحت فرق التفتيش والتجسس الدولية كل شبر فيه طوال عشر سنوات، بالإضافة للقصف شبه اليومي الأمريكي والبريطاني لشماله وجنوبه والحصار المفروض عليه، والتصوير بالأقمار الصناعية والطائرات التجسسية، وقد اعترف بذلك مسئولو فرق التفتيش السابقين، ولقد رأينا عجباً في بحث فرق التفتيش عن الأسلحة النووية وغيرها في المساجد ومصانع حليب الأطفال والكليات التي يدرس فيها آلاف الطلاب، وكأنه لم يكف العراق أنه ابتلي بحاكم علماني مجرم فعل فيه الأفاعيل حتى ابتلي بهذه الحرب الصليبية الحاقدة الظالمة

التي مات بسببها ملايين الأطفال والنساء والشيوخ، وأذل بها شعب كامل كان لزمن طويل غرة في جبين الحضارة وحامل مشعل التقدم والمدنية.

وإذا لم تكن هذه الدعوى الكاذبة المرفوعة هي السبب الحقيقي، فما هي الأسباب يا ترى ؟

إن هذه الحرب هي استمرار لسابقتها وتطوير لأهدافها، ومحاولة لاستدراك ما لم يمكن تحقيقه من الأهداف السابقة، فهي حلقة من مشروع استعماري صهيوني صليبي جعل وجهته وميدان معركته الساحة الإسلامية العربية بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، وجعل عدوه البديل هو الصحوة الإسلامية وما تمثله من آمال مستقبلية لشعوب المنطقة في الوحدة والحرية والأصالة، ودفع الهيمنة الاستعمارية الغربية وما تمثله من نقيض للأمة الإسلامية عقدياً وقيمياً وتاريخياً ومصلحياً .

وقبل الحديث عن دوافع أمريكا من هذه الحرب أحب أن أذكّر ببعض البدهيات والحقائق الكبرى؛ حتى لا تُنسى في صخب الأحداث وتفاصيلها اليومية وهي :

1) أن عداوة اليهود والنصارى للمسلمين من الحقائق الثابتة واللازمة لهم نطق بها الكتاب المستبين، وأثبتها الواقع التاريخي عبر أكثر من ألف وأربعمائة سنة، وهذا الحكم هو الغالب والأعم وتبقى الاستثناءات منه التي تأتي لإثباته لا لنفيه { ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم }.

2) أن هذه العداوة لا تبيح لنا أن نظلمهم أو نغمطهم حقهم، ولا تمنعنا من الحوار معهم إما لدعوتهم أو لحل المشكلات الناشئة بيننا وبينهم، أو بالاستفادة مما لديهم من صناعة وتقنية ومدنية، لكن أيضاً يجب ألا يغيب عن بالنا أن الجهاد هو درع الأمة وعدتها التي واجهت بها عدوها في جميع مراحل تاريخها .

3) أن الأمة ابتليت نتيجة لهيمنة النموذج الغربي عالمياً بفئةٍ من أبنائها يتكلمون بلسانها ويعيشون في داخلها، لكن وجهتهم غير وجهتها وعقائدهم غير عقائدها وقيمهم غير قيمها، وهم شتى طوائف العلمانية من يسار ويمين وقوميين وأمميين وحداثيين وليبراليين وغيرهم من الأصناف والفرق .

وهم ما بين طابور خامس يخدم الآخر عن قناعة واختيار أو تائه ممزق بين فكره التغريبي وعواطفه الوطنية القومية، ونحن في أشد الحاجة للحوار مع هؤلاء ومعالجة مشكلتهم والتعامل مع كل فئة منهم بما يصلح لها.

4) أن الهجمة من الخطورة والشراسة والضخامة، بحيث لا تستثني أحداً حكومات وحركات وشعوب، إنما هناك أولويات ولذلك يجب أن نتعامل معها على هذا الأساس، وأن نرجئ الثانويات في سبيل مواجهة المشكلات الكبرى.

أما أسباب الهجمة الأمريكية على العراق من وجهة نظري فهي:

1/ لا شك أن القرن الواحد والعشرين هو قرن الصراع على الطاقة البترولية، حيث إن الغرب منذ عام1973م وهو يسعى سعياً حثيثاً لإيجاد بديل للبترول، لكن هذه المساعي لم تحقق نجاحاً يذكر، والقرن الواحد والعشرون –حسب الإحصاءات القائمة الآن– هو القرن الأخير للبترول تقريباً، فمن سيتحكم في هذه الطاقة سيتحكم في العالم، وهيمنة أمريكا على العالم الآن في أوج عظمتها، فهي تتعامل مع جميع دول العالم بمنطق فرعون { ما علمت لكم من إله غيري }، { وما أريكم إلا ما أرى }.

فهي إذا فرصتها للسيطرة المباشرة على مصادر الطاقة قبل أن تنشأ قوى أخرى تنافسها على ذلك أو لا تسمح لها بالتفرد بالسيطرة مثل أوروبا الموحدة تقودها فرنسا وألمانيا أو الصين في المستقبل، وبالذات لو تم شيء من التفاهم أو التحالف بينها وبين روسيا أو اليابان.

وقد ثبت أن خزان الوقود البترولي الأكبر في العالم يمتد من بحر قزوين عبر أذربيجان وإيران والعراق إلى الخليج، وها هي أمريكا من حرب الخليج الثانية قد سيطرت أو كادت على بترول الخليج، وبعد احتلال أفغانستان وصلت شواطئ بحر فذوين، ولم يبق إلا الاستيلاء على العراق وإيران .

ولأنّ العراق الحلقة الأضعف والعرب الجدار الواطئ والمبررات جاهزة " أسلحة الدمار الشامل " فلتكن البداية بالعراق ولن تكون إيران بعد ذلك بعيدة عن متناول اليد الأمريكية بعد أن تكون قد طوقت من جميع الجهات .

ومن هنا ندرك لماذا هذه المعارضة الشديدة للحرب من ألمانيا وفرنسا اللتين تسعيان جاهدتين لإقامة أوروبا الموحدة بعيداً عن أمريكا، بل ربما يوماً ما في مواجهتها، وهما يدركان ماذا يعني سيطرة أمريكا على احتياطي النفط العالمي في القرن القادم، وبالذات أن الفريق الحاكم في أمريكا يسيطر عليه رجالات النفط ومديرو شركاته الكبرى .

2/ من خلال النفوذ الصهيوني في الإدارة الأمريكية ينظر للحرب على العراق بأنها إنقاذ لإسرائيل من مأزق تعيشه في مواجهة الشعب الفلسطيني المجاهد ، فبعد أن أصبحت إسرائيل في مأزق حقيقي في الانتفاضة الأولى، أُنقذت باتفاقية أوسلو وأُتي بالسلطة الفلسطينية لتكون شريكاً في الولوغ في دم القضية الفلسطينية بعد ذبحها والقضاء عليها، وقمع الشعب الفلسطيني مقابل ثمن زائف ومتاع قليل، وإذا بالمشروع يفشل في يومه الأول، وإذا بالشعب المجاهد الأعزل تتحطم على صخرة إيمانه وصموده كل المؤامرات، وإذا بالنائحة المستأجرة تغادر المأتم غير مأسوف عليها، ويهب الشعب عن بكرة أبيه للدفاع عن الأقصى في مواجهة عنجهية المجرم شارون، وتصبح دماء الشهداء هي السقيا لغراس العزة والحرية، وتصبح منارات المساجد هي الرايات لجحافل النصر والاستقلال بإذن الله، ويصم الشعب أذنيه عن تخذيل المخذلين واحتجاج الخائفين ونعيق العملاء الضالعين في المؤامرة .

وتصبح النبتة الخبيثة " إسرائيل " في مأزق لم تمر به في تاريخها، فبعد أن استنفدت أكثر إمكاناتها العسكرية والأمنية المتوحشة تحت غطاء من العهر السياسي تمارسه فرعون العصر " أمريكا " لإذلال شعب الإباء والعزة والجهاد في فلسطين، أقول بعد ذلك ها هي إسرائيل تعيش أزمة اقتصادية لم تعرف لها سابقة في تاريخها.

ورعباً وخوفاً في المجال الأمني، وصراعاً واستقطاباً في الميدان السياسي، وانهياراً معنوياً في الجيش، وتفككاً واضطراباً اجتماعياً، والأخطر من ذلك كله هجرة معاكسة وتوقف شبه يومي لكثير من مظاهر الحياة، وهروب لنسبة كبيرة من سكان المستوطنات إلى داخل فلسطين 1948 م بحثاً عن الأمن الذي لم يجدوه بل لاحقهم حتى هناك الخوف والموت .

نعم لقد أعطت الأنظمة العربية – مع الأسف– الفرصة لإسرائيل لتعيد تركيع الشعب الثائر، لكنها –والحمد لله– عجزت عن ذلك، وحينئذ فلا بد من عملية جراحية كبرى لإعادة ترتيب المنطقة كلها لإبقاء الأمل في المستقبل اليهودي، ولإشغال شعوب المنطقة بما فيها الشعب الفلسطيني – بقضية أخرى ردحاً من الزمن، تستعيد فيه إسرائيل أنفاسها وتعيد ترتيب أوراقها، وتطبق أمريكا على دول المنطقة سايكس بيكو جديدة وليس هناك من نقطة أنسب للبداية من العراق، فالنظام الحاكم فيه مكروه شعبياً منبوذ إقليمياً محاصر ومتهم عالمياً، ولأكثر من جهة مصلحة في إسقاطه، فليكن هو نقطة البداية لإنقاذ شعب الله المختار مهما كلف ذلك أمريكا أو المنطقة أو العالم، وربما توالت الأحداث لترحيل الفلسطينيين وتقسيم العراق وضرب إيران والسعودية وسوريا وغيرها.

3/ في الحرب تحقيق لبرنامج اليمين المتطرف الذي يحكم أمريكا اليوم، والذي يرى أن أمريكا يجب أن تسيطر على العالم وتحكمه وتفرض عليه القيم الأمريكية بدلاً من قيادتها للعالم وسماحها لقدر من التنوع الحضاري والثقافي والحياتي فيه، وما ما سمي بحرب الإرهاب ولا العولمة ولا حرب العراق وما سيلحق بها إلا تعبير عن هذا التوجه اليميني العنصري المتطرف في السياسة الأمريكية الذي هو أشد عنصرية من النازية والفاشية.

والحرب العراقية تعتبر خطوة في هذا الطريق العنصري الظلامي، وفرصة لسدنة هذه الإيدلوجيا في السياسة الأمريكية لتحقيق طموحاتهم .

4/ لا شك أن الفئة المتنفذة في الحزب الجمهوري في أمريكا من أيام ريجان إلى اليوم هي طائفة " الإنجيليون " إحدى فرق البروتستانت، وأهم عقائد هذه الطائفة ذات الأثر البالغ في حكم أمريكا هي عودة المسيح بعد قيام دولة إسرائيل ومعركة هرمجدون وتدمير أكثر العالم تمهيداً لتلك العودة المزعومة التي ستحكم العالم ألف عام كما يزعمون وهم بهذه الرؤى التوراتية الإنجيلية يقودون قوة أمريكا الغاشمة لتدمير العالم، ولتكن البداية من خلال العراق.

5/ لقد أعلنت أمريكا حرباً عالمية على ما أسمته بالإرهاب، وقادت العالم وراءها رغباً ورهباً على رجل واحد معه بضع مئات من الشباب لم يدخل أحد منهم يوماً كلية

عسكرية ولم يقد بارجة حربية، وأعلن رئيس أكبر وأقوى دولة في التاريخ أنه يقود حرباً صليبية عالمية للحصول على أسامة بن لادن حياً أو ميتاً، وها نحن بعد قرابة عامين نرى أسامة ما زال ينازل أمريكا ويهددها في عقر دارها ويضرب حلفاءها، وفي كل يوم تعلن أمريكا لشعبها النذير والتحذير من احتمال ضربة جديدة فيعيش الشعب الأمريكي في الرعب والخوف، أين الأقمار الصناعية والطائرات التي تصور كل شبر في أفغانستان؟ أين أجهزة الاستخبارات الرهيبة التي لا تخفى عليها خافية؟ أين مليارات الدولارات والجيوش الجرارة؟ أليس هذا هو الفشل الذريع بعينه؟

إن الحكومة الأمريكية وآلة الحرب والعنجهية في أشد الحاجة إلى نصر سهل يحفظ ماء الوجه ويعيد لأمريكا هيبتها عالمياً ولحكومتها مصداقيتها لدى الشعب الأمريكي، وفي تقديرهم أن حرباً خاطفة في العراق ستة أيام – كما قال رامسفيلد– كفيلة بتحقيق ذلك كله .

ولعل تقدير رب العالمين غير تقدير الطاغية بوش وزبانيته، فتكون قاصمة الظهر لهم وما ذلك على الله بعزيز.

6/ منذ أن ضُرب مركز التجارة العالمي والاقتصاد الأمريكي يتلقى الضربات تلو الضربات، فمن خسائر باهظة في سوق الأسهم الأمريكية إلى إفلاس شركات الطيران والإلكترونيات وتسريح مئات الآلاف من العاملين إلى فضائح شركات المحاسبة وغيرها من الشركات ذات الصلة بالرئيس الأمريكي ونائبه، كل هذا أدخل الاقتصاد الأمريكي في تذبذبات سيكون لها أوخم العواقب في المستقبل، والحكومة في حاجة إلى ملهاة للشعب الأمريكي حتى تعيد ترتيب أوراقها في محاولة لسد العجز في الميزانية ومعالجة المشكلات، ولو كانت الأمور طبيعية لكان حساب الشعب لهم عسيراً .

وفي الحرب العراقية تحقيق لهذا الإلهاء بالإضافة لدغدغة المشاعر الصليبية والعواطف الاستعمارية الأمريكية، فلتكن الحرب هي المخرج إذاً في نظر صنّاع القرار الأمريكي، ولتكن دماء الشعوب ومصالحها وضرورات وجودها أوراقاً في طاولة القمار السياسي الأمريكي .

7/ عداء أمريكا للتوجه الإسلامي أمر معروف في التاريخ المعاصر، ولا يعني هذا عدم وجود العقلاء أو المنصفين فيها، لكنهم – مع الأسف– قلة في العدد وضعفاء في الأثر.

ومنذ سقط الإتحاد السوفييتي وآلة الدعاية والإعلام الأمريكي، ومراكز الدراسات وجماعات الضغط الصهيوني، وشركات الاحتكار والاستغلال الكبرى كل أولئك ينفخون في نار العداوة للصحوة الإسلامية وما (فوكوياما) في كتابه (نهاية التاريخ) و (هنتغتون) في نظريته (صراع الحضارات) إلا أمثلة خجلى أمام رموز الإدارة الأمريكية من تشيني إلى رامسفيلد وكوندا ليزا رايس وأضرابهم .

ثم جاءت أحداث سبتمبر – سواء كانت مؤامرة أو كان وراءها تنظيم القاعدة – لتصب الزيت على النار، ولتعطي لهؤلاء حجة وعذراً ودليلاً بزعمهم على إرهاب الإسلام وخطورة الصحوة الإسلامية.

وبالتالي فأمريكا في أشد الحاجة إلى حضور عسكري استخباراتي في المنطقة لضرب الصحوة الإسلامية بطرق شتى ووسائل مختلفة أولها إشغالها بهذه الحرب وهذه المشكلة عن دورها الحضاري والتنموي وعن دورها في مواجهة اليهود في فلسطين، والعراق في ظل كثير من الظروف القائمة هو الأنسب لبداية تنفيذ هذا المخطط.

8/ كذلك من هذه الأسباب ما تصرح به المعلومات المتسربة في أمريكا من هنا وهناك بعزم أمريكا على السعي لتغيير العديد من أنظمة وحكومات المنطقة، أو على الأقل تغيير القائمين على تلك الحكومات من داخل النظام نفسه، وسيكون بالون الاختبار لهذه العملية هو العراق؛ ليكون مركز العمليات والمنصة التي ستدار منها العملية بعد ذلك في البلدان الأخرى .

هذه هي أهم دوافع الإدارة الأمريكية في إصرارها على غزو العراق وشن حربها الظالمة ضد شعبه المضطهد المظلوم المحاصر على رغم معارضة العالم كله لهذه الحرب.

العوامل المؤثرة في وقوع الحرب أو عدمه

بلا شك أن عملية حربية بهذه الضخامة وهذا المستوى ستؤثر على مستقبل العالم كله ليس وقوعها أو عدمه نتيجة عامل واحد فقط ، فهناك العديد من العوامل التي

سيتوقف عليها وقوع الحرب وحجمها وكيفيتها أو عدم وقوعها والاكتفاء ببدائل أخرى عنها، وأهم هذه العوامل هي :

1 – القرار الأمريكي بالحرب وهو قطعاً أهم العوامل وأخطرها وأقواها في عالم الأسباب المادية، والذي يظهر أن أمريكا قد حسمت أمرها واتخذت قرار الحرب لكنها تتريث ليتم الحشد، ولتحاول تغيير موقف المعارضين للحرب ولإيجاد غطاء دولي لها والبحث عن تمويل للحرب من دول المنطقة، أو لعل صدام ينصاع للضغوط فيستقيل وينهار نظامه، وتحتل أمريكا العراق بدون حرب بحجة عدم وجود البديل ولحفظ الأمن ووحدة العراق كما حفظت القوات الأمريكية أمن ووحدة أفغانستان !!!

2 – الرأي العام الأمريكي له أثر كبير في الإقدام على الحرب أو الإحجام عنها والظاهر الآن أن أغلبية الأمريكان ضد الحرب بما فيهم رؤساء ووزراء سابقون، لكن الأغلبية الجمهورية في البرلمان والشيوخ كفيلة بأن يُقْدِمَ الرئيس الأمريكي على الحرب وشعوره بالحرج قليل، وكذلك وسائل الإعلام المتصهينة قادرة على التأثير على الرأي العام وحشده خلف قرار الحرب وبالتالي فالنتيجة النهائية بالنسبة للرأي العام الأمريكي ستكون في صالح قرار الحرب .

3 – الحكومات الأوروبية: لقد انقسمت دول الاتحاد الأوروبي وبالتالي حلف الأطلسي إلى فريقين، فريق يقف خلف بريطانيا ويأتمر بأمر أمريكا، وفريق يقف خلف ألمانيا وفرنسا ويعارض الحرب بشدة ويؤيده في موقفه ذلك روسيا والصين والرأي العام الأوروبي، ولا شك أن ذلك سيعوق أمريكا ويسبب لها حرجاً ويحرمها من الغطاء الدولي في مجلس الأمن والأمم المتحدة، وليس من المتوقع أن ألمانيا وفرنسا ستغيران موقفهما لصالح أمريكا بعكس روسيا التي يمكن أن تدخل في مساومة مع أمريكا لتغيير موقفها، لكن أمريكا في النهاية لن تلغي قرار الحرب بسبب الموقف الأوروبي .

4 – الشعوب والدول الإسلامية والعربية، والذي يظهر أن أمريكا لا تحسب لهم أي حساب وبالذات الحكومات، وأن هذه الشعوب والحكومات أيضاً غير قادرة ولا تملك الأهلية لاتخاذ موقف قوي وصارم ضد الحرب، وعندما اجتمعت بعض هذه الدول في تركيا وسوريا وفي سائر اللقاءات الثنائية كان تأنيبها وشجبها وحثها وحضها كله

للضحية للعراق، أما أمريكا فلم يجرؤ على مجرد ذكرها فضلاً عن إعلان موقف قوي شجاع للوقوف في وجه الحرب وإعلان الوقوف في وجه أمريكا.

لقد تحولت وظيفة أغلب هذه الحكومات إلى مواجهة شعوبها والانصراف بالكلية عن العدو الخارجي، وإن أردت دليلاً على ذلك فقارن بين تفعيل مجلس وزراء الداخلية العرب الذي تجاوزت اجتماعاته 25 اجتماعاً وتعطيل مجلس وزراء الدفاع العرب الذين لم يجتمعوا خلال ربع القرن هذا ولا اجتماعاً واحداً لقد هانوا على أنفسهم فهانوا عند عدوهم وأصبحوا كما يقول الشاعر :

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ... ...

ولا يستشهدون وهم حضور

المحور الثالث :

ما المطلوب فعله الآن ؟

هناك ما يجب فعله قبل الحرب، وهناك ما يجب عمله لو قامت الحرب هناك أمور المعني بها الحكومات وأمور مناطة بالشعوب وأمور يجب أن يتصدى لها العلماء والمثقفون، وهناك أمور على مستوى الأمة وهناك أمور على مستوى كل بلد خاصة بل وأمور على مستوى كل مسلم .

أولاً / الحكومات :

لقد أثبتت الأحداث وبخاصة في السنين الأخيرة انحياز أمريكا الكامل لإسرائيل واحتقارها للحكومات العربية، ووقوفها ضد البلدان الإسلامية مهما كانت علمانية النظام ومهما بلغت تنازلاته لأمريكا من أجل إرضائها، ولعل في موقف أمريكا من السلطة الفلسطينية أكبر دليل على ذلك، فعلى الرغم من تخلي منظمة التحرير الفلسطينية عن جميع ثوابتها ومبادئها وتحولها إلى سلطة خادمة لأجهزة الأمن الإسرائيلية، ومطاردتها وسجنها وقمعها وتجسسها على الشعب الفلسطيني، إلا أن أمريكا – إرضاءً لإسرائيل– نبذت تلك السلطة نبذ الحصاة، وتخلت عنها ووصمتها بالإرهاب .

أقول إن من يستقرئ التاريخ يقف عند ما سمي بدول ملوك الطوائف في الأندلس حين تقسمت دولة المسلمين إلى دويلات يكيد بعضها لبعض ويستعدي بعضها العدو

النصراني على البعض الآخر، فما زال ذلك ديدنهم حتى ذهبت ريحهم وقضى عليهم عدوهم وأصبحوا أثراً بعد عين .

إن دول هذا الزمان أشبه بدول الطوائف تلك، فها هي أمريكا تدفع صدام أمس لاحتلال الكويت وتهديد دول الخليج ، وها هي اليوم تتخذ أراضي دول المنطقة موطئ قدم لها لضرب العراق .

يا حكام العرب والمسلمين العراق اليوم وغيره غداً ، صدام اليوم وآخر غداً .

يا حكام المسلمين أليس فيكم من يقول مقولة المعتمد بن عباد حين وقف مع يوسف بن تاشفين ضد ملك الفرنجة، فخوفه أمراء الأندلس طمع بن تاشفين في الأندلس فقال: " لأن أرعى جمال بن تاشفين خير لي من أن أرعى خنازير الفونس ".

يا حكام المسلمين ألا عودة صادقة إلى الله، تراجعون فيها حساباتكم وترفعون الظلم عن شعوبكم، وتحكمون شريعة الله وتوحدون كلمتكم في مواجهة عدوكم ، ماذا جنيتم من البعد عن الله ومحاربة الإسلام ودعاته إلا الذل والشقاء والهوان حتى أصبحتم من هوانكم على العالم لا يؤبه بكم من قريب ولا بعيد .

إن هوانكم على الله هو السبب في نزع مهابتكم من صدور عدوكم وتحولكم إلى غثاء كغثاء السيل .

إن السعودية جزيرة العرب وبلاد الحرمين تملك من المؤهلات ما لم يتهيأ لغيرها لتلعب دوراً حاسماً في هذه الفترة المصيرية من تاريخ الأمة .

فهي مهبط الوحي ومهوى الأفئدة ولا زالت تنتمي إلى شريعة الله وتقوم شرعية نظامها السياسي على دين الله، ويعلن حكامها صباحاً ومساءً أنه ليس محل مساومة ولا مفاوضة كائنة ما كانت الظروف والتبعات نتيجة لذلك وشعبها مستعد للتضحية والعطاء .

يا حكام الجزيرة ومن شرفوا بخدمة الحرمين كل عاقل يدرك خطورة وعظم الظروف التي تمر بها المنطقة، وكما أن الأحداث الكبرى تشكل تحدياً كبيراً للدول والشعوب فهي في الوقت نفسه تعتبر فرصاً نادرة لأصحاب الهمم العالية لاختصار الزمن ودفع الأحداث نحو صناعة المستقبل المشرق والإسهام في رسم ذلك المستقبل نحو الأفضل بإذن الله .

تحديات تواجه المجتمع الإسلامي :

وإنني أرى أن الأمة المسلمة في كل مكان تواجه تحديات كبرى وإن من أخطر التحديات التي تواجهنا في هذه الظروف الدقيقة :

1) انحسار تطبيق الشريعة عن كثير من بلدان المسلمين، وحلول القوانين الوضعية محلها، إما كلياً وإما جزئيا مما أوجد حالة مأساوية لم تعرف لها الأمة سابقة في تاريخها نتج عنها الكثير من المشكلات الجذرية الأخرى .

2) عدو خارجي يتمثل في اليهود وحاضنتهم أمريكا، هذا العدو يتربص بنا الدوائر ويبغينا الغوائل مهما تظاهر بغير ذلك ومهما زعمنا أو توهمنا صداقته لنا .

3) تيار تغريبي شتت الأمة ومزق جسمها وفرق وحدتها، وهذا التيار هو العلمانية بما تمثله من إلحاد عقائدي أو انحراف فكري أو فساد أخلاقي وسلوكي أو عمالة خارجية أو استبداد سياسي، المهم أن أياً من ذلك هو نقيض الإسلام فهو حتماً نقيض الوطن تاريخاً وواقعاً ومستقبلاً، وقد أثبتت الأحداث أنهم دائماً الحساب الاحتياطي للعدو الاستعماري الذين يلجأ إليه ليذل بهم الشعوب، ويناكف ويزعج بهم الحكومات الوطنية كان ذلك من أيام نابليون إلى يومنا هذا .

والعلمانيون وإن كانوا أكثر ضجيجاً وصخباً وأعلى صوتاً لكنهم في الحقيقة قلة قليلة في سواد الأمة لا يمثلون شيئاً، ولذا ينبغي التعامل معهم على هذا الأساس ومعالجة مشكلتهم برفق وحكمة وأناة، لكن بحزم وحسم ووجود الفئات العلمانية في ظل سيادة النموذج الحضاري الغربي عالمياً المنبثق من العلمانية كأساس أيدلوجي لتلك الحضارة أمر طبيعي، لكن مع الإقرار بهذا الأمر كإفراز طبيعي للواقع، إلا أن استلهام التاريخ في كيفية العلاج والتعامل مع المد اليساري في الخمسينيات والستينيات الميلادية يثبت أن إحياء الدعوة الإسلامية ورفع لواءها محلياً وعالمياً هو الحل الكفيل بإذن الله للحفاظ على تماسك المجتمع وأصالته، والخيار العلماني لو أمكن أو صلح جدلاً لأي مجتمع في الدنيا فهو غير ممكن ولا مُجْدٍ لمجتمعنا ولا دولتنا في السعودية أبداً.

أما الحل الترقيعي كما ينادي به بعض من لا علم لهم لا بالإسلام ولا بالعلمانية فهو حل بالإضافة لعدم إمكانه فستكون نتيجته – بعد غضب الله– عدم رضا جميع الناس لا سواد الأمة وجمهورها ولا فئة العلمانيين وبالذات الغلاة والمتطرفين منهم .

4) وجود فئات من الشباب المتدين اجتالهم الشيطان فسقطوا صرعى للغلو والتكفير والرفض المطلق لكل ما لا يتفق مع آرائهم وأفكارهم، ولست في مقام التفصيل والتحليل لهذه الظاهرة وأسبابها التي أفرزتها والتي كان من أهمها :

أ – إسكات الدعاة العلماء .

ب – وفتح أبواب السجون للشباب الملتزم واضطهادهم .

ج – وعدم التحرك لمواجهة اليهود .

د – انتشار الفساد والعلمنة .

لكنني أشير إلى أنني منذ عشرين سنة خلت حذرت في مناسبات عدة ثم على فترات متلاحقة من الابتلاء بهذا الداء، وها هو أصبح واقعاً لا يمكن تجاهله وكان أيضاً نتيجة لأمور وأسباب موضوعية لكن السؤال ما هو طريق العلاج، أرجو ألا نكرر أخطاء غيرنا ولا نستورد التجارب الفاشلة وغير المشروعة للتعامل مع هذا التحدي القائم.

5) من التحديات التي تواجهنا – والتي ستؤدي لا قدر الله إلى خلخلة الجبهة الداخلية في أي مجتمع إسلامي– ما نشاهده في مواقع كثيرة من فساد إداري ومحسوبية ومحاباة وبيروقراطية ضربت بأطنابها حتى أصبحت العلاجات لا تتجاوز المسكنات والمهدئات ولا تنال إلا الأطراف والحواشي وصغار الناس دون رموز هذا الداء الوبيل، وخذ السلطة الفلسطينية مثالاً على ذلك مع أن المفترض أنها تعيش ظروف حرب ونضال، وليس هناك نظام عربي يستثنى من ذلك، لكن عمق وضخامة التحدي تختلف من نظام لآخر .

6) الدين الهائل العام الذي أصيبت به أكثر البلدان وبالذات منذ حرب الخليج والذي يزيد عاماً بعد عام، والذي ستعيش الأمة ترزح تحت كاهله عشرات السنين وما ينتج عن ذلك من تداعيات في شتى جوانب الحياة المختلفة .

فإذا أضيف إلى ذلك البطالة المتزايدة والفقر المدقع الذي تتسع رقعته مع الأسف يوماً بعد يوم، والتردي في الخدمات الأساسية من صحة وتعليم ومياه وكهرباء وصرف صحي وطرق وأمن عام وغير ذلك .

إذا أدركنا مقدار وحجم وخطورة هذا التحدي أمكننا حينئذ أن نتلمس له حلاً على الرغم من صعوبة ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله .

7) يجب إعادة النظر في التعويل على الحلول الأمنية القمعية للظواهر والمشكلات الفكرية والسياسية، فهذه قد تخفيها ظاهراً لكنها في الوقت نفسه تزيدها حدة وعمقاً وإصراراً وتجعلها أبعد عن المراجعة والتصويب والتصحيح. إن المعالجة الحقيقية للمشكلات السياسية والفكرية هي في الحوار والحجة والبرهان والقبول للحق من أي إنسان كائن من كان، وحمل النفس على ذلك ومعالجة الأخطاء القائمة والاعتراف بها .

8) تضاؤل ثقة الناس في المؤسسة الدينية في البلدان التي كان لها وزن كبير فيها مثل السعودية، مما ينذر بأوخم العواقب في المستقبل مما يستدعي دراسة الأمر دراسة عميقة والبحث عن حلول جريئة وعملية، فنحن مثلاً في السعودية في الأصل دولة إسلامية دينية، ووجود المؤسسة الدينية الرسمية الموثوقة من الناس أحد صمامات الأمان للمجتمع.

9) التخلف العلمي والتقني والتنموي الذي جعل أغلب البلاد العربية في آخر قائمة دول العالم .

ثانياً/ العلماء والمفكرون والمثقفون والخطباء :

إن مسئولية أهل العلم والثقافة ورجال المنابر أمام الله ثم أمام تاريخ أمتهم مسؤولية عظيمة، فهم إما حداة صدق ونصح وأمانة وإما شهود زور وكذب وخيانة ، إما يؤثرون الحق والنصح وما عند الله، وإما يؤثرون المتاع الزائل والمجد الزائف والتطبيل الأجوف والنفاق المهلك .

والذي أرى أنه يجب على هذه الفئة المتميزة من الأمة أن تقوم في هذه الظروف الصعبة بالأمور الآتية :

1/ القيام بدورهم في الرجوع بالأمة إلى الله وإصلاح الأحوال والتوبة الصادقة من جميع الذنوب والمعاصي ورد المظالم لأهلها، فما نزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة { إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم } .

2/ توجيه الناس إلى الدعاء الدائم لله سبحانه وتعالى أن يزيح هذه الغمة عن الناس، وفتح أبواب التفاؤل وحسن الظن بالله واليقين بنصر الله لدينه وعباده ولكن ليبلو بعضنا ببعض ليعلم الصادقون من غيرهم، ومقاومة أسباب الإحباط والخوف قال تعالى:{ ادعوني استجب لكم }، وقال تعالى: { فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان } .

ومهما كانت تقديرات البشر فهي في النهاية مربوطة بقدر الله سبحانه { وما تشاءون إلا أن يشاء الله } ولذلك يجب التوكل على الله وحده واللجوء الصادق إليه .

3/ وضع العلاقة مع أمريكا في إطارها الشرعي الصحيح، فهي صليبية نصرانية سلمت مقودها لصهيونية يهودية حاقدة على المسلمين والإسلام، فهي عدو لدود للمسلمين آذت المسلمين وحاربتهم في كل ميدان أتيح لها ذلك فيه، لكنها أيضاً ميدان خصب للدعوة إلى الله ومستقبل الإسلام فيها واعد ومشرق بإذن الله .

فيجب مقاومة عدوانها بالوسائل الشرعية الممكنة وإيصال صوت الإسلام لشعبها والحوار مع عقلائها والوفاء بالعهود ما لم ينقضوها وعدم الغدر بالمستأمنين منهم وعدم جواز بل حرمة إعانتها على المسلمين تحت أي ظرف، والتحذير من ذلك ووجوب مقاومتها وجهادها لدفع عدوانها عن المسلمين .

4) إحياء معاني الجهاد والرجولة والشجاعة والبطولة في نفوس الأمة وتربيتها على ذلك، فالجهاد ماض في الأمة إلى يوم القيامة كما أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– فهو سياحة الأمة ودرعها الذي تواجه به عدوها وما ذلت الأمة إلا يوم أن تخلت عن الجهاد وأصبح شبابها غزلانا وحملانا جفولة وديعة، بعد أن كانوا أسوداً ضارية وصقوراً حامية، واستلهام السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي في ذلك، والتذكير به وتصحيح النية في ذلك .

5) التوعية بخطورة هذه الحرب على مستقبل الأمة في مختلف جوانب حياتها الدينية والسياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وكيف يمكن مقاومة هذه المخاطر وسبل مواجهتها وتحريك الشعوب ليكون لها دور في مقاومة هذا العدوان .

6) حض الناس وحثهم على مساعدة ودعم المسلمين في العراق، وإغاثتهم من خلال المؤسسات الخيرية والإغاثية والقنوات الرسمية والشعبية لتخفيف محنتهم وأداء الواجب نحوهم، فلو كان ما يتعرض له المسلمون في فلسطين والشيشان والعراق وغيرها يتعرض له قطيع من الكلاب أو الخنازير لما جاز السكوت عليه، فكيف وهم أناس ومسلمون والواجب عدم تحميل الناس في العراق جريرة صدام وزمرته وحزبه .

7) توجيه الناس إلى الحفاظ على أمن البلد ووحدته واعتبار ذلك من الأولويات في هذه الظروف والتكافل والترابط مع الجميع، واعتبار الأمة جسداً واحداً والتعاون والتواصل والتناصح مع المسئولين، فالحرب إن وقعت كارثة على الجميع وليس الوقت وقت تلاوم بل وقت تكاتف وتآزر على الحق والحذر من خطورة الإشاعات والحرب النفسية وأهمية التثبت فيما ينشر أو يذاع .

8) عدم ترك الفرصة للعلمانيين للتحدث باسم الأمة والنيل من دينها وتاريخها وثوابتها وبيان أن كل ما أصاب الأمة بسبب صدام إنما هو إحدى الثمار المرة للفكر العلماني، وقد سبقها الكثير وما هزائم 1948م و 1967م أمام اليهود، وما جنته الأمة في ظل المد الناصري العلماني إلا ثمار أخرى، وستبقى أمتنا تعيش هذه المآسي ما دام هذا الفكر العقيم الغريب يعشعش في واقعها وينخر في جسدها .

9) الحذر والتحذير من الأعمال المتهورة غير المنضبطة، والتي قد يكون ضررها أكثر من نفعها، بل قد لا يكون فيها نفع أصلا، وقد تكون محرمة شرعاً فالحماس غير المبصر بالفقه الشرعي والمستوعب لسلبيات وإيجابيات ومصالح ومفاسد أي عمل عدمه خير من وجوده، ولذا علينا أن نتريث قبل الإقدام على أي أمر حتى نعرف حكم الله فيه وما يترتب عليه من مصالح ومفاسد.

10) أخيراً أحب أن أنبه إلى أن الوسيلة الوحيدة التي يمكن بها تجنيب المنطقة ويلات الحرب هي عندما تتوحد الأمة في جميع مستوياتها على موقف واحد صريح

قوي رافض للحرب ومقاوم لها، وعندما تستيقن أمريكا حكومة وشعباً أن ثمن الحرب ومغارمها وفاتورتها لن تتحملها شعوب المنطقة بينما أمريكا تذهب بمغانمها فقط .
بل يجب أن تُشعر حكوماتُ وشعوبُ المنطقة أمريكا بأنها ستدفع ثمناً باهظاً لإقدامها على الحرب، حينئذ فقط يمكننا أن نتجنب الحرب، إن الموقف الألماني الفرنسي في هذه القضية موقف إيجابي في مصلحتنا، وإن لم يكن لسواد عيوننا فهل يمكن الاستفادة منه ؟ أرجو و " لعل وعسى "

==============

دوافع الحملة الإعلامية الأمريكية على المؤسسات الخيرية الإسلامية(1)

د.محمد بن عبدالله السلومي 1423/11/8

2003/01/11

تحت شعار (محاربة الإرهاب) انطلقت الحملة الأمريكية على المؤسسات الخيرية الإسلامية إعلامياً وميدانياً في معظم دول العالم، عقب أحداث 11سبتمبر ومازالت على أوجها حتى الآن، في اتهام صريح لتلك المؤسسات بأنها تدعم الإرهاب.
مارست وسائل الإعلام الأمريكية – باقتدار– دوراً انتهازياً لبث مشاعر الشك والريبة تجاه كل ما يندرج تحت مسمى المؤسسات الخيرية الإسلامية، واتخذت الإدارة الأمريكية الكثير من الإجراءات الميدانية والقانونية والتشريعية ضد تلك المؤسسات، الأمر الذي يطرح العديد من علامات الاستفهام حول تلك الحملة، وما رافقها من تهم تستلزم البحث والنظر في بعض القرائن والنتائج لتلك الحملة:
هل هي حقاً موجهة نحو القضاء على ما يسمى بالإرهاب؟
أهي حقاً حملة لتجفيف موارده رغم أنه قد لا يحتاج أموالاً قياساً بأكبر حدث إرهابي وقع؟
هل تلك المؤسسات متورطة في دعم الإرهاب؟
هل هنالك أهداف أخرى غير معلنة لتلك الحملة تدار بواجهة محاربة ما يسمى بالإرهاب؟.

لقد ترجح بعد البحث والدراسة أن تلك الأهداف المعلنة لا تمثل الأهداف الحقيقة، وإنما تخفي وراءها أهدافاً غير معلنة اتضحت من خلال بعض القرائن والنتائج التي سنسوقها في هذه الورقة.

لا شك أن الأهداف الحقيقية للحملات على المؤسسات الخيرية الإسلامية تتضح من خلال الوسائل المتعددة والنتائج المتنوعة، فهاك أدلة قوية تشيرإلى أن الهدف المعلن غير الحقيقة، وذلك بعد دراسة متعمقة وتحليل شامل لشريحة من الحملات الإعلامية والميدانية، ومن خلال أقوال وتصريحات وكتابات بعض العاملين في مجالات السياسة والإعلام والثقافة ومنظمات العمل الخيري وفي مراكز الدراسات والأبحاث.

ولا ريب أن وجود الأدلة لإدانة أي مؤسسة (جانحة) لا يتطلب كل تلك الحملات الإعلامية، فيكفي إبراز الأدلة للمحاكم أو الحكومات المعنية، داخل أمريكا أو خارجها، ولكن يبدو أن هذه الحملات مقصودة بذاتها.

لقد تعددت الممارسات المجحفة بحق تلك المؤسسات كالإغلاق أو تجميد الأرصدة أو المصادرة أو التشهير أو الاتهام، بل وصل الأمر بعد إخفاق محاولات إيقاف أو تجميد بعض المؤسسات بحجة دعم الإرهاب إلى إغلاقها لأسباب أخرى، فالإغلاق هو الهدف والسبب يسهل تدبيره كما حدث لمكتب مؤسسة الحرمين في البوسنة والهرسك، فقد جرت محاولات الإقفال لمكتبها هناك بدعوى دعمها للإرهاب، وبعد الإخفاق في إدانتها بهذه التهمة، أغلق المكتب أخيراً بسبب توظيف أجانب من دون ترخيص(2). وكذلك ما حدث في مصر في رمضان المنصرم الموافق نوفمبر من عام 2002م، حيث طالب السفير الأمريكي بإغلاق خمس وعشرين جمعية دينية محلية دفعة واحدة، وبعد خمسة عشر شهراً من الحدث التاريخي لتفجير الحادي عشر من سبتمبر؛ وذلك للاشتباه في علاقتها بتنظيم القاعدة! والسبب الحقيقي أن تلك الجمعيات لعبت دوراً قوياً في تفعيل المقاطعة الاقتصادية للمنتجات الأمريكية(3).

ألا يمكن بعد هذه النماذج أن يكون الهدف الحقيقي من هذه الحملة الأمريكية غير الهدف المعلن؟، وماذا يعني إطلاق التهم والتعميم بدون دليل، حيث يتم إطلاق التهم وعلى الآخرين أن يقدموا الأدلة على براءتهم؟، وهل نجح اليمين المتطرف

والصهيونية المتمكنة في تحريك الإدارة الأمريكية وفق رؤيتها المتعصبة التي تلبي مطالبها دون النظر إلى الآخرين ومصالحهم؟.

وتتعدد القرائن التي تؤكد أن الحملة لها أهداف أخرى خلاف تلك المعلنة وهذه أبرزها(4):

أولاً: فقدان الأدلة وصعوبة الإدانة:

لقد تم تسخير الإعلام بوسائله المتعددة بصورة مكثفة أثارت تساؤلات عما إذا كان اتهام مؤسسة محددة ومعينة يحتاج إلى مثل هذه الحملة؟ أم أن تلك الحملة الإعلامية وسيلة للتعويض عن الأدلة القانونية المفقودة؟، ولتكوين قناعات من خلال التضليل الإعلامي أو على الأقل بث الشك في العلميات المالية للمؤسسات الخيرية الإسلامية، فقد لوحظ في تلك الحملة:

- افتقادها للغة الوثائقية في كل ما ورد فيها من أخبار وتقارير، يقول رئيس جمعية الحقوقيين البريطانية عن تلك الاتهامات في ندوة بقناة الجزيرة في 2002/10/21م (إن كل ما قدم من اتهامات لا يمكن أن يصمد في المحكمة) (5).

وكذلك ما ذكره المؤتمر الدولي في البحرين في 2002/10/27م (لا غسيل للأموال في المصارف الإسلامية) علاوة على ذلك ما قاله ريبرن هيس الرئيس السابق لقسم الاستخبارات المالية بوزارة الخارجية الأمريكية الذي قال (إنه لا أحد يعرف على وجه التحديد كمية الأموال التي يجري تحريكها خارج النظام المصرفي التجاري التقليدي)، مؤكداً صعوبة تتبع أنواع التمويلات والإجراءات المالية في ظل البريد الإلكتروني والهاتف النقال (6).

فهل عدم المعرفة هو الذي قاد للاتهام؟

كما قال رونالد دوركن(7): (سيكون من الصعب الكشف عن أدلة دقيقة تؤكد تمويل الإرهاب) وضرب مثلاً بما قد يوجد في دفاتر الحسابات المالية من إيجار، أو بناء مدارس ولكن هذه المبالغ يمكن تحويلها بشكل أو بآخر لمنظمات تعتبرها واشنطن منظمات إرهابية، فهل تعني هذه الصعوبات التي ذكرها دوركن أن أمريكا أرادت التعويض عنها بالحملة الإعلامية؟.

كذلك ما قاله بعض المصرفيين من (أن النظم المصرفية في المنطقة وكميات الأموال التي يتم تداولها خارج النظام المصرفي تجعل من المستحيل تقريباً حركة المال)، وما قاله مصرفي عماني في هذا الصدد: (إن الولايات المتحدة الأمريكية لا تستطيع أبداً أن تتأكد هل الأموال تذهب إلى أيدي إرهابيين أم لقضايا إنسانية) (8).

فهل هذه العقبات وعدم الاستطاعة هي السبب للحملة الإعلامية وإطلاق التهم؟

– اتسمت الحملة بالتعميم وعدم الوضوح بل التمويه والتعتيم في كثير من الأحيان وقد برزت فيها جوانب التهويل وعدم تقديم الأدلة والبراهين وربما القراءات الخاطئة في بعض الأحيان، وزير الداخلية السعودي رد على اتهام المؤسسات الخيرية الإسلامية في المملكة بتمويل الإرهاب بقوله: (من يستطيع القول إن هذه الأعمال تذهب إلى غير مستحقيها؟ وهل هناك دليل واحد على هذا؟). وقد نبهت هيئة الأمم المتحدة – وهي جهة معنية بالحرب على الإرهاب اتسمت بالتخبط والتشويش– (9).

– إن فقدان الأدلة وصعوبة الإدانة في دفع أمريكا إلى تطبيق قانون الأدلة السرية لضمان عدم أحقية المحاكم في طلب الأدلة، وحيث يتضح في الوضع القانوني الجديد لأمريكا عدم أهمية وجود الأدلة للإدانة.

كما أن المطالب الأمريكية من الدول والمؤسسات الخيرية الإسلامية والتي قدمت نموذجا منها للحكومة الكويتية كافية وحدها أمام الرأي العام العالمي والمنظمات العالمية لإسقاط دعاوى الإرهاب عنها(10)، إنها مطالب للبحث عن الإدانة، مطالب يتطلب العمل بها فريقاً دولياً من المحاسبين والقانونيين ورجال المال والإدارة، ويكفي أن أمريكا لا تستطيع تطبيق تلك المطالب غير القانونية في أراضيها وولاياتها، كما لا تستطيع تقديمها إلى دول أوروبا على سبيل المثال حيث تكون مرجعية القضاء واحترام القانون، وقوة الصفة الاعتبارية للمؤسسات غير الحكومية أياً كانت صفة عملها (انظر ملحق المطالب).

ثانياً: التغطية على المشكلات الداخلية:

تعد الحرب على ما يسمى بالإرهاب التي أعلن الرئيس الأمريكي استمرارها سبباً ومشجباً للتغطية على المشكلات السياسية والمالية التي تعاني منها أمريكا والإدارة الجمهورية، فقد وصل (جورج دبليو بوش) للحكم بعد صراع مرير مع منافسه من الحزب الديمقراطي (أل غور) وفضائح انتخابية لم تنته إلا بتنازل (آل غور).

أما المشكلات الاقتصادية فلا تخطئها عين مثل فضائح وخسائر الشركات الاقتصادية والمحاسبية التي هزت أسواق المال والأعمال داخل أمريكا وخارجها، كما تتابع مسلسل الخسائر والانهيارات الاقتصادية والفضائح المالية لمعظم تلك الشركات.

والأمر الأخطر من ذلك أن تلك الخسائر كانت ناتجة في معظمها من فضائح مالية وقضايا احتيال وتلاعب بالأرقام تؤكد مخالفات على مستوى غير مسبوق في تاريخ أمريكا، مما يمكن اعتباره أكبر عملية احتيال في التاريخ أوجدت أزمة ثقة خطيرة (11).

كما يضاف إلى ذلك الخسائر التي وقعت من جراء أحداث الحادي عشر من سبتمبر وتداعياتها، حيث قدرت حسب ما أشارت إليه بعض الصحف حتى عام 2003م بحوالي 639 مليار دولار فضلاً عن فقدان مليوني وظيفة (12).

ويلاحظ أن أسواق المال الأمريكية تعيش أسوأ أيامها في منتصف عام 2002م، وقد ارتفعت الخسائر حتى بلغت 8.6 تريليون دولار.

كما أشار الرئيس الأمريكي بعد تلك الخسائر والفضائح (أن هذه الممارسات غير المنطقية في الشركات تدعو إلى شن حملة حكومية صارمة) (13).

لكن الحرب على الإرهاب غطت على كل ذلك بل وغطت على الفشل في الساحة الأفغانية، الفشل الذي يتأكد بمقاييس تحقيق الأهداف المعلنة قبل بداية الحرب، والتي لم تتحقق حتى الآن، وانعكاس ذلك على الحكومة والاقتصاد والشعب مما يؤكد مقولة أن (أمريكا لا تعيش بدون حروب)، أو نظرية (الحروب) الدائمة.

ويمكن أن تكون هذه الحرب الإعلامية على المؤسسات الخيرية تغطية على فشل الأجهزة الأمنية الأمريكية في اكتشاف خطط أحداث الحادي عشر من سبتمبر قبل

وقوعها، أو للتغطية على تورط أو تواطؤ جهات معنية داخل الإدارة الأمريكية نفسها كما أشارت بعض التقارير.

لقد ذكرت بعض التحليلات السياسية عن الحرب على الإرهاب أن الرئيس الأمريكي وحكومته قد نجحا حتى الآن في إشغال الرأي العام الأمريكي بتجاوز المشكلات الداخلية والأزمات الاقتصادية من خلال الحرب على أفغانستان ورب دعوى الإرهاب المستمرة على المؤسسات والدول والتحضير الإعلامي الكبير والمستمر لحرق العراق.

ثالثاً: تقلب المواقف الأمريكية بين الماضي والحاضر:

قدم بعض الأفراد المرتبطين بالمؤسسات الخيرية بروابط متنوعة دعماً مالياً مباشراً لبعض فصائل المجاهدين الأفغان، كما قدمت لهم بعض الحكومات العربية – خصوصاً الخليجية – الدعم المالي والسلاح الأمريكي ولم يكن هذه سراً من الأسرار بل كان مجال فخر واعتزاز للمؤسسات والدول.

كما أن أمريكا تعتبر بشكل خاص وبحق من أقوى الدول التي دعمت المجاهدين بالمال والسلاح بشكل مباشر أو غير مباشر، بل وأسهمت بتصحيح المصطلحات السياسية والإخبارية (الإعلامية) حينما زار أفغانستان (زيجنيو بريجنسي) مستشار الأمن القومي الأمريكي آنذاك – وتقابل مع الزعيم الأفغاني يونس خالص لتتبنى أمريكا بعد ذلك بإعلامها المباشر وغير المباشر كلمة (مجاهدين) بدل المتمردين أو المقاتلين الأفغان.

لا شك أن بعض المؤسسات الخيرية الإسلامية كان له ارتباط مع بعض المتطوعين بالجهاد بأنفسهم وأموالهم – وليسوا كموظفين– وكان لهم ارتباط مع بعض فصائل المجاهدين دعماً ومؤازرة وكان كل ذلك مرصوداً من قبل الأجهزة الأمنية الأمريكية وفروعها وعملائها.

وقد تضررت المؤسسات والجمعيات الخيرية الإسلامية في السابق واللاحق من تصرفات الحكومة الأمريكية من خلال معاييرها ومقاييسها المختلفة والمزدوجة.

لقد أكد الكاتب الأمريكي (آرثر لوري) هذه المعاني وغيرها قبل الحادي عشر من سبتمبر، وكان مما قال: (إن تعامل أمريكا وموقفها من الإسلام بدأ يتغير ويأخذ

وجهة معاكسة، فخلال الحرب الباردة كان الإسلام يبدو حليفا للغرب، وكانت الدول الإسلامية خصماً للشيوعية الملحدة، فقد دعمت الولايات المتحدة الأمريكية المجاهدين الأفغان بنحو (3) مليارات دولار عبر أجهزة المخابرات بهدف هزيمة الاتحاد السوفييتي وإخراجه من أفغانستان، وكان المجاهدون الأفغان آنذاك أبطالاً في التغطيات الإعلامية في نظر الشعب الأمريكي) (14)، وبهذا يتضح أن من أسباب الحملة الأمريكية على المؤسسات الخيرية السعي إلى المحاسبة على التاريخ القديم، وبأثر رجعي يبعث على التندر والطرافة!!.

لسائل أن يسأل بعد هذه الأخطاء الأمريكية بحق المؤسسات قديما وحديثاً هل يمكنها أن تحصل بموجبه على التعويضات اللازمة؟.

رابعاً: تصفية الحسابات السياسية:

قد تكون من أسباب هذه الحملات تصفية الحسابات السياسية أو الدينية، أو تعبئة الرأي العام سواء داخل أمريكا أو خارجها لصالح بعض القوى السياسية أو الدينية المتعصبة، ولا سيما أن المؤسسات الخيرية الإسلامية تعرضت لحملات إعلامية قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م، وقد تدخل بعض الاستجابات داخل الوطن العربي والإسلامي ضمن هذا الإطار، إذ قامت بعض الدول العربية بمبادرات التضييق والإغلاق ضد تلك لمؤسسات رغم أنه لم يتم توجيه أي تهمة لها، لقد أصبح الإرهاب ودعاواه مشجباً استغلته معظم الدول أو الأحزاب السياسية في تصفية الخصوم أو حتى المعارضين أو أصحاب الحقوق المشروعة، وأصبحت دعوى الإرهاب من وسائل الانتقام من الأفراد والمجموعات، ففي داخل فلسطين تبنت الحكومة اليهودية أبشع أنواع الإرهاب في الداخل، وساندتها الحملات الإعلامية في أمريكا لتصفية حساباتها مع كل من يدعم الشعب الفلسطيني من مؤسسات ودول، وعلى الصعيد نفسه فقد تم الاستثمار للحدث في روسيا والباكستان وكشمير والفلبين وإندونيسيا والبلقان، وتناغمت معظم دول العالم لتصفي حساباتها القديمة والحديثة تحت مسمى هذا المولود القديم الجديد (الإرهاب) حتى أن بعض المنظمات الحقوقية حذرت من هذا الاستغلال البشع.

لقد تنوعت وتعددت الإجراءات ضد المؤسسات الخيرية الإسلامية داخل وخارج أمريكا مما يدفع إلى الاعتقاد إنها تمثل نوعاً من تصفية الحسابات معها، حيث كانت الحملات الإعلامية المبكرة عليها قبل الأحداث، وجاء الحدث ليضعها في أولويات الأجندة في هذه الحرب الأمريكية العالمية.

والحقيقة أن الإرهاب ودعاواه أصبح البورصة في سوق المزايدات السياسية، فهل كان هدف هذه الحملة تحقيق هذه النتيجة؟، وهل ستتوقف الحملة على مؤسسات العمل الخيري بعد هذه النتيجة؟.

خامساً: تحالف يخاصم الإسلام:

من الأسباب الرئيسة التي يجب أخذها بعين الاعتبار حين البحث عن دوافع تلك الحملات غير الطبيعية ما أسمته صحيفة الوسط (محور شر في واشنطن) حيث ساهمت الصحيفة المذكورة في كشف الأسباب والدوافع الرئيسة للحملات الإعلامية والميدانية والمواقف السياسية تجاه العالم العربي والإسلامي – والمنظمات والمؤسسات الخيرية الإسلامية ما هي إلا جزء تدخل ضمن هذه الرؤية المتكاملة – والمهم من هذا التحقيق قول الصحيفة المذكورة (الأصوليون الأمريكيون واليهود والجمهوريون المتطرفون يحاصرون البيت الأبيض)، منذ 11 سبتمبر 2001م، دخلت على الخط الشرق أوسطي بقوة مدرستي اليمين المسيحي الأمريكي أو (الأصوليون المسيحيون) واليمين المحافظ الجمهوري أو (الأصوليون الريغانيون)، وقد أبرمت المدرستان تحالفاً بينهما يرفع شعار الدعم المطلق لإسرائيل – لأسباب أخلاقية واستراتيجية في آن واحد – المدرسة الأولى تعتبر أن دعم إسرائيل ضرورة أخلاقية دينياً؛ لأن الدولة العبرية تعتبر تجسيداً لنبوءات الكتاب المقدس حول التمهيد لقدوم السيد المسيح، فيما الثانية تنظر إلى إسرائيل بصفتها حليفاً ذا أهمية استراتيجية كاسحة في إطار الحرب العالمية ضد الإرهاب، وقد انضم إلى هذا التحالف الآن طرف ثالث هم (الأصوليون اليهود) في الولايات المتحدة الذين يقفون حتى إلى يمين (آرييل شارون) في توجهاتهم نحو الفلسطينيين والعرب هذا التحالف الثلاثي الذي يقوده الأصولي المسيحي ومرشح الرئاسة الأمريكية السابق (غاري باور) والأصولي اليهودي (وليام كريستول) وصقور الحزب الجمهوري في البنتاغون، والكونغرس الذي

طور استراتيجية مشتركة لخصها الكاتب في صحيفة ويكلي ستاندرد (رول مارك غير يشت) على الشكل الآتي:

1- حروب إسرائيل ضد الفلسطينيين والعرب لا تضعف مواقع الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، بل هي على العكس تعززها إذ إنها تمهد الطريق أمامها لخوض الحرب ضد العراق وضد قوى (الأصولية الإسلامية).

الحلف الإسرائيلي الأمريكي المستند إلى التفوق العسكري والانتصارات العسكرية الإسرائيلية ضد الفلسطينيين ودول المواجهة سيؤدي إلى زيادة السطوة الأمريكية في الشرق الأوسط من المغرب حتى إيران، لأنه سيذكر العرب بأنه لا يمكن إلحاق الهزيمة بالقوة الغربية (15).

ولتحقيق ذلك جرى التركيز على افتعال الخصومة مع الدين الإسلامي وتشريعاته ومؤسساته خاصة في العقد الأخير من القرن العشرين وقد تضاعف هذا التوجه بشكل ملفت للنظر بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وعلى مستوى يصعب تجاهله أو تجاوزه كما حدث ويحدث من القساوسة (بات روبرتسون) و (فرانكلين غراهام) و (جيري فالويل)، وغيرهم فالأمر بلغ حد الخصومة الشاملة مع الإسلام والمسلمين من خلال تلك الحملات الإعلامية ولم يعد مقتصراً على نوع معين من أنواع العمل الخيري الإسلامي بل تعدى ذلك إلى الهجوم والسب لنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم مما يؤكد مقولة أن هدف الحملة أبعد من دعوى الإرهاب وتتعداه إلى تجفيف المنابع وذلك لشمولها وتنوعها واستهدافها الدين الإسلامي ذاته، إلى ذلك أشار الكاتب الأمريكي (بول فندلي) في كتابه لا سكوت بعد اليوم حينما قال: واليوم غالباً ما يسمى الإسلام الخطر الجديد الآتي من وراء الأفق، الآخذ مكان الاتحاد السوفييتي البائد، إنه يحتفظ بقدرة مشابهة على التغلغل والتوسع.

ويضيف فندلي: يشرح الأستاذ "إدوارد سعيد" الأستاذ في جامعة كولومبيا في نيويورك(16) فيقول: ما يهم خبراء مثل (جوديث ميلر) و (صامويل هانتيغون) و (مارتن كرايمر) و (برنارد لويس) و (دانيال بابس) و(ستيفين إمرسون) و (باري روبين) إضافة إلى مجموعة كاملة من الأكاديميين الإسرائيليين هو التأكد من إبقاء خطر الإسلام نصب أعيننا، والأفضل التنديد بالإسلام لما يمارسه من إرهاب

واستبداد وعنف، فيما يؤمِّنون لأنفسهم استشارات مجزية، وظهوراً متكرراً على شاشات التلفزة وعقوداً لتأليف الكتب، لقد جعل الخطر الإسلامي يبدو مرعباً إلى حد لا نظير له(17) ، وقد أشار إلى ذلك الصحفي البريطاني (روبرت فيسك) الذي قال: إن إسرائيل عملت على تشجيع خلق صورة من المطابقة والتماثل بين الإرهاب والإسلام، وذلك عن طريق ربط استخدام الكلمتين معاً في تصريحات زعمائها العلنية(18)، وبناء على هذا فقد تم استهداف المؤسسات الخيرية الإسلامية أياً كانت صفتها، حيث استهدفت مؤسسات تعليمية وعلمية ومؤسسات متخصصة لكفالة الأيتام وثالثة متخصصة بالفقراء والمساكين والمنكوبين، ولم تسلم بعض البنوك والشركات الإسلامية وصحب ذلك حملة مسعورة على المناهج الدينية المتميزة في العالم العربي والإسلامي مما يؤكد الاعتقاد بأن هذه الحملات تهدف جميعها إلى تجفيف منابع الدين في العالم الإسلامي إرضاءً لليمين المسيحي المتطرف وتحقيقاً لحلم اليهود في إقصاء الدين الإسلامي من الصراع الإسرائيلي العربي، واستجابة لضغوط المنظمات المتخصصة مثل منظمة (بناي برث) اليهودية الأمريكية.

سادساً: تكريس الصورة المزيفة عن الإسلام والمسلمين:

من الحقائق المسلمة في أسباب هذه الحملة وجود مؤسسات ومنظمات ومجموعات وأفراد من سياسيين وإعلاميين وعسكريين ورجال دين في الداخل الأمريكي متخصصين في تشويه صورة الإسلام والمسلمين بدوافع متعددة وأساليب متنوعة، خاصة مع ما يملكونه من نفوذ وسمعة في عالم الإعلام الأمريكي والإعلام الديني بشكل خاص، ولا سيما أن بعض تلك الحملات على المؤسسات الإغاثية قد ظهرت قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر سنة ونصف أو أكثر: مقالات ومقابلات متفرقة، ومن هؤلاء على سبيل المثال من داخل أمريكا (استيف أمرسون)، و (جوديث ميلر) و (دانيال باينز) و (كارل ثوماس) و (ستيف ماكونغل).

كما يرى المتعصبون من اليهود والنصارى أن الدين الإسلامي يشكل تحدياً تاريخياً، فالعزف على هذا الوتر حتى وإن لم يكن بدافع التعصب فإنه يحقق أهدافه، وإلى هذا أشار الكاتب الأمريكي (بول فندلي) في كتابه الجديد (لا سكوت بعد اليوم) في الفصل السادس (الإرهاب والافتراء) حيث قال: أعرف أن نشر التنميطات المزيفة

يمكن أن يخدم المصالح المتعصبة الضيقة، في بعض الأحيان قد تنشأ الصور المزيفة من الحقد، وقد تنشأ في أحيان أخرى من الطموح الجامح على حد قول شكسبير. يضيف الكاتب الأمريكي في موضع آخر من كتابه المذكور حول التنميطات المزيفة عن الإسلام قوله: هناك العديد من المنافقين بين قادة المسيحيين ، لكن الإسلام وحده بين الأديان الأخرى يربط في الأخبار والتقارير والمقالات بالعنف باستمرار، في حين أنه نادراً ما تذكر ديانة الفاعلين عندما ترتكب أعمال مروعة على أيدي أناس ينتمون إلى ديانات أخرى، فالتقارير الإخبارية لم تشر إطلاقاً إلى المذابح المرتكبة ضد (ألبان كوسوفا) بأنها أعمال قتل ارتكبها الصرب الارثوذكس، وأن البورميين يقتلون بأيدي البوذيين، وأن الفلسطينيين يقتلون بأيدي اليهود فالجناة يحددون روتينياً بهويتهم القومية، وليس بانتماءاتهم الدينية، إلا عندما يكونون مسلمين إذ لا ينظر إلى مرتكبي العنف المسيحيين بأنهم يشوهون سمعة المسيحية، ولكن إذا ارتكب مسلم إثماً فإن هذا الإثم يصور كعنصر من عناصر الخطر الإسلامي الداهم على أمريكا، هذه الازدواجية في التعامل هي التي تعزز أخبث تنميط للإسلام، وأوسعه انتشاراً، ألا وهو ربط المسلمين بالإرهاب (19).

سابعاً: فلسطين أحد أهداف الحملة:

المتأمل في جوانب تلك الحملة يدرك أن من الأسباب الرئيسة لهذه الحملة الأمريكية القضية الفلسطينية (الانتفاضة – الأقصى) ويلحظ أنها طالت المؤسسات الإسلامية الأمريكية وغير الأمريكية المتخصصة بدعم بعض المدارس والمستشفيات وأسر الشهداء والأيتام والفقراء والمساكين في فلسطين، والتي أثارت أعمالها الإغاثية المؤسسات اليهودية في أمريكا مما جعلها تثير حولها وحول العاملين فيها زوابع من الشكوك والخوف والزعر. كان ذلك قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر كما أورد هذا الكاتب الأمريكي (بول فندلي) في كتابه الجديد (لا سكوت بعد اليوم)، حين نقل تأكيد (أمرسون) أن كل المنظمات الإسلامية تقريباً القائمة في الولايات المتحدة، والتي تعتبر نفسها إسلامية وواقعة في قبضة العناصر الراديكالية، يتعاون بعضهم مع بعض عبر الدول، فسلسلة الأصوليين الإسلاميين تمتد من القاهرة والخرطوم حتى بروكلين، ومن غزة إلى واشنطن (20).

ثم جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر فتم استثمارها لصالح تلك الجهات، حيث كـان إقفـال بعـض المؤسسـات الإسـلامية، مثـل مؤسسـة الأرض المقدسـة للإغاثـة والتنمية (holy land foundation) في ريتشارديسون بولاية تكساس وفروعها في كاليفورنيا ونيوجريسي والينيوي، وقد أشارت صحيفة الزيتونـة الأمريكيـة أن الـرئيس جورج دبليو بوش أمر بتجميد المؤسسة المذكورة يوم 2001/12/4م والذي تعتبره الصـحيفة هديـة للحكومـة الإسـرائيلية(21) ، وبقـرار سياسـي أعلـن فيـه الـرئيس الأمريكي نفسه أن أسباب دعم أسر وأبناء حماس والجهاد الإسلامي، وبهذا القرار غير القانوني تم ضرب أكبر مؤسسة إسلامية على الساحة الأمريكية تقوم بدعم المحتـاجين فـي فلسـطين مـع تجميد ممتلكاتهـا، وحـدث مثـل ذلـك لمؤسسـة النجـدة الإسلامية (global relief foundation)

وللأسباب نفسها، انتقلت الحملة إلى فلسطين حيث تم إقفال مجموعتي التمويل وهما (بنـك الأقصـى العـالمي، ومجموعـة بيـت المـال الاسـتثمارية)، ومقرهـا الأراضـي الفلسطينية(22) ، وتبع ذلك إقفال بعض المؤسسات المعنية بدعم الفلسطينيين في أوروبا وغيرها مثل ما حدث لـ (جمعية الأقصى الخيرية) في آخن بألمانيا، وأصبح أكثر من 60% من الشعب الفلسطيني تحت خط الفقر بسبب الحصار العالمي على المؤسسـات الخيريـة المعنيـة بالشـعب الفلسـطيني، كمـا تشـير فـي ذلـك إلـى بعـض التقارير الرسمية والأهلية (23).

كما يؤكد الكاتب والباحث الأمريكي "بول فندلي" سيطرة قوى الضغط الخفية وأنها وراء تلـك الحمـلات والتنميطـات المزيفـة، حيـث اعتبـر أن مـن العوامـل التـي تبقـي الصـورة المزيفـة عـن الإسـلام حيـة ذلـك النشـاط الحثيـث فـي واشـنطن، الـذي تبذلـه جماعة الضغط لصالح المساعدات الأمريكية لإسرائيل، وفي سياق هذا الضغط غالباً ما يكون شبح الإرهاب المدعوم من المسلمين، هو الموضوع المتكرر، إذ يستخدم لتسويغ ممارسات الدولـة اليهوديـة القاسية ضد الفلسطينيين ذوي الأغلبيـة المسلمة، ولتبريـر اعتداءات إسرائيل العسكرية الدوريـة علـى لبنـان، حيث تسود أيضـاً أغلبيـة إسـلامية، إن صـورة الإرهـاب هـي الأسـاس الـذي تسـتند إليـه إسرائيل فـي مطالبتهـا بمساعدات أمريكية منتظمة من الأسلحة المتطورة، ومن المال لتعزيز دفاعاتها ضد

هجوم محتمل بالصواريخ من جانب سورية والعراق وإيران، وغيرها من الدول ذات الأغلبية الإسلامية (24).

لقد أشار الأستاذ فهمي هويدي إلى الارتباط بين تلك الحملة والقضية الفلسطينية بقوله: نجحت الحكومة الإسرائيلية في استمالة القيادة الأمريكية وإقناعها بأن قمع المقاومة الفلسطينية هو جزء من الحملة ضد الإرهاب، وهو ما ترتبت عليه نتائج جسيمة عدة تصب في مجرى محاولة الإجهاز بشكل نهائي على المقاومة الإسلامية في فلسطين، وفي تلك النتائج ما يلي:

- إطلاق يد رئيس الوزراء الإسرائيلي في افتراس الشعب الفلسطيني والتمثيل به من خلال تدمير البيوت والزراعات وشل المرافق وقصف السلطة الفلسطينية، ذلك غير خطف الناشطين واغتيالهم وترويع الآمنين حيثما وجدوا، الأمر الذي أدى من الناحية العلمية إلى نسف كل محاولات اتفاقات السلام خلال السنوات الثماني الأخيرة!!
- في التصريحات الرسمية: اعتبرت واشنطن أن ما تفعله إسرائيل هو نوع من الدفاع عن النفس، وبذلك ابتدعت – ولأول مرة– حق المحتل في الدفاع عن استمرار احتلاله وهو موقف مدهش؛ لأنه على النقيض تماماً مما تعارف عليه المجتمع الدولي بقوانينه واتفاقياته وأعرافه التي أقرت للذين احتلت أراضيهم بالدفاع عن أنفسهم بكل الطرق.
- أعلنت واشنطن أن حركتي حماس والجهاد منظمتان إرهابيتان وبالتالي صادرت أموالهما واستباحت دماء أعضائهما على الأقل من وجهة النظر الإسرائيلية، وشملت بتهمة الإرهاب كل من ساعد المنظمتين أو آوى أفرادهما، وهذه هي المرة الأولى التي تصنف فيها المقاومة الإسلامية رسمياً ضمن المنظمات الإرهابية بقرار يرتب إجراءات عملية لمحاولة تصفيتها.
- ضغطت واشنطن على دول الاتحاد الأوروبي وجعلتها تتبنى موقفها من المقاومة الإسلامية، وهي التي دأبت في السابق على اتخاذ مواقف أكثر موضوعية، ولكن هذا الموقف تغير بحيث طلبت الدول الأوروبية من الرئيس ياسر عرفات تفكيك البنى التحتية للمنظمتين باعتبار ما تقومان به هو نوع من الإرهاب (25).

ثامناً: حقيقة الاتهامات الموجهة ضد المؤسسات الخيرية الإسلامية:

مصدر بعض الاتهامات للمؤسسات الخيرية قد يكون مرجعه بعض التعاملات النقدية سواءً في مجال الإيرادات أو في مجال المصروفات، وهو أمر متبع في معظم المؤسسات الأهلية والحكومية في المجتمعات العربية والإسلامية والإفريقية والآسيوية، إذ تقتصر المعاملات البنكية على المبالغ الكبيرة فلا يتصور أن تقدم مؤسسة خيرية مساعداتها للفقراء في صورة شيكات بمبلغ 20 أو 50 دولاراً لكل شيك مثلاً، وهذا أمر متعارف عليه ومتبع لكنه يثير الشكوك وفق معايير النظام المالي الرأسمالي الذي يعتمد بطاقات الائتمان (credit card) وعليه كان على الأرامل والأيتام والفقراء في المناطق المنكوبة أن يكونوا من حملة هذه البطاقات حتى يسهل تحويل مساعدات المؤسسات الخيرية الإسلامية إلى حساباتهم في البنوك.

إن إثارة الشك والريبة في التعامل النقدي في المعاملات المالية أحد تقاليد النظام الرأسمالي الذي لم تعرفه بعد المناطق المنكوبة التي تعمل بها المؤسسات الإسلامية الخيرية، وحتى إذا سلمنا بتطبيق تلك المعايير والتقاليد فهل يتم ذلك من خلال التدقيق والمحاسبة أم التشويه والاتهام والإغلاق كما حدث مع بعض المؤسسات الخيرية سواء داخل أمريكا أو خارجها، إن طبيعة كثير من الأزمات والكوارث تفرض التعامل النقدي وقد لجأت إلى هذا الأسلوب أمريكا في حربها في أفغانستان، حينما أسقطت طائراتها العسكرية مبلغ 70 مليون دولار نقداً وفوق هذه وذاك فإن الكثير من العاملين في الأجهزة المعنية في الإدارة الأمريكية – ناهيك عن الشعب الأمريكي نفسه – ليس لديهم الإلمام والفهم بالتشريعات الإسلامية والطبيعة العربية وما فيها من جوانب الكرم والمؤازرة أو المناصرة للمظلوم والمحتاج دون معرفته شخصياً، فالمسلم لا يطلب هوية من يسأله المساعدة من إخوانه ولا ينبغي له أن يفعل ذلك وتلك من عظمة جوانب الإسلام، وهكذا تتحول الأعمال الإيجابية عند من لا يفهمون الثقافة الإسلامية إلى نظرات سلبية فتجعل البريء متهماً، ومن له علاقة أو قرابة بمشتبه فيه مصدراً للتهمة.

كما أن بعض الأفراد قد يكون على علاقة أو ارتباط وظيفي بمؤسسة خيرية مع احتفاظه لنفسه بشكل خاص بعلاقة أخرى دون ربط بين الأمرين وهذا بالطبع قد يقع

كذلك لبعض منسوبي القطاع الحكومي أو القطاع الخاص من خلال تعدد ارتباطاتهم أو أعمالهم.

المهم هو هل هذه التعاملات أو العلاقات التي حدثت من أو مع المؤسسات الخيرية أو بعض العاملين فيها يعد مبرراً لحملات التشهير والاتهامات وتجميد الحسابات أو المصادرات؟، وماذا سيكون من عقاب على أمريكا في أخطاء ضرباتها الجوية على المساجد والمستشفيات والأعراس والاحتفالات والتي كان نصيبها فقط (4000) قتيل أفغاني عن طريق الخطأ؟؟(26) ، وهل طبقت أمريكا على مؤسساتها المعايير المحاسبية التي تطالبنا بتطبيقها على المؤسسات الخيرية الإسلامية؟ (انظر الملحق)، أم أنه المعايير المزدوجة في كل شيء حتى في لغة الأرقام.

تاسعاً: تدمير أحد الرموز الإسلامية:

يؤكد مسار الحملة أنها وسيلة لتدمير ما ترمز إليه المؤسسات الخيرية الإسلامية فهي القوة الحقيقة لأي دولة، إذ إن قوة أي دولة تنبع من قوة مؤسسات المجتمع الأهلية الخيرية بها، فهي خط الدفاع الأول للحكومات والشعوب ولأن المؤسسات تمثل رمزاً من رموز الوحدة الإسلامية والوحدة الوطنية حيث التكافل والتعاون بلا حدود جغرافية أو سياسية ولأنها تثبت وحدة آلام الأمة الواحدة وتداعي بعضها لبعض فأعضاء الجسد الواحد جرى استهدافها.

لقد رأت القوى الخفية في أمريكا أن المؤسسات الخيرية الإسلامية من عوامل النهضة في دولها ومجتمعاتها، وأنها من أشد القوى في رفض العولمة الثقافية والتغريب، وتثبيت الهوية الدينية لأمتها، وأنها حققت من جوانب الوحدة للأمة الإسلامية ما لم تستطع بعض الكيانات السياسية تحقيقه.

إن فصل مؤسسات المجتمع الأهلي ولا سيما الخيري عن ممارسة حقها المشروع في الداخل أو الخارج سوف يؤدي إلى تحقيق المصالح الأمريكية المتعصبة بإضعاف قوى الدولة والأمة معاً، مثلما أن الحملة على المؤسسات الإسلامية في أمريكا تهدف على إقصاء الصوت الإسلامي الذي بدأ يطالب بحقوقه في شتى المجالات حيث لم تسلم منه الحملة حتى المؤسسات الفكرية مثل المعهد العالمي للفكر الإسلامي في فرجينيا أو المؤسسات التي تركز في عملها على العلاقات والحقوق المدنية مثل:

منظمة كير الأمريكية، والحقيقة التي أراها ويراها الكثير أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر بداية لحرب متنوعة وشاملة، وإلى ذلك أشار وزير الخارجية الأمريكي (كولن باول) بقوله: إن الحرب أحياناً تكون عملاً عسكرياً لكنها من الممكن أن تكون عملاً اقتصادياً أو دبلوماسياً ومالياً أيضاً (27).

وقد عبر المحلل السياسي الأمريكي الشهير (توماس فريدمان) عن هذه الرؤية في مقاله المنشور في نيويورك تايمز حيث قال بالنص: إذا كان تاريخ 11/9 في الحقيقة بداية الحرب العالمية الثالثة، فعلينا أن نفهم ما تقصده هذه الحرب، وعلينا ألا نكافح لاستئصال الإرهاب .. الإرهاب فقط .. أداة .. نحن نحارب لهزيمة الأيدولوجية .. التدين الدكتاتوري والحرب العالمية الثانية والحرب الباردة كانتا صراعاً لهزيمة الحزب العلماني المتطرف، النازية والشيوعية، أما الحرب العالمية الثالثة (الحالية) فهي معركة ضد الحزب الديني المتطرف الذي يفرض على العالم سلطة إيمانية تنفي الآخرين إنها (البنلادنية) نسبة لابن لادن، لكنها على خلاف النازية، فحكم الحزب الديني لا يمكن أن يقاتل بالجيوش وحدها، بل يجب أن يقاتل في المدارس والمساجد والكنائس، والمعابد ولا يمكن أن يهزم بدون مساعدة الأئمة والأحبار والكهنة!! (28).

ولسائل أن يسأل، ألا يمكن أن تساهم هذه الأقوال بكشف حقيقة الحملة؟.

نماذج من النتائج العامة

• *كشف قوة الحملات الإعلامية: لقد أثبتت هذه الحملة الإعلامية المسعورة بأسبابها ونتائجها أن الإعلام الأمريكي بدعم من رموزه السياسية قادر على تحويل الثوابت إلى متغيرات، والحق إلى باطل، والخير إلى شر، والصواب إلى خطأ، وخاصة في أواسط الضعفاء وما أكثرهم في العالم العربي والإسلامي، وهذا ما يؤكد أهمية تأسيس أمريكا لمكتب (التضليل الإعلامي)، الذي تم الإعلان عنه من قبل وزارة الدفاع الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ويهدف إلى تزويد القنوات الفضائية الإخبارية ووكالات الأنباء العالمية بمعلومات مغلوطة، وأثار ذلك من خلال حجم الاستجابة أو التصديق أو الشكوك لدى بعض الجهات الرسمية في العالم العربي، بل لقد أدت هذه الحملة الدولية إلى بعض الاستجابات من قبل بعض الدول على الرغم من عدم توجيه أي تهمة أو اشتباه لمؤسساتها الخيرية، إلا أنها

اتخذت إجراءات متشددة حيال جمعياتها الخيرية، ولهذه الاعتبارات فإن الأمر يتطلب إعادة النظر في مبدأ التصديق للحملات الإعلامية.

والملاحظ أن الحملة الإعلامية على المؤسسات الخيرية تزداد يوماً بعد يوم حتى بعد مرور سنة ونصف على الحدث مما يدل على أن دعوى الإرهاب مشجب تطرحه أمريكا بقوة إعلامها وتأثيره لتحقيق أهدافها السياسية والعسكرية والاقتصادية، قريبها وبعيدها، علماً أن تناغم الإعلام العربي مع الصياغة الأمريكية للخبر (مع الأسف) قد فاق الإعلام الأمريكي وخدمه بشكل منقطع النظير، حيث تتصدر أخبار الإرهاب ودعواه كل الوسائل الإعلامية مسيطراً على الصفحات الأولى من الصحف والمجلات اليومية والأسبوعية والدورية، كما لا تخلو منه نشرة إخبارية على مدى الساعة، وهذا بحد ذاته هدف للإدارة الأمريكية بتصدير أولويات أمريكا باعتبارها قضية العالم بأسره، ليكون التجاهل العالمي لكل قضايا الدول والشعوب الأخرى.

– تناقص العمل الخيري الإسلامي إلى حدوده الدنيا: ففي أذربيجان مثلاً كانت هناك (خمس عشرة) مؤسسة إسلامية تقلص عددها إلى أن أصبحت المؤسسات (ثلاثاً) فقط بعد أحداث 11 سبتمبر، ومن الأمثلة أيضاً أن الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام أباد التي يدرس فيها (5000) طالب وطالبة، وكان لها دور كبير في إحياء الإسلام في وسط آسيا، واجهت مشكلات مالية حادة بعد 11 سبتمبر، حيث انقطعت الرواتب الشهرية لثمانية عشر من أساتذتها بسبب خوف الممولين وتقاعسهم (29).

– كشف الازدواجية وفقدان المصداقية والعدالة: من نتائج هذه الحملة أنها كشفت المزيد عن المعايير المزدوجة وفقداناً للمصداقية حينما أغفلت المنظمات والمليشيات الأمريكية والإسرائيلية التي تتبنى الإرهاب في داخل دولها وخارجها، فقد أشارت الدراسة التي قدمها مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية إلى هذه الازدواجية فقالت: ومثلما هو الوضع في السياسة الغربية عموماً، فإن تعامل الدول الغربية مع الجمعيات والمؤسسات الخيرية الإنسانية يتميز بالازدواجية المفضوحة، ففي الوقت الذي تشن فيه هذه الدول حملات قوية على الجمعيات الخيرية العربية والإسلامية وتتهمها بدعم وتمويل الإرهاب تتغاضى عن الممارسات التي تمارسها العديد من المؤسسات الخيرية الغربية، والتي لها تاريخ طويل في تأييد الإرهاب من خلال

عمليات دعم العصابات والحركات الانفصالية التي تم تمويلها سراً وعلناً عن طريق المنظمات غير الحكومية الغربية، فعلى سبيل المثال كشفت صحيفة ديلي ستار اللبنانية أن (مجلس الكنائس العالمي) قد لعب دوراً مهماً في دعم المتمردين في جنوب السودان، كما ساعد بشكل نشط الحركة الانفصالية في إقليم (بيافرا) النيجري ذي الأغلبية المسلمة، ولم يحدث أن تم انتقاد هذه المساعدات على أنها دعم واضح للإرهاب ويجب وقفها، مثلما تم اتهام العديد من الجمعيات والمؤسسات العربية التي قامت بجمع تبرعات لصالح المقاومة الفلسطينية التي تتهمها بعض الدوائر الغربية بالإرهاب، مع أنها حركة مقاومة مشروعة دولياً وليست حركة انفصالية أو حركة تمرد (30).

ومن المؤشرات الواضحة على هذه الازدواجية المفضوحة تغاضي الدول الغربية عن قيام العديد من الجمعيات والمؤسسات الإنسانية والغربية وخاصة الأمريكية بجمع تبرعات لصالح إسرائيل كسياسة واستراتيجية مستمرة، إضافة إلى تلبية حالات الطوارئ لدولة الكيان الصهيوني، والتي تستخدمها في تعزيز احتلالها، أو في بناء مستعمراتها على الأراضي الفلسطينية ودعم سياساتها القمعية والإرهابية ضد الشعب الفلسطيني، وهي العمليات التي اعتبرها العديد من السياسيين والمنظمات الدولية نموذجاً واضحاً لإرهاب الدولة يستوجب ملاحقته قانونياً.

وأكثر من ذلك استخدام وسائل الاتهام والضغط الجائز، والتشويه قبل التحقيق أو المحاكمة على أخطاء مفترضة من قبل المؤسسات الخيرية الإسلامية، لا سياسات أو استراتيجيات تتبعها عمداً، وصاحب ذلك تجميد الحسابات والأرصدة المالية ومصادرة بعضها (أشارت بعض المصادر إلى تجميد ومصادرة 135 مليون دولار دون ذكر الأدلة أو البراهين على الادعاءات المغرضة، ليس مهماً حجم المال المصادر بقدر ما هو تقرير مبدأ صرامة الإجراءات غير القانونية التي تؤثر مستقبلاً بشكل سلبي على مسيرة العمل الخيري.

– قوة البدائل الجاهزة: ومن نتائج تلك الحملة الأمريكية التي تكشف شيئاً عن الواقع ما يمكن قياسه بحجم انتشار المؤسسات الدولية الأخرى بديلاً عن المؤسسات الإسلامية، وقد تحقق الكثير من ذلك ولا سيما مع وقت الحرب الإعلامية النفسية،

ومن الأمثلة الحية إثبات هذه النتيجة ما ذكره الأستاذ فهمي هويدي حيث قال في مقال له عن العمل الخيري: إن العمل الخيري الإسلامي يتعثر، وجورج سورس يتمدد في فراغنا وقد أنفق سورس اليهودي الأمريكي من أصل هنجاري والذي يملك (100) مليار دولار، وأسس مؤسسة (المجتمع المفتوح) ولها ثلاثة وثلاثون فرعاً ومركزاً في دول العالم الثالث منها (10) فقط في منطقة البلقان، و(18) في جمهوريات وسط آسيا والقوقاز، (3) في إفريقيا، و (2) في أمريكا اللاتينية، وبهذا تكون (28) من مراكز مؤسسته وأعمالها في مناطق المسلمين بالدرجة الأولى، وقد أنفق سورس في عام 1995م في منطقة البلقان وحدها (350) مليون دولار، كما يساعد البوسنة سنوياً بمبلغ (50) مليون دولار (31).

- غرست الحملات الإعلامية والإرهابية الميدانية بحق المؤسسات الخيرية لدى البعض - إلى حد كبير - كراهية الدعم المعنوي والمالي للعمل الخيري والإغاثي الإسلامي الذي قد ترتب على بعضه الاقتياد إلى كوبا، حيث معسكرات جوانتانامو وبيع الأسرى والمعتقلين في باكستان وأفغانستان بدراهم معدودة، كما ترتب على بعض الأعمال الخيرية زعزعة الثقة في مسيرة العمل الخيري الإسلامي والعاملين عليه، إضافة إلى إحجام بعض المتطوعين والمتبرعين خوفاً على أنفسهم أو أموالهم من المصادرة، وبروز شعور المسلمين ومؤسساتهم بالاضطهاد الديني، والتدخل السافر في شعائر دينهم كالزكاة والصدقة وغيرها وهي مسائل إيمانية وإنسانية عظيمة حسب التشريع الإسلامي .

- نتج عن هذه الدعوى العريضة على المؤسسات الخيرية الإسلامية تدخل سافر في حقوق الإنسان وحقوق المؤسسات بل وحقوق الدول في شؤونها الخاصة بلا مستند قضائي أو قانوني، وأصبح على الحكومات في العالم العربي والإسلامي أن تفعل مالا قناعة لديها به، أو تصبح متهمة بالإرهاب !! .

وقد تحول عدد من المعتدلين وهم الأكثرية في العالم الإسلامي إلى موقف العداء لأمريكا، حتى إن بعض من أدانوا أحداث الحادي عشر من سبتمبر تراجعوا بسبب هذه الحملة غير العادلة وغير المعقولة !! فهل أمريكا غافلة عن هذا ؟! أم أن فيها

جهات متطرفة تسعى إلى التصعيد مع العالم العربي والإسلامي وتعتبر هذا التصعيد تحت مسمى (حرب الإرهاب) هدفاً ؟!! .

إن أصابع الاتهام تشير إلى دعاة الصراع بين الحضارات ! وتشير إلى تجار السلاح والبترول ؟! .

- ذكرت صحيفة الشرق الأوسط نقلاً عن الواشنطن بوست من مقال (آلن كوبرمان) أن الزكوات والتبرعات للمراكز الخيرية والإسلامية في أمريكا قد انخفضت بسبب الحملة ضد الإرهاب، وأن الرغبة أصبحت لعطاء الأفراد من الفقراء مباشرة خوفاً من الخطأ وخوفاً من أن تكون أسماء المتبرعين في إحدى شبكات المعلومات كما أن هناك خوفاً من الحكومة (32).

ملحق المطالب (33)

نص المطالب الأمريكية لتعزيز الرقابة على الجمعيات الخيرية في الكويت:

قدمت السلطات الأمريكية في إطار مساعيها لـ (تجفيف مصادر تمويل المنظمات الإرهابية، طلباً رسمياً إلى عدد من المنظمات الخيرية والمؤسسات التجارية في الكويت، عبر وزارة الخارجية الكويتية للحصول على وثائق وبيانات مالية وقيود حسابات بسبب الاشتباه في أن المبالغ التي تجمعها وتوزعها تساهم في تمويل أنشطة منظمات إرهابية، خصوصاً تنظيم (القاعدة) بقيادة أسامة بن لادن، وستقدم هذه الوثائق إلى فريق أمريكي مختص بدأ أفراده في الوصول إلى الكويت للاطلاع عليها والتدقيق فيها، وأثار هذا الطلب تحفظات لدى الجمعيات الإسلامية التي تعتبر نفسها مسئولة أمام القانون الكويتي وحده.

وفيما يلي الترجمة الحرفية لأهم المطالب لنص الطلب الأمريكي:

طلب وثائق من الهيئات الخيرية والتجارية:

من أجل مساعدة فريق الخبراء على فهم أفضل لأعمال المنظمات الخيرية والهيئات التجارية في الكويت، نقدر لكم تعاونكم في توفير أكبر عدد ممكن من الوثائق المحددة أدناه عن كل منظمة للفريق لدى وصوله (إلى الكويت) بهدف مراجعتها والسجلات المطلوبة ينبغي أن تغطي السنوات الثلاث الماضية.

الجمعيات، المنظمات التجارية، والخيرية:

أ) كل قيود حسابات المنظمة والسجلات المالية التي تحتوي – من دون أن تقتصر على ذلك – الدفاتر العامة، السجلات العامة، الدفاتر والسجلات الفرعية، الفواتير وقيود الدخل ، قسائم المبالغ النقدية وقيود النفقات، دفاتر وسجلات المبيعات والمشتريات، دفاتر حسابات الدخل والإنفاق، قيود الديون الهالكة، قيود كلفة السلع المباعة، دفاتر القروض الملتقاه والممنوحة، بيانات الدخل، بيانات الموازنة، وكل صكوك الإنفاق بما فيها فواتير المبالغ المدفوعة نقداً، هذه القيود يجب أن تشمل وثائق مالية عن الموازنة التي تحدد مصادر دخل المنظمة وأصولها ونفقاتها، والمطلوب أيضاً تقديم وثائق إسناد عن النفقات التي تشمل استخدام وسطاء، كونها ذات أهمية خاصة.

ب) بيانات عن أهداف المنظمة وبرنامج الخدمات المقدمة، قوانينها وبنيتها التنظيمية يجب أن تشمل تحديد الهيكلة والهرمية، بما في ذلك المكاتب في داخل البلاد وخارجها، إذا كان لها فروع، والعناوين وأرقام الهواتف ولائحة بالمستخدمين ومواقعهم وأي معلومات تعريفية أخرى.

ج) كل البيانات المالية، ودفاتر قيد ومسودات حسابات التي استخدمت تحضيراً للقيود المنظمة أو الضرائب المرتجعة، النسخ المحفوظة لكل الضرائب الأجنبية أو الأمريكية المرتجعة، بما في ذلك المعلومات والجداول عن الضرائب المرتجعة.

د) الهويات المفصلة، وثائق التعريف المرفقة للطلبات، قيود الدفع وكل الوثائق الأخرى، المتعلقة بمتلقي الهبات، أو القروض أو النفقات المنح الدراسية والرواتب والمدفوعات الأخرى، هذه السجلات يجب أن تتضمن ملفات عن كل المساعدات المقدمة إلى الأفراد أو المنظمات في الكويت، وكذلك في الدول الأجنبية، مثل أفغانستان والشيشان والصومال والفلبين والباكستان.

هـ) الهويات المفصلة، وثائق التعريف المرفقة، قيود التعويضات وكل الوثائق الأخرى المتعلقة بالمسئولين والمدراء والأمناء والموظفين والمستشارين وكل خدمات المنظمة.

و) الهويات المفصلة، وثائق التعريف المرفقة وكل الوثائق الأخرى المتعلقة بالأفراد والهيئات الذين قدموا هدايا أو مساهمات أو أوصوا بأموالهم أو أي تقديمات مالية

أخرى للمنظمة، هذه القيود يجب أن تشمل معلومات عن أنشطة أي جمع تبرعات تشرف عليها المنظمة.

ز) الوثائق المتعلقة بالحسابات مع مؤسسات مالية بما في ذلك المصارف والوسطاء الماليين ومكاتب الصيرفة، هذه الوثائق يجب أن تشمل البيانات المصرفية، صكوك الإيداع، قيود الشيكات، الشيكات الملغاة، أوامر السحب والإيداع، سجلات تواريخ قيمة المبالغ المودعة، قيود الشيكات المودعة صكوك السحب وثائق الإيداع، شراء شيكات مصرفية، التحويلات الهاتفية، أوامر التحويل وطلبات التحويلات الهاتفية.

اللقاء مع الأفراد:

إضافة إلى مراجعة أنواع القيود الواردة أعلاه سيقدر الفريق غالباً فرصة اللقاء مع أفراد يمكن أن يقدموا له معلومات عن البنود التالية:

أ) الإجراءات التي تعتمدها المنظمة للموافقة على المشاريع أو الأشخاص الذين يتلقون المبالغ الخيرية، وكذلك الإجراءات المتبعة لصرف المبالغ للمتلقين.

ب) مصادر وأنواع الهبات التي تلقتها المنظمات خلال السنوات الثلاث الماضية.

ج) متلقو المساعدات من المنظمات خلال السنوات الثلاث الماضية.

د) المسئولون الحكوميون المعنيون بمراقبة المنظمات ونشاطاتها.

السجلات المطلوبة من المؤسسات المالية:

إذا كان هناك حاجة لطلب وثائق من المصارف أو أي مؤسسات مالية أخرى في الكويت تتعلق بفرد أو بهيئة فستكون على النحو التالي:

أ) قيود حسابات الادخار: تشمل بطاقات التواقيع، دفاتر القيد أو السجلات التي توضح تواريخ وقيمة المبالغ المودعة والمسحوبة والفوائد وأوامر السحب والإيداع وقسائم الإيداع والشيكات المودعة وقسائم السحب والشيكات المسحوبة.

ب) قيود حسابات الشيكات: تشمل بطاقات التواقيع والبيانات المصرفية وقسائم الإيداع والشيكات المودعة والشيكات المسحوبة على الحساب وقيود أوامر السحب والإيداع.

ج) قيود القروض: تشمل الطلبات والبيانات المالية وضمان القرض والتحقيق المصرفي عن المداخيل واتفاقات القروض والرهونات وبينات التسديد والعقود

والشيكات والصادرة للقروض وقيود التسديد، بما في ذلك قيود التواريخ والمبالغ وطريقة الدفع (نقداً أو بالشيكات) والشيكات المستخدمة لتسديد القرض وسجل يكشف القيمة الإجمالية للحسم على الفائدة المدفوع سنوياً، وقيود لأي حجوزات أو ملفات مراسلات القرض والمذكرات الداخلية للمصرف.

د) قيود صناديق الأمانات الشخصية: بما في ذلك العقود سجلات الاستخدام وسجلات كلفة التأجير التي تكشف تواريخ وقيمة وكيفية الدفع (نقداً أو بالشيكات).

هـ) شهادات الإيداع وشهادات السوق المالية: بما في ذلك الطلبات ووسيلة الشراء، وقيود الشراء وقيود استرداد القيمة والشيكات الصدارة لدفع قيمتها والشيكات المدفوعة لشراء الشهادات وأي مراسلات وقيود تكشف عن الفائدة السنوية المدفوعة أو المتراكمة وتواريخ الدفع أو تواريخ سحب الفائدة، والشيكات الصادرة لدفع الفائدة.

و) قيود بطاقات الائتمان: بما في ذلك طلب الزبون وبطاقة توقيعه، والتحقيق على مدخوله وخلفيته، والمراسلات وبيانات الفواتير الشهرية وفواتير الفائدة الفردية، وقيود التسديد التي تشمل تواريخ وقيمة وكيفية التسديد (نقداً أو الشيكات) وصور الشيكات المستخدمة للتسديد، على الوجهين.

ز) شراء الشيكات المصرفية: قيود شراء الشيكات المصرفية بكل أنواعها وشيكات السفر (ترافلرزتشيكس) أو قيود الأوامر المالية بما في ذلك سجل الشيك وصور الشيكات أو الأوامر المالية، وقيود تكشف تاريخ ومصدر الدفع لقيمة الشيك أو الأمر المالي.

ح) قيود أخرى: سجلات الشيكات المضمونة، التحويلات الهاتفية، التحصيل ورسائل الاعتماد والصكوك والسندات المالية والمشتراة بواسطة المصرف، تحويلات صكوك الادخار، وحسابات الفوائد، والقيود التي تحدد تواريخ وقيمة التحويل وطريقة الدفع ومصدره ووسيلة وبيان التحويل.

(1) تم تقديم هذه الورقة إلى مؤتمر باريس الدولي للمنظمات الإنسانية والخيرية بتاريخ 9–2003/1/10م، وهي مقتبسة من كتاب تحت الطبع للدكتور محمد السلومي بعنوان (القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب) للحصول على معلومات أكثر عن الكتاب انظر موقع www.thamarat.com وللتواصل وإثراء الموضوع

بمقترحات أو وثائق تخدم الكتاب يمكن مراسلة المؤلف على البريد الإلكتروني التالي: @yahoo.com2002khyr

(2) صحيفة الشرق الأوسط 1423/9/18هـ الموافق 2002/11/23م.

(3) الموقع الإلكتروني مفكرة الإسلام 1423/9/13هـ الموافق 2002/11/18م

(4) لمزيد من القرائن والأدلة يراجع الكتاب.

(5) ندوة قناة الجزيرة بعنوان الجمعيات الخيرية الإسلامية وعلاقتها بالإرهاب في 1423/8/3هـ الموافق 2002/10/21م، انظر الموقع الإلكتروني للقناة.

(6) نقلاً عن غلين كيسلر صحيفة الشرق الأوسط 1423/7/10هـ الموافق 2002/10/18م.

(7)قناة الجزيرة برنامج أولى حروب القرن في 1423/7/30هـ الموافق 2002/10/18م.

(8) صحيفة القدس العربية 1423/3/16هـ الموافق 2002/4/29م.

(9) صحيفة الشرق الأوسط 1423/8/10هـ الموافق 2002/10/26م.

(10) صحيفة الحياة 1423/7/9هـ الموافق 2002/9/6م.

(11) عن خسائر الشركات الأمريكية وفضائحها انظر صحيفتي الاقتصادية والوطن السعوديتين في 1423/5/13هـ الموافق 2002/7/23م، وصحيفة الحياة في 1423/5/11هـ الموافق 2002/7/21م، وصحيفة القبس الكويتية في 1423/4/16هـ الموافق 2002/6/27م.

(12) المصدر: مجلة المجتمع في 1423/11/27هـ الموافق 2002/2/9م.

(13)أشارت بعض الدراسات إلى أن الوضع الاقتصادي قد يكون من أسباب الحملة على أهمية الدوافع الدينية والتي تعتبر من الأسباب الرئيسية للحملة، انظر على سبيل المثال ندوة (مستقبل مؤسسات العمل الخيري الخليجي والعربي في ضوء الاتهام الأمريكي لها بتمويل الإرهاب) التي تم عقدها في القاهرة في مبنى الأمم المتحدة في 1423/8/22هـ الموافق 2002/1/28م.

(14) انظر دراسة الدكتور أحمد يوسف مدير المؤسسة المتحدة للدراسات والبحوث في واشنطن في مجلة الصراط المستقيم الأمريكية عدد 84 بتاريخ 1420/7هـ الموافق 1999/10م.

(15)صحيفة الوسط في 1423/3/24هـ نقلاً عن صحيفة كريستيان ساينس مونيتور.

(16) يعتبر إدورد سعيد من الكتاب الأمربكيين المسيحيين المشهورين .

(17) بول فندلي (لا سكوت بعد اليوم) ص 88.

(18) من دراسة للدكتور أحمد يوسف نشرت في مجلة الصراط المستقيم عدد 84 في 1420/7هـ الموافق 1999/10م.

(19) انظر كتاب بول فندلي (لا سكوت بعد اليوم) نقلاً عن los angeles – examinerبتاريخ 1989/2/26م.

(20) بول فندلي المصدر السابق ص 93

(21) صحيفة الزيتونة الأمريكية في 1423/5/6هـ الموافق 2002/7/16م.

(22) مقال بعنوان (الحرب على المؤسسات الخيرية الإسلامية في فلسطين متواصلة دولياً ومحلياً) نشر في مجلة العصر اليومية الإلكترونية في 1423/7/14هـ الموافق 2002/9/21م.

(23) انظر صحيفة الرياض في 1423/10/14هـ الموافق 2002/12/18م، نقلاً عن وكالتي (رويترز) و (أ. ف. ب).

(24) بول فندلي (لا سكوت بعد اليوم) ص109–110.

(25) مجلة المجلة في 1423/2/6هـ الموافق 2002/4/19م.

(26) صحيفة الجزيرة السعودية في 1423/5/12هـ الموافق 2002/7/22م، نقلاً عن صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية في 2002/7/21م.

(27) صحيفة الشرق الأوسط في 1422/6/29هـ الموافق 2001/9/17م.

(28) المصدر (إسلام أون لاين) نقلاً عن صحيفة نيويور تايمز الأمريكية في 1422/9/12هـ الموافق 2001/11/27م.

(29) المصدر: مجلة المجلة في 1423/6/15هـ الموافق 2002/8/24م.

(30) المصدر: صحيفة ديلي ستار اللبنانية في عددها الصادر في 1423/5/17هـ الموافق 2002/7/27م.

(31) المصدر: مجلة المجلة في 1423/6/15هـ الموافق 2002/8/24م.

(32) صحيفة الشرق الأوسط في 1423/10/17هـ الموافق 2002/12/11م.

(33) المصدر: جريدة الحياة في 1422/10/30هـ الموافق 2002/1/14م.

=============

#تهميش الأمة:عطل مشاريع النهضة

السيد أبو داود 1423/10/14

2002/12/18

هل التخلف هو قدر العرب المحتوم ؟ أليس هناك أمل في نهضة عربية تنفض غبار قرون الانحطاط عن هذه الأمة التي ذاقت عز المجد من قبل ؟ وإذا كان مشروع جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده قد فشل في تحقيق النهضة على الأساس الإسلامي، وإذا كان كذلك مشروع النهضة "التنويري" الذي بدأه رموز العلمانية والتغريب في بداية القرن الحالي قد فشل أيضاً في تحقيق النهضة المنشودة، ومن قبل هذين المشروعين فشل مشروع محمد علي في تحقيق النهضة لمصر، كما فشل مشروع جمال عبد الناصر بعد ذلك في تحقيق الشيء نفسه، فهل هناك أمل في النجاح بعد كل هذا الفشل والإخفاق؟ وما هي ملامح مشروع النهضة المنتظر؟ وكيف يمكن أن يحظى هذا المشروع بقبول مختلف ألوان الطيف السياسي والفكري في أمتنا العربية ؟

ورغم أن تقرير "التنمية الإنسانية العربية" لسنة 2002، الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي في يوليو الماضي يلاحظ أن الدول العربية حققت تقدماً كبيراً في التنمية البشرية، على مدى العقود الثلاثة الماضية، يتمثل بارتفاع العمر المتوقع عند الميلاد بمعدل 15 عاماً، وانخفاض معدلات وفيات الأطفال، وازدياد نسبة الملمين بالقراءة والكتابة، وارتفاع نصيب الفرد من السعرات الحرارية الغذائية، ومن الماء الصالح للشرب يومياً، وتراجع

نسبة حالات الفقر المدقع، إلا أن الأرقام تدلل أيضا، على حجم الهوة التي تفصل العرب عن إنجازات التقدم المتحققة في العالم، في مختلف المجالات.
وبحسب التقرير، فقد كان معدل نمو دخل الفرد العربي، خلال العقدين الماضيين، هو الأقل في العالم باستثناء إفريقيا جنوب الصحراء، إذ إنه لم يتجاوز نصف في المائة سنوياً، واستمرار هذه المعدل يعني بأن المواطن العربي يحتاج إلى 140 عاماً ليضاعف دخله، بينما يستطيع المواطن في مناطق أخرى مضاعفة دخله مرة كل عشر سنوات، وبحسب التقرير فقد بلغ الناتج المحلي الإجمالي لكل البلدان العربية في العام 1999 ما مقداره 5312 مليار دولار أميركي، أي ما يشكل أقل من دخل دولة أوروبية واحدة مثل إسبانيا والتي يقدر ناتجها المحلي الإجمالي بحوالي 5955 مليار دولار، أما إنتاجية العامل الصناعي العربي فهي منخفضة ويترافق ذلك مع تدهور الأجور ما يفاقم من حدة الفقر، ويقدر التقرير حجم البطالة في الدول العربية بحوالي 12 مليون عاطل من العمل عام 1995، أي ما يوازي 15 في المائة من قوة العمل، ويتوقع أن يصل عدد العاطلين إلى نحو 25 مليوناً سنة 2010.
ويشير التقرير بأن كل واحد من بين خمسة أفراد عرب يقل دخله عن دولارين في اليوم، وثمة 65 مليون أمي ثلثهم من النساء، كما لوحظ انحسار في فرص التعليم والتعلم. ويبدي التقرير قلقاً تجاه الشباب العربي الذين يشغلهم تأمين فرص العمل والتعلم، ومما يزيد القلق أن 51% من المراهقين صرحوا برغبتهم في الهجرة لعدم رضاهم عن الأوضاع الحالية والفرص المستقبلية في بلدهم الأم.
ويعد تمويل البحث العلمي في العالم العربي من أكثر المستويات تدنياً في العالم، إذ يبلغ معدل الإنفاق العلمي نسبة إلى الناتج المحلي 014 في المائة فقط في العالم العربي عام 1996 في حين أنه يبلغ 253 في المائة عام 1994 في إسرائيل، و29 في اليابان، أما الاستثمار في البحث والتطوير فهو اقل من سبع المعدل العالمي، كما أن استخدام المعلوماتية في الدول العربية أقل من أي منطقة أخرى في العالم، إذ لا تتجاوز نسبة مستخدمي الإنترنت 06 في المائة ويملك 12 في المائة فقط من المواطنين العرب حاسوباً شخصياً، ويبلغ النقص في الإنتاج الفكري والإبداع في العالم العربي حدا كبيرا، فمجموع ما يترجمه العرب من الكتب 330 كتاباً سنوياً، وهو

خُمس ما تترجمه اليونان، وخلال الألف سنة الماضية، ترجم العرب من الكتب بقدر ما ترجمته إسبانيا في سنة واحدة؟.

ويصل التقرير إلى حقيقة مفادها أن النقص في المعرفة والحريات يكبل الطاقة الإبداعية للعقول وأن الثقافة والقيم هما روح التنمية، وأن التنمية الإنسانية هي تنمية الناس ومن أجل الناس ومن قِبَل الناس، وفي هذا الصدد تبدو المقارنة مع إسرائيل ليست في صالح العرب، من مختلف الوجوه، إذا تجنبنا العوامل المتعلقة بالمساحة وعدد السكان والتاريخ والثقافة وأيضا الثروة النفطية، وهي عوامل تؤكد من الجهة الأخرى، حجم الإخفاق العربي في مقابل النجاح الذي حققته إسرائيل: قليلة العدد صغيرة المساحة والتي تفتقد للعمق الحضاري . الثقافي.

هل عطّلت الدولة العربية الحديثة نهضة الأمّة؟

توصّل الإنسان بعد تجاربه الطويلة في الحياة الجماعية إلى اتّخاذ نظام الدولة نظاما اجتماعيا يشرف على الحياة العامّة ويرتّب شؤونها، ويكفّ الأفراد والجماعات عن الصراعات المهلكة، ويوجّههم إلى التعاون المثمر، وقد أصبحت المهمّة الأساسية للدولة هي أن توفّر للمجتمع الشروط الأساسية للنموّ الحضاري، من أمن داخلي وخارجي، وتنظيم إداري، وتخطيط مستقبلي، وتيسير لسبل الريادة في التفكير والتدبير والإنجاز.

ولكنّ التاريخ عرف نماذج من الدول انحرفت فيها الدولة عن القيام بهذه المهمّة الأساسية، التي من أجلها وجدت، بل لم يقف انحرافها أحيانا عند عجزها عن توفير شروط النهضة، وإنّما تحوّلت إلى عوامل مضادّة، تعطّل المجتمع عن حركة النموّ الحضاري، وتعطّل طاقاته الذاتية عن النهضة، ونحسب أنّ الدولة العربية الحديثة ليست ببعيدة عن أن تمثّل هذا الأنموذج المعطّل للنموّ الحضاري للأمّة العربية.

لمّا نشأت الدولة العربية الحديثة كان أمام صانعيها أنموذجان للدولة مرشّحان للاقتباس منهما، والاستفادة من التجربة الحضارية فيهما: أنموذج الدولة الإسلامية، كما رسمت معالمها التوجيهات الدينية، وكما تحقّقت في التجربة التاريخية، وأنموذج الدولة الغربية الحديثة، كما هي قائمة بالفعل في البلاد الأوروبية، على وجه الخصوص.

ولم تكن الدولة الإسلامية محلّ نظر ودرس من قِبل أولئك الصّنّاع، بنيّة الاقتباس منها، بالرغم من أنّها تمثّل مخزونا حضاريا ثريّا للأمّة، في شأن الحكم والبناء الحضاري، بل صُرف عنها النظر بصفة شبه مطلقة، واستدارت الأنظار كلّية إلى الدولة الغربية الحديثة، التي أعشى بهرجها الأبصار، لتكون محلّ الاقتباس بل المحاكاة والاحتذاء.

وقد كان لهذا الموقف غير المنطقي من الناحية المنهجية، وغير الوفيّ من الناحية الثقافية والحضارية، أثر بالغ السوء في بناء الدولة العربية الحديثة، وفي علاقتها بالمجتمع، وفي نتائج إدارتها للأمّة من أجل النهضة.

ربّما كانت بعض سلبيات الدولة الإسلامية، كما تحقّقت في واقع التاريخ،مثل ما فشا فيها من استبداد سياسي،ومثل قصورها في بناء المؤسّسات السياسية الثابتة، صارفا حاسما عن النظر فيها، من أجل الاقتباس، ولكنّ ذلك كما أنه خطأ منهجي، كان أيضا صارفا عن استفادة قيّمة من جوانب إيجابية كثيرة في تلك الدولة، أثبتت التجربة نجاعتها في إدارة المجتمع، وفي تحقيق النموّ الحضاري، فخسرت الدولة العربية الحديثة بذلك مصدرا مهمّا من مصادر البناء المثمر، وحصدت نتيجة خطئها فشلا في إدارة المجتمع، واستنهاض قواه الفاعلة.

نتائج استبعاد الخبرة الإسلامية

ولعلّ من أهمّ إيجابيات الدولة الإسلامية، التي حرمت منها الدولة العربية الحديثة، فباءت في شأنها بالخسران، ما كانت تلك الدولة تتيحه للمجتمع من هامش واسع لحرّية التصرّف في الشؤون العامّة، ومن المسؤولية في البناء الحضاري، إذ لم تكن الدولة الإسلامية تقبض من السلطات بصفة قويّة مباشرة، إلاّ على سلطة الأمن، بالمعنى الموسّع، الذي يشمل دفع العدوان الخارجي، وإقامة العدل بين الناس، وإشاعة الطمأنينة فيهم، وذلك من خلال مؤسّسات الجيش والشرطة والحسبة والقضاء وما في حكمها، وأمّا المهامّ البنائيّة فهي في مجملها تركت في إنجازها للأمّة، ولم يكن للدولة إلاّ دور الإشراف العامّ، وتوفير الشروط الممكّنة من الابتكار ومن الإنجاز.

لقد كان المجتمع الإسلامي، هو الذي يمارس مهمّة التربية والتعليم، من خلال المؤسّسات التعليمية الأهلية، ويمارس مهمّة البناء الاقتصادي، من خلال مؤسّسة الأوقاف، ويمارس مهمّة الرّعاية الاجتماعية، من خلال مؤسّسات التكافل، في دوائر اجتماعية متعدّدة، ولمّا كانت هذه المهامّ ذات البعد الاستراتيجي في البناء الحضاري قد تكفّلت بها الأمّة، فإنّها لم تتأثّر كثيرا بما تعرّضت له الدولة من اضطرابات سياسية، بل ومن انكسارات عسكرية مدمّرة، فقد ظلّت الحضارة الإسلامية تنمو في شتّى المجالات، بالرغم ممّا أصاب الدولة من انتكاسات، وما تعرّضت له من أحداث طامّة.

وعلى سبيل المثال فإنّ الدولة الإسلامية لمّا كانت تتعرّض للاضطراب الشديد بالانتقال من الأمويين إلى العبّاسيين، وبالفتنة بين المأمون العبآسي وأخيه الأمين، فإنّها كانت في الوقت ذاته تشهد أزهى عصورها في البناء الحضاري العام، فقد كان الحكم منهمكا في الفتنة، وكانت الأمّة بما لها من استقلالية منهمكة في البناء.

وقد لا يجد المؤرّخون تفسيرا غير هذا التفسير لحقيقة استمرارية الحضارة الإسلامية، بالرغم من تعرّض الدولة الإسلامية لطامّات، عرف التاريخ سقوط حضارات عاتية، بسبب ما هو دونها من الخطوب بكثير.

والدولة الحديثة في الغرب حينما اتجه ناحيتها بُناة الدولة العربية للنسج على منوالها، كانت قد انتهجت في إدارة الحياة نهج الإشراف المباشر على المرافق العامّة، التي كانت تضطلع بها الأمّة في الدولة الإسلامية، فتولّت هي التخطيط والتنفيذ، بصفة كاملة لشؤون التربية والاقتصاد والرعاية الاجتماعية وغيرها من المهامّ الاستراتيجية، ولكنّ هذا التولّي المباشر لتلك الشؤون، كان بتفويض من الأمّة، ونيابة عنها، وفق عقد مراضاة بين الطرفين، تقرّر فيه الأمّة ما تشاء، وتنفّذ فيه الدولة تلك القرارات، تحت المراقبة والمحاسبة من الوكيل المفوّض، فصار ذلك يشبه أن يكون وجها آخر لتولّي الأمّة لشؤونها الاستراتيجية ،كما انتهجته الدولة الإسلامية بصفة مباشرة، ولكنّه وجه مبنيّ على قواعد من المؤسّسات الثابتة والقوانين الملزمة.

ولكنّ الدولة العربية الحديثة لمّا نسخت منهج الدولة الغربية في الإدارة الشاملة لحياة الأمّة، أسقطت منه أهمّ عناصره، وهو التفويض الشعبي، فإذا هي تستولي على

جميع مقاليد الحياة العامّة، وتدّعي لنفسها القدرة على النهوض بهذا العبء الثقيل، ثمّ هي تسلب من الأمّة في ذلك الاستيلاء، وبذلك الادّعاء، حقّ القيام المباشر على شؤونها، وحقّ الإنابة عنها، وحقّ الاختيار لنمط ما تريد جميعا، ومضت هي بمعزل عن الأمّة تقرّر في كلّ شيء، وتنفّذ في كلّ شيء، متجاوزة الدولة الغربية في أصل ما انتهت إليه من مبدأ التفويض والنيابة، ومتجاوزة إيّاها في حجم ومساحة ما تعهّدت به من النيابة عن الشعب في إدارة حياته.

خطورة تهميش دور الأمة

ولمّا كانت المهمّة، التي ادّعتها الدولة العربية الحديثة لنفسها غير قائمة على أساس من الحقّ في أصلها، وغير مقدور عليها في الواقع من قِبل الدولة عموما، ومن قبل الدولة العربية الحديثة التكوين خصوصا، فإنّ الفشل في أدائها كان محتوما، ولمّا استشعرت الدولة ذلك الفشل، أصبحت في سبيل إخفائه، والتنصّل من تبعاته، تخبط خبط عشواء، على غير محجّة بيّنة، وإلى غير هدف معلوم، فإذا هي تردّ على المجتمع كثيرا من المهامّ، التي سلبته إيّاها، ولكن على مستوى التنفيذ فقط، حتى انتهت أحيانا، لمّا عجزت عن أداء مهمّتها الأساسية، وهي حفظ الأمن، إلى أن تعهد بهذه المهمّة لهيئات شعبية تسلّحها لتقوم بحفظ الأمن بدلا منها، وأمّا الاختيار والقرار، الذي هو من الحقّ المطلق للأمّة، فقد احتفظت به لنفسها، واستماتت في الاستئثار به والدفاع عنه.

لقد انتهى أمر الدولة العربية الحديثة في هذا الشأن إلى ضرب من الكاريكاتير المضحك المحزن في آن معا، فهي قد استدارت عن تجربة الدولة الإسلامية في إفساحها مجالا واسعا من حرّية الإنجاز الحضاري للأمّة، والحال أنّ تلك الدولة هي الأنموذج الأقرب منها روحيا وثقافيا، ثمّ ذهبت تنسخ تجربة الدولة الغربية الحديثة، ولكنّه نسخ ممسوخ، إذ قد أصبحت فيه شمولية الدولة، تضمّ شمولية الاختيار إلى شمولية التنفيذ، فأُلغي دور الأمّة قرارا اختياريا وتنفيذا عمليا، ثمّ انتهى الأمر إلى أن استبدّت الدولة بالاختيار، وتقاعست في مستلزمات التنفيذ، ملقية بالكثير من أحمالها على عاتق الأمّة، التي أصبح عليها أن تنفّذ ما تختاره لها الدولة، وبذلك أصبحت

هذه الدولة تطّرح في كلّ مرحلة أحسن الأوضاع، وتأخذ بأسوئها، حتى تمحّضت لها السيّئات.

ولا شكّ أنّ هذا المنتهى، الذي انتهت إليه الدولة العربية الحديثة، كانت له آثاره البالغة السوء على حركة النهضة، إذ النهضة لا تقوم بها إلاّ الأمّة، التي منها يكون الاختيار، ومن خصوبتها ينشأ الابتكار، وبيدها أو على عينها يتمّ الإنجاز، وما مهمّة الدولة إلاّ توفير الأسباب الدافعة إلى ذلك، والمساعدة عليه، وانتهاج الطرق الإدارية المفعّلة له والميسّرة لمسالكه.

وإذا ادّعت الدولة العربية الحديثة أنّها ستقوم– بديلا من الأمّة– بإنجاز كلّ تلك المهامّ، ومنعت المجتمع من أن ينتظم في مؤسّسات سياسية واقتصادية وتربوية، يقوم من خلالها بمهامّه الحضارية، وإن هي سمحت بشيء من ذلك، فبشرط أن تطبّق اختياراتها هي لا اختياراته هو، ثمّ هي قابلت بالقمع كلّ الاحتجاجات الصادرة عن المجتمع، ناقدة لهذا الوضع، ومطالبة بتصحيحه، وكانت خلاصة ذلك كلّه كبت قوى الأمّة أن تنطلق، وإعاقة خصوبتها أن تثمر، والحجر على قدراتها أن تأخذ طريق الابتكار والإبداع، فانكفأت على ذاتها تجترّ انكسارها، وتراوح مكانها في ميدان التقدّم، إن لم تكن تقهقرت في أكثر من مجال من مجالات الحياة

=============

#المستنسخات الأتاتوركية !

ياسر بن عبدالعزيز العمرو* 1423/5/17

2002/07/27

الله أكبر كم في الفتح من عجب ... ...

يا خالد الترك جدد خالد العرب

حذوت حرب الصلاحيين في زمن ... ...

فيه القتال بلا شرع ولا أدب

تحية أيها الغازي وتهنئة ... ...

بآية الفتح تبقى آية الحقب

أطلال ملحمة شعرية، وقافية حماسية، صاغ فصولها وسبك أبياتها "أمير الشعراء" أحمد شوقي، مدحاً وثناءً واستبشارًا بمن استثار روح الجهاد في الأتراك، بعد أن جردت معاهدة (سيفر) الرجل المريض- الدولة العثمانية- من خزائنه وهيلمانه، وجعلته أثرًا بعد عين! .. فخرج ذلك (الممدوح) رافعًا القرآن،وداعيًا إلى الجهاد، فردَّ اليونانيين محتلي (أزمير) على أعقابهم، وتراجعت قوات الحلفاء أمامه وأخلت له المواقع، دون أن يشهر أمامهم آلة حربه!، فأصبح في نظر الناس – وليس في نظر شوقي فحسب- مجدد الخلافة التي مرغها الخليفة في التراب تحت أقدام الجيوش المحتلة!.

تلك المدائح والأهازيج نسخت بأثر رجعي، وانقلب الفرح ترحًا، والمدح ذماً، وأصبح الـ(مع) (ضدًا)، حتى أن صاحبنا المادح في مطلع المقال .. عاد فقال عن نفس (الممدوح):

بكت الصلاة وتلك فتنة عابث ... ...

بالشرع عربيد بالقضاء وقاح

أفتى خزعبلة وقال ضلالة ... ...

وأتى بكفر في البلاد بواح

فغدا (الغازي) (عابثًا)، و(الفاتح) (عربيدًا)، والمشبه بصلاح الدين (ضالاً) !

وكل هذا تأتى بعد أن قلب ذلك (الممدوح) ظهر المجن على مادحيه، وألغى- بعد أن تسود- الخلافة الإسلامية،وأقصى الشريعة ومؤسساتها ، ونحَّى القانون الإسلامي عن الساحة ، وتبنَّى القانون المدني ، ونظام التعليم العلماني ، والتقويم الجريجوري النصراني ، والحروف اللاتينية؛ ليقطع الصلة بين المسلمين الأتراك وتراثهم الثقافي ، وجعل العطلة الأسبوعية يوم الأحد ، كما منع ارتداء الزي الإسلامي خارج المسجد ، وأغلق جامع (آيا صوفيا) ، وجامع السلطان محمد الفاتح ، ومنع الصلاة فيهما بعد أن حولهما إلى متحفين للآثار ، وفرض تلاوة القرآن باللغة التركية، وكذلك الأذان ، كما ألغى قوامة الرجال على النساء ، وشجع العصبية القومية،وسمح بزواج الإخوة من الرضاعة ، وألغى تعدد الزوجات، وحول قصره في أنقرة (جانقايا) إلى بؤرة للرذيلة والفساد: تزاوج ما بين الشاذين جنسيّاً ، واغتصاب طالبات المدارس بعد

اختطافهن ، والاستمتاع بزوجات المسؤولين والتجار مقابل تلبية طلباتهم ، وتكديس القصر بالراقصات العاريات، والتحرش بأقارب السفراء ، فضلاً عن معاقرة الخمور يوميّاً ، بالإضافة إلى سرقة أموال المسلمين وتبرعاتهم ، واغتصاب الأراضي الزراعية ، وبيع ممتلكاته للدولة بأضعاف ثمنها ، بل وبيع أذربيجان المسلمة إلى الروس... والمزيد المزيد، حتى غدا حال الخطاب :

ألا يا أيها الصّابي ... ...

أقر قبيل إغضابي

بأنك ترفعُ الإسلام ... ...

فوق هدى حمورابي

وترفضُ أن يُساسَ الناسُ ... ...

وفق شريعة الغاب

وأنت أبٌ لطالبةٍ ... ...

قد استترت بجلباب

ولستَ بحالقٍ ذقناً ... ...

ولا مرخ لأثواب

فتلك جرائمٌ جُنِيَت ... ...

بكل برود أعصاب

وكل جريمة تكفي ... ...

لتجعل منك إرهابي

لا أخال القارئ جهل المقصود، ولم يع بشاعة الجرم الذي ارتكب ويتمعر منه الوجه، وتشمئز النفس .. إن لم يزد عليها بأدعية الويل والثبور.

مصطفى كمال الملقب بـ(أبي الأتراك) أو (أتاتورك).. شخصية لم تكن وليدة لحظتها، أو حالة فريدة من نوعها، جاءت خبط عشواء كيفما اتفق دون إرهاصات ومقدمات، إنما هي نسخة كربونية و جينٌ فكري مستنسخ من لدن الحميت الأسود ابن السوداء اليهودي (عبدالله بن سبأ) إلى وقتنا الحاضر، تتكرر على أمتنا في

نمـاذج عديـدة، كانـت بمثابـة اللـدغات التـي لـدغنا بسـمها الزعـاف – المخـدر لا المميت– مرات ومرات من الجحر ذاته!

إن الكثيـر مـن الأفكـار والمبـادئ والشـعارات الدخيلـة تسـقط عنـد الصـدمة الأولـى، وتلفظها المجتمعات المحافظة، وتشنع على أربابها ومعتنقيها، لذا يضطر أصحابها إلى التوجه صوب الإسلام، والتقنع بمبادئه وشعاراته، وإعلان الانتماء إليه و الذود عن حياضـه ... حتى إذا خـلا الجو؛ قلبوا ظهر المجن ، وبيَّضـوا وصفَّروا ونقَّروا وأعلنوا كشف الغطاء، وانقضاء شهر العسل !!

ومن استصـحب التاريخ ، لـن يعدم الأمثلـة والشواهد علـى تراجيديا الخداع المرهبنـة، وميكافيلية القذارة...

ألم ينادي (جوزيف ستالين) في مسلمي روسيا والقرم وقرغيز والقوقاز – وذلك قبل ثورته – قائلاً : (أنتم يا من هدمت مساجدكم ، وحطمت معابدكم ، ومزق القياصرة قرآنكم ، وحاربوا دينكم ، وأبادوا ثقافتكم، وعاداتكم، ولغاتكم... ثوروا من أجل دينكم وقرآنكم، وحريتكم في العبادة.

إننا هنا نعلن احترامنا لدينكم ، ومساجدكم ، وإنَّ عاداتكم ، وتقاليدكم حرة لا يمكن المساس بها، ابنوا حياتكم الحرة الكريمة المستقلة دون أي معوقات ولكم كل الحق في ذلك ...

واعلموا أن جميع حقوقكم الدينية والمدنية ، مصونة بقوة الثورة ، ورجالها ، والعمال ، والفلاحين ، والجنود وممثليهم ...)

(ستالين) قائل تلك الخطبة هو ذاته من نفى شعب الشيشان والأنغوش بأكمله إلى أواسط سيبيريا لمدة تزيد عن خمسة عشر عاماً، هلك غالبيتهم في رحلة الضنك والعذاب، و قتل وشرد ونكل بالآلاف من مسلمي التتر ، وفعل فيهم الأعاجيب، بعد أن كان يخطب ودهم ورضاهم !

ألـم يكـن (أتـاتورك) يرتـدي العمامـة ، ويلـبس السـبحة ، ويقرأ القرآن ، ويطـوف علـى الجماهير ، يستثير حماستهم ، ويعبئهم لحربه مع اليونان ، ويعتبر انتصار اليونان على تركيا هزيمة للإسلام ، وإبطالا للقرآن ، وامتدادا للاستعمار ... إلى درجة صدّق بها السلطان (عبدالحميد الثاني) مهازل (أتاتورك) ودعا الله أن يتقبل أعماله! رغم

إعلانـه لمخططاتـه الهدامـة فـي مجالسـه الخاصـة، كمـا يقـول عنـه مستشـاره (مفيـد كانصو) في مذكراته.

وذاك الزعيم المناضل صاحب الثورة ومنظرها، من كانت ترفع لـه هتافات التلبية من الخلـيج الثـائر إلـى المحـيط الهـادر، ألـم يتمسـح فـي بدايـة الطلـب بالزهـد والـورع، وينضـوي تحـت شـعار (وأعدوا)، ويصـنع تحـت الأعـين ،ويقـدم علـى أنـه المخلـص والمنقذ ... بل والمجدد!، فكانت أول ضحاياه – بعد التسود – من احتضنه وعلمـه وبرزه !

إن الدراما واحدة ، ولكن الأدوار ومنفذيها تغيروا ، ولم يصبح التمسح بالدين والتقنع بـه ذريعـة سياسـية قائمـة علـى (الغايـة تبـرر الوسـيلة) فحسـب، بـل تجـاوز ذلـك – فـي زمننا هذا – إلى الذرائع الاجتماعية والفكرية، فكثر أدعياء وصـال ليلـى التـي لا ناقـة لها ولا جمل ولا حيلة لتقر الوصال من عدمه!

إن النموذج الأتاتوركي، لم ينتهِ بموت (أتاتورك) ولم ينقضِ برحيلـه ، فلـئن عـاش فـي تلك الحقبة (أتاتورك) واحد، ففي عصرنا هذا يعيش عشرات الأتاتوركيين المتلبسين بمسوحه، والمستنسخين فكره، والداعين إلى منهجه... وما جنرالات تركيا منا ببعيد.

والتشـكل الحـالي للمستنسـخات الأتاتوركيـة يتجـاوز البراجماتيـة الذرائعيـة، والتمسـكن حتـى التمكن ؛ ليشمل دائرة أوسـع، يمـارس عبرهـا تقنـين لأدوار المصـلحين ورسـمها واختزالها في مشاريع ثانوية تحت مسميات (التوازن الاجتماعي) و (تداول النخب)، في مقابل فرص رئيسة قيادية تمنح لمن سواهم تحت المسمى نفسه!

فضـلاً عـن هدنـة المغازلـة بعـد التقريـع، وإحيـاء مـنهج المراجعـات اليوميـة، واحتكـار الأعمال والمشاريع تحت محددات معينـة، بينمـا الحقيقـة هـي: العمـل بقـانون الغـاب (البقاء للأقوى).

إن مراغمـة الباطـل وأهلـه لا تحتـاج إلـى لطـم خـدود أو شـق جيـوب، وبكـاء ونـوح .. وليسـت بمعركـة ذات فهـم حربـي – فحسـب– إنمـا هـي مراغمـة شـمولية تحتـاج إلـى مشـاريع جهاديـة ومدنيـة وحضـارية متنوعـة، تحتـوي الطاقـات وتبرّزهـا وفـق الهـدف المنشـود والمـراد، وتنتشـل عامـة النـاس مـن أحاديـة العمـل المؤسسـي التغريبـي إلـى ميـادين النهضـة بالأمـة الإسـلامية، وهـذا مـا رأينـاه جليـا فـي المشـاريع التـي قـدمتها

الحركات الإسلامية في تركيا – كحزب الرفاه مثلاً –، وساهمت في صحوة المجتمع واحتوائه، وعمقت الكراهية للأتاتوركية بكافة أشكالها.
وأخيرًا أقول: لست في هذا المقام أدعو إلى جعل سوء الظن واتهام النيات مطية ترتحل، ولكن لابد من التأني في إصدار العموميات، وألا يجعلنا حال الأمة العلقمي نمارس النفخ والتطبيل لكل شاردة تظهر، أو واردة تلوح، فينطلي علينا ما انطلى على سابقينا.. ورحم الله الإمام الشافعي حين قال : (إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، أو يطير في الهواء، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة).
* مدير تحرير موقع الإسلام اليوم

=============

#ابني و اللغة الأجنبية

د. وليد بن عثمان الرشودي 1423/3/7
2002/05/19

إن الرفض لذات الرفض ، يعد تخلفاً في عقلية العقلاء الذين ينشدون الصلاح لأنفسهم وأمتهم ، وفي الأثر " الحكمة ضالة المؤمن حيث ما وجد المؤمن ضالته فليجمعها إليه " فالمسلم يبحث عمّا يحقق له الحكمة من وجوده على هذه الأرض (إني جاعل في الأرض خليفة) ، فلا بد من عمارتها بصلاح الدين والدنيا ، ليس كما نحب أو نرضى ، بل جعل لنا ربنا أحكاماً تعبدنا بها في إصلاح هذه الحياة لتحقق فينا العبودية المطلقة لله ، ومن ذلك التزام الشرع الكريم في كل الأحوال ، وعدم الخروج عنه قيد أنملة، سيما في الثوابت التي لا تحتمل أن تهتز فضلاً أن تتغير أو ينقص منها، لأن في ذلك منافاة لقول الرب جلّ في علاه (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) ، وكما قال مالك : ما لم يكن ذلك اليوم ديناً فليس اليوم بدين .
وثمة سائل يسأل: ما علاقة التعلم للغة الأعجمية بهذه الطليعة السابقة ؟
العلاقة هي أن الحفاظ على النشء – فكرياً– أمر محتم شرعاً " ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " ، فتأثر الطفل والتأثير عليه تحت الحصانة الشرعية لا يجوز لنا أن نتصرف بها إلا كما أمر ربنا جل وعلا ،

وكما في الحديث " ألهذا حج ، قال نعم ولك أجر" ، فالخير يجب أن يجلب إليهم ، والشر لابد أن يحجب عنهم سيما ما يتعلق بدينهم وفطرتهم قال شيخ الإسلام رحمه الله (ويجب تعليم أولاد المسلمين ما أمر الله بتعليمهم إياه وتربيتهم على طاعة الله ورسوله كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم– : مروهم للصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع .) _ ولاشك أن التحرز لهم بمنعهم من مخالطة الأعداء _ كيف وأن أعداء هذا الزمان جلهم معتدون _، مطلب أمره في الشريعة ضروري ، ومن ذلك حماية ألسنتهم من أن يخالطها عجمة ، فاللسان هو دليل القلب ، قال الحسن : اللسان أمير البدن فإذا جنى من الأعضاء شيئاً جنت وإذا عف عفت . أ.هـ ، فصيانته من كل سوء مطلب لابد أن يعتنى به خاصة مع شدة التغريب الموجه على الأمة ، واللسان جزء منها ، إذ المقرر عند أهل العلم أن التشبه بالظاهر يورث موالاة الباطن ، وهذه القاعدة أثرها موجود ومحسوس لا يمكن أن ينكر ، وإذا كان الناس يشكون من لوثة اللسان الغربي بدون إدخال التهذيب عليه منذ نشأته ، فكيف إذا أصل تغريبه ، ولله درّ حافظ إبراهيم حينما قال : واهًا لهذه اللغة التي أصبحت بين أعجمي ينادي بوأدها ، وعربي يعمل على كيدها !!. أ.هـ .

عفواً أخي القارئ.. إن الغيرة على اللسان العربي لابد أن تأخذ أَوْجَها في القلوب ، ولابد أن تنتفخ الأوداج حمية للغة القرآن ، والثأر لها في هذا الزمان الذي نصبت فيه الشراك لها ليوقع بها ويغتال شرفها .

إن تأصيل الحكم الشرعي لتعلم اللغة العربية ووجوب الحفاظ عليها ظاهر لكل من آتاه الله قلباً أو ألقى السمع وهو شهيد ، وتعليم الصغار وتنشئتهم على حب العربية والتخاطب بها ، ومعرفة ما فيها من الدين ، حيث بها يقيم القرآن ، ويعرف معاني آياته ، فيستجيب لأمر ربه ، ويفهم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبذلك يحقق الغاية من وجوده سيما في هذا العصر الذي تنكر فيه للغة القرآن ، وقصّر أهله في نصرته ، حتى طغت العامية على العربية ، وأصبح الناس لا يفهمون كثيراً من ألفاظ القرآن ، قال شيخ الإسلام – رحمه الله– في الاقتضاء ، : وإنما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية حتى يتلقنها الصغار في الدور والمكاتب ، فيظهر شعار الإسلام وأهله ، ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام فقه معاني الكتاب والسنة

، وكلام السلف ، بخلاف من اعتاد لغة ثم أراد أن ينتقل إلى أخرى فإنه يصعب عليه ، وأعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيراً قوياً بيناً ، ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين ، ومشابهتهم تزين العقل والدين والخلق ، وأيضاًَ فإن تعلم اللغة العربية من الدين ، ومعرفتها فرض واجب ، فإن فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، ثم منها ما هو واجب على الأعيان ، ومنها ما هو واجب على الكفاية ، وهذا معنى ما رواه ابن بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عيسبن يونس عن ثور عن عمر بن يزيد قال : كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري : أما بعد فتفقهوا في السنة وتفقهوا في العربية فإنها من دينكم ، وهذا الذي أمر به عمر –رضي الله عنه– من فقه العربية وفقه الشريعة يجمع ما يحتاج إليه؛ لأن الدين فيه أقوال وأعمال ، ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله ، وفقه السنة هو الطريق إلى فقه أعماله) ولعل في هذا التقرير من شيخ الإسلام كفاية في بيان الحكم الشرعي الذي نحن مطالبون بالاستسلام له غنية عن نقل غيره .

وإن من أخص من يعنى بهذا الحكم أهل الجزيرة العربية التي شرفنا الله بسكنها ، والعيش على أرضها ، فإن لها خصائص يجب عليها أن تتميز به عن غيرها .

قال الشيخ العلامة بكر أبوزيد – شفاه الله وعافاه – في كتابه العظيم الماتع (خصائص الجزيرة العربية) ، في معرض ذكره للضامنات التي يجب القيام بها لحفظ خصائص الجزيرة : (تعريب لسان الأمة من رطانة الأعاجم إلى شعار الإسلام ، ولغة القرآن لسان العرب (لأن الدين فيه أقوال ، وأعمال ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله ، وفقه السنة هو الطريق إلى فقه أعماله) ، فلذلك يجب على من بسط الله يده بالسلطان على هذه الجزيرة أن يقوم بحمايتها من غائلة الأعاجم ، وأن يحفظ لسانها من العجمة ، وأن يتبنى قواعد لغة القرآن ، فإن التاريخ لنا فيه عبر أي عبر ، فقلّب ناظريك يا رعاك الله تجدْ أن أول ما طمست الهوية الإسلامية في كثير من البلدان المستعمرة بالقضاء أولاً على لسانها ، وإشاعة العامية فيها ، ولا يخفى ما فعله دانلوب ، وجهود طه حسين في تغريب اللسان العربي في مصر ، واستبداله بالعجمة والعامية لتذوب معالم الدين ، وتقطع العلاقة بين المرء ولسان دينه .

قال الأديب مصطفى صادق الرافعي في وحي القلم : وما ذلَّت لغة شعب إلا ذلّ ، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار ، ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضاً على الأمة المستعمرة ، ويرعبهم بها ، ويشعرهم عظمته فيها ، ويستلحقهم من ناحيتها ، فيحكم عليهم أحكامًا ثلاثة في عمل واحد :

أما الأول : فيسجن لغتهم في لغته سجناً مؤبداً .

وأما الثاني : فالحكم على ماضيهم بالقتل محواً ونسياناً .

وأما الثالث : فتقييد مستقبلهم بالأغلال التي يصنعها فأمرهم من بعدها لأمره تبع . أ.هـ

فكيف إذا زاد على ذلك عدد من المبتعثين الذين رضعوا من صلب الاستعمار فأنتج منهم نتاجًا هزيلاً ليخدم المستعمر ، ويضيع خصائص بلده وأمته ، ومن أشد هذه المسالك لؤمًا ما يعود به عدد من المبتعثين من شباب هذه الأمة إلى ديار الكفر، إذ يعودون وهم يحملون تحللاً عقدياً رهيباً منضوين تحت لواء حزبي مارق ، وفي لحطات يمسكون بأعمال قيادية عن طريقها ينفذون مخططاتهم ، ويدعو بعضهم بعضاً ، فيتداعون على صالحي الأمة ، وعلى صالح أعمالها ، وهذا أضر داء استشرى في هذه الجزيرة ، فهل من مستيقظ ؟ وهل من مستبصر) ؟ أهـ .

وإننا في هذه البلاد المباركة لنحاذر ذلك ، ونخاف منه ، ونخشى أن يحل بنا ما حل بغيرنا ، والله تعالى يقول (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ، وهذا الذي نرى بوادره من فتح للمدارس الأجنبية لتقرر المناهج الغربية في بلاد المسلمين بحجج واهية ، وما رأيناه فيها من إماتة للغة العرب ، ووأد لتدريس علوم الشريعة ، مع ما صاحبها من اختلاط مشين لا يمكن أن يبرر ، إلى فرض تدريس اللغة الأعجمية على أطفال المسلمين بحجة المحاكاة ، فإن في هذه الخطوة –كفانا الله شرها– محاذير ، منها :

1 – ازحام عقل الطفل ، بحيث تشغل اللغة الأعجمية اللغة العربية .

2 – إثقال كاهل الطفل الدراسي ، فهو بحاجة إلى أن يخفف عنه من قيود الرياضيات والعلوم لا أن يزاد عليه غيرها .

3 – أن الدراسات النفسية والاجتماعية أثبتت – بما لا يدع مجالاً للشك والريب– أن الطفل في مراحله الأولية لا يستطيع إتقان أكثر من لغة ، والناس يعانون من عجمة أولادهم بسبب مخالطة الخدم ، فكيف إذا درسوا ذلك ؟

4 – أن المستقدم لتدريس هذه المادة أصله غريب على اللغة التي يراد تدريسها ، فكيف يدرسها هو ؟

5 – أن تدريس هذه المادة وإقرارها ما هو إلا بهرج يتزين به البعض ليظهر أنه قدم شيئاً .

6 – لازالت الأمم قوية متماسكة ما قامت بالمحافظة على تراثها دون تغيير أو تمييع لتعيش عزيزة منيعة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– : إن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله ، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون . ا.هـ .

ولله درّ الرافعي حينما قال في وحي القلم: وليس في العالم أمة عزيزة الجانب تقدم لغة غيرها على لغة نفسها ، وبهذا لا يعرفون للأشياء الأجنبية موقعاً إلا من وراء حدود الأشياء الوطنية ، ولو أخذنا – نحن الشرقيين– بهذا لكان وحده علاجاً حاسماً لأكثر مشاكلنا ، فاللغات تتنازع القومية ولَهِيَ –واللهِ اختلال– عقلي في الشعوب التي ضعفت عصبيتها ، وإذا هانت اللغة القومية على أهلها أثرت اللغة الأجنبية في الخلق القوي ما يؤثر الجو الأجنبي في الجسم الذي انتقل إليه وأقام فيه .

7 – وأقل ما في تدريس هذه المادة " أنه من المحاكاة ، وأنه من مظاهر الذلة والضعف ، وتبعية المغلوب للغالب ، والمسلم مطالب بالعزة والأنفة من التبعيات الماسخة المجردة من العوائد النافعة " من كلام بكر أبو زيد في تغريب الألقاب العلمية ص 25 .

8 – خطر الوافد المدرس على دين الأطفال وأخلاقهم ، حيث إنهم من بلاد شتى ، ومنها ما هو غير مسلم ، بل وغير كتابي ، ولا ننسى خطر رسائل التبشير ، والناس اليوم تحاذر خطر الخادم على دين الأطفال وأخلاقهم ، وشكواهم ظاهرة للعيان ، هذا والخادم ليس محل القدوة ، فكيف إذا كان المعلم هو الخطر ؟ وهو بمقام العلو ، وله المكانة ، وظاهر الغلبة على المتعلم ، وعند الطفل هو مقام القدورة والأثر عليه .

وإنـي لأرجـو الله أن يحفظ هذه البلاد من كل ما هو وافد يضر دينها ، وخلقها ، وفكرها .

============

#ماذا بعد الحصار ؟!

صلاح الصاوي 1423/2/23
2002/05/06

وماذا بعد الحصار؟ سؤال يتردد على كل لسان، ويقرأ في كل عين، ويتقاول به الناس في كل مجلس، وقد بهرتنا الشدائد وأجهدتنا المفاوز، وفدحتنا الضحايا، وبتنا كالقافلة المكروبة تتخبط منذ زمن طويل في مجاهل الأرض وخوادع السبل، وأدلاؤها الغواة يلتهمون زادها مع الوحش، ويقتسمون مالها مع المغير، ويغتنمون ضلالها مع الحوادث!!

وماذا بعد الحصار؟! لقد أيقظت هذه الانتفاضة المباركة روح الجهاد في الأمة، وفجرت العربدة الصهيونية وما ارتكبته من مجازر بشعة في أرض المعراج براكين الغضب في أعماق كل من يؤمن بالله واليوم الآخر، وربما في أعماق بعض من لا يؤمنون كذلك! فقد تجاوزت كل حد، وفاقت كل خيال، وسوف تظل جرحا نازفا في ضمير أجيال كاملة، إلى أن يمُنَّ الله على هذه الأمة بتأييده، ويرفع عنها مقته وغضبه.

لقد تجاوب الحِسُّ الإسلامي العام مع ما يجرى على أرض المعراج من أحداث، وعبر عن ذلك في صورة هذه المسيرات الحاشدة التي طوفت أرجاء العالم الإسلامي، ترسل رسالة سخط ولعنة إلى الطغاة، وترسل رسالة حب وتأييد إلى المجاهدين والمرابطين، كما تجاوبت –إلى حد ما– بعض القيادات العلمانية المتنفذة، فلم تسحق هذه المسيرات، ولم تتهمها هذه المرة بالعمالة أو الخيانة أو التآمر لقلب نظام الحكم كما كان ديدنها في التعامل مع مثل هذه الأحداث، وبدا الإعلام العربي متجاوبا – إلى حد كبير– مع هذه الأحداث؛ لأن عواصفها لم تستهدف أهل الإيمان وحدهم، بل استهدفت معهم كرامة هذه النظم وشرعيتها، وأوشكت أن تأتي على بنيان بعضها من القواعد، بالإضافة إلى ما خلفته من تشويه بالغ لصورة هؤلاء أمام شعوبهم وحلفائهم.

ولكن هذا الوضع – فيما يبدو – لن يستمر طويلا، لقد تعوّد أهل الباطل أن يسارعوا إلى تغيير مجرى الأحداث إذا بدأت في التحول لصالح أهل الإسلام، والذي يظهر من قراءة الأحداث– والغيب لله– أن القوم سيتداعون إلى مؤتمر سلام يتقاسمون فيه على إدانة ما نعتوه بالإرهاب (الجهاد المسلح، والعمليات الاستشهادية، وكل ما يرتبط بها من وسائل وأسباب مادية أو معنوية) ويتدافعون فيه إلى التوقيع على وثيقة سلام، تفرض تحت الحصار، وتحت تهديد الآليات العسكرية، نفس الآليات التي أشاعت الخراب والدمار في جينين، وقلقيلية، ونابلس، وطولكرم، ورام الله وغيرها!! وسوف تتحول جميع النظم العربية إلى مخافر ومسالح ترعى الكيان الصهيوني ، وتؤمن وجوده، وتسحق كل محاولة لاختراقه أو النيل منه!

وسوف تحجب عن الشرعية بالتبع كلّ أو جلّ الجهود الرامية إلى دعم الانتفاضة والعمل المسلح، فلن يجمع لها مال، ولن يفتح لها مكاتب، ولن يكشر في وجهها أحد، وقد يتنادى فئام من الدعاة من فوق المنابر بطاعة طغاة العلمانية ممن يستعلنون بالفصل بين الدين والدولة، وإن جلدوا الظهور وأخذوا الأموال، وأن الجهاد والصلح، أو الحرب والسلم من القرارات السيادية التي تفوض إلى هؤلاء، ولا مدخل فيها للعامة وأشباه العامة، وسوف تدخل القضية الفلسطينية في منعطف جديد بالقياس إلى كل ما مر بها من أحداث، وما تعاقب عليها من محن! قد تأخذ هذه التداعيات بعض الوقت، وقد لا يتزامن حدوثها في وقت واحد، وقد تمارس كلها أو بعضها من الناحية العملية في الوقت الذي ترفع العقائر بنقيضها من الناحية النظرية، إلا أن استقراء الأحداث والوقائع يقول إن ذلك قادم لا محالة، وإن نذره قد بدت تلوح في الأفق! فأين نحن من هذا كله ؟ وما ذا أعددنا له من العدة ؟ ويبقى السؤال جذعا: وماذا بعد الحصار ؟!

لقد تعودنا على ردود الأفعال الموقوتة، التي سرعان ما تفتر وتتلاشى، وتصبح هشيما تذروه الرياح! إننا نجد اليوم حماسا وتجاوبا وتهيؤا للبذل والتضحية، لبشاعة المذابح من ناحية، ولتجاوب الإعلام في عرضها وتعريف الناس بها من ناحية أخرى، لكن أخوف ما أخافه أن يفتر هذا الحماس وأن تذهب شرته، وأن تضطرب الأولويات، وأن يشتغل كل منا بخصوصياته وأولوياته بعد حين، فينفض السامر

ويهجع السمار ! والأمر جد خطير ، ومسيس الحاجة فيه إلى الصبر والمصابرة والمرابطة، وتجهيز الأمة لرحلة طويلة من البذل والمعاناة لا يخفى على متأمل!

إننا لا نجد جوابا على هذا إلا قول الله جل وعلا { يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون} الصف: 10 -11 وقوله تعالى { إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقْتلون ويُقْتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفي بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم } التوبة: 111 فالجهاد ذروة سنام الإسلام، وهو الذي لا يعدله عمل من الأعمال ، فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ، قَالَ: لَا أَجِدُهُ، قَالَ: هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلَا تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ، قَالَ وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟! قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنَّ فَرَسَ الْمُجَاهِدِ لَيَسْتَنُّ فِي طِوَلِهِ فَيُكْتَبُ لَهُ حَسَنَاتٍ

ومعنى قوله (ليستن) يمرح بنشاط، من الاستنان وهو العدو. (طوله) حبله الذي يشد به من طرف ويمسك طرفه الآخر، ثم يرسل في المرعى. (فيكتب له حسنات) يكتب مرحه ورعيه حسنات لصاحبه. وما ترك قوم الجهاد إلا ضربت عليهم الذلة والمسكنة، ونزعت مهابتهم من قلوب أعدائهم، وأكلتهم الفتن، واكتووا بنيرانها!

على أنه ينبغي أن يؤخذ الجهاد بمفهومه الواسع : جهاد السيف، وجهاد الكلمة، وجهاد المال، (جاهدوا المشركين بأيديكم وألسنتكم وأموالكم)، فكل هذه مجالات تستوعب طاقات الأمة، وتوظف كل إمكاناتها في هذه المواجهة، وتفسح لكل صاحب جهد مجالا لكي يدلي بدلوه، ويشارك في دعم جهاد أمته، وفي إنهاضها وإقدارها على الرباط والمصابرة، في هذه الرحلة الطويلة المضنية!

فإذا عجز الناس في مرحلة من المراحل عن إقامة الجهاد بمفهومه الخاص (جهاد السيف)على وجهه كما أمر الله عز وجل، لنقص في العدد أو في العتاد، أو لعدم ملاءمة في التوقيت أو غير ذلك ، فإن لهم في مفهومه العام من جهاد الكلمة وجهاد المال منادح ومتسعا تبقيهم على نية الجهاد بمفهومه الخاص من ناحية، وتتيح لهم

المشاركة في تعبيد سبله وتهيئة أسبابه من ناحية أخرى، وإذا كان العبد لا يزال في صلاة ما دامت تشغله الصلاة ويتجهز لها، فإنه لا يزال في جهاد ما دام يشغله الجهاد ، ويعد له العدة، ويهيئ له الأسباب.

وإن إعداد العدة في هذا المقام طريق ذو ثلاث شعب:

الشعبة الأولى: شعبة الإيمان والاعتقاد الصحيح، وخلاصته التأكيد المستمر والإلحاح الدائم على أن القضية الفلسطينية قضية إسلامية خالصة، وتخليصها – على الأقل في حس المؤمنين بالله واليوم الآخر – من الأقنعة العلمانية، والنزعات العرقية أو الإقليمية، وذلك يقتضي ما يلي:

– تجديد الإيمان واستفاضة البلاغ بأن النصر من عند الله وحده، وأنه لا يستحقه إلا المؤمنون حقا. قال تعالى { وما النصر إلا من عند الله } (الأنفال: 10) وقال تعالى { إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم } (محمد: 7) وقال تعالى { وكان حقا علينا نصر المؤمنين}

– تجديد الإيمان واستفاضة البلاغ بأن هذه الأمة منصورة ومرحومة، وأن العاقبة لها بإذن الله، وأنه لا تزال طائفة منها قائمة على أمر الله لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله ، وأنها قد مرت عبر التاريخ بأطوار من الضعف والانحطاط أكثر بشاعة مما تمر به هذه الأيام، وأنها قد خرجت من كل ذلك، واستعادت عافيتها، واستأنفت مسيرتها، وحملت رسالة ربها إلى العالمين، وأن نذكر أنفسنا دائما بسنة الله الثابتة في إهلاك الطغاة والمستكبرين، ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ، { ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد } الفجر: 6-9

– تجديد الإيمان واستفاضة البلاغ بأن أول الطريق إلى النصر على الأعداء هو الانتصار على النفس في معركة الشهوات والشبهات، وأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وأنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة، وأن ذنوب الأمة أخوف عليها من عدوها، وأن تقوى الله من أعظم الخطة في الحرب، ومن أقوى المكيدة على العدو، وأن كل خطيئة ترتكب في أرض الإسلام فهي حبل من الناس

يمد به العدو بمزيد من القوة ، وقذيفة مدمرة تقدم إليه، وتضاف إلى رصيده من العتاد غنيمة باردة بلا ثمن ليبطش بها كما شاء !

– تجديد الإيمان واستفاضة البلاغ بأن العلمانية والإيمان نقيضان، وأن اللبوس العلماني الذي نسجه المبطلون للقضية الفلسطينية كان أحد أسباب الخيبة الماضية، وأن الإصرار عليه إصرار على السير في طريق الخيبة والبوار!

– تجديد الإيمان واستفاضة البلاغ بأن قضية فلسطين قضية إسلامية خالصة، قضية الأقصى، وأرض الإسراء والمعراج، أولى القبلتين، وأن الدفاع عن مقدسات المسلمين من آكد فروض الأعيان، وأن الجهاد يتعين في المقام الأول على أهلها، وعلى بقية الأمة إقدارهم على ذلك وإنهاضهم له وإعانتهم عليه، فإن عجز أهلها لقلة عددهم أو عتادهم، ولم يقووا على خصومهم، امتد تعيين الجهاد إلى الذين يلونهم من المؤمنين، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وهكذا في دوائر تتسع تدريجيا إلى أن يعمّ الوجوب العيني للجهاد أرض الإسلام قاطبة.

– التعرف الدقيق على نفسية بني إسرائيل، والقراءة الواعية لتاريخهم وسيرهم مع أنبيائهم من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وكيف نقضوا مواثيقهم وقتلوا أنبياءهم وسبوا خالقهم مسبة لم يسبها له أحد من العالمين، وكيف أورثهم هذا كله قسوة في القلوب وغلظة في الرقبة، وذلة ضربت عليهم أينما ثقفوا، ولعنة تتابع عليهم أبناء وأحفادا ! فإن التعرف على العدو جزء لا يتجزأ من الإعداد للمواجهة وحسن التخطيط لها. قال تعالى { فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية } (المائدة : 13) وقال تعالى { لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون } (المائدة : 78-79) وقال تعالى { ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون} (آل عمران : 112)

– الاهتمام البالغ بتزكية النفوس، وتربية الناشئة على الإيمان والجهاد، وحمايتهم من غوائل التغريب والعلمنة، فإن المعركة طويلة المدى، وقد لا تحسم على يد هذا

الجيل، فيجب إعداد العدة لمثل هذا الامتداد على مستوى الزمان كما نعد له على مستوى المكان!

– حسم الجدل الدائر حول بعض القضايا الرئيسة المتعلقة بمشروع المواجهة، من ذلك على سبيل المثال:

– مدى مشروعية العمليات الاستشهادية التي جمعت قلوب السواد الأعظم من الأمة حول القضية الفلسطينية، وأجَّجت جذوة الجهاد في ضمائرها، مع عدم إغفال جانب الجدوى والتوقيت ، فإن إقرار مبدأ الجهاد لا يعني – بالضرورة– سلامة توقيته ودقة حساباته في كل مرة، فينبغي ألاّ يحملنا الحماس المتأجج للعمليات الاستشهادية على إغفال هذا الجانب العملي الذي يتوقف عليه تحقيق هذه الأعمال لمقصودها أو إخفاقها في ذلك، فالعمليات الاستشهادية فرع عن العمليات القتالية العامة وصورة من صورها، فينبغي أن تدور في فلكها وأن تنبثق من مشكاتها.

– مدى مشروعية الاستمرار في العمليات الجهادية وإن حَجَبْتَها – عن الشرعية– بعض القيادات العلمانية، وذلك عندما تلتزم نظم المنطقة كلها بوثيقة سلام، وتوقع عليها في مؤتمر دولي أو غير دولي، ولا يخفى أن الجهاد هو الخيار الاستراتيجي لهذه الأمة، قَبِلَ به من قبل ، وأفك عنه من أفك!

– مدى صحة أو بطلان مشروعات الاستسلام والتخاذل التي تتم تحت وطأة الحصار، والتي تسلم إلى الأبد جزءا من بلاد الإسلام إلى المعتدين الغاصبين، والتي يتولى كِبْرها قيادات لا تنتمي إلى جماعة المسلمين؛ لخروجها على كثير من المعلوم بالضرورة من الدين! وما مدى شرعية القيادات العلمانية التي تكفر بمرجعية الشريعة في علاقة الدين بالدولة، وفي علاقة الدين بالحياة، ومدى أهليتها لتمثيل الأمة فيما يجري في الساحة الآن من عقود وعهود، ومدى قيام أو سقوط واجب الطاعة بالنسبة لها.

– الاتفاق على مرجعية شرعية يحتكم إليها في النوازل المتعلقة بهذه القضية، ولتتمثل مرحليا في بعض الرموز التي عرفت في الأمة بالكفاية والديانة، بحيث تمثل في مواقعها المرجعيات المعتبر بها للإفتاء في مثل هذه النوازل، فسوف يكثر الأدعياء

والملقنون، وسوف يكثر الغافلون والمغيبون، ويبقى الحق بعيدا عن دعاوى الملقنين وغفلة المغيبين. ولكن وجه الأرض لن يخلو من قائم لله بحجة.

الشعبة الثانية: شعبة التوحد والائتلاف، وهذا هو بيت القصيد في مشروع المواجهة، فإن التنازع بريد الفشل وذهاب الريح، وإن نصر الله لا يتنزل على شيع متنازعة متناحرة، وقد قال تعالى { ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) (الأنفال : 46) وقد أعطى علي –رضي لله عنه– للخوارج – فيما أعطى – ألاّ يمنعهم من الغنيمة والفيء مادامت أيديهم مع المسلمين، وألاّ يبدأهم بقتال ما لم يقطعوا السبيل ويسفكوا الدم الحرام، فلم يمنعهم من القتال مع جماعة المسلمين، ولم يحجب عنهم بسبب ابتداعهم حظهم من الغنيمة والفيء إن هم اشتركوا في هذا القتال المشروع، وقد كانوا من أشد الفرق ابتداعا وتكفيرا للأمة وقتالا لها وخروجا على جماعتها، وقد أعطاهم ما أعطى، وما نفذ إليهم بقتال حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدم الحرام.

إن في خندق الجهاد متسعا لأهل القبلة قاطبة، ولم تزل جيوش الأمة –عبر التاريخ– تضم البَرَّ والفاجر، وينتظم في سلكها الصالح والطالح، وإذا كان يجوز التعاون على البر وأعمال الخير مع كل من دعا إليها ولو كان من غير المسلمين، أفلا يجوز ذلك مع المسلمين على ما قد يشوب بعضهم من شائبة ابتداع أو تفريط ؟! وقد تمهد قيام الشريعة على تحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وأنه يقاتل مع الظالم من هو أشد منه ظلما، ومع المبتدع من هو أشد منه ابتداعا!

إن محكمات الشريعة تؤكد على التوحد والائتلاف، وتنهى عن التفرق والاختلاف، وإن فساد ذات البَيْنِ هي الحالقة، التي تحلق الدين، ولقد لاحظ كثير من المعاصرين من حملة الشريعة من خلال تجاربهم الدعوية وعبر أسفارهم المتكررة واختلاطهم بتجمعات دعوية متباينة المشارب أن مرَدَّ نسبة كبيرة من الاختلافات الواقعة بين المتدينين إلى فساد ذات البين، وليس لمجرد الاختلافات الفقهية أو التباينات العقدية، ولهذا كانت كلمتهم دائما إلى هؤلاء { فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم} (الأنفال : 1) { ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا } (الأنفال : 46) (إياكم وفساد ذات البين فإنها الحالقة، ألا لا أقول تحلق الشعر ولكنها تحلق الدين)

وقد لا يتسنى تحقيق الائتلاف الكامل في هذه المرحلة بصورته المنشودة دفعة واحدة، ، ولكن الحد الأدنى الذي لا يعذر مسلم بالتفريط فيه هو الاتفاق على مبادئ كلية تمثل رؤية مشتركة وموقفا عمليا موحدا تجاه هذه القضية، وإن تباينت الأدوار، وتعددت المسارات، لتباين الاستعدادات والقدرات، والاتفاق على بعض الآليات التي تفعل هذه المواقف العملية المشتركة، وتنقلها من حيز الأفكار والأماني إلى حيز التطبيق والممارسة الفعلية.

لتكن قضية تحرير الأقصى هي المشترك الجهادي العام الذي يلتقي عليه العاملون لهذا الدين، والذي تأتلف حوله كلمتهم، وتجتمع حول تحريره قلوبُهم، وليتفق الناس على إقرار مبدأ وجوب الجهاد لدحر هؤلاء الغاصبين، وأن هذا الجهاد هو مسؤولية الأمة بأسرها، وليتسع مدلول الجهاد ليشمل كل أنواع الدعم الممكنة :

– الدعم المالي من خلال أموال الزكوات والتطوعات العامة التي تقدم من خلال الهيئات الإغاثية أو الصلات الشخصية، وينبغي الاهتمام بتأمين القنوات الموثوقة التي تصل بالمال إلى أهله، حتى لا تذهب أموال المؤمنين أدراج الرياح، ومما يتصل بهذه النقطة ضرورة توخي الحذر في التعامل مع هذا الملف، فسوف تتهم كل محاولات الدعم على أنها مؤازرة للإرهاب، وستنسج لأصحابها التهم، وتلفق لها الدعاوى سواء في بلاد المسلمين أو في خارجها، وقد يقضون جل أعمارهم في غياهب السجون بسبب جمعهم لدريهمات من المال لإغاثة جريح أو كفالة يتيم! وليست هذه دعوة إلى التثبيط أو إشاعة الهلع، ولكنها دعوة إلى الحذر، واتخاذ أقصى ما يمكن اتخاذه من أسباب الحيطة والحذر.

– الدعم الإعلامي، بإشاعة التعريف بالقضية، وإماطة اللثام عن تاريخها، وما تعاقب عليها من مراحل، وتوظيف كل الوسائل الإعلامية المتاحة مثل خطب الجمعة، والمحاضرات والندوات الإسلامية، والدروس العامة أو الأكاديمية: في الجامعات، أو المدارس: العليا أو المتوسطة أو الأولية، وكل ما يمكن الوصول إليه من قنوات التلفاز المحلية والعالمية، أو المحطات الإذاعية وإعداد الكتيبات والدراسات التعريفية ، والأشرطة المسجلة تسجيلا مسموعا ومرئيا وتبني توزيع ذلك على غير القادرين من قبل أولي الفضل والسعة، لعلنا بهذا نرد غائلة الإعلام المعادي أو

نخفف من غلوائه وتفرده بالعقول والأسماع، هذا الإعلام الذي بلغ من استخفافه بعقول العالم أجمع أن يدعو السفاح الأثيم شارون برجل السلام (!) على إثر ما ارتكبه من مذابح جينين وغيرها من المذابح التي تولى كبرها في مخيمات الفلسطينيين(!) وصدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم– (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت !!)

– الدعم الفقهي من خلال الفتاوى المجمعية الداعمة للجهاد والمنددة لكل محاولات التفريط أو التخذيل والتثبيط.

– الدعم السياسي من خلال الضغط على صناع القرار في الدوائر الغربية لحملهم على شيء من التوازن أو الإنصاف في التعامل معها، ومن ذلك تنظيم مسيرات الاحتجاج والاتصالات الهاتفية بصناع القرار ورجال الإعلام وإرسال الرسائل المنددة بالعربدة الصهيونية والشارحة للمعاناة الفلسطينية

وبالإضافة إلى الاستنفار العام للمرابطة على كل هذه الثغور السابقة، فإنه يتعين كذلك التأكيد على ما يلي:

– إبقاء التواصل مع جميع فصائل العمل الإسلامي التي تعنى بالقضية الفلسطينية، وإن علق ببعضها شائبة ابتداع أو شذوذ في بعض الجوانب، مع الاستمرار في بذل النصيحة الواجبة لها بما لا يؤدي إلى مفسدة أعظم، ولنذكر دائما أن أهل الحق عبر التاريخ كانوا أهل السنة والجماعة، فهم يحرصون على الائتلاف واجتماع الكلمة، كما يحرصون على اتباع الحق وموافقة السنة! ولنتذكر أن خندق الجهاد يستوعب أهل القبلة كافة، وأن الجهاد ماض مع كل بر وفاجر! وأنه يقاتل مع المبتدع من هو أشد منه ابتداعا، ومع الظالم من هو أشد منه ظلما.

– إبقاء التواصل مع جميع القوى السياسية الأخرى التي تعنى بالقضية الفلسطينية خارج إطار الحركة الإسلامية، والحذر من أن تنجح وسائل الخصوم في إغراء العداوة والبغضاء بين هذه القوى، لتضرب بعضها ببعض، وتذيق بعضها بأس بعض، قد يصلح أن يخاطب أهل الإسلام باسم الإسلام، ولكن لخطاب الآخرين لغة مختلفة ينبغي التعرف عليها والتعامل بها ما دامت في إطار المفهوم العام للتعاون على البر والتقوى، ولنا في حلف الفضول والصحيفة النبوية في المدينة سوابق يمكن

الاستنان بها والاقتباس منها؛ وذلك لتجسير العلاقة مع بقية القوى السياسية المتفاعلة مع القضية الفلسطينية، والاتفاق على نقاط التقاء وتعاون يمكن التنسيق من خلالها.

الشعبة الثالثة: شعبة الجهاد المسلح، وهذه قد لا تتسنى – في هذه المرحلة على الأقل – إلا لأهل هذه المحلة المحاصرة المغتصبة، فهم أعرف بتعاريج هذه المنطقة، وأقدر على الكرَّ والفرَّ فيها، ولا يتسنى لغيرهم الوصول إليهم؛ نظرا لهذا الحصار الدولي المفروض عليهم، والذي يتوقع أن يزداد شراسة وضراوة مع الأيام القليلة القادمة، وعلى بقية الأمة إقدار هؤلاء على الصمود، وإمدادهم بما يحتاجون إليه من آليات الصمود كالعتاد والخبرات والأموال ونحوه .

إن الحماس في التدفق على الأرض المقدسة للمشاركة في الجهاد في هذه الآونة قد يجر على المرابطين بها من المتاعب أكثر مما يحقق لهم من الصالح أو المكاسب، وإن القياس على الجهاد الأفغاني –إبّان الاحتلال الروسي– قياس مع الفارق، لقد تهيأت للجهاد الأفغاني دار إيواء ونصرة تمثلت في الأراضي الباكستانية التي احتضنت الجهاد والمجاهدين، فأقيمت عليها معسكرات التدريب للقادمين، وآوت ذراري المجاهدين، وانطلقت منها كتائب الغزو للمقاتلين، وأقيمت عليها المؤسسات الإغاثية للجرحى واللاجئين، وهي ظروف لم يتهيأ مثلها للقضية الفلسطينية، ولا يلوح مثل ذلك في الأفق القريب، من أجل هذا كان لا بد أن تؤخذ الدعوة للجهاد بالنفس على مستوى الآحاد والأفراد في هذه الآونة بشيء غير قليل من الحذر والاحتياط.

ويبقى أن التدويل الإسلامي للقضية الفلسطينية بحيث تصبح قضية الأمة بمختلف فعالياتها وطبقاتها وطوائفها ضمانة هامة لاستمرار جذوة الجهاد وبقاء توقده، ففيها يخطب الخطباء، وحولها يدندن المحاضرون، وينظم الناظمون، ويكتب الكاتبون، ويبذل الموسعون، ويرابط المرابطون، كلٌّ حسب طاقته وما بلغه جهده ووسعه، ولا يخفى أن الله تعالى قد قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، والمهم أن تتكافل الأمة كلها في أداء هذا الواجب، وأن يحيا مجموع هذه الفروض على مستوى مجموع الأمة.

وأخيرا فلا ينبغي أن يحجب عنا التشوف لنصرة المجاهدين في هذا الثغر إغفال أو تغافل الرباط على بقية الثغور، وما أكثرها في الأمة في هذه الأيام، حتى لا تتحول هذه الدعوى إلى تأثيم جميع العاملين لنصرة الدين في أي موقع ما داموا لم يهرعوا

للانقطاع للرباط في هذا الثغر وحده! وإنما المقصود هو التأكيد على أن هذه المعركة هي معركة الأمة، وأن على جميع أبنائها واجب الدعم والمؤازرة، وتوفير ما يلزم لإنجاحها من الأسباب والوسائل ليحقق هذا الجهاد غايته ويؤتي أُكُلَهُ بإذن الله.

ونختم بما بدأنا به من أن المستقبل لهذه الأمة، ما استقامت على أمر الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم-، وأنها لا تؤتى إلا من قبل أنفسها، وأن ذنوبها أخوف عليها من أعدائها، وأنها قد وعدت بأن تبقى طائفة منها مستقيمة على أمر الله، لا يضرها من خالفها أو خذلها حتى يأتي أمر الله، وأن هذه الطائفة المنصورة هي التي يقوِّم الله بها اعوجاج الحياة، وتمثل ستارا لقدره على أرضه في إحقاق الحق وإبطال الباطل، ولهذا فإننا نقول لإخواننا في أرض الإسراء والمعراج: إن أَجَلَ الله قريب، وإن ما توعدون لآت، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون، فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون.

=============

(تعليم البنات إلى أين ؟)

قراءة في ضوء السياسة الشرعية

أ.د. عبد الله بن إبراهيم الطريقي 1423/2/1

2002/04/14

" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً "[سورة النساء:1] .

إن هذه الآية الكريمة خير ما نستفتح به هذه المقالة ، باعتبارها ترسم في الأذهان صورة بدء الخلق الأول للإنسان ، والنفس الواحدة هي آدم ، والزوج حواء ، فإن حواء خلقت من آدم، من ضلعه .

فالمرأة فرع الرجل منذ أصل التكوين .

لكن هذه الفرعية لا يلزم منها – بالضرورة – التطابق بين الأصل والفرع .

لأن مبدأ (الزوجية) يقتضي وجود اختلاف ما قد يصل الى التضاد أو التقابل .

قال الحق سبحانه : " ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون " [الذاريات: 49].

يقول "الخازن" في تفسير ه عند هذه الآية : " ومن كل شيء خلقنا زوجين أي صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والأرض ، والشمس والقمر والليل والنهار ، والبر والبحر ، والسهل والجبل ، والصيف والشتاء والجن والإنس ، والذكر والأنثى ، والنور والظلام ، والإيمان والكفر ، والسعادة والشقاوة ، والحق والباطل ، والحلو والحامض ، لعلكم تذكرون أي فتعلمون أن خالق الأزواج فرد لا نظير له ولا شريك معه " أ . هـ

وقد جاءت الإشارة القرآنية إلى عدم التساوي بين الذكر والأنثى. قال سبحانه في سياق الحديث عن امرأة عمران "وليس الذكر كالأنثى"[آل عمران : 36] .

يقول الشيخ "محمد الطاهر بن عاشور" عند تفسير الآية " ونفي المشابهة بين الذكر والأنثى يقصد به معنى التفصيل في مثل هذا المقام وذلك في قول العرب : ليس سواء كذا وكذا ، وليس كذا وكذا مثل كذا، ولا هو مثل كذا كقوله تعالى : " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون " ... وقول "السموءل":

فليس سواء عالم وجهول " التحرير والتنوير: 3 / 234"

ولعل في هذه التوطئة ما يثير الفرضيات التالية مما له صلة بموضوعنا :

1. أن لكل من الرجل والمرأة خصائص .

2. ثم لكل عمله اللائق به .

3ـ أن العلم وهو شرط العمل ، يشرع منه ما هو نافع ومفيد للإنسان في حياته العملية (العاجلة) ، وحياته الأخروية .

وقبل الاستدلال لتلكم الفرضيات لعله يكون من المستحسن عرض بعض المسلمات كمدخل إلى لب القضية .

وأظن أن من المسلمات هنا : أن المجتمع المسلم ينهض على مقومات شديدة الرسوخ ، لا غنى للمجتمع عنها وهي مقومات ذات أنواع ، ونشير هنا إلى ما له صلة بالموضوع في مجالي الاجتماع والتعليم على وجه الإيجاز .

أولاً : المقومات الاجتماعية :

تقوم فلسفة الاجتماع على عدد من القضايا المهمة وفي مقدمتها :

1 . الفطرة في كل متعلقاتها (القلبية ، والنفسية ، والعقلية ، والجسمية) .

" فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله " [الروم: 30] .

ولا بد من إتاحة الفرص المناسبة لكل من الجنسين في ضوء هذه الفطرة .

2 . الكرامة الإنسانية الشاملة للجنسين . " ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر " [الإسراء :70] .

3 . المساواة بين الجنسين في المسؤولية والجزاء .

4 . القيم الخلقية (كالعفة ، والحياء، والنصح ، والأخوة ، والتعاون) .

ثانياً : المقومات الثقافية (العلمية) :

1 . العلم النافع "وقل رب زدني علماً " [طه :114] . وفي الحديث (اللهم إني أسألك علماً نافعاً) .

2 . التربية الشاملة .

3 . مراعاة الفروق الجسمية ، والعقلية والنفسية ، لكل من الجنسين .

ولا أعتقد أنه يوجد اختلاف على أهمية تلك المقومات ، فليعذرني القارئ الكريم إذا اكتفيت بتلك الإشارات ، نظراً لضيق المساحة .

ولكي تتحقق المقومات هذه فإنه لا بد أن تكون الوسائل والآليات نحو تحقيقها متناسبة معها إذ "الوسائل لها أحكام الغايات" كما يقول علماء أصول الفقه .

فإذا ما أردنا السعي نحو تكوين مجتمع فاضل قائم على تلك الأسس وأشباهها ، فهل يمكننا تحقيق ذلك عن طريق الوسائل العبثية كالخرافة مثلاً أو مصادمة الفطرة والحس ، أو تجاهل الغرائز الإنسانية ؟

أو هل يمكننا ذلك عن طريق التغريب أو التقليد للأجنبي ؟ أو بتجاهل الحقائق الشرعية والعرفية ؟

والجواب معروف لدينا ولدى العقلاء ، إنه لا يمكن ذلك .

إذا تقرر ذلك فلنعد إلى الفرضيات السابقة .

1 . أن لكل من الرجل والمرأة خصائصه .

2 . ولكل عمله اللائق به أو اختصاصه .

3 . إن العلم المشروع هو النافع الذي يستفيد منه الإنسان في حياته .

الفرضية الأولى : اختصاص كل من الرجل والمرأة بخصائص ، ولهذه الدعوى من الشواهد والبراهين الشرعية والطبية والنفسية ما يؤكد صحتها .

أما في الشرع فعلى رغم أن الخطاب التكليفي يأتي عامًا وشاملاً للذكور والإناث في معظم النصوص ، إلا أنه توجد أحكام خاصة بالمرأة في مجالات متعددة في الطهارة والصلاة والصيام والحج والميراث ، والشهادة والنكاح وغيرها .

ومن أراد التفصيلات فليراجع كتب الفقهاء . وقد ألف بعضهم "كالسيد صديق حسن خان" كتاباً خاصاً بالنساء أسماه : "حسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة" .

وكثير مما ذكره صاحب هذا الكتاب هو من خصائص المرأة .

وأما الطب فقد أكد كثير من أطباء التشريح القديم والحديث أن للمرأة خصائص لا يشاركها فيها الرجل ، ومثلهم علماء الأحياء إذْ أثبتوا ببحوثهم أن المرأة تختلف عن الرجل في كل شيء من الصورة والسمت والأعضاء الخارجية الى ذرات الجسم والجواهر (الهيولينية).

هؤلاء ، فضلاً عن علماء النفس الذين يؤكدون تميز المرأة بكثير من الانفعالات والعواطف ، كالتأثر بالإيحاء وسرعة الاستجابة للدوافع ، والاعتماد على الرجل .

(وللمزيد من الاستفادة يراجع كتاب : من إعجاز القرآن وليس الذكر كالأنثى . للأستاذ محمد الخشت ، وكتاب الحجاب للمودودي) .

الفرضية الثانية : لكل من الجنسين عمله اللائق به وهذه الفرضية تنسجم مع الفرضية السابقة ، فما دام لكلّ منهما خصائصه ، فإنه يكون من الطبيعي أن لكل منهما اختصاصه . نعم يشتركان في كثير من شؤون الحياة ، لكن لكل منهما اختصاصات ، بحيث يكمل أحدهما الآخر .

ولعل ذلك مما تشير إليه النصوص الآتية : كقوله تعالى : " ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة " [البقرة :228] .

وقوله : " الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم "[النساء : 34] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : " كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته ، والرجل راعٍ على أهله وهو مسؤول ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة) رواه البخاري في صحيحه كتاب النكاح الباب 81

الفرضية الثالثة : أن العلم المشروع هو ما يفيد الإنسان الذكر و الأنثى في حياته العاجلة والآجلة " وكل علم لا يفيد عملاً فليس في الشرع ما يدل على استحسانه " الموافقات للشاطبي: 61/1" .

فكثير من العلوم ، أو التخصصات العلمية لا تفيد المرأة شيئاً كعلوم الفلسفة والفنون .

وقد لا تكون لائقة بها كبعض التخصصات الإعلامية والسياسية ، والرياضية ، وربما لا تطيقها كالعلوم الصناعية ، والمهنية الثقيلة ، والعسكرية .

أما ما يتناسب مع أنوثتها وشخصيتها من العلوم فهو جائز وقد يكون مطلوباً بحسب حاجتها أو حاجة المجتمع إليه .

وهذا ما شددت عليه سياسة التعليم في المملكة ، فقد جاء في الفقرة التاسعة " تقرير حق الفتاة في التعليم بما يلائم فطرتها ويعدها لمهمتها في الحياة على أن يتم ذلك بحشمة ووقار، وفي ضوء شريعة الإسلام، فإن النساء شقائق الرجال " .

آليات التعليم :

إذا تقررت تلك الفرضيات وما استندت إليه من المقومات والتأسيسات المتقدمة فإنه يكون قد حان السؤال التالي : كيف يمكن ترجمة تلك الفرضيات ومقوماتها إلى واقع عملي ؟

وبصيغة أخرى : ما آليات تطبيق تلك الفرضيات ومقوماتها ؟

والحق أنه سؤال عريض ومسطح يتعذر علينا في هذه العجالة ضبطه وتحديده .

لكنني سأجتهد في تحديد مرادي منه محاولة في الوصول إلى شيء من النتائج المفيدة .

فلعله يكون من المفيد وضع محاور للانطلاق ، تساعد على ترتيب الأفكار.

وأظن أن أهم محاور العملية التعليمية:

أ . الطالب.

ب . المعلم.

ج . المدرسة.

د . المنهج.

هـ . الإدارة والإشراف.

* أما فيما يتعلق بالطالب والمعلم فإن أهم آلية يجب اتخاذها . وفقاً للمقومات السابقة ـ الفصل بين الذكور والإناث ، سواء بين الطلاب والطالبات ، أو بين المعلمين والمعلمات ، أو بين المعلمين والطالبات ، أو بين المعلمات والطلاب في كل المراحل التعليمية.

وهذه قضية واضحة لا نزاع عليها في هذا البلد الكريم ، لارتكازها على النصوص الشرعية الواضحة.

ولذا فلن أتوقف عندها طويلاً ، وأكتفي بإيراد هذا النص من سياسة التعليم ، ففي الفقرة الخامسة والخمسين بعد المائة جاء ما يأتي : "يمنع الاختلاط بين البنين والبنات في جميع مراحل التعليم ، إلا دور الحضانة ورياض الأطفال " .

وقد أثبتت هذه التجربة نجاحاً منقطع النظير.

* وأما فيما يتعلق بالمدرسة ، فإن مقتضى المقومات السابقة أيضاً أن يكون لكل من الجنسين مدارس خاصة بهم ، لا تسمح بالاختلاط مطلقاً ، سواء في أوقات الدراسة ، أو في أوقات الفسح أو بعد الخروج من المدرسة.

وهذه آلية مكملة للآلية السابقة ، ولا نزاع عليها بحمد الله ، وواقع التعليم . بفرعيه الذكوري والإناثي ، خير شاهد.

* وأما ما يتعلق بالمنهج . وهو محور أساس في العملية التعليمية . فإن ما تقرر من مقومات ومن فرضيات صحيحة يقتضي أن لكل من الجنسين منهجاً مميزاً يراعي خصائص كل منهما وقدراته واستعداداته الفطرية (ينظر: قولي في المرأة للشيخ مصطفى صبري ص 81).

وبنظرة سريعة على واقع مناهج التعليم عندنا تظهر الفروقات الكثيرة بين مناهج الذكور ومناهج الإناث ، وهذا من باب اختلاف التنوع ، لا اختلاف التضاد.

فإن قال قائل: إن الخطاب الشرعي (قرآناً وسنة) جاء عاماً وشاملاً للرجل والمرأة.

فنقول: هذا قول صحيح ، لكنه ليس على إطلاقه ، بل ثمة نصوص ثم أحكام كثيرة تخص جنساً دون جنس . وهذا معروف لدى الفقهاء والأصوليين .

ولعل فيما تقدم في الفرضية الأولى ما يغني عن التكرار.

الأمر الذي يؤكد اختلاف منهج البنين عن البنات ، في جملة المواد ، ولا سيما مواد التربية الإسلامية . وكذلك التخصصات إذْ ليست كلها لائقة بالمرأة ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك .

* وأما فيما يتعلق بالإدارة والإشراف العام على التعليم ، فهذه المسألة هي بيت القصيد .

فهل من المناسب أن يكون لتعليم البنين إدارة مستقلة ، وإشراف مستقل ؟ أو أنه يمكن وضع إدارة واحدة "رجالية" تديرهما؟

لقد كان تعليم البنات منفصلاً في إدارته عن تعليم البنين منذ إنشائه قبل أكثر من أربعين عاماً حتى صدر الأمر بالدمج مؤخراً.

وهذا الإجراء يستدعي طرح التساؤلات التالية:

(1) هل الفصل بين الإدارتين (الرئاسة والوزارة)كان من منطلق شرعي أم من منطلق عرفي ؟ وإذا كان الأول فما مستنده الشرعي؟

(2) ما مبررات الدمج ؟

(3) هل كان الفصل بينهما يمثل حرجاً معنوياً على المجتمع والدولة ؟ أو حرجاً (عبئاً) مادياً ؟

(4) ما الآثار السلبية المتوقعة من الدمج ؟

ولنأخذ هذه التساؤلات متسلسلة .

التساؤل الأول : هل كان الفصل بين الإدارتين من منطلق شرعي أو من منطلق عرفي؟

والحق أنه سؤال في غاية الوجاهة ؟

فإذا تقرر لدينا عدم جواز الاختلاط بكل صوره وتقرر وجود التميز في تعليم المرأة في كثير من أشكاله ومضامينه ، حسبما مر معنا ، فهل يمكن بعد هذا أن يقال مثل ذلك في الإدارة والإشراف ؟

إن الحديث عن الإدارة والإشراف على تعليم البنات له جانبان :

الأول : من حيث التأنيث والتذكير.

الثاني : من حيث الاستقلال.

فمن جهة التأنيث أو التذكير ، فالأمر فيه سعة من وجهة نظري ، فمن الممكن أن يقوم عليها الرجال ، كما يمكن أن يقوم عليها النساء .

فمسألة تأنيث الجهاز الإداري لتعليم البنات أمر اعتباري ينظر فيه إلى مصلحة التعليم ، إذا ما استثنينا قمة الهرم الإداري , التي تتطلب مواصفات القاضي ، والوزير .

ومن جهة الاستقلال فإنها مسألة فيها نظر .

فهل يمكن اعتبارها قضية شرعية أو عرفية؟

الحق أنها قضية شرعية وعرفية في آن واحد ، أما من حيث الشرع :

أ . فقد بان لنا أن تعليم المرأة قد امتاز عن تعليم الرجل بميزات واختص بخصائص ، فرضت عليهما الانفصال دون الاختلاط ، الأمر الذي يؤكد أن لكل منهما استقلاليته الواضحة ، ودمجهما يلغي هذه الاستقلالية .

ب . وهو (الاستقلال) شرعي بالنظر إلى المقاصد الشرعية .

" وقد ثبت بالاستقراء وتتبع الأحكام المختلفة في الشريعة أن القصد الأصلي لها هو تحقيق مصالح العباد وحفظ هذه المصالح ودفع الضرر عنهم ، على أن هذه المصالح ليست هي ما يراه الإنسان مصلحة له ونفعاً حسب هواه، وإنما المصلحة ما كانت مصلحة في ميزان الشرع لا في ميزان الأهواء والشهوات " الوجيز في أصول الفقه للدكتور عبد الكريم زيدان ص 378".

ومعروف أن المصالح تشمل:الدين والدنيا .

ووجه كون الاستقلال فيه مصلحة ظاهرة :

1- أنه يعبر عن سمْت المجتمع القائم على الفضيلة ، وعن سمْت الدولة المسلمة (رعاها الله) .

2. وهو يمنح تعليم البنات شخصية اعتبارية ذات قوة لا تتوافر مع الدمج.

3- وهو يضفي على هذا التعليم صبغة إسلامية تبرزه أمام العالم ، وبخاصة العالم الإسلامي ، الذي يتطلع إلى وجود نماذج تحتذى يستفيد منها. والدمج يفوت تلك المقاصد أو المصالح .

4. ولأن "النظر في مآلات الأشياء "معتبر شرعًا"، فإذا كان الشيء يؤول إلى مصلحة كان مطلوبًا شرعًا كتعليم الفتاة بشكل عام .

وإذا كان يؤول إلى مفسدة . تحقيقًا أو غلبة ظن . فيكون ممنوعاً ، مثل تجاور مدارس البنين والبنات .

فإنه يترتب عليه الاختلاط من بعض الوجوه مما لا تدعو إليه الحاجة .

ومثل اختلاط الطلاب والطالبات في المراحل (السنوات) الأولى الابتدائية ؛ فإنه وسيلة إلى الاختلاط في بقية المراحل التالية .

فيكون ذلك وأشباهه ممنوعًا من باب سد الذرائع .

(ومعناه حسم مادة وسائل الفساد دفعا لها، فمتى كان الفعل السالم عن المفسدة وسيلة للمفسدة منع من ذلك الفعل في كثير من الصور) الفروق للقرافي: الفرق الثامن والخمسون .

وقضية دمج إدارة تعليم البنات بإدارة تعليم البنين ، ربما يؤول إلى ما هو أشد خطورة ، فربما قال قائل بعد فترة:

ما دامت الإدارة واحدة فلماذا لا تتحد المناهج ، ولماذا لا يخلط الطلاب والطالبات ، ولماذا و لماذا ؟؟

ومن هنا كان المؤسسون لتعليم البنات . وفي مقدمتهم الملك فيصل والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمهما الله . على وعي بهذه الأمور ، ولذلك اتخذت التدابير الاحترازية السليمة .

ذلك من حيث الشرع ، أما من حيث العرف والعادة فإن الفصل بين الإدارتين ملائم ذلك تماما .

((والعوائد الجارية ضرورية الاعتبار شرعًا)) كما يقول الشاطبي (الموافقات: 286/2) .

وتقاليد هذا البلد كثير منها عربي أصيل ، قد توارثته الأجيال ، وهي لا تقبل الاختلاط بين الجنسين مطلقًا .

التساؤل الثاني : ما مبررات الدمج ؟

الحقيقة أنني لم أجد مبررات رسمية يعتمد عليها ، وإنما هي وجهات نظر تعبر عن أصحابها وردت في بعض الصحف ، وربما يكون من أبرزها :

1 . تصحيح الأخطاء الإدارية المنسوبة إلى رئاسة تعليم البنات . 2 . نزع ما يسمى "بالعباءة الدينية" التي تتوشح بها الرئاسة .

3 . ترشيد الإنفاق .

4 . تحاشي الازدواجية المتمثلة بوجود جهازين مسؤولين عن التعليم العام في بلد واحد .

ويمكن مناقشة هذه المبررات بالآتي :

* أما من حيث تصحيح الأخطاء الإدارية المنسوبة للرئاسة فمعروف أن كل مؤسسة أو جهاز عامل لابد أن يعتريه الخطأ ، ولكن بنسب متفاوتة .

فهل يقال : أي مؤسسة أو جهاز يخطئ فيجب إلغاؤه أو دمجه مع مؤسسة أخرى ، إذن فيجب إلغاء جميع المؤسسات الاجتماعية لأنها تخطئ لا محالة .

أما العلاج الصحيح فهو محاسبة المخطئ ومجازاته بقدر خطئه وبهذا وحده تستقيم الحياة .

* وأما من حيث نزع "العباءة الدينية" عن الرئاسة فهذا بقدر ما يحمل من تهويل للأمر ، فإنه يعاكس التيار الاجتماعي ، إذ المجتمع متدين بطبعه في الجملة ، وهو إذ يعتز بذلك يرى أنه خيار لا بديل عنه .

ولذلك أصبحت الدولة بكل أجهزتها دولة مسلمة وقد جاء نظام الحكم ليؤكد هذه الحقيقة .

وحسبنا ما جاء في المادة الأولى : ((المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية ذات سيادة تامة ، دينها الإسلام ودستورها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولغتها هي اللغة العربية)) ا.هـ

ثم جاءت المادة السابعة لمزيد التوكيد ((يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله وسنة رسوله، وهما الحاكمان على هذا النظام وجميع أنظمة الدولة)) ا.هـ

أليس ذلك يضفي الصبغة الشرعية أو الدينية على كل أجهزة الدولة ومؤسساتها ؟

أو لسنا جميعاً . أفرادًا ومؤسسات . نرفض العلمانية . فصل الدين عن الحياة . ونعتز بديننا وعروبتنا ؟.

إنه ما دام الأمر كذلك فلماذا نتجاهل هذه الحقائق ونتنكر لها ؟؟

* وأما من حيث ترشيد الإنفاق ، فلا أدري كيف يحقق الدمج هذا المطلب ، أهو بدمج الطلاب والطالبات معاً ؟ أم بالاستغناء عن بعض المعلمين أو المعلمات ؟ أم بالاستغناء عن موظفي جهاز الرئاسة ؟

وعلى أي احتمال كان فإنه لن يحقق شيئا يذكر بقدر ما ينتج من سلبيات البطالة والفوضوية .

وإذا قيل بأن الترشيد يتحقق في الإنفاق على الكتب الدراسية بحيث إذا دمجت قلَّت التكلفة المادية فهذا غير واقع ؛ لأن كل طالب وطالبة بحاجة إلى كتاب في كل مقرر ، سواء كانت متفقة أو مختلفة .

على أن حجم الإنفاق على التعليم في أي دولة يعكس مدى اهتمامها فيه .

(ينظر : النساء المسلمات والتعليم العالي للأستاذ أنيس أحمد ص 83 . إصدار مكتب التربية العربي لدول الخليج) .

* وأما من حيث تحاشي الازدواجية ، فإنها مسألة محل نظر .

فإن الازدواجية المذمومة . فيما أعتقد . وجود شيئين أو أكثر يضاد أحدهما الآخر أو يعوقه .

فأما إذا كانا يسيران في خطين متوازيين نحو هدف مشترك فهذا تنافس محمود ، وليس ازدواجية .

كما هو ملحوظ في واقع كثير من المؤسسات ، كالجامعات والمستشفيات وغيرها ، في كل دول العالم .

التساؤل الثالث : هل كان الفصل بين إدارة تعليم البنين (وزارة المعارف) وإدارة تعليم البنات (الرئاسة) يشكل حرجًا على المجتمع أو الدولة ؟

فقد يقال : إنّ الجواب عند من يهمه الأمر .

وبقدر ما يحمل هذا الجواب المختزل من واقعية ، إلا أنني أرى أنه لا مانع من إبداء الرأي فليسمح لي القارئ بذلك .

إن ما كنت ألحظه أن أسلوب تعليم المرأة كان مثار إعجاب الكثير من العقلاء ، بل إن منهم – وبخاصة من نساء الغرب –من كان ولا يزال ينادي بالتعليم غير المختلط ، بل بالوضع العام للمرأة في الإسلام .

ولولا ضيق المقام لذكرت شيئًا من ذلك .

ولمن يريد التأكد من ذلك يمكنه مراجعة :

. المرأة بين الفقه والقانون للدكتور مصطفى السباعي ص 157 فما بعدها .

. يوم أن اعترفت أمريكا بالحقيقة . "جيمس باترسون" وآخر .

ثم لو نظرنا إلى المسألة من وجه آخر ، لظهرت لنا حقيقة أكبر هي أن من جهل شيئا أو أنكره عاداه وحاربه ، وهذا هو واقعنا مع الغرب ومقلّديه، فإنهم ما زالوا ينقمون منا التزامنا بديننا وتطبيقنا له ، سواء في أمور الاعتقاد ، أو العبادة والسلوك ، أو المعاملات أو الحدود وغيرها .

فهل نصيخ لهم ونستجيب ؟

" يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين " [آل عمران: 149 . 150]

هذا إذا كان الحرج معنوياً ، أما إن كان ماديًا فسبق الجواب عنه في التساؤل الثاني .

التساؤل الرابع والأخير : ما الآثار السلبية المتوقعة من الدمج ؟

وهو سؤال مهم ، وقد تختلف وجهات الناس في اعتبار الشيء ضاراً أو نافعاً ، إذا ما كانت المعايير خاضعة للمزاج وأهواء النفس ، أو قائمة على التفكير المجرد عن معايير الشرع .

فلنحاول وضع الأصابع على أماكن الألم ، كالطبيب في حرصه ورفقه ، متجاوزين الأمراض المتوهمة إلى الأمراض الحقيقية أو الظاهرة .

أزعم أن من الآثار السلبية ما يأتي :

1 . أن مثل هذا الإجراء يطبع في أذهان كثير من الناس أن الثوابت يمكن تحويلها إلى متغيرات ، وأنها إذا كانت ثابتة بالأمس فيمكن اعتبارها متغيرة اليوم .

مما يوحي بالتعلق بنظرية (نسبية القيم والأخلاق) مع أنها نظرية تحمل الفساد في نفسها .

2 . والدمج يعطي انطباعاً عاماً بأن المرأة لا تستطيع الاستقلال بنفسها وإدارة شؤونها , بل لابد من سيطرة الرجل عليها .

3 . والدمج يصهر إبداعات المرأة في إبداعات الرجل ، مهما يحاول المحامون عن المرأة إبراز أعمالها وآثارها , والتشدق بعبقريتها ، بل ستبقى ظلاً للرجل شاءت أم أبت .

بخلاف ما إذا كانت تعمل في محيط جنسها فإنها تبدع وتكتسب مهارات مختلفة .

4 . ثم أليس هذا الإجراء يتضمن تراجعاً وتنازلاً عن تجربة نادرة في هذا العصر ، أثبتت نجاحها وآتت ثمارها ؟

كما أنها تطبع في أذهان الكثيرين . من مواطنين وغير مواطنين , ومن مسلمين وغير مسلمين . بأن تجربة استقلال إدارة تعليم البنات قد أثبتت فشلها .

وقد تتسع دائرة هذا الانطباع أو التصور فيقوم الشك لدى أولئك في صحة مبدأ الفصل بين الطلاب والطالبات، وأنها تجربة قد تفشل في يوم ما .

وبالتالي لا يبقى لدى الناس ثقة بصحة تجاربنا .

5 . وربما اعتقد بعضهم بنظرية (التغير الحتمي) التي تقول بأن التغير آت لا محالة سواء في أمور الاجتماع أو السياسة أو الثقافة أو غيرها , وأن هذا التغير ذو طابع مدني ، يتخفف من أعباء الدين وتكاليفه شيئاً فشيئاً حتى لا يبقى منه إلا مجرد المعرفة .

والزمن كفيل بتطوير الناس وإن أبو ا كما يقولون .

فاللهم غفرانك .

خاتمه :

وبعد .. فقد يتصور البعض بأن مسألة (توحيد إدارتي تعليم البنين والبنات) عادية أو صغيرة لا تستحق هذا الجهد أو الركض .

ولكنني أرى أن لها أهمية فوق ما يتصور أولئك ؛ لأن لها من الذيول والتبعات ما لا نهاية له .

وأخشى أن تكون نهاياتها تكرار تجارب غيرنا المأساوية التي انتهت إلى الإباحية والفوضوية .

والسعيد من وعظ بغيره .

وأخيراً فهذه رؤى استمددتها من نصوص شرعية ومقاصد وقواعد عامة ، تقبل التقويم والمناقشة .

والله ولي التوفيق .

============

#ستائر الملح ورشات المطر

يوسف الحجيلان 1423/1/12

2002/03/26

من المتفق عليه عند كل أحد: أن الأمم ليست تراباً ولا سماء ولا شجرة بل ولا إنساناً ؛ إنما هي ما سبق وفوقه المثل والتقاليد والنظم والثوابت التي تنبئ عن عقلية تلك الأمم وخلفياتها وتاريخها ومجموع تجاربها , وعن عصارة الفكر وما أمكن استنتاجه عبر التاريخ من نتائج صنعتها الأحداث وحّنكت صُنّاعها التجاربُ والأزَماتُ .

إن الصورة المثالية لما يعيشه الغرب –وبالذات الأمريكي– من ديمقراطية في الطرح وحرية في الانتماء , وعدالة في المقاضاة , وقدرة على وضع سيف القانون فوق كل رقبة – وإن كانت رأس الهرم –إنها صورة لم تبهر الأمة الشرقية فحسب , بل وجد من الأمم من عدّل كل شيء حتى أبجديات الكتابة ليصير غربياً كما الحال في تركيا .

ولا غرو ! إنها حياة مثالية تبعث على الإعجاب والإشادة .

لقد عاش الكثير من ا لمسلمين وسط المجتمعات الغربية , وأمكنه الواقع المعيشي في ذلك العالم أن يحافظ على كل كيانه دونما إشكاليات . حرية في الزي والتنسّك والمأكل وحتى التصويت الانتخابي في وضعية استحال وجودها في الغالبية من بلاد الإسلام . كل هذه التراكمات جعلت التغريب –ليس فقط المادي التقني بل حتى الفكري الأيديولوجيّ والاجتماعيّ– همًا يراود قطاعاً من أرباب القرار وصُنّاع الفكر في مساحات شاسعة من بلاد المسلمين .

إن عقدة الغربي تعدتْ مجردَ الإعجاب بالإنسان ذاته –أقصد الغربي– لتتجاوز ذلك عند الإنسان الشرقي إلى الصناعة والمأكل واللباس ومفردات اللغة والحركة والتمثيل والأغنية والنمط الحياتي بكل أصنافه .

ولو تتبعنا الأمر لوجدنا ذلك كله راجع إلى إعجاب الشرق بمثاليات الغرب , وأسلوب إدارته لحياته الاجتماعية , والذي تحرر فيه ذلك الإنسان من كل عبودية للبشر يفرضها الخوف من عقدة الفوقية والتسلط والقدرة على ثني النظام والقانون وفق مصالح فئات من المجتمع دون أخرى .

غير أنه يبقى هناك قواعد لا يمكن للبشر ولا لتطورهم التقني المادي أن يعدل فيها أو يصرِّفها وفق هواه ومشيئته , ألا وهي: أن كل نظام يمليه واقع معين , وتقدره المصلحة الظاهرة , ويكتب أبجدياته البشر – فإنه نظام مهزوز لجهل البشر بكثير من مصالحهم , إذ المصلحة ربما كانت خلاف الظاهر , وربما كانت المفسدة الظاهرة حبلى بمصلحة لا يعلمها البشر ؛ لقصور نظرتهم على ظواهر الأمور ، وجهلهم بمغيَّبَاتها ، وهذا واقع النظام الغربي الذي أملاه سنوات من الهدوء والراحة فرضتها القوة المادية , وغياب العدو الحقيقي الفاعل , وحصر الأعداء بدول يتعامل معها وفق نظم وأسس لا دخل للحياة الاجتماعية بها في كثير من الأحيان .

وعليه فإن صُنّاع القرار الغربي، وساسة الفكر والعدالة ، وكل منظري الحياة الاجتماعية في ذلك العالم –لم يتنازعوا أو سَحَقَتْ أصواتُ الغالبية الثائرة منهم أصواتَ الأقلية المبحوحة في انقلاب أبيض مريع مشين يوم الحادي عشر من سبتمبر , أُودعت فيه كل النظم والتقاليد والأعراف وحقوق الإنسان والحرية والعدالة – درج الأرشيف, وربما إلى غير رجعة .

سماح بالاعتقال بلا محاكمة .

منع انفراد المتهم بمحاميه .

نقل المتهم مكبلاً إلى الطائرة , وعدم السماح له بمجرد أخذ أمتعته من شقته .

الاقتحام والتفتيش دون استئذان أو سابق إنذار .

الاعتداء تحت مرأى ومسمع رجال الأمن على حرمات فئة كانت بالأمس جزءاً من المجتمع .

وفوق ذلك كله هجمة شرسة للإعلام , ودون أي مسوّغ على كل جزئيات وكلّيات تلك الفئة , بداية من الذات المحسوسة وانتهاءً بالفكر والمعتقد , ثم إعطاء الضوء الأخضر لعباقرة صناع السلاح والتخطيط والتدريب ؛ ليجربوا خبراتهم في بلاد الإسلام ودون حياءٍ أو مواربة ! .

ضربة قاصمة قاضية على كل المفاهيم ؛ تجعل العقلاء من أبناء تلك الأمم في حيرة مما يجري .

إن أعظم الرجال سبقاً وأشد القدرات فاعلية –هي القدرة التي استطاعت زلزلة ذلك الكيان الملحي ؛ ليصير بين يوم وليلة هدفاً لإعلام كان يسميه مثلاً , ويراه نبراساً ويحتذيه علماً يستحق أن يُسعى إليه زحفاً على الصدر لا مشياً على القدم . ثم ينقلب ذلك كله ليتحول ذلك الرمز عدواً حاقداً دكتاتورياً .. إلخ من عبارات ما صاغتها قناعات , بل مصالح اهتزت أسسها وخرب بناؤها .

فيا لها من هزَّة ! ربما لم يسبق مثلها في التاريخ , تلك التي عدلت وبدلت في أدق العقليات والأفكار , وأطول الدهاليز والدروب , وأشدها تعقيداً , كانت يوماً من الدهر تعتبر طيفاً لا يرى له أثر , ولا يسمع له خبر إلا في حدود مشيئة أهلها بعد الله . فلا نظام ولا خطط ولا حياة في العالم الغربي إلا ولدهاقنة الاستخبارات وخبراء مراكز البحث السِّري دور في صنعه , ووضع ضوابطه وفق ما يجعل هذه الأمة أو تلك ترقى إلى مستوى معيشي يراد الوصول إليه , وخِداع العالم من خلاله .

ثم يا لها من ميزة ! تلك التي يمتاز بها نظام الإسلام ومبادئه ؛ إذ لا دخل للعنصر البشري في إملائه , وبناء قواعده , ودراسة جدواه المستقبلية .

إنما تكفل بذلك كله من يعلم سالف البشر وحاضرهم ومستقبلهم , فهو الأقدر على العلم بماسيؤول إليه الحال , وما تمليه المصلحة بعيداً عن المؤثرات الجانبية , والعواطف الإنسانية في صنع القرار وتفعيله ؛ مما يجعل قانون الإسلام وشرع الله الأرحم والأقدر على التعايش والمساهمة . فمن يضمن للأقليات والأعراق –على

مستوى العالم–ألا تحدث حادثة يكون لزاماً على الساسة وبناءً عليها تغيير برنامج الحياة وإطاره ؛ ليتصادم مع مصالح تلك الأقليات ويعرّض خصوصياتها للخطر .

إن هذا هو السر في قدرة الحضارة الإسلامية على أن تستوعب في عالمها وبين جوانحها حضارات شتى , وملل ونحلاً تناصبها العداء , بل ربما انتسب بعضها إلى مدارس يرفض الواقع السياسي أو العسكري أو غيره التعايش معها .

إلا أن التاريخ أثبت قدرة فريدة على التعايش والمسامحة في حدود الإطار الإسلامي . إن هذا الاستيعاب لم تُمْلِهِ هجرات متعاقبة أو عقود عمل آنيّة أو أحلاف أو غير ذلك ،إنما فرضه شرع لا يملك العنصر البشري حق تجميده أو رفعه وفق هواه ؛ بل حسب ضوابط وأسس مقعدة على دليل شرعي رباني بحْت .

أليست فعلة أبي عبيدة مثالاً بارعاً يوم رد جزية أهل دمشق عليهم خوفاً من عدم القدرة على الدفاع عنهم في ظل هجمة نصرانية شرسة ؟!

ثم ألم تكن أساطيل الصليبيين وخيلهم تضرب أطراف دولة الإسلام بينما تقرع نواقيسهم , وتفتح كنائسهم في قلب الدولة ؟!

إن الواقع يفرض أن ينتقم بهم من أبناء جنسهم , لكن هيهات في ظل نظام الإسلام ، وأقول: ربما كانت هذه الأحداث صدمة كهربائية تعيد إلى قطاع كبير لا يُستهان به من أبناء المسلمين–وعلى كافة الأصعدة –صوابهم وتكشف حقيقة النظام الغربي , ومدى قدرته على الصمود في ظل المتغيرات .

=============

الارتباط الغربي بالخليج العربي

(تاريخه ، أهدافه ، دور العلماء في مقاومته)

حامد بن عبدالله العلي 1423/11/23

2002/02/06

إن الهدف من هذا المقال هو إلقاء الضوء على تاريخ الارتباط الغربي بالخليج العربي وأهدافه ، وطبيعة المشهد الراهن ، والدور المتوقع من العلماء والحركة الإسلامية في ضوء ذلك كله .

ولنبدأ بنبذة نستذكر فيها التاريخ .

* فجوة الانسحاب البريطاني من الخليج

بقيت بريطانيا طيلة مائة وخمسين سنة متواصلة كقوة سياسية وعسكرية حاكمة تسير شؤون إقليم الخليج ، حتى انسحبت من إقليم الخليج كله عام 1971م ، واقترن بذلك ميلاد ثلاث دول جديدة هي البحرين والإمارات وقطر ، وحصول عمان على الاستقلال ، وهنا برز ما يسمى " بالنظام الإقليمي الخليجي" .

غير أن هذا الانسحاب البريطاني أدى إلى اهتمام القوتين العظميين آنذاك بملء فراغ القوة الناتج عن الغياب البريطاني ، ولاسيما في ظل وجود الثروة النفطية التي جعلت النظام الخليجي عرضة للاحتواء والاختراق ، في وقت كانت دوله ما زالت في طور بناء نفسها ، بل لعل بعضها لم يبدأ بعد في تأسيس مؤسسات الدولة .

وقد نتج عن ذلك وقوع النظام الإقليمي الخليجي بين تأثير السيطرة من جانب القوى الدولية ، وانكفاء كل دولة على نفسها ساعية لتأسيس كياناتها الصغيرة ، وبناء مؤسساتها ، وظهرت مشاكل الحدود والخلافات الداخلية ، مما أضعف قدرتها على بناء أمنها الجماعي ذاتيا ، وأبقى هذا النظام الإقليمي عرضة للتدخلا ت الخارجية المستمرة ، إلى اليوم وفي المنظور القريب .

* الولايات المتحدة تملأ الفراغ بمبدأ نيكسون

كانت الولايات المتحدة الأمريكية أول مرشح لملء الفراغ إثر الانسحاب البريطاني من الخليج ، لما بينها وبين بريطانيا من تحالف استراتيجي ، غير أن الولايات المتحدة آثرت أولا العمل بمبدأ (نيكسون) ، الذي أُعلن في عام 1969م ، وقد أطلقه بعد أن عزمت بريطانيا على الانسحاب من الخليج قبل أن تنسحب فعلياً ، ويستند هذا المبدأ على يسمى عملية (الفتنمة) أي تمكين الأنظمة الصديقة لتحمل على عاتقها دورا رئيسا في قمع المتمردين ، وتخفيف العبء عن الولايات المتحدة الأمريكية ، كما انسحبت أمريكا من الحرب الفيتنامية لتدعم الحلفاء في سايغون وجعل الحرب بين طرفيها الفيتناميين في الشمال والجنوب دون تدخل عسكري أمريكي مباشر في تلك الحرب .

* سياسة عدم التدخل المباشر

وهكذا استقر الرأي الأمريكي على عدم الحلول كبديل مباشر لبريطانيا ، وارتكز هذا التوجه الجديد على مبدأ وضعه مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط (جوزيف سيسكو) واستند ذلك الإطار إلى بضعة مبادئ رئيسة أهمها :

1ـ الامتناع عن التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى ، وذلك للتخفيف من حساسية الرأي العام الأمريكي التي فجرتها الحرب الفيتنامية .

2ـ تقديم الدعم اللازم للدول الصديقة لتعزيز مجهوداتها في مجالات الأمن .

* أول مواجهة مع الغرب

غير أنه بعدما عايش هذا النظام الوليد (أعني النظام الإقليمي للخليج) الارتفاع المثير لأسعار النفط عام 1973م ، بعد أن اتخذت الدول العربية المصدرة للنفط ، قراراً بحظر النفط عن الدول الغربية التي ساندت ووقفت إلى جانب الكيان الصهيوني في حرب أكتوبر 1973م ، ثم اتخذت قراراً آخر بأن تخفض الدول العربية المصدرة للنفط إنتاجها بنسبة (5 بالمائة) شهرياً لتضغط أمريكا على الكيان الصهيوني ، لإجباره على الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة .

ثم لما حدثت بعد ذلك عدة قفزات في أسعار النفط ، وأصبحت منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) هي الفاعل الرئيس في تسعير النفط والتحكم فيه، مما أدخلها ذلك في صراع مع الشركات النفطية الاحتكارية الغربية ، ثم انتقل إلى صراع بين الدول المنتجة للنفط والدول الرأسمالية الغربية وعلى رأسها أمريكا .

دفع ذلك كله أمريكا إلى الانزعاج من هذه التطورات ، والنظر إلى الدول النفطية الصديقة في الخليج على أنها من مصادر تهديد مصالحها الحيوية النفطية .

* تطورات عالمية تدفع الآلة العسكرية الأمريكية إلى الخليج

ثم جاءت المرحلة التالية التي أعقبت قرارات الحظر النفطي ، وتمثلت في التطورات التي أخذت تضغط على صانع القرار الأمريكي للتخلي ولو جزئيا عن الحذر الأكثر من اللازم .كما وصف .بخصوص عدم التورط العسكري الأمريكي المباشر ، وضرورة التحرك لحماية المصالح الأمريكية النفطية التي تواجه تهديدات خطيرة إقليمية ومن الاتحاد السوفيتي .

فبعد سقوط نظام "الشاه" ، أصيبت أمريكا بخسائر جسيمة بفقدان نظام حليف ، والظهور في صورة عدم القدرة على حماية حلفائها ، وكان ذلك في صالح الاتحاد السوفيتي الذي كان يأمل أن يؤدي سقوط نظام الشاه إلى إصابة أمريكا في مقتل ، بعد ذلك جاء التدخل السوفيتي في أفغانستان ، فضاعف من التخوف الأمريكي في الخليج .

إضافة إلى توالي تغيرات دولية صبت في مصلحة الاتحاد السوفيتي من باكستان إلى أثيوبيا ، حتى وصل الأمر إلى قيام نظام "اليمن الجنوبي" المؤيد للاتحاد السوفيتي ، وكذلك نظام "منغستو هيلا مريام" في أثيوبيا ، وامتلاك العراق زمام المبادرة للقيادة العربية والضغط على دول الخليج ضد مصر والسياسة الأمريكية عقب توقيع مصر اتفاقية مع الكيان الصهيوني ، وأيضا شهدت العلاقات العراقية السوفيتية تطورات إيجابية.

ولمواجهة هذه التطورات التي حدثت تباعاً ، والتي تعدها الولايات المتحدة الأمريكية أخطارا جسيمة تهدد مصالحها الإستراتيجية بشكل مباشر ، بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تعدل من سياستها السابقة وأنماط علاقاتها الإقليمية وذلك بالعمل على جهتين :

الأولى : السعي لإعادة امتلاك السيطرة على القرار النفطي في السوق العالمية ، بل لقد تعاملت الولايات المتحدة الأمريكية مع النفط العربي كملكية أمريكية مطلقة ، وقد عبر وليام سايمون وزير الخزانة الأمريكية آنذاك عن ذلك بقوله:

هؤلاء الناس لا يملكون النفط إنهم فقط يجلسون عليه!! كتاب (النفط والوحدة العربية) عبدالفضيل ص 188

الثانية : التلويح بالتدخل العسكري المباشر لحماية أمن النفط ، ووصل الأمر إلى التهديد باحتلال آبار النفط العربية ، حتى قال الرئيس الأمريكي (لايمكن السماح لأحد بإملاء القرارات ، وتقرير مصير الدول من خلال استخدام النفط والتلاعب بأسعاره) كتاب الدور الاستراتيجي لأمريكا في منطقة الخليج حتى منتصف الثمانينيات ص 116 أحمد عبد الرزاق شكاره.

وقال (جيمس شليزنغر) وزير الدفاع آنذاك (إن الدول العربية تواجه مخاطر تنام في ضغوط الرأي العام الأمريكي

باستخدام القوة ضدها إذا ما استمرت في حظر النفط) أمن الخليج وتحديات الصراع الدولي ص 41

* مبدأ كارتر

وقد أدت هذه التطورات إلى بلورة ما يسمى (بمبدأ كارتر) الذي ينص على : (إن أية محاولة تقوم بها أية قوة خارجية للسيطرة على الخليج الفارسي–الغربي– ستعتبر عدواناً على المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية ، وسوف تستخدم كل الوسائل الضرورية للرد عليها بما في ذلك القوة العسكرية) قوة الانتشار السريع والتدخل العسكري الأمريكي في الخليج (جيفري ريكورد) ص 13.

والمصالح الحيوية التي تدفع الولايات المتحدة الأمريكية للتدخل العسكري لحمايتها من أي عدوان خارجي حددها وزير الدفاع الأمريكي (هارولد براون) في خطاب له أمام مجلس العلاقات الخارجية بتاريخ 1980/3/6م ، بأنها تشمل (تأمين الوصول إلى النفط ومقاومة التوسع السوفياتي ، وتدعيم الاستقرار في المنطقة ، ودفع عملية السلام في الشرق الأوسط ، وضمان أمن إسرائيل) الصراع على الخليج العربي ، النعيمي ص 71

* في عهد بوش ، أوسع انتشار عسكري أمريكي في الخليج

جاء (بوش) بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية وبروز العراق قوة إقليمية ذات قدرات متطورة ، وتزامن مع انحسار الدور السوفيتي على مستوى دعم حركات التحرر في المنطقة ، فوضعت استراتيجية جديدة تبرر التدخل في الخليج تقوم على أمرين :

الأول : ضمان إمدادات النفط .

الثاني : مواجهة ما وصف بأية تهديدات إقليمية في المنطقة .

وأرسل (بوش) رسالة إلى مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في بغداد مايو 1990م ، وقد تضمنت تلك الرسالة المعالم التالية :

1- إن الولايات المتحدة الأمريكية لاتزال ملتزمة بالمحافظة على حرية الملاحة في المياه الدولية بما في ذلك مياه الخليج

2. الولايات المتحدة تعمل أيضا على تأمين حرية تدفق النفط عبر "مضيق هرمز" وكذلك تأمين استقرار وأمن الدول الصديقة .

3. إننا نود الاحتفاظ بوجودنا البحري في الخليج في المستقبل المنظور ، وهذا الوجود يلقى المساندة من أصدقائنا في المنطقة

4. إن وجودنا في الخليج لا يشكل تهديدا لأحد ويجب ألا تنظر أي دولة من دول الخليج إلى هذا الوجود على أنه مصدر تهديد وسنشعر بالقلق إذا ما أدى أي قرار من قرارات قمة بغداد إلى تقليص وجودنا في الخليج أو تقليص المساندة التي نتلقاها لهذا الوجود (جريدة القبس الكويتية) 1990/5/27م

وفي عهد (بوش) استخدمت أمريكا لأول مرة القوة العسكرية ، ولكن تحت غطاء الأمم المتحدة ، لحماية مصالحها الاستراتيجية في الخليج ، وبذلك عززت وجودها العسكري ، وارتبطت بمعاهدات أمنية ، وكثفت حضورها بصورة كبيرة لم يسبق لها مثيل ، وقد كان ذلك فرصة تاريخية للولايات المتحدة الأمريكية للتفرد المطلق بالهيمنة على منطقة الخليج والاستفراد بها واستبعاد القوى العالمية عن التأثير ، وقد كان هذا يشكل هدفا استراتيجياً حيوياً لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية ، ولم تزل تسعى لتحقيقه ، منذ انسحاب بريطانيا ، غير أنها لم تتوفر لها الفرصة المناسبة في ضوء الحرب الباردة وحقبة الصراع مع الاتحاد السوفيتي ، كما توفرت دراماتيكيا بعد انحسار قوة الاتحاد السوفيتي ، وقيام النظام العراقي بغزو الكويت.

* عهد كلنتون والاحتواء المزدوج

في عهد (كلنتون) ، وضعت إدارة الرئيس (كلنتون) مجموعة من السياسات المتكاملة فيما بينها للحفاظ على مصالح أمريكا الإستراتيجية في الخليج كما ذكرناها سابقا ، على ضوء فهم حديث لمصادر التهديد الجديدة في الخليج وتقوم على مبدأين :

1. إعطاء الأولوية لاستخدام القوة العسكرية .

2. الاحتواء المزدوج للعراق وإيران .

والهدف المباشر لهذه السياسة كما يوضحه عدد من الاستراتيجيين الأمريكيين هو أن للولايات المتحدة مصلحة كبرى في منع ظهور أية قوة تحمل نزعة سيطرة إقليمية في

أي بقعة من العالم ، ولاسيما إذا كانت قوة قادرة على تهديد الاستقرار العالمي . أي خضوعة لزعامة أمريكا . عبر استخدام القوة .

وكان أول من استخدم هذا المصطلح (الاحتواء المزدوج) هو (مارتن إندك) عندما كان يعمل مستشاراً للأمن القومي لشؤون الشرق الأدنى في الولاية الأولى للرئيس كلنتون.

وقد اعتبر هذا المبدأ تغيراً حاسماً في سياسة توازن القوى التي سبق أن اعتمدت عليها واشنطن في عقدي السبعينيات والثمانينيات للحفاظ على المصالح الأمريكية ، وذلك بدعم الدولتين المتصارعتين تباعا ، أي دعم إحداهما لموازنة الأخرى مثل دعم إيران في عقد السبعينيات ، ثم التحول إلى دعم الأخرى ضد الأولى مثل دعم العراق في سنوات الحرب العراقية الإيرانية ضد إيران

* عهد بوش الابن

مما سبق يتبين أن الارتباط الغربي بالخليج مر بثلاث مراحل رئيسة :

المرحلة الأولى : الاحتلال البريطاني .

المرحلة الثانية : الانسحاب البريطاني ، واستبداله بالتدخل الأمريكي غير المباشر، دون أن تحظى أمريكا بالتفرد المطلق بالتأثير على الخليج .

المرحلة الثالثة : التفرد الأمريكي وتكثيف وجوده العسكري في الخليج .

وتبين أيضا أن اتجاه هذا الارتباط يتحول باضطراد إلى هيمنة شاملة ، وأن أمريكا غير عازمة على الانسحاب من المنطقة مطلقا ، بل إلى التطلع نحو تدخل أكثر في شؤون الخليج الداخلية ، ومما يعزز هذا الاستنتاج أن في عهد (بوش الابن) ، تبنت الإدارة الأمريكية لأول مرة المطالبة بل الضغط لتغيير المناهج التعليمية في الخليج ، والرقابة على أموال الجمعيات الخيرية ، وتقوم الإدارة الأمريكية بدور ثقافي مركز للتأثير على المجتمعات الخليجية ، ومن الأمثلة على ذلك إثارة موضوع حقوق المرأة الخليجية وحقوق الإنسان انطلاقا من النظرة الغربية ، وتكرار التلويح بضرورة التغيير نحو الديمقراطية الغربية في الخليج ... إلخ .

وتدعم الولايات المتحدة النخب الخليجية المتحمسة للثقافة الغربية ، وتسعى بوسائل متعددة للقيام بنفس الدور الثقافي الذي كانت بريطانيا تقوم به في مصر إبان الاحتلال البريطاني لمصر .

وقد استغلت تهديد النظام العراقي لدول الخليج بعد حرب الخليج الثانية ، كما تستغل الآن ما تطلق عليه (الحرب على الإرهاب الدولي) بعد حوادث التفجير في الحادي عشر من سبتمبر ، لزيادة الاستلحاق السياسي بالغرب ، وذلك بهدف تحقيق أهداف الوجود الأمريكي في منطقة الخليج ، وهي :

1. ضمان أمن الكيان الصهيوني .

2 . السيطرة على حقول البترول ومنع تحويله إلى سلاح ضد الغرب .

3. إحداث أكبر قدر من التغريب الثقافي في المجتمعات الخليجية .

وتستعمل في سبيل تحقيق هذه الأهداف وسائل متعددة أهمها :

1. إبقاء النظام الإقليمي الخليجي في حاجة مستمرة إلى الحماية الغربية .

2. الحيلولة دون نجاح مشاريع الوحدة أو التقارب الخليجية .

3. تكثيف دور المؤثرات الإعلامية الثقافية الغربية على المجتمعات الخليجية .

4ـ تشجيع دور النخب الخليجية المتغربة للقيام بدور تحسين الأهداف الغربية و إلباسها لبوس المصالح المتبادلة ، والانفتاح الثقافي ، والتفاعل الحضاري .. إلخ .

* دور العلماء و الحركة الاسلامية

وفي ظل هذه الأحوال العصيبة التي تمر بها منطقة الخليج ، فالواجب على العلماء والدعاة أن يرتبوا أولوياتهم وفق المرحلة الراهنة بما يلي :

1ـ تشجيع عوامل التعاون بين مختلف فصائل الدعوة الإسلامية ورموزها وتوجيهها نحو التنسيق المستمر ، و تهميش الخلافات الجانبية ، لمواجهة الخطر المشترك .

2ـ التركيز على مواجهة الهجمة الإعلامية الغربية بهجمة مضادة شاملة تكشف عوارها وتلقي الضوء على مكامن الخطر فيها .

3ـ إشاعة مفاهيم الاعتزاز بالانتماء الإسلامي ، والتميز الثقافي المتمثل في تحكيم الشريعة الإسلامية في كل شؤون الحياة ، والدفاع عن مفاهيم الولاء والبراء والجهاد والوحدة الإسلامية ، ومحاربة المفاهيم الغربية المضادة .

4ـ العمل على دفع مشاريع التقارب و الوحدة الخليجية باتجاه التنفيذ السريع بهدف تحقيق الاستقلال التام عن التبعية السياسية للأجنبي .

5. مد جسور التفاهم وبناء الثقة مع الأنظمة الحاكمة لمنع الصدام الداخلي الذي من شأنه خدمة أهداف الحملة الغربية ، مع المطالبة بتولي الأنظمة بالتعاون مع قيادات الحركة الإسلامية مسؤولية حماية الهوية والثقافة الإسلامية من محاولات الاستلاب الحضارية ، وذلك بوضع خطط شاملة لحماية التعليم الإسلامي ، والثقافة الإسلامية من أي تدخل أجنبي ، وزيادة مساحتها في المؤسسات الرسمية في دول الخليج .

6ـ المطالبة برفع الحظر عن حرية الكلمة الناقدة المسؤولة بل وتشجيعها ، وحماية الحقوق العامة ، ومنع الظلم والتعسف في استعمال السلطة

ولاريب أن جسامة المسؤولية الملقاة على عاتق العلماء وقادة الحركة الإسلامية ورموزها ، تحتم عليهم التحرك السريع ، المنظم والمدروس لمقاومة خطط الهيمنة الغربية على الخليج ، والحيلولة دون بلوغها أهدافها .

قال الحق سبحانه (وجاهدوا في الله حق جهاده) الحج: 78 وقال النبي صلى الله عليه وسلم (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) رواه أحمد وأبوداود من حديث أنس رضي الله عنه . والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

===========

أخطاء في مقاومة تغريب المرأة

كتب الأديب الأريب علي الطنطاوي كتابات عديدة في موضوع تغريب المرأة في بلاد الشام، وقد جمعت كلامه في ذلك في كتاب أسميته (تجربة المرأة المعاصرة) كي ينتفع منه أهل الرأي في هذه البلاد وغيرها، ومن الأمور التي ذكرها ما وقع فيه الدعاة إلى الله تعالى في وقته في مقاومة دعاة التغريب وقد حصرتها لك أخي الكريم لتعلمها ومن ثم تتلافها، فنسأل الله تعالى التوفيق والسداد.

فمن الأخطاء التي ذكرها . رحمه الله .

الخطأ الأول: الاحتساب على المنكر بدون مشاورة أهل العلم:

يقول رحمه الله: (إن أقوى الطاقات في الدنيا ما يسمونه « رد الفعل » فأنت حين تكبس بيدك على كفة الميزان، لا يظهر الأثر في الوسط، وإنما يظهر في الكفة المقابلة، هذا الانطلاق وراء اللذات وهذا التحلل من قيود الدين والأخلاق، دفع جماعة من الشباب من العامة ومن الطلاب إلى إنكار هذا المنكر, ولكنهم لم يرجعوا إلى مشورة أهل العلم، ولم يقفوا عند آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحسبوها فوضى يصنع كل ما يشاء، مادام يريد بينه وبين نفسه الخير، فانطلقوا يتعرضون في الطريق للسافرات المتكشفات، وهجموا مرة على سينما في وسط البلد ليس فيها إلا نساء، لأن دور السينما يومئذ كانت عندها بقية من حياء، فهي تخصص أياماً للنساء، وأياماً للرجال, دخلوا عليهن فروعوهن، فأعطوا بذلك أعداءنا وأعداء ديننا حجة علينا، ولذلك قالت العرب في أمثالها:(عدو عاقل خير من صديق جاهل) .(ذكريات 5/236–242)

? وقال أيضا . رحمه الله . في سياق كلامه عن كلمة ألقها وذكر فيها أثر الإنكار بدون مشاورة أهل العلم ، يقول:

ـ جاء في عنوانها، أنها كلمة صريحة لله ثم للوطن, شرحت فيها ما كان من عمل الشباب الذين هالهم ما رأوا من فشو التبرج والاختلاط بعيد الجلاء في دمشق، البلد العربي المسلم، فقاموا يدافعون عن الفضيلة المغلوبة، ويردون إليهم الناس لأن ديار الشام لا تزال متمسكة بدينها، ولا يزال نساؤها بالحجاب الساتر، ومشت الأمور في طريقها، وكادت تصل إلى غايتها، ودعاة الفجور ينظرون ويتحركون, لولا أن دفعت الغيرة على الأخلاق الإسلامية والسلائق العربية مع الجهل بأحكام الدين، والبعد عن استشارة العلماء المخلصين، بعض العامة إلى الدخول على النساء في السينما وإخراجهن منها، وإلى التجوال في البلد ونصح كل متبرجة ووعظها وزجرها, وقد أنكر العلماء والعقلاء ذلك عليهم فكفوا عنه وأقلعوا، ولكن دعاة الفجور لم يرضهم أن تنتصر دمشق للفضيلة، وأن تهدم عليهم عملهم على رفع الحجاب، وإباحة الاختلاط، فاستغلوا عمل هؤلاء العوام وأعلنوا إنكاره وكبروه، وبالغوا في روايته وذهبوا يقيمون الدنيا، ويبرقون البرقيات، ويرعدون بالخطب، وما أهون الإبراق والإرعاد، وما أسهل إثارة الشبان الفاسقين على الستر والحجاب باسم « الحرية الشخصية » التي

تمتعهم بما وراء حدود الفضيلة من لذائذ محرمة , أيخرجون النساء من السينما ؟ أيعرضون بالنصح للمتبرجات الكاشفات؟ يا للحدث الأكبر، يا للعدوان على الحرية الشخصية التي ضمنها الدستور, أليست المرأة حرة ولو خرجت عارية ؟ أليس الناس أحراراً ولو فسقوا وفجروا ؟ أليس كل امرئ حراً ولو نقب مكانه في السفينة فأدخل إليها الماء فأغرقها وأهلها ؟ كذلك فهم الحرية هؤلاء الجاهلون، أو كذلك أراد لهم هواهم، أو شاءت لهم رغباتهم وميولهم أن يفهموها، ودفعوا أكثر الصحافيين فلبثوا أياماً طوالاً لا كلام لهم إلا في الدفاع عن الحرية... وأثاروا بعض النواب في المجلس، فجرب كل واحد منهم أن يتعلم الخطابة في تقديسها، ثم عمدوا إلى فئة من خطباء المساجد، حاموا عن الفضيلة فساقوهم إلى المحاكم سوق المجرمين ، وأدخلوهم السجون من غير مستند إلى قانون من القوانين ، وجرعوهم كؤوس الذل حتى صار من يذكر السفور بسوء، أو يدعو إلى الفضيلة والستر كمن يدعو إلى الخيانة العظمى, وتوارى أنصار الفضيلة من هذه العاصفة الفاجرة الهوجاء, وحسب أولئك أن الظفر قد تم لهم، وأن أهل الدين قد انكسروا كسرة لا تجبر، فكشفوا القناع، وانطلقوا يسرحون وحدهم في الميدان ويمرحون، وكانت النتيجة أن انحطم السد فطغى سيل الرذيلة وعم، وامتد في هاتين السنتين أضعاف ما امتد أيام حكم الفرنسيين ، وازدادت جرائم التعدي على العفاف واستفحلت، حتى رأت المحاكم من يعتدي على عفاف بنته أو أخته أو على طفل رضيع ، وماذا يصنع هذا الوحش الذي أثارت « الحرية الشخصية »غرائزه فلم يجد إلا البنت والأخت أو الطفل الرضيع ؟

ثم ازدادت الجرأة حتى رأينا بعض مجلات دمشق تقلد نظيراتها في مصر، فتنشر صور العرايا فيشتريها الشباب لهذه الصور، لأنه ليس فيها ما يقرأ فتشترى من أجله.

ثم امتد الشر حتى رأيناهم يعملون من الطالبات كشافات ، يمشين في الطرقات بمثل لباس المجندات في الجيش الأمريكي « ولم يكن قد عرفنا الجيش الإسرائيلي، ولا كانت إسرائيل أزال الله عنا رجس إسرائيل » بعد أن كانت دمشق لا تحتمل أن ترى الكشافين الشباب بلباس يرتفع عن الركبتين، وحتى رأيناهم يقيمون معرضاً لأدوات تحضير الدروس التي صنعها المعلمون, فتترك مدارس البنين، ومنها الثانوية

المركزية ببنائها الضخم وأبهائها الواسعة، وهي أصلح مكان للمعارض ، وهي التي أقيم فيها معرض دمشق الكبير سنة 1936 ،وتختار مدرسة البنات في طريق الصالحية , ثم يفتتح المعرض بدعوة الرجال لمشاهدة فرقة من البنات (الكشافات) يغنين على المسرح، ويأتين بحركات رياضية تبدي للأعين الفاسقة المفتحة أكثر ما يخفى عادة من أجساد فتيات نواهد، قد انتقين عمداً أو مصادفة من جميلات الطالبات .

ثم امتد الشر حتى رأيناهم يفتحون نادياً في قانونه أن العضو يجيء مع زوجته أو ابنته غير المتزوجة، وحتى شهدنا النفر الشيوعيين العزاب المستهترين الساكنين في المقاهي الخبيثة والخمارات، أصحاب تلك البرقية الوقحة المعروفة، يتسلمون شؤون المعارف، ويسلطون على الشباب والشابات، فيبتدعون نظام المرشدات, وإنه لنظام الضالات والمضلات, ويسنون الاختلاط في الحفلات، وينقلون دار المعلمات من مكانها القديم المستور إلى دارة (فيلا) جديدة في شارع محدث في ظاهر البلد مكشوفة من جهاتها الأربع، لها طنف وشرفات دائرة بها، وأسرة الطالبات تظهر من الطريق، فإذا نهضن من النوم رآهن من يمشي في الشارع بثياب المنام, ثم يدفعون خريجات دور المعلمات فيعملن حفلة خيرية، فلا يجدن لها مكاناً في دمشق إلا مرقص العباسية ! ويطبعن في البطاقة أنه سيغني فيها فلان من فسقة المغنين ، وترقص فلانة الراقصة المحترفة رقصاً بلدياً , ثم ماذا ؟ الله وحده يعلم ماذا يكون أيضاً ، وإلى أين نسير . وإلى أين المصير .

(ذكريات 5/ 247-250)

الخطأ الثاني : السلبية بطريقة الرفض والإبقاء على القديم:

يا سادة إن السيل إذا انطلق دمر البلاد، وأهلك العباد، ولكن إن أقمنا في وجهه سداً، وجعلنا لهذا السد أبواباً نفتحها ونغلقها، صار ماء السيل خيراً ونفع وأفاد.

وسيل الفساد، المتمثل في العنصر الاجتماعي، مر على مصر من خمسين سنة وعلى الشام من خمس وعشرين أو ثلاثين، وقد وصل إليكم الآن[1]، فلا تقولوا نحن في منجاة منه ولا تقولوا ، نأوي إلى جبل يعصمنا من الماء, ولا تغتروا بما أنتم عليه من بقايا الخير الذي لا يزال كثيراً فيكم، ولا بالحجاب الذي لا يزال الغالب على

نسائكم، فلقد كنا في الشام مثلكم . إي والله . وكنا نحسب أننا في مأمن من هذا السيل لقد أضربت متاجر دمشق من ثلاثين سنة أو أكثر قليلاً وأغلقت كلها، وخرجت مظاهرات الغضب والاحتجاج ؛ لأن مديرة المدرسة الثانوية، مشت سافرة . إي والله . فاذهبوا الآن فانظروا حال الشام!!

دعوني أقل لكم كلمة الحق، فإن الساكت عن الحق شيطان أخرس, إن المرأة في جهات كثير ة من المملكة، قريب وضعها من وضع المرأة المصرية يوم ألف قاسم أمين كتاب تحرير المرأة فلا يدع العلماء مجالاً لقاسم جديد.

هذا الخطر لا يحارب بالأسلوب السلبي، بطريقة الرفض والإبقاء على القديم، إن بنت بنتي وهي الآن على عتبة الزواج ، لا أستطيع إلزامها بالزيّ الذي كانت تتخذه أمي، ولا الشرع ألزمها به ذاته، بل منعها من كشف العورات وترك لها اختيار الزيّ الذي يسترها، ولا نستجلب الأنظار ويوافق الزمان، أي الزي الساتر الأنيق, إنني لا أستطيع أن أسيرها على خطى أمي تماماً ، ولكن عليّ ألا أدعها تخالف الشرع .

إن ما يتعلق بالمرأة من الحضارة المعاصرة, هو الثغرة الكبرى الذي دخل علينا منها العدو، ولقد كان نصره علينا ساحقاً, نعم هذه هي الحقيقة, فلماذا لا نعترف بها ؟

إن الاعتراف بالهزيمة دليل على بقاء القوة في أعصاب المهزوم، وعلامة على أنه قادر على استرجاع النصر إن خاض المعركة من جديد.

لقد نالوا منا جميعاً، لم ينج منهم تماماً قطر من أقطار المسلمين.

إنه لا يستطيع أحد منا أن يقول إن حال نسائه اليوم، كما كانت حالهن قبل أربعين أو ثلاثين سنة.

ولكن الإصابات كما يقال، ليست على درجة واحدة، فمن هذه الأقطار ما شمل السفور والحسور نساءه جميعاً، أو الكثرة الكاثرة منهن، ومنها ما ظهر فيه واستعلن وإن لم يعمّ ولم يشمل، ومنها ما بدأ يقرع بابه ، ويهم بالدخول، أو قد وضع رجله في دهليز الدار كهذه المملكة، ولا سيما جهات نجد وأعالي الحجاز.

فإذا كان علينا مقاومة المرض الذي استشرى، فإن عملكم أسهل وهو التوقي وأخذ (اللقاح)الذي يمنع العدوى.

أعود فأقول بأن السلبية لا تفيد، والجمود في وجه السيل الطاغي لا يجدي بل لا يمكن, فادرسوا أوضاع البلاد الأخرى، كيف دخل هذا التكشف وهذا الانحلال إليها .
لديّ رصيد لا يكاد ينفذ من الأمثلة عما يجري في بيوت بعض من ينتسب إلى الإسلام من التكشف والاختلاط، في جامعاتهم التي وصلت إلى حد إقامة مسابقات لانتخاب ملكة جمال الكلية، والحكام الطلاب، إلى أن تنشر الجرائد من أيام أن معركة وقعت بين فريقين من الطلاب كلهم دون الثامنة عشرة، في ثانوية مختلطة, وسبب المعركة نزاع على إحدى الطالبات، إلى أن مجلة مشهورة في بلد معروف قد وضعت على غلافها عنوان مقالة فيها، وهذا العنوان هو « ثلاثة تقارير لثلاثة أطباء كبار ثبت أن أربعين في المئة من الجامعيات فقدن العذرية !».
إن علينا أن نفهم الفتاة العربية أو المسلمة ، حقيقة لا نزاع فيها ، سمعنا عنها من الثقات ، ورأيناها ، رأيتها أنا في أوربة رأي العين ، وهي : أن المرأة في أوربا ليست سعيدة ولا مكرمة ، إنها ممتهنة ، إنها قد تكرم مؤقتاً ، وقد تربح المال ، مادام لديها . الجمال . ، فإذا فرغوا من استغلال جمالها ، رموها كما ترمى ليمونة امتص ماؤها .
فكيف نفهم المرأة عندنا هذه الحقيقة ؟ كيف نقنعها بأن الإسلام أعطاها من الحق ، وأولاها من التكرمة ، ما لم تنل مثله المرأة الأوربية أو الأمريكية ، وأنه صانها عن الابتذال ، ولم يكلفها العمل والكسب ؟ كيف؟ كيف؟ أنا أقول لكم كيف ؟ بالفعل لا بالقول ، بأن نعاملها المعاملة التي يرتضيها لنا ديننا ، بأن نعتبر الخير فينا ، من كان يعامل امرأته وبناته بالخير ، أن تكون المرأة المسلمة اليوم ، كما كانت في صدر الإسلام ؛اقرؤوا إذا كنتم لا تعرفون ، تروا أنها لم تكن تعامل كما يعامل كثير منا نساءهم.
(فصول إسلامية:ص 96-97-98 - 99)
الخطأ الثالث : التنازع بين العلماء والانشغال بالفروع عن الإصلاح:
. ازداد الانحدار وتتالت المصائب، وضعف أهل الدين بتنازعهم واختلافهم، واشتغال علمائهم بفروع الفروع من أمر دينهم، وغفلتهم عن الأصول التي لا تقوم الفروع إلا عليها، وخلا الميدان للذين يريدون أن يطبقون فينا قانون الشيطان، قانون إبليس.. (ذكريات5/236-242)

ـ لم يبق في الميدان إلا المشايخ، والمشايخ لم يكونوا صفاً واحداً إلا أياماً قليلة, ولا يزالون مختلفين, وهذه حقيقة يقطع ذكرها القلب أسفاً وحزناً، ليس المشايخ على قلب رجل واحد، منهم الصوفي والسلفي وأتباع المذاهب، والآخذون رأساً من الكتاب والسنة ، والإخوان المسلمون وخصوم الإخوان المسلمين، وأتباع كل شيخ يتنكرون للشيخ الآخر, هؤلاء هم الإسلاميون العاملون، هذه حالهم، أما المشايخ الذين ينظرون كل حاكم ماذا يريد، فيفتشون له في الكتب عما يؤد ما أراده ، ويجعلون ذلك ديناً، وأما المشايخ الموظفون الذين أهمتهم وظائفهم (أي رواتبهم) فلا يحرصون إلا عليها، ولا يبالون إلا بها، هؤلاء وأمثالهم لا أتكلم عنهم , ولا أمل لي فيهم , كان المشايخ الباقون في الميدان ،يجتمعون فيتشاكون ويتباكون ثم لا يجدون (وأنا واحد منهم ، يقال عني كل ما أقوله عنهم) لا يجدون إلا أن يجمعوا صفوفهم ، فيراجعوا الرئيس أو الوزير ، فلا تنفعهم المراجعة شيئاً ,ويعلنون النصح للناس ، ويجهرون بكلمة الحق من فوق المنابر فيخرج الناس من صلاة الجمعة فيتحدثون بما سمعوه ،ويثنون على الخطيب ويدعون له ، ثم ينغمسون في حمأة الحياة فينسون ما قال وما سمعوا . (ذكريات 5/ 268-274)

الخطأ الرابع : سكوت العلماء عن الاضطهاد الذي يمارس تجاه المرأة:

لو أن علماء المسلمين دعوا إلى (تحريرها)باسم الإسلام، وضربوا لها المثل الكامل بالمرأة المسلمة، لما تركوا لقاسم أمين، ولا لغيره مجالاً لمقال ، ولكن سكتوا وكأنهم رضوا ، فبرز أولئك فتكلموا وأنكروا ، وقالوا بتحريرها باسم الغرب، وجعلوا قدوتها المرأة الغربية ، فجروا علينا هذا البلاء كله ، ولكن علماء المسلمين بسكوتهم يحملون قسطاً من هذه التبعة .

(فصول إسلامية:ص 96-97-98 - 99) .

الخطأ الخامس: غفلة الآباء عن متابعة بناتهم:

. فأين حراس هذا الجمال المعروض ؟ أين الآباء والأولياء لهؤلاء البنات ؟ لو جاؤوا يسرقون منهم أموالهم لغضبوا لأموالهم ، وهبوا يدافعون عنها ، يستميتون في سبيلها ، فمالهم لا يغضبون لأعراضهم ، ولا يعملون على حمايتها . (ذكريات 5/ 268-274)

ـ بعض الآباء يغفلون ويقصرون، الأب هو الذي يقفه الله يوم الحساب ليسأله عن بنته، فلا يدعها تذهب وحدها إلى السوق ،فلقد سمعت أن من الفساق من يتحرش بالنساء في الأسواق ،ولا تدعها تكشف للبياع عما أمر الله بستره، وليُفهما أن سائق سيارة الأسرة وخادم دارها، كل أولئك أجانب شرعاً عنها، وليست منهم وليسوا منها، فلا تنبسط إليهم، ولا ترفع الكلفة معهم، وأن الطبيب له أن يرى من المرأة ما لابد من رؤيته، إن كانت مريضة حقاً، ولم يكن في البلد طبيبة أنثى تقوم مقامه، وتحسن عمل ما يعمله، فلطالما عرفت أطباء يتخذون العيادة شبكة لصيد الغافلات، وغرفة الفحص للمرض الجسمي مخدعاً لري الظمأ الجنسي، ولست أقصد أحداً بذاته، ولا أعين بلداً، ولست أقول مع ذلك إلا حقاً، فإذا لقيت المرأة الطبيب في غير ساعة « الفحص » فإنها تلقى رجلاً أجنبياً ،ككل رجل يمشي في الطريق لأن كشفها أمامه ضرورة أو حاجة، والضرورات تقدر بقدرها، ولا يدع الأب بنته تذهب إلى رحلة مدرسية، أو حفلة كالحفلات التي تكون في ختام العام ، فلقد رأيت فيما رأيت من أيامي التي عشتها، أن هذه الرحلات وهذه الحفلات من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى البلايا والطامات . (ذكريات 8/280– 283).

[1] أي : في المملكة .

==============

هذه آثارهم فاعرفوها

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد :

أيها المسلمون:

اتقوا الله حق التقوى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واعلموا أن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، ومن يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى .

معاشر المؤمنين:

سبق الحديث عن العلمانيين وتوجهاتهم وخطورة الدور الذي يمارسونه، وبعض وسائلهم وطرائقهم، والحديث اليوم عن بعض آثار هذا التوجه وثماره التي سرت في الأمة، وتغلغلت في بعض المفاهيم والأعمال، والأطروحات والبرامج على عدة مستويات.

أيها المسلمون:

إن من أعظم الدوافع والبواعث لكل داعية وعالم وناصح، بل وكل مسلم يشعر بمسؤوليته تجاه دينه وأمته من أعظم دوافعه لواجب الكشف والبيان: خطورة ذلك الفكر وشدة أثره في تضليل الأمة، والتوطئة لملل الكفر من اليهودية والنصرانية وغيرها في بلاد المسلمين، والناظر في تأريخ المسلمين يلحظ ويدرك بكل وضوح أن العاديات على بلاد المسلمين من غزو التتر وسقوط الأندلس وغيرها، ما كانت لتتمكن وتستولي على بلاد المسلمين، وتقتل الرجال وتسبي النساء والذرية، وتقود الولاة والأمراء أذلة صاغرين، ما كان ذلك بمجرد قوتهم وتفوقهم، وإنما كان ذلك بسبب الخيانة الداخلية، ممن يزاولون أدوار المنافقين، كالحركات الباطنية من الرافضة والقرامطة والإسماعيلية، وفي العصر الحاضر على يد العلمانيين وإخوانهم من الأحزاب الاشتراكية والبعثية والقومية، وما كان سقوط الخلافة العثمانية ووقوع كثير من دول الإسلام في قبضة المستعمرين وإنابتهم، أولئك بعد الخروج والاستقلال إلاَّ إحدى ثمار تلك التوجهات والحركات الغربية على المسلمين، وعلى أصل وحدتهم وتماسكهم، وكم نخشى من أمثال أولئك على بلادنا وبلاد المسلمين.

أرى خلل الرماد وميض نار وأخشى أن يكون له ضرام

فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب مبدؤها كلام

أيها المسلمون:

إن لهذا الفكر وهذا التوجه ثماراً سيئة وخراجاً نكداً منذ ظهورهم في بلاد المسلمين، وتمكنهم في مواقع التأثير ومنابر الإعلام منها:

أولاً: تكريس التبعية للغرب، وجعله الأنموذج الأفضل الذي يجب أن يحتذى في كل شيء، حتى في الأوضاع السلوكية والأنماط الاجتماعية، وأن الرجل الغربي هو

المتفوق تمدناً ورقياً وحضارة، وهو الجدير بالإقتداء والتأسي، والذي يدل على وجود هذا الأثر في واقع الناس اليوم، ذلك الفارق الذي يجده الفرد المسلم في نفسه تلقائياً بين الرجل الأوربي النصراني وبين مسلم، فقير آسيوي أو أفريقي، فالأول يجد له في نفسه التقدير والاحترام، والثاني لا يجد سوى الازدراء والتنقص؟ .

فمن الذي ولَّد هذا الشعور وكرَّسه في مفاهيم العامة والخاصة ؟ وهل كان هو المألوف لدى المسلمين في سالف العصور ؟، أم أنهم كانوا يعتبرون الكافر أقل منزلة وأحط درجة من المؤمن بالله واليوم الآخر، منهجهم في ذلك قوله تعالى: ((وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ)) [البقرة: 221] .

ثانياً: من الآثار ربط أمور الناس بالدنيا والمادة، وإغراقهم فيها إلى حد العبودية لها والإرتكاس فيها، والحب والبغض فيها ولها، ((يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)) [الروم: 7] .

ومثل هذا الأمر لا يعوز أحد الاستدلال عليه والتمثيل له، فنظرة إلى الأوضاع العالمية بل وأوضاع عامة الشعوب يدرك طغيان المادة على التعامل، وجعلها أساساً للموازين ومعياراً للقيم والمفاهيم.

ثالثاً: إذابة الفوارق بين حملة الرسالة الصحيحة وبين أدعياء العلم والثقافة من أهل التحريف والتبديل، وصهر الجميع في إطار واحد.

رابعاً: تهوين الخطر العالمي المتمثل في كيد اليهود والنصارى، والصهيونية والماسونية العالمية، واتهام من يبين خطرهم ويحذر من كيدهم وخططهم بأنه مصاب بعقدة المؤامرة، أما هم فلا يعتقدون مكايد عدائية متجذرة ومتأصلة، وإنما الأمر مصالح ومغالبات، ومطامع توسعية سياسية وإستراتيجية، نعم إن تفسير كل شيء في الوجود أن وراءه العدو وخلفه مؤامرة، وتحميل الأخطاء والتقصير على الغير، وتدبيره وتخطيطه هو نوع من المبالغة غير مقبول، وفيه تسويغ الأخطاء والتنصل من مسؤوليتها، لكن أصل القضية وهي عداوة الكافرين للمؤمنين وعملهم المستمر في الكيد والتضليل، فهذه سنن ربانية وأخبار قرآنية، نبأنا الله من أخبارها فوصف عداوتهم بالبيان والظهور، ((إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوّاً مُّبِيناً)) [النساء : 101] .

وبين أنهم يمكرون مكراً، فقال تعالى: ((وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)) [الأنفال: 30].

وقال: ((وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)) [النمل: 50].

وقال: ((ومكروا مكراً كباراً)) [نوح: 22].

هذا منطق القرآن، أما بنو علمان فيقولون لا عداوة ولا مكر.

أربعوا على أنفسكم وهونوا عليها، حتى تنفد في المسلمين أسنتهم، وتغمد في ظهورهم خناجرهم ورماحهم، فتقع الواقعة وتحل المصيبة على المسلمين، ثم بعدها يقولون إنما هي آراء وتوقعات، ((ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً)) [النساء: 62].

خامساً: السخرية والاستهزاء بعلماء الأمة ودعاتها، ونبزهم بالألقاب النابية والحيلولة دون الأخذ منهم، والاهتداء بفقههم بحجة أنهم لا يعلمون شيئاً عن الواقع، وأنهم لا يعيشون الأحداث، وربما رسموهم بعلماء الحيض والنفاس أو فقهاء الآخرة ؟!! .

بل لم يسلم منهم الأموات ممن جاهدوا بألسنتهم وأقلامهم، فرموهم بالعظائم، واتهموهم وكذبوا عليهم ألا ساء ما يزرون .

سادساً: دعوتهم وتبنيهم مطاردة الدعاة إلى الله، ومحاربتهم وإلصاق التهم الباطلة بهم، ونعتهم بالأوصاف الذميمة، كالتخلف والتحجر والجمود والرجعية.

سابعاً: تعطيل فريضة الجهاد في سبيل الله بصورته المشروعة، بل ومهاجمتها واعتبارها نوعاً من أنواع الهمجية والإرهاب .

وذلك أن الجهاد في سبيل الله معناه القتال لتكون كلمة الله هي العليا، وحتى لا يكون في الأرض سلطان له القوة والغلبة والحكم إلاَّ سلطان الإسلام، وحينما غاب مصطلح الجهاد من قاموس الأمة أصيبت بالتخاذل والهوان والذل، مصداقاً لقول النَّبِيّ – صلى الله عليه وسلم – : ((إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد وسلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه من حتى ترجعوا إلى دينكم)).[1]

ثامناً: الدعوة إلى القومية أو الوطنية: وهي دعوة تعمل على تجميع الناس تحت جامع وهمي من الجنس، أو اللغة، أو المكان، أو المصالح، على ألا يكون الدين

عاملاً من عوامل التجميع، بل الدين من منظار هذه الدعوة يعد عاملاً من أكبر عوامل التفرق والشقاق، فعملوا على تشتيت الأمة وتوزيع ولاء آتها إلى الإقليم والتراب والوطن والموروثات، والعوائد وتقديسها، واعتبارها الوجه الحضاري للأمم والشعوب.

تاسعاً: محاربة العفاف والتقليل من شأن الفواحش والفوضى الأخلاقية، ورعاية أصحابها واحتضانهم، واعتبار ظاهرة الفاحشة وتمرد الشباب والسفهاء على الفضيلة أمراً عادياً لا يستحق الاهتمام، وبالتالي لا يستدعي التفكير الجاد في العقوبة والتأديب، وما مظاهر انحلال الشباب وكثرة الفواحش وتهافتهم على البرامج التي تؤسس الاختلاط وتمارسه علناً كبرامج (ستار أكاديمي) ونحوها، إلا ثمرة لأطروحات العلمانيين والليبراليين.

عاشراً: تهديم بنيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية، وتشجيع ذلك والحض عليه: وذلك عن طريق: الإشادة بالقوانين التي تبيح الرذيلة ولا تعاقب عليها، والتي تعتبرها من باب الحرية الشخصية التي يجب أن تكون مكفولة ومصونة، وعن طريق أيضاً وسائل الإعلام المختلفة من صحف ومجلات وإذاعة وتلفاز، التي لا تكل ولا تمل من محاربة الفضيلة، والهجوم على أوضاع المرأة المسلمة المحافظة، وعن طريق أيضاً محاربة الحجاب واعتباره من العوائد وليس من الإسلام، وفرض السفور والاختلاط.

أيها المسلمون:

هذه بعض ثمار شجرة العلمنة الخبيثة على كثير من ديار المسلمين، فكم أثرت في الأجيال، وحرفت الرؤى والأفكار، ومع كل ذلك فهو كيد من كيد الشيطان، وقد وصف الله تعالى كيد الشيطان فقال: ((إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً)) [النساء: 76].

وإن كل مسلم في أي مكان وموقع يجب عليه أن يعمل جاهداً في وقاية نفسه وأسرته ومجتمعه من جميع وسائل التغريب والتضليل، وذلك بعمل برامج علمية وإيمانية للأبناء والبنات، وكذلك الانتقاء والاختيار في المادة المقروءة والمسموعة، وحجب منافذ الإفساد أن تصل إلى العقول والعواطف والغرائز، ثم تقوية الوعي والبصيرة بمعرفة الحق وأهله والباطل وأهله، والاستعانة على ذلك بطول التمعن بالآيات القرآنية الكاشفة لسبيل الضالين والمجرمين، وبمعرفة التاريخ وحوادثه، وعلى كل حال

بالصدق والصبر والأخذ بالأسباب، وعدم استعجال الثمار والنتائج ستعلو راية الحق وينتصر أهله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)) [الحج : 78] .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون:

وللمستفهم أن يقول: كيف يكون بعض المسلمين دعاة على أبواب جهنم؟ فالجواب هو أنهم كذلك ببثهم الفساد والانحراف الأخلاقي: كإشاعة الفاحشة وتسهيل أسبابها، ومحاربة بيئة التدين في المجتمع من خلال وسائل الإعلام مثلاً، أو في مجال التعليم، بزرع المبادئ الهدامة بين الطلاب من خلال كوادر غير أمينة، أو من خلال منظري التطوير التعليمي في سائر البقاع، فيما يقدمونه من الحد والتقليص لما يقوي صبغة الله في نفوس الطلاب، ((وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً)) [البقرة: 138].

أو التقليل من شأن العلوم الشرعية، في مقابل الحرص الدءوب على تكثيف ما عداها.

ويكون الإفساد ببث أفكار تسيء إلى الإسلام وأهله، وتحارب الدعوة إليه، وتزدري الدعاة وتسخر منهم، وتنادي بعزل دين الناس عن دنياهم.

ويستنكرون أن تدخل الدعوة في علوم الطبيعة والرياضيات، ويتهمون المناهج في بلاد المسلمين أنها هي السبب في وجود بيئة التدين والدعوة، وكأنها جريمة لا تغتفر، حيث قال أحدهم في أحد الصحف المحلية: "فقد اصطبغت الكتب الدراسية جميعها بصبغة دينية"، إلى أن قال مستنكراً: "فلا تدرس مادة اللغة الإنجليزية مثلاً

ذاتها، بل لتكون وسيلة للدعوة إلى الله، وتمتلئ كتب هذه المادة بالحديث عن الإسلام" أ هـ

أيها المسلمون:

إن هذا الحاقد على الدعوة والدعاة وغيره ممن يملؤه الغيظ على دين الله تبارك وتعالى لا يعدو قدره إن شاء الله، إلا أن الواجب على كل مسلم أن يقوم بما أوجب الله عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدفاع عن دين الله، والإنكار بقدر الاستطاعة، والمرافعة الجادة لمحاسبتهم وتأديبهم، لأنهم ضد الأمة ودينها وأخلاقها، أما أن يترك الحبل على الغارب لكل دعي جاهل ليحارب الإسلام دون أن يقف من أهل الغيرة أحد في وجهه ووجه كل من سانده وأعانه فلا يسوغ أبدًا: ((قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى)) [سبأ:46].

((وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَاكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)) [يوسف:21].

وصلى الله وسلم على محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

[1] – أخرجه أبو داود في سننه برقم (3462)، وأحمد في مسنده برقم (5007) ، والبيهقي في سننه برقم (10484) ،

وقد صحح الحديث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني – رحمه الله – في صحيح الجامع برقم (423) .

=============

رسالة للدكتور / غازي القصيبي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد...

إن مما يحير العاقل الحصيف ما نطالعه بين الحين والآخر من كتابات ومقالات وتصريحات وقرارات، تكون خالية من التأصيل الشرعي، أو التنظيم الإداري، أو التوافق مع نظام الحكم الذي اتخذ الشريعة مرجعاً في عموم منطلقاته في (مادته السابعة)، ولما تتميز به مملكتنا من مكانة عالية (بين دول كثيرة في عالمنا المتلاطم الأمواج، بسبب فتن الشبهات والشهوات)، فالواجب علينا وعلى المسؤولين فيها المحافظة على هذا التميز الذي يغيظ الأعداء في الداخل والخارج، أعداء الدين وأعداء الوطن وأعداء القيم والأخلاق.

روى الإمام أحمد وأبو داود- في باب تداعى الأمم على أهل الإسلام - وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (8183) من حديث ثوبان -رضي الله عنه- قال: قال النبي- صلى الله عليه وسلم-: ((يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها ....)) الحديث.

وتداعى الأمم يكون أحياناً عن طريق أبنائها إما جهلا منهم وغفلة، وإما انحرافاً ونفاقاً، وإما إغراءاً وحماقة.

ولقد ركز الذين يسعون لإفساد مجتمعنا والزج به إلى طريق الانحراف، (الذي وقعت فيه بعض الدول الإسلامية) على مجالات ثلاثة، هي مفاتيح الخير إذا أُحسن توجيهها، ومفاتيح الشر إذا أَُُسِيَء استعمالها.

وهى : التعليم... والإعلام... والمرأة

ولعل أعظمها خطراً، وأشدها أثرا، وأعجلها نتيجة في الإفساد هي المرأة.

ولذلك ركزت حملات التغريب في معظم البلاد الإسلامية على المرأة وعلى إخراجها وتبرجها، واختلاطها مع الرجال باسم العمل والوظيفة والدراسة، والذي بدأت بوادره في بلاد الحرمين تطل من خلال وزارة العمل ووسائل الإعلام وغيرها.

وإن من مظاهر الزج بالمجتمع في ممارسات تؤول إلى الفساد والانحراف ما تقوم به وزارة العمل، من دعوة صريحة إلى توظيف المرأة في الكثير من المجالات، التي تخالف طبيعتها وتفسد أخلاقها، وتضر المجتمع، وتهدد الأمن وتضعف الاقتصاد في الكثير من المجالات.

وقد حذرنا الصادق المصدوق- صلى الله عليه وسلم- يوم قال: ((ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء)) رواه مسلم وغيره (حديث رقم 2741) .

فمن ذلك ما استصدره د.غازي القصيبي من قرارات حول عمل المرأة في محلات بيع الملابس النسائية.

وقد أُعلن كذلك في جريدة الوطن وغيرها استنكاره الشديد على المعترضين على القرار، ووصفهم بأوصاف سوقية لا تليق بمن هو في سنه ومنصبه وخبرته.

ولكن للإنصاف فقد طلب د.غازي ممن لديه ملاحظات فليتقدم للنقاش.

ومن هذا المنطلق نطلب تحديد موعد للنقاش والحوار: وفى مكان عام حتى يظهر الحق ويشهد الناس ما يُراد لهم وبهم, وننتظر الرد سريعاً من د.غازي عسى أن يكون الحوار مثمراً، نصل به إلى الرأي الأصلح لمجتمعنا، ولبناتنا ولأمتنا ولاقتصادنا، وقبل ذلك وبعده لإرضاء ربنا وإغاظة عدونا .

ولقد توقفت في التسمية (هل أقول المستر غازي أم معالي الدكتور غازي، حيث إني لا أدري أي هذه الأوصاف أحب إليه)، لذلك سأسميه باسمه ومرتبته العلمية فأقول د.غازي القصيبي خروجا من الحرج .

واستباقاً للحوار العام الذي نطالب به د/ القصيبي ومن معه في هذه القرارات، أتوقف مع مخالفات هذا القرار للسياسة العامة للدولة ومن ذلك:

1 – هذا القرار جاء مخالفاً للنظام الأساس للحكم الذي نص على تطبيق الشريعة الإسلامية في مادته السابعة وفى غيرها.

2 – هذا القرار مخالفٌ لعدد من الأوامر السامية التي جاءت بالتأكيد على عدم الاختلاط، وضرورة استقلال المرأة في عملها عن الرجال، والتي صدرت برقم (11651) في 16–5–1403 وكذلك رقم(759 / 8)بتاريخ 5–10–1421.

3 – جاء هذا القرار مخالفاً لفتاوى العلماء، وقرارات هيئة كبار العلماء والذين لهم المرجعية في مثل هذه الأمور .

4 – هذا القرار مخالف لقرار مجلس القوى العاملة رقم 1/م/1405/19 وتاريخ 1408/4/1، وكذلك التأكيد على القرار بالتعميم الصادر برقم 1278/ق ع في 1423/12/1 .

5 – وكذلك هو مخالف لنظام العمل والعمال الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/21 وتاريخ 1389/9/6، والذي ينص على منع الاختلاط.

6 – هذا القرار جاء ليهدم ما بني من عهد المؤسس الملك عبد العزيز (رحمه الله) وأبنائه من بعده الملك سعود وفيصل وخالد وفهد (رحمهم الله)، والذين ساروا على عدم إقرار الاختلاط في الدوائر الحكومية أو الأهلية، وأكدوا على ذلك كثيرا.

7 – لا أدرى هل د.غازي يقصد إلغاء الأنظمة السابقة والقرارات والمراسيم, أو يقصد الانتقام ممن أصدروها (وتصفية حسابات قديمة) وهما أمران أحلاهما مر.

8- القرار الذي تبناه د.غازي يحمل في طياته تحدياً وزرعاً للشقاق بين ولاة الأمر والعلماء والمجتمع، ثم يصر على ذلك بوصف من خالفه بأنهم خفافيش، وأنهم أميون ومسيسون .

9- جاء القرار ليحارب الاقتصاد في مملكتنا في الوقت الذي نحن في أشد الحاجة إلى دعم الاقتصاد وبنائه وتنميته وتشجيعه .

10- القرار مآل يخالف نظام السعودة في البلاد، ويدعو رجال الأعمال إلى طرد الشباب من وظائفهم وتوظيف النساء، كما صرح بذلك بعض رجال الأعمال .

11- جاء القرار ليُسِيَء إلى المرأة، فبدلاً من أن تكون موظفة مع بنات جنسها في أماكن آمنة، ويتحقق لها الاستقرار الوظيفي، جاء القرار ليدعوها إلى العمل في أوساط الرجال ولأوقات طويلة مرهقة .

12- جاء القرار ليقول لرجال الأعمال بعثروا تجارتكم، وأسلموها لغيركم ولا دخل لنا في ربحكم وخسارتكم.

13- بل جاء القرار وكأنه يوحى من طرف خفي، ويقول لأصحاب الأموال إلى متى وأنتم تستثمرون أموالكم في بلدكم، لماذا لا تخرجون إلى البلاد المجاورة، فهي أكثر تجارة وأسهل أنظمة وأكثر ربحا.

14- جاء القرار ليفرق المجتمع ويوجِدَ الشقاق والنزاع، فالدكتور غازي يريد أمراً والمجتمع يريد غيره، ويريد أن يفرض رأيه وفكره، ويتحدث بدكتاتورية وفاشية عفا عليها الزمن.

15- د.غازي يريد أن يكون المشرع والمهيمن على جميع الوزارات، فهو صاحب القرار في خروج المرأة وعملها، وفتح الأسواق وتنظيمها، من غير رجوع إلى جهات الاختصاص، ولعل د.غازي في هذا أراد اختصار الأمر وتوفير الجهد والمال، وذلك بتقمص دور الكثير من الوزارات والجهات المعنية.

16- جاء القرار ليتوافق مع طلب القوى الأجنبية والأعداء الماكرين، الذين يسعون لإخراج المرأة من بيتها - في بلاد الحرمين-، التي هي المعقل الأخير للإسلام .

17- لقد خالف الحقيقة د.غازي وجانب الصواب، حيث يقول (إن القرار تأخر بسبب دراسات وافية وشاملة)، كيف تأخر القرار وهو يسير بسرعة هائلة في تنقله بين وزارة

العمل والديوان واللجان اللازم مروره عليها، وهو لم يتجاوز الشهر ونصف فيما ذكر, وصدر القرار في ظروف صعبة، في فترة وفاة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد – رحمه الله – ومبايعة الملك عبد الله – وفقه الله–، مع أن القرارات المماثلة قد يمر عليها الأشهر والسنوات حيث تخضع لنقاش وحوار بين المسؤولين، وينظر فيها إلى السلبيات والايجابيات، ويوازن بينها، ثم أين دور الشريحة المعنية في ذلك وهم رجال الأعمال والمستثمرين ؟.

وأين رأى المرأة التي سوف يزج بها في هذا البحر المتلاطم الأمواج بفتنته ومشكلاته الأسرية والاجتماعية والنفسية ؟.

ولو كانت الدراسات للقرار وافية وشاملة لما وجد هذه المعارضة الشديدة من كل طبقات المجتمع, أم أنه السباق مع الزمن واغتنام فرصة التمكين قبل زوالها.

وإلا فكيف تصدر هذه القرارات ثم ترفع العصا تهديداً لمن لم يطبقها.

18– لئن كان المجتمع يعاني من العنوسة فبهذا القرار وإقحام المرأة في هذا العمل ستتضاعف العنوسة أضعافا كثيرة، لأسباب متعددة، ليس هذا مجال ذكرها .

19– هل يتناسب القرار مع قيم وعادات المملكة العربية السعودية كما ذكر د.غازي في تصريحه في جريدة الوطن يوم الأربعاء 1427/3/21 ص21 وغيرها من الجرائد , أو هي المغالطات التي أصبح يفاجئنا بها بين الحين والآخر، (ويريد أن يدخل التاريخ من أغرب أبوابه) .

20– د.غازي هل استوعبت الأعمالُ الوظيفية الحكومية والأهلية شبابَ الأمة الذين يشكلون الخطر بسبب بطالتهم.

ألم تشاهد تزاحم عشرة آلاف شاب على خمسمائة وظيفة برتبة جندي، علماً أن هذا العدد لمن مؤهلاتهم تتناسب مع هذه الوظيفة، فكيف بغيرهم الذين هم أضعاف هذا العدد، وتزعم أنك أوجدت عملاً للشباب .

21– لماذا التركيز على المرأة وفرص العمل لها، وإهمال الشباب الذين هم –بعد الله– عماد الأمة وقوتها في وجه عدوها، بصلاحهم واستقامتهم ودفاعهم عنها, وهم سلاح ضدها إن أهملوا وتركوا للشهوات والشبهات والبطالة.

22- لو كنت صادقاً في الشفقة على المرأة وإيجاد عمل لها لتبنيت مشروعاً تعمل فيه مع بنات جنسها، وجعلت لها مكانا خاصا (مثل الأسواق النسائية والمستشفيات النسائية)، وجعلت لها وقتاً محدداً ليس بالطويل الذي يرهقها ويشغلها عن بيتها وزوجها وأولادها, ويقوم بسد حاجتها المادية والاستفادة من جزء مناسب من وقتها .

23- لو كنتَ صادقا في إعفاف المرأة لطالبت لها وصرت محاميا مخلصا لها، في أن يفرض لكل امرأة محتاجة أو أرملة أو مطلقة أو عانس مرتباً شهريا يصرف لها، لتعف نفسها وتقضى حوائجها من غير حاجة للآخرين, ولو عملت ذلك لوجدت التأييد من كل فئات المجتمع.

ولحصلت على ثواب عظيم من رب العالمين، ودعاء من كل محتاجة وأرملة ويتيم، تسعد به في يوم لا مال ولا جاه ولا معين إلا ما قدمت من عمل صالح .

24- يا د.غازي ألا ترى أنك داعية لتغريب المرأة في بلاد الحرمين لنبذ حجابها وعفافها، وحيائها ودينها، لتكون مثل ضحايا دعاة التغريب للمرأة في مصر والشام وغيرها.

25- يا د.غازي ألا ترى أنك ضيعت الأمانة، وأفسدت المجتمع، ولم ترع الثقة التي أولتها لك حكومة "خادم الحرمين الشريفين".

26- ألا ترى أنك بهذه المغالطات والتجاوزات توغر صدور أفراد المجتمع على دولتهم التي تسعى لمصالحهم، فيظنون أنك تتحدث باسم الدولة، وأنت تهدم نظامها وقراراتها, وتشعل نار الفتنة في البلاد.

27- لقد اتضحت النوايا وانكشف الغطاء، فأنت تتخذ قرارات تؤدى إلى فرض الاختلاط، الذي من لوازمه إشاعة الفاحشة، والدليل هو الإصرار الشديد على تنفيذ القرار رغم معارضة الكثيرين له، والذين يهمهم الأمر ويعنيهم بالذات، وحمايتك له بحذف شرط منع الاختلاط من نظام العمل الذي عدل في عهدكم، وهنا أحذركم وأخوفكم من عذاب الله وغضبه ومقته، وهو جل وعلا الذي توعد مَنْ يسعون إلى ذلك، فكيف بمن يفرض أسبابها على المجتمع المسلم، ويصر على تنفيذها حيث قلت لا رجعة في تنفيذ القرار، وكأنك الحاكم الأعلى لهذه البلاد, أنت لا تريد أن تسمع للعلماء والدعاة والمثقفين ورجال الفكر, ولا تريد أن تسمع لرجال الأعمال

وأعمدة الاقتصاد الذين بأعمالهم وتجارتهم تجد الوظائف للشباب، وتجد المشاريع التي تدعم اقتصاد البلد.

ألا تعلم أن تصرفاتك تؤدى إلى تجفيف منابع العمل، وترحيل الاقتصاد، وتفقير الشعب، وإخراج النساء وإفساد الأسر, وهذا ما يريده الغرب الكافر الحاقد المستعمر.

28- يا د.غازي أين دور الوزارة في توعية المجتمع، وفى معالجة أوضاع العمالة السائبة التي تعمل في الشوارع والحدائق، ومواقف السيارات وفى المستودعات والمزارع، وفى أوكار الفساد والسرقات، والسوق السوداء المنتشرة والمشتهرة، من خلال العمالة التي تبلغ الملايين وتشكل قنابل موقوتة في بلادنا .

أين برامج التدريب المكثفة، التي تقيمها الوزارة على نفقتها وبإشرافها لشبابنا من حملة الابتدائية فما فوق، والذين فاتهم قطار التعليم أو يريدون عملا.

29- قلت إن على المعترضين أن يحتفظوا برأيهم, إن الاحتفاظ بالرأي لمن لا يعنيه الأمر, أما من يعنيهم الأمر ويدافعون عن دينهم وعقيدتهم ومملكتهم، وطهر وعفاف نسائهم ونساء المجتمع بكامله، فهؤلاء جميعاً لهم الحق أن يقولوا والواجب عليك أن تسمع.

وأقول لك يا د.غازي (اتق الله في هذا المجتمع الآمن) لا خير في المجتمع إن لم يقلها، ولا خير فيك إن لم تسمعها، وتقبل ما فيها من الخير للبلاد والعباد .

اتق الله واحذر من المكابرة، ولا تكن من هذا الصنف الذي ذكره الله في كتابه العزيز، في قوله تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ)) (البقرة: 204، 206) .

30- يا د.غازي انك تسعى بقراراتك وتهديداتك إلى إعادة المجتمع إلى الحجْر على العقول والآراء, وتسعى إلى تطبيق سياسة فرعون، ((مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)) (غافر:29).

واعلم أن وراءك من الولاة والعلماء والدعاة وجميع أفراد المجتمع من يغارون على دين الله، ويحفظون أعراض المسلمين، ويسعون إلى توفير جو من الراحة والطمأنينة لأفراد المجتمع .

وفي الختام أتوجه إلى خادم الحرمين الشريفين وولي عهده – وفقهما الله لكل خير– فأقول: إن هذا القرار خطير يهدد أمن المجتمع واستقراره، ويهدد دينه وسلوكه، الذَين هما الأساس للحياة السعيدة والجو الآمن, فإن الدكتور غازي قد فتح باب شر مستطير.

ثم لماذا لا يسمع نصح الناصحين وانتقاد المصلحين ؟.

إنني أتوجه إلى مقامكم وأنتم الذين عاهدتم شعبكم على كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)، وعلى طلب النصيحة والنصيحة واجبة قبل الطلب, وتكون أوجب بعد الطلب، وأقول إن مثل هذا العمل يفرق الصف، ويزرع النزاع والشقاق، ويهدد البلد بالعقوبة من الله– عز وجل.

– وإننا نتطلع إلى وقفة حازمة حاسمة تلغي هذا القرار، وتغلق ما انفتح من أبواب الشر في هذا المجال.

كما أتوجه إلى علمائنا الأفاضل وطلاب العلم والدعاة وأهل الغيرة والصلاح، وعموم المجتمع، بأن يكونوا يداً واحدةً مع ولاة أمرنا ضد أولئك المفسدين، الذين يريدون إخراج المرأة من حصنها، لتكون لعبة في أيدي العابثين.

وعلينا جميعاً أن نكون مع مَنْ وَلاّهُ الله أمرنا سداً منيعاً ويداً قوية ضد من يخرق السفينة.

حفظ الله ديننا وبلادنا وولاة أمرنا ومجتمعنا من كل عابث ومفسد للدين والأخلاق.

وحفظ الله لنا أمننا ورغد عيشنا وستر نسائنا.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم,,,

=============

تغريب المرأة...المشكلة والحل

الصراع بين الخير والشر، والحق والباطل، والإيمان والكفر، سنة ماضية منذ أن خلق الله آدم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو يأخذ صوراً وأشكالاً تختلف من

عصر إلى عصر، ومن مكان إلى مكان، ولكن هناك قواعد وأسس يتفق عليها أعداء الدين والمبادئ، قواعد كليه، وأسس متشابهة أثناء حربهم وعدوانهم على الحق وأهله، وإن من الميادين التي الصراع فيها قديم هو الصراع على المرأة بين دعاة الضلالة والاستمتاع بالمرأة وإهانتها، وبين دعاة العفة والطهارة ومريدي كرامتها ورفعتها، ويحرص الأعداء منذ القدم على المرأة لأنها إذا فسدت المرأة ضعف المجتمع وانحلت عراه، وانتشرت الرذيلة وأمكن السيطرة عليه، وتنفيذ المخططات التي يريدون، فالمرأة بوابة قوية إذا هدمت هدم المجتمع، وصدق المصطفى- صلى الله عليه وسلم-; إذ يقول: ((اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)) .

وفي هذه الأزمان المتأخرة، وتحديداً في البلاد العربية، وتحديداً في هذا البلد المبارك بلد الحرمين الشريفين، فإن المرأة تتعرض لهجوم سافر حاقد بشع لم يعهد في هذه الجزيرة من قبل، فالهجوم عليها عالمياً من الخارج، ومحلياً من الداخل، أما الخارج فلا غرابة وكيدهم مكشوف وصريح ومعلن، والمسلمون يرفضونه جملة وتفصيلاً، وربنا قد قال في محكم التنزيل: ((وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء)) (النساء:89).

وقال سبحانه: ((وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ)) (البقرة: 109).

فالغرب غارق في الرذيلة، والمرأة تعيش بؤساً لم يحصل في تأريخ البشرية منذ أيامه الأولى، وهذا ليس دعاية ولا مبالغة، ومن قرأ الإحصائيات التي تنشر في الصحف والمجلات وفي صفحات الانترنت سوف يتعجب من حجم البؤس والشقاء، كل هذا لأنها تمردت على شرع ربها، وزينوا لها الاختلاط بالرجال والسفور والعري، والحرية المزعومة، وهي عبودية أشد من عبودية البشر للبشر، بل هي عبودية الشهوات والهوى، والتي تصبح فيها أمة مملوكة لأكثر من طرف، نسأل الله السلامة والعافية، والغرب يعلم أن المرأة هنا لو فعلت كما فعلت المرأة الغربية أمكن ترويض هذه المجتمعات التي استعصت عليهم، لأن الشهوات مفتاحها وبابها المرأة، ويعلمون أن الرجال الأقوياء الأشداء لا يلين عريكتهم إلا النساء، فسلطوا كل ما يستطيعون من كل أنواع المكر والكيد المعلن والخفي عبر جمعيات حقوق المرأة، وعبر وسائل

الإعلام والتعليم والمناهج والبعثات التغريبية، والمنتديات والملتقيات الاقتصادية وغير الاقتصادية، والمؤتمرات الدولية، والكتب والصحف والمجلات والانترنت، وما خفي أكثر وأكثر، كل هذا معلوم وواضح والتصدي له يجب أن يكون معلنا وواضحاً أيضاً، لا أريد أن أطيل حول هذه القضية فهي معلومة لدى غالب الناس، ولكن الشأن في الهجوم والتغريب من الداخل وأقصد به الشأن المحلي، أعني به ما يقوم به المنافقون والعملاء بالوكالة عن الغرب، من كيد ومكر كبار بالليل والنهار في بلاد الحرمين لتغريب المرأة وإفسادها، حتى يضعف المجتمع ويستطيع الغرب أن يروض هذه المجتمعات الأبية الصامدة، والغرب لا يراهن على الحكومات، فقد انتهى منها ولكنه متجه بثقله إلى الشعوب، لأن هذا هو زمن الشعوب هي التي تتحرك وهي التي تغير، لقد أقض مضاجعهم الانتفاضة الكبرى من كل أنحاء العالم لنصرة إخوانهم في فلسطين، ومقاطعة المنتجات الأمريكية مع بداية الغزو لأفغانستان والعراق، وآخرها كانت الانتفاضة المباركة في شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها لنصرة خير البرية محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، نعم هذا مؤشر أن الشعوب فيها الخير وفيها الاعتزاز بالدين، فازداد المكر والكيد لإغراق المجتمعات المسلمة وخاصة مجتمع الحرمين الشريفين في الشهوات، وأعظم بوابة هي بوابة المرأة.

ولكن لماذا الكيد المركز على بلاد الحرمين لعدة أسباب :

أولاً: الوضع المتميز للمرأة في بلاد الحرمين بين كل شعوب الدنيا من حيث الحجاب والعفة والصيانة، والرعاية في ظل الشريعة الإسلامية، فحقها مكفول في الجملة رغم وجود التقصير.

ثانياً : البلد الوحيد في العالم الذي التعليم فيه غير مختلط في كل مراحله.

ثالثاً: لا زالت بعض الحدود والضوابط الشرعية معمول بها، كمنع سفر المرأة بدون محرم وغيرها من الضوابط، وهي لا توجد إلا في هذا البلد.

رابعاً: أكثر الأنشطة الإسلامية في العالم، والتي لها أثر كبير على المسلمين هي من هذا البلد المبارك، سواء برعاية مالية أو توجيه وقيادة، مما أثار حفيظة الغرب وهاج وماج ضد هذا البلد المبارك، وضد كل الجهود فيه .

ويبقى السؤال الآن وهو الذي يهمنا: ما أبرز وسائل التغريب والإفساد للمرأة في بلاد الحرمين حتى نتنبه لها ونحذر منها، ولا نقع في حبائلهم ولا مصايدهم عصمنا الله ونسائنا وبناتنا وأبنائنا من كل سوء؟

الوسيلة الأولى: إضعاف التدين بإغراق الناس في الشهوات، واستخدام المرأة وسيلة في ذلك عبر وسائل الإعلام، وعبر الهجوم على الثوابت، وخاصة ما يخص المرأة كالهجوم على الحجاب، وترويج الفتاوى والأقوال الشاذة والساقطة، والدعوة للاختلاط، وما أستار أكاديمي وسوبر أستار ونواعم عنا ببعيد، وغيرها من البرامج التي تشيع الرذيلة وتتطبع في أذهان الفتيات الفساد والانحلال، وأنه رمز للتقدم والحضارة، فسقط في هذه المصيدة فئام من الفتيات بل أمهات وزوجات، فكثر الانحراف، واسألوا المعلمات والهيئات ومراكز الشرطة.

الوسيلة الثانية: الكذب المتواصل حتى يصبح حقيقة يصدقها الناس، مثل الترويج اليومي عبر وسائل الإعلام لأكذوبة أن المرأة مظلومة، ولا تأخذ حقوقها، وأن الرجل متسلط عليها، وقد يكون هناك ظلم نعم ولكن لما يأتي التمثيل للظلم والتسلط يمثلون بما هو من ديننا، وبما هو حفظ لكرامة المرأة وصيانتها، فتدعوا تلكم الوسائل المرأة إلى التمرد والعصيان والخروج بغير إذن الزوج والولي، وأن هذا الفعل هو الحل الناجح لأخذ حقوقها، ومن الكذب افتعال قصص غير واقعية ومكذوبة، والبناء عليها وتسويقها وترويجها، ومن ثم الدعوة إلى التحلل والتفلت انطلاقاً من هذه القصص المكذوبة، فإذا غاب الرقيب والحسيب فماذا يمكن أن تتصوروا أن تفعل هذه الوسائل

.

الوسيلة الثالثة : تشويه الحق وأهله وتصويره بصور منفرة، والإعلاميون يعرفون أن هذه الوسيلة من أكثر الوسائل تأثيراً في النفوس، فيربط بين التخلف والحجاب، وبين التشدد والتزمت والدين، وبين النفاق والكذب، وبين الحجاب والعفة، وهكذا مما ينطبع في أذهان المراهقات والأطفال بأن الحجاب هو نفاق وتزمت، فتجد الصغيرة تكره الحجاب وتغطية الوجه بناء على ما ترسب عندها في وعيها من الصورة الذهنية التي رسمها هذا الإعلام الفاجر والله المستعان .

الوسيلة الرابعة : إبراز قدوات وشخصيات يقتدي بها النساء وخاصة الصغيرات والمراهقات، ويركز على الشخصيات الأكثر انحرافاً وتحرراً بزعمهم، فتسوق ويعلى من شأنها في الإعلام العميل، وفي المجلات والجرائد وتدعم، وإذا شئت أن تعلم صدق هذا الكلام من كذبه اسأل الصغيرات عن أبرز أسماء المغنيات والممثلات وقصات شعورهن، وإذا اتجهت للمراهقات اسألهن عن تفاصيل حياة فلانة وفلانة من المغنيات والممثلات وتجرباتهن الغرامية، واللقطات المخلة بالآداب، واسألوا الهيئات والمعلمات عن اللقطات الفاضحة التي تتداول بين أيدي الشباب والبنات في البلوتوثات للمغنيات والممثلات، وفي المقابل تغيب النساء الجادات العاملات المثقفات في بلادنا، ولا يبرزن بل يغيبن وهذه والله عين الخيانة التي يمارسها الإعلام في بلاد الحرمين .

الوسيلة الخامسة: إصدار القرارات الجائرة التي تؤصل وتطبع الاختلاط والفجور وإشاعة الفاحشة في المجتمع المسلم الطاهر النقي، فقد سبق وأن أقر الاختلاط في المستشفيات والمستوصفات وفي الاستقبال، فماذا كانت النتيجة ؟ لقد أزكمت أنوفنا رائحة الفساد في المستشفيات والمستوصفات، وخاصة الممرضات والله المستعان، هذا وهو مكان لعلاج المرضى وأبعد ما يكون عن التفكير في الفساد، فكيف بالأسواق وما صدر مؤخراً من قرار إلزام أصحاب المحلات لبيع الملابس الداخلية النسائية بتوظيف النساء في المحلات من غير أن يكن مستقلات في المحل، بعيدات عن الرجال، وهكذا لما توصد الأبواب أمام من يريدون التغريب في البلد يستخدمون سلطتهم، ولكن هيهات لقد نسوا أن الله فوقهم، وسوف يجعل كيدهم وتدبيرهم تدميراً عليهم بإذن الله .

تحدثنا عن الداء فما هو الدواء؟ ما هو الحل لمواجهة هذه الهجمة الشرسة الظالمة الحاقدة لتغريب المرأة المسلمة في بلاد الحرمين ؟

فنقول وبالله التوفيق ومنه الإعانة والتسديد:

أولاً: أن يؤدي كل منا مسؤوليته أمام الله ، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، أيها الأب المبارك، والأخ الناصح، والابن البار: أنت مسؤول في بيتك، ووالله مهما عملوا لن يجبروك على تغيير برنامجك، علينا أن نهتم بتربية أبنائنا وبناتنا وغرس المبادئ

والقيم، والتفنن في ذلك والتفرغ لهم، وعدم الانشغال عنهم، فهذا من أعظم الحقوق التي تجب علينا تجاههم، لا يكفي أن نعتني بالمأكل والملبس والمشرب والمركب ونوعية المدرسة التي يسجلون فيها، والمباهاة أمام الناس بأن أبنائنا وبناتنا أحسن من غيرهم في أمور الدنيا، ماذا يفيد كل هذا إذا مسخت عقولهم وفسدت أخلاقهم، وجلبت بنتك لك العار والشنار في أخر عمرك، لنستيقظ من غفلتنا، ولنبذل جهدنا مع بناتنا ونسائنا، فنجلب لهم الإعلام الآمن من قنوات محافظة تدل على الخير تأمر به، ومن مجلات نسائية فاضلة عفيفة، وأشرطة مرئية ومسموعة نقية طاهرة ، مع الاهتمام بالخلطة والصحبة، والتذكير بالله وغرس الإيمان بالله في نفوسهم، ومحبة رسوله ودينه، وكثرة الجلوس معهم قبل أن يتخطفهم شياطين الإنس والجن، ومن المسؤولين أيضا المعلمين والمعلمات، أنكم أهم فئة في المجتمع، فأنتم تصيغون عقول الجيل وتجلسون مع أبنائنا وبناتنا ما يزيد على ست ساعات يوميا، فماذا أنتم فاعلون ؟ فاتقين الله أيها المعلمات، وأدين ما أوجب الله عليكن من التربية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أوساطكن .

ثانياً: واجب المسؤولين ومن بيده القرار أن يحمي البلاد من هذه الهجمة العاتية، لماذا هؤلاء يسرحون ويمرحون بلاحسيب ولا رقيب ؟ أين المحاسبة أين المعاقبة لهؤلاء وهم يغتالون العفة ويصدرون القرارات تلو القرارات ؟ ويخالفون نظام الحكم الذي قام عليه البلد من تحكيم للشريعة، فاللوم بالدرجة الأولى على كل مسؤول في هذا البلد، وسوف يسألكم الله عن ذلك، وسوف نقف أمام الحكم العدل الديان في يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم، فأعدوا للسؤال جوابا وللجواب صواباً.

ثالثاً: يجب على العلماء وطلاب العلم والدعاة الصدع بالحق، وأن يقوموا بالواجب الذي عليهم، ولا يجاملوا ولا يكتموا الحق ويعلنوا به، ولا يكون سرا في المجالس، بل يقال للناس هذا حق وهذا باطل: ((الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً)) (الأحزاب39).

والناس سوف يصدرون عن رأيكم إذا أحسنتم مخاطبتهم، وحل مشكلاتهم وهمومهم، وعليكم أن تكونوا حاضرين عبر وسائل الإعلام كي يصل صوتكم إلى أكبر شريحة

في المجتمع، فأنتم أصحاب الحق، وأنتم تخاطبون الفطرة وما يوافقهم، وأعداؤكم دخلاء غرباء في أفكارهم عن هذا البلد، ولا يخيفنكم العدو ولو وصموكم بالإرهاب والتطرف، وصدق الله إذ يقول: ((وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً)) (الإسراء 81).

رابعاً: إعلاء شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعله أمراً مألوفاً في مجتمعنا ودعم كل من يناصح ويأمر، وعدم الوقوف بجانب أهل الباطل ضدهم فهم صمام الأمان وحماة الأعراض، وأن نذب عنهم في المجالس وفي وسائل الإعلام بكل ما أوتينا من قوة .

خامساً: الاهتمام بمحاضن الفضيلة والعفة وتكثيرها، والعناية بها وتطويرها، ودلالة الناس عليها، وترويجها إعلامياً، ودعمها مالياً ومعنوياً، والمشاركة فيها بكل ما نستطيع، وعلى رأسها مدارس تحفيظ القرآن النسائية والمراكز الاجتماعية، والمنابر الإعلامية النسائية كالمجلات والمواقع النسائية المحافظة، لأن هذه المحاضن هي التي تبني وتقف أمام هجمة التغريب هذه، فهي أولى بالعناية .

سادساً: المطالبة بعزل أي مسؤول يكون بوابة وداعماً لتغريب نسائنا، فهذا حق مشروع لنا، فنحن متضررون من هؤلاء أشد الضرر، فديننا وأعراض نسائنا أغلى ما لدينا، ولا بد من رفع الخطابات للمسؤولين والاستنكار لكل من يعمل لتغريب نسائنا وبناتنا، ولا تقل أن بيتي محافظ، فالخطر سوف يدهمك، والمجتمع لحمة واحدة، وما يحدث لجارك سوف يأتيك، وما تشاهده في الإعلام سوف يدخل بيتك، والله المستعان!! ولا بد أن نكون إيجابيين وننزع جلباب الخوف، فأبواب المسؤولين مفتوحة، وصدورهم تتسع لشكواكم ومعاناتكم والله المستعان.

============

تحذير حول عمل المرأة في المحلات التجارية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فقد كثر الحديث في هذه الأيام عن عمل المرأة في المحلات التجارية وذلك بسبب ما صدر من قرار بهذا الشأن يُلزم التجار في المستلزمات النسائية الخاصة بتوظيف

النساء في محلاتهم ولم يُعتبر في هذا القرار كَون هذه المحلات التي تعمل فيها النساء في أسواق نسائية خاصة لا يدخلها إلا النساء ومن المشهور أن وراء هذا القرار بعض المتهمين في دينهم من ذوي النفوذ .
وفي هذا القرار عدة أمور محرمة :
1 . ظلم التجار بإلزامهم ما لا يجب عليهم شرعاً وتعريضهم للخسارة في تجارتهم .
2 . ظلم العاملين لديهم بتسريحهم من غير موجب شرعي ولاسيما من لم تنته عقودهم .
3 . فتح باب من أبواب فتنة النساء رغم أن هذا القرار مبني على دعوى المحافظة على المرأة والواقع أنه على العكس فإنه يترتب على توظيف النساء في هذه المحلات عدة محاذير منها :
أ . حدوث علاقة غير مأمونة بين الموظفة أو الموظفات وصاحب المحل .
ب . أن وجود هذه المحلات النسائية في أسواق الرجال يؤدي إلى دخول الرجال عليهن لأن المحافظة غير متوفرة في كثير من الناس وكذلك الرقابة .
ج . أن هذه الموظفات تتعرض لخطر الاعتداء عليهن في أوقات خلو الأسواق كما في أول الصباح وآخر دوام المساء .
4 . أن هذا القرار خطوة أولى لتوظيف النساء في سائر المحلات مما يؤدي إلى تغيير صورة هذا المجتمع المحافظ بتفاقم فتنة المرأة وشيوع الفاحشة ويؤدي إلى المزيد من بطالة الرجال .
وبهذا يتبين أن هذا القرار من جهود أصحاب التغريب في هذه البلاد – حرسها الله – من كل من يريدها بسوء .
وبناء على ما تقدم فإننا نحذر عموم المسلمين أن يحملهم الطمع في كسب المال على التفريط في أمانتهم التي ولاهم الله عليها واسترعاهم إياها فإنهم مسئولون كما قال صلى الله عليه وسلم : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) .
فاحموا أيها المسلمون بناتكم وأخواتكم وزوجاتكم من كل ما يدنس كرامتهن واحذروا أن تستجيبوا أو تُخدعوا بما يزخرفه أدعياء حقوق المرأة وهم الجناة عليها على

الحقيقة رد الله كيدهم في نحورهم والله من ورائهم محيط وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

============

بين الإصلاح والإفساد

الحمد لله ؛ أمر بالإصلاح، وامتدح المصلحين، ونهى عن الفساد، وذم المفسدين ، نحمده على ما منَّ به علينا من دين الإسلام، وبعثة خير الأنام، عليه الصلاة والسلام، ونشكره على تمام الدين، وكمال الشريعة، وأشهد ألا إله الله وحده لا شريك له ؛ خلق عباده فكلفهم ، وبدينه وشريعته ابتلاهم، وهو أعلم بما يصلح لهم ويصلحهم (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وصفيه وخليله؛ حذر أمته من دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ، ووصفهم بأنهم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ؛ أتقى هذه الأمة ، وأسرعهم امتثالا لتعاليم الملة ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين0

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وكونوا صالحين مصلحين (ولا تطيعوا أمر المسرفين، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون)0

أيها الناس: الصلاح غير الفساد، والإفساد مناقض للإصلاح ومعايير الفساد والإفساد، والصلاح والإصلاح، ومفهوم ذلك ومعناه وحقيقته تختلف باختلاف الديانات والمبادئ والأفكار التي يحتكم الناس إليها، ويصدرون عنها، فما تراه أمة من الأمم صلاحا وإصلاحا، قد يراه غيرها فساداً وإفسادا، لاختلاف الديانة التي يدينون بها، والشريعة التي ينتهون عندها، والفكرة التي يعظمونها0

وفي السنوات الأخيرة دعا كثير من الكتاب والمفكرين، والسياسيين والصحفيين في الدول الإسلامية إلى الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وكل داعية منهم يصدر في دعوته تلك عن أفكار يعتقدها، ومناهج يعتنقها، ربانية كانت أم بشرية، ويرى أن الفساد فيما يخالف دعوته، وأن من يعارضها فهو المفسد، ومع كثرة الاختلاف، وغزارة ما يلقى على الناس في شأن الإصلاح أضحى أكثر الناس في حيرة من أمرهم، لا يعلمون المفسد من المصلح، ولا يميزون الصادق من الكاذب في

دعواه، وقضايا المرأة أنموذج حيٌّ لهذا التجاذب والاختلاف، فأقوام يدعون إلى تحرير المرأة من كل القيود، ومساواتها بالرجال من كل وجه، مدعين أن ذلك سبيل صلاح الأمة المسلمة، وطريق انتشالها من تخلفها وجهلها، وآخرون يرون أن هذه الأطروحات لا تريد الخير بالأمة، وإنما تغرقها في مستنقعات الإثم والفساد، وتجردها من أقوى سلاح يمتلكه المسلمون أمام الغرب، وهو الأسرة السوية في مقابل الأسرة الغربية المفككة0

والذي يجب أن يعلم، وأن يُسلِّم به كل مسلم يدين بالإسلام: أن الصلاح والإصلاح هو فيما جاء عن الله تعالى، وبلغته رسله عليهم السلام، وأن الفساد والإفساد هو ما عارض ذلك أيّاً كان مصدره، ومهما كان وزن قائله، فشريعة الله تعالى فوق كل أحد؛ إذ إن الله تعالى هو خالق الخلق، ومدبر الكون، وإليه يرجع الأمر، وكل العقلاء يتفقون على أن صانع الصنعة أعلم بها من غيره، والله سبحانه أعلم بخلقه من كل أحد ((أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)) (الملك:14).

وهو أدرى بأحوال عباده، ((وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ)) (البقرة:220).

إن الصلاح والإصلاح هو فيما جاءت به الرسل عن الله تعالى، فالرسل عليهم السلام وأتباعهم هم المصلحون، ويدعون إلى الصلاح، ويحاربون الفساد؛ ولذلك قال شعيب عليه السلام في دعوته لقومه: ((وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا)) (الأعراف:56).

وأخبرهم أنه لا ينهاهم عن الفساد ويأتيه بل يجانبه صلاحا وإصلاحا، ((وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ)) (هود:88).

وأعداء الأنبياء عليهم السلام، المستكبرون عن اتباعهم، المعارضون لدعوتهم من الكفار والمنافقين، هم الفاسدون المفسدون؛ إذ أخبر الله تعالى عن كبار ثمود الذين كذبوا صالحا عليه السلام بأنهم: ((يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ)) (النمل:48).

وأوصى موسى أخاه هارون عليهما السلام بالإصلاح لمَّا استخلفه على قومه: ((وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ)) (الأعراف:142).

ولكن أعداء الرسل عليهم السلام من الكفار والمنافقين لا يُقِرُّون بأنهم فاسدون مفسدون، بل يزعمون أنهم صالحون مصلحون، ويرمون الأنبياء وأتباعهم بالفساد والإفساد، كما فعل وزراء فرعون؛ إذ قالوا له: ((أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ)) (الأعراف:127).

وإخوانهم في هذا العصر يخاطبون الملوك والساسة في الدول الإسلامية قائلين لهم بلسان الحال أو المقال: أتذرون هؤلاء العلماء والدعاة ليفسدوا الناس، ويعرضوا المشاريع التغريبية في المرأة والأسرة التي كلها صلاح، وتقدم إلى شريعة قديمة لا تناسب هذا العصر 0

وأَعْرَضُ دعوى الفرعون الأول في البشر سوَّغ معارضته لموسى عليه السلام، ومحاربته إياه، والتنكيل بأتباعه والسعي لقتله، بالخوف على الناس من فساده، ((وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ)) (غافر:26).

وما نفعت فرعون دعواه العريضة إذ حكم الله تعالى عليه بالفساد، فقال سبحانه فيه: ((إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)) (القصص:4).

وفي سورة أخرى ((وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ)) (الفجر:10،11،12).

وهكذا المنافقون يدَّعون الإصلاح لكن الله تعالى حكم عليهم بالإفساد ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ)) (البقرة:11،12).

فليس مصلحا كلُ من ادعى الإصلاح، وليس مفسدا كلُ من رُمي بالفساد، بل يعرض ذلك على الكتاب والسنة حتى ينجلي الأمر، ويبين الحق للمؤمنين، وأما المستكبرون من الكفار والمنافقين فإنهم لا يرضون عن الحق مهما بسط لهم من الأدلة والبراهين، ((وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ)) (يونس:101).

وفي الآية الأخرى ((وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا)) (الأنعام:25).

ومن قبل قال فرعون وملأه لموسى عليه السلام: ((وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ)) (الأعراف:132).

فما يعنينا في هذا المقام هو بسط الحق بأدلته لأهل الإيمان واليقين، وإلا فالمستكبرون لن يصدقوا مهما قيل لهم، والقضية المتنازع عليها في هذه الأيام هي توسيع عمل المرأة في المحلات التجارية بزعم القضاء على البطالة تارة، وتارة أخرى بزعم المحافظة على خصوصية النساء في شراء ملابسهن، وتعالوا لنعرض هذا المشروع الإصلاحي الإنقاذي على ما جاء في الكتاب والسنة لنرى، هل هو إصلاح كما يروج لذلك أصحابه أم أنه ضرب من ضروب الفساد في الأرض؟!

لقد قررت شريعة الله تعالى أن الضرب في الأرض، والصفق في الأسواق، والإنفاق على الأسرة هو من خصائص الرجال، وبه خوطبوا في نصوص الشريعة، ((وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ)) (المزمل:20).

((الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ)) (النساء:34).

((لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ)) (الطلاق:7) .

وقال النبي- عليه الصلاة والسلام-: ((ولستَ تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى اللقمة تجعلها في فَّي امرأتك)) رواه الشيخان0 ولم يأت في هذا الشأن خطاب واحد للنساء، بل أُمر النساء بالقرار في البيوت، ((وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)) (الأحزاب:33).

يقول القرطبي رحمه الله تعالى: والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن، والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة، وروى ابن مسعود- رضي الله عنه- عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: ((المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون من ربها إذا هي في قعر بيتها)) رواه الترمذي وصححه ابن خزيمة وابن حبان.

وفي حديث آخر قال- عليه الصلاة والسلام-: ((ما تركت بعدي فتنة أضرَّ على الرجال من النساء)) رواه الشيخان.

وروى محمد بن سيرين- رحمه الله تعالى- فقال: نبئت أنه قيل لسودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: مالك لا تحجين ولا تعتمرين كما يفعل أخواتك ؟ فقالت: قد حججت واعتمرت، وأمرني الله تعالى أن أَقرَّ في بيتي، فو الله لا أخرج من بيتي حتى أموت. قال ابن سيرين: فو الله ما خرجت من باب حجرتها حتى أُخرجت جنازتها.

فالأصل أن الرجل ينفق على أهله، والأصل أن المرأة مكفولة من قبل ذويها منذ ولادتها إلى أن تموت، فإن قصروا أُخذ لها حقها بالقضاء ، فإن لم يكن لها قريب فالإمام وليها، وجماعة المسلمين يقومون على حاجاتها، وإن عملت لكفاف نفسها فذلك استثناء وليس أصلا، ويكون بشروط تحقق المصلحة لها، وتدرأ الفتنة بها، ولكن هذا الأصل المقرر في الشريعة قد قُلب في هذا الزمن رأساً على عقب بسبب سيطرة المذاهب الغربية الإلحادية على أكثر البشر، وصار الأصل وهو قرار المرأة في بيتها استثناء، وأضحى الاستثناء وهو خروجها للعمل أصلا0

وانقلاب الموازين لا يضفي الشرعية على الباطل، ولا يقلبه إلى حق، ولا يجعل الفساد إصلاحا؛ لأن الشريعة دائمة باقية حاكمة بين الناس، فالواجب تعديل الموازين، ورد الحق إلى نصابه، ومن الإفساد تسويغ هذا الباطل بالمسوغات السامجة، وتعليله بالتعليلات الباردة0

ثم رأينا هذا المشروع المنقذ للنساء من البطالة قد تُعمَّد فيه الاختلاط بين البائع والبائعة، تنظر إليه وينظر إليها، وتخاطبه ويخاطبها، وربما مازحته ومازحها، فمائة ألف وظيفة وقد تزيد تنتظر نساء المجتمع في جو من الاختلاط البريء، كما يقوله من اخترعوا البراءة في اجتماع رجل بامرأة، معارضين شريعة الله تعالى، التي يخبر عنها المبلغ عنه عليه الصلاة والسلام بقوله: ((إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال:الحمو الموت)) .

فإذا كان الشارع الحكيم يحذر من قريب الزوج وهو يغار على عرض قريبه، فأيُّ براءة في اجتماع رجل بامرأة لا رابط بينهما إلا العمل0

ثم هو سيخلو بها حتماً في الأوقات الميتة التي لا بيع فيها وهي غالب الأوقات، وأيام الجرد السنوي حيث تغلق المحلات، وتحسب البضائع، بل قد تصحبه في دورة لتطوير الأداء الوظيفي، وتعلم المزيد من فنون التسويق، وتضطر للسفر بلا محرم إلا زميلها الذي أصبح محرمها بجامع العمل والزمالة، وهذا يقع كثيراً في البنوك والشركات الكبرى، فكيف سيصير الحال لو وسع ذلك بهذا المشروع الآثم، والشارع الحكيم يقول لنا: ((لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم، فقام رجل فقال: يا

رسول الله ، امرأتي خرجت حاجَّة، واكتتبت في غزوة كذا وكذا ، قال: ارجع فحج مع امرأتك)) رواه الشيخان0

فرده النبي- صلى الله عليه وسلم- عن الجهاد وهو أفضل الأعمال ليكون رفيقاً لامرأته في سفرها، وليس سفرها سفر ريبة أو تجارة أو عمل، بل هو أشرف سفر لامرأة ؛ إذ هو سفر حجها الذي هو من أعظم العبادات، فحالها وحال من معها أبعدُ ما يكون عن الريبة والفساد لأنهم في عبادة، ومع ذلك لا بدَّ من المحرم في شريعة الله تعالى، فكيف بمكان موبوء تحيط به شياطين الجن والإنس، وشر البلاد إلى الله أسواقها0

وقد يستلزم العمل أن تتحلى البائعة بكامل زينتها حتى تكون دعاية للمتجر، ولتجذب الزبائن إليه، فيُسوَّق التاجر بضاعته بأجساد بنات الناس، وهذا واقع في البلدان التي سبقت في هذا المجال، ومن يسافرون ويتاجرون يعرفون ذلك تمام المعرفة، وكم يعلن في صحفهم عن وظائف لبائعات يشترط فيهن من الصورة والهيئة أكثر مما يشترط في الشهادة والخبرة، ونعيذ بالله العظيم بناتنا وبنات المسلمين أن يكون هذا حالهن0

وإذا كان زميلها ذئباً أغبر، يجيد التلاعب بالعواطف ، ويعرف نقاط الضعف في المرأة كال لها من المديح والثناء ما يصطادها به، فيفترس عفافها، ولا خير في وظيفة تلك نهايتها، ولا عزاء لمجتمع يرضى لبناته أن يتأكلن بأجسادهن0

وجماعة المسلمين من حكام ومحكومين ليسوا مسؤولين أمام الله تعالى عن توفير الوظائف للنساء، وإنما هم مسؤولون عن رعايتهن، والإنفاق عليهن وهن قارات في بيوتهن، كل ولي بوليته، ومن لا ولي لها فواليها الإمام أو نائبه0

هذا هو حكم الشريعة في الرجال والنساء، وتلك هي مفاسد بعض هذا القرار، الذي بان لكل ذي بصيرة أنه معارض لشرع الله تعالى، وما عارض الشريعة فهو إفساد لا إصلاح، وإن سماه أصحابه إصلاحا، إما عن جهل بسبب ما يعانونه من الأمية والتخلف في فهم أحكام الإسلام، وإما عن هوى بسبب أنهم مؤد لجون بأفكار منحرفة، ومسيسون لتحقيق أهداف الأعداء من يهود ونصارى، نسأل الله تعالى لنا ولهم الهداية والرشاد، والتزام الشريعة الغراء، كما نسأله سبحانه أن يكبت كل مفسد

ومفسدة، وأن ينصر كل مصلح ومصلحة، إنه سميع قريب مجيب، وأقول ما تسمعون وأستغفر الله تعالى لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، ولا أمن إلا للمؤمنين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين0

أما بعد : فاتقوا الله – عباد الله – وراقبوه ، والزموا طاعته ولا تعصوه ((وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ)) (النور:52).

أيها المسلمون: تنطلق هذه المشاريع التخريبية في بلاد المسلمين من أفكار تغريبية لا تمت لهذه الأمة بصلة، بل هي نتاج موجات الإلحاد والفساد التي اجتاحت بلاد الغرب فأفسدت نساءهم، وحطمت أسرهم، وفرقت مجتمعاتهم، ويستميت المفسدون من الكفار والمنافقين والشهوانيين في تصدير هذا الفساد إلى بلاد المسلمين بالرضا أو بالقوة، تحت دعاوى الإصلاح في دول العالم الثالث، مع أن الغرب لا زال يعاني من آثار هذا الإفساد، ومجتمعاته مهددة بالانقراض، وتعاني من كثرة الشيوخ، وقلة الشباب والأطفال.

وأجدني في هذا المقام مضطراً لنقل بعض المقولات لمفكرين غربيين يبرزون حجم الفساد الناجم عن إخراج المرأة من منزلها وإقحامها في ميادين الرجال، من باب (وشهد شاهد من أهلها)، وإلا فالمسلم مستسلم لأمر ربه، تكفيه نصوص الكتاب والسنة قائداً وإماما.

تقول كاتبة إنجليزية: إن الاختلاط يألفه الرجال، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها، وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا.

وتقول باحثة أخرى: إن الاعتداءات الجنسية بأشكالها المختلفة منتشرة انتشاراً سريعاً في أمريكا وأوربا، وهي القاعدة وليست الاستثناء بالنسبة للمرأة العاملة في أي نوع من الأعمال تمارسه مع الرجال.

ونشرت مجلة نيوزويك الأمريكية تحقيقا بعنوان: سوء استخدام الجنس في المكاتب قالت فيه: إن مضايقة الرئيس لمرؤوسيه أمر قد خرج عن دورة المياه، أي خرج عن السرية وصار علنا.

ومن قالوا هذا الكلام قد عاشوا في مجتمعاتهم، ووقفوا على مشكلاتها، وخبروا عللها، وليسوا أميين في حضارتهم بل مثقفون ومفكرون، وليسوا كذلك مؤد لجين ومسيسين لصالح المسلمين، بل يحكون أمراض مجتمعاتهم.

إن أي مشروع يسعى لجعل خروج المرأة من منزلها هو الأصل، وقرارها فيه هو الاستثناء، فهو مشروع معارض لصريح القرآن والسنة، ومخالف لما كان عليه سلف الأمة ، فكيف إذا انضم إلى ذلك جملة من المفاسد الكبرى، كالاختلاط والتبرج والسفور، والخلوة والسفر بلا محرم، ولا يدعي مدع أنه يمكن الحد من هذه المفاسد بشروط وضوابط ؛ فإن التجارب السابقة أثبتت أن هذه الضوابط تتبخر مع الزمن كما يتبخر الماء الراكد، وانظروا كم في سياسة الإعلام بصحفه ومجلاته، وشاشاته وإذاعاته من شروط وضوابط تكتب بماء الذهب، فهل طبقت أم لا ؟! والأبواب إذا فتحت قليلا أمكن إشراعها على مصاريعها، بل أمكن خلعها، ولا تخلع الأبواب إذا كانت موصدة، فإياكم يا عباد الله أن يخدعكم مصدرو الرذيلة، وناشرو الفساد، بتلبيس الكلام، ولحن القول، والواجب على كل مسلم أن ينكر هذا المنكر العظيم الذي يطل بشره وفساده على المجتمع، ويكون إنكاره بالطرق المأذون بها شرعاً، التي لا تسبب إثما أكبر، ولا تحدث فتنة أعظم، والمسؤولية الكبرى، والأمانة العظمى تثقل كاهل كبار القوم من الأمراء والعلماء والمسؤولين، أن يقفوا أمام موجات الإفساد هذه، وإلا تحملوا وزر المجتمع كله، وبماذا سيقابلون ربهم إذا سئلوا عن ذلك في يوم لا تغني عنهم مناصبهم من الله تعالى شيئا، وواجب على من أعطاه الله تعالى جاها، وكلمته لها وقعها أن يبادر بالإنكار ؛ براءة للذمة، وانتصارا للملة، وحفاظاً على بنات المسلمين ومجتمعهم من الرذائل، وعلى صاحب كل قلم وبيان من الرجال والنساء أن ينكروا ذلك أشد الإنكار، ويبينوا للناس مفاسد مثل هذا القرار.

ونعيذ بالله تعالى كل مؤمن ومؤمنة أن يكونوا عوناً لأهل الباطل على باطلهم بالاعتذار للباطل وتسويغه، أو الدعاية له وترويجه، ومن كان يؤمن بالله واليوم

الآخر فليقل خيرا أو ليصمت، ((وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)) (هود:117).

جعلنا الله تعالى هادين مهديين، صالحين مصلحين، ومنَّ على ولاة أمرنا بالصلاح والرشاد، ودلهم على ما فيه صلاح البلاد والعباد، وجنبهم طرق أهل الضلال والإفساد، آمين يا رب العالمين.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

==============

لا للسكرتيرة.. نعم للمعلمة والطبيبة

الأصل أن تقر المرأة في بيتها وألا تخرج إلا لحاجة، هذا ما أراده الله تعالى للمرأة ، ونحن نؤمن بأن الله أحكم الحاكمين، والله أعلم بما يصلح حالها، ويناسب شأنها؛ لأنه خالقها وفاطرها قال تعالى: ((هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ)) (النجم: 32) .

ولذا أمرها بالقرار، وعدم الخروج فقال تعالى: ((وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)) (الأحزاب: 33).

قال القرطبي: (في هذه الآية الأمر بلزوم البيت، وإن كان الخطاب لنساء النبي صلى الله عليه وسلم فقد دخل فيه غيرهن بالمعنى، هذا لو لم يرد دليل يخص جميع النساء، فكيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة).

ودعاة تحرير المرأة يخالفون هذه السنن الربانية بالمطالبة بخروجها من بيتها، لتمارس مهناً مبتذلة، كأن تكون سكرتيرة للرجال في الشركات والمؤسسات – وكأن الرجال – قد انقرضوا من الأرض ولم يبق إلا النساء.. ولا يعني ذلك أننا نحتقر المرأة لكننا نرفض أن تهان المرأة بمثل هذه الأعمال.

إننا نقول بملء أفواهنا :

لا.. أن تكون المرأة سكرتيرة للرجال، فكم من حوادث الزنا والتحرش الجنسي قد وقعت.. حتى أدرك الكفار هذا وعملوا الدراسات والإجراءات لمعالجته بلا فائدة واضحة، لأن الأصل فاسد وهو السماح بالاختلاط بين الجنسين، وحوادث طلاق

المدراء والرجال من زوجاتهم لأجل علاقاتهم بسكرتيراتهم مشهورة جداً، وحوادث الزنا داخل المكاتب مشهورة في أماكن الاختلاط، بل إن السكرتيرة تُتخذ في بعض الشركات وسيلة ترفية للمدير والمسؤول ونحوهما، نسأل الله العافية .

ونعم ..لأن تكون المرأة معلمة في جو نسائي محافظ.. تعلم بنات جنسها العلم والإيمان وما تحتاجه بلادها من علوم دنيوية مناسبة لفطرة المرأة وتكوينها.

ونعم .. لأن تكون المرأة طبيبة تُطبب بنات جنسها، وتداوي المريضات، وتعالج المحتاجات في جو آمن بعيداً كل البعد عن الاختلاط في الدراسة والعمل؛ رافضة معالجة الرجال والاختلاط بهم.

فيا ولاة الأمر.. امنعوا أولئك الرجال الذين يستغلون حاجة المرأة ليوظفوها سكرتيرة – والله أعلم بما يريدون.

يا ولاة الأمر – صونوا نساء هذا البلد من الابتذال في مهن لا تليق بهن كالبائعة والسكرتيرة ونحوها.

يا ولاة الأمر.. احفظوا نساء هذا البلد كي لا تستغل حاجاتهن في قضايا لا أخلاقية.

إنها مسؤولية الجميع للوقوف أمام تيار التغريب.. الذي يهدم ولا يبني، ويفسد ولا يصلح، والله لا يصلح عمل المفسدين.

============

إعصار فيه غبار

لقد جاءكم إعصار فيه غبار ، فما يؤمنكم أن يكون الإعصار القادم إعصارا فيه نار

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد :

ففي هذا الفصل الربيع بينما كان الناس في النهار والأجواء صافية والهواء معتدل والشمس ساطعة إذ أتت من الشمال ريح وإعصار كالجبال . في مشهد يهز القلوب لو كانت حية ويحرك المشاعر لو كانت صادقة ، وفي لحظات تغير وجه الحياة ، ظلمة أشد من ظلمة الليل إذا أخرج أحدهم يده لم يكد يراها ، وريح ترك كل شيء وتدمر ما أمر الله أن يدمر ، وتوقفت الحياة ولزم الناس السيارات والبيوت ، وامتلأت المستشفيات بالمرضى والمتضررين . أهذا فصل الربيع ؟!!

كان حداء الشعراء .

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا *** من الحسن حتى أن يتبسما

هكذا كان حداء الشعراء حينما كان فصل الربيع يعني جمال الأجواء واعتدال الهواء حينما كانت الأرض تأخذ زخرفها وتتزين وتنبت من كل زوج بيهج حينما كانت الرياح تثير سحابا فيبسطه الله في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فتى الودق يخرج من خلاله وذلك حينما كانت القلوب مخبتة والعيون من خشية الله دامعة والصدور سليمة والحياة مترعة بالإيمان والتقوى ...

بيوت الله معمورة بالمصلين وكتاب الله لا يفتقد التالين ، والناس إلى طاعة ربهم يتسابقون ومن الإيمان والتقوى تفتح البركات ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)) [الأعراف : 96]

أما فصل الربيع في أيامنا فعنوانه :

أتاك الربيع الحزن يرتاع باكيا** من القحط حتى كان أن يتجهما

فصل الربيع لم يعد ربيعا ، وإنما رياح وغبار وقحط في الأمطار وجدب في الديار

فصل الربيع أصبح سحابا متراكبا ، ينحسر عن ظلمة وإعصار يخلف دمارا وأضرارا في الأنفس والثمرات

هذه الرياح التي كانت بشير خير للناس تسوق السحاب وينزل من السماء ماء فيحيي به الله بلدة ميتا ويسقيه مما خلق أنعما وأناسي كثيرا هذه الريح التي تحمل الخير للعباد تصبح سوط عذاب على المتمردين والعصاة ذلك لأن الله عز وجل هو الذي يسيرها كيف يشاء ويسخرها لمن يشاء فهي للطائعين رحمة وخير وبركة وهي على الطغاة المتكبرين نقمة وشر وهلاك .

الرياح عقوبة سلطها الله على عاد الأولى الذين استكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد قوة ، والذين وصفوا الرسل والدعاة والمصلحين بالسفاهة والكذب كما يوصفون اليوم بالتطرف والإرهاب والجمود، وسلطها على عاد الثانية أمريكا ومن ينسى إعصار كاترينا

وهي عقاب أرسله الله يوم الأحزاب على قريش وأعوانها إذ أرسل الله عليهم ريحا وجنودا وكفى الله المؤمنين القتال

وهي عقوبة من الله تنتظر كل من يفعل فعالهم ويحاكي ضلالهم

وهي عقاب من الله لكل من يتعدى حدود الله وينتهك حرماته ((وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)) [البقرة : 229].

لقد رأينا آية من آيات الله ، ودلالة على عظمت وقدرته وما يعلم جنود ربك إلا هو

لقد رأينا مشهدا يهز القلوب الواعية ، ويجري مدامع العيون الخاشعة فبأي حال عايشنا المشهد وبأي مشاعر مررنا أمام هذه الآية

إن المؤمن حقا هو من تحدث عنده هذه الآيات والعبر شعورا بتعظيم الخالق والخوف والحياء منه وإجلاله

المؤمن حقا هو من قال الله فيه ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)) [الأنفال : 2].

هو من وصفه ابن الجوزي بقوله: همة المؤمن متعلقة بالآخرة فكل ما في الدنيا يحركه إلى ذكر الآخرة... و المؤمن إذا رأى ظلمة ذكر ظلمة القبر وإن رأى مؤلما ذكر العقاب و إن سمع صوتا فظيعا ذكر نفخة الصور وإن رأى الناس نياما ذكر الموتى في القبور و إن رأى لذة ذكر الجنة فهمته متعلقة بما ثَم و ذلك يشغله عن كل مأثم.

فهل كانت مشاعرنا كذلك ونحن نرى شيئا من قدرة الباري جل جلاله أم أن على قلوب أقفالها لقد رأى الناس ظلمة لا يدرون ما وراءها ، أهو عارض ممطرهم، أم ريح فيها عذاب أليم ، فهل انشغلوا بالذكر والاستغفار والدعاء والبكاء، الواقع يقول: كلا ، إلا من رحم الله.

لم ينشغلوا بالتسبيح والتكبير وإنما اشغلوا بالتصوير وكأنما يصورون منظرا خلابا وكهنة الفلك يصورون الأمر بالظاهر الطبيعية ودون ربطها بالقدرة الإلهية والسنة الكونية والشرعية

وفي غمرة الظلمة تسمع من سيارات بعض الشباب أصوات المعازف والغناء، والنساء في الأسواق على تبرجهن وسفورهم . تلك قلوب غطاها الران فأصبحت بلا بصيرة لا تحس بذنب ولا عقوبة

إن أهم أسباب عدم الإحساس بالذنب هو ألفة المنكر لكثرة اقترافه ، وقد قال الحسن الزيات ، والله لا أبالي بكثرة المنكرات والبدع وإنما أخاف من تأنيس القلب بها ؛ لأن الأشياء إذا توالت مباشرتا أنست بها القلوب ، وإذا أنست النفوس بشيء قل أن تتأثر به.

وأخطر من ألفة المنكر هو إلفة العقوبة حتى يصل إلى درجة عدم الإحساس بأن الحال الذي هو فيه عقوبة لذنب قد اقترفه وقد قال ابن الجوزي اعلم إن من أعظم المحن الاغترار بالسلامة بعد الذنب ، فإن العقوبة تتأخر ، ومن أعظم العقوبة ألا يحس الإنسان بها وأن تكون في سلب الدين وطمس القلوب وسوء الاختيار للنفس ، فيكون من آثارها سلامة البدن وبلوغ الأغراض

لقد كان أسلافنا أصحاب قلوب يقظة تشعر بالذنب وسببه حتى يصل الإحساس بأحدهم أن يتذكر ذنبا منذ أربعين سنة ما زال يحس بأثره. قال ابن سيرين : إني لأعرف الذنب الذي حمل به علي الدين ما هو، قلت لرجل منذ أربعين سنة يا مفلس.

هكذا كانوا يحسون بالذنب ، بربطه بالبلاء الذي يصيبهم روى ابن الجوزي عن بعض السلف أن رجلا شتمه فوضع خده على الأرض وقال اللهم اغفر لي الذنب الذي سلطت هذا به علي

وحتى إذا لم يوفقوا لطاعة ربطوا ذلك بذنب ربما اقترفوه، دخلوا على كزر بن وبرة بيته فإذا هو يبكي فقيل له: ما يبكيك قال: إن بابي لمغلق وإن ستري لمسبل ومنعت حزبي أن أقرأه البارحة وما هو إلا من ذنبي أذنبته .

دعك من أولئك الذين يصنفون هذه المصائب والآيات كظواهر طبيعية لا دخل لذنوب البشر فيها ، فالحق أن كل ما يصيب الإنسان على الأرض من مصائب وبلايا من وخزة الشوكة واختلاج العرق إلى الزلازل المدمرة والرياح العاتية هو بسبب ما نجترحه من سيئات، إذ تأتي كسنة من سنن الله في خلقه إلى يوم القيامة ، وعقاب فوري على ما نعامل به ربنا الذي أمرنا وأوجدنا ، وبسبب ما زرعته أيدينا من آثام إن هذه الكوارث والمحن جنود لله يعاقب بها من يشاء من عباده ((وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ)) [المدّثر : 31] .

وهـي عـذاب الله الأصـغر ((وَلَنُـذِيقَنَّهُمْ مِـنَ الْعَـذَابِ الْأَدْنَـى دُونَ الْعَـذَابِ الْأَكْبَـرِ)) [السجدة : 21] .

ظلما للعباد ؟ لهوا ولعبا ؟ حاشا لله وتقدس بل ((لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)) [السجدة : 21] . إلى الله بالطاعة والإنابة.

فلماذا لا نوقن بأن تلك الآيات والنذر تخويف من الله لعباده لعلهم يرجعون ((وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً)) [الإسراء : 59].

ولماذا نستبعد غضب الله وعذابه وقد عذب أمما من قبلنا بما كسب أيديهم، وسنن الله لا تتغير ولا تحابي أحدا لماذا نأمن من عذاب الله , والبلاء إذا نزل فإنه لا يقتصر على الفسقة والمجرمين ((وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)) [الأنفال : 25] .

وذلك لأنهم قصروا في واجب إنكار المنكر وتغييره ، وإذا رتع الناس في الحرام واستمرؤوا فعل المعصية ولم يوجد من ينكر عليهم ويوقظهم من غفلتهم وينتشلهم من المستنقع الآسن الذي سقطوا فيه فإن غضب الله يتنزل ((لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ (78)كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ)) [المائدة : 78-79].

مالنا ألا يعذبنا الله وثوابتنا ومسلماتنا أصبحت حمى مستباحا يرتع فيه كل ساقط وساقطة وتكدره جرذان العلمنة وفئران التغريب

ومالنا ألا يعذبنا الله والمترفون في قريتنا فسقوا فيها بأفعالهم وأقوالهم وقراراتهم (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً) [الإسراء : 16].

ومالنا ألا يعذبنا الله ودعاة التغريب والفجور يدعون نساءنا إلى نار الانحلال والانحطاط وإلى جحيم التبرج والاختلاط عبر بوابة العمل وتحت شعار الحقوق المهضومة وكأن ربها ظالم لها حينما ناداها ((وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ)) [الأحزاب: 33]

ومالنا ألا يعذبنا الله ونساؤنا ينخدعن بالدعايات الكاذبة وينجرفن وراء الأبواق الخاسئة التي تتدثر بدثار الإصلاح وتلبس لبوس المصلحة والله يعلم إنهم لكاذبون ،

وكلام ربنا أصدق ((وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً)) [النساء : 27].

ومالنا ألا يعذبنا الله وقد هجرت المساجد فأكثر من ثلثي الناس لا يشهدون الفجر في المساجد ، وآخرون لا يركعون مع الراكعين

ومالنا ألا يعذبنا الله وقد استحل أناس الحرمات وخاضوا في المتشابهات وتساهلوا في التعامل بالربا ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ)) [البقرة : 278-279]

وما لنا ألا يعذبنا الله وقد ضعفت الهمم في إنكار المنكرات فقلما تجد منكرا ، وإن وجد فعلى خوف واستحياء ، وحتى رجال الحسبة لم يسلموا من أذى المجرمين ، وكذب الكتبة الكاذبين ، وسخرية المنافقين . عن حذيفة عن اليمان: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)) رواه الترمذي.

وفي الحديث الآخر ((إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة)) رواه احمد.

وإذا جاهر الناس بالمعصية وكثرت الخبائث فإن ذلك إيذانا بقرب الخراب وحلول العذاب ، وتلك سنة الله ((أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال: نعم إذا كثر الخبث)) رواه البخاري.

لأقول هذا تيئيسا ولا إرجافا ولا تهويلا ، وإنما تذكيرا وتحذيرا ، تذكيرا لسنن الله وتحذيرا من الأمن من مكر الله , إن المسلمين اليوم مطالبون بالقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن يكون بينهم التناصح والتواصي بالحق وأن لا يتركوا سفينة المجتمع لعبث العابثين وتصرفات المنحرفين ، ولا يقولن قائل اتسع الخرق على الراقع، فإن في الأمة خيرا كثيرا والفساد مهما اعتز أهل وانتفشوا فإن سعيهم في تباب وإن الله لا يصلح عمل المفسدين ، فإن قال قائل : لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا فقولوا معذرة إلى ربكم ولعلهم ينتهون

وإن تبعات تغيير المنكر ثقيلة وتكاليف مناهضة الباطل باهظة وتتطلب جهدا وجهادا وصبرا ومصابرة والعاقبة للمتقين.

هذا لكي نأمن عذاب الله ونتقي عقوباته وبطشه وإن عقابه أليم وبطشه شديد ((فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ)) [الأعراف : 165] .

ولا تغتروا يا مسلمون بتوالي النعم وانفتاح البركات والخيرات واستمعوا إلى قول أصدق القائلين ((وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) [الأنعام : 42-45].

لقد جاءنا من ربنا إعصار فيه غبار، فما يؤمننا أن يكون الإعصار القادم إعصارا فيه نار.

فعلينا أن نحذر أن نكون ممن إذا ذكروا لا يذكرون وإذا رأوا آية يستسخرون وممن يخوفهم ربهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا

أللهم غفرانك ونعوذ بك من نيرانك ونسألك الهدى إلى رضوانك، آمين آمين .

============

جلسة على الرصيف مع أصدقاء "أرلا"

عمدت صحيفة دنماركية للإساءة للرسول الكريم محمد بن عبد الله –عليه الصلاة والسلام، ولم تكن تدرك يومئذ خطورة هذا الفعل، ولم تكن تدرك مدى حب الرسول في قلوب أمته، وثارت ثائرة أمة محمد عليه الصلاة والسلام نصرة لنبيها، ولكن للأسف أمة المليار لا تملك قوة عالمية تعاقب الجاني بما يشفي غيظ القلوب، ويليق بحق الرسول، ولكن "لمة الملك" في قلب كل مؤمن ألهمت الأمة لانتفاضة شعبية سهلة التطبيق ولكن عظيمة الأثر: ألا وهي المقاطعة الشعبية للمنتجات الدنماركية، وتعاون الموردين والتجار –أصحاب المحلات– والمستهلكين جميعاً في هذا العمل الذي لا أشك أنه من باب التعاون على البر والتقوى، ولذلك لم تنتظر الأمة صدور

فتوى شرعية بالمقاطعة من أية جهة، وإنما بدأتها من تلقاء نفسها لعظم الجريمة ووضوح شرعية المقاطعة، وعظم حب الرسول –عليه الصلاة والسلام– في قلوب أتباعه، وكان المؤمن يزداد إيماناً حين يرى الأرفف خالية من منتجات دنماركية، ويرى لافتة "كانت هنا منتجات دنماركية"، ويجد المؤمن بعض من تلك الحلاوة الإيمانية التي تحدثت عنها النصوص الشرعية، فيمن أعطى لله ومنع لله وأحب في الله وأبغض في الله، وعاشت الأمة حركة تجديدية للإيمان بجميع الفئات من أب وأم وطفل وعجوز، واتسمت مقاطعة الدنمارك بالسهولة البالغة لوجود البديل من المنتجات المحلية، وازداد المؤمنون فرحاً وإيماناً عندما رأى كل فرد أن مقاطعته آلمت شاتم رسوله وأوجعته في الصميم، وازدادت حدة المقاطعة مع ازدياد استكبار وعناد الحكومة الدنماركية، وتعاون الكفار معها.

لم تكن بين المستهلك المسلم وبين الشركة التي أنتجت "لورباك" و "بوك" و"البقرات الثلاث" و "دانو" أية عداوة شخصية، بل إن غالبية المستهلكين لم يكونوا يعرفوا اسم الشركة المنتجة "أرلا" إلا مؤخراً، وكان يكفيهم أن يتأكدوا من أنها منتجات دنماركية وحسب، وهذه طبيعة المجتمعات البشرية في حالة المقاطعات، فقد قاطعت قريش بنو هاشم بمسلمهم وكافرهم، واليوم نعتقد مقاطعة جميع منتجات إسرائيل وأنها عبادة ودين ندين الله بها، ومما اتفقت عليه الشعوب المتحاربة أن تعامل الأفراد معاملة الدولة المتحاربة معها.

ومع تخاذل حكومات الدول الإسلامية فإن المعركة في الحقيقة هي بين محبي الرسول من الأفراد وبين الحكومة الدنماركية، والسلاح الوحيد هو مقاطعة المنتجات الدنماركية، وحسب علمي فإن المنتجات الدنماركية المشهورة في الأسواق الإسلامية تنحصر في خمسة ماركات: لورباك، بوك، البقرات الثلاث، دانو، وسن توب، والأربعة الأول كلها تنتجها شركة "أرلا"، ومن الطبيعي جداً أن تلحق "أرلا" خسائر فادحة إذا امتنعت شريحة كبيرة من زبائنها الأثرياء من الاستهلاك، ومن الطبيعي جداً لعباد المال الرأسماليين أن يسلكوا جميع الشعاب لاستعطاف الزبائن الغاضبين.

لم أتألم كثيراً حين نادى التغريبيون من أبناء المسلمين لرفع المقاطعة، لأنهم ينادون من جملة ما ينادون به تحرير المرأة، وتغيير المناهج الدراسية، وإشاعة الفاحشة في

المجتمع، ولكني تألمت كثيراً من ظلم ذوي القربى، تألمت من شخصيات إسلامية بارزة تصدر بياناً بوأد المقاطعة في مهدها! وتصدر بياناً باستثناء "أرلا" من القائمة السوداء، هل رأيتم باستثناء تشمل 90% من المجموع وتبقي 10% من ضمن القاعدة ؟! إن هذا البيان ينادي نداءً غير مباشر ويقول: اشتروا كل البضائع الدنماركية ما عدا "سن توب"، لأن المستهلك العادي في الدول الإسلامية لا يعرف إلا هذه الأصناف الخمسة المذكورة آنفاً.

كان من المفترض أن من يشتغل بالدعوة الإسلامية وطلب العلم أن لا يستخف به اللذين لا يوقنون، ولا ينخدع بوعود الغارق في اليم، لقد اطلعت على الموقع الرسمي لشركة أرلا والتي هي بوابتها العالمية، فإذا هي تتحدث عن هذه الوعود بصوت خفي، شأن المنافقين اللذين: ((وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ)) (البقرة:14).

ولم تظهر "أرلا" –أمام المجتمع الأوروبي– أية استنكار للمساس بجناب المصطفي –عليه السلام– وإنما أبدت رغبتها لتمويل مشاريع "إنسانية" من رعاية المعوقين ومرضى السرطان، ورفع المجاعة في العالم الإسلامي، ومثل هذه المشاريع تقوم به منظمات أوروبية عديدة، وبهذه الطريقة استخفت "أرلا" بعقول الصالحين وكسبت أصدقاء جدد، ولم تفقد الأصدقاء القدامى.

ولكني على يقين من أن الأمة اليوم بلغت مرحلة من النضج لا تساوم على مكانة نبيها، ولا يستخف بها عباد المال وأصحاب المصالح، والأيام القادمة تمنح المؤمنين فرصة ثانية لذوق حلاوة الإيمان، عندما يرى المؤمن 90% من المنتجات الدنماركية قد عادت للأرفف ولكنه لا يلمسها، ويقترب تاريخ الانتهاء، ويعرض صاحب المحل تخفيضات "كبرى" ولكنه لا يلمسها كذلك.

إن الحركة الشعبية لمقاطعة الدنمارك لم تبدأ ببيان ولن تنتهي ببيان، وإنما بدأت تلقائياً بالإساءة للرسول، ولن تنتهي إلا بإعمال الصارم المسلول على شاتم الرسول، وإن المناداة بمصادقة شركة دنماركية تنتج 90% من المنتجات لهو إعلان بوضع السلاح الوحيد أمام العدو العنيد. وأخيراً هذه آيات أهديها للدعاة الأفاضل اللذين استعجلوا بإصدار البيان وهم في المؤتمر العالمي لنصرة النبي عليه الصلاة والسلام.

((فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مُّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ)) (الأعراف: 169،170) .

==============

حالة العرب قبل وبعد البعثة

إنَّ الحمدَ لِله نحمدهُ ونستعينهُ, ونستغفرهُ, ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا, ومن سيّئاتِ أعمالِنا, منْ يَهدِهِ اللهُ فلا مُضلَ لهُ, ومنْ يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أنَّ لا إله إلا الله وحدهُ لا شريكَ له, وأشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسوله، ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)) (آل عمران:102).

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)) (النساء:1).

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)) (الأحزاب:71،70).

أما بعدُ: فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله, وخيرُ الهدي هديُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم وشرُّ الأمورِ مُحدثاتُها, وكل محدثةٍ بدعة, وكلَّ بدعةٍ ضلالة, وكلَّ ضلالةٍ في النار، أما بعد:

أيّها المسلمون:

من يطالعُ أخبارَ العرب، وأحوالَ الناسِ في الجزيرةِ العربيةِ، قبل أنْ تشرقَ شمسُ الرسالةِ المحمد، وتضيءَ المعمورةَ بنورِها الساطعِ الوهاج.

فسيظلُ يعجب! ويعجب ولا ينقضي عجبُه! وهو يرى أناساً تمزقُهم الحروبُ القبليةُ الطاحنة، وتشتتُهم الثاراتُ الدمويةُ القاتلة, ويسودُ حياتَهم منطقُ الغابِ بأبشعِ صوره، أناسٌ يعيشونَ بلا هوية، ويَحيونَ بلا قضية, تنزفُ الدماءُ في شوارعِهم وأسواقِهم لأتفهِ الأسبابِ وأسخفِها, وحسبُكَ أنْ تعلمْ أنَّ حرباً ضروساً قد نَشِبتْ بين بكرٍ وتَغْلَب, ودامتْ أربعينَ سنة, إنَّها حربُ البسوس، أي واللهِ أربعينَ سنة، مخلفةً وراءَها أنهاراً

من الدماء، وألوفاً من القتلى, وأضعافَهم من الجرحى والثكلى, أربعينَ سنة من النزيفِ المستمر، والجحيم المستعر، والأحقادِ المتتابعة، والسخائمِ المتراكمة, ثم تفتشُ عن السببِ، وتبحثُ عن مبرراتِ القتالِ ودوافعه، فتكادُ تُجن حين تعرفُ تفاهةَ السبب وسخافَته, فما السببُ يا ترى ؟ ما السببُ في اشتعالِ الحربِ أربعينَ سنةٍ من غير توقف ؟هل هو الجهادُ في سبيل الله وإذلالِ الكفار ؟ كلا, هل هو حمايةُ الثغورِ ودفعُ الصائلِ ؟ كلا، هل السبب أنَّ علجياً رومياً صفعَ امرأةً مسلمةً في عمورية ؟! كلا, إذن ما السبب ؟ إنَّ السببَ باختصار أنَّ رجلاً يقالُ له كُليب, رمى ضرعَ ناقة، نعم ضرعَ ناقة لامرأةٍ يقالُ لها: البسوسُ بِنتُ منقذ، فاختلطَ دمُها بلبنِها, فقام جساسُ بنُ مرة فقتلَ كُليباً, فنشبتْ الحرب من أجلِ ناقة, نشبتْ الحرب أربعينَ سنة، حتى ذهبَ الرجال، وثَكِلتْ الأمهات، ويُتِّم الأطفال، دموعٌ لا ترقأ, ودماءٌ لا تجفّ, وجِراحٌ لا تجدُ من يُضمدها, وجثثٌ لا تجدُ من يواريها, من أجلِ ناقة !! هذه واحدةٌ من سخافاتِ العربِ وحماقاتِهم, ومثلُها أو أسخفَ منها معركةُ داحسٍ والغبراء ، التي اشتعلتْ نيرانِها, واكفهرَّ دخانُها, لأنَّ داحساً: وهي فرسٌ لقيسِ بنِ زُهير سُبقت نعم سُبقت في رهانٍ بين قيسٍ وحذيفةَ بن بدر, فتلا ذلك قتلٌ, ثم ثأرٌ، فتنةٌ لا تنطفي, وظلمٌ لا ينتهي, لقدْ كانتْ أوضاعاً مأساويةً لا تطاق, وحياةً جهنميةً لا تُحتمل، تلك التي عاشها العربُ في جاهليتِهم, يُلخِّصها المغيرةُ بنُ شعبة وهو يخاطبُ ملكَ الفرسِ الهالك، قبيلَ معركةِ القادسيةِ بسويعات.

فيقول: أيها الملك فأمَّا ما ذكرتَ من سوءِ الحال، فما كانَ أسوأَ حالاً منَّا, وأمَّا جوعُنا فلم يكنْ يشبهُ الجوع, كنَّا نأكلُ العقاربَ والحيات ونرى ذلكَ طعامَنا، وأمَّا منازلُنا فهي ظهرُ الأرض, ولا نلبسُ إلا ما غَزَلنا من أو بارِ الإبل، وأشعارِ الغنم, دينُنا أن يقتلَ بعضُنا بعضاً, وبعضُنا يَبغي على بعض, وإنْ كانَ أحدُنا ليَدفنُ ابنتَه وهي حية كراهية أن تأكلَ من طعامه, هكذا يلخصُ المغيرةُ حالَهم في الجزيرة, قبل أنْ يضربَ الإسلامُ بحرارتهِ فوقَ الأرض, وقبلَ أن يمتنَّ اللهُ على عبادهِ ببعثةِ الحبيبِ المصطفى، والنبيِ المجتبى عليه أفضلُ الصلاةِ والسلام.

فتحدثُ المعجزة، وتتمُ النِقلة في فترةٍ قياسيةٍ من عمر الزمن, لا يوجدُ لها نظيرٌ في قديمٍ أو حديث, فإذا بالوحوشِ الضارية، والسباعِ الجائعةِ، تتحولُ في أغربِ انقلابٍ

عرفتهُ الإنسانية, إلى رهبانٍ في الليل فرسانٍ في النَّهار, فما أنْ يتشربَ أحدُهم معنى لا إله إلا الله، وتخالطَ شِغافَ قلبهِ، وتلامسَ شفافيةَ روحهِ، إلا وتنقلبُ حياتُه ظهراً لبطن, فَيظهرُ من روائعِ الإيمانِ واليقينِ لديه، ومن خوارقِ الصبرِ والشجاعة ما يُحيرُ العقول، ويُديمُ الدهشة، ويُطيلُ العجب .

أيها الأحبةُ الأفاضل: لقد صَنَعَ النبيُ– صلى الله عليه وسلم– من الحمقى والمغفلين، والمتطاحنين داحسٍ والغبراء، وحربِ البسوس، والفِجَار, لقد صنع منهم مجتمعاً مِثالياً فريداً, فريداً في قيمهِ, فريداً في أخلاقهِ, فريداً في تعامله، فريداً في عطائهِ, فريداً في إيثارهِ, فريداً في وحدةِ أبنائه, وهذه الأخيرةُ بالذات عجيبة العجائب, وفريدة الفرائد، فإنَّك مهما قلَّبتَ النظر، وتأملتَ التجاربَ الإنسانيةَ عبرَ التاريخ، وما جرى ويجري من محاولاتٍ وحدويةٍ بين المجتمعات, فلن تجدَ أنموذجاً وحدوياً, كذلك الذي صنعهُ النبيُ– صلى الله عليه وسلم– بين أصحابهِ, ذلك الأنموذجُ الوحدوي, الذي قامَ على ركائزٍ من العقيدةِ راسخةً, وقواعدَ من الإيمانِ ثابتة, لا تتنازعُها الأهواء، ولا تتجاذبُها السُبل .

لقد خطط النبيُ– صلى الله عليه وسلم– بعبقريتهِ الفذة، ومهارتهِ الفائقة، ليحصلَ التوافقُ والتلاؤم والوحدة, بين جماعةِ المهاجرينَ وجماعةِ الأنصار، تلك الجماعتان اللتان أصبحتا فيما بعد، نواةَ الدولةِ الإسلاميةِ الأولى، ونقطةَ الانطلاقة لدولةِ الإسلامِ العالمية، تلك الدولة التي حكمتْ يوماً ما ثلاثةَ أرباعِ العالمِ المعروف آنذاك، لقد جاهدَ النبيُ– صلى الله عليه وسلم– لتحقيقِ الوحدةِ بين أمته، على أساسِ العقيدةِ الراسخة، والعبوديةِ الخالصة, وتناسي الماضي الدموي، والتعصبِ القبلي, والتعالي على كلِّ الروابطِ الأرضية، التي تجمعُ بين الناس في تكتلاتٍ هشةٍ باليةٍ قابلةٍ للسقوط عند الدفعةِ الأولى, لقد كانتْ وحدةً إيمانيةً بالدرجةِ الأولى, خاليةً من الشعاراتِ الفارغة، والمضامينِ التافهة, والعصبياتِ المنتنة, وهذا سرُّ نجاحِها وتفوقها، واستمرارِ بقائِها حِقبةً من الزمن ليست باليسيرة، كانتْ الأمةُ فيها مضربَ المثل في التلاحمِ, والقوةِ والوحدة .

حتى دارَ الزمانُ دورَته, وعادَ الإسلامُ غريباً كما بدأ, وإذا بالدولةِ الإسلاميةِ التي لم يكنْ ليتجاوزَ أرضُها ماءُ السحاب, إذا بها مفتتةَ الأجزاء, مُمزقةَ الأشلاء, مبعثرةَ

القوى, وإذا بالأُمـةِ الواحـدة تتقسـمُ شيعاً وأحزاباً, كُـلُّ حـزبٍ بمـا لـديهم فرحـون, وإذا بالرابطةِ العقدية التي كانتْ تجمعُ الأمةَ وتوحدُها, إذا بها تُحملُ إلى متحفِ التاريخ, وذكريـاتِ الأمس, وتستبدلُ بـروابطَ جاهليـةٍ من قوميـةٍ وعشـائريةٍ ونحوِها, وأصبحتْ محاولاتُ المسلمينَ الوحدوية تقومُ على أساسِ اللغةِ، أو الإقليمِ، أو الأصولِ العرقيـةِ المشتركة, وغابَ عن أولئكَ الجهلة أنَّ أيَّ محاولةٍ للوحدةِ بين المسلمين لن يكتبَ لها النجاحُ والاستمرار, ما دامتْ مفتقرةً إلى العقيدةِ الراسخة, والإيمانِ الحي المتوهجِ في النفوس.

ويشـهدُ لـذلك تلك المحـاولاتُ الوحدويـةُ الكثيـرة, التـي عَرفهـا المسلمون فـي عصـورِهم المتـأخرة، والتـي لـم تقوى علـى البقـاء غيـرَ أسـابيعَ معدودة، أو أشـهرٍ محـدودة, ثـم تحولتْ بعد ذلك إلى عدا واتٍ مستحكمة، ونزاعاتٍ مستمرة, وإذاعاتٍ وأبواق لا تملُّ مـن الشـتمِ والسـباب, ولقـد كـانَ أحـرى بالمسـلمين أن يسـتوعبوا المـنهجَ الـذي اختطـهُ المصطفى– صلى الله عليه وسلم– لنفسهِ، وهو يسعى جاهداً لتوحيدِ الأمـة, وجمـعِ شَـتاتِها علـى أسـاسِ العقيـدةِ الراسـخة، والإيمـانِ المتغلغـلِ فـي النفوس, لكنَّهم غفلـوا وعَمُوا وصَمُّوا, ثم عَمُوا وصَمُّوا عن ذلك المنهجِ الأصيل, وأعجبوا بالشعاراتِ الزائفة, والنزاعـاتِ الطائفيـة المنتنـة, واغتـروا بمـن حـولَهم مـن الكفـار الـذين أقـاموا تحالفـاتِهم وتكتلاتِهم, وأنشاؤا جمهورياتِهم على أساسٍ قوميٍ أو وطني .

ونسيَ المسلمون ما آلتْ إليه كثيرٌ من تلك التحالفاتِ, والاتحاداتِ الكافرة من الفشلِ الـذريع, والسـقوطِ السـريع, فلقـد رأى الجميـع كيـف انهـارَ مـا كـان يُسـمى بالاتحـادِ السوفييتي وانتبه – رعاك الله – إلى كلمةِ (الاتحاد), فلقدْ تفتتَ ذلك الاتحاد، وأصبحَ أيادي سبأ, ذلك الاتحاد الذي افتتنَ الكثيرونَ بصلابتهِ وضخامتهِ، وشدةِ بأسهِ وقوتهِ، فراحوا ينادونَ باتخاذِ منهجه، واقتفاءِ أثره !

وهذا الاتحـاد اليوغسـلافي الـذي ظلَّ متماسكاً صـلباً لعقودٍ مـن الـزمن، إذا بـه ينهارُ فجأةً، ويتمزقُ إلى دويلاتٍ متناحرةٍ، يَنشبُ بينها صراعٌ دمويٌ عنيف، وتوجسٌ وشك عنيف، وما ذلك إلا لكونهِ إتحاداً يقومُ على الإقليميةِ، والنزعةِ القوميةِ الجاهلية .

وهذه ايرلندا التابعةُ للمملكةِ المتحدة، وانتبه لكلمة (المتحدة) أيضاً هاهي ايرلندا منذ عشراتِ السنين، وهي في مناوشاتٍ مستمرة، ومحاولاتٍ متتابعةٍ للانفصال، مع أنَّ

اللغـةَ واحـدة، والديانــةَ نصـرانيةٌ وثنيــةٌ مشـتركة, ومـع ذلـك هـم جـادونَ فـي طلـبِ الانفصال وتفتيتِ المملكةِ المتحدة، والدولةِ التي كانتْ لا تغيبُ عنها الشمس.

وهذه مقاطعةُ كيبوك في كندا، لها سنواتٌ طويلة وهي تطالبُ بالانفصال عن الاتحادِ الكندي، ممَّا أجبرَ السُلطاتُ إلى إجراءِ استفتاءاتٍ شعبيةٍ, أظهرتْ نتائجُها أنَّ تسعاً وأربعينَ فـي المائـة مـن سكانِ المقاطعـة, يرغبـونَ بالانفصـال, مـع أنَّ الجميـعَ يـدينُ بالنصرانية، وتعودُ أصولُهم العرقيةُ إلى منشأٍ واحد .

بل هذه الولاياتُ المتحدةُ الأمريكية، قبلةُ المفتونين, ومَضربُ المثلِ في القوةِ والاتحاد، لدى الانهزاميين في شرقِ المعمورةِ وغر بها.

هـاهي الدولـةُ الكُبرى، والقـوةُ العظمـى، قـدْ بـدأتْ فيهـا بـوادرُ الفُرقـةِ والانهيـار, فقد أظهرتْ بعضُ الولاياتِ الغنيـة كثيراً مـن التبرمِ والتضـجر، مـن جراءِ تحملِهـا عـبءَ الولايـاتِ الفقيـرة واسـتنزافِها لحجـمٍ هائـلٍ مـن مواردِهـا الاقتصـادية, وعوائـدِها الماليـة، ناهيكَ عن نشوبِ النزاعـاتِ العرقيـةِ بين الطوائـفِ المتنـافرة ذاتِ الأصـولِ المختلفـة، والتي قدمتْ البلادَ من أوطانٍ شتى تحملُ ثقافاتٍ متباينة، وولاءَاتٍ متضاربة.!

إنهـا نمـاذجُ نسوقُها مـن بـلادِ الكفرِ والإلحـاد، ليعتبرَ بهـا المخـدوعون ببريـقِ الكفارِ وزيفِهم, لعلمنا بأنَّ البعض لا يكفُّ عن سفهِهِ، ولا يتوقفُ عن حماقتهِ, ولا يتخلى عن رأيه, إلا حين تذكرُ لـه العبرةُ من أسيادهِ في الغربِ أو الشرق، هذا إن كـانَ منصفاً, وإلا وما أكثرُ الناسِ ولو حرصتَ بمؤمنين .

بـارك الله لـي ولكم بـالقرآن العظيم، ونفعنـي وأيَّـا كـم بالـذكرِ الحكيم، واستغفر الله لـي ولكم إنَّهُ هو الغفورُ الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله يُعطـي ويمنـع, ويخفضُ ويرفـع, ويضـرُ وينفـع, ألا إلـى اللهِ تصيرُ الأمـور. وأُصلي وأسلمُ على الرحمةِ المهداة, والنعمةِ المُسداة, وعلى آلهِ وأصحابه والتابعين.

أمَّا بعدُ:

فحـين تُحـاكُ المـؤامرات، وتُطـلُ الفـتنُ بوجهِهـا القبـيح تتعـالى الصـيحات وتتـوالى النـداءات، بأهميـةِ تحقيـقِ الوحـدةِ بـين أبنـاءِ الأمـة, وضـرورةِ ترسيـخِ مبـدأِ التكـاتفِ والتعاونِ بين الجميع, والتصدي للمتآمرين, وهذا مطلبٌ حسنٌ ما أجمله, لكنَّ السؤالَ

الذي يفرضُ نفسَه، كيف تكونُ الوحدة ؟ وعلى أي شيء تَعتمد ؟ وما مقوماتها ؟! إنَّ الكيفيةَ الوحيدة، والمنهجيةَ الفريدة التي يمكنُ من خلالِها تحقيقُ الوحدةِ بين أبناءِ الأمة, هي ذات الكيفية، وعينُ المنهجية التي سلكَها رسولُ اللهِ– صلى الله عليه وسلم– مع أصحابهِ يومَ أمضى ثلاثةَ عشرَ عاماً وهو يدعوا إلى تصحيحِ المعتقد، وغرسِ التوحيد في النفوس لكي يعبدَ الجميعُ إلهاً واحداً, وتتجهَ القلوبُ إليه دونَ سواه, وتصرفَ الولاءَ له وحده دون غيره .

وبتلكَ المنهجيةِ النبوية، تحققتْ الوحدةُ بين المسلمين في المدينة، في أجملِ صورِها، وأبهى حُللِها, لقد كانَ بإمكانِ رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم– أن يرفعَ رايةَ الوطنيةَ في مكة, فيستجيبُ له أهلُ مكةَ كُلُّهم, أو يرفعَ رايةَ القومية فيستجيبُ له العُرب أجمع, وتتحققُ الوحدةُ بين الجميع تحتَ تلكَ الرايةِ الجاهلية، وبذلكَ يُجنِّب رسولُ اللهِ– صلى الله عليه وسلم– نفسَه مشقةَ مواجهةِ قريشٍ وغيرها، لكنَّه عليه السلام فضَّل الصبرَ والمصابرة، والجَهدَ والعَناء، لتكونَ وحدةَ الأمة قائمةً على أساسٍ متين من العقيدةِ الراسخة، والإيمانِ القوي المتين.

مهما تأخَّر تحقيقُ الوحدة، وتتطلبَ النفسَ الطويل.

والأمةُ اليوم إن كانتْ جادةً في تحقيقِ الوحدةِ وترسيخِها، فلتعلمْ أنَّه لا وحدةَ إلا بالتوحيد، ولا تكاتفَ ولا تعاونَ إلا إذا صحَّ المعتقد، وآمنَ الجميعُ بإلهٍ واحد, ونبيٍ واحد، وقرآنٍ واحد, وشريعةٍ واحدة, وداسوا بأقدامِهم كلَّ الدعواتِ الأجنبية والعصبياتِ الجاهلية، والشعاراتِ الوافدةِ من الشرقِ أو الغرب، والتي يرفعُ رايتها ويتولَّى زمامَها دعاةُ العلمنةِ والتغريب, وأصحابُ الأهواءِ ومرضى القلوب, والذين ذاقتْ الأمةُ بسببِهم الفُرقةَ والقطيعة، والنزاعات والقلاقل, في أنحاءَ شتىَ من عالمِنا الإسلامِي الكبير, ألا إنَّها دعوةٌ مشفقة إلى العودةِ إلى الإسلام عودةً شاملةً، عقيدةً وشريعةً, ومنهجَ حياة .

ألا إنَّها دعوةٌ، إلى العودةِ إلى الأصول التي قامتْ عليها دولةُ الإسلامِ الأولى, وتصحيحِ الأوضاع، وتقويمِ المسيرة, واستكمالِ النقص، وتسديدِ الخلل, وإلا رحم الله أبا الدر داء ورضي عنه إذ يقول: ما أهونَ الخلقِ على الله إذا هم خالفوا أمره, وبدَّلوا شَرعه.

اللهمَّ إنَّا نسألُك إيماناً يُباشرُ قلوبنا، ويقيناً صادقاً، وتوبةً قبلَ الموتِ، وراحةً بعد الموتِ، ونسألُكَ لذةَ النظرِ إلى وجهكَ الكريمِ, والشوق إلى لقائِكَ في غيرِ ضراءَ مُضرة، ولا فتنةً مضلة.

اللهمَّ زينا بزينةِ الإيمانِ، واجعلنا هُداةً مهتدين, لا ضاليَن ولا مُضلين, بالمعروف آمرين, وعن المنكر ناهين، يا ربَّ العالمين, ألا وصلوا وسلموا على من أُمرتم بالصلاة عليه، إمام المتقين، وقائد الغرِّ المحجلين وعلى ألهِ وصحابته أجمعين.

وأرض اللهمَّ عن الخلفاءِ الراشدين أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي.

اللهمَّ آمنا في الأوطانِ والدُور، وأصلحِ الأئمةَ وولاةِ الأمورِ, يا عزيزُ يا غفور, سبحان ربك رب العزة عما يصفون.

=============

أين قَلَمُكِ ؟!

أختي المسلمة :

لعلكِ تقرئين وتسمعين الهجمة ضدكِ، والتي تارة تكون بدعوى أنكِ مظلومة ! وتارة أنكِ مضطهدة ! وأخرى أنكِ مسلوبة الحقوق ! وأنكِ معطلة ! وأنكِ ينبغي أن تتحرري من القيود! وأنكِ... ! وأنكِ ... ! سلسلة لا تنتهي من العبارات المنمقة التي ظاهرها الرحمة وباطنها تغريب مخطط له، لتصبحي سلعةً رخيصةً كما في الغرب، ومع الأسف تأثر بظاهرها بعضهن – وهن قلة – سواء علمن أم لم يعلمن، وهذه الهجمةُ صُنعت في بلاد الغرب، وبُثت في بلاد المسلمين: وتولى كِبر بثها نفر من أبناء جلدتنا ممن يتكلمون بألسنتنا– مع الأسف– وفُتنوا بكلّ ما عند الغرب عُجَرِهِ وَبُجَرِهِ .

– أختي المسلمة:

السؤال الذي يطرح نفسه: أين أنتِ من هدف هؤلاء ؟ أين رأيك ؟ أين صوتك ؟ أين وقفتكِ ضد هذا المد التغريبي ؟ لقد بذلوا أوقاتهم وأعمارهم لِما يهدفون إليه ويخططون من أجله، وأنتِ صاحبة الشأن والمستهدفة، لا بد أن يكون لك صوت مسموع للوقوف في وجه تيار التغريب والتحرير.

– أختي المسلمة:

من أقوال العرب: (القلم أحد اللسانين)، فالقلمُ وسيلة قوية للتأثير والتعبير، والوقوف في وجه الأقلام المسمومة، ولذلك نجد دعاة التغريب استغلوه وأسسوا له المنابر المؤثرة، فأنتِ صاحبةُ الحقّ لكِ رأي آخر في مقابل رأيهم لا بد من ظهوره، فإذا وهبكِ الله قلماً سيالاً فلا تترددي في الردّ عليهم بالحجة والبرهان والسنة والقرآن: ((بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ)) (الأنبياء 18). وبيان حقيقة مكانة المرأة في الإسلام، وأنها مصونةٌ محفوظةٌ، فاكتبي مقالاً أو بحثاً أو كلمةً في مجلةٍ أو جريدةٍ، وإذا أغلقت دونك تلك المنابر فقد فتح اللهُ لكِ أبواباً أخرى مثل (الشبكة العنكبوتية)، فالمواقع التي تقبلُ رأيكِ كثيرة جداً ولله الحمد.

– أختي المسلمة:

لقد كان لبعض الأخواتِ – جزاهن الله خيراً – إسهامٌ مشكورٌ في الوقوف ضد موجة التغريب من أمثال د. أميمة الجلاهمة و د. نورة السعد ود. نجاح الظهار ومشاعل العيسى وغيرهن ولكن الميدان بحاجة إلى أقلام كثيرة لأن دعاة التغريب قد أجلبوا عليكِ بخيلهم ورجلهم ، وجعلوا من المرأة قضية الأمة التي إذا لم تحل فإن العالم سيعيش في شقاء عظيم – زعموا –!، وضربوا صفحاً عن قضايا أكبر وأعظم .

– أختي المسلمة:

أختم بهذه الآيات، يقول الله:((إِنَّ اللهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ)) (يونس: 81).

ويقول:((قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ)) (المائدة : 100).

ويقول:((وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)) (الإسراء: 81) .

==============

بيان حول حقوق المرأة ومنزلتها في الإسلام

الصفحة 1 لـ 2

الحمد لله رب العالمين والصلاة و السلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد :

فقد جاءت هذه الشريعة شريعة الإسلام خاتمة الشرائع المنزلة من عند الله بما فيه صلاح أمر العباد في المعاش والمعاد ومن ذلك : الدعوة إلى كل فضيلة والنهي عن كل رذيلة ، وصيانة المرأة وحفظ حقوقها خلافاً لأهل الجاهلية قديماً وحديثاً الذين

يظلمون المرأة ويسلبون حقوقها جهاراً أو بطرق ماكرة ، كالذين يدّعون الاهتمام بشؤون المرأة ويدْعون إلى تحريرها من الحدود الشرعية لتلحق بالمرأة الغربية الكافرة ، ويسندهم في ذلك أعداء الإسلام سيّما في هذه الأيام التي تتعرض فيها الأمة الإسلامية إلى حملة شرسة من عدوها بقيادة الحكومة الأمريكية لصدها عن دينها من خلال ما يدّعونه من حقوق المرأة ومنها تغيير مناهج العلوم الشرعية .

وعملاً بواجب النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم نتقدم إلى الأمة بهذا البيان الذي نؤكد فيه على أصل من الأصول الشرعية يتعلق بالمرأة وهو :

وجوب الإيمان بالفوارق بين الرجل والمرأة ، وأن كل دعوة للمساواة المطلقة بينهما فهي دعوة باطلة شرعاً وعقلاً حيث إن لكل من الجنسين وظيفة تختلف عن الآخر وهم مشتركون في جميع مسائل الدين أصوله وفروعه إلا في أشياء مخصوصة للفوارق التي بين الرجل والمرأة وكذلك في شؤون الحياة كلٌّ فيما يخصه .

وقد دل الشرع والعقل والحس على فضل جنس الرجل على جنس المرأة ، قال تعالى : { وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى } آل عمران 36 ، وقال تعالى : { وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكُيمٌ } البقرة 228 ، وقال تعالى : { الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ } النساء 34 ، ولذلك كانت القوامة للرجل ، وحتى عند الذين يدّعون المساواة بين الرجل والمرأة ويحاربون التمييز ضد المرأة يندر عندهم تولية المرأة في المناصب العليا في الدولة كالرئاسة والوزارة ، والقضاء والإدارة وسائر الولايات ، فيجب أن يعلم أن كل ميثاق أو اتفاقية تتضمن ما يخالف شريعة الإسلام فإنه باطل لا يجوز الدخول فيه هذا وقد أبطل الاسلام كل تميز ضد المرأة كان في الجاهلية مما يتضمن ظلمها وهضم حقوقها وامتهان كرامتها ، ومن فروع هذا الأصل :

أولاً : وجوب الحجاب على المرأة ، وتحريم إبدائها لزينتها :

إن الحجاب شريعة محكمة قد أوجبها الله على المؤمنات كما قال تعالى : { وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي

أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } النور 31 ، فجمع سبحانه في هذه الآية بين الغاية وهو حفظ الفروج والوسيلة لذلك وهو غض البصر ، وستر الزينة ، ونهى عن إبدائها ولو بالحركة التي تدل عليها ، وفي هذه الآداب التي اشتملت عليها هذه الآية صيانة لكرامة المرأة ، وسدٌ لذرائع الفساد في المجتمع ليكون المجتمع المسلم طاهراً وسالماً من فشوّ الرذيلة فيه ، كما قال تعالى : { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } الأحزاب 33 .

فيجب على المرأة المسلمة أن تعمل بوصايا ربها ، وأن تتوب من كل ما يخالف ذلك لتفوز بالصلاح والفلاح قال تعالى: { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } النور 31 ، وذلك لا يتحقق إلا بثياب الحشمة وهي الساترة لجميع بدنها ، غير ضيقة ولا شفافة ، وإذ قد أجمع العلماء على وجوب ستر المرأة لشعرها ونحرها ورجليها ، كما قال تعالى : { وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ } النور 31 ، فستر الوجه الذي هو مجمع المحاسن أوجب وأوجب ، ولا يجوز أن يُتخذ خلاف بعض العلماء وسيلة لاستباحة ما قام الدليل على تحريمه ، فإن الواجب عند التنازع الرد إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : { فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً } النساء 59.

ومن المصائب التي حلت بالمجتمعات الإسلامية فشوّ السفور والتبرج الذي هو مطلب للكفار والمنافقين وفسّاق المسلمين ، ولأن ذلك مفتاح لما يريده الكفار بالمسلمين من الانحلال وفساد الأحوال وهو طريق الفاسقين لنيل شهواتهم المحرمة ، قال تعالى في بيان مراد الكافرين والفاسقين : { وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً } النساء 27 ، والميل العظيم لا يتحقق إلا بشيوع الفاحشة ، ودواعيها مما يفضي إلى استحلالها كما وقع في بعض البلاد الإسلامية من إباحة القانون للزنا إذا كان عن تراضٍ ، وتعطيل الحدود التي شرع اللهُ لمنع هذا الفساد المدمر للأمة !

وقد سلك الكفار وتلاميذهم للوصول إلى غاياتهم ؛ طريق التدرج ، فبدأوا في بلادنا بمحاربة ستر المرأة وجهها مستغلين للخلاف في ذلك ، ثم بتشويه عباءات الحشمة ، والإغراءات بعباءات الفتنة من مخصّرة وقصيرة مع التشبه بالرجال بوضعها على الكتف ، ولن يقف أولئك عند ذلك .

ثانياً : وجوب قرار المرأة في بيتها فلا تخرج إلا لضرورة أو حاجة مباحة أو عمل مشروع على وجه ليس فيه مخالفة لما فرض اللهُ من الآداب على المرأة المسلمة ، قال الله تعالى : { وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى } الأحزاب 33 ، ولقد هُيّئ للمرأة في عصر الحضارة الغربية كل الأسباب التي تلغي من الواقع واجب القرار في البيت ، ونفّر المستغربون المرأةَ من القرار في البيت حتى شبهوا البيت بالسجن ، ووصفوا التي لا تخرج الخروج المنشود لهم بأنها محبوسة بين أربعة جدران .

فيجب أن يعلم أن مَن طعن في شرع الله وعارضه فهو كافر ، ومن خالفه بعمله فهو عاصٍ ، ولقد كان مما تذم به المرأة أن تكون خرّاجة ولاجة – وهي التي تكثر الخروج من غير حاجة –والتي هذه حالها ، صفو حسنها ، وتصنعها للشارع ، ومكان العمل والاجتماع ، وكدرها لبيتها وزوجها ، وبئست المرأة هذه ، ومما تمدح به المرأة قرارها في بيتها مع قيامها بحقوق ربها وزوجها وأولادها ونعمت المرأة هذه .

هذا ومن أقبح خداع المستغربين وتغريرهم للمرأة المسلمة ، تعظيمهم للعاملة خارج المنزل حتى ولو كانت مضيفة في طائرة ، وتهوينهم من عمل المرأة في بيتها قياماً بحق زوجها وتربية أولادها مع أنه هو الأصل والأعظم أثراً في الأمة والأجدى في تحقيق التوازن بين الرجل والمرأة .

ومن هؤلاء المخادعين من يلبس فيدعي أن المرأة قادرة على أن تجمع بين واجباتها في المنزل وواجباتها الوظيفية ، وهذه الدعوى أول من يكذبها النساء المنصفات من العاملات ، وأدلّ شيء على ذلك أن أي امرأة عاملة لا بد لها أن تستقدم امرأة تخلفها في البيت إلا ما ندر .

وإمعانا في المكر وتمويه الحقائق تشويهاً للحق وتزيناً للباطل يقوم دعاة التغريب في وسائل الإعلام بالإشادة والتبجيل بمن يكون لها تميّز في الخروج عن حدودها الفطرية والشرعية ولو بعمل لا يمكن أن تمارسه النساء إلا في صورة شاذة كقيادة الطائرة ، وكذا الإشادة ببناتنا في مزاولة الأعمال المدنسة لكرامتهن كالتمثيل مع الرجال وكالغناء والعمل مع الرجال [سكرتيرة] وغيرها من الأعمال المختصة بالرجال ، ولصحيفة عكاظ والوطن والرياض تميز في هذا الباطل.

ثالثاً : وجوب تميز النساء عن الرجال وذلك بعدم الاختلاط في العمل والتعليم والمتنزهات ، وباجتناب كل عمل يؤدي إلى ذلك كالعمل في الإعلام وشركات الطيران والمصانع والمستشفيات ، فإن الاختلاط بين الرجال والنساء في هذه المجالات ونحوها يشتمل على أنواع من المنكرات كالسماع والنظر الحرام والخلوة المحرمة والتبرج والسفور ، وكل هذه أسباب تجرّ إلى الفاحشة ، ولهذا جاءت الشريعة بسد هذه الأبواب ، قال تعالى : { وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً } الإسراء 32 ، ومن الأماكن التي يجب على المسلمة أن تحذرها المشاغل النسائية ، ومحلات [التخسيس] !! فإن هذه الأماكن وإن كانت مخصصة للنساء فإنها غير مأمونة لأنه يرتكب في بعضها أو كثير منها أمور محرمة – بعلم المرتادة لهذه الأماكن أو بغير علمها – كالتصوير وكشف العورات التي لا يحل النظر إليها ولا من المرأة إلى المرأة بل قد يصل الأمر إلى كشف العورة المغلظة ومسّها عند التدليك ، مع أن كثيراً من العاملات في هذه الأماكن مدربات على قلة الحياء ، بل ومنهن الكافرات مما يجعل هذه الأماكن بؤراً للفساد ومصيدة لأصحاب الفجور ، فالتردد على تلك الأماكن سبيل إلى خلع ثوب الحياء ، بل والوقوع في الفاحشة الكبرى .

وبعد فمن المعلوم أن أعظم باب دخل منه على المرأة المسلمة لتغريبها بنزع حجابها وإخراجها عن قرارها والزج بها في بحر الاختلاط ، هو التعليم العصري المستمدة خططه وأهدافه وصيغته من منظمة اليونسكو ، ومن أفكار تلاميذ الغرب المفتونين بهم المنفّذين لأهداف الكفار من حيث يشعرون أو لا يشعرون ، لكن لتعليم المرأة في المملكة تميز فرضه واقع المجتمع فإن هذا التميز – بزعمهم – في طريقه

للاضمحلال على سبيل التدرج حسب استعداد المجتمع للتغيير المرسومة خططه سلفاً ، وأبرز ما تم في ذلك دمج تعليم البنات مع تعليم البنين تحت وزارة واحدة وما ينشأ عن ذلك ، مما يحقق مكاسب لهواة التغريب ، وهذا لأن تعليم المرأة في المملكة كان في نشأته مشروطاً ومحدوداً ، ولم يزل يُطور حتى ذهبت الحدود وخفت القيود ، ولم يبقَ من تميزه عن التعليم في سائر المجتمعات المغرّبة إلا عدم الاختلاط في الأعم الأغلب مع ما تميزت به المملكة في تعليم البنين والبنات من عناية بالعلوم الشرعية .

ولسنا بهذا ننكر تعليم المرأة ، التعليم الذي يربي فيها الأخلاق الكريمة ، ويجعلها بصيرة في دينها قادرة على تربية النشء التربية الصالحة ، بل هذا مما جاءت به شريعة الإسلام التي اشتملت على الفضائل والكمالات وما به صلاح الدنيا والآخرة ومن كمال الشريعة أن جاءت من الأحكام بما يناسب كلاً من الرجل والمرأة بحسب طبيعته وتكوينه لأنها تنزيل من حكيم حميد ، وهو أعلم بما يصلح عباده فلا يجوز أن نسوي المرأة بالرجل في أسلوب تعليمها ، ولا فيما تتلقاه من العلوم أو تزاوله من الأعمال لاختلاف وظيفتيهما واستعدادهما العقلي والجسدي .

وعلى هذا الأساس بنى العلماء الفتوى بتحريم قيادة المرأة للسيارة لأن ذلك يؤدي إلى مفاسد كثيرة ، ومخالفات شرعية مما يتعلق بأحكام المرأة في المجتمع ، ومع ذلك لا يزال المستغربون والعصرانيون يدعون إلى فتح الباب أمام المرأة لقيادة السيارة ليحققوا بذلك مطلباً مضافاً إلى ما تحقق من مطالبهم مما يزعمونه حقوقاً للمرأة وهي المطالب التي يتم بها تغريب المرأة المسلمة .

ومن أعظم الأسباب التي مكنت لهؤلاء من الوصول إلى مآربهم ومطالبهم عدم الغيرة على الأعراض والحرمات أو ضعفها ، فإن الغيرة هي الغضب حماية للعرض والكرامة ، وهي من أشرف الأخلاق ، فإن كانت لله كانت أكمل وأفضل ، وقد كان صلى الله عليه وسلم أكمل الناس غيرة ، ولهذا قال : (أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ وَاللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا

بَطَنَ) البخاري كتاب التوحيد ، وكان صلى الله عليه وسلم لا ينتقم لنفسه ، فإذا انتُهكتْ حرمات الله انتقم لربه .

فعلى المسلمين أن يقتدوا بنبيهم في غيرته وسائر أخلاقه الكريمة صلى الله عليه وسلم ، ليشرفوا بذلك وليتميز مجتمع المسلمين بالطهر والعفاف ، فلا يطمع فيهم الطامعون من دعاة الفساد من الكفار والمنافقين والمخدوعين .

هيأ اللهُ من أمة الإسلام حماة للدين ودعاة مصلحين آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر يُرغم اللهُ بهم أنوف مَنْ يريد الشر بأمة الإسلام ، وفق الله ولاة الأمر إلى كل خير وجعلهم هداة مهتدين .. إنه تعالى خير مسؤول ، وخير مرجوّ ومأمول .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

الموقعون

الشيخ / عبدلرحمن بن ناصر البراك

الشيخ / عبدالرحمن بن حماد العمر

د. عبدالله بن حمود التويجري

الشيخ / د . عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

د. ناصر بن سليمان العمر

الشيخ / محمد بن ناصر السحيباني

د. حمد بن حماد الحماد

د. عبدالرحمن بن صالح المحمود

د. عبدالعزيز بن عبدالمحسن التركي

د. ابراهيم بن علي الحسن

د. عبدالعزيز بن محمد العبداللطيف

د. محمد بن عبدالله بن علي الخضيري

د. صالح بن ناصر الناصر

د. محمد بن عبدالله الوهيبي

د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي

د. عبدالله بن صالح المشيقح

د. سعود بن حمود الصقري

د. عبدالله بن محمد الربعي

د. علي بن سعد الضويحي

د. ناصر بن يحيى الحنيني

د. ظافر بن سعيد الشهري

د. علي بن عودة الغامدي

د. إبراهيم بن عثمان الفارس

د. أحمد بن عبد الله الغنيمان

د . علي بن سعيد الغامدي

الشيخ / صالح بن عبدالله الدرويش

د . فيحان بن شالي المطيري

الشيخ / محمد بن مرزوق المعيتق

د. عبدالمحسن بن عبدالعزيز العسكر

د. عبدالحميد بن عبدالرحمن السحيباني

د. محمد بن عبدالله الخضيري

د. عبدالله بن ابراهيم الريس

د. رياض بن محمد المسيميري

د. عبدالله بن وكيل الشيخ

د. عبدالعزيز بن محمد السحيباني

د. محمد بن عبدالعزيز بن علي اللاحم

د. خالد بن عبدالعزيز الغنيم

د. عبدالله بن سليمان الجاسر

د. ابراهيم بن عبدالله الحماد

د. محمد بن سالم الصيخان

د. حمد بن ابراهيم الحيدري

د . خالد بن عثمان السبت

د. إبراهيم بن ناصر الناصر

د. سليمان بن عبد العزيز العريني

د. أحمد بن محمد البابطين

الشيخ / عبدالعزيز بن ناصر الجليل

الشيخ / حمد بن محمد الزيدان

الشيخ / يوسف بن عبدالله الأحمد

الشيخ / علي بن ابراهيم المحيش

الشيخ / سعود بن زيد آل عميقان

الشيخ / عبدالله بن عبدالرحمن اليمني

الشيخ / سعود بن يوسف الخماس

الشيخ / فريح بن صالح الهلال

الشيخ / سليمان بن ابراهيم المسعود

الشيخ / عبدالرحمن بن عبدالعزيز ابانمي

الشيخ / عبدالله بن محمد القعود

الشيخ / عبدالرحمن بن عبدالله المرشد

الشيخ / منصور بن عبدالرحمن القاضي

الشيخ / محمد بن عبدالرحمن السلامة

الشيخ / فهد بن عبدالرحمن العيبان

الشيخ / محمد بن عبدالله الهبدان

الشيخ / حمد بن صالح الغشام

الشيخ / عثمان بن محمد بن عبدالجبار

الشيخ / سليمان بن جاسر الجاسر

الشيخ / محمد بن عبدالعزيز الماجد

الشيخ / عبدالعزيز بن عبدالله الدخيل

الشيخ / احمد عبدالعزيز الشاوي

الشيخ / خالد بن عبدالرحمن الشاوي

الشيخ / عبدالله بن ابراهيم السعدي

الشيخ / صالح بن عبدالله الرشودي

الشيخ / علي بن عمر السحيباني

الشيخ / علي عبدالله القرني

الشيخ / هاشم محمد الشايع

الشيخ / عبدالله بن احمد السويلم

الشيخ / حمود بن صالح النجيدي

الشيخ / احمد بن عبدالله آل شيبان

الشيخ / سليمان بن عبدالله الوابل

الشيخ / سعد بن سعيد االحجري

الشيخ / ابراهيم بن احمد آل ضبعان

الشيخ / احمد بن حمد بن عبدالقادر

الشيخ / فهد بن محمد القرشي

الشيخ / خالد بن علي ابا الخيل

الشيخ / محمد بن عبدالعزيز الغامدي

الشيخ / عبدالعزيز بن صالح القرعاوي

الشيخ خالد بن صالح العجلان

الشيخ / هشام بن عبد العزيز العمر

الشيخ سلطان بن محمد الدعيلج

الشيخ حمد بن عبد الله الجمعة

الشيخ / عبدالرحمن بن محمد بن الهرفي

الشيخ / عبدالله بن عبدالرحمن الخميس

الشيخ / احمد محمد علي السحيباني

الشيخ / جمال بن ابراهيم عبداللطيف الناجم

الشيخ / عبدالوهاب بن محمد الموسى

الشيخ / عبدالله بن سليمان العميريني

الشيخ / ابراهيم بن عبدالعزيز الرميحي

الشيخ / خالد بن محمد الماجد

الشيخ / عبدالعزيز بن سالم العمر

الشيخ / وليد بن علي المديفر

الشيخ / فهد بن سليمان القاضي

الشيخ / عبدالله بن عبدالرحمن الوطبان

الشيخ / سعد بن عتيق العتيق

الشيخ / سليمان بن عبدالله الراجحي

الشيخ / ابراهيم بن عبدالله العوض

الشيخ / عبدالله بن ناصر السليمان

الشيخ / علي بن عبدالله العجلان

الشيخ / يوسف بن ابراهيم البرجس

الشيخ / عبدالله بن فهد السلوم

الشيخ / صالح بن ابراهيم التويجري

الشيخ / عبدالرحمن بن عبدالله المسند

الشيخ / عبدالله بن محمد البريدي

الشيخ / خالد العايد

الشيخ / عبدالله عايض القحطاني

الشيخ / صالح بن علي ابا الخيل

الشيخ / عبدالله بن سعد الفالح

الشيخ / عبدالعزيز بن محمد الشويش

الشيخ / صالح بن ناصر العمرو

الشيخ / احمد بن حسن آل عبدالله

الشيخ / سليمان بن محمد آل فايع

الشيخ / محمد بن احمد الشبيبي

الشيخ / سعد بن ناصر الغنام

الشيخ / صالح بن منصور البراك

الشيخ / عبدالله بن علي المزم

الشيخ/ مساعد بن عبدالله الشبانة

الشيخ / صالح بن سعيد الشمراني

الشيخ / مازن الفريح

الشيخ / محمد بن عبدالله العوشن

الشيخ / عادل بن عبدالرحمن السنيد

الشيخ عبد المجيد بن ناصر العقل

الشيخ / قرناس بن محمد القرناس

الشيخ حمد بن سليمان الرزيان

==============

غزوٌ من الخارج أم من الداخل ؟

لا غرابة أن نرى أو نسمع أو نشاهد شيئاً من عداوة الكفار، تختلف أديانهم وأهدافهم، ولكن المستغرب حقاً أن نُهدد من داخل بيوتنا، وأن تُشن حملات ظالمة وجائرة على ديننا وقيمنا من أبناءِ جلدتنا، وممن ينتسبون إلى إسلامِنا، أولئك لا بد من الحذرِ منهم والوعي بمخططهم وأهدافهم، ومعرفة منطلقاتِهم، والتعرفِ على أساليبهم في المكرِ والمخادعة، ورسم معالم للموقف منهم، وحماية البلاد والعباد من آثارهم، أجل، لقد بليت الأمةُ بالمنافقين في سالِف تاريخها وعزِّ سلطانها، ونجح المسلمون حينها في كشفِ هؤلاء وتجاوزوا محنتهم، حتى عاد هؤلاء والمنافقون يعتذرون ويحلفون وهم كاذبون، واليوم تتجدد النازلةُ بالمسلمين بهؤلاء، وتتسعُ دائرةُ العداوةِ، ويكثر الإرجافُ والاستهزاء، وتُبلى الأمةُ بهؤلاء المعوِّقين، ويتكرر الموقفُ المسارعُ للكفار، ((فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ)) (المائدة:52).

ويكثُرُ اللمزُ بالمطوعين والسخريةُ بهم وبإسلامهم، وهؤلاء الصنفُ من الناس يركبون كلَّ موجة وكلَّ وسيلة تُحقق لهم أهدافَهم، فهم قوميون – مع ضيق عطن القومية– حين يشتد عودُ القومية، ثم تراهم ينقلبون على القومية– ولو كانت في سبيل الدفاع

عن الحدود والحرمات – وينسلخون منها كما تنسلخ الحيَّة من جلدها، وربما بلغ بهم التخلي عن (الهوية) حداً مجَّدوا معه الغُزاة ورحبوا بالمستعمرين، أيُعقل هذا من مربي ؟!!

أفا يقبل هذا الترحيب بالمستعمر الكافر من مسلم ؟!!

ولولا كلماتُ القوم ما صدّقنا، وهذا أحد المحسوبين علينا ودون خجل يقول: (إنني من أكثر الناس تفاؤلاً بقدوم أمريكا إلى العراق، وعندي أسبابٌ عديدةٌ، أولها إن أمريكا لم تدخل بلداً إلا وحسَّنت من أوضاعِه، إلى أن يقول: إنني واثقٌ أن أمريكا ستلعب في منطقتنا دورَ المعلمِ الحازم الذي يريد النجاحَ لتلاميذه حتى لو تطلب ذلك درساً قاسياً، إن العالم العربي لن يتغيَّر من تلقاءِ نفسِه، لذلك أقول: أهلاً بالنموذج الأمريكي الحرّ، ((وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ)) (البقرة:216) .

جريدة الشرق الأوسط 3 / 4 / 2002 م ، عبد العزيز الدخيل) ..

لست أدري كيف تجرأ الكاتب هذه الجرأة، وكيف تجرأت الشرق الأوسطُ على نقل مقال المسوّق للاستعمار ؟

إننا أمام شريحةٍ في المجتمع غريبةٍ في فِكرها، متطرفةٍ في طرحها، جريئةٍ في استفزازها، ومهما تعددت مُسمياتُ هؤلاء أو اختلف الناسُ في تصنيفهم بين عَلماني وعَصراني ، وعقلاني أو حداثي أو مستغرب، فالمهم أن نعرف انتماءَهم وجذورَهم الفكرية، ومن اعترافاتهم نَدينهم، وحتى لا نتجنى عليهم هذا أحد أصحابِ هذه المدرسةِ يربط بين ثقافتهم وثقافة الغرب وتاريخهم، ويقول: إن الحديث عن حَداثةٍ عربية مشروطٌ تاريخياً بوجود سابق للحداثة الغربية، وبامتداد قنواتِ للتواصل بين الثقافتين » [القائل : محمد برادة، والمصدر د. عبد الرحمن الزنيدي: العصرانية في حياتنا الاجتماعية ص 27] ..

و(العلمانية) التي يُوصفون بها أحياناً، لا يكتفون بالانتماء إليها، بل ويبلغ الهوسُ بهم وبها حداً يتهمون (القرآن الكريم) بالعلمنة ؟ ويقول قائلهم: إن الدراسة المُعمّقةَ للقرآن الكريم تُبين أنه عَلماني المنحى، وإنما حوَّله المسلمون إلى وجهة دينية ؟! [القائل : حسن حنفي ، انظر د. الزنيدي : العصرانية ص 44]

وهؤلاء القوم لا يكتفون بالانخداع والمخادعةِ لمنهج التغريب بل يصرون – مع ذلك – على نقد المناهج التي قام عليها التراثُ الإسلامي ويقول أحدُ كُبرائِهم:

« كي نؤمن بفعالية المنهج العلمي الغربي لا بد أن ننقد المناهجَ التي قام عليها التراثُ عند المسلمينَ قيمتَها في دائرة المنهجية القائمةِ اليوم » ؟ [محمد عابد الجابري ، نقل العقل العربي ، د. الزنيدي ، العصرانية ص 44]

إن نظرتَهم تلك للإسلام والقرآن، وارتباطَهم بحضارةِ الغرب وثقافتهِ، وتسويقَهم لفكرهِ وترحيبَهم بغزوه – كلُ ذلك يجعلنا نتبين هويّة القوم وجذورَهم التاريخية، فلا ننخدع بطروحاتِهم الزاعمة للإصلاح، ولا نُغَرَّ بمقدماتِهم القائلة « في ضوء شريعتنا الإسلامية » أو « وفيما لا يتعارض مع ثوابتنا وقيمنا » أو من مثل قولهم « في إطار قيمِ المجتمعِ ومبادئه » إنها عبارات خادعة، وذرٌ للرماد في العيون ، واستغفالٌ للبسطاء !

أجل لا بد أن نعيَ وندرك ونتدارك الأمرَ قبل فواتِ الأوان، ففي مجتمعنا ناقوسُ خطر، وحصونُنا تُهدد من داخلها، وفينا سما عون لهم، بل ومروِّجون لبضاعتهم ومستبشرون بغزوهم، فهل بعد هذا من خطر !!

إنَّ هذه الشريحةَ في مجتمعنا– وإن قلَّ عددُها– لها امتدادٌ خارجي، ولذا تراهم ينشطون أثر حينما يقترب أسيادُهم من بلاد المسلمين، وتراهم يرقصون على الجراح النازفة ويتلذذون بالمآسي النازلة ، وبالتالي فهم لا يهددون هويتنا الإسلامية فحسب، بل ويهددون كياننَا الاجتماعي والسياسي، ويطمع الغرب ويُراهن على استخدام هؤلاء في فرصِ سلسلاتهم في الشرق الأوسط ، فقد ذكر مسؤولٌ في أحد مراكزِ البحث في (واشنطن) أن المركزَ يعمل لاختيار عددٍ من الشخصيات الإصلاحية، ودعوتها إلى واشنطن للتعاون معها – في سبيل الترويج لمبادرة أمريكا لنشر الديمقراطية في الشرق الأوسط خلال الأشهر القادمة، وأن تلك الشخصيات ستحصل على حمايةٍ ضمنية من خلال حصولها على دعمٍ سياسي وإعلامي سيفرضها على الساحةِ السياسية

(جريدة الحياة) .

وهؤلاء ومرةً أخرى بلا حياءٍ ولا خوفٍ يقولون مستبشرين ومبشرين بالحملة الأمريكية على بلاد المسلمين: « وإذا كانت الحملة الفرنسية على مصر ومشرقِ العرب، أو الصدمة الأولى قبل قرنين من الزمان تقريباً – قد قدمت العرب للحداثة، وقدمت الحداثة للعرب، فإن الحملة الأمريكية سوف تقدم العرب للعولمة، وتقدم العولمة للعرب على أوسع نطاق »

(تركي الحمد ، الشرق الأوسط) ..

إنهم باختصار خطرٌ يتهددنا من الداخل، وخَطرٌ يُهيئ السبلَ للمستعمر، ويبشرَ ويمهد الطريق للغزو الخارجي، ولا غرابة بعد هذا أن تكون حملاتُهم الشعواءُ ضد مناهِجنا الدراسية، ومطالباتُهم المتكررة بالتغيير، وإذا حققوا شيئاً من نجاحاتهم على حين غفلةٍ منا فهل يستطيعون تحقيقَ نجاحاتٍ أخرى ؟ .

إنهم لا يحملون على علماء الأمة ورموزِ الصحوةِ الإسلامية، بل يهددون المجتمعَ بأسره، فإذا صدرت فتوى معتبرةٌ شنَّوا على المفتي حرباً لا هوادةَ فيها كما حصل مع المفتي في بيانه عن فتوى جده الاقتصادي، وإذا نجح نشاط إسلامي أجلبوا عليه، واتهموا القائمين به – كما حصل في تعليقهم على مخيم جُدّه الرسمي .

المرأة لم تسلم من مكرهم، فهم يريدونها سافرةً مختلطة، وغايةُ أمانيهم أن تكون المرأة المسلمة كالمرأة الغربية في ضياعها وحيرتها وشقائها ؟

والإعلام في بلادنا خرجوا به عن حدود السياسة المرسومة، وتجاوزوا بنودَه وموادَه المقررةَ، وتربعوا على ناصيته فلا يُتيحون الفرصةَ إلا قليلاً لمن يخالفهم وينقدُ مسارَهم، أو يطرح طرحاً معتدلاً ونزيهاً.

بل زادوا وتجرؤا على نقدِ السياسات العليا للدولة ليخلخلوها ويطرحوا البديلَ عنها، كما حصل من أحدهم في نقد السياسة العليا للتعليم، حينما استغرب أن يكون من أهداف (المرحلة المتوسطة) : حفزُ همةِ الطالب لاستعادة أمجادِ أمتِه المسلمة التي ينتمي إليها ؟ واستغرب كذلك أن تُخصص سبعة أهداف (في المرحلة الثانوية) للجوانب الإسلامية ؟ [جريدة الوطن 17 شوال 1424 هـ عدد 1168] ..

غريب هذا الطرح في زمنٍ باتت الأممُ تعتزُّ بهويتها – وتُعمق الانتماء لفكرها في مناهج أبنائها، ولكن الأغربَ أن يُسمح لهذا الطرح الفجَّ – وأن يُغفل عن الأهدافِ

من ورائه ؟ وأن تزيد لهجةَ هؤلاء ليسوِّق للفكرِ العفن القادم من الغرب، وحين لا يخفى أن الغرب باشر غزوَ العرب والمسلمين إعلامياً عبر إذاعة (سوا) ومجلة (أهلاً)، وأخيراً أطلقت الإدارة الأمريكية قناة (الحرّة) الفضائية الإخبارية وباللغة العربية – فقد يخفى على البعض أن بعضَ هؤلاء المرجفين المطبلين سَخر في مقالةٍ له بالذين يرفضون (قناة الحرّة)، وقال : أمةٍ تخشى من محطةٍ فضائية مهما كان لونَها ومصدرها هي أمة خائفةٌ ومترددة ، ودعا إلى النظر إلى هذه القناة باعتبارها إضافةً جديدةً للحرية التي نحتاجها مثل حاجتنا للهواء النقي، وفي المقابل يرفضُ هذا المُطبل كلَّ ما تبثه القنوات الفضائية إذا كانت ضد الهيمنة الأمريكية .

أليس هذا بذلٍ وهوان وانتكاس في المفاهيم والقيم ؟! [د.نورة السعد ، الرياض ، 12/28/ 1424 هـ]

إذاً نحن أمام هجمةٍ شرسة على ثقافتنا وقيمنا، وأمام تسويقٍ مفضوح للبضاعة المزجاةِ لأعدائنا، تتكئ هذه الهجمة على الإعلام، وتسخر من مناهجِ التعليم، وتسعى جاهدةً لإفسادِ المرأة ، وترشق بسهامها الموتورة أهلَ الخير، ولا يسلم من نقدها المسؤولون والمنظرون للسياسات العليا في البلاد ، إنها خلخلةً للكيانِ كله، واستهدافٌ للمؤسسات التربوية والدعوية، وتمهيدٌ للغزاة، ومجاهرةٌ بالفسوق وإعلان للتطرف، وتلويحٌ للإرهاب .

فكيف يكون الموقف، وبماذا يُنقذ العباد، وتسلم البِلاد ؟

1- لا بد أولاً من الوعي واستشعار هذهِ المخاطر، ومعرفة أصحابِ اللحن في القول، ورصد التوجهات، والتعرف على الصِّلات والارتباطات.

2- ولا بد ثانياً من النصح والمصارحة لهؤلاء، فقد يكون من بين هؤلاء مُغترٌ فيعود إلى رشده، أو جاهلٌ مستغرق في خيالاته، وتجاربُ من سبقه توقفه على الحقيقة، وهذه تجربةٌ شجاعةٌ يقول صاحبها – بعد أن هداه الله – « اندفع الفكرُ المتغرب يُشهر حرباً شاملةً على الإسلامِ وأهله ، ظاناً أن في ذلك تحريراً للشعب وللمرأة ، وإطلاقاً للعقل، ولكنَّه ما درى أن تلكَ الحربَ تأتي بنتائج عكسيةٍ تماماً، إذا بالشعب يُحطِّم ويُشل، وإذا بالمرأة تتيه وتضيع، وإذا بالعائلة تتمزق وتتخبط، وإذا بالعقل يصبح مغلولاً إلى الغرب، وإذا بالاستقلال تبعيةً ، وإذا بالتقدم الاجتماعي مزيداً من

التخلف ، ثم وصلت الأمور إلى أن يُعلن ذلك الفِكرُ نفسَه أننا نعيش زمنَ الانحطاطِ العربي ؟! [منير شفيق ، الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر ص 148، 149 / عن د.الزنيدي ، العصرانية س 47]

3- ولا بد من تكاتف الجهود مع كل مخلص لحماية البلاد والعباد من خطرِ هؤلاء، مع اعتبار أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » واعتبار أن المركبة واحدة والسلامةُ للجميع .

4- لا بد من مشاريع عمليةٍ، ومثابرة في الإعلام والتعليم والتربية والتوجيه والدعوة، وأن تكون شاملةً للمرأة والرجل، والطفل والكبير والمثقف والعادي.

5- لا بد من وضع حدٍ للنقد الصارخ لسياسات الدولة العليا، وفي مقدمتها السياسةُ التعليمية والإعلامية، وإن الإصلاحَ مطلب ولكن تجريدها من عمقها الإسلامي وأهدافها العليا أمرٌ مرفوض .

6- الارتقاء بمستوى وعي الناس عموماً والخيرين خصوصاً، والجرأة في تصحيح الأخطاء وتطوير الأعمال والمؤسسات حتى تكون المشاريع الإسلامية على مستوى التحدي والقدرة على الجذب والتأثير.

7- ربط الجسور مع كل جهدٍ خيِّر ، والتعاون مع كل عاملٍ مخلص، وأهمية التواصل مع الآخرين، وعدم الانكفاء على الذات، فمظلة الدين واسعة، وهاجسُ حماية الوطن من المؤثرات الخارجية والداخلية هدف يشمل شريحةً كبرى في المجتمع .

8- تعميم توعيةِ الناس بالانحرافات الفكرية والأخلاقية في وسائلِ الإعلام عموماً، والتنبيه إلى مخاطرِها الواقعة والمستقبلية، واستنهاض الجميع للاحتساب على المنكر والأمر بالمعروف، فليس أضرَّ على الناس من قومٍ يُلبسون عليهم دينهم ويزيفون وعيهم ؟

9- التواصل مع ولاة الأمرِ من الأمراء والعلماء وأهل الفكر، وأصحاب المال والجاه والمسؤولية، والتشاور معهم في وضعِ حدٍ للمبطلين .

10- التعامل مع الأحداث والمستفزات بحكمةٍ وعمق، فلا نُخدع ولا نُستفز، ولا نتعرف بردود الأفعال، ولا نقابل الخطأ بخطأٍ آخر.

============

من نحن ومن الآخر؟!

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيما- وصلى الله وسلم- وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد الذي تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

أما بعد :

فإن القيام بالعبودية الحقة لله عز وجل لا يتم إلا بالإخلاص له سبحانه في عبادته، وأن تكون العبادة على بصيرة واتباع لما جاء به الرسول- صلى الله عليه وسلم-، وإن البصيرة في الدين لا تتحقق مادام الباطل ملتبسا بالحق، وبمعنى أخر، فإن البصيرة في الدين لا تحصل إلا بوضوح الحق وتنقيته من الباطل الملتبس به، قال تعالى: ((قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)) (البقرة: 256) .

وقال سبحانه: ((فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ)) (يونس: 32).

لذا كان لزاما على العبد أن يعرف الحق بدليله ما أمكن، وأن يزيل عنه الباطل الذي علق به، وذلك حتى يأتي بالعبادة على وجهها المقبول عند الله عز وجل، وإن من أعظم الفتن التي يفتن الشيطان بها العباد فتنة التزيين، ولبس الحق بالباطل، واتباع الهوى في ذلك، ولقد وقع في هذا الشَّرَك العظيم كثير من الناس بعضهم عن علم وبعضهم عن جهل، وقد كثر اللبس والتضليل في عصرنا الحاضر؛ حيث ظهرت وسائل ماكرة ومضللة لبست على الناس دينهم وخلطت الحق بالباطل، بل وصل الأمر لدرجة قلب الحقائق، وإظهار الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة الحق، وتعاون شياطين الجن والإنس : ((يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا)) (الأنعام: 112) .

في وضع هذا التلبيس في قوالب من الأقوال مزخرفة وألفاظ خادعة، وتسمية للأسماء بغير مسمياتها، فضلَّ بسبب ذلك كثير من الناس .

وإننا في زماننا هذا لنرى صوراً كثيرة من لبس الحق بالباطل، وصوراً من ليِّ أعناق النصوص، وصوراً كثيرة من المغالطات والخداع والحيل المحرمة المفتراة على دين الله عز وجل، فكان لزاما على الدعاة والعلماء أن يحذروا بأنفسهم من الوقوع في هذه

المزالق وأن لا يسكتوا عليها بل يجب عليهم أن يكشفوها للناس ويحذروهم منها، وأن لا يدعوهم لأهل الأهواء يلبسون عليهم دينهم، ويحرّفون الكلم عن مواضعه وهذا ما أخذه الله عز وجل على أهل العلم بقوله: ((وَإِذَ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ)) (آل عمران: 187) .

وإن كل من لبس على الناس دينهم أو كتم الحق عنهم ففيه شبه ممن زجرهم الله عز وجل بقوله : ((وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)) (البقرة: 42) .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: عند هذه الآية (نهى عن لبس الحق بالباطل وكتمانه ولبسه به: خلطه به حتى يلتبس أحدهما بالأخر، ومنه التلبيس: وهو التدليس والغش الذي يكونه باطنه خلاف ظاهره؛ فكذلك الحق إذا لبس بالباطل يكون فاعله قد أظهر الباطل في صورة الحق، وتكلم بلفظ له معنيان : معنى صحيح، ومعنى باطل، فيتوهم السامع أنه أراد المعنى الصحيح، ومراده الباطل، فهذا من الإجمال في اللفظ]الصواعق المرسلة 926/3[.

ويقول في موطن آخر: (وكم من مسألة ظاهرها ظاهر جميل، وباطنها مكر وخداع وظلم ؟ فالغبي ينظر إلي ظاهرها ويقضي بجوازه، وذو البصيرة يتفقد مقصدها وباطنها، فالأول يروج عليه زغل المسائل كما يروج على الجاهل بالنقد زغل الدراهم ، والثاني يخرج زيفها كما يخرج الناقد زيف النقود، وكم من باطل يخرجه الرجل يحسن لفظه وتنميقه وإبرازه في صورة حق، وكم من حق يخرجه بتهجينه، وسوء تعبيره في صورة باطل؟ ومن له أدنى فطنة وخبره لا يخفى عليه ذلك)]أعلام الموفقين 229/4[.

وإن ما يطرح اليوم في وسائل الأعلام وبعض الحوارات والندوات من تلاعب بالمصطلحات والمسميات لا يقف خطرها على الألفاظ فحسب بل تجاوزه إلى المضامين والأصول والثوابت، ومع ذلك لم يتصد لخطرها والرد عليها إلا أفراد قلائل لم تبلغ ردودهم حد الكفاية في الإعذار والإنذار، مع أن الأمر من الخطورة بحيث يجب التصدي له من قبل أهل العلم والدعوة وأن يبلغوه للمسلمين في الوسائل المتاحة ليدركوا خطره وليحذروا من الوقوع في زخرف الملبسين وتضليل المضللين وبخاصة أن الأمر يتعلق بأصول هذا الدين وثوابته وليس بفروعه وجزئياته.

وإن من المصطلحات التي تطرح اليوم طرحاً انهزامياً ينم عن الشعور بالمهانة والذلة والحرج، من أصول هذا الدين ما يعمل له اليوم من حوارات ولقاءات صحفية ومؤتمرات تدور حول مصطلح (نحن والأخر).

فما هو المقصود بمصطلح (نحن والأخر) ؟

إن هذا المصطلح من المصطلحات الغامضة الحمالة لمعاني مختلفة، ولعل ذلك مقصود ممن هم وراء طرحه وإثارته، ولذلك لابد من تحرير هذا المصطلح، وكشف أبعاده ليتعرى الملبسون المضللون الذين يعنون ما يقولون، وليحذر الذين غرر بهم بتبني هذا المصطلح من بعض أهل العلم والدعوة.

ولتحرير هذا المصطلح والهدف من طرحه نستعرض المعاني المستعملة التي لا يخرج عنها تفسير هذا المصطلح.

الاستعمال الأول: وهو ما ذكره المجتمعون في اللقاء الوطني الخامس للحوار الفكري المنعقد في أبها في الفترة من 11-26/11/13هـ حيث جاء في بيانهم الختامي تعريفهم لهذا المصطلح بقولهم: (وقد أتجه المجتمعون إلى التعبير بأن المقصود بـ(نحن) أي: المواطنين السعوديين الذين يجمعهم دين واحد هو الإسلام، ووطن واحد هو المملكة العربية السعودية، وله أراء وتوجهات متنوعة، (والأخر) هو المجتمعات الإنسانية الأخرى بجميع أديانها وحضاراتها وأوطانها) ولا يخفى ما في هذا الكلام من أبعاد خطيرة تبينها المناقشات التالية.

أولاً: قولهم بأن المقصود بـ(نحن): المواطنين السعوديين ... الخ، و(الأخر):هو المجتمعات الإنسانية الأخرى ... الخ) . إن في هذا القول مزلقاً عظيماً وتجاهلاً واضحاً لعقيدة الولاء والبراء في هذا الدين، فالله عز وجل يقول: ((قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)) (الأنعام: 14) .

ويقول سبحانه عن نبيه نوح عليه السلام مع ابنه ((إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ)) (هود:46) .

ويقول سبحانه ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)) (الحجرات: 10) .

ويقول عز وجل ((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ)) (التوبة: 71) .

وفي ضوء هذه الآيات وأمثالها من القرآن الكريم يتبين المزلق الكبير لتعريف (نحن) و(الأخر) إذ كيف تحصر كلمة(نحن) في المواطنين السعوديين الذين يجمعهم دين واحد ووطن واحد ... الخ، إذن فأين محل إخواننا المسلمين في الأوطان الأخرى، ومن بينهم العلماء والعباد والمجاهدين والدعاة والمصلحين ؟ وهل هؤلاء يخرجون من دائرة (نحن)؟ أين الولاء والموالاة بين المؤمنين إذا ساويناهم بالأخر الكافر أو الملحد والمنافق ممن يعيشون خارج الوطن.

ثانياً: وقالوا في تعريف من (نحن)؛ بأنهم (الذين ينتسبون إلى الإسلام في الوطن الواحد وإن تنوعوا مذهبياً وفكريا وثقافياً واجتماعيا، فلا يجوز استخدامه لاختراق الوحدة الوطنية) ، إنه لا يخفى ما في ذلك من خرق لعقيدة الولاء والبراء في هذا الدين، فكم في الوطن الواحد من العقائد الباطلة الكفرية التي يخرج صاحبها من الإسلام؛ كمن يعبد غير الله عز وجل ويستغيث به ويدعي أن غير الله تعالى يعلم الغيب كغلاة الشيعة والصوفية، وكم في الوطن الواحد من يكفر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويعاديهم، ويقذف نساء النبي- صلى الله عليه وسلم- العفيفات الطاهرات، وكم في الوطن الواحد من المنافقين الذين يبطنون العداء للإسلام وأهله ويوالون الغرب وأهله، فهل هؤلاء هم منا ونحن منهم لأننا وإياهم نعيش في وطن واحد ؟ إننا بهذا الفهم نعود إلى صورة من صور الجاهلية الأولى التي جاء هذا الدين للقضاء عليها وجعل رابطة العقيدة والإيمان فوق كل رابطة يعادى من أجلها ويوالى من أجلها ويحب من أجلها ويبغض من أجلها.

قال صلى الله عليه وسلم: ((من تعزى بعزاء أهل الجاهلية فأعضوه هن أبيه ولا تكنوا)) .

فسمع أبي بن كعب رجلاً يقول: يا لفلان ! فقال: أعضض أير أبيك فقال: يا أبا المنذر ! ما كنت فاحشاً، فقال بهذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. رواه أحمد في مسنده (20728) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (269).

ويشرح شيخ الإسلام هذا الحديث فيقول: (ومعنى قوله: من تعزى بعزاء الجاهلية) يعني يتعزى بعزؤاهم، وهي الانتساب إليهم في الدعوة، مثل قوله: يا لقيس! يا ليمن! ويا لهلال! ويا لأسد، فمن تعصب لأهل بلدته، أو مذهبه، أو طريقته، أو قرابته، أو

لأصدقائه دون غيرهم كانت فيه شعبة من الجاهلية، حتى يكون المؤمنون كما أمرهم الله تعالى معتصمين بحبله وكتابه وسنة رسوله) مجموع الفتاوى 422/28.

والآيات في كتاب الله عز وجل كثيرة تلك التي تركز على عقيدة الولاء والبراء، وأنها هي الأصل في رابطة الحب والبغض والاجتماع والافتراق، وأكتفي بقوله تعالى: ((قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ)) (الممتحنة: 4) .

هذه هي الملة الإبراهيمية وهذا هوا الدين المحمدي، فهل أصبحت الوحدة الوطنية هي صاحبة السيادة العليا التي يعقد عليها الولاء والبراء، إن مما تعلمناه من كتاب ربنا عز وجل وسيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأقوال سلفنا الصالح أن الأصل الذي يقوم عليه الولاء والوحدة والإتلاف هوا التوحيد والبراءة من الشرك وأهله.

وإلا فلا وحدة ولا اجتماع، بل المفاصلة والبراءة، إذاً فكيف يقول القوم هداهم الله عز وجل بأن التنوع المذهبي أو الفكري أو الثقافي لا يجوز استخدامه لاختراق الوحدة الوطنية) ؟ هل يعني هذا أن الوحدة الوطنية فوق عقيدة التوحيد، وعلى حساب عقيدة الولاء والبراء ؟ إن مصطلح التنوع المذهبي أو الفكري أو الثقافي من المصطلحات العائمة الغامضة، لكن اللبيب يعرف ما المقصود منها؛ إنها تعني أن أي مذهب عقدي شركي أو بدعي فما دام أنه داخل الوطن الواحد فينبغي الاعتراف به وعدم الافتراق معه ضماناً للوحدة الوطنية، وهذا مخالف لدين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وللملة الإبراهيمية، حيث لا ولاء ولا محبة لمشرك، وعليه فإن من يعبد علياً أو الحسين رضي الله عنهما) ويسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بأخ لنا، وإن الصوفي الخرافي الذي يطوف بالقبور ويستغيث بأهلها ليس بأخ لنا، وأن الليبرالي المنافق الذي يبطن كره الإسلام وأحكامه، ويدعو إلى محاكاة الغرب الكافر وتشريعاته ليس بأخ لنا، إن الوحدة الوطنية يجب أن تخضع لعقيدة التوحيد وليس العكس الذي تكون فيه الوحدة الوطنية على حساب عقيدة التوحيد، وكما قال الله عز وجل عن نوح عليه السلام مع ابنه ((إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ)) (هود: 46).

فنحن نقول كذلك إن أعداء التوحيد ليسوا من أهلنا ولا من قبيلتنا ولا من وطننا، فإما أن يرجعوا إلى توحيد الله ويدخلوا في السلم كافه فيكونوا إخواننا، وتجمعنا بهم وحدة الدين، ويزيدها قوه وحدة الوطن وإلا فلا وحدة ولا وطنية معهم.

إن الولاء والبراء مع أنه مطلب شرعي عقدي إلا أنه أيضاً مطلب فطري وعقلي فلا نجد جنساً من الأجناس يرتبطون برابطه من الروابط إلا وتظهر عليهم هذه الصفة، حيث يوالون بني جنسهم ويعادون من يعاديهم حتى في عالم الحيوان والطير ، والكفار أنفسهم ينطلقون في ولائهم وبرائهم من هذا المنطلق، وقد أعلنها طاغوتهم بوش حينما قال: (من لم يكن معنا فهو ضدنا)، هذا هو ولاء الكفار وبرائهم، لكن المسلمين يتميزون عن جميع الأجناس بأن عقيدة الولاء والبراء تنطلق من كلمة التوحيد، فمن كان من أهلها فهو ممن يحبه الله تعالى، فنحب من يحبه الله عز وجل، ومن كفر بها أبغضه الله وأصبح عدواً لله فحينئذ نبغضه لأن الله يبغضه، أما بقية الأجناس الأخرى كالحيوان والكفار وأصحاب الروابط الجاهلية من بني آدم، فهم يوالون ويعادون على الماء والتراب والمرعى والمصالح الدنيوية، والمسلمون يوالون ويعادون في الله تعالى. وهذا هو ما يزعج الكفرة والمنافقين، حيث يريدونها روابط جاهليه عصبية عُمّية لا دخل للدين فيها.

ثالثاً: وهنا مسألة أخرى لا تقل خطراً عن سابقتيها ألا وهي النظر لمصطلح (نحن) والذين عبروا عنه بأبناء الوطن الواحد ممن ينتسب إلى الإسلام بنظرة التساوي والندية بين رؤوس الأطياف والمذاهب الفكرية المجتمعة، وأنهم شئ واحد، أي أنه في مثل هذه الحوارات الوطنية وما يطرح فيها يتساوي التوجه السني السلفي . الذي هو السواد الأعظم في هذا البلد، وهو مرجعية أهله . بالتوجه الرافضي الحاقد الذي يقوم فكره على الشرك بالله تعالى وسب الصحابة رضي الله عنهم، والذي يمثل أصحابه القلة القليلة في البلد ، كذلك يتساوى مع التوجه الليبرالي التحرري الذي هم أقل القليل، مع ما يحمل من أفكار تحررية تتحلل من أحكام الله تعالى، سواء في مجال السياسة أو المرأة أو الاقتصاد أو الدين بأسره، وهنا مكمن الخطر إذ كيف يتساوى رؤوس الضلال الذين هم قله ونكرات ونبتات غريبة في مجتمعنا مع التوجه السلفي الشرعي الذي هو طابع أهل البلد وسواده الأعظم ، إنهم والله لا يستوون، ولكن هذه

المؤتمرات الحوارية الوطنية تسوي بينها وترفع من شأنها كماً وكيفاً سواء علم القائمون بذلك أم جهلوا، وهذا من المخاطر الجسيمة الكثيرة التي تنجم من جعل الوطن والوطنية والمواطنة هي التي يعقد عليها الولاء والبراء.

وإن مكمن الخطر في هذه المساواة تكون حينما يكون الرافضي والليبرالي اللذان لا يشكلان بعداً في المجتمع ولا قيماً ولا تأثيراً مساوياً لرأي علماء أهل السنة في سن ما يريد من مفاهيم على التربية والتعليم والحياة الاجتماعية والثقافية بحجة التسامح، وقبول الأخر والتعددية وغيرها من المفاهيم الضبابية، التي يراد من خلالها إذابة هوية الأمة وفتحا لأبواب التغريب داخل المجتمع، ومن ثم جعل هذا (الأخر) واقعاً لامناص منه حتى لو كان في قمة الشطط الفكري، وحتى لو كان داعية إلى الرذيلة أو الإلحاد والكفر، وهذا يصطدم مع أبجديات المفاهيم الإسلامية التي تأمر بحفظ الدين وسياسة الدنيا به والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل المرجعية الحاكمة لكل شؤون الناس منطلقة من الشريعة الربانية الخالدة ، [انظر تساوي الرؤوس، موقع المختصر] .

الاستعمال الثاني: وهذا الاستعمال في تعريف مصطلح (نحن) و(الأخر) هو المشهور عالمياً عند كل من يطرحه من المهزومين من المسلمين في حواراتهم وأعمدتهم الصحفية، وملتقياتهم ، ويفيد هذا المصطلح عندهم بأن (نحن) تعني المسلمين و(الأخر) من سواهم من غير المسلمين من الكفار والمنافقين، وفي هذا الطرح المنهزم من المؤاخذات العقدية ما يلي:

أولاً: العدول عن الأسماء والمصطلحات الشرعية التي جاءت في كتاب الله عز وجل وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم إلى أسماء ومصطلحات بشريه غامضة، ونحاتات أفكار واهية أفرزتها عقول مهزومة فاستبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير، وتركت ما أسماه الله عز وجل من الأسماء المنطبقة على مسمياتها في كتابه سبحانه وتعالى، حيث قسم الناس إلى حزبين: حزب الله المؤمنين وحزب الشيطان الكافرين، قال الله عز وجل ((اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ)) (البقرة: 257) .

فليس هناك (نحن والأخر) وإنما هناك (المسلمون والكافرون)، قال تعالى ((هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ)) (الحج: 78) .

وقال تعالى ((هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ)) (التغابن: 2) وقال تعالى: ((لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ)) (المائدة: 72) .

والآيات في ذكر الكفر والكافرين كثيرة جداً، جاء ذكرها في ما يزيد على 352 موضعاً، فلماذا التحرج من كلام الله عز وجل الذي هو أحسن الحديث وأصدقه وأفصحه (ومن أصدق من الله قيلا) (ومن أصدق من الله حديثاً) .

إن من يتحرج من كلام الله عز وجل وتسمياته، ويرتاح لكلام البشر ومصطلحاتهم ومسمياتهم يخشى عليه أن يكون تحت طائلة قوله تعالى: ((وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)) (الزمر: 45) .

لقد نهى الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وأتباعه من بعده من أن يكون في الصدور حرج من الصدع بكل ما جاء في القرآن من أسماء وأحكام، وعقائد وقصص وأخبار، بل الواجب اتباعه فقال تعالى: ((المص * كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ *اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ)) (الأعراف: 2) .

وعند هذه الآية يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (والله تعالى رفع الحرج عن الصدور بكتابه، وكانت قبل إنزال الكتاب في أعظم الحرج والضيق، فلما أنزل كتابه؛ أرتفع به عنها ذلك الحرج، وبقي الحرج والضيق على من لم يؤمنوا به، كما قال تعالى: ((فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا)) (الأنعام: 125) (الصواعق المرسلة : 1518/4؟) .

ويقول أيضاً في موطن أخر: (ولا تجد مبتدعاً في دينه قط إلا وفي قلبه حرج من الآيات التي تخالف بدعته، كما أنك لا تجد ظالماً فاجراً إلا وفي صدره حرج من

الآيات التي تحول بينه وبين إرادته، فتدبر هذا المعنى ثم أرض لنفسك بما تشاء) ا.هـ]الفوائد ص90[.

فهل بعد هذه الآية وقول هذا الإمام الجليل فيها من عذر لمعتذر يجد في نفسه حرجاً أو ضيقاً أو حياءً من الصدع بالحق الذي في كتاب الله عز وجل، أو أن يستبدل به نحاتات الأفكار وزبالات الأذهان من كلام البشر ؟ .

وأسوق في هذا المقام رداً نفيساً لفضيلة الشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى على الذين استبدلوا مصطلح (نحن والأخر) بما في كتاب الله عز وجل (المسلم والكافر) :

يقول: وفقه الله تعالى (وقد وضع الله فوارق بين المؤمنين والكفار في الدنيا والآخرة، ونهى عن التسوية بين الفريقين، وجعل لكل فريق جزاء وأحكاماً في الدنيا والآخرة، ووضع لكل فريق اسماً مميزاً كالمؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمشرك والموحد، والفاسق والمنافق، والمطيع والعاصي، ونهى عن التسوية بين المختلفين في هذه الأسماء والسلوكيات فقال سبحانه:)) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَّن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (((الجاثية:21) .

وقال تعالى ((أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ)) (ص:28).

يعني لا نجعلهم سواء، لأن ذلك لا يليق بعدل الله، وأمر المؤمنين بالبراءة من الكفار والمشركين، ولو كانوا من أقاربهم، قال تعالى ((قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ)) (الممتحنة:4) .

ـ وهذا أصل من أصول الإيمان والدين متقرر في الكتاب والسنة وكتب العقيدة الصحيحة لا يماري فيه مسلم . .

ولكننا في هذه الأيام صرنا نقرأ في بعض الصحف نقلاً عما دار في مؤتمر الحوار الوطني محاولة واقتراحاً من بعض المشاركين . نرجو أن تكون تلك المحاولة والاقتراح صادرين عن جهل، وذلك كما نشر في بعض الصحف أن يترك لفظ الكافر ويستبدل بلفظ مسلم وغير مسلم، أو يقال المسلم والآخر، وهل معنى ذلك أن نترك ما

ورد في القرآن والسنة وكتب العقيدة الإسلامية من لفظ الكفر والشرك، والكفار والمشركين، فيكون هذا استدراكاً على الكتاب والسنة، فيكون هذا من المحادة لله ولرسوله؟ ومن تغيير الحقائق الشرعية فنكون من الذين حرفوا كتاب ربهم وسنة نبيهم، ثم ما هو الدافع لذلك ؟، هل هو إرضاء الكفار، فالكفار لن يرضوا عنا حتى نترك ديننا، قال تعالى ((وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)) (البقرة: 120) .

وقال تعالى: ((وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ)) (البقرة:217) .

((وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء)) (النساء89:).

ثم إنه لا يجوز لنا إرضاء الكفار والتماس مودتهم لنا وهم أعداء لله ولرسوله. قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ)) (الممتحنة:1).

وإن كان مراد هؤلاء المنادين بتغيير هذه المسميات الشرعية التلطف مع الكفار، وحسن التعامل معهم، فهذا لا يكون على حساب تغيير المسميات الشرعية، بل يكون ذلك بما شرعه الله نحوهم [انتهى مختصراَ].

ثانياً: لو أن الأمر في استبدال (الآخر) بالكافر توقف عند الاستبدال اللفظي لكان الأمر أهون مع مخالفته لكلام الله عز وجل كما تبين، ولكن الخطورة في هذا الاستبدال يتجاوز اللفظ إلى الهزيمة النفسية أمام الأخر الكافر، وذلك بالدعوة إلى عدم الكراهية له ، وإخفاء ظلمه، وعدوانه، وإرهابه، وكأنه مظلوم قد سلبت حقوقه !! ويشعر السامع من الذين يطرحون مصطلح (الآخر) بأنهم يعيشون تحت ظرف سياسي داخلي أو خارجي صور لهم الأخر، وكأنه مظلوم يريد من ينصره ممن ظلمه!!

واعتمدوا في ذلك على نصوص في الكتاب والسنة تدعوا إلى التسامح والبر والقسط مع الكفار، وحرفوها عن معانيها، وفصلوها عن مناسباتها التي نزلت فيها، ونسوا أو تناسوا الآيات التي فيها وجوب عداوة الكافر والبراءة منه، وجهاده حتى يكون الدين كله لله.

فمما ورد في البيان الختامي في اللقاء الوطني الخامس للحوار الفكري، قولهم في تفسيرهم لمعنى (البراء): بأنه (الابتعاد عما يتناقض مع الإسلام وعدم التعاون مع أهله عليه، ولا يعني ذلك التعدي على حقوقهم أو عدم التعاون معهم في القضايا العادلة).

اللهم إنا نعوذ بك من الخذلان، أهذا هوا ما يريده الله عز وجل من معنى البراءة في القرآن؟ أهذا هوا الموقف الذي وقفه إمام الحنفاء إبراهيم- عليه الصلاة والسلام- مع أبيه وقومه حينما قال: ((إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ)) (الزخرف:26،27) .

وقوله سبحانه عن خليله: ((قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ)) (الممتحنة: 4) .

ما هذا التحريف في ثوابت الدين وأصوله، إن البراءة من الكافر في الإسلام تعني بغضه وبغض ما هو عليه من الكفر، وعداوته كما جاء ذلك في الآية السابقة، هذا إذا كان مسالماَ، أما إذا كان حربياً فإنه يضاف إلي المعاني السابقة جهاده وقتاله، ورد عدوانه وإزاحته من طريق الحق والتوحيد ليصل الحق إلي قلوب الناس، ويفرض سلطان الإسلام ودولته عليهم ، إن المسلم حينما يسمع مثل هذه التعاريف والمواقف المتخاذلة ليخرج بنتيجة واحدة مفادها المطالبة بعدم كراهية الكافر، وأن نحترمه ونحافظ على حقوقه، ونشفق عليه، وكأنه هو المظلوم المسلوب الحقوق!! فهلا يعلم قومنا ما فعله الكافر (الأخر) وبخاصة أهل الكتاب في المسلمين في القديم والحديث ليعلموا من هو المعتدي ومن هو المعتدى عليه ؟.

إن رفع شعار التسامح والصفح مع الكفار اليوم ليوضع في غير موضعه، لأن في ذلك خلط وتلبيس وتضليل، حيث تسمى الموالاة والمداهنة للكفار تسامحاً ومداراة، وفرق كبير بين المداراة والمداهنة التي فيها تصحيح مذاهب الكفار أو السكوت عليها، وإظهار المحبة لهم ونسيان عداوتهم وحربهم للمسلمين في القديم والحديث، (إن الذين كفروا من أهل الكتاب هم الذين ألبوا المشركين على الجماعة المسلمة في المدينة، وكانوا لهم درعاً ورداءاً، وأهل الكتاب هؤلاء هم الذين شنوا الحروب الصليبية خلال

مـائتي عـام، وهـم الـذين ارتكبـوا فظـائع الأنـدلس، وهـم الـذين شـردوا المسـلمين فـي فلسطين، وأحلوا اليهود محلهم متعاونين في هذا مع الإلحاد والمادية ، وأهل الكتاب هؤلاء هم الذين يشردون المسلمين في كل مكان، في الحبشة والصومال وأرتيريـه، ويتعـاونون فـي هـذا التشـريد مـع الإلحـاد والماديـة والوثنيـة فـي يوغسـلافيه والصـين والتركسـتان والهنـد، وفـي كـل مكـان، وهـم الـذين قتلـوا أهلنـا ونسـائنا وأطفالنـا فـي أفغانستان والعراق، ثم يظهر بيننا من يظن أنه يمكن أن يقوم بيننا وبين أهل الكتاب هؤلاء ولاء وتناصـر نـدفع بـه الإلحـاد والإرهـاب، إن هؤلاء لا يتدبرون القرآن الكريم، وإلا لما اختلطت عليهم دعوة السماحة التـي هـي طـابع الإسـلام بـدعوة الـولاء الـذي يحذر منه القرآن.

إن الـذين يحـاولون تمييـع هـذه المفاصـلة الحاسـمة باسـم التسـامح والتقريـب بـين أهـل الأديـان السـماوية يخطئـون فـي فهـم معنـى الأديـان، كمـا يخطئـون فـي فهـم معنـى التسـامح، فالـدين هـو الـدين الأخيـر وحـده عنـد الله، والتسـامح يكـون فـي المعـاملات الشخصية، لا في التصور الاعتقادي، ولا في النظام الاجتماعي.

إنهم يحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم، بأن الله لا يقبل دينا إلا الإسلام ، وبأن عليه أن يحقق منهج الله الممثل في الإسلام، ولا يقبل دونه بديلاً، ولا يقبل فيه تعديلاً –ولو طفيفاً– هذا اليقين الذي ينشئه القرآن الكريم، وهو يقرر ((إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ)) (آل عمران: 19) .

((وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ)) (آل عمران: 85)

((وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ)) (المائدة: 49) ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ)) (المائدة: 51) .

وفي القرآن كلمة الفصل، ولا على المسلم من تميّع المتميعين، وتميعيهم لهذا اليقين) ،]طريق الدعوة : أحمد فايز ، بتصرف يسير.[

* ومما ورد في بيانهم الختامي أيضاً قولهم في تعريف الجهاد :(هو بذل الجهد في تحقيق الخير ودفع الشر، علماً أن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هي السلم، والحرب حالة طارئة شرعها الإسلام لدفع ورفع الظلم والعدوان) .

أهذا هو تعريف الجهاد وبواعثه في الإسلام ؟

إن المتدبر لكتاب الله عز وجل وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ليتبين له وبوضوح أن الجهاد شعيرة عظيمة من شعائر هذا الدين، وهو إنما شرع رحمة بالبشرية الضالة بعامة، وبالمسلمين بخاصة، فالجهاد غايته كما قال الله تعالى ((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه)) (الأنفال: 39) .

إن المتأمل لهذه الآية ليدرك أن الجهاد لم يشرع لدفع ورفع الظلم والعدوان فحسب، نعم هذا هو جهاد الدفع، وإنما شرع أيضا لإيصال الحق والتوحيد والهداية للناس في بقاع الأرض ليكون الدين كله لله؛ لأن سنن الله عز وجل اقتضت أن يكون الصراع بين الحق والباطل، وأن المسلمين وهم يبلغون دين الله تعالى للبشرية سيواجهون من يقف أمامهم للحيلولة بين الناس من ورائهم، وبين أن يصل إليهم هذا الدين، وحينئذ شرع الجهاد بالسيف لإزالة هذه الحواجز من طواغيت الأرض من طريق الحق، حتى يصل الحق الواضح البين إلي قلوب الناس، ويخضع الجميع لدولة الإسلام، وحينئذ لا إكراه في الدين لأنه قد تبين الرشد من الغي، وحين يكون الدين في البلاد المفتوحة من قبل المسلمين لله عز وجل، يختار أهل هذه البلاد إما الإسلام أو دفع الجزية والعيش بأمان في ظل الدولة المسلمة، وهذا هو جهاد الطلب الذي لولاه لما وصل إلينا الإسلام في بلادنا، ولما انتشر الإسلام في بقاع الأرض، وهذا ما أغفله المجتمعون في حوارهم الوطني وهم يعّرفون الجهاد .

فهلا سألوا أنفسهم ما لذي جعل المجاهدين الأوائل من الصحابة والتابعين يفتحون البلدان النائية كفارس والروم وخراسان وسمرقند والهند والسند. هل تعرض المسلمون لعدوان من أهل هذه البلاد ؟ أم أن المسلمين كانوا يرون أن من واجبهم إيصال هذا الدين إلي العالمين رحمة بهم، فإذا اعترض أحد يعيقهم عن نشر هذا الدين أزاحوه بالسيف إن لم يزح بغيره، حتى يكون الدين كله لله، ويخضع الجميع للدولة المسلمة .

وختاماً: أدعوا الذين أقرّوا هذا البيان الختامي للحوار الوطني، أن يتقوا الله عز وجل في أنفسهم وأمتهم، وأن يراجعوا ما دونوه من هذا الكلام الخطير في بيانهم، لأن فيه قدح لأصول هذا الدين وثوابته أو على الأقل فيه تلبيس وتدليس، وأخص من شارك في هذا الحوار من المنتسبين للدعوة والعلم والسنة، فإما أن يقولوا كلمة الحق

ويواجهوا الباطل وأهله بها فتبرأ ذمتهم بذلك، وإما أن يفارقوا هذه المجالس ويعتزلوا أهلها وما يخوضون فيه، فهذا أعذر لهم عند الله عز وجل وعند الناس ، لأن الله تبارك وتعالى يقول: ((وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)) (الأنعام:68) .

اسأل الله عز وجل أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، وأن يرزقنا الإخلاص له، والمتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

=============

ماذا ينقمون على المرأة في ظل الإسلام؟

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله و بعد:

إن من أعظم النعم التي كرم الله بها عباده المؤمنين أن شرع الله لهم شريعة قويمة وملة حنيفية، تنظم الإنسان والكون والحياة، تخاطب القلب والعقل والروح، وتحقق رغبات البدن دون تمادي إلى شهوانية حيوانية، أو دون حرمان الرهبانية كما تمارسه النصرانية والنيرفا الهندوكية، وهذا الدين هو دين الفطرة، قال تعالى: ((فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ)) (الروم: 30) .

وقال سبحانه: ((وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) (الأنعام: 153) .

ومن محاسن هذه الشريعة القويمة تكريم المرأة وحمايتها والإحسان إليها، خلاف ما عليه الجاهلية الأولى من وأد البنات، وحرمان النساء من الميراث، واعتبارهن من سقط المتاع، فجاء هذا الدين حاكماً بأن ((وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)) (البقرة: 228).

قائلاً: ((النساء شقائق الرجال)) [1]، آمراً ((استوصوا بالنساء خيراً)) [2] .

حاثاً ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)) [3].

ولا غرو في ذلك لأن هذه المرأة هي أساس المجتمع، حيث هي الأم الحنون، والزوجة الصالحة، والأخت الفاضلة، فمن مدارسهن الحقيقية يتخرج الأبطال، وتتربى الأجيال، فهي المحور الحقيقي التي عليها صلاح المجتمع أو فساده.

من هنا كانت برامج وخطط المفسدين عبر قرون من السنين موجهة إلى هذا الكيان القوي الطاهر لتحطيمه وزعزعته، والقضاء على معاني الفضيلة فيه، ومن تأمل جهود أولئك في عدد من البلاد الإسلامية المجاورة رأى عملية التدرج في إفساد المرأة وخلطها بالرجل، ونبذها لحجاب الظاهر والباطن، وكانت في يوم من الأيام مضرب المثل في الحشمة والعفة والستر والحياء.

وهكذا خطوات الشيطان وعملائه في البلاد الإسلامية، ولا يسلم من هؤلاء بلد أو مكان، سنة الله تعالى في التدافع والصراع بين الحق والباطل، ولم نسلم في هذه البلاد الطيبة ممن هم من بني جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب، يتباكون على وضع المرأة عندنا وظلمها، وعزلها عن شؤون الحياة، ومنعها من العمل، نعم الظلم والاحتقار وأكل الأموال وحقوق المرأة ممنوع شرعاً، ومرفوض طبعاً، ولكن ليس هذا حقيقة مطلبهم وغايتهم، ولكنهم يريدون أن يرسخوا في المجتمع أنموذج أسيادهم من الغربيين في إزالة الفوارق والفواصل والاعتبارات مطلقاً بين الرجل والمرأة،

وكم ظلت مؤتمرات المرأة والإسكان في الأعوام الماضية تركز على ذلك، وتطالب المجتمع الدولي بأسره بذلك، ولكن كيف نسي هؤلاء خصوصية هذا البلد، وتناسوا احتكام الجميع هنا إلى شريعة رب العالمين، التي جاءت بالهدى وهم يريدونها ميلاً وهوى، ((وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً)) (النساء: 27)

والتفريق ببين المتماثلين، هم يريدون الجمع بين المتباينين، هم من نصيب الشيطان المفروض الذي تعهد أن يضلهم ويمنيهم، ويأمرهم بتغيير خلق الله، أما المؤمنون فهم عباد الله، ((إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً)) (الإسراء: 65).

إن من نعمة الله علينا أن هيأ لنسائنا وبناتنا أجواء تربوية، وميادين تعليمية بمناهج مميزة، تحوطها الفضيلة، وتحرسها تعاليم الشريعة، على مسمع ومرأى من أهل العلم

والغيرة، منذ عقود من السنين على شيء من النقص والانحسار، ولكنه على أية حال أنموذج فريد، وتجربة نوعية تفردت بها هذه البلدة في استقلال تعليم المرأة، وكانت محط إعجاب وإكبار للكثير من الشعوب الإسلامية، ولا ينكر ذلك إلاَّ جاهل أو حاسد أو صاحب هوى.

ومنذ زمن بعيد وتعليم المرأة عندنا يواجه حملة شعواء من أهل الصحافة ودعاة التحرير، الذين أعملوا أقلامهم، وأنشبوا مخالبهم بذلك الكيان التعليمي الرائد .

يقول الأستاذ الداعية محمد قطب: في كتابه تحرير المرأة: وهو يصور لنا حالة إحدى البلاد الإسلامية في التبرج والسفور، ومن أين كانت بدايته، وتلك البلاد أصبحت أسوة في التغريب والانحلال لكثير من بلاد المسلمين اليوم.

يقول: (وأصبح من المناظر المألوفة أن ترى الأمهات متحجبات والبنات سافرات، وكانت الأداة العظمى في عملية التحويل هذه هي التعليم من جهة، والصحافة من جهة أخرى ..) .

ثم يقول: (فأما التعليم فقد اقتضى معركة طويلة حتى تقرر على المستوى الابتدائي أولاً، ثم المستوى الثانوي، ثم المرحلة الجامعية).

ويقول: (وسقط الحجاب تدريجياً عن طريق بنات المدارس، ولو خرجن عن تقاليد المجتمع المسلم دفعة واحدة ومن أول لحظة، هل كان يمكن أن يقبل أحد من أولياء الأمور أن يرسل ابنته إلى المدرسة لتتعلم ؟ كلاَّ بالطبع، ولتكن الخطة على الأسلوب المتبع في عملية التحويل كلها بطيء ولكنه أكيد المفعول منعاً لإثارة الشكوك).

إن المنادين بتحرير المرأة لم يفقهوا بل لم يسمعوا صيحات النساء في الغرب، وفي اليابان اللواتي يطالبن بالعزل التام عن الرجال، والعودة إلى عش الزوجية، كما نشر في عدد من وسائل الإعلام كما في جريدة الجزيرة، العدد (7056 ، 7057).

أين هؤلاء من تجنيد الشباب للعمل؟ وتوفير فرص العمل لهم؟. وتحريرهم من رق البطالة والضياع ؟ ومن أولى بالعمل عند تزاحم الفرص وندرتها النساء أم الرجال ؟!

.

إن أولئك الكتاب المستغربين لا يتكلمون بلسان المجتمع ولا يعبرون عن آرائه، لأنه مجتمع مسلم محافظ، رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم

رسولاً، رضي بالعلماء والغيورين أن يكونوا حماة للفضيلة، حراساً لقواعد المجتمع من المعلمات والمتعلمات، وحينما جربت الدول الأخرى، ووضعت ثقتها وزمام أمرها بغير أهل الصلاح والغيرة، وصل أمرها وحالها إلى ما هي عليه الآن، فهل يرضى مسلم بذلك ؟ !.

إن نظام تعليم الفتاة في هذا البلد الطيب ظل مضرب المثل بحمد الله، وذلك نعمة كبرى، حيث الخصوصية والحشمة، والآداب الشرعية والنظم المرعية، فهل يصح أن نهدر هذه النعمة، ونلغي تلك الخصوصية، التي لها ما بعدها من الآثار التي علمتنا الأحداث تدرجها ومرحليتها، كاختلاط الجنسين من البنين والبنات، بدءاً بالمراحل الابتدائية الأولى، وكذلك التقارب في أنشطة الجنسين، وإقحام الفتاة في مناشط وأندية وبرامج تتنافى مع جبلتها وطبيعتها، وكذلك الدعوة إلى تغيير المناهج وتوحيدها، وكذلك وهو الأهم تهميش دور العلماء في الإشراف على تعليم المرأة.

وهذا ما يؤكد علينا جميعاً الاستمرار في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن نناصح من ولاه الله أمرنا، قال النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم:

((ثلاث لا يغل عليهم قلب امرئ مسلم: ومنها مناصحة من ولاه الله أمركم)) [4].

فالواجب هو دفع منكرات الإعلام كل بما يستطيع، بالحوار الهادئ، والمناصحة المشفقة، والكتابة المؤصلة، والردود العلمية، ومن لا يستطيع هذا ولا ذاك فليبتعد عن الشر وأهله، ومواطنه المقروءة والمرئية لئلا يغتر وينجر فيضل ويضل، والله وحده الهادي إلى سواء السبيل.

ولا ننسى أهمية التربية على الفضيلة في البيوت والمدارس، هي واجبات كل مسلم وكل مسؤول، خاصة في مثل هذا العصر الذي يحارب فيه الإسلام باسم الحرب على الإرهاب، ويطالب الغرب النصراني بتغيير المناهج وطمس هويتها، فهل في هذه المرحلة يحلوا لبعضنا الاسترخاء والتكاسل، وعدم الجدية أو عدم الشعور بخطورة المرحلة التي نعيشها، فلا ترى منه حسن قوامة ولا حسن رعاية للمرأة والأسرة كافة، إن اليهود يربون صغارهم على كره المسلمين والاستعداد لقتالهم وإخراجهم من فلسطين، فماذا نحن وهمومنا مع صغارنا وكبارنا من البنين والبنات؟

فحين يكون الانتماء لهذا الدين، وحينما يكون الحجاب والفضيلة عقيدة راسخة، فإن ذلك لا يسقط مهما سلط عليه من أدوات التحطيم والتحجيم والتغريب، إن الذين سقط عندهم الحجاب، هم أولئك الذين اعتبروه من العادات والتقاليد، حينها لم يصمدوا أمام رياح التغيير، لأن التقاليد الخاوية من الروح عرضة للسقوط إذا اشتد عليها الضغط، فهل مدافعتنا الآن عن مكتسباتنا التربوية والتعليمية والأخلاقية، دفاع عن عادات وتقاليد، حينها سنخسر الرهان، ونهزم في معركة المبادئ كما خسر غيرنا.

أم أننا ننطلق من ثوابت شرعية، ونعطي القضية أبعاداً دينية وقيمية، حينها نعمل ولا نكل ونسعى ولا نمل.

فالعقيدة الحية المتمكنة من القلوب لا تقهر، ولا يتخلى عنها أصحابها مهما وقع عليهم من الضغوط، وإن الاستعلاء بالإيمان والعلم الشرعي يقي الناس من الذوبان في عدوهم، ولو انهزموا أمامه في المعارك الميدانية، والغنى النفسي الذي يحدثه الإيمان الحق بالله تعالى يجعل المسلم فرداً ومجتمعاً ودولة، يشعر بالاكتفاء الذاتي، بعيداً عن الابتذال والتسول من عالم القيم المنحطة، وما كان الغزو الفكري يتسرب إلى نفوس المسلمين لو كانوا على إسلام صحيح، ولما جرنا الغرب إلى أمركة الحياة والمجتمع، واعتبار ذلك حتمية حقيقية كما يصوره اليهود للبشرية، ليدفعوها في المسار الذي أغرقوها به، وحين انجرفت أوربا في تيار التطوير اليهودي فذلك لخوائها من العقيدة الصحيحة التي تصلح للحياة .

أما نحن المسلمين فنحن قادرين وجديرين أن نصمد ولا نهزم في معارك القيم والأخلاق، وهذا هو ما سجله التاريخ عن أمة الإسلام في سالف عصورها، فهل نبقى على تلك الصفة ليتحقق لنا ذلك المجد، نعم يتحقق لنا ذلك بإذن الله إذا وفينا بالشرط الرباني، قال تعالى: ((وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ))

(آل عمران: 120).

ولا تكتفوا بالدعاء وحده وتدعوا العمل، قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ)) (الحج : 77) .

ونسأل الله أن يرد كيد الكائدين في نحورهم.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

[1] – والحديث أخرجه : أبو داود في سننه ، وأحمد في مسنده ، والترمذي في جامعه ، وأبو يعلى ، والدارمي ، والبيهقي في السنن الكبرى

ونص الحديث: عن عائشة رضي الله عنها قالت: (سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما فقال: يغتسل. وعن الرجل يرى أن قد احتلم ولا يجد البلل فقال: لا غسل عليه فقالت أم سليم: المرأة ترى ذلك عليها الغسل قال: نعم إنما النساء شقائق الرجال. وقد قال ابن حجر العسقلاني – رحمه الله – : فتح الباري – ابن حجر [جزء 1 – صفحة 254] (والنساء شقائق الرجال في الأحكام إلا ما خص) .

[2] – رواه البخاري في صحيحه برقم (3153) ، ومسلم برقم (1486) .

[3] – أخرجه الترمذي في جامعه برقم (3895) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (3266) .

[4] – أخرجه الترمذي في جامعه برقم (2653) ، وأحمد في مسنده برقم (13374) .

==============

هل تأذن لي أن أقول الحقيقة ؟!!

يا أستاذ تركي السديري هل تأذن لي أن أقول الحقيقة ؟!!

تداعى دعاة التغريب فيما بينهم للكتابة فيما حصل في ندوة الرقابة والإعلام، وهذا مؤشر قوي إلى أنهم يشكلون خلية خطيرة، تكمن خطورتها أنها تؤثر على دين الناس، والدين مقدم على النفس، فهي فرصة سانحة لولاة الأمر لمعرفة هؤلاء وحصرهم في زاوية ضيقة؛ لأن تأريخهم كاف في أخذ الحذر والحيطة منهم، بل والواقع الذي حدث في العراق خير شاهد على وقوف هؤلاء ضد أهله وحكومته، فقد كانوا الساعد الأقوى لتعجيل الاحتلال، مما يستعدي إقصاء شرهم عاجلاً .

فقل لي بربك: بماذا نفسر موقف تركي السديري مع الكاتبة أميمة الجلاهمة عندما كتبت عن احتفالات اليهود بعيد الفصح، فقام بطردها بل وقدم اعتذاره عما قامت به

الكاتبة !! وانظر إلى النقيدان كيف يصف مجتمعه المسلم، ويبرئ ساحة الغرب الذين فاحت رائحتهم النتنة في كل بلاد الأرض، حتى خصصوا مبالغ مالية لتحسين صورتهم القبيحة، يقول: ((في ثقافات أخرى هناك متعصبون ولكننا نحن المسلمين الأكثر تعصباً، ولديهم عنصريون ولكننا نحن نقتل على الدين والطائفة أكثر من أتباع أي دين آخر، ونعادي ونستأصل ونقصي باسم الله ضحايا أكثر عدداً ممن يعانون من أبنائنا من تمييز طالهم في القوانين والتشريعات في أوروبا التي لجئوا إليها طالبين الأمن والرخاء والحياة الطيبة، في أمريكا غوغائيون ولكننا ننفرد بالنصيب الأكبر من رعاع يقودون مجتمعات، ويهلكون الحرث والنسل، ويشكلون عقول أجيال، تقضي أعمارها وهي تؤمن بالخرافات وتمنح أرواحها لأماني كاذبة.))

فيا أيها الناس :

من الذي يحرض الغرب على بلادنا، ويستحثهم للضغط عليها لتغيير سياساتها ؟

ومن الذي يحرض الشعب على حكامه ويسعى لإثارة الفتنة ؟!! فهذا وزير الإعلام في منتدى جدة يقول: (ويجب أن يكون الدفع بمثل هذه المواضيع من داخل المجتمع وليس بقرار من الحكومة) [الرياض تاريخ (1427/1/13هـ)]

فماذا يسمى هذا يا دعاة التغريب ؟!!

ومن الذي يخالف دستور البلد الذي قامت عليه هذه البلاد ؟!!

دعونا نحتكم إلى دستور البلاد لنعلم العدو من الصديق !!

ومن الذي يخالف القرارات الصادرة من أعلى سلطة في البلد ؟!!

ويا ترى ..

هل الحرية التي يُطالبون بها هي مصادرة الآراء المخالفة ؟!! أقول نعم ..فهذا الدكتور محمد الحضيف يذكر أن تركي في جريدته صادر قلمه، فأين حرية الرأي ؟!! ولماذا طردت أميمة من الجريدة ؟!!

وهل الاحترام الذي يريدون.. أن يُقدروا هم..وفي المقابل لهم كامل الحق في أن يصفوا أهل العلم بأقذع العبارات..وأشنع الكلمات، ويكيلوا لهم التهم جزافا ؟!!

وهل الإنصاف والعدل عندهم أن يملئوا بعض صحفهم سباً وشتماً في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذي له الفضل بعد الله تعالى في هذا الخير الذي تنعم به هذه البلاد ؟!!

وهل الحرية التي يقصدون أن يُسب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . أبو بكر رضي الله عنه . في جريدة الرياض، ويوصف بأنه أول من سن سنة التكفير لأنه حارب المرتدين!! دون حسيب ولا رقيب؟!

وفي نهاية المطاف.. لعلك أخي القارئ أدركت الحرية التي يريدون ؟!! والإصلاح الذي يقصدون.. وصدق الله إذ يقول: ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ)) (البقرة:11،12).

============

علمتني الحياة : الحلقة العاشرة

مراهقة متأخرّة

الرجل يمرّ بفترتي مراهقة، إحداهما في مقتبل عمره حين يبلغ الرابعة عشرة، والثانية عند الأربعين، فرحم الله امرأة تفطّنت لذلك فحفظت زوجها وصانته عن الحرام.

الناصح الحاسد !!!

الناصح إمّا محبّ صادق، وإمّا شانىء حاسد، وعلامة هذا الأخير: إظهار النصيحة وإشهارها للتقليل، من شأن المنصوح، ومحاولة إسقاطه.

مسرحيات من نوع آخر.. !

كثيرة هي المسرحيّات.. لكنّ أخطرها ما تخرجه الدول الكبرى على أرض الواقع بواسطة استخباراتها وعملائها!! إنّها مسرحيّات حقيقيّة، يتمّ اختيار ممثّليها وأبطالها بعناية فائقة، ويقوم بإكمال مشاهدها المتبقيّة حثالة من الخونة المحلّيين باسم الإصلاح والتطوير، وربّما التحرير (!).. وأعجب ما في هذا الأمر أنّ مُشاهديها . وهم الكثرة الكاثرة . ما بين مصدّق مذهول، وفاغر فاه لا يدري ما يصنع أو يقول !.

الانطباع الأوّل

الناس يشكّلون انطباعهم عنك عند اللقاء الأوّل، وقد يصعب تغيير هذا الانطباع فيما بعد، فليكن لقاؤك الأوّل بهم حسناً.

للأئمّة فقط

إذا كنت إماماً للناس في الصلاة؛ فأطل الركعة الأولى مع ركوعها، حتّى يدركها معك أكبر عدد ممكن، فقد كان النبيّ . صلّى الله عليه وسلّم . يفعل ذلك، لا سيما في صلاتي الظهر والعصر.

حتى لا نخدع

الذين يعتنقون دين الإسلام كثيرون جدّاً من سائر الأجناس والأديان، ولكن لنكن على حذر من المتظاهرين بالإسلام حتّى لا نفاجأ بأمثال ابن سبأ، ولورانس العرب، وأتاتورك.

تعس عبد...

أكثر ما يستعبد الناس في هذا الزمن: المال والنساء والشهرة، ومن أراد أن يكون حرّاً؛ فليكن عبداً لله وحده.

قل للذي يعلن عن نفسِهِ جاءك ما تهوى بما تكره

ثلاثة تهرب من لاحقٍ: الظلُّ، والمرأةُ، والشهرة

دع المقادير تجري..

الزمن كفيل بحلّ الكثير من المشكلات، فتذرّع بالصبر، واحذر الاستعجال.

من يحمينا من الأدعياء ؟

ثلاث مهن شريفة يكثر فيها الأدعياء طلباً للشهرة والشهوة والتكسّب: الرقية الشرعيّة، وتفسير الأحلام، والتسوّل، فهلا تنبهنا لذلك ؟.

مقياس وعي الأمم

إذا أردت أن تقيس وعي أمّة من الأمم؛ فانظر إلى تهافت أفرادها على الدجّالين، والمشعوذين، وبائعي الأوهام ..!

قبل أن تستدلّ

قبل أن تستشهد بحديث نبوي شريف أو تستدلّ به؛ تأكّد من ثلاثٍ: صحّة سنده، وصحّة لفظه، وصحّة دلالته على الواقعة، والآيات من باب أولى. وما كلّ ما اشتهر على ألسنة الناس يكون صحيحاً.

بين أهل السنّة والبدعة

أهل البدع والأهواء . إلا من تاب . لا يزدادون مع توالي السنين إلا بعداً عن الصراط المستقيم وشقاء وخذلاناً، حتّى يُختم لهم بخاتمة السوء عياذاً بالله تعالى.

وأهل التوحيد والسنّة لا يزيدهم توالي الأعوام إلى قرباً من الله وثباتاً، وراحة وصفاءً، حتّى يختم لهم بخاتمة أهل السعادة، جعلنا الله منهم بمنّه وكرمه.

خطّ الانحراف

الانحراف . مهما كان يسيراً في بدايته . ما لم يُتدارك على الفور بالرجوع إلى الجادّة ولزومها؛ فإنّ الزاوية لا تزال تتسع وتكبر، حتّى يكون ما بين الخطّين بُعد ما بين المشرقين.

سنّة التمحيص

ما بين آونة وأخرى تُبتلى الدعوة الإسلاميّة بضربة موجعة، ورزيّة مفجعة، فيتساقط على إثرها كثير من الدخلاء والأدعياء، وينكشف عوارهم، إنّها سنّة التمييز والتمحيص، قال تعالى: ((مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ)) (آل عمران: 179).

الحياء والنساء

إنّ من رحمة الله على الرجال أن ألقى الحياء على النساء، ولولا هذا الحياء لهلك الرجال.

المستجدّات العصرية

المستجدّات العصريّة . سواء كانت أحداثاً أو صناعات ومخترعات . لا ينبغي الاستعجال في رفضها أو الحكم عليها قبل دراستها والنظر فيها، والموازنة بين مصالحها ومفاسدها.

السيل المتدفّق

حماس الشباب كالسيل المتدفّق، ما لم يضبط ويوجّه التوجيه السليم، فإنّه يقتلع ما أمامه.

يا معشر الشباب...

الشهوة نار مستعرة، إن لم تُطفأ بالحلال أحرقت صاحبها.

دمعة وبسمة

ربّ دمعة ساقطة أحرقت بحراً من الذنوب، وربّ بسمة صادقة أطفأت ناراً من الأحقاد في القلوب.

بين الكلام والعمل

بادر بالعمل، ولا تكثر من الكلام، فقد ربح العاملون، وخسر المتكلّمون.

السياج المنيع

التوحيد الصحيح هو السياج المنيع ضدّ التغريب والتنصير، أعطني موحّداً واحداً . ولو عامّياً . أغلب به ألف مغرّب ومنصّر.

فوائد الشجر

للشجرة في البيت خمس فوائد: ظلّ، وستر، وجمال، وصفاء، ونقاء[1].. وإذا كانت مثمرة، فتلك فائدة سادسة.

علاج المشكلات

عند وقوع مشكلة ما، لا بدّ من البحث الدقيق عن أسباب وقوعها، للتوصّل إلى حلّها، ولتلافي وقوع مثلها في المستقبل.

ظاهرة الخروج

تأمّلت ظاهرة الخروج على الولاة في تاريخنا الإسلاميّ . إن بحقّ أو بباطل . فوجدت نتائجها في الغالب دماء وأشلاء، وقتل أبرياء، وفقد عظماء أجلاء.

لقد خرج رسول الله . صلّى الله عليه وسلّم . من مكّة خائفاً متخفيّاً مطلوباً، ثمّ عاد إليها بعد سنوات معدودة فاتحاً مظفّراً منصوراً، ولم تُرق قطرة دم واحدة، بل لمّا قال سعد بن عبادة . رضي الله عنه . ذلك اليوم منتشياً: " اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستحلّ الحرمة "، عزله النبيّ . صلّى الله عليه وسلّم . وولّى مكانه ابنه قيساً . رضي الله عنه .، وقال عليه الصلاة والسلام: ((اليوم يوم المرحمة، اليوم يعظّم الله فيه الكعبة)) فما أعظمه من قائد حكيم، ومربٍ رحيم.

شرّ الحاسد

تعلّق بعض النفوس ببعض الأشياء أمر في غاية العجب، ويشتدّ الأمر خطورة حين يكون التعلّق بحقّ الغير من مال أو منصب أو امرأة.

حدّثني أحدهم سائلاً أنّه اشترى سيّارة جديدة لحاجته، ولم يركبها، فتعلّق بها رجل من الناس، وألحّ عليه في الشراء، فلم يرغب في بيعها، قال: فما إن أخرجتها من المعرض حتّى تعرضت لستّة حوادث في شهر واحد!!! فنصحته ببيعها في أسرع وقت.

وأعرف امرأة ذات جمال، تعلّق بها رجل من أقاربها، فتزوّجتْ غيره، فتنكّدتْ عليها حياتها، وما تزال ترى ذلك الرجل في منامها وكأنّه زوجها!! فعجباً لتلك النفوس!! ونعوذ بالله من شرّ الحاسد إذا حسد.

((أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً)) [النساء: 54].

أيّها الظالم.. لا تلتمس عذراً

الظلم عاقبته وخيمة، وإن التمس الظالم لنفسه أعذاراً.. فما كلّ من ظلم يقرّ بأنّه ظالم، ولكنّ ذلك لا يعفيه من العقوبة.

ضغوط خارجية

قال الجدار للمسمار: لِمَ تشقّني ؟! قال: انظر إلى من يدقّني.

طعم الحلال

إنّك لن تستمتع بطعم الحلال ما لم تتخلّص من الحرام فيما تأكل وتشرب وتسمع وتشاهد.

القاتل الخفي

إذا رأيت أو سمعت ما يعجبك، أو ذكرت أحداً بخير، فقل ما شاء الله تبارك الله.. " علامَ يقتل أحدكم أخاه ".

الكُتّاب أصناف:

فمنهم المرتزق الذي يكتب ليقبض، أو ليرضي أسياده.

ومنهم الغاوي الذي يكتب ليفسد الأجيال.

ومنهم الضالّ الذي يحمل فكراً منحرفاً، ويريد بثّه في الأمّة، وهو يحسب أنّه يُحسن صنعاً.!

ومنهم صاحب الشهوة الذي يكتب ليلفت الأنظار إليه، ويتلقّى رسائل المعجبات كما صرّح بذلك بعضهم !!.

ومنهم التاجر الذي يتّخذ من الكتابة وسيلة للثراء وجمع المال.

ومنهم الساخر الذي يكتب ليضحك الناس، ويعالج قضاياهم بأسلوبه الساخر.

ومنهم الحاقد الذي يكتب لينفّس عن أحقاده الدفينة وينفث سمومه عبر الورق.

ومنهم الأديب الذي يكتب لتتذوّق الأجيال حلاوة الكلمة، وجمال الألفاظ.

ومنهم الجادّ الذي يحمل همّ إصلاح أمّته ومجتمعه، ويحمل على عاتقه محاربة المذاهب الهدّامة، والأفكار المضلّلة.. وكم نحن بحاجة إلى مثل هذا الصنف من الكُتّاب.

[1] أمّا الصفاء، فلأنّها تمتص ثاني أكسيد الكربون، وتخرج الأكسجين. وأمّا النقاء؛ فلأنّها تحجب الغبار والأتربة عن البيت.

==================

الجمعيات النسوية والدور المشبوه

إنما دخل البلاء لديار الإسلام بسبب دعوات فاجرة ظهرت وتدرجت بالمسلمين شيئاً فشيئاً، ولبست لباس الزور وهم لا يعرفون حقيقتها، إلى أن وصل بهم الحال إلى ما ترون، بل إن هذه الدعوات لربما دخلت عن طريق بعض الجمعيات النسوية، لكونها ذريعة لخروج المرأة من بيتها، ولأنها يتسلل إليها عناصر مشبوهة، فتنتشر أفكارها من خلالها، وتقوم بنشاطات مخالفة للإسلام، إما عن طريق ما تقوم به وتنظمه من محاضرات، أو ندوات أو دروس، أو عن طريق ما تنشره من كتيبات، أو نحو ذلك[1]، وتكمن خطورة هذه الجمعيات في صعوبة مراقبتها لكونها أماكن مغلقة، فلا يدري ما يدور في داخلها، وهي إحدى الوسائل التي استعملت لإفساد المرأة في بلاد المسلمين، ولنأخذ مثلاً على ذلك مصر، لكونها من أوائل البلدان الإسلامية التي مرت بهذه التجربة، والتي كانت عاقبتها وخيمة جداً يراها كل مبصر: فحينما كانت الدول العربية تخوض حربها الأولى مع اليهود، تكون حزب نسائي اسمه حزب بنت النيل عام 1949م، ولم يمضي قليل حتى أصدر ذلك الحزب الناشئ مجلة بنت النيل باللغة العربية، والمرأة الجديدة باللغة الفرنسية، ثم أصدر مجلة البلبل للأطفال،

وبعد أشهر قليلة من تكوين ذلك الحزب سافرت رئيسته إلى بريطانيا، فقوبلت بحفاوة عظيمة، ورحبت بها الصحف البريطانية، ونشرت عنها الأحاديث العديدة التي تصورها بصورة الداعية إلى تحرير المرأة المصرية من الأغلال التي تثقل كاهلها، وتعوقها عن التقدم، أغلال الحجاب والطلاق وتعدد الزوجات، وقد ازدادت صلة هذا الحزب بالاستعمار وضوحاً، حينما نشرت مجلة روز اليوسف بعد ذلك مقالاً جاء فيه قولها: استقالت عضوة في إحدى الهيئات النسائية، وأرسلت استقالة مسببة إلى رئيسة الهيئة، تتهمها فيها بأخذ إعانات مالية من إحدى السفارات الأجنبية، وقد قبلت الرئيسة الاستقالة دون عرض الخطاب على مجلس الإدارة، ولم يمض إلا قليل حتى أكدت للجمهور المصري في عددها (24) هذا النبأ، وزادته وضوحاً حيث قالت: تشترك كل من السفارة البريطانية والأمريكية بمبلغ ألف جنيه سنوياً في بعض المجلات التي يصدرها حزب بنت النيل، هكذا كشف الغطاء، فظهر المستور، وعرف الناس سر هذه القوة الجبارة التي استطاعت إصدار ثلاث مجلات مختلفة في آن واحد، وعلى ورق مصقول، وبدأ نساء هذه الجمعيات في الاتجاه إلى المظاهرات، مطالبات بالنغمة نفسها، إلغاء الطلاق وتعدد الزوجات، وأبرقت جمعية سان فرانسيسكو النسائية بانجلترا، تهنئ الهيئات النسائية المصرية على كفاحها من أجل الحقوق السياسية، وتعلن تأييدها لها، اهتمام عجيب من كل ناحية، لا يفسره إلا اتفاق هذه النواحي في موقفها من مصر، وقد وجدت بعض القرارات التي اتخذت في مؤتمر أثينا، الذي حضرته رئيسة بنت النيل سنة 1951م، كشفت سر اهتمام الهيئات النسائية الدولية بحركات الأحزاب النسوية في مصر، حينما أيدت مندوبة الحزب المصري سياسة التسلح الدفاعي، التي يتذرع بها الاحتلال البريطاني للبقاء في أرض الوطن ورفض الجلاء، ومثل هذا الحزب النسائي امتداد لتلك الحركة التي قامت بها نازلي فاضل وهدى شعراوي.

أما نازلي فاضل هذه فجدها هو إبراهيم باشا، الذي هدم الأخلاق، وفعل أفاعيله المعروفة، ونازلي هذه كانت أداة في يد الانجليز، وذلك أن الصليبي الحقود مرقص فهمي حينما أصدر كتابه (المرة في الشرق)، الذي دعا فيه صراحة للقضاء على الحجاب الإسلامي، ودعا الإباحية واختلاط المرأة المسلمة بالأجانب عنها، ولتقييد

الطلاق، وإيجاب وقوعه أمام القاضي، ومنع الزواج بأكثر من واحدة، وإباحة الزواج بين المسلمات والأقباط النصارى، فقد أحدث هذا الكتاب ضجة عنيفة، فبدأ الاستعمار الانجليزي إثر هذه الضجة يبحث عن وسيلة لشد أزر مرقص فهمي، فلجأ إلى الأميرة نازلي فاضل، ليستعجلها على عمل شيء يساند مرقص فهمي، من خلال صالونها الذي افتتحته آنذاك، ليكون مركزاً تبث منه الدعوة إلى التغريب عامة، وإلى تحرير المرأة خاصة، وكان من نتيجة تعاونها مع الإنجليز على شد أزر مرقص فهمي، أن ضغطت على قاسم أمين الذي ألف كتابه تحرير المرأة، وما بعده من كتب، وأما هدى شعراوي فهي ابنة محمد باشا سلطان، الذي كان يرافق جيش الاحتلال البريطاني في زحفه على القاهرة، ويدعو إلى تقديم كافة المساعدات المطلوبة له، وقد سجل له التاريخ تقدمه مع فريق من الخبراء بهدية من الأسلحة الفاخرة، إلى قادة جيش الاحتلال شكراً لهم على إنقاذ البلاد، وقد قوبلت خدمات سلطان باشا هذه من الإنجليز بالإنعام عليه، بألقاب تخوله للقب سير، وأشاروا على الخديوي فمنحه عشرة آلاف من الجنيهات الذهبية، ولذلك فغير مستغرب أن ينتج هذه الأفعى تلك العقرب هدى شعراوي، فهي ذرية بعضها من بعض، فهدى هذه هي التي كونت الاتحاد النسائي المصري عام 1923م، الذي أصبح يمارس نشاطه حتى استطاع أن يمهد لعقد المؤتمر النسائي العربي عام 1944م، وقد حضره مندوبات عن الأقطار العربية المختلفة، واتخذت فيه القرارات المعتادة، وفي مقدمتها: تقييد الطلاق، وتعدد الزوجات، والمساواة التامة مع الرجل، وزاد على ذلك المطالبة بحذف نون النسوة.

والمرحلة التي مرت بها مصر هي التي تمر ببعضها هذه البلاد، فالصحف تعمل دوماً على طرق مواضيع المرأة، من وجهة نظر تخالف الشرع، ولم يعد الآن مستغرباً أن تجد كاتباً يكتب عن ذلك، فدعاة الشر كثير، ويملكون الوسائل التي تساهم في نشر فكرهم، وبروز نساء على الساحة يطالبن بمثل ما كانت تطالب به نازلي فاضل وهدى شعراوي، وأصبح الآن موجوداً، ولهن دوى يعرفه جميع من كان يتابع هذه الأمور، ووجود جمعيات نسائية أصبح الآن موجوداً كما كان في مصر موجوداً، غير أن الفرق في جرأة هذه الجمعيات على إعلان المبادئ التي يريدها، والأمر إذا

كان متخفياً قد يكون ضرره أشد، فهل فتك بالأمة سوى الدعوات الباطنية؟ وليس أدل على ذلك من التحقيق الذي نشرته مجلة الجغرافيا الوطنية التي تصدر في أمريكا، في عددها الصادر في أكتوبر عام 1987م، ففي هذا العدد تذكر الكاتبة أنها كانت قبل ما يقرب من ثمان وأربعين سنة زوجة لأحد السعوديين، حين كانت المرأة السعودية معتزة بالحجاب وعدم الاختلاط بالرجال، وتذكر في تحقيقها أنها قابلت إحدى المغنيات السعوديات، وتحدثت معها عن ماضي المرأة السعودية فقالت: نعم، كانت تلك الأيام أياماً ضيقة، ولكن ليس الآن وخاصة بالنسبة لي، وتواصل بقولها: نحن النساء استطعنا التخلص من أكثر المعوقات والعقبات إلى أبعد حد، وتضيف أنها تغني حيث لم يستطع الرجال فعل ذلك قبل عشرين سنة، وهذه الكاتبة قد دعّمت تحقيقها هذا بالصور لتدلل على ما تقول، وقد نشرت أشياء تدل على تغلغل هؤلاء الإفرنج في مجتمعنا، ومن قبله ما نشرة صوراً لبعض نساء البادية وهي تقود سيارة، فهذه الكاتبة تركز على إعطاء صورة عن مستقبل هذه البلاد، فكما أنه في الماضي كان فيه كذا وكذا فقد زال كله أو بعضه الآن، وكما أنه لا يستطيع أحد في الماضي أن يفعل كذا وكذا ويستطيع أن يفعله الآن، كذلك ما ينتظر في المستقبل أكثر مما قد تحقق، ومن ذلك قيادة المرأة للسيارة، حيث بدأ نساء البادية يفعلن ذلك، فنسأله سبحانه أن يخلف عنها وغيرها، وأن يصلح أحوالنا من حسن إلى أحسن، غير أن ذلك لا يتحقق إلا باليقظة التامة، والحذر عن الشر، وقد نشرت هذه الكاتبة صورة فاضحة لإحدى الفتيات السعوديات وهي شبه عارية، وهي تتلقى تمارين تخفيف الوزن ولا أريد ذكر اسمها، فتذكر أنها درست في الجامعة في أمريكا، ورجعت إلى جدة حيث تدرس النساء التمارين الجسمية، اللياقية المصحوبة بالموسيقى، (يعني الرقص)، وذلك في الجمعية الفلانية النسائية الخيرية.

ولا أريد أن أذكر اسم هذه الجمعية، لكن أي خير في تعليم نسائنا التحلل والرقص كما عند الغرب؟ فهذه من مهمات هذه الجمعيات التي يجب علينا أن نحذرها، وأن لا نسمح لنسائنا بارتيادها، وأن لا ندعمها بقليل ولا كثير، فالفقراء معروفون، من طلبهم وجدهم، كما أن علينا أن نحرص على نشر الوعي فيما بيننا، فإلى متى نبقى على هذا الجهل المخيم، وليتق الله كل منا فيمن ولاه الله أمره، ليجنبهم أسباب الردى من

أفلام وغيرها، فإن الله سائل كل راع عما استرعاه، فتفكر يا أخي فيما أنت قادم عليه من أهول يوم القيامة.

[1] مما تنشره في صفوف النساء اللاتي يضعف الوعي الإسلامي عندهن وبخاصة عوام النساء الفارغات وقت ذهاب الرجال

==============

##المرأةُ والولايات السيادية

تقديم

فضيلة الشيخ العلامة : عبد الرحمن بن ناصر البراك

وفضيلة الشيخ الدكتور: محمد بن رزق طرهوني

وفقهما الله تعالى

تأليف

عبد الرحمن بن سعد الشثري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله , والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه .

أمَّا بعد : فقد اطلعتُ على البحث الذي كتبه أخونا الشيخ : عبد الرحمن بن سعد الشثري , في حكم تنصيب المرأة في الولايات العامة , كالإمامة العظمى , والوزارة , والإدارة , فوجدته بحثاً جيِّداً , قد تضمَّن ذكر الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء في هذه المسألة , مما يتضمَّنُ الرَّد على أصحاب التوجُّه التغريبي من المنافقين والمخدوعين , فجزى الله المؤلف خيراً , ونفع بما كتبه .

وذلك بمناسبة ما نُشر في بعض الصحف من ترشيح عدد من النسوة ليكنَّ سفيرات في وزارة الخارجية , وهي خطوة مسبوقة لخطوات تغريب المرأة المسلمة , وهو تحقيق لِما تقضي به وثيقة هيئة الأمم المتحدة من تحريم التمييز ضد المرأة – أي تمييز الرجل على المرأة – وذلك يعني التسوية بينهما في جميع المجالات , وهي وثيقةٌ باطلةٌ , لأنها مناقضةٌ لجميع أحكام الإسلام التي فيها تمييزٌ بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات ((أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)) (المائدة:50) .

وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

حُرِّر في يوم الخميس 1426/9/10هـ .

أملاه

عبد الرحمن بن ناصر البراك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله , والصلاة والسلام على رسول الله .

أمَّا بعد : فقد اطلعت على رسالة الأخ الكريم المفضال الشيخ عبد الرحمن بن سعد الشثري , وعنوانها : المرأة والولايات السيادية , فوجدتها رسالة قيّمة , تسدُّ ثغرة هامة في وقتنا الحاضر , وتُمثِّل حصناً دفاعياً تجاه النعرات التي يعلو صوتها هذه الأيام . وقد أجاد أخونا الفاضل وفقه الله لكل خير في تستطير تلكم الرسالة القيمة , وذلك ضمن اهتماماته المتكرِّرة , نفع الله به بما يَجِدُّ في الساحة الإسلامية من مسائل ينتظر فيها ناشدو الحق من المسلمين الإيضاح والبيان من أهل العلم , ولكنهم يُصابون بخيبة أمل حينما لا يجدون البيانَ الشافي, والتوضيح الْمُؤصَّل , فكانت هذه الرسائل نبعاً صافياً ينهلُ منه كلٌّ من اختلطت عليه الأمور وتلاقفته الأهواء .

والمرأة خلال أربعة عشر قرناً خلت كانت مملكتها بيتُها , وحجابها سترها , وحياؤها هو رأس مالها مصداقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها)) , ولِما روي عنه أيضاً من قوله : ((من قعدت منكن في بيتها فإنها تدرك عمل المجاهدين)) , وتبيينه صلى الله عليه وسلم أنَّ النساء أسيرات عند أزواجهنَّ حيث قال : ((اتقوا الله في النساء فإنهنَّ عوان عندكم)) .

والنصوص في هذا المعنى كثيرة , وقد نقل الشيخ عبد الرحمن طائفة منها تُغني عن غيرها , وأردفها بفهم علماء الأمة الجهابذة فلم يترك مجالاً لمغرض أو لعابث فجزاه الله خير الجزاء .

وخروج المرأة من بيتها واختلاطها بالرجال مفتاح كل فساد وشر , وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((المرأةُ عورةٌ ، فإذا خَرَجَت اسْتَشْرَفَهَا الشيطانُ ، وأقربُ ما تكونُ مِن ربِّها إذا هيَ في قَعْرِ بيتها)) .

وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال : (بلغني أنَّ نساءكم ليُزاحمْنَ العلوج في الأسواق ، أما تغارون ؟ إنه لا خير في مَنْ لا يغار) .

ولا شك أن تولية المرأة أيَّ ولاية هو انتكاس لفطرتها وتعريض لها لأن تَفتن وتُفتن , ولا يرضى رجل لأهله مثل ذلك إلاَّ وهو ناقص في رجولته مضيع للأمانة التي استرعاه الله إياها , وإذا كان الله تعالى قد حرَّم تمكين النساء والأطفال من التصرف في الأموال إلاَّ تحت الوصاية والرعاية من الرجال فقال : ((وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً)) (النساء:5) كيف بما هو أعظم من ذلك من ولايات أهل الإسلام .

وها هو الغرب الكافر الذي فُتحت فيه أبواب الاختلاط السافر وتولية المرأة المناصب يشهد أهله من خلال دراسات ميدانية أن المرأة العاملة تتعرض دوماً للابتزاز الجنسي , ولا تكاد تسلم المرأة من ذلك حتى وإن كانت دميمة , فسبحان من شرع للمرأة الحجاب والقرار في البيت ومباعدة الرجال الأجانب .

أسأل الله تعالى أن يجزي الشيخ عبد الرحمن خير الجزاء على هذه الرسالة القيمة , وأن ينفع بها قارئها , وإني أُهيب بولاة أمور المسلمين – وفقهم الله – أن يَعضُّوا على ما جاء فيها بالنواجذ , وأن يسعوا إلى نشرها بكلِّ وسيلة ممكنة , بل هي أهلٌ لأن تُوزَّع على الطالبات في مراحل الدراسة المختلفة في بلاد المسلمين .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه

د. محمد بن رزق بن طرهوني

المدينة النبوية في 1426/11/15هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده , والصلاة والسلام على مَن لا نبيَّ بعده نبيِّنا وسيِّدنا وقدوتنا محمد صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم .

أما بعد : فقد اقترحَ بعضُ من يُظنُّ به الخير لمصالحَ يراها أنْ تُنشأ وزارة تختصُّ بشؤون المرأة , يتولاَّها امرأةٌ على مرتبة وزير , وكذلك : أن تتولَّى شؤون تعليم النساء امرأة على مرتبة وزيرة أو نائبة وزير , ودعا غيرهم إلى أن تولية المرأة بعض

الوزارات , ودخولها الانتخابات الرئاسية في بعض الدول , ودَعَى بعضهم إلى إدخال المرأة في السلك الدبلوماسي فتكون منهن السفيرة والممثلة القنصلية .. إلخ .

ولقد عَدَّ الحافظ ابن رجب الحنبلي ت795هـ – رحمه الله – الرَّد على المقالات الضعيفة وتبيين الحقِّ في خلافها بالأدلة الشرعية : من النصيحة لله , ولكتابه , ولرسوله صلَّى الله عليه وسلَّم , ولأئمة المسلمين , وعامتهم ([1]) .

ولبيان الحقِّ فيما ذُكر , والتعاون على البرِّ والتقوى أكتبُ عن حكم تولّي المرأة للخلافة العظمى , والوزارة , ما دونها مما فيه ولاية لها على الرجال كالسفارة مثلاً , وذلك عبر الفصول التالية :

الفصل الأول : معنى الولاية , والوزارة , والسفارة .

الفصل الثاني : أقسام الوزارة , وشروط مُتقلِّدها .

الفصل الثالث : دلالة الكتاب على حُرمة تولِّي المرأة للولاية والوزارة والسفارة .

الفصل الرابع : دلالة السنة على حُرمة تولِّي المرأة للولاية والوزارة والسفارة .

الفصل الخامس : الإجماع على حُرمة تولِّي المرأة للولاية والوزارة والسفارة .

الفصل السادس : دلالة العقل على حُرمة تولِّي المرأة للولاية والوزارة والسفارة .

الخاتمة .

وإلى الرسالة نفعني الله والمسلمين بها .

الفصل الأول

معنى الولاية , والوزارة , والسفارة .

معنى الولاية أو الإمامة أو الخلافة :

قال أبو الحسن علي بن محمد الماوردي ت450هـ رحمه الله تعالى : (الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا) ([2]).

والمعنى : وسياسة الدنيا به , أي : بالدين .

معنى الوزارة :

قال أبو بكر بن العربي ت543ه رحمه الله : (الوزارة ولاية شرعية , وهي عبارةٌ عن رَجُل موثوقٍ به في دينه , يُشاوره الخليفة فيما يَعِنُّ له من الأمور) ([3]) .

معنى السَّفارة :

(عمل السفير ومقامه) ([4]) , والسفير : (الرسول والمصلح بين قومين , وفي القانون الدولي : مبعوث يُمثِّل الدولة لدى رئيس الدولة المبعوث إليها) ([5]) .

وقال أبو زكريا محيي الدين النووي ت676رحمه الله : (في آخر الباب الرابع من كتاب الخلع : أصل السفارة الإصلاح , يُقال : سفرت بين القوم أي أصلحت , ثمَّ سُمِّي الرسول سفيراً لأنه يسعى في الإصلاح ويُبعثُ له غالباً) ([6]) .

الفصل الثاني

أقسام الوزارة , وشروط مُتقلِّدها .

ذكر علماء الأحكام السلطانية أنَّ الوزارة تنقسم إلى قسمين :

وزارة التفويض : وهي : (أنْ يَسْتَوْزِرَ الإمامُ مَنْ يُفوِّضُ إليه تدبيرَ الأمور برأيه وإمضاءها على اجتهاده) ([7]) .

(ويُعتبرُ في تقليد هذه الوزارة شروط الإمام) ([8]) الأعظم من : الإسلام ([9]) , والتكليف ([10]) , والحرية ([11]) , والذكورة ([12]) , والعدَالة ([13]) , والاجتهاد ([14]) , والكفاية ([15]) (إلاَّ النسب وحده) ([16]) , (فإنه لا يُعتبرُ فيه كونه قرشياً) ([17]) .

وهي أشبه ما يكون بمنصب رئيس الوزراء ([18]) من جهة التفويض العام , أمَّا التفويض الْمُقيَّد فيدخل فيه بقيَّة الوزراء .

القسم الثاني : وزارة التنفيذ :

و (هي التي لا يكونُ لصاحبها تدبير الأمور باجتهاده , وإنما يكونُ عملُه فيها قاصراً على تنفيذ أوامر الخليفة والتزامِ آرائه) ([19]) .

وفي عصرنا الحاضر : لَمْ تَعُدْ فيه وزارات التنفيذ مقصورة على أوامر الحاكم الْمُقيَّدة بالأنظمة والقوانين , بلْ أصبحَ لكلِّ وزارة تنفيذية صلاحيات عامة لِمُتقلِّدها وفق الأنظمة , ووظائف مخصوصة به من توظيف , ونقل , وتأديب , وترقية , تقع الأمة والدولة تحت نظره وتصرُّفه عليهما بموجب تلك الصلاحيات في مجال وظائفه المختصِّ بها .

الفصل الثالث

حكم تولِّي المرأة للولاية والوزارة من القرآن الكريم .

لقد دلَّ القرآن الكريم على حُرمة تولِّي المرأة للولاية ووزارة التفويض والتنفيذ , ومن ذلك :

1 – قول الله تعالى : ((الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ 4)) (النساء:34) ([20]) .

قال محمد بن أحمد القرطبي ت671هـ رحمه الله تعالى : (أي يقومون بالنفقة عليهنَّ والذبِّ عنهنَّ , وأيضاً : فإنَّ فيهم الحكام والأمراء ومن يغزو , وليس ذلك من النساء) ([21]) .

وقال البغوي ت516هـ : (يعني فضَّل الرجال على النساء بزيادة العقل والدين والولاية) ([22]) .

وقال البيضاوي : (يقومون عليهنَّ قيام الوُلاة على الرعيَّة , وعلَّل ذلك بأمرين : وهبي وكسبي فقال : ((بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)) بسبب تفضيله تعالى الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الأعمال والطاعات , ولذلك خُصُّوا بالنبوة والإمامة والولاية وإقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها , والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق) ([23]) .

وقال محمد بن علي الشوكاني ت1250هـ : (إنما استحقوا هذه المزية لتفضيل الله للرجال على النساء بما فضلهم به من كون فيهم الخلفاء والسلاطين والحكام والأمراء , والغزاة وغير ذلك من الأمور) ([24]) .

وقال أبو الأعلى المودودي : (هذا النصُّ يقطعُ بأنَّ المناصب الرئيسية في الدولة : رئاسة كانت أو وزارة ... لا تُفَوَّضُ إلى النساء ...) ([25]) .

2 – قول الله تعالى : ((وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكُيمٌ)) (البقرة:228) ([26]) .

قال ابن أبي حاتم : (حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ثنا وكيع قال : سمعت سفيان يقول : سمعت زيد بن أسلم يقول في قول الله : ((وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ 3)) قال : الإمارة) ([27]) .

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي ت1376هـ رحمه الله : (أي رفعة ورياسة وزيادة حق عليها , كما قال تعالى : ((الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ 4)) ومنصب النبوة , والقضاء , والإمامة الصغرى والكبرى , وسائر الولايات مختصٌّ بالرجال وله ضعفا ما لها في كثير من الأمور كالميراث ونحوه ((وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكُيمٌ)) أي : له العزة القاهرة , والسلطان العظيم الذي دانت له جميع الأشياء , ولكنه مع عزته حكيم في تصرفه) ([28]) .

3 – قول الله تعالى : ((وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)) (الأحزاب:33) ([29]) .

دلَّت الآية الكريمة على وجوب لزوم المرأة المسلمة بيتها , وعدم خروجها منه إلاَّ عند الحاجة , ويدلُّ لذلك أيضاً ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : (خرجت سودة بنت زمعة ليلاً فرآها عمر فعرفها فقال : إنك والله يا سودة ما تخفين علينا , فرجعت إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له وهو في حجرتي يتعشَّى وإن في يده لعرقاً , فأُنزل عليه , فرفع عنه وهو يقول : ((قد أذن الله لكنَّ أن تَخرجن لحوائجكنَّ)) ([30]) .

ومن أقوال المفسرين في الآية الكريمة :

قال أبو عبد الله القرطبي : (معنى هذه الآية : الأمر بلزوم البيت , وإن كان الخطاب لنساء النبي صلى الله عليه وسلم فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى , هذا لو لم يرد دليل يخصُّ جميع النساء , كيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة) ([31]) .

وقال أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ت597هـ : (قال المفسرون : ومعنى الآية : الأمر لهن بالتوقر والسكون في بيوتهن وأن لا يخرجن) ([32]) .

وقال أبو الفداء إسماعيل بن كثير ت774هـ : (أي : الزمن بيوتكنَّ فلا تخرجن لغير حاجة) ([33]) .

وقال القاضي أبو بكر بن العربي ت543هـ : (يعني : اسكنَّ فيها ولا تتحركن ولا تبرحن منها) ([34]) .

وقال أحمد مصطفى المراغي : (أي : الزمن بيوتكنَّ فلا تخرجن لغير حاجة ، وهو أمرٌ لَهُنَّ ولسائر النساء) ([35]) .

وقال حسنين محمد مخلوف : (الزمنها فلا تخرجن لغير حاجةٍ مشروعة ، ومثلُهنَّ في ذلك سائر نساء المؤمنين) ([36]) , وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي : (أي : اقررن فيها ، لأنه أسلمُ وأحفظُ لَكُنَّ) ([37]) .

وقال أبو الأعلى المودودي : (صفوة القول : أنَّ خروج المرأة من البيت لَمْ يُحمد في حالٍ من الأحوال ، وخير الهدي لَها في الإسلام أنْ تُلازمَ بيتَها كما تدلُّ عليه آية ((وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ)) دلالة واضحة) ([38]) .

وقال أبو الثناء محمود الألوسي ت1270هـ رحمه الله – بعد أن ذكر القراءات المتعدّدة لقوله تعالى : ((وَقَرْنَ)) – : (والمرادُ على جميع القراءات : أمرُهُنَّ رضي الله تعالى عنهنَّ بمُلازمة البيوت ، وهو أمرٌ مطلوبٌ من سائر النساء) ([39]) .

4 – قول الله تعالى : ((وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ)) (الأحزاب:53) ([40]) .

قال الإمام القرطبي رحمه الله : (التاسعةُ : في هذه الآية دليلٌ على أنَّ الله تعالى أذنَ في مسألتهنَّ من وراء حجابٍ في حاجةٍ تَعرضُ , أو مسألةٍ يُستفتينَ فيها , ويدخلُ في ذلكَ جميعُ النساء بالمعنى , وبما تضمَّنته أصولُ الشريعة مِنْ أنَّ المرأة كلُّها عورةٌ بَدَنُها وصوتُها كما تقدَّم , فلا يجوزُ كشف ذلك إلاَّ لحاجةٍ كالشهادة عليها , أو داءٍ يكونُ ببدنها , أو سؤالها عما يعرضُ وتعيَّن عندها) ([41]) .

وقال الدكتور إسماعيل البدوي : (يُقرّر القلقشندي أنَّ الإمام ([42]) لا يَستغني كلٌّ منهم عن الاختلاط بالرجال والمشاورة معهم في الأمور , والمرأةُ ممنوعةٌ من ذلك , ولأنَّ المرأة ناقصةٌ في أمر نفسها حتَّى لا تملك النكاح , فلا تُجعل إليها الولاية على غيرها) ([43]) .

فالشريعة جاءت باحتجاب النساء عن الرجال , ومنع الاختلاط بين الرجال والنساء , قال الإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ت751هـ رحمه الله تعالى : (وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ وَلِيَّ الأمْرِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَمْنَعَ اخْتِلاطَ الرِّجَالِ بالنِّسَاءِ فِي الأَسْوَاقِ , وَالْفُرَجِ , وَمَجَامِعِ الرِّجَالِ , قَالَ مَالِكٌ رحمه الله وَرَضِيَ عَنْهُ : أَرَى لِلإِمَامِ أَنْ يَتَقَدَّمَ

إلَى الصُّيَّاغ فِي قُعُودِ النِّسَاءِ إلَيْهِمْ , وَأَرَى أَلا يَتْرُكَ الْمَرْأَةَ الشَّابَّةَ تَجْلِسُ إلَى الصُّيَّاغِ , فَأَمَّا الْمَرْأَةُ الْمُتَجَالَّةُ وَالْخَادِمُ الدُّونُ , الَّتِي لا تُتَّهَمُ عَلَى الْقُعُودِ , وَلا يُتَّهَمُ مَنْ تَقْعُدُ عِنْدَهُ : فَإِنِّي لا أَرَى بذَلِكَ بَأْسًا , انْتَهَى , فَالإِمَامُ مَسْئُولٌ عَنْ ذَلِكَ , وَالْفِتْنَةُ بِهِ عَظِيمَةٌ , قَالَ صلى الله عليه وسلم : ((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ)) ([44]) , وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : ((بَاعِدُوا بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ)) ([45]) , وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : أَنَّهُ قَالَ لِلنِّسَاءِ : ((لَكُنَّ حَافَّاتُ الطَّرِيقِ)) ([46]) , وَيَجِبُ عَلَيْهِ مَنْعُ النِّسَاءِ مِنْ الْخُرُوجِ مُتَزَيِّنَاتٍ مُتَجَمِّلاتٍ , وَمَنْعُهُنَّ مِنْ الثِّيَابِ الَّتِي يَكُنَّ بهَا كَاسِيَاتٍ عَارِيَّاتٍ , كَالثِّيَابِ الْوَاسِعَةِ وَالرِّقَاقِ , وَمَنْعُهُنَّ مِنْ حَدِيثِ الرِّجَالِ , فِي الطُّرُقَاتِ , وَمَنْعُ الرِّجَالِ مِنْ ذَلِكَ , وَإِنْ رَأَى وَلِيُّ الأَمْرِ أَنْ يُفْسِدَ عَلَى الْمَرْأَةِ – إذا تَجَمَّلَتْ وَتَزَيَّنَتْ وَخَرَجَتْ – ثِيَابَهَا بحِبْرٍ وَنَحْوِهِ , فَقَدْ رَخَّصَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ وَأَصَابَ , وَهَذَا مِنْ أَدْنَى عُقُوبَتِهِنَّ الْمَالِيَّةِ , وَلَهُ أَنْ يَحْبسَ المَرأَةَ إذا أَكْثَرَت الْخُرُوجَ مِنْ مَنْزِلِهَا , وَلا سِيَّمَا إذَا خَرَجَتْ مُتَجَمِّلَةً , بَلْ إقْرَارُ النِّسَاءِ عَلَى ذَلِكَ إعَانَةٌ لَهُنَّ عَلَى الإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ , وَاَللَّهُ سَائِلٌ وَلِيَّ الأَمْرِ عَنْ ذَلِكَ , وَقَدْ مَنَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه النِّسَاءَ مِنْ الْمَشْيِ فِي طَرِيقِ الرِّجَالِ , وَالاخْتِلاطِ بِهِمْ فِي الطَّرِيقِ , فَعَلَى وَلِيِّ الأَمْرِ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِ فِي ذَلِكَ , وَقَالَ الْخَلالُ فِي جَامِعِهِ : أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْكَحَّالُ : أَنَّهُ قَالَ لأَبِي عَبْدِ اللَّهِ : أَرَى الرَّجُلَ السُّوءَ مَعَ الْمَرْأَةِ ؟ قَالَ : صِحْ بِهِ , وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : أَنَّ الْمَرْأَةَ إذَا تَطَيَّبَتْ وَخَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ ([47]) , وَيَمْنَعُ الْمَرْأَةَ إذَا أَصَابَتْ بَخُورًا أَنْ تَشْهَدَ عِشَاءَ الآخِرَةِ فِي الْمَسْجِدِ ([48]) , فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : ((الْمَرْأَةُ إذا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ)) ([49]) , وَلا رَيْبَ أَنَّ تَمْكِينَ النِّسَاءِ مِن اختِلاطِهِنَّ بالرِّجَالِ : أَصْلُ كُلِّ بَلِيَّةٍ وَشَرٍّ , وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ نُزُولِ الْعُقُوبَاتِ الْعَامَّةِ , كَمَا أَنَّهُ مِنْ أَسبَابِ فَسَادِ أُمُورِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ , وَاخْتِلاطُ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ سَبَبٌ لِكَثْرَةِ الفَوَاحِشِ وَالزِّنَا , وَهُوَ مِن أَسبَابِ الْمَوتِ العَامِّ , وَالطَّوَاعِينِ الْمُتَّصِلَةِ , وَلَمَّا اخْتَلَطَ الْبَغَايَا بِعَسْكَرِ مُوسَى , وَفَشَتْ فِيهِمْ الْفَاحِشَةُ : أَرْسَلَ اللَّهُ إلَيْهِمْ الطَّاعُونَ , فَمَاتَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ سَبْعُونَ أَلْفًا , وَالْقِصَّةُ مَشْهُورَةٌ فِي كُتُبِ التَّفَاسِيرِ ([50]) , فَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْمَوْتِ الْعَامِّ : كَثْرَةُ الزِّنَا , بسَبَبِ تَمْكِينِ النِّسَاءِ مِنْ اخْتِلاطِهِنَّ بالرِّجَالِ , وَالْمَشْيِ بَيْنَهُمْ مُتَبَرِّجَاتٍ مُتَجَمِّلاتٍ ,

وَلَوْ عَلِمَ أَوْلِيَاءُ الأَمْرِ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ فَسَادِ الدُّنْيَا وَالرَّعِيَّةِ – قَبْلَ الدِّينِ – لَكَانُوا أَشَدَّ شَيْءٍ مَنْعاً لِذَلِكَ , قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : (إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا فِي قَرِيَةٍ أَذِنَ اللَّهُ بِهَلاكِهَا) ([51]) , وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنيَا : حَدَّثَنَا إِبرَاهِيمُ بْنُ الأَشْعَثِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ الْعَمِّيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : ((مَا طَفَّفَ قَوْمٌ كَيْلاً , وَلا بَخَسُوا مِيزَاناً , إِلاَّ مَنَعَهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَطْرَ , وَلا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الزِّنَا إِلا ظَهَرَ فِيهِمْ الْمَوْتُ , وَلا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ عَمَلُ

قَوْمِ لُوطٍ إِلا ظَهَرَ فِيهِمْ الْخَسْفُ , وَمَا تَرَكَ قَوْمٌ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ إِلاَّ لَمْ تُرْفَعْ أَعْمَالُهُمْ , وَلَمْ يُسْمَعْ دُعَاؤُهُمْ)) ([52]) ([53]) .

([1]) يُنظر : الفرق بين النصيحة والتعيير لابن رجب ص11 .

([2]) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ص5 للماوردي .

([3]) أحكام القرآن ج1462/4 .

([4]) المعجم الوسيط ص433 مجمع اللغة العربي بالقاهرة بإشراف عبد السلام هارون .

([5]) المصدر السابق .

([6]) تهذيب الأسماء واللغات ج2142/3 .

([7]) الأحكام السلطانية ص22 للماوردي , والأحكام السلطانية ص29 للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي ت458هـ .

([8]) الأحكام السلطانية للفراء ص29 .

([9]) يُنظر : حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار ج548/1 لابن عابدين ت1306هـ , والإرشاد للجويني ص427 , والتاج والإكليل لمختصر خليل ج276/6 لأبي عبد الله محمد العبدري المعروف بابن المواق .

([10]) أي : بالغاً عاقلاً , وهذا بالإجماع .

يُنظر : حاشية ابن عابدين ج548/1 , وحواشي الشرواني وابن قاسم على تحفة المحتاج ج75/9 , ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ج130/4

للشربيني ت977هـ , وكشاف القناع عن متن الإقناع ج159/6 لمنصور البهوتي ت1051هـ .

([11]) يُنظر : كتاب الإرشاد ص427 , ولمع الأدلة ص116 وكلاهما للجويني , وغاية المرام ص383 لعلي بن محمد الآمدي ت631هـ , وحاشية ابن عابدين ج548/1 , وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ج265/4 لمحمد عرفة الدسوقي ت123هـ , ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ج389/7 للشافعي الصغير لمحمد الرملي ت1004هـ , والأحكام السلطانية ص20 لأبي يعلى , والمبدع في شرح المقنع ج10/10 لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن مفلح ت880هـ .

([12]) باتفاق الفقهاء .

يُنظر : حاشية ابن عابدين ج548/1 , وشرح منح الجليل على مختصر خليل ج138/4 لأبي عبد الله محمد عليش , ومغني المحتاج ج130/4 , والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد ج310/10 لأبي الحسن علاء الدين المرداوي ت885هـ , وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج127/1 لمحمد الأمين الشنقيطي ت1393هـ .

([13]) وهو مذهب المالكية , يُنظر : التاج والإكليل لمختصر خليل ج277/6 للمواق .

ومذهب الشافعية , يُنظر : نهاية المحتاج ج390/7 .

وإحدى الروايتين عن الإمام أحمد واختاره أكثر أصحابه , يُنظر : الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص20 , وكشاف القناع ج159/6 .

وقول بعض الحنفية , يُنظر : أحكام القرآن ج69/1 لأبي بكر أحمد بن علي الجصاص .

وقول الظاهرية , يُنظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج180/4 لعلي بن حزم الظاهري ت548هـ , وهذه المراجع المذكورة هي لشروط الإمامة العظمى .

([14]) وبه قال جمهور العلماء , وهو مذهب المالكية , يُنظر : متن مواهب الجليل من أدلة خليل ج200/4 لمحمد الأمين الشنقيطي ت1393هـ .

ومذهب الشافعية , يُنظر : حاشية البجيرمي ج204/4 .

ومذهب الحنابلة , يُنظر : المبدع ج10/10 .

وبعض الحنفية , يُنظر : حاشية ابن عابدين ج549/1 .

([15]) كالشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو , والرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح .

يُنظر : الأحكام السلطانية للماوردي ص6 , وحاشية ابن عابدين ج548/1 , والإرشاد ص426 , ومقدمة عبد الرحمن بن خلدون ص193 , وبلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك على الشرح الصغير للدردير ج414/2 لأحمد بن محمد الصاوي , ومغني المحتاج ج130/4 , والإنصاف ج310/10 , والأحكام السلطانية لأبي يعلى ص20 , والمواقف مع شرح الجرجاني ج349/8 للإيجي .

([16]) قاله الماوردي في الأحكام السلطانية ص22 , والفراء في الأحكام السلطانية ص29 .

([17]) قاله بدر الدين بن جماعة ت733هـ في كتابه : تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام ص77 .

([18]) نظام الوزارة في الدولة الإسلامية , دراسة مقارنة للدكتور إسماعيل البدري ص354 .

([19]) عبقرية الإسلام في أصول الحكم للدكتور منير العجلاني ص166 .

([20]) الآية 34 من سورة النساء .

([21]) الجامع لأحكام القرآن ج168/5 .

([22]) تفسير البغوي ج422/1 .

([23]) تفسير البيضاوي ج184/2 .

([24]) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ج460/1 .

([25]) نظرية الإسلام وهديه ص316 .

([26]) الآية 228 من سورة البقرة .

([27]) تفسير ابن أبي حاتم ج417/2 , ويُنظر : تفسير الطبري ج454/2 .

([28]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص102 .

([29]) الآية 33 من سورة الأحزاب .

([30]) رواه البخاري رحمه الله واللفظ له ح4939 باب خروج النساء لحوائجهن , ومسلم رحمه الله ح2170 باب إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان .

وقال أحمد بن حجر العسقلاني ت852هـ رحمه الله عن ترجمة الإمام البخاري رحمه الله على هذا الحديث : (عقب المصنف بهذه الترجمة ليُشير إلى أنَّ خروج النساء للبراز لم يستمر , بل اتخذت بعد ذلك الأخلية في البيوت , فاستغنين عن الخروج إلاَّ للضرورة) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج1/250 .

([31]) الجامع لأحكام القرآن ج14/179 .

([32]) زاد المسير في علم التفسير ج6/379 .

([33]) تفسير القرآن العظيم ج3/482 .

([34]) أحكام القرآن ج3/1535 .

([35]) تفسير المراغي ج22/6 .

([36]) صفوة البيان لمعاين القرآن ص531 .

([37]) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج6/219 .

([38]) الحجاب ص 235 .

([39]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج22/6 .

([40]) الآية 53 من سورة الأحزاب .

([41]) الجامع لأحكام القرآن ج14/227 .

([42]) ومثله وزير التفويض , والوالي ولاية عامة .

([43]) نظام الوزارة في الدولة الإسلامية ص102 .

([44]) رواه البخاري ح4808 باب ما يُتَّقى من شؤم المرأة وقوله تعالى : ((إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ))

, ومسلم ح2740 باب أكثر أهل الجنة الفقراء , وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء .

([45]) قال الملا علي قاري ت1014هـ : (غيرُ ثابتٍ , وإنما ذكره ابن الحاج في المدخل في صلاة العيدين , وذكره ابن جماعة في منسكه في طواف النساء من غيرِ سَنَد) الأسرار المرفوعة ص145 .

([46]) رواه أبـو داود ت275هـ رحمـه الله ح5272 بـاب فـي مشـي النسـاء مـع الرجال في الطريق , وسليمان الطبراني في المعجم الكبير ج261/19 , والبيهقي في شعب الإيمان ح7822 , وحسَّنه الألباني ت1420هـ رحمه الله في صحيح سنن أبي داود , وصحيح الجامع الصغير ح929 .

([47]) رواه الأئمة : أحمد ح19711 , والترمذي ح2786 باب ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطرة , وابن حبان ح4424 باب ذكر وصف زنى الأذن والرجل فيما يعملان مما لا يحل ، والبيهقي في الكبرى ح5769 باب ما يكره للنساء من الطيب عند الخروج وما يشتهرن بها , وابن خزيمة ح1681 باب التغليظ في تعطر المرأة عند الخروج ليوجد ريحها وتسمية فاعلها زانية , والحاكم ح3497 تفسير سورة النور , وقال الذهبي ح5318 : (صحَّحه الترمذي) ، وحسَّنه الألباني في صحيح موارد الظمآن ح1230 .

([48]) رواه مسلم ح444 باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة ، وأنها لا تخرج مطيبة .

([49]) رواه ابن حبان ح5599 في : ذكر الإخبار عما يجب على المرأة من لزوم قعر بيتها , والطبراني في الكبير ح9481 , والأوسط ح2890 , والبزار ح2061 , ورواه الترمذي ح1173 , وحسَّنه ابن قدامة في المغني ج74/7 , وقال الهيثمي : (رواه الطبراني فـي الكبيـر , ورجالـه موثوقـون) مجمـع الزوائـد ج35/2 , وصـحَّحه الألباني في صحيح ابن خزيمة ح1685 .

([50]) يُنظر : تفسير الطبري ج40/9 , تفسير القرطبي ج271/7 , تفسير ابن أبي حاتم ج1550/5 , تفسير البغوي ج193/2 , روح المعاني ج35/9 , زاد المسير ج251/3 , فتح القدير ج238/2 .

([51]) رواه الحـاكم عـن ابـن عبـاس وصـحَّحه ح2261 كتـاب البيـوع , ويُنظـر : تفسـير البغـوي ج120/3 , صـفوة الصـفوة ج420/1 , والكبـائر للـذهبي ص63 , الزواجر للهيثمي ج441/1 , وقال الحـافظ ابن حجر : (وأخرجـه الحـاكم من وجـه آخر موصولاً بلفظ : إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله) فتح البـاري ج193/10 , وقـال العجلـوني ت1102هـ : (رواه الطبرانـي , ورواه الطبرانـي

أيضاً والحاكم عن ابن عباس بلفظ : إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلُّوا بأنفسهم عذاب الله) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من أحاديث الناس ج1/111 .

([52]) يُنظر : ذم الهوى ص192 لابن الجوزي ت579هـ , والكبائر ص63 للذهبي ت748هـ .

([53]) الطرق الحكمية 287 ، ويُنظر : فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء برئاسة سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى رقم 5944 .

==============

#5 – قوله تعالى : ((أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ)) (الزخرف:18) ([1]) .

حيثُ دلَّت الآية الكريمة على ضعف المرأة الخلْقي , وعدم استطاعتها في الغالب على إظهار حقِّها , فضلاً عن حقِّ غيرها .

قال ابن كثير رحمه الله : (أي المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلي منذ تكون طفلة , وإذا خاصمت فلا عبارة لها بل هي عاجزة عيية , أو من يكون هكذا ينسب إلى جناب الله العظيم , فالأنثى ناقصة الظاهر والباطن في الصورة والمعنى , فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلي وما في معناه ليجبر ما فيها من نقص ... وأما نقص معناها فإنها ضعيفة عاجزة عن الانتصار عند الانتصار) ([2]) .

وقال قتادة رحمه الله : (قلَّما تكلَّمت امرأة تريد أن تتكلم بحجتها إلاَّ تكلَّمت بالحجة عليها) ([3]) .

وقال العلاَّمة الشنقيطي رحمه الله : (ولأنَّ عدم إبانتها في الخصام إذا ظُلمت دليلٌ على الضعف الخلْقي , كما قال الشاعر :

بنفسي وأهلي من إذا عرضوا له ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب

فلم يعتذر عذر البريء ولم تزل به سكتة حتى يقال مريب

ولا عبرة بنوادر النساء , لأنَّ النادرَ لا حكم له) ([4]) .

6 – قول الله تعالى : ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ)) (الأحزاب:59) ([5]) .

فقد دلَّت الآية الكريمة على وجوب تغطية المرأة لوجهها , وروى ابن جرير الطبري – ت310هـ – وغيره بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (أمرَ الله المؤمنات إذا خرجن من بيوتهنَّ في حاجة أن يُغطِّين وجوههنَّ من فوق رؤسهنَّ بالجلابيب ويُبدين عيناً واحدة) ([6]) .

الجلابيب مفرده جلباب ([7]) ، وهو : (كساء كثيف تشتمل به المسلمة من رأسها إلى قدميها ، ساتر لجميع بدنها ، وما عليه من ثياب وزينة) ([8]) .

ويُقال له : الْمُلاءة ([9]) , والمِلْحَفَة ([10]) , والرداء ([11]) , والدِّثار ([12]) .

والكساء ([13]) , والقناع ([14]) , وهو المسمَّى (العباءة) ([15]) .

وصفة لبسه : أنْ تضعَها فوق رأسها ، ضاربة بها على خمارها وعلى جميع بدنها وزينتها ، حتى تستر قدميها) ([16]) .

وقالت أمّ المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها في قصة الإفك : « .. فأتاني فعَرَفَنِي حينَ رآني ([17]) , وكانَ يَرَاني قبلَ الحجابِ ، فاستيقظتُ باسترجاعهِ حينَ عرَفَنِي فخَمَّرْتُ وجهي بجلْبابي ([18]) , والله مَا كلَّمَنِي كَلِمَةً ولا سمعتُ منه كلِمَةً غير استرجاعه ..) ([19]) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ، قال : قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ((مَن جرَّ ثوبَهُ خُيَلاءَ لَمْ ينظُرِ اللهُ إليه يومَ القيامة)) ([20]) .

وفي رواية ([21]) : (فقالت أمُّ سلمةَ رضي الله تعالى عنها : فكيفَ يَصْنَعُ النساءُ بِذُيُولِهِنَّ ، قال صلَّى الله عليه وسلَّم : ((يُرْخِينَ شِبْراً ، فقالت : إذاً تنكشِفُ أقدَامُهُنَّ ، قال صلَّى الله عليه وسلَّم : فيُرخِينَهُ ذِرَاعاً لا يَزِدْنَ عليه)) .

قال الشيخ عبد المحسن العباد : (فإنَّ مجيء الشريعة بتغطية النساء أقدامهنَّ يَدلُّ دلالة واضحة على أنَّ تغطية الوجه واجبٌ , لأنه موضع الفتنة والجمال من المرأة , وتغطيته أولى من تغطية الرجلين) ([22]) .

وقال الحافظ ابن حجر : (لَمْ تزل عادة النساء قديماً وحديثاً يسترنَ وجوههنَّ عن الأجانب) ([23]) .

7 – قوله تعالى : ((وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) (النور:31) ([24]) .

قال أبو بكر الجصاص : (فيه دلالة على أن المرأة منهية عن رفع صوتها بالكلام بحيث يسمع ذلك الأجانب إذ كان صوتها أقرب إلى الفتنة من صوت خلخالها ولذلك كره أصحابنا أذان النساء لأنه يحتاج فيه إلى رفع الصوت والمرأة منهية عن ذلك) ([25]) .

وقال ابن قدامة : (قال ابن عبد البر : أجمع العلماء على أنَّ السنة في المرأة أن لا ترفع صوتها , وإنما عليها أن تُسمع نفسها , وبهذا قال عطاء ومالك والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي , وروي عن سليمان بن يسار قال : السنة عندهم أنَّ المرأة لا ترفع صوتها بالإهلال , وإنما كُره لها رفع الصوت مخافة الفتنة بها , ولهذا لا يُسنُّ لَها أذان ولا إقامة , والمسنون لها في التنبيه في الصلاة التصفيق دون التسبيح) ([26]) .

وتولِّي المرأة للولاية العظمى فما دونها يُعرِّضها لِمحادثة الرجال الأجانب .

8 – قوله تعالى : ((قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ)) (النور:30–31) ([27]) .

فذهبَ أكثر العلماء إلى تحريم نظر المرأة للرجل , وهو مذهب الشافعية في الصحيح عندهم ([28]) , والحنابلة في رواية ثالثة ([29]) , ورأي عند المالكية ([30]) .

وتولِّي المرأة للولاية يُعرِّضها للنظر إلى الرجال قطعاً .

وقال الإمام النووي رحمه الله : (الصحيح الذي عليه جمهور العلماء وأكثر الصحابة : أنه يَحرمُ على المرأة النظر إلى الأجنبي , كما يحرمُ عليه النظر إليها لقوله تعالى : ((قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)) ((وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ)) ولأنَّ الفتنة مشتركة , وكما يَخافُ الافتتان بها تَخافُ الافتتان به , ويدلُّ عليه من السنة حديث نبهان مولى أمِّ سلمة عن أمِّ سلمة أنها كانت هي وميمونة عند النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم فدخل ابن أم مكتوم , فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم : ((احتَجبا منه , فقالتا إنه أعمى لا يُبصر , فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم : أفعمياوان أنتما فليس تبصرانه ؟)) وهذا الحديثُ حديثٌ حسنٌ , رواه أبو داود والترمذي وغيرهما ([31]) , قال الترمذي : هو حديث حسن , ولا يُلتفت إلى قدَحِ مَن قدَحَ فيه

بغير حُجَّة معتمدة , وأما حديث فاطمة بنت قيس مع ابن أمِّ مكتوم فليس فيه إذنٌ لها في النظر إليه , بل فيه أنها تأمنُ عنده مِن نظر غيرها , وهي مأمورةٌ بغضِّ بصرها , فيمكنُها الاحترازُ عن النظر بلا مشقَّة , بخلاف مُكثها في بيت أمِّ شريك) ([32]) .

فهذا تصحيح الإمام النووي لحديث نبهان رحمه الله عن أمِّ سلمة رضي الله عنها , وقال إسحاق بن هانئ النيسابوري ت275هـ : (سألتُ أبا عبد الله عن حديث نبهان عن أمِّ سلمة – وساق الحديث – ثمَّ قال : هذا لا ينبغي للمرأة أن تنظر إلى الرجل كما أنَّ الرجل لا ينبغي له أن ينظر إلى المرأة ؟ قال – أي الإمام أحمد – نعم) ([33]) .

وقال الإمام الترمذي ت279هـ رحمه الله : (هذا حديثٌ حسنٌ صحيح) , وقال الحافظ ابن حجر ت852هـ : (وإسناده قوي) ([34]) , وقال الإمام الذهبي ت748هـ : (نبهان عن مولاته أم سلمة , وعنه الزهري , ومحمد بن عبد الرحمن , ثقة) ([35]) , وقال العيني ت855هـ : (وهو حديث صحَّحه الأئمة بإسناد قوي) ([36]) , ومِمَّن صحَّحه : التركماني في الجوهر النقي ج327/10–328 , والشوكاني في نيل الأوطار ج117/6 .

وسألتُ الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السعد وفقه الله عن هذا الحديث فقال : (إسناده صالح) .

وعن إسحاق الأعمى قال : « دخلتُ على عائشة رضي الله عنها فاحتجَبَت منِّي , فقلتُ : تحتجبين منِّي ولستُ أراك ؟ قالت : إنْ لَم تكن تراني فإني أراك » ([37]) .

وقال الإمام ابن كثير : (فقوله تعالى : ((وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ)) أي عما حرَّم الله عليهنَّ من النظر إلى غير أزواجهنَّ , ولهذا ذهب كثيرٌ من العلماء إلى أنه لا يجوزُ للمرأة النظر إلى الرجال الأجانب بشهوة ولا بغير شهوة أصلاً , واحتجَّ كثيرٌ منهم بما رواه أبو داود والترمذي من حديث الزهري عن نبهان مولى أمِّ سلمة أنه حدَّثه أنَّ أمَّ سلمة حدَّثته – ثمَّ ذكر الحديث بتمامه – ثمَّ قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح) ([38]) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ت728هـ رحمه الله تعالى : (وقد ذهب كثير من العلماء إلى أنه لا يجوز للمرأة أن تنظر إلى الأجانب من الرجال بشهوة ولا بغير شهوة أصلاً) ([39]) .

وروى الإمام البخاري في عدَّة مواضع من صحيحه حديث رؤية عائشة رضي الله عنها لِلَعبِ الحبشة بالحراب في المسجد , والموضع الأول منها : (كتاب الصلاة) (باب أصحاب الحراب في المسجد) ثمَّ قال : حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال : حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن بن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير أنَّ عائشة قالت : « لقد رأيتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يوماً على باب حجرتي والحبشة يلعبونَ في المسجد ورسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يسترني بردائه أنظرُ إلى لعبهم , زاد إبراهيم بن المنذر حدثنا بن وهب أخبرني يونس عن بن شهاب عن عروة عن عائشة قالت : رأيتُ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم والحبشة يلعبونَ بحرابهم » .

قال ابن حجر : (وقال النووي : أمَّا النظر بشهوة وعند خشية الفتنة فحرامٌ اتفاقاً , وأمَّا بغير شهوة فالأصح أنه محرَّم , وأجاب عن هذا الحديث : بأنه يحتمل أن يكون ذلك قبل بلوغ عائشة , وهذا قد تقدَّمت الإشارة إلى ما فيه , قال : أو كانت تنظر إلى لعبهم بحرابهم لا إلى وجوههم وأبدانهم , وإن وقع بلا قصد أمكنَ أن تصرفه في الحال , انتهى) ([40]) .

ومن السنة :

1 – قوله صلَّى الله عليه وسلَّم : ((لن يُفلحَ قومٌ ولَّوا أمرهم امرأة)) رواه البخاري ([41]) .

قال الشيخ الْمُحدِّث عبد المحسن بن حمد العباد : (وأخرجه الإمام أحمد في مسنده 20402 , 20474 , 20477 بلفظ : ((أسندوا أمرهم إلى امرأة)) ([42]) و 20438 , 20478 , 20517 بلفظ : ((تملكهم امرأة)) ([43]) و 20508 بلفظ : ((ما أفلح قومٌ تلي أمرهم امرأة)) , وأخرجه النسائي في كتاب القضاء من سننه 5388 : باب النهي عن استعمال النساء في الحكم ([44]) , ولفظه : ((لن يُفلح قوم ولوا أمرهم امرأة)) وأخرجه الترمذي 2262 بمثل لفظ البخاري والنسائي , وقال :

« هذا حديث صحيح » وهذا الحديث واضح الدلالة على أنَّ المرأة ليست من أهل الولاية العامة , بل في ذكر النسائي له في كتاب القضاء دلالَة على أنها ليست أهلاً لِما دون ذلك وهو القضاء) ([45]) .

وقال الماوردي والفرَّاء عن وزارة التنفيذ : (لا يجوزُ أن تقوم بذلك امرأةٌ وإنْ كان خبَرُها مقبولاً لِمَا تضمنه معنى الولايات المصروفة عن النساء , لقول النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم : ((ما أفلح قومٌ أسندوا أمرهم امرأةٌ)) ([46]) , ولأنَّ فيها من طلب الرأي وثبات العزم ما تضعف عنه النساء , ومن الظهور في مباشرة الأمور ما هو عليهنَّ محظور) ([47]) .

وقال الحسين البغوي ت516 رحمه الله : (اتفقوا على أنَّ المرأةَ لا تصلحُ أنْ تكونَ إماماً , ولا قاضياً , لأنَّ الإمامَ يحتاجُ إلى الخروج لإقامة أمر الجهاد , والقيام بأمور المسلمين , والقاضي يحتاجُ إلى البروز لفصل الخصومات , والمرأة عورةٌ لا تصلحُ للبروز , وتعجزُ لضعفها عن القيام بأكثر الأمور , ولأنَّ المرأةَ ناقصةٌ , والإمامة والقضاء من كمال الولايات , فلا يصلحُ لها إلاَّ الكامل من الرجال) ([48]) .

وقال محمد بن إسماعيل الصنعاني ت852هـ : (فيه دليلٌ على أنَّ المرأة ليست من أهل الولايات , ولا يَحِلُّ لقومها توليتها , لأنَّ تجنُّبَ الأمر الْمُوجب لعدم الفلاح واجبٌ) ([49]) .

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ت1420هـ رحمه الله : (وقد حرصَ الإسلام على أن يُبعد المرأة عن جميع ما يُخالف طبيعتها ، فمنَعَها من تولي الولاية العامة كرئاسة الدولة والقضاء وجميع ما فيه مسؤوليات عامة ، لقوله صلَّى الله عليه وسلَّم : ((لن يُفلحَ قومٌ ولَّوا أمرهم امرأة)) ([50]) .

فتبيَّنَ لنا من هذا الحديث : أنَّ مناطَ عدم الفلاح هو الأُنوثة , وهو نصٌ في منع المرأة من تولِّي أيٍّ من الولايات العامة , وكونها وزيرة إنما هو من الولايات العامة ([51]) .

قال الماوردي : (فلما منعها نقص الأنوثة من إمامة الصلوات مع جواز إمامة الفاسق كان المنع من القضاء الذي لا يصح من الفاسق أولى) ([52]) .

وقال الدكتور محمد البهي رحمه الله : (قد تولَّت المرأة في العشر سنوات الماضية في بعض دول آسيا وأمريكا اللاتينية , في الهند , وسيلان , والأرجنتين : الرياسة الكبرى , وخرجت كلُّ واحدة منهنَّ من ولايتها العامة بضياع كلِّ الثقة تماماً التي أولتها هذه الولاية , وبرصيد كبير من الانحرافات في الحكم تُعطي الدليل الواضح على تقلُّب المرأة وسرعتها في الاستجابة العاطفية للمؤثرات , وعدم الاطمئنان إلى فصلها في الأمور , بروح التجرُّد , أو بروح التأنِّي والروية) ([53]) .

2 – عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنه قال : ((يا معشرَ النساء تصدَّقنَ وأكثرنَ الاستغفارَ فإنِّي رأيتُكُنَّ أكثرَ أهلِ النار , فقالت امرأةٌ منهنَّ جَزْلَةٌ : وما لَنا يا رسولَ الله أكثرَ أهلِ النار ؟ قال : تُكْثِرْنَ اللعنَ , وتكْفُرْنَ العشيرَ , وما رأيتُ مِنْ ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أغلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنكُنَّ , قالت : يا رسولَ الله , وما نُقصانُ العقل والدين ؟ قال : أمَّا نُقصانُ العقلِ : فشهادةُ امرأتينِ تعدلُ شهادةَ رجلٍ , فهذا نقصانُ العقل , وتَمكُثُ الليالِيَ ما تُصلِّي , وتُفطرُ في رمضانَ , فهذا نُقصان الدين)) ([54]) .

قال محمد صديق القنوجي ت1307هـ رحمه الله : (ومَنْ كان كذلك لا يصلحُ لتدبير أمر الأمة ولتولِّي الحكم بين عباد الله وفصل خصوماتهم بما تقتضيه الشريعة المطهرة ويوجبه العدل , فليسَ بعد نقصان العقل والدين شيء ..) ([55]) .

3 – عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ((المرأةُ عورةٌ ، فإذا خَرَجَت اسْتَشْرَفَهَا الشيطانُ ، وأقربُ ما تكونُ مِن ربِّها إذا هيَ في قَعْرِ بيتها)) ([56]) .

((اسْتَشْرَفَهَا)) : (أي رفع البصر إليها ليغويها أو يغوي بها .. أو المراد شيطان الإنس .. بمعنى أنَّ أهل الفسق إذا رأوها بارزةً طمحوا بأبصارهم نحوها .. أَسندَ إلى الشيطان لِما أَشربَ في قلوبهم من الفجور ، والأصلُ في الاستشراف : رفعُ البصر للنظر إلى الشيء وبسط الكف فوق الحاجب) ([57]) .

قال العلاَّمة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى عن هذا الحديث : (وما جاء فيه من كون المرأة عورةٌ يدلُّ على الحجاب للزوم ستر كل ما يصدق عليه اسم العورة , ومما يُؤيِّدُ ذلك ما ذكره الهيثمي أيضاً في مجمع الزوائد عن ابن مسعود رضي الله

عنـه قـال : ((إنمـا النسـاء عـورةٌ ، وإنَّ المـرأة لتخـرجُ مـن بيتهـا ومـا بـه مـن بـأسٍ ، فيستشرفُ لَهـا الشيطانُ فيقولُ : إنكِ لا تَمُرِّينَ بأحدٍ إلاَّ أعجبتـهِ ، وإنَّ المـرأةَ لتلـبسُ ثيابَـها ، فيُقالُ : أينَ تريدين ؟ فتقولُ أعودُ مريضـاً ، أو أشـهد جنازةً ، أو أُصـلي فـي مسجدٍ ، ومـا عَبَدَتْ امرأةٌ ربَّها مثلَ أنْ تعبُدَهُ في بيتهـا !)) ([58]) ثمَّ قـال : رواه الطبرانـي فـي الكبيـر ورجالـه ثقـات , انتهـى منـه , ومثلـه لـه حكـم الرفـع إذ لا مجـال للرأي فيه) ([59]) .

4 – عن ابن عباس رضـي الله عنهما أنـه سمع النبيَّ صلـى الله عليه وسلم يقول : ((لا يخلونَّ رجلٌ بامرأة , ولا تسافرنَّ امرأة إلا ومعها محرم , فقام رجلٌ فقال يـا رسـول الله : اكتتبـت فـي غـزوة كـذا وكـذا وخرَجَـت امرأتـي حاجـة , قـال : اذهـب فحُـجَّ مـع امرأتك)) ([60]) .

وقال صلى الله عليه وسلم : (وعن أبي هريرة رضـي الله عنـه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا يحل لامرأة مسلمة تُسافر مسيرة ليلـة إلاَّ ومعها رجلٌ ذو حرمة منها)) ([61]) .

وعن أبي سـعيد الخـدري رضـي الله عنـه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا تسافر المرأة يومين من الدهر إلا ومعها ذو محرم منها أو زوجها)) ([62]) .

وعن ابـن عمـر رضـي الله عنهمـا أنَّ النبـيَّ صلـى الله عليـه وسلم قـال : ((لا تسـافر المرأة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم)) ([63]) .

قـال الإمـام النـووي : (قـال العلمـاء : اخـتلاف هـذه الألفـاظ لاخـتلاف السـائلين , واختلاف المواطن , وليس في النهي عن الثلاثة تصريح بإباحة اليوم والليلة أو البريد , قال البيهقي : كأنـه صلى الله عليه وسلم سُئل عن المرأة تسافر ثلاثاً بغير محرم فقال : لا , وسُئل عن سفرها يومين بغير محرم , فقال : لا , وسُئل عن سفرها يوماً , فقال : لا , وكذلك البريد , فأدَّى كلٌّ منهم مـا سمعه , ومـا جـاء منهـا مختلفـاً عـن رواية واحد فسمعه في مواطن فروى تارة هذا وتارة هذا وكلُّه صـحيح , وليس فـي هـذا كله تحديد لأقل ما يقع عليه اسم السفر , ولم يُرد صلى الله عليه وسلم تحديد أقل مـا يُسمَّى سفراً , فالحاصلُ أنَّ كلَّ ما يُسمَّى سفراً تُنهى عنـه المرأة بغير زوج أو محرم ,

سواء كان ثلاثة أيام أو يومين أو يوماً أو بريداً أو غير ذلك لرواية ابن عباس المطلقة) ([64]).

وهذه الأحاديث في تحريم الخلوة بالمرأة إلاَّ مع ذي محرم , وتحريم سفرها إلاَّ مع ذي محرم , وهي دالة على أنَّ المرأة ليست من أهل الولاية العامة ولا ما دونها من الولايات على الرجال , وكيف تلي الأمر من لا تسافر إلاَّ مع ذي محرم ؟ ومن لا يخلو بها رجل إلاَّ مع ذي محرم ([65]) .

5 – عن أُسامة بن زيد رضي الله عنه قَالَ : قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ)) ([66]) .

قال الحافظ ابن حجر : (ويدلُّ الحديثُ على أنَّ الفتنة بالنساء أشدّ من الفتنة بغيرهنَّ ، ويشهدُ له قوله تعالى : ((زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)) (آل عمران:14) ([67]) فجعلهنَّ من حبّ الشهوات ، وبدَأَ بهنَّ إشارة إلى أنَّهنَّ الأصل في ذلك) ([68]) .

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله : (فعملُ المرأة بين الرجال من غير المحارم فتنةٌ تضعها على الطريق الْمُوصل إلى ما لا تُحمَد عقباه مما حرَّم الله ، وما يُؤدِّي إلى الحرامِ حرامٌ) ([69]) .

6 – قوله صلى الله عليه وسلم : ((ولا يَؤُمَنَّ الرجلُ الرجلَ في سلطانه)) ([70]) .

قال محمد المباركفوري رحمه الله : (أي : في مظهر سلطنته ومحل ولايته , أو فيما يملكه , أو في محلٍ يكون في حكمه) ([71]) .

فدلَّ الحديث على أنَّ الإمام الأعظم ونُوَّابه أحقُّ بإمامة الصلاة من غيرهم , وهذا هو المشهور في المذاهب الأربعة ([72]) .

([1]) الآية 18 من سورة الزخرف .

([2]) تفسير ابن كثير ج126/4 .

([3]) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج370/7 لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت911هـ .

([4]) أضواء البيان ج104/1 .

([5]) الآية 59 من سورة الأحزاب .

([6]) تفسير الطبري ج22/45-46 , ورواه البيهقي في سننه الكبرى ج7/94 باب ما تُبدي المرأة من زينتها للمذكورين في الآية من محارمها , ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره ج1/334 .

([7]) (والجلباب ثوب أكبر من الخمار ، وروي عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما : أنه الرداء ، واختلف الناس في صورة إدنائه ، فقال ابن عباس وعبيدة السلماني : ذلك أنَّ تلويه المرأة حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة تُبصر بها) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج4/399 لابن عطية ت546هـ .

([8]) قال الإمام السمعاني في تفسيره ج4/307 : (وهو الرداء ، وهو المُلاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار ، قال عبيدة السلماني : تتغطى المرأة بجلبابها ، فتستر رأسها ووجهها وجميع بدنها ، إلا إحدى عينيها) ويُنظر : معاني القرآن للنحاس ج5/378 , والدرعُ هو القميص (ينظر : مطالب أولي النهى ج1/332 لمصطفى الرحيباني ت1243هـ) .

وقال شيخ الإسلام : (قد ثبتَ بالنصِّ والإجماع : أنه ليس عليها في الصلاة أن تلبس الجلباب الذي يسترها إذا كانت في بيتها ، وإنما ذلك إذا خرجت ، وحينئذ فتصلي في بيتها ، وإن رُؤي وجهها ويداها وقدماها) مجموع الفتاوى ج22/115 .

([9]) يُنظر مثلاً : تفسير البغوي ج3/544 ، وتفسير الجلالين ص560 لمحمد بن أحمد , عبد الرحمن بن أبي بكر المحلي , والسيوطي ، وأضواء البيان ج6/244 , وعون المعبود ج11/106 لأبي الطيب العظيم آبادي .

([10]) يُنظر مثلاً : الكشاف ج3/569 لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ت538هـ (والزمخشري معتزلي , فيكون القارئ على يقظة وحذر) ، وتفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) ج7/115 لأبي السعود العمادي ت951هـ .

([11]) قاله ابن مسعود رضي الله عنه ، يُنظر مثلاً : الدر المنثور ج6/222 ، وتفسير ابن أبي حاتم 2/443 للرازي ت327هـ .

([12]) يُنظر مثلاً : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج392/5 ، وتفسير الثعالبي ج358/4 ، وروح المعاني ج115/29 ، وتفسر البحر المحيط ج361/8 لأبي حيان ت745هـ .

وقال الفيومي ت770هـ رحمه الله تعالى : (الدِّثَارُ : مَا يَتَدَثَّرُ بِهِ الإِنسَانُ وَهُوَ مَا يُلْقِيهِ عَلَيْهِ مِنْ كِسَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ فَوْقَ الشِّعَارِ , وَتَدَثَّرَ بِالدِّثَارِ تَلَفَّفَ بِهِ , فَهُوَ مُتَدَثِّرٌ وَمُدَّثِّرٌ بِالإِدْغَامِ) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ج189/1 .

([13]) يُنظر مثلاً : جمهرة اللغة ج1101/2 لأبي بكر محمد بن الحسن الأزدي ، وتاج العروس من جوهر القاموس ج288/29 لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي ت1205هـ .

([14]) قاله سعيد بن جبير رحمه الله ، يُنظر مثلاً : تفسير ابن أبي حاتم 576/8، والدر المنثور للسيوطي ج182/6 .

([15]) يُنظر مثلاً : لسان العرب ج6/9 لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ت711هـ ، والقاموس المحيط ص60 لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت817هـ ، ومختار الصحاح ص371 لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت721هـ ، والمعجم الوسيط ج579/2 لإبراهيم مصطفى , وأحمد الزيات , وحامد عبد القادر , ومحمد النجار .

وقال الفيومي : (الْعَبَاءَةُ بِالْمَدِّ , وَالْعَبَايَةُ بِالْيَاءِ لُغَةٌ , وَالْجَمْعُ : عَبَاءٌ بِحَذْفِ الْهَاءِ وَعَبَاءَاتٌ أَيْضاً) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ج391/2 .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (والجلباب : هو المُلاءة , وهو الذى يُسميه ابن مسعود وغيره الرداء , وتسميه العامة الإزار , وهو الإزار الكبير الذى يُغطِّي رأسها وسائر بدنها , وقد حكى أبوعبيد وغيره أنها تدنيه من فوق رأسها فلا تُظهر إلا عينها , ومن جنسه النقاب , فكنَّ النساء ينتقبن , وفى الصحيح : أنَّ المحرمة لا تنتقب , ولا تلبس القفازين , فإذا كُنَّ مأمورات بالجلباب لئلا يُعرفن وهو ستر الوجه أو ستر الوجه بالنقاب , كان الوجه واليدان من الزينة التى أُمرت ألاَّ تُظهرها للأجانب فما بقي يَحلُ للأجانب النظر إلاَّ إلى الثياب الظاهرة) مجموع الفتاوى ج22/110-111 .

([16]) يُنظر : حراسة الفضيلة للشيخ للعلامة بكر بن عبدالله أبو زيد – وفقه الله تعالى – ص31–36 .

([17]) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : (هذا يُشعر بأنَّ وجهها انكشف لَمَّا نامت ، لأنه تقدَّم أنها رضي الله تعالى عنها تلفَّفت بجلبابها ونامت ، فلما انتبهت باسترجاع صفوان رضي الله عنه بادرت إلى تغطية وجهها) فتح الباري ج462/8–463 .

([18]) (أي : غطيتُ وجهي) المصدر السابق .

([19]) رواه الإمامان البخاري ح4473 واللفظ له , باب قوله تعالى :, ومسلم ح2770 باب : حديث في الإفك وقبول توبة القاذف .

([20]) رواه البخاري ح5784 باب : من جر إزاره من غير خيلاء , ومسلم ح5457 باب : تحريم جر الثوب خيلاء ، وبيان حدِّ ما يجوز إرخاؤه إليه ، وما يستحب .

([21]) للإمام مالك ح1657 , والترمذي واللفظ له ح1731 وقال : هذا حديث حسن صحيح , باب : ما جاء في جرِّ ذيول النساء ، والنسائي ت303هـ ح5338 في ذيول النساء , وذكره الألباني في الصحيحة ح1864 رحمهم الله تعالى .

([22]) الدفاع عن أبي بكرة رضي الله عنه ومروياته ص35 .

([23]) فتح الباري ج224/9 .

([24]) الآية 31 من سورة النور .

([25]) أحكام القرآن ج177/5 .

([26]) المغني ج157/3 .

([27]) الآيتان 30–31 من سورة النور .

([28]) يُنظر : منهاج الطالبين ص95 , وروضة الطالبين ج25/7 , والمجموع ج11/15 وهذه الكتب الثلاثة للإمام النووي ت676هـ , وقليوبي وعميرة على شرح جلال الدين المحلِّي على منهاج الطالبين ج176/1 ج211/3 لشهاب الدين القليوبي ت1069هـ وعميرة , وفتح الوهاب ج32/2 لأبي زكريا الأنصاري ت925هـ , وفتح الجواد ج67/2 لابن حجر الهيتمي ت974هـ , ونهاية المحتاج ج189/6–195

للرملي , والإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ج121/2 للشربيني ت977هـ , وحاشية البيجوري ج146/1 , وحواشي عبد الحميد الشرواني والشيخ أحمد العبادي ج200/7–201 , وإعانة الطالبين ج259/3 للسيد البكري .

([29]) يُنظر : مسائل الإمام أحمد ج149/2 رواية إسحاق بن هانئ ت275هـ , والمغني ج563/6 , والكافي ج9/3 كلاهما لابن قدامة ت620هـ , ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ج396/15 , والإنصاف ج25/8–26 للمرداوي .

([30]) يُنظر : مواهب الجليل ج345/1 لأبي عبد الله محمد المغربي المعروف بالحطاب ت902هـ .

([31]) رواه أبو داود ح4112 باب في قوله عزَّ وجلَّ : â @è%ur Ij=Jù?s÷IBZu»MI9 r/??|»??dI`£ BI`ô ƒt???à?ô`z& ? , والترمذي ح2778 باب ما جاء في احتجاب النساء من الرجال , والنسائي في الكبرى ح13303 باب مساواة المرأة الرجل في حكم الحجاب والنظر إلى الأجانب قال الله تعالى : Ij=Jù?s÷IBZu»MI @è%ur â9 BI`ô ƒt???à?ô`z ùè??r_yg?`£ ru†st??xà?`z &r/??|»??dI`£ ? , وابن حبان ح5575 ذكر الزجر عن أن تنظر المرأة إلى الرجل الذي لا يبصر , والهيثمي في موارد الظمآن ح1968 باب دخول الأعمى .

([32]) شرح صحيح مسلم للنووي ج76/10 .

([33]) رقم المسألة 1838 ج149/2 .

([34]) فتح الباري ج337/9 .

([35]) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة , ترجمة رقم 5892 ج198/3 للذهبي .

([36]) عمدة القاري ج216/20 .

([37]) رواه ابن سعد ت230هـ في الطبقات ج69/8 , وصحَّحه ابن عبد البر ت463هـ , وقد أخرجه الإمام مالك في إحدى موطآته كما عزاه الحافظ إليه في التلخيص الحبير ج148/3–149 , وينظر : كتاب رفع الجنة أمام جلباب المرأة في الكتاب والسنة للسندي .

([38]) تفسير ابن كثير ج284/3 .

([39]) مجموع الفتاوى ج396/15 .

([40]) فتح الباري ج445/2 , ويُنظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ج396/15 .

([41]) رواه البخاري ح4163 بابُ كتاب النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم إلى كسرى وقيصر .

([42]) وكذا عند ابن أبي شيبة ت235هـ ح37787 , والبزار ت292هـ ح3649 وح3685 , والطيالسي ح878 ت204هـ .

([43]) وكذا ابن حبان ح4516 ذكر الإخبار عن نفي الفلاح عن أقوام تكون أمورهم منوطة بالنساء , والبزار ح3647 , والحاكم وصححه ح7790 , وابن الشهاب في مسنده ح864 , وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى ح20149 باب لا يُولّي الوالي امرأة ولا فاسقاً ولا جاهلاً أمر القضاء , ولفظه : (لن يفلح قوم ملَّكوا أمرهم امرأة) .

([44]) اشترط جمهور العلماء أن يكون القاضي ذكراً , وهو مذهب المالكية , يُنظر : بداية المجتهد ونهاية المقتصد ج531/2 لأبي الوليد محمد بن رشد المعروف بابن رشد الحفيد , وتبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الحكام ج18/1 لأبي الوفاء إبراهيم بن فرحون , ومواهب الجليل ج87/6-88 للحطاب , وحاشية الدسوقي ج115/4 , وهو مذهب الشافعية , يُنظر : تحفة المحتاج ج106/10 لابن حجر الهيثمي , والوجيز في المذهب الشافعي ج143/2 لأبي حامد محمد الغزالي , والمجموع للنووي ج127/20 , وهو مذهب الحنابلة , يُنظر : الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل ج433/4 لأبي محمد عبد الله بن قدامة , والمغني مع الشرح الكبير ج380/11 , وكتاب الفروع ج421/6 لمحمد بن مفلح المقدسي .

وذكر الماوردي إجماع العلماء على ذلك فقال : (وشذَّ ابن جرير الطبري فجوَّز قضاءها في جميع الأحكام , ولا اعتبار بقول يردُّه الإجماع) الأحكام السلطانية ص65 .ولهذا لم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن خلفائه الراشدين ولا عن جميع الصحابة والتابعين أنهم ولَّوا امرأة قضاء أو ولاية بلد , ولو كان ذلك جائزاً

لَم يخل جميع الزمان منه غالباً , يُنظر : المغني مع الشرح الكبير ج380/11 , ومواهب الجليل ج202/4 وغيرهما .

([45]) الدفاع عن الصحابي أبي بكرة ومرويَّاته , والاستدلال لمنع ولاية النساء على الرجال ص32–33 .

([46]) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ح20402 وح20474 وح20477 .

([47]) الأحكام السلطانية للماوردي ص27 , والأحكام السلطانية للفراء ص31–32.

([48]) شرح السنة ج77/10 للإمام الحسين بن مسعود الفراء البغوي .

([49]) سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام ج1496/4 .

([50]) التبرج وخطورته ص30–31 .

([51]) يُنظر : حكم الشريعة الإسلامية في اشتراك المرأة في الانتخاب للبرلمان للجنة الفتوى بالأزهر , وولاية المرأة في الفقه الإسلامي ص102–103 للشيخ حافظ محمد أنور .

([52]) أدب القاضي للماوردي ج168/1 .

([53]) الإسلام واتجاه المرأة المسلمة المعاصرة ص50 .

([54]) رواه البخاري ح298 بابُ ترك الحائض الصوم , ومسلم واللفظ له ح79 بابُ بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات , وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله ككفر النعمة والحقوق .

([55]) إكليل الكرامة ص108–109 .

([56]) رواه ابن حبان ح5599 واللفظ له في : ذكر الإخبار عما يجب على المرأة من لزوم قعر بيتها , والطبراني في الكبير ح9481 و 10115 , والأوسط ح2890 , والبزار ح2061 , ورواه دون لفظ : (وأقرب ..) الترمذي ح1173 باب استشراف الشيطان المرأة إذا خرجت , وابن خزيمة ت311هـ ح1685 ح1686 , وحسَّنه ابن قدامة في المغني ج74/7 , وقال علي بن أبي بكر الهيثمي ت807هـ : (رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثوقون) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج35/2 , وصحَّحه الألباني في صحيح ابن خزيمة ح1685 .

([57]) فيض القدير ج266/6 ، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ج283/4 لمحمد عبد الرحمن المباركفوري ت1353هـ .

([58]) رواه الطبراني في الكبير ح8914 ج185/9 ، ووثَّق رجاله الهيثمي في مجمع الزوائد ج35/2 .

([59]) أضواء البيان ج251/6 .

([60]) رواه البخاري ح2844 باب من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجة وكان له عذر هل يُؤذن له .

([61]) رواه مسلم ح1339 باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره .

([62]) رواه البخاري ح1139 باب بيت المقدس , ومسلم واللفظ له ح827 باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره .

([63]) رواه البخاري واللفظ له ح1036 باب في كم يقصر الصلاة وسمى النبي صلى الله عليه وسلم يوماً وليلة سفراً , وكان ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم يقصران ويفطران في أربعة برد , وهي ستة عشر فرسخاً , ومسلم ح1338 باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره .

([64]) شرح صحيح مسلم ج103/9 .

([65]) الدفاع عن الصحابي أبي بكرة ومرويَّاته والاستدلال لمنع ولاية النساء على الرجال للشيخ العباد ص37–38 بتصرف .

([66]) رواه البخاري ح4808 باب ما يُتَّقى من شؤم المرأة وقوله تعالى :, ومسلم ح2740 باب أكثر أهل الجنة الفقراء , وأكثر أهل النار النساء , وبيان الفتنة بالنساء .

([67]) الآية رقم 14 من سورة آل عمران .

([68]) فتح الباري ج138/9 .

([69]) الرسائل والفتاوى النسائية ص 15–18 .

([70]) رواه مسلم ح673 باب من أحق بالإمامة .

([71]) تحفة الأحوذي ج29/2 .

([72]) يُنظر : المبسوط ج42/1 لأبي بكر محمد السرخسي , ومختصر خليل ص33 لخليل بن إسحاق المالكي , وحاشية الخرشي على مختصر خليل ج42/2-43 لمحمد بن عبد الله الخرشي , والمجموع شرح المهذب ج162/4 , والكافي ج186/1 , وكشاف القناع ج473/1 .

=================

#حكم إمامة المرأة

والمرأة لا يجوز أن تؤم الرجال في مكان إمارتها أو وزارتها أو سفارتها ولا في غيرها لا في الفريضة باتفاق المذاهب الأربعة , ولا في النافلة باتفاق : الحنفية ([1]) , والمالكية ([2]) , والشافعية ([3]) , والظاهرية ([4]) .

لقوله صلى الله عليه وسلم : ((خير صفوف الرجال أولها , وشرُّها آخرها , وخير صفوف النساء آخرها , وشرُّها أولها)) ([5]) , وروى هذا الحديث البيهقي في الكبرى ح4908 وأورده في ترجمة (باب لا يأتم رجل بامرأة) , وقال ابن قدامة رحمه الله : (ولا خلاف في أنها لا تؤمهم في الفرائض) ([6]) .

وقال ابن رشد : (لَمَّا كانت سُنتهنَّ في الصلاة التأخير عن الرجال , عُلِمَ أنه ليس يجوزُ لهنَّ التقدّم عليهم) ([7]) , وقال الإمام البخاري ت256هـ رحمه الله في صحيحه : (باب إمامة العبد والمولى , وكانت عائشة يَؤُمُّها عبدها ذكوان من المصحف , وولد البغي , والأعرابي , والغلام الذي لم يحتلم , لقول النبيِّ صلى الله عليه وسلم : ((يَؤُمُّهم أقرؤهم لكتاب الله)) .

فهذا في صلاة التراويح فكيف يُعقلُ أن تُصلي المرأة بالرجل الفريضة , وهذه هي أعلم النساء عائشة رضي الله عنها , وفي صلاة النافلة , ومع ذلك يُصلِّي بها عبدها رحمه الله .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (أخِّروهنَّ حيث أخَّرهنَّ الله) ([8]) .

وقال ابن رشد عن حكم إمامة المرأة للرجل : (لو كان جائزاً لَنُقل ذلك عن الصدر الأول) ([9]) .

وقال الشوكاني : (أقول لَم يثبت عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم في جواز إمامة المرأة بالرجل أو الرجال شيء ولا وقع في عصره ولا في عصر الصحابة والتابعين

من ذلك شيء , وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوفهنَّ بعد صفوف الرجال , وذلك لأنهنَّ عورات , وائتمام الرجل بالمرأة خلاف ما يُفيده هذا , ولا يُقال الأصل الصحة , لأنا نقول قد ورد ما يدل على أنهنَّ لا يصلحن لتولِّي شيء من الأمور , وهذا من جملة الأمور , بل هو أعلاها وأشرفها , فعموم قوله : لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة , كما في الصحيحين وغيرهما يُفيد منعهنَّ من أن يكون لَهنَّ منصب الإمامة في الصلاة للرجال) ([10]) .

7 – عن أم عطية رضي الله عنها قالت : (أخذ علينا النبيُّ صلى الله عليه وسلم عند البيعة أن لا ننوح , فما وفَّت منا امرأة غير خمس نسوة : أم سليم , وأم العلاء , وابنة أبي سبرة امرأة معاذ , وامرأتان , أو ابنة أبي سبرة , وامرأة معاذ , وامرأة أخرى) ([11]) .

قال الحافظ ابن حجر : (وفي حديث أم عطية مصداق ما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنهنَّ ناقصات عقل ودين , وفيه فضيلة ظاهرة للنسوة المذكورات , قال عياض معنى الحديث : لَم يَفِ مِمَّن بايع النبيَّ صلى الله عليه وسلم مع أم عطية في الوقت الذي بايعت فيه النسوة إلاَّ المذكورات , لا أنه لم يترك النياحة من المسلمات غير خمسة) ([12]) .

وعن أبي بردة بن أبي موسى رضي الله عنه قال : (وجع أبو موسى وجعاً فغُشيَ عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله فلم يستطع أن يَرُدَّ عليها شيئاً , فلما أفاق قال : أنا بريءٌ ممن برئَ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم , إن رسول الله صلى الله عليه وسلم برئَ من الصالقةِ والحالقةِ والشاقةِ) ([13]) .

فدلَّت الأحاديث على أنَّ الضعف والجزع من صفات النساء , وأنَّ الرجال أشد منهن قوة وأكثر تحملاً , ولهذا جاء الوعيد في النياحة على الميت مُضافاً إلى النساء , لأن الجزع وعدم الصبر غالبٌ عليهنَّ , والولاية والوزارة والسفارة في الشرع ثبتت لأهل القوة والصبر , لا لذوات الجزع والضعف ([14]) .

قال الحافظ ابن حجر : (إن ضعف النساء بالنسبة إلى الرجال من الأمور المحسوسة التي لا تحتاج إلى دليل خاص) ([15]) .

8 – عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : ((لَعَنَ رسولُ اللهِ r المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجالِ بالنِّساءِ ، والمُتَشَبِّهاتِ مِنَ النِّساءِ بالرِّجالِ)) ([16]) .
وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله r : ((ليسَ مِنَّا مَنْ تشبَّهَ بالرِّجالِ مِن النِّساءِ ، ولا مَنْ تشبَّه بالنِّساءِ مِن الرِّجالِ)) ([17]) .
وقال صلى الله عليه وسلم : ((ثلاثةٌ لا ينظرُ اللهُ عزَّ وجلَّ إليهم يومَ القيامةِ : العاقُّ لوالديهِ ، والْمرأةُ المُترَجِّلَةُ ، والدَّيُّوثُ ، وثلاثةٌ لا يدخلونَ الجنةَ : العاقُّ لوالديهِ ، والمُدْمِنُ على الْخَمرِ ، والْمَنَّانُ بمَا أَعطَى)) ([18]) .
وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ((لعنَ رسولُ الله r الرَّجُلَةَ مِنَ النساءِ)) ([19]) .
(الرَّجُلة) : (بمعنى : الْمُتَرَجِّلة ، ويقال امرأة رجُلة إذا تشبَّهت بالرجال ..) ([20]) .
والولاية والوزارة والسفارة ثبتت في الشريعة الإسلامية للرجال , فتولِّي النساء لها تشبُّهٌ بالرجال , وترجُّلٌ , فمن فعلت ذلك دخلت في الوعيد , والله تعالى أعلم .
9 – عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((مَنْ تَشَبَّهَ بقومٍ فَهُوَ مِنْهُم)) ([21]) .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (وهذا الحديثُ أقلُّ أحواله : أنْ يقتضي تحريمَ التَّشَبُّهَ بهم ، وإنْ كان ظاهره يقتضي كفرَ المتشبِّه بهم ، كما في قوله تعالى : ((وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)) (المائدة:51) ([22]) , وهو نظيرُ ما سنذكره عن عبد الله بن عمرو أنه قال : ‹ مَنْ بَنَى بأرضِ المشركين , وصنعَ نيروزهم , ومهرجانهم , وتشبَّه بِهم حتَّى يموت , حُشِرَ معهم يوم القيامة › ([23]) , فقد يُحمل هذا على التشبُّه المطلق , فإنه يُوجبُ الكفر , ويقتضي تحريمَ أبعاض ذلك , وقد يُحمل على أنه منهم , في القدر المشترك الذي شابَهَهُم فيه , فإنْ كانَ كُفراً , أو معصيةً , أو شعاراً لَها , كان حُكمه كذلك , وبكلِّ حال : يقتضي تحريم التشبه بهم , بعلَّة كونه تشبُّهاً) ([24]) .

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى : (ففيه دلالةٌ على النهي الشديد , والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم , وأفعالهم , ولباسهم , وأعيادهم , وعباداتهم وغير ذلك من أمورهم التي لَمْ تُشرع لنا , ولا نُقرُّ عليها) ([25]) .

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : (ومعناه إن شاء الله : أنَّ المسلم يتشبَّه بالمسلم في زَيِّهِ فيُعرف أنه مسلم ، والكافرُ يتشبَّه بزيّ الكافر فيُعلم أنه كافرٌ ، فيجبُ أنْ يُجبرَ الكافرُ على التشبُّه بقومه ليعرفه المسلمونَ به) ([26]) , وقال أيضاً : (فلأنَّ المشابهةَ في الزيّ الظاهرِ تدعو إلى الموافقة في الهدي الباطن ، كما دلَّ عليه الشرعُ والعقلُ والحِسُّ ، ولهذا جاءت الشريعة بالمنع من التشبه بالكفار , والحيوانات , والشياطين , والنساء , والأعراب , وكلِّ ناقص) ([27]) , وقال : (وسِرُّ ذلك : أنَّ المشابهةَ في الهدي الظاهر ذريعةٌ إلى الموافقة في القصدِ والعمل) ([28]) .

وقال الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى : (والحديثُ دالٌّ على أنَّ مَن تشبَّه بالفساق كان منهم ، أو بالكفار أو بالمبتدعة في أيِّ شيءٍ مما يختصُّون به من ملبوسٍ أو مركوبٍ أو هيئةٍ ، قالوا : فإذا تشبَّه بالكافر في زيٍّ ، واعتقدَ أنه يكونُ بذلك مثله كفرَ ، فإنْ لِمْ يعتقد ففيه خلافٌ بين الفقهاء ، منهم من قال : يكفرُ ([29]) وهو ظاهرُ الحديث ، ومنهم من قال : لا يكفرُ ، ولكنْ يُؤَدَّب) ([30]) .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ليسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بغيرنا ، لا تشَبَّهُوا باليهودِ ولا بالنصارى ..)) ([31]) .

قال الإمام عبد الرحمن بن حسن بن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى في مثل هذه النصوص : (هذا من نصوص الوعيد ، وقد جاء عن سفيان الثوري وأحمد : كراهةَ تأويلها ليكونَ أوقعَ في النفوس ، وأبلغ في الزجر ، وهو يدلُّ على أنه يُنافي كمالَ الإيمانِ الواجب) ([32]) .

وقال الإمام ابن القيم قدَّس الله روحه : (والمقصودُ الأعظم : ترك الأسباب التي تدعو إلى موافقتهم ومشابهتهم باطناً ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم سنَّ لأمته ترك التشبُّه بهم بكلِّ طريق ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((خالفَ هَديُنا هَدْيَ المشركين)) ([33]) , وعلى هذا الأصل أكثر من مئة دليل ، حتى شرع لنا في العبادات التي

يُحبُّها الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، تجنُّبَ مشابهتهم في مجرَّد الصورة) ([34]) .

وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى : (ولَمْ يختلف أهل العلم منذ الصدر الأول في هذا ، أعني في تحريم التشبه بالكفار ، حتى جئنا في هذه العصور المتأخرة ، فنبتت في المسلمين نابتةٌ ذليلةٌ مُستعبَدةٌ ، هُجَيْرَاها وديدَنُها التشبُّه بالكفار في كل شيء ، والاستخدام لهم والاستعباد , ثم وَجَدُوا من الملتصقين بالعلم ، المنتسبين له من يُزَيِّنُ لهم أمرهم ، ويُهَوِّنُ عليهم أمرَ التشبه بالكفار في اللباس والهيئة ، والمظهر والخُلُق ، وكل شيء ، حتى صرنا في أمةٍ ليس لها من مظهر الإسلام إلاَّ مظهرَ الصلاة ، والصيام ، والحجِّ ، على ما أدخلوا فيها من بدعٍ ، بلْ من ألوانِ التشبه بالكفار أيضاً) ([35]) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال : ((لا تقومُ الساعةُ حتَّى تأخذ أُمَّتي بأخذِ القرون قبلَها شبراً بشبرٍ , وذراعاً بذراعٍ , فقيلَ يا رسولَ الله : كفارس والروم , فقال : وَمَنِ الناسُ إلاَّ أولئك)) ([36]) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال : ((لَتَتَّبعُنَّ سَنَنَ مَنْ كانَ قبلكم شبراً بشبرٍ , وذراعاً بذراعٍ , حتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تبعتموهُم , قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى , قال : فَمَنْ)) ([37]) .

قال النووي : (والمرادُ بالشبر والذراع وجُحر الضبِّ : التمثيلُ بشدَّةِ الموافقة لَهُمْ في المعاصي والمخالفات) ([38]) .

وقال شيخ الإسلام : (وهذا كلُّه خَرَجَ منه مَخْرجَ الْخَبَر عن وقوع ذلك , والذَّمُّ لِمَنْ يفعله , كما كانَ يُخبِرُ عمَّا يفعله الناسُ بين يَدَيِّ الساعة من الأشراط والأمور المحرَّمات , فَعُلِمَ أنَّ مشابهتها هذه الأمة اليهود والنصارى , وفارس والروم , مِمَّا ذَمَّهُ الله ورسولُه , وهو المطلوب) ([39]) .

وقال رحمه الله : (فَعُلِمَ بخبره الصِّدْقِ أنه في أمته قومٌ متمسِّكونَ بهديه , الذي هو دينُ الإسلام محضاً , وقومٌ منحرفونَ إلى شعبة من شُعَبِ اليهود , أو إلى شُعْبَةٍ مِنْ شُعَبِ النصارى , وإنْ كان الرجلُ لا يكفرُ بكلِّ انحراف , بل وقدْ لا يفسقُ أيضاً , بل قد يكون الانحرافُ كفراً , وقد يكونُ فسقاً , وقد يكون معصيةً , وقد يكونُ خطأً ,

وهذا الانحراف أمر تتقاضاه الطباع ويزينه الشيطان , فلذلك أُمِرَ العبدُ بدوام دعاء الله سبحانه بالهداية إلى الاستقامة التي لا يهوديةَ فيها ولا نصرانيةَ أصلاً) ([40]) .
ففي هذه الأحاديث إخبارٌ من النبيِّ صلى الله عليه وسلم عن وقوع التشبُّه بالكفار في هذه الأمة , ولا شكَّ أنَّ مما أحدثه المشركون : تولية المرأة للخلافة فما دونها .. ويشهد لذلك سبب ورود حديث : ((لن يفلح قوم ..)) قال أبو بكرة رضي الله عنه : (لَمَّا بلغَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّ أهل فارس قد ملَّكوا عليهم بنت كسرى , قال : ((لن يُفلح قومٌ ولَّوا أمرهم امرأة)) ([41]) , (وصدق ابن خلدون رحمه الله , فلقد توقَّع استيلاء الإفرنج على الأندلس الإسلامية , وخروج المسلمين منها قبل أن يقع ذلك بنحو مئتي سنة , ولم يكن له دليل على ذلك إلاَّ مشاهدته تشبه المسلمين بالأعداء) ([42]) .
فالدعوة لتولية المرأة لرئاسة دولة , أو الإمارة , أو الوزارة , أو السفارة هو دعوة للتشبُّه بالمشركين , وإذا عَلِمَ المسلمُ أنَّ مِمَّا يُدندنُ عليه المشركون والجاهلون ويُلحُّوا على المسلمين بتنفيذه – عبر منظمة الأمم المتحدة – :
1 – حق المرأة في أن تكون رئيسة دولة , أو رئيسة وزراء , أو وزيرة .
2 – اتخاذ الإجراءات من أجل مشاركة المرأة في الأنشطة السياسية .
3 – تشجيع الأحزاب السياسية على تعيين مرشَّحات من النساء من أجل انتخابهنَّ على قدم المساواة مع الرجل .
4 – الدعوة لإصدار تعليمات حكومية خاصة لتحقيق تمثيل منصف للمرأة في مختلف فروع الحكومة .
5 – الدعوة لتمثيل المرأة تمثيلاً منصفاً على جميع المستويات العليا في الوفود , كوفود الهيئات والمؤتمرات واللجان الدولية التي تُعالج المسائل السياسية والقانونية ونزع السلاح وغيرها من المسائل المماثلة .
6 – التقليل من عمل المرأة داخل منزلها , واعتبار ذلك عملاً ليس له مقابل وأنه من أسباب فقر المرأة .
7 – الدعوة إلى خروج المرأة للعمل المختلط .
8 – الدعوة إلى مساواة المرأة بالرجل فيما يتعلق بنوعية العمل ووقته .

9 – الدعوة لقيام الحكومات بإصلاحات تشريعية وإدارية لتمكين المرأة من الحصول الكامل على الموارد الاقتصادية وفتح جميع مجالات العمل لها ([43]) ... إلخ .

وقد أصدرت هيئة كبار العلماء بالمملكة القرار التالي :

(قرار رقم 179 وتاريخ 1415/3/23هـ .

الحمد لله وحده , والصلاة والسلام على رسول الله , وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه , أما بعد :

فإنَّ مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الاستثنائية الثامنة المنعقدة في مدينة الطائف في الفترة من 1415/3/20هـ إلى 1415/3/23هـ نظر في برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية المرفق بمذكرة الأمانة العامة للأمم المتحدة , الذي سيُعقد في القاهرة بتاريخ 1415/3/29هـ إلى 1415/4/8هـ الموافق 5–13 سبتمبر عام 1994م , واطلع على ما صدر حول البرنامج من :

1 – الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي .

2 – الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي .

3 – مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة برئاسة سماحة شيخ الأزهر .

4 – المركز الدولي الإسلامي للدراسات والبحوث السكانية بجامعة الأزهر .

كما اطلع على الدراسة المقدمة من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية إلى المجلس .

وبعد الدراسة , وتبادل الآراء , اتضح للمجلس ما يلي :

1 – تبنِّي هذا البرنامج – في ظاهره – المشكلة السكانية القادمة , والتي سببها – في نظر معدِّي البرنامج – تكاثر السكان لكثرة النسل أمام قلة الموارد , مما سيؤدي إلى مشكلة الفقر العام حسب زعمهم .

2 – قدم لهذا المؤتمر مسودة وثيقة – كبرنامج عمل – حسبما وافقت عليه اللجنة التحضيرية للمؤتمر المنعقدة في نيويورك من 20 إلى 22 نيسان – إبريل عام 1994م , وهي تتكون من (16) فصلا في (121) صفحة بصياغة تعتمد التصريح حيناً , والمفهوم والتلويح حيناً آخر بما يفضي إلى الإباحية .

3 – ركزت الوثيقة كعلاج لذلك على الدعوة إلى أمرين :

الأول : الدعوة إلى الحرية والمساواة بين الرجل والمرأة , والقضاء التام على أي فوارق بينهما , حتى فيما قررته الشرائع السماوية , واقتضته الفطرة , وحتمته طبيعة المرأة وتكوينها .

وعقدت الوثيقة لذلك فصلاً كاملاً هو الفصل الرابع بعنوان (المساواة بين الجنسين والإنصاف وتمكين المرأة) .

وفي مواضع أخرى من الوثيقة كما في الفصل الثاني (المبدأ / 2 , والمبدأ / 7) والفصل الثالث (م / 18 , م / 30) , والفصل الحادي عشر : الأهداف / أ ب ح والفصل الخامس عشر : المبدأ / 9 .

الثاني : الدعوة إلى فتح باب العلاقات الجنسية المحرمة شرعاً , واتخذت له من الوسائل الآتي :

(أ) السماح بحرية الجنس , وأنواع الاقتران الأخرى غير الزواج , والدعوة إلى الإجراءات الكفيلة بذلك (فصل 7/2 , وفصل 5/5 , وفصل 11/6 , وفصل 15/6 , وفصل 1/7 , 2/7) .

(ب) التنفير من الزواج المبكر , ومعاقبة من يتزوج قبل السن القانونية (وإتاحة بدائل تغني عن الزواج المبكر , من قبيل توفير فرص التعليم والعمل) كما في الفصل الرابع , مبدأ /21 , والفصل السادس , مبدأ /7 , فقرة (ج) , ومبدأ /11 .

(ج) العمل على نشر وسائل منع الحمل , والحد من خصوبة الرجال , وتحديد النسل , بدعوى تنظيم الأسرة , والسماح بالإجهاض المأمون وإنشاء مستشفيات خاصة له , وحث الحكومات على ذلك , وتكون التكاليف قليلة جداً , كما في الفصل 13/3 , والفصل 4/ جـ27 , والفصل 7/ 31 , 7/ 37 , والفصل 11/ 8 , والفصل 12 / 14 , والفصل 15/ 16 .

(د) التركيز على التعليم المختلط بين الجنسين , وتطويره , لأنه من أعظم إزالة الفوارق بين الجنسين , وتعويق الزواج المبكر , وتنشيط الاتصال الجنسي , كما في الفصل السادس , الهدف/ج , والفصل الحادي عشر / الإجراء /8 .

(هـ) التركيز على تقديم الثقافة الجنسية للجنسين بسن مبكر : سن الطفولة والمراهقة , كما في الفصل 4/ 29 , والفصل 6/ 7 , (ب) و15/6 , والفصل 7/ 5 , و 6/7 .

(و) تسخير الإعلام لتحقيق هذه الأهداف , كما في الفصل 16/11 .

4 – نتيجة لهذه الدعوة للإباحية , ولعلمهم المسبق بما يترتب على الانفلات الجنسي , ركزت الوثيقة على الخدمات الصحية التناسلية والجنسية وكيفية معالجة ما يقع من الأمراض الجنسية , والحمل وبخاصة (الإيدز) .

5 – إهمال التعاليم الدينية , والقيم الإنسانية , والاعتبارات الأخلاقية , وعدم إقامة أي وزن لها .

6– إعلان الإباحية , والمحادة لله ولرسوله r , ولدينه وشرعه وسلب قوامة الإسلام على العباد , وسلب ولاية الآباء على الأبناء وقوامة الرجال على النساء , وإلغاء ما دلت عليه الشريعة الإسلامية من مقومات وضوابط , وموانع في وجه الإباحية والتحليل , وفوضى الأخلاق , والتفسخ من الدين .

ومن خلال توافر هذه المعلومات الموثقة من نصوص الوثيقة ومضامينها , فإنها تؤدي إلى المنكرات والآثار السيئة التالية :

1 – نشر الإباحية , وتعقيم البشرية , وتحويلها إلى قطعان بهيمية مسحوبة الهوية من الفضيلة والخلق والعفة والطهارة التي تؤكد عليها تعاليم الدين .

2 – هتك حرمات الشرع الإسلامي المطهر المعلومة منه بالضرورة , وهي حرمات : الدين , والنفس , والعرض , والنسل , فالإباحية هتك لحرمة الدين , والإجهاض بوصفة المذكور في الوثيقة هتك لحرمة النفس , وقتل للأبرياء , والعلاقات الجنسية من غير طريق الزواج الشرعي : هتك لحرمة العرض والنسل .

3 – جميع ذلك تحد لمشاعر المسلمين , ومصادرة لقيمهم ومثلهم الإسلامية .

4 – جميع ذلك أيضاً هجمة شرسة , ومواجهة عنيفة للمجتمع الإسلامي لتحويل ما فيه من عفة وطهارة عرض وحفظ نسل إلى واقع المجتمعات المصابة بأمراض الشذوذ الجنسي والانفلات في الأخلاق وعليه فإن مجلس هيئة كبار العلماء في

المملكة العربية السعودية يقرر بالإجماع ما يلي :

أولاً : أنَّ ما دعت إليه هذه الوثيقة من المبادئ والإجراءات والأهداف الإباحية مخالف للإسلام ولجميع الشرائع التي جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام , وللفطر السليمة والأخلاق القويمة وكفر وضلال .

ثانياً : لا يجوز شرعاً للمسلمين حضور هذا المؤتمر – الذي هذا من مضمون وثيقة عمله – ويجب عليهم مقاطعته وعدم الاشتراك فيه .

ثالثاً : يجب على المسلمين حكومات وشعوباً وأفراداً وجماعات الوقوف صفاً واحداً في وجه أي دعوة للإباحية , وفوضى الأخلاق , ونشر الرذيلة .

رابعاً : يجب على كل من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين أن يتقي الله في نفسه وفي رعيته , وأن يسوسهم بالشرع الإسلامي المطهر , وأن يسد عنهم أبواب الشر والفساد والفتنة , وألا يكون سبباً في جرِّ شيء عليهم , وأن يحكم شريعة الله في جميع شؤونهم , ونذكر الجميع بقول الله سبحانه : ((يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً)) (النساء:26–27).

وبقوله عز وجل : ((أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)) ([44]) .

والله المسئول أن يوفق جميع المسلمين حكومات وشعوباً لما فيه رضاه , وأن يصلح أحوالهم , وأن يمنحهم الفقه في الدين , ويعيذهم جميعاً من مضلات الفتن , ونزغات الشيطان إنه على كل شيء قدير , وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين .

هيئة كبار العلماء

الرئيس

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

صالح بن محمد اللحيدان راشد بن صالح الخنين محمد بن إبراهيم بن جبير

عبد الله بن سليمان بن منيع عبد الله بن عبد الرحمن الغديان د/صالح بن فوزان الفوزان

محمد بن صالح العثيمين عبد الله بن عبدالرحمن البسام حسن بن جعفر العتمي

عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ ناصر بن محمد الراشد محمد بن عبد الله السبيل

د/ عبد الله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ محمد بن سليمان البدر د/عبد الرحمن بن حمزة المرزوقي

د/عبد الله بن عبد المحسن التركي محمد بن زيد آل سليمان د/بكر بن عبد الله أبو زيد

د/صالح بن عبد الرحمن الأطرم ([45]) .

ثمَّ أصدرت هيئة كبار العلماء البيان التالي في 1416/4/3هـ :

(الحمد لله رب العالمين , والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين الذي أوصى بالنساء خيراً فقال : (استوصوا بالنساء خيراً) وقال : (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) , فكان بأقواله وأفعاله داعياً إلى الرحمة وهو نبي الرحمة , وبعد :

فإن مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية قد اطلع في دورته الاستثنائية التاسعة المعقودة في مدينة الطائف ابتداء بيوم الثلاثاء 1416/4/3هـ على مذكرة منهاج عمل مؤتمر المرأة المقرر عقده في بكين عاصمة الصين , وتَأمَّل منهاج هذا المؤتمر وأهدافه , ورأى مناقضات بعض مواد هذا المنهاج لبعض موادِّه , وتعمية متعمَّدة , والتواء في العبارات واضح , والهدف منه إطلاق الرغبات من كلِّ قيد , وإفساح المجال للممارسات البعيدة عن ضوابط الأخلاق , وفطرة التي فطر الناس عليها , وشريعته التي شرعها لعباده , للانفلات وراء الرغبات الجنسية وإعداد الفتيات لهذه النزوات تحت ستار حرِّية المرأة , والرفق بالمرأة , ومشكلة المرأة .

ومعلوم أن المرأة المسلمة لا تواجهها مشكلة من حيث مكانتها في المجتمع , فهي أم وزوجة وأخت وبنت , كفلت لها شريعة الإسلام جميع الحقوق , وصانتها عن الابتذال والإذلال بكلِّ معاني الصيانة والاحترام , وأعطتها من الحقوق كل ما يناسب

تكوينها الذي منحها إياه خالقها , كما قال تعالى : ((وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكُيمٌ)) ([46]) .

وفضَّل الرجل عليها في أحكام كثيرة كالإرث والشهادة وأمور أخرى , كما قال الله تعالى : ((الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ 4)) ([47]) , الآية من سورة النساء , وقال سبحانه في سورة النساء أيضاً : ((يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ 4)) (النساء:11) ([48]) , وقال سبحانه في آخرها : ((وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) (النساء:176) ([49]) , وقال تعالى : ((وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء)) (البقرة:282) ([50]) الآية من سورة البقرة .

ووثيقة منهاج عمل مؤتمر المرأة فيها المصادمة الصريحة لما شرعه الله والإلزام بنبذ كل ما جاء عن الله إذا كان يخالف ما يدعو إليه هذا المؤتمر , وفي ذلك مصادمة لشرع الله , وتحطيم للأسرة , ومحادة لله ورسوله ولكافة رسله وأنبيائه , وإباحة صريحة لممارسات الزنا وغيره من الفواحش , وقضاء على ما بقي لدى الأمم من الأخلاق والقيم , وبذل الأموال طائلة في سبيل هذا الهدف الخبيث البعيد عن فطرة الله التي فطر الناس عليها وعن شرع الله الحكيم , مما لو بذل بعضه لإغاثة أمم منكوبة أو حماية أمم مقهورة بالظلم والعدوان لكفى , وما هذا المؤتمر إلاَّ عقدة في سلسلة عقد سابقة ولاحقة يترتب عليها تدمير الكيان الاجتماعي السليم , أو الباقي على شيء من القيم الكريمة .

ولكلِّ ما تقدم فإنَّ مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية يدعو المسلمين : حكومات وشعوباً وعلماء ومنظمات وجماعات وأفراداً للتنديد بمنهاج هذا المؤتمر , والتحذير منه , ودعوة الجميع للرد على أهدافه التي تقدمت الإشارة إليها , إنكاراً لما أنكره الله ورسوله وحماية للمسلمين عن الوقوع فيها , والله ولي التوفيق .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه , ومن سار على نهجه إلى يوم الدين .

هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية

الرئيس

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

صالح بن محمد اللحيدان راشد بن صالح الخنين محمد بن إبراهيم بن جبير

عبد الله بن سليمان بن منيع عبد الله بن عبد الرحمن الغديان د/صالح بن فوزان الفوزان

محمد بن صالح العثيمين عبد الله بن عبدالرحمن البسام حسن بن جعفر العتمي

عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ ناصر بن محمد الراشد محمد بن عبد الله السبيل

د/ عبد الله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ محمد بن سليمان البدر د/عبد الرحمن بن حمزة المرزوقي

محمد بن زيد آل سليمان د/بكر بن عبد الله أبو زيد د/عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان

د/صالح بن عبد الرحمن الأطرم ([51]) .

([1]) يُنظر : الاختيار لتعليل المختار ج58/1 لعبد الله بن محمود الموصلي ت683هـ , والبحر الرائق شرح كنز الدقائق ج380/1 لابن نجيم الحنفي ت970هـ , والمبسوط ج183/1-184 , وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ج426/1 لأبي بكر بن مسعود الكاساني ت587هـ .

([2]) يُنظر : التاج والإكليل ج92/2 , وحاشية الخرشي على مختصر خليل ج22/2 , وأقرب المسالك لمذهب الإمام مالك ص26 , والشرح الكبير على أقرب المسالك ج325/1 لأحمد الدردير , وتفسير القرطبي ج356/1 , وبداية المجتهد ج213/2 , وأحكام القرآن لابن العربي ج105/4 .

([3]) يُنظر : الأم ج164/1 للإمام محمد بن إدريس الشافعي ت204هـ , والمهذب ج97/1 لأبي إسحاق إبراهيم الشيرازي ت476هـ , والمجموع ج135/4-136 , وروضة الطالبين ج35/1 كلاهما للنووي .

([4]) يُنظر : المحلى ج135/3 لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي .

([5]) رواه مسلم ح440 باب تسوية الصفوف وإقامتها , وفضل الأول فالأول منها , والازدحام على الصف الأول , والمسابقة إليها , وتقديم أولي الفضل وتقريبهم من الإمام .

([6]) المغني ج16/2 , ويُنظر : الإنصاف ج263/2 للمرداوي , والمبدع ج72/2 لابن مفلح .

([7]) بداية المجتهد ج105/1 .

([8]) رواه عبد الرزاق ت211هـ في المصنف ح5115 باب شهود النساء الجماعة , والطبراني في الكبير ح9484 ج295/9 , وصححه الألباني في صحيح ابن خزيمة ح1700 , والسلسلة الضعيفة ج319/2 .

([9]) بداية المجتهد ج213/2 .

([10]) السيل الجرار 250/1 .

([11]) رواه البخاري ح1244 باب ما يُنهى عن النوح والبكاء والزجر عن ذلك , ومسلم ح936 باب التشديد في النياحة .

([12]) فتح الباري 117/3 .

([13]) رواه البخاري ح1234 باب ما ينهى عن الحلق عند المصيبة , ومسلم ح104 باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية .

([14]) يُنظر : الدفاع عن الصحابي أبي بكرة رضي الله عنه للشيخ العباد ص38–39 .

([15]) فتح الباري ج182/3 .

([16]) رواه الإمام البخاري رحمه الله تعالى ح5885 باب المُتَشَبِّهينَ بالنساءِ ، والمُتَشَبِّهاتِ بالرِّجالِ .

([17]) رواه الإمام أحمد ح6875 , وقال المحققون : مرفوعه صحيح ، وأبو نعيم في الحلية ج321/3 ، وحسنه السيوطي في التيسير بشرح الجامع الصغير ج329/2 .

([18]) رواه النسائي ح2562 في المنان بما أعطى , وقال الألباني في صحيح النسائي ح2402 حسن صحيح .

([19]) رواه أبو داود ح4099 باب : لبس النساء , والبيهقي في معرفة السنن والآثار ح6166 ج581/7 ، وحسنه النووي في المجموع ج344/4 ، وكذا السيوطي في التيسير ج292/2 .

([20]) لسان العرب ج155/5 ، ويُنظر : صحيح الترغيب والترهيب للألباني ح2511 .

([21]) رواه الإمام أحمد ح5114 , وأبو داود ح4031 باب في لبس الشهرة , وابن أبي شيبة ح33016 , وعبدالرزاق ح20986 , وصحح سنده الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار في الأحياء من الأخبار ج65/2 , وحسن إسناده الحافظ في الفتح ج98/6 , وصحَّح إسناده شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، مجموع مؤلفات الشيخ ، قسم الحديث ج108/1 ، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود ح3451 : حسن صحيح ، ويُنظر : الإرواء 1269 رحمهم الله تعالى .

([22]) الآية رقم 51 من سورة المائدة .

([23]) رواه البيهقي في السنن الكبرى ح18642 ج234/9 , وصحَّح إسناده شيخ الإسلام في الاقتضاء ج457/1-458 .

([24]) الاقتضاء ج237/1-238 .

([25]) تفسير ابن كثير ج149/1 .

([26]) أحكام أهل الذمة ج736/2 .

([27]) الفروسية ص121 - 122 ، ويُنظر : إعلام الموقعين ج112/3 .

([28]) أعلام الموقعين لابن القيم ج140/3 .

([29]) وهو قول جمهور الفقهاء ، يُنظر : الموسوعة الفقهية ج99/26 كلمة شعار .

([30]) سبل السلام ج348/4 .

([31]) رواه الترمذي وضعَّف إسناده ح2695 باب ما جاء في كراهية إشارة اليد بالسلام , والطبراني في الأوسط ح7380 ج238/7 , والقضاعي في مسند الشهاب ح1191 ج205/2 , وجوَّده شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى ج331/25 , وقال في الاقتضاء ج85/1 : (وإن كان فيه ضعفٌ فقد تقدَّم الحديث

المرفوع : من تشبه بقوم فهو منهم , وهو محفوظ عن حذيفة بن اليمان أيضاً من قوله , وحديث ابن لهيعة يصلحُ للاعتضاد , كذا كان يقولُ أحمد وغيره) وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية ج496/3 : (وهو حسنٌ بما قبله) أي بحديث : من تشبه بقوم .. وحسنه المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ج329/2 , والألباني في صحيح سنن الترمذي ح2168 ، والصحيحة ح2194 .

([32]) فتح المجيد ص339 .

([33]) رواه البيهقي ح9304 كتاب الحج ، باب الدفع من المزدلفة قبل طلوع الشمس , بلفظ : (.. هدينا مخالف هديهم .. هدينا مخالف لهديهم ..) وأبو داود في مراسيله ح151 بلفظ : (فخالفَ هديُنَا هديَ أهلَ الشركِ والأوثان) , وصحَّحه الحاكم ح3097 , ووافقه الذهبي ج304/2 .

([34]) أحكام أهل الذمة ج1282/3- 1286 .

([35]) من تعليق الشيخ على مسند الإمام أحمد رحمهما الله تعالى ح6513 ج19/10 .

([36]) رواه البخاري ح6888 باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لتتبعن سنن من كان قبلكم .

([37]) رواه البخاري ح6889 باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لتتبعن سنن من كان قبلكم , ومسلم ح2669 باب اتباع سنن اليهود والنصارى .

([38]) شرح صحيح مسلم للنووي ج219/16-220 .

([39]) اقتضاء الصراط المستقيم ج147/1-149 .

([40]) اقتضاء الصراط المستقيم ج70/1 , ويُشيرُ رحمه الله تعالى إلى دعاء المسلم ربه تعالى في كلِّ يوم وليلة سبعة عشر مرة فأكثر : الآيتان 6-7 من سورة الفاتحة .

([41]) رواه البخاري ح4163 بابُ كتاب النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم إلى كسرى وقيصر .

([42]) عودة الحجاب ج28/2 للشيخ محمد المقدم .

([43]) يُنظر : وثيقة المؤتمر العالمي للمرأة / كوبنهاجن 1980م , الصفحات : 20 , 22-23 , 30 , 31 , 33 , 37 , 46 , 51 , 87 , 148 , ووثيقة المؤتمر العالمي للمرأة / نيروبي 1985م , الصفحات : 19 , 25-26 , 27 , 31 , 32 , 34 , 36-37 , 45 , 50-53 , 65 , 75 , 85 , 94 , 106 , 115 , 124 , 127 , 143 , 146 , 167 , ووثيقة المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة / بكين 1995م , الصفحات : 6-8 , 14-16 , 18 , 22-23 , 25-26 , 31-34 , 87-88 , 90-91 , 95-96 , 98-100 , 102-108 , 113 , 144 , 195-196 , 204 , 207 .

ووثيقة المؤتمر الدولي المعني بالسكان / مكسيكو 1984م ص20 , ووثيقة المؤتمر الدولي للسكان والتنمية / القاهرة 1994م , الصفحات : 26 , 28 , 31 , ووثيقة المؤتمر العالمي للبيئة والتنمية / ريودي جانيرو 1992م , الفصل 24 , الصفحات : 400-401 , 403 , ووثيقة مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية / كوبنهاجن 1995م , الصفحات : 21 , 52 , 57 , 73 , 76 , 78 (يُنظر : قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية دراسة نقدية في ضوء الإسلام – رسالة دكتوراة – للدكتور فيصل العبد الكريم) .

([44]) الآية 50 من سورة المائدة .

([45]) مجلة البحوث الإسلامية عدد42 ص383-388 .

([46]) الآية 228 من سورة البقرة .

([47]) الآية 34 من سورة النساء .

([48]) الآية 11 من سورة النساء .

([49]) الآية 176 من سورة النساء .

([50]) الآية 282 من سورة البقرة .

([51]) مجلة البحوث الإسلامية عدد45 ص331-334 .

==============

#مخاطر مؤتمر المرأة المعقود بالصين

وأصدر سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله البيان التالي :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين ، أما بعد :

فقد نشر في وسائل الإعلام خبر انعقاد المؤتمر الدولي الرابع المعني بالمرأة ، من 9 إلى 20 / 4 عام 1416 هـ الموافق 4 / 15 سبتمبر عام 1995م في بكين عاصمة الصين ، واطلعت على الوثيقة المعدة لهذا المؤتمر المتضمنة (362) مادة في (177) صفحة , وعلى ما نشر من عدد من علماء بلدان العالم الإسلامي في بيان مخاطر هذا المؤتمر ، وما ينجم عنه من شرور على البشرية عامة وعلى المسلمين خاصة ، وتأكَّد لنا أن هذا المؤتمر من واقع الوثيقة المذكورة هو امتداد لمؤتمر السكان والتنمية المنعقد في القاهرة في شهر ربيع الثاني عام 1415 هـ ، وقد صدر بشأنه قرار هيئة كبار العلماء ، وقرار المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ، كلاهما برئاستي واشتراكي ، وقد تضمَّن القراران إدانة المؤتمر المذكور بأنه مناقض لدين الإسلام ومحادة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، لِما فيه من نشر للإباحية وهتك للحرمات ، وتحويل المجتمعات إلى قطعان بهيمية وأنه تتعين مقاطعته . . إلى آخر ما تضمنه القراران المذكوران .

والآن يأتي هذا المؤتمر في نفس المسار والطريق الذي سار عليه المؤتمر المذكور ، متضمناً التركيز على مساواة المرأة بالرجل والقضاء على جميع أشكال التمييز بين الرجل والمرأة في كل شيء , وقد تبنَّت مسودة الوثيقة المقدمة من الأمانة العامة لهيئة الأمم المتحدة على مبادئ كفرية ، وأحكام ضالة في سبيل تحقيق ذلك منها : الدعوة إلى إلغاء أي قوانين تميِّز بين الرجل والمرأة على أساس الدين ، والدعوة إلى الإباحية باسم : الممارسة الجنسية المأمونة , وتكوين الأسرة عن طريق الأفراد , وتثقيف الشباب والشابات بالأمور الجنسية , ومكافحة التمييز بين الرجل والمرأة ، ودعوة الشباب والشابات إلى تحطيم هذه الفوارق القائمة على أساس الدين ، وأن الدين عائق دون المساواة , إلى آخر ما تضمنته الوثيقة من الكفر والضلال المبين ، والكيد للإسلام وللمسلمين ، بل للبشرية بأجمعها وسلخها من العفة ، والحياء ، والكرامة .

لهذا فإنه يجب على ولاة أمر المسلمين ، ومن بسط الله يده على أي من أمورهم أن يقاطعوا هذا المؤتمر ، وأن يتخذوا التدابير اللازمة لمنع هذه الشرور عن المسلمين ، وأن يقفوا صفاً واحداً في وجه هذا الغزو الفاجر , وعلى المسلمين أخذ الحيطة والحذر من كيد الكائدين ، وحقد الحاقدين .

نسأل الله سبحانه وتعالى ، أن يردَّ كيد الأعداء إلى نحورهم ، وأن يُبطل عملهم هذا ، وأن يوفق المسلمين وولاة أمرهم إلى ما فيه صلاحهم ، وصلاح أهليهم رجالاً ونساءً ، وسعادتهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة , إنه وليُّ ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

رئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

والمفتي العام للمملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء

عبد العزيز بن عبد الله بن باز ([1])

الفصل الخامس

الإجماع على حُرمة تولِّي المرأة للولاية والوزارة والسفارة .

لقد أجمعَ العلماءُ على عدم جواز تولّي المرأة للولاية العظمى ([2]) , ولَمْ يُخالف هذا الإجماع إلاَّ فرقة الشبيبة من الخوارج ([3]) , وبعض المتفيهقين في هذا العصر , ولا عبرة بخلافهم .

قال الإمام ابن حزم ت456هـ رحمه الله : (وجميع فرق القبلة ليس فيهم أحدٌ يُجيزُ إمامة امرأة) ([4]) .

وقال أبو المعالي عبد الملك الجويني ت478هـ : (وأجمعوا على أنَّ المرأة لا يجوزُ أن تكونَ إماماً) ([5]) .

وقال الإمام ابن قدامة رحمه الله : (ولا تصلحُ للإمامة العظمى ولا لتولية البلدان , ولهذا لَمْ يُولِّ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم ولا أحدٌ من خلفائه ولا مَن بعدهم امرأة قضاء ولا ولاية بلد فيما بلَغنا , ولو جازَ ذلك لَمْ يَخلُ منه الزمانُ غالباً) .

وقال القرطبي : (وأجمعوا على أنَّ المرأة لا يجوز أن تكون إماماً) ([6]) .

وقال البغوي رحمه الله : (اتفقوا على أنَّ المرأةَ لا تصلحُ أنْ تكونَ إماماً , ولا قاضياً ..) ([7]) .

وقال أبو الوليد الباجي ت494هـ رحمه الله : (ويكفي في ذلك عملُ المسلمينَ من عهد النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم , لا نعلمُ أنه قدَّم امرأةً لذلك في عصرٍ من الأعصار , ولا بلدٍ من البلاد , كمَا لَمْ يُقدِّم للإمامة امرأة) ([8]) .

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى : (تولية المرأة واختيارها للرياسة العامة لا يجوز , وقد دلَّ الكتاب والسنة والإجماع على ذلك) ([9]) .

وقال الدكتور محمد منير العجلاني : (لا نعرف بين المسلمين من أجاز خلافة المرأة , فالإجماع في هذه القضية تام لَم يشذ عنه أحد) ([10]) .

الفصل السادس

دلالة العقل على حُرمة تولِّي المرأة للولاية والوزارة والسفارة .

1 – إنَّ من القواعد الشرعية الثابتة : (درء المفاسد – إذا كانت مكافئة للمصالح أو أعظم – مقدَّم على جلب المصالح) ؟ ([11]) .

فالشريعة الإسلامية مبناها على جلب المصالح وتكميلها , ودفع وتعطيل المفاسد وتقليلها ، فما غلبت مصلحته أباحته ، وما غلبت مفسدته منعته ([12]) ، فالمأمورات والمنهيات في الشريعة تشتمل كل منهما على مصالح ومضار ، والحكم في كل منها على الأغلب ([13]) .

وهذه القاعدة : من مسائل الإجماع عند العلماء ، الثابتة بالكتاب , والسنة , والعقل ([14]) .

ولو سُلِّم بأن هناك بعض الفوائد القليلة العائدة على المرأة في تولِّيها للإمامة العظمى فما دونها مما فيه ولاية على الرجال ، إلاَّ أنه بالنظر إلى ما يترتب عليه من مفاسده نجده أضعافاً مضاعفة بالنسبة لتلكم المصالح القليلة النسبية التي يرجوها من يدعو إليها ! لأن أخطارها ومفاسدها قد بلغت من الكثرة والعموم ما لا ينكره عاقل منصف .

ومن هنا جاء باب (سدّ الذرائع المفضية إلى المفاسد) أو المؤدية إلى إهمال أوامر الشرع ، أو التحايل عليها ولو بغير قصد ([15]) ، فإنَّ (سدَّ الذرائع أصلٌ من

أصول الشريعة الإسلامية ، وحقيقته : منع المباحات التي يُتوصل بها إلى مفاسد أو محظورات .. ولا يقتصر ذلك على مواضع الاشتباه والاحتياط ، وإنما يشتمل كل ما من شأنه التوصل به إلى الحرام) ([16]) .

وعرَّفها الباجي ت474هـ بقوله : (المسألة التي ظاهرها الإباحة ويُتوصل بها إلى فعل المحظور) ([17]) , وابن رشد ت520هـ بقوله : (هي الأشياء التي ظاهرها الإباحة ويُتوصل بها إلى فعل المحظور) ([18]) , وابن العربي ت543هـ بقوله : (هي كل عمل ظاهره الجواز يُتوصل به إلى محظور) ([19]) .

والقرطبي ت671هـ بقوله : (الذريعة : عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يُخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع) ([20]) , والقرافي المالكي ت684هـ بقوله : (سد الذرائع ومعناه : حسم مادة وسائل الفساد دفعاً لها) ([21]) .

وشيخ الإسلام ابن تيمية ت728هـ بقوله : (الذريعة : الفعل الذي ظاهره أنه مباح وهو وسيلة إلى فعل المحرَّم) ([22]) .

والشاطبي ت790هـ بقوله : (الذريعة : هي التوصل بما هو مصلحة إلى مفسدة) ([23]) , وابن النجار ت972هـ بقوله : (الذريعة هي ما ظاهره مباح , ويُتوصل به إلى محرَّم) ([24]) .

فالشارع الحكيم إذا حرَّم أمراً حرَّم الوسائل المفضية إليه ([25]) .

ولقد اتفقت جميع المذاهب الأربعة على إعمال قاعدة سدِّ الذرائع في الذريعة التي تؤول إلى المحرَّم قطعاً , وفي الذريعة التي تؤول إلى المحرَّم ظناً ([26]) .

2- أتت الشريعة الإسلامية بالعمل بالعُرف والعادة التي لا تُخالف الشرع , وما تعارفَ عليه المسلمون مما لا يُخالف الكتاب والسنة يُعتبرُ حجة يجب العمل به ([27]) .

قال النسفي رحمه الله تعالى : (العُرف والعادة ما استقرَّ في النفوس من جهة العقول , وتلقَّته الطباع السليمة بالقبول) ([28]) .

وقال محمد الجرجاني ت816هـ رحمه الله تعالى : (العُرف ما استقرَّت النفوس عليه بشهادة العقول , وتلقَّته الطبائع بالقبول .. وكذا العادة هي ما استمرَّ الناس عليه على حكم العقول وعادوا إليه مرَّة بعد أخرى) ([29]) .

وقد أَعمل الشارع الحكيم جانب العرف وجعل له اعتباراً في كثير من العقود والأحوال الشخصية والتصرفات الدنيوية , وأخذ الفقهاء بالعرف وأولوه عناية فائقة في المسائل الفقهية , قال ابن نجيم رحمه الله تعالى : (واعلم أنَّ اعتبار العادة والعرف يُرجع إليه في الفقه في مسائل كثيرة) ([30]) .

ولقد دلَّ القرآن الكريم , والسنة التقريرية , والإجماع التقريري على العمل بالعادة والعرف ([31]) .

وإنما يُعتبر العرف عند عدم التصريح بخلافه , ووردت هذه القاعدة الفقهية بلفظ : العرف إنما يُعتبر فيما لا نصَّ بخلافه , وبلفظ : العرف غير معتبر في المنصوص عليه , وبلفظ : العرف يسقط اعتباره عند وجود التسمية بخلافه , وبلفظ : العرف لا يُعارض النص , وبلفظ : العرف يكون حجة إذا لم يُخالف نصَّ الفقهاء ([32]) .

ومن هنا : تظهر العلاقة الجلية بين العرف وسدِّ الذرائع حيث إنَّ كلا القاعدتين تسعيان لتحقيق مقاصد الشارع , وجعل أحكام الشرع صالحة لكلِّ زمان ومكان ... فتبيَّنَ لنا : أنَّ عادات وأعراف المسلمين عبر كلِّ العصور تُنكر (تولِّي المرأة للإمامة فما دونها مما فيه ولاية على الرجال) والحمد لله .

3 – إنَّ المرأة ليست أمثل من الرجل – في تولِّي إحدى وزارتي التفويض , أو التنفيذ – من ناحية القدرة والكفاية على معاناة السياسة في تحصيل مصالح الأمة , فضلاً عن التفرُّغ التام لمهام ومسؤوليات تلك الوزارتين والسفارة , وبيانه من ناحيتين :

الناحية الأولى : للمرأة وظيفتان : الوظيفة الأولى : أصلية , وهي الأمومة وكونها زوجة .

والوظيفة الثانية : خاصة – طارئة – وهي الوزارة أو رئاستها .

فإذا أجزنا للمرأة مخالفة الكتاب والسنة وإجماع المسلمين – ومعاذ الله من ذلك – بتولِّيها الوزارة أو رئاستها , وهي ليست وظيفتها الأصلية , فإننا نكون بذلك – علاوة على مخالفة الكتاب والسنة وإجماع المسلمين – قد أهدرنا وظيفتها الأساسية في الحياة مع وجود من يقوم مقامها بالنصِّ .

والناحية الثانية : إنَّ المرأة المسلمة مشغولة بما يعتريها من عوارض الأنوثة , من نحو الحيض , والحمل , والولاة , والإرضاع , والنفاس , فضلاً عن انشغالها بتربية

أطفالها وتدبير شؤونهم الحياتية , فهم بأمسِّ الحاجة إلى حنانها ورعايتها اليومية .. بالإضافة إلى قيامها بواجباتها الزوجية .

فإذا كانت المرأةُ المسلمةُ مشغولةٌ بحقوق أُسرتها المأمورة برعاية مصالحا العامة وتحصيلها ابتداءً , فلا تُشغَلُ بحقوق الأُمة غير المكلَّفة بِها من باب أولى , لوقوع التعارض الحتمي بين المصلحتين : مصلحة رعاية الأسرة والحياة الزوجية العامة , ومصلحة المرأة المسلمة الخاصة في كونها رئيسة وزراء , أو وزيرة تنفيذية , فتُقدَّم شرعاً عندئذٍ المصلحة العامة على المصلحة الخاصة , لأنها هي الأولى بالرعاية .

4 – إذا كانت المرأة غير قوَّامةٍ على أمر زوجها وبيتها فَمِنْ باب أولى ألاَّ تكون لها القوامة على سياسة الرعية والدولة بتولِّي أحد منصبي وزارة التفويض أو التنفيذ .

ولهذا نصَّ الفقهاء على أنَّ : ‹ الرَّجُلَ أنفعُ منها , ويسدُّ ما لا تسدُّه المرأة من المناصب الدينية , والولايات , وحفظ الثغور , والجهاد , وعمارة الأرض التي لا تتمُّ مصالح العالَم إلاَّ بِها والذَّبِّ عن الدنيا والدين › ([33]) .

ولهذا فلا مجالَ للرأي القائل بتخصيص وزارة لشؤون المرأة , وحماية مصالحها لأنَّها أَحنُّ من الرجل وأعطف .. وهذا تخصيصٌ بلا مُخصِّص شرعي , ولأنَّ اشتراط العاطفة الحانية ليست من شروط صحَّة تقليد الوزير , وحتَّى لو اشتُرِط ذلك فيه فيبقى المنعُ من تولية المرأة على الوزارة مطلقاً قائماً لورود النهي عن ذلك) ([34]) .

الخاتمة

تبيَّن لنا مِمَّا مضى :

حُرمة تولِّي المرأة للولاية العظمى , أو لرئاسة الوزراء , أو لوزارة التفويض , أو التنفيذ , أو فيما دونها مما فيه ولاية على الرجال .

أسأل الله سبحانه أنْ يهديَ ضالَّ المسلمين , وأنْ يُذهب عنَّا وعنهم البأس , وأنْ يصرفَ عنَّا وعنهم كيدَ الكائدين , وأنْ يحفظنا بالإسلامِ قائمينَ , وقاعدينَ , وراقدينَ , وأنْ لا يُشْمِتَ بنا الأعداءَ ولا الحاسدينَ , إنَّ الله لسميعُ الدعاء ((إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)) (هود:88) .

وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلَّم .

([1]) مجلة البحوث الإسلامية عدد45 ص335-336 .

([2]) يُنظر : حاشية رد المحتار لابن عابدين ج548/1 , الأشباه والنظائر لابن نجيم الحنفي ص338 , حجة الله البالغة للدهلوي ج396/2 , أحكام القرآن لابن العربي ج1457/3 , الفروق ج158/2 لأحمد بن إدريس القرافي ت684هـ , الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك ج329/2 لأحمد بن أحمد الدردير ت1201هـ , تحفة المحتاج للهيتمي ج75/9 , نهاية المحتاج للرملي ج409/7 , المبدع لابن مفلح ج10/10 , إعلام الموقعين ج149/2 , الأحكام السلطانية للفراء ص20 و60 , إكليل الكرامة لصديق حسن خان ص108 , الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج10/5 , فضائح الباطنية ص180 لأبي حامد محمد الغزالي ت505هـ .

([3]) يُنظر : الفرق بين الفرق ص109-111 لعبد القاهر البغدادي ت429هـ , وهذه الفرقة تُنسب إلى أبي الضحاك شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس الشيباني , ولد سنة 26هـ وتوفي غرَقاً سنة 77هـ .

([4]) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج179/4 .

([5]) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص427 .

([6]) الجامع لأحكام القرآن ج270/1 .

([7]) شرح السنة ج77/10 .

([8]) المنتقى شرح موطأ الإمام مالك رحمه الله ج182/5 .

([9]) ذكره الشيخ جوهر الرحمن في كتابه : رياسة المرأة في ضوء القرآن والسنة ص25 .

([10]) عبقرية الإسلام في أصول الحكم ص70 .

([11]) يُنظر : المجموع المذهب في قواعد المذهب للعلائي , لوحة 46 فما بعدها , ولوحة 95أ , الأشباه والنظائر ج15/1 لابن السبكي ت771هـ , كتاب القواعد ج354/1 للحصني ت829هـ , القواعد في الفقه الإسلامي القاعدة 109 لابن رجب ت795هـ , القاعدة 34 من إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك للونشريسي ت914هـ , الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية ص87-105 للسيوطي

ت911هـ , القواعد ص201 للمقري ت758هـ , الأشباه والنظائر ص90 لابن نجيم ت790هـ .

([12]) يُنظر : أصول الفقه ص 308 لمحمد البرديسي .

([13]) يُنظر : مجموع الفتاوى ج1 / 265 , قواعد الأحكام في مصالح الأنام ج1/ 12 لابن عبد السلام ت660هـ ، وفقه الأولويات ص225 لمحمد الوكيل .

([14]) يُنظر : الموافقات في أصول الشريعة ج4/ 194 – 201 لإبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي ت790هـ ، الفتاوى الكبرى ج3 / 256 ، إعلام الموقعين ج3 / 147 – 171 .

([15]) يُنظر : الموافقات ج4 / 199 ، الاستصلاح والمصالح المرسلة في الشريعة الإسلامية وأصول فقهها ص45 لمصطفى الزرقاء .

([16]) قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي ص209 بتصرف .

([17]) إحكام الفصول في أحكام الأصول ص765 لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي .

([18]) المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات مج2/ص39 لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد .

([19]) أحكام القرآن لابن العربي ج798/2 .

([20]) الجامع لأحكام القرآن ج57/2 .

([21]) الفروق ج2/ص32 , ويُنظر : مقاصد الشريعة الإسلامية ص118 للطاهر بن عاشور ت1393هـ .

([22]) الفتاوى الكبرى ج256/3 .

([23]) الموافقات في أصول الشريعة ج4/ص199 , ويُنظر : إرشاد الفحول ص411 للشوكاني .

([24]) مختصر التحرير في أصول فقه السادة الحنابلة ص98 لمحمد بن أحمد النجار , ويُنظر : الإنصاف ج337/5 للمرداوي , الفواكه الدواني للنفراوي ج102/2 , شرح الزرقاني على مختصر خليل ج400/2 لعبد الباقي الزرقاني , مواهب الجليل

ج4/524 للمغربي , فتح الباري ج4/401 , ج5/61 , ج12/327 , نصب الراية لأحاديث الهداية ج1/328 لعبد الله بن يوسف الزيلعي ت762هـ .

([25]) إعلام الموقعين عن رب العالمين ج3 / 135 لابن القيم .

([26]) يُنظر : قواعد الأحكام في مصالح الأنام ص76 للعز بن عبد السلام ت660هـ , والموافقات للشاطبي ج3/350 .

([27]) يُنظر : قواعد ابن رجب 121 , 122 , قواعد الخادمي ص308 , وشرحها للقرق أغاجي ص5 , قواعد الفقه ص57 لمحمد البركتي , مجلة الأحكام مادة 37 , درر الأحكام شرح مجلة الأحكام لعلي حيدر ج1/41 , المدخل الفقهي العام فقرة 60 لمصطفى الزرقا , الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية ص292 لمحمد صدقي البورنو .

([28]) العرف والعادة في رأي الفقهاء ص10 لأحمد أبو سنة , وأثر العرف في التشريع الإسلامي ص50 لسيد صالح النجار .

([29]) التعريفات للجرجاني ص149 .

([30]) الأشباه والنظائر لابن نجيم مع شرحه غمز عيون البصائر ج1/295 , ويُنظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ج29/16-17 .

([31]) يُنظر : شرح الجلال المحلي ت864هـ على جمع الجوامع لابن السبكي ج2/353 , وبدائع الصنائع ج5/ص2-3 , وشرح تنقيح الفصول ص322 لابن حلولو الزليطي ت898هـ .

([32]) يُنظر : شرح السير ص1634 , المبسوط ج4/227 , ج12/142 , ج14/136 , قواعد الفقه ص71 و92 .

([33]) يُنظر : إعلام الموقعين للإمام ابن القيم ج2/149 .

([34]) يُنظر : المرأة والحقوق السياسية في الإسلام , للدكتور مجيد محمود أبو حجير ص323-325 بتصرُّف .

================

 # دعاة التغريب

أصحاب الدعوات الهدامة، أمثال من يدعوا لسفور المرأة وغيره, إذا أرادوا تسويغ باطلهم في صفوف الناس، دخلوا على الناس من مداخل يظنها السفيه الجاهل شرعية, كإبليس تماماً يدخل عليك من طريق الشر, وإلا دخل عليك من أبواب الخير، ولا غرور في ذلك، فهو معلمهم الأكبر، لا أقول أصحاب هذه الدعوات أتوا النصوص الشرعية وأقول العلماء فيها، فأخذوا بعض أقوال العلماء التي فهموها فهماً شهوانياً، والصقوها بالدين، وركبوا بضاعتهم عليها، وعرضوها على الناس, ونحب أن نسأل الذين يحاولون أن يسوغوا باطلهم الذي يقحمونه على إسلامنا بعزائمنا، يتحايلون على أن يسوغوا باطلهم الذي ألصقوه بالدين ونصوصه، فنقول هل تعلمون أحد من المسلمين دعى قبل اليوم بدعوتكم؟ فإذا كان ذلك لم يحدث من قبل اليوم، تستطيعوا أن تزعموا أن أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم-. وأن علماء المسلمين قد غفلوا جميعاً عن فهم نصوص دينهم، حتى جاء هؤلاء الذين أوحى إليهم شياطينهم من الجن والأنس في باريس من أمثال قاسم أمين، فانتكس تفكيرهم بين معاهدها، وما بدا لهم حين لم يعتصموا بحبل الله المتين, الذي يذود عنهم كل شيطان مريد, وذلك حين بُعثوا إلى تلك البلاد لينقلوا إلينا الصالح النافع من علومها وصناعتها, فضلوا الطريق، وعادوا إلينا بغير الوجه الذي بعثوا به, جاء هؤلاء بعد ثلاثة عشر قرناً من نزول القرآن، ليخرجوا لنا حقائق التنزيل التي غاب علمها عن الأولين والآخرين من الفقهاء، ويضربوا بإجماع المسلمين في الأجيال المتعاقبة عرض الحائط، أليس ابتداع هذه الدعوة في ظل الاحتلال الإنجليزي، وتزعم فريق من المتفرنجين الذين عُرفوا بموالاة ذلك الأجنبي المحتل, أليس دليلاً كافياً على أنها طارئة علينا من الغرب، تقليداً بأهله المنحرفين عن فطرة الله التي فطر الناس عليها، بل إن أصحاب هذه الدعوات كشفوا على حقيقتهم كما قال الشاعر:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة** وإن خلالها تخفى على الناس تعلم

فهذا تحرير قاسم أمين الذي لبس لباس الدين، في كتابه عن تحرير المرآة، وحرف النصوص الشرعة عن وجهها، ها هو ينكشف على حقيقته، وذلك أنه حين واجه تلك المعارضة الشديدة، التي أحرجته كثيراً بعد تأليفه كتاب عن تحرير المرآة، ها هو يسفر عن وجهه الحقيقي، ويخلع عنه ثوب الحياء، وقناع التدين, ويكشف في جرأة

وصراحة عن أهدافه المغرضة، في كتابه الجديد الذي سماه المرآة الجديدة، حين بد فيه تأثيره بالحضارة الغربية واضحاً، من خلال ما يسمى بالمنهج العلمي، فيقول في كتابه عن التشريع الفسيولوجي، والتجربة في البلاد التي منحت المرآة حريتها، قد أثبت أن المرأة مساوية للرجل في الملكات، ويستشهد فيقول: إن العفة تكتسب بمنهج الحرية للمرأة، وإن اختلاف الأجواء لا أثر له في ذلك، ويقول نحن لا نستغرب أن المدينة الإسلامية أخطأت في فهم طبيعة المرآة، وتقدير شأنها، فليس خطؤها في ذلك أكبر من خطئها في كثير من الأمور الأخرى، ويقول والذي أراه أن تمسكنا بالماضي هو من الأهواء، التي يجب أن ننهض لمحاربتها جميعاً، لأنه ميل إلى التدين والتقهقر، وهذا هو الداء الذي يلزم أن نبادر إلى علاجه، وليس له من الدواء على أن نربي أولادنا على أن يعرفوا شئون المدينة الغربية، ويقفوا على أصولها وفروعها وأثارها، وإذا أتى هذا انحلت الحقيقة أمام عيوننا ساطعة سطوع الشمس، وعرفنا قيمة التمدن الغربي، وتيقنا أن من المستحيل أن يتم إصلاح ماضي أحوالنا إذا لم يكن مؤسساً على العلوم العصرية الحديثة، على أن قال هذا هو الذي جعلنا نضرب الأمثال بالأوروبيين، ونشيد بتقليدهم، وحملنا على أن نستلفت الأنظار على المرآة الأوربية

================

المرأة والموضة (3/1)

أولاً: معنى الموضة :

الموضة وينطقها البعض المودة، كلمة أجنبية تعني على الطراز الحديث، أو على آخر زي .

ثانياً: مجالات الموضة:

1- اللباس :

إن الحديث عن اللباس يطول ، فهو من أعظم فتن النساء في هذا الزمان، فقد تفنن أهل الشر وأباطرة الفساد في إظهار الأزياء الفاتنة، من خلال الصور والمجلات المتخصصة في ذلك، حتى أنها توزع مجاناً في المحلات التجارية، من أجل الإسراع في ترويج الموضات، واللباس خاصة تكثر تقسيماته وموضاته حسب الزمان أو

المكان، أو البيئة أو طبيعة البشر، أو شكل الجسم، فمثلاً هناك موضات الخريف والربيع وغيرها، وثوب الشتاء يختلف عن الصيف، واللون أيضاً يتابع فيه فصول السنة لتحديده، وما يكون في الصباح لا يصلح للظهيرة، ولا يجوز لباسه ليلاً، وهكذا تتكرر نفس الأساليب في العام القادم، من أجل إشغال المرأة عن مهمتها الرئيسية، في رعاية الزوج والأولاد، وتربية الأسرة .

وأصحاب المحلات لهم أسلوبهم في ترويج بضائعهم، وذلك من خلال الضحك على عقول النساء، فعند شراء فستان أو قطعة قماش يقول:ـ هذه أحضرتها من المحل العالمي الفلاني، وهذا موديل ملكات الجمال، أو لا يوجد مثل هذه القطعة أبداً إلا هذه، وغير ذلك من الألفاظ الساحرة التي تستنزف الأموال.

وتجد الموضة في هذه التفصيلات والأشكال، تجدد من حيث أنها قديمة، ولكن نزلت بأنها الموضة بعد طول العهد، كما تقول إحداهن: "ثياب جدتي أصبحت موضة "، ويقول أحد المختصين في هذه الموديلات : البنطلون الضيق الذي كان عام 1968م قد كان يشكّل موضة في ذلك الوقت، ثم تطورت موديلات البنطلون، فظهر البنطلون الشارلستون الواسع، والكلوش، وفجأة عاد البنطلون الضيق الذي كان عام 1968م ليصبح على قمة الموضة عام 1979 . 1980م.

وفي مجتمعاتنا خاصة نجد أن بعض الملابس خرجت عن مقصد الحشمة، إلى التفسخ والانحلال، وجذب أنظار الشباب والرجال، فتجد من تحت العباءة البنطلون والثوب الضيق، والفتوح من الأمام والخلف والجانب، والحاسرة عن عنقها، ونسمع مؤخراً عن الملابس العلاّقة، التي تكون بلا أكمام، وكذلك انتشار البلوزات والملابس التي عليها صور للفانيين والممثلين، والمشاهير من حثالة العالم وغيرها كثير، وكل هذا من تحت العباءة التي أصبحت شكلاً فقط، فمرة تدفعها وأخرى تفتحها، وثالثة تضعها على الكتف، وبذلك تبرز المفاتن الداخلية للمرأة، التي نسأل الله العافية!! ينطبق عليها قول النبي– صلي الله عليه وسلم–: (كاسية عارية)، وعند الحديث عن اللبس نتكلم عن العباءة، التي على الرغم أنه يفترض أنها اللباس الساتر للمرأة ، إلا أنها لم تنفك عن تتبع الموضة، وإظهار الإبداع في تزيين المرأة خارجياً، فأصبحت هناك عباءة فرنسية، وأخرى عمانية، وعباءة مزركشة، ومطرزه بألوان وأشكال أو

شفافة، تلبس على الكتف أحياناً، أو تفتح أحياناً، أو ترفع أحياناً أخرى، موضات يراد منها الابتعاد عن الحجاب الشرعي خطوة خطوة .

أما النقاب فحدث ولا حرج، تظهر العيون وتجمل بالكحل ونحوه، ويظهر معه بعض الخدين والحاجبين، أصبح مجالاً للفتنة، وإغراء الرجال، وعجباً كل العجب ممن يسمح لامرأته بلبس هذا النقاب، أو يسمح لقريبته بذلك، أسألكم بالله لو أن هذا الرجل قال له رجل في الشارع اسمح لي انظر إلى عيون أختك فقط، عيونها لغضب أشد الغضب وربما تقاتلا، سبحان الله!! تغضب من شخص واحد ولا تغضب أن يراها مئات الأشخاص، ومن المعلوم أن العلماء ذكروا حرمة هذا النقاب، وما دمنا في مجال اللباس دعونا نعرج على محلات الخياطة النسائية.

وهذه تنقسم إلى قسمين :

إما محلات خياطة مفتوحة، يعمل فيها رجال، أو تكون مشاغل نسائية لا يسمح بدخول الرجال إليها، لأنه يعمل فيها النساء.

فبالنسبة للقسم الأول: أعني التي يعمل فيها رجال، هذه لاشك لها سلبيات كثيرة منها على سبيل الاختصار:

1ـ الإسراف المالي: حيث أنها تستنزف أموال الناس، عن طريق الخياطة بمبالغ طائلة .

2ـ إحضارها لمحلات الأزياء: وعرضها على النساء (الزبائن)، مع ما في هذه المحلات من مفاسد لا تخفى عليكم .

3. طريقة كلام المرأة مع الخياط: وإبرازها لشيء من جسدها له، بحجة أنه من العمالة الوافدة، وربما كان سيئ الخلق، فألان معها الكلام، وربما تجرأ على ما هو أكثر من ذلك .

4. إضاعة الوقت على المرأة: لأنها تجلس عنده مدة طويلة تشرح له الموديل.

5. فيه إضاعة لوقت ولي المرأة: الذي جاء معها إن كان جاء معها ولي.

6. فيه إضاعة لوقت المرأة التي تنتظر الدور: لتعطي هذا الخياط ملابسها.

والذي أقترحه على الأخوات ما يلي :

1. أن تتولى خياطة ملابسها بنفسها، أو تعطيها لزميلة لها لتقوم بالمهمة.

2ـ إن كان ولابد من الخياط فارسمي الموديل، واشرحيه لوليك، ثم هو يذهب إلى الخياط ويتفاهم معه على كل ما تريدين .

أما بالنسبة للمشاغل النسائية: ففيها مفاسد أيضا، منها على سبيل الاختصار:

1. بعض هذه المشاغل تتولى الخياطة فيها كافرات.

2ـ لا تقتصر بعض المشاغل على الخياطة فقط، بل تقوم بأعمال أخرى كقص الشعر والتجميل ونحوهما، في هذين من المفاسد ما لا يخفى، فقصّات غربية محرمة، ونمص وإزالة شعر العانة، والاطلاع على العورات ونحو ذلك .

3. ربما كان في بعض هذه المشاغل مكاناً لخلع الملابس القديمة، لتجربة الجديدة، وهذا معلوم حكمه من قوله– صلى الله عليه وسلم–: (أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها و بين الله عز وجل).

4. ربما كان في بعض هذه المشاغل آلات تصوير خفية وغيرها من المفاسد، ولذا إن ذهبت المرأة إليهن فعليها أن لا تنزع حجابها وتعد نفسها، وكأنها أمام رجال، بالإضافة إلى أنها ينبغي أن تختصر الكلام معهن، وتقتصر على موضوع الملابس فقط، ولا تتكلم في موضوعات أخرى، كما عليها أن تأتي بالمقاس معها، ولا تجعل هذه المرأة تلمس جسدها لأخذ المقاس.

2–الشَّعر:

وهو مكمن الجمال الحقيقي للمرأة، ولم يزل المرجفون وصايغي الجمال الموهوم، يحاولون بشتى الطرق إظهار شعر المرأة من تحت خمارها، فخرجت للنساء موضات وقصّات، وتسريحات بأسماء متعددة، وأشكال مضحكة ليضحكوا على عقل المرأة، ويقضوا على ما بقي من حيائها، وهذه المسكينة تجرى وراء كل جديد، وتتبع محلات التسريحات وآخر الموضات من القصات، أو كيف كان شعر الممثلة الفلانية، وتسريحة المطربة الفلانية، فتقوم بتقليدها حتى وهي تعلم أنها كافرة، أو تأخذ من الإسلام اسمه فقط.

فالتسريحات تملأ محلات " كوافير" أشكالاً وألواناً، فهذه قصة الأسد وتلك قصة الفنانة، والمطربة الفلانية، والآن نسمع قصة الستينات وتسريحة الشلال، وهكذا من الأسماء المنمقة، استدراك [ظاهرة إخراج الشعر الطويل خارج العباءة] .

ولتعلم المرأة أنه لا يجوز لها قص شعرها إلا بشروط ذكرها العلماء وهي :

1. ألا تقصره إلى حد يشبه فيه شعر الرجل .
2. ألا يكون فيه تشبه بنساء الكفار والفساق.
3. أن يكون بإذن الزوج ورضاه.

ومع ذلك تجد من النادر أن تحقق المرأة هذه الشروط، فأغلب الذاهبات إلى صالون التجميل، ومحلات الكوافير، هن ممن يتتبعن الموضة بحذافيرها.

ومما يدخل في مجال الشعر استخدامها " الباروكة"، التي يتخذها بعض النساء، وتقصد بها الزينة والتجميل، ولا تعرف أنه من الوصل المحرم، يقول الشيخ صالح الفوزان ": ومن الوصل المحرم لبس الباروكة، والمعرفة في هذا الزمان لقول النبي- صلي الله عليه وسلم- : (ما من امرأة تجعل في رأسها شعراً من شعر غيرها إلا كان زوراً) .. والباروكة شعر صناعي يشبه شعر الرأس وفي لبسها تزوير.

وقد قال الشيخ محمد بن عثيمين: أنها محرمة، وأنها من الوصل، ثم قال: " لكن إن لم يكن على رأس المرأة شعر أصلاً، كأن تكون قرعاء ، فلا حرج من استعمال الباروكة، لتستر هذا العيب " .

ومن مجالات الموضة الشعر، اتخاذ الصبغات الملونة، والمختلفة له، والتي تتخذها غالباً المرأة دون حاجة، وفي هذا يقول الشيخ صالح الفوزان: " أما صبغ المرأة شعر رأسها، فإن كان شيباً فإنها تصبغه بغير السواد، لعموم نهيه- صلي الله عليه وسلم- عن الصبغ بالسواد.

وأما صبغ المرأة لشعر رأسها الأسود، ليتحول إلى لون آخر، فالذي أرى أن هذا لا يجوز، لأنه لا داعي إليه، لأن السواد بالنسبة للشعر جمال، وليس تشويهاً يحتاج إلى تغيير، ولأن في ذلك تشبهاً بالكافرات " .

وأما نتف الحواجب " النمص"، فحدث ولا حرج، فقد كثر بشكل ملحوظ، في أواسط النساء، فتجد الواحدة منهن تنتف جميع الحاجب، وتستعيض بدلاً عن ذلك برسم القلم مكانه، فتجدها كل يوم بشكل الحاجب، يقول الشيخ عبد العزيز بن باز- رحمه الله- : " لا يجوز أخذ شعر الحاجبين، ولا التخفيف منهما، لما ثبت عن النبي- صلي الله عليه وسلم- أنه لعن النامصة والمتنمصة، وقد بين أهل العلم أن أخذ شعر الحاجبين

من النص"، والنامصة: هي التي تزيل شعر حواجبها، والمتنمصة: هي التي تطلب ذلك من غيرها.

وتذكر أخيراً ما يتعلق بالرموش الصناعية للعين، وما يفعله بعض النساء من اتخاذها للزينة المحرمة، التي تجعل المرأة تبدو بغير صورتها الحقيقية، وأيضاً إغراء الرجال من خلف النقاب، الذي يظهر العينين بوضوح ، أضف إلى ذلك الطريقة الساحرة والماكرة، للرمش بهذه الرموش الصناعية.

ولكل ما ذكرنا سابقاً من الصبغات والنمص، واتخاذ الرموش الصناعية أضرار صحية خطيرة، نذكرها لاحقاً.

3–العدسات اللاّصقة:

وهي إحدى المظاهر الخّداعة، التي أنتجتها لنا الموضة مؤخراً ، فتجد المرأة تخرج، وقد لبست العدسات الملونة، التي تتماشى مع لون فستانها، أو حذاءها، وتبرز ذلك من خلف النقاب، أو عند معارفها وصديقاتها، وقد ظهر مؤخراً عدسات لاصقة تحمل في داخلها صوراً، ولا نعلم ماذا سيأتي بعد ؟

فمثل هذه العدسات التي اتخذت لغير حاجة طبية، وضرورية، فيها خداع وغش، وتغيير لخلق الله . عز وجل .، وتبعية للشيطان، قال تعالى على لسان إبليس: (وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ) (النساء:119) . وأضف إلى ذلك القيمة الباهظة الثمن، التي تصل إليها هذه العدسات دون حاجة، وإنما فيها إسراف وتبذير، قال تعالى: (إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ) (الإسراء:27) .

4 – الكعب العالي والحذاء:

لم يعد خافياً ما يسببه الكعب العالي من مضار صحية. كما سيأتي .، وأخطار متنوعة، وهذه الزينة. أقصد الكعب العالي . ليست وليدة هذا العصر، فقد روى الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري . رضي الله عنه . أن النبي صلى الله عليه وسلم . قال: (كانت امرأة من بني إسرائيل قصيرة تمشي بين امرأتين طويلتين ، فأخذت رجلين من خشب، وخاتماً من ذهبن مغلفاً بطين، ثم حشته مسكاً وهو أطيب الطيب، فمرت بين المرأتين، فلم يعرفونها، فقالت بيدها هكذا...) وفي رواية عند غير مسلم :(فكانت إذا مرت بالمجلس حركته تنفخ ريحه) .

وروى عروة عن عائشة . رضي الله عنها . قالت : (كن نساء بني إسرائيل يتخذن أرجلاً من خشب، يتشرفن للرجال في المسجد، فحرم الله عليهن المساجد ، وسلطت عليهن الحيضة). أخرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح ، كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله.

واتخاذ مثل هذه يشبه في عصرنا الكعب العالي، وفي ذلك تشبه بالهالكين من الأمم السابقة، من اليهود والنصارى وغيرهم ، ونهي آخر من التشبه أيضاً بمن هم من الكفرة، وإن كانوا معاصرين.

وعند سؤال اللجنة الدائمة للإفتاء عن الكعب العالي، كان جوابها :" لبس الكعب العالي لا يجوز ، لأنه يعرض المرأة للسقوط، والإنسان مأمور شرعاً بتجنب الأخطار، كما أنه يظهر قامة المرأة، وعجيزتها بأكثر مما هي عليه، وفي هذا تدليس وإبداء لبعض الزينة، التي نهيت عن إبدائها المرأة المؤمنة بقوله تعالى: (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (النور:31) .

ومع ذلك فإنك تلاحظ المرأة في السوق والأماكن العامة، تشنف آذان الرجال بصوت الكعب، وهو يضرب على الأرض، وكأنها تقول بلسان حال رجلها: أنظروا إليّ وإلى حسن قوامي، ونجد هذا الكعب يختلف في حجمه، فمنه صغير الحجم الذي تكاد تسقط منه المرأة، ويتدرج في كبره، حتى نجده الآن قد وصل إلى حجم كبير، أو ما يطلق عليه باسم" الدبابة " وشكل الحذاء من الخارج أشكاله لا تنتهي، حتى وصل الحال الآن ببعض الأحذية التي تشبه حذاء الرجل ، وكذلك تعدد الأشكال حسب الفصول والأجواء ، وأيضا حسب المناسبة، فما كان للمدرسة لا يصلح للسوق، وثالث للسهرات، لا يكون للحفلات العارضة، وحذاء للمطبخ، وآخر للحمام.

وبين عشية وضحاها، نجد المرأة المسرفة تستبدل الأول بما يوافق الموضة الحالية، التي أصبحت بالنسبة لها قديمة، والله أعلم أين سيكون مصير الأحذية السابقة، التي لم تلبس سوى مرة واحدة، فهي جديدة أو شبه جديدة على أقل الأحوال!!!

5-الرشاقة ومراكز التخفيف:

أصبح "الرجيم" والرشاقة همّ كثير من النساء، فأوراق الحمية تنتشر بين النساء، والأكلات المناسبة للرشاقة ، وهكذا من التوصيات التي تجد الجميع يدلي بدلوه فيها.

أما الرشاقة وحبها، فهي صفة مدح لدى النساء ، وكل ذلك من أجل تقليد عارضات الأزياء في حسن القد والقوام، أو بعض الفنانات، فتجد بعض النساء تقلل من الرضاعة الطبيعية لولدها خوفاً من تدلي ثدييها، وأخرى تقلل الحمل خوفاً من ترهلات البطن وغيرها.

ومراكز التخفيف استخفاف بعقل المرأة ، وهو من مخلفات الموضة وإفرازات التغريب، لإخراج المرأة من بيتها، فلا تخلو هذه المراكز من عدة أمور لا تجوز شرعاً، ولا تقبلها امرأة في وجهها ماء الحياء، فنجد فيها التعري أو شبهه، واللباس الفاضح أو الضيق أو الشفاف، وكذلك الموسيقى التي تتناسب الحركات فيها مع الإيقاع ، وضياع الوقت الذي يدوم طويلاً من أجل ظهور النتيجة بصورة جيدة، أو كل ذلك على حساب الأسرة والزوج والأولاد، والاختلاط بقرينات السوء اللاتي غالباً لا يدخل هذه المراكز إلا مثلهن.

ولا أقصد من الكلام السابق تحريم الرياضة على النساء، وإنما أقصد ممارسة الرياضة المناسبة في المكان المناسب، في الوقت المناسب، ولنا في رسول الله- صلي الله عليه وسلم . أسوة حسنة، فقد صح عنه أنه سابق أمّنا عائشة- رضي الله عنها- فسبقها مرة، وسبقت مرة، وكان ذلك بعيداً عن أعين الناس، وفي هذا العصر بإمكان المرأة أن تمارس الرياضة في بيتها، بل في غرفة نومها، بما جد من الوسائل الحديثة المخصصة لذلك، وكذلك الاستغناء عن الخادمة والقيام بخدمة البيت بنفسها، بدلاُ من التعود على العجز والكسل.

6- الحركات والألفاظ:

وهي المعيار عند من يتابع الموضة، فلا تخرج لفظة أو حركة من فنان أو فنانة، إلاّ وتجد المسارعة إلى تنفيذها من الغد عند الصديقات، لكي تواكب السرعة في متابعة الموضة، وأن لها قدم السبق في ذلك التقليد، فيتم الاستمرار على ذلك حتى خروج شئ جديد.

وهذا الأمر لم يفت أدعياء الشر من أصحاب القنوات، والمجلات، فهم يتابعون أهل الفن في كل تصرفاتهم وألفاظهم، وآخر أخبارهم الفنية، فبعض الفتيات تغير النطق ببعض الحروف، كالراء والجيم تغيرها لتظهر أنها متبعة للموضة .

وكذلك تجد في بعض مجتمعات الفتيات في المدارس والجامعات، ظاهرة التشدق في الألفاظ، والتميّع فيها، والتكسير في إخراجها، فلا تخرج الكلمة إلا من بطنها، ولو كان لقصد الحرص على اللسان، وعدم إخراج الكلمات إلا بحذر وتقدير، لكان هذا أمراً جيداً، ولكن يتضح من المقال ما يغني عن الحال.

والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :ـ (أحبكم إلى وأقربكم مني محاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مساويكم أخلاقاً الثرثارون المتشدقون المتفيهقون) رواه أحمد .

والمتشدق: هو الذي يتطاول على الناس في الكلام. والمتفيهقون: هم المتكبرون.

أما الحركات: فهي كثيرة، وأبرزها التقليد لحركات عارضات الأزياء في المدرسة والجامعة، والسوق، وكأنها تعرض نفسها في سوق النخاسة، والحركات لا تقتصر على المشي فقط، بل تجدها في حركات الأيدي والعين والفم وغيرها، وكل ذلك سببه حب الظهور والتميّز عن الغير، وكأنها بذلك ترى نفسها فوق الجميع والعياذ بالله ..

7- مساحيق التجميل " المكياج" :

وهو من أوسع مجالات الموضة، فهو متجدد دائماً، استوردت المملكة أدوات تجميل عام 1409هـ بأكثر من 800 مليون ريال.

وهذه المستحضرات متنوعة الأشكال والألوان ، فمكياج النهار خفيف ـ مثلاً ـ وفي المساء ثقيل !! ومساحيق الصيف ليست كمساحيق الخريف، والأدهان "الكريمات" كثيرة لا تحصى، فهذا لحفظ الجلد، وذاك لتقويته، وآخر لتغذيته، وذاك لترطيبه، وشيء قبل الاستحمام وشيء بعده. وكريمات لتثبيت المكياج، وأخرى لإزالته، وأدهان

لإزالة تجاعيد الوجه، وأخرى لإزالة النَّمش، وآخر لإزالة حبّ الشباب، وآخر لإزالة الكلف!!

فتجد المرأة تجرب كثيراً من هذه الأشياء حتى تصل لما يناسب بشرتها، ولا ننكر أن هناك ما يفيد حقاً، ولكنها ليست كلها لازمة ومفيدة ، بل إن فيها من التحايل التجاري، والخداع والتمويه الشيء الكثير، خاصة إذا علمنا أن أساسياتها تكاد تكون واحدة، مع الاختلاف في اللون والرائحة فقط .

وهنا سؤال يخفى على الكثير ما مكونات مساحيق التجميل ؟

إن الجواب على هذا السؤال غريب، وخارج عمَّا يتصوره العقل، فاستمعي يا رعاك الله!!

إن أشهر ماركت مساحيق التجميل العالمية، تصنَّع من أنسجة أجنة الإنسان الحية!!

وهل تعلمين أن الولايات المتحدة الأمريكية يدخلها سنوياً أربعة آلاف جنين، عن طريق ما فيا الأجنة، لهذا الغرض ولغيره، إنهم يقتلون الإنسان ليصنعوا تلك المساحيق الملونة.

وكتبت صحيفة يوغسلافية تقول: إن الأجنة البشرية الحية، تستعمل في إجراء التجارب العملية، وفي تحضير مستحضرات التجميل .

وفي انجلترا اتضح أن أحد الأخصائيين، المشاهير في أمراض النساء والولادة في لندن، يبيع الأجنة لشركة كيماوية، متخصصة في إنتاج الصابون.

بل وصل الأمر إلى أمور مستقذرة أيضاً: فقد أجبرت إحدى الشركات الهندية المتخصصة، في إنتاج مستحضرات التجميل، على سحب كريمات للوجه من إنتاجها، بعد أن علم الزبائن الغاضبون أن هذه المادة من الصراصير . أعزكم الله . .

وقد اعترفت الشركة باستعمالها الصراصير المطحونة، لإضافة البروتين إلى كريمات الوجه، ولعلها عجزت عن الحصول على أجنة آدمية، فاستعملت الصراصير.

فهذه بعض الحقائق المخجلة، التي تكشف القناع الذي يتستر تحته مصاصوا الدماء، ومدعوا المدنية ، فكيف ترضين أن تضعي هذه المساحيق والكريمات على وجهك، الذي جمَّله الله . جل وعز .، وقد علمتي أنها قد تكون من أجنة آدمية، في حكم الميتة، أو من حشرات مستنفذة .

ومع ذلك لا تزال الإعلانات والدعايات، تستهدف المراهقات والنساء المتموضات، ولا تسأل عن الاستنزاف المادي والصحي، . كم سيأتي . الذي تستهلكه تلك المساحيق.

ومن ضمن ذلك نستطيع الحديث عن موضات أحمر الشفاه، (الروج)، الذي يبالغ فيه كثير من النساء، وموضتهم في ذلك متعددة، فمرة ملء الشفتين به، ومرة تخفيفه، وأخرى تحديده مع مراعات التناسب مع البشرة أو الفستان، وقد علمت أن الموضة الآن ألوان غريبة على الشفتين، كالأخضر الغامق، والأزرق والأصفر، والليموني وغيرها، من الألوان التي تظهر المرأة بشكل مضحك ومخجل، ولكن ذلك لا يهمها في إدراكها، اتباع الموضة والعمل بآخر الصيحات، ولا تستغرب لو ظهرت موضة، أن يكون لإحدى الشفتين لون الروج وللأخرى لون مختلف، فإنه لم يعد هناك أمر مستغرب يأتي من الغرب، أو من يتابعهم من أهل الموضة.

8 –عمليات التجميل:

وهذه تنقسم إلي قسمين:

الأول: ما يتطلب تدخلاً جراحياً، أو عملية أيَّاً كان نوعها، سواء بمشرط أو عن طريق الليزر أو غير ذلك، فهذه إن كان الإصلاح عيب ناتج عن حادث مثلاً فلا بأس بها، لأن الرسول– صلي الله عليه وسلم– أذن لمن قطع أنفه أن يتخذ أنفاً من ذهب، أما إن كانت للتجمل فقط فلا يجوز، لأنها تغيير لخلق الله، ولما فيها من الإسراف.

الثاني: عمليات التجميل عن طريق استخدام الخضروات، والزيوت ونحوها، كأن تضع على وجهها شيئاً من قشور كذا، أو من الفاكهة الفلانية، ونحو ذلك، وهذه فيها امتهان لنعمة الله، واستخدام لها في غير ما جعلت له، وكيف ترضى المسلمة أن تعمل كذا، ثم يكون مصيره الزبالة، وهناك من المسلمين من يموت جوعاً، ثم أن هذه الأشياء تحتاج إلى أن تحافظ المرأة على وضعها ثابتاً لمدة طويلة، ربما وصلت الساعة، ولو كانت هذه الساعة في درس، أو طلب علم، أو محاضرة، لوجدت الضجر والملل.

9 –مجالات أخرى في تتبع الموضة:

وهناك ذكر لبعض الموضات الحادثة في مجتمعنا على عَجَل:

* الوشم بالليزر: ووضع بعض الطبعات للزينة في العنق، على شكل عقد، أو على اليد أو في الوجه، وكل هذا يخشى أن يكون من الوشم الذي قال عنه ابن مسعود- رضي الله عنه- كما في الصحيحين قال :(لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن ، المغيرات خلق الله تعالى).

ثم قال: مالي لا ألعن من لعن النبي- صلي الله عليه وسلم.

والواشمة: هي التي تشم، والمستوشمة هي التي تطلب الوشم.

* أماكن التصوير النسائي، الذي انتشر في الأماكن الخاصة بهن.

وفي بعض أسواقهم، وبعض الملاهي، فتخرج الصورة بشكل صغير أو كبير، وتظهر فيه المرأة أجمل من الواقع، إمَّا بالأسود والأبيض، أو الألوان، وحكم التصوير واضح لا يخفي على أحد، وأيضاً ذلك المبلغ الذي تم دفعه في أمر محرم، فكان إسرافاً لا يجوز، وما ظن المرأة لو تسقط صورتها عند أحد أقاربها، أو أحد الشباب المتلصصين، وما ندري هل هو برغبتها أم لا ؟ ؟!!

* البروش الذي يعلق على الملابس: فقد انتشر في الآونة الأخيرة وضع بعض الصور في هذا البروش، وتعليقه على الصدر في جهة القلب وانتشر في مجتمع الفتيات تعليق بعض صور الفنانين، أو اللاعبين فيه، وأيضاً انتشار صور العشيقين، اللذين في قصة فيلم"التايتنك" على هذا البروش.

* ظاهرة غريبة شبه منتشرة بين الفتيات، في بعض المجتمعات الخاصة، آلا وهي استئجار سيارة فارهة مع سائقها، ثم القدوم بها إلى المدرسة أو الجامعة، أو الدوران بها في الشوارع العامة من أجل لفت الأنظار، والبحث عن من يقع في حبائلهم الشيطانية.

ثالثاً: أسباب تتبع الموضة:

1. ضعف الإيمان: وعدم الخوف من الله، وعدم الاهتمام بالحكم الشرعي ومعرفة الحلال من الحرام.

2. التقليد الأعمى.

3. فساد التربية: والتعود منذ الصغر.

4. عدم حزم أولياء الأمور: في منع قريباتهم من تتبعها.

5. عدم الثقة بالنفس: والخوف من احتقار الغير.

6. حب الظهور والشهرة .

7. الرفقة السيئة.

8. التأثر بالصيحات التي تصور المرأة العصرية: بأنها هي التي تتبع الموضة عن طريق وسائل الإعلام المختلفة.

9ـ الانخداع بطرق وأشكال طرح الموضة في الأسواق: فإذا رأت عباءة مزركشة جميلة تمنت مثلها لها وهكذا.

رابعاً: أضرار تتبع الموضة:

1- انتشار الجنس:

فما تجلب الموضة وتتبع الأزياء إلا كل ما هو مناقض للحشمة والستر، فهذه الموضة تتبع أخس الأساليب في الإغواء والإغراء، فتظهر الفتن، وتدمر الآداب، مما يؤدي إلى انتشار الجنس الذي يعتبر نقطة تحول في فساد المجتمع والرسول . صلى الله عليه وسلم . يقول: ((اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)) .

فالمرأة المتتبعة لكل ناعق للتفسخ والانحلال، هي المنعطف الخطر في انحراف المجتمع، والنزول به إلى الهاوية، وما ذاك إلا لأنها نصف المجتمع الآخر.

2 – كثرة الاختلاط:

فالمرأة المتموضة تسعى جاهدة لكي يطَّلع عليها الرجال، فتسعي إلى ارتياد الأماكن العامة والأسواق لكي تنظر إلى نظرات الرجال وتلميحاتها، وهمسهم وغمزاتهم، مما يجعلها تشعر بنشوة تحقيق الهدف في لفت الأنظار إليها، بلبس ما هو جديد، أو قل واكبت الموضة.

وما المتوقع عندما يحدث مثل هذا الاختلاط بهذا اللباس الفاضح، أو النقاب الواسع، أو المشية المتكسرة، أو اللفظة المائعة، أو غير ذلك من صاحبات الهوى الفاتن والمتلاعبات بعقول بعض الرجال، قل لي بربك ماذا تتوقع من فساد النفوس؟ وخبث الطوايا ؟ وضياع الأعراض ؟ وتهدم البيوت؟ وشقاء الأسر؟ وانتشار الجريمة؟!!

3 – تهدم الأمم، واندثار الحضارات:

إن الانحراف الخلقي الذي تجلبه الموضة إنما هو شرارة خطر تحرق المجتمع وتهدم الأمة بأسرها، في المصير المنتظر لأمة نساؤها متفسخات منحلات أخلاقياً، ومازالت دروس التاريخ بين أيدينا، وتجارب الأمم تبحث عن من ينظر إليها بعين البصيرة والعظة، فالسعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ بنفسه، فهذه حضارة اليونان والرومان غابتا في أسفل سافلين عندما غرقوا في الشهوات، انتشر بينهم العري والتفسخ ودور العهر والخنا، وما سبب تفكك الاتحاد السوفييتي إلا بعد ذاك، وما غابت شمس الأندلس وضاعت إلا بعد الغرق في الترف والملذات، وما استسلم الجيش الفرنسي أمام جيش الألمان خلال أسبوعين إلا للانغماس في الشهوات والانكباب على اللذات .

4 – الأضرار الصحية:

ماذا عسى المتحدث أن يذكر في هذا المقام، فالأمر لم يعد خافياً على كل صاحب عقل حصيف، والأبحاث الطبية أثبتت كثيراً من الأمراض التي يتعرض لها النساء بسبب تتبع الموضة في كل مجال دون النظر إلى العواقب.

5 – الأضرار النفسية:

إن المرأة المتتبعة للموضة لا تخلو من حالين من حيث الحالة النفسية لها:

أولاً: إما أن تحاول لبس أحدث الموديلات وآخر الصيحات من الموضة، وبذلك تحاول لفت انتباه الرجال أو التعالي والتفاخر عند زميلاتها، وهذا مرض قلبي اسمه" حب الظهور"، فإن رأت أن أحداً لم يلق لها بالاً وأنهن لم يحزن على ما حازت عليه حقرتهن وازدرتهن، وتكبرت عليهن، وهنا تقع في مرض نفسي آخر وهو التكبر.

ثانياً: وأما إن كانت من نساء سبقنها في هذا المضمار امتلأت نفسها غيظاً وحسداً عليهن، وأصابها غم وحسرة وحزن، فتجدها مترددة بين هذه الأمراض النفسية التي تفتك بالقلب وتورث الضعف في النفس والعقل، وإذا أخذنا مثالين بسيطين على ما يورثه اللباس والمكياج من أضرار نفسية فإليك بعض مقولات علماء الاختصاص في ذلك:

في بحث قام به علماء النفس حديثاً أكدوا فيه أن اللباس القصير يساوي خوفاً، ووصفوا المرأة التي ترتدي الملابس القصيرة بأنها امرأة غير مستقرة، وأن عواطفها لم

تنضج بعد، كما تؤكد الأبحاث أن الملابس القصيرة تدل على طفولية مرتديتها وسطحية عقلها.

أما المكياج فيقول الدكتور نيقولاس باينغ: (إن المرأة تغيب لبعض الوقت في المساء لمدة نصف ساعة، ثم تعود وقد أخفت وجهها خلف الأصباغ، فإذا كانت المرأة قلقة على مظاهرها إلى هذا الحد فإنها عندئذ قد تسبب لنفسها مرضاً عصبياً (نفسياً)، أما اللواتي لا يستخدمن المكياج فإنهن أكثر ارتياحاً نفسياً وأكثر ثقة في أنفسهن) .

فهذه مقولات بعض علماء الدنيا، إذا كانت لا تستجيب لأقوال علماء الشرع، ثم اعلمي أن الانصراف إلى هذه التفاهات والغرق في هذه المستنقعات تتأكد معها الهزيمة النفسية الكبرى، حتى تصبح الدنيا أكبر همها والله المستعان.

ثم ناحية أخرى من لا تتبع الموضة تهاجم من قبل المتبعات للموضة، وتواجه الاتهام بأنها قروية ريفية، مما يسيء إلى نفسيتها.

6 – الأضرار المادية:

من أين نبدأ في هذه النقطة التي هي أساس لكل شر؟ فهل نتكلم عن الإنفاق على تصنيع هذه الأمور الذي بلغت المليارات من الدولارات ؟ أم نتكلم عمَّا ينفقه النساء من مبالغ خيالية في استعمال هذه المستحضرات، أو إحضار آخر الموديلات، أو تفصيلها من الملابس أو العباءات، أو الأحذية وغيرها الكثير ؟ أم نتكلم عن أثقال كاهل الزوج أو ربّ الأسرة في المصروفات، من أجل اللهاث وراء ذلك الغثاء، وتقليد الأصدقاء والأعداء ؟ أم نتكلم عن حال المسكين الذي يستدين من أجل تلبية رغبات الزوجات والبنات؟

مشاهد ليس فيها مبالغة ولكنّها مع الأسف هي الحقيقة المرّة، التي تعيشها بعض الأسر والعائلات، والمرأة التي تبتز زوجها تعرف كيف تخرج منه المال، ألسنتهنّ ذوات الكيد العظيم، فمثلاً: تجدها تواظب على ارتداء الملابس القديمة أمام زوجها لتوهمه مع مرور الزمن أنها بحاجة إلى ملابس جديدة، رغم أن عندها ما يملأ خزانة ثيابها أو يزيد، ومع ذلك تجد نفس النغمة تتكرر: إنها لا تملك شيء .

وعلى ذلك فَقِس جميع الأمور من أدوات تجميل أو أحذية، أو حقائب أو غيرها، والسؤال الذي يطرح نفسه: ما مصير تلك الملابس المكدّسة في الدواليب؟ وما مصير كل قديم لديها؟

7 – زوال حياء المرأة وانعدامه: وهو سر أنوثة المرأة، وسبب ميل الرجل إليها.

8 – البرود الجنسي بسبب كثرة اللقاءات والنظرات.

9 – تفكك الأسرة: إذ ربما تعرضت المرأة لخيانة زوجها بسبب امرأة متبرجة أو العكس.

10 – الإعراض عن الزواج:

وذلك لأن الرجل سيشك في النساء والمتبرجات، كما أنه سيضع مواصفات عالية لخطيبته لكثرة ما يرى من المتبرجات، فهو يريد خطيبته كعيون فلانة، وقوامها كفلانة، وغيرها من الصفات مما لا يمكن أن تجمع في امرأة واحدة.

11 – الموضة هدم للمجتمع الإسلامي، ومحو للشخصية الإسلامية:

إن متّبعة الموضة غالباً ما تكون متبرجة، وتأنف من اتّباع تعاليم الإسلام الواجبة: كالقرار في البيت، وعدم الخروج إلا للضرورة أو بإذن الزوج وغير ذلك، فأصبحنا نفتقد المجتمع المسلم والبيت الإسلامي، حتى أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، وأضحى الاستنكار والاستغراب لمن التزم بالصورة الصحيحة لبناء البيت المسلم.

فتجد الرجل محاصراً بالنسوة المتبرجات والمتموضات في كل مكان، في الطرق العامة ووسائل المواصلات، والأسواق والمستشفيات، وجميع المرافق المختلفة، فتجد صاحب القلب السليم والنظر العفيف لا يستطيع الحفاظ على كيانه الإسلامي الصحيح، فيهرب بنفسه قبل أن يصيب قلبه الخلل، فتغريه صاحبة الأحداق أو كاشفات الساق، فمثل هذه الصورة تعتبر شاذة في مجتمع يحب تطبيق الشخصية الإسلامية وبناء المجتمع الإسلامي، فهؤلاء النسوة يستطعن جر المجتمع بأسره بعيداً عن الدين.

إذن لا يتحقق بناء المجتمع الإسلامي إلا بستر المرأة أولاً، وإلزامها بالحجاب الكامل، فتلك هي عملية التطهير الأولى للمجتمع: ((ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ)) (الأحزاب:53).

12- الموضة تقليد أعمى للكفرة والأعداء:

كفى بالموضة قبحاً أنها تصدر عن أعداء ديننا، وبتنفيذ ما يرمون إليه يتحقق لهم القضاء على حصانة مجتمعاتنا الإسلامية.

يقول الشيخ محمد عبده- رحمه الله-: ومع الأسف ما زال بعض أصحاب النظرة السطحية يرون أن تقليد أوروبا في التبرج والاختلاط والانحلال يحقق للأمة قوة مثل أوروبا، وهذه سذاجة واضحة وسطحية في التفكير، ونظرة الضعيف للقوي، ولينظروا إلى أصحاب القرون الفاضلة ما الذي أوصلهم إلى ذُرا المجد، وكيف بلغوا مشارق الدنيا ومغاربها، وما حال النساء المسلمات في ذلك الزمان.

13- الموضة تؤدي إلى هضم الحقوق الزوجية:

تذكر إحدى النساء أن لها شقيقة متزوجة، وكانت لا تسمح بإعطاء زوجها حقّه من المعاشرة الزوجية إلاّ نظير مبلغ معين من المال، لتشتري ما يعجبها من الأزياء والموضات، وظلت على هذا المنوال حتى سئم منها زوجها فتزوج بأخرى، وعاقب الله تلك المرأة بمرض نفسي في نهاية الأمر!!

فهل ترضى امرأة مسلمة عاقلة أن يصبح حالها مع زوجها كالبغايا والمومسات اللاتي يعاشرن الرجال نظير مبلغ من المال؟!!

كيف تحرم المرأة زوجها الذي هو أعظم الناس حقَّاً عليها، من حقٍ فرضه الله له وأوجبها أن تطيعه فيه ؟ أين المودة والرحمة التي ستثمرها تلك العلاقات المبنيّة على مبدأ الطمع والمساومة ؟؟!

وكل ذلك من أجل عرض دنيوي زائل، وإرضاءً لهوى النفس في اقتناء موضات ليست بحاجة إليها.

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلي الله عليه وسلم- : ((إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته، فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح)) متفق عليه.

وعن أبي عباس- رضي الله عنهما- أن رسول الله- صلي الله عليه وسلم- قال: ((اطَّلعتُ في النار، فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن العشير، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قطُّ)) رواه البخاري.

14- الموضة تؤدي إلى انقلاب الفطر والموازين:
واقصد بذلك عندما تتشبه المرأة المتموضة بالرجال، وهذه مكيدة من أعداء الدين يحاولون القضاء على الفوارق الطبيعية بين الذكور والإناث، فمن صيحات حق المساواة بالرجال إلى محاولة تقمّص شخصيته، ليتحقق لدى ذاتها . على أقل تقدير . هذا الحق، فتخرج بعض الموضات التي لا تكون إلاّ للرجال، وإذا بالعارضة والمصمم يطرحها للنساء، فتخرج المرأة مسترجلة في الزيّ والحركات والتصرفات، وأحياناً في تضخم الصوت، وكأنها تعترض على من خلقها لماذا جعلها امرأة ؟ نعوذ بالله من الخذلان.

وقد طالعنا بعض الفتيات في الجامعات في زمن قريب بمظهر مخزي وغريب، وذلك عندما قُمْن بالتشبه ببعض الرجال في حلق شعر الرأس تماماً أو بعضه، فظهرت تلك الأشكال المقززة التي لا يرضها إلاً من فقد عقله، ولكن تحت اسم الموضة.

اخرج البخاري والأربعة عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: ((لعن رسول الله صلي الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال)).

وأخرج البخاري عنه أيضاً قال:
((لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال والمترجِّلات من النساء)) .

=================

وقفات مع دعاة تحرير المرأة

حديث يتكرر، لأن باعثه يتجدد، فخفافيش الظلام بدأت تعمل وتظهر في النهار، والفتوى تجاوزت الأئمة الأعلام، ليتطاول عليها المذيعون وصبيان الإعلام، والدين رقّ، والالتزام لان، وكل مسألة فيها قولان، وإن ناقشت مفتيا وعندك دليل مفحم وأثر قال: هذه وجهة نظري ، وحينما غابت الأسود نطقت القرود ، فالمنافقون في أوقات الأزمات ينبحون، وعلى صفحات الصحف يتقيئون، وشجرتهم لا تنبت إلا حنظلا من شبهات، وزقوما من الشهوات، بضاعتهم السخرية والاستهزاء بالدعاة والعلماء، والتهكم على الأبطال النجباء من رجال الهيئات، ومبشراتهم بذور السفور والانحلال،

وآخر إنتاجهم بشارة بأول فتاة سعودية تتدرب على الطيران، تنشر صورتها ويجعل منها رمزا لفتاة جزيرة الإسلام فأينك يا درة عمر من هؤلاء الأقزام 0

لم يعد خافيا على أحد ما تشهده مجتمعات المسلمين اليوم من حملة محمومة، مِن الذين يتبعون الشهوات على حجاب المرأة وحيائها، وقرارها في بيتها، حيث ضاق عطنهم، وأخرجوا مكنونهم، ونفذوا كثيرا من مخططاتهم في كثير من مجتمعات المسلمين، وذلك في غفلة وقلة إنكار من أهل العلم والصالحين، فأصبح الكثير من هذه المجتمعات يعج بالسفور والاختلاط والفساد المستطير ، الأمر الذي أفسد الأخلاق والأعراض 0

وبقيت بقية من بلدان المسلمين لازال فيها بحمد الله يقظة من أهل العلم والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، حالت بين دعاة السفور وبين كثير مما يرومون، وهذه سنة الله عز وجل في الصراع بين الحق والباطل، والمدافعة بين المصلحين والمفسدين 0

ومن كيد المفسدين في مثل المجتمعات المحافظة، وبسبب وجود أهل العلم والغيرة، أنهم لا يجاهرون بنواياهم الفاسدة، ولكنهم يتسترون وراء الدين، ويلبسون باطلهم بالحق واتباع ما تشابه منه، وهذا شأن أهل الزيغ والضلال، ((َ أَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ)) (آل عمران :7)

وهم أول من يعلم أن فساد أي مجتمع إنما يبدأ بإفساد المرأة واختلاطها بالرجال ، وقد ثبت عن النبي– صلى الله عليه وسلم– أنه قال: (ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء).

وهذه حقيقة لا يماري فيها أحد، وملل الكفر أول من يعرف هذه الحقيقة، حيث إنهم من باب الفتنة بالنساء دخلوا على كثير من مجتمعات المسلمين وأفسدوها، وحققوا أهدافهم البعيدة، وتبعهم في ذلك المنهزمون من بني جلدتنا، ممن رضعوا من لبان الغرب وأفكاره، أو ممن يسعون إلى الشهرة من أوسخ أبوابها، ولأنهم يعيشون في بيئة مسلمة، ولازال لأهل العلم والغيرة حضورهم، فإنهم لا يتجرءون على طرح مطالبهم التغريبية بشكل صريح، لعلمهم بطبيعة تدين الناس، ورفضهم لطروحاتهم، وخوفهم من الافتضاح بين الناس 0

ولذلك دأبوا على اتباع المتشابهات من الشرع، وإخراج مطالبهم في قوالب إسلامية، وما فتئوا يلبسون الحق بالباطل، وهم كما قال الله: ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)) (البقرة:11) .

ومن هذه الطروحات التي أجلبوا عليها في الآونة الأخيرة، مطالبتهم في مجتمعنا المحافظ وفي بلدنا الذي يأرز إليه الإيمان، وتهوي إليه أفئدة الصالحين، ومنه نبعت الفضيلة ودعاتها، مطالبتهم بكشف المرأة وجهها، والسماح لها بقيادة السيارة، معتمدين بزعمهم على أدلة شرعية، وأقوال لبعض العلماء في ذلك، وهم يعلمون ونحن نعلم أن تلك هي الشرارة الأولى، والخطوة الأولى نحو فساد المرأة وذهاب حيائها 0

ولئلا يلتبس الحق بالباطل، ولكيلا ينخدع بعض الناس ببريق دعوتهم ، وصيانة لأخلاق الأمة، ومساهمة في تحقيق الأمن الأخلاقي للبلاد، نقف مع هذه الدعوة الآثمة وقفات :

أولاها: أن هناك فرقا في تناول قضية الحجاب وكشف الوجه، بين أن يقع اختلاف بين العلماء المخلصين في طلب الحق، المجتهدين في تحري الأدلة، الدائرين في حالتي الصواب والخطأ بين مضاعفة الأجر مع الشكر، وبين الأجر الواحد مع العذر، وبين من يتتبع الزلات ويحكم بالتشهي ويرجح بالهوى، لأن وراء الأكمة ماوراءها، فيؤول حاله إلى الفسق ورقة الدين، ونقص العبودية، وضعف الاستسلام لشرع الله عز وجل 0

وهناك فرق بين الفتاوى العلمية المؤصلة، المبنية على التحري والاجتهاد، وأخرى محلولة العقال، مبنية على التجري لا التحري، والتي يصدرها قوم لا خلاق لهم من الصحفيين ومن أسموهم المفكرين، وأهل التزوير المسمون ظلما بأهل التنوير، يفرقون من تغطية الوجه لا لأن البحث العلمي المجرد أوصلهم إلى أنه مكروه أو جائز، أو بدعة كما يرجفون، ولكن لأنه يشمئز منه متبوعهم من كفار الشرق والغرب 0

ولك أن تقدر شدة مكر القوم الذين يريدون من جانبهم أن يتبعوا التمدن الغربي، ثم يبررون فعلهم هذا بقواعد النظام الإسلامي الاجتماعي 0

وثاني الوقفات: لابد أن ينظر إلى قضية الحجاب اليوم، وما يدور بينها وبين السفور من معارك، إلى أنها لم تعد قضية فرعية ومسألة خلافية فيها راجح ومرجوح بين أهل العلم، ولكنها باتت قضية عقدية مصيرية، ترتبط بالإذعان والاستسلام لشرع الله عز وجل في كل صغيرة وكبيرة، وعدم فصلها عن شئون الحياة كلها، لأن ذلك هو مقتضى الرضا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا 0

إن التشنيع على تغطية المرأة وجهها، والتهالك على خروجها من بيتها، واختلاطها بالرجال ليست اليوم مسألة فقهية فرعية، ولكنه مسألة خطيرة لها ما بعده، لأنها تقوم عند المنادين بذلك على فصل الدين عن حياة الناس، وعلى تغريب المجتمع، وكونها الخطوة الأولى أو كما يحلو لهم أن يعبروا عنها بالطلقة الأولى .

وإذا كان علماؤنا يوردون مسألة المسح على الخفين في كتب العقيدة، باعتباره من خصائص أهل السنة في مقابل شذوذ الرافضة، فلا لوم على من يجعل قضية الحجاب اليوم قضية أصولية مصيرية، وذلك لتشنيع مبتدعة زماننا ومنافقيه عليه، ولحملتهم المحمومة لنزعه، وجر المرأة بعد ذلك لما هو أفسد وأشنع 0

وثالثها: أن بداية السفور والتبرج الجاهلي الذي عليه طائفة من نساء المسلمين اليوم في بعض ديار المسلمين، إنما بدأ من كشف الوجه بإزالة الغطاء والحجاب عنه ، حتى أصبح وبات وأضحى وظل وأمسى من المعلوم بالضرورة أن من كشفت من الفتيات وجهها اليوم ، ستكشف غدا حتما عن رأسها وصدرها، وساقيها وحتى فخذيها، ولا يجادل في هذا إلا ساذج مخدوع0

لقد بدأت مؤامرة السفور بالدعوة إلى كشف الوجه، وامتدت إلى الجلسات المختلطة المحتشمة، ثم على السفر من غير محرم بدعوى الدراسة في الجامعة، ثم زينت الوجوه المكشوفة، وبدأ الثوب ينحسر شيئا فشيئا حتى وقعت الكارثة، فخرجت المرأة سافرة عن مفاتنها، كاشفة عن المواضع التي أمر الله بسترها، حتى أضحت شبه عارية، وراح أهل الكيد يتلذذون بالنظر إليها، ويستدرجونها للإيقاع بها، حتى كان لهم ما أرادوه منها، ففسدت الأخلاق، وكثرت محلات البغاء، وانتشر اللقطاء، وتفسخ المجتمع، ومن هنا، وبناء على هذا فإن اليد التي تحاول أن تحسر الحجاب عن

وجوه فتياتنا اليوم ينبغي أن تبتر ، وإن اللسان الذي يدعو فتياتنا إلى نزع الحجاب ينبغي أن يقطع 0

أو يسركم يا أهل الغيرة والكرامة أن تصبح بلادكم مقصداً لرواد البغاء ، وأهل الخنا، أو أن تصبح نساؤكم مزابل وإماء في سوق النخاسة، يصحبن كل زان ، ويصادقن كل سافل 0

لابد أن تعلم المرأة المسلمة أنهم اليوم لا يطلبون منها أكثر من كشف وجهها، وبحجة أن كشف الوجه مختلف فيه بين أهل العلم ، غير أنهم يعلمون علم اليقين، ونحن نعلم، وبحكم التجارب الطويلة العديدة أنها يوم أن تكشف وجهها ويذهب ماؤه وحياؤه، ستكشف لهم عما سوى ذلك، وصدق القائل :

رفع الحجاب وسيلة إن حُبّذت ضمت إليها للفجور وسائل

فالاختلاط ، فمرقص ، فتواعدٌ فالاجتماع ، فخلوة ، فتواصل

ورابع الوقفات: لو أن المنادين اليوم بكشف وجه المرأة أمام غير المحارم، كانوا في مجتمع يعج بالسفور والتعري الفاضح ، لأحسنا بهم الظن وقلنا: لعل قصدهم ارتكاب أهون المفسدتين، والتدرج بالنساء في ردهن إلى الحجاب الشرعي، والحياء والحشمة شيئا فشيئا .

أما وإن الذين ينادون اليوم بنزع الحجاب عن الوجه، إنما يوجهون نداءهم إلى مجتمعات محافظة لم تعرف نساؤه إلا الحشمة و الحياء، وتغطية الوجه والبعد عن الرجال الأجانب، فإن هذا مما يثير العجب ويحير العقل، ويضع استفهاماتٍ كثيرة على مطالبهم تلك، فماذا يريدون من ذلك ، وماذا عليهم لو بقيت نساؤهم وبناتهم، وأخواتهم ونساء المسلمين على هذه الحشمة والعفة والحياء، ماذا يضيرهم في ذلك ؟ ألا يشكرون الله عز وجل على هذه النعمة العظيمة، ألا يعتبرون بما يرونه في المجتمعات المختلطة المتبرجة، حيث ضاعت قوامة الرجل، وظهر الفساد، وهتكت الأعراض، وأصبحت تلك البلدان مقصد كل فاجر، وملاذ كل طالب للرذيلة، إن زماننا اليوم زمن العجائب، و إلا فعلام يشرق قومنا بالفضيلة والطهر والعفاف، ولكن صدق الله: ((وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً)) (النساء: 27).

و خامس الوقفات : أن الأدلة الموجبة لستر وجه المرأة وكفيها عن الرجال الأجانب، ووجوب الابتعاد عنهم أدلة كثيرة، وصحيحة وصريحة، ويمكن الرجوع إليها في فتاوى ورسائل أهل العلم الراسخين، ولكن يحسن أن نشير إلى أن علماء الأمة قديماً وحديثا من أجاز منهم كشف الوجه ومن لم يجزه، كلهم متفقون ومجمعون على وجوب ستر وجه المرأة وكفيها إذا وجدت الفتنة، وقامت أسبابها، بل حكى الإجماع على ذلك أكثر من خمسين عالما، فبربكم أي فتنة هي أشد من فتنة النساء في هذا الزمان، حيث بلغت وسائل الفتنة والإغراء بهن مبلغاً لم يشهده تاريخ البشرية من قبل، وحيث تفنن شياطين الأنس في عرض المرأة بصورها المثيرة في كل شئ، في وسائل الأعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، وأخرجوها من بيتها بوسائل الدعاية والمكر والخداع، فمن قال بعد ذلك ، إن كشف المرأة عن وجهها أو شئ من جسدها لا يثير الفتنة، فهو والله مغالط مكابر، لا يوافقه في ذلك من له مسكة من دين أو عقل، أو مروءة، وإذا تبين ذلك فلنعلم أيضاً أن هذا القدر من الخلاف بين العلماء بقي خلافاً نظرياً إلى حد بعيد، حيث ظل احتجاب النساء هو الأصل في الهيئة الاجتماعية خلال مراحل التاريخ الإسلامي، كما قال شيخ الإسلام: (كانت سنة المؤمنين في زمن النبي– صلى الله عليه وسلم– أن الحرة تحتجب).

و قال الإمام الغزالي: ((لم يزل الرجال على مر الزمان مكشوفي الوجوه والنساء يخرجن متنقبات)) 0

إن كثرة الكلام وهن هذه القضية ، وعلى أصعدة متعددة ، بل إن وسائل الإعلام تحاول ترسيخ هذا المفهوم من خلال الدعايات الإعلانية، حينما تصور الرجل حالقاً لحيته والمرأة كاشفة وجهها، ومن خلال نشر صور النساء في الصحف، حتى بلغت في صحيفة واحدة في عدد واحد أكثر من ثلاثين صورة، ومن خلال الكتابات التي يتقيؤها غلمان الأهواء وصبيان الصحافة .

إن ذلك لأمر يثير الريبة ، فلم يحدث في تأريخ الأمة أن اجتمع العلماء المجيزين لكشف الوجه ليخرجوا على الأمة مجتمعين، يدعون النساء إلى إزالة غطاء الوجه بدعوى أن المسألة خلافية 0

كـانوا يـذكرون ذلـك فـي كتـبهم مـن بـاب التفقيـه فحسـب، أمـا أن يرتقـوا المنـابر، ويتصدروا المجالس والمنتديات ليقرروا ما ترجح لديهم، بإصرار وإلحاح لا ينقطع، ليحملوا نساء الأمة على كشف الوجه، فذلك لم يفعلوه، ولم يحصل في تأريخ الأمة مع أنهم هم الأحق بذلك إن كان في ذلك خير ، فهم مجتهدون ينطلقون من الشرع ومقصدهم نصرته 0

أما ما يفعله هؤلاء المستغربون من الدعوة بإلحاح، وعلى كافة المستويات، مع التلفيق والتلاعب بأقوال العلماء، فليس له إلا تفسير واحد، هو أنهم كرهوا ما أنزل الله فسحقا لهم ، وأولى لهم طاعة وقول معروف ، ولو صدقوا الله لكان خيراً لهم 0

يا صالحون ويا مصلحون، يا أهل الشرف والحياء و المروءة ، كونوا يقظين لما يطرحه الظالمون لأنفسهم وأمتهم من كتابات و حوارات، مؤداها إلى سفور المرأة واختلاطها بالرجال، فما دامت المدافعة بين المصلحين والمفسدين فإن الله عز وجل يقذف بالحق على الباطل فإذا هو زاهق.

ينبغي أن لا ننسى في خضم الردود على ما يكتبه المفسدون من الشبهات والشهوات، ذلك السيل الهادر الذي يتدفق من وسائل الأعلام المسموعة و المرئية في بلاد المسلمين، وذلك بما تبثه من دعوات للمرأة إلى السفور، ومزاحمة الرجال في الأعمال و الطرقات، عبر القصة و المسلسل، والبرامج الحوارية والمقابلات، والبرامج الغنائية، ولقد ضربت هذه الوسائل بأطنابها في بلاد المسلمين، فكان لزاماً على كل غيور محاربتها وإبعادها عن بيته قدر الاستطاعة .

ربوا نساءكم وبناتكم على حب الحجاب والتعلق به منذ الصغر ومن وسائل ذلك تحصينهن الحصانة الفكرية والأخلاقية، بأن تعلم المرأة المسلمة أوضاع المرأة الغربية، والإسفاف النفسي الذي وصلت إليه، وتعتيم الغزو لأوضاعها، وأحياناً قلب مفاسدها وانحرافاتها إلى فضائل وتكريم0

إننا لا نريد المرأة المتحجبة تقليداً وعادة ، تشعر مع الحجاب بالضيق والحرج ، وتتخلى عنه لأدنى شبهة أو شهوة.

نريد المرأة المسلمة التي ترى في الحجاب عزاً وشرفاً، وترى في الحياء سلوكاً وخلقاً، نريد المرأة التي تتحجب استسلاماً لله ، ورضا بشريعته، وخضوعاً لحكمه وتتمثل قول الحق: ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً)) (الأحزاب:36) 0

لا نريد المرأة المتحجبة المتخلفة، فإن الدعوة إلى فريضة الحجاب والعودة إليه، لا بد أن تواكبها دعوة القائمين بأمر المرأة إلى أن يؤدوا لها فريضة تحرير عقلها من حجب التضليل والجهل، والتخلف، وتِلكم مسئوليتكم أيها الأولياء، فاتقوا الله وقوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة.

إننا نتطلع أيها المسلمون إلى أن تكون غيرتكم جبلاً تتحطم عليه كل نصال دعاة الضلال، وأن لا تكون غيرتكم جداراً من ورق، ينهار عند أدنى طمع دنيوي أو شهوة مادية .

نحن لا نريد المجتمع الذي يقتل الحسين ويسأل عن دم البعوضة، لا نريد الجيل الذي يأنف أفراده من ذكر أسماء نسائهم في المجالس، ويتقبلون أن تصبح وجوههن معرضا مكشوفا لكل راء ومتفرج 0

وإلى أختنا بنت هذا البلد، وإلى كل مسلمة تخشى الله وتتقيه ، طوبى لمن تفاخر بحجابها، وتتمسك بعفافها، ومعها العلم والوعي والبصيرة والحرية الحقة، من عبودية العبيد قائلة لشياطين الإنس: ((إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)) (الأنعام:15).

==============

علمتني الحياة : الحلقة التاسعة

تقدير الكبير

201- على الصغير أن يقدّر الكبير، ويحترمه، ويجلّه، ويحرص على مشاورته، وتقديمه عند الدخول والخروج والجلوس وغير ذلك، وإذا كان والداً أو من أهل العلم؛ كان ذلك ألزم وأوجب، وعلى هذا ينبغي أن يتربّى النشء.

بين العزّة والذلّة.

202- ارحموا عزيز قوم ذلّ، واحذروا ذليل قوم عزّ.

بين الظاهر والباطن.

203- الذين يظهرون التديّن الكامل؛ إمّا مؤمنون صادقون. وهذا هو الأصل ، وإمّا فجّار منافقون، يتّخذون من التديّن مطيّة لأغراض دنيويّة، فكن منهم على حذر.

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعلمِ

جبن وطيش = فوضى.

204- إذا اجتمع جبن الشيوخ، وطيش الشباب؛ ولّد ذلك حالة من الفوضى، قد تنتهي بكارثة.

فولّوا وجوهكم شطره.

205- عند السفر أو الخروج إلى نزهة خارج المدينة، احرص على اصطحاب بوصلة لمعرفة اتّجاه القبلة، فإنّ ذلك ممّا يكثر فيه الاشتباه والتنازع والاختلاف.

الأسوة الحسنة.

206- منتسب إلى العلم ينظر الناس إليه نظرة اقتداء وتأسي، حتّى في أدقّ التفاصيل وأتفهها، وتزداد هذه النظرة أو تقلّ بزيادة العلم وقلّته، فهلا تنبه أهل العلم لذلك.

الأرقام العارضة.

207- اجعل لك عند هاتفك الخاصّ دفتراً لتسجيل الأرقام العارضة، التي قد تحتاج إليها فيما بعد، مع كتابة معلومات واضحة عن صاحب الرقم، وسبب التسجيل، فإنّ ذلك سيوفّر لك وقتاً ثميناً.

التأخير قد يكلّفك الكثير.

208- بادر بالسؤال عمّا يشكل عليك من أمور دينك قبل التلبّس بالفعل، فإن تمّ الفعل، وشككت في صحّته أو كماله؛ فبادر بالسؤال عنه في وقته، فإنّ التأخير قد يكلّفك الكثير.

كلّ إناء...!

209- العصا من العُصيّة، وهل تلد الحيّةُ إلا الحيّة، هذا هو حال أغلب صحفنا ومجلاتنا وقنواتنا الفضائيّة، فتأمّل.

ويأبى الذي في القلب إلا تبيّناً وكلّ إناء بالذي فيه ينضحُ

أفإن مات أو قُتل.

210- على الدعاة إلى الله تعالى أن يحرصوا - إضافة إلى العمل الفردي - على العمل الجماعيّ (المؤسّساتي)، الذي لا يعتمد على فرد، ولا يتأثّر أو يتعثّر بغيابه، أو ذهابه، أو موته.

ربّ وربّ.

211- ربّ فعل أبلغ من قول، وربّ سكوت أبلغ من ألف إجابة.

ربّنا لا تجعل في قلوبنا غلاً.

212- إيّاك أن تضمر لأحد من المسلمين - ممّن ظاهره الخير والصلاح - غلاً أو حقداً، مهما ظهر لك من حاله أو مقاله، فقد يكون خيراً منك عند الله وأنت لا تشعر.

رسالة عزاء.

213- يا صاحب الحقّ الداعي إليه؛ لا تستوحش من طول الطريق ووعورته، وقلّة الناصر والمعين، وخذلان القريب والصديق، حسبك أنّ الله معك.

صيد الخاطر.

214- إذا سنحت في ذهنك فكرة، أو عبارة أعجبتك؛ فبادر بتسجيلها فوراً، ولا ترجئ ذلك اعتماداً على ذاكرتك، فقد لا تتمكّن من استرجاعها فيما بعد.

من مداخل الشيطان.

215- المنامات والأحلام من أوسع مداخل الشيطان لإضلال بني آدم، لاسيّما الجهلة والمتعالمين، يرونها أو تُرى لهم.

بين العقل والذكاء.

216- ليس بين العقل والذكاء ارتباط ، فقد يكون المرء عاقلاً ولا يكون ذكياً ، وقد يكون ذكياً ولا يكون عاقلاً ، فإذا اجتمعا الأمران مع الإيمان بالله فهو الكمال، وإلا فإنهما لا ينفعان صاحبهما في الآخرة.

عين الرضا وعين السخط.

217- عجباً لأهل العلمنة والتغريب؛ إن تكلّم العلماء الربّانيون في السياسة، قالوا: هؤلاء مسيِّسون، مؤدلجون (!) وأصوليون، أصحاب إسلام سياسي، إلى آخر

شتائمهم المعروفة، وإن سكت العلماء عن الكلام في السياسة، قالوا: هؤلاء علماء الحيض والنفاس !! وصدق الشاعر:

فلستَ براءٍ عيب ذي الودّ كلّه ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا

فعين الرضا عن كلّ عيب كليلة ولكنّ عين السخط تبدي لك المساويا

القضايا المعلّقة

218- لا تدخل في قضيّة معلّقة لم تُغلق ملفّاتها بعدُ، تجارية كانت أو غير تجارية، وانتظر حتّى تُغلق جميع ملفّاتها حفاظاً على مالك ووقتك وكرامتك.

ودّوا لو تدهن.

219- كثرة ظهور العالم والداعية في وسائل الإعلام المشبوهة تسقطه من أعين الناس، وتضطرّه إلى المداهنة والمهادنة، والتنازل عن بعض مبادئه.

يوم الجنائز.

220- إذا مات أهل العرفان؛ مات بموتهم خلق كثير من الإنس والجانّ.

وإذا مات أهل الإحسان؛ فاحت روائح إحسانهم الزكية في كلّ مكان.

وإذا مات أهل القرآن؛ بكت عليهم السماء والأرض، ورثتهم الطيور على الأغصان.

وإذا مات أهل الألحان؛ تبسّمت الأرض سروراً وفرحاً، وغرّدت الطيور أحلى الألحان.

اختلاف الأذواق !

221- دخلتُ يوماً محلاً لبيع السجّاد، فوقع نظري على سجّاد ذي لون غريب، فقلت في نفسي: ومن الذي يختار مثل هذا اللون ؟!! فلم تمضِ لحظات إلا ورجل يدخل المحلّ، ويطلب هذا اللون !! فقلت في نفسي: صدق من قال: لولا اختلاف الأذواق؛ لبارت السلع.

طوّر شخصيتك

222- لكلّ إنسان شخصيته المستقلّة، التي جبله الله عليها، ومهما حاول أن يتقمّص شخصية غيره؛ فضحته شخصيّته ولا بدّ، وهذا لا يعني أن لا يطوّر الإنسان نفسه، فإنّ ذلك مطلوب، لكن دون إلغاء شخصيّته التي جبله الله عليها.

حبّ الوطن.

223- حبّ الوطن لا يتوصّل إليه بدروس تتلى، ولا بمحاضرات تلقى، ولا بطقوس تؤدّى وتستجدى، حبّ الوطن يتوصّل إليه بإقامة العدل بين الرعيّة، والقسمة بينهم بالسويّة، وتحكيم شرع الله في كلّ صغيرة وكبيرة.

السبب الرئيس..

224- تأمّلت أسباب تخلّف الأمّة فوجدتها كثيرة، لكنّها تعود إلى سبب واحد رئيس؛ ألا وهو ضعف توحيد الله في النفوس، والإخلال بعقيدة الولاء والبراء فهماً وتطبيقاً، قال تعالى في آخر آية الاستخلاف والتمكين مبيّناً شرط ذلك: ((يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)) (النور: 55).

الاعتماد على الذاكرة

225- لا تعتمد على ذاكرتك في حفظ المعلومات والمواعيد، فإنّ المعلومة قد تثبت في الذاكرة يوماً أو بعض يوم، ثمّ تزول وتتلاشى

==============

حقيقة القوامة ودعاة التغريب

الحديث في هذا الزمن عن قوامة الرجل على المرأة أصبح عند بعض كتّابنا و(مثقّفينا) المستغربين رجعيّة وتخلّفاً ودعوة إلى الوراء ، فالمرأة عندهم أصبحت ندّاً للرجل في كلّ شيء ،ومخلوقاً مستقلاً يجب ألا يخضع لوصاية أحد أو ولايته ، بل إنها – أحياناً – يجب أن تكون لها القوامة – في نظرهم – لأنها هي التي تكدّ وتكدح وتعمل ، والزوج قابع في البيت لا همّ له إلا الأكل والشرب والنوم والسهر و.. ونحن لا ننكر وجود مثل هذه الحالات ، لكنها – مهما كثرت – حالات شاذّة مخالفة للفطرة في زمن انتكست فيه كثير من الفِطَر، وانقلبت فيه كثير من الموازين

وقد كثر الحديث عن الآونة الأخيرة في المجلات النسائية وغيرها عمّا يسمونه بـ (سي السيّد) ويعنون به الزوج المتسلّط ، والتسلّط عندهم له مفهوم آخر غير المألوف ، وهو أن يغار الرجل على امرأته ، ويلزمها بطاعة الله ، وامتثال أمره واجتناب نهيه كما صرّح بذلك أحدهم في مقال له فقال ما معناه : إن لك أن تُحجِّب امرأتك بما شئت من الحُجُب بشرط أن تكون راضية بذلك ، فإن أبت إلا التبرج وألزمتها بلبس

الحجاب امتثالاً لأمر الله فأنت متسلّط ... وحشي .. متخلف ، أو – كما يقول – (سي السيّد) .

كما نشرت إحدى المجلات النسائية (!) تحقيقاً بعنوان(أيّهما تختارين : الزوج الغيور أم الزوج الهادئ) ثم خلصت المجلة إلى أن الزوج الهادئ هو الأفضل .. والزوج الهادئ – عندهم – هو الذي يتخلى عن قوامته، ولا يغار على امرأته ، أو بالتعبير النبوي الكريم : الديوث الذي يُقرّ في أهله الخبث، لكنهم يسمّون الأشياء بغير أسمائها تلبيساً على الناس ، وذرّاً للرماد في العيون .

كما نشرت إحدى المجلات أيضاً مقالاً بعنوان: (غيرة الرجل تعيق تقدم المرأة) (!) وهذا غيض من فيض ، وهم بذلك يشجعون المرأة على التمرد على زوجها ، ومن ثم تحطيم مبدأ القوامة الذي تستقيم به حال الأسرة ، ويصلح به حال المجتمع .

وبعد .. فإن الذي تقتضيه النصوص الشرعية ، والعقول السليمة ، والفطر السوية ، هو أن يكون الرجل قوّاماً على المرأة : بنتاً كانت أو أختاً أو زوجةً ، ما دامت تحت ولايته ،

ولهذا سمّى اللهُ الزوجَ سيّداً كما في سورة يوسف : ((وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ)) أي زوجها .

وأوضح من ذلك وأصرح قوله تعالى في سورة النساء : ((الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً)) (سورة النساء: 34) .

قال ابن كثير – رحمه الله – عند تفسيره لهذه الآية : (أي الرجل قيّم على المرأة أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجّت ..)

وقد بيّن الله – عزّ وجلّ – في هذه الآية الأسباب الموجبة لقيام الرجال على النساء فقال : ((بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)) .

وهذا هو السبب الأول ، فالرجال أفضل من النساء ، والرجل خير من المرأة ، وهذا أمر نسبي ؛ فإن من النساء من تكون أفضل من بعض الرجال وخير ، لكنّ جنس

الرجال أفضل من جنس النساء على وجه العموم ، ولهذا كانت النبوّة مختصة بالرجال ، وكذلك الولاية العظمة لقوله صلى الله عليه وسلم : ((لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة)) رواه البخاري.

ويدخل في ذلك منصب القضاء على الصحيح . كما أن الله اختصّ الرجل بالعديد من المزايا والخصائص التي تؤهله للقيام بهذه المهمة الجليلة ، أوجزها لنا الإمام ابن العربي المالكي – رحمه الله – فقال : " فضّل الله تعالى الذكر على الأنثى من ستة أوجه :

الأول : أنه جُعل أصلها وجُعلت فرعه ، لأنها خُلقت منه كما ذكر الله تعالى في كتابه .

الثاني : أنها خُلقت من ضلعه العوجاء كما في الحديث : ((إن المرأة خُلقت من ضلع أعوج))

الثالث والرابع : نقص عقلها ودينها ، وفي الحديث : ((ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبّ الرجل الحازم منكن)) .

الخامس : نقص حفظها في الميراث ، قال تعالى : ((لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ)) .

السادس : نقص قوّتها ؛ فلا تقاتل ولا يُسهم لها ..

ثم أورد – رحمه الله – شبهة وردّ عليها ، قال : (فإن قال قائل : كيف نسب النقص إليهن وليس من فعلهن ؟ قلنا : هذا من عدل الله ؛ يحطّ ما يشاء ويرفع ما يشاء ، ويقضي ما أراد ، ويمدح ويلوم ،ولا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون ،وهذا لأنه خلق المخلوقات منازل ، ورتّبها مراتب ، فبيّن ذلك لنا ، فعَلِمْنا وآمنّا به وسلّمناه) [أحكام القرآن 253/1 باختصار وتصرف بسيط .

هذا إضافة إلى ما يعتري المرأة من العوارض الطبيعية من حيض ونفاس وحمل وولادة ... فيشغلها عن القيام بهذه المهمة الشاقة ..

أما السبب الثاني فهو قوله تعالى : ((وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ)) .

فنفقة المرأة واجبة على الرجل ، وهو المؤهل للكدّ والكدح والعمل ، فناسب أن يكون قيّماً عليها مع فضله عليها في نفسه .

وقد تحدث الكتّاب والمفكرون الغربيون ، كما تحدث العلم الحديث عن شيء من ذلك ، أذكر بعضه هنا استئناساً به ، وليكون حجة على من لا يرون الحق إلا فيما قاله أولئك القوم ، وإلا فإن كان في كتاب ربنا وما صحّ من سنة نبينا صلى الله عليه وسلم ما يكفي ويشفي :

تقول : (جليندا جاكسون) حاملة الأوسكار التي منحتها ملكة بريطانيا وساماً من أعلى أوسمة الدولة ، وحصلت على جائزة الأكاديمية البريطانية ، وجائزة مهرجان مونتريال العالمي – تقول : (إن الفطرة[1]جعلت الرجل هو الأقوى والمسيطر بناء على ما يتمتع من أسباب القوة تجعله في المقام الأول بما خصه الله بن من قوة في تحريك الحياة واستخراج خيراتها ، إنه مقام الذاتية عند الرجل التي تؤهله تلقائيا لمواجهة أعباء الحياة وإنمائها ، واطّرد ذلك في المجالات الحياتية) [2]

أما الزعيمة النسائية الأمريكية (فليش شلافي) فقد دعت المرأة إلى وجوب الاهتمام بالزوج والأولاد قبل الاهتمام بالوظيفة ، وبوجوب أن يكون الزوج هو رب الأسرة وقائد دفتها .

وفي كتاب أصدر أخيراً عن حياة الكاتبة الإنجليزية المشهورة (أجاثا كريستي) ورد فيه قولها : (إن المرأة الحديث مغفلة ؛ لأن مركزها في المجتمع يزداد سوءاً يوماً بعد يومٍ ، فنحن النساء نتصرف تصرّفاً أحمق ؛ لأننا بذلنا الجهد الكبير خلال السنين الماضية للحصول على حق العمل ، والمساواة في العمل مع الرجل .. والرجال ليسوا أغبياء ، فقد شجعونا على ذلك معلنين أنه لا مانع مطلقاً من أن تعمل الزوجة ، وتضاعف دخل الزوج ، ومن المحزن أن نجد بعد أن أثبتنا نحن النساء الجنس اللطيف الضعيف ، نعود اليوم لنتساوى في الجهد والعرق الذي كان من نصيب الرجل وحده) [3] .

وفي الدانمارك تقول إحدى الباحثات الدانماركيات ناقدة موقف الغرب من قضية المرأة : (إن أكثرية الباحثين في الغرب عن شؤون المرأة هم أناس إما فاشلون ، أو راديكاليون موسميون ، أو يهود ماسونيون ، استغلوا نزوات المرأة المعاصرة في الجري وراء الموضة ، أو إثبات الذات خارج بيتها ، واستغلوا الفقر في إنسانيتها ، بل هذا الخلط في فهم المعاني التي أصبحت تعني الرذيلة وانعدام الفضيلة) [4] .

(قلت : إذا كان هذا هو حال أكثر الباحثين الغربيين في شؤون المرأة ؛ فإن مصيبتنا اليوم في الباحثين بل المقلدين المستغربين من أبناء هذه الأمة الذين يحملون أسماءً عربية ، وعقولاً غربية ، ويرددون بغباء ما يقوله أولئك) .

وما أحسن ما قالته طبيبة نفسية أمريكية ، تقول : (أيّما امرأة قالت أنا واثقة بنفسي وخرجت دون رقيب أو حسيب ..فهي تقتل نفسها وعفتها) [5] .

هذا ما يقوله العقلاء منهم ، فماذا يقول العلم الحديث ؟ .

لقد أثبت العلم الحديث أخيراً وَهْم محاولات المساواة بين الرجل والمرأة ، وأن المرأة لا يمكن أن تقوم بالدور الذي يقوم به الرجل .

فقد أثبت الطبيب العالم (د . روجرز سبراي) الحائز على جائزة نوبل في الطب وجود اختلافات بين مخ الرجل ومخ المرأة الأمر الذي لا يمكن معه إحداث مساواة في المشاعر وردود الأفعال ، والقيام بنفس الأدوار[6] .

وقد أجرى طبيب الأعصاب في جامعة (بيل) الأمريكية بحثاً طريفاً رصد خلاله حركة المخ في الرجال والنساء عند كتابة موضوع معين أو حل مشكلة .. فوجد أن الرجال بصفة عامة يستعملون الجانب الأيسر من المخ ، أما المرأة فتستعمل الجانبين معاً وفي هذا دليل – كما يقول أستاذ جامعة بيل – أن نصف مخ الرجل يقوم بعمل لا يقدر عليه إلا مخ المرأة بشطريه أي كامل عقلها ، وهذا يؤكد أن قدرات الرجل أكبر من قدرات المرأة في التفكير وحل المشاكل وغير ذلك ، فإذا عمل بعقله الكامل فإنه يحقق ضعف ما تنتجه المرأة [7] .

وهذا ما اكتشفه البروفيسور (ريتشارد لين) من القسم السيكولوجي في جامعة ألستر البريطانية حيث يقول : (إن عدداً من الدراسات أظهرت أن وزن دماغ الرجل يفوق مثيله النسائي بحوالي أربع أوقيات) وأضاف (لين) : (إنه يجب الإقرار بالواقع وهو أن دماغ الذكور أكبر حجماً من دماغ الإناث ، وأن هذا الحجم مرتبط بالذكاء) .

وقال : (أن أفضلية الذكاء عند الذكور تشرح أسباب حصول الرجال في بريطانيا على ضعفى ما تحصل عليه النساء من علامات الدرجة الأولى) [8] .

وسواء صحّ ما قالوه أم لم يصحّ فإن الله أخبرنا في كتابه بالاختلاف بين الجنسين على وجه العموم فقال سبحانه : ((وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى)) فكلّ ميسر لما خُلق له ، فمن رام غير ما خُلق له فقد كلّف نفسه ما لا تطيق ، ولبس ثوباً غير ثوبه ، فلا يلومن إلا نفسه .

وختاماً أقول :

مهلاً يا دعاة التغريب ، فأساليبكم الملتوية لا تخفى علينا ، وأفكاركم السقيمة لا تُثمر في أرضنا ، كفى نعيقاً ، ولنبدأ من حيث انتهى الآخرون ، لا من حيث بدؤوا

والله ولي التوفيق ,,,

[1] الله الذي جعل الرجل هو الأقوى وليس الطبيعة .

[2] مجلة البعث الإسلامي ، العدد التاسع ص 43 .

[3] مجلة الاعتصام ، العدد الثالث ، السنة 41 ص 6 . .

[4] جريدة الجزيرة ، العدد 8102 ص 10 . .

[5] جريدة الرياض ، العدد 8591 .

[6] انظر جريدة الجزيرة ، العدد 7453 .

[7] انظر : جريدة الندوة ، العدد 11186 .

[8] جريدة عكاظ ، العدد 10310ص 19 .

===========

الغزو الفكري وآثاره على الأفراد والمجتمعات 1 / 2

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ؛ أما بعد :

فمنذ أشرقت شمس الإسلام وأعداؤه يكيدون له المؤامرة تلو المؤامرة ، فاستخدموا كثيراً من الوسائل ونوعوا العديد من الخطط ، فتارة بالقوة ، وتارة بالحيلة ، نجحوا أحياناً وفشلوا أحياناً أخرى ، وهكذا الصراع بين الحق والباطل.

وعصرنا الحاضر ما هو إلا حلقة في سلسلة التداول بين الإسلام وأعدائه ؛ إلا أن الأعداء هذه المرة ابتكروا أسلوباً جديداً ؛ حيث ابتعدوا عن الاعتماد على القوة وحدها ولجأوا إلى محاربة الإسلام بالفكر فكان ما يسمى بالغزو الفكري .

ولا شك أن لهذا الغزو الجديد خطورته ووسائله ، وله أهدافه و آثاره ، مما جعل الغيورين من أبناء المسلمين يتنادون بوجوب مجابهته ومحاربته ، وكشف زيفه وبيان مغازيه .

ومن المحاولات الرامية إلى مواجهة هذا الغزو عقد الندوات والمؤتمرات والمحاضرات الإرشادية ، وكتابة الكتب والمقالات ومنها هذه المقالات والتي هي بعنوان (الغزو الفكري وآثاره) .

أولا: تعريف الغزو الفكري :

الوسائل غير العسكرية التي اتخذها الغزو الصليبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام مما يتعلق بالعقيدة , وما يتصل بها من أفكار وتقاليد وأنماط سلوك [1].

فالغزو الفكري إذاً مجموعة من المعتقدات والأفكار التي تدخل على الفكر الإسلامي هدفها السيطرة على هذا الفكر أو على الأقل حرفه عن وجهته الصحيحة.

نشأة الغزو الفكري:

بعد فشل الحروب الصليبية وعدم استطاعة الصليبين السيطرة على المسلمين بالوسائل العسكرية تنادى مفكروهم وقوادهم إلى ضرورة استحداث أسلوب آخر يكفل لهم تحقيق أهدافهم, فكان هذا الأسلوب المطلوب هو الغزو الفكري.

يقول لويس التاسع ملك فرنسا بعد أن وقع في الأسر وبقي سجيناً في المنصورة يقول(إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده, فقد هزمتم أمامهم في معركة السلاح ولكن حاربوهم في عقيدتهم فهي مكمن القوة فيهم) [2].

وبالفعل بدأت الحملات الصليبية ولكن هذا المرة عن طريق الفكر وبالفكر, واستخدمت الوسائل المتعددة والأساليب الكثيرة لتحقيق ما يريدون, سواء كان ذلك عن طريق الوسائل التعليمية أو عن طريق الوسائل الاقتصادية أو عن طريق الوسائل الاجتماعية أو عن طريق الوسائل السياسية, مما سيأتي الكلام عنه مفصلا عند الكلام على وسائل الغزو الفكري.

ثانياً: أهداف الغزو الفكري:

- السيطرة السياسية على بلاد المسلمين:

قد ذكرت أن نشأة الغزو الفكري كان بعد فشل السيطرة العسكرية, فحتى يتم لهم ما يريدون من الاستيلاء على البلاد الإسلامية بدأوا بالغزو الفكري.

والسيطرة السياسية تنقسم إلى قسمين أو يمكن أن تأتى على وجهتين:

الوجهة الأولى:

الاحتلال المباشر لبلاد المسلمين كما حصل في وقت ما يسمى بالاستعمار, حيث تدخل الجيوش الغازية إلى البلد المسلم, وتبسط نفوذها عليه, كالاستعمار البرتغالي لمنطقة الخليج ثم انحساره عنها ليحل محله الاستعمار الهولندي ثم الاستعمار البريطاني, وكان هذا الاستعمار يهدف في ما يهدف إليه إعطاء الغطاء السياسي اللازم لحركات الغزو الفكري.

الوجهة الثانية:

الاحتلال غير المباشر لبلاد المسلمين بأن يجعلوا من حكامها تابعين لهم لا يخرجون عن أرادتهم وطوعهم ولا ينفذون إلا ما يريدون, وقد حدث هذا بعد خروج المحتل ولكنه أبقى نفوذه ووصايته, فبعد اكتشاف النفط في دول الخليج بادرت بريطانيا إلى اخذ التعهدات من حكام تلك الدول ألا يمنحوا امتياز التنقيب عن النفط لشركات أو أشخاص دون مشورتها([3]).

- الاستغلال الاقتصادي:

لا تقوم البلدان إلا على اقتصاد قوي, والاقتصاد يحتاج إلى موارد اقتصادية, وبلدان العالم الإسلامي في الغالب تحتوي على موارد اقتصادية هائلة سال لها لعاب الدول الغربية مما جعلها تحاول جاهدة استغلال هذه الموارد, فكان في بداية الأمر أن فرضت الدول المستعمرة شروطا واتفاقيات تبيح لها التصرف في ثروات الشعوب الإسلامية سواء كانت هذه الاتفاقيات مفروضة بالقوة أو كانت بقوة غير مباشرة كمعاهدات الحماية بأن تتعهد الدولة القوية بحماية الدولة المسلمة الضعيفة مقابل ابتزازها اقتصادياً, ولأن القوة ربما تولد القوة والهجوم يولد الدفاع, لذا رأت الدول القوية أن منطق القوة قد لا يستمر لها وأن الدولة المسلمة ربما أفاقت وقاومت, لذا لجأت هذه القوى إلى الغزو الفكري الذي يحقق لهم ما يريدون دون إثارة حفيظة المسلمين وحنقهم.

- إبعاد المسلمين عن مصدر قوتهم وعزتهم:

أدرك الغزاه أن المسلمين وإن كانوا في ضعف وهوان وتشتت وانقسام إلا أنهم يملكون سلاحاً قوياً يستطيعون به الانتصار على عدوهم متى ما استخدموه لذا حرصوا اشد الحرص على إبعادهم عن هذا السلاح وعن مصدر قوتهم, فبدءوا بمحاربة العقيدة الإسلامية ومحاولة إبعادها عن حياة المسلمين, لا عن طريق ذمها في البداية وبشكل مباشر فهذا يثير المسلمين عليهم ويرجع المسلمين إلى عقيدهم, ولكن عن طريق دس السم في العسل كما يقال, وبطرق ملتوية غير مباشرة, فحاولوا التشكيك في العقيدة أو في جوانب منها فإن لم ينجحوا في ذلك فعلى الأقل عملوا على زعزعة ثقة بعض المسلمين بعقيدتهم.

وقد لجأوا في ذلك إلى أساليب كثيرة أحيانا تحت مسمى التدرج وعدم التعصب وأحيانا تحت مسمى البحث العلمي وأحيانا تحت مسمى التقارب العقدي للأديان وهكذا,,,,

وسيأتي الكلام عن الأساليب التي اتخذوها.

ثالثاً: وسائل الغزو الفكري:

- التدخل في مناهج التعليم:

من أخطر وسائل الغزو الفكري, لأنه على مناهج التعليم يتربى الجيل, ومناهج التعليم على قسمين:

القسم الأول:

قسم تتولى الدولة وضعه أو بمعنى آخر يضعه أناس ولكن تحت إشراف الدولة, ويتم الغزو الفكري في هذا القسم بما يبذله العلمانيون من جهد في تغيير المناهج ولهم في ذلك أساليب ووسائل يخادعون بها دولتهم ومجتمعهم, حتى يتم لهم ما يريدون, يقدمون التقارير ونتائج الندوات والمؤتمرات المبرمجة سلفاً لشيء معين وكلها تنصب في ضرورة التغيير, وأن المناهج الحالية لا تلبي حاجة المجتمع أو حاجة السوق كما يعبر عنه أحيانا, وأحيانا تتهم أنها سبب في توليد الإرهاب, وأنها تنمي الكراهة والبغض عند الطلاب ضد الكفار, الذين اصبحوا أصدقاء وأعوان, وهكذا, ولا بأس إذا

أرادوا شيئاً معيناً أن يحركوا بعض الصحفيين ليكتبوا في الصحف عن ضرورة التغيير وعن حاجة المجتمع, وعن عدم قدرة المناهج الموجودة على مواكبة العصر.

وأحياناً يمكن أن يكون الغزو في هذا القسم تحت ضغوط مباشرة من الغزاة الحقيقيين, ويستخدمون لهذه الضغوط وسائل متعددة ليس المجال مجال ذكرها.

- القسم الثاني:

قسم لا تتولى الدولة وضعه ، وإشرافها عليه غير مباشر, وهذا يتمثل في الجامعات, وبعض المدارس الخاصة والمدارس الأجنبية.

ويتم الغزو الفكري فيها باختيار مناهج تضعف فيها المواد الدينية ويركز على غيرها, ثم هذه المواد تدرس بعيداً عن الدين, وربما كان فيها من الانحراف الفكري ما يشوش على أفكار الطالب ، وربما درست نظريات وأفكار لعلماء غربيين مليئة بالانحراف, دع عنك النظريات العلمية في مواد العلوم الطبيعية كما تسمى, وإنما نقصد العلوم الاجتماعية, كعلم الاجتماع ، و علم النفس, وغيرهما.

وربما درست للطلاب أشياء مخالفة للدين فيدرس الربا على أنه فوائد ، ويدرسون كيفية حساب الفائدة, حتى إنه يلقى في روع الطالب أن الاقتصاد لا يقوم إلا على الربا.

وربما يوكل للأستاذ الجامعي وضع المنهج وقد لا يكون على مستوى المسؤولية.

- المدارس الخاصة والأجنبية ، ومنها الجامعات الغربية المقامة في بلاد المسلمين : وذلك لأنها لا تخضع في مناهجها ومدرسيها للدولة بشكل مباشر, وبالتالي تكون مجالاَ◌َ◌َ◌َ◌ً خصباً لبث ما يريدون, كما أن هذه المدارس قد تتعدد فيها الديانات ولاسيما المدارس الأجنبية مما يخفي عند الطالب المسلم عقيدة الولاء والبراء أو يضعفها ؛ لأنه يرى أستاذه نصرانياً وزميله كذلك وهو يعاشرهم ويعيش معهم مما يضعف البراء من الكفار.

كما أن هذه المدارس ربما تمارس أنشطة غير منهجية فيها مخالفات للدين.

من أخطر آثار هذه المدارس أنها تجذب الأنظار إليها بما تملكه من وسائل تعليمية عالية, وبما تتمتع به من تنظيم إداري فائق, كما أنها تهتم باللغات الأخرى ، مما

يجعلها محط أنظار فئات خاصة من المجتمع, هذه الفئات تتخرج من هذه المدارس لتتولى المناصب في مجتمعاتهم ، مما يجعلهم سنداً بعد ذلك لقادة الغزو الفكري.

- تقليل الاهتمام بمواد الدين:

ويتم ذلك بما يلي:

- تقليصها في الجدول الدراسي.
- دعوى صعوبتها, وصعوبة فهمها.
- جعلها في آخر الجدول اليومي, مما يجعلها في وقت تعب وملل.
- التقليل من شأن مدرسها.
- دعوى أنها لا تلبي حاجة المجتمع.
- دعوى أن الطالب ربما يستفيدها من خارج المدرسة.
- جعلها مادة لا يترتب عليها نجاح الطالب, وإنما للفائدة فقط.
- جمع مواد الدينية كلها تحت مسمى واحد كأن تسمى مادة الثقافة الإسلامية مثلاً, أو مادة إسلامية, أو دين أو تربية إسلامية وهكذا.
- حصر الدين في المواد الشرعية وإخراج العلوم الأخرى كالاقتصاد والاجتماع وعلم النفس و العلوم الإدارية والعلوم التطبيقية.
- تدريس المواد غير الشرعية بعيداً عن الدين فالاقتصاد بعيد عن الإسلام أو فيه مخالفات شرعية كثيرة, وعلم الاجتماع كذلك , وعلم النفس كذلك , والعلوم التطبيقية لا تربط بقدرة الله ، وإنما الطبيعة هي كل شيئ ..
- تقسيم المدارس أو التخصصات إلى دينية وغيرها مما يولد الشعور عند الطالب أن الدين لا يصلح في التخصصات الأخرى.
- تهيئة الفرص الوظيفة لخريجي الأقسام غير الشرعية, وتقليل هذه الفرص بالنسبة لخريجي الأقسام الشرعية, مما يجعل الطالب لا يحرص على دخول هذه الأقسام.
- هدم اللغة العربية: ويتم هذا بما يلي:
- الدعوة إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية بدعوى أن الحركات لا تكتب.
- الدعوة إلى العامية والبعد عن الفصحى.
- دعوى صعوبة اللغة العربية وعدم قدرة النشء على تعلمها.

- الدعوة إلى تعلم اللغات الأجنبية, وربما للصغار مما يفسد لغتهم الأصلية.
- تشويه التاريخ الإسلامي: ويتم هذا بما يلي:
- تصوير أن الإسلام لم يعش إلا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين, وما بعده انحرف المسلمون عن الإسلام.
- إبراز مظاهر الانحراف التي حدثت في عصور الإسلام, وجعلها هي الأصل والأساس ، وبالذات الانحرافات السياسية.
- إلصاق التهم السيئة بنوايا الفاتحين, وبنوايا المصلحين ، كاتهام الفتوحات الإسلامية بأنها نوع من الاستعمار.
- تمثيل المواقف الإسلامية أو المعارك بتشويه متعمد, فهذا القائد يحب ابنة الخصم أو يحب أخرى ، وعلاقات الحب تمثل مع عدم وجود مستند تاريخي لها ، وكتابات جورجي زيدان في التاريخ الإسلامي شاهد على ذلك.
- الاختلاط:

وهذا يكون في مسلك التعليم وفي غيرة, فأما في التعليم فيتم في البداية في الروضة ، وفي المختبرات في الجامعات ونحوها ، ثم في المراحل الأولية من الدراسة الابتدائية ، ثم يتطور بعد ذلك إلى ما هو أكثر.

هذا في المدارس الحكومية وأما المدارس الأجنبية فالأمر مختلف فالاختلاط فيها ظاهر سواء بين الطلاب والطالبات أو بين المدرسين والطالبات أو بين المدرسات والطلاب أو بين المدرسين والمدرسات.

وأما غير التعليم فالاختلاط يكون في المستشفيات ، وفي الحدائق ، وفي مطاعم العوائل ، وفي الأسواق ، وفي المنتزهات وغيرها.

- الابتعاث:

ويعني إرسال أولاد المسلمين إلى البلاد الكافرة للتعلم هناك وهذا قد تضطر له الدول الإسلامية لتتعلم العلوم التي سبقتنا فيها البلاد الكافرة, ولكن الإشكال حينما يفتح الابتعاث على مصراعيه لكل أحد ، وبدون ضوابط ولا عوامل حماية للمبتعثين, فيذهب المبتعث ويرجع بفكر غير الذي ذهب به.

- الدعوة إلى تعلم اللغة خلال الصيف في مدارسهم ومعاهدهم في بلادهم الكافرة, فيذهب الشاب إلى هناك ، وربما سكن مع عائلة كافرة ، مما يجعل فرصة تأثره بأفكارهم ومعتقداتهم سانحة, وربما احتقر بلاده وتعاليم دينه.
- نشر الأفكار الهدامة التي تدعو إليها بعض المؤتمرات والمنظمات والجمعيات العالمية.
- الحديث عن أعيادهم ، ونشر ما يحدث فيها كعيد الميلاد وعيد الحب.
- الدعوات إلى الفرق والأديان الباطلة.
- زعم التقريب بين الأديان, والدعوة إلى الندوات والمحاضرات والمؤتمرات لمناقشة هذه القضية.
- محاولة نشر الكتب أو الكتيبات أو النشرات التي تدعو إلى أديان باطلة أو تشكك في الدين الإسلامي.
- الدخول من باب الأدب لحرف الفكر الإسلامي, فتارة عن طريق الحداثة ، وتارة عن طريق القصص الغرامية, وتارة عن طريق فكر مخالف للدين بدعوى الحرية الفكرية.
- نشر الأدبيات المنحرفة وتمجيد أصحابها, سواء كان عن طريق القصة أو الشعر أو غيرها, وكتاب في جريدة شاهد على ذلك.
- ترجمة غير المفيد من اللغات الأخرى فلا تترجم الكتب العلمية المفيدة و إنما تترجم الغراميات ، أو التي تحمل الأفكار العلمانية أو الإلحادية.
- استغلال الإذاعة أو التلفزيون أو القناة الفضائية لبث الأفكار التي يريدون.
- استغلال العادات والتقاليد:

ويتم عن طريقين:

أ- استغلال واقع خاطئ يعيشه المجتمع المسلم أفرزته العادات والتقاليد البعيدة عن الإسلام, فيقوم هؤلاء باستغلال هذا الوضع ويهاجمونه هجوماً شديداً لا لرد الناس إلى الحق ولكن للشطوح بهم بعيداً عن الدين.

- الطريق الثاني:

الحرص على جعل تعاليم الإسلام عادات وتقاليد مما يهون من شأنها ويسهل تركها, كالحجاب مثلاً.

- إفساد المرأة:

والدعوة إلى تغريبها وسفورها واختلاطها ، ولهم في ذلك طرق كثيرة ودعوات مغرضة ؛ لأنهم يعرفون أهمية المرأة ودورها في المجتمع.

- استغلال النكبات في العالم الإسلامي بدعوى تقديم العون للمنكوبين المحتاجين ، وهم في الحقيقة لا يقدمون العون إلا مع تقديم أفكارهم ومعتقداتهم.

- السيطرة على مصارف النقد ومحاربة الاقتصاد الإسلامي لإضعاف المسلمين ، وبالتالي السيطرة عليهم.

- تكثيف الدراسات الاستشراقية ، والاهتمام بها ؛ لتسهل السيطرة على العالم الإسلامي .

- القيام بالعمليات التنصيرية ، ورصد الأموال الطائلة ، والجهود الكبيرة لإنجاحها .

- اختراع مصطلح العولمة لإذابة الفكر الإسلامي ، بل ليس سراً أن نقول إن العولمة هو المصطلح الجديد للغزو الفكري .

- الضغوط الخارجية على الحكومات المسلمة لئلا تقف في وجه الغزو الفكري.

- الدعم السياسي للغزاة المحليين ممن هم على شاكلتهم, ولذا ليس سراً صلة حركات التغريب بالاستعمار وبالدول الكافرة بعد الاستعمار.

1 واقعنا المعاصر ص195.

2 المرجع السابق ص196.

3 الخليج العربي دراسة في الجغرافيا السياسية ص281.

============

نعمة الأمن

الحمد لله الولي الحميد أمر بالشكر ووعد بالمزيد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يحكم ما يريد ويفعل ما يريد وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد العبيد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم المزيد أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته.

إنه مطلب كل أمة وغاية كل دولة من أجله قامت صراعات وحروب وفي سبيله أنشئت جنود وجيوش تهدف إليه المجتمعات البشرية وتتسابق لتحقيقه السلطات الدولية بكل إمكاناتها الفكرية والمادية.
إنه مع العافية والرزق يشكل الملك الحقيقي من أصبح آمناً في سربه معافىً في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها.
إنه الأمن في الأوطان دعوة أبينا إبراهيم ((رَبِّ اجْعَلْ هَـَذَا بَلَداً آمِناً)) .
ومنة الله على هذه الأمة ((وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ)) ((أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً)).
إن الديار التي يفقد فيها الأمن تعد صحراء قاحلة حرّى وإن كانت ذات جنات وارفة الظلال تجري من تحتها الأنهار والبلاد التي تنعم بالأمن تهدأ فيها النفوس وتطمئن فيها القلوب وإن كانت قاحلة جرداء ليس فيها من الغذاء ما يسد الرمق ومن الماء ما يروي الظمأ.
إن البلاد التي يفقد فيها الأمن كالسماء إذا فقدت نجومها وكالأرض إذا زالت جبالها الراسيات وكالسهول إذا فقدت أنهارها وغارت عيونها وذوى نباتها ويبست أشجارها.
إنه الأمن لا غناء لذي مخلوق أو لأي نفس رطبة عنه مهما عزت في الأرض أو كسبت مالاً أو شرفاً أو رفعة فلن يتمتع معافىً بعافيته وهو غير آمن وكيف يلذ أكل بدون أمن ولن تنام عين غير آمنة ولن يستريح أو يستقر ضمير خائف أو بال مزعزع كلا يا عباد الله فلا راحة ولا هدوء ولا اطمئنان أو استقرار بدون أمن ففي رحاب الأمن وظله يأمن الناس على أموالهم وحارمهم وأعراضهم وفي ظلال الأمن يعبدون ربهم ويقيمون شريعته.
في رحاب الأمن وظله تعم الطمأنينة النفوس ويسودها الهدوء وترفرف عليها السعادة وتؤدي الواجبات باطمئنان من غير خوف هضم ولا حرمان.
لو انفرط عقد الأمن ساعة لرأيت كيف تعم الفوضى وتتعطل المصالح ويكثر الهرج وتأمل فيمن حولك ستجد الواقع ناطقاً واسأل العراق ستجده على هذه الحقيقة شاهداً.
أيها المسلمون

إن أمراً هذا شأنه ونعمة هذه أثرها لجدير بنا أن نبذل في سبيلها كل رخيص وغال وأن تستثمر الطاقات وتسخر الجهود والإمكانات في سبيل الحفاظ عليها وتعزيزها.

يا عباد الله

إن الأمن لا يدرك بالبطش والجبروت والاستبداد والقهر ورفع سياسة((مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى)) .

ولو كان الأمر كذلك لكان الروس وأضرابهم أنعم الناس بالأمن، ولا يدرك بالتساهل والتسامح مع المجرمين والمفسدين إلى حد الفوضى وإلا لكانت بلاد الغرب أكثر بلاد العالم أمناً وإن الأمن يا مسلمون لا يتوفر باستعمال التقنية الحديثة والأجهزة الدقيقة والأسلحة الفتاكة فما نفعت تلك الوسائل أمريكا والجرائم عندهم تحصى بالثواني واللحظات.

لقد فشلك كل هذه الوسائل وأفلست كل نظم الأرض وحيل البشر فلم تستطع توفير الأمن وآن لنا أن ندرك أن الأمن الذي نعيشه ونتفيؤ ظلاله إنما هو منحة ربانية ومنة إلهية مربوطة بأسبابها ومقومتها والتي من أعظمها إقامة شرع الله وتنفيذ حدوده والاعتزاز بعقيدة التوحيد ومناصرتها والدعوة إليها وبدون ذلك لا سبيل إلى الأمن ولو استعنت بقوى الأرض كلها.

إن قدّرنا أن ننعم في هذه الحياة بالأمن متى استقمنا على شريعة الله وأن نحرمه متى انحرف بنا المسار عن الله ومنهجه فإن حدنا عن منهجه حصل خلل واضطراب يؤدي هذا الخلل إلى فساد وإفساد كما حدث للأمم من قبلنا عندما تركت شرع الله ودينه وحل فيها الخصام محل الوئام وزرعت في نفوس أهلها البغضاء بع أن كانت تظللها المحبة والألفة والإخاء ((َ فنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء)) .

الإيمان هو الذي يحقق الأمن للمجتمع ويقيه من الأخطار فإذا تخلى أبناء ذلك المجتمع عن دينهم وكفروا نعمة ربهم أحقت بهم المخاوف من كل جانب وانتشرت بينهم الجرائم وهذه هي السنة الربانية فيمن يعرض عن طاعة ربهم سبحانه ((وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً)).

أيها المسلمون

لقد أدرك أعداء الإسلام أن استمساك المسلمين بدينهم وشريعة ربهم هو سر قوتهم وسبب وحدتهم وعامل أمنهم فعملوا حسداً من عند أنفسهم على وضع مخطط يهدف إلى اغتيال عقيدة المسلمين من جانب وإقصاء الشريعة عن حياة المسلمين من جانب آخر مستعينين في ذلك بأذنابهم ممن يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي الكافرين مستخدمين لأجل ذلك كل وسائل الفساد والإفساد من أجل إزالة العاصم الذي يحمي ديار الإسلام وهدم الحصن الآمن الذي ينعم به المسلمون.

يا عباد الله

وإذا كنا بحمد الله في هذا البلد ننعم بأمن وارف واستقرار شامل فمع ذلك بدأنا نسمع أخيراً عن بعض الثغرات الأمنية والتي لا تشكل بحمد الله ظاهرة مقلقة لكنها نذير بزوال النعمة وزعزعة الأمن وإشارة إلى وجود خلل في بناء المجتمع لا بد من تداركه وإزالته, إلى أن الأمة كافة غيرت فغير الله عليها، وإن الله لا يغير نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

إن أمن البلاد مسئولية ونعمة الأمن جديرة بأن يتكاتف الجميع للمحافظة عليها وبذل أسبابها والتضحية من أجلها.

لا بد أن ندرك أن نعمة الأمن لا تدوم إلا بدوام أسبابها ولا توجد إلا بوجود مقوماتها والتي من أعظمها عبادة الله بمضمونها الشامل ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ)) ز

وتوحيد الله والإيمان به والتخلص من خوارم العقيدة ومحاربة البدع والخرافات عامل من عوامل حصول الأمن ((الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُون)) .

َولكي يدوم الأمن في البلاد فلا بد من تربية الأمة رجالها ونسائها على طاعة الله والاستقامة على شرعه والبعد عن معصية وعندما تستقيم النفوس على طاعة الله سبحانه ويعرف كل إنسان حقوقه وواجباته وتعمر قلوب المؤمنين المحبة لله ورسوله والشفقة على العباد ويسود التكافل والتراحم بين أبناء المجتمع فما أسعد هذا المجتمع وأهنئه.

النفوس المطيعة لا تحتاج إلى رقابة القانون وسلطة الدولة لكي تردع عن الجرائم لأن رقابة الإيمان أقوى والوازع الإيماني في قلب المؤمن يقظ لا يغادر العبد ولا يتخلى عنه ومن هنا فلا بد من غرس مفهمو الخوف من الله ومراقبته في نفوس الناس بدلاً من تخويفهم بالأنظمة والقوانين فليست قوانين الجماعات ولا سلطان الحكومات بكافيين وحدهما لإقامة مدينة فاضلة تُحترم فيها الحقوق وتؤدى الواجبات على وجهها الكامل فإن الذي يؤدي واجبه رهبة من السوط أو السجن أو العقوبات المالية لا يلبث أن يهمله متى اطمأن إلى أنه سيفلت من طائلة النظام وليس على وجه الأرض قوة تكافئ قوة التدين أو تدانيها في كفالة احترام الحقوق وضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه.

أيها المسلمون

ويستجلب الأمن ويحافظ عليه بالقيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على المستوى الفردي والشعبي والرسمي فهو صمام أمان المجتمع وبه يحصل العز والتمكين : ((َ لَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ)) .

وبقدر ما تتخلى الأمة عن هذه الشعيرة بقدر ما يستأسد المجرمون ويستعلي المجرمون لأنهم فقدوا اليد الحازمة والقوة الرادعة التي يمثلها حراس الفضيلة ممن لهم في ميدان البذل والعطاء بصمات وفداء.

ويحافظ على الأمن بالعدل في كل جوانب الحياة فالراعي مع رعيته والأب مع أهله وزوجاته والمعلم مع طلابه والرئيس مع مرؤوسه والكفيل مع عماله فالظلم يولد الأحقاد والرغبة في الانتقام.

ومتى تحقق العدل حصل الأمن فاعدل أيها المسلم في تعاملك وحكمك وحينها نم حيث شئت فقد عدلت فأمنت فنمت, ومن مقومات الأمن إقامة الصلاة وتربية الناشئة عليها فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وهي حصن عن كل شرور وحاجز عن كل جريمة.

ويتحقق الأمن بتهيئة المحاضن التربوية للشباب ودعم كل المؤسسات العاملة في تربية الناشئة من حلقات القرآن ومراكز صيفية دائمة.

ومن أقوى الأسباب لحصول الأمن معالجة كل ظواهر الانحراف لدى الشباب من منطلق إيماني ومفهوم إسلامي.

إن من أبرز أسباب انحراف الأبناء ما تعيشه بعض البيوت من فقر يخيم عليها أو نزاعات وشقاق بين الآباء والأمهات وما ينتج عنها من حالات طلاق وتشتت وتشرد وضياع ومن الأمور المعلومة أن الولد عندما يفتح على الدنيا عينيه..

الخطبة الثانية

فإن الأمن والاستقرار يظل ويبقى حينما تعالج الأخطاء والتجاوزات بكل هدوء وحكمة بعيداً عن التشنج والانفعال والغضب والمبالغات والتهويل أو معاقبة الأبرياء بجريرة المذنبين.

والأمن والاستقرار يتحققان حينما يقوم العلماء بدورهم في احتواء الموقف ومعالجة الأحداث وتقريب وجهات النظر وتهدئة الانفعالات وفتح قنوات الحوار الهادف الهادئ مع الشباب لترشيد حماسهم وتوجيه انفعالهم وتسخير طاقاتهم في خدمة الأمة ودينها.

أما أن يعيش العلماء في برجهم العاجي ومن خلال مكاتبهم الوثيرة يهاجمون الشباب ويتهمونهم ويتطرفون في احتقار أفكارهم والتساهل بقدراتهم ويأنفون من تساؤلاتهم ومطالبهم فإن هذا يولد فجوة بين العلماء والشباب تدفع الشباب إلى تصرفات غير مدروسة وأعمال غير مشروعة فافتحوا أيها العلماء والدعاة صدوركم وبيوتكم ومكاتبكم للشباب ووجهوا حماسهم وهذبوا عواطفهم.

وإن الأمن الوطني لا يتحقق إلا بوجود الأمن الفكري وذلك بحماية الأجيال الناشئة وشباب الأمة من دعوات التغريب ودعايات الفساد والإفساد.

لكي يتحقق الأمن لابد من حماية شباب الأمة وتحصين أفكارهم من الهجمات الداخلية التي تسمم العقول وتحرف السلوك وتسيء إلى الدين وتقضي على الأصالة وتشكك في الولاء وصدق الانتماء.

لكي يتحقق الأمن لابد من القضاء على مغذيات الجريمة وقطع عروق الانحراف من مجلات ساقطة ووسائل إعلام هابطة وأغانٍ ماجنة.

كيف نريد للشباب أن يستشعر المواطنة الصالحة ويحافظ على مقومات أمن الوطن ويسهم في نهضته ويقوم بواجبه تجاهه وهو في الوقت ذاته يستقي أفكاره وثقافته ومنهجه من قنوات تعمل على تخدير الأمة وشبابها من خلال إشاعة الفاحشة وبث الرذيلة ونشر الإباحية والترويج للعنف والجريمة والتعود على رؤية المنكرات وعدم التفكير بإنكارها.

ماذا فعلنا للتجمعات الشبابية على الكثبان الرملية وفي الاستراحات حيث تغرس بذور الجريمة وتشعل جذوة الانحراف.

إن حملات التوعية الأمنية خطوة إيجابية ولكنها لن تحقق هدفها ما لم يصحبها عزم أكيد ونية جادة لدراسة أسباب الجريمة ومظاهرها ومعالجتها معالجة فعالة في ضوء تعاليم الإسلام وهدي سيد الأنام.

ودين الإسلام شامل وكامل ((مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ من شي)) وتطبيقه علاج لكل مشاكل المجتمعات وقضايا الدول.

وأخيراً :

ولكي يتحقق الأمن ويدوم لا بد أن يدرك شبابنا الغيور أن العبد لا يعلم أن يكون الخير والشر فيما يقتضيه الله سبحانه إلا في ضوء ما عمله الله لعباده من السنن والثواب، ومن هنا فلا ينبغي للعبد أن يتعجل الأمور أو يحلل المواقف والأحداث قبل دراستها والبحث في جوانبها متجرداً في ذلك لله عز وجل مهتدياً بالسنن والموازين والسنن الثابتة التي ذكرها الله في كتابه وعلى لسان رسوله وإذا وفق العبد إلى هذا الفضل فإنه غالباً يصدر عن الحق وينطق بالحق وينشأ عنده صفتا الحلم والأناة اللتان يحبهما الله عز وجل وكم رأينا من أناس تعجلوا أمورهم قبل أوانها فكانت نتيجتها وبالاً وشراً عليهم وعلى أمتهم.

ومن صور الاستعجال ما نراه من تعجل بعض الغيورين في قطف ثمرة جهدهم وتعريض أنفسهم للابتلاء وتمنيهم لمواجهة العدو وينسون ويغفلون عن قوله صلى الله عليه وسلم : ((لا تمنوا لقاء العدو وإذا لقيتموهم فاصبروا)) .

فإن المرء لا يدري ما تؤول إليه الحال عند مواجهة العدو ومشاهدة الأهوال وكم من أناس استعجلوا الابتلاء قبل أوانه فلما أصبحوا تحت وطأته ضعفوا وانتكسوا والعياذ بالله .

وقد ذكر الله قصة أولئك الذين كرهوا كف اليد عن الكفار وتمنوا القتال فلما كتب عليهم رغبوا عنه وهذا من آفة الاستعجال ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ)).

إن أشد الناس حماسةً واندفاعاً وتهوراً قد يكونون هم أشد الناس جزعاً وانهياراً وهزيمة عندما يجد الأمر وتقع الواقعة بل إن هذه قد تكون القاعدة والحكمة وأن نتجنب الأفعال الهوجاء وردود الأفعال. فما أحرانا أن نتحلى بالصبر وأن نشتغل بالبناء للنفس والناس دعوة ودعاء وصلاة وعبادة وأمراً بمعروف ونهياً عن المنكر وتربيةً للنفس وتزكية لها لكي تكون قادرة على مواجهة الشدائد والفتن والمحن.

لوحة الأمة الجميلة نرسمها نحن بأيدينا ونصنعها بقلوبنا حينما نتخلق بالوعي ونستشعر عظم هذه النعمة وخطورة فقدها نضعها حينما نتعامل مع الواقع بميزان الشرع والعقل بعيداً عن الأهواء والعواطف والرغبات الشخصية.

نعمة الأمن نحفظها حينما نحفظ حدود الله ((احفظ الله يحفظك)) .

نعمة الأمن نحفظها حينما نكف أيدي المنافقين وألسنتهم الذين يوقدون نار الفتنة ويلمزون المؤمنين ويشعلون فتيل القلاقل باستفزازاتهم لمشاعر الناس وتعرضهم لثوابت الأمة وشعائر دينها.

اللهم احفظ على الأمة أمنها وإيمانها ,,,

==========

لو غير أكّار قتلني !!

حوار بين أبي جهل وابن مسعود

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

تظل الرواسب الفكرية المهترئة ، جاثمة في حضيض البؤر المعرفية لبعض أولئك المتقمصين لثياب الثقافة والإعلام أو المنتفخين ببالونات (المجد !) الغثائية ، من نجوم الفن والرياضة ونحوهم من ذوي الاهتمامات البالية ، والقيم الهزيلة ومظهر تلك

الرواسب الجوفاء ذلك (النضال !) المستميت نحو تحقيق أهداف غير شريفة جامعها الإفساد والتضليل على مستوى الفرد والجماعة !!

والتاريخ المدوّن بموضوعية وعدل مزدحم بعشرات النماذج لأولئك المتخمين باللوثات الفكرية المتنوعة ، والذين ظلوا متشبثين بها حتى الرمق الأخير من حياتهم البائسة, دون أن تسعفهم عقولهم المريضة لمراجعة الحق بتواضع , أو إعلان التوبة بصدق!

في الصحيحين من حديث أنس – رضي الله عنه– ((أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من ينظر ما صنع أبو جهل ؟ فانطلق ابن مسعود؛ فوجده قد ضربه ابناء عفراء حتى برك؛ فآخذ بلحيته وقال : أأنت أبو جهل الشيخ الضال ؟ قال : وهل فوق رجل قتله قومه ؟ فلو غير أكّار قتلني ؟!)) .

أي: فلو غير فلاح قتلني ؛لأن الأكار هو الفلاح!! فالذي قتله أنصاري والأنصار كانوا فلاحين !!

أقول : هذه الحادثة العجيبة, تمثل أنموذجاً متكرراً لتلك الدمي الفكرية الملوثة ، التي يزخر بها واقع الناس قديماً وحديثاً!!

تأمل (لو غير أكّار قتلني) يا للخزي والعار !

لقد ظل هذا المأفون أسيراً في معتقل الخرافة والتقليد, متشبثاً بعناده البغيض, وقناعاته الهزيلة حتى أخر قطرة من جراحه النازفة ، وقد برك منهار القوى, مهيض الجناحين ، وعن يمينه وشماله تسع وستون جيفة ، تحوم حولها الغربان ، وسبعون أسيراً تئن بهم السلاسل يوم بدر, دون أن يستيقظ له ضمير أو يحيا له قلب!! .

إن المرء ليتساءل تُرى ما الذي يدفع هذا الفرعون وأمثاله إلى هذا (الإخلاص العجيب !!) لهاتيك الرؤى والأفكار, والمبادئ والأهداف ؟؟ فلا يمضي كبير وقت إلا ويتمثل لك الجواب ، شاخصاً في أحد أمرين :

إما تعصبٌ مقيت ، أو جهلٌ فاضح بهيئته المركبة !!

إما تعصبٌ للمعتقد والمبدأ والهدف ، مهما بدأ عواره, وظهرت سوءته ، أو جهل مركب يفقد معه صاحبه المقدرة على التمييز بين الحق والباطل؛ فيظل مهرولاً في الاتجاه المعاكس !!

ويبدو أنّ (جهلاً) له آباء كُثر وليس أباً واحداً صرعه غلامان فلاحان !!

فأنّى قلّبت ناظريك في طول الزمان وعرضه, وعلى سعة المكان و ضيقه؛ فسيتمثل لك التعصب والجهل في شخوص لا حصر لها, ما بين علماني حاقد ، وحداثي ملحد ، وكاتب ماكر ، وممثل فاجر، ورياضي مخدوع !!

ومن هنا كان لزاماً على حملة الحق ألا يعيروا قبح طوية البعض كبير اهتمامهم, ذلك أن بقاء فئام منهم ما بقي الزمان هو قدر مقدور ، ولوح مسطور ، فالواجب مدافعتهم ودعوتهم ,لا التأسف عليهم أو تفتيت القلب حسرة عليهم !!

وعلى سبيل المثال فإنّ ما يسطره الصحافيون كلّ يوم من المقالات الطافحة بالسموم لا ينبغي أن يقابل بالحوقلة والاسترجاع, وكيل السباب والشتائم, فتلك أساليب غير كافية لمواجهة الباطل وتحجيمه !!

ولما كانت الصحافة أسيرة في يد العلمانيين والإباحيين أصبحنا نضع أيدينا على قلوبنا كلّ صباح خوفاً من قلم متهور, أو مقالة مشبوهة, دون أن نسعى جادين لصنع الصحافة الإسلامية اليومية, ولو عبر شركات مساهمة..

وفي عصر الانترنت لم يعد أحد يخشي عقبة التصريح ,وإذونات الدخول, بل لسنا بحاجة إلى صحافة ومجلات سياسية أصلاً لعدم ملائمة الأجواء في معظم ديار الإسلام لكن المطلوب صحافة شعبية نخاطب من خلالها العامة على اختلاف طبقاتهم, بخطاب هادئ رصين, يكون بديلاً للخطاب العلماني البغيض الذي لا يقرأه إلا كُتابه باعتراف كبارهم في أكثر من مناسبة !!

إن تسخير الإمكانات – مهما كانت متواضعة– لدحض الشبهة ، وتفنيد الفرية هو الأسلوب الأمثل لمكافحة الفساد الفكري والتغريبي القادم بقوة!

وإن إنشاء المؤسسات الإعلامية الفاعلة, القادرة على المصاولة والمراوغة أولى أحياناً من تأثيث مسجد, أو تفطير الصائمين, وإن قصر الإنفاق الخيري على مجالات تقليدية محدودة يعد في واقع الأمر جموداً, وسوء فهم لأصول الإسلام, وحقائق الدين وطبيعته الرحبة, وأهدافه البعيدة!

وإنّ إفساح الفضاء كذلك لقنوات العهر والفساد؛ لتعمل بأقصى إنتاجية دون مزاحمة جادة من حملة الرسالة بدعاوى متنوعة على رأسها عقم الجعبة الإسلامية من البديل

الجذاب والمؤثر؛ لهي جناية فادحة لها ثمراتها المؤلمة ، حسبك منها إنكباب الجماهير على كلّ فاسد وهدام إذ لا خيار لهم غيره

ولكنّ إنشاء القنوات الهادفة ، التي يقوم عليها العلماء المخلصون ، وطلبة العلم العارفون, هو الحل الأمثل لمقاومة إسفاف القنوات الماجنة , وكبح جماح ضلالها!!

وقليلُ الحق يهزم كثير الباطل فالله يقول : ((بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ)) (سورة الأنبياء: 18) .

والله المستعان ,,,

============

الأمن الفكري

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُهُ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شرورِ أنفسِنا وسيّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ .

أخوةَ الإسلامِ: نحتاجُ إلى الأمنِ الفكريّ كحاجتِنا إلى الأمنِ الغذائي أو أشدَّ ، ونحتاجُ إلى الصّحةِ النفسيةِ كحاجتنا إلى الصحةِ الجسديةِ أو أشدَّ.

وليس أضرَّ على الأمةِ والمجتمعِ مِنْ رواجِ فكرٍ دخيلٍ يُبلبل العقولَ ويُوحشُ القلوبَ ، ولا شيءَ أسوأُ مِنْ تَطاحُنِ الأفكارِ لا تَلاقحُها ، وحين تُخلخلُ الثقةُ بالمُسَلَّمَاتِ، وتَطالُ التهمُ علماءَ الأمةِ ، وروادَ الإصلاحِ والفكرِ فيها، فلا تَسألْ عنِ التشنيعِ بغيرِهم ، والبُهتانِ لِمَنْ دونَهم ، وفرقٌ بينَ الاختلافِ المُثري، والتنازعِ المُفضِي للفشلِ وذهابِ الريحِ، والأدبُ القرآنيُ واضحٌ ، والنهيُ شديدٌ في هذا الباب . ((وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)) (سورة الأنفال: 46).

إنَّ مَنْ يُراقبُ ساحتَنا الفكريةَ، ويُتابعُ مُنتدياتِ الحوارِ، وأعمدةَ الصحفِ، وزوايا الإعلامِ الأخرى، يَرى مِنْ ذلك كلّه عَجباً... وبوادرَ خطرٍ ، يرى العقلاءُ و ميضَ النارِ مِنْ خِلالِ الرمادِ .. ويخشون ضرامَ النارِ مِنْ مُستَصْغَرِ الشررِ، لقد بلغ السيلُ الزُبا، وتجرَّأ على الثوابتِ ، مَنْ لا يزن الأمورَ، أو يتحسبُ لعواقبِها ، وأصبحتِ الكلمةُ بلا زمامٍ أو خُطامٍ ، تطيرُ في الآفاقِ تحملُ الهدمَ، وترسمُ معالمَ التشكيكِ،

وتُؤذي الصالحين، ويَحتارُ لها العوامُ، ويَتحسَّسُ مِنْ آثارِها العالِمون، ويَتبرَّمُ منها العقلاءُ والمنصفون .

وفي المقابلِ استُنفرَ أقوامٌ ولوَّحوا بلغةِ الحسامِ ظنُّوه الأسلوبَ الأوحدَ للحوارِ ، وإذا كان التطرفُ مرفوضاً سواءً كان ذاتَ اليمينِ أو ذاتَ الشمالِ، فالغلوُ كالجفا نَمَطانِ بَعِيدانِ عَنِ الوسطيةِ والاعتدالِ ، وهما سِمةُ هذهِ الأمةِ المُسلمَةِ .((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)) (سورة البقرة :143).

((وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)) (سورة الأنعام: 152) .

نعم ينبغي أنْ تكونَ هناك مبادرةٌ مِنْ قِبَلِ كلِّ الأطرافِ ، لردعِ أي تحفيزٍ أحمقَ نحوَ الانفصامِ الاجتماعي ، وخَلقِ عداواتٍ محليةٍ نحن مُشغولون عنها بغيرِها، ولكنَّا معِ ذلكَ لا نرغبُ أن تصلَ الأمورُ إلى ما وصلتْ إليه ، كاتبٌ يكتبُ وآخرُ يُهدد، هذا يعتبره يكتب مقالة طريفاً ومقابلة يراه سخريةً واستهزاءً إنها رسالةٌ ذاتُ دلالةِ ، تلك التي نشرتْها جريدةُ الرياضِ، واستغربَ رئيسُ التحريرِ أنْ يُهددَ منها حينَ كتبَ مقالاً له بعنوان (اللحية الغانمة) ، وقال : إليكم الرسالةُ الواردةُ إليَّ أنشرُها بنصِها كما وردتني:

رسالتي لكَ باختصارٍ أولاً: تكتبُ رسالةً تعتذرُ فيها عَنْ هذا الموضوعِ وعَنِ المواضيعِ الأخرى .

ثانياً: أنْ تُعلِنَ أنَّكَ كنتَ منافقاً وتُعلنَ أنني متوقفٌ .

ثالثاً: إذا لم يُطبق هذا الأمرُ في أسبوعٍ فانتظرِ النهايةَ ، فإنَّ مَنْ استهزأ بشيءٍ مِنْ سُنَّةِ النَّبي r ، فإنَّ النَّبيَّ قد أباحَ دمَهُ، وأنا بإذنِ اللهِ أولُ مَنْ سيُطبِّقُ هذا في شريعتِهِ ، فسأذبحُكَ إنْ لمْ تَسْتَسلِم وتَعتدِلْ، ورسالةٌ أخيرةٌ : أنا لستُ مِنَ القاعدةِ ، ولا مِنْ أبنائِها ولا أنظرُ إليهَا، ولكنْ مِنْ مُحبِّي سنةِ النَّبِيِّ r ، واللهُ الموفقُ، فإمَّا أنْ تُوافقَ شُروطِي وإمَّا الموتُ. (جريدة الرياض 29/محرم/1425هـ) مَنْ ؟ ومَنْ ؟ ومَنْ ؟)

إنَّنـا لا نريـدُ للأمـورِ أنْ تصـلَ إلـى هـذا الحـدِ، والمُفتـرَضُ أنْ تُوجَّـهَ طاقتُنـا الفكريـةُ لمحـاورةِ ونقـدِ أعـدائِنا ، الـذين يتربَّصـون بنـا، ويريـدون أنْ يسـلُخُونَنَا مِـنْ هُوِيتنـا وإرادتِنا... وأنْ لا ينجحَ العدوُّ في نقلِ المعركةِ بينَنا.

لقد سُوّدت الصـحفُ مُؤخراً بـرديءِ الكـلامِ ، وسـيلِ مِـنَ الـتهمِ، ومحـاولاتِ الانتقـامِ والتصيّدِ، وكلُّ مَنْ انحرفَ عَنِ الصراطِ المستقيمِ أثقلَ كاهلَ أمتِهِ بالرزايا والخطايا، فالحداثيون حين اختلفوا معَ ثوابتِ الحضارةِ وهَمَّشُوها، تحولوا إلى هَدامين ودعاةِ سوءٍ في الأفكارِ والأخلاقِ، والثوريون حينَ تهيأتْ لهم الأسبابُ طافوا بقومِهم على سقطِ الحضاراتِ، والمتابعُ لمُعطياتِ الفكرِ السياسيِ الإسلاميِ يجدُه جماعَ الخيرِ كلِه ، فلا هو حفيٌ بعنفِ الثوريين ولا بمداهنةِ المُتزلفِين.

هكذا قال الدكتور الهويمل في أحدِ مقالاتِه النقديةِ للواقعِ، (د. حسن الهويمل، مقال بعنوان: أيها المستجيبون والممانعون عقلنوا خطابكم، الجزيرة 1425/1/25هـ).

أيها الأخوة المسلمون :

لقد بُلينا مِنْ قبلُ – وظهرتِ البلوى أكثرَ في هذهِ الأيامِ– بدهاقنةٍ للعلمنةِ والتغريبِ، يطرحـون غريـبَ القـولِ بـلا خـوفٍ ، ولا تـرددٍ، ولا حيـاءٍ ، وفـي طروحـاتِهم طـوامٌ ومقحماتٌ (وقد سبق الحديثُ عن هؤلاء).

وثَمَّةَ أُغَيْلِمَةٌ بدأت تقحمُ المُهْلِكَاتِ، وتَتَسلَّقُ جُدرَ المُسَلَّماتِ ، وتَرمِـي بشررِها الأكابرَ مِـنَ العلمـاءِ، تَلمـزُ هـذا... وتَـتَّهِمُ ذاك، وتَنسـبُ إلـى بعضِـهم زُوراً وبهتانـاً رديءَ القولِ... وترميهم بقبيحِ التُّهمِ، وتتجرأُ على الفتوى، وتُبيحُ لنفسِها الاجتهادَ، وتعاظمتْ في نقدِهَا حتَّى لم تُبقِ ولم تَذرْ، وآخرون شبابٌ أخيارٌ ، وإنْ كانوا قلةً لكنْ جَنحتْ بهم القراءةُ إلـى مواقـعَ الهـوى ، ومصـايدَ الشيطانِ، بـدؤوا مُبَكِّرين – ودونَ مَناعـةٍ تُذكَرُ– في قراءةِ كتبِ فلسفيةٍ قديمةٍ ، تُغرِقُ في الجدلِ، وتُهمّشُ النصَّ الشرعيَّ، وتُعظِّمُ العقلَ... أو كتاباتٍ حديثةٍ تَنطوِيْ على العَصْرَنَةِ أو العلمنةِ والتغريبِ، وتَتَّخِذُ مِنَ الجدلِ وسيلةً لإسقاطِ الثوابتِ، وتَهميشِ الحقائقِ ، والتشكيكِ في المُسَلَّماتِ... وكانـتْ حصـيلتُهم منهـا قلقـاً ، وشـكاً، وحيـرةً ، وانقطاعـاً، وضـعفاً فـي الإيمانيـاتِ، وهشاشـةً فـي السلوكياتِ، وكـان لهؤلاءِ الشبابِ ولا يـزالُ مندوحـةٌ عنهـا بكتبِ سـليمةِ المنهجِ تُعمّقُ الإيمانَ، وترسخُ العلمَ الشرعيَّ، وتُنيرُ السبيلَ ، وتَهدي للتي هي أقومُ

... وهذهِ الفئةُ وإنْ قلتْ – أخشى إنْ طال مسارُها في هذا الطريقِ أنْ تكونَ إشكاليةَ المستقبلِ... ومعوقاً عَنِ الإنتاجيةِ والبذلِ حِينَ تُشغلَ نفسَها أو غيرَها في الجدلِ... وتُعنى بالنقدِ لكلِّ شيءٍ... ولكلِّ أحدٍ! نعم إنَّ النقدَ الهادفَ سبيلٌ للتطويرِ والإصلاحِ... ولكن الجدلَ ما أُوتيَهُ قومٌ إلا ضَلُّوا، وفرقٌ بينَ مَنْ يُمارسُ العطاءَ والبذلَ مع النقدِ، وبينَ مَنْ هو حفيٌّ بالنقدِ ، مولعٌ بالجدلِ ليس إلا.

إنَّه حقٌ على الأغيارِ ورُبَّانِ السفينةِ ، ورجالِ التربيةِ، وقادةِ الفكرِ، وأهلِ الذكرِ أنْ يَتهيَّئُوا لهذهِ المخاطرِ... وأنْ يسارعوا لعلاجِ هذه الظواهرِ... فالمسلمون نصَحةٌ، ومِنَ جُملِ الإيمانِ أنْ يُحبَّ المرءُ لأخيهِ ما يُحبُّهُ لنفسِه، وينبغي أنْ تُحفظَ الطاقاتُ وتُوجَّهَ الملكاتُ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) (سورة التوبة:71).

الخطبة الثانية

أيها المسلمون :

وما لم يُصلحِ المُفسدون ما أفسدوا أو يَتدخلْ ولاةُ الأمرِ مِنَ الأمراءِ والعلماءِ في وضعِ حدٍ لهذه الطروحات الفَجَّةِ، والمهاتراتِ المُفرقةِ – فسيَصطلي المجتمعُ بنارِها– وإنَّ أيةَ أمةٍ يتوفرُ لها أمنٌ وافرٌ، واستقامةٌ راشدةٌ، ورخاءٌ ونعمة ثمّ لم تكن شاكرةً لهذه النعمِ، قائمةً بحقوقِها، مجاهدةً لمن ينالُ منها آطرةً للسفهاءِ .. انقلب الأمنُ خوفاً والاستقامةُ انحرافاً، والرخاءُ فقراً، وفي أمثلةِ القرآنِ عبرةٌ لمن اعتبر ((وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ)) (سورة النحل:112).

إنَّ الانحرافَ الفكريَّ (قديم لمن تأمّل حلقاتِ التاريخِ) وطالما كان لأساطينِ الاعتزالِ ، والرفضِ،والمتصوفةِ، وأمثالِهم دورٌ وأثرٌ... وكان لأئمةِ السلفِ ، وأصحابِ الدعوة ، دورٌ وأثرٌ حتى نفع اللهُ بعلمِهم وجهادِهم، فعاد شاردون... ، وهدى اللهُ مِنَ الضلالةِ قوماً كانوا عَمِيْنَ... وبلغ الحالُ ببعضِهم أنْ قال :

وكنتُ جنداً من جنود إبليس حتى ارتمى بي الدهرُ فصار إبليسُ من جندي

وكـلُّ مَـنْ لـم يعتصـم بالكتـابِ والسُـنَّةِ ، ومـا عليـه سـلفُ الأمـةِ فمآلُـه الحيـرةُ ، والاضطرابُ ، وتجربةُ الرازي واضحةٌ حين يقولُ :

نهايةُ أقدام العقولِ عِقالٌ وأكثرُ سعيِ العالمين ظلالٌ

ولم نستفدْ من بحثِنا طول عمرِنا سوى أنْ جمعنا فيه قيل وقالوا

وأرواحُنا في وحشةٍ من جسومِنا وغايةُ دنيانا أذى ووبالُ

ويقول الشهرستاني:

لعمري لقد طفتُ المعاهدَ كلَّها وسيرتُ طرفي بينَ تلك المعالم

فلم أرَ إلا واضعاً كفَّ حائرٍ على ذقنٍ أو قارعاً سنَّ نادمِ

وأبلـغُ مـن ذلـك كلّـه وأصـدقُ قولـه تعـالى: ((فَمَنِ اتَّبَـعَ هُدَايَ فَـلَا يَضِـلُّ وَلَا يَشْقَـى)) (سورة طه: 123).

قال ابنُ عباس – رَضِـيَ الله عَنْهُمَا– : (تكفَّل اللهُ لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أنْ لا يضـلَّ فـي الـدنيا ولا يَشـقى فـي الآخـرةِ) (التنبيهـات السـنية علـى العقيـدة الواسـطية الشيخ عبد العزيز الرشيد ص 378).

يا عَبدَ اللهِ: تأملْ هديَ القرآنِ والسُنّةِ في الاجتماعِ والاختلافِ، وستجدُ من ذلك قولـه تعالى: ((وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ)) (سورة آل عمران:103).

وقولـه: ((إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَـيْءٍ)) (سورة الأنعام: 159).

وأخبر عليه الصلاة والسلام عن افتراقِ هذهِ الأمةِ ، والمخرجِ منها، وذلك بلزومِ هديِه وهديِ صحابتِه رضوانُ الله عليهم ((مَنْ كَانَ عَلَى مِثل مَا أَنَا عَلَيْه الْيَوْمَ وَأَصْحابِي)) .

وخيرُ الأمورِ السابقاتُ على الهدى وشرُّ الأمورِ المحدثات البدائعُ

وقال آخر :

تخالف الناسُ فيما قد رأوا ورووا وكلهّم يدعون الفوز بالظفر

فخذْ بقولٍ يكون النصُّ ينصرُه إمّا عن اللهِ وإما عن سيدِ البشر

(السابق378)

أيها المسلمون :

إنّنا مطالبون جميعاً بالحفاظِ على وحدتِنا، وسلامةِ فكرِنا، ومعتقدِنا، والعزةِ بإسلامِنا، والترضي عن سلفِنا... ، ومع أهميةِ الشَّفافيةِ، والصراحةِ ، والحوارِ، فلابدَّ من قيودٍ تحكُم ، وضوابطَ تُنظمُ ، و إلا تحوَّلتِ المصارحةُ إلى مصارعةٍ، والشفافيةُ إلى تُهمٍ وأنانيةٍ ، والحوارُ إلى ساحةٍ للمعاركِ ، وتلويحٍ بالانتقامِ .. ، وكلُّ ذلك خسارةٌ ، وضياعٌ وهدرٌ للطاقات، وفرصةٌ لتسللِ الأعداءِ ، وإذا كان على العوامِ ألا يتأثروا بكلِ صائحٍ ، وأنْ يتحروا الحقَّ ، ويسألوا أهلَ الذكرِ - فعلى العلماءِ خاصةً- دروٌ كبيرٌ في بيانِ الحقِ وردِّ المُبطلين- وهذا الإمامُ الذهبيُّ رحمه اللهُ ينقلُ لنا تجربةً في عَصْرِهِ (القرن الثامن) عن فئةٍ كانت تَنتقصُ الأكابرَ مِنَ العلماءِ بلسانِ الحالِ ، والمقال ، ويقولُ عنهم: من أحمد ؟ وما ابن المديني ؟ وأي شيء أبو زرعة وأبو داود ؟ هؤلاء مُحدِّثون ولا يدرون ما الفقهُ ؟ وما أصولُهُ ؟ ولا يفقهون الرأيَ، ولا علمَ لهم بالبيانِ ، والمعاني ، والدقائق، ولا خبرةَ لهم بالبرهان والمنطق، ولا يعرفون اللهَ تعالى بالدليلِ، ولا هم منْ فقهاءِ المِلَّةِ، فاسكت بحلمٍ أو انطق بعلمْ ، فالعلمُ النافعُ هو ما جاء عن أمثالِ هؤلاء ، ولكنْ نسبتُك إلى أئمةِ الفقهِ كنسبةِ مُحدِّثي عصرِنا إلى أئمةِ الحديث، فلا نحن ولا أنت، وإنما يَعرفُ الفضلَ لأهلِ الفضلِ ذوُ الفضلِ، فمن اتقى الله راقبَ اللهَ واعترفَ بنقصِه، ومَنْ تَكلَّم بالجاهِ وبالجهلِ، أو بالشرِّ والباو فأعرض عنه وذرْهُ في غيّه فعُقْباهُ إلى وبالٍ، نسألُ اللهَ العفوَ والسلامةَ. (تذكرة الحفاظ 2 / 628) .

==============

إني أتعس امرأة

هذا الاعتراف رسالة كتبتها الممثلة الأمريكية (مارلين مونرو) التي انتحرت بعد حياة بائسة.

وقد كتبتها لفتاة طلبت نصيحتها إلى أفضل طريق للتمثيل فقالت:

إلى هذه الفتاة وإلى كل فتاة ترغب في العمل في السينما : إحذري (المجد) . إحذري كل من يخدعك بـ (الأضواء) .

إني أتعس امرأة، أفضّل البيت والحياة العائلية (الشريفة)على كل شيء.

إن السعادة الحقيقية للمرأة هي في (الحياة العائلية الشريفة الطاهرة).

بل إن هذه الحياة العائلية هي رمز سعادة المرأة، بل الإنسانية " .

وتقول في النهاية : [لقد ظلمني كل الناس، وإن العمل في السينما يجعل من المرأة (سلعةً رخيصةً تافهة)، مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة، إني أنصحُ الفتيات بعدم العمل في السينما والتمثيل، إن نهايتهن – إذا كن عاقلات كنهايتي] [1]

إنها كلمات صادقة، صدرت من امرأة عانت الكثير من الشقاء والألم، رغم ما وصلت إليه من الشهرة والثراء، ولكنها سنة الله التي لا تتبدل، ((وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً)) (طه: من الآية124) .

فاعتبروا يا أولى الأبصار .

كم كنتُ سافلة

في مقابلة أجريت مع الممثلة المشهورة (بريجيت باردو).

قال لها الصحفي: لقد كنت في يومٍ من الأيام رمزاً للتحرر والفساد .

أجابت قائلة : [هذا صحيح، كنت كذلك، كنت غارقة في الفساد الذي أصحبت في وقتٍ ما رمزاً له، لكن المفارقة أن الناس أحبوني عارية، ورجموني عند ما تبت]

ثم تقول نادمة : [عند ما أشاهد الآن أحد أفلامي السابقة، فإني أبصق على نفسي، وأقفل الجهاز فوراً، كم كنت سافلة]

ثم تواصل قائلة : [قمة السعادة للإنسان الزواج، إذا رأيت امرأة مع زوج وأولادٍ، أتساءل في نفسي : لماذا أنا محرومة من هذه النعمة ؟ !][2] أ . هـ .

ما أتعس الإنسان حين يبصق على نفسه، ويعترف بأنه كان سافلاً منحطاً، ولا غرابة في ذلك، فإنها ضريبة الفن والفساد والتحرر المزعوم .

[1] المرأة بين القانون والفقه لمصطفى السباعي .

[2] بناتنا بين التغريب والعفاف " للشيخ ناصر العمر .

==============

الجمعيات النسائية صلاح أم ...؟!

إنَّ السببَ في دخول البلاء على ديار الإسلام، هي دعوات فاجرة، ظهرت وتدرجت بالمسلمين شيئاً فشيئاً، إلى أن وصل بهم الحال إلى ما نراه اليوم، وقد تكون هذه الدعوات قد دخلت عن طريق بعض المشاريع الخيرية، كما هو حاصلٌ في

الجمعيات النسائية التي تُسمى بالخيرية، فتعمل أعمالاً فيها نفعٌ للمجتمع، كاستقبال المعونات والزكوات والصدقات من الناس، وتأخذ ما زاد عن الحاجة من الولائم، مما قد يرمى في أماكن جمع النفايات، فتوزع ذلك بين الفقراء، ولكن هذه الجمعيات النسائية لا ينطلي جيلها على من سير أحوال الأمة الإسلامية جمعاء، فإنَّ الشر ما دخل عن طريقها إلاَّ لكونها ذريعةً لخروج المرأة من بيتها؛ ولأنَّه يتسلل إليها عناصر مشبوهة، فتنتشر أفكارها من خلالها، وتقوم بنشاطاتٍ مخالفة للإسلام، وتكمنُ خطورة هذه الجمعيات في صعوبةِ مراقبتها، لكونها أماكن مغلقة، فلا يدري ما يدورُ في داخلها، وهي إحدى الوسائل التي استعملت لإفساد المرأة في بلاد المسلمين، ولنأخذ مثالاً على ذلك مصر؛ لكونها من أوائل البلدان الإسلامية التي مرت بهذه التجربة، والتي كانت عاقبتها وخيمة جداً، يراها كل مبصر، فحينما كانت الدول العربية تخوض حربها الأولى مع اليهود، تكون حزبٌ نسائي اسمه حزب بنت النيل في عام 1949م، ولم يمضِ قليل حتى أصدر ذلك الحزب الناشئ مجلة اللغة الفرنسية، ثُمَّ أصدرَ مجلةَ البلبل للأطفال، وبعد أشهرٍ قليلة من تكوين ذلك الحزب، سافرت رئيسته إلى بريطانيا، فقوبلت بحفاوةٍ عظيمة، ورحبت بها الصحف البريطانية، ونشرت عنها الأحاديث العديدة، التي تصورها بصورة الداعية إلى تحرير المرأة المصرية، من الأغلال التي تثقل كاهلها، وتعوقها عن التقدم، ومنها أغلال الحجابِ والطلاق وتعدد الزوجات، وقد ازدادت صلة هذا الحزب بالاستعمار وضوحاً، حينما نشرت مجلة روز اليوسف بعد ذلك مقالاً جاء فيه، قولها: (استقالت عضوة في إحدى الهيئات النسائية، وأرسلت استقالةً مسببةً إلى رئيسة الهيئة، تتهمهمُ فيها بأخذ إعاناتٍ مالية من إحدى السفارات الأجنبية، وقد قبلت الرئيسة الاستقالة دون عرض الخطاب على مجلس الإدارة)، ولم يمضي إلاَّ قليل، حتى أكدت للجمهور المصري في عددها (24) هذا النبأ، وزادته وضوحاً حيث قالت : ((تشترك كل من السفارات البريطانية والأمريكية بمبلغ ألف جنيه سنوياً، في بعض المجلات التي يصدرها حزب بنت النيل))، هكذا كُشف الغطاء، فظهر المستورُ، وعرف الناسُ سرَّ هذه القوة الجبارة، التي استطاعت إصدار ثلاث مجلات مختلفة في آنٍ واحد، وعلى ورق مصقول، وبدأت نساء هذه الجمعيات في الاتجاه على المظاهرات، مطالبات بالنقمة نفسها،

إلغاءَ الطلاق، وتعدد الزوجات، وأبرقت جمعية سان جيمس النسائية بإنجلترا تهنئ الهيئات النسائية المصرية، على كفاحها من أجل الحقوق السياسية، وتعلن تأييدها لها باهتمامٍ عجيب من كل ناحية، لا يفسرهُ إلاَّ اتفاق هذه النواحي في موقفها من مصر، وقد شوهدة بعض القرارات التي اتخذت في مؤتمر أثينا، الذي حضرته رئيسة بنت النيل سنة 1951م، كشفت سرَّ اهتمام الهيئات النسائية الدولية بحركات الأحزاب النسوية في مصر، حينما أيدت مندوبة الحزب المصري سياسة التسلح الدفاعي، التي يندرج بها الاحتلال البريطاني للبقاء في أرض الوطن، ورفض الجلاء، ومثل هذا الحزب النسائي امتداداً لتلك الحركة التي قامت بها نازلي فاضل، وهدى شعراوي. فأما نازلي فاضل هذه فجدها إبراهيم باشا الذي هدم بدرعية، وفعل أفاعيله المعروفة، ونازلي هذه كانت أداة في يد الإنجليز، وذلك أن الصطبي الحقود مرقص فهمي، حينما أصدر كتابه (المرأة في الشرق)، الذي دعا فيه صراحة القضاء على الحجاب الإسلامي، ودعا لإباحة اختلاط المرأة المسلمة بالأجانب عنها، ولتقييد الطلاق، وإيجاب وقوعه أمام القاضي، ومنع الزواج بأكثر من واحدة، وإباحة الزواج بين المسلمات والأقباط النصارى، فقد أحدث هذا الكتاب ضجةً عنيفة، فبدأ الاستعمار الإنجليزي إثر هذه الضجة يبحث عن وسيلة لشد أزر مرقص فهمي، فلجأ إلى الأميرة نازلي فاضل ليستعجلها على عمل شيء يساندُ مرقص فهمي، من خلال صالونها الذي افتتحتهُ آنذاك، ليكون مركزاً تبث منهُ الدعوة إلى التغريب عامة، وإلى تحرير المرأة خاصة، وكان من نتيجة تعاونها مع الإنجليز على شدِّ أزر مرقص فهمي، أن ضغطت على قاسم أمين الذي ألف كتابهُ تحرير المرأة، وما بعده من كتب،

وأما هدى شعراوي فهي ابنة محمد باشا سلطان، الذي كان يرافق جيش الاحتلال البريطاني في زحفه على القاهرة، ويدعو الأمة إلى استقباله وعدم مقاومته، ويهيبُ بها إلى تقديم كافة المساعدات المطلوبة له، وقد سجل له التاريخ تقدمهُ مع فريق من الخبراء بهديةٍ من الأسلحة الفاخرة إلى قادة جيش الاحتلال، شكراً لهم على إنقاذ البلاد، وقد قوبلت خدمات سلطان باشا هذه من الإنجليز بالإنعام عليه بألقاب تخوله للقب سير، وأشاروا على الخديوي فمنحه عشرة آلاف من الجنيهات الذهبية، ولذلك

فغير مستغرب أن ينتج هذا الأفعى تلك العقرب هدى شعراوي، فهي ذرية بعضها من بعض، فهدى هذه هي التي أكدت الإتحاد النسائي المصري عام 1923م، الذي أصبح يمارسُ نشاطه، حتى استطاع أن يمهدَ لعقد المؤتمر النسائي العربي عام 1944م، وقد حضرت مندوبات عن الأقطار العربية المختلفة، واتخذت منه القرارات المعتادة وفي مقدمتها : الطلاق وتعدد الزوجات، والمساواة التامة مع الرجال، وزاد على ذلك المطالبة بحذف نون النسوة.

============

مبررات منع المرأة من قيادة السيارة

مبررات منع المرأة من قيادة المركبات من المنظور التربوي الإسلامي

تأليف

د . عدنان حسن باحارث

آية وحديث

قال تعالى: {أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ} [الزخرف: 18].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((رُوَيْدَك يا أَنْجَشَةُ لا تكْسِرِ القَوَارِيرَ)) [صحيح البخاري].

مقدمة البحث

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن ظروف الحياة الاجتماعية المعاصرة تختلف عن فترات زمنية ماضية في العديد من جوانبها، فقد أصبح التجديد، والتطور، والتغير سمات بارزة لطبيعة الحياة المعاصرة، ولم تعد لدى غالب فئات المجتمع تلك القناعات السابقة التي كانت تحدُّ من عنف تيار التغيير الجارف. وقد أسهمت الطبيعة المتسارعة للحياة المعاصرة في زعزعة كثير من الثوابت الأخلاقية والعرفية، وشارك في ذلك التقدم التقني الهائل، وما رافقه من الإنتاج الصناعي المذهل، الذي انفتحت أمامه أسواق العالم التجارية . رغبة ورهبة . في الوقت الذي لم يكن للأمة المسلمة . ضمن هذه المنظومة العالمية

المتسارعة، والتطور العلمي والتقني . أيُّ دور جاد في هذا البناء الحضاري المعاصر يُخوِّلها فرضَ معاييرها الاعتقادية والأخلاقية، أو حتى لاحترامها والاعتراف بها ضمن ثقافات الأمم المتغلبة، مما أوقع الأمة المسلمة في شباك مصالح الآخرين المادية والفكرية، وزاد بالتالي من تمزُّقها وتفككها.

ولقد عاشت الأمة زمنًا ليس بالقصير تقاوم رياح التغريب، وتدفع عن نفسها موجات التغيير، إلا أن هذا الصمود وتلك المقاومة لم تدم طويلاً، حتى أخذت حصون الأمة تتداعى، ومعاقلها تتهاوى أمام قوى الغزو الفكري الجارف. حتى بلغت الأمة عصر العولمة، والانفتاح الثقافي العالمي الذي لم يكن ليبقي للأمة خصوصية تتميز بها، أو أصلاً تلوذ به، حتى وصل الداء إلى أخصِّ خصوصيات الأمة الاجتماعية، وأهم ما يُميّزها . اجتماعيًا . عن غيرها وهي قضية المرأة، ونوع الحياة التي يجب أن تحياها.

لقد أدرك الغربيون أن تغيير نمط الحياة الاجتماعية للأمة المسلمة لا يمكن أن يتم إلا من خلال تغيير أسلوب وأهداف تربية المرأة المسلمة، فكانت الهجمة . منذ فترة ليست قصيرة . على الوضع الاجتماعي للمرأة المسلمة في غاية القسوة، توَّجتها . في السنوات الأخيرة . مجموعة من المؤتمرات العالمية والندوات المحلية تُؤصِّل من خلال توصياتها توجهات عالمية عامة توحِّد نهج تربية المرأة في جميع أقطار العالم، وتُذيب الفوارق الثقافية، والأنماط الاجتماعية لتصب نساء العالم في قوالب ثقافية من شكل واحد، لا يفرِّق بينهن سوى ما تفرضه الجينات الوراثية من الألوان والأشكال.

ولقد عانت المملكة العربية السعودية منذ زمن . ولا سيما في الفترة الأخيرة ([1]) . من هجمات شرسة تستهدف الشريعة الإسلامية، ونمط الحياة الاجتماعية المحافظ، مما جعلها مقصودة من الدول الغربية ومنظماتها الإنسانية بالنقد والإساءة، تحت ستار حقوق الإنسان، مستهدفة بذلك وضع المرأة في بلاد الحرمين، وحقوقها المسلوبة . حسب زعمهم . في شكل لباسها، وأسلوب سفرها، ونوع ارتباطها الأسري، ومجالات عملها، وغيرها من قضايا المرأة المسلمة الحيوية.

وقد كان من بين هذه الانتقادات الموجهة إلى بلاد الحرمين حرمان المرأة من حق قيادة المركبات أو ما يسمى اليوم بالسيارات، بحجة أنه أصبح حقًا عامًا تستمتع به

كل امرأة راغبة في الدول الأخرى. دون نظر جاد لعواقب الأمور، وطبيعة المرأة، والخصوصية التي تتميز بها بلاد الحرمين الشريفين.

ولقد كان هذا الموضوع موضع اهتمام الباحث منذ زمن، ولا سيما بعد أن احتدم الصراع عبر وسائل الإعلام بين المشجعين والمانعين، رغبة في بيان وجه الصواب ضمن المنهج التربوي الإسلامي، الذي يعتمد الكتاب والسنة أساسًا للانطلاقة الفكرية والعلمية.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث المطروحة للدراسة في الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

ما مبررات منع المرأة من قيادة المركبات من المنظور التربوي الإسلامي؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس مجموعة من الأسئلة الفرعية التي يسعى البحث للإجابة عنها وهي على النحو الآتي:

1. ما المبرر الفقهي لمنع المرأة من قيادة المركبات ؟
2. ما المبرر الأخلاقي لمنع المرأة من قيادة المركبات ؟
3. ما المبرر الصحي لمنع المرأة من قيادة المركبات ؟
4. ما المبرر الفطري لمنع المرأة من قيادة المركبات؟
5. ما المبرر الاقتصادي لمنع المرأة من قيادة المركبات؟
6. ما المبرر التاريخي لمنع المرأة من قيادة المركبات؟

أهمية البحث:

تعاني الأمة المسلمة المعاصرة مشكلات اجتماعية واقتصادية كبيرة، وتأتي قضايا المرأة بطبيعتها وخصوصيتها في نظام الاجتماع الإسلامي لتضع الأمة المسلمة في حرج أمام العالم من حولها وهو يخوض في نظامه العالمي الجديد؛ ليصهر الشعوب المستضعفة في قوالب ثقافية عالمية متشابهة.

ولئن كانت قضية قيادة المرأة للمركبات أو السيارات . ضمن هذه الموجة العالمية . لا تعدو أن تكون جزئية ضمن قضايا كثيرة وكبيرة متعلقة بالمرأة إلا أنها حلقة من حلقات تماسك المجتمع، بانحلالها تنحل حلقات أخرى كثيرة، تنتهي بهتك خصوصيات المرأة المسلمة، ودخول المجتمع المحافظ في قضايا اجتماعية جديدة

ومتشعبة كان بالإمكان تفاديها، والوقائع والشواهد التي تدل على ذلك في كثير من الدول العربية والإسلامية لا تخفى.

والبحث في هذه المسألة يلقي الضوء بصورة علمية موثقة . ضمن التوجه التربوي الإسلامي . على المبررات التي من أجلها ترجَّح اختيار المنع من قيادة المرأة للسيارة، مما يدعم قرار وزارة الداخلية بالمملكة العربية السعودية في منع المرأة من مزاولة هذه المهارة، ويضيف البحث في هذا الميدان موضوعًا لم يسبق بحثه تربويًا – في حد علم الباحث– كما سيتضح من واقع الدراسات العربية السابقة، ومن جملة ما تقدم تظهر أهمية البحث.

أهداف البحث:

يهدف البحث من خلال فقراته إلى تحقيق الغايات الآتية:

1. إلقاء الضوء على المبررات المختلفة لمنع المرأة من قيادة المركبات.
2. الوقوف على التوجيه التربوي الإسلامي في مسألة قيادة المرأة للمركبات.
3. تحقيق القناعة الفكرية لدى المرأة المسلمة وأوليائها بعدم المطالبة بقيادة المركبات.
4. دعم قرار وزارة الداخلية بالمملكة العربية السعودية في منع المرأة من قيادة المركبات.

منهج البحث:

يتشعب البحث في العديد من الميادين العلمية التي تتطلب استخدام أكثر من منهج لمعالجة مشكلة البحث والإجابة على تساؤلاته، فقد استخدم الباحث المنهج الاستنباطي الذي يعد أهم المناهج المستخدمة في بحوث التربية الإسلامية، وذلك في معالجة الناحية الشرعية من البحث، وما يتعلق بها من النصوص والمنقولات الشرعية المختلفة. كما استخدم الباحث المنهج الوصفي الذي يعد أوسع المناهج التربوية استخدامًا، وذلك في معالجة المبرر الأخلاقي، والصحي، والفطري، والاقتصادي.

وأما المبرر التاريخي فقد استخدم الباحث لمعالجته المنهج التاريخي فيما يتعلق بتاريخ قيادة المرأة للمراكب.

الدراسات السابقة([2]):

1. دراسة محمد عيسى فهيم وآخران (1405هـ) بعنوان: "السلوك المزعج الصادر عن السائقين في أثناء القيادة . دراسة ميدانية بمدينة مكة المكرمة". كان هدف الباحثين التعرف على رأي أصحاب السيارات تجاه تصرفات السائقين المزعجة ومدى تكرارها، مع تحديد علاقة كل من العمر والمستوى التعليمي ونوع السيارة والجنسية والخبرة بمهارة القيادة إلى إدراك السائق للسلوك المزعج الصادر عن غيره من السائقين، ودرجة الشعور بهذا السلوك المزعج. وكانت عينة الدراسة مجموعة من السائقين من فئات عمرية وثقافية مختلفة داخل مكة المكرمة، حيث وُجِّهت إليهم استبانة مكونة من خمس وثلاثين فقرة، تستطلع إدراك: مدى انزعاجهم من السلوك القيادي المزعج، حيث اتضح من النتائج أن المستجيبين على وعي كامل بما يجري من السلوك المزعج في أثناء القيادة، ويتمتعون في غالبيتهم بوعي جيد بأنظمة المرور، وقد أعقب الباحثون الدراسة بمجموعة من التوصيات.

2. دراسة عبد الله النافع وخالد السيف (1408هـ) بعنوان: "تحليل الخصائص النفسية والاجتماعية المتعلقة بسلوك قيادات السيارات بالمملكة". وقد استهدفت الدراسة التعرف على الخصائص النفسية والاجتماعية التي تميز سلوك قيادة السيارات في المملكة، مع تحليل وتقويم لهذه الخصائص، وتحديد أكثرها ارتباطًا بسلوك القيادة غير الآمن المسبب للحوادث المرورية. وقد استخدم الباحثان أربع استبانات لجمع المعلومات الأساسية للمبحوثين، وطبيعة سلوك قيادة السيارات، ونوع سمات الشخصية، والمعلومات المرورية. وقد كانت عينة الدراسة من الذكور، شاملة لمناطق المملكة من فئات متنوعة. وقد توصلت الدراسة إلى نتائج من أهمها: وجود ميل نحو المخاطرة في القيادة لدى السائقين بالمملكة خاصة من الشباب، مع مخالفة للأنظمة المرورية، وعدم مراعاة أسباب السلامة، وقد ذيلت الدراسة بمجموعة من التوصيات والمقترحات للأفراد والجهات المعنية بالحركة المرورية.

3. دراسة ناصر عبد الله الصالح (1408هـ) بعنوان: "حوادث المرور بمدينة مكة المكرمة . العلاقة المكانية والاتجاهات الزمانية". وتهدف الدراسة إلى تحليل أسباب الحوادث في مكة المكرمة في ظل التوسع الهائل في أعداد السيارات وطبيعة ظروف منطقة المشاعر المقدسة. وقد اعتمد الباحث في جمع البيانات على إحصاءات إدارة

المرور خلال السنوات الثلاث: 1403، 1404، 1405هـ. حيث اتضح من الدراسة كثرة الحوادث في فترات المواسم، والإجازات الرسمية. كما أظهرت الدراسة وجود علاقة بين كثرة الحوادث وخطورتها وعدد السائقين دون سن 18 سنة، وأن أكثر الحوادث تقع من السعوديين والمتعلمين والعزاب، كما بينت الدراسة كثرة حوادث النهار عن حوادث الليل، ثم أعقب الباحث دراسته مجموعة من التوصيات.

4. دراسة اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (1410هـ) بعنوان: "حوادث السيارات وبيان ما يترتب عليها بالنسبة لحق الله وحق عباده". وقد كان هدف الدراسة معالجة أربع قضايا رئيسة هي: تصادم السيارات بعضها مع بعض، ما تحدثه بعض السيارات من دعس أو انقلاب، بيان ما يترتب على حوادث السيارات من العقوبات لمخالفة أنظمة المرور، وأخيرًا توزيع الجزاء على من اشتركوا في وقوع الحادث. وقد كشفت الدراسة عن وجود كم هائل من الذخيرة الفقهية العلمية في تراث الأمة الإسلامية حول قضايا حوادث التصادم وما يترتب عليها من أحكام الجنايات والغرامات والعقوبات. وقد عرضت الدراسة مجموعة من أمثلة الحوادث وما يترتب عليها من الأحكام الشرعية والعقوبات.

5. دراسة محمد المنجي (1993هـ) بعنوان: "دعوى تعويض حوادث السيارات" حيث شملت الدراسة قضايا كثيرة متعلقة بحوادث السيارات، والدعاوى المدنية ضد شركات التأمين. حيث عالج الباحث في فصول دراسته الجنائية، والتنظيم القانوني للدعوى ضد شركة التأمين، والحكم بالتعريض. حيث فصَّل الباحث في هذه المسائل من الجهة القانونية، وقد كان الدافع من وراء هذه الدراسة شدة حاجة الناس في العصر الحديث إلى تناول مثل هذه القضايا الشائكة الملحة بين المتضررين من حوادث السيارات وشركات التأمين، في وقت أصبحت فيه السيارات جزءًا من حياة الناس تلاحقهم بأضرارها وحوادثها في كل مكان.

6. دراسة عبد العزيز أحمد دياب (1416هـ) بعنوان: "الحوادث المرورية في المملكة العربية السعودية . دراسة اقتصادية للمحددات وطرق العلاج". حيث كان الدافع من وراء هذا البحث كثرة الحوادث في المملكة العربية السعودية في العقدين الأخيرين كنتيجة للنمو الاقتصادي المتسارع، وما ينجم عنها من هدر للثروة واستنزاف

للطاقات. وقد سعى الباحث إلى دراسة إحصائيات الحوادث المرورية في المملكة خلال الفترة من 1977م وحتى 1991م. وقد توصل الباحث إلى أن المتغيرات المستقلة التي تسهم بدرجة عالية من الثقة في تحديد الحوادث المرورية في المملكة هي: الدخل، وثمن السيارة، ووعي السائق، والحالة الفنية للسيارة، ووقت القيادة.

7. دراسة جهاد محمد قربة (1420هـ) بعنوان: "طبيعة العلاقات المجالية للحوادث المرورية داخل الوسط الحضري لمدينة الشارقة ـ دراسة تحليلية لفترة التوسع 1987م ـ 1992م". وقد سعى الباحث من خلال دراسته إلى التعرف على الحوادث المرورية التي تحدث داخل المجال الحضري لمدينة الشارقة، والوقوف على الأسباب الرئيسة وراء وقوع هذه الحوادث. وقد اعتمد في جمع البيانات العلمية على الإحصاءات والمحاضر الصادرة عن إدارة مرور إمارة الشارقة. وقد توصل الباحث إلى أن التوسع العمراني الذي شهدته المدينة كان سببًا رئيسًا في كثرة وقوع الحوادث. ثم أعقب دراسته بمجموعة من التوصيات المتعلقة بالتدريب والتوجيه، وأخرى بالتخطيط الحضري للمدينة.

8. دراسة عامر ناصر المطير (1421هـ) بعنوان: "قيادة التلاميذ للسيارات وأثرها على الحركة المرورية في المملكة العربية السعودية". تناول الباحث في دراسته مشكلة قيادة التلاميذ للسيارات وحوادثهم المرورية في مدينة الرياض، حيث أعد الباحث استبانة تم توزيعها على عينة من طلاب المرحلتين الإعدادية والثانوية بلغت 900 طالب من مدينة الرياض. وقد أسفرت الدراسة على أن ما نسبته 54% من طلاب المرحلة الإعدادية و87% من طلاب المرحلة الثانوية يقودون السيارات، وأن نسبة كبيرة منهم يرتكبون حوادث ومخالفات مرورية كثيرة، وأن نسبة تصل إلى ربع العينة من طلاب الثانوية تتعمد ارتكاب الخطأ المروري. كما اتضح من الدراسة أن مدينة الرياض تأتي في المرتبة الأولى من حيث عدد صغار السن دون 18 سنة المشتركين في حوادث المرور.

9. دراسة محمد حسين منصور (د. ت) بعنوان: "تدخل السيارة في حادث المرور ـ مناط مسؤولية القائد". تناول الباحث في دراسته استعراض وسائل النقل المختلفة

وطبيعة حادث المرور، وتدخل السيارة فيه سواء كانت المتحركة أو الساكنة، وحوادث فتح باب السيارة، إلى قضايا قانونية أخرى متعلقة بمسألة التأمين، وأضرار الحوادث.

التعليق على الدراسات السابقة:

من خلال الاستعراض الموجز للدراسات العربية السابقة التي وقف عليها الباحث في ضوء الموضوع المختار للدراسة الحالية اتضح أن هذه الدراسات في جملتها لم تتعرض لموضوع قيادة المرأة للمركبات، وأنها تشترك مع الدراسة الحالية في مسألة قيادة السيارات وما يتعلق بها من الحوادث، والآثار المترتبة على ذلك من الناحية الشرعية والاقتصادية والقانونية. فالدراسات: الثالثة والسابعة والثامنة جغرافية التخصص، والدراستان الخامسة والتاسعة تنحو منحنى قانونيًا، والدراسة الرابعة فقهية شرعية، والدراسة السادسة اقتصادية التوجه. إلا أن الدراستين الأولى والثانية أقرب الدراسات إلى موضوع الدراسة الحالية لطبيعتهما التربوية.

وهذه النتيجة التي ظهرت من خلال استعراض الدراسات السابقة: تعزز لدى الباحث اختيار الموضوع باعتباره دراسة جديدة لم يُسبق إليها من الناحية التربوية الإسلامية على الأقل.

* * *

مبررات منع المرأة من قيادة المركبات

من المنظور التربوي الإسلامي

تعتبر المواصلات من أهم المشكلات التي تواجه المرأة العاملة في هذا العصر، ولا سيما بعد التوسع الهائل في تشغيل النساء الذي شهده سوق العمل ضمن خطط التنمية المتعاقبة التي توصي بمشاركة النساء في التنمية الشاملة؛ ولهذا يضيق بعض النساء العاملات والمتحمسون لهن في البلاد المحافظة بالمنع من مزاولة المرأة قيادة السيارة، ويشعرن بالضيم، فلا يزلن يطالبن بذلك، دون نظر جاد لعواقب الأمور ([3]).

ورغم أن مهارة قيادة المركبات الصغيرة من حاجات هذا العصر المهمة ([4]): فإنها لا تبلغ عند المرأة المسلمة درجة الضرورة التي تبلغها عند رب الأسرة، بل ولا تبلغ درجة الحاجة التي تبلغها عند الشاب العَزَب الذي لا يقوم على أسرة، فهي في حقها

في الأعم الأغلب من باب التحسينيات التي لا تتضرر بنقصها، والنادر .كما هو معروف . لا حكم له ([5])؛ ولهذا يُلاحظ في البلاد التي تسمح للمرأة بالقيادة توافر السيارات لدى الشباب أكثر بكثير من توافرها لدى الفتيات ([6])، كما أن إتقان مهارتها يكاد يكون عامًا لدى غالب طلاب المرحلة الثانوية وكثير من طلاب المرحلة الإعدادية، حتى إن الشاب منهم يشعر بأن السيارة جزء من حياته، وعدم امتلاكها يمثل له نوعًا من الحرمان ([7]).

ورغم أن غالب دول العالم تسمح للنساء بممارسة هذه المهارة دون حرج، ورغم إتقان كثير منهن لها بصورة كبيرة ([8])، ورغم ممارسة جمع منهن لهذه المهارات في بعض الأرياف خارج المدن ([9]): فإن المختار في هذه القضية المنع، حتى في البلاد التي سمحت بها، واعتادها بعض النساء، فإن الأولى تركها، وإفراغ الوسع في تجنُّبها ([10])، لا لكون مهارة القيادة محرمة في ذاتها ولكن لما يمكن أن تفضي إليه من المحظورات المتعددة. ولعل فيما يلي من المبررات ما يجلي هذا التوجه ويقوي اختياره:

أولاً: المبرر الفقهي ([11]) لمنع المرأة من قيادة المركبات:

ويظهر هذا المبرر في كون الشريعة مبناها على جلب المصالح ودفع المفاسد، فما غلبت مصلحته أباحته، وما غلبت مفسدته منعته ([12]). فالمأمورات والمنهيات في الشريعة تشتمل كل منهما على مصالح ومضار، والحكم في كل منها على الأغلب ([13]). يقول ابن عبد السلام: "المصالح المحضة قليلة وكذلك المفاسد المحضة، والأكثر منها اشتمل على المصالح والمفاسد... والإنسان بطبعه يؤثر ما رجحت مصلحته على مفسدته، وينفر مما رجحت مفسدته على مصلحته"([14]). وهذه المسألة في تقديم الجهة الغالبة: من مسائل الإجماع عند العلماء، الثابتة بالكتاب والسنة والعقل، خاصة في هذا العصر الذي اختلطت فيه المصالح بالمفاسد بصورة كبيرة ([15]).

ومن هنا جاء باب سد الذرائع المفضية إلى المفاسد ([16])، أو المؤدية إلى إهمال أوامر الشرع، أو التحايل عليها ولو بغير قصد ([17])، فإن "سد الذرائع أصل من أصول الشريعة الإسلامية، وحقيقته: منع المباحات التي يُتوصل بها إلى مفاسد أو

محظورات... ولا يقتصر ذلك على مواضع الاشتباه والاحتياط؛ وإنما يشمل كل ما من شأنه التوصل به إلى الحرام"([18])، فالشارع الحكيم إذا حرَّم أمرًا حرَّم الوسائل المفضية إليه ([19])؛ فإن "الوسائل تبعٌ للغايات في الحكم"([20])، و"وسائل الحرام" ([21])، و"ما أفضى إلى حرام حرام".([22])

والمسألة الفرعية التي يختلف في حكمها الناس: يُؤخذ فيها بالإجماع، فإن لم يُوجد، أخذ بالأحوط، ثم بالأوثق دليلاً، ثم يُؤخذ بقول من يُظن أنه أفضل وأعلم ([23]). ولا شك أن ترك المرأة لقيادة السيارة في هذا العصر هو الأحوط على أقل تقدير؛ فإن"فعل ما يُخاف منه الضرر إذا لم يكن محرماً فلا أَقَلَّ أن يكون مكروهاً"([24])، حتى وإن تكلف رب الأسرة مهام نقل نسائه، أو اضطر لجلب الرجل الأجنبي لتولي هذه المهمة .كما هو حاصل في بعض البلاد ([25])- فإن هذا في العموم أهون الشرين، وأخف الضررين؛ لأن الضرر الخاص الذي تكلفه هذا الأب وأمثاله، وما يمكن أن يحصل من الرجل الأجنبي يُتحمل في سبيل دفع الضرر العام ([26]) الذي يمكن أن يعم المجتمع بتوسيع دائرة قيادة النساء للسيارات، فإن المفسدة العامة المنع فيها أشد من المفسدة الخاصة ([27]).

كما أن الفقهاء لا يعتبرون الطريق خلوة، فإنما الخلوة: الأمن من اطلاع الناس ([28])؛ بحيث يجتمع رجل بامرأة "في مكان لا يمكن أن يطلع عليهما فيه أحد، كغرفة أغلقت أبوابها ونوافذها وأرخيت ستورها"([29])، أو في فلاة لا يصلهما فيها أحد. ويُستأنس في هذا المقام بما نقله المروزي عن الإمام أحمد رحمهما الله حين سُئل عن: "الكحال يخلو بالمرأة وقد انصرف من عنده النساء، هل هذه الخلوة منهي عنها؟ قال: أليس هو على ظهر الطريق، قيل: بلى، قال: إنما الخلوة تكون في البيت"([30]). ثم إن مبدأ خدمة الرجل الأجنبي في السفر حين يركب النساء الهوادج كان أمرًا معلومًا منذ القديم، وقد كانت النساء زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحملن في الهوادج، ويقوم الرجال على خدمتهن وحمل هوادجهن ([31]). ولا يفهم من هذا التهاون في مسألة خلوة السائق بالمرأة ، فإن المفروض تقليل هذه الفرص، وضبطها قدر المستطاع؛ بل إن بعض العلماء([32]) يرى أن ركوب المرأة وحدها مع السائق الأجنبي أخطر من الخلوة في البيت ؛ لكونه يستطيع أن يذهب بها حيث

شاء. وقد عالجت بعض الأسر في البلاد التي يُسمح فيها بقيادة المرأة للسيارات مشكلة الخلوة بطريقة عجيبة حيث جلبت من بعض البلدان الأجنبية نساء سائقات. يتولين هذه المهام بدلاً من الرجال الأجانب ([33]).

ثانيًا: المبرر الأخلاقي لمنع المراة من قيادة المركبات:

وتظهر قوة هذا المبرر من حيث المفاسد الكثيرة التي يمكن أن تترتب على انطلاق النساء والفتيات بهذه المركبات الخاصة من: هجران المنزل، والسفر بغير محرم، والتعرض للمضايقات، والاختلاط بالأجانب، والتوسع في مجالات عمل المرأة المتعلقة بشؤون النساء السائقات، إضافة إلى مشكلات صيانة مركباتهن ضمن أجواء لا تناسب المرأة المسلمة، مع الاضطرار لكشف الوجوه، إلى مفاسد كثيرة يمكن أن تحدث إذا استمرأ المجتمع صورة المرأة السائقة ([34])؛ فإن غالب التغيرات الاجتماعية التنازلية تبدأ باليسير ثم تنتهي بما لا قِبَل للمجتمع به، وكما قيل: معظم النار من مستصغر الشرر؛ ففي بريطانيا قبل خمسين سنة تقريبًا كانت المرأة لا تحصل على رخصة القيادة إلا بعد إذن زوجها ([35])، ثم ما لبث أن فتح لهن الباب على مصراعية. وفي إحدى البلاد المحافظة كانت المرأة لا تركب المواصلات العامة الصغيرة إلا مع محرم لها، ثم تبدل الوضع وتوسع الأمر دون نكير ([36]). وهكذا طبائع الناس تنتقل من الأهون إلى الأشد بالتدريج حتى يصبح الممنوع مرغوبًا فيه، والسيارة كمركبة متحركة داخل المجتمع ليست حصنًا للمرأة من أن تُنال بسوء، أو تتعرض للفتنة، أو تعرض غيرها للافتتان، ولا سيما عندما تتعطل مركبتها في أماكن لا تأمن فيها المرأة على نفسها.

ثالثًا: المبرر الصحي لمنع المراة من قيادة المركبات:

ومبنى هذا المبرر أن الشريعة تنهى عن التعرض للهلاك؛ إذ حفظ النفس من مقاصدها ([37])، وقيادة المرأة للسيارة يعرضها للتلف ([38])، فإن السيارة آلة عنيفة لا تناسب طبيعة الإناث، وقد أكدت ذلك دراسة بريطانية على مجموعة من النساء السائقات، حيث توصلت إلى "أن 58% منهن يتوفين قبل الأربعين، و 60% منهن يصبن بأمراض نفسية، وقالت الدراسة: إن قيادة المرأة للسيارة لا تليق ولا تتناسب معها"([39]). ولا تزال هذه الآلة تتصف بالعنف حتى بعد تطورها، فإن حوادثها على

المستوى العالمي في غاية القسوة، وغالبًا ما يتعرض لها العُزَّاب من الشباب، والنساء المبتدئات، وينفرد الشباب بأعنف وأشد حوادثها ([40]). وقد أشارت الإحصاءات أن نسبة ضحايا حوادث المرور في دول الخليج تفوق نسبتها في أمريكا وبريطانيا ([41])؛ حيث يهلك في كل ساعة سبعة أشخاص في دول مجلس التعاون الخليجي ([42])، ويهلك في المملكة العربية السعودية وحدها . التي سجلت أعلى معدل لحوادث السير في العالم . حوالي سبعة أشخاص يوميًا ([43]).

وبلغ عدد الحوادث في العالم العربي خلال عام 2000م نصف مليون حادث، نجم عنها اثنان وستون ألف قتيل ([44]). ولا شك أن توسع النساء في هذه الممارسة سوف يزيد من نسبة تعرضهن للهلاك، مما يجعل هذه المهارة خطيرة على شخص المرأة، وعلى دورها التناسلي الذي يستوجب مزيدًا من السكون والاستقرار ([45])، إلى جانب ما يحدثه هذا التوسع من استنزاف للبيئة وتلويثها ([46]).

ويحاول بعض المتحمسين لتمرير موضوع قيادة المرأة للسيارة بضبطه من خلال منعهن من السفر بسيارتهن خارج المدن، والسماح لهن بقيادتها في فترات النهار دون الليل ([47]). وقد اتضح من خلال بعض الدراسات المحلية بالمملكة العربية السعودية أن 79% من حوادث السيارات تحصل داخل المدن، و65% منها تحصل في فترات النهار، كما أن

65% من هذه الحوادث تشارك فيها سيارات من الحجم الصغير ([48])، وهو الحجم المناسب من السيارات المرشح للمرأة. ويضاف إلى كل هذا وجود تلك العلاقة القوية بين ارتفاع درجة حرارة الجو وزيادة عدد الحوادث ([49])، ومن المعلوم أن دول الخليج من أكثر دول العالم ارتفاعًا في درجات الحرارة. ولما كان غالب حوادث السيارة "تقع في الوقت الذي يجب أن يكون فيه الإنسان في أعمق فترات النوم"([50])؛ فإن مزيدًا من الحوادث المرورية سيكون من نصيب المرأة العاملة السائقة؛ لكونها أكثر فئات المجتمع على الإطلاق جهدًا، أقلهن نومًا ([51]). ثم إن متغير التعليم والزواج لا دخل لهما في التقليل من حوادث السيارات؛ فقد دلت إحدى الدراسات في المملكة العربية السعودية على أن أكثر من 76% من السائقين

المشتركين في حوادث المرور من المتعلمين، وأكثر من 53% منهم من المتزوجين؛ مما يدل على أن التعليم والزواج لم يخففا من أزمة الحوادث المرورية ([52]).

رابعًا: المبرر الفطري لمنع المرأة من قيادة المركبات:

وتظهر حجة هذا المبرر من حيث رقة جهاز الأنثى العصبي الذي لا يساعدها على حسن الأداء ([53])، وسرعة ارتباكها في أثناء القيادة لأبسط الأسباب ([54])، إلى جانب الخوف الذي ينتابها عادة من المسافات الطويلة ([55])، والخوف أيضًا من المناطق المفتوحة، الذي يزيد عند الإناث كلما كبرت أعمارهن ([56])، وهو ما يُسمى برهاب الساح، وهو نوع من الخوف ينتاب بعض الناس من المناطق المزدحمة والمفتوحة ([57])، إلى جانب ضعف قدراتهن على تعلم المفاهيم الجغرافية، كالمواقع والأماكن وتقدير الحيز الفراغي المرئي والمسافات، وقلة خبرات السفر لديهن؛ ولهذا يُلاحظ أن الإناث أقل قدرة على تعلم المفاهيم الجغرافية من المذكور ([58]). ولا شك أن هذه القضايا الفطرية مهمة لإتقان مهارة القيادة.

وأهم من هذا كله الضعف الصحي العام الذي لا تنفك عنه المرأة في العموم من آثار الدورة الشهرية، ومضاعفات النفاس وفترة الحمل، من حيث: الانفعالات النفسية، وارتفاع الضغط، وكثرة الصداع، والتوتر، والقلق، والتذبذب، والكآبة، وحدة المزاج، والآلام العامة خاصة في الحوض والظهر، والغثيان، وما يصيب عامة النساء الحوامل من الاضطرابات النفسية، وما يرافق ذلك من انكماش فطري طبيعي في حجم الدماغ عندهن في أثناء الحمل، وما يصاحب ذلك من ضعف الذاكرة، وصعوبة التذكر. إلى جانب تأثير هذه الأعراض على الاتزان العام، مما قد يدفع المرأة في هذه الظروف الفطرية إلى شيء من العنف والعجلة في بعض المواقف ([59])؛ ولهذا يشير العديد من الدراسات والإحصاءات المختلفة إلى ارتفاع نسبة تعرض المرأة أكثر من الرجل للاضطرابات النفسية، وحدة الانفعال، والانهيارات النفسية خاصة في هذه الفترات الفيسيولوجية، وبعد الولادة، وفي سن اليأس، وبعد عمليات الإجهاض ([60]). ومن المعلوم أن واحدة من هذه الأعراض الجسمية لا تسمح للرجل واقعيًا ولا نظاميًا بالقيادة، فكيف بها مجتمعة؟ ولا شك أن ما بين ربع إلى ثلث النساء على الأقل يقعن تحت هذه التأثيرات الفطرية بصورة دائمة، بمعنى

أن ثلث النساء في المجتمع لا يصلحن . تحت ضغط هذه الطبيعة الفطرية وتأثيراتها الجسمية . لقيادة السيارات. ولعل هذه الأسباب كانت وراء قلَّة أعداد النساء السائقات في العالم مقارنة بأعداد الرجال.

ولعل أعظم من هذا وأخطر: التأثير السلبي لنزيف الدماء الطبيعية على حاستي السمع والبصر عند النساء ([61]) . أهم عناصر هذه المهارة . ولهذا يُلاحظ كثرة حوادث النساء المرورية في العموم ، ولاسيما في أثناء فترة الحيض وما قبلها بقليل ،حيث تزيد لديهن العصبية، وتكثر لديهن الغفلة والنسيان والشرود الذهني، وهن في العموم يعانين من نقص في الاتزان النفسي والفسيولوجي، يجعلهن أكثر تعرضاً للسآمة والتعب، وأقل انتباهاً وتركيزاً، وأميل للتوتر والقلق، ولاسيما المرأة العاملة، التي تجمع بين العمل الوظيفي ومسؤولياتها المنزلية ؛ لذا فإن أكثر النساء أكثر تعرضاً لعصاب قيادة المركبات – أكثر من الذكور ([62])، مما يجعل قضية القيادة بالنسبة لهن في غاية الحرج. ومن المعلوم أن السائق هو همزة الوصل بين المركبة والطريق، وصفاته الوراثية والمكتسبة ومهارته وخبرته تلعب أدوارًا رئيسة في حصول الحوادث، وقد ثبت يقينًا من خلال الواقع أن السائق يتحمل أكثر أسباب الحوادث المرورية ([63])، وهي مرتبطة – إلى حد كبير – بشخصيه، فقيادة السيارة تشكل ضغطاً على نفس قائدها حين يحتاج إلى طاقات نفسية وذهنية وجسمية، تمكنه من التعامل مع الطريق وشكله، وما يحويه من متغيرات كالسيارات الأخرى، والمارة، وإشارات المرور، وظروف الازدحام، وهذا يتطلب من السائق درجة عالية من الانتباه ، والتركيز، والتوازن النفسي ، وقدرة جيدة على الحركة التلقائية السريعة التي تحصل بالخبرة والمران ، وتأتي بعفوية دون قصد.([64])

ولعل هذه الأسباب الفطرية في عنصر النساء كانت السبب في رفع قيمة التأمين على السيارات التي تمتلكها النساء ([65])، ومن المعلوم أن شركات تأمين السيارات تراعي ظروف الشخص المتقدم لطلب التأمين؛ ولهذا تزيد من قيمته على الأشخاص المطلقين ([66])؛ لكونهم في الغالب يعيشون حالة من التوتر النفسي الذي يعد سببًا رئيسًا في وقوع الحوادث.

خامسًا: المبرر الاقتصادي لمنع المرأة من قيادة المركبات:

ويظهر هذا المبرر من الناحية الفقهية في حالات حوادث المرور وما يقع فيها من الجنايات؛ حيث تُعفى المرأة مطلقًا من المشاركة في دية المقتول خطأ حتى وإن كانت هي الجانية، في حين يشترك الجاني البالغ من الذكور . على خلاف بين الفقهاء . مع باقي العاقلة من القرابات في دفع دية القتل الخطأ ([67])، بل وتستمتع المرأة مع الورثة في الحصول على نصيبها من دية زوجها ([68])، في الوقت الذي لا تُكلَّف فيه مع العاقلة بشيء، وهذا فيه إجحاف اقتصادي بحق رجال الأسرة من العصبات إذا مُكِّنت الفتيات من ممارسة أسباب العطب، خاصة إذا شعرن بالأمان من مغبة تحمل الغرامة المالية، ومن المعلوم أن الأصل في إلزام العاقلة دفع الدية في حال القتل الخطأ . مع ما فيه من التعاون . هو تأديبها لتقصيرها في كفِّ المستهترين والطائشين المنتمين إليها من العبث بأمن المجتمع، مما يدفعها . بصورة تضامنية جماعية . لحفظ سفهائها، ومن يُتوقع منهم الخطأ الذي يُكلفها الغرامات المالية ([69]).

وأما الزعم بأن مسألة الدية في مثل هذه الجنايات قد انحلت اليوم من خلال التأمين التجاري فلا حاجة إلى نظام العاقلة؛ فإن هذا النوع من التأمين القائم اليوم في المعاملات التجارية ممنوع شرعاً ([70]) , والضرر . كما هو معلوم شرعاً . لا يُزال بضرر, والخطأ لا يُعالج بخطأ.كما أن التأمين التعاوني . الغائب من المعاملات الاقتصادية المعاصرة . لو عُمل به في مثل هذه الجنايات – بالشروط الشرعية– لكان جلُّ ميزانياته تُنفق في جنايات النساء السائقات . ولا سيما المبتدئات منهن . والشباب المتهور، مما يُجحف من جديد بباقي المساهمين، من الحريصين على سلامة المجتمع وأمنه. ولهذا لن يرضوا بمشاركة هذه الفئات المتوقع منها الضرر بصورة كبيرة في صندوق تأمينهم التعاوني، مما سيضطر هذه الفئات . من جديد . للرجوع مرة أخرى بأزماتها الجنائية إلى العاقلة والعصبات، مما يُعطي لنظام العاقلة أهميته الاقتصادية والتعاونية، ودوره التربوي التوجيهي في الحياة الإسلامية ([71]).

وفي الجانب الآخر من المسألة الاقتصادية: استهلاك الثروة في هذه المراكب، وتجميد الأموال فيها، والاستنزاف المالي في مصروفاتها، وخسائرها التي تُقدر في دول الخليج ببليون دولار، وفي المملكة وحدها بملياري ريال، إضافة إلى ضغط

الحركة المرورية في البلاد النامية التي لا تتسع طرقها لمراكب الرجال فضلاً عن مراكب النساء والفتيات، خاصة بعد أن ثبت أن ازدحام الطرق من أعظم أسباب كثرة الحوادث ([72]). وفي بلد مثل المملكة العربية السعودية زاد عدد السيارات تسعة أضعاف ما بين عامي 1395هـ و 1411هـ ([73])، وأعجب من هذا ما أشارت إليه الإدارة العامة للمرور بالمملكة أن واقع عدد السيارات عام 1405هـ تضاعف عما كان عليه عام 1391هـ ثمانية وعشرين ضعفًا ([74])، وأعجب من هذا وأغرب ما أشارت إليه إحدى الدراسات أن عدد السيارات في المملكة تضاعف 38 مرة في الفترة ما بين عام 1391هـ وعام 1413هـ، كما أشارت الدراسة إلى أن ما بين كل 1000 شخص في المملكة هناك 350 شخصًا يمتلكون سيارة خاصة، رغم أن النساء لا يقدن فيها السيارات، في حين يملك في بريطانيا السيارة الخاصة من كل 1000 شخص 306 شخص ([75]).

"وبالرغم من التوسع الهائل في المملكة في إنشاء الطرق داخل المدن وخارجها فإن هذا التوسع لا يُواكب الزيادة الهائلة في أعداد السيارات ووسائل النقل الأخرى، وهذا قد سبب . ولا شك . الكثير من الاختناقات المرورية والزحام الشديد في المواصلات خاصة في المدن الكبيرة كجدة والرياض"([76]). فهاتان المدينتان مع مدينة الدمام تستوعب ثلث سكان المملكة تقريباً ([77]). ولا شك أن لو سُمح للنساء بالقيادة لزاد عدد السيارات بصورة كبيرة لا تستوعبها الطرق، في الوقت الذي يُهدد فيه العالم . ولا سيما في الدول الصناعية . بزيادة عدد السيارات والتلوث البيئي. ومن المعلوم أن سحر السيارة الجديدة في هذا العصر مظهر من مظاهر الترف الذي يتنافس فيه الناس ([78])، وسوف يكون في غاية القوة والترف إذا شارك النساء في هذه المنافسة الاجتماعية الأخَّاذة؛ لكونهن . بالفطرة . مأخوذات بعواطفهن، مشدودات برغباتهن. فلن يكون امتلاك السيارة عن حاجة بقدر ما يكون للمفاخرة والاستكثار، وقد دلَّ البحث الميداني في دول الخليج على أن عدد السيارات للأسرة الواحدة يزيد عند الأسر التي لا يشارك نساؤها في قوى العمل، وتقل أعدادها في الأسر التي يشارك نساؤها في قوى العمل ([79])؛ مما يدل على أن امتلاك السيارة ليس هو

دائمًا للحاجة؛ فإن المرأة العاملة التي يقل لدى أسرتها عدد السيارات قد تكون أحوج إليها من غير العاملة التي يكثر لدى أسرتها عدد السيارات.

سادسًا: المبرر التاريخي لمنع المرأة من قيادة المركبات:

يعتمد المؤيدون لقيادة المرأة للسيارة على المبرر التاريخي رغم أنه لا يُؤيد توجههم؛ فعلى الرغم من الفارق الكبير بين طبيعة وظروف قيادة السيارة وقيادة الدواب فإن النساء منذ القديم لم يكنَّ من أهل الخيل والفروسية إنما الخيل من مطايا الرجال ([80])، وقد كان من المستغرب ركوب النساء للخيل في بلاد زنجبار في القرن التاسع عشر،([81]) والسيارات الخاصة أشبه مراكب هذا العصر بها ([82])، فهي من هذه الجهة متعلقة بالرجولة إلى حد كبير ([83]). ولهذا لا يجد الباحث ذكرًا للنساء عند ذكر الخيل والفروسية؛ لما اشتمل عليه ركوب الخيل من البطولة والطلب والهرب، ومواقع القتال من الكر والفر ([84])، مما لا يناسب الطبيعة الأنثوية، بل إن بعض القبائل في القديم كانت تُحرِّم على النساء ركوب الخيل لمعتقدات وأخلاق اجتماعية كانوا يرونها ([85]).

وأما البغال . مع كونها ليست من المراكب الآمنة بصورة مطلقة . فقد نُقل عن بعض نساء السلف ركوبها وهنَّ مستورات بستور أو في بواطن الهوادج ([86])، إلا أن الإبل كانت من أوسع مراكب النساء العربيات وألطفها بأحوالهن، ومع هذا لم يكنَّ . في الغالب . ينفردن بركوبها، فقد ارتبط ركوبهن عليها بالهوادج المستورة، التي يتولى قيادتها عادة ساقة الإبل من الرجال ([87])؛ ولهذا ارتبط الهودج بالمرأة في تنقلها وأسفارها ([88])، وحتى على مستوى التعريف اللغوي والاصطلاحي فالهودج مركوب المرأة ([89])، وأبعد من هذا تفسير رؤية الهودج في المنام بالمرأة عند مفسري الأحلام ([90]). ومما يُشير إلى هذا أيضًا ويؤيده جواب التابعي أبي ثفال المري حين سُئل عن خروج المرأة؟ فقال: "لأي شيء تخرج؟ والله لا تنفر في النفير ولا تسوق البعير"([91])، ولما استأذنت عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في العمرة أردفها أخوها عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما خلفه على الدابة، ولم تنفرد بركوبها وحدها ([92])، ومن المعلوم أن سائق إبل النساء يتلطف في سيره، ولا يشتد عليهن خوفًا من سقوطهن لقلة ثباتهن على الدواب ([93])؛ فقد

وصفهن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقوارير ([94])، يعني أنهن كالزجاج، "يُسْرع إليها الكسر، ولا تقبل الجبْر"([95]). وقد وصفت السيدة عائشة رضي الله عنها اعتناء الرجال، وقيامهم على بعيرها وهودجها فتقول: "وكنت إذا رُحِّل لي بعيري جلست في هودجي، ثم يأتيني القوم ويحملونني، فيأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به"([96])، وفي خبر الإفك لما تأخرت عن الركب، وأدركها صفوان بن المعطَّل رضي الله عنه قالت: "ثم قرَّب البعير فقال: اركبي، واستأخر عني فركبت، فأخذ برأس البعير وانطلق سريعًا يطلب الناس"([97])، يعني أنها لم تنفرد بقيادة البعير رغم وقوعها في مثل هذا الموقف الحرج، في خلوة مع شخص أجنبي، وما ترتب على مرافقته لها ـ بعد ذلك ـ من أزمة اجتماعية خطيرة. وفي هذا المعنى يصف الأخطل ـ شاعر الأمويين ([98]) ـ رحيل النساء على الإبل حين يسوقهن الحادي، وقد رُحِّلت مراكبهن فيقول:

لبثن قليلاً في الديار وعُوليتْ على النُجْب للبيض الحسان مراكب

إذا ما حدا الحادي المجدُّ تدافعت بهن المطايا واستُحثَّ النجايب ([99])

وهذا كلُّه يُشير ـ في الجملة ـ إلى أن مهارة القيادة للآليات أو للدواب مرتبطة بالذكور ارتباطًا وثيقًا؛ بل إن المرأة المعاصرة لم تقد السيارة في أوروبا إلا قبل زمن يسير؛ فإلى الثلاثينات من القرن العشرين الميلادي كانت السيارة حكرًا على الرجل، ووسيلته لجذب المرأة وإغرائها بالزواج ([100])، إلا أنه ذُكر أن صانع أول سيارة في ألمانيا عام 1888م سمح لزوجته أن تقودها لأول مرة أمام الجماهير ([101]). وهذا الخبر إن صحَّ لا يعدو أن يكون لطيفة من اللطائف الأوروبية؛ وإلا فإن تحريك عجلة القيادة إلى عهد قريب جدًا كان شديدًا على الرجل المكتمل البنية فضلاً عن أن يكون سهلاً بيد المرأة العادية.

* * *

الخاتمة

إن هذه المبررات المتعددة لكفِّ النساء عن مزاولة مهارة قيادة السيارات لا تُجيز ـ في الجانب الآخر ـ للمرأة المسلمة أن يُقتطع من عرضها وشرفها في المواصلات العامة

المزدحمة بالأجساد المتراكمة كما هو حاصل في كثير من البلاد النامية ([102])؛ وإنما الهدف من كل هذا ربط المرأة بحصن البيت من الجهة المالية عن طريق تطوير التنمية الاقتصادية العائلية، من خلال الصناعات المنزلية التي أثبتت جدواها الاقتصادية ([103])، مع الاستفادة من فرص العمل المتاحة عبر شبكات الإنترنت التي أصبحت واقعًا في كثير من بلاد العالم ([104])، فلا تحتاج للكسب خارج نطاق الأسرة. وربطها أيضًا بالبيت من الجهة المعرفية من خلال التعليم عن بعد بوسائله المختلفة، فقد أصبح هذا النوع من التعليم واقعًا عالميًا مقبولاً ([105])، فلا يبقى للمرأة خارج المنزل إلا ما لا بد لها منه من الحاجات والمصالح.

وإلى جانب ذلك لا بد أيضًا . ضمن ظروف الحياة الواقعية . من التوسع في وسائل النقل العام من الحافلات الكبيرة ونحوها؛ بحيث تصبح أكثر جدوى وراحة وأمانًا بالنسبة للمرأة المحتاجة للخروج، كالمعلمة والطالبة ونحوهما. إلا أن الواقع يشهد بقصور وسائل النقل العام؛ ففي بلد كالمملكة العربية السعودية لا يزيد النقل العام عن استيعاب 7% فقط من حركة الرحلات المرورية، في الوقت الذي يستوعب فيه النقل العام في أوروبا 40% من هذه الرحلات المرورية ([106])، حتى إن مدينة مثل الرياض لا يتولى فيها النقل المدرسي العام أكثر من 1% من أعداد الطلاب ([107])، في حين لا يُسمح لطلاب المدارس في اليابان الانتقال إلى مدارسهم بسياراتهم الخاصة، ولا حتى بالدراجات النارية ([108])، إنما بالنقل العام، وفي سنغافورة تتبنى الدولة سياسة متشددة في استخدام السيارات الخاصة، وتفرض قيودًا عليها، رغبة في توجيه الناس نحو النقل العام ([109])؛ ولهذا جاء في توصيات الندوة العلمية الأربعين المنعقدة في الرياض عام 1417هـ حول أساليب ووسائل الحد من حوادث المرور، والتي شاركت فيها ثلاث عشرة دولة عربية ما نصه: "ضرورة التوسع في وسائل النقل الجماعية في المدن العربية، وتوفيرها بأسعار مشجعة، لحمل ساكني المدن على استخدامها بمختلف فئاتهم من موظفين وطلاب وغيرهم"([110])، فلا بد أن تكون توصية كهذه ضمن اهتمامات المسؤولين، بحيث تفعَّل بصورة جادة لتحقيق هدف التخفيف من كثرة السيارات، وإقناع المجتمع . ولا سيما النساء . باستخدام وسائل النقل العام، وفي الوقت نفسه تُغنيهنَّ عن السعي في المطالبة بقيادة

السيارات الخاصة التي تزيد من أعداد السيارات، وبالتالي تزيد من احتمالات وقوع الحوادث، إلى مشكلات أخرى تقدم ذكرها.

إن مما ينبغي أن تدركه المرأة والنساء عمومًا أن هناك تقبلاً اجتماعيًا خطيرًا نحو قيام المرأة بأدوار الرجل التي كانت إلى عهد قريب مناطة به كالعمل للكسب، وعلاج الأبناء، والترفيه عنهم، ونحوها من الأعمال، فقد أصبح المجتمع المعاصر يتقبل اتكال الرجل على زوجته في هذه المهمات ([111])، فلا يعدو تولي المرأة قيادة السيارة أن تكون تكليفًا جديدًا لمهمات أخرى تنحط عن كاهل الرجل لتنوء بأعبائها المرأة، مقابل استمتاعها بمهارة قيادة السيارة.

نتائج البحث:

من خلال فقرات الدراسة توصل الباحث إلى العديد من النتائج ومن أهمها:

1. الشريعة الإسلامية جاءت لتحقيق مصالح العباد ودفع المفاسد عنهم، ومن حق السلطان المسلم أن يمنع النساء من قيادة المركبات سدًا للذرائع المفضية إلى المفاسد.

2. لا تعتبر السيارة الخاصة مهما كانت صالحة حصنًا للمرأة من أن تنال بسوء، إلى جانب ما يترتب على انطلاقها بها من انفلات اجتماعي لا يوافق توجيه الإسلام لها بالقرار والالتفات إلى المنزل.

3. السيارة آلة عنيفة في طبيعتها وبنائها لا تناسب الطبيعة الأنثوية والدور المناط بها المتطلب لمزيد من السكون والهدوء، إلى جانب مخاطرها وقسوة حوادثها.

4. الجانب الفطري في طبيعة خلْقة المرأة وظروفها الجسمية والنفسية لا يسمح لها بتحمل مسؤولية القيادة، والمخاطرة بنفسها وبغيرها.

5. تعود أسباب كثير من الحوادث إلى ضيق الشوارع عن استيعاب السيارات، كما أن حجم التلوث البيئي مرتبط بكثرتها أيضًا، وفي السماح للنساء بقيادة السيارات زيادة في أعدادها المسببة للحوادث من جهة، وزيادة في تلويث البيئة من جهة أخرى. إلى جانب أن النساء لسن من العاقلة التي تتحمل في حال القتل الخطأ الغرامات المالية التي يتحملها البالغون من الرجال، هذا فيه إجحاف بالرجال إذا مكِّنوا النساء من أسباب العطب والضرر.

6. المرأة عبر التاريخ لم تكن من أهل الفروسية والخيل وإنما ارتبطت منذ القديم بركوب الإبل في الهوادج المستورة، وتولى الرجل منذ ذلك الزمن خدمتها في الأسفار وحمل هودجها عند الترحال، فلا يصح . بناء على ذلك . اعتبار ركوب المرأة في القديم على الإبل كقيادتها للسيارة في هذا العصر.

7. وجود بدائل عصرية يمكن من خلالها إغناء النساء عن قيادة المركبات من خلال وسائل النقل العام الكبيرة وإحياء الصناعات المنزلية، والاستفادة من وسائل التعليم عن بعد.

8. شح الدراسات العملية في موضوع قيادة المرأة للسيارات مما يتطلب مزيدًا من البحث في الموضوع والوقوف على دراسات أجنبية للتأكيد على صحة القرار بالمنع.

كتبه

د. عدنان حسن باحارث

السعودية . مكة المكرمة

ص. ب 6525

هاتف: 5501569

فاكس: 5663677

جوال: 055532605

البريد الالكتروني

@hotmail.com3456Adnan

المراجع

1. أحمد، عبد الرحمن يسري (1417هـ). تنمية الصناعات الصغيرة ومشكلات تمويلها. (د. ط). الإسكندرية: الدار الجامعية.

2. إدريس، عبد الفتاح محمود (1414هـ). أحكام العورة في الفقه الإسلامي . بحث مقارن. (د.م): (د. ن).

3. أسعد، يوسف ميخائيل (د. ت). الشخصية القوية. (د. ط). مصر: دار غريب.

4. الأسود، أبو محمد الأعرابي الغندجاني (د. ت). أسماء خليل العرب وأنسابها وذكر فرسانها. تحقيق محمد علي سلطاني. (د.ط). بيروت: الشركة المتحدة للتوزيع.

5. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية (1418هـ). "توصيات الندوة العلمية الأربعين". الندوة العلمية الأربعون بعنوان: أساليب ووسائل الحد من حوادث المرور . الرياض 1417هـ. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

6. الألباني، محمد ناصر الدين (1409هـ). صحيح سنن النسائي. بيروت: المكتب الإسلامي.

7. أيوب، ياسر (1995م). الانفجار الجنسي في مصر. القاهرة. دار سفنكس للطباعة والنشر.

8. البار، محمد علي (1402هـ). خلق الإنسان بين الطب والقرآن. ط 3. جدة: الدار السعودية.

9. ابن باز، عبد العزيز عبد الله (1416هـ). مجموع فتاوى ومقالات متنوعة. جمع محمد سعد الشويعر. ط2. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

10. باشا، حسان شمسي (1413هـ). النوم والأرق والأحلام بين الطب والقرآن. ط 2. جدة: دار المنارة.

11. باول، دوغلاس (1422هـ). تسع خرافات عن الشيخوخة. ترجمة هالة النابلسي. الرياض: مكتبة العبيكان.

12. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (1410هـ). صحيح البخاري. تحقيق مصطفى ديب البغا. ط 4. دمشق: دار ابن كثير.

13. البدر، محمود عبد العزيز (1412هـ). "الإعلام التربوي في دول الخليج العربية". وقائع اجتماع مسؤولي الإعلام التربوي في دول الخليج العربية .قطر 19 . 5/20/ 1412هـ. مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.

14. البرديسي، محمد زكريا (1407هـ). أصول الفقه. ط3. بيروت: دار الفكر.

15. البرهاني، محمد هشام (1406هـ). سد الذرائع في الشريعة الإسلامية. بيروت: مطبعة الريحاني.

16. ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (1420هـ). شرح صحيح البخاري. تحقيق ياسر إبراهيم. الرياض: دار الرشد.

17. بكار، عبد الكريم (1418هـ). مدخل إلى التنمية المتكاملة . رؤية إسلامية. الرياض: دار المسلم.
18. بكار، نادية أحمد (1421هـ). "مدى وعي معلمات الجغرافيا بقضية سوء فهم المفاهيم الجغرافية". مجلة رسالة التربية وعلم النفس. العدد (12). الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية، الرياض.
19. البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس (د. ت). كشاف القناع عن متن الإقناع. (د. ط). بيروت: عالم الكتب.
20. بوحجي، هناء (1998م يونيه 29). "البحرين تمنع المنقبات من قيادة السيارات". صحيفة الشرق الأوسط. العدد (7153). لندن.
21. البورنو، محمد صدقي (1415هـ). الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية. ط 3. الرياض: مكتبة التوبة.
22. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسن بن علي النيسابوري (1344هـ). السنن الكبرى. بيروت: دار المعرفة.
23. بيوشامب، إدوارد (1420هـ). التعليم الياباني والتعليم الأمريكي . دراسة مقارنة. ترجمة محمد طه علي. الرياض. دار المعرفة للتنمية البشرية.
24. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (د. ت). الجامع الصحيح. تحقيق أحمد محمد شاكر وآخران. (د.م): دار إحياء التراث العربي.
25. تيس، سي. ود. بيركس (1397هـ). "دور المرأة في الريف العماني". مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية. العدد (10). جامعة الكويت، الكويت.
26. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني (د. ت). مجموع الفتاوى. ترتيب عبد الرحمن محمد العاصمي النجدي. (د. ط). الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، مكة المكرمة.
27. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (1997م). البغال. تحقيق علي بن ملحم. ط2. بيروت: دار الهلال.
28. جبر، يحيى عبد الرؤوف (1421هـ). "مشروع تلفزة الأيام الدراسية". مجلة رسالة الخليج العربي. العدد (42). مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.

29. الجراية، أنور (1994م). "الشخصية". مجلة الثقافة النفسية. العدد (17). مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية، بيروت: دار النهضة العربية.
30. ابن جزي، أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم الكلبي الغرناطي (1406هـ). الخيل. تحقيق محمد العربي الخطابي. (د. ط). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
31. الجوهري، محمد فائق (1418هـ). العادة السرية عند الرجل والمرأة. ط 2. الرياض: أضواء السلف.
32. أبو جيب، سعدي (1985م). موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي. (د. ط). إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر.
33. الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري (د. ت). المستدرك. (د. ط). بيروت: دار المعرفة.
34. الحربي، سعد شارع (1415هـ). الأحكام الخاصة بالمرأة. الرياض: دار المسلم.
35. ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (1398هـ). فتح الباري بشرح صحيح البخاري. تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وآخران. (د. ط). القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.
36. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الظاهري الأندلسي (1408هـ). المحلى بالآثار. تحقيق عبد الغفار البنداري. (د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية.
37. حسون، تماضر زهري (1414هـ). تأثير عمل المرأة على تماسك الأسرة في المجتمع العربي. المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، وزارة الداخلية، الرياض.
38. الحسيني، عائشة (1409هـ). إعداد وتنمية القيادات الإدارية النسائية في قطاع التعليم العاليم بالمملكة العربية السعودية. جدة: دار البيان.
39. الحسيني، عائشة (1985م). "التخطيط للاحتياجات من الكفاءات الإدارية النسائية في المملكة العربية السعودية . دراسة نظرية ميدانية". المؤتمر الإقليمي الثالث للمرأة في الخليج والجزيرة العربية 1984م. لجنة تنسيق العمل النسائي في الخليج والجزيرة العربية، الكويت.

40. الحفني، عبد المنعم (1412هـ). الموسوعة النفسية الجنسية. القاهرة: مكتبة مدبولي.
41. الدباغ، فخري (1983م). أصول الطب النفسي. ط 3. بيروت: دار الطليعة.
42. حمود، رفيقة سليم (1417هـ). المرأة المصرية . مشكلات الحاضر وتحديات المستقبل. القاهرة: دار الأمين.
43. خلف، سليمان نجم (1998م). "العولمة والهوية الثقافية . تصور نظري لدراسة نموذج مجتمع الخليج والجزيرة العربية". المجلة العربية للعلوم الإنسانية. العدد (61). جامعة الكويت، الكويت.
44. الدربندي، عبد الرحمن سليمان (د. ت). المرأة العراقية المعاصرة. وزارة التربية، العراق.
45. الدويك، يوسف راتب (1405هـ). "الرياضة في الإسلام". مجلة التربية. العدد (72). قطر.
46. دياب، عبد العزيز أحمد (1416هـ). "الحوادث المرورية في المملكة العربية السعودية . دراسة اقتصادية للمحددات وطرق العلاج". مجلة جامعة الملك عبد العزيز . الاقتصاد والإدارة. (د.ع). المجلد التاسع، جامعة الملك عبد العزيز، جدة.
47. الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا (1421هـ). الحاوي في الطب. تحقيق محمد محمد إسماعيل. بيروت: دار الكتب العلمية.
48. رشاد، نادية محمد (د. ت). التربية الصحية والأمان. (د. ط) الإسكندرية: منشأة المعارف.
49. الزحيلي، وهبة (1405هـ). الفقه الإسلامي وأدلته. ط2. دمشق: دار الفكر.
50. الزرقاء، مصطفى أحمد (1408هـ). الاستصلاح والمصالح المرسلة في الشريعة الإسلامية وأصول فقهها. دمشق: دار القلم.
51. الزركلي، خير الدين (1980م). الأعلام. ط 5. بيروت: دار العلم للملايين.
52. السالم، زغلولة (1997م). صورة المرأة العربية في الدراما المتلفزة. (د. ط). عمان: دار آرام.

53. السرخسي، أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل (د. ت). شرح كتاب السير الكبير. تحقيق صلاح الدين المنجد. (د. ط). (د. م): (د.ن).
54. السعدي، عبد الرحمن ناصر (1415هـ). الفتاوى السعدية. بيروت: عالم الكتب.
55. السفاريني، أبو العون شمس الدين محمد بن أحمد النابلسي الحنبلي (د. ت). غذاء الألباب. (د. ط). (د.م): مؤسسة قرطبة.
56. أبو سنة، أحمد فهمي (1412هـ). العرف والعادة في رأي الفقهاء. ط2. (د. م): (د. ن).
57. الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المالكي (د. ت). الموافقات. عناية عبد الله دراز ومحمد عبد الله دراز: (د. ط). بيروت: دار المعرفة.
58. ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (د. ت). تاريخ المدينة المنورة. تحقيق فهيم محمد شلتوت. (د. ط). (د. م): (د. ن).
59. الشربيني، محمد الخطيب (د. ت). مغني المحتاج. (د. ط). بيروت: دار الفكر.
60. شريف، سعيدة (1419هـ ربيع الآخر 27). "حوادث السير.. حرب صامتة في المغرب". صحيفة الشرق الأوسط. العدد (6204). لندن.
61. شعبان، زكي الدين (1394هـ). أصول الفقه الإسلامي. ط3. بيروت: دار القلم.
62. الشيباني، عبد الله بن أحمد . محمد بن حنبل المروزي (1421هـ). فضائل عثمان بن عثمان. جدة: دار ماجد عسيري.
63. شيخاني، سمير (1416هـ). سجل الأيام. بيروت: دار الجيل.
64. الصالح، ناصر عبد الله (1408هـ). حوادث المرور بمدينة مكة المكرمة . العلاقات المكانية والاتجاهات الزمانية. (د. ط). مركز بحوث العلوم الاجتماعية، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

65. الصوفي، محمد سالم (1418هـ). "الشباب الباحث عن الموت". مجلة المجتمع. العدد (1261). جمعية الإصلاح الاجتماعي، الكويت.
66. الصنيع، عبد الله علي (1415هـ). دراسات في قضايا المدن المعاصرة والتحضر بأقلام نخبة من العلماء الأفاضل. جدة: دار المجتمع.
67. الظفيري, عبد الوهاب محمد(1421هـ). "النساء المعيلات للأسرة في حالة غياب الأب . نموذج أسر الشهداء". مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية. العدد (98). جامعة الكويت، الكويت.
68. ابن عابدين، محمد أمين (1412هـ). حاشية رد المحتار. ط 2. بيروت: دار الفكر.
69. العالم، إسماعيل أحمد (2000م). "الصور الحركية ومجالاتها في شعر الأخطل". المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد (71). جامعة الكويت، الكويت.
70. عبد الخالق، أحمد محمد وعويد سلطان المشعان (1419هـ). "المخاوف الشائعة لدى الأطفال والمراهقين الكويتيين ومدى تأثرها بالعدوان العراقي". مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية. العدد (89). جامعة الكويت، الكويت.
71. ابن عبدالسلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (د. ت). قواعد الأحكام في مصالح الأنام. تحقيق محمود التلاميد الشنقيطي. (د. ط). بيروت: دار المعرفة.
72. عبد العال، جمال عبد المحسن (1418هـ). "الحوادث المرورية والعناصر الحاكمة لها". الندوة العلمية الأربعون بعنوان: أساليب ووسائل الحد من حوادث المرور . الرياض 1417هـ. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
73. عبد الفتاح، فاطمة (1414هـ). الحياة الاجتماعية في الشعر الجاهلي. (د. ط). بيروت: دار الفكر.
74. العريني، محمد ناصر (1420هـ). المرأة بين تكريم الإسلام ودعاوي التحرير. ط 2. الرياض: مطبعة سفير.
75. علي، بدر الدين (1410هـ). قضاء وقت الفراغ لدى الشباب العربي. (د. ط). المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض.

76. عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (1419هـ). إكمال المعلم بفوائد مسلم. تحقيق يحيى إسماعيل، المنصورة: دار الوفاء.
77. العيسوي، عبد الرحمن (1419هـ). علم نفس الشواذ والصحة النفسية. بيروت: دار الراتب الجامعية.
78. عيسى، مصباح الحاج (1407هـ). "استخدام الهاتف والشاشة الإلكترونية في التعليم عن بعد بدول الخليج العربية". المجلة العربية لبحوث التعليم العالي. العدد (6). المركز العربي لبحوث التعليم العالي، دمشق.
79. الغامدي، علي سعيد (1418هـ). "تقنية المستقبل في مواجهة مشكلة المرور". الندوة العلمية الأربعون بعنوان: أساليب ووسائل الحد من حوادث المرور . الرياض 1417هـ. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
80. فهيم، محمد عيسى وآخران (1405هـ). السلوك المزعج الصادر عن السائقين أثناء القيادة . دراسة ميدانية بمدينة مكة المكرمة. (د. ط). مركز البحوث التربوية والنفسية، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
81. القاري، نور الدين علي بن سلطان الهروي (د. ت) شرح عين العلم وزين الحلم. (د. ط). القاهرة. مكتبة الثقافة الدينية.

([1]) انظر: المحرر. قطوف رمضان 1422هـ. ص 6 . 10.

([2]) الدراسات مرتبة حسب سنة النشر.

([3]) انظر: أ . الحسيني، عائشة. إعداد وتنمية القيادات الإدارية النسائية في قطاع التعليم العالي بالمملكة العربية السعودية. ص 113.

ب . الحسيني، عائشة. "التخطيط للاحتياجات من الكفاءات الإدارية النسائية في المملكة العربية السعودية . دراسة نظرية ميدانية" ج 1، ص 406.

ج . المحرر. قطوف شعبان 1421هـ . ص 95.

([4]) أسعد، يوسف ميخائيل. الشخصية القوية. ص 218.

([5]) انظر: البرهاني، محمد هشام. سد الذرائع في الشريعة الإسلامية. ص 334.

([6]) انظر: علي، بدر الدين. قضاء وقت الفراغ لدى الشباب العربي. ص 85 و 158.

([7]) انظر: المطير، عامر ناصر. "قيادة التلاميذ للسيارات وأثرها على الحركة المرورية في المملكة العربية السعودية" ص 49 و 54.

([8]) انظر: الدربندي، عبد الرحمن سليمان. المرأة العراقية المعاصرة. ج 1، ص 184 ـ 185.

([9]) انظر: تيس، سي. و د. بيركس. "دور المرأة في الريف العماني" ص 106 ـ 107.

([10]) تبقى للضرورة حدودها التي تُقدر بقدرها للنساء المضطرات للقيادة في بعض البلاد.

([11]) المقصود بالمبرر الفقهي هنا: هو المعنى الاصطلاحي الخاص لكلمة "الفقه" وهو الجانب العملي التطبيقي من الشريعة الإسلامية المنزلة، وحكم الفقهاء في مسألة قيادة المرأة للمركبات بناء على المصادر الفقهية.

([12]) البرديسي، محمد زكريا. أصول الفقه. ص 308.

([13]) انظر: ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج 1، ص 265.

([14]) ابن عبد السلام. قواعد الأحكام في مصالح الأنام. ج 1. ص 12.

([15]) الوكيل، محمد. فقه الأولويات ـ دراسة في الضوابط. ص 225.

([16]) الشاطبي. الموافقات. ج 4، ص 199.

([17]) الزرقاء، مصطفى أحمد. الاستصلاح والمصالح المرسلة في الشريعة الإسلامية وأصول فقهها. ص 45.

([18]) منظمة المؤتمر الإسلامي. قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي. ص 209 (بتصرف).

([19]) ابن القيم. إعلام الموقعين عن رب العالمين. ج 3. ص 135.

([20]) الإدريسي، عبدالواحد. القواعد الفقهية من خلال كتاب المغني لابن قدامة. ص 428.

([21]) المرجع السابق. ص 430.

([22]) المرجع السابق. ص 430.

([23]) القاري. شرح عين العلم وزين الحلم. ج 1، ص 47.

([24]) الإدريسي، عبدالواحد. القواعد الفقهية من خلال كتاب المغني لابن قدامة. ص 427.

([25]) انظر: ولي، نور بيكم محمد. دراسة استطلاعية عن كيفية ودواعي اعتماد الأسرة السعودية على السائقين المستقدمين ص 68، 158 . 159.

([26]) انظر: البورنو، محمد صدقي. الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية. ص 206.

([27]) البرهاني، محمد هشام. سد الذرائع في الشريعة الإسلامية. ص 210.

([28]) إدريس، عبد الفتاح محمود. أحكام العورة في الفقه الإسلامي . بحث مقارن. ج2، ص 569.

([29]) قلعه جي، محمد رواس وحامد صادق قنيبي. معجم لغة الفقهاء. ص 200.

([30]) السفاريني. غذاء الألباب. ج 2، ص 22.

([31]) انظر: أ . عياض. إكمال المعلم بفوائد مسلم. ج 8, ص 287 . 288.

ب . ابن بطال. شرح صحيح البخاري. ج 8، ص 39.

([32]) مثل: ابن إبراهيم. فتاوى ابن إبراهيم. ج10 ، ص 52 – 54.

([33]) خلف، سليمان نجم. "العولمة والهوية الثقافية . تصور نظري لدراسة نموذج مجتمع الخليج والجزيرة العربية" ص 75.

([34]) انظر: أ . ابن باز، عبد العزيز عبد الله. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة. ج 3، ص 351 . 353.

ب . المسند، محمد. فتاوى المرأة. ص 192 . 194.

جـ . المجدوب، أحمد علي. اغتصاب النساء في المجتمعات القديمة والمعاصرة. ص 201 . 202.

د . العريني، محمد ناصر. المرأة بين تكريم الإسلام ودعاة التحرير. ص 65 . 78.

بوحجي، هناء. "البحرين تمنع المنقبات من قيادة السيارات" ص 28.

([35]) الموسى، عبد الرسول. "الوظيفة كأحد إفرازات التحضر في الكويت" ص 128.

([36]) الحسيني، عائشة. إعداد وتنمية القيادات الإدارية النسائية في قطاع التعليم العالي بالمملكة العربية السعودية. ص 113.

([37]) انظر: شعبان، زكي الدين. أصول الفقه الإسلامي. ص 386 ـ 387.

([38]) انظر: المحرر. قطوف جمادى الأولى 1419هـ. ص 9.

([39]) المحرر. "سياقة المرأة للسيارة تقصر العمر" ص 1.

([40]) انظر: أ. النافع، عبد الله وخالد السيف. تحليل الخصائص النفسية والاجتماعية المتعلقة بسلوك قيادات السيارات بالمملكة. ص 49 ـ 50، 60.

ب ـ الصالح، ناصر عبد الله. حوادث المرور بمدينة مكة المكرمة ـ العلاقات المكانية والاتجاهات الزمانية. ص 35.

جـ ـ دياب، عبد العزيز أحمد. "الحوادث المرورية في المملكة العربية السعودية ـ دراسة اقتصادية للمحددات وطرق العلاج" ص 6 ـ 7.

([41]) المحرر. قطوف صفر 1419هـ. ص 123.

([42]) الغامدي، علي سعيد. "تقنية المستقبل في مواجهة مشكلة المرور" ص 70.

([43]) انظر: أ ـ الصنيع، عبد الله علي. دراسات في قضايا المدن المعاصرة والتحضر بأقلام نخبة من العلماء الأفاضل. ص 217.

ب ـ المحرر. قطوف ربيع الثاني 1423هـ. ص 123.

([44]) المحرر. قطوف ربيع الثاني 1422هـ. ص 112.

([45]) الرازي. الحاوي في الطب. ج 3، ص 1456.

([46]) بكار، عبد الكريم. مدخل إلى التنمية المتكاملة ـ رؤية إسلامية ص 355.

([47]) انظر: المحرر. قطوف شعبان 1421هـ. ص 96.

([48]) انظر: أ ـ دياب، عبد العزيز أحمد. "الحوادث المرورية في المملكة العربية السعودية ـ دراسة اقتصادية للمحددات وطرق العلاج" ص 10 ـ 11.

ب ـ عبد العال، جمال عبد المحسن. "الحوادث المرورية والعناصر الحاكمة لها" ص 22.

([49]) العيسوي، عبد الرحمن. علم نفس الشواذ والصحة النفسية ص 269.

([50]) باشا، حسان شمسي. النوم والأرق والأحلام بين الطب والقرآن. ص 48.

([51]) انظر: أ . حسون، تماضر زهري. تأثير عمل المرأة على تماسك الأسرة في المجتمع العربي. ص 66 . 67، 152 . 153.

ب . يونس، منى. "اعتراضات المرأة العاملة على العمل . بحث استطلاعي" ص 209 . 211.

([52]) عبد العال، جمال عبد المحسن. "الحوادث المرورية والعناصر الحاكمة لها" ص 28.

([53]) انظر: كحالة، عمر رضا. المرأة في القديم والحديث. ج 3، ص 62.

([54]) الصوفي، محمد سالم. "الشباب الباحث عن الموت" ص 10.

([55]) انظر: عبد الخالق، أحمد ومحمد وعويد سلطان المشعان. "المخاوف الشائعة لدى الأطفال والمراهقين الكويتيين ومدى تأثرها بالعدوان العراقي" ص 328.

([56]) محمد، عادل شكري وفريح عويد العنزي. "دراسة إنمائية لبعض المتغيرات الباثولوجية لدى فئات عمرية متباينة" ص 115.

([57]) النابلسي، محمد أحمد. "رهاب الساح . دراسة حالة واستراتيجية علاج" ص 186.

([58]) انظر: أ . الجراية، أنور. "الشخصية" ص 50.

ب . السالم. زغلولة. صورة المرأة العربية في الدراما المتلفزة. ص 66 و 70.

جـ . بكار، نادية أحمد. "مدى وعي معلمات الجغرافيا بقضية سوء فهم المناهج الجغرافية"ص 67، 88.

د . باول، دوغلاس. تسع خرافات عن الشيخوخة. ص 102.

([59]) انظر: أ . الدباغ ، فخري. أصول الطب النفساني. ص 214 و 253 و 346.

ب . المالكي، موزة. "علم النفس حول العالم العدد (31)". ص 17.

([60]) النابلسي، محمد أحمد، "الاضطرابات النفسية لدى المرأة" ص 64 و 66 . 67.

([61]) انظر: أ . البار، محمد علي. خلق الإنسان بين الطب والقرآن. ص 103.

ب . رشاد، نادية محمد. التربية الصحية والأمان. ص 73.

([62]) الحنفي، عبد المنعم. الموسوعة النفسية الجنسية. ص 809.
([63]) انظر: أ . دياب، عبد العزيز أحمد. "الحوادث المرورية في المملكة العربية السعودية . دراسة اقتصادية للمحددات وطرق العلاج" ص 4 و 6.
ب . قربة، جهاد محمد. "طبيعة العلاقات المجالية للحوادث المرورية داخل الوسط الحضري لمدينة الشارقة . دراسة تحليلية لفترة التوسع 1987 . 1992م". ص 103 . 104.
([64]) أ – الحفني، عبد المنعم. الموسوعة النفسية– علم النفس والطب النفسي. ص 136 – 138.
ب– الحفني، عبد المنعم. الموسوعة النفسية– علم النفس والطب النفسي. ص 140.
([65]) معلومة غير موثقة بالمراجع منقولة من بعض أهل الخبرة ممن عاش في بعض الدول الغربية.
([66]) انظر: المسيري، عبد الوهاب. "الفكر الغربي . مشروع رؤية نقدية" . ص 133.
([67]) انظر: أ . ابن حزم. المحلى بالآثار. ج 11، ص 273 . 276.
ب . الكاساني. بدائع الصنائع. ج 7، ص 255 . 257.
ج . النووي. صحيح مسلم بشرح النووي. ج 11، ص 176 . 177.
د . الشربيني. مغني المحتاج. ج 4، ص 95.
هـ . المرداوي. الإنصاف. ج 10، ص 124.
و . القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. ج 5. ص 326.
ز . ابن حجر. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ج 26، ص 80 . 81.
حـ . ابن عابدين. حاشية رد المختار. ج 6، ص 564 و 642 . 643.
ط . البهوتي. كشاف القناع. ج 6، ص 61.
ي . زحيلي، وهبة. الفقه الإسلامي وأدلته. ج 6، ص 322 . 323.
ك . أبو جيب، سعدي. موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي. ج 1، ص 426.
ل . الحربي، سعد شارع. الأحكام الخاصة بالمرأة ص 421.

([68]) انظر: الترمذي. الجامع الصحيح. رقم (2110). ج 4، ص 425 ـ 426. (حديث حسن صحيح).

([69]) انظر: أ ـ السعدي، عبد الرحمن ناصر. الفتاوى السعدية. ص 83.

ب ـ أبو سنة، أحمد فهمي. العرف والعادة في رأي الفقهاء. ص 242 ـ 244.

([70]) انظر: منظمة المؤتمر الإسلامي. قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي. ص 20.

([71]) أدى ظهور التأمين الإلزامي على رخص القيادة في المملكة إلى إحجام كثير من أفراد القبائل عن الإسهام المالي المعتاد في صناديقهم التعاونية، مما أثار جدلاً مع رؤساء قبائلهم. انظر: المحرر. قطوف ذو الحجة 1423هـ. ص 124.

([72]) انظر: أ ـ الصنيع، عبد الله علي. دراسات في قضايا المدن المعاصرة والتحضر بأقلام نخبة من العلماء الأفاضل. ص 267 ـ 272.

ب ـ عبد العال، جمال عبد المحسن. "الحوادث المرورية والعناصر الحاكمة لها". ص 14.

ج ـ شريف، سعيدة. "حوادث السير.. حرب صامتة في المغرب" ص 15.

د – المحرر. "حوادث السير تقتل ثلاثة أشخاص كل يوم في لبنان". ص 15.

([73]) دياب، عبد العزيز أحمد. "الحوادث المرورية في المملكة العربية السعودية ـ دراسة اقتصادية للمحددات وطرق العلاج". ص 8.

([74]) انظر: النافع، عبد الله وخالد السيف. تحليل الخصائص النفسية والاجتماعية المتعلقة بسلوك قيادات السيارات في المملكة. ص 4.

([75]) عبد العال، جمال عبد المحسن. "الحوادث المرورية والعناصر الحاكمة لها" ص 17 ـ 19.

([76]) فهيم، محمد عيسى وآخران: "السلوك المزعج الصادر عن السائقين أثناء القيادة ـ دراسة ميدانية بمدينة مكة المكرمة". ص 6. (بتصرف).

([77]) الوهيد، محمد سليمان. "القيم الاجتماعية وأثرها في مشكلة المرور". ص 43.

([78]) أ . المجرن، عباس علي "محددات الطلب العالمي على الجازولين" ص 96 . 97.

ب . مارتن، هانس بيتر وهارالد شومان. فخ العولمة. ص 73 . 74.

([79]) القدسي، سليمان. سياسات أسواق العمالة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية. ص 19 . 20.

([80]) انظر: أ . السرخسي. شرح كتاب السير الكبير. ج 1، ص 136 . 137.

ب . قطب، سيد. في ظلال القرآن. ج 1، ص 580.

جـ . هامرتن، جون وآخرون. تاريخ العالم. ج 5، ص 377 . 398.

([81]) انظر: أشكناني، زبيدة علي. "مذكرات أميرة عربية– الإثنوغرافيا والسيرة الذاتية". ص 132.

([82]) الدويك، يوسف راتب. "الرياضة في الإسلام" ص 121.

([83]) انظر: معاليقي، عبد اللطيف. المراهقة . أزمة هوية أم أزمة حضارية. ص 146 . 147.

([84]) انظر: أ . الجاحظ. البغال. ص 24.

ب . ابن جزي. الخيل. ص 296 . 302.

جـ . الأسود. أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها. ص 15 . 20 و 291 . 319.

([85]) انظر: الجوهري، محمد فائق. العادة السرية عند الرجال والمرأة. ص 25.

([86]) انظر: أ . ابن شبَّه. تاريخ المدينة المنورة. ج 4، ص 1311 . 1313.

ب . الجاحظ. البغال. ص 26 و 31 و 47 . 52.

جـ . الشيباني. فضائل عثمان بن عفان. ص 136.

([87]) انظر: أ . البخاري. صحيح البخاري. ص (3251). ج 3، ص 1266 ورقم (3910). ج 4،

ص 1517.

ب . الحاكم. المستدرك. ج 4، ص 42 . 43. (حديث فيه إرسال... وقد رُوي بإسناد صحيح... مختصرًا).

ج . البيهقي. السنن الكبرى. ج 4، ص 34 . 35.

د . المقريزي. إمتاع الأسماع. ص 114.

هـ . ابن منظور. لسان العرب. ج 2، ص 389. (هدج).

و . ابن حجر. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ج 19، ص 150.

ز . الزركلي. الأعلام. ج 3، ص 114 . 115.

([88]) انظر: أ . النسائي. سنن النسائي. ج 5، ص 120. (صحيح) الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح سنن النسائي. ج 2، ص 560.

ب . عياض. إكمال المعلم بفوائد مسلم. ج 4، ص 369.

ج . محمد، طارق عوض الله. الجمع والتوضيح لمرويات الإمام البخاري وأحكامه في غير الجامع الصحيح. ج 1، ص 514.

د . عبد الفتاح، فاطمة. الحياة الاجتماعية في الشعر الجاهلي. ص 104.

([89]) انظر: أ . ابن منظور. لسان العرب. ج 2، ص 389. (هدج).

ب . قلعه جي، محمد رواس وحامد صادق قنيبي. معجم لغة الفقهاء. ص 496.

([90]) انظر: النابلسي. تعطير الأنام في تعبير المنام. ص 466.

([91]) المرزبان. المروءة. ص 58.

([92]) انظر: ابن بطال. شرح صحيح البخاري. ج 5، ص 147.

([93]) انظر: عياض. إكمال المعلم بفوائد مسلم. ج 7، ص 287.

([94]) مسلم. صحيح مسلم. رقم (2323). ج 4، ص 1811.

([95]) ابن منظور. لسان العرب. ج 5، ص 87. (قرر).

([96]) ابن شبَّه. تاريخ المدينة المنورة. ج 1، ص 329.

([97]) نفسه. ج 1، ص 330.

([98]) ترجمة الأخطل غياث بن غوث. انظر: الزركلي. الأعلام. ج 5، ص 123.

([99]) العالم، إسماعيل أحمد. "الصور الحركية ومجالاتها في شعر الأخطل" ص 189 . 190.

([100]) انظر: المحرر. "علم النفس حول العالم العدد (17)". ص 20.

([101]) شيخاني، سمير. سجل الأيام. ج 3، ص 229.

([102]) انظر: أ . المجدوب، أحمد علي. اغتصاب النساء في المجتمعات القديمة والمعاصرة. ص 54.

ب . أيوب، ياسر. الانفجار الجنسي في مصر. ص 179.

جـ . حمود، رفيقة سليم. المرأة المصرية . مشكلات الحاضر وتحديات المستقبل. ص 72.

([103]) أحمد، عبد الرحمن يسري. تنمية الصناعات الصغيرة ومشكلات تمويلها. ص 25.

([104]) انظر: أ . المحرر. "تعويم أفكار في الكويت لرفع معدل تشغيل النساء". ص 11.

ب . المحرر. "فرص وظيفية للمرأة بأسلوب العمل من بعد". ص 17.

([105]) انظر: أ . البدر، محمد عبد العزيز. "الإعلام التربوي في دول الخليج العربية". ص 49.

ب . عيسى، مصباح الحاج. "استخدام الهاتف والشاشة الإلكترونية في التعليم عن بعد بدول الخليج العربية". ص 51 . 54.

جـ . جبر، يحيى عبد الرؤوف. "مشروع تلفزة الأيام الدراسية". ص 30 . 31.

([106]) عبد العال، جمال عبد المحسن. "الحوادث المرورية والعناصر الحاكمة لها" ص 22 . 24.

([107]) المطير، عامر ناصر. "قيادة التلاميذ للسيارات وأثرها على الحركة المرورية في المملكة العربية السعودية".

ص 49.

([108]) بيوشامب، إدوارد. التعليم الياباني والتعليم الأمريكي . دراسة مقارنة. ص 28.

([109]) المجرن، عباس علي. "محددات الطلب العالمي على الجازولين". ص 110 . 111.

([110]) أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية. "توصيات الندوة العلمية الأربعين". ص 156.

([111]) الظفيري، عبد الوهاب محمد. "النساء المعيلات للأسرة في حالة غياب الأب . نموذج أسر الشهداء". ص 34.

================

شبهة معاصرة

حديث يتكرر،لأنَّ باعثه يتجدد، فخفافيشُ الظلام بدأت تعملُ وتظهرُ في النهار، والفتوى تجاوزت الأئمة الأعلام ، ليتطاول عليها المذيعون وصبيان الإعلام، والدينُ رقّ ، والالتزام لان، وكل مسألةٍ فيها قولان ، وإن ناقشت مفتياً وعندك دليل مُفحمٌ وأثر قال : هذه وجهة نظر، وحينما غابت الأسودُ نطقت القرود، فالمنافقون في أوقاتِ الأزمات ينبحون، وعلى صفحات الصحف يتقيئون، وشجرتهم لا تنبت إلاَّ حنظلاً من شبهات، وزقوماً من الشهوات، بضاعتهم السُخرية والاستهزاء بالدعاة والعلماء ، والتهكم على الأبطال النجباء من رجال الهيئات، ومبشراتهم بذور السفور والانحلال ، وآخر إنتاجهم بشارةٌ بأول فتاةٍ سعودية تتدربُ على الطيران، تنشر صورتها ويجعل منها رمزاً لفتاة جزيرة الإسلام، فأينكِ يا درةَ عمر من هؤلاءِ الأقزام 0
لم يعد خافياً على أحدٍ ما تشهدهُ مجتمعات المسلمين اليوم، من حملةٍ محمومةٍ من الذين يتبعون الشهوات على حجابِ المرأة وحيائها وقرارها في بيتها ، حيثُ ضاق عطنهم، وأخرجوا مكنونهم، ونفذوا كثيراً من مُخططاتهم في كثيرٍ من مجتمعاتِ المسلمين، وذلك في غفلةٍ وقلةِ إنكارٍ من أهل العلم والصالحين، فأصبح الكثير من هذه المجتمعات يعجُّ بالسفورِ والاختلاط والفساد المستطير، الأمرُ الذي أفسد الأخلاق والأعراض 0

وبقيت بقيةً من بلدان المسلمين لازال فيها بحمد الله يقظة من أهل العلم، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، حالت بين دعاة السفور وبين كثيرٍ مما يرومون ، وهذه سنة الله عز وجل في الصراع بين الحق والباطل، والمدافعة بين المصلحين والمفسدين 0

ومن كيدِ المفسدين في مثل المجتمعاتِ المحافظة ، وبسببِ وجودِ أهلِ العلم والغيرة، أنَّهم لا يجاهرون بنواياهم الفاسدة، ولكنهم يتسترون وراءَ الدين، ويلبِسون باطلهم بالحقِ واتباع ما تشابهَ منه ، وهذا شأن أهل الزيغ والضلال، ((فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ

زَيْـغٌ فَيَتَّبِعُـونَ مَـا تَشَـابَهَ مِنْـهُ ابْتِغَـاء الْفِتْنَـةِ وَابْتِغَـاء تَأْوِيلِـهِ وَمَـا يَعْلَـمُ تَأْوِيلَـهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ)) (سورة آل عمران : 7) .

وهم أولُ من يعلم أنَّ فساد أيّ مجتمعٍ إنما يبدأ بإفسادِ المرأة واختلاطها بالرجال، وقد ثبت عن النبي– صلى الله عليه وسلم– أنه قال : ((ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء)) .

وهذه حقيقةً لا يُماري فيها أحد ، وملُ الكفر أول من يعرفُ هذه الحقيقة ، حيثُ إنَّهم من باب الفتنةِ بالنساء دخلوا على كثيرٍ من مجتمعات المسلمين، وأفسدوها وحققوا أهدافهم البعيدة ، وتبعهم في ذلك المنهزمون من بني جلدتنا، ممن رضعوا من لبانِ الغرب وأفكاره، أو ممن يسعون إلى الشهرةِ من أوسخ أبوابها ، ولكنهم ولأنهم يعيشون في بيئةٍ مسلمة ، ولازال لأهل العلم والغيرةِ حضورهم، فإنَّهم لا يتجرءون على طرح مطالبهم التغريبية، بشكلٍ صريحٍ لعلمهم بطبيعة تدين الناس ، ورفضهم لطروحاتهم، وخوفهم من الافتضاح بين الناس 0

ولذلك دأبوا على اتباع المتشابهات من الشرع، وإخراج مطالبهم في قوالب إسلامية، وما فتئوا يلبسون الحق بالباطل، وهم كما قال الله : ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)) (سورة البقرة :11) .

ومن هذه الطروحات التي أُجلبوا عليها في الآونةِ الأخيرة، مطالبتهم في مجتمعنا المحافظ، وفي بلدنا الذي يأرزُ إليه الإيمان، وتهوي إليه أفئدة الصالحين، ومنه نبعت الفضيلة ودعاتها، مطالبتهم بكشفِ المرأة وجهها، والسماح لها بقيادة السيارة، معتمدين بزعمهم على أدلةٍ شرعيةٍ، وأقوالٍ لبعضِ العلماءِ في ذلك، وهم يعلمون ونحنُ نعلمُ أنَّ تلك هي الشرارة الأولى والخطوة الأولى نحو فساد المرأة وذهاب حيائها 0

ولئلاَّ يلتبسَ الحق بالباطل، ولكيلا ينخدع بعضُ الناسِ ببريقِ دعوتهم ، وصيانةً لأخلاقِ الأمة، ومساهمةً في تحقيق الأمن الأخلاقي للبلاد، نقفُ مع هذه الدعوة الآثمة وقفات :

أولاها : أنَّ هناك فرقاً في تناول قضية الحجاب وكشف الوجه، بين أن يقعَ اختلافٌ بين العلماء المخلصين في طلب الحق ، المجتهدين في تحري الأدلة ، الدائرين في حالتي الصواب والخطأ، بين مضاعفةِ الأجر مع الشكر، وبين الأجرِ الواحد مع العذر، وبين من يتتبعُ الزلات، ويحكمُ بالتشهي، ويرجحُ بالهوى، لأنَّ وراءَ الأكمةِ ماوراءها، فيؤولُ حالهُ إلى الفسقِ ورقةِ الدين، ونقص العبودية، وضعف الاستسلام لشرع الله عز وجل 0

وهناك فرقٌ بين الفتاوى العلمية المؤصلة، المبنية على التحري والاجتهاد، وأخرى محلولةَ العقال مبنيةً على التجري لا التحري، والتي يصدرها قومٌ لا خلاق لهم من الصحفيين ومن أسموهم المفكرين، وأهل التزوير المسمون ظُلماً بأهل التنوير، يُفرقون من تغطيةِ الوجه، لا لأنَّ البحث العلمي المجرد أوصلهم إلى أنَّهُ مكروهٌ أو جائز، أو بدعة كما يرجفون ، ولكن لأنَّهُ يشمئزُ منه متبوعهم من كفار الشرق والغرب 0

ولك أن تقدرَ شدةَ مكرِ القومِ الذين يريدون من جانبهم أن يتبعوا التمدن الغربي، ثُمَّ يبررون فعلهم هذا بقواعد النظام الإسلامي الاجتماعي 0

لقد أوتيت المرأة من الرخصة في النظامِ الإسلامي، أن تبدي وجهها وكفيها وما دعت إليه الحاجة والضرورة في بعض الأحوال، وأن تخرج من بيتها لحاجتها، ولكن هؤلاءِ يجعلون هذه نقطةُ البدءِ وبداية المسير، ويتمادون إلى أن يخلعوا عن أنفسهم ثوب الحياءِ والاحتشام، فلا يقفُ الأمرُ بإناثهم عند إبداء الوجه والكفين، بل يجاوزهُ إلى تعرية الشعر والذراع والنحر، إلى آخر هذه الهيئاتِ القبيحة المعروفة، وهاهو ذا المودودي- رحمه الله- يصرخُ في وجه هؤلاءِ الأحرار، في سياستهم العبيد، في عقليتهم قائلاً : ((ولا ندري أي القرآن أو الحديث يستخرج منه جواز هذا النمط المبتذل من الحياة ، وإنَّكم يا إخوان التجدد إن شاءَ أحدكم أن يتبع غير سبيل الإسلام، فهلاَّ يجترئُ ويصرح بأنَّه يُريد أن يبغي على الإسلام، ويتفلتُ من شرائعه، وهلاَّ يربأ بنفسهِ عن هذا النفاق الذميم، والخيانةِ الوقحة، التي تُزينُ له أن يتبع علناً ذلك النظام الاجتماعي، وذلك النمط من الحياة الذي يحرمه الاسلام شكلاً وموضوعا)) 0

وثاني الوقفات: لابد أن ينظر إلى قضيةِ الحجاب اليوم، وما يدورُ بينها وبين السفورِ من معاركَ، إلى أنَّها لم تعد قضيةً فرعية، ومسألةً خلافية فيها راجحٌ ومرجوح بين أهل العلم، ولكنها باتت قضية عقدية مصيرية، ترتبط بالإذعانِ والاستسلام لشرع الله عز وجل، في كل صغيرةٍ وكبيرة، وعدم فصلها عن شئون الحياة كلها، لأنَّ ذلك هو مقتضى الرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً 0

إنَّ التشنيع على تغطيةِ المرأة وجهها، والتهالكُ على خروجها من بيتها، واختلاطها بالرجال، ليست اليوم مسألةً فقهيةً فرعية، ولكنه مسألةً خطيرةً لها ما بعدها، لأنَّها تقوم عند المنادين بذلك على فصل الدين عن حياة الناس وعلى تغريب المجتمع و كونها الخطوة الأولى، أو كما يحلو لهم أن يعبروا عنها بالطلقة الأولى.

وإذا كان علماؤنا يُوردون مسألةَ المسح على الخفين في كتب العقيدة، باعتباره من خصائص أهل السنة في مقابل شذوذ الرافضة ، فلا لوم على من يجعل قضية الحجاب اليوم قضيةً أصوليةً مصيرية ، وذلك لتشنيع مبتدعةِ زماننا ومنافقيه عليه، ولحملتهم المحمومة لنزعه، وجر المرأة بعد ذلك لما هو أفسدُ وأشنع 0

وثالثها : أن بداية السفور والتبرج الجاهلي، الذي عليه طائفة من نساءِ المسلمين اليوم، في بعض ديار المسلمين ، إنَّما بدأ من كشف الوجه، بإزالة الغطاء والحجاب عنه ، حتى أصبح وبات وأضحى وظل وأمسى من المعلومِ بالضرورة، أن من كشفت من الفتيات وجهها اليوم ستكشف غداً حتماً عن رأسها وصدرها وساقيها وحتى فخذيها ، ولا يجادلُ في هذا إلاَّ ساذجٌ مخدوع0

لقد بدأت مؤامرةُ السفور بالدعوة إلى كشف الوجه ، وامتدت إلى الجلسات المختلطة المحتشمة ، ثم على السفر من غير محرم بدعوى الدراسة في الجامعة ، ثم زينت الوجوه المكشوفة ، وبدأ الثوب ينحسرُ شيئاً فشيئا، حتى وقعت الكارثةُ، فخرجت المرأة سافرةً عن مفاتنها، كاشفةً عن المواضع التي أمرَ الله بسترها ، حتى أضحت شبه عارية، وراح أهل الكيد يتلذذون بالنظر إليها، ويستدرجونها للإيقاع بها، حتى كان لهم ما أرادوه منها، ففسدت الأخلاق ، وكثرت محلات البغاء ، وانتشر اللقطاء، وتفسخ المجتمع، ومن هنا ، وبناءً على هذا، فإنَّ اليد التي تحاولُ أن تحسر الحجاب

عن وجوه فتياتنا اليوم ينبغي أن تبتر ، وإنَّ اللسان الذي يدعو فتياتنا إلى نزع الحجاب ينبغي أن يقطع 0

أويسركم يا أهلَ الغيرة والكرامة أن تصبحَ بلادكم مقصداً لرواد البغاء ، وأهل الخنا ، أو أن تصبح نساؤكم مزابل وإماءَ في سوقِ النخاسة، يصحبن كل زان ، ويصادقن كل سافل 0

لابد أن تعلم المرأةُ المسلمة أنَّهم اليوم لا يطلبون منها أكثر من كشف وجهها ، وبحجةِ أنَّ كشف الوجه مختلفٌ فيه بين أهل العلم ، غير أنَّهم يعلمون علم اليقين، ونحن نعلم، وبحكم التجارب الطويلة العديدة أنَّها يوم أن تكشفَ وجهها، ويذهب ماؤه وحياؤه ، ستكشفُ لهم عمَّا سوى ذلك ، وصدق القائل :

رفعُ الحجاب وسيلة إن حُبّذت ضمت إليها للفجور وسائل

فالاختلاط، فمرقص، فتواعدٌ فالاجتماع، فخلوةٌ، فتواصل

ورابع الوقفات : لو أنَّ المنادين اليوم بكشف وجه المرأة أمام غير المحارم، كانوا في مجتمعٍ يعج بالسفور والتعري الفاضح، لأحسنا بهم الظنَّ وقلنا: لعل قصدهم ارتكاب أهون المفسدتين، والتدرجُ بالنساءِ في ردهنَّ إلى الحجاب الشرعي والحياء والحشمة شيئاً فشيئا .

أما وإنَّ الذين يُنا دون اليوم بنزع الحجاب عن الوجه، إنَّما يوجِّهون نداءَهم إلى مجتمعاتٍ محافظةٍ لم تعرف نساؤهُ إلاَّ الحشمة و الحياء، وتغطية الوجه، والبعد عن الرجال الأجانب، فإنَّ هذا ممَّا يُثير العجب، ويحيرُ العقل، و يضعُ استفهاماتٍ كثيرةٍ على مطالبهم تلك ، فماذا يُريدون من ذلك ، وماذا عليهم لو بقيت نساؤهم وبناتهم وأخواتهم و نساء المسلمين على هذه الحشمة و العفة و الحياء، ماذا يُضيرهم في ذلك ؟ ألا يشكرون الله عز وجل على هذه النعمة العظيمة، ألا يعتبرون بما يرونهُ في المجتمعات المختلطة المتبرجة، حيث ضاعت قوامة الرجل، و ظهر الفساد و هتكت الأعراض، و أصبحت تلك البلدان مقصدُ كلُّ فاجرٍ، وملاذُ كل طالبٍ للرذيلة، إنَّ زماننا اليومَ زمن العجائب، وإلاَّ فعلامَ يشرقُ قومنا بالفضيلة و الطهر والعفاف، ولكن صدق الله : ((وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ)) (سورة النساء: 27) .

وخامس الوقفات : أنَّ الأدلة الموجبةِ لستر وجه المرأة و كفيها عن الرجال الأجانب، ووجوبُ الابتعادِ عنهم أدلةً كثيرةً وصحيحةً وصريحة، ويمكن الرجوع إليها في فتاوى ورسائل أهل العلم الراسخين. ولكن يحسنُ أن نشير إلى أنَّ علماء الأمة قديماً وحديثاً من أجاز منهم كشف الوجه، و من لم يجزه، كلهم مُتفقون ومُجمعون على وجوبِ ستر وجه المرأة وكفيها إذا وجدت الفتنة، وقامت أسبابها، بل حكي الإجماع على ذلك أكثر من خمسين عالماً، فبربكم أيُّ فتنةٍ هي أشدُّ من فتنة النساء في هذا الزمان، حيثُ بلغت وسائل الفتنة والإغراء بهنَّ مبلغاً لم يشهدهُ تاريخ البشرية من قبل، وحيثُ تفننُ شياطين الأنس في عرضِ المرأة بصورها المثيرةِ في كلِّ شيء، في وسائل الأعلامِ المقروءةِ و المسموعة و المرئية، وأخرجوها من بيتها بوسائل الدعايةِ و المكر والخداع، فمن قال بعد ذلك إنَّ كشف المرأةِ عن وجهها أو شيءٍ من جسدها لا يثيرُ الفتنة، فهو والله مغالطٌ مكابر، لا يوافقهُ في ذلك من له مسكةً من دينٍ أو عقلٍ أو مروءة .

وإذا تبين ذلك فلنعلم أيضاً أنَّ هذا القدر من الخلاف بين العلماء بقي خلافاً نظرياً إلى حدٍ بعيد، حيثُ ظلَّ احتجاب النساءِ هو الأصلُ في الهيئةِ الاجتماعيةِ، خلال مراحلِ التاريخ الإسلامي، كما قال شيخ الإسلام (كانت سنة المؤمنين في زمن النبي– صلى الله عليه وسلم– أنَّ الحرة تحتجب)

و قال الإمام الغزالي : ((لم يزل الرجال على مرِّ الزمان مكشوفين الوجوه، و النساء يخرجنَ متنقبات)).

إنَّ كثرةَ الكلام عن هذه القضية ، وعلى أصعدةٍ متعددة ، بل إنَّ وسائل الإعلام تحاولُ ترسيخ هذا المفهوم من خلال الدعايات الإعلانية، حينما تصورُ الرجل حالقاً لحيتهِ والمرأة كاشفة وجهها، ومن خلالِ نشر صورِ النساء في الصحف، حتى بلغت في صحيفةٍ واحدة، في عددٍ واحد أكثر من ثلاثين صورة ، ومن خلال الكتابات التي يتقيؤها غلمان الأهواء، وصبيان الصحافة .

إنَّ ذلك لأمرٌ يثير الريبة، فلم يحدث في تأريخ الأمة أن اجتمع العلماء المجيزون لكشف الوجه، ليخرجوا على الأمة مجتمعين، يدعون النساء إلى إزالةِ غطاء الوجه، بدعوى أنَّ المسألة خلافية 0

كانوا يذكرون ذلك في كتبهم من باب التفقيه فحسب ، أمَّا أن يرتقوا المنابر، ويتصدروا المجالس والمنتديات ليقرروا ما ترجح لديهم، بإصرارٍ وإلحاحٍ لا ينقطع ، ليحملوا نساءَ الأمةِ على كشف الوجه ، فذلك لم يفعلوه، ولم يحصل في تأريخ الأمة، مع أنَّهم هم الأحق بذلك إن كان في ذلك خير ، فهم مجتهدون ينطلقون من الشرع، ومقصدهم نصرته 0

أما ما يفعلهُ هؤلاء المستغربون من الدعوةِ بإلحاح، وعلى كافةِ المستويات مع التلفيقِ والتلاعبِ بأقوال العلماء، فليس لهَ إلاَّ تفسيرٌ واحد، هو أنَّهم كرهوا ما أنزل الله فسحقاً لهم ، وأولى لهم طاعة وقول معروف، ولو صدقوا الله لكان خيراً لهم 0

إنَّ المتأمل في حال المتبعين للشهوات اليوم ليأخذه العجبُ و الحيرةُ من أمرهم ، فمالهم و للمرأة المسلمة التي تقرُّ في منزلها، توفرُ السكن لزوجها وترعى أولادها ، ماذا عليهم لو تركوها في هذا الحصن الحصين، تُؤدي دورها الذي يُناسبُ أنوثتها وطبيعتها ، ماذا يُريدون من عملهم هذا ، ثم ماذا عليهم لو تركوا أولاد المسلمين يتربون على الخير والدين، و الخصال الكريمة ، ماذا يريدون من إفسادهم وتسليط برامج الإفساد المختلفة عليهم، هل يُريدون جيلاً منحلاً، يكونُ وبالاً على مجتمعه، ذليلاً لأعدائه، عبداً لشهواته، إن هذه هي النتيجة، وإن من يسعى لهذه النتيجة التي تتجهُ إليها الأسر المسلمة اليوم لهو من أشدِّ الناس خيانةً لمجتمعة و أمته وتاريخه، وإنَّ من عندهُ أدنى مروءةٍ ونخوةٍ فضلاً عن الدين و الأيمان، لا يسمح لنفسه أن يكون من هؤلاءِ الظالمين المفسدين.

يا أهل الشرفِ والحياءِ و المروءة، كونوا يقظين لما يطرحهُ الظالمون لأنفسهم و أمتهم، من كتاباتٍ وحوارات، مؤداها إلى سفورِ المرأة و اختلاطها بالرجال، فما دامت المدافعةُ بين المصلحين و المفسدين، فإنَّ الله عز وجل يقذفُ بالحق على الباطل فإذا هو زاهق.

ينبغي أن لا ننسى في خضمِ الردود على ما يكتبهُ المفسدون من الشبهات و الشهوات، ذلك السيلُ الهادر، الذي يتدفقُ من وسائل الأعلام المسموعة و المرئية في بلادِ المسلمين، وذلك بما تبثهُ من دعوات للمرأة إلى السفور، ومزاحمة الرجال في الأعمال و الطرقات، عبر القصة و المسلسل و البرامج الحوارية، والمقابلات

والبرامج الغنائية، ولقد ضربت هذه الوسائلُ بأطنابها في بلادِ المسلمين، فكان لزاماً على كل غيورٍ محاربتها وإبعادها عن بيته قدر الاستطاعة .

ربوا نساءكم وبناتكم على حبِّ الحجاب و التعلق به منذ الصغر، ومن وسائل ذلك تحصينهنَّ الحصانة الفكرية و الأخلاقية، بأن تعلمَ المرأة المسلمة أوضاع المرأة الغربية، والإسفاف النفسي الذي وصلت إليه، وتعتيم الغزو لأوضاعها، و أحياناً قلب مفاسدها و انحرافاتها إلى فضائل و تكريم0

إننا لا نريدُ المرأة المتحجبة تقليداً وعادة ، تشعرُ مع الحجاب بالضيقِ والحرج ، وتتخلى عنهُ لأدنى شبهةٍ أو شهوة.

نريدُ المرأةَ المسلمة التي ترى في الحجاب عزاً وشرفاً، وترى في الحياءِ سلوكاً وخلقاً، نريدُ المرأة التي تتحجبُ استسلاماً لله ،ورضاً بشريعتهِ، وخضوعاً لحكمهِ، وتتمثل قولَ الحق: ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)) (سورة الأحزاب :36) 0

لا نريدُ المرأة المتحجبة المتخلفة ، فإنَّ الدعوةَ إلى فريضة الحجابِ والعودة إليه لا بدَّ أن تواكبها دعوة القائمين بأمر المرأة، إلى أن يؤدوا لها فريضةَ تحرير عقلها من حجبِ التضليل، والجهل والتخلف، وتِلكم مسئوليتكم أيُّها الأولياء، فاتقوا الله وقوا أنفسكم و أهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة.

إننا نتطلعُ إلى أن تكون غيرتكم جبلاً تتحطمُ عليه كل نصالِ دعاة الضلال، وأن لا تكون غيرتكم جداراً من ورق ، ينهارُ عند أدنى طمعٍ دنيوي، أو شهوةٍ مادية .

نحنُ لا نُريد المجتمع الذي يقتلُ الحسين ويسألُ عن دم البعوضة ، لا نُريدُ الجيلَ الذي يأنفُ أفرادهُ من ذكر أسماءِ نسائهم في المجالس، و يتقبلون أن تصبح وجوههنَّ معرضاً مكشوفاً لكل راءٍ ومتفرج 0

وإلى أختنا بنت هذا البلد، وإلى كل مسلمةٍ تخشى الله وتتقيه، طوبى لمن تُفاخرُ بحجابها، وتتمسكُ بعفافها، ومعها العلم والوعي والبصيرة، والحريةُ الحقة من عبوديةِ العبيد، قائلةً لشياطين الإنس: ((قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)) (سورة الأنعام:15) .

يا فتاة الإسلام، رسالة نذير وصيحة تحذير، إنَّ الفتاة التي تستجيبُ لنداءِ المبطلين، وتنخدع بدعايات المفسدين، فتكشف عن وجهها، إنما تضعُ نفسها في خندقٍ واحدٍ مع جند الشيطان، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون 0

لتحذري يا ابنةَ الإسلام أن تكوني السبَّاقة إلى خلع جلبابِ الحياء، فتكوني ممن سنَّ في الإسلام سنةً سيئة، عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، وإنَّ أولَ من تكشفُ وجهها ستكونُ من داعياتِ الضلالة، ومن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الآثام مثل آثامِ من تبعه إلى يوم القيامة ، فهل لك يا فتاةَ الإسلام طاقةً بتحملِ أوزار المذنبين والمذنبات 0

يا ابنة الإسلام، لقد قال- صلى الله عليه وسلم- ((نح الأذى عن طريق المسلمين)) ، فإذا كانت إماطةُ الأذى عن الطريق من شعب الإيمان، فأيُّهما أشدُّ أذى، شوكة أو حجر في طريق، أم فتنة تفسدُ القلوب، وتعصفُ بالعقول، وتشيعُ الفاحشة في المؤمنين 0

إنه ما من شابٍ مسلمٍ يُبتلى منك اليوم بفتنةٍ تصرفهُ عن ذكر الله، وتصدهُ عن صراطه المستقيم، كان بوسعكِ أن تجعليه في مأمنٍ منها ، إلاَّ أعقبكِ منها غداً نكالٍ من الله عظيم .

خذي العبرةَ من أخواتٍ لك في بلادٍ مسلمة، انخدعنَّ بدعوات المنافقين، فغرقنَ في مستنقعِ الآثام ، وعانينَ من ويلاتِ التبرج والسفور، ثم تداركهنَّ اللطيفُ الخبير، فأعلنَّ العودةَ إلى الله ، فاختصري الطريق ، ولا تُحاولي ولوجَ نفقٍ السفور المظلم، فُربما لا تعودين منهُ إلاَّ على نعشِ الانحرافِ وفي تابوتِ الضياعِ، حينها كم من قائلةٍ : يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ، وهل ينفع شيئاً ليت 0

إننا على ثقةٍ أن دعوات المنافقين ستتكسرُ على نصالِ الغيرة والرجولة ، وستغرقُ في سيلِ العفافِ والسمو الأخلاقي، وسينقلبُ المنافقون على أعقابهم خاسئين لم ينالوا خيراً، وسيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين .

=============

 # هم العدو فاحذرهم

الحمد لله الذي يكشفُ البلوى، ويعلمُ السرَّ والنجوى، وأشهدُ ألاَّ إله إلا الله وحدهُ لا شريك له، إنَّهُ هو الربُّ الأعلى، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله النبي الأكمل، والرسول الأتقى- صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم- تسليماً أما بعد:

فاتقوا الله أيُّها المسلمون: حقَّ التقوى، ولا تموتنَّ إلاَّ وأنتم مسلمون.

الأمةُ تعيشُ في غمةٍ، والأمةُ سيلٌ قد انعقد غمامه، وجيوشُ الصليب جاءت إلى ديار المسلمين من فوقهم ومن أسفل منهم، يُلوِحون بعصاهم الغليظة، ويُشهرون سيفَ التهديد والوعيد، قائلين:إنَّا قد جمعنا لكم فاخشونا، وأهلُ الإسلام يستسقونَ أمطاراً فترتوي الأجواءَ رياحاً وغباراً، بما كسبت أيدي الناس، ليذيقهم بعضَ الذي عملوا لعلهم يرجعون.

وفي غمار الأزماتِ، وأوقاتِ الشدائد والمحن، ينشغلُ الناسُ بالعدو الأصغرِ عن العدو الأكبر، حيثُ تنبعثُ روائحَ منتنةٍ من مستنقعٍ عفن، وتخرجُ جرذانِ الفساد، وفئران الانحلالِ من جحورها، لتغرق سفينةَ الأُمة، وتهدم بنيانها.

من يا تُرى عدونا الأكبر؟! وما تلك الروائح العفنة؟! وما هي جرذان الفسادِ وفئران الخراب ؟!.

إنَّهم قومٌ نسوا الله فنسيهم، أولئكَ هم الفاسقون، أولئكَ هم المفسدون في الأرض، الآمرون بالمنكر، الناهون عن المعروف، إنَّهم المنافقون الذين لا يظهرون إلاَّ في الأزمات ، ولا ينعقونَ إلاَّ إذا انتفش أسيادهم ، ورقصوا على جراح أمتنا طرباً .

إنَّهم المنافقون على اختلاف مشاربهم، وتنوع مسمياتهم، العلمانيون الحداثيون، أرباب الشهوات وأدعياءَ العقلانية والتنوير، الرافضة ، تعددت الأسماءُ والكيدُ واحد.

تنوعت أسماؤهم وسيدهم واحد، ((ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب)) وهدفهم واحد"، ((ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً)) ويحبون أن تشيع الفاحشة بين الذين آمنوا، وودُّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواءَ.

وادعاءَاتُهم واحدة، فالإفسادُ إصلاح، وتدميرُ المرأةِ تحرير، وعقوقها حقوق،. ((وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون)) إنَّهم المنافقون والمنافقات،

بعضهم من بعض ، من طينةٍ واحدة، وطبيعةِ واحدة، المنافقون في كل زمانٍ وفي كل مكانٍ تختلف أقوالهم وأفعالهم، ولكنها ترجعُ إلى طبعٍ واحد

وتنبع من مستنقعٍ واحد، سوءَ الطوية، ولؤمَ السريرة والغمز ، والدس والضعف عن المواجهةِ والجبن عند المصارحة، تلك سماتُهم الأصيلة ، أمَّا سلوكهم فهو الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، والبخلُ بالمال ، إلاَّ أن يبذلوه رئاءَ الناس، وهُم حين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، يستخفون بهما، ويفعلون ذلك دساً وهمساً، وغمزاً ولمزاً، لا يجرؤن على الجهر إلاَّ حين يأمنون، ولا يأمنون ويجترئون إلاَّ حينما ينتصرُ أسيادهم من اليهود والصليبين، ويُحلون قريباً من ديارِ المسلمين.

إنَّهم نسوا الله فلا يحسبون إلاَّ حساب الناس وحساب المصلحة، ولا يخشون إلاَّ الأقوياءَ من الناس ، يذلون لهم ويدارونهم، فنسيهم اللهُ فلا وزن لهم ولا اعتبار.

إنَّ النفاقَ لا ينجمُ إلاَّ عن تلك النفوسِ المريضة الجبانة، التي لا تتجرأُ على الظهورِ بأفكارها، أو تلك النفوسِ التي لا ترى إلاَّ حياتها الدنيا ، فإن أُعطي أحدهم رضي، وإن لم يُعط سخط ، وهُناك نفوسٌ تكرهُ الحقَّ ولا تحبُ العيشَ إلاَّ في المستنقعِ الآسن ، فهي تشرقُ بدعوةِ التوحيد، والعبودية لله وحده.

لقد تميزَ عصرُنا الحاضر بارتفاع أصوات المنافقين والمنافقات في أنحاء العالم الإسلامي، فأُفردت لهم الصفحات، ودُعوا إلى التحدث في المنتديات، واحتفلت بهم التجمعات، وسيطروا على كثيرٍ من وسائلِ الإعلام كما يلاحظهُ القاصي والداني.

وحالُ المنافقين ليس بجديدٍ على أمةِ الإسلام، فعداوتهم متأصلةً منذُ هجرة محمد –صلى الله عليه وسلم–، وقد وصفهم الله في سبعةٍ وثلاثين موضعاً من كتابه، وأفاضت السنة في وصفهم، وهي صفاتٌ تتوارثها الأجيال المنافقة، زمنٍ بعد زمن حتى وقتنا الحاضر، "وإذا رأيتهم تُعجبك أجسامهم، وإن يقولوا تسمع لقولهم"، فما أكثرَ المستمعين لحديثهم، المنصتين لهرائهم، المتابعين لإنتاجهم ، والعجبُ أن تتولى حفنةٌ قليلةٌ من المنافقين والمنافقات إفساد الأمة، ومسخها عن دينها ودعوتها، إلى التحررِ والإباحية، والعفنِ والرذيلة، وهكذا هُم المنافقون في كلِّ أمةٍ وفي كل قطر، يتحينون الفرص، ويقطعون الطريق، ((المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض)) لا

يملون ولا يكلون، ولهم جلدٌ وصبرٌ عجيب، شعارهم (تقدم خطوتين وارجع خطوة) ((وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم)) .

إنَّ من كيد المنافقين محاولةُ إسقاطِ الشخصيات المسلمة، وتشويه صورتها، والقدحُ في نزاهتها كما في قصةِ الإفك التي تتكرر في كلِّ جيل، وعبر طرقٍ مختلفة.

ومن كيدهم: بلبلةُ الصفِّ الإسلامي، بإشاعة الخور فيه والضعف، وذكرُ قوةِ الأعداء وتهويلها"، ((وقالوا لا تنفروا في الحر)) ، ((لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلاَّ خبالاً)) وكما قال قائلهم يوم تبوك : أتظنون جلادَ بني الأصفرِ كقتالِ العرب، والله لكأنا بكم غداً مقرنين في الحبال ، واستعملوا أسلوبَ السخريةِ والاستهزاء، ((ولئن سألتهم ليقولنَّ إنما كنَّا نخوض ونلعب)) .

أيُّها المسلمون :

المنافقون هم الذين يتخذون الكافرين أولياءَ من دون المؤمنين، يبتغون عندهم العزةَ، ويُسارعون فيهم، يقولونَ نخشى أن تُصيبنا دائرة"، فهم يتعاونون مع أعداءِ الإسلام لتدميرِ الأمةِ المسلمة، قال شيخ الإسلام": وهؤلاءِ المنافقين في هذه الأوقات، فيهم ميلٌ إلى التتار، لكونهم لا يلزمونهم شريعة الإسلام.

يشهدُ التاريخُ ويشهدُ الحال على أنَّهُ ما من فتنةٍ هي أشدُّ خطراً وكيداً على الأمة، وقيادتها ومبادئها، مثل كيد المنافقين.

فهم لا تربطهم بقادتهم، ولا بأوطانهم مبادئُ سامية، ولا قيمٍ نبيلة ، رائدهم المصلحة وهدفهم الإفساد.

روي عنه- صلى الله عليه وسلم- قوله : ((إني لا أتخوف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً ، أمَّا المؤمن فيحجرهُ إيمانه ، وأما المشركُ فيقمعهُ كفره ، ولكن أتخوفُ عليكم منافقاً عالم اللسان ، يقولُ ماتعرفون ، ويعملُ ما تنكرون)) .

من ينسى موقفهم في أحد، وخيانتهم يوم الخندق، وإرجافهم في تبوك، ومن ينسى مؤامرتهم لإسقاط الدولة المسلمة، ومن ينسى تواطؤهم مع التتار، وتعاونهم مع أهلِ الصليب، أمَّا في عصرنا فتشهدُ أرض أفغانستان بالأمس، وبلاد العراق اليوم بخبثهم وخيانتهم ومكرهم.

إنَّ شماتتهم وفرحهم بما يُصيبُ المسلمين من نكباتٍ، لم يكن ليُخفيها التظاهرُ المتصنع ، وما تقولهُ أفواههم غيرَ ما تُخفيه صُدورهم .

إنَّهم وإن دندنوا بالحفاظ على مصلحةِ الوطن، وتحدثوا عن الحرصِ على الوحدة والتآلف، فهم بأفعالهم كاذبون، وبمواقفهم خائنون، ((وإن يقولوا تسمع لقولهم)) ((وفيكم سمَّا عون لهم)) .

لم يعرف التاريخ السابق والمعاصر قوماً أشدُّ وفاءً لقيادتهم وأمتهم، وأكثرُ حفاظاً على مكتسبا تهم، من أهلِ السنةِ الصالحين المصلحين، الذين ينطلقون في مواقفهم من عقيدةٍ راسخة، وقيمٍ نبيلة، وإيمانٍ بالله واليوم الآخر، لا خوفاً من بشرٍ ولا طمعاً في عَرَض.

أيُّها المسلمون:

والأمةُ اليوم مهددةٌ من أعدائها، وليس لها من دونِ الله كاشفة، والفتنُ قد اشتدَّ أوارها ، فإنَّ الحاجةَ تشتدُّ للعودة إلى الله، واللجوءِ إلى حماه ، والحاجةُ تشتدُّ إلى التعاون والتآلف، ووحدةَ الصفِّ والاعتصامِ بحبل الله ، والحاجةُ تشتدُّ إلى السيرِ في ركبِ جماعةِ المسلمين وإمامهم.

ولكنَّ المنافقين في الأمة انطلاقاً من مبادئهم في خلخلة الصفوف، وتحقيقاً لأهداف أسيادهم"، ((يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم)) ، ويبغونكم الفتنة، ويريدون أن تميلوا ميلاً عظيماً.

هاهم اليوم يستغلون انشغالَ الأمةِ بالأحداثِ والأزمات ، يبثُّون سمومهم، وينشرون أفكارهم العفنة، ويدعون إلى ضلالاتهم التي تشهدُ هدم الجدار الأخلاقي للأمة ، لكي يسهلَ استعمارها، ويخف على أسيادهم دمارها.

لقد رأوا كما رأى أسيادهم، أنَّ إفساد المرأةِ هو أقصرُ الطُرقِ لإفسادِ المجتمعِ بأسره، فسلطوا سهام أقلامهم للحديث عن قضايا المرأة وحقوقها المهضومة كما يزعمون.

إنَّ قضاياهم التي يطرحونها، وأفكارهم التي ينشرونها، لا تتجاوزُ المرأة وشؤونها، سواءً فيما يخصُّ تعليمها، ولباسها المدرسي ومناهجها، أو فيما يخصُّ عملها، ومحاولةُ إقحامها في مجالاتٍ لا تتناسبُ مع طبيعتها ، أو فيما يتعلقُ بترفيهها من خلالِ دعواتهم لإنشاءِ نوادٍ نسائية .

وآخر غثائهم دعوتُهم التي أُقرت، وهي سماحَهم للمرأةِ بالعملِ بائعةً بمحلاتِ أدوات التجميل، ومندوبة مبيعات.

ودعكَ من شروطهمُ التي وضعُوها، فإنَّما هي حبرٌ على ورق.

وفي برنامجٍ تلفازي، يصبحُ المذيعُ مفتياً، فيعرضُ صورَ نساءٍ كاشفاتِ الوجهِ، ويبرر بأنَّهُ هذا لا شيءَ فيه شرعاً .

إنَّ مثلَ هذه الدعواتِ العفنةِ في مجتمعنا المسلمُ الغيور، إنَّما تزرعُ بذورَ الخصامِ والعداوات، وتؤججُ نارَ الفُرقةِ والنزاعات، وتستجلبُ غضبَ اللهِ عز وجل وسخطه.

كلُنا يُدركُ والمنافقون يعلمون أنَّ فتنةَ التبرج والسفور في البلاد المسلمة، إنَّما بدأت بكشفِ وجه المرأة، فخلعت معهُ ما هو أغلى وأثمن، ألا وهو ثوبُ الحياء، الذي طالما صان وجهها، أن يكون معروضاً مبذولاً لكلِّ من شاءَ أن يراه، وما زالت المرأةُ تتدرجُ في خطوات السفور، حتى وصلت إلى ما تعلمون وتسمعون.

وكلُنَّا يُدركُ أنَّ عمل المرأة بائعةً ومندوبة مبيعات، يستلزمُ قيادتها للسيارة، ويتطلبُ اختلاطها بالرجال، واتصالها بهم، ولا تسأل بعد هذا عمَّا يحدثُ من فتنٍ وضياع، فلماذا الضحكُ على الذقون ؟ .

وإننا نتساءلُ بحرقةٍ وأسى : لمصلحةِ من تُبثُّ هذه الأفكار العفنة، وتنشرُ هذه الآراء المفسدة ؟ وهل نحنُ نُعاني من قلةِ الرجال العاملين، أوليس لنا عبرةً في تجاربِ الغرب الكافر، حينما انتهوا إلى حقيقةِ : أنَّ المرأةَ دورها في بيتها، وعملها في أسرتها، فلماذا نبدأُ من حيثُ بدؤواُ لا من حيث انتهوا.

إننا نعلمُ ونوقنُ، أن ليس بالقومِ غيرةٌ على الدين، ولا حرصٌ على مصالحِ البلادِ والعباد، ولكنهم المنافقون يصطادون في الماءِ العكر، ولا يرضيهم إلاَّ أن يكون مُجتمعنا نسخةً من مجتمعات الغربِ المنحلة، ولا يقرُّ أعينهم إلاَّ مشاهد المسارح والبارات ، ودورُ البغاءِ وأولادُ السفاح منتشرةً في شوارعنا ، إنَّهم كما أخبر الله ((ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً)).

إنَّ العلمانيين حينما يطرحون قضيةَ المرأةِ وحجابها، ويُطالبون بقيادتها للسيارة، ومشاركتها للرجلِ في التجارةِ والإدارة، إنَّما يجعلون من مسألةِ الحجابِ والعفافِ مجرد تقاليدٍ وعادات.

وما عرفنا الإسلام تقاليد ، إنَّما عرفناهُ مناراً وتعاليم، وشرائع ومعالم. وهم بذلك يُحولون شرعَ اللهِ ووحيهِ إلى أعرافٍ وتقاليد، تواضعُ الناس في زمنٍ من الأزمان على احترامها، وبناءً على ذلك فما يَصلحُ لجيلٍ لا يصلحُ لآخر، وما يناسبُ مجتمعاً لا يناسبُ المجتمعات الأخرى، وما يتفقُ مع زمنٍ فلا شأنَ لهُ بباقي الأزمان، إنَّ الهدف من التعبيرِ عن الأحكام الشرعية، بالتقاليدِ واضحٌ بيّن، وهو جعلها عُرضةً للتغييرِ والتبديل، بحجةِ إنَّ تقاليدَ عصرُ الصحراء لن تُناسب عصر الفضاء،" كبُرت كلمةً تخرجُ من أفواههم .

لا بُدَّ أن تُدرك المرأةُ المسلمةِ ويدرك وليها، ولا بُدَّ أن يدركَ المجتمع كلهُ أنَّ كلَّ دعوةٍ لإفسادِ المرأةِ، ونزعِ حيائها، وسلبِ عفافها، إنَّما هي محاولةُ لهدمِ معالمِ القوةِ في الأمة، ليسهلَ على العدوِ تدميرها، وسلب خيراتها.

وإنَّ العجب لا ينقضي من أمةٍٍ تنعمُ بشريعةِ ربها، وتتفيؤ ظلالَ نعمهِ الوارفة، في جنةِ العفاف، وبستانِ الفضيلة ، ثُمَّ هي تنقضُ غزلها، وتُخرب بيتها بأيديها وأيدي أعدائها،. ((أ فحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون)) .

الخطبة الثانية

أما بعد:

فإنَّ المعركةَ الفكريةَ التي يُديرها أعداءُ الإسلام، أخبثُّ وأشدُّ لؤماً من المعاركِ العسكريةِ والاقتصادية، معركةٌ استنفرت فيها الأقلام، وحُشدت لها الكتبُ والصحفُ والمجلات، ومئاتُ المرتزقة والحاقدين.

وإنَّ أشدَّ ما يُصابُ به المسلمون، أن يتسلل المنافقون إلى صفوفهم، فيعيثون تخريباً وفساداً، وأصحاب الغفلةِ يسمعون لهم، وتُؤثر فيهم مكايدهم 0

إنَّ المنافقينَ اليومَ لم يُعد هجومهم وحربهم قاصراً على القيادات الإسلامية، من علماءٍ ودعاة، ولم يتوقف عندَ حدِّ الهجومِ على المؤسسات الإسلامية العاملة في هذه البلاد ، من لمزٍ لنظامِ القضاء، أو سخريةً بالفتوى، أو هجومٌ متعمدٌ على الهيئات، وتهكمٌ برجالها ، ذلك الهجومُ الذي يقطرُ من أقلامهم، وتسودُ به صحافتهم.

لم يُعد المنافقون يكتفونَ بذلك، بل مع جلدِ الفاجرِ، وعجزِ الثقةِ، أصبحوا يَتطاولون على بعضِ معالمِ الدين، ويتحدثونَ عن أمورٍ شرعيةٍ بأسلوبٍ ساخر، ينبئُ عن

مـرضٍ قلبـي ، وانهزاميـةٍ نفسـية، فمـن كاتـبٍ يـتهجمُ علـى الجهـادِ ويسـخر مـن المجاهدين، ويتهكمُ بالكراماتِ وصورَ النصر ، إلى آخرٍ يكتبُ مقالاتٍ عن الدعوةِ، ويتوصلُ بعبقريتهِ الفذَّة إلى أنَّ داءَنا، وعلةَ فشلِ تعليمنا، هو اشتغالُنا بالدعوة إلى الله ، ويظهرُ تبرمهُ منهُ قائلاً: لهذا أصبحنا محاطينَ بالدعوة والدعاةِ من كلِّ جانب ، ويسخرُ من مواضيعِ الدعوة قائلاً : إنَّ كثيراً من النشاطاتِ لا يتضمنُ إلاَّ تكراراً، فهي تدورُ على موضوعاتٍ محددة، أشهرها الموتُ والحجاب، وتفسيرُ الأحلامِ والجهاد.

ويُطالبُ تلميحاً بإقصاءِ الدينِ عن المناهجِ الدراسيةِ قائلاً : وتساعدُ المناهجُ نفسها هؤلاءِ، على أن يكونوا دعاةً، فقد اصطبغتِ الكتبُ الدراسيةِ جميعها بصبغةٍ دينية، ويختمُ هراء هُ بقوله: ومن هُنا فأحد أسبابُ تدهورِ التعليم، أنَّ المدارسَ لم تُعد بيئةً للتعليمِ كما نعرفه، بل أصبحت مكاناً للوعظِ والتزهيد في الدنيا، وتحويلِ الطلاب إلى أتباعِ بعض التيارات، التي رُبما تقودُهم إلى مآلاتٍ غير مُرضية .

وما إن كتبَ هذا الكاتبُ هذا السخفُ، حتى تتابعَ مُريدُوهُ من غلمان الأهواءِ، وصبيانِ الفكرِ يُؤيدونهُ، ويُوردون الشواهدَ الهزيلةِ، على صدقِ نظريتهِ الفذَّة ((يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا)) .

ولسنا بحاجةٍ إلى ردِّ مثل هذا الغُثاء الذي يُعارضُ دينَ الله أولاً ، ويتعارضُ مع سياسةِ الدولة وأنظمتها ثانياً ، ولكننا نتساءَلُ : كيف يُنشرُ مثل هذا السُخفِ في بلاد الإسلام ؟

إنَّهُ ومع خروجِ فئرانِ النفاق من جحورها، وظهورِ روائح المنافقين العفنة، ومع كثرةِ مبادراتهم التغريبية، فإنَّ المسؤوليةَ على أهلِ البلاد كبيرةً، للحفاظِ على أمننا العقدي والفكري والأخلاقي.

إنَّ أولَ واجبٌ علينا تجاهَ النفاق والمنافقين، هو كشفِ عوا رهم، وفضحِ أسرارهم، وتعريةِ لا فتاتهم التغريبية، وبيان حقيقة أهدافهم .

لا بدَّ أن تُعلمَ الأجيالُ أنَّ المنافقين هم أشدُّ خطراً على البلادِ وأهلها من العدوِّ الخارجي"، هم العدو فاحذرهم".

وإنَّ على العلماءِ والدعاة، والكتاب أن يوجِّهوا أقلامهم وأطروحاتهم، ومقالاتهم لكشفِ مؤامراتِ المنافقين، ومُجاهدتهم وفضحهم، بدلاً من الخوضِ في الجهادِ ومثالبِ المجاهدين .

لابُدَّ أن تعلمَ الأمةُ أنَّ المنافقينَ هُم أعداؤها ، والمناصرونَ لأعدائها ، وإنَّ تستروا بعباءَةِ الوطنية ، والتحفوا بلحافِ الإصلاح، ((اتخذوا أيمانهم جنة)) فيحلفون الأيمانَ كلَّما انكشف أمرهم ، أو عُرفَ عنهم كيدٌ أو تدبير ، أو نُقلت عنهم مقالةُ سُوءٍ في المسلمين .

وإنَّ من الواجبِ أخذ الحذرِ من مكرهم وكيدهم ((يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم)).

والحذرُ يقتضي معرفةُ صفاتهم وأساليبهم ((ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم إسرارهم)) .

والحذرُ يتضمنُ عدمُ الثقةِ بأقوالهم ، فالكذبُ من السياساتِ المعمولِ بها عند المنافقين، ((يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر)) .

وإذا كُنَّا مُطالبين بإعمالِ حُسن الظنِّ مع المؤمنين ، فإنَّ من السذاجةِ المرفوضةِ أن نجعلَ المؤمنين كالمنافقين .

والحذرُ يتضمنُ عدمُ الميلِ إلى آرائهم ، والتي غالباً ما تكونُ مطبوخةً في مصنعِ المصالحِ الذاتية ، ويتضمنُ التعبئةَ العامةَ ضدهم ، والحذرُ من تعاونهم مع العدو .

وإنَّ محاربة النفاقِ والمنافقين ، تكونُ بالبعدِ عن مجالسهم ومنتدياتهم ، فأولى مراتبُ النفاقِ، أن يجلسَ المؤمنُ مجلساً فيه آياتُ اللهِ يُكفرُ بها ويستهزأ بها ، فيسكتُ أو يتغاضى ، يُسمي ذلك تسامحاً . أو يسميهِ دهاءً ، أو يسميهِ سعةَ صدرٍ وأفق ، وإيماناً بحريةِ الرأي . وهي هي الهزيمةُ الداخلية، تدبُّ في أوصالهِ،

إنَّ الحميةَ للهِ ولدينِ الله ولآياتِ الله، هي آيةُ الإيمان ، وما تفترُ هذه الحميةُ إلاَّ وينهارُ بعدها كلُّ سد ، وينزاحُ بعدها كلُّ حاجز ، وإنَّ الحميةَ لتكبتُ في أولِ الأمر عمداً ، ثُمَّ تُهمدُ ، ثُمَّ تُخمد ، ثُمَّ تموت .

فمن سمع الاستهزاءَ بدينهِ في مجلسٍ، أو قرأهُ في صحيفةٍ أو مجلة ، فإمَّا أن يدفعَ ، وإمَّا أن يُقاطعَ المجلس وأهله ، والصحيفة وملاكها .

فأمَّا التغاضي والسكوت، فهو أوَّلُ مراحلِ الهزيمة ، وهو المُعبرُ بين الإيمانِ والكفرِ على قنطرةِ النفاق، ((وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله)) .

وإنَّ كيدَ المنافقين يواجهُ بالاعتناءِ الشديد، بأمرِ الجهادِ في سبيلِ الله، وإعدادَ العُدةِ الكافيةِ لملاقاتِ الأعداء، عملاً بقولهِ تعالى، ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)) وذلك أنَّ روحَ الجهادِ متى ما سادت، أيِّ مجتمعٍ أدَّى ذلك إلى حمايةِ وجودهِ، وتعزيزَ وحدته، وضمانَ ديمومتهِ العقائدية، وإبداعهِ الحضاري .

وكيدُ المنافقين يواجهُ بتعزيزِ جانبِ الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر،والقيام بوظيفةِ الإصلاح ، فما مِن شيءٍ أشدُّ على المنافقين من إحياءِ هذه الشعيرة ، ولذا كانت الهيئاتُ شوكةً في حلوقهم، وسداً أمامَ شهواتهم ، فأفرغوا سيلَ حقدهم، وصبُّوا جام غيظهم على الحسبةِ ورجالها، ساخرين لامزين، ((سخر الله منهم ولهم عذاب أليم)) .

وإنَّ كيدَ المنافقين ومكرهم يواجهُ بالتوعيةِ الجادَّة، للأسرةِ نساءً وشباباً وأطفالاً ، وتربيتهم على الجدِّيةِ في التمسكِ بالدين ، والبعدُ عن الترخصِ والتحللِ من قيمِ الدين بأيِّ مسمىً كان .

لابُدَّ أن تعي الأسرةُ المسلمة تخطيط الأعداءِ، ودورهم في إفسادِ المجتمعات ، ولا بُدَّ أن تعلمَ نساؤنا خطواتِ الإفسادِ التي مرت بها المرأةُ المسلمة في بلادٍ أخرى ، وانتهت بها إلى التهتكِ والفجور .

ولابُدَّ أن تتعلم الأسرةُ المسلمة أحكام دينها، وحقوق كلِّ فردٍ في شريعةِ الإسلام ، ولابُدَّ من تربيةِ الأجيالِ على الولاءِ للدين، وأخذِ أحكامهِ بقوة ، وأنَّ شريعةَ الإسلامِ قائمةً على التسليمِ لرب العالمين، ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً)) .

إنَّ المعلمَ والمعلمة في مدارسهم، والأبُ والأمُّ في البيت، ودرسُ الحلقةِ في حلقتهِ، والإمامُ في مسجده ، والداعيةُ في كلِّ مكان ، هؤلاءِ جميعاً عليهم مسؤوليةُ حمايةِ المجتمعِ وحراسةُ الفضيلة ، وتحصينُ أفرادِ الأمة عن أيِّ داءٍ تغريبي .

يوم أن يقومَ كلٌ منَّا بدورِه، ويومَ أن تقفَ الأمةُ كلَّها في وجهِ الطروحات التغريبية، رفضاً وإنكاراً ومقاطعةً، حينها تخبو نارَ النفاقِ ، وينقلبُ المنافقون بغيظهم لم ينالوا خيراً ، ويصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين 0

اللهمَّ صل وسلم على نبينا محمد .

===============

أساليب العلمانيين في إفساد المرأة 2 / 2

أيها الأخوة في الله :إن الغربَ يُريدُ القضاء على هذا الدين، وذلك من خلالِ إيجادِ أذنابٍ لهم يحملون فكرهَم، ويتبنونَ أطروحاتهِم، ومن خلالِ المرأةِ وتحريرِها المزعوم، واليومَ نتحدثُ عن دورِ المنهزمين المتغربين من أبناءِ جلدتنا، ونبينُ أساليبَهم في إفسادِ المرأةِ المسلمةِ، يقول حُذَيْفَةُ- رضي الله عنه-: ((كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ r يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ قِيلَ لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : مَنِ اتَّقَى الشَّرَّ وَقَعَ فِي الْخَيْرِ)) . رواه أحمد [1]

أيُّها الأخوةُ في الله : لهؤلاءِ المفسدين وسائلَ لتحقيقِ مآربهم، وتمريرِ أفكارِهم في المجتمع، نذكرُ بعضاً منها مما يسمحُ به المقام، فمن أبرزِ وسائلِهم، والتي ركزوا عليها جهدَهم، وأنفقوا عليها أموالَهم، وسخَّروا لها أموالَ غيرِهم ووجاهتَهم :

1- وسائلُ الإعلامِ المختلفة ، سواءً كانت مسموعةً أم مقروءةً أم مرئية، .. يقول الله جل جلاله: ((إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)) [النور :19] .

لقد دأب الإعلامُ بوسائلهِ المختلفةِ، على تصويرِ المفاهيمِ الإسلاميةِ الخاصةِ بالمرأةِ تصويراً يحطُّ من قدرِها، وينتقصُ من صلاحيتِها، ويشككُ في قدرتِها على الاستجابةِ لمتطلباتِ الحياةِ العصريةِ، ويُحقّرُ من شأنِها ، ويصوّرُ أن المرأةَ المسلمةَ مهضومةُ الحقوقِ، مهيضةُ الجناحِ!! ليتظاهرَ الإعلامُ بكلِ قنواتِه، بالدفاعِ عنها والبحثِ عن حقوقِها، وإثارةِ قضايا مفتعلةٍ كضرورةِ تحريرِها من القيودِ، ومساواتِها بالرجالِ!! بالإضافة إلى إلقاءِ شُبهاتٍ حول أحكامٍ إسلاميةٍ معينة، تُزرع في حسِ المرأةِ لتراها عبئاً ثقيلاً، تتمنى الخلاصَ منه! ففي تعليمِ المرأةِ وعملِها، اضطلع الإعلامُ بدورِه في بناءِ مفهومٍ خاطئ عن قرارِ المرأةِ في بيتِها؛

فالمرأةُ المتفرغةُ لشؤون بيتِها والحدبِ على أطفالِها، رعايةً وتعليماً بكلِّ ما يمثلهُ هذا الدورُ المنزليُ، من حضورٍ فاعلٍ ومؤثر، لا يُعترفُ به إعلامياً!! ولم يتحدث الإعلامُ عن الآثارِ الخطيرةِ التي جنتها الأمةُ من خروجِ المرأةِ للعملِ، ووكلِها تربيةَ الأبناءِ للخادماتِ ودورِ الحضانةِ، ولم يُعالج هذا الخطرُ المحدقُ بالأمةِ إعلامياً، ومثلما صوَّر الإعلامُ قرارَ المرأةِ في بيتِها بأنهُ أداةُ تعطيلٍ لطاقاتِ المرأةِ، وعزلٍ لها عن المجتمعِ، دعا أيضاً إلى ضرورةِ التعليمِ المطلقِ للمرأةِ، ومنحِها فرصِ التعليم حتى في مجالاتٍ لا تتناسبُ مع طبيعتِها الأنثويةِ ، ومن ثَمَّ إيجادُ سيلٍ هائلٍ من الخريجاتِ اللاتي يُطالبن بفرصِ عملٍ ، و الحجابُ الذي قال الله فيه : ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ)) [الأحزاب :59].

– مثلاً – صوَّرهُ على أنهُ عادةٌ شعبيةٌ يتوارثها الأجيالُ، ومعضلةٌ حقيقيةٌ تقفُ عائقاً في طريق هذه المرأةِ، نحو النهوضِ والتعلُّمِ والارتقاءِ ونحوهِ ، ولم يقف دورُ الإعلامِ عند تصويرِ الحجابِ بهذه الصورةِ الخلفيةِ الرجعيةِ، بل تراهُ يدعو مباشرةً أو غيرَ مباشرة إلى التعري، ونبذِ الحياءِ، وهذا سبيلٌ من أقوى وأقصرِ سبلِ امتهانِ المرأةِ، ثُمَّ تعدى ذلك إلى إيذاءِ المحجباتِ تصريحاً أو تلميحاً ، ففي الوقت الذي يدندن الإعلامُ حولَ إعطاءِ المرأةِ حريتَها المسلوبةَ، تتلونُ هذه الدندنةُ وتصبح هجمةً شرسةً، يُمارسها الإعلامُ ضد كثيرٍ من المحجبات؛ كما هو الحالُ مع فئةِ التائباتِ اللاتي أعطى الإعلامُ نفسَه حقَ التحدثِ، حتى عن نواياهُنَّ، وما تنطوي عليه قلوبهُنّ ، أمَّا التعددُ: فليس بوسعنا تجاهل طرحِ الإعلامِ له، بصورة متشنجةٍ وعدائيةٍ، تزرعُ في حسِّ المرأةِ شعوراً بأنَّ التعددَ حكمٌ شُرع عليها لا لها؛ وذلك بعرضهِ المستمر للمشاكلِ والآثارِ الاجتماعيةِ السيئةِ للتعدد، بدءاً بكمٍّ هائلٍ من قصصِ النزاعِ بين الزوجاتِ وضرائرهِنّ وأزواجهِنّ، وانتهاءً بحالاتِ التيهِ والضياعِ التي يتعرضُ لها أبناءُ الأزواجِ المعدِّدين، والذين ينشئون بين عواصفَ مهيبةٍ من الشقاءِ العائلي، بينما يمارسُ الإعلامُ تجميلَ حالةِ أولئك الذين يتبعون رغباتِهم، بطرقٍ حيوانيةٍ وتحسينَها؛ على الرغم من أن نتيجتَها غالباً ما تكون جملة من انحرافاتٍ ورذائل، وجمهوراً من أطفالٍ

غيرِ شرعيين! وأمراضاً فتَّاكةً، ينقلها الزناةُ من الرجالِ إلى زوجاتهم الطاهراتِ العفيفاتِ !!

بل تعدى الأمرُ إلى ما هو أعظمُ من ذلك بكثير ؛ عندما راح المخرجون ينتقون من بناتِ المسلمين، ممن تتراوح أعمارُهن بين الثانيةِ والحاديةَ عشرةَ أو تزيد قليلاً ، ومن أسرٍ مسلمةٍ ينتقونهنَّ، ليقدمن الرقصَ والأناشيدَ والأغاني ، وهنَّ في أبهى الحللِ وأجملِ الجمالِ، وقد ألبسوا ذلك ثياباً تظاهروا فيها بالبراءةِ والنقاءِ، والطهرِ والصفاء، وأنَّ هذه مسارحُ أطفال، وأنتم تظنون ظنَّ السوءِ ، وقد كشف اللهُ تعالى في غيرِ موضعٍ دعواهم تلك، فقال جل في علاه : ((وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ)) ويا تُرى كيف سيكون حالُ هذه الفتاةِ إذا كبرت ؟! إلى أين ستتجهُ إن لم تتداركْها عنايةُ اللهِ ورحمتُه ؟! يقول r : ((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)) [2]

وينشأ ناشئُ الفتيان فينا على ما كان عودهُ أبوه

أيها الأخوة في الله :

إنَّ البرامجَ الموجَّهةَ للمرأةِ المسلمةِ عبرَ وسائلِ الإعلامِ، لا تعكسُ قيمَ المجتمعِ المسلمِ الذي تظهرُ فيه وتروَّج؛ بل تكرسُ نموذجَ المرأةِ الغربيةِ، وتظهرهُ بصورةٍ ترسخُ في الأذهانِ على أنَّهُ هو النموذجُ القدوة، تقولُ إحدى المتخصصات في دراسةٍ لها : (إنَّ التركيزَ في هذه المجلاتِ منصبٌّ على النماذجِ الغربيةِ للمرأةِ، ويروجُ القيمَ الاستهلاكيةَ الغربيةَ، من خلالِ الموادِ الإعلاميةِ، والإعلاناتِ التي تقدمها : كالأزياءِ، والمكياجِ، والعطور، إلى آخرِ ما ذكرتهُ هذه الدراسةُ المهمة) [3]وهذا التكريسُ كان سبباً طبيعياً، ومباشراً لما نراهُ من تغيرٍ في سلوكِ بعضِ نساءِ المسلمين وفتياتهِم، جاءَ في تقريرٍ لليونسكو – وهي منظمةٌ غربية تدعو إلى التغريب، قولهُم : (إنَّ إدخالَ وسائلَ إعلامٍ جديدةٍ، وبخاصةٍ التلفزيونُ في المجتمعاتِ التقليديةِ، أدَّى إلى زعزعةِ عاداتٍ ترجعُ إلى مئاتِ السنين، وممارساتٍ حضاريةٍ كرَّسها الزمن) .

وصدقكَ وهو كذوب، انظر إلى تهلهلِ حاجزِ النفرةِ من الكفار، ليصبحَ مكانَهُ محاكاتهُم، واتباعُ عاداتهِم وتقاليدِهم، يقول r : ((لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا

بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ ،قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ)) [4]

2- ومن وسائلهم: تحويلُ المعركةِ من أنَّها حربٌ على الإسلامِ، إلى أنها حربٌ ضدَ العاداتِ والتقاليدِ، لأنَّهم يُدركون أنَّ المجتمعَ لا يُرِيدُ إلاَّ الإسلامَ . ولله الحمد – فحولوا المعركةَ، بزعمهم أنَّ ما عليه الناسُ ما هو إلاَّ عاداتٌ وتقاليد، وهم لا يقصدون بذلك إلاَّ الإسلامَ، والإسلامَ فحسب ، يقولُ الله جل في علاه : ((وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)) [البقرة : 42] .

وهذا تحذيرٌ من الله تعالى لهم من أن يلبسوا ، أيّ يخلطوا الحقَ بالباطلِ حتى يشتبهَ على عوامِ الناس ، وذلك أنَّ أكثرَ الضلالاتِ لا تروجُ على الناس، ويتفاقمُ شرُها إلاَّ بسببِ هذا الخلطِ الذي يضيعُ به وجهُ الحقِ، استمع يا رعاك الله إلى ما يقولُه أحدُهم لتدركَ حجمَ المؤامرةِ، يقول : ((علينا إذاً تحريرُ المرأةِ من كثيرٍ من قيودِ العاداتِ والتقاليدِ ، وكثيرٌ منها لا أصلَ شرعيَّ لها ، بل جاءَتنا من عهودِ السلاجقةِ والعثمانيين، وعلى سبيلِ المثالِ فإنَّ كشفَ الوجهِ مسألةٌ خلافية،)) [5].

فهل الحجابُ عادة ؟ !! ويتباكى أحدُ الرافضةِ على وضعِ المرأةِ في المجتمعِ الإسلامي فيقول : ((ربما يصعبُ علينا الإقرارُ بأنَّ وضعَ النساءِ في مجتمعِنا لا يُطابقُ المعاييرَ التي يتفقُ عليها العُقلاء)) . وقال : ((وأظنُّ أنَّ كثيراً مما يُكتبُ أو يقالُ في عددٍ من المجتمعاتِ الإسلاميةِ، حول حقوقِ المرأةِ في الإسلامِ، ليس سوى تبريرٍ لحرمانِها من هذه الحقوق)) [6] .

وقد تبين لنا أنَّ الرافضةَ أعداءٌ للإسلامِ من قديمِ الزمانِ، فكيف إذا اجتمع رفضٌ ونفاقٌ ؟!!

3- ومن وسائلهم العجيبةِ: أنَّ كثيراً من مطالبهِم تُغلفُ بحرصِهم على خصوصيةِ المرأةِ، وعدمِ تعريضِها للرجال ، كما قال تعالى : ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ)) [البقرة : 11-12] .

وصدق القائل :

أختاه كيف ظننتِ أنَّ معربداً يسعى بمؤمنةٍ لأمرٍ سام ؟

قد يدعي معنى العفافِ مخادعٌ ويصوغُ فلسفةَ الأمانِ حرامِ
4- ومن وسائلهم محاولةُ نشرِ الاختلاطِ في المجتمعِ، وتعويدِ رؤيةِ الناسِ له، والمطالبةُ بإلغاءِ أن يكونَ هُناك يومٌ للرجالِ وآخرُ للنساءِ، في أماكنِ النزهةِ ونحوِها، والضربُ على هذا الوترِ من خلالِ المشاهدِ الساخرةِ في التلفازِ، والكتابةِ في الصحف، انظر إلى الاختلاطِ في المطاعمِ العائليةِ والمستشفياتِ، والطيرانِ والحدائقِ والمهرجاناتِ ونحوِها .

قال ابنُ القيم . رحمه الله . : (لا ريبَ أنَّ تمكينَ النساءِ من اختلاطهِنَّ بالرجالِ، أصلُ كلِ بليةٍ وشر ، وهو من أعظمِ أسبابِ نزولِ العقوباتِ العامةِ ، كما أنَّهُ من أسبابِ فسادِ أمورِ العامةِ والخاصةِ ، واختلاطُ الرجالِ بالنساءِ سببٌ لكثرةِ الفواحشِ والزنا ، وهو من أسبابِ الموتِ العامِ ، والطواعينِ المتصلة) [7]

5- ومن وسائلهم الاستفادةُ من الأقوالِ المرجوحةِ من فتاوى العلماءِ التي توافقُ أهواءَهم، لتمريرِ أهدافِهم في المجتمع المسلمِ، الذي لا يثقُ إلاَّ في كلامِ العلماءِ ، وفى ذلك يقولُ أحدُهم : ((إنَّ كثيراً من دولِ العالمِ الإسلامي، قد سبقنا في الوصولِ إلى حلولٍ جذريةٍ في مسألةِ الحجابِ، وكشفِ الوجهِ، وميادينِ عملِ المرأةِ وقيادتِها للسيارة ، ولا أرى بأساً من الاستفادةِ من تجاربِ الآخرين ، والأخذِ بما هو مقنعٌ، وفى حكمِ المنطقِ والمعقول)) [8]. فهو إذاً لن يأخذَ بكلِ شيءٍ، بل بحدودِ منطقِه هو، وعقلِه هو, يقول اللهُ سبحانه : ((إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى)) [النجم :23] .

والله تعالى يقول : ((أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ[[البقرة:85] .

وفي هذا تهديدٌ لهم ولجميعِ أمةِ محمد r من سلوكِ هذه المسالكِ المنحرفةِ بمعاملتهم كتابَ اللهِ وفقَ أهوائهم ، يؤمنون بما يناسبُهم ويوافقُ أهواءَهم ومصالحَهم الشخصيةَ ، فيعملون به وينفذونه ، ويطرحون ما سواه ، كأنه ليس من وحي الله في شيء ،[9]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .

الخطبة الثانية

6- ومن وسائلهم المطالبةُ بالنوادي النسائية : وفى ذلك تقولُ إحدى الكاتبات : ((ما زالت النوادي النسائيةُ في طريقِ البداية ، حيثُ تعتمدُ على التمارينِ الرياضيةِ التي تمارسُها السيدات لإنقاصِ أوزانهن ، إلاَّ أنَّ البعضَ منها أدخلت خدماتٍ جديدة ، مثل الحماماتِ التركيةِ، ورياضةِ السباحةِ، ولعبةِ التنسِ الأرضي وغيرها، ولكن أعتقدُ أنَّ مثلَ هذه النوادي ستكونُ أكثرَ تطوراً في المستقبل ، بحيث تتيحُ للعديدِ من الشاباتِ والسيدات مزاولةَ الأنشطةِ الرياضيةِ مثل كرةِ السلةِ أو كرةِ القدم،ولن تستغربَ أن تكونَ هُناك بعضُ المسابقاتِ والدورياتِ بين هذه النوادي))[10] أما هذه النوادي فإنَّها تنطوي تحت لواءِ المستشفياتِ الخاصةِ والفنادقِ، وصالوناتِ التجميلِ والجمعياتِ النسائية .

7- ومن أساليبهم أنَّهم استغلوا وجودَ عاداتٍ وتقاليدَ في المجتمع: تضطهدُ المرأةَ ولا تعطيها حقَها، كظلم الزوجاتِ وعدمِ العدلِ بينهن ، أو عدم إعطائِهنَّ حقهَن، من الميراثِ ، أو استغلالِ بعضِ الأزواجِ لأموالِ زوجاتهم، أو التغالي في المهور ، فنفثوا من خلالها سمومَهم ، ووجهوا سهامَهم نحوَ الإسلامِ، والإسلامُ من هذه التصرفاتِ الفرديةِ بريءٌ كبراءةِ الذئبِ من دمِ يوسفَ- عليه الصلاة والسلام .

8- ومن أساليبهم محاولةُ قتلِ الغيرةِ في قلوبِ الناس : وذلك من خلال تصويرِ الغيورِ بأنَّهُ رجلٌ رجعي، وغيرُ مواكبٍ للقرن العشرين !!كما يُصوَرُ الرجلُ القليلُ الغيرةِ أو عديمُها من خلالِ المشاهدِ التلفازيةِ، بأنَّهُ رجلٌ متحضرٌ ، فيؤتى به مثلاً على الشاطئ، وقد جلسَ هو وزوجتُه المتبرجةُ أمامَ الناسِ، وقد جلسا يتضاحكان ويتناولان الشايَ ، بل تعدى الأمرُ إلى أن تكونَ الغيرةُ هي الوأدُ الجديدُ في هذا القرنِ، فيقولُ أحدُهم : يعودُ وينتشرُ بعد أكثرَ من أربعةَ عشرَ قرناً وأدُ البناتِ، الغيرةُ وعدمُ الثقةِ وتقاليدُ المجتمع ،[11] ويقول أحدُهم : من عيوبِ الزوجِ العربي الغيرةُ [12]، وتقول إحدى الكاتباتِ : ماذا لو قالت امرأةٌ : هذا الرجلُ صديقي!![13] ويقولُ آخرُ : الفضيلةُ والكرامةُ تعترضان مسيرةَ النجاح ،[14] أيُ نجاحٍ هذا الذي يقصدون ؟ وأيُ مسيرةٍ تلك التي يريدون ؟ إنَّها مسيرةُ الفحشِ والخنا، والدياثةِ وقلةِ الحياء ،! يقول سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ، فَبَلَغَ

ذَلِكَ النَّبِيَّ r فَقَالَ : ((أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي)) رواه البخاري [15]

9- ومن أساليبهم أيضاً محاولةُ تغييرِ المناهجِ والعبثِ بها : يقول أحدُهم : ((طالبتُ يومَ أمسِ بإلغاءِ المناهجِ الدراسيةِ الحاليةِ، بالنسبةِ للبنينَ والبناتِ، حتى نتمكنَ من توفيرِ البيئةِ العلميةِ الصالحةِ لاكتشاف المواهب))[16]

ثُمَّ وصفَ المناهجَ الحاليةَ في نفس المقالِ بأنَّها عقيمةٌ ،! وقال في عنوان (أزمة هذا الجيل "1") : ((ومن أبرزِ العيوبِ التي لا يجبُ أن نُنكرَها ونحنُ نتأمل حياتَنَا ثانياً : تأثيراتُ التعليمِ التقليديِ على تكوينِ الشخصية)) .

ومن خلالِ المناهجِ الدراسيةِ، يستطيعون فتحَ تخصصاتٍ لا تناسبُ المرأةَ، وبالتالي إيجادُ سيلٍ هائلٍ من الخريجاتِ لا يكون لهنَّ مجالٌ للعمل، فيحتاجُ إلى فتحِ مجالاتٍ تتناسبُ مع هذه التخصصاتِ الجديدةِ، التي هي مملوءةٌ بالرجال ، أو بإقرارِ مناهجَ بعيدةٍ كلَ البعدِ عن ما ينبغي أن يكونَ عليه تدريسُ المرأةِ المسلمةِ.

10- ومن أساليبهم أيضاً : الاهتمامُ بعملِ المرأةِ ومشاركتِها في جميعِ الميادين :

وفي ذلك يقول أحدُهم : (المرأةُ نصفُ المجتمع ، نصفُ الاقتصادِ ، نصفٌ قادرٌ على العملِ والعطاء، نصفٌ ندفعُ ثمناً باهظاً إذا ظل معطلاً ومهمّشاً ، نصفٌ تتركزُ وتتزايدُ فيه معدلاتُ البطالةِ، مما ينذرُ بوضعٍ قد يتحولُ إلى مشكلةٍ اجتماعيةٍ إذا لم نتداركْ الأمر)) [17].

إنَّهم يتذرعون بمشاركةِ المرأةِ في العملِ خشيةَ الفقرِ، والحالةِ الاقتصادية، ومصلحةِ الوطن، وصدق الله تعالى إذ يقول :] الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ[(البقرة:268).

لقد تناسى الخبيرُ الاقتصاديُ أنَّ المشكلةَ ليست في عدمِ عملِ المرأةِ، بل إنَّ ذلك يزيدُها تعقيداً ، حيثُ انتشرت البطالةُ بين الشباب، مما يُنذرُ بمشاكلَ اجتماعيةٍ وأمنيةٍ بسبب بطالةِ الرجال ، وليس النساء ، حيثُ إنهنَّ مكفولات في التشريع الإسلامي وللهِ الحمد ، لكنَّ هؤلاءِ لا يهتمون لانتشار البطالةِ بين الرجال، بل هاجسُهم الوحيدُ هو إخراجُ المرأةِ من بيتها، تمهيداً لإفسادِها، حيثُ دعا أحدُهم إلى تقديمِ النساءِ في العملِ على الرجال .[18]

أيَّها الأخوةُ في الله : هذه بعضُ أساليبِهم وحيلِهم، التي يستخدمونها لنشرِ الرذيلةِ ومحقِ الفضيلة ، وإنَّما سلكوا هذه المسالكَ، لأنَّهم فئةٌ قليلةٌ لا يستطيعون المواجهةَ، خوفاً من غضبةِ المجتمعِ الذي لا يريدُ إلاَّ الإسلامَ والإسلامَ فحسب، الذي صلح به حالُ سلفِ الأمةِ حتى قادوا العالمَ ، وفتحوا الأمصار، ولكنَّ هؤلاءِ حتى يخادعوا الأمةَ ولا يفتضَحُ أمرُهم، لبسوا ثوبَ الإصلاحِ، ورفعوا لواءَه، وحملوا رايتَه لتمرير أفكارِهم السيئة ، وأهدافِهم الخبيثة، يقولُ الله تعالى : ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ)) [البقرة :11-12] .

(إنَّ كلَ مغرضٍ يسعى لهدمِ الإسلامِ ، وتفتيتِ عقيدتِه ، وتحطيمِ أهلِه يتذرعُ . دائماً . بدعوى الإصلاحِ والعملِ على رفعِ الظلمِ، وإزالةِ البؤسِ، ونشرِ الحريةِ . يقصدُ بها الحريةَ البهيميةَ . ليصطادَ في الماءِ العكر، وليلبسَ للناسِ جلدَ الضأن من اللينِ ، ويفتنَهم فيما يبثُّهُ عليهم من زخرفِ القولِ غروراً ، لقد أر تكسوا في أبشعِ دركاتِ النفاق غايةَ الارتكاسِ، وهم يدرؤون الشبهةَ عن أنفسِهم بدعوى الإصلاحِ ، فيسمون الخلاعةَ ومفاسدَ الأخلاقِ ، و إباحةَ الخمورِ ، واختلاطَ الجنسين ، والتبرجَ والتهتكَ، وبثَ الرقصِ والمسارحِ ، رُقياً ومسايرةً لروحِ العصرِ والتقدمِ ، ويجعلون إباحةَ الزنى حال الرضا . والذي يعفي ممارسيهِ من إقامةِ الحدِّ عليهم . وبثَ سائرِ أنواعِ الفحشاءِ والمنكرِ حضارةً وتطورا ، فيرون أنَّهم مُصلحون بجلبِ كلِّ مفسدة ، واستحسانِ كلِ منقصة، تمسكاً بما يراهُ رؤساؤهم ، أو تقليداً لأساتذتِهم، فاقدي العقيدةِ الصحيحة، والأخلاقِ الفاضلةِ، وهم في الحقيقة مفسدون) [19]

واللهُ غالبٌ على أمرِه ولكنَّ أكثرَ الناس لا يعلمون .

[1] رقم 23438 . وأصله في الصحيحين دون الزيادة الأخيرة .

[2] متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه , (البخاري رقم 1385) (مسلم رقم 2658)

[3] أنظر : أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة ص 40-41 للشيخ بشر البشر . حفظه الله . .

[4] متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ,(البخاري رقم 7320) و (مسلم رقم 2669)

[5] عكاظ عدد 11921 في 1420/1/1هـ .

[6] عكاظ 11924 في 1420/1/4هـ .

[7] الطرق الحكمية ص 326

[8] الجزيرة عدد (9713) في 1420/1/17هـ .

[9] انظر : صفوة الآثار والمفاهيم (224/2) .

[10] مجلة الجديدة عدد (682) فى1999/7/21م .

[11] انظر: مجلة قطوف عدد (32) شهر شوال لعام 1421هـ .

[12] مجلة سيدتي عدد (510) .

[13] مجلة كل الناس عدد (58) .

[14] مجلة الحسناء عدد (81) .

[15] متفق عليه (البخاري رقم 6846) . و (مسلم رقم 1499)

[16] عكاظ عدد (11783)في 1419/8/6هـ

[17] عكاظ 11927 في 1420/1/7هـ .

[18] الرياض 11267 في 1420/1/14هـ .

[19] انظر : صفوة الآثار والمفاهيم للشيخ عبد الرحمن الد وسري رحمه الله (21/2) بتصرف .

=============

خطر الفتوى بلا علم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لِله نحمدهُ ونستعينهُ, ونستغفرهُ, ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا, ومن سيّئاتِ أعمالِنا, منْ يَهدِهِ اللهُ فلا مُضلَ لهُ, ومنْ يُضلل فلا هاديَ له . وأشهدُ أنَّ لا إلهَ إلا الله وحدهُ لا شريكَ لهُ, وأشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسوله . ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)) (آل عمران:102) . ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً

وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)) (النساء:1) .
((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)) (الأحزاب:70–71) .

أما بعدُ : فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله, وخيرُ الهدي هديُ محمدٍ r وشرُّ الأمورِ مُحدثاتُها, وكل محدثةٍ بدعة, وكلَّ بدعةٍ ضلالة, وكلَّ ضلالةٍ في النار

أما بعد ، أيَّها المسلمون :

فإن من مظاهرِ غربة الإسلامِ في هذا الزمان ، ونتيجةً لعواملِ التغريبِ التي عصفت, ولا تزالُ تعصفُ بالأمةِ اليوم، أن استهان كثيرٌ من الناسِ بالحلالِ والحرام, وأخذوا أحكامَ دينهِم عن الجهلةِ والمخرفين, وتتبعوا الرخص لدى علماءِ السُوء, وتصدَّ للإفتاءِ جماعةٌ من الحمقى والمغفلين, في جرأةٍ بالغة ، وحماقةٍ مكشوفة ، ودون خوفٍ أو خشيةٍ من العليم الخبير, وتفشَّ أولئك المُتقولون على الله بلا علم ، وهم في غمرةِ نشوتِهم, وقمةِ غرورِهم وجهلهم, تناسوا ذلك الوعيدَ الشديد ، الذي يُزلزلُ القلوبَ الحية, ويتهددُ المُتجرئين على الفتيا ، فيقولُ الحقُ تباركَ وتعالى : ((وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) (النحل:117,116) ويقولُ سبحانه : ((قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ * وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ)) (يونس:60,59)

بل إن الله تعالى ، ليقرن بين أعظمِ الذنوبِ و أقبحِها ، وهو الشركُ به سبحانه, وبين القولِ عليه بغير علمٍ ، فيقول : ((قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ)) (لأعراف:33).

كلُ هذه الآياتِ الكريمات , ضربوا بها عرضَ الحائط, واستخفوا بأمر ربهم ، فهم في غيهِم يترددون ، وأصبحتَ ترى بعضَ المتعجِلين ممن لا يكادُ يحفظُ شيئاً من كتابِ الله ، فضلاً عن استنبطهِ متنِ القصيدةِ أو الحديث ، أصبحتَ تراهُ مُصاباً بجنونِ العظمة, فيفتي بغيرِ علم, ويناقشُ أبا حنيفة, و يخطئُ الشافعي, ويردُ على ابن تيمية

والذهبي, مردداً مقولة حقٍ أُريد بها باطل, فيقول (هم رجالٌ ونحنُ رجال) ومن خلالِ هذهِ العبارةِ يُجيزون لأنفسهمِ الخوضَ فيما لا يعرفون, والكلامَ فيما لا يفقهون, ويُحللون ويُحرمون دون علمٍ أو هدىً, أو كتابٍ منير, بل أنَّهم ليخوضونَ في قضايا محيِّرة ، ويتجرءون على الفتيا في مسائل مستعصية , لو حصلتْ في عهدِ عمرَ t لجمع لها أهل بدرٍ كلَّهم , بينما ذلكَ المتعاظمُ يصدرُ فيها رأَيهُ بكلِّ عجلةٍ وتسرع, ولا يجدُ في صدره من ذلك حرجاً, أو غضاضة .

وليتَ الأمرَّ توقفَ عن المنتسبينَ للعلم من ذويِ التخصصات الشرعية, بل تعداهُ إلى أُناسٍ يفتقدون حتى المبادئَ الأساسيةِ لأي فنٍ من فنونِ الشريعة ، فذاك يُفتي وهو كاتبٌ صحافي, وذاك يُفتي وهو لاعبُ كرة ، وذاك يفتي وهو ممثلٌ ماجن, وغيرهمُ كثير.

وإليكم مثالٌ من فتاوى أخر الزمان, لعجوزٍ من عجائزِ السينما العربية, يسألُها الصحفي بخبث ، ما رأيكِ بأولئك الفناناتِ التائبات اللاتي اعتزلنا الفن؟ فتجيبُ الفقيهةُ الكبيرة ، والعبقريةُ الفذة , أتقولُ تائباتٌ ؟ ثم تسأل باستنكار! وهل الفنُ جريمة ؟! ثم تقررُ باطمئنان! وتُفتي بكلِ ثقةٍ فتقول: إنَّ الفنَّ رسالةٌ خالدة, والفن أباحه ربُنا فما وجهُ الخطاء ؟! هذا مثالٌ ومثلُهُ كثير، تُنشرُ في الصحفِ والمجلاتِ الهابطة, لتجرئةِ الناس على الفتيا, وتمييعِ الدين ، والاستخفاف بما يجوزُ وما لا يجوز, وبالإضافةِ إلى أولئكَ المستهزئين, لم ينس علماءُ الدينارِ والدرهم أن يستخُفوا الأمةَ بعجائبِ كذبهم ، وغرائبِ فتاواهم المصادمةِ لمسلَّماتِ الشريعة, وثوابتِ الملة, فأباح بعضُ المجرمين الربا إرضاءً للطاغوتِ الذي يعبدُه, والشيطانِ الذي يُقدسُه, كما أفتى بعضهم بجوازِ بيعِ الخمور, لدعمِ الاقتصادِ الوطني, وتنشيطِ السياحة, وإن تعجبْ فعجبٌ قولهم لا بأسَ بالنظرِ إلى الجميلات, من أجلِ التفكيرِ بعظمِ صنعِ الله, سبحانك هذا بهتان عظيم !!

أيُّها المسلمون :

وفي مُقابلِ هذه الجراءةِ البالغةِ على الفتيا، يقفُ على النقيضِ من ذلك بعضُ العلماءِ الراسخين, فيجمحونَ عن الفتيا مع تأهلهِم لها ، وقدرتهِم عليها ، ويمتنعونَ عن إبداءِ آرائهِم الشرعية في قضايا الأمةِ المصيرية , ويوقعون الناسَ في حيرةٍ من أمرهم,

ويُخيبونَ أمالَ الأمةِ في أحرجِ المواقف ، وأشدَّها حاجةً إلى سماعِ كلمةِ الحق, والأمةُ محتاجةٌ إلى سماعِ أقوالِ علمائِها وآرائهمِ عند اشتداد الخَطْبْ, وظهورِ الفتن ، حتى لا تزَّل بهمُ الأقدام ، أو تهوي بهم الريحُ في مكانٍ سحيق. ((المص * كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)) (لأعراف:2,1) .

((وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ)) (آل عمران:187) .

فحرامٌ على العلماء أن يكتموا العلمَ الصحيح ، ويبنوا الحقَّ الصحيح ، ويَدَعُوْا الأمةَ تتخبطُ ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشمال ، دون أن يأخذوا بيدِها إلى برَّ الآمان لا يخافون في اللهِ لومةَ لائم.

هذا إمامُ أهلِ السُنةَّ أحمدُ بنُ حنبل– رحمه الله– يقولُ رأيهُ بكلِ شجاعةٍ ورجولة ، لا يمتنعُ من الفُتيا بما يعتقدُهُ من صوابٍ في قضيةِ خلقِ القران ، ولا يرضى لنفسهِ أن يُضللَ الجماهيرَ المتلهفةِ لسماعِ كلمةِ الفصل، أو أن يكتمَ علماً الأمة بأمسِّ الحاجة إليه, يقولُ كلمةَ الحقِّ غيرَ هيابٍ ولا وجل، وإن غضبَ المأمون أميرُ المؤمنين ، وهددَّه بالصلبِ والقتل .

أيُّها المسلمون :

وأخطرُ أنواعِ الفُتيا ، إصدارُ أحكامٍ وأراءٍ تعسفية، يترتبُ عليها شقُّ الصفوف، وتمزيقُ الوحدة ، وإضعافُ الدعوةِ ، وتبديدُ الجُهد ، وسوقُ الأمة إلى مزالقَ خطرة ، دهماءَ مروية, كأنْ يستشهدَ بعضُهم بالفُتيا لوحدها ، فيُحللُ ويحرم ، ويُصوبُ ويُخطئ ، ويُحسِّنُ ويُقبح ، ويجعلُ الخوضَ في قضيةٍ من القضايا حقاً خالصاً له وحده ، فيغفلُ الرأي الآخر ، ويتهمُه بالقصور، ويقذفُ صاحبهَ بالبلادة , ويرميهِ بالجهل ، ويصفهَ بالإثارةِ وحبِّ الظهورِ، وربمَّا رماهُ بالعمالةِ والخروجِ عن مذهبِ السلف، وألقصهُ بمذهبٍ من مذاهبِ المبتدعة .

ولو أنصف المسكين , وأتقى اللهَ فيما يقول, لعلمَ أنَّ المسالةَ محلُّ اجتهادٍ ونظر, وأن الخلافَ فيها معقول، والخصمُ له دليلُهُ وصحته ، لكنَّه الهوى المتبع والإعجاب بالرأي .

أيَّها المسلمون :

لقد كانَ سلفُ هذه الأمةِ من الصحابةِ والتابعين, يتورعونَ غاية الورعِ من الفُتيا، ويُقدرون خُطورةَ القولِ على اللهِ بلا علم, ويودُّ الواحدُ منهم أن يكفيهَ شأن الفتيا غُيره ، فإذا رآى أنَّها قد تعينتْ عليه ، بَذَلَ وسعَهُ وطاقتهُ في معرفةِ حكمهِا، ثم أفتى بكلِ حيطةٍ وحذر .

يقول ابنُ أبن ليلى : أدركتُ عشرينَ ومائة من أصحابِ رسول الله r فما كان منهم مفتٍ، إلاَّ ودَّ أنَّ أخاهُ قد كفاهُ الفتيا.

وقال أبو داودَ في مسائلهِ : ما أحصي ما سمعت أحمدَ بنَ حنبل سُئِلَ عن كثير ما فيه الاختلاف في العلم فيقولُ: لا أدري ، وقال عبدُ اللهِ بن أحمد : كنتُ أسمعُ أي كثيراً يسألُ من المسائلِ فيقولُ: لا أدري، وكثيراً ما كان يقولُ للسائلِ : سَلْ عن ذلكَ غيري . وسألَ رجلٌ الإمامَ مالكاً في مسألة, فقال :لا أدري . فقال يا أبا عبد الله تقولُ لا أدري! قال : نعم ، فأبلغ من وراءاك أنِّي لا ادري ، ومن الأخطاءِ التي لها مساسٌ بهذا الموضوعِ الخطير ، التساهلَ في النقلِ عن الأئمة ، ونسبةُ بعضِ الأقوالِ والفتاوى إليهم من غير تحرٍ أو تثبيت, وعند البحثِ والمراجعة يتبينُ وهْمُ أولئكَ النقلة ، و ما آفةُ الأخبارِ إلا رُواتُها، ومن أمثلةِ ذلك : شهرةُ نسبةِ القولِ للإمامِ الشافعي– رحمة الله – من تجو يزهِ التلفظَ بالنيةِ للصلوات ، وفهموا ذلك من قوله((الصلاة ليست كغيرِها من العادات ، فلا تُدْخَلُ إلاَّ بذكر)) وهذا خطاءٌ كبيرٌ في الفهم ، فمقصده – رحمه الله– من دخولِ الصلاةِ بالذكر: أي بتكبيرةِ الإحرام, ومن أخطائهم: الغلط على شيخِ الإسلامِ أبن تيميهَ– رحمه الله – من أنَّهُ يقولُ: أن الجهاد شُرعَ للدفاعِ لا للقتالِ مع كلمة الإسلام, وهذا كذبٌ على شيخِ الإسلام. وأُُلفِّ في الردِّ عليه رسائلَ وأبحاث, ومن ذلك نسبتهمُ لأبنِ القيمِ– رحمه الله– أنَّهُ يُجوزُ زواجَ المتعة ، وأبن القيم بريءٌ من هذا القول براءةَ الذئبِ من دمِ يوسُف– عليه السلام– وأخطرُ من هذا وذاك ، التلاعبُ بفتاوى العلماء, وتحميلِها مالا تحتمل، وتحريفِها عن دلاتها ، أو الاستشهادِ بها في غيرِ مواضعها , وتطويعها لخدمةِ أغراضٍ مصلحيه .

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعني وأيَّا كم بالذكرِ الحكيم، واستغفر الله لي ولكم إنَّهُ هو الغفورُ الرحيم

الخطبة الثانية :

الحمد لله يُعطي ويمنع, ويخفضُ ويرفع, ويضرُ وينفع, ألا إلى اللهِ تصيرُ الأمور.
وأُصلي وأسلمُ على الرحمةِ المهداة, والنعمةِ المُسداة, وعلى آلهِ وأصحابه والتابعين,
أمَّا بعدُ:
فقد ظلَّ اليهودُ منذُ ما يربو على أربعين سنة, يسخرونَ من كلِّ من يتحدثُ عن حقَّ الشعب الفلسطيني, في تقريرِ مصيرهِ ، ومنحهِ مساحةً من الأرض يُقيمُ فيها دولتهَ, ولم يكترث اليهودُ بالشعاراتِ المعادية، التي رفعها بعضُ المسلمينُ المناضلين ، فقد كان يُدركُ حقيقةَ أصحابِها وكونَهم يُتاجرون بالقضية لأغراضٍ شخصية ، ومأربَ خاصَّة، بيدَ أنَّ اشتدادَ الضرباتِ المُوجهة, التي قَامَ بها شبابُ الحجارةِ ورجال الجهادِ الصادقون ، مرغتْ كبرياءَ المُغتصب اليهودي بالتراب , وأشعرَتهُ بخطورةِ أوضاعِه ,وتأزُمِ موقفه وضرورةِ البحثِ عن مخرجٍ من ذلكِ البلاءِ العظيم , فوجَد ضالتَّهُ في حملةِ الشعاراتِ وإيَّاهم, فدعاهم على عجلٍ ليعقدَ معهم صفقةً سريعة, يعودونَ من خلالِها إلى حيزٍ صغيرٍ من أرضهم ، لا ليقيموا شَرع اللهِ فيها ، ويرفعوا رايةَ الجهادِ والدعوة, ويقتلعوا اليهودَ من الأرض المقدسةِ كلها ، بل عادُوا ليقتلَوا اثنيَّ عشرَ مسلماً في ساعةٍ واحدة ، ويخَرجوا بأسلحتهِم الحديثة مائتي مُصلي في يومٍ فضيل ، والبقية تأتي، ولنا أن نتساءلَ أهذهِ ثمرةُ النظال؟! أهذه نتيجة الجهادِ المزعوم ؟! أهذهِ نهاية أربعينَ سنةٍ وزيادةٍ من الهُراءِ والنعيق ؟! إنَّ المسلمَ المتابعُ لمجرياتِ الأمور، ليدركُ تماماً , أنَّ السبيلَ الوحيد لاستردادِ الكرامةِ المفقودة ، والمجدِ السليب ، وطردِ المغتصب , هو الجهادُ في سبيلِ الله، وما يقومُ به اليوم ذلك الشبابُ الواعدُ المنطلقُ من مساجدِ غزة ، وهو شبابٌ وُلدَ وعاش المعاناة منذُ نعومةِ أظفاره ، اكتوى بنيرانِ الاحتلال منذُ فتحَ عينيهُ على الدنيا, وهذا الجيلُ الذي يكابدُ المأساةَ في حياتهِ اليومية ، أقوى مراساً وأقدرُ على العطاءِ من الجيلِ الذي عاشَ معاناةَ الإقامات ، ووثائقَ السفرِ والعملِ في البلادِ القريبةِ والبعيدة ، وهو من بابِ أولى أقوى مراساً وأقدرُ على العطاء, ممَّن صدقَ فيهم قول الشاعر :
أسدٌ علي في الحروبِ نعامةٌ *** عرجاء ، تنفرُ من صفير الصافرِ

اللهمَّ إنَّا نسألُك إيماناً يُباشرُ قلوبنا، ويقيناً صادقاً، وتوبةً قبلَ الموتِ، وراحةً بعد الموتِ، ونسألُكَ لذةَ النظرِ إلى وجهكَ الكريمِ, والشوق إلى لقائِكَ في غيرِ ضراءَ مُضرة، ولا فتنةً مضلة،

اللهمَّ زينا بزينةِ الإيمانِ، واجعلنا هُداةً مهتدين,لا ضالّيَن ولا مُضلين, بالمعروف آمرين, وعن المنكر ناهين، يا ربَّ العالمين, ألا وصلوا وسلموا على من أُمرتم بالصلاة عليه، إمام المتقين، وقائد الغرِّ المحجلين وعلى ألهِ وصحابته أجمعين .

وأرضي اللهمَّ عن الخلفاءِ الراشدين أبو بكرٍ وعمر وعثمان وعلي

اللهمَّ آمنا في الأوطانِ والدُور، وأصلحِ الأئمةَ وولاةِ الأمورِ, يا عزيزُ يا غفور, سبحان ربك رب العزة عما يصفون .

=============

الغيرة على دين الله

الحمد لله ذي الكرمِ والجود ، أحمدهُ وأشكره، وأعبدهُ وهو خيرُ معبود ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدهُ لا شريك له، إنَّهُ هو الغفورُ الودود ، وأشهدُ أن محمداً عبدهُ ورسوله خيرُ من صلى وصام، وجاهدَ واستقام، وأوفى بالعقودِ– صلى الله عليه وسلم– وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، من القائمين والصائمين، والركع السجود وسلم تسليماً.

أمَّا بعد.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) (المائدة:54) .

بعيداً عن جوِّ هذا الزمان القاتم بغبارِ الالتزام الأجوف ، والمشوه بغترِ السلبية المُفرطة ، والمظهريةِ الجوفاء ، نحلقُ في فضاءِ الجيل السالف المعطر بورودِ الإيجابية ، ونتفيؤ ظلالَ شجرةِ البذلِ والعطاء، والتضحيةِ والفداء .

نعودُ بذكرياتنا إلى الصورِ الرائعة، لسلفِ هذه الأمة، حيث يتجلى الإيمانُ الحقُّ، وتبرزُ حقيقة الهمِّ لهذا الدين .

تنقلنا الذاكرةُ إلى سوق بني قينقاع، حيثُ يعتدي يهودي على امرأةٍ مسلمة، ويكشفُ عورتها، فتثورُ ثائرة مسلمٍ ويأبى الدنية في دينهِ، وينهضُ بكلِّ عزةٍ وإباء، ويقتلُ ذلك اليهودي رغمَ أنَّهُ بين أهلهِ وقومه .

إلى موقفِ شابٍ لم تمنعهُ حداثةُ عهدهِ بالزواجِ، من الاستجابةِ لداعي الجهاد، فيخرجُ من زوجهِ وهو جنب ليلقى ربه شهيداً في أحد، فيحظى بتغسيلِ ملائكةِ الرحمة، ويُلقبُ بغسيلِ الملائكة، إنَّهُ حنظلةَ بن أبي عامر .

إلى موقف امرأةٍ مسلمةٍ تُشاهد استعدادات المسلمين، وبذلهم لتجهيزِ جيشِ المسلمين في إحدى المعارك، فلا تجدُ ما تُساهم به إلاَّ أن تقص شعرها، وتجعل منهُ ظفائرَ لخيلِ قائد جيش المسلمين، إلى مجموعةٍ من صحابة رسول الله– صلى الله عليه وسلم– دفعهم الحماسُ للدين إلى أن يأتوا رسول الله– صلى الله عليه وسلم– يسألونهُ أن يحملهم للجهاد ، ولمَّا لم يجد ما يحملهم عليه، تولوا وأعينهم تفيضُ من الدمعِ حُزناً ألا يجدوا ما يُنفقون، إلى موقف عُمير ابن أبي وقاص وهو شابٌ لما يبلغ الحُلم، يختفي في أحدَ المعاركِ خلف الرجال، حتى لا يراهُ رسول الله– صلى الله عليه وسلم– فيرده ، ولما رآه– عليه الصلاة والسلام– وردَّهُ جعل يبكي، فأشفق عليه المصطفى– صلى الله عليه وسلم– وأذن له بالجهاد، فعقد لهُ أخوهُ سعد حمائلَ سيفهِ، فجعلت تخط في الأرض .

إلى عبد الله بن حذافة السهمي، وهو مأسوراً عند الروم، فيجوعُ ويعرضُ عليه الخمر ولحم الخنزير، فيأتي ويقول : أما إنِّي أعلمُ أنَّها قد حلت لي بالضرورة، ولكن كرهتُ أن أشمتكم بالإسلام .

إلى وإلى ما لا يحصر، والصورُ المثاليةِ التي تذكر فيهتزُ لها القلبُ طرباً وشوقاً إلى أمثالها .

إنَّ موقفَ هذا وذاك، وتلك وأولئك، ينطلقُ من شعورٍ واحد، هو الغيرة على هذه الدين، والإحساسُ بالمسؤولية، والحميَّة للمبادئ التي آمنوا بها.

إنَّ الغيرةَ على دينِ الله وحُرما ته، من صفاتِ المؤمنين الأعزاء، فهي من مقتضياتِ الإيمان، تقوى بقوته وتضعفُ بضعفه ، وتفقدُ الغيرة حيثُ لا يكون القلبُ مؤمناً، وفي الحديث : ((المؤمنُ يغارُ واللهُ أشدُّ غيرة)) .

الغيرةُ هي التألمُ والغضبُ على حقٍ يُهانُ ويُقهرُ، أو باطلٌ يحمى وينصرُ، وينتجُ عن هذا التألم والغضب، مساندة الحقِ ومقاومةَ الباطل ودحره .

يا مسلمون :

إنَّ من الغيرةِ على دينِ اللهِ الوقوفُ مع الحقِ، ومناصرة أهل الحقّ والخير، ومناورة الباطل، ومقاومةُ المبطلين والمفسدين، مهما كانوا ولو كانوا أولى قربى .

الغيرةُ على دينِ الله تتمثلُ فيمن ينظرُ إلى الدليلِ ويصدعُ بالحقِ ولو كره المنافقون .

الغيرةُ على دينِ الله تكون بالمساهمةِ في نشره، والدعوة إليه، والجهاد في سبيلهِ بالنفسِ أو بالمال .

إنَّ الغيرةَ على دينِ اللهِ تشجيعُ كل مجالاتِ الخيرِ وسبل الدعوة ، فحضور المحاضرات ، والدعوةُ وإحياءِ الدروس العلمية ، ونشر الكتاب والشريط الإسلامي ، والكتابة في الصحف والمجلات دفاعاً عن الإسلام ومبادئه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل هذا يُعدُّ صورةً من صورِ الغيرةِ على دين الله ، وبهذه الخطوات تُقمعُ راية النفاق، وتؤد خطوات التغريب .

الاعتزازُ بالدين، والافتخارُ بالانتساب إليه، والتمسكُ بشعائرهِ الظاهرة والباطنة ، والتفاعلُ مع قضايا المسلمين ، كلٌّ ذلك مظهرٌ من مظاهر الغيرة .

إنَّ من الغيرةِ على دينِ الله، مُناصرةُ المسلمين وقضاياهم، والتألم لآلامهم والفرحُ بآمالهم، ولقد كان التحامُ المسلمين، ونصرة كل منهم لأخيه مثالاً فريداً في تاريخ التلاحم والتواصل والتنا صر، سواءً على مستوى الأمة أو الأفراد ، ولن ينتصرَ المسلمون إلاَّ إذا تحقق فيهم بعد صفاءَ العقيدة، حبُّ المسلم لأخيه ما يُحبُ لنفسه ، وشعوره بآلام أخيهِ كشعورهِ بما يصيبهُ هو، وحبُّ نصرته كما يُحبُّ أن ينصره هو، والله ينصر من ينصره وهو القوي العزيز، وإذا كانت أوضح صورِ النُصرة هي الجهادُ بالنفسِ في سبيل الله، فإنَّهُ ومع وجود المعوقات في طريقه ، حيثُ أصيبت الأمةُ بالوهن ؛ حبُّ الدنيا وكراهيةُ الموت ، فمع ذلك فإنَّ صور النُصرةِ للمسلمين كثيرة .

فالذبُ عن عرضِ المسلم وسُمعتهِ، والرد على أهل الباطل الذين يُريدون خدش كرامة المسلمين ، والدعاءَ للمسلمين في ظهر الغيب ، وتتبع أخبارهم، والوقوفُ على

أحوالهم، كلُّ هذه تحققُ للإنسان معنى النُصرةِ وتجعلهُ عضواً عاملاً صالحاً في كيانه الإسلامي .

وفي وقتٍ يتكالبُ أعداءُ الله على المسلمين، يغزونهم في عقرِ دارهم، ولا يجدُ هؤلاءِ المسلمون ما يدفعون به عن أنفسهم وأعراضهم وأحوالهم وأوطانهم ، وقذائفُ الأعداءِ تُمزقُ لحومهم وتهشمُ عظامهم، وتقطعُ أجسامهم، في هذا الوقت يتأكدُ الجهادُ بالمال غيرةً على دين الله، ومُناصرةً للمستضعفين من المسلمين .

يا مسلمون :

إنَّ ضعفَ الغيرة على الدين أو فقدها، نقيصةً تنزل بصاحبها إلى الحضيض .

ألا وإنَّ من علامات فقدِ الغيرةِ، الهمُّ والحزن لعلو الحقّ، والمسرةُ لانخفاضهِ والشماتة بالمنكوبين من المسلمين، والتوجعُ لفواتِ الباطلِ والفرح بحصوله أو إدراكه .

ومن علاماتِ فقد الغيرةِ الانقباضُ عند ذكر الصالحين وأحوالهم، ما لا يستأنس لولاة الكافرين والثناء عليهم ،

إنَّ المسلم الغيور هو الذي لا يُغريه طمعٌ، ولا تخيفهُ رهبةٌ عن قول الحقِ، فيدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وينكرُ المنكر بحماسٍ منضبط بضوابط الشرع.

إنَّ الغيرةَ على دينِ الله يجب أن تكون هاجسُ كل واحدٍ منا ، وهماً في عروق كل مسلم صغيراً كان أم كبيراً ، ذكراً كان أم أنثى، عالماً أو جاهلاً ، صالحاً أو فاسقاً ، فلا يصحُّ أن تكون الذنوبُ والخطايا حاجزاً وهمياً بين العبد وبين العمل الإيجابي لهذه الدين، نريدُ أن يكون همَّ هذا الدين يلاحقُ المرأةَ في بيتها، والرجلُ في متجره، والمعلمُ في فصله ، والطالبُ مع زملائه، والموظف في دائرته ، بل ويحملهُ الشاب على الرصيفِ وفي مدرجاتِ الملاعب ، فلم تكن الخطيئةُ يوماً مهما عظمت حائلاً بين المسلمِ وبين أن يُساهم في نُصرةِ هذا الدين، فقد ذهب بعضُ الصحابة إلى غزوة أُحد بعد ليلةً من شرب الخمر كما في البخاري ، اصطبح أناسٌ الخمر يوم أُحد ثُمَّ قُتلوا شهداء .

وفي قصة أبي محجن الثقفي لنا عبرةً وعظة، فقد كان يشرب الخمر ، وفي القادسيةِ شربها، فعاقبهُ سعدٌ بأن حرمَه من القتال، وكبلهُ بالقيود ، ولما اشتدَّ القتال وحميَّ الوطيس وانكشف المسلمون، أخذت أبا محجن الغيرةَ للدين والحميةَ لأهله، فطلب من

زوجةِ سعدٍ أن تفكَّ قيده، وأن تعطيه خيلَ سعدٍ على أن يعود بعد المعركة إلى قيده، وتوسل إليها قائلاً

كفى حزناً أن تلتقي الخيل بالقنا وأترك مشدوداً علي وثاقيا

إذا قمت عناني الحديد وغلقت مصادر مع دوني قد تصم المنادي

ارمني سلاحي لا أبا لك إنني أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا

ولله عهدٌ لا أبخس بعهده لئن أفرجت ألاَّ ازور الحوانيا

فرحمتهُ امرأة سعد، وأعطتهُ الخيل، فشقَّ الصفوف وأثخن في الأعداء، وأبلى بلاءً حسنا .

إن أقوى الناس ديناً أعظمهم غيرةً على حُرمات الله وحدوده ، فمحبُّ الله ورسوله يغارُ لله ورسوله على قدر محبته وإجلاله، وإذا خلا قلبهُ من الغيرة لله ورسولهِ، فهو من المحبة أخلى وإن زعم أنَّهُ من المحبين ، فكيف يصحُّ لعبدٍ أن يدعي محبةَ الله وهو لا يغارُ لمحاره إذا انتهكت، ولا لحقوقه إذا ضيعت .

أخي المسلم إن مما يقوي الغيرة في قلبك، أن تستشعر المسؤولية وجسامتها، وأن تُقدرَ الخطر الداهم على أمتك، وتستشعر استمرارية دُعاة الباطل في إشاعة باطلهم، (())يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)) (التوبة:32).

((وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ)) (صّ:6) .

((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ)) (لأنفال:36).

أو لم تسمع عن مُنصرين يمكثون سنوات في الصحاري القاحلة، والمناطق الآسنة، دون انتظار أجر دنيوي، وإنّما نُصرةً لباطلهم ونشر الضلالة .

فما بالنا معشرَ المسلمين يجلسُ الواحدُ منا شبعان متكأً على أريكته، إذا طلب من نصرةِ دينهِ الحق، أو كُلف بأبسط المهام، أو عُوتب لاستغراقهِ في اللهو والترفيه انطلق كالسهم مردداً، ((يا حنظلةَ ساعةً وساعة)) هذا إذا سلمَ من قدحِ العاملين، ولمزِ المجاهدين، وتثبيطِ همم الباذلين.

تبلدَ في الناس حسن الكفاح وقالوا الكسب والعيش رتيب
بكاءٌ يزعزع من همتي سدود الأمين وعزم المريب

ألا فليستثر الشعور بالاستحياءِ من الله عز وجل في قلوبنا، حين نرى من الإخلاص لهم عند الله ، يُكرمون ويضحون لنصرة باطلهم، ويوفون مع إمامهم إبليس بالعهد الذي قطعه على نفسه، فبعزتك لأغوينهم، في حين يتباطأ كثيرٌ من المسلمين عن نصرةِ دينهِ الحقّ، مع أنهم عاهدوا على الانقياد لشرعه ((وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)) (المائدة:7) أقول هذا القول .

الخطبة الثانية

أما بعد .

فإننا إذ نتحدثُ عن الغيرةِ على دين الله، وننظر بعين الأسى والحزن لواقع الأمة، فإننا ننظرُ بالعين الأُخرى إلى ما يجري في عراق العزِّ والإباء، فعن أيِّ شيءٍ نتحدث .

هل نتحدثُ عن عيدهم عيدنا ، عيدهم نارٌ ودمار ، ودماءٌ وأشلاء، عيدهم جروحٌ غائرة ، ونفوسٌ ثائرة ، عيدهم أطفالٌ يتامى ونساءٌ أيامى ، وشيوخٌ ثكالى ، عيدهم مساجدُ تهدم ، وجراحٌ تنزف، وحثثٌ ملقاةٌ في الشوارع ، وعدوٌ صليبيٌّ يسومهم سُوءَ العذاب، هذا عيدهم ، أما عيدنا ،فغناءٌ وطرب ، ولهوٌ ولعب ، رجالٌ يختلطون بالنساءِ وشبابٌ يرقصون، عيدنا فنان يغني على ساحلِ البحر، في ليلةٍ الجمعة فغباء؟ تسمعه حتى النساء

أهنئكم وعينُ القلب تجري على أحبابنا في الرافدين
وأشجبُ صمتكم وأقولُ إني براءٌ من عميل أو خؤون
ففي أعيادكم لعبٌ وحلوى وألوانُ المعازفِ والمجون
وفي فلوجةِ الأبطالِ قتلٌ وحربٌ للصليب تجاهَ ديني

هل نتحدثُ يا مسلمون عن الحضارة الغربية المزيفة، والمدنيةِ الغربية الكاذبة، والتي يُمجدها المستغربون، ويغني لها المنهزمون ، والتي ظهرت معالمُها على أرض العراق ، هدماً للبيوت على العزَّل، وإجهازاً على الجرحى، وتخريباً للمُدن وإهلاكاً

للحـرث والنسـل، وتترسـاً بالأطفـال الأبريـاء، وانتهاكـاً لحُرمـات المسـاجد، وتمزيقـاً للمصـاحف، وإهداراً لكرامـةِ الإنسان، هذه هـي حضـارتهم، وتلك حريتهم التـي جاءوا يبشرون بها، فيا ليت المنافقين يعقلون .

هل نتحدثُ يا مسلمون عن الأسودِ المزمجرة، والصواعقِ المدمرة ، عن الرجالِ حقاً والأبطـال صـدقاً، والـذين رسموا بدمائهم وصمودهم أجملَ لوحاتِ العزِّ والشرف، فـي زمنِ الضـعف والـوهن، والـذين مرغـوا وجـهَ الصـليبية، وأرغمـوا أنـوف الحـاقدين وأثبتـوا للعـالم أنَّ القـوةَ قُـوة الحـقِ، وأنَّ النصـرَ مـع الصـبر، وأنَّ فـي أمـةِ الإسـلام ((مِـنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ)) (الأحزاب: من الآية23) ، لا يلتفتون إلى الوراءِ، ولا ترهبهم قوةُ الأعداء ولا تثبطهم أقاويل المرجفة،

إنَّ ما يجري يا مسلمون على أرضِ العراق إنَّما هو نصرٌ وعز، ولو قُتل من قُتل، وجُرح من جُرح وأُسر من أسر، ولو سقطت مدنٌ، وخربت بيوتٌ، ليس النصر في ميزان الإسلام مدينة تفتح، أو بلدة تسرق، وإنَّما هو انتصارُ القيمِ والمبادئ، وارتفاعُ رايةَ الحقِ .

إنَ النـاسَ يُقصـرون معنـى النصـر علـى صـورةٍ معينـة، معهـودةٍ لهـم قريبـةَ الرؤيـةِ لأعينهم ، ولكن صورُ النصر شتى، وقد يتلبس بعضها بصورة الهزيمةِ عند النظرة القصيرة .

إنَّ وعدَ اللهِ قاطعٌ جازم ((إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا)) (غافر: من الآية51) .

بينما يُشاهدُ الناس أنَّ الرسلَ منهم من يُقتل ومنهم من يُهاجر من أرضـهِ وقومهِ مكذباً مطروداً ، وأنَّ المؤمنين منهم من يسام العذاب، ومنهم من يُلقى في الأخدود ، ومنهم من يُستشهد، ومنهم من يعيشُ في كربٍ وشدةٍ واضطهاد، فأين وعد الله لهم بالنصر في الحياة الدنيا ؟ إنَّ الناسَ يعيشون بظواهرِ الأمورِ، وبفترةٍ قصيرةٍ من الزمان، وحيزٍ محدودٍ من المكان ، وإنما النصرُ أوسع وأشمل ، وكم من شهيدٍ ما كان يملكُ أن ينصر عقيدته ودعوته ولو عاش ألف عامٍ كما نصرها يوم استشهاده، وإنَّ أعظمَ أنواع النصر : النصرُ على الذات والشهوات ، والسيطرةُ على الأهواءِ والمغريات، إنَّ معركة الإسلام مع الصليبيةِ لا تتوقفُ عند حدِّ فتح مدينة، والسيطرة على موقع ، ولكنَّها حربٌ طويلة الأمد .

فنهايتها تحقيقُ الغاية التي ذكر الله، ((قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)) (التوبة: من الآية29) وحتى تصل الأمة إلى هذه الغاية، فلا بُدَّ من تضحياتٍ وبذل، وإنَّ كلَّ نقطة دمٍ من نفسٍ مسلمةٍ زكية لن تضيعَ عند الله سُد ى، ولن تذهب هدراً ، وإنَّما هي خطوةٌ لطريقِ النصر، ووقودٌ لنارِ العزة، ومنارات لمعالمِ القبلةِ والفتحِ المبين، فتحُ مكة لم يكن وليد تخطيط شهرٍ أو سنةٍ، لكن نتاجَ كفاحٍ دامٍ ثلاثةَ عشر عاماً في مكة ، وهو ثمنُ دماءٍ أُريقت في بدرٍ وأحد، وجزاء نفوسٍ أُزهقت فداءً لدين الله .

فتحُ مكة لم يأت بارداً جاهزاً ، لكنهُ أتى تتويجاً لدم زكي، قد خرج من عقبي النبي- صلى الله عليه وسلم- وثمناً للبلاءِ والإيذاءِ الذي تعرض له المصطفى- صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام .

فتحُ مكةَ رسمَ معالمهُ دمُ أبي عمار وزوجه سمية ، وخط خطوطهُ أنين بلال وعمار، وخبا بٌ وصهيب، تحت سياط العذاب .

فتح مكة جاءَ ليُعلن للناس أنَّ النصرَ عزيزٌ ولا بُد له من ثمن ، وليقولَ للناسِ اليوم ، لا تهنوا ولا تحزنوا، فإنَّ دماءً في العراق تُراق ، وأُخرى في أقطارٍ وآفاق، إنَّما هي ثمنٌ تُقدمهُ الأمة للنصر القادمِ القريبِ بإذن الله ، النصرُ نورٌ مرتقبٌ وقودي دماءِ الشهداء ودعوات الأتقياء، وأموال الأغنياء، وشروطهُ صبرٌ على البلاءِ وشكرٌ عند الرخاء، ووفاءٌ مع خالقِ الأرضِ والسماء، ((وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)) (الروم:5).

وأخيراً ، وأرض العراق تشهدُ ملحمةً من ملاحمِ الإسلام، وتَبرزُ للعالم صورَ الغدرِ والخيانةِ العلقيمة ، وتُروي للعالم صورةَ الحضارةِ الأمريكية ، وأرض العراق تُدكُ على أهلها، وتهدم بيوتها فوق سكانها، فما أكثر الشامتين من كُتَّابٍ وغيرهم من يقولُ بلسان الحال، ((لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) (آل عمران: من الآية168) ولن شغلنا أنفسنا بالحديث عن هؤلاءِ وإليهم وإنَّما نوجِّهُ لهم تحذيرَ اللهِ ووعيده، ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزّىً لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)) (آل عمران:156) .

وأخيراً ، أيُّ دينٍ وأيُّ خيرٍ فيمن يرى محارمَ الله تُنتهك، وحدودهُ تُضاع، ودينهُ يُترك، وسنة رسوله– صلى الله عليه وسلم– يرغب عنها ، وعبادهُ يُهانون، وهو باردُ القلبِ، ساكتُ اللسان، شيطانٌ أخرس، وهل يلينُ الدينُ إلاَّ من هؤلاءِ الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياستهم ،فلا مبالاة بما جرى على الدين ، وخيارهم المتخرن المتلمظ ، وهؤلاءِ مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم، قد بلوا في الدنيا بأعظمِ بليةٍ تكون وهم لا يشعرون، وهو موتُ القلوب ، فإنَّ القلب كما كانت حياتُهُ أتم، كان غضب الله ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل .

فلا بُدَّ يا مسلمين من الشعورِ بواجبِ النُصرةِ لهذا الدين، كلٌّ بحسبه ومرتبتهِ من العلم والقدرة، والغني وغيرها .

تلكم يحيى بن معاد، يوماً في الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقالت له امرأته هذا واجبٌ قد وُضعَ عنَّا فقال ، هبي أنَّهُ قد وضُع عنَّا سلاح اليد فلم يُوضعُ عنا سلاح القلب، واللسان ، فقالت : صدقت جزاك الله خيراً

اللهم صل وسلم .

===============

الحجاب وأصول الإعتقاد

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه . أما بعد :

فلم يعد خافياً على أحد ما تشهده مجتمعات المسلمين اليوم من حملة محمومة من الذين يتبعون الشهوات على حجاب المرأة وحيائها وقرارها في بيتها؛ حيث ضاق عطنهم وأخرجوا مكنونهم ونفذوا كثيراً من مخططاتهم في كثير من مجتمعات المسلمين ؛ وذلك في غفلة وقلة إنكار من أهل العلم والصالحين ، فأصبح الكثير من هذه المجتمعات تعج بالسفور والاختلاط والفساد المستطير مما أفسد الأعراض والأخلاق ، وبقيت بقية من بلدان المسلمين لا زال فيها والحمد لله يقظة من أهل العلم الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر حالت بين دعاة السفور وبين كثير مما يرومون إليه .

وهذه سنة الله عز وجل في الصراع بين الحق والباطل والمدافعة بين المصلحين والمفسدين .

ومن كيد المفسدين في مثل المجتمعات المحافظة مع وجود أهل العلم والغيرة أن أولئك المفسدين لا يجاهرون بنواياهم الفاسدة ؛ ولكنهم يتسترون وراء الدين ويُلبِسون باطلهم بالحق واتباع ما تشابه منه ، وهذا شأن أهل الزيغ كما وصفهم الله عز وجل في قوله : ((فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ)) [آل عمران : 7] .

وهم أول من يعلم أن فساد أي مجتمع إنما يبدأ بإفساد المرأة واختلاطها بالرجال ، ولو تأملنا في التاريخ لوجدنا أن أول ما دخل الفساد على أية أمة فإنما هو من باب الفتنة بالنساء ، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : ((ما تركت فتنة هي أضر على الرجال من النساء)) [1]

وقوله صلى الله عليه وسلم : ((واتقوا النساء ؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء))[2].

وهذه حقيقة لا يماري فيها أحد ، وملل الكفر أول من يعرف هذه الحقيقة ؛ حيث إنهم من باب الفتنة بالنساء دخلوا على كثير من مجتمعات المسلمين وأفسدوها وحققوا أهدافهم البعيدة، وتبعهم في ذلك المهزومون من بني جلدتنا ممن رضعوا من ألبان الغرب وأفكاره، ولكن لأنهم يعيشون في بيئة مسلمة ولا زال لأهل العلم والغيرة حضورهم؛ فإنهم كما سبق بيان ذلك لا يتجرؤون على طرح مطالبهم التغريبية بشكل صريح لعلمهم بطبيعة تديُّن الناس ورفضهم لطروحاتهم وخوفهم من الافتضاح بين الناس ، ولذلك دأبوا على اتباع المتشابهات من الشرع ، وإخراج مطالبتهم في قوالب إسلامية وما فتئوا يلبسون الحق بالباطل .

ومن هذه الطروحات التي أجلبوا عليها في الآونة الأخيرة مطالبتهم في مجتمعات محافظة بكشف المرأة عن وجهها وإخراجها من بيتها معتمدين بزعمهم على أدلة شرعية وأقوالٍ لبعض العلماء في ذلك . ولنا في مناقشة هؤلاء القوم المطالبين بكشف وجه المرأة المسلمة أمام الأجانب واختلاطها بهم في مجتمع محافظ لا يعرف نساؤه إلا الحجاب الكامل والبعد عن الأجانب لنا في ذلك عدة وقفات :

الوقفة الأولى :

إن هناك فرقاً في تناول قضية الحجاب وهل يدخل في ذلك الوجه أم لا ؟ بين أن يقع اختلاف بين العلماء المخلصين في طلب الحق، المجتهدين في تحري الأدلة، الدائرين في حالتي الصواب والخطأ بين مضاعفة الأجر مع الشكر ، وبين الأجر الواحد مع العذر هناك فرق بين أولئك وبين من يتبع الزلات، ويحكم بالتشهي ، ويرجِّح بالهوى ؛ لأن وراء الأكمة ما وراءها ؛ فيؤول حاله إلى الفسق وَرِقَّة الدين ونقص العبودية وضعف الاستسلام لشرع الله عز وجل .

وهناك فرق بين تلك الفتاوى المحلولة العقال المبنية على التجرِّي لا على التحري التي يصدرها قوم لا خلاق لهم من الصحافيين ومن أسموهم المفكرين تعج منهم الحقوق إلى الله عجيجاً ، وتضج منهم الأحكام إلى من أنزلها ضجيجاً ، ينفرون من تغطية الوجه لا لأن البحث العلمتي المجرد أدَّاهم إلى أنه مكروه أو جائز أو بدعة كما يُرجفون ، ولكن لأنه يشمئز منه متبوعهم من كفار الشرق والغرب .

فاللهم باعد بين نسائنا وبناتنا وأخواتنا وبينهم كما باعدت بين المشرق والمغرب) [3].

ولك أن تقدر شدة مكر القوم الذين يريدون من جانبهم أن يتَّبعوا التمدن الغربي، ثم يسوِّغون فعلهم هذا بقواعد النظام الإسلامي الاجتماعي .

ولقد أوتيت المرأة من الرخص في النظام الإسلامي أن تبدي وجهها وكفيها إذا دعت الحاجة في بعض الأحوال ، وأن تخرج من بيتها لحاجتها ، ولكن هؤلاء يجعلون هذا نقطة البدء وبداية المسير ، ويتمادون إلى أن يخلعوا عن أنفسهم ثوب الحياء والاحتشام، فلا يقف الأمر بإناثهم عند إبداء الوجه والكفين ، يل يجاوزه إلى تعرية الشعر والذراع والنحر إلى آخر هذه الهيئة القبيحة المعروفة، وهي الهيئة التي لا تخص بها المرأة الأزواج والأخوات والمحارم فقط، بل يخرجن بكل تبرج من بيوتهن، ويمشين في الأسواق، ويخالطن الرجال في الجامعات ، ويأتين الفنادق والمسارح ، ويتبسطن مع الرجال الأجانب .

ثم يأتي القوم فيحملون رخصة الإسلام للمرأة في الخروج من البيت للحاجة وهي الرخصة المشروطة بالتستر والتعفف؛ على أنه يحل لها أن تغدو وتروح في الطرقات

، وتتردد إلى المتنزهات والملاعب والسينما في أبهى زينة ، وأفتنها للناظرين ، ثم يتخذ إذن الإسلام لها في ممارسة أمور غير الشؤون المنزلية ذلك الإذن المقيد المشروط بأحوال خاصة يُتَّخذ حجة ودليلاً على أن تودِّع المرأة المسلمة جميع تبعات الحياة المنزلية ، وتدخل في النشاط السياسي والاقتصادي والعمراني تماماً وحذو القُذَّة بالقذة كما فعلت الإفرنجية .

وهاهو ذا الشيخ المودودي رحمه الله يصرخ في وجوه هؤلاء الأحرار في سياستهم ، العبيد في عقليتهم قائلاً : (ولا ندري أيُّ القرآن أو الحديث يُستخرَج منه جواز هذا النمط المبتذل من الحياة ؟ وإنكم يا إخوان التجدد إن شاء أحدكم أن يتبع غير سبيل الإسلام فهلاَّ يجترئ ويصرح بأنه يريد أن يبغي على الإسلام، ويتفلَّت من شرائعه ؟ وهلاَّ يربأ بنفسه عن هذا النفاق الذميم والخيانة الوقحة التي تزيِّن له أن يتَّبع علناً ذلك النظام الاجتماعي وذلك النمط من الحياة الذي يحرمه الإسلام شكلاً وموضوعاً ، ثم يخطو الخطوة الأولى في هذا السبيل باسم اتِّباع القرآن كي ينخدع به الناس فيحسبوا أن خطواته التالية موافقة للقرآن ؟) [4].

الوقفة الثانية :

وهي نتيجة للوقفة الأولى ، وذلك بأن ينظر إلى قضية الحجاب اليوم وما يدور بينها وبين السفور من معارك إلى أنها لم تعد قضية فرعية ومسألة خلافية فيها الراجح والمرجوح بين أهل العلم ، ولكنها باتت قضية عقدية مصيرية ترتبط بالإذعان والاستسلام لشرع الله عز وجل في كل صغيرة وكبيرة وعدم فصله عن شؤون الحياة كلها ؛ لأن ذلك هو مقتضى الرضى بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد
صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً .

إن التشنيع على تغطية المرأة وجهها والتهالك على خروجها من بيتها واختلاطها بالرجال ليست اليوم مسألة فقهية فرعية ولكنها مسألة خطيرة لها ما بعدها؛ لأنها تقوم عند المنادين بذلك على فصل الدين عن حياة الناس وعلى تغريب المجتمع وكونها الخطوة الأولى أو كما يحلو لهم أن يعبروا عنه بالطلقة الأولى .

وإن لنا في جعل قضية الحجاب اليوم قضية أصولية كلية مع أن محلها كتب الفروع إن لنا في ذلك أسوة في سلف الأمة ؛ حيث صنفوا بعض المسائل الفرعية مع أصول الاعتقاد لَمَّا رأوا أن أهل البدع يشنِّعون على أهل السنة فيها ويفاصلون عليها،

من ذلك ما ذكره الإمام الطحاوي في العقيدة الطحاوية في قوله عن أهل السنة والجماعة : (ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر)

وعلق شارح الطحاوية على ذلك بقوله : (وتواترت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسح على الخفين وبغسل الرجلين ، والرافضة ، تخالف هذه السنة المتواترة) [5].

ومعلوم أن المسح على الخفين من المسائل الفقهية ؛ ولكن لأن أهل البدع أنكروه وشنعوا على مخالفيهم فيه نص العلماء عليه في عقائدهم .

إذن فلا لوم على من يجعل قضية الحجاب اليوم قضية أصولية مصيرية ، وذلك لتشنيع مبتدعة زماننا ومنافقيهم عليه ولحملتهم المحمومة لنزعه وجر المرأة بعد ذلك لما هو أفسد وأشنع من ذلك ، وأنها لم تعد مسألة فقهية يتناقش فيها أهل العلم المتجردون لمعرفة الراجح وجوانب الحاجة والضرورة فيه .

وقد صرَّح بعضُ العلماء بتكفير من قال بالسفور ورفْع الحجاب وإطلاق حرية المرأة ؛ إذا قال ذلك معتقداً جوازه .

قال الشيخ محمد بن يوسف الكافي التونسي في كتابه : (المسائل الكافية؛ في بيان وجوب صدق خبر رب البرية) [6]:

(المسألة السابعة والثلاثون) : من يقول بالسفور ورفع الحجاب وإطلاق حرية المرأة ففيه تفصيل :

فإن كان يقول ذلك ويُحسِّنُه للغير مع اعتقاده عَدَم جوازه ، فهو مؤمن فاسق يجب عليه الرجوعُ عن قوله ، وإظهارُ ذلك لدى العموم .

وإن قال ذلك معتقداً جوازه ، ويراه من إنصاف المرأة المهضومة الحق على دعواه ! فهذا يكفر لثلاثة أوجه :

الأول : لمخالفته القرآن : ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وبَنَاتِكَ ونِسَاءِ المُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ)) (الأحزاب : 59) .

الثاني : لمحبته إظهار الفاحشة في المؤمنين . ونتيجة رفع الحجاب ، وإطلاق حرية المرأة واختلاط الرجال بالنساء : هو ظهور الفاحشة ، وهو بيّنٌ لا يحتاج إلى دليل .
الثالث : نسبةُ الحيف على المرأة ، وظلمها إلى الله تعالى الله عما يقول المارقون ؛ لأنه هو الذي أمر نبيه بذلك ، وهو بيّنٌ أيضاً .
قلتُ : وظهور الفاحشة نتيجة لرفع الحجاب ، وإطلاق حرية المرأة ، واختلاط النساء بالرجال يَشهد به الواقعُ من حال الإفرنج والمتفرنجين الذين ينتسبون إلى الإسلام ، وهم في غاية البعد منه .
وصرح الشيخ محمد بن يوسف الكافي أيضاً بتكفير من أظهرت زينتها الخلقية أو المكتسبة ، معتقدة جواز ذلك ، فقال في كتابه المشار إليه ما نصُّه : (المسألة السادسة والثلاثون) : من أظهرت من النساء زينتها الخِلقية أو المكتسبة ؛ فالخلقية : الوجه والعنق والمعصم ونحو ذلك ، والمكتسبة ما تتحلى وتتزين به الخلقة كالكحل في العين، والعقد في العنق، والخاتم في الإصبع، والأساور في المعصم، والخلخال في الرِّجل، والثياب الملونة على البدن ، ففي حكم ما فعلتْ تفصيل :
فإن أظهرت شيئاً مما ذُكِرَ معتقدة عدم جواز ذلك ، فهي مؤمنة فاسقة تجب عليها التوبة من ذلك ، وإن فعلته معتقدة جواز ذلك فهي كافرة لمخالفتها القرآن ؛ لأن القرآن نهاها عن إظهار شيء من زينتها لأحد إلا لمن استثناه القرآن ، قال الله تعالى : ((ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ)) (النور : 31) .
قال هشام بن عمار : سمعت مالكاً يقول من سَبَّ أبا بكر وعمر أُدِّب ، ومن سَبَّ عائشة قُتِل ؛ لأن الله يقول : ((يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)) (النور : 71).
فمن سَبَّ عائشة فقد خالف القرآن ، ومن خالف القرآن قُتِل أي لأنه استباح ما حرَّم الله تعالى انتهى .
الوقفة الثالثة :
ليس المقصود في هذه الوقفات حشداً للأدلة الموجبة لستر وجه المرأة وكفيها عن الرجال الأجانب ووجوب الابتعاد عنهم ؛ فهي كثيرة وصحيحة وصريحة والحمد لله

ويمكن الرجوع إليها في فتاوى أهل العلم الراسخين ورسائلهم كرسالة الحجاب للشيخ ابن عثيمين رحمه الله .

ومن الكتب التي توسعت في هذا الموضوع وردَّت على شبهات المخالفين كتاب : (عودة الحجاب/ القسم الثالث) للدكتور محمد بن إسماعيل المقدم حفظه الله وإنما المقصود في هذه المقالة ما ذكر سابقاً من فضح نوايا المنادين بكشف الوجه والاختلاط بالرجال ، وأن وراء ذلك خطوات وخطوات من الفساد والإفساد ؛ ومع ذلك يحسن بنا في هذه الوقفة أن نشير إلى أن علماء الأمة في القديم والحديث من أجاز منهم كشف الوجه ومن لم يجزه كلهم متفقون ومجمعون على وجوب ستر وجه المرأة وكفيها إذا وُجِدَت الفتنة وقامت أسبابها ؛ فبربكم أي فتنة هي أشد من فتنة النساء في هذا الزمان ؛ حيث بلغت وسائل الفتنة والإغراء بهن مبلغاً لم يشهده تاريخ البشرية من قبل ، وحيث تفنن شياطين الإنس في عرض المرأة بصورها المثيرة في كل شيء في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية ، وأخرجوها من بيتها بوسائل الدعاية والمكر والخداع ؛ فمن قال بعد ذلك : إن كشف المرأة عن وجهها أو شيء من جسدها لا يثير الفتنة فهو والله مغالط مكابر لا يوافقه في ذلك من له مُسْكَة من دين أو عقل أو مروءة .

وبعد التأكيد على أن أهل العلم قاطبة متفقون على وجوب تغطية الوجه إذا وجدت الفتنة يتبين لنا أن خلافهم في ذلك كان محصوراً فيما إذا أُمِنَتِ الفتنةُ ، ومع ذلك فتجدر الإشارة أيضاً إلى أن هذا القدر من الخلاف بقي خلافاً نظرياً إلى حد بعيد ؛ حيث ظل احتجاب النساء هو الأصل في الهيئة الاجتماعية خلال مراحل التاريخ الإسلامي.

وفيما يلي نُقُول عن بعض الأئمة تؤكد أن التزام الحجاب كان أحد معالم (سبيل المؤمنين) في شتى العصور : قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى : (كانت سُنَّة المؤمنين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أن الحرة تحتجب ، والأَمَةُ تبرز) [7].

وقال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى : (لم يزل الرجال على مر الزمان مكشوفي الوجوه والنساء يخرجن متنقبات) [8].

وقال الحافظ ابن حجر : (لم تزل عادة النساء قديماً وحديثاً أن يسترن وجوههن عن الأجانب)[9].

وقد يتعلق دعاة السفور أيضاً ببعض الحالات التي أذن الشارع للمرأة فيها بكشف وجهها لغير محارمها كرؤية الخاطب لمخطوبته ، وعند التداوي إذا عدمت الطبيبة بشرط عدم الخلوة وعند الشهادة أمام القاضي ونحوها، وهذا كله من يُسْر الشريعة وسماحة الإسلام ؛ حيث رُخِّص للمرأة إذا اقتضت المصلحة الراجحة والحاجة الماسة أن تكشف عن وجهها في مثل هذه الأحكام ؛ وليس في هذا أدنى

مُتَعَلَّق لدعاة السفور؛ لأن الأصل هو الحجاب الكامل وهذه رخص تزول إذا زالت الحاجة إليه .

الوقفة الرابعة :

ومن منطلق النصح والشفقة وإقامة الحجة أتوجه بالكلمات الآتية إلى أولئك القوم الذين ظلموا أنفسهم وأساؤوا إلى مجتمعهم وأمتهم وخانوا أماناتهم وحملوا بذلك أوزارهم وأوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون فأرجو أن تجد هذه الكلمات آذاناً صاغية وقلوباً واعية قبل مباغتة الأجل وهجوم الموت ؛ حيث لا تقبل التوبة ولا ينفع الندم .

* أذكِّركم بموعظة الله تعالى ؛ إذ يقول : ((قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لله مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا)) (سبأ : 46) .

فماذا عليكم لو قام كل فرد منكم مع نفسه أو مع صاحبه ، ثم فكرتم فيما أنتم عليه من إفساد وصد عن سبيل الله عز وجل ، هل أنتم مقتنعون بما تفعلون وبما تجرُّونه على أمتكم من الفتن ؟ وهل هذا يرضي الله تعالى ، ويجلب النعيم لكم في الآخرة ؟ إنكم إن قمتم لله عز وجل متجردين مثنى أو فرادى ، وفكرتم في ذلك فإن الجواب البدهي هو أن الفساد والإفساد لا يحبه الله عز وجل ، بل يمقته ، ويمقت أهله ، وسيأتي اليوم الذي يمقت فيه أهل الفساد أنفسهم، ويتحسرون على ما فرطوا وضيعوا وأفسدوا ، وذلك في يوم الحسرة ؛ حيث لا ينفع التحسر ولا التندم ، فعليكم بالتوبة قبل أن يحال بينكم وبينها .

* أذكِّركم بيوم الحسرة والندامة يوم يتبرأ منكم الأتباع وتتبرؤون من الأتباع ، ولكن حين لا ينفع الاستعتاب ولا التنصل ولا التبرؤ ، بل كما قال تعالى : ((وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا العَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) (سبأ : 33) .

* أذكِّركم بالأثقال العظيمة التي ستحملونها يوم القيامة من أوزاركم وأوزار الذين تضلونهم بغير علم إن لم تتوبوا ، قال تعالى : ((ولَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ولَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ القِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ)) (العنكبوت : 13).

وقال عز وجل : ((لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ ومِنْ أَوْزَارِ الَذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ)) (النحل : 25) .

وإن الظالمين جميعهم رئيسهم ومرؤوسهم، تابعهم ومتبوعهم لهم يوم مشهود ويوم عصيب ، يوم يكفر بعضهم ببعض ، ويلعن بعضهم بعضاً، ويحيل التبعة بعضهم على بعض؛ ولكن حين لا يجدي لهم ذلك إلا الخزي والبوار .

* إن لم يُجْدِ واعظُ الله سبحانه والدار الآخرة فيكم فلا أقل من أن يوجد عندكم بقية مروءة وحياء تمنعكم من إفساد المرأة وإفساد المجتمع بأسره .

إن المتأمل لحال المتبعين للشهوات اليوم ليأخذه العجب والحيرة من أمرهم ! فما لهم وللمرأة المسلمة التي تقر في منزلها توفر السكن لزوجها وترعى أولادها ؟

ماذا عليهم لو تركوها في هذا الحصن الحصين تؤدي دورها الذي يناسب أنوثتها وطبيعتها ؟

ماذا يريدون من عملهم هذا ؟ !

ثم ماذا عليهم لو تركوا أولاد المسلمين يتربون على الخير والدين والخصال الكريمة ؟

ماذا يريدون من إفسادهم وتسليط برامج الإفساد المختلفة عليهم ؟ هل يريدون جيلاً منحلاًّ يكون وبالاً على مجتمعه ذليلاً لأعدائه عبداً لشهواته ؟ إن هذه هي النتيجة؛ وإن من يسعى لهذه النتيجة الوخيمة التي تتجه إليها الأسر المسلمة اليوم لهو من أشد الناس خيانة لمجتمعه وأمته وتاريخه .

إن من عنده أدنى مروءة ونخوة فضلاً عن الدين والإيمان لا يسمح لنفسه أن يكون من هؤلاء الظالمين، وما ذُكِرَ من إفساد الأسرة إنما هو على سبيل المثال لا

الحصر؛ فيا من وصلوا إلى هذا المستوى من الهبوط والجناية ! توبوا إلى ربكم، وفكِّروا في غايتكم ومصيركم، واعلموا أن وراءكم أنباءاً عظيمة وأهوالاً جسيمة تشيب لها الولدان، وتشخص فيها الأبصار؛ فإن كنتم تؤمنون بهذا فاستيقظوا من غفلتكم وراجعوا أنفسكم ، والله جل وعلا يغفر الذنوب جميعاً، وإن كنتم لا تؤمنون بذلك فراجعوا دينكم ، وادخلوا في السلم كافة قبل أن يحال بينكم وبين ما تشتهون .

* يا قومنا ! أعدوا للسؤال جواباً وذلك حين يسألكم عالم الغيب والشهادة عن مقاصدكم في حملتكم وإجلابكم على المرأة وحجابها وقرارها في بيتها ، فماذا أنتم قائلون لربكم سبحانه ؟ إنكم تستطيعون أن تفروا من المخلوق فتدلِّسون وتلبِّسون ، وقد يظهر ذلك للناس في لحن القول وقد لا يظهر ؛ لكن كيف الفرار ممن يعلم ما تخفون وما تعلنون ؟ ((يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ)) [الحاقة : 81] .

فتوبوا إلى علاَّم الغيوب ما دمتم في زمن التوبة ، وصحِّحوا بواطنكم قبل أن يُبعثَر ما في القبور ويُحَصَّل ما في الصدور .

وختاماً :

أوصي نفسي وإخواني المسلمين الحريصين على دينهم وأعراضهم وسلامة مجتمعاتهم من الفساد بأن يكونوا يقظين لما يطرحه الظالمون لأنفسهم وأمتهم من كتابات وحوارات مؤداها دعوة إلى سفور المرأة واختلاطها بالرجال الأجانب ، فما دامت المدافعة بين المصلحين والمفسدين فإن الله عز وجل يقذف بالحق على الباطل فإذا هو زاهق . وينبغي أن لا ننسى في خضم الردود على ما يكتبه المفسدون من الشبهات والشهوات ؛ ذلكم السيل الهادر الذي يتدفق من وسائل الإعلام المسموعة والمرئية في بلاد المسلمين ؛ وذلك بما تبثه الإذاعات والتلفاز والقنوات الفضائية من دعوة للمرأة إلى السفور ومزاحمة الرجال في الأعمال والطرقات ، والتمرد على الرجل سواء كان أباً أو زوجاً أو أخاً ؛ ولقد ضربت هذه الوسائل بأطنابها في بلاد المسلمين فكان لزاماً على المصلحين محاربتها وإبعادها عن بيوت المسلمين قدر الاستطاعة ، فإن لم يكن إلى ذلك سبيل فلا أقل من تكثيف الدعاية ضدها والتحذير

من شرها ووقاية المسلمين من خطرها ؛ وذلك بإصدار الفتاوى المتتابعة والخطب المكثفة حول أضرارها وأثرها المدمر للدين والأخلاق ؛ فإنها والله لا تقل خطراً عما

تكتبه الأقلام الآثمة عن المرأة إن لم تزد عليه ، والمقصود أن لا يكتفي المصلحون بمحاربة ما يكتبه المفسدون في الصحف والمجلات عن المرأة فإن هم سكتوا سكت المصلحون وظنوا أن الخطر قد انتهى . كلا ! إن الخطر لم ينته وإن المعركة مستمرة ؛ لأن الخطر الأكبر لا يزال قائماً ما دامت الوسائل المسموعة والمرئية لا تكفُّ عن المرأة والاستهزاء بحجابها وقرارها في بيتها وقوامة الرجل عليها، وإثارة الشبهات في ذلك .

أسأل الله عز وجل أن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يعز دينه ويعلي كلمته ، وأن يرد كيد المفسدين في نحورهم . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

[1] رواه البخاري ، ح/ 6074 .

[2] رواه مسلم ، ح/ 5294 .

[3] انظر عودة الحجاب ، 3/ 734 .

[4] انظر مقدمة عودة الحجاب للدكتور محمد إسماعيل المقدم ، ص 22 ، 32 باختصار وتصرف يسير .

[5] شرح الطحاوية ، ص 683 .

[6] عن كتاب الصارم المشهور على أهل التبرج والسفور ، للشيخ حمد التويجري رحمه الله .

[7] تفسير سورة النور ، ص 56 .

[8] إحياء علوم الدين ، 4 / 927 .

[9] فتح الباري ، 423/9 .

============

أساليب العلمانيين في تغريب المرأة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله

وحده لا شريك لـه ، وأشـهد أن محمداً عبد الله ورسوله صـلى الله عليـه وعلـى آلـه وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فقد أرشد الله – عز وجل – إلى تتبع المجرمين والنظر في أفعالهم وطرقهم في هدم هذا الدين ، فقال الله – سبحانه – {وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ}، وأمر الله – عز وجل – نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجاهد المنافقين ، فقال تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ } ، وجهاد الكفار يشمل الحجة والسنان ، أما جهاد المنافقين فهو بالحجة والبيان ، لأن لهم حكم الإسلام فهم يتخفون ولا يظهرون ما يعتقدون . وقد فضح الله – عز وجل – المنافقين في كتابه الكريم في سور كثيرة : في سورة البقرة ، وسورة النساء ، وفي سورة التوبة التي سميت بالفاضحة حتى قال بعض الصحابة – رضي الله عنهم – : ما زالت سورة التوبة تنزل {ومنهم } {ومنهم } حتى ظننا أنها لا تبقي أحداً . وفي سورة الأحزاب بيان عن مواقفهم وقت الشدائد ، وسمّى الله – عز وجل – سورة في كتابه الكريم عن هذه الفئة ، وهذه الفئة مهما تخفت فإن الله – عز وجل – يظهر ما تضغنه صدورهم وما تبطنه قلوبهم : {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ} فهي فئة مفضوحة ، يفضحها الله – عز وجل – ويظهر خباياها ليعرفها الناس ولا ينخدعوا بها وكل إناء بما فيه ينضح .

والتعرف على هذه الفئة وعلى أساليبها وطرقها في محاربة الأمة ومحاولتها تقوض دعائم الإسلام يعد من الأهمية بمكان ، يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – : إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية .

فيظهر أهل الجاهلية من أجل تقويض عرى الإسلام فلا يقبل منهم أهل الإسلام ذلك لمعرفتهم بهم وبجاهليتهم .

من الدين كشف الستر عن كل كاذب وعن كل بدعي أتى بالعجائب
ولو رجال مؤمنون لهدمت صوامع دين الله من كل جانب

ولهذا كان لابد من دراسة أساليب الفئة العلمانية في تغريب الأمة كلها والمرأة بوجه خاص لنبتعد عن هذا الشر وهذا الوباء الذي ينذر كارثة عظيمة على الأمة المحمدية .

ولابد أيضاً أن يعلم كل مسلم أن الفئة العلمانية هي الخطر الأكبر المحدق بهذه الأمة ، وهو يعمل على تغريب هذه الأمة وإبعادها عن دينها .

وهذه الكلمات في أصلها محاضرة ألقيت في الرياض بتاريخ 1414/4/29هـ ثم أجري عليها بعض التعديل وأعان على ذلك بعض الأخوة فلهم جزيل الشكر وما كان فيما ذكرت من صواب فمن الله وحده وله الحمد والفضل وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان . وأرجو من كل أخ في الله رأى خطأ أو استدرك أمراً أو توصل إلى معلومة أن يناصح أخاه فالدين النصيحة بما عنده وأنا له داع وشاكر والتعاون على البر والتقوى واجب شرعي .

{ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}.

كتبه العبد الفقير إلى ربه العلي القدير

بشر بن فهد البشر

لماذا المرأة ؟

يتبادل إلى أذهان الجميع لماذا التركيز على المرأة من قبل الغرب ومن قبل إتباعه المستغربين العلمانيين ؟

والسر أن هؤلاء قد فطنوا لمكانة المرأة الأساسية ودورها في صنع الأمة وتأثيرها على المجتمع ولذلك أيقنوا أنهم متى ما أفسدوا المرأة ونجحوا في تغريبها وتضليلها فحين ذلك تهون عليهم حصون الإسلام بل يدخلونها مستسلمة بدون أدنى مقاومة .

يقول شياطين اليهود في بروتوكولاتهم : علينا أن نكسب المرأة ففي أي يوم مدت إلينا يدها ربحنا القضية .

ولذلك نجح اليهود في توجيه الرأي العام الغربي حينما ملكوا المرأة عن طريق الإعلام وعن طريق المال .

وقال آخر من ألد أعداء الإسلام : كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع فأغرقوها في حب المادة والشهوات .

وهذا صحيح ؛ فإن الرجل الواحد إذا نزل في خندق وأخذ يقاوم بسلاحه يصعب اقتحام الخندق عليه حتى يموت ، فما بالك بأمة تدافع عن نفسها ، فإذا هي غرقت في الشهوات ومالت عن دينها وعن طريق عزها استسلمت للعدو بدون أي مقاومة بل بترحيب وتصفيق حار .

ويقول صاحب كتاب تربية المرأة والحجاب : (إنه لم يبق حائل يحول دون هدم المجتمع الإسلامي في المشرق – لا في مصر وحدها – إلا أن يطرأ على المرأة المسلمة التحويل ، بل الفساد الذي عم الرجال في المشرق)

ما هي العلمانية وما حكم هذه العلمانية ؟

العلمانية في الأصل يراد بها فصل الدين عن التدخل في تنظيم شئون الحياة ، فلا تتدخل الشرائع السماوية في تنظيم أمور البيع والشراء والمعاملات ولا في مسائل الاقتصاد والسياسة ومسائل الحرب والسلم ومسائل التربية والتعليم وهكذا ، هذا هو أصل كلمة علمانية عند الغرب ، فهي اللادينية ، والاعتراف والتعامل مع الشيء المشاهد ونفى الظواهر الغيبية وتدخلها في صياغة الحياة ، ولذا يسمحون بتدين الإنسان الشخصي ، أما أن يكون للدين تأثير في تدبير شئون الأمة فلا ، ثم انتقل هذا الوباء إلى الأمة المحمدية .

والعلمانية بالمفهوم الإسلامي أعم من ذلك المفهوم الغربي ، فلو وجد شخص ينادي بتطبيق شريعة الإسلام كلها إلا مسألة واحدة يرفضها مما أجمع عليه المسلمون ، وعلم من الدين بالضرورة فإنه يكون كافراً مرتداً ، فعلى سبيل المثال لو وجد شخص ينادي بتطبيق الشريعة في الحدود وفي الاقتصاد وفي السياسة وفي التعليم إلا أنه يقول يجب في الميراث أن نساوى بين الرجل والمرأة، فإنه بهذا يكون علمانياً في الحكم الشرعي، لأنه رد حكما معلوماً من دين الإسلام بالضرورة .

إذاً هذه هي العلمانية في اصطلاحنا حين نتحدث ، وحكمها بهذا الاصطلاح كفر أكبر مخرج من الإسلام لأنها تكذيب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وهي إشراك بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، إذ أنها تجعل الحكم في بعض المسائل لغير الله وفي بعضها لله .

وهنا مسألة مهمة يلزم التنبيه عليها وهي الفرق بين الوصف وبين التعيين ، ففرق أن نقول : إن العلمانية كذا ، وأن القول بكذا وكذا علمانية ، وبين أن نقول إن فلاناً علماني فينبغي أن نفرق فقد يكون هذا الشخص قاله جاهلاً وقد يكون غرر به ، وقد يكون أخذ بقول شاذ وأنت لا تعرفه وهكذا . لكن من علم عنه أمر مع وجود الشروط وانتقاء الموانع حكم عليه بما يستحقه شرعاً من ردة أو غيرها . ثم ينبغي التنبيه إلى أن بعض المسلمين قد يفعل بسبب غفلته أو بسبب جشع مادي أو حتى بحسن قصد بعض ما يفعله أو يريده العلمانيون ، وقد يفعل ما يخدم أهدافهم ؛ فهذا الشخص لا يعد منهم – أي لا يقال عنه : علماني – ومع ذلك لابد من التحذير من عمله ، ولابد من بيان خطئه وخطره ، ولابد من نصحه ورده عن ما هو عليه .

التغريب

أما التغريب : فقد نشأت عند ساسة الغرب ومخططيه أيام الاستعمار بعد فشل بعض الحملات العسكرية فكرة شيطانية ، وهي أنه ينبغي أن تكون الجيوش الاستعمارية بعيدة عن المواجهات لأنها تثير ردود فعل عنيفة ، وأنه ينبغي عليهم أن يبذلوا الأسباب لتستسلم الأمم المسلمة للثقافة والحضارة الغربية بنفسها طواعية ، وبذلك نشأت فكرة التغريب ، وأساسها تذويب الشخصية المسلمة في الشخصية الغربية بحيث لا ترى إلا بالمنظور الغربي ، ولا تعجب إلا بما يعجب به الغرب ، وتبتعد عن قيمها وعقائدها وأخلاقها المستمدة من شريعة الإسلام وتعتنق هذه الديانة الجديدة التغريبية ، وتدخل في عجلة الاستهلاك الاقتصادي التي يروج لها الغرب ،(فبرامج التغريب تحاول أن تخدم هدفاً مزدوجاً ، فهي تحرس مصالح الاستعمار بتقريب الهوة التي تفصل بينه وبين المسلمين نتيجة لاختلاف القيم ونتيجة للمرارة التي يحسها المسلم إزاء المحتلين لبلاده ممن يفرض عليه دينه جهادهم ، وهي في الوقت نفسه تضعف الرابطة الدينية التي تجمع المسلمين وتفرق جماعتهم التي كانت تلتقي على وحدة القيم الفكرية والثقافية ، أو بتعبير أشمل وحدة القيم الحضارية) ...... الخ(1).

فهذا هو التغريب : أي تذويب الأمة المحمدية بحيث تصبح أمة ممسوخة : نسخة أخرى مكررة من الأمة الغربية الكافرة ، غير أن هناك فرق فالأمة الغربية هي الأمة القائدة الحاكمة المتصرفة والأمم الأخرى هي الأمم التابعة الذليلة المنقادة لما يملى

عليها ، فهذا هو التغريب .

وتغريب المرأة المسلمة جزء من مخطط شامل لتغريب الأمة في كل أمورها .
يقول الدكتور محمد محمد حسين – رحمه الله تعالى –(2) : وكانت برامج التغريب تقوم على قاعدتين أساسيتين – يعني عند المستعمرين الأولين : –
الأولى : اتخاذ الأولياء والأصدقاء من المسلمين وتمكينهم من السلطة ، واستبعاد الخصوم الذين يعارضون مشاريعهم ، ووضع العراقيل في طريقهم ، وصد الناس عنهم بمختلف السبل .
القاعدة الثانية : التسلط على برامج التعليم وأجهزة الإعلام والثقافة عن طريق من نصبوه من الأولياء وتوجيه هذه البرامج بما يخدم أهدافهم ويدعم صداقتهم .
بداية التغريب :
يؤرخُ لبداية الدعوة لتغريب المرأة المسلمة في مصر في أوائل القرن التاسع عشر ، ولحقتها بلاد العرب الأخرى بعد ذلك .
وكانت البداية أن رجلا اسمه رفاعة الطهطاوي ابتعث من قبل محمد علي باشا حاكم مصر في أوائل القرن التاسع عشر ، ورفاعة هذا من خريجي جامعة الأزهر ومؤهل تأهيلا شرعياً ، وقد ابتعث ليقوم بإمامة البعثة المصرية إلى فرنسا في الصلاة ومرشداً لهم ، ولكنه ما لبث أن ذاب وتأثر بالأفكار الفرنسية ، وفتن فتنة عظيمة ، وعاد إلى مصر ليعرض بضاعته الخبيثة فيها : داعياً للتغريب ، ورافعاً للواء تحرير المرأة ، ونحو ذلك من ركائز التغريب ، وألف كتاباً أودع فيه خلاصة إعجابه بالغرب (فرنسا بالذات) أسماه (تلخيص الأبريز في تلخيص باريز) ومما قاله فيه : (السفور والاختلاط بين الجنسين ليس داعياً إلى الفساد) .
ثم ظهر في عام 1894 م في مصر كتاب ((المرأة في الشرق)) يشن حملة على النظام الإسلامي مهونا الرقص والاختلاط ، ألفه رجل نصراني صليبي يدعى مرقص فهمي .

وبعد ذلك ظهر قاسم أمين الذي ولد في مصر ورحل إلى فرنسا ليتم تعليمه لينبهر بفرنسا كما انبهر رفاعة من قبل حتى صرح قاسم بأن أكبر الأسباب في انحطاط الأمة المصرية تأخرها في الفنون الجميلة : التمثيل والتصوير والموسيقى)(3) .

وقد ألف قاسم أمين كتاب (تحرير المرأة) عام 1899 م حمل فيه على الحجاب ودعا إلى السفور ، وذلك بترديد أن الحجاب عادة وليس تشريعا ، وقد تناول في كتابه أربع مسائل :

- الحجاب .
- اشتغال المرأة بالشئون العامة .
- تعدد الزوجات .
- الطلاق .

وذهب في كل مسألة إلى ما يطابق مذاهب الأوربيين زاعماً أن ذلك هو مذهب الإسلام .

وانجر في كتابه إلى التهكم بالفقهاء وعلماء الشريعة وقد ألبس آراءه هنا لباسا مخادعا حتى قال بعض معاصريه : (ما رأيت باطلاً أشبه بحق من كلام قاسم أمين) . وقد أوضح قاسم في مقدمة كتابه أنه ممن يرى التدرج في التغيير شيئاً فشيئا ، وكأنه كان يشير إلى كتابه (المرأة الجديدة) الذي صدر بعدئذ ، وأبان فيه عن جانب خطير من فكره وطرحه ، فهو كما يقول العنوان يبحث عن امرأة جديدة : كالأوروبية تماماً ، وقال بأقوال لا تقبلها حتى النساء فهو لا يقبل (حق ملكية الرجال للنساء) ويرى ترك حرية النساء للنساء حتى لو أدى الأمر إلى إلغاء نظام الزواج حتى تكون العلاقات بين الرجل والمرأة حرة لا تخضع لنظام ولا يحدها قانون) (4) .

وقد أثار الكتابان ردة فعل واسعة ، وصدرت ردود تبلغ مائة كتاب ، ومنها كتاب للشيخ مصطفى صبري هو (قولي في المرأة) ودافع البعض عن قاسم أمين منهم جرجى نقولاباز (5) .

وكأني بمحمد فريد وجدي يتكلم عن واقعنا اليوم ليقول في رده على قاسم أمين : (إذا أشرنا اليوم بوجوب كشف الوجه واليدين ، فإن سنة التدرج سوف تدفع المرأة إلى

خلع العذار للنهاية في الغد القريب كما فعلت المرأة الأوربية التي بلغت بها حالة التبذل درجة ضج منها الأوربيون أنفسهم وبدلا من أن نضرب أمثلة بالغرب دائماً ينبغي أن نولي وجوهنا إلى عظمة مدنيتنا الإسلامية الماضية) وقد ترجم الإنكليز الكتاب واحتفوا به وبثوا قضاياه .

وقد قال أحمد محرم رحمه الله في هذا الكتاب :

أقيمي وراء الخدر فالمرء واهم

سوى ما جنت تلك الرؤى والمزاعم

إذا ما استبيحت في الخدور الكرائم

...

أغرك يا أسماء ما ظن قاسم

تضيقين ذرعاً بالحجاب وما به

سلام على الأخلاق في الشرق كله

وقال الشاعر العراقي البناء يهاجم أهل السفور :.

تصيد الصيد في شرك العيون

تقود ذوي العقول إلى الجنون (6)

...

وجوه الغانيات بلا نقاب

إذا برزت فتاة الخدر حسرى

وبعد أن توفي قاسم أمين صدرت مجلة السفور بعد دخول الإنجليز إلى مصر وكتب فيها مصطفى عبد الرازق وعلي عبد الرازق – صاحب كتاب الإسلام وأصول الحكم – وكان النساء حتى ذلك الوقت محجبات يرتدين البراقع البيض ، ولا يخالطن الرجال .

وعندما جاء عهد الثورة في مصر انتقلت الحركة إلى طور التنظيم بمؤازرة الزعيم الوطني المزعوم سعد زغلول الذي رتب البريطانيون نفيه ثم أعادوه رئيساً للوزراء ليوقع معهم معاهدة تجعل الاحتلال شيئاً متفقاً عليه ، وقدم سعد وبرفقته زوجته صفية زغلول التي تسمت باسم زوجها اقتداء بالغربيات ، وهي ابنة لمصطفى فهمي

الذي كان رئيساً لوزراء مصر أيام الاحتلال وعرف بصداقته الحميمة للإنجليز وبخدمته لهم وبعلاقته الشخصية باللورد كرومر ، وقد قَدِمَ سعد زغلول وزوجته هذه على باخرة ، وكان هناك احتفاء بهم فكان من شأن سعد أن بدأ بالدخول على سرادق الحريم حيث استقبلته هدى شعراوي – الفاعلة المهمة في التحرير المزعوم وهي محجبة فمد يده فنزع الحجاب عن وجهها تبعا لخطة معينة وهو يضحك فصفقت هدى وصفقت النساء لهذا الهتك المشين (.......... ونزع الحجاب .... ففعل سعد بيده ما دعا إليه اليهودي القديم بلسانه فكلفه دمه ....) (7)

وهدى شعراوي ابنة محمد سلطان باشا العميل لجيش الاحتلال الإنجليزي والذي رافق جيش الإنجليز خلال زحفه على القاهرة وطالب الناس بعدم مقاومته ، وقدّم مع فريق من أمثاله هدية من الأسلحة الفاخرة لقادة جيش الاحتلال شكراً لهم على إنقاذ البلاد ، وقد قادت هدى شعراوي وصفية زغلول المظاهرة النسائية الشهيرة عام 1919 م والتي كان هدفها المعلن الاحتجاج على الوجود الإنجليزي في مصر ، فلما وصلت المتظاهرات إلى ميدان الإسماعيلية في القاهرة قمن بإحراق الحجاب وسمي الميدان بعد ذلك ميدان التحرير ، ويا ليت شعري ما علاقة المحتل بالحجاب ؟! بل إن إحراق الحجاب هو ما يريده المحتل ؛ لأن معناه التخلي عن القيم الخاصة بالمجتمع الإسلامي المصري ليتحول إلى مجتمع غربي مصري هجين .

وقد وصف حافظ إبراهيم – رحمه الله – هذه المظاهرة بأبيات رائعة مطلعها :

ورحت أرقب جمعهنه

سود الثياب شعار هنه

...

خرج الغواني يحتججن

فإذا بهن اتخذن من

وبعد ذلك بدأت سلسلة الأحداث المتلاحقة ومنها تأسيس الاتحاد النسائي المصري على يد هدى شعراوي عام 1923 م مع نبوية موسى وسيزا نبراوي شريكاتها في هذه المرحلة .

وقد احتفلت الدوائر الغربية بالاتحاد النسائي المصري وحضرت الدكتورة ريد رئيسة الاتحاد الدولي إلى مصر لتدريس تطور الحركة النسائية فيها . وقد التقت هدى شعراوي هذه بموسوليني عام 1922 وأتاتورك 1935 ، وفي عام 1944 نجحت هدى شعراوي وزميلاتها في إقامة مؤتمر نسائي عربي أصدر عدة قرارات ومطالبات منها :.

- تقييد الطلاق وتعدد الزوجات والحد من سلطة الولي !!.
- المساواة التامة بين الرجل والمرأة !!.
- المطالبة بحذف نون النسوة !!!.
- المطالبة بالجمع بين الجنسين في التعليم الابتدائي !!.

وقد بارك الغرب هذا المؤتمر وأرسلت زوجة الرئيس روزفلت الأمريكي برقية تحية للمؤتمر .

ثم تكون الحزب النسائي عام 1945 م ، وعام 1949 م تكون حزب بنت النيل على يد الدكتور درية شفيق والذي طالب بمنح المرأة حق الاقتراع وحق دخول البرلمان ، والمطمع الثاني كان إلغاء تعدد الزوجات وإدخال قوانين الطلاق الأوربية في مصر وباركت هذا وزيرة الشئون الاجتماعية في انجلترا ، وقامت مظاهرة نسائية واعترفت الدكتورة درية شفيق بأنها – المظاهرة- بتحريض من الوزيرة البريطانية ، وتوالت مباركات الدوائر الغربية لهذا الحزب ، والذي أكتشف أنه كان يمول من قبل السفارة الأمريكية والإنجليزية بألفين من الجنيهات سنوياً عدا الورق المصقول وتقديم المشورة .

ثم توالت الأحداث وانتقلت العدوى لبلاد عربية أخرى(8) وتكاثرت المجلات الهادمة للحجاب والعفاف الداعية إلى السفور والتبرج ولا تزال تزداد يوماً بعد يوم .

وهذا الأسلوب الذي اتبع في مصر اتبع في غيرها من البلاد وكان مدفوعاً من الغرب وحظي التغربيون بحماية الغرب لهم ولا يشبه تدخل إنجلترا لحماية درية شفيق إلا لقاء رؤساء الغرب بسلمان رشدي الذي تعدي على شريعة الإسلام .

والعجب أن الغرب لا يتواني في ملاحظة زلات التغربيين بانحرافهم عن المنهج المرسوم لهم ومن ذلك أن كاتباً عربياً محسوباً على الغرب كتب مقالاً في جريدة

عربية وحمل على مواقف الغرب في البوسنة ثم نقل كاتب آخر من مقاله نقلا في جريدة ناطقة بالانجليزية ففوجئ الكاتب العربي خلال زيارته لأمريكا بسياسي أمريكي يعاتبه ويقول له : لماذا تكتب ضدنا وتثير الرأي العام .

مظاهر تغريب المرأة المسلمة

مظاهر تغريب المرأة المسلمة كثيرة جداً يصعب استقصاؤها ولكن نذكر من أهمها :.

1. من مظاهر التغريب التي وقعت فيها المرأة المسلمة والتي نراها ولا تخفى عن كل ذي عينين : الاختلاط في الدراسة وفي العمل ، إذ أنه في معظم البلدان العربية والإسلامية ؛ الدراسة فيها دراسة مختلطة ، والأعمال أعمال مختلطة ، ولا يكاد يسلم من ذلك إلا من رحم الله ، وهذا هو الذي يريده التغريبيون ، فإنه كلما تلاقى الرجل والمرأة كلما ثارت الغرائز ، وكلما انبعثت الشهوات الكامنة في خفايا النفوس ، وكلما وقعت الفواحش لاسيما مع التبرج وكثرة المثيرات وصعوبة الزواج وضعف الدين ، وحين يحصل ما يريده الغرب من تحلل المرأة ، تفسد الأسرة وتتحلل ، ومن ثم يقضى على المجتمع ويخرب من الداخل ، فيكون لقمة سائغة .

وإذا بدأ الاختلاط فلن ينتهي إلا بارتياد المرأة لأماكن الفسق والفجور مع تبرج وعدم حياء ، وهذا حصل ولا يزال فأين هذا من قول المصطفى صلى الله عليه وسلم حين خرج من المسجد فوجد النساء قد اختلطن بالرجال فقال لهن : (استأخرن .... عليكن بحافات الطريق) رواه أبو داود وحسنه الألباني / الصحيحة 854 .

2. ومنها أيضاً : التبرج والسفور : والتبرج أن تظهر المرأة زينتها لمن لا يحل لها أن تظهرها له . والسفور : أن تكشف عن أجزاء من جسمها مما يحرم عليها كشفه لغير محارمها . كأن تكشف عن وجهها وساقيها وعضديها أو بعضها ، وهذا التبرج والسفور فشا في كثير من بلاد المسلمين ، بل لا يكاد يخلو منها بلد من البلدان الإسلامية إلا ما قل وندر ، وهذا مظهر خطير جداً على الأمة المسلمة ، فبالأمس القريب كانت النساء محتشمات يصدق عليهن لقب : ذوات الخدود . ولم يكن هذا تقليداً اجتماعياً ، بل نبع من عبودية الله وطاعته ، ولا يخفى أن الحجاب الشرعي هو شعار أصيل للإسلام ، ولهذا تقول عائشة – رضي الله عنها – : (يرحم الله

نساء المهاجرات الأول ، لما أنزل الله{ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ } شققن مروطهن فاختمرن بها) البخاري 4758.
ولهذا كان انتشار الحجاب أو انحساره مقياساً للصحوة الإسلامية في المجتمع ودينونة الناس لله ، وكان انتشاره مغيظاً لأولئك المنافقين المبطلين .
3. من مظاهر التغريب : متابعة صرعات الغرب المسماة بالموضة والأزياء ، فتجد أن النساء المسلمات قد أصبحن يقلدن النساء الغربيات وبكل تقبل وتفاخر ، ولذلك تقول إحدى النساء الغربيات ممن يسمونها برائدة الفضاء لما زارت بلداً من بلدان العربية ، قالت : إنها لم تفاجأ حينما رأت الأزياء الباريسية والموضات الحديثة على نساء ذلك البلد .
ولم يسلم لباس الأطفال – البنات الصغيرات – إذ تجد أن البنت قد تصل إلى سن الخامسة عشر وهي لا تزال تلبس لباساً قصيراً ، وهذه مرحلة أولى من مراحل تغريب ملبسها ، فإذا نزع الحياء من البنت سهل استجابتها لما يجدّ ، واللباس مظهر مهم من مظاهر تميز الأمة المسلمة والمرأة المسلمة ، ولهذا حرم التشبه بالكفار ، وهذا والله أعمل لما فيه من قبول لحالهم وإزالة للحواجز وتنمية للمودة ، وليس مجهولا أن تشابه اللباس يقلل تمييز الخبيث من الطيب ، والكفر من الإسلام ، فيسهل انتشار الباطل وخفاء أهله .
والموضة مرفوضة من عدة نواحي منها :
أ- التشبه بالكافرات . والنبي – صلى الله عليه وسلم – يقول : ((من تشبه بقوم فهو منهم)) (رواه أبو داود والإمام أحمد وهو صحيح) ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: والصراط المستقيم : هو أمور باطنة في القلب من اعتقادات وإرادات وغير ذلك ، وأمور ظاهرة من أقوال وأفعال ، قد تكون عبادات ، وقد تكون عادات في الطعام واللباس والنكاح ....الخ .
وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ولابد ارتباط ومناسبة ، فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أموراً ظاهرة ، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً ....) انتهى من اقتضاء الصراط المستقيم ، فعلم من هذا خطورة هذا التشبه وتحريمه .

ب – الضرر الاقتصادي للتعلق بالموضة ، ومعلوم كم تكلف هذه الموضة من أموال تنقل إلى بلاد الغرب الكافرة .

وللعلم فإن 30% من ميزانية الأسرة العربية تنفق على احتياجات المرأة نفسها من ملبس وأدوات تجميل ومكياج وتزداد هذه النسبة بازدياد الدخل ومستوى التعليم وينخفض بانخفاضهما(9) .

ج – كثرة التحاسد بين النساء لأنهن يجذبهن الشكل الجميل ، فيتفاخرن ويتحاسدن ، ويكذبن ، ومن ثم قد تكلف زوجة الرجل – قليل المال – زوجها ما لا يطيق حتى تساوي مجنونات الموضة، ولا حول ولا قوة إلا بالله . وغير هذا من المخالفات الشرعية الكثيرة .

4. ومن مظاهر التغريب : الخلوة ، خلوة المرأة بالرجل الأجنبي الذي ليس لها بمحرم ، وقد تساهل الناس فيها حتى عدها بعضهم أمراً طبيعياً ، فالسائق والطباخ أصبحا من أهل البيت ولا غرابة في ذلك ، حتى ذكر أنه شوهدت امرأة مع رجل أجنبي ليس من أهل بلدها ، فحينما سئل هذا الرجل : كيف تمشى مع هذه المرأة وهي ليست لك بمحرم ؟ قال : إنه من أهل البيت ، لأن له خمس عشر سنة وهو عند الأسرة فهو منها بهذا الاعتبار على حسب زعمه .

فالخلوة المحرمة مظهر من مظاهر التغريب التي وقعت فيها الأمة المسلمة حيث هي من أفعال الكافرين الذين ليس لهم دين يحرم عليهم ذلك ، وأما احترام حدود الله فهو من مميزات الأمة المسلمة الأصلية . والجرأة على الخلوة تجاوز لحد من حدود الله وخطر عظيم وقد حرمه الشارع بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم)) رواه البخاري ومسلم .

قاعدة مهمة

إن كل مبطل على وجه هذه الأرض لابد أن يُلبس باطله بثوب الإصلاح وزخرف القول ؛ حتى يروج بين الناس ، لأن الباطل قبيح ومستتر ذل ومكروه وبشع ، فحينما يظهر الباطل على حقيقته ، ويعرى على صورته ، لا تقبله النفوس ، ولا ترضى به الفطر السليمة والمستقيمة . ولذلك يلجأ العلمانيون التغريبيون إلى إلباس طرقهم وأساليبهم وأهدافهم وأفكارهم لبوس الإصلاح والحرص على المصلحة وغير ذلك ،

فالتوظيف المختلط ، والتعليم المختلط ، كل ذلك بدعوى مصلحة الأمة ، وبدعوى تشغيل نصف المجتمع ، ولأن فيها مردوداً اقتصادياً وهذه هي زخارف القول التي يوحيها شياطين الإنس والجن ، ويقول الله – تبارك وتعالى – : {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْأِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ} فيخدع به ضعفاء الإيمان وناقصوا العقول .

ثم إن العلمانيين قد وجدوا عادات في مجتمعات المسلمين ليست من الإسلام فاستغلوها ووظفوها لينفثوا من خلالها سمومهم وينفذوا مخططاتهم ثم أسقطوها على الإسلام ، بمعنى أنهم قالوا : إنما من الإسلام فهاجموا الإسلام من خلالها ، مثال ذلك : قد تجد بعض المجتمعات المسلمة تظلم المرأة في الميراث ، قد تعطي المرأة ميراثها من المنقول من الأموال والمواشي لكنها لا تعطيها حقها من العقار من الأرض والشجر كفعل الجاهلية ، قد تجد زوجاً لا يعدل بين زوجاته مخالفاً بذلك أمر الله – تعالى – ، فهذه الثغرات يتعلق بها العلمانيون مع أنها ليست من الإسلام في شيء ، ولم ينزل الله بها سلطانا ، بل هي في نظر الإسلام : ظلم محرم وجور ، يجازى عليه صاحبه عند الله يوم القيامة إذا لم يتب منها أو لم يعف الله عنه .

أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة

أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة كثيرة ، ويصعب حصرها ، والمقصود التذكير بما يتيسر من أهمها ومن أخطرها ، ليحذرها المسلمون ، وينكروها ، ويعلموا على إفشالها ، ولتكون منبهة على غيرها . فمن هذه الأساليب :

1. وسائل الإعلام بمختلف أنواعها ، من صحافة وإذاعة وتلفاز وفيلم ومجلات متخصصة في الأزياء والموضة ومن مجلات نسائية وملحقات نسائية ومن غير ذلك ، إذ أن الإعلام يصنع الآراء ، ويكيف العقول ، ويوجع الرأي العام خاصة إذا كانت هذه العقول عقولاً فارغة لم تملأ ولم تحصن بما أنزل الله – عز وجل – على رسوله ، أما الصحافة والمجلات فتجد فيها أمور فظيعة منكرة منها فتاة الغلاف التي أصبحت أمراً لازماً لا تفرط فيها أي من تلك المجلات ، وفتاة الغلاف هذه لا تتكرر إذ يؤتى في كل أسبوع أو في كل شهر بفتاة جميلة عليها أنواع الزينة والأصباغ ثم

بعد ذلك لا تأتي مرة أخرى ، وهذا إذلال للمرأة وإغراق في الرق وعودة حقيقية إلى عصر الظلم لها إذ تعامل كجسم ليس له روح مقابل دريهمات معدودات . وتسأل في المقابلة معها أسئلة تافهة : هل حدث وأن أحببتي يوماً من الأيام ؟ ما هواياتك المفضلة ؟ وهل صادقتي شاباً ؟ وغير هذا من الكلام الساقط الذي يراد منه إفساد المرأة المسلمة ، وليس المراد هذه الفتاة – فتاة الغلاف – إذ أنها ما رضيت بالخروج على صفحات المجلات إلا وهي قد انحرفت عن الطريق المستقيم ، لكن المراد غيرها من المحصنات العفيفات اللاتي قررن في البيوت ، ويملكهن الحياء الذي ربين عليه ، فتزيل هذه المجلات الحواجز والضوابط شيئاً فشيئاً . كما تجد في هذه المجلات الصور الماجنة الخليعة إما بحجة الجمال والرشاقة أو بحجة تخفيف الوزن والرجيم أو بحجة ملكات الجمال أو بحجة أخري مما يمليه الشياطين . ثم تجد فيها من مواضيع الحب والغرام الشيء المهول ، وهذا يهدف إلى تهوين أمر الفواحش وقلب المفاهيم الراسخة ، وإحلال مفاهيم جديدة مستغربة بعيدة عما تعرفها هذه الأمة المحمدية ، فمن هذه العبارات :

في مجلة سيدتي في عدد 510 : قالت من عيوب الزوج العربي (الغيرة) !!! .

في مجلة كل الناس عدد 58 : قالت إحدى الكاتبات : ماذا لو قالت امرأة : (هذا الرجل صديقي) !!!.

في مجلة الحسناء عدد 81 : الفضيلة والكرامة تعترضان مسيرة النجاح . أ .هـ .

فعلى هذا مسيرة النجاح لابد فيها من الفحش والدعارة حسب مفهومهم المريض .

مجلة سلوى عدد 1532 (لقاء مع راقصة شابة) ، تقول هذه الراقصة : في حياتنا اهتمامات لا داعي لها ، ويمكن أن يستغنى عنها ، ثم تقول هذه العبقرية التي جاءت بما عجز عنه الأوائل والأواخر – تقول : كمعامل الأبحاث الذرية لأننا لم نستفد منها شيئاً ، يعنى حتى يبقى الأعداء يهددون المسلمين بالأسلحة الذرية . اليهود والهندوس والنصارى والبوذيون – كما تقول – ! سوف نستفيد كثيراً لو أنشأنا مدرسة للرقص الشرقي تتخرج منها راقصة مثقفة لجلب السياح .أ.هـ .

وهكذا تستمر المسيرة لنحارب أعداءنا بالرقص ، كما حاربهم جمال عبد الناصر بأغاني أم كلثوم .

في مجلة فرح عدد 43 ، تقول : الزواج المبكر إرهاق للمرأة وصداع للرجل .
ولا ننسى مجلة روز اليوسف وهي من أخبث المجلات ومن أوائل مصادر التغريب النسائي في العالم العربي ، في هذه المجلة تجد الخبث والخبائث ، وبمجرد أن تأخذ أحد الأعداد سوف تجد العجب . وكذلك مجلات (اليقظة ، والنهضة ، صباح الخير ، هي ، الرجل ، فرح ..... الخ تلك القائمة الطويلة ، كما تجد أيضاً داخل هذه المجلات مقالات طبية ونفسية واجتماعية : كأنها تحل مشاكل الفتيات ، فتراسلها الفتيات من أنحاء العالم العربي ، ثم بعد ذلك يدلها ذلك المتخصص – لكنه ليس متخصصاً في حل المشاكل حقيقة إنما متخصص في التغريب – يدلها على الطرق التي تجعلها تسلك مسالك المستغربات السابقات ، كما تجد مقابلات مع الفنانات والممثلات ومع الغربيات ومع الداعيات لتحلل المرأة واللاتي يسمين بالداعيات لتحرير المرأة ، وتجد فيها الانشغال بأخبار : ديانا ، وكلبها ، ولباسها ، وفساتينها ، وتزلجها فوق جبال الهملايا ، وغير ذلك من الغثاء الذي لا ينقضي ولا ينتهي ، ترهق به المرأة المسلمة ، ويصدع به الرجل المسلم . ثم تجد في هذه المجلات بريد المجلة أو ركن التعارف من أجل التقريب بين الجنسين وتلك خطوة لإفساد المجتمعات الإسلامية ، وهكذا دواليك .
وهناك أبحاث منشورة ، عن حقيقة الدور الذي تقوم به هذه المجلات ، ففي دراسة عن مجلة سيدتي نشرتها مجلة المغترب(10) ذكرت أنها يقصر طرقها على شرائح اجتماعية بعينها ، وكثيراً ما تحمل الطابع الأوربي المبهر في طياتها ، وتقدم الحسناوات والشقراوات كنماذج تحتذي ، وإذا ما حاولت معالجة مشكلات المرأة العربية تعمد في أغلب الأحيان إلى استعارة النموذج الغربي .
وتقول الدكتورة فوزية العطية التي أعدت دراسة أخرى عن هذه المجلات النسائية : إنها غالباً ما تعرض في صورة الإغراء والإثارة .
وتستشهد الباحثة بدراسة مشابهة للدكتورة عواطف عبد الرحمن من مصر تقول فيها : أن التركيز في هذه المجلات منصب على النماذج الغربية للمرأة ويروج القيم الاستهلاكية الغربية من خلال المواد الإعلامية والإعلانات التي تقدمها : كالأزياء والمكياج والعطور .... إلى آخر ما ذكرته هذه الدراسة المهمة .

ونشرت مجلة زهرة الخليج الظبيانية بتاريخ 10/20/ 1979 م نتائجا لبحث علمي طبق على مجموعة من المجلات النسائية وصفحات المرأة واتضح أن الصحافة النسائية العربية ركزت على الصورة العاطفية للمرأة العربية أكثر من الصورة العقلانية .

ويقول الشيخ العلامة محمد بن عثيمين حفظه الله في خطبة قيمة له عن فتن المجلات :.

وانفتحت طامة كبرى وبلية عظمي ، تلك الصحف والمجلات الداعية إلى المجون والفسوق والخلاعة في عصر كثر فيه الفراغ الجسمي والفكري وسيطرت الفطرة البهيمية على عقول كثير من الناس فعكفوا على هذه الصحف والمجلات فأضاعوا بذلك مصالح دينهم ودنياهم .... الخ .

ثم يقول حفظه الله : وجدت هذه المجلات هدّامة للأخلاق مفسدة للأمة لا يشك عاقل فاحص ماذا يريده مروجوها بمجتمع إسلامي محافظ .

ويقول أثابه الله : ومن مفاسد هذه الصحف والمجلات أنها تؤثر على الأخلاق والعادات بما يشاهد فيها من صور وأزياء فينقلب المجتمع إلى مجتمع مطابق لتلك المجتمعات الفاسدة.

ويقول أيضاً : فاقتناء مثل هذه المجلات حرام وشراؤها حرام وبيعها حرام ومكسبها حرام واهداؤها حرام وقبولها هدية حرام وكل ما يعين على نشرها بين المسلمين حرام لأنه من التعاون على الإثم والعدوان .أ.هـ .

والذي يباع في بلادنا من هذه المجلات عدد هائل جداً ربما لا يخطر على بال ، فمثلاً يدخل إلى أسواقنا أكثر من أربعين صحفية أسبوعياً وشهرياً في غلافها فتاة لا تتكرر أبداً ، وبلغ عدد الصحف الوافدة إلى أسواقنا شهرياً ما يزيد عن خمسة ملايين نسخة شهرياً ، بل إن إحدى المجلات النسائية الشهيرة وهي مجلة يقصد بها تغريب المرأة توزع شهرياً أربعمائة وأربعين ألف نسخة ، فمعنى ذلك أنه سيقرئها ما يقارب من أربعمائة ألف فتاة(11) .

أما التلفزيون وتأثيره فقد جاء في تقرير لليونسكو : إن إدخال وسائل إعلام جديدة وبخاصة التلفزيون في المجتمعات التقليدية أدى إلى زعزعة عادات ترجع إلى مئات

السنين وممارسات حضارية كرسها الزمن – واليونسكو مؤسسة دولية تابعة للغرب وتدعو إلى التغريب – .

وتبين من خلال إحدى الدراسات التي أجريت على خمسمائة فيلم طويل أن موضوع الحب والجريمة والجنس يشكل 72% منها ، يعني تقريباً ثلاثة أرباع الأفلام كلها للحب والجريمة والجنس ، وتبين من دراسة أخرى حول الجريمة والعنف في مئة فيلم وجود 68% مشهد جريمة أو محاولة قتل ، وجد في 13 فيلم فقط 73 مشهداً للجريمة ، ولذلك قد تجد عصابات جريمة من الأحداث والصغار لأنهم تأثروا من الأفلام التي يرونها(12) .

أما الأفلام فيقول الدكتور هوب أمرلور وهو أمريكي يقول إن الأفلام التجارية التي تنشر في العالم تثير الرغبة الجنسية في موضوعاتها ، كما أن المراهقات من الفتيات يتعلمن الآداب الجنسية الضارة – فإذا كانت ضارة بميزان هذا الأمريكي فكيف بميزان الشرع – .

ثم يتابع الأمريكي فيقول : وقد ثبت للباحثين أن فنون التقبيل والحب والمغازلة والإثارة الجنسية والتدخين يتعلمها الشباب من خلال السينما والتلفزيون .

2. ومن وسائل العلمانيين الخطيرة التي يسعون من خلالها إلى تغريب المرأة المسلمة التغلغل في الجانب التعليمي ومحاولة إفساد التعليم ، إما بفتح تخصصات لا تناسب المرأة وبالتالي إيجاد سيل هائل من الخريجات لا يكون لهن مجال للعمل فيحتاج إلى فتح مجالات تتناسب مع هذه التخصصات الجديدة التي هي مملوءة بالرجال ، أو بإقرار مناهج بعيدة كل البعد عن ما ينبغي أن يكون عليه تدريس المرأة المسلمة . وفي البلاد العربية من المناهج ما تقشعر له الأبدان وقد نجد في التعليم المناداة بالمساواة بينهما وبين الرجل في كل شيء ، ودفع المرأة إلى المناداة بقضايا تحرير المرأة كما يسمونها ، وفيها أيضاً الاختلاط فمعظم البلاد العربية التعليم فيها مختلط إلا ما قل فالشاب بجانبه فتاة ، هذا التعليم المختلط سبب كبير من أسباب تحلل المرأة ، ومن ثم من أسباب تغريب المرأة . ولذا فإن أحسن الحلول أن تقوم البلاد الإسلامية بإنشاء جامعات متخصصة للنساء ، وقد نادي بذلك بعض الباحثين الباكستانيين في دراسة جميلة جيدة بين فيها أن ذلك أفضل سواء في نسب النجاح أو

في التفوق في التخصص أو في إتقان العمل سواء للرجال الشباب أو حتى للشابات فـي جميـع أنـواع الدراسـة مـن دراسـات إنسـانية أو دراسـات تطبيقيـة مـن طـب وهندسـة وغيرها مما ذكر في رسالته ، وقد لا نوافقه في بعض التخصصات التي نرى أن المرأة لا تحتاجها .

3. ومن أساليبهم التأليف في موضوع المرأة وإجراء الأبحاث والدراسات التي تُمْلأُ بالتوصيات والمقترحات والحلول في زعمهم لقضايا المرأة ومشاكلها تقول إحداهن في رسالتها للدكتوراه والتي عنوانها : (التنمية الاقتصادية وأثرها في وضع المرأة في السعودية) تقول وهي تعد المبادئ الإسلامية التي هي ضد مصلحة المرأة كما تزعم : إن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل(13) ، وقوامه الرجل على المرأة ثم تعد الحجاب من المشاكل التي هي ضد مصلحة المرأة(14) ثم تشن هجوماً على هيئات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتلوم الرئاسة العامة لتعليم النبات لموقفها من الإبتعاث للخارج(15) ثم بعد ذلك تنتهي في دراستها أو في رسالتها للدكتوراه إلى التوصيات ، ومن توصياتها :

أ- الإقلاع من عمليات الفصل بين الجنسين –يعنى التعليم المختلط الذي ذكرناه سابقاً – .

ب- إنشاء أقسام للنساء في كل مؤسسة حكومية وإنشاء مصانع للصناعات الخفيفة(16) وهذه النقطة الأخيرة وهي إنشاء مصانع نادي بها آخرون أيضاً ونادوا بفتح مجالات دراسة مهنية للمرأة .

كما قدمت امرأتان من الخليج (دراسة استقصائية بشأن البحوث المعدة عن المرأة في منطقة الخليج) هذه الدراسة قدمت لمؤتمر عقد في تونس عام 1982 م بإشراف اليونسكو ، حضر المؤتمر كما تقول مقدمة الكتاب 17 عالمة اجتماعية من 12 بلد ونشرت اليونسكو 7 دراسات مما قدم للمؤتمر بعنوان : (الدراسات الاجتماعية عن المرأة في العالم العربي) ، والذي يقرأ هذا الكتاب يدرك خطورة الأمر وضخامة كيد الأعداء للمرأة المسلمة ، ومما ذكرته هاتان الكاتبتان عن المرأة في الخليج تحت عنوان : (الحلول المقترحة للعقبات الرئيسية التي تواجه المرأة في الخليج) ما يلي :

- ذكرتا أن دراسة أعدها الاتحاد الوطني لطلبة البحرين تطالب بالتعليم المختلط حتى يمكن التغلب على الحواجز النفسية بين الجنسين .

ويلاحظ أن قضية التعليم المختلط تتكرر عدة مرات مما يؤكد أن تغريب التعليم هدف رئيسي للعلمانيين .

وتنقلان أيضاً اقتراحاً بتخطيط السياسات التعليمية من أجل تشجيع مزيد من النساء للانضمام للميادين العلمية والمهنية بدلا من تركيزهن على الميادين الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، والسبب في نقلها لميادين مهنية وعلمية حتى تفتح مصانع وبالتالي يحصل الاختلاط المطلوب .

ثم تنقلان عن باحثين آخرين قولهما بضرورة أن تعتبر المرأة في الخليج تحررها بمثابة تحرير وطني - يعني كأنها في استعمار - وعليها أن تناضل من أجل التحرير الوطني .

ثم تنقلان عن باحثين وباحثات من دول الخليج ضرورة منح المرأة في الخليج فرصاً متعادلة في ميدان العمل .

4. ومن أساليبهم عقد المؤتمرات النسائية أو المؤتمرات التي تعالج موضوع المرأة ، أو إقامة لقاءات تعالج موضوعاً من المواضيع التي تهم المرأة سواء كان موضوعاً تعليمياً أو تربوياً أو غير ذلك ، ففي هذه المؤتمرات واللقاءات تطرح دراسات وأفكاراً ومقترحات تغريبية كالمؤتمر السابق في تونس وغيره كثير .

وقد عقد المؤتمر الإقليمي الرابع للمرأة في الخليج والجزيرة العربية في 1976/2/15 م(17)، في إحدى دول الخليج وكان التركيز على ما يسمى بقضية تحرير المرأة وأصدر قرارات منها :

أ- لابد من مراجعة قوانين الأحوال الشخصية في ضوء التحولات الاقتصادية والاجتماعية لدول المنطقة ومحاولة الدفع بدراسة قانون الأحوال الشخصية العربية الموحدة - يريد إيجاد قانون علماني والأحوال الشخصية في مصطلحهم يراد بها مسائل النكاح والطلاق - .

ب- التأكيد على أهمية وضرورة النظر في الكتب والمناهج التربوية عند تناولها لقضية المرأة بما يضمن تغيير النظرة المتخلفة لأدورها في الأسرة والعمل .

ثم تتابع هذه الدراسة فتقول : إن القوانين والأنظمة التي كانت تخضع لها الأسرة قبل ألف عام (لاحظ قبل ألف عام) ما تزال تطبق على العلاقات الأسرية في عصرنا الحاضر دون النظر إلى مدى ملائمتها لنا .

ما هي القوانين التي من ألف عام ؟ إنها شريعة الإسلام .

فهؤلاء النسوة من نساء الخليج يردن تغيير الشريعة الإسلامية التي تطبق على المرأة من ألف عام .

5. ومن وسائلهم في تغريب المرأة المسلمة إبتعاثها للخارج وهذا حصل كثيراً في كثير من بلدان المسلمين وإن كان يختلف من بلد إلى بلد قلة وكثرة ، وحينما تذهب امرأة مسلمة إما لم تدرس شيئاً عن الدين كما في بعض البلدان العربية والإسلامية ، أو ليس معها محرم ، ثم ترمى في ذلك المجتمع المتحلل ، فماذا تتصور لها ؟ وماذا تتوقع لها أن تفعل ؟ ، إنه أمر خطير إذا كان الشاب المسلم يُخشى عليه من الذوبان فيذهب كثيرون مسلمون ويرجعون منحرفين ، فما بالك بفتاة تذهب في بحر متلاطم من الفساد والإفساد .

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

فإذا رجعت هذه الفتاة المبتعثة كانت رسول شر للعالم الغربي من أجل تغريب المسلمات ونقلهن من التمسك بالشرع والخلق الإسلامي إلى التمسك بالمناهج والأفكار والآراء الغربية ، كما فعل أسلافها في مصر والكويت ، وكثير من المستغربات هن من هذا النمط الذي أشبع بالثقافة الغربية في غياب علم بالدين واعتقاد به مما أدى إلى استغرابها – أي كونها متبعة للغرب في نمط حياتها – .

6. ومن أساليب العلمانيين : التعسف في استخدام المنصب ، فقد تجد أحدهم في منصب ما ، ثم بعد ذلك يبدأ يصدر قوانين أو قرارات يمنع فيها الحجاب كما حصل في مصر وفي الكويت ، أو يفرض فيها الاختلاط ، أو يمنع عقد ندوات ونشاطات إسلامية ، أو يفرض فيها اختلاطا في مجالات معينة ، وبالتالي يحصل احتكاك الفتاة بالشاب ، ومن ثم يسهل هذا الأمر ، وكلما كثر الإمساس قل الإحساس ، ثم بعد ذلك تتجاوز الحواجز الشرعية وتبتعد عن حياتها تذوب كما ذاب غيرها .

7. ومن أساليبهم أيضاً : العمل والتوظيف غير المنضبط ، يعني إما باختلاط بتوظيف الرجال والنساء سواسية أو بتوظيف المرأة في غير مجالها ، ويكون هذا على طريقة التدرج ، على الطريقة التي يسميها الشيخ محمد قطب : بطيء ولكنه أكيد المفعول . وعلى طريقة فرض الأمر الواقع ، على سبيل المثال تجد في المستشفيات الكثير من الاختلاط في الوظائف ، وتجد ذلك في الطيران وبعض الشركات ، وتجد ذلك في أماكن كثيرة في بلاد المسلمين ، ومن ذلك التوظيف في بعض المستشفيات الذي حصل في الأقسام الإدارية وفي أقسام العلاقات العامة والمواعيد وفي الأقسام المالية ، بل وصل الأمر إلى توظيف النساء حتى في أقسام الصيانة والهندسة التي يختص بها الرجال . وهنا يحصل الاختلاط ساعات طوال في مكتب واحد في بعض المكاتب الإدارية والمالية .

ومن ذلك أيضاً المشاركة والاختلاط في الأندية التي تكون في المستشفيات أندية ترفيه أو أندية اجتماعية أو غير ذلك ، بل لقد وصل الفساد وعدم الحياء ببعضهن إلى المجاهرة بالتدخين أمام الآخرين من الزملاء ، وليس ذلك في غرف القهوة والمطاعم فحسب ، بل على المكاتب الرسمية .

8. الدعوة إلى إتباع الموضة والأزياء وإغراق بلاد المسلمين بالألبسة الفاضحة ، ومسألة الموضة كما سبق ذكره والأزياء مسألة خطيرة ، فإن اللباس من شعارات الأمم ، وكل أمة لها لباس يخصها ، صحيح أن الإسلام لم يعين للرجل أو المرأة لباساً معيناً لا يجوز له أن يلبس إلا هو ، لكنه وضع ضوابط الشرعي في لباس المرأة وليس فيه تشبه فلا بأس من أي لباس كان مادام مباحاً ، أما إذا لبست المرأة المسلمة لباساً غربياً تقليداً للغربيات ، وتشبهاً بهن ، وإتباعا لهن ، وأخذا بالموضات كما هو حاصل فهذه المحظور الذي نخشاه ، وإن التشبه في الظاهر يؤدي إلى تشبه في الباطن ، وإلى تأثر بالأخلاق والعادات والعقائد كما قرر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) ولذا فإن المرأة المسلمة مطالبة بالابتعاد عن اتباع الغرب في موضاتهم وأزيائهم ، ولنعلم جميعاً أن المستفيد من ذلك هم تجار اليهود الذين يملكون بيوت الأزياء ومحلات صناعة الألبسة في باريس وفي لندن وفي غيرها .

كما أن من خطط العلمانيين إغراق بلاد المسلمين بالألبسة الفاضحة والقصيرة ، فأحدنا لا يستطيع أن يجد لابنته الصغيرة ، لباس ساتراً فضفاضاً إلا بشق الأنفس ، ولذا فنحن بحاجة إلى حماية لدين المستهلك مثل حماية المستهلك من جشع التجار فيحمى المستهلك من الغزو التغريبي للمرأة المسلمة في لباسها وفي لباس ابنتها ، وعلى التجار المسلمين أن يفرضوا ويشترطوا اللباس المقبول عند المسلمين الذي لا يحمل صوراً ولا كتابات وليس بلباس فاضح ولا بضيق ولا بكاشف ، والشركات الصانعة إنما تريد المال ولأجله تصنع لك أي شيء تريد فإذا ترك لها الحبل على الغارب صنعت ما يضر بأخلاق المسلمين .

9. ومن أساليبهم القديمة والتي وجدت في مصر وفي العراق وفي لبنان وفي غيرها : إنشاء التنظيمات والجمعيات والاتحادات النسائية ، فقد أنشأ الاتحاد النسائي في مصر قديماً جداً على يد هدى شعراوي كما سبق وذلك بدعم غربي سافر ، وكذلك أنشئت الجمعيات النسائية في العراق وفي غيره في وقت مبكر من الحملة التغريبية ثم تبعتها البلاد العربية الأخرى ، هذه الاتحادات النسائية والتنظيمات والجمعيات ظاهرها نشر الوعي الثقافي والإصلاح وتعليم المرأة المهن كالشك والتطريز والخياطة والضرب على الآلة وغير ذلك ، ولكن قد يكون باطنها سما زعافا فتعلم المرأة الأفكار والقيم الغربية الخبيثة التي تنقلها من الفكر الإسلامي النير المستبصر إلى الفكر المظلم من الغرب الكافر ، ولا ينكر أنه يوجد بعض الجمعيات التي تعمل بجد لتحقيق مصلحة المرأة على ضوء الإسلام الصحيح والتي نرجو الله – عز وجل – أن يوفقها لسلوك الطريق المستقيم ، وإذ نقول هذا نسأل المولى أن يمن على جميع الاتحادات والتنظيمات النسائية في العالم الإسلامي بالرجوع إليه – سبحانه – والرجوع بالمرأة المسلمة إلى الصواب الذي أراد الله – عز وجل – أن تسير عليه .

10. ومن أخبث أساليبهم وهي التي يثيرونها دائماً على صفحات الجرائد والمجلات وغيرها التظاهر بالدفاع عن حقوق المرأة وإثارة قضايا تحرر المرأة خاصة في الأوقات الحساسة التي تواجهها الأمة ، وإلقاء الشبهات ، فمرة يلقون قضية تحرير المرأة ومساواتها بالرجل ، ومرة يبحثون في موضوع التعليم المختلط وتوسيع مجال المشاركة في العمل المختلط وغير ذلك ، قد يتم ذلك باسم الدين ، وقد يتم ذلك باسم

المصلحة ، وقد يتم ذلك بعبارات غامضة وهذه طريقة المنافقين التخفي خلف العبارات الغامضة الموهمة في كثير من الأحيان .

11. ومن أخبث طرقهم ووسائلهم : شن هجوم عنيف على الحجاب والمتحجبات وعلى العفاف والفضيلة وتمجيد الرذيلة في وسائل الإعلام بأنواعها وفي غيرها أيضاً ، سواء كان في المنتديات والأندية الثقافية والأدبية ، أو كان في الجلسات الخاصة وفي غيرها ، فهذه جريدة الوطن الكويتية في يوم السبت 19 صفر 1414هـ تكتب مقالاً بعنوان (نحن بين الحجاب والسفور) وهو مقال يقطر سماً وخبثاً ، والمقال بيد كاتب كويتي يقول : اختلفت الأقاويل في الحجاب والسفور ، فمنهم من يؤيده ، ومنهم من يعارضه ، فملؤوا صفحات الجرائد المحلية بآراء متضاربة فيها مندفع اندفاع كلياً نحو التحرر من الكابوس الثقيل وهو الحجاب ، والفئة الأخرى وهي التي تمثل الرجعية البغيضة تعارض بقوة شديدة السفور وتعتقد بل تجزم أنه سوف يفضي إلى نتائج مريعة تصيب المجتمع بأمراض جسيمة – ثم يقول برأيه التافه الساقط – وكل هذا وذاك لن يقف في الطريق ، ولن يحد من قوة التيار ، فالسفور آت لا محالة على فترات متتابعة شاءت التقاليد أم أبت .

نسأل الله عز وجل – أن يرده من الضلال إلى الهدى ومن الخطأ إلى الصواب .

وقد تولى كبر هذا الهجوم العنيف على الحجاب والمحجبات المجلات والجرائد المصرية والمجلات والجرائد الكويتية ، حتى كتب رئيس تحرير مجلة مصرية مشهورة يقول : إن المحجبات أو اللاتي تبن من الممثلات وتمسكن بالحجاب يعطين أموالاً من دولة أجنبية . وقد رد عليه مجموعة من هؤلاء التائبات على صفحات مجلة المجتمع وقلن فيه : إنهن رجعن إلى الله – عز وجل – وتركن ذلك العفن الفني إلى غير رجعة ، وإنهن قبضن من الله وعداً بأن من تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى غفر الله له وأدخله الجنة .

وكتبت جريدة المسلمون(18) تحت عنوان رائدات العلمانية والحوارات الوهمية تقول : سنوات طوال والحوارات الوهمية بين رائدات التبرج والمجبرات على الحجاب لا تنقطع – طبعاً هذا حوار وهمي يعني ليس بصحيح ، بل تقصد العلمانية أو ذلك الكاتب العلماني الذي يبقى على مكتبه ويتخيل حواراً يشن فيه هجوماً على الحجاب ويظن

أن المحجبات مكرهات فيكتب مقالة ثم ينشرها وهو هراء محض – من أبرز هذه الحوارات ذلك الذي جري بين كاتبة صحفية شهيرة ، زارت مدينة عدن ثم انتقلت لمدينة صنعاء وفي الأخيرة أجرت حواراً خيالياً مع فتاة يمنية نهرتها عندما مدت يدها محاولة كشف غطاء رأسها ، ثم ينتهي الحوار بضحكة عالية دوت في سماء صنعاء معلنة قرب ميلاد الفجر الجديد – يعني السفور والتحلل – قالت الجريدة : وما بين البداية القاسية للحوار والنهاية السعيدة به ، قالت فتاة صنعاء ضمن ما قالت : إنها مجبرة على ارتداء هذا القيد ، وأنها تتحايل من أجل الفكاك منه ، وأنها عندما تتوارى عنهم سرعان ما تخلعه ، أما الفجر الجديد فهو ذلك اليوم الذي ينزاح فيه المطالبون بتطبيق شرع الله وترك الناس للشرائع الغريزية بدعوى الحرية .

ولعل صاحبة هذا الحوار كانت بدورها تنتظر هذا الفجر – بفتح الفاء وضمها يعني الفُجر – غير أن ما حدث قد أصابها بسكتة صحفية نتمنى أن تدوم ، لقد تمكن اليمنيون بفضل الله ثم بفضل رؤية أصحاب العقول السليمة من تحديد طريقهم في الحياة وتسابق الجميع وفي مقدمتهم أبناء عدن في تأييد الأخذ بقوانين الشريعة الإسلامية ، إن داعيات التبرج ورائدات العلمانية يهاجمن الحجاب ، ويهاجمن المتحجبات ، ويفترضن أحاديث مكذوبة يزعمن فيها أن المحجبات ، يتمنين اليوم الذي يلقين فيه هذا الحجاب ، وهذا كله كذب ، فالحمد لله العالم الإسلامي كله من أقصاه إلى أقصاه يشهد رجعة وتوبة إلى الله العزيز الحكيم – جل وعلا– سواء من الرجال أو النساء ، وحينما تنظر إلى الجامعات وتدرس حالها قبل سنوات تجد قلة المتحجبات ثم انظر إليها الآن ، في كل جامعات الدول العربية الأخرى تجد كثرة المتحجبات في هذا الوقت بحيث أصبحن يشكلن الأغلبية في كثير من الجامعات بحمد الله وهذا ما أوغر صدور أولئك العلمانيين والعلمانيات .

12. ومن أساليب العلمانيين أيضاً تمجيد الفاجرات من الغربيات والممثلات والراقصات والمغنيات وغيرهن ، فتذكر بأنها النجمة الفلانية ، وأنها الشهيرة فلانة ، وأنها الرائدة في مجال كذا ، وأنها التي ينبغي أن تحتذي ، وأنها القدوة في مجال كذا ، وأنها حطمت الرقم القياسي في الألعاب الفلانية أو الطريقة الفلانية ، وهذه الصحف ، وهذه الكتابات العلمانية توهم المرأة المسلمة بأن هذا هو الحق وهذا هو

الطريق الذي ينبغي أن تسلكه ، فتتمنى أن تكون مثلها وتحاول أن تتشبه بها ، ولهذا ضاق صدر أولئك بتلك الفنانات التائبات لأنهن سيمثلن قدوة مضادة لما يريدون .

13. ومن أساليبهم : الترويج للفن والمسرح والسينما ، وهذا من أخطر الأساليب العلمانية التي نجح العلمانيون في إغواء المرأة المسلمة من خلالها ، فهم قد ينشرون قصصاً لبعض الكاتبات ويقولون بقلم القاصة فلانة ، وأحياناً ينتشرون قصيدة للشاعرة فلانة ،ومرة أخرى ينشرون مقالة للأديبة فلانة ، وكذلك ينشرون دعاية لمعارض تشكيلية تقيمها الفنانة فلانة ، وقد يدعونها للمشاركة في التمثيل أو في المسرح أو غير ذلك مما يؤدي إلى أن تبهر هذه الفتاة وتغير أفكارها وينغسل عقلها ، ومن ثم تكون داعية للتغريب وللعلمنة ولتحلل المرأة المسلمة ، إذ أنها لابد لها من الانسياق كي تحافظ على مكانتها الوهمية فتنغمس – وهي لا تدري – في ذلك الخبث حتى تصبح لا تدرك خبثه ، ويصبح الطيب خبيثاً لديها ، والعياذ بالله من الانتكاس .

14. ومن أخبث أساليبهم المنتشرة : استدراج الفتيات المسلمات – خاصة النابغات – للكتابة أو للتمثيل أو الإذاعة لاسيما إذا كن متطلعات للشهرة أو للمجد أو لغير ذلك فتدعى هذه الفتاة للكتابة في الصحيفة وتمجد كتاباتها ، وقد تكتب قصة ثم يأتي مجموعة من الفنانين أو من الحداثيين أو من غيرهم فيقومون بتحليل هذه القصة وفي أثناء هذا التحليل ، يلقون في أرواع الناس أن هذه القاصة قد وصلت إلى المراتب العليا في هذا المجال وأنها أصبحت من الرائدات في مجال القصة ، ويلقون عليها هالة عظيمة – والشواهد معروفة – فتندفع بعض الفتيات المغرورات للكتابة والاتصال بهؤلاء من أجل أن ينشروا لهن ما يكتبن ، وقد يقوم بعضهم بكتابة مقالات بأسماء نسائية مستعارة ، ومثل هذا كثير من أجل إيقاع النساء المسلمات في حبائل هؤلاء الشياطين .

15. ومن أساليبهم أيضاً : تربية البنات الصغيرات على الرقص والموسيقى والغناء من خلال المدارس والمراكز وغيرها ، ثم إخراجهن في وسائل الإعلام فتجد فتيات في عمر الزهور يخرجن للرقص والغناء وهن يتمايلن وقد لبسن أجمل حلل الزينة ، فكيف يا ترى سيكون حال هذه الفتاة إذا كبرت ! إلى أين ستتجه إن لم تتداركها

عناية الله ورحمته ؟والتالي يكون ذلك سبباً من أسباب اجتذاب عدد آخر من الفتيات اللاتي يتمنين أن يفعلن مثل هذه التي ظهرت على أنها نجمة ثم قد تكون في المستقبل مغنية أو ممثلة شهيرة ، عافانا الله والمسلمين .

16. ومن وسائلهم إشاعة روح جديدة لدى المرأة المسلمة تمسخ شخصيتها من خلال إنشاء مراكز يسمونها مراكز الطبيعي للسيدات ، وقد قامت مجلة الدعوة مشكورة بكتابة تقرير عن هذه المراكز في عدد 1328 الصادر في 1412/8/3 هـ ، إذ زارت إحدى الكاتبات بعضا من هذه المراكز وكتبت تقول : في ظل التغيرات والمستجدات التي تظهر بين وقت وآخر ظهر تغير سلبي وهو افتتاح مراكز تسمى مراكز العلاج الطبيعي للسيدات ، والحقيقة أن هذا المركز يخفي ورائه كثير من السلبيات من أبرزها فتح المجال للنساء لممارسة الألعاب الرياضية مقابل قيمة مالية ، وذلك بدعوى إيجاد وسيلة جديدة تمضي فيها المرأة وقتها وتجعلها تحافظ على رشاقة جسمها – كل مبطل يغلف دعواه بالإصلاح ويزخرف القول – قالت : ومع أن هذا سبب مرفوض أيضاً إلا أن هذه المراكز قد تؤدي إلى صرف اهتمامات المرأة المسلمة المحافظة على دينها وتغيير واجهة اهتماماتها وواجباتها الشرعية . ثم تمضي الأخت فتقول : ولمعرفة واقع تلك المراكز وما يدور فيها وما تقدمه لمرتادها قمت بزيارة بعضها والاتصال بالبعض الآخر منها كأي امرأة أخرى تسأل عنها قبل الالتحاق بها وذلك في محاولة للوصول للحقائق الكاملة ومعرفة ما يدور فيها ، وخلاصة التقرير :

– انتشار اللباس الغير ساتر في هذه المراكز ، بل واشتراطه .

– قيام بعض المراكز بتعيين أطباء من الرجال لابد من مرور المتدربات عليهم .

– انتشار الموسيقى الغربية في هذه المراكز ومن شروط بعض المراكز عدم اعتراض المتدربة على ذلك .

– وضع حمامات جماعية للسونا تلبس فيها النساء ملابس داخلية فقط ، ويكن مجتمعات داخله .

– انتشار هذه المراكز حتى في الفنادق والكوافيرات والمشاغل وتقديمها كخدمة مشتركة .

وكل هذا نمط جديد لم نعرفه من قبل ولو قامت النساء بعملهن في بيوتهن لما احتجن لهذا ، والله المستعان .

17. ثم أختم هذه الأساليب بهذا الأسلوب الخطير وهو إشاعة الحدائق والمطاعم المختلطة للعائلات والتي انتشرت مؤخراً :

فقد زار بعض الأخوة بعضا من المطاعم والحدائق العائلية والتي فيها محاذير كثيرة وفتح بها أبواب للشياطين جديدة ، مع أنها دخيلة على نمط الحياة الإسلامية وهي سمة غربية بحتة ، وبدأ النسوة يرتدنها إما منفردات أو يدعو بعضهن بعضا لتناول العشاء أو الغداء – ومن هؤلاء فضيلة الشيخ محمد الفراج جزاه الله تعالى خير الجزاء – ثم كتبوا تقريراً بينوا فيه ما تخفيه هذه المطاعم المختلطة ، وذكروا أن هذه المطاعم يكون فيها اختلاط الشاب بالفتاة ، وأنه قد تدخلها المرأة بدون محرم وجواز المرور بالنسبة للرجل أن يكون معه امرأة سواء كانت خادمة أو كانت طفلة أو غير ذلك ، وبذلك أصبحت مكاناً صالحاً للمواعيد الخبيثة ولغير ذلك ، وذكروا أن هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تواجه من هذه الحدائق وهذه المطاعم مشاكل كبيرة للغاية لأنها يجتمع حولها الشباب وبعضهم قد يدخل وبعضهم قد يبقى خارجها ، ثم بعد ذلك كتب فضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن جبرين تأييداً لكلام هؤلاء الأخوة ، يقول فيه : الحمد لله وحده وبعد ، رأيت أمثلة مما ذكر في هذا التقرير مما يسترعى الانتباه والمبادرة بالمنع والتحذير)) ا.هـ .

وقد تكون هذه الحدائق والمطاعم أوجدت بحسن نية لكنها سبب مهم من أسباب تغريب المرأة إذ أنها تشيع مظاهر التغريب من اختلاط أو خلوة بالرجل الأجنبي عن المرأة ومن فتحها لباب الفواحش والدخول على النساء الشريفات فيفتن في دينهن وعفتهن مع غلبة الداعي للفحش بسبب كثرة المثيرات والله المستعان .

وأختم هذه الرسالة بخلاصة بحث لـ السيد أحمد المخزنجي الأثر السيكولوجي والتربوي لعمل المرأة على شخصية الطفل العربي جاء فيها : .

يرى الباحث من خلال تبني منهج ((التحليل المقارن)) للنتائج والإحصاءات التي كشفت عن سوء وضع المرأة الأوربية (العاملة) وكذلك الدراسات العربية الميدانية

المماثلة التي أجريت في عدة دول عربية على هذه المشكلة ، أنه بالإمكان الوصول إلى خلاصة يمكن تركيزها في النقاط التالية :

أولاً : يؤكد الباحث على ضرورة إعادة النظر فيما يتعلق بوضع المرأة العربية العاملة استناداً إلى ما كشفت عنه الدراسة من نتائج سلبية تعدى أثرها شخصيتها إلى أطفالها تربويا ونفسياً . وهو ما دعا الباحث إلى المطالبة بضرورة إعادة صياغة الموقف العربي (الرسمي) إزاء الرغبة المطردة في تشغيل بناتنا ونسائنا في الدواوين والمصالح الحكومية ولاسيما التي لا تصلح لها المرأة قبل اختيار ((أنسب)) مجالات العمل صلاحاً لها ، والتي تتفق مع طبيعتها ودورها في هذا المجال .

ثانياً : بالرغم من كثرة الحديث عن الأصالة وعن القيم الإسلامية والعربية فإن فلسفة وأساليب رعاية الطفل في الأقطار العربية – بصفة عامة مقتبسة ، للأسف الشديد ، من نظم وسياسات المجتمعات الغربية ، الأمر الذي أدى ، بشكل محزن ، إلى وجود تبعية فكرية (غربية) في مجال رعاية الطفولة ، ومن ثم إلى نتائج سلبية خطيرة في مجتمعاتنا لا سبيل لإنكارها أو التغاضي عنها .

ولذا يظل السؤال الذي سبق أن طرحناه في مقدمة البحث : أليس من الممكن وضع إستراتيجية عربية تربوية ذات منظور إسلامي جديد (معاصر) تنقذ أطفالنا وأمهاتهم من هذا الواقع المؤسف والأشد إيلاما ؟!

يظل ذلك السؤال مطلباً قائماً بذاته يبحث عن إجابة علمية شافية ... نحسب أن فيما قدمناه رؤية موضوعية لتقدير مشكلة عمل المرأة يعد خطورة أو ((محاولة)) من محاولات بحثية مأمولة ومرجوة في هذا السبيل .

ثالثاً : يؤكد البحث على المطالبة بإلغاء سياسة تشغيل المرأة وخروجها للعمل واستبدال سياسة أنجح وأسمى بها ، وهي رعاية زوجها وتفرغها لتربية أولادها ، ولا يعني ذلك أننا نتبنى موقفاً ((ضدياً)) من تعليم المرأة أو المهمات التي تصلح لها مما يتفق وطبيعتها الإنسانية ، فالتعلم حق للمرأة ، بل وتخصصها فيما يناسبها منه حق لها كذلك ...... ولكن شتان بين أن تعلّم المرأة في مجتمعاتنا بغرض ((التوظيف)) وأن تتعلم لغرض التعليم والإعداد لأداء دورها ومهمتها الكبرى ورسالتها التربوية السامية في الأسرة داخل البيت وليس خارجه .

رابعاً : إننا نؤكد – بعيداً عن أي شعور عاطفي أو تعصبي جامح – أن تخصيص نسبة مالية ثابتة (نصف مرتب الزوجة مثلاً) في ميزانية حكومات دولنا العربية الإسلامية التي تأخذ بسياسة تشغيل المرأة ، بدلاً من ذلك ودفع هذه النسبة بأي أسلوب تراه ، أو إضافتها إلى مرتب الزوج المشتغل ، سيعود على المجتمع العربي الإسلامي بالكثير من الفوائد والميزات :

أولها : تحقيق الاستقرار النفسي والعائلي للزوج في الأسرة وتخليصه من مشاكل زوجته العاملة : الصحية والنفسية والاجتماعية .

وثانيها : دفع الزوج إلى التفاني في العمل من أجل زيادة الإنتاج وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة وهو ما تسعى إليه القيادات السياسية الحاكمة في تلك البلاد عامة(19) .

ملحق

تجمع الأخبار الواردة من الغرب أن القيم والأخلاق في تدهور مستمر وأن المجتمع الغربي يعاني من تفكك مهول وفي هذا الملحق نستعرض بعضاً من هذه الأخبار مع نقول أخرى مناسبة :.

(المرأة الأمريكية تكتشف أن مكانها هو البيت)

، اكتشفت المرأة الأمريكية باقتناع كامل أن أكثر مكان مناسب لها هو البقاء في المنزل ورعاية شؤون أطفالها وعائلتها بل وأكد 48% منهن أن تحركات النساء ونشاطهن في مجال العمل خلال العشرين سنة الماضية جعل الحياة أكثر تعقيداً وصعوبة فقط ولم يؤد أي خير إطلاقاً .

هذا الاستنتاج جاء من استطلاع للرأي قامت به شركة سي إن إن الأمريكية المشهورة بالتعاون مع صحيفة يواس توادي ، وأظهرت نتائج ذلك الاستطلاع أن 45% من النساء يعتقدن أنه يتعين على الرجل العمل والكدح خارج المنزل لتوفير أسباب المعيشة لعائلته بينما يجب على المرأة أن تبقى في المنزل وتكريس حياتها ووقتها بشكل كامل وتام لشؤون العائلة أما نسبة الرجال الذين تم استطلاع آرائهم بهذا الشأن فإن 40% منهم فقط يؤيد بقاء المرأة في المنزل لرعاية شؤون الأسرة وآخر ما قالت في تقريرها هذا : ومن ناحية أخرى اعتبرت صحيفة يومية في

كالفورنيا – هي مستنقع من مستنقعات الرذيلة في أمريكا فهي مكان منتدى السينما المشهور بهوليوود – ذلك الاستطلاع بأنه مؤيد ومتعاطف مع فكرة أن النساء يرغبن في العودة مرة أخرى إلى المطبخ والمقلاة .

جريدة الرياض في 1414/4/29هـ

إذا النساء الغربيات قد مللن وسئمن من حياة التحلل التي يسميها دعاة التغريب بالتحرر ويردن أن يراجعن ، والله – سبحانه وتعالى – قد كرم المرأة المسلمة وأنعم عليها بأنها منذ أن تكون جنيناً في بطن أمها إلى أن يواريها قبرها وهي في رعاية رجل .

****

(إن إحصائيات عام 1979 م تدق ناقوس الخطر ، فعدد اللواتي يلدن سنويا من دون زوج شرعي ! وفي سن المراهقة لا يقل عن ستمائة ألف فتاة بينهن لا أقل من عشرة آلاف فتاة دون سن الرابعة عشر من العمر ، وإذا أضيف عدد اللواتي يلدن بدون زوج بعد سن المراهقة فإن العدد الإجمالي يتجاوز المليون ....

ومما يزيد في حجم الكارثة ارتفاع نسبة الطلاق ، فقد بلغت في عام 1979 م ما يقرب من 40% من جميع حالات الزواج .....) والنسبة أكبر بكثير الآن .

(عمل المرأة في الميزان ص131 عن كاتب أمريكي في مجلة أمريكية كبرى)

– (مطلقة بريطانية اسمها مانيس جاكسون عرضت ابنها الوحيد للبيع بمبلغ ألف جنيه ... والمبلغ يشمل الطفل وألعابه ، وقد قالت أنها ستبيع ابنها لأنها لا تستطيع الإنفاق عليه وليس لديها دخل لإعاشته) .

الشرق الأوسط 1400/9/15 هـ

نقلاً عن عمل المرأة في الميزان ص119

****

– (في رسائل النجمة السينمائية الراحلة غريتا جابو تقول : إنها قضت حياتها منعزلة عن العالم ، ولم تكن سعيدة في خلوتها وكانت تعاني من الإحباط وانتفاء الهدف وقلة المعنى في حياتها) وهم يريدون أن تكون هذه هي قدوة المرأة المسلمة .

الحياة 1413/10/25هـ

****

على أية حال ليس ثمة دليل ولا في عصرنا الحاضر على أن وضع المرأة المسلمة في داخل الحريم ليس أكثر إرضاء للمرأة من وضعها في كباريهات الغرب .

ولا نشك في أن نسبة كبيرة من الـ 300 امرأة اللاتي جئن مع الحملة الفرنسية للترفيه كن سيفضلن الحريم عن العودة إلى مواخير باريس ، ولدينا حالة واحدة على الأقل تنفي هذا الزعم الذي طال ترديده عن أفضلية حياة الحانات في الغرب على حياة الحريم في الشرق ، فقد أتيح لامرأة غربية أن تختار واختارت (أصر ديزيه على أن يرد إلى القدس عاملة فرنسية في أحد مطاعم الجيش وهي أرملة جاويش قتل في المعركة – وكان الباشا قد أخذها ليضمها إلى حريمه ، ووافق الصدر الأعظم ، ولكن زوجة الجاويش لم توافق – على العودة إلى فرنسا – وأعلنت أنها في غاية السعادة حيث هي ، وقد ظلت فعلاً تعيش في القدس سعيدة حتى عمرت) .

ودخلت الخيل الأزهر – محمد جلال كشك ص 414 .

****

– تابع الدكتور ويل هوسمن وليوناردايرون من جامعة أمريكية في كاليفورنيا على مدى 20 سنة مسيرة 40 طفلاً وجدوا خلالها أن الفئة التي شاهدت برامج التلفزيون بكثافة وهي سن الحداثة كانت أقرب إلى ممارسة أنواع مختلفة من العنف لدى الجنسين .

الحياة 1413/10/15هـ

****

– في تقرير مفصل بعنوان مراقبة أمريكا : – وجد أن السهرة التلفزيونية الواحدة تحتوي حوالي 12 جريمة قتل و15 عملية سطو و20 عملية اغتصاب وتشليح إضافة إلى عدد كبير من الجرائم المتنوعة ، والواقع أن نسبة الجرائم حسب المعلومات الأمنية 5% بينما تصل على الشاشة إلى 65% هكذا يفعل الإعلام .

– تلميذان يتآمران لقتل معلمتهما باستخدام سكين المطبخ – طبعاً في أمريكا .

جريدة الرياض 1413/10/15هـ

****

– 60% من أطفال الحضانات يعانون من المشاكل النفسية ، أهمها العناد والعدوانية .

جريدة الشرق الأوسط عدد 5250 .

****

– في تقرير أخير نشرته مجلة الطب النفسي الأمريكية عن الاعتداء الجنسي خلال العمل ذكرت أنه 42% من النساء العاملات يتعرضن له ، وأنه فقط أقل من 7% من الحوادث يرفع إلى الجهات المسئولة وأن 90% من المعتدى عليهن يتأثرن نفسياً و12% منهن يذهبن لطلب المعونة الطبية النفسية .

مترجم من مجلة الطب النفسي الأمريكية يناير 1994صـ 10 .

****

– شرطة مانشستر تدعو النساء إلى الحجاب : جاء هذا في مجلة النهضة عدد 1181 في 1410/12/1هـ وذكر في الخبر أن الهيئة العامة للشرطة تنظيم حملة متعددة الجوانب للحد من هذه الجرائم (حوادث الاغتصاب) فأصدرت كتابين الأول منهما يحمل عنوان ((نصائح بسيطة للمرأة عن العنف الجنسي)) والثاني بعنوان ((نصائح بسيطة للرجل لتحاشي العنف الجنسي مع النساء)) وركز كتاب النساء على إزالة دواعي الاغتصاب ولاسيما الملابس التي ترتديها المرأة سواء كانت طفلة أو فتاة وطريقة ارتدائها لها بل يصل المؤلف إلى حد لوم المرأة على الخلاعة والكشف عن المفاتن إلى الحد الذي يثير الشباب الصعاليك والمهووسين جنسياً ويقول المؤلف إنه إذا ((اقتربت المرأة أو الفتاة من الحجاب ، فلن يلهث وراءها أحد وإلا فالمرأة أو حتى الطفلة هي الملومة أولاً وأخيراً لما يحدث لها))

ونقول هذا واقعهم فلماذا يصر المستغربون أن نكون مثلهم !!!

****

– في بدايات 1990 م أقيم لقاء تلفزيوني مع رئيسة وزراء بريطانيا ما جريت تاتشر جاء فيها :.

– تضاعف عدد الرجال والنساء المرتبطين بعلاقة غير شرعية ثلاث مرات في الفترة من 1979 حتى 1987 والمحصلة 000, 400 طفل غير شرعي وهذا دفع المعلقين إلى المطالبة بإعادة النظر في العلاقات الإنسانية :

– الحكومة سوف تتخذ من الإجراءات ما يجبر هؤلاء الآباء على تحمل نصيبهم من المسئولية .

وتقول لأن المرأة هي الخاسرة ، وهي التي تتحمل العبء الثقيل لهذا التحرر المزعوم .

الشرق الأوسط 1990/1/21 م

(1) محمد محمد حسين ، أزمة العصر ص105 والكتاب من أعظم من وقفوا في وجه الحملة التغريبية في بداياتها .

(2) محمد محمد حسين .... باختصار .

(3) عودة الحجاب : القسم الأول ص 34جـ 4 . للشيخ الفاضل بن أحمد بن إسماعيل .

(4) المؤامرة على المرأة المسلمة د. السيد أحمد فرج ص 70 .

(5) وهو نصراني كما يظهر من اسمه .

(6) راجع عودة الحجاب القسم الأول فقد جمع فاستوفي أثابه الله .

(7) وهبي الألباني – المرأة المسلمة .

(8) راجع المرأة ماذا بعد السقوط لبدرية العزاز وفقها الله فقد أرخت لما حصل في الكويت

(9) المرأة العربية المعاصرة إلى أين ؟ د. صلاح الدين جوهر .

(10) مجلة المغترب تصدر سابقاً في الولايات المتحدة . وانظر أيضاً جريدة الوطن الكويتية في 14/ 6/ 1988 م . وفيها عرض لدراسة أكاديمية عن هذه المجلات .

(11) فتياتنا بين التغريب والعفاف للشيخ الفاضل د .ناصر العمر .

(12) المرجع السابق نقلها عن مقالة الدكتور حمود البدر

(13) التنمية الاقتصادية وأثرها في وضع المرأة في السعودية ، ص 39 .

(14) المرجع السابق : ص 76– 77– 88 .

(15) المرجع السابق : ص 172 – 182 .
(16) المرجع السابق : ص 265 – 267 . راجع المرأة وكيد الأعداء د . عبد الله وكيل الشيخ .
(17) فتياتنا بين التغريب والعفاف للشيخ الفاضل د .ناصر العمر .
(18) جريدة المسلمون في 10/ 3/ 1414 هـ
(19) مجلة رسالة الخليج العربي عدد 34 ص 310 .

=============

التربية البدنية في المدارس النسائية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فقد تباينت وجهات النظر في مسألة إدخال التربية البدنية في مدارس البنات ما بين مؤيد ورافض ، وأصبحنا على مفترق طرق في هذه القضية ،وحيث كثر الجدل فيها ومدى شرعية هذا الأمر رأيت أن أكتب للقراء ما يجلي لهم حكم إدخال هذه المادة في مدارس البنات ،وقد قسمت الموضوع إلى تمهيد وخمسة فصول :

التمهيد يتناول : تحرير محل البحث

الفصل الأول : المصالح المرجوة من إدخال التربية البدنية.

الفصل الثاني : المفاسد المتوقعة من حصة التربية البدنية .

الفصل الثالث : البدائل المناسبة .

الفصل الرابع : الحكم الشرعي لإدخال التربية البدنية .

الفصل الخامس : شبهات حول الحكم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

تمهيد

تحرير محل البحث

هذه قاعدة معرفية مهمة وهي قبل أن نحكم على مسألة ما ؛ لابد أن نتصورها جيدا حتى نطلق الحكم الشرعي المناسب فيها ، وبحثنا هذا سنتعرض فيه إلى مسألة (

إقرار مادة التربية البدنية في مدارس البنات) دون النظر إلى حكم ممارسة الرياضة للنساء ، وإن جاء الحديث عنها عرضا فليست هي المقصودة في هذا البحث .
وقبل هذا كله وبعده لابد أن يكون هدف كل إنسان البحث عن الحق ، والسعي لتحقيق المصلحة العامة ، لا التعصب للرأي ولا النظر إلى مصلحة محدودة بأشخاص أو فئات .

الفصل الأول

المصالح المرجوة من إدخال التربية البدنية

من خلال إطلاعي على ما كتب تبين أن هناك عدة مصالح في نظر المؤيدين من خلالها طالب من طالب بإدخال التربية البدنية في مدارس البنات ، فمن تلك المصالح :

المصلحة الأولى : (تهيئة المرأة لتقوم بدورها في الجهاد وحماية مقدسات الأمة وأرض الوطن)

ومما قالوه في ذلك : (المرأة قديما مما توفر لنا من معلومات في التاريخ الإسلامي كانت تشارك في المعارك لنشر الإسلام والدفاع عنه ولم يمنعها الدين فهي الفارسة التي دافعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجرحت وطعنت لإعلاء كلمة الله) ([1][1])

والجواب :

أولاً : أن هذا منسوخ لما جاء في مصنف ابن أبي شيبة ([2][2]) عن سعيد بن عمرو القرشي أن أم كبشة امرأة من بني عذرة قضاعة قالت : يا رسول الله ائذن لي أن أخرج في جيش كذا وكذا ، قال : لا ، قالت : يا رسول الله إني لست أريد أن أقاتل إنما أريد أن أداوي الجريح والمريض أو أسقي المريض ، فقال : «لولا أن تكون سنة ويقال فلانة خرجت لأذنت لك ولكن اجلسي ».

فهذا الحديث يفيد أن المرأة لا تشارك حتى في سقاية الجرحى ومداواة المرضى فهل يبقى بعد هذا لقائل مقال ؟!!

ثانياً : لقد حرص نساء الصحابة أن يتقلدن دور الجهاد الذي أنيط بكاهل الرجل طمعاً في الأجر ؛ فجاء التوجيه النبوي لهن كما يلي : عن عائشة رضي الله عنها

قالت : استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد فقال : « جهادكن الحج » رواه البخاري([3][3]) ، وعن عَائِشَة قَالَتْ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَخْرُجُ فَنُجَاهِدَ مَعَكَ فَإِنِّي لَا أَرَى عَمَلًا فِي الْقُرْآنِ أَفْضَلَ مِنْ الْجِهَادِ ، قَالَ :« لا وَلَكُنَّ أَحْسَنُ الْجِهَادِ وَأَجْمَلُهُ حَجُّ الْبَيْتِ حَجٌّ مَبْرُورٌ "» رواه النسائي([4][4]) .

قال ابن بطال : (دل حديث عائشة رضي الله عنها على أن الجهاد غير واجب على النساء ، ولكن ليس في قوله : (جهادكن الحج) أنه ليس لهن أن يتطوعن بالجهاد ، وإنما لم يكن عليهن واجبا ؛ لما فيه من مغايرة المطلوب منهن من الستر و مجانبة الرجال ، فلذلك كان الحج أفضل لهن من الجهاد) ([5][5])، بل إن بقائها في بيتها وحفظها لعفافها تدرك بهذا فضل المجاهدين في سبيل الله تعالى لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جئن النساء إلى رسول الله r فقلن يا رسول الله : ذهب الرجال بالفضل بالجهاد في سبيل الله أفما لنا عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله فقال رسول الله r « مهنة إحداكن في البيت تدرك به عمل المجاهدين في سبيل الله »([6][6])

ثالثاً : ما ورد من قتال بعضهن : إنما كان في بداية الإسلام وعلى سبيل الضرورة والدفاع عن النفس أو الدفاع عن رسول الله r كما جاء عن أَنَسٍ أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا فَكَانَ مَعَهَا فَرَآهَا أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا هَذَا الْخِنْجَرُ ؟ قَالَتْ : اتَّخَذْتُهُ إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ .." رواه مسلم ([7][7]).والضرورة كما هو معلوم تقدر بقدرها

رابعاً : ثم أين الجهاد الذي يُحتج بمشاركة المرأة فيه في هذا الزمان والله المستعان ، ولو ارتفعت راية الجهاد لولى هؤلاء الكتاب ومن ظاهرهم النفاق الأدبار ، كما قال الله تعالى عن أسلافهم : } وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ{ [الحشر: 12] .ثم إذا كان هناك حرص على إعداد المرأة للجهاد فلماذا لا نسأل أنفسنا ما هي الأولويات بالعناية في هذا المجال والأكثر أثراً والأسرع في تحقيق الهدف ، هل الرياضة في هذا الصدد أولى من إعلام محافظ يربي المرأة ؟!! ومحاضن تربوية

تعدها الإعداد الحقيقي للجهاد ؟!! وهل الرياضة أولى من مضاعفة الجهد في حرب التغريب وحملات التخريب ومقاومة كل ما يسعى لإفساد المرأة ؟!!

وأخيراً ... هل التربية الرياضة للبنين قد أعدت شبابنا للجهاد ؟!!

المصلحة الثانية : أن الرياضة لها أثرها الكبير في عقل الإنسان وفكره .

ومما قالوه في ذلك قولهم (جميعنا يعرف أن العقل السليم في الجسم السليم ..والتي لا تقتصر على الرجال فقط ..) ([8][8])

والجواب : هذه المقولة يرددها الكثير ،ولكن لو تأملها ذوو العقل السليم لعرفوا أن فيها بعض المغالطة للحقيقة ، وليست قاعدة ثابتة ، فكم من أناس أجسامهم هزيلة ، وأبدانهم عليلة ومع ذلك عقولهم تزن أمة ؟ وماذا نفعت الأجسام وصحة الأبدان أولئك المجانين الذين امتلأت المشافي بهم ؟ لو أن أحدهم وكزك بيده لقضى عليك ؟وهل صحة أجسام البغال والحمير زادت من عقولها ؟! ألم يضرب الله مثلا لليهود بأسوأ من الحمار في بلادته : } كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً{ (الجمعة: من الآية5) . ولو استنطقنا التاريخ ليحدثنا عن أناس استطاعوا . بفضل الله . أن يحولوا عجزهم قدرة ، ونقصهم عطاء فأصبحوا يعدون قمما سامقة ، ومنارات عالية لحدثنا عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود فقد كان رضي الله عنه قصير القامة ، كانت قامته طول الرجل أثناء قعوده ، وكان الصحابة يعجبون من دقة ساقيه ، فهل عاش بدون عقل !! نظرا لقصر قامته وخفة وزنه ، عجبا لمن يهرف بما لا يعرف !!

ولحدثنا التاريخ أيضاً عن الإمام عطاء بن أبي رباح . رحمه الله . التابعي الجليل فقد كان . رحمه الله . أعور ، أشل ، أفطس ، أعرج ، أسود ،ثم عمي وقطعت يده مع عبدالله بن الزبير هكذا قال عنه مترجموه ولكن ماذا قالوا عن علمه وجلالته يقول أبو جعفر : ما بقي على ظهر الأرض أحد أعلم بمناسك الحج من عطاء ، وقال علي بن المديني سمعت بعض أهل العلم يقول : كان ثقة فقيها عالما كثير الحديث ([9][9]).

وكم من العلماء في قديم الدهر وحديثه من فقد بصره وعمي في صغره وما ضره ذلك فإذا هو العالم الذي يشار إليه بالبنان ،كالشيخ الإمام محمد بن إبراهيم . رحمه الله . مفتي الديار السعودية سابقاً ، والشيخ العلامة عبد العزيز بن باز . رحمه الله . مفتى

المملكة العربية السعودية ، وسماحة المفتي الشيخ عبد العزيز آل الشيخ . وفقه الله وحفظه . وغيرهم كثير وترى منهم الخطيب المصقع الذي يزمجر على أعواد المنابر فتصل كلماته سويداء القلوب كأمثال الشيخ عبد الحميد كشك . رحمه الله . فعجبا لمن يتكلم بما لا يعلم ، ويهذي بما لا يدري !! يقول الشاعر :

فرب ضرير قاد جيلا إلى العلا

وقائده في السير عود من الشجرْ

وكم من كفيف في الزمان مشهر

لياليه أوضاح وأيامه غررْ

ومن الأمثلة أيضاً التي تدل على ضعف هذه القاعدة ما نراه من أحمد ياسين . رحمه الله . منظم حركة حماس فهو رجل مشلول شللا كليا ومع ذلك هو يدير أمة ويحرك شعبا !!

وقد قرأت مقالا في المجلة العربية تحت عنوان (الصاعدون إلى القمة بلا قدم) ذكر صاحب المقال أمثلة رائعة لأناس غدوا معاقين بالمفهوم الدارج ، إلا أن الأمر يختلف عندما نتناوله بعين نافذة بصيرة ، عندما نرى أعمال هؤلاء وقد فاقت كثيراً ما ينتجه الكثرة من الأصحاء !! من هؤلاء :

(الشاب الإيرلندي (كريستوفر كولان) البالغ من العمر 22 عاماً الذي فاز بجائزة الكتاب في بريطانيا لعام 1987م ..وقد حضر حفل تكريمه أكثر من أربعمائة أديب بريطاني ، وهل ستندهش إذا قلت لك أن الشاب أصم وأبكم لا يتكلم ومشلول ، عاجز عن الحركة وأنه للتغلب على اعاقته الجسمية لجأ إلى الكتابة على الآلة الكاتبة بواسطة ذراع صناعية مثبتة في جبهته !!

هل سمعت عن حكاية شابين معاقين في مصر وهما توأمان ولدا مشلولين ولم يمنعهما الشلل من أن يذهب كل منهما إلى الدراسة في كرسي بعجلات وقد تفوقا في الدراسة وحصلا على النجاح في الجامعة بامتياز مع مرتبة الشرف وحصل كل منهما على الدكتوراه مع التقدير وصارا عضوين في هيئة التدريس بالجامعة هناك ؟! ([10][10]))

وهذا غيض من فيض ، فهل بعد كل ما تقدم وغيره كثير يستطيع أصحاء الأجسام أن يدعو أنهم الأكثر اقتدارا وملكة وموهبة وإبداعاً ..؟وهل بعد هذا نقول : العقل السليم في الجسم السليم ؟!!

```

المصلحة الثالثة : إدخال التربية البدنية من أجل الحد من ارتفاع نسبة البدانة بين الفتيات.

والجواب : من عدة وجوه :

أولاً : هل نفعت حصة التربية البدنية البنين في الحد من ظاهرة السمنة ؟

الواقع يثبت عدم ذلك ،بل الملاحظ ارتفاع نسبة السمنة في صفوف الشباب ، ( إحدى الدراسات أظهرت أن 52% من البالغين في المملكة يعانون من البدانة، ويعاني منها أيضا 18% من المراهقين و15% من الأطفال دون سن المدرسة!!!) ([11][11]). وأي أثر لحصة لا تتجاوز الساعة إلا ربع في الأسبوع الواحد ؛ في الحد من هذه السمنة .

ثانياً : مسيرة التعليم في هذه البلاد وضعت قبل ما يزيد على خمسين عاما ، وهذا الارتفاع في ظاهرة السمنة لم تظهر إلا في الآونة الأخيرة مما يدل على أن الخطة الدراسية لمدارس التعليم لا علاقة لها بارتفاع هذه النسبة .

ثالثاً : إن من أسباب ظهور حالات السمنة هي :

. وجود الخادمات في المنزل مما سبب الخمول والكسل عند الكثير من الفتيات .

. كثرة تناول الطعام ؛ يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه ، فإذا كان لا محالة فاعلا ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » رواه أحمد ([12][12])

رابعاً : يمكن أن تمارس المرأة الرياضة في بيتها وقد أجرت مجلة أسرتنا في عدد (40) استفتاء جاء فيه :

ـ ما رأيك : إذا كانت المرأة حريصة على الرياضة فهل يمكنها ممارستها في بيتها بنجاح ؟ فأجاب 91% بنعم ، و7% لا ، 2% ربما .

فيمكن للمرأة التي تعاني من هذه السمنة أن تمارس الرياضة في بيتها .
```

خامساً : هل هناك دراسات تثبت حالة ارتفاع السمنة بين الطالبات ؛ فهذه دعوى مجردة والدعاوى إن لم يقيموا عليها بينات أصحابها أدعياء .

الفصل الثاني

المفاسد المتوقعة على حصة التربية البدنية

هناك مفاسد عديدة من جملتها :

1 . خلع ملابسها في المدرسة ولبسها لملابس الرياضة وهذا يخالف ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله : « ما من امرأة تخلع ثيابها في غير بيتها إلا هتكت ما بينها وبين الله تعالى »رواه أبو داود ([13][13]).وكون المرأة تهتك ما بينها وبين الله تعالى ليس ذلك بالأمر الهين ولا بالأمر الذي يليق بأي أحد أن يستهين به .

2 . قد تسبب زوال أو ضعف الحياء لدى الطالبة ، خاصة وهي تلبس تلك الملابس أمام زميلاتها وجمال المرأة هو في حيائها .

3 . قد تكون هذه الحصة عاملا مساعدا في انتشار ظاهرة الإعجاب المتزايدة في مدارس البنات ، خاصة وهي ترى زميلاتها التي تعجب بها بتلك الملابس الجميلة ، والقوام الجذاب فتزداد الفتنة فتنة والبلاء بلاءا .

4 . من المعلوم أنه لن يشارك جميع الطالبات في ممارسة الرياضة كما هو الحاصل عند الطلاب مما يساعد على كثرة الأحاديث الجانبية بين الطالبات وربما دارت أحاديث الإغراء والفساد وترويج لبعض الأفكار والأرقام والتشجيع عليها في تلك الفترة والتي لا يمكن للمدربة أن تراقب الجميع .

5 . إن اعتماد مادة التربية البدنية في مدارس البنات هو البذرة الأولى للمشروع الرياضي النسائي الكبير ، على غرار المجتمعات الغربية ،والعربية المتغربة ، إذ سيتبع ذلك وبشكل متسارع الرياضة في التعليم العالي ، حيث تفتح التخصصات والكليات التي تعنى بتخريج المدربات والمعلمات للرياضة البدنية وغير البدنية ، ثم يتبع ذلك إقامة البطولات المدرسية والجامعية ..وبهذا نعلم أن ذلك المدخل ليس المراد به تنشيط أبدان الفتيات وتحصيل البنية الصحيحة لهن ، ولكنه سيخرج عن نطاقه ، كما خرج في مجالات أخرى .

6 . الاسترجال ؛ فدخول حصة التربية البدنية قد يفقد الفتاة أنوثتها ورقتها ويميل بها إلى الصلابة وطبيعة الرجال ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :« لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال ، والمترجلات من النساء » ([14][14]) والمترجلات من النساء يعني اللاتي يتشبهن بالرجال في زيِّهم وهيئتهم فأما في العلم والرأي فمحمود . وقد (أكد استفتاء أمريكي أجري في ست ولايات أن 34 % من الفتيات والنساء لا يفضلن ممارسة الرياضة بشكل منتظم اعتقاداً منهن أنها تؤثر على أنوثتهن ، وتؤكد التقارير الصحية أن أعمال المنزل العادية أفضل أنواع الرياضة التي تناسب تكوين المرأة)([15][15])

7 . من سيتولى تدريب الطالبات ؟ هل ستكون من أهل هذا البلد ؟ وإن كان كذلك ؛ فما مدى خبرتها ؟!!وهل عندنا العدد الكافي للقيام بهذه المهمة ؟!! وإن كانت من بلد آخر فما مدى تمسكها بآداب الإسلام وشعائره خاصة ونحن ندرك وضع المجتمعات الأخرى ومدى التساهل في قضية العورات وكشفها فهل من الأمانة أن يتولى بنات المسلمين أمثال تلك النسوة ؟!!

8 . إرهاق أولياء الأمور بالمصروفات المالية ، فالفتاة تحتاج إلى ملابس رياضية والأبناء كذلك ،علما أن الفتاة شديدة الاهتمام بلباسها ومظهرها ، وحالة الناس اليوم إلى الضعف والفقر أقرب منها إلى حالة الغنى واليسر .

9- توسع الفتيات في ممارسة الرياضة يسبب لهن عواقب سيئة على صحتهن ؛ يتمثل باضطراب الحيض ونقص الخصوبة ، كما يؤثر على كثافة العظام ([16][16]). وهذا أمر متوقع إذا بدأت النواة في حصة التربية البدنية أن يكون من فتياتنا من تهتم بهذا الأمر اهتماماً بالغاً حتى يصيبها ما ذكره الأطباء آنفاً .

10. قد تصور الفتاة وهي بلباس الرياضة أو أحيانا وهي تنزع لباسها لتلبس ملابس الرياضة وآلات التصوير في هذا الوقت تعددت فيمكن أن تلتقط الصورة من خلال جهاز الجوال دون أن تعلم الفتاة ، وكم سيحدث من ضياع أعراض بسبب هذه الصورة؟وربما مورس مع الفتاة المصورة الضغط عليها لتخرج مع شاب أو تفضح بهذه الصورة نسأل الله تعالى السلامة والعافية .

11 . لبس الطالبة لملابس ضيقة أو شفافة أو قصيرة ؛ مما يتحقق عليها الوعيد الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صنفان من أهل النار لم أرهما ..وذكر : « ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رؤسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » ([17][17][])

12 . قد تصاب الطالبة بالعين ، فقد تكون رشيقة البدن ، جميلة المنظر ، فإذا رأتها غيرها قد تصيبها بالعين ، والعين حق ، وهذا أمر لا يقلل من شأنه ، ولا يستهان بأمره (أخرج البزار من حديث جابر بسند حسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أكثر من يموت من أمتي بعد قضاء الله وقدره بالأنفس » قال الراوي :يعني بالعين) ([18][18][]).

13 . إرسال بعثات إلى خارج البلاد إما للتدريب أو للمباريات أو لغير ذلك كما هو الحاصل في الدول العربية الأخرى ، فيحصل في ذلك الإخلال بقضية السفر بلا محرم ، إضف إلى ذلك الاختلاط مع الرجال الأجانب والذي جاءت النصوص الكثيرة ببيان حرمته .

14 . إرهاق ميزانية الدولة دون أن يكون له الأثر الكبير ، فستنفق أموال على المدربات وعلى أدوات الرياضة وعلى تهيئة المدارس لممارسة مختلف أنواع الرياضة ونحوها من العقبات الموجودة الآن فهل تستحق كل هذه الأموال لتنفق في أمر نرى الآن في مدارس الطلاب عدم جدواه على أبنائنا ؟!!

ثم أليس هناك ما هو أهم من هذه المادة ؟ فهل وفرت الوزارة الوسائل التعليمية للطالبات ؟!! وهل استغنت عن المدارس المتهالكة ؟!! وهل فكرت الوزارة في كيفية تطبيق هذه المادة في المدارس المستأجرة ؟!! وهل بنات المسلمين في مأمن من أن يطلع عليهن أحد في تلك المباني أو أن هذا الأمر ليس له كبير اهتمام ؟!!

• واقع مؤلم :

لقد سبقت هذه البلاد بلاد أخرى في إدخال التربية البدنية في مدارس البنات ، وحصل فيها من الصور المؤلمة ، والأحداث المؤسفة ، ما يتفطر له قلب الغيور ، ويعلم علما يقينيا أننا لسنا بمعزل عن هذا الواقع ، وأن تلك المجتمعات ربما جاءتها

وعود بعدم حصول تلك المخاطر ولكنها وقعت وحصلت ، خاصة إذا علمنا أن ما نتحدث عنه الآن تطالب به المنظمات الغربية والتي تدعو إلى المساواة بين الرجل والمرأة ،فهل نتصور أنهم سيقفون عند حد إدخال هذه المادة لتؤدى الطالبات تمارين سويدية فقط ؟!! أم سيتطور الأمر إلى وجود مباريات وتصفيات وأندية ومنتخبات. فنسأل الله تعالى أن يكفينا إياهم بما يشاء ؟!

الواقع يثبت أنهم لن يكتفوا بإدخال التربية البدنية في المدارس فقط وإليك نموذج على ذلك : ذكر الأديب الكبير علي الطنطاوي في ذكرياته (270/8) أنه سبق أن درس في مدارس البنات في بداية تعليم الرجال للنساء ..وفي ذات يوم حصل له موقف قال فيه : (..حتى سمعت يوماً وأنا ألقي درسي أصواتاً ألتفت بلا شعور إلى مصدرها ، فإذا أربعون من الطالبات في درس الرياضة وهن يلبسن فيه ما لا يكاد يستر من نصفهن الأدنى إلا أيسره ، وكن في وضع لا أحب ولا أستجيز أن أصفه فهو أفظع من أن يوصف ..)

. وقال أيضا في ذكرياته (5/ 227–226): (سمعت مرة صوتاً من ساحة المدرسة ، فتلفت أنظر من النافذة ، فرأيت مشهداً ما كنت أتصور أن يكون في ملهى ، فضلاً عن المدرسة ، وهو أن طالبات أحد الفصول ، وكلهن كبيرات بالغات ، قد استلقين على ظهورهن في درس الرياضة ورفعن أرجلهن ، حتى بدت أفخاذهن عن آخرها ..).

وأما عن واقع التربية البدنية للنساء في العراق :

فيقول صاحب كتاب (الأسس الحديثة للتربية الرياضية النسوية) : (بعض المنجزات الرياضية للمرأة العراقية بعد ثورة 17 . 30 تموز :

يمكن تلخيص أهم المنجزات الرياضية ..بالنقاط التالية :

1 . إرسال الفتيات إلى الخارج للتدريب والتعليم ضمن البعثات وتشجيعهن للتخصص في مجال التربية الرياضية .

2 . دعم المرأة في ممارسة أنواع وفعاليات التربية الرياضية كافة من خلال المشاركة في التدريبات والمسابقات جنبا إلى جنب الرجل .

3 . مشاركة الطالبات في المدارس والجامعات في درس التربية الرياضية في المسابقات والفرق الرياضية المختلفة إلى جانب المشاركة في العروض والمهرجانات الرياضية المدرسية والجامعية.

4 . تأثير كليات الرياضية وأقسامها في القطر حيث إن الفتاة العراقية تدرس في هذه الكليات جنبا إلى جنب مع الفتيان للتخصص بالتربية الرياضية .

5 . المشاركة في الاتحادات الرياضية وحتى في تركيب اللجنة الأولمبية لقيادة الحركة الرياضية في القطر إلى جانب إخوانهن من الملاكات المتخصصة .) (1)

وهذا الواقع الذي يتحدث عنه ليس موجودا في بلد بعينه بل كل البلاد التي أدخلت هذه المادة يحصل فيها مثل ما ذكر وأكثر ، ويكفي في بيان ذلك أن تتابع ما تنشره الصحف فتعلم عاقبة التساهل في إدخال هذه المادة في مناهج البنات .

الفصل الثالث

البدائل المناسبة

1. القيام بالأعمال الرياضية المناسبة للمرأة داخل منزلها. والمكتبات الإسلامية تزخر بالكتب التي يمكن الاستفادة منها في بعض التمارين الرياضية المهمة للمرأة ([19][19]).

مع العلم أن المرأة مطالبة بأعمال كثيرة جدا في بيتها قد تأخذ وقتها كاملا، ومن العجيب أن عمل المرأة في بيتها يصنف في ضمن الأعمال الشاقة فهو يتطلب مجهودا كبيرا ..([20][20]) وهذه الأعمال تعد وسيلة لتفريغ الطاقات الزائدة وقد (أكد فريق من الباحثين الأمريكيين أن الأعمال العادية التي يقوم بها الشخص يوميا في منزلة كالكنس والغسيل والعمل بالحديقة والمشي ..لها فوائد التمارين الرياضية ، فهي تقي من انسداد الشرايين والإصابة بأمراض القلب .)([21][21])

بل إن ممارسة التمرينات الرياضية في المنزل أكثر فائدة منها بالأندية ، وقد (أظهرت دراسة أن ممارسة التمارين الرياضية في المنزل قد يكون أكثر فائدة من التمرين في ناد رياضي . وقد اكتشف الباحثون أن النساء اللواتي يمارسن الرياضة في المنزل يفقدن وزنا أكثر ويصبح شكلهن أحسن من النساء اللواتي يمارسن التمارين في النوادي الخاصة..وقد جاء في الدراسة التي نشرت في مجلة (

الاستشارات) التي تصدر عن الجمعية الأمريكية لعلم النفس أن النساء السمينات الخاملات بوسعهن مباشرة وتنفيذ برنامج للتمارين الأيروبية في المنزل ..وقال العلماء أن الدراسة تحمل أنباء طيبة للنساء اللواتي لا يجدن الوقت الكافي أو يجدن صعوبة في الذهاب إلى الأندية الصحية ، وقال الباحث موئيل سيرز : (لقد أظهر البحث الذي أجريناه أنه على المدى البعيد النساء اللواتي يبدأن ممارسة التمارين الرياضية في أجوائهن المنزلية لكون ذلك يناسبهن أكثرهن أكثر احتمالا للاستمرار ببرنامج التمارين والمحافظة على خفة الوزن ، من اللواتي يتجهن إلى الأندية الرياضية) وقد تناولت الدراسة التي أجراها الباحثون في جامعة فلوريدا (49) امرأة سمينة وغير نشطة بحدود (190) رطلا و (49) سنة من العمر ، وطلب من النساء ممارسة المشي المعتدل لمدة ساعة كل يوم ولخمسة أيام في الأسبوع ، وقدمت للنساء مشورة حول تخفيف الوزن وخطة للحمية الغذائية الوزن وخطة للحمية الغذائية مع التشجيع على المواظبة على التمارين...وتم في الدراسة تقسيم النساء المشاركات إلى مجموعتين تمرن أعضاء المجموعة الأولى على أجهزة المشي في أحد الأندية ، فيما مارس أعضاء المجموعة الثانية بالمشي في الطرق . وبعد ستة أشهر كانت نسبة تخفيف الوزن متساوية تقريبا في المجموعتين وكذلك نسبة المشاركة في التمارين والحالة الصحية العامة .

ولكن بعد مضي سنة كاملة كانت المجموعة التي تمارس التمارين في المنزل متقدمة كثيرا وبعد (15) شهرا كان أعضاء هذه المجموعة قد خففوا وزنهم أكثر بكثير مما خففه أعضاء الفريق الآخر ، حيث بلغ متوسط الخسارة (25) رطلا في المجموعة لأولى و 15 رطلا في الثانية . وبعد 12 شهرا كانت سبع أعضاء قد انسحبن من ممارسة التمارين فيما انسحبت امرأة واحدة من مجموعة التمارين المنزلية . وقال الخبير الفيزيولوجي ريتشارد كوتن الناطق باسم (مجلس الأمريكي للتمارين) إن المغزى القوي للدراسة هو أن ممارسة التمارين في المنزل لها قيمتها فعلا ، وأن الذهاب إلى النادي الرياضي يجده كثيرون غير مناسب) ([22][22])

فهذه دراسات ميدانية حقيقية أجريت على شريحة من المجتمع وتبين من خلالها الحق من الباطل . والحق حق . فكيف إذا شهدت به الأعداء ، ولكن كما قال الله

تعالى : } فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ{ [الحج: من الآية46]

2 . إذا كانت المرأة ترغب في رياضية المشي فيوجد الآن في الأسواق الآت للمشي عليها يمكن للمرأة الاستفادة منها ووضعها في المنزل فتحقق بذلك رغبتها وهي في قعر بيتها بدون مضايقات المعاكسين ولا أضرار الشمس ولا غير ذلك وهي في أثناء ذلك يمكنها أن تستمع إلى شريط هادف فتجمع بذلك بين مصلحتين التربية البدنية والتربية العقلية والنفسية .

3ـ الاستغناء عن الخادمات والقيام بالأعمال المنزلية ومزاولتها لما لها من الأثر الفعال على جسم المرأة كما تقدم إثبات ذلك من خلال الدراسات التي أجريت .

4 . الاعتدال في الطعام والشراب فتصيب منهما ما تقيم به صلبها ، ويحفظ عليها صحتها ونشاطها ولياقة جسمها ، مستهدية بقول الله تعالى : } وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ { [الأعراف :31] وبقول النبي r وهديه في الاعتدال بالطعام والشراب : : « ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه ، فإذا كان لا محالة فاعلا ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » رواه أحمد ([23][23]) وبقول عمر رضي الله عنه : (إياكم والبطنة في الطعام والشراب ، فإنها مفسدة للجسد ، مورثة للسقم ، مكسلة عن الصلاة ، وعليكم بالقصد فيهما ، فإنه أصلح للجسد ، وأبعد عن السرف ، وإن الله تعالى ليبغض الحبر السمين ، وإن الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه ") ([24][24])

5 . لمزاولة رياضة المشي يمكن أن تزاولها في منزلها . إن كان متسعاً . فإن لم يكن كذلك فيمكن مزاولتها في المنتزهات البرية البعيدة عن المدينة ، والبعيدة عن مضايقة الفضوليين.

6 . المواظبة على صيام النوافل إذا كانت بلا زوج ، وإذا كانت ذات زوج فلا تصوم وهو شاهد إلا بإذنه .

7 . الصلاة ؛ فكما أنها عبادة فهي تعد كما ذكره أهل الاختصاص رياضة نافعة للإنسان ، فالمرأة إذا أدت هذه العبادة جمعت بين الحسنيين [25][25].

الفصل الرابع

الحكم الشرعي لإدخال التربية البدنية

إذا علم ما تقدم تبين أن إدخال مادة التربية البدنية في مدارس البنات لا يجوز لما يلي :

1. روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صنفان من أهل النار لم أرهما ..وذكر : « ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رؤسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا »([26][26])

ووجه الدلالة من الحديث : أن الفتيات في حصة التربية البدنية سيرتدين ملابس إما أن تكون ضيقة تحدد حجم الأعضاء أو تكون قصيرة أو شفافة فتدخل في هذا الوعيد الشديد الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ،والواقع الموجود في بعض الأندية القائمة في بعض المستشفيات والمراكز الطبية ومشاغل الخياطة ([27][27]) ونحوها تؤكد هذه القضية ، ففي مجلة أسرتنا عدد (40) ص 36 : تقول : (أقولها بصراحة متناهية وبلا تردد أن أسوء ما في تلك الأندية هو اللباس الذي ترتديه عاملات وعضوات النادي ، فهو في أبسط صورة : عار للغاية ، وهي صفة عامة لكل الموجودات ، بنطلونات ضيقة وخفيفة وبلايز عارية وضيقة كذلك ، أما في المسابح والسونا فالأمر أشد وطأة ، غياب تام ..تام ..تام للحياء والستر ..!! كل شيء باللباس يشير إلى الاشمئزاز ويستفز النفس السوية ويخدش الحياء !! لا أخفيكم سرا أنني في بدء جولتي الميدانية دخلت ناديا وشاهدت منظر النساء وهن يسبحن فلم أستطع إكمال الجولة بنفس اليوم لعظم ما رأيت !!!! ومما يحز في النفس .. أن بعضها تضع لوحات تؤكد على مسألة الاحتشام والالتزام بالستر داخل النادي ، فإذا دخلت علمت أن القضية مجرد تغطية وتضليل ليس إلا ..فالكلام في واد والواقع في واد بعيد كل البعد .) يقول الإمام النووي رحمه الله : (هذا الحديث من معجزات النبوة ، فقد وقع هذان الصنفان وهما موجودان ، وفيه ذم هذين الصنفين ، قيل معناه : كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها ، وقيل معناه تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهارا لحالها ونحوه . وقيل معناه تلبس ثوبا رقيقا يصف لون بدنها . وأما (مائلات) فقيل معناه عن طاعة الله وما يلزمهن من حفظه ، (

مميلات) أي يعلمن غيرهن فعلهن المذموم . وقيل (مائلات) يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن . وقيل (مائلات) يمشطن المشطة المائلة وهي مشطة البغايا . (مميلات) يمشطن غيرهن تلك المشطة . ومعنى رؤسهن كأسنمة البخت : أن يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوها.

2 . ما رواه أبو داود عن أبي المليح رحمه الله قال : دخل نسوة من أهل الشام على عائشة رضي الله عنها فقالت : ممن أنتن ؟ قلن من أهل الشام ، قالت : لعلكن من الكورة التي تدخل نساؤها الحمامات ؟ قلن : نعم ، قالت : أما أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من امرأة تخلع ثيابها في غير بيتها إلا هتكت ما بينها وبين الله تعالى »([28][28])

ولا شك أن الطالبة في المدرسة تحتاج إلى نزع ثيابها لأداء الحركات بخفة وسهولة .

3 . حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال ،والمترجلات من النساء"رواه البخاري ([29][29]).

وجه الدلالة من الحديث : أن المرأة التي تمارس أنواع الرياضة الموجودة الآن في العالم العربي والغربي تخالف فطرتها وأنوثتها وتتشبه بالرجال في لباسهم وهيئاتهم وأخلاقهم وتصرفاتهم مما يعني دخولها في هذا الوعيد،قال ابن الأثير:(المترجلات من النساء يعني اللاتي يتشبهن بالرجال في زيِّهم وهيئتهم فأما في العلم والرأي فمحمود) ([30][30])

4 . القاعدة الشرعية تقول : (درء المفسدة الراجحة مقدم على جلب المصلحة المرجوحة) وهي من مقاصد الشريعة ، وصورتها : إذا رجحت المفسدة على المصلحة في الشيء الواحد يجب تقديم درء المفسدة ، وتغليب حكمها على جلب المصلحة ، وهذه القاعدة متفق عليها بين أهل العلم دون خلاف ، والأصل فيها قول الله تعالى :] يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا [[البقرة:219] فالله تعالى ذكر في هذه الآية أن في الخمر منافع إلا إن الحكمة الإلهية والمصالح الشرعية تحرمها ، لأنها تشتمل على مفاسد وآثام أضعاف تلكم المنافع اليسيرة ،ولو سلمنا بوجود مصالح في التربية البدنية للفتيات إلا أننا بالنظر إلى ما يترتب عليها من مفاسد نجده أضعافا مضاعفة بالنسبة لتلكم

المصالح القليلة النسبية التي لا تكاد تذكر ، لأن مفاسدها قد بلغت من الخطورة ما لا ينكره عاقل ممن يستطيع أن يفرق بين التمرة والجمرة !! خاصة مع وجود البدائل المناسبة .

5 . ومن الأدلة قاعدة (سد الذرائع) وقد أجمعت الأمة على سد الذرائع ، والذريعة ما أفضى إلى الحرام ، وكذلك ما كان مظنة للحرام ، ودليلها قوله تعالى :] وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّواْ اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ[[الأنعام :108] فمنع من سب الأصنام عند من يعلم أنه يسب الله تعالى حينئذ ، وقد استدل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على سد الذرائع بـ أربعة وعشرين وجهاً ([31][31])، وكذا ابن القيم رحمه الله بتسعة وتسعين دليلا([32][32]) ، وكذا نقل الإجماع عليها الإمام الشاطبي([33][33]) وغيره من أهل العلم .

ولا يخفى ما عليه واقع التربية البدنية في المجتمعات المسلمة ولذا يقال بالمنع سداً للذريعة المفضية إلى الحرام ..فمن يضمن أن يتوقف الأمر على هذه الحصة فقط ؟!! ، ومن يضمن أن هذه الحصة خالية من المحاذير الشرعية ؟ ومن يضمن ألا تصور بنات المسلمين وهن يلبسن ملابس الرياضة وتنشر صورهن في مجامع الفجار وأراذل الخلق ؟ وقد جاءت النصوص الشرعية في بيان أن المرأة فتنة للرجل بل هي أضر الفتن ، يقول النبي r :« ما تركت فتنة أضر على الرجال بعدي من النساء » متفق عليه ([34][34]). وقال r : « إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها ، فناظر كيف تعملون ؟ فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء » رواه مسلم ([35][35]).

فإذا ثبت ذلك فإن من الحكمة والتعقل أن يتريث الإنسان فيما يتعلق بقضايا المرأة وأن يتريث فيما يتعلق بها من أحكام سداً لكل ذريعة مفضية للحرام .

6. من القواعد الشرعية قاعدة : (يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام) فيجوز للإمام أن يجبر من أحدث في الطريق العام ما يضره بإزالته وإن كان فيه ضرر عليه دفعاً للضرر العام ، وكذا يقال في مادة التربية البدنية ..يتحمل الضرر الخاص وهو عدم الحركة لدى شريحة محدودة من الطالبات لدفع الضرر العام وهو ما

سيحصل من مفاسد في إقرارها ، علما أنه لن يكون هناك حتى الضرر الخاص لأن الفتاة يمكن أن تمارس الحركة والتمارين المناسبة في بيتها .

الفصل الخامس

شبهات حول الحكم الشرعي

الشبهة الأولى : قولهم (لقد وجه رسولنا عليه الصلاة والسلام تعليم أولاد المسلمين السباحة والرماية وركوب الخيل) ([36][36])

والجواب :

أولاً : الآثار التي تفيد هذا المعنى هي :

أ) ما أخرجه البيهقي في الشعب 401/6 عن أبي رافع أن رسول الله r قال :« حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وأن لا يرزقه إلا طيباً » والحديث ضعيف ،وقد أورده الألباني في ضعيف الجامع الصغير (2732) .

ب) عن بكر بن عبدالله بن الربيع الأنصاري أن رسول الله r قال : « علموا أبناءكم السباحة والرماية ، ونعم لهو المؤمنة في بيتها المغزل ، وإذا دعاك أبواك فأجب أمك » أورده السيوطي في الجامع الصغير (فيض القدير (327/4) وعزاه لابن مندة في المعرفة و رمز له بالحسن والصواب بطلان الحديث كما قال الذهبي في الميزان (231/2) : (خبر باطل) وضعفه العجلوني في كشف الخفاء (68/2) والألباني في ضعيف الجامع (3726)

ج) عن ابن عمر مرفوعا : « علموا أبناءكم السباحة والرمي والمرأة المغزل »رواه البيهقي في الشعب 401/6 وقال : به عبيد العطار منكر الحديث .وقال الألباني في ضعيف الجامع ص546 : ضعيف جدا.

د) عن جابر مرفوعا : « علموا بنيكم الرمي فإنه نكاية العدو » رواه الديلمي في مسنده ، قال الألباني في ضعيف الجامع ص546 : موضوع .

هـ) عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال عمر إلى أبي عبيد أن علموا صبيانكم العوم ، ومقاتلتكم الرمي ..» الحديث رواه ابن حبان (401/13) ورقمه (6037) وصححه وحسنه الأرنؤوط

ثانياً : من خلال هذا العرض السريع للآثار تبين :

أ . ضعف ما رفع إلى النبي r ولم يصح منها شيئا .
ب . صحة ما ورد عن عمر رضي الله عنه وهو موقوف عليه.
ج . لو سلمنا صحة الأحاديث فإننا لا نسلم صحة الاستدلال بها لأن كلام النبي r موجه إلى الأبناء دون البنات فقال :« علموا أبناءكم » والابن يراد به الذكر ومما يؤكد ذلك قوله في عقب الحديث : « ونعم لهو المؤمنة في بيتها المغزل » وهكذا الآثار الباقية . لكن قد يعكر على هذا الاستدلال الحديث الأول لأن الولد يشمل الذكر والأنثى ، فيجاب عن ذلك : بأنه يجب حمل المطلق الذي هو (أولادكم) على المقيد الذي هو (أبناءكم) حسب القاعدة الأصولية المشهورة ، كما يؤكد ذلك تفسير عمر رضي الله عنه السابق في قوله (صبيانكم) وأيضا يؤكد ذلك واقع سلف الأمة الذين عرف عنهم شدة تمسكهم واتباعهم .
د . نحن لا نمانع أن تتعلم المرأة السباحة والرماية ونحوها مما يفيد إذا تولى هذا الأمر محرمها ؛ فإن كلام عمر رضي الله عنه . المتقدم . كان موجها إلى أولياء الأمور من آباء وأمهات فكل هذه الأمور مما يحتاجه الجميع ، ولكن يمكن أن تتعلمه المرأة بدون أن نحتاج إلى إدخال هذه المادة في مدارس البنات كما ذكرناه في البدائل.
الشبهة الثانية : قولهم (ورد عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فسابقته فسبقته ويمكننا على هذا أن نقيس أن مسابقة في الجري وهو لا شك نوع من الرياضة لم يمنعه أو يحرمه الإسلام للمرأة)([37][37])
والجواب : نعم لم يحرمه الإسلام وهذا باتفاق العلماء إذا كان بلا عوض ،([38][38]) وقبل الخوض في التفاصيل لابد أن نعرف حديث عائشة الذي استدل به صاحب هذه الشبهة :
روى الإمام أحمد في مسنده ([39][39])عن عائشة قالت خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن فقال للناس تقدموا فتقدموا ثم قال لي تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقته فسكت عني حتى إذا حملت

اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس تقدموا فتقدموا ثم قال تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقني فجعل يضحك وهو يقول هذه بتلك "

ومن خلال الحديث تتضح الحقائق التالية :

أولاً : أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لم تسابق إلا زوجها r ولم يثبت أنها سابقت غيره .

ثانياً : أنه r أمر أصحابه أن يتقدموا حتى لا تقع أبصارهم عليهما .ولم يكن هذا الأمر عارضاً إنما كرره r مرة أخرى عندما سابقها ثانية مما يدل على أهمية هذا الأمر و لزومه .

ثالثاً : ليس القصد من هذا السباق هو الرياضة لذاتها ، إنما القصد هو التودد والتحبب بين الزوجين ويدل على ذلك المقصد تكرار الرسول r للسباق مع عائشة عندما حملت اللحم.

رابعاً : لو كان السباق مشروعا أمام الرجال الأجانب لما خُص الرجل بالرَمل في الطواف ،والسعي بقوة في بطن الوادي بين الصفا والمروة ومنعت منه المرأة إبقاء لحشمتها وحفاظا على حجابها ، وانعدام الفائدة منه.

الشبهة الثالثة: قولهم (عند بدء تعليم المرأة في هذه البلاد واجه معارضة حادة من قبل الناس وعندما عرفوا قيمته تسابقوا إليه وسارعوا بتسجيل بناتهم ، وهكذا التربية البدنية)

والجواب :

أولاً : هناك فرق شاسع ،وبون عظيم بين الأمرين فمعارضة الناس في ذلك الوقت للتعليم ليس لذات التعليم وإنما لأنه لم يكن يوجد في العالم الإسلامي آنذاك تعليم سالم من المخالفات الشرعية حتى يجعل قاعدة يقاس عليها ..فحصلت المعارضة بسبب ذلك ، وعندما اكتشف الجميع أن التعليم سيكون بصورة شرعية سارع الجميع لتعليم بناتهم لعلمهم بمدى أهمية العلم ومكانته .

ثانياً :أن معارضة الناس في ذلك الوقت كان له ثمرة عظيمة ، ومنفعة جليلة ..وهي ما تنعم به هذه البلاد من تعليم نفاخر به العالم.. ففي أي دولة في العالم يوجد تعليم

لا اختلاط فيه من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الجامعية ؟!! فاعتراضهم جعلنا ننعم بهذه النعمة التي نحمد الله تعالى عليها ونسأله أن تستمر على ذلك .

ثالثا : أن أفعال الناس ليست بحجة في شرع الله تعالى فكون الناس فعلوا أو تركوا لا يعني ذلك حكماً شرعياً بالحلال أو الحرام ، فالحق ما وافق الكتاب والسنة ،والباطل ما خالفهما ولو اجتمع عليه الناس فإبراهيم عليه السلام سماه الله أمة في قوله تعالى : } إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ{ (النحل:120)

مع أنه وحده عليه السلام لأنه على الحق وقومه على باطل ، ولو أصبحنا ننظر فيما صنع الناس لصنعنا مثلهم لظللنا وانحرفنا ، فكم من الناس من يرتكب المعاصي والذنوب ؟كم الذين لا يشهدون الصلاة جماعة ؟ كم الذين يأكلون الربا ؟ كم الذين يسمعون الغناء ؟ يقول الله تبارك وتعالى } وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ{ (يوسف:103) وقال :} وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ{ (الأنعام: من الآية116) . ولذلك النبي r يربي أصحابه على أن لا يكون الرجل منهم إمعة بل تكون له شخصيته وكيانه وله آراؤه وأفكاره عن حذيفة قال قال رسول الله r : (لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا) رواه الترمذي ([40][40])

ثالثاً : إن أضرار هذه المادة قد بدت لكل حاضر وباد ؛ حيث إن البلاد المجاورة قد سبقتنا إلى هذا البلاء ، وظهر أثرها على أخلاق وسلوكيات النساء مما يجعلنا في غنى عن الدخول في هذا النفق المظلم وكما قيل السعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ غيره به .([41][41])

رابعاً : الاحتجاج بالموقف من تعليم البنات في السابق ثم تسابقهم عليه هو أيضا حجة على الداعين إلى إدخال الرياضة في مناهج البنات ، فنحن نقول إن رفض دخول الرياضة لمدارس البنات واجه معارضة شديدة من بعض الناس وعندما يعرفون قيمة هذا الرفض ويرون فائدته سيؤيدوننا فيه .

إذن هذه الحجة تصلح لكل دعوى حقاً كانت أم باطلاً .

هذا ما تيسر جمعه والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

فتوى

فضيلة الشيخ عبد الكريم الخضير وفقه الله لكل خير.

تناولت وسائل الإعلام في الآونة الأخيرة أن هناك اقتراحاً يهدف إلى دراسة إدخال التربية البدنية في مدارس تعليم البنات بما لا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية.ما حكم إدخال مثل هذه المادة في تعليم البنات؟أرجو التفصيل في هذه المسألة وتحريرها ليتجلى للكثير الحكم وفقكم الله لما يحبه ويرضاه،،، والله يحفظكم ويرعاكم.

الجواب : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإن المطالبة بدراسة إدخال التربية البدنية في مدارس البنات، اتباع لخطوات الشيطان الذي نهينا عنه بقوله تعالى:

)يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ([البقرة:168]، وقوله جل وعلا:) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ([البقرة:208]، وقوله:)وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ([الأنعام:142]، وقوله:) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ([النور: من الآية21]، وقد بيّن الله لنا أتم بيان أن الشيطان لنا عدو وأمرنا أن نتخذه عدواً ،والشيطان حريص على إضلال بني آدم،كما أقسم بعزة الله جل وعلا قائلاً كما ذكره الله عنه:) فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ([صّ: من الآية82]، وإذا رأينا ما فعله الشيطان بالنسبة لهذه الرياضة المزعومة، من إيقاع العداوة والبغضاء ، والصد عن ذكر الله مما لا يخفى على أحد، ويكفينا ما مرت به الدول المجاورة، لما تجاوزوا أمر الله عز وجل واتبعوا خطوات الشيطان، فالخطوة الأولى أن تلعب الرياضة مع الحشمة وفي محيط النساء، ثم تنازلوا عن هذه الشروط شيئاً فشيئاً، إلى أن وصل الحد إلى وضع لا يرضاه مسلم عاقل غيور فضلاً عن متدين، وإذا كان الذكور مطالبين بالإعداد والاستعداد، فالنساء وظيفتهن القرار في البيوت وتربية الأجيال على التدين والخلق والفضائل

والآداب الإسلامية، فالذي لا أشك فيه أن ممارسة الرياضة في المدارس بالنسبة للبنات حرام؛ نظراً لما تجر إليه من مفاسد لا تخفى على ذي لب،ولا تجوز المطالبة بها فضلاً عن إقرارها،

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

[1][1] . انظر : مجلة أقرأ عدد (208) بقلم : الجوهرة العنقري .

[2][2] . مصنف ابن أبي شيبة ورقمه (33653) . وقال في المجمع (323/5) :(رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجالهما رجال الصحيح) .

[3][3] . رواه البخاري ورقمه (2720) .

[4][4] . رواه النسائي ورقمه (2628) .

[5][5] . فتح الباري (89/6) .

[6][6] . أخرجه المروزي في (السنة) ورقمه (123) . قال في المجمع (304/4) : (رواه أبو يعلي (3415، 3416) والبزار (1475) وفيه روح بن المسيب وثقه ابن معين والبزار وضعفه ابن حبان وابن عدي).

[7][7] . رواه مسلم ورقمه (1809) .

[8][8] . انظر : الجزيرة عدد (9727) بقلم عبد الله العجلان ، ونفس الفكرة في مجلة أقرأ عدد (208) بقلم جيهان الحكيم .

[9][9] . انظر سير أعلام النبلاء (78/5) وما بعده .

[10][10] . المجلة العربية . ذو الحجة . 1415هـ

[11][11] . جريدة الرياض ، الخميس 03 شوال 1424العدد 12942

[12][12] . رواه أحمد (132/4) والترمذي (2380) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

[13][13] . رواه أبو داود ورقمه (4010) من حديث عائشة رضي الله عنها .

[14][14] . رواه البخاري (5436) .

[15][15] . انظر : كتاب " دنيا " ص 30 مالك الأحمد .

[16][16] . انظر كلام الدكتورة هناء الزامل في مجلة أسرتنا عدد (40) ص 37 .

[17][17] . رواه مسلم ورقمه (2128) .

[18][18] . فتح الباري (204/10) .

(1) انظر : ص 18 .

[19][19] . ويمكن أن يوزع على الفتيات كتيب صحي يبين لهن التدريبات المهمة التي ينبغي عليهن الحرص عليها في البيت ليكسبن الرشاقة والابتعاد عن الترهل .. ويكون ذلك بإشراف متخصصين وشرعيين .

[20][20] . تأملات في عمل المرأة ص26

[21][21] . مجلة الأسرة عدد50 ص21

[22][22] . جريدة الرياض عدد (10883) .

[23][23] . رواه أحمد (132/4) والترمذي (2380) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

[24][24] . كنزل العمال 433/15) .

[25][25] . انظر : كتاب (الصلاة والرياضة والبدن) تأليف / عدنان الطرشة . ط / المكتب الإسلامي . فقد ذكر حقائق عن هذا الموضوع تهم القارئ الكريم.

[26][26] . رواه مسلم ورقمه (2128) .

[27][27] . هذه داخل بلاد الحرمين والله المستعان .

[28][28] . رواه أبو داود ورقمه (4010) من حديث عائشة رضي الله عنها .

[29][29] . رواه البخاري ورقمه (5436) .

[30][30] . النهاية في غريب الحديث (186/2) .

[31][31] . انظر : الفتاوى الكبرى (256/3) .

[32][32] . انظر : إعلام الموقعين (171.147/3) .

[33][33] . انظر : الموافقات (201.194/4) .

[34][34] . رواه البخاري ورقمه (4808) ومسلم ورقمه (2740) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما .

[35][35] . رواه مسلم ورقمه (2742) .

[36][36] . انظر : مجلة أقرأ عدد (208) .

[37][37] . انظر : مجلة أقرأ (208) .

[38][38] . انظر المسابقات وأحكامها في الشريعة الإسلامية ص 155

[39][39] . رواه أحمد ورقمه (264/6) وإسناده صحيح .

[40][40] . رواه الترمذي ورقمه (2012) و قال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

[41][41] . انظر على سبيل المثال : مجلة (الفرح) عدد (81) فقد بدت صورة الفتيات بملابس رياضية فاضحة ، أضف إلا ذلك الاختلاط الموجود !!! .

===============

فتنة مسايرة الواقع

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فإن من علامة توفيق الله عز وجل لعبده المؤمن أن يرزقه اليقظة في حياته الدنيا ؛ فلا تراه إلا حذراً محاسباً لنفسه خائفاً من أن يزيغ قلبه ، أو تزل قدمه بعد ثبوتها ، وهذا دأبه في ليله ونهاره يفر بدينه من الفتن ، ويجأر إلى ربه عز وجل في دعائه ومناجاته يسأله الثبات والوفاة على الإسلام والسُّنَّة غير مبدل ولا مغير .

وإن خوف المؤمن ليشتد في أزمنة الفتن التي تموج موج البحر والتي يرقق بعضها بعضاً ، وما إدخال زماننا اليوم إلا من هذه الأزمنة العصيبة التي تراكمت فيها الفتن ، وتزينت للناس بلبوسها المزخرف الفاتن ، ولم ينج منها إلا من ثبته الله عز وجل وعصمه . نسأل الله عز وجل أن يجعلنا منهم .

وأجدها فرصة أن أتحدث عن فتنة شديدة تضغط على كثير من الناس فيضعفون أمامها ، ألا وهي فتنة مسايرة الواقع وضغط الفساد ومسايرة العادات ، ومراعاة رضا الناس وسخطهم ، وهي فتنة لا يستهان بها ؛ فلقد سقط فيها كثير من الناس وضعفوا عن مقاومتها ، والموفق من ثبته الله عز وجل كما قال تعالى : (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وفِي الآخِرَةِ) [إبراهيم : 27] .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى عن هذه الآية : (تحت هذه الآية كنز عظيم ، من وفق لمظنته وأحسن استخراجه واقتناءه وأنفق منه فقد غنم ، ومن حرمه فقد حرم) [1] .

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال له ربه تبارك وتعالى : (ولَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً) [الإسراء : 74] فسواه من الناس أحوج إلى التثبيت من ربه تعالى ، وفي هذا تأكيد على أهمية الدعاء وسؤال من بيده التثبيت والتوفيق وهو الله سبحانه وتعالى .

ذكر بعض الصور لفتنة مسايرة الواقع والتقليد الأعمى :

إن فتنة مسايرة الواقع والتأثر بما عليه الناس لتشتد حتى تكون سبباً في الوقوع في الشرك الموجب للخلود في النار عياذاً بالله تعالى؛ وذلك كما هو الحال في شرك المشركين الأولين من قوم نوح وعاد وثمود والذين جاؤوا من بعدهم من مشركي العرب ، فلقد ذكر لنا القرآن الكريم أنهم كانوا يحتجون على أنبيائهم عليهم السلام عندما واجهوهم بالحق ودعوهم إلى التوحيد وترك الشرك بأنهم لم يسمعوا بهذا في آبائهم الأولين ، وكانوا يتواصون باتباع ما وجدوا عليه آباءهم ويحرض بعضهم بعضاً بذلك ويثيرون نعرة الآباء والأجداد بينهم . وسجل الله عز وجل عن قوم نوح عليه الصلاة والسلام قولهم : (مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ) [المؤمنون : 24] . وقال تعالى عن قوم هود : (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وحْدَهُ ونَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) [الأعراف : 70] ، وقال تبارك وتعالى عن قوم صالح : (قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُواً قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) [هود : 62] .

وقال سبحانه وتعالى عن قوم فرعون : (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) [يونس : 78] ، وقال عن مشركي قريش : (وإذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) [البقرة : 170] والآيات في ذلك كثيرة ، والمقصود التنبيه إلى أن تقليد الآباء ومسايرة ما عليه الناس وألفوه لهو من أشد أسباب الوقوع في الكفر والشرك ، وقد بين الحق للناس ؛ ولكن لوجود الهوى وشدة ضغط الواقع وضعف المقاومة يُؤْثِرُ المخذول أن يبقى مع الناس ، ولو كان يعتقد أنهم على باطل وأن ما تركه وأعرض عنه هو الحق المبين ، وإلا فما معنى إصرار أبي طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يموت على عقيدة عبد المطلب الشركية مع قناعته بأن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله والحق معه لولا الهوى ومسايرة ما عليه الآباء وخوفه من مصادمتهم وتضليلهم ؟ نعوذ بالله تعالى من الخذلان .

وإذا جئنا لعصرنا الحاضر وبحثنا عن أسباب ضلال علماء الضلال الذين زينوا للناس الشرك والخرافة والبدع الكفرية رأينا أن من أهم الأسباب مسايرتهم للناس، وميلهم مع الدنيا ومناصبها، وظنهم أنهم بمصادمة الناس سيخسرون دنياهم وجاههم بين الناس، فآثروا الحياة الدنيا على الآخرة، وسايروا الناس مع اعتقادهم ببطلان ما هم عليه، وكذلك الحال في سائر الناس المقلدين لهم في الشرك والخرافة والسحر والشعوذة لو بان لأحدهم الحق فإنه يحتج بما عليه أغلب الناس، فيسير معهم ، ويضعف عن الصمود أمام باطلهم إلا من رحم الله من عباده الذين لا يقدِّمون على مرضاة الله تعالى شيئاً، ولا يتركون الحق لأجل الناس، ولا يسايرونهم على ما هم عليه من ضلال وفساد؛ بل يتذكرون قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (من التمس رضا الله في خط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس في سخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس) [2] .

والأصل في مسايرة الناس على ضلالهم وتنكبهم الحق هو الهوى المتغلب على النفوس بحيث يطمس البصيرة، حتى ترى المتبع لهواه يضحي بروحه في سبيل هواه وباطله وهو يعلم نهايته البائسة ، ومن كانت هذه حاله فلا تنفعه المواعظ ولا الزواجر كما قال الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى : (فكذلك صاحب الهوى إذا ضل قلبه وأُشرب حبه لا تعمل فيه الموعظة ولا يقبل البرهان ولا يكترث بمن خالفه) [3] .

أما ما يتعلق بما دون الكفر من فتنة مسايرة الواقع فهي كثيرة ومتنوعة اليوم بين المسلمين، وهي تتروح بين الفتنة وارتكاب الكبائر أو الصغائر ، أو الترخص في الدين، وتتبع زلات العلماء لتسويغ المخالفات الشرعية الناجمةعن مسايرة الركب وصعوبة الخروج عن المألوف، واتباع الناس إن أحسنوا أو أساؤوا . ومَنْ هذه حاله ينطبق عليه وصف الإمَّعة الذي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه وحذَّر منه ؛ حيث قال : (لا تكونوا إمَّعة تقولون : إن أحسن الناس أحسنَّا، وإن ظلموا ظلمنا ؛ ولكن وطِّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساؤوا فلا تظلموا) [4] .

قال الشارح في تحفة الأحوذي : (الإمعة هو الذي يتابع كل ناعق ويقول لكل أحد أنا معك ؛ لأنه لا رأي له يرجع إليه ، تابعاً لدين غيره بلا رؤية، ولا تحصيل برهان) .

والفتنة بمسايرة الواقع وما اعتاده الناس كثيرة في زماننا اليوم لا يسلم منها إلا من رحم الله عز وجل وجاهد نفسه مجاهدة كبيرة ؛ لأن ضغط الفساد ومكر المفسدين وترويض الناس عليه ردحاً من الزمان جعل القابض على دينه اليوم المستعصي على مسايرة الواقع في جهاد مرير مع نفسه ومع الناس كالقابض على الجمر، ولعل هذا الزمان هو تأويل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر) [5] .

وإن مما يعين العبد على هذه المشقة الشديدة والصبر العظيم هو عظم الأجر الذي يناله هذا القابض على دينه المستعصي على مسايرة الناس وضغط الواقع وما ألفه الناس ، ويكفي في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (فإن من ورائكم أيام الصبر . الصبر فيه مثل قبض على الجمر للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله وزادني غيره قال : يا رسول الله أجر خمسين منهم ؟ قال : أجر خمسين منكم) [6] .

وفيما يلي ذكر بعض الصور لفتنة مسايرة الواقع في زماننا اليوم ، وأخص بها فئة الدعاة وأهل العلم وما يجب أن يحذروه من هذه الفتنة :

إن أهل العلم والدعاة إلى الله عز وجل لمن أشد الناس تعرضاً لفتنة المسايرة ؛ وذلك لكثرة الفساد وتنوعه وتسلط شياطين الإنس والجن على أهل الخير بالإيذاء والوسوسة وتأويل الأمور .. إلخ مما قد يعرض العالم أو الداعية إلى التنازلات والمداهنات إرضاءاً للناس أو اتقاءاً لسخطهم أو رضىً بالأمر الواقع سواء ذلك بتأويل أو بغير تأويل ، وإن سقوط العالِم أو الداعية في هذه الفتنة ليس كسقوط غيره ؛ ذلك أن غيره من عامة الناس لا تتعدى فتنته إلى غيره ، وذلك بخلاف العالم أو الداعية ؛ فإن فتنته تتعدى إلى غيره ؛ لأن الناس يرون فيه القدوة والشرعية .

إن الدعاة إلى الله عز وجل وأهل العلم هم نور المجتمعات وصمام الأمان بإذن الله تعالى فإذا وقع منهم من وقع في مسايرة الواقع والرضا بالأمر الواقع فمَنْ للأمة ينقذها ويرفع الذل عنها ؟ هذا أمر يجب أن يتفطن له كل منتسب إلى الدعوة والعلم ، ويتفقد نفسه ويحاسبها ويسعى لإنجاء نفسه وأهله بادئ ذي بدء حتى يكون لدعوته بعد ذلك أثر على الناس وقبول لها عندهم، أما إذا أهمل الداعية نفسه، وسار مع ما

ألفه الناس وصعب عليه الصمود والصبر فإن الخطر كبير على النفس والأهل والناس من حوله .

إن المطلوب من الداعية والعالِم في مجتمعات المسلمين هو تغيير المجتمعات وتسييرها إلى ما هو أحسن لا مسايرتها ومداهنتها ، فهذه والله هي مهمة الأنبياء والمصلحين من بعدهم ، وهذه هي الحياة السعيدة للعالِم والداعية ، وإلا فلا معنى لحياة الداعية والعالم ولا قيمة لها إذا هو ساير الناس واستسلم لضغوط الواقع وأهواء الناس .

إن العالم والداعية لا قيمة لحياتهما إلا بالدعوة والتغيير للأحسن ، ولا شك أن في ذلك مشقة عظيمة ؛ ولكن العاقبة حميدة بإذن الله تعالى في الدارين لمن صبر وصابر واستعان بالله عز وجل . وفي ذلك يتحدث أحد الدعاة المخلصين عن رجل العقيدة الذي يسعى لتغيير الواقع وتسييره في مرضاة الله عز وجل وليس مسايرته في مرضاة النفس والناس فيقول : (وأهم شيء في الموضوع تكوين رجل العقيدة، ذلك الإنسان الذي تصبح الفكرة همه : تقيمه وتقعده ، ويحلم بها في منامه ، وينطلق في سبيلها في يقظته، وليس لدينا بكل أسف من هذا النوع القوي والعبقري ؛ ولكن لدينا نفوس متألمة متحمسة مستعدة بعض الاستعداد، ولا بد للنجاح من أن ينقلب هؤلاء إلى مُثُلٍ قوية تعي أمرها ، وتكمل نقصها ليتم تحفزها الذي ينطلق من عدم الرضا بالواقع والشعور بالأخطار التي تتعاقب ، وينتهي باستجابة لأمر الله ونداءات الكتاب الحكيم ومراقبة وعد الله ووعيده، والتأسي بسيرة الرسول الكريم عليه صلوات الله وسلامه ولا بد لنا من وصف عاجل وتحديد مجمل لرجل العقيدة .

إن السلوك الأول الفطري الذي يأتي به المخلوق إلى هذه الدنيا هو السلوك الغريزي ، وهذا السلوك يظل لدى الإنسان فعالاً مؤثراً حياة المرء كلها .

وفي مجتمع كمجتمعنا لا يليق بشخص محترم أن يحمل حاجاته إلى منزله مع أن ذلك مما يثاب المرء عليه ، وفي مجتمع كمجتمعنا لا بد من التبذير ولا بد من الترف ؛ فالأرائك في المنزل لا يحسن أن تكون من خشب رخيص وفراش بسيط ؛ بل لا بد من المغالاة بأثمانها فهذا تبذير للأموال ووضعها في غير موضعها والتبذير محرم في عرف الشرع ، ولكن سخط المجتمع أكبر عند بعض الناس من الحلال والحرام

وقد قال عليه الصلاة والسلام : (من أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس) [7] .

ويتحكم المجتمع في الأزياء تحكُّماً يقارب عبادة الوثن .

كثيرون أولئك الذين يعيشون من أجل رضا الناس والخوف من سخطهم ، لا يستطيعون التفلت من هذه القيود حياتهم كلها ، وهذا المستوى يرتبط بالمستوى الغريزي الأول ؛ ذلك أن الإنسان اجتماعي بفطرته يعيش مع الناس ويحرص على رضاهم .

وقليلٌ أولئك الذين يستطيعون أن يتجاوزوا هذا المستوى، يتخطونه إلى مستوى أعلى هو مستوى العقيدة، فيعيشون لعقيدة ويمضون في سلوكهم بما تملي به عليهم عقيدتهم سواء سخط الناس أم رضوا ، وليس فوق هذا المستوى حين يندفع المرء بوحي عقيدته وإيمانه غير مبالٍ برضا راضٍ أو سخط ساخط ، ليس فوق هذا المستوى مستوى أرفع منه [8] .

من خلال ما سبق بيانه عن رجل العقيدة ندرك أن أبرز صفاته أنه يعيش لعقيدته ويمضي في سلوكه بما تملي عليه هذه العقيدة غير مبالٍ بسخط الناس ولا رضاهم ولا بعاداتهم وتقاليدهم المحرمة، يغير واقع الناس ولا يسايره، يؤثر فيه ولا يتأثر، هذا ما ينبغي أن يكون عليه رجال العقيدة والدعوة والعلم ، ولكن الناظر اليوم في واقع الأمة وما تعرضت له من التبعية والتقليد والمسايرة يجد أن الصفات المذكورة في رجل العقيدة والمشار إليها سابقاً لا تكاد توجد اليوم إلا في فئة قليلة من الداعين إلى الله عز وجل نسأل الله عز وجل أن يبارك في أعمالهم وأوقاتهم ، أما السواد الأعظم فقد تأثر بشكل أو بآخر بفتنة مسايرة الواقع، ما بين مقل ومكثر وما أبرئ نفسي .

ومن صور هذه الفتنة التي يجب أن يحذرها المسلمون عامة والمصلحون وأهل العلم خاصة ما يلي :

1- مسايرة الواقع وما ألفه الناس من عادات اجتماعية وأسرية

وذلك أنه قد ظهرت في حياة الناس ومن سنوات عديدة كثير من العادات والممارسات الاجتماعية المخالفة للشريعة والمروءة بفعل الانفتاح على حياة الغرب الكافر وإجلاب الإعلام الآثم على تزيينها للناس فوافقت قلوباً خاوية من الإيمان

فتمكنت منها وأُشربت حبها وكانت في أول الأمر غريبة ومستنكرة ،ولكن النفوس ألفتها وسكنت إليها مع مرور الوقت وشدة الترويض وقلة الوازع ، ومن أبرز هذه العادات والممارسات :

ما انتشر في بيوت كثير من المسلمين اليوم من الخدم والخادمات حتى صار أمراً مألوفاً وصلت فتنته إلى بيوت بعض الدعاة وأهل العلم ، مع أن بعض هؤلاء الخدم كفرة أو فَسَقَة ، وأكثر الخادمات هن بلا محارم ، وخضع الناس للأمر الواقع ، وأصبحت ترى من ابتُلي بهذا الأمر يتعامل مع الخادمات وكأنهن إماء غير حرائر ولا أجنبيات ، يتبرجن أمامه وقد يخلو بهن ، وكذلك الحال مع الخادمين والسائقين ؛ حيث قد ينفردون بالنساء اللاتي يتسامحن بكشف زينتهن أمام هؤلاء الخدم، وكأنهم مما ملكت اليمين ، وكل هذا ويا للأسف بعلم ولي الأمر من زوج أو أب أو أخ ، وإذا نُصح الولي في ذلك قال : نحن نساير الواقع وكل الناس واقعون في هذا ، ومن الصعب مقاومة ضغط الأهل والأولاد ومطالبهم وإلحاحهم على مسايرة أقاربهم وجيرانهم ! !

ما انتشر في بيوت كثير من المسلمين من أدوات اللهو والأجهزة الجالبة للفساد كالتلفاز وغيره، وكذلك ما امتلأت به البيوت من صور ذوات الأرواح من غير ضرورة حتى أصبحت هذه المقتنيات أمراً مألوفاً لا يمكن الانفكاك عنه، ومن ينكره من أولياء الأمور يعترف بضعفه أمام رغبات الزوجة والأولاد وسخط المجتمع من حوله ، فيستسلم لمثل هذه المنكرات مسايرة للواقع وإرضاءاً للناس الذين لن يُغْنوا عنه من الله شيئاً، وكفى بذلك فتنة .

ما ظهر في السنوات الأخيرة في بعض الدول من انتشار قصور الأفراح والفنادق وما يحصل فيها من منكرات وبخاصة في أوساط النساء كالتبرج الفاضح والغناء المحرم المصحوب بأصوات النساء المرتفعة ، ناهيك عن المفاخرة والمباهاة في الملابس والمآكل ... إلخ . ومع ذلك فلقد أصبحت أمراً مألوفاً يُشَنَّع على من يخرج عليه أو يرفضه ويقاطعه ، حتى أصبح كثير من الناس أسيراً لهذه العادات مسايراً للناس في ذلك إرضاءاً لهم أو اتقاءاً لسخطهم .

مسايرة النساء في لباسهن وتقليدهن لعادات الغرب الكافر في اللباس والأزياء وصرعات الموضات وأدوات التجميل حتى أصبح أمراً مألوفاً لم ينج منه إلا أقل القليل ممن رحم الله عز وجل من النساء الصالحات المتربيات في منابت صالحة تجعل رضا الله عز وجل فوق رضا المخلوق، أما أكثر الناس فقد سقط في هذه الفتنة فانهزمت المرأة أمام ضغط الواقع الشديد ، وتلا ذلك انهزام وليها أمام رغبة موليته، واستسلم هو الآخر ، وساير في ذلك مع من ساير حتى صرنا نرى أكثر نساء المسلمين على هيئة في اللباس والموضات ينكرها الشرع والعقل وتنكرها المروءة والغيرة ، وكأن الأمر تحول والعياذ بالله تعالى إلى شبه عبودية لبيوت الأزياء ، يصعب الانفكاك عنها .

وعن هذه العادات والتهالك عليها وسقوط كثير من الناس فيها يقول صاحب الظلال رحمه الله تعالى : (هذه العادات والتقاليد التي تكلف الناس العنت الشديد في حياتهم، ثم لا يجدون لأنفسهم منها مفراً .هذه الأزياء والمراسم التي تفرض نفسها على الناس فرضاً، وتكلفهم أحياناً ما لا يطيقون من النفقة، وتأكل حياتهم واهتماماتهم، ثم تفسد أخلاقهم وحياتهم ، ومع ذلك لا يملكون إلا الخضوع لها : أزياء الصباح ، وأزياء بعد الظهر ، وأزياء المساء ، الأزياء القصيرة ، والأزياء الضيقة ، والأزياء المضحكة ! وأنواع الزينة والتجميل والتصفيف إلى آخر هذا الاسترقاق المذلّ : من الذي يصنعه ؟ ومن الذي يقف وراءه ؟ تقف وراءه بيوت الأزياء ، وتقف وراءه شركات الإنتاج ! ويقف وراءه المرابون في بيوت المال والبنوك من الذين يعطون أموالهم للصناعات ليأخذوا هم حصيلة كدها ! ويقف وراءه اليهود الذين يعملون لتدمير البشرية كلها ليحكموها !) [9] .

مسايرة الناس في ما اعتادوه اليوم في التوسع في المساكن والمراكب والمآكل بشكل يتسم بالترف الزائد بل بالمباهاة والمفاخرة حتى ضعف كثير من الناس عن مقاومة هذا الواقع ؛ فراح الكثير منهم يرهق جسده وماله، ويحمِّل نفسه الديون الكبيرة وذلك حتى يساير الناس ويكون مثل فلان وفلان، والمشكل هنا ليس التوسع في المباحات وترفيه النفس ؛ فقد لا يكون بذلك بأس إذا لم يوقع في الحرام ، لكن ضغط الواقع وإرضاء الناس ومسايرة عقول النساء والأطفال يدفع بعض الطيبين إلى تحميل

نفسه من الديون الباهظة وذلك ليكون مثل غيره في المركب أو المسكن ، ولن ينفعه مسايرة الناس من الأقارب والأباعد شيئاً إذا حضره الموت وديون الناس على كاهله لم يستطع لها دفعاً .

2- مسايرة الناس فيما يطرحونه من استفتاءات حول بعض المخالفات الشرعية المعاصرة . وذلك من قِبَلِ بعض أهل العلم الذين قد يرون مسايرة الواقع ، ويفتون ببعض الأقوال الشاذة والمهجورة ، أو يحتجون بقواعد الضرورة أو رفع الحرج أو الأخذ بالرخص ... إلخ ، ولا يخفىما في ذلك من السير مع أهواء الناس والرضا بالأمر الواقع ، والتحلل من أحكام الشريعةشيئاً فشيئاً ، والمطلوب من أهل العلم والفتوى في أزمنة الغربة أن يعظُوا الناس ويرشدوهم ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر بدل أن يحسِّنوا لهم الواقع ويسوِّغوا صنيعهم فيه .

يقول الشاطبي رحمه الله تعالى : (المقصد الشرعي مِن وضْع الشريعة هو إخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبداً لله اختياراً كما هو عبد الله اضطراراً) [10]ويقول أيضاً : (إن الترخُّص إذا أُخذ به في موارده على الإطلاق كان ذريعة إلى انحلال عزائم المكلفين في التعبد على الإطلاق، فإذا أخذ بالعزيمة كان حرياً بالثبات في التعبد والأخذ بالحزم فيه ... فإذا اعتاد الترخص صارت كل عزيمة في يده كالشاقَّة الحرجة ،وإذا صارت كذلك لم يقم بها حق قيامها وطلب الطريق إلى الخروج منها) [11] .

وقد لا يكون المفتي قاصداً مسايرة واقع الناس أو الميل مع أهوائهم ؛ لكنه يغفل عن مكر بعض الناس وخداعهم، وذلك في طريقة استفتاءاتهم وصياغتها صياغة تدفع المفتي من أهل العلم إلى إجابته بما يهوى، وعن هذا يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : (يحرم عليه أي على المفتي إذا جاءته مسألة فيها تحايل على إسقاط واجب أو تحليل محرم أو مكر أو خداع أن يعين المستفتي فيها، ويرشده إلى مطلوبه أو يفتيه بالظاهر الذي يتوصل به إلى مقصودة ؛ بل ينبغي له أن يكون بصيراً بمكر الناس وخداعهم وأحوالهم ، ولا ينبغي له أن يحسن الظن بهم ، بل يكون حذراً فطناً فقيهاً بأحوال الناس وأمورهم ، يؤازره فقهه في الشرع ، وإن لم يكن كذلك زاغ وأزاغ ، وكم من مسألة ظاهرها جميل وباطنها مكر وخداع وظلم ! فالغر ينظر إلى ظاهرها

ويقضي بجوازه ، وذو البصيرة ينفذ إلى مقصدها وباطنها، فالأول يروج عليه زغل المسائل كما يروج على الجاهل بالنقد زغل الدراهم ، والثاني يخرج زيفها كما يخرج الناقد زيف النقوذ ، وكم من باطل يخرجه الرجل بحسن لفظه وتنميقه وإبرازه في صورة حق ! وكم من حق يخرجه بتهجينه وسوء تعبيره في صورة باطل ! ومن له أدنى فطنة وخبرة لا يخفى عليه ذلك) [12] .

3- مسايرة واقع الأنظمة ببعض التنازلات التي تضر بالدعوة وأهلها :

وهذا من أخطر ما يتعرض له أهل الدعوة والعلم والإصلاح، وبخاصة حينما يكثر الفساد وتشتد وطأته على الناس ويبطؤ نصر الله عز وجل ويتسلط الظالمون على عباد الله المصلحين ، حينئذ يجتهد بعض المهتمين بالدعوة والإصلاح ، ويظهر لهم أن التقارب مع أرباب الأنظمة والسلطان والالتقاء معهم في منتصف الطريق قد يكون فيه مصلحة للدعوة وتخفيف شر عن المسلمين ، وكل ما في الأمر بعض التنازلات القليلة التي يتمخض عنها بزعمهم مصالح كبيرة ! ! وليس المقام هنا مقام الرد والمناقشات لهذه الاجتهادات، فيكفي في فشلها وخطورتها نتائجها التي نسمعها ونراها عند من خاضوا هذه التنازلات ورضوا بالأمر الواقع ؛ فلا مصلحة ظاهرة حققوها بتنازلاتهم، ولا مفسدة قائمة أزالوها؛ ولقد حذَّر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم عن الركون للظالمين المفسدين أشد التحذير ؛ وذلك في قوله تعالى : (وإن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَذِي أَوْحَيْنَا إلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وإذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً * ولَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً * إذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وضِعْفَ المَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً) [الإسراء : 73 - 75] .

يعدد السياق محاولات المشركين مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأولها :

محاولة فتنته عما أوحى الله إليه ، ليفتري عليه غيره ، وهو الصادق الأمين .

لقد حاولوا هذه المحاولة في صور شتى منها : مساومتهم له أن يعبدوا إلهه في مقابل أن يترك التنديد بآلهتهم وما كان عليه آباؤهم ، ومنها :

مساومة بعضهم له أن يجعل أرضهم حراماً كالبيت العتيق الذي حرمه الله ،

ومنها : طلب بعض الكبراء أن يجعل لهم مجلساً غير مجلس الفقراء .

والنص يشير إلى هذه المحاولات ولا يفصِّلها ، ليذكِّر بفضل الله على الرسول صلى الله عليه وسلم في تثبيته على الحق ، وعصمته من الفتنة . ولو تخلى عنه تثبيت الله وعصمته لركن إليهم فاتخذوه خليلاً ، وللقي عاقبة الركون إلى فتنة المشركين هذه ، وهي مضاعفة العذاب في الحياة والممات دون أن يجد له نصيراً منهم يعصمه من الله .

هذه المحاولات التي عصم الله منها رسوله هي محاولات أصحاب السلطان مع أصحاب الدعوات دائماً ، محاولة إغرائهم لينحرفوا ولو قليلاً عن استقامة الدعوة وصلابتها ، ويرضوا بالحلول الوسط التي يغرونهم بها في مقابل مغانم كثيرة ، ومن حملة الدعوات من يفتن بهذا عن دعوته ؛ لأنه يرى الأمر هيناً ؛ فأصحاب السلطان لا يطلبون منه أن يترك دعوته كلية ، إنما هم يطلبون تعديلات طفيفة ليلتقي الطرفان في منتصف الطريق .

وقد يدخل الشيطان على حامل الدعوة من هذه الثغرة ، فيتصور أن خير الدعوة في كسب أصحاب السلطان إليها ولو بالتنازل عن جانب منها ! ولكن الانحراف الطفيف في أول الطريق ينتهي إلى الانحراف الكامل في نهاية الطريق ، وصاحب الدعوة الذي يقبل التسليم في جزء منها ولو يسيراً ، وفي إغفال طرف منها ولو ضئيلاً، لا يملك أن يقف عند الذي سلم به أول مرة ؛ لأن استعداده للتسليم يتزايد كلما رجع خطوة إلى الوراء ! [13] .

4- مسايرة ركب الغرب في بعض ميادين من قِبَلِ دعاة العصرانية من أبناء المسلمين :

إن الحديث عن العصرانية والعصرانيين يطول ويطول [14] ولكن يكفي أن نذكر هنا ما يتعلق بموضوعنا وهو الحديث عن فتنة المسايرة ولا أحسب العصرانيين من بني قومنا إلا وقد ركسوا في هذه الفتنة وظهرت عليهم في أجلى صورها، وهم لا يعترفون بأنها مسايرة ؛ ولكنهم يسمونها تجديداً وتطويراً يناسب العصر ، وتحت هذا المسمى يقضون على كثير من الثوابت الشرعية ويتحللون من شرع الله عز وجل باسم التطوير وهو في الحقيقة مسايرة للواقع الغربي وتقليد أعمى وانبهار بإنجازاته المادية بل الهزيمة النفسية أمامه ؛ والغريب في أمر هؤلاء أنهم يرفضون التقليد ويشنعون

على من يقلد سلف الأمة ويتبعهم ، وعلى من يبقى على الموروث لا يتجاوزه ولا يطوره ، ثم هم في الوقت نفسه يسقطون في تقليد الغرب ومحاكاته بصورة لا تدع مجالاً للريب والشك ؛ وهم الذين يتشدقون بالعقلانية ورفض التقليد ! ! ويعرِّف الدكتور الزنيدي العصرانية بقوله : (هي التأقلم مع المعطيات الاجتماعية والعلمية المتجددة في كل عصر، وربط الإنسان في فرديته وجماعيته بها في دائرة التصور البشري) [15] .

ويتحدث الأستاذ محمد حامد الناصر عن بعض شذوذات العصرانيين في ميادين الفقه فيقول : (لقد خرج العصرانيون علينا بفقه غريب شاذ يريد تسويغ الواقع المعاصر لإدخال كثير من القيم الغربية في دائرة الإسلام ؛ ذلك أن موقفهم من النصوص الشرعية عجيب ؛ فإذا كانت الآية واضحة الدلالة والأحاديث النبوية المتواترة قالوا : إن هذه النصوص كانت لمناسبات تاريخية لا تصلح لعصرنا الحاضر، وإذا كانت أحاديث آحاد قالوا لا يؤخذ من خبر الآحاد تشريع ولا تبنى عليه عقيدة ، أو ألغوا بعض الأحاديث الصحيحة بحجة أنها سُنَّة غير تشريعية ،ثم يتهمون الفقهاء بالجمود وضيق الأفق ! !

إن هذه التجاوزات لو أخذ بها لن تترك من ثوابت الإسلام إلا وحاولت مسخه أو تشويهه .

ومن شذوذاتهم :

1- رفضهم تطبيق الحدود التي فيها رجم أو قتل أو قطع عضو إلا بعد الإصرار والمعاودة والتكرار ، ويأتون بِشُبَهٍ من هنا وهناك .

2- إباحتهم الربا في البنوك بحجة الحفاظ على اقتصاد البلاد وأن الربا المحرم عندهم هو الربح المركب .

3 – موقفهم من المرأة ، والدعوة إلى تحريرها بزعمهم ، ودعوتهم لها إلى محاكاة المرأة الغربية في عاداتها، وإلى الثورة على الحجاب الشرعي وتعدد الزوجات ، يقول محمد عمارة : (إن تعدد الزوجات وتتابع الزواج واتخاذ السراري والجواري من سمات عصر الإقطاع والدولة الإقطاعية) والترابي يقصر الحجاب على نساء النبي صلى

الله عليه وسلم ، ثم راحوا يسوغون الاختلاط بين الرجال والنساء بعد أن زينوا للمرأة الخروج من بيتها .

5- أحكام أهل الذمة :

كما يرى العصرانيون أن أحكام أهل الذمة كانت لعصر غير عصرنا وهي الآن لا تناسب عصرنا ! !) [16] .

ولكن الأستاذ الناصر يوضح مفهومهم للتجديد والتطوير قائلاً : (إن مزاعم التجديد التي رفع هؤلاء لواءها كشفت الحقيقة جلية وهي أن التجديد لديهم يعني تطوير الدين على طريقة عصرنة الدين عند اليهود والنصارى) .

ولذلك فإن التجديد عندهم يعني : هدم العلوم المعيارية : أي علوم التفسير المأثور وأصوله ، وعلم أصول الفقه ، وعلم مصطلح الحديث .

ويعني : رفض الأحاديث الصحيحة جزئياً أو كلياً بحجة ضرورة ملاءمتها لعقولهم ولمصلحة الأمة، وظروف العصر الحاضر .

ويعني : رفض السنة غير التشريعية أي : فيما يخص شؤون الحكم والسياسة وأمور الحياة والمجتمع عموماً .

التجديد عندهم يعني : الانعتاق من إسار الشريعة إلى بحبوحة القوانين الوضعية ، التي تحقق الحرية والتقدم ، ولذلك هاجموا الفقه والفقهاء بلا هوادة .

- الاجتهاد والتجديد عندهم يعني : تحقيق المصلحة وروح العصر [17] .

مما سبق يتبين خطر هذه البدعة الجديدة وأن أصلها مسايرة الواقع والانهزامية أمام ضغطه مصحوباً ذلك بالجهل بالإسلام أحياناً ، وبالهوى والشهوة أحياناً كثيرة .

الآثار الخطيرة لمسايرة الواقع وسبل النجاة منها :

إن لمسايرة الواقع وما ألفه الناس من المخالفات الشرعية من الآثار الخطيرة على المساير في دينه ودنياه ما لو انتبه لها الواحد منهم لما رضي بحاله التي أعطى فيها زمامه لغيره وأصبح كالبعير المقطور رأسه بذنب غيره ، ومن أخطر هذه الآثار ما يلي :

1- الآثار الدنيوية : وذلك بما يظهر على المساير من فقدان الهوية وذوبان الشخصية الإسلامية ، وبما يتكبده من معاناة في جسده ونفسه وماله وولده ، وهذه

كلها مصادر عنت وشقاء وتعاسة بخلاف المستسلم لشرع الله عز وجل الرافض لما سواه المنجذب إلى الآخرة فلا تجده إلا سعيداً قانعاً مطمئناً ينظر : ماذا يرضي ربه فيفعله ، وماذا يسخطه فيتركه غير مبالٍ برضى الناس أو سخطهم .

2- الآثار الدينية : وهذه أخطر من سابقتها ؛ وذلك أن المساير لواقع الناس المخالف لشرع الله عز وجل يتحول بمضيّ الوقت واستمراء المعصية إلى أن يألفها ويرضى بها ويختفي من القلب إنكارها ، وما وراء ذلك من الإيمان حبة خردل . كما أن المساير لركب المخالفين لأمر الله عز وجل لا تقف به الحال عند حد معين من المسايرة والتنازل والتسليم للواقع ، بل إنه ينزل في مسايرته خطوة خطوة ؛ وكل معصية تساير فيها الناس تقود إلى معصية أخرى ؛ وهكذا حتى يظلم القلب ويصيبه الران أعاذنا الله من ذلك ؛ ذلك أن من عقوبة المعصية معصية بعدها ، ومن ثواب الحسنة حسنة بعدها ؛ وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى [18] : وقد ذكر في غير موضع من القرآن ما يبين أن الحسنة الثانية قد تكون من ثواب الأولى ، وكذلك السيئة الثانية قد تكون من عقوبة الأولى ، قال تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وأَشَدَّ تَثْبِيتاً * وإذاً لآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيماً * ولَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيما) [النساء : 66 – 68] وقال تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) [العنكبوت : 69] وقال تعالى : (والَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ ويُصْلِحُ بَالَهُمْ * ويُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) [محمد : 4 – 6] ، وقال تعالى : (ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى) [الروم : 10] ، وقال تعالى : (كِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ) [المائدة : 15 ، 16]، وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ ويَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ ويَغْفِرْ لَكُمْ) [الحديد : 28] ، وقال تعالى : (وفِي نُسْخَتِهَا هُدًى ورَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) [الأعراف : 154] .

وما أجمل ما قاله سيد قطب رحمه الله تعالى في النقل السابق حيث قال : (ولكن الانحراف الطفيف في أول الطريق ينتهي إلى الانحراف الكامل في نهاية الطريق ، وصاحب الدعوة الذي يقبل التسليم في جزء منها ولو يسيراً لا يملك أن يقف عند ما سلَّم به أول مرة ؛ لأن استعداده للتسليم يتزايد كلما رجع خطوة إلى الوراء) .

الآثار الدعوية :

إن الداعية الذي تظهر عليه مظاهر مسايرة الواقع يفقد مصداقيته عند نفسه وعند الناس ، وإن لم يتدارك نفسه فقد ييأس ويخسر ويترك الدعوة وأهلها ؛ إذ كيف يساير الواقع من هو مطالب بتغيير الواقع وتسييره ؟ ! وكلما كثر المسايرون كثر اليائسون والمتساقطون ؛ وهذا بدوره يؤدي إلى ضعف الدعوة وضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

سبل النجاة أو الوقاية من هذه الفتنة :

إنه لا ينجِّي من الفتن صغيرها وكبيرها ما ظهر منها وما بطن إلا الله عز وجل وقد قال لنبيه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم : (ولَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً) [الإسراء : 74] فأول سبيل من سبل النجاة هو سؤال الله عز وجل وصدق العزيمة والأخذ بأسباب الثبات ومنها :

1- فعل الطاعات وامتثال الأوامر واجتناب النواهي كما قال عز وجل : (ولَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وأَشَدَّ تَثْبِيتاً) [النساء : 66] فذكر سبحانه في هذه الآية أن شدة التثبيت تكون لمن قام بفعل ما يوعظ به من فعل الأوامر وترك النواهي ، ويشير الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى إلى أثر الطاعة في الثبات فيقول : (فالخلق كلهم قسمان : موفق بالتثبيت ، ومخذول بترك التثبيت . ومادة التثبيت وأصله ومنشؤه من القول الثابت وفعل ما أُمِر به العبد ، فبهما يثبِّت الله عبده ؛ فكل ما كان أثبت قولاً ، وأحسن

فعلاً كان أعظم تثبيتاً قال تعالى : (ولَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وأَشَدَّ تَثْبِيتاً) فأثبت الناس قلباً أثبتهم قولاً ، والقول الثابت هو القول الحق والصدق) [19] .

2- مصاحبة الدعاة الصادقين الرافضين للواقع السيئ والسعي معهم في الدعوة إلى الله تعالى وتغيير الواقع السيئ في نفوسهم وأسرهم ومجتمعاتهم ، واعتزال أهل الدنيا الراكنين إليها والمسارعين فيها والمتبعين لكل ناعق ، وترك مخالطتهم إلا لدعوتهم أو ما تدعو الحاجة إليه ؛ لأن المجالسة تؤول إلى المؤانسة والمجانسة .

3- التفقه في الدين والبصيرة في شرع الله عز وجل لأن المسايرة عند بعض الناس تنبع من جهل بالشريعة وأحكامها ومقاصدها ، مع أن أكثر المسايرين المخالفين للشريعة إنما يدفعهم إلى المسايرة الهوى والضعف .

والمقصود : أن من كانت مسايرته بسبب جهله بالشرع فإن في العلم الشرعي دواءه ومنعه من المسايرة بإذن الله تعالى . وينبغي على طالب العلم الشرعي والمستفتي في دينه أن يسأل أهل العلم الراسخين فيه الذين يجمعون بين العلم والورع ومعرفة الواقع ، وأن يحذر من أهل العلم الذين يسيرون على أهواء الناس وتلمس الرخص والآراء الشاذة لهم .

4- إفشاء المناصحة وإشاعتها بين المسلمين وبخاصة بين أهل الخير لأن السكوت على المخالفات وضعف المناصحة بين المسلمين من أسباب التلبس بالمنكرات ومسايرة الناس فيها .

---

(1) بدائع التفسير ، 17/3 .

(2) رواه الترمذي ، ح/ 2338 .

(3) الموافقات للشاطبي ، 2/ 268 .

(4) تحفة الأحوذي ، 145/6 ، رقم الحديث (2075) وقال الترمذي حسن غريب .

(5) رواه الترمذي ، ح/ 2186 .

(6) أخرجه أبي داود ، ح/ 3778 ، والترمذي في تفسير القرآن 2984 ، وأخرجه ابن ماجة في الفتن 4004 .

(7) رواه الترمذي ، ح/ 2338 .

(8) في سبيل الدعوة الإسلامية ، للعلامة محمد أمين المصري ، ص 39 43 (باختصار) .

(9) في ظلال القرآن ، 2/ 1219 .

(10) الموافقات ، 2/ 128 .

(11) المصدر السابق ، ص / 247 .

(12) إعلام الموقعين ، 4/ 229 .

(13) في ظلال القرآن ، 3/ 245 .
(14) من أراد التوسع في هذا الموضوع وكيف نشأ ومن هم رموزه فليرجع إلى كتاب : (العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب) ، للأستاذ محمد حامد الناصر .
(15) العصرانية في حياتنا الاجتماعية ، ص 22 .
(16) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب (بتصرف واختصار) .
(17) المصدر السابق ، ص 353 ، 354 .
(18) الفتاوى ، 245/14 .
(19) بدائع التفسير ، 17/1 .

مجلة البيان / العدد - 147التاريخ- ذو القعدة /1420 هـ .

=================

#الفيديو كليب العربي: 77% جنس و70% تغريب

10/05/2004

...

صابر مشهور **

دراسة الهوية العربية كما تعكسها أغاني الفيديو كليب (شاهد النتائج)

كشف مؤتمر عقد بالقاهرة عن وجود علاقة كبيرة بين أغاني الفيديو كليب ومحاولات العولمة التي تروج لنمط الحياة الغربية بشكل متعمد، وأظهر مؤتمر "الإعلام المعاصر والهوية الوطنية" الذي عقدته كلية الإعلام جامعة القاهرة في الفترة من "4-6 مايو 2004 ارتفاع معدلات مشاهدة الشباب لأغاني الفيديو كليب؛ حيث أكد بحث أجراه الدكتور حسن علي بكلية آداب جامعة المنيا بعنوان "استخدامات الشباب الجامعي للقنوات الغنائية" أن 100% من الشباب الذين شملتهم العينة يشاهدون نانسي عجرم وإليسا رغم عدم قناعتهم بمشاهدتهما، في حين أكد 17% فقط من العينة متابعتهم لأغاني هاني شاكر. في الوقت الذي كشفت فيه الدراسة عن أن 40% ممن شملتهم العينة يتابعون أغاني الفيديو كليب رغما عن أسرهم.

وأكد الدكتور عاطف العبد الأستاذ بكلية الإعلام في كلمته بالمؤتمر (1)-(2) أن دراسات ميدانية أجريت على 100 أغنية شبابية احتوت على 7573 لقطة اتضح

أنها تتضمن 2056 لقطة بها مشاهد راقصة، و1409 لقطات تركز على المناطق المثيرة، و2400 لقطة قريبة من مناطق مثيرة، و146 لقطة تلامس، و126 تشتمل على عناق.

في الوقت نفسه أظهر بحث للدكتور أشرف جلال المدرس بإعلام القاهرة بعنوان "الهوية العربية كما تعكسها أغاني الفيديو كليب وانعكاساتها على قيم الشباب (1)-(2)" أنه بتحليل 364 أغنية بثتها قنوات مزيكا، وروتانا، وأبو ظبي، ودريم1، والفضائية المصرية، والأولى المصرية بلغت نسبة اللقطات المثيرة 77%، والتي تتمثل في الرقص والحركة بنسبة 51%، وفي الملابس بنسبة 22%، وبإيماءات الوجه بنسبة 10%، وبالألفاظ بنسبة 10%، وفي فكرة الأغنية بنسبة 5%.

وأشارت الدراسة أيضا إلى أن عينة الأغاني تعكس البيئة الغربية بنسبة 70%، والبيئة العربية بنسبة 30%. وبلغت نسبة الرسائل بين الجنسين على قناة روتانا 76%، والتهنئة الأسرية 20%، والرسائل المتبادلة لنفس النوع 19%.

وغلبت القيم السلبية على القيم الواردة في الأغاني بنسبة 58%، منها نسبة 33% لقيم الخيانة، و25% للغدر، و22 للتجاهل وعدم التقدير، و5% للكراهية. بينما بلغت نسبة القيم الإيجابية 22% فقط، منها 31% عن الحب، 20% للوفاء، 13% للإخلاص، 13% للانتماء.

شباب فلسطين والفيديو كليب

ومن جانب آخر أظهرت دراسة عن مشاهدة الشباب الفلسطيني للقنوات الفضائية أن قناة الجزيرة هي القناة المفضلة لدى 65% من الشباب الفلسطيني الذين شملتهم العينة؛ بسبب اهتمامها بالأخبار والأوضاع السياسية بالمنطقة، فيما اعتبر 35% منهم أن القنوات الغنائية هي القنوات المفضلة لديهم، وعلى رأس هذه القنوات قناة MBC بنسبة 13%.

وأوضحت الدراسة التي قدمها د.حسين أبو شنب عن "اتجاهات الشباب الفلسطيني نحو الأغاني المصورة وعلاقتها بالهوية الفلسطينية" أن 33% من الشباب الفلسطيني المشمولين بالعينة لا يشاهدون القنوات الفضائية، و50% يشاهدونها أقل من ساعة، و27% يشاهدونها أكثر من ساعة.

وفسر الشباب الفلسطيني عدم مشاهدتهم القنوات الفضائية بسبب مخالفتها الإسلام بنسبة 35.5%، بينما أرجع 34% من العينة عدم المشاهدة إلى عدم الاقتناع بهذه القنوات، وأرجع 17% السبب لعدم الاهتمام بهذا اللون من القنوات، بينما اعتبر 10% من العينة أنها إضاعة للوقت.

وأظهرت الدراسة أن الشباب الفلسطيني لا يرغب في مشاهدة الأغاني المصورة (الفيديو كليب) على التلفزيون الفلسطيني. وجاءت قناة ميلودي في المركز الأول بنسبة 49% من متابعي الأغاني المصورة على الفضائيات، وروتانا بنسبة 21%، ودريم (1) بنسبة 12.5%.

يذكر أن المؤتمر أصدر توصيات بعمل ميثاق شرف إعلامي جديد للحد من الآثار السلبية التي تخلفها أغاني الفيديو كليب، وإنشاء مرصد إعلامي تكون مهمته متابعة ما تبثه الفضائيات من أغان وتنبيهها بالأخطاء المخالفة لميثاق الشرف الإعلامي.

=============

#الفيديو كليب والجسد والعولمة *

15/04/2004

...

د . عبد الوهاب المسيري**

الفيديو كليب هو فيلم سينمائي قصير يحتوي على أغنية ، ورقص ، وشيء يشبه التمثيلية . كنا نستمع في الماضي للأغنية فنتأمل في كلماتها ولحنها وصوت المغني أو المغنية ثم نحكم عليها . وكانت معظم الأغنيات تتحدث عن الحب بين الرجل والمرأة (وبالعكس). ومع هذا كان هناك أنواع أخرى من الأغاني : فكان هناك أغنية أو اثنتان تتحدث عن الأم ، أو عن علاقة الأم بابنتها ، أو عن الطبيعة ، أي عن علاقات إنسانية خارج إطار موضوع الحب بين الرجل والمرأة ، كما كان هناك أغان بالفصحى لبعض كبار الشعراء مثل شوقي ، والأخطل الصغير ، وإبراهيم ناجي .

ومن أحسن الأغنيات التي أتذكرها في هذا المضمار أغنية تسلم إيدين اللي اشتري لعبد المطلب ، وأغنية الصباح الجديد لعبد العزيز محمود ، وهي من شعر أبي القاسم الشابي وتلحين مدحت عاصم ، (ويبدو أن هذه الأغنية الرائعة قد فقدت حتى

من أرشيف الإذاعة . ولعل أحد هواة التسجيلات القديمة عنده نسخة يرسلها للإذاعة لتحتفظ بها ، وربما لإحيائها)، وأغنية أسمهان ليالي الأنس في فيينا ، وطبعا لا يمكن أن ننسى بعض أغاني عبد الحليم حافظ مثل لا تلمني، وهذا التنوع كان يوجد بشكل ملحوظ في أغاني فيروز ، ولا يزال يسم أغنيات ماجدة الرومي، وإلى جانب هذا التنوع في الموضوعات ، كان هناك تنوع في أشكال الأغنية.

فكان هناك المونولوج الكوميدي (إسماعيل ياسين . ثريا حلمي)، وأغاني الديالوج التي اشتهر بها محمد فوزي ، والأوبريتات (مجنون ليلي)، وأغاني الأفلام غزل البنات وأغاني التمثيليات الإذاعية عوف الأصيل . وبالطبع كانت هناك الأغاني الوطنية التي كنا نسمعها طوال العام (وليس في يوم واحد في السنة لتذكرنا بما مضى !). كما كان هناك أغان دينية مثل أغنية فايدة كامل الشهيرة إلهي ليس لي إلاك عونا ، وأغنية أسمهان عليك صلاة الله وسلامه .

هذا التنوع اختفي تقريبا تماما ، فأغاني الفيديو كليب تنحصر في النوع الأول ، أي أغاني الحب بين الرجل والمرأة . ولكن يلاحظ أن الفيديو كليب لم يترك هذه الأغاني على حالها ، ففي الماضي مثل هذه الأغاني كانت مبهمة ومركبة ومتنوعة . انظر على سبيل المثال الأدوار القديمة مثل : كادني الهوى ، وغزال تركي ، وصلاة الزين ، وأغنية محمد قنديل يا غاليين عليا يا أهل إسكندرية، أو أغنية عبد العزيز السيد البيض الأمارة والسمر الحيارى ، وأغنية محمد العزبي عيون بهية ، وأغنية محمد رشدي قولوا لمأذون البلد ييجي يتمم فرحتي ، وأغنية نجاة الصغيرة كلمني عن بكرة وابعد عن امبارح ، وأغاني ليلي مراد (بحب اتنين سوى . شفت منام واحترت أنا فيه . الحب جميل للي عايش فيه)، وأغاني محمد عبد الوهاب (جفنه علم الغزل . عاشق الروح . الخطايا) وأغاني عبد الحليم حافظ (سمراء . وأنا كل ما أقول التوبة يا بوي) وأغاني أسمهان (دخلت مرة الجنينة . يا طيور)، وأم كلثوم (ما دام تحب بتنكر ليه . الأطلال . حانت الأقدار).

فالفيديو كليب يؤكد جانبا واحدا من الأغاني وهو الجانب الجنسي . فالراقصات لا يتركن أي مجال لخيال المشاهد

ومثل معظم أغاني الحب بين الرجل والمرأة كانت معظم هذه الأغنيات تتضمن إيحاءات وإيماءات ورموزا جنسية ، أقول : إيحاءات وإيماءات ورموزا وحسب ، لأن البعد الجنسي كان دائما مستوعبا في أبعاد أخرى رومانسية ، وفي الصور المستخدمة أو في خلفية الأغنية (باستثناء بعض الأغنيات مثل ما قال لي وقلت له ، ومال لي وملت له لفريد الأطرش (والتي منع النحاس باشا رحمه الله إذاعتها). كل هذا الإبهام والتركيب والتنوع اختفى تقريبا تماما ، فالفيدو كليب يؤكد جانبا واحدا من الأغاني وهو الجانب الجنسي . فالراقصات لا يتركن أي مجال لخيال المشاهد ، والصورة عادة أقوى من الكلمة ، فالكلمة (المجردة) توجد مسافة بينها وبين المتلقي ، الأمر الذي يسمح له أن يتأمل في معناها ويتمعن في مغزاها ، أما الصورة (خاصة إذا كانت صورة حسناء نصف أو ربع عارية تقفز وتحرك كل ما يمكن تحريكه في جسدها بصورة غير موضوعية أو محايدة).

نقول إن الصورة حسية ومباشرة ولا تترك مجالا للعقل أن يتأمل ، أو للجهاز العصبي أن يستريح قليلا ، بل تقتحم الإنسان اقتحاما . (هل يمكن أن تتصور أغنية مثل كادني الهوى أو دخلت مرة الجنينة وقد تحولت إلى فيديو كليب من النوع الجديد الراقص؟) .

مما يساعد الفيديو كليب على اقتحامنا ما أسميه الرقص الأفقي ، فكلنا يعرف الرقص الرأسي

وبعد دراسة متأنية للفيديو كليب استغرقت ساعات طويلة لذيذة أمام التليفزيون أقلب من قناة راقصة إلى أخرى أكثر عريا ، اكتشفت أنه مما يساعد الفيديو كليب على اقتحامنا ما أسميه الرقص الأفقي ، فكلنا يعرف الرقص الرأسي ، وألفناه ، فقد شاهدناه في الأفلام وفي الفنادق (الخمس نجوم) والكباريهات التي بلا نجوم ، ولكنه كان رقصا رأسيا دائما ، أما الرقص الأفقي فهو مختلف تماما إذ تنام الراقصة / المغنية على الأرض (وهي نصف أو ربع عارية ثم تحرك ما يمكن تحريكه في جسدها بصورة غير موضوعية أو محايدة) لأسباب لا تغيب عن بال أي مشاهد . هذا الرقص أكثر وقعا وتأثيرا ، وهو يدهشنا تماما ، مما يجعلنا نستسلم لإغواء الصورة ونرفع الرايات البيضاء والخضراء والحمراء وكل الألوان الأخرى ، إذ كيف

يمكن للمشاهد أن يتفكر أمام هذه الصور الملونة بالألوان الطبيعية وغير الطبيعية لهذه الحسناء المتحركة الأفقية .
والرقص البلدي يهدف للإثارة الجنسية بشكل واضح وصريح ، ولكننا كنا لا نراه إلا في الأفلام وفي الأفراح والليالي الملاح ، فهو جزء من عالم العوالم ، أي أننا كنا نعرفه بوصفه جزءا من عالم مستقل عن عالمنا ، قد نتمتع به وقد نرفضه ، ولكن في كلتا الحالتين هو ليس جزءا من عالمنا (حاولت سعاد حسني في خللي بالك من زوزو أن توسع من الإمكانات التعبيرية للرقص البلدي ، إذ قدمت مرثية عالم أمها الراقصة التقليدية من خلال رقصة حزينة في حين كان شفيق جلال يغني أغنية لا تبكي يا عين على اللي فات ولا اللي قلبه حجر).
وفي تصوري أن هذه كانت المحاولة الأولى والأخيرة لفصل الرقص البلدي عن الإثارة الجنسية . وما تفعله الفيديو كليبات هو عكس ذلك تماما ، وتحاول إجازته من خلال عشرات الراقصات (الروسيات والمصريات والهنديات ... إلخ) المتحركات ! ولكن الأهم من كل هذا هو ما أسميه عملية تطبيع الرقص والإثارة ، فالرقص يقدم في الفيديو كليب على أنه جزء من صميم حياتنا العادية اليومية . وبدل أن تذهب إلى الكباريهات جاءت هي إلينا . ولعل هذا ما حققه شريف صبري في أغنية روبي الأولى "إنت عارف ليه" حين ظهرت تسير في الشارع بشكل عادي جدا ببدلة الرقص ، ثم ظهرت بملابس عادية ، واستمرت في نفس الرقص البلدي .
إن عملية التطبيع هذه تحول راقصة الفيديو كليب إلى جزء من حياتنا اليومية العادية ولكن نلاحظ أن الرقص البلدي هنا ليس رقص المحترفات وإنما يشبه الرقص الذي ترقصه بنات الناس الطيبين في الاجتماعات العائلية ، وبذا يتم هدم الحواجز بين حياتنا اليومية والرقص البلدي ، ويتم تطبيعه تماما . (ولعله لهذا السبب فشل الفيديو كليب الأخير للوسي ، فهو ينتمي لعالم الكباريهات الخالص). ثم تم تعميق هذا الاتجاه في أغنية روبي الثانية ليه بيداري كده ، فهي تظهر بملابس رياضية وبفستان سهرة وبملابس تشبه ملابس فتيات المدارس المراهقات ثم ملابس أرملة ، ولكنها داخل كل هذه الملابس العادية تقوم بحركات أقل ما توصف به أنها غير عادية فهي حركات كده . وحتى لا يتوه المعني المقصود انظر إلى اللقطة الأخيرة في هذا

الكليب . ويتم تأكيد هذا الاتجاه نحو التطبيع في الجزء الأخير من ليه بيداري كده فهو عبارة عن هوم فيديو ، أي فيديو عادي ، منزلي ، تظهر فيه روبي مرتدية ملابس عادية ، وتذهب إلى الكوافير ، عادي ، بل ويظهر وجهها في إحدى اللقطات في غاية البراءة (وليس كده) وتبتسم وبراءة الأطفال في عينيها (وإن لم يمنع الأمر أن تذكرنا بعالم الرقص في لقطة عابرة من الهوم فيديو). إن عملية التطبيع هذه تحول راقصة الفيديو كليب إلى جزء من حياتنا اليومية العادية ، وربما قدوة يقتدي بها أو مثلا أعلى يحتذى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله !

وهنا سيطرح الكثيرون علي هذا السؤال : لماذا تكتب عن هذه الأمور؟

والرد بسيط للغاية ، هو أن مثل هذه الأمور تؤثر في الملايين ، وهي تبين مدى تغير إدراكنا لأنفسنا ولما حولنا ، ولوظيفة العواطف والجسد والجنس (وهي أمور من صميم وجودنا الإنساني) . أذكر أنني حينما عدت من الولايات المتحدة أوائل السبعينيات ، كان أولادي يعرفون أقل من القليل عن الثقافة الشعبية المصرية بسبب نشأتهم في الولايات المتحدة . ثم فوجئت بابني الذي كان لا يزيد عمره على أربع سنوات يغني أغنية يا واد يا تقيل فقررت أن أعرف الحكاية حتى أعرف ماذا يحدث له ، وماذا يحدث للمجتمع المصري ككل !! وذهبت إلى فيلم خلي بالك من زوزو وشاهدته ومعي قلمي وأوراقي ، وكتبت دراسة نشرتها جريدة الأهرام في حينها بعنوان تأملات في الواد التقيل والقلب الكاروهات، حيث أشرت إلى المنظر الذي تقول فيه سعاد حسني : وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا كده أي أنها قررت أن تكون فاعلا لا متلقيا سلبيا . ثم شاهدت بعد سنتين مسلسلا تليفزيونيا يسمى مغامرات المعلم عماشة فكتبت مقالا في الطليعة بعنوان بين أحزان فاتن حمامة وأفراح المعلم عماشة، وقد بينت ساعتها أن أفلام فاتن حمامة كانت تمييزا واضحا بين فاتن حمامة (العذراء) وميمي شكيب (الغانية) ولكن المسلسل السابق ذكر كسر الحواجز بين الاثنين ، ففي أحد المناظر يجلس المعلم عماشة بين صحفية وراقصة ويعنبر لهما (أي يقبلهما حسب لغة المسلسل) الواحدة بعد الأخرى ، وهنا يمكن أن نتساءل : هل هناك متتالية حلقاتها مترابطة بدأت بالمعلم عماشة ثم

وصلت إلى روبي وأخواتها؟ وهل هذه المتتالية حتمية ، أم أننا يمكننا أن نفعل شيئا ما لنوقفها عن التحقق إن أردنا ذلك؟

إن الثقافة الشعبية (والفيديو كليب من أهم أشكالها الآن) تؤثر فينا ولا يمكن أن تترك مثل هذه الأمور لمقاولي الفنانين دون دراسة أو تحليل .

والمتعة في حالة الفيديو كليب متعة أساسا جنسية ولذا فهي متعة بسيطة أحادية تستبعد عالم الموسيقى والطرب وجمال الطبيعة وكل العلاقات الإنسانية الأخرى .

وهنا قد يطرح علي قارئ ماكر سؤالا آخر ، ألا تتمتع برؤية الفيديو كليب؟ والرد هو نعم أتمتع بها ، ولعل القارئ قد لاحظ أن وصفي للراقصات لم يكن محايدا أو موضوعيا ، فقد أشرت إلى أنهن حسناوات رقيقات لذيذات يتحركن رأسيا وأفقيا بشكل مستمر يثير الدهشة ويدير الرأس (بما في ذلك رأسي بطبيعة الحال) ويمكن أن أتحدث عن الديكور والماكياج وما يرتدين (أو لا يرتدين) من ملابس . يمكن أن أتحدث عن كل هذا بعين خبير غير متخصص ، ولكن هل القضية هي مدى ما يقدمه الفيديو كليب من متعة؟ ألا يتضمن السؤال تحيزا واضحا للمتعة الفردية وكأنها الهدف الوحيد من الحياة ، وكأن حياة الإنسان لا يوجد فيها أبعاد أخرى ، وكأن الفرد (ومقدار ما يحصل عليه من لذة من خلال المشاهدة) هو المرجعية الوحيدة والمطلقة . ولكن ماذا عن المجتمع والأسرة ، أليس من المفروض أن تكون الوحدة التحليلية هي المجتمع وتوجهه ومصلحته ، والأسرة وتماسكها ، وليس الفرد ولذته ومتعته؟ أوليس من حقنا كبشر (والإنسان كائن اجتماعي بالدرجة الأولى) أن نطرح أسئلة أخرى تتناول جوانب أخرى من حياة البشر؟ وقد لاحظت أن كل من تناول ظاهرة الفيديو كليب قد ركز على ظاهرة العري وعلى "كده" وأنا بطبيعة الحال أتفق معهم في الرأي بخصوص العري والإباحية ، وبخصوص "كده" ولكنني أرى أن هذا يمثل جانبا واحدا من القضية ، إذ يمكننا أن نسأل عن أثر الفيديو كليب على نسيج المجتمع وعلى بناء الأسرة ، فالفيديو كليب لا يقدم مجرد أنثى تغني وترقص وتتعرى وتتلوى، بل إنه يعبر عن رؤية كاملة للحياة ، نقطة انطلاقها .كما أسلفنا . هو الفرد الذي يبحث عن متعته مهما كان الثمن .

والمتعة في حالة الفيديو كليب متعة أساسا جنسية ولذا فهي متعة بسيطة أحادية تستبعد عالم الموسيقى والطرب وجمال الطبيعة وكل العلاقات الإنسانية الأخرى . والفيديو كليب بتركيزه على هذا الجانب وحده يسهم في تصعيد السعار الجنسي (في مجتمع فيه أزمة زواج) ولكن من المعروف أن تصعيد السعار الجنسي مرتبط تماما بتصعيد الشهوات الاستهلاكية ، وهذا ما أدركته تماما صناعة الإعلانات التليفزيونية ، فمعظم الإعلانات تلجأ إلى الجنس لبيع السلع ، فالسعار الجنسي يفصل الفرد عن مجتمعه وأسرته ، وعن أي منظومة قيمية اجتماعية ، فيحاول تحقيق ذاته من خلال منظومة المتعة الفردية والمنفعة الشخصية ، والتي تترجم نفسها عادة إلى استهلاك السلع والمزيد من السلع (في مجتمع تعيش غالبيته إما تحت خط الفقر أو فوقه ببضعة سنتيمترات وجنيهات خاصة بعد ارتفاع سعر الدولار) .

إن الفيديو كليب يختزل الأنثى (والإنسان ككل) إلى بعد واحد هو جسده ، فيصبح الجسد هو المصدر الوحيد لهوايته ، وهي هوية ذات بعد واحد لا أبعاد لها ولا تنوع فيها (ومن هنا التكرار المميت في الفيديو كليب)، ولنقارن كده التي تقولها سعاد حسني بـ كده التي تقولها روبي بجسدها ، فكده التي قالتها سعاد حسني كانت عبارة عن إعلان استقلال الفتاة المصرية ورفضها أن تكون كائنا سلبيا في علاقتها بالرجل الذي تحبه ، فزوزو لا تبكي ولا تنهزم حينما تقع في غرام البطل وإنما تهز رأسها بطريقة غزلة لعوب وتقول : يا واد يا تقيل ، ثم تقرر اصطياده ، وتنط كما الزمبلك من كنبة لكرسي لترابيزة وتغني أغنية الأنثى الجديدة ، فتصف صاحبنا بأنه بارد كجراح بريطاني، هادي وراسي وكأنه أمين شرطة أو دبلوماسي (وكلاهما صاحب سلطة ومكر ودهاء) وهو متحفظ للغاية يرد بالقطارة فكأنه الرجل الغامض (الشخصية الروائية الأفرنجية غير الحقيقية)، ويسير كأنه تمثال رمسيس الثاني (الفرعون المغرم بالتماثيل الضخمة). والإشارات هنا تدل كلها على الذكورة والفحولة والضخامة والسيطرة ، ولكن السياق والنبرة العامة للأغنية يدلان على أن الغرض من التضخيم ليس التفخيم وإنما فضح ادعاءات الرجل المصري عن نفسه ، ولذلك فكل صور الفخامة تسبقها عبارات مثل ما تقولشي وبسلامته واسم الله ، وهي عبارات تشككنا في جدية هذه الصور وتحول الذكر الضخم إلى طفل صغير تتلاعب به هذه

الأنثى الحقيقية . وحينما يقف أبو شوارب ويعلن أن الكون مش قد مقامه وأنه أطول واحد في الحارة نعرف أنه ضحية مؤامرة تشهير ضخمة وأن الفتاة الزمبلك قد نصبت له فخا ، وأوهمته أنه الصياد المفترس التقيل ، وهو في واقع الأمر ليس سوى صيدة سهلة ولقمة سائغة ، إنها تعلم أنه لا داعي للمقاومة فهو لن يغلبها رغم ضخامته الأسطورية ورغم ثقله التاريخي . كل هذا يقف على طرف النقيض من كده في أغنية روبي ، فهي إعلان أن الفتاة إن هي إلا جسد متحرك لذيذ ، واللي ما يشتري يتفرج . إنها في نهاية الأمر مفعول به ، رغم جاذبيتها الجنسية التي لا يمكن إنكارها ! (لماذا لم تتحرك حركات تحرير المرأة لامتهان الأنثى بهذه الطريقة؟)

والإنسان الجسماني الاستهلاكي المنشغل بتحقيق متعته الشخصية يدور في دائرة ضيقة للغاية خارج أي منظومات قيمية اجتماعية أو أخلاقية ، ولذا نجد أن ولاءاته للمجتمع وللأسرة تتآكل بالتدريج ، كما أن انتماء مثل هذا الشخص لوطنه ضعيف للغاية إن لم يكن منعدما.

يمكننا أن نضع الفيديو كليب في سياق أوسع ، وهو سياق العولمة، فجوهر العولمة هو عملية تنميط العالم بحيث يصبح العالم بأسره وحدات متشابهة

والآن انظر لخلفية الفيديو كليب ستجد أنها لا أرض لها ولا وطن ، فأحيانا الخلفية هندية ، وأحيانا أخرى أمريكية ، وثالثة أوروبية ، والبنات في معظم الأحيان شقراوات ، وحتى لو كن من بنات البلد فما يرتدينه (أو لا يرتدينه) من ملابس لا علاقة له بما نعرفه في حياتنا . كما أن أبطال الفيديو كليب عادة يركبون سيارات فارهة وأحيانا يظهرون في قصور ، وكل هذا بطبيعة الحال يصعد الشهوة الاستهلاكية ويضعف الانتماء .

بعد كل هذه المقدمات يمكننا أن نضع الفيديو كليب في سياق أوسع ، وهو سياق العولمة، فجوهر العولمة هو عملية تنميط العالم بحيث يصبح العالم بأسره وحدات متشابهة ، هي في جوهرها وحدات اقتصادية تم ترشيدها ، أي إخضاعها لقوانين مادية عامة مثل قوانين العرض والطلب، والإنسان الذي يتحرك في هذه الوحدات هو إنسان اقتصادي جسماني لا يتسم بأي خصوصية ، ليس له انتماء واضح ، ذاكرته

التاريخية قد تم محوها ، وإلا لما أمكن فتح الحدود بحيث تتحرك السلع ورأس المال بلا حدود أو سدود أو قيود .

فالخصوصيات الثقافية والأخلاقية تعوق مثل هذا الانفتاح العالمي ، وفي غياب الانتماء والهوية والمنظومات القيمية والمرجعيات الأخلاقية والدينية تتساوى الأمور ، ويصبح من الصعب التمييز بين الجميل والقبيح ، وبين الخير والشر ، وبين العدل والظلم ، وتسود النسبية المطلقة ، وأهم تعبير أيديولوجي عن العولمة هو فلسفة ما بعد الحداثة التي يطلق عليها أيضا anti-foundationalism والتي يمكن ترجمتها حرفيا بعبارة ضد الأساس والتي يمكن ترجمتها بتصرف رفض المرجعيات ، مما يعني السقوط في اللاعقلانية الكاملة ، وقد وصف رورتي ما بعد الحداثة أنها تعني أن الإنسان لن يقدس شيئا حتى ولا نفسه ، فهي ليست معادية للدين والأخلاق وحسب ، بل معادية للإنسان ذاته .

هل يمكن ربط جسد راقصات الفيديو كليب بالنظام العالمي الجديد؟ والرد هو بالإيجاب

وقد يضيق القارئ بهذا الكلام الكبير وقد يتساءل : وما علاقة كل هذا بروبي والفيديو كليب؟ هل يمكن ربط جسد راقصات الفيديو كليب بالنظام العالمي الجديد؟ والرد هو بالإيجاب ، فكل الأمور مترابطة ليس بشكل مباشر وليس بشكل عضوي ، ولكنها مترابطة . وقد شبه ليوتار الفيلسوف ما بعد الحداثي علاقة الإنسان بالواقع ، بعلاقة الرجل الساذج (أو المشاهد الساذج) بالمرأة اللعوب : يظن أنه أمسك بها ، ولكنها تفلت منه دائما ، الأمر الذي يعني أن علاقة العقل بالواقع غير قائمة ، ويذهب كل من فريدريك نيتشه ورولان بات وجاك دريدا إلى أن تحطيم المقولات العقلية واللغوية هي عملية ذات طابع جنسي : ذوبان وسيولة . بل إن بعض دعاة ما بعد الحداثة ورفض المرجعيات يرون أن جسد المرأة ، هو مرجعية ذاته ، ولذا فهو تحد للعالم الثابت الذي له مركز ويمكن إدراكه عقليا .

وفي كتابها الشهير ضد التفسير (الذي يؤرخ لظهور ما بعد الحداثة بتاريخ نشره) قالت سوزان سونتاج: إن أكبر تحد للثوابت والعقل هو الجسد . ولتلاحظ ما يحدث لعقلك وفهمك حينما تشاهد رقصة من النوع الأفقي ، وهذا الجسد لا علاقة له بأي

خصوصية تاريخية أو ثقافية أو اجتماعية ، ولذا فهو يقوض الذاكرة الاجتماعية والتاريخية ، وهذا هو جوهر ما بعد الحداثة ، أي أن كل إنسان يعيش داخل ما يسمونه قصته الصغرى ، أي رؤيته للعالم ، أما القصة الكبرى الاجتماعية التاريخية التي تنضوي تحتها كل القصص الصغرى فلا وجود لها ، فتتساقط القيم والمرجعيات وتظهر الراقصة الرأسية والأفقية ، والشركات عابرة القارات التي تود أن يكون الإنسان حزمة نمطية من الرغبات الاقتصادية والجسمانية التي يمكن التنبؤ بسلوكها ، حتى يمكن التحكم في صاحبها وتوظيفه داخل منظومة السوق (والكباريه).

وقد ظهرت فضيحة الفيديو كليبات بعد استشهاد الشيخ أحمد ياسين ، فبينما كانت الأمة بأسرها تعبر عن حزنها وعزمها وإصرارها ، كان الرقص الرأسي والأفقي شغال على ودنه ، وكأن جسد الراقصة هو البداية والنهاية ، بداية المتعة ونهاية التاريخ .

إن القنوات الفضائية التي تذيع الفيديو كليبات تصل إلى منازلنا وأحلامنا ، وتعيد صياغة رؤانا وصورتنا للآخرين ولأنفسنا ، ودافعها الوحيد هو الربح المادي ، وليس الاستنارة أو تعميق إدراك الناس لما حولهم ، فهي مشاريع رأسمالية طفيلية تبحث عن الربح الذي أدى إلى التنافس بين المخرجين والمغنين والممولين والذي لم تكن نتيجته الارتقاء بالمستوى الفني والجمالي ، وإنما المزيد من الإسفاف والاغتراب والعري الذي سيتزايد حتما مع الأيام ، ومن يود أن يعرف إلى أين نحن ذاهبون عليه أن يرى محطة MTV وبعض الفيديو كليبات الأمريكية التي تحول الإنسان إلى ما أسميه البروتين الإنساني المحض . عليه أن يعرف أن هناك مقهى في القاهرة (يسمى xEvlution أي التطور في اتجاه غير معلوم) يقدم مشروبا يسمى Bluelesbian أي المساحقة الزرقاء ، وهي محاولة لتطبيع الشذوذ ، لا تختلف في جوهرها عن محاولة تطبيع الرقص والإثارة الجنسية وهذا أمر أقل ما يوصف به أنه مفزع .

هل من سبيل لوقف هذا التدهور المستمر؟ هنا قد يقول البعض إن في هذا تدخلا في حرية الفكر والفن

والآن السؤال هو : هل من سبيل لوقف هذا التدهور المستمر؟ هنا قد يقول البعض إن في هذا تدخلا في حرية الفكر والفن ، والرد على هذا أن الفيديو كليبات ليست

فكرا وليست فنا ولا إبداعا ، وإنما هي شكل من أشكال البورنو الذي يهدف إلى استغلال الإنسان وتحقيق الربح . الفن العظيم يتناول موضوعات شتى من بينها الجنس ، ولكن الجنس (مثل العنف) لا يقدم في حد ذاته وليس هو الهدف ، وإنما هو عنصر ضمن عناصر إنسانية أخرى ، فالفن العظيم (على عكس البورنو) لا يهدف إلى الإثارة الجنسية وإنما إلى تعميق فهمنا للنفس البشرية . وإن كان أصحاب الفيديو كليب يطرحونه باعتباره فكرا أو فنا فعليهم الالتزام بشرطين : أولهما ألا يحققوا أي ربح مادي منه ، والآخر أن يثبتوا لنا اقتناعهم الكامل بهذا الفكر بأن يمارسوه في حياتهم الشخصية مع زوجاتهم وأمهاتهم وبناتهم وأبنائهم ، ولا أعتقد أن هناك من سيجد الشجاعة في نفسه أن يفعل ذلك .

و الله أعلم .

==============

#غزو إعلامي" أجنبي عبر الفضائيات العربية

عجمان (الإمارات) - قدس برس- إسلام أون لاين.نت/ 8-3-2004

برنامج الأخ الأكبر تسبب في اندلاع المظاهرات بالبحرين

حذرت دراسة علمية من الأضرار البالغة التي قد تصيب العالم العربي جراء انتشار برامج "تليفزيون الواقع" المقتبسة من الغرب على القنوات الفضائية العربية والتي تجمع شبابا وفتيات في مكان واحد.

ودعت إلى إستراتيجية عربية للتصدي لما اعتبرته "غزوا أجنبيا" للإعلام العربي من خلال الفضائيات.

وأكدت الدراسة التي أصدرتها جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا في الإمارات ونقلتها وكالة "قدس برس" الإثنين 8-3-2004 أن هذه البرامج تسهم في "تعميق الانحراف الاجتماعي، وتدمير قيم الشباب الإيجابية وهويتهم الثقافية".

وجاءت تلك الدراسة لترصد تداعيات التجربة التي بدأتها عدد من القنوات الفضائية العربية منذ نحو العام وتركزت على عرض نسخ معربة من برامج أمريكية وأوربية، تقوم فكرتها على إقامة عدد من الفتيان والفتيات في منازل وسط ظروف محددة، أمام

كاميرات تلفزيون، بينما يعيشون حياة طبيعية. ويتولى في هذه الأثناء مشاهدو هذه القنوات اختيار أفضل هؤلاء المشاركين؛ ليصبحوا مغنين أو راقصين.

"تعميق الغزو"

وأظهرت الدراسة، التي أعدها الدكتور ياس خضير البياتي، من كلية المعلومات والإعلام والعلاقات العامة بجامعة عجمان أن وسائل الإعلام العربية "شاركت بدور أساسي في تعميق الغزو الإعلامي الأجنبي، من خلال مدة ساعات البث المخصصة للمواد الأجنبية، وبروز ظاهرة البرامج الواقعية، أو ما يسمى (تلفزيون الواقع)، دون أن تأخذ بنظر الاعتبار قيم المجتمع العربي وتقاليده وأنماطه الاجتماعية".

من جهة أخرى، لاحظت الدراسة التي حملت اسم "الغزو الإعلامي والانحراف الاجتماعي: دراسة تحليلية لبرامج الفضائيات العربية" أن القاسم المشترك لبرامج القنوات الفضائية العربية هو المادة الترفيهية، وأفلام الجريمة والعنف والرعب والجنس، "أي أن ثقافة الصورة تطغى عليها أكثر"، مسببة "ظاهرة سلبية تتمثل بالاغتراب، والقلق، وإثارة الغريزة، والفردية، والعدوانية، ودافعية الانحراف، وسلطة المال والنساء، وحب الاستهلاك، والأنانية، والتمرد".

وأشار مُعِدّ الدراسة إلى أن هذه المفردات تؤثر على "إدراك الشباب وسلوكهم ومعارفهم، بحيث تتحول من صورة ذهنية إلى نشاط عملي، عن طريق المحاكاة والتقليد وعمليات التطويع الاجتماعي".

"اضطراب" اجتماعي

وحول المشكلات الاجتماعية المتوقع أن تنشأ بسبب تلك البرامج حذرت الدراسة من أنه "من المحتمل أن تخلق برامج الفضائيات العربية الاضطراب الاجتماعي، وعدم الاستقرار في العلاقات العامة الاجتماعية، وتنمية الفردية والروح الاستهلاكية، والهروب من التصدي لواقع الحياة، والاستسلام له، وتوطين العجز في النفوس، وإضعاف الروابط الأسرية وقيمها، وتعميق المشاعر الذاتية أكثر من الالتزام الجماعي، والانبهار بالموديل الأجنبي، على حساب الهوية الثقافية، وكذلك تراجع الانتماء، وازدياد اليأس والإحباط".

كما أشارت الدراسة "إلى ضرورة الانتباه إلى هذه الظاهرة، على أنها قد تحمل توجهات سياسية وفكرية ملغومة، تريد تدمير الواقع العربي، وثقافة المجتمع وقيمه".

وأثارت الدراسة تساؤلات حول شيوع هذه الظاهرة الإعلامية في الحياة العربية وتوقيتها، ووجدت أن العامل الأساسي "هو التسابق غير المشروع، على جذب الشباب، لأسباب تجارية مادية، ودخول المال العربي، بشكل سلبي، إلى الإنتاج الإعلامي والفني، دون اعتبارات للواقع الاجتماعي"، مشيرة إلى أن الاستثمار في هذا المجال أصبح يأخذ مداه السلبي في تعميق ثقافة الإثارة.

مواجهة عربية

واقترحت الدراسة وضع خطة إعلامية عربية لمواجهة هذه الظاهرة، موضحة أن المواجهة لا بد أن تستند على "خطة تتعلق بالطرق والوسائل الكفيلة للتقليل من طوفان المادة الإعلامية الأجنبية، في التلفزيون العربي، ومحاولة منع ظاهرة البرامج الواقعية التي لا ترتبط بقيم المجتمع وثقافته، مع أهمية تحصين الشباب سياسيا واجتماعيا وثقافيا وتربويا، وتعميق وعيه بمضامين الغزو وسلبياته، وتطوير وسائل إعلامه الوطنية ومضامينه، وإعطاء الشباب الفرصة للتعبير عن آرائهم وأفكارهم وتطلعاتهم، في وسائل الإعلام، وإشراكهم في صنع القرار الإعلامي، ومشاركتهم في إنتاج برامجهم صناعة وكتابة وتنفيذا".

كما أكدت الدراسة على ضرورة "اللجوء إلى التراث العربي الإسلامي باعتباره مصدرا ثريا لمواجهة تحديات وإفرازات العولمة، وعاملا مساعدا لتشكيل تجانس ذهني وروحي بين شباب الأمة".

انتقادات

وأثارت البرامج التي تنتمي إلى أسلوب تليفزيون الواقع –ومنها "ستار أكاديمي" و"على الهوا سوا" و"الرئيس –الأخ الأكبر"– جدلا واسعا في الأوساط الاجتماعية والسياسية والعربية.

وساهم ضغط مارسته المعارضة البحرينية الأسبوع الماضي في وقف برنامج "الرئيس" الذي كانت تبثه محطة "إم بي سي"، وهو نسخة عربية عن برنامج أمريكي.

أما برنامج "على الهوا سوا" فقد أخفق القائمون عليه في الوصول إلى الهدف النهائي، وهو تزويج إحدى المشاركات بأحد المشاهدين، مما أدى إلى توقفه.

وكان "ستار أكاديمي" النسخة العربية لبرنامج فرنسي، هو الأكثر جدلا بين تلك البرامج، حيث اعتبر المراقبون أنه تجاوز كل الخطوط الاجتماعية التي لم يستطع برنامج آخر تجاوزها، مما دفع عددا من علماء الدين إلى إصدار فتاوى تحرم مشاهدته والمشاركة فيه عبر رسائل الهاتف.

===============

#كيف ألغت وسائل الإعلام عقول الجماهير؟!

16/09/2003

...

غول الميديا

المخرج العالمي الكبير بيتر واتكنز هو أول من حذر من أخطار الحرب النووية والتلوث البيئي الناجم عن استخدام الطاقة النووية في فيلمه "لعبة الحرب" 1965، وأول من تكلم عن إفراط استخدام السلطة في الدول الديمقراطية الغربية في فيلمه "حديقة العقاب" 1970.

وهو أول من قدم دراسات حقيقية عن وسائل الإعلام وتأثيرها على الجمهور وإلغائها للتفاعلية وللعقلية النقدي لدى المواطن في العالم الغربي، وهو يقدم في هذا المقال رؤية واقعية لحالة العالم اليوم من حيث تأثير وسائل الإعلام على المواطن وضرورة إدراك هذا التأثير.

إنه يكلمنا عن الخفي والباطن في وسائل الإعلام، وكيف يمكننا إدراكه، والأهم ضرورة إدراكه، ورفضه من أجل الوصول لديمقراطية حقيقية، بل ومن أجل إنقاذ العالم من كوارث محدقة به!!

و"واتكنز" لمن لا يعرفه مولود في 29 أكتوبر 1935 في نوربيتون بإنجلترا، بدأ حياته مساعد منتج في مجال الإعلانات، ثم تحول إلى صناعة الأفلام في أواخر الخمسينيات، تعاقد في منتصف الستينيات مع "بي بي سي" على العمل كمخرج

هاوٍ. وفي عام 1965 أخرج فيلم "لعبة الحرب" الذي استخدم فيه تقنية الجرافيك في التعبير عن كابوس الحرب النووية، وهو الفيلم الذي تم منعه من العرض. بعد ذلك تحقق في المسرح وفي إخراج الأفلام الوثائقية، ونال جائزة الأوسكار أفضل فيلم وثائقي عام 1966.

وعلى الرغم من أن واتكنز حقق نجاحًا كبيرا بفيلمه الروائي الطويل بريفيليدج عام 1967، فإنه سرعان ما عاد للأفلام الوثائقية، ومن أحدث أفلامه "ريزان" (1988)، وتدور أحداثه في 873 دقيقة (14 ساعة).

ومن أفلام واتكنز المهمة أيضا فيلم "الكوميون" الذي يتابع فيه بطريقة تليفزيونية حادثًا هامًّا في التاريخ الفرنسي، وهو صعود وسقوط حركة كميونة باريس خلال الثورة الفرنسية مستخدما 200 مواطن لإعادة بناء الأحداث التاريخية التي يقصد منها مخاطبة عصرنا الراهن ومناقشة دور الميديا والسلطة السياسية والمسئولية الذاتية.

وهذا ملخص وافٍ لمقال مهم له عنوانه: "الأزمة العالمية ووسائل الإعلام السمع بصرية وتقنيات تدريس وسائل الإعلام.. دراسة في انتقاد وسائل الإعلام وتأثيرها على الناس".

=============

#برامج.. صناعة النجم أم صناعة الوهم؟

30/08/2003

...

ماجد حبته

وهل وجد ما يأكله ورفض؟!

يأتي السؤال كرد مفحم على جملة شهيرة اعتدنا أن نجد من يعاير بها آخر: "يرحم الله والدك الذي مات جوعا".

واسمحوا لنا أن نستعير السؤال (الرد) لنعلق به على من انتقدوا حالة الهياج التي تبعت إخراج ملحم زين من التصفيات قبل النهائية لبرنامج سوبر ستار، وأيضا على من انتقدوا المظاهرات والمسيرات التي خرجت لتندد وتشجب وتستنكر قرارات لجان التحكيم، أما من ساءهم محاولة البعض إعطاء التصويت لصالح فلان أو ضد فلان

مسحة سياسية، أو محاولة البعض الآخر الزج بأنظمة سياسية وتصوير الأمر كما لو كان كل ما حدث بضغوط منها، فنقول لهؤلاء: إن هذا الاحتمال ليس مستبعدا، وليس فيه أية غرابة، ولكن يبقى السؤال: وهل وجد الناس متنفسا آخر غير الكرة وتلك المسابقات ولم يعبروا عن آرائهم؟

في هذا الملف نضع نقاط الحذر فوق حروف اللامبالاة، فنحاول أن نستعيد معكم كيف انتشرت هذه النوعية من برامج سوبر ستار وستار ميكر وستوديو الفن.. وغيرها؟ وما الهدف الأساسي منها؟ كما نذكركم بالسلسلة الطويلة من عمليات "النصب" باسم اكتشاف المواهب الجديدة، والتي انتهت إلى تلك البرامج التي جعلت "النصب" ذا صفة شرعية.

كما نحاول أن نعرف سر انجذاب القطاع العريض من الشباب لهذه النوعية من البرامج وأوجه الشبه بينها وبين الحمى التي انتشرت منذ فترة: حمى مدارس الكرة!!

لا تعنينا هنا جنسية البرامج ولا القنوات التي تبث من خلالها، فكلها في عصر الفضائيات برامج عربية يشاهدها المواطنون العرب، وكلها قنوات عربية لا تحتكرها دولة ولا تقف عند حدود معينة.

كما أن هذه البرامج تعرض في أكثر من قناة، ولا تمتلكها قناة بعينها بل هي ملك لوكالات إعلانية، تسوق البرامج وتسوق ما بها من فواصل إعلانية، وتبيع أيضا ما قد يكون بها من أوهام.

وقبل كل ذلك وبعده فكلنا في الهم عرب، وكلنا ضحايا في قبضة محترفي "البروباجندا".

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الفهرس العام

الباب الثاني 2

التغريب 2

#مطايا التغريب 2

#الحصاد المُر 4
#المنظمات الغربية هل هي طلائع استعمارية؟ 15
#المرأة السعودية . . واللجنة الأولمبية!! 24
#الأقليات الإسلامية . . واغتيال الهوية الثقافية 27
#شباب الروشنة .. إلي أين يمضي ?! 30
#الجزائر : اتجاه لجعل السبت والأحد إجازة إسبوعية بدلاً من الخميس والجمعة 35
#المسلمون في مواجهة الغزو الثقافي المعادي 39
#تقليد الغرب وأبعاده 44
#لماذا أخفق مشروع النهضة التغريبي ؟ 46
#الخروج من تحت الأنقاض 51
#العقول الفارغة !! 57
#جناية الاستغراب على الأدب العربي 59
#صورة الإسلام في الخطاب الغربي (8) 63
#واجبنا أمام الأخطار المحدقة 65
#خواطر مسلمة..في معركة السفور والحجاب (1– 3) 68
خواطر مسلمة .. في معركة السفور والحجاب .. (2من3) 69
#خواطر مسلمة .. في معركة السفور والحجاب (3 – 3) 74
#في مواجهة التغريب قراءة في فكر عبد الله النديم وكتاباته 77
#خفافيش الظلام 82
= #قراءات في علم الاستغراب (1 – 2) 87
#من سيكسب الجولة..؟ 93
#القسطية لا الديمقراطية 100
#حرية الفكر في شراك الاستبداد 107
#أثر القنوات الفضائية في تغريب المرأة (1– 2) 112
#أثر القنوات الفضائية في تغريب المرأة (2 – 2) 122
#قمة الثماني أيدت الخطة والناتو ترفضها 132
#ماذا تريد المنظمات الأجنبية من المرأة المسلمة في شمال نيجيريا ؟ 144
#(اليونسكو) .. ودورها المشبوه .. ! – حقائق – 148
#خِيانة المثقّفين في السعوديّة 156
#معالم الأطروحة البربرية في الجزائر 162
#'الفيروس' الديمقراطي! 167
#بريد إبليس 170
#استضعاف الدين واستنبات التطرف 172
#سياج العفاف 175

#حركات التحرير في ثوبها الجديد 183
#الليبيراليون الجدد بين الأمركة والصهينة.. 196
#أساليب التبشير في المدارس وأثرها على الطفل المسلم... 200
#كأس العالم .. وطقوس النصارى 206
#هل هذا وقت المهرجانات السينمائية الماجنة والحفلات الراقصة ؟! 207
#حتى لا ينهار السد !!.. 209
#إصلاح التعليم .. البعد الحقيقي... 211
#التغريب في ديار الإسلام 213
#تحد جديد 219
#المسلمون في الغرب الفرص والمحاذير 220
#التعليم إلى أين ؟.. 227
#حرب الأفكار.. 231
#حتى لا نؤتى من قبل الثقافة 235
##مسألة تجنيس المسلمين بالجنسية الفرنسية (1) 237
#مسألة تجنيس المسلمين بالجنسية الفرنسية (2) 244
#مسألة تجنيس المسلمين بالجنسية الفرنسية (3) 253
#مسألة تجنيس المسلمين بالجنسية الفرنسية (4)... 259
#مسألة تجنيس المسلمين بالجنسية الفرنسية (5) 264
#مسألة تجنيس المسلم بالجنسية الفرنسية (6)... 270
#الإسلام الديمقراطي المدني.. 276
#مناهج التعليم الديني في العالم الإسلامي تحت القصف الأمريكي 283
#كفى رفقا بالقوارير على طريقتهم 291
#مناهج التعليم الجزائرية دون «تربية إسلامية» 296
#مسلمون مع وقف التنفيذ 298
#الجندر.. 300
#بروتوكولات حكماء واشنطن... 315
#الأب لويس شيخو اليسوعي يحرف شعر أبي العتاهية.. 319
#التصدي للدعوة البربرية في الجزائر.. 325
#هل تصدق ؟ (زوجة قاسم أمين تغطي وجهها ! ودرية شفيق انتحرت!).......................... 329
#التعليم الأجنبي مخاطر لا تنتهي (1– 2) 332
#التعليم الأجنبي مخاطر لا تنتهي (2– 2) 346
وفاة رفاعة الطهطاوي . رائد التغريب... 361
من المسؤول عن تغريب الأدب وتذويب هوية الأمة الثقافية ؟ 366
#الأفعى النفاقية.. 373

#المؤامرة على المرأة في مصر 377
#الديك يبيض 387
#الثقافة العارية 389
#لا .. للمرتدين ذهنيّاً 391
#أزمة أخلاق (1- 4) 394
#أزمة أخلاق (2- 4) 407
#حصاد المسلمين 422
#نموذج من الإرهاب في المناهج التعليمية الأميركية 426
#لماذا الإسلام هو الحل 428
#مناهجنا والإرهاب 432
#قصة حجاب " أمة الله " 436
#ماذا وراء تمجيد الزنادقة في التاريخ القديم والمعاصر؟ 439
#أكثر من 400 ألف موقع تبث الدعارة والجنس والمخدرات 447
#بين الأصولي والمأجور ... ! 452
#قناة "الحرة": الإعلام في خدمة الحرب 454
#والآن ما هو دورنا ؟!!! 462
#ستار أكاديمي 465
#الثقافة العربية في مواجهة الهيمنة الأمريكية 467
#تسويق التبعية 473
#منتدى اقتصادي أم منتدى .... !! 477
#الطريق إلى الولد الصالح 478
#الأسرة في العصور الحديثة 493
#حمىّ الموضة: المعقول وغير المعقول 502
#الحجاب الحريري والعلمانية 505
#أنت الحكم ادخل الآن وكن الحكم الدين ممنوع والعتب مرفوع 506
#جذور العلمانية والتغريب في العالم الإسلامي 1 508
#جذور العلمانية والتغريب في العالم الإسلامي(2) 531
#جذور العلمانية والتغريب في العالم الإسلامي (3/3) 555
#سوبر ستار العرب (ماذا قال عبد الباري عطوان) 579
تغيير مناهجنا الدراسية إلى أين؟ 582
#الحرب الأمريكية على ساحة التعليم 591
#مناهجنا ومقرراتنا الشرعية التعليمية أمانة في أعناقنا جميعا 594
#مناهجنا تغيير أم تغريب 597
#المجلات الخليعة ومخاطرها 604

#حديث الذكريات 607
#المسلم الجديد 608
#رجل قميء.. امرأة جاهلة! 610
#الإسلام والغرب في وسائل الإعلام الغربية 612
#الإسلام.. لحظة حاسمة 614
#المرأة ومغالطة الحقائق 616
#العولمة.. 618
#الحضارة الغربية: ضجة عن الحرية 624
وممارسة للهيمنة الثقافية. 624
#ماذا يريدون من المسلم؟! 627
#من مزالق الدعاة 628
#دور المرأة المسلمة فى مواجهة التغريب 630
#أقوال منسية حول (التغريب) 635
#"مهاتير" لليابانيين: التغريب والأمركة ستحطمكم! 646
#العصرانيو ن و ضرورة الحجر عليهم 650
#تراث الغير 655
#جهاد العفة . . في مواجهة التغريب 660
#المسلمون فى بلجيكا بين هموم التغريب والهجمات العنصرية والتناقضات الأخلاقية 670
#التغريب 674
#التغريب بين اندماج الشباب وانصهارهم 683
#المصلحون والدعوة إلى التغريب 686
#نحن و التغريب في وسائل الإعلام 688
#لغتنا الجميلة وعاديات التغريب..! 690
#المرأة في دول الخليج ومطارق التغريب 691
#الحركة النسوية الغربية و أثرها في المجتمعات الإسلامية 694
ماذا يريدون من المرأة..؟! 710
أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة 720
المخرج من فِتنتَي التغريب والتخريب 734
هموم ثقافية 741
بأقلامهن 752
ماذا يريدون من المرأة..؟! 757
التغريب أخطر التحديات في وجه الإسلام 767
التغريب في ديار الإسلام 781
غول التغريب كسر قيوده 787

فتياتنا بين التغريب والعفاف 793
الفتيات السعوديات والابتعاث إلى الخارج 821
كي لا نسقط في الهاوية 833
دور المرأة المسلمة في مواجهة التغريب.. 848
الوجه الآخر.. 853
يا مصلحون : أوصدوا الأبواب أمام زحف التغريب.. 854
نقد الفكر الليبرالي (جديد ومزيد).. 860
دور الشباب المسلم تجاه المد التغريبي.. 938
المرأة المسلمة والتحديات المعاصرة بين حديث القرآن والواقع (1– 3).. 946
تعب السعداء والأشقياء.. 951
المرأة المسلمة والتحديات المعاصرة بين حديث القرآن والواقع (1– 3).. 961
حرب العقائد والدرس المستفاد 966
الحب في الله والبغض في الله 972
الأندية الرياضية النسائية.. 989
المرأة وكيد الأعداء 992
أورام البناء الثقافي.. 995
المسلمون والإدالة عليهم 999
الإختلاط بوابة الشرور.. 1006
اختلاط النساء بالرجال الحكم والأدلة1 1014
نقد مقال قراءة في الذِّهنية السلفيَّة 1021
مقتل حاكم العراق.. 1027
هل صار الولاء والبراء محرجاً ؟.. 1035
الإختلاط فساد وانحطاط.. 1039
#مناهجنا تغيير أم تغريب 1048
الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان 1056
#لماذا فشل مشروع النهضة التغريبي ؟.. 1063
موجة التقليد والتشبه وأصالة المسلمين وصحوتهم.. 1068
#الصحوة الإسلامية: الأسباب والحقيقة 1077
#أكذوبة حقوق الإنسان.. 1082
أيصبح العدو اللدود صديقاً حميماً! 1085
#أزمة الهدر الفقهي.. 1120
#التسلح بالإعلام والسينما!.. 1127
#أزمة الحجاب.. على يد وزير الثقافة المصري 1132
#الاجتهاد والتجديد .. هل من مزيد؟! 1136

#هيئاتنا الدعويّة الخليجيّة: آن أوان فضائيّاتكم الدعويّة........ 1139
علوم الشريعة في الجامعات: الواقع والآفاق (*) 1142
#الإعلام الإسلامي: الممارسة .. بين النظرية والواقع........ 1165
#أدعياء التنوير والعيش في الظلام 1181
#الحد الأدنى للحياة السليمة 1185
صور من الصمود والإباء 1189
#إعلام (النخر الخفيّ) 1195
#لماذا المنهج؟ (1 - 2) 1196
#الصدام الجنسي للحضارات!........ 1206
#معركة الشريعة الإسلامية في مصر 1209
#الإعلامي الذي نحتاج........ 1213
الخليط الإعتزالي ونقدهم للأصول 1214
#الكتابة... لقهر المجتمع!!........ 1216
#في علم الاستغراب: قراءة في كتاب (مقدمات الاستتباع) (2/2) 1220
خواطر فكرية مبعثرة........ 1233
#الموالون للأجنبي.. أنتم أشد رهبة عليهم..! 1236
#ما بعد الجماعات........ 1237
#أفلام الكارتون .. نظرة فاحصة (1)........ 1246
أفلام الكارتون .. نظرة فاحصة (2) 1250
#مذاهب الناس في الانتخابات........ 1254
#شموع دافئة .. لمشاعر باردة 1258
#الحاجة إلى معرفة الحضارة الغربية........ 1260
#الأزمة الدعويّة: إداريّة أكثر منها منهجيّة (2/1)........ 1263
#لماذا نخافُ النّقد؟ 1276
#مُحاوَلةُ احتلالِ العقلِ المسلمِ 1280
#البرامج المعربة وصناعة نجوم الضياع........ 1284
#ومضى عام........ 1293
#وطنيون بلا وطنية........ 1295
#أين الثقافة في ملتقى المثقفين العرب؟!........ 1297
#مفارقات في مسألة الإسلام والعنف 1301
#منظومة الأمن الخماسية 1304
#دعاة الانقلاب على مصدر الشرعية........ 1307
#حرب العراق..هموم مستقبلية (2/1) 1315
#الحرب الأمريكية على العراق أسبابها والموقف منها(2/1) 1325

دوافع الحملة الإعلامية الأمريكية على المؤسسات الخيرية الإسلامية(1) 1342
#تهميش الأمة:عطل مشاريع النهضة.. 1367
#المستنسخات الأتاتوركية !.. 1373
#ابني و اللغة الأجنبية 1378
#ماذا بعد الحصار ؟!... 1383
(تعليم البنات إلى أين ؟) 1393
#ستائر الملح ورشات المطر 1406
الارتباط الغربي بالخليج العربي.. 1409
أخطاء في مقاومة تغريب المرأة 1417
هذه آثارهم فاعرفوها 1424
رسالة للدكتور / غازي القصيبي.. 1430
تغريب المرأة...المشكلة والحل 1437
تحذير حول عمل المرأة في المحلات التجارية 1443
بين الإصلاح والإفساد 1445
لا للسكرتيرة.. نعم للمعلمة والطبيبة.. 1453
إعصار فيه غبار 1454
جلسة على الرصيف مع أصدقاء "أرلا" 1460
حالة العرب قبل وبعد البعثة 1463
أين قَلَمُكِ ؟! 1469
بيان حول حقوق المرأة ومنزلتها في الإسلام 1470
غزوٌ من الخارج أم من الداخل ؟ 1481
من نحن ومن الآخر؟!.. 1487
ماذا ينقمون على المرأة في ظل الإسلام؟... 1500
هل تأذن لي أن أقول الحقيقة ؟!!.. 1505
علمتني الحياة : الحلقة العاشرة 1507
الجمعيات النسوية والدور المشبوه... 1512
##المرأةُ والولايات السيادية... 1516
#5 – قوله تعالى : ((أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ)) (الزخرف:18) ([1]) . .. 1530
#حكم إمامة المرأة 1546
دعاة التغريب 1571
المرأة والموضة (3/1)... 1573
وقفات مع دعاة تحرير المرأة... 1590
علمتني الحياة : الحلقة التاسعة.. 1597
حقيقة القوامة ودعاة التغريب 1601

الغزو الفكري وآثاره على الأفراد والمجتمعات 1 / 2 1606
نعمة الأمن 1614
لو غير أكّار قتلني !!........ 1621
الأمن الفكري 1624
إني أتعس امرأة 1629
الجمعيات النسائية صلاح أم ...؟! 1630
مبررات منع المرأة من قيادة السيارة 1633
شبهة معاصرة 1670
هم العدو فاحذرهم........ 1678
أساليب العلمانيين في إفساد المرأة 2 / 2........ 1688
خطر الفتوى بلا علم 1696
الغيرة على دين الله........ 1702
الحجاب وأصول الإعتقاد 1710
أساليب العلمانيين في تغريب المرأة........ 1720
التربية البدنية في المدارس النسائية........ 1754
فتنة مسايرة الواقع........ 1777
#الفيديو كليب العربي: 77% جنس و70% تغريب 1793
#الفيديو كليب والجسد والعولمة * 1795
#غزو إعلامي" أجنبي عبر الفضائيات العربية........ 1805
#كيف ألغت وسائل الإعلام عقول الجماهير؟!........ 1808
#برامج.. صناعة النجم أم صناعة الوهم؟........ 1809